سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

# شرح

# العقيدة الطحاوية

## لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

**حفظه الله تعالى**

**المجموعة الأولى (٢٥) مجلسا**

**بدأ فضيلته بشرحها في مدينة الرياض يوم السبت ١٣ ذي القعدة ١٤١٧هـ**

**تحوي ٢٤٨ سؤالا**

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

**الشيخ لم يراجع التفريغ**

بسم الله الرحمن الرحيم

## مختارات من كلام للشيخ صالح آل الشيخ

وشرح الطحاوية مقصود أنه يشتمل علىٰ مسائل لم تذكر في الواسطية، يشتمل علىٰ مسائل لم تذكر في لمعة الاعتقاد ولا في الحموية، فهو مهم من هٰذه الجهة، إضافة إلىٰ أن ثم استدراكات عليه، وهٰذا مما ينمي طالب العلم، ومشايخنا رحم الله الميت وحفظ الحي يعتنون بشرح الطحاوية لذلك قُرّر في جامعات المملكة.

سأشرح المتن إن شاء الله تعالىٰ بطريقة تجمع ما بين السهولة للمبتدئ وكثرة المادة للمتوسط، ولهٰذا لا أعرف شرحا سيكون علىٰ ما أريد إن شاء الله؛ لكن شرح ابن أبي العز هٰذا شرح معروف وكذلك شرح ابن مانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ أو تعليقات الشيخ عبد العزيز حفظه الله أو تعليقات الشيخ ناصر الألباني حفظه الله، هٰذه كلها فيها فائدة إن شاء الله.

نبتدئ في شرح متن الطحاوية كما رغب ذلك عدد من الإخوة، وسيكون الشرح للمتن بطريقة ربما مخالفة لما عليه الشرح المعروف -شرح ابن أبي العز الحنفي- لأن الطحاوية فيها مسائل ليست في كتب العقيدة الأخرىٰ التي شرحناها، فنحتاج فيها إلىٰ بسط الكلام تأصيلا وترتيب المسائل بما ينفع المبتدئ والمتوسط والذي سار معنا من زمان.

**بسم الله الرَّحمن الرحيم**

## الدَّرس الأوَّل

... بشرح مختصر في العقيدة؛ مختصر مهمّ لأنَّ أهل العلم يحبذون إقراءَه وشرحه، ويؤكِّدون علىٰ أهمية ما اشتمل عليه مسائل الاعتقاد بلفظ موجَز وبيان حسن، وهٰذه العقيدة التي نبتدئ شرحها في هٰذه الدَّروس هي عقيدة العالم المحدِّث:

**أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأَزدي الطحاوي**

المتوفىٰ سنة ٣٢١هـ وهي المسماة **بالعقيدة الطَّحاوية** نسبةً إليه، وهي عقيدة موافقة في جُلّ مباحثها لما يعتقده أهل الحديث والأثر؛ أهل السنة والجماعة، كما سيأتي في بيانه إن شاء اللهُ تعالىٰ.

وهٰذه العقيدة الطَّحاوية ذَكر عددٌ من أهل العلم أنّ أتباع أئمة المذاهب الأربعة ارتضَوها؛ وذلك لأنها اشتملت علىٰ أصول الاعتقاد المتفق عليه بين أهل العلم، وذلك بالإجمال، لأنَّ ثَم مواضع انتُقدت عليه كما سيأتي بيانه.

وأبو جعفر الطّحاوي من علماء الحديث المعروفين، ومن الفقهاء المشهورين أيضًا، وكان شافعيا تفقّه علىٰ المُزَني رَحِمَهُ اللَّهُ تلميذ الشافعي، ثم انتقل من مذهب الشافعية إلىٰ مذهب الحنفية، فصار حنفيَّ المذهب إلا أنه لا يتعصب لقول أبي حنيفة ولا يقلّده؛ بل صنيع العلماء المحقّقين أنْ يتابِعه فيما ظهر فيه الدليل وأن يأخذ بالدَّليل إذا خالف قول الإمام.

وجرت مناظرة في ذلك، أو جرىٰ حوار في ذلك بين الطحاوي وبين أحد العلماء في مصر من الحنفية، فقال الطحاوي في مسألة بغير قول الإمام أبي حنيفة، فذاك قال له: ألست من أتباع أبي حنيفة؟ قال: بلىٰ، ولكنّي لا أقلِّده؛ لأنه لا يقلّد إلا عصبيّ. يعني متعصبا، فقال الآخر: وغبي أيضا. يعني لا يقلد من أهل العلم إلا عصبي أو غبي.

فصارت الكلمة مثلا في مصر تداولها الناس في مقولة هذين العالمين، وذلك يدلُّ علىٰ تحرّي أبي جعفر الطّحاوي للحق وعلىٰ ابتغائه له، وهو في الفروع -كما ذكرنا- حنفيّ المذهب، وأما في الأصول ففي الجملة هو علىٰ مذهب أهل السنة والجماعة أتباع أهل الحديث والأثر، إلَّا في مسائل تَبِع فيها مرجئة الفقهاء، وفي جُمَل كلامه في هٰذه العقيدة يوافق معتقد السَّلف إلا في المواضع التي ذكر فيها مسألة الإيمان في تعريفه حيث قال: (**والإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان**)،[1] وقال: (**وأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَواءٌ**) وهٰذه من مقالة المرجئة، وقد ذكر هو في صدر عقيدته هٰذه أنّ هٰذا المعتقد الذي كتبه هو اعتقاد أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمَّد بن الحسن، وهٰذا ظاهر فيما ذَكر من مسألة الإيمان.

**فنقول**: هٰذا الكتاب -كما سيأتي- كتابٌ مشتمل علىٰ أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة بعبارة

---

(١) عبارة الطحاوي: والإيمانُ: هو الإقْرارُ باللِّسانِ، والتصديقُ بالجَنَانِ.

حسنة جيِّدة، وبتقريرٍ لها طيّب، إلَّا في مسائل انتقدت عليه.

ولهٰذا كان بعض مشايخنا عافاهم الله وختم لهم برضاه يقول: هٰذه عقيدة الطَّحاوي ولا يقال: هٰذه عقيدة أهل السنة والجماعة إذا أُريد الجميع؛ لأنّه ثَم مسائل خالف فيها معتقد أهل السنة والجماعة أتباع الحديث والأثر في الأصول وفي التّعبير عن الاعتقاد -كما سيأتي بيانه.

وهٰذه العقيدة اهتم بها علماؤنا لأجل شرحها العظيم؛ وهو شرح ابن أبي العز الحنفي من تلامذة الحافظ ابن كثير صاحب «شرح العقيدة الطحاوية» المشهور بينكم، علىٰ أنّ هٰذه العقيدة لها شروح كثيرة، فالماتريدية شرحوها بشروح متنوّعة، ووجّهوا الكلام فيها علىٰ معتقد أتباع أبي منصور الماتريدي، ولكن شرح ابن أبي العز وجّهها توجيها سلفيًّا تابعا فيه طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية وطريقة ابن القيم رحمهما الله تعالىٰ، وأجاد في ذلك بحيث صار هٰذا الشرح مرجِعًا في علم الاعتقاد بعامَّة، ودافع الشَّارح عن المصنف الطحاوي في مواضع مما عبّر فيه بغير ما ينبغي من التعبير أو فيها قرّره في مسألة الإيمان، بما هو معروف في موطنه وسيأتي بحثه -إن شاء الله تعالىٰ- عند التَّعرُّض لعبارات المصنف.

هٰذا الكتاب أو هٰذه الرسالة والنبذة -العقيدة الطحاوية- فيها كما ذكرنا ذِكر الاعتقاد بعامة؛ ولكنه أُخذ عليه أنه لم يُرَتِّبْهُ، ولهٰذا وقع الكلام علىٰ الصفات مُفَرَّقا، ووقع الكلام علىٰ القدر مفرّقا، ووقع الكلام علىٰ الإيمان مفرّقًا، وهكذا في نظائر هٰذه المسائل، فهي كانت شبيهةً بالإملاء علىٰ ما جاء في قلب المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ وأجزل له المثوبة دون ترتيب علمي يجمع المسائلَ بعضَها إلىٰ بعض؛ يجمع النَّظير إلىٰ نظيره، والشبيه إلىٰ شبيهه، ولهٰذا وقع كلام الشارح علي بن أبي العز الحنفي وقع تبعًا للأصل غير مرتّب، وذكر في أواخر شرحه أنه تمنّىٰ أنْ لو رتب هٰذا الشرح علىٰ ترتيب أركان الإيمان، ثم ما يتَّصل بذلك من الكلام، ليكون أبلغ في الانتفاع؛ فيجعل الكلام في الألوهية متتابعا، والكلام في الصفات متتابعا، والكلام في الإيمان متتابعا، وفي القدر متتابعا، وفي النبوّات متتابعا إلىٰ آخر ذلك، وهٰذا لو حصل لكان أنفع وأدعىٰ لاستحضار شرح تلك المسائل.

**هٰذه العقيدة** أيضا علىٰ جلالتها ووجازة ألفاظها تحتمل شرحًا طويلًا كما صنع الشَّارح ابن أبي العز الحنفي، وتحتمل شرحا متوسطا، وتحتمل شرحا مختصرا، ولما كُنَّا قد شرحنا عددا من كتب العقيدة في سِنِيِّنا التي مرّت رأيتُ -والتَّوفيق بيد الله جل وعلا- أن أجعل الكلام عليها ليس علىٰ طريقة الشَّارح في الاستطراد في ذِكر الشرح وإدخال المسائل بعضها في بعض، ولكن علىٰ طريقة مرتبة متعلقة:

**أولًا**: بألفاظ المصنِّف.

**ثانيًا**: بالمسائل التي أوردها المصنِّف.

**وثالثًا**: بتحقيق القول في أنّ ما ذكره هو مذهب أهل السنة والجماعة.

**ورابعًا**: في أدلة ما ذكره من المسألة.

**خامسًا**: في ذِكر تفريعات تلك المسألة علىٰ اعتقاد أهل الحديث والأثر.

**وسادسًا**: في ذِكر الأقوال المخالفة؛ أقوال أهل الفرق، وأدلّتها والرد عليها.

وكما تنظر في هٰذا التَّقسيم يحتمل تطويلا كبيرًا، ويحتمل توسّطا، ويحتمل اختصارا.

فأسأل الله جل وعلا أن يوفقني لما ينفعكم وأن ينفعكم بما تسمعونه إن شاء الله، وأرجو أن يكون منكم الاجتهاد بمتابعة الشَّرح والتفريع علىٰ هٰذه المسائل من جهة النظر في الشروح، وكلام شيخ الإسلام وابن القيم وأئمة الدعوة رحمهم الله جميعا؛ لأن في بحثك بعد الدرس ومراجعتك للدرس ما يؤكد هٰذه المسائل ويبيِّنها؛ لأن التطويل والتفصيل قد يُذهب بعضُه بعضا عند المبتدئ والمتوسِّط، لكن إذا راجعت وأكّدت علىٰ نفسك بالمراجعة المستمرة الأسبوعية كان في ذلك -إن شاء الله تعالىٰ- خير كثير واستحضار لتلك المسائل.

اللّٰهمَّ لا حول لنا ولا قوة إلا بك، فعلِّمنا من أمرنا رشدا، اللّٰهمَّ لا يسير إلا ما يسّرت، ولا سهل إلا ما جعلته سهلا، أنت تجعل الحَزَن إذا شئت سهلا.

اللّٰهمَّ علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وسددنا في القول والفهم والعمل، إنَّك علىٰ كل شيء قدير.

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ أَبُو جَعْفَرٍ الْوَرَّاقُ الطَّحَاوِيُّ -بِمِصْرَ- رَحِمَهُ اللهُ:

هٰذا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، عَلَىٰ مَذْهَبِ فُقَهَاءِ الْمِلَّةِ: أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بْنِ ثَابِتٍ الْكُوفِيِّ، وَأَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَنْصَارِيِّ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الشَيْبَانِيِّ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ- وَمَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

هٰذه المقدمة اشتملت علىٰ مسائل:

**الأولى** منها: أن هٰذه (عَقِيدَة)، والعقيدة فَعِيلَة بمعنىٰ مفعول؛ يعني معقودا عليه، والمسائل منقسمة إلىٰ: أخبار وأحكام، كما قال جل وعلا: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[الأنعام:١١٥]، تمَّت كلمة الله علىٰ هذين القسمين: صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأوامر والنواهي.

والأخبار يجب تصديقُها فما كان مرجعه إلىٰ التصديق والإيمان به ولا دخل للعمليّات به فإنه يسمَّىٰ عقيدة؛ لأنّ مرجعه إلىٰ علم القلب، فسُمِّي هٰذا عقيدة لأنه معقودٌ عليه القلب؛ يعني كأنه دخل للقلب فعُقِد عليه فلا يخرج منه من شدة الاستمساك به ومن شدة الحرص عليه، لئلا يخرج أو ينفلت.

وهٰذا اللفظ لفظ (العقيدة) كما ذكرتُ راجع إلىٰ علم القلب؛ لأنه هو الذي يُعقد الشَّيء الذي فيه.

وأمَّا العمليات فهٰذه من الإيمان -كما هو معروف- لكن موردها عمل الجوارح لذلك لم تدخل في العقيدة.

وهناك ألفاظ مرادفة للعقيدة للدِّلالة علىٰ ما ذكرنا وهي: التوحيد، السُّنة، الشريعة، وأشباه ذلك. فمنها ما يكون مختصًّا بالعقيدة كالتوحيد، ومنها ما يكون لها ولغيرها كالسُّنَّة والشريعة، فإن لفظ الشريعة يشمل العقيدة أيضا؛ لأن الله جل وعلا بيّن لنا أنّ الأنبياء اجتمعوا علىٰ شريعة واحدة فقال جل وعلا: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[الشورىٰ:١٣]، فهٰذه شريعة أُجمع عليها بين المرسلين، والمقصود بها التوحيد والعقيدة الواحدة.

وتأتي الشريعة ويراد منها العمليات كما قال جل وعلا: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]، وكما ثبت في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**الأنبياءُ إِخْوة لعَلاّتٍ الدين واحد والشرائع شتّىٰ**».

**نخلصُ من ذلك** إلىٰ أنّ التصانيف في العقيدة قد تكون باسم العقيدة أو باسم (التوحيد)، أو باسم (السنة) أو باسم (الشريعة) كما هو موجود فعلا في تصانيف أئمة أهل السنة والجماعة.

**المسألة الثانية:** قوله: (أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ) هٰذا لفظ أُطلق في أواخر القرن الثاني الهجري علىٰ أتباع الأثر والمخالفين للفرق المختلفة الذين خرجوا عن طريقة الصحابة والتابعين، وأول من استعمله بعض مشايخ البخاري رحمهم الله تعالىٰ، وجمع بين لفظين بين (السُّنَّة) و(الْجَمَاعَة)؛ لأن هناك من

يدّعي اتّباع السنة ولكنه لا يكون مع الجماعة، وهناك من يدعو إلىٰ الجماعة دون اتّباع السنة، فصارت طريقة أهل الحديث والأثر أتباع السلف الصَّالح مشتملة علىٰ شيئين: اتّباع (**السُّنَّة**) و(**الْجَمَاعَة**.

وكل منهما في الحقيقة لازم للآخر، فاتّباع السنة هو اتّباع الجماعة، واتّباع الجماعة هو اتّباع السنة، وذلك لأن النبي عليه الصلاة والسلام صحّ عنه في الحديث الذي في السنن أنه قال: «**وَسَتَفْتَرِقُ هٰذه الأمَّة عَلَىٰ ثلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلّهَا فِي النّارِ، إلاّ وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**» فصارت الفِرق في النار؛ يعني متوعدة بدخولها في النار، والناجية فرقة واحدة هي الجماعة، وهم المتبعون للسنة الممتثلون لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الْخُلفَاء الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيين مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكوا بها، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**» الحديث.

وإذا أُفرد (**أَهْل السُّنَّة**) فقد يطلق ويراد بهم ما يقابل الرافضة والشيعة؛ لأنَّ لفظ (**أَهْل السُّنَّة**) يطلق ويراد به ما يخالف التَّشيُّع، ويُطلق ويراد به أهل الحديث والأثر، ولهٰذا زادوا علىٰ (**السُّنَّة**): (**الْجَمَاعَة**)، مع أن كلا منهما ملازم للآخر لأجل أن يكون هناك تحديد في الإطلاق، فيكون المراد بالإطلاق ما يخالف الفرق كلها؛ الرافضة والخوارج والجهمية، المرجئة والقدرية، والجبرية إلىٰ آخر أصول الفرق.

وقد ذكرنا لكم في أول «شرح الواسطية» تفصيل معنىٰ (**أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة**)، ومعنىٰ الجماعة؛ جماعة الدين وجماعة الأبدان في ما يُرجع في ذلك إليه.

**المسألة الثالثة**: أنّ هٰذه العقيدة التي ذكرها الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ بُنيت علىٰ مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن. وهؤلاء عند أهل الحديث والأثر وافقوا السنة والجماعة في أكثر المسائل، لكنهم خالفوهم في أصل عظيم من أصول الدين ألا وهو الإيمان، ولهٰذا أُطلق عليهم مرجئة الفقهاء، فهُم مرجئة؛ لأنّ كلامهم في الإيمان كلام المرجئة لأنهم أرجَؤُوا العمل عن مسمىٰ الإيمان، وقالوا: إنّ (**أَهْلهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ**)، وقيل لهم مرجئة الفقهاء؛ لأنهم فقهاء، اشتهروا بذلك.

فإذن يظهر من هٰذا التقديم أن هٰذا المؤلَّف مبني علىٰ كلام أهل السّنة والجماعة بعامة، وعلىٰ مذهب مرجئة الفقهاء في الإيمان بخاصة.

وهٰذا هو الواقع فِعلا؛ فإنّ كلامه في الإيمان هو كلام المرجئة.

فإذن قوله: (**أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة**) يُدخِل فيهم المرجئة؛ مرجئة الفقهاء، وهٰذا منه يدلّ علىٰ أنّ مدلول (**أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة**) يشمل أهل الحديث والأثر، ويشمل الماتُريدية والأشاعرة، وهٰذا باطل، وهٰذا القول صرّح به بعض الشراح من المتقدمين ومن المتأخرين كالسَّفَّاريني في «لوامع الأنوار» حيث قال في أصلٍ له: اعلم أنّ أهل السنة والجماعة ثلاث طوائف؛ أهل الحديث والأثر والأشاعرة والماتريدية. وهٰذا باطل؛ لأن أهل السنة والجماعة هم الذين أخذوا بالسنة والجماعة في كل المسائل؛ في كل أصول المسائل، وأعظم المسائل التي حصل فيها الاختلاف أولا هي مسألة الإيمان ومسائل الأسماء والأحكام، فخالف فيها الخوارج -كما هو معلوم-، ثم تبع ذلك ظهور المرجئة إلىٰ آخر ما

حصل.

فإذن هٰذه المسألة -مسألة الإيمان- من مسائل الأصول العظيمة فلا يكون من نفاها -يعني من نفىٰ دخول العمل في مسمىٰ الإيمان- علىٰ طريقة أهل السنة والجماعة أتباع الحديث والأثر؛ لمخالفة قولهم للنصوص الكثيرة الدالة علىٰ أنّ العمل من الإيمان -كما سيأتي تقريره في موضعه إن شاء الله تعالىٰ-.

**المسألة الرابعة:** قوله: (وَمَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ) وهٰذه الكلمة (أُصُولِ الدِّينِ) يُعبر بها عن العقيدة؛ لأنّ التعبير عن العقيدة صار فيه اشتراك:

فيُعبَّر عنها -عن العقيدة- عند أهل الحديث بما ذكرنا لك من العبارات: العقيدة، السنة، التوحيد، الشريعة.

وعبّر عنها المخالفون بعلم الكلام، والذين تركوا الفلسفة وما أصّله علماء الكلام في بيان العقيدة إلىٰ ما دلّ عليه كلام معظَّميهم كالأشعري والماتريدي عَدَلوا عن (علم الكلام) إلىٰ (أُصُولِ الدِّينِ)؛ لأن كلمة أصول الدين فيها مخالفة للفظ علم الكلام المذموم، وفيها توسّط ما بين الألفاظ الشرعية: سنة، عقيدة، توحيد، شريعة. وما بين قولهم: علم الكلام. فأَتوا بهٰذا اللفظ الذي هو بيْن اللفظين.

لهٰذا نقول: هٰذا اللفظ إن كان دليله ومأخذه هو مأخذ التوحيد والسنة والعقيدة والشريعة فلا بأس باستعماله، فلهٰذا يستعمله أهل السنة والجماعة، ويريدون به المعنىٰ الصحيح وهو أن (أُصُولِ الدِّينِ) المقصود بها أصول الإيمان الستة وما يندرج في ذلك من المسائل الأصلية والتّبعية.

إذن فكلمة (أُصُولِ الدِّينِ) كلمة مركّبة مضافة، لذلك يقولون هي مركب إضافي؛ أُضيف فيه الأصل إلىٰ الدين، و(أُصُولِ الدِّينِ) كلمة معناها العقيدة، يريدون بكلمة (أُصُولِ) ما يخالف الفروع وهي العمليات، وإذا كان اللفظ محدثا أو مصطلحا عليه فنقول: لا مشاحّة في الاصطلاح إذا كان لم يختص به أهل البدع، فاستعمله طائفة من علماء الحديث والسنة ويعنون به ما دلت عليه الألفاظ الشرعية؛ السنة، العقيدة، التوحيد، الشريعة.

فإذن (وَمَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ) فهي المقصود بها أصول الإيمان المعروفة، وما يتصل بذلك من مباحث، وما خالف فيه أهلُ السنة أهلَ البدعة.

📖نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ -مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ-: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ.

قوله: (نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ -مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ-: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ.)، قوله: (نَقُولُ) هٰذا لأنه لا يُكتفىٰ في الاعتقاد باعتقاد القلب؛ بل لا بد من قول اللسان، وأعظم قول اللسان وكافيه شهادة **أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله**؛ لأن العقيدة الصحيحة اعتقاد بالجنان، وقول باللسان حتىٰ يكون الإيمان صحيحا، ثم امتثال العمليات في الأمر والنهي.

وقوله: (مُعْتَقِدِينَ) هٰذه حال من (نَقُولُ) يعني: أقول حَالَ كوني معتقدا هٰذا الكلام عاقدا عليه قلبي غير متردد فيه ولا مرتاب، فـ(مُعْتَقِدِينَ) ولو تأخرت فهي حال من الضمير في (نَقُولُ).

وقوله: (بِتَوْفِيقِ اللهِ) هٰذه استعانة بالله جل وعلا أن يوفقه في القول الحق في ذلك، والتوفيق اختلفت فيه التفسيرات بما سيأتي بيانه -إن شاء الله- مفصلا في ذكر مسائل القدر؛ فأهل السنة لهم تفسير للتوفيق وللخذلان، وأهل البدع كل له مشربه في تفسير التوفيق والخذلان.

قال: (نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ -مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ-: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ.) اشتملت هٰذه الجملة علىٰ ذِكر التوحيد وعلىٰ تفسيره.

وكلمة (**التوحيد**) هٰذه مصدر: وَحَّدَ، يُوَحِّدُ، تَوْحِيدًا؛ يعني جعل الشيء واحدا، قد جاء في السنة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال في حديث معاذ: «**إنّك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه إلىٰ أنْ يوحّدوا الله**»، وجاء أيضا في قول الصحابي ﷺ "فأهلَّ رسول الله ﷺ بالتوحيد" في قوله: «**لبيك اللّهمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك**» التلبية المعروفة في أول الحج، "**فأهلَّ رسول الله ﷺ بالتوحيد**".

فإذن كلمة (**التوحيد**) جاءت في السنة.

ومعنىٰ التوحيد -كما ذكرنا- جعل الشيء واحدا في اللغة، فتوحيد الله معناه أنْ تجعل الله واحدا؛ واحد فيما وحّد الله جل وعلا نفسَه فيه بما دلّت عليه النصوص، والنصوص دلّت علىٰ أن الله واحد في ربوبيته، واحد في إلهيته، واحد في أسمائه وصفاته.

إذن فالتوحيد في الكتاب والسنة راجع إلىٰ:

- توحيد الربوبية.
- توحيد الإلهية.
- توحيد الأسماء والصفات.

وهٰذا علىٰ التقسيم المشهور، وقسّمه بعض أهل العلم إلىٰ تقسيم آخر وهو أن توحيد الله ينقسم إلىٰ قسمين؛ ينقسم:

- إلىٰ توحيد في المعرفة والإثبات.
- وإلىٰ توحيد في القصد والطلب.

وعَنَىٰ بقوله "في المعرفة والإثبات" في معرفة الله جل وعلا بأفعاله، وهٰذا هو الربوبية و"الإثبات" له فيما أثبت لنفسه، وهٰذا هو الأسماء والصفات.

وقوله "في القصد والطلب" وهو توحيد الإلهية.

وتقسيم التوحيد إلىٰ ثلاثة أقسام: الربوبية والألوهية والأسماء والصفات. جاء في عبارات المتقدّمين من أئمة الحديث والأثر، فجاء عند أبي جعفر الطبري في «تفسيره» وفي غيره من كتبه، وفي كلام ابن بطة، وفي كلام ابن منده، وفي كلام ابن عبد البر، وغيرهم من أهل العلم من أهل الحديث والأثر، خلافا لمن زعم من المبتدعة أنّ هٰذا التقسيم أحدثه ابن تيمية، فهٰذا التقسيم قديم يعرفه من طالع الكتب أهل العلم التي ذكرنا.

**إذا تقرر ذلك:**

فمعنىٰ **توحيد الربوبية**: اعتقاد أنّ الله واحد في أفعاله سبحانه لا شريك له، وأفعال الله جل وعلا منها خَلْقُه سبحانه، ومنها رَزقه وإحياؤه وإماتته، وتدبيره للأمر وإغاثته للناس ونحو ذلك.

يعني أن توحيد الربوبية راجع إلىٰ أفراد الربوبية التي هي السيادة والتصرف في الملكوت، فكلُّ ما رَجَع إلىٰ السيادة والتصرف في الملكوت رجع إلىٰ توحيد الربوبية. فالإيمان بتوحيد الربوبية معناه أنه إيمان بأنّ الله وحده لا شريك له هو المتصرف في هٰذا الملكوت أمرا ونهيا، هو الخالق وحده، وهو الرزّاق وحده، وهو المحيي المميت وحده، وهو النافع الضار وحده، وهو القابض الباسط وحده في ملكوته، إلىٰ آخر مفردات الرّبوبية، كما قال جل وعلا: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[يونس]، فأثبت أنهم أقروا بالربوبية، وأنكر عليهم أنهم لم يتقوا الشرك به وترك توحيد الإلهية.

**وتوحيد الإلهية**: هو توحيد الله بأفعال العبيد، توحيد في القصد والطلب؛ بأن يُفرد العبد ربه جل وعلا في إنابته وخضوعه ومحبته ورجائه، وأنواع عبادته من صلاته وزكاته وصيامه ودعائه وذبحه ونذره، إلىٰ آخر أفراد العبادة بما هو معلوم في توحيد الإلهية.

**وتوحيد الأسماء والصفات**: هو جعل الله جل وعلا واحدا لا مِثْل له في أسمائه وصفاته كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾[الشورىٰ:١١]، وكما قال: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص]، وكما قال جل وعلا: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾[مريم].

إذن قوله: (نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ -مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ-) هنا ذكر التوحيد لأن الخلاف قائمٌ فيه:

ففي الربوبية قام الخلاف مع الدُّهرية والفلاسفة الذين يقولون: إنّ هٰذا العالَمَ قديم لم يزل، وأنه ليس له خالق؛ بل وُجد هكذا العالم باتفاق. وغير ذلك من مقالات نُفاة الرب جل وعلا، وكذلك مخالفة للذين جعلوا الله ربًّا ولكن جعلوا معه شريكا في الربوبية، وهم طوائف من الملل مختلفة، وفي هٰذه الأمة دخل ذلك في قول غلاة المتصوفة الذين يقولون: إن لهٰذا العالم من يتصرف فيه من الأولياء؛ والأقطاب

الذين لكل بلد قطب يمنع ويعطي فيها ويرزق ويحيي ويميت. إلىٰ آخر ما يعتقدون فيه.

في الإلهية ثَم من خالف.

في الأسماء والصفات ثَم من خالف كما سيأتي تفصيله.

**هنا سؤال**: وهو أنه قدم القول في الاعتقاد في الله جل وعلا، لم؟

والجواب عن ذلك أنه قدَّم ذلك لأمرين:

**الأول منهما**: أنّ الإيمان بالله مقدّم علىٰ غيره من أركان الإيمان كما قال جل وعلا: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[البقرة:١٧٧]، فقدّم الإيمان بالله علىٰ غيره، وكما في قوله جل وعلا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[البقرة:٢٧٥]، وقول النبي عليه الصلاة والسلام في حديث جبريل المعروف: «**الإيمان أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

**الأمر الثاني**: أنّ الاعتقاد في الله جل وعلا هو أصل الإيمان، وبه يصير المرء مؤمنا، بالاعتقاد في الله جل وعلا بالوحدانية، بما دلت عليه شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأنّ ذلك هو أول واجب علىٰ العبيد.

وفي هٰذا مخالفة للذين زعموا أن أول واجب علىٰ العبد ويقدمونه في عقائدهم أن يعرف الله، أو أن يستدل علىٰ معرفة الله، أو ما يسمونه بالنظر للتوحيد أو للمعرفة، أو بالقصد إلىٰ النظر، فلما كان أول واجب هو التوحيد قدّمه، مخالفة لمن قال إن أول واجب هو أن تنظر في الدلائل وفي الملكوت لمن كان أهلاً لذلك.

قال: (**إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لا شرِيكَ لَهُ**)، (**إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ**)، لفظ (**وَاحِدٌ**) هٰذا من أسماء الله الحسنىٰ، كما قال الله جل وعلا: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾[الزمر]، وأيضا من أسمائه الحسنىٰ الأحد ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾[الإخلاص]، و(**وَاحِدٌ**) يعني أنه لا شريك له، ولذلك كانت كلمة (**لا شرِيكَ لَهُ**) هٰذه مؤكِّدة تأكيدا بعد تأكيد، قال الحافظ ابن حجر وغيره في قوله: (**وَاحِدٌ لا شرِيكَ لَهُ**): هٰذا تأكيد بعد تأكيد لبيان عظم مقام التوحيد. وكلمة (**وَاحِدٌ**) هٰذه راجعة عند أهل الاعتقاد إلىٰ أَحَدِيَّتِه سبحانه.

ونقول: الصحيح أنه لا فرق بين واحد وأحد، والمتكلمون يفرقون ما بين الواحد والأحد؛ فواحد وأحد، فيرجعون الواحدية للصفات، والأحدية للأفعال، ولكن الصحيح أن اسم الله (الواحد) جل وعلا يرجع إليه أَحديته سبحانه في الذات وفي الصفات وفي الأفعال؛ في الربوبية وفي الألوهية والأسماء والصفات.[1]

قوله: (**لا شرِيكَ لَهُ**) هٰذا تفسير لـ(**وَاحِدٌ**) وتأكيدٌ له، ولهٰذا دلّ قوله (**إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لا شرِيكَ لَهُ**) علىٰ أن

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الأول.

التوحيد أعظم ما يفسّر به ففي الشريك عن الله جل وعلا، (نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شرِيكَ لَهُ.) فالتوحيد يُفسّر بضده وهو نفي الشرك كما قال الشاعر:

..... وبضدها تتبين الأشياء

وقد لا يستقيم معرفة التوحيد بتفاصيله إلا بالإيقان بنفي الشرك بأنواعه.

لهٰذا نقول هنا: قوله: (لَا شرِيكَ لَهُ) هٰذا عام يشمل نفي الشريك في الربوبية، ونفي الشريك في الألوهية، ونفي الشريك في الأسماء والصفات.

والشرِكَة في الربوبية راجعة إلىٰ جعل المخلوق له من صفات الرب جل وعلا في صفات الربوبية؛ يعني أنْ يجعل للمخلوق تصرفا، إذا جعل للمخلوق تصرفا في الكون مما يختص به الله جل وعلا، فهٰذا ادّعاء للشريك معه في الربوبية، أو أن يعتقد أن الله معه معين أو ظهير أو وزير، وهٰذا كله منفي، وكل هٰذا داخل في الاشتراك في الربوبية، كما قال جل وعلا: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[سبإ]، فذكر أنواع الاشتراك في الربوبية:

- إما شركة مستقلة ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ يعني استقلالا.
- أو معاونة.
- أو اتخاذ ظهير ووزير لله جل وعلا.

وهٰذه المعتقدات هٰذه موجودة في طوائف من هٰذه الأمة.

**والإيمان بتوحيد الربوبية** ونفي الشرِكة في الربوبية علىٰ درجتين:

**الدرجة الأولىٰ**: واجبة علىٰ كل مكلَّف، ومن لم يأتِ بها فليس بموحّد، بل هو مشرك، وهو ما ذكرنا من الاعتقاد بأنّ الله واحد في ربوبيته؛ في أفعاله سبحانه، فهو الخالق وحده، وهو الرزّاق وحده، وهو المحيي المميت وحده، وهو النافع الضار وحده جل وعلا، وهو مدبّر الأمور وحده، وهو خالق الخَلق وحده، إلىٰ آخر أفراد ذلك، فهٰذه واجبة علىٰ كل أحد.

**المرتبة الثانية من الإيمان بتوحيد الربوبية**: وهي مرتبة للخاصة ولأهل العلم وهي شهود آثار الربوبية في خَلْق الله جل وعلا، وهٰذه بحيث لا يرىٰ غير الله جل وعلا مؤثرا في هٰذا الملكوت، ولو كان تأثير معلولات عن علل، أو تأثير مسببات عن أسباب، فإنّه يرىٰ ألاّ مؤثر في الحقيقة ولا خالق إلا الله جل وعلا، وينظر لذلك في الملكوت متفكرا، متدبرا.

وهٰذه الحال الخاصة وهي مستحبة، وهي لأهل العلم ولأهل الإيمان، وليست واجبة علىٰ كل أحد، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴾[آل عمران]، وكما وصف الله جل وعلا بعض عباده بالتفكر والنظر والتدبر في خلق الله جل

وعلا، بل أمر بذلك في بعض الآيات بقوله: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس]، وكقوله: ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ ﴾[الأعراف:١٨٤]، وكقوله جل وعلا: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ ﴾[سبإ:٤٦]، فهٰذا التفكر في ربوبية الله جل وعلا، في خلق الله، يدل علىٰ توحيده في الربوبية، وهو حال الخاصة، كما قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ "**عاملنا القلوبَ بالتفكر فأورثها التذكّر، فرجعنا بالتذكر علىٰ التفكر، وحركنا القلوب بهما، فإذا القلوب لها أسماع وأبصار**".

وهٰذه عند أهل البدع وأهل الكلام مطلوبة وواجبة لمن كان أهلا لها فيوجبون النظر، ويوجبون التفكر، ولا يصح إيمان أحد عندهم ممن –عند طائفة منهم– كان أهلا للنظر إلا بالنظر، فلو مات المتأهل للنظر من غير نظر لم يكن مؤمنا بربوبية الله جل وعلا، وإنْ كانت تجري عليه أحكام أهل الإسلام في الدنيا فإنهم لا يُجرون عليه أحكام أهل الإسلام في الآخرة علىٰ تفصيل مذهب أهل الكلام في ذلك.

**النوع الثاني أنْ يعتقد بأن الله جل وعلا لا شريك له في إلهيته** ﷻ: والإلهية معناها العبادة، يعني لا شريك له في عبادته، كما دلت عليها كلمة التوحيد (لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له)، فيعتقد أن الله جل وعلا ليس معه إلٰه يستحق العبادة، وأنّ كل من أُدعي فيه الإلهية وأنه يُعبد، فإنما عُبد بالبغي والظلم والعدوان والتعدي، وكل من أشرك بالله جل وعلا فهو ظالم أبشع الظلم وأكبر الظلم؛ لأنه سبحانه توعَّد أهل الشرك بالنار، بل أوجب لهم النار في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾[1]، وكما قال المسيح عليه السلام ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ ﴾[المائدة].

لبيان هٰذا التوحيد وما يتصل به، كُتب توحيد العبادة المعروفة ومن أعظمها وأشملها «**كتاب التوحيد**» للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

**الثالث من أنواع نفي الشريك المشتمل عليه (لا شريك له) نفي الشريك لله في الأسماء والصفات:**

وذلك بأنْ يعتقد أنّ الله جل وعلا لا شريك له في كيفية اتصافه بالصفات؛ يعني لا مُماثل له سبحانه وتعالىٰ، ولا مشابه له في كيفية اتصافه بالصفات، وأنه سبحانه لا شريك له في المعنىٰ المطلق لصفاته سبحانه ولأسمائه، ولا مشابه له في المعنىٰ المطلق لأسمائه وصفاته، وأنّ اشتراك بعض خلقه معه سبحانه في الصفات إنما هو اشتراك في مطلق المعنىٰ وفي أصله لا في المعنىٰ المطلق ولا في كماله ولا في الكيفية، فيعتقد أنّه لا شريك له في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله سبحانه، بل ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورىٰ].

---

(١) سورة النساء في الآيتين:٤٨ و١١٦.



سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

لأجل هٰذا المعنىٰ العام، عطف عليها المصنف بقوله: (وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ. وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ. وَلَا إلٰه غَيْرُهُ.) كما سيأتي تفصيل الكلام علىٰ هٰذه المسائل في ذكر معنىٰ هٰذه الجُمل الثلاث.

إذن هٰذا إجمال لمعنىٰ التوحيد ونفي الشريك، ويأتي تفصيلها مع بيان كل مسألة: توحيد الربوبية وأبحاثه، توحيد الأسماء والصفات وأبحاثه، توحيد الإلهية وأبحاث توحيد الإلهية.

بقي أن نقول: إنّ في قوله: (نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ -مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ-: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ.) إنّ هٰذه العبارة (لَا شَرِيكَ لَهُ) تفسيرها علىٰ طريقة أهل السنة ذكرناها، وأما أهل البدع فيقولون في تفسير (وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ) عبارات مختلفة تجدونها في التفاسير، ويُكثر منها أهل البدع.

فيقولون في تفسير (وَاحِدٌ): واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شريك له، وواحد في أفعاله لا نِدَّ له.

وفي قولهم في أولها (واحد في ذاته لا قسيم له) هٰذه من التعبيرات المحدثة، وإن كان يمكن أن تحتمل معنىٰ صحيحا؛ لكن التوحيد والأَحدية تُفسَّر بواحديته وأحديته في ربوبيته وإلهيته وفي أسمائه وصفاته.

وأهل البدع في التوحيد اختلفت عباراتهم؛ وسبب اختلاف عباراتهم في التوحيد أنهم نظروا في تعريف التوحيد إلىٰ حال النصارىٰ وأهل الملل، ففسروا التوحيد بما يخالف ما عليه بعض الطوائف، فقالوا: واحد في ذاته لا قسيم له. يعني نفيا للأقانيم الثلاثة التي هي صور لله جل وعلا مختلفة كما هو اعتقاد النصارىٰ أو طائفة من النصارىٰ، وكذلك اعتقاد السِّنَوِيَّة والذين يقولون: إن ثَم إلهين، هو إلٰه واحد لكن له أقنومان؛ شيء للخير وشيء للشر.

والله ﷻ واحد في ذاته وأسمائه وصفاته، واحد في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ﷻ.

سيأتي إن شاء الله مزيد بيان لقول المخالفين في تفسير الربوبية والألوهية والأسماء والصفات فيما نستقبل إن شاء الله تعالىٰ.

نكتفي الليلة بهٰذا القدر، ونسأل الله سبحانه أنْ يوفقكم لما يحب ويرضىٰ، وأن يزيدني وإياكم من العلم النافع والعمل الصَّالح، وأن يختم لنا برضاه، اللّٰهمَّ اغفر لنا جميعا ووفقنا لعلم يكون حجة لنا، وترفع به درجاتنا، ونكون فيه من الذين قُلتَ فيهم ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، اللّٰهمَّ فاغفر جما.

وصلّىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

[**الأسئلة**]: نختار خمس أسئلة فقط.

**سؤال (١)**: قد يُفهم من الدرجة الثانية من توحيد الربوبية نفي الأسباب وآثارها؟

**الجواب**: لا يُفهم ذلك؛ لأن المقصود أن يرىٰ، أن يشهد آثار الأسماء والصفات، وشهود آثار الأسماء والصفات هٰذا ليس نفيا للأسباب؛ بل هو جعل الأسباب أسبابا، وعدم مجاوزتها لكونها أسبابا، فيرىٰ أنّ الفاعل هو الله جل وعلا، وأنه سبحانه أجرىٰ الأسباب بجعلها أسبابا، وأنتج ﷻ عنها مسبباتها،

وأنّ العلل تُنتج معلولاتها، وأنّ المؤثرات تنتج الآثار، إلىٰ غير ذلك مما هو معلوم من اعتقاد أهل التوحيد.

**سؤال (٢)**: ما نكاد نقرأ كتابا من كتب السنة، كالسنة لعبد الله، واللالكائي، والإبانة إلا ونجد فصلا أو بابا في طعن الأئمة في أبي حنيفة فما هو السبب؟ وما موقفنا من هٰذه الآثار؟

**الجواب**: هٰذا كان في ذلك الزمان؛ لأن أبا حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ خالف السنة والآثار في مسائل كثيرة جدا، وردّ عليه أهل السنة والحديث حتىٰ لا يأخذ الناس بكلامه في ذلك، فالتآليف هٰذه لأجل انتشار مذهب الحنفية في البلاد، فكتبوا ذلك تحذيرا من اتّباعه فيما أخطأ فيه؛ لكن لما استقرت المذاهب، واستقرت الفرق، وصار أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ أحد الأئمة الأعلام الذين يشار إليهم، والذين يتبعون في مسائل الفقه، ترك أهل السنة إيراد ذلك بعد نهاية القرن الخامس، واجتمعوا علىٰ عدم ذكرها، بل عدوه من الأئمة الأعلام، كما عقد ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه المعروف "رفع الملام عن الأئمة الأعلام" وذكر منهم أبا حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ.

فأخطأ هو في مسائل، وخالف السنة في مسائل، وعُدَّ من مرجئة الفقهاء، لكن ما ورد في تلك الكتب من شتمه ولعنه وسبه أو نحو ذلك، هٰذا تركه أهل السنة؛ فلم يَصِر من شعار أهل السنة أن يُفعل ذلك، كما قرره الأئمة وفي كتبهم وتركوه في مؤلفاتهم بعد نهاية القرن الخامس.

**سؤال (٣)**: بعض أهل العلم يقسّم التوحيد إلىٰ أربعة أقسام: توحيد الإلهية، توحيد الربوبية، توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الحاكمية. فهل هٰذا التقسيم صحيح أم لا؟

**الجواب**: توحيد الحاكمية داخل إما في توحيد الربوبية أو في توحيد الإلهية أو فيهما معا؛ لأن الله جل وعلا جعل الحكم إليه سبحانه بقوله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[1]، وقال جل وعلا: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[الشورىٰ:١٠]، ونحو ذلك من الآيات، وكقوله: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر].

فالحاكمية من جهة تحاكم الناس هٰذا فعْل العبد، وفعْل العبد داخل في توحيد الإلهية، لهٰذا أَدخل إمام الدعوة مباحث هٰذا النوع من التوحيد في "كتاب التوحيد" فعقد عدة أبواب في بيان هٰذه المسألة العظيمة المهمة.

ولهٰذا نقول: إن إفراده بالذكر لا يصلح؛ لدخوله في توحيد الإلهية، فهو من ضمن مسائله الكثيرة.

لكن قد يُقسم التوحيد عند طائفة من أهل العلم إلىٰ أربعة أقسام ويجعلون الرابع توحيد المتابعة؛ يعني متابعة النبي عليه الصلاة والسلام، وهم يقصدون بهٰذا التقسيم ما دلت عليه الشهادتان فإذا قالوا: توحيد الله. قالوا: ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام. وإذا قالوا: التوحيد. بدون الإضافة إلىٰ الله جل وعلا، جعلوه

---

(١) الأنعام:٥٧، يوسف:٤٠، يوسف:٦٧.

أربعة أقسام؛ ثلاثة مختصة بالله جل وعلا، والرابع هو توحيد المتابعة للنبي عليه الصلاة والسلام، لئلا يُتّبع في التشريع غير المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام.

**سؤال (٤)**: هٰذا يقول: نرجو أن تعيد الكرسي ليتسنىٰ للجميع المشاهدة؛ لأنها أدعىٰ للفهم والإدراك.

**الجواب**: إن شاء الله يكون الخير.

يوم السبت القادم إن شاء الله، وفقكم الله لما يحب ويرضىٰ.

## الدرس الثاني

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ -مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ-: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شرِيكَ لَهُ.

وَلَا شيْءَ مِثْلُهُ، وَلَا شيْءَ يُعْجِزُهُ، وَلَا إِلٰه غَيْرُهُ.

قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ.

---

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ إلٰه وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدين.

اللّٰهمَّ إنا نسألك علما نافعا وعملا صالحا وقلبا خاشعا ودعاء مسموعا، اللّٰهمَّ علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا من العلم والعمل يا أرحم الراحمين.

أما بعد..

فهٰذه الجمل الثلاث وهي قوله: (وَلَا شيْءَ مِثْلُهُ، وَلَا شيْءَ يُعْجِزُهُ، وَلَا إِلٰه غَيْرُهُ.) تفصيل لما يعتقده في توحيد الله جل وعلا، والتوحيد -كما ذكرنا- منقسم إلىٰ الأقسام الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الإلهية.

فذكر هٰذه الأقسام الثلاث في قوله: (وَلَا شيْءَ مِثْلُهُ، وَلَا شيْءَ يُعْجِزُهُ، وَلَا إِلٰه غَيْرُهُ.):

فقوله: (وَلَا شيْءَ مِثْلُهُ) راجع إلىٰ توحيد الأسماء والصفات والأفعال.

وقوله: (وَلَا شيْءَ يُعْجِزُهُ) راجع أو مُثْبِتٌ لتوحيد الربوبية.

وقوله: (وَلَا إِلٰه غَيْرُهُ) مثبت لتوحيد العبادة والألوهية.

وقدَّم رَحِمَهُ اللَّهُ ما يدل علىٰ توحيد الأسماء والصفات بعد ذكر توحيد الإلهية في قوله: (إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شرِيكَ لَهُ)؛ لأن النزاع كائنٌ في توحيد الإلهية وفي توحيد الأسماء والصفات؛ فَمَعَ أهل الشرك النزاع في توحيد الإلهية، وهو الذي كان النزاع فيه ما بين الرسل وبين أقوامهم، ولهٰذا قدّم ما يعتقده بقوله: (إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شرِيكَ لَهُ)؛ لأن هٰذا هو حقيقة النزاع بين الرسل وبين أقوامهم.

ثم قال: (وَلَا شيْءَ مِثْلُهُ) لأن هٰذا هو حقيقة النزاع ما بين أهل السنة والجماعة وما بين مخالفيهم من المبتدعة علىٰ أصنافهم من المجسمة والمعطلة والنفاة وأشباه هؤلاء.

وأيضا قرن بينهما لأنّ البدع بريد الشرك، فإنّ ترك تنزيه الله جل وعلا عن مماثلة المخلوقين تؤدي إلىٰ الشرك به جل وعلا، ولهٰذا قال من قال من السلف "**المعطِّل يعبد عدما والممثل يعبد صنما**" فالتمثيل ثَم اقتران بينه وبين الشرك؛ لأن الممثل اتّخذ صورة جعلها علىٰ صفات معينة فصارت صنما له، كما أنّ المشركين عبدوا الأصنام واتخذوها آلهة.

* وأما قوله: (وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ) فهو توحيد الربوبية كما سيأتي ذلك مفصلا.

إذن فترتيب المصنف الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ لهٰذه الجمل الأربع ترتيب مناسب، وهو متنقل بفهمٍ في أمور الاعتقاد وموقف أهل السنة وأهل الإسلام من مخالفيهم.

**والجملة الأولىٰ** في هٰذا اليوم هي قوله: (وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ) والكلام عليها يكون في مسائل:

**المسألة الأولى**: أن قوله: (وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ) مأخوذ من قول الله جل وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ]، ومن قوله جل وعلا: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص]، ومن قوله حل وعلا: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[مريم]، ومن قوله سبحانه: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾[النحل]، وأشباه هٰذه الأدلة التي تدل علىٰ أن الله سبحانه لا يماثله شيء من مخلوقاته.

**والمسألة الثانية**: أنّ قوله: (وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ) راجع لنفي المماثلة، وهٰذا هو الذي جاء في الكتاب والسنة أنْ يُنفىٰ عن الله جل وعلا أن يماثل أحدا أو شيئا من خلقه، وكذلك يُنفىٰ عن المخلوق أن يكون مماثلا لله جل وعلا.

وإذا كان كذلك، **فالمماثلة أو التمثيل أو المِثلية تُعَرَّف بأنها المساواة في الكيف والوصف**:

- والمساواة في الكيفية راجعة إلىٰ أن يكون اتصافه بالصفة من جهة الكيفية مماثل لاتصاف المخلوق، كقولهم: يد الله كأيدينا وسمعه كأسماعنا وأشباه ذلك.
- وأما المماثلة في الصفات فهي أن يكون معنىٰ الصفة بكماله التام في الخالق كما هو في المخلوق.

إذا تقرر ذلك، فإن اعتقاد المماثلة في الكيفية أو في الصفات علىٰ النحو الذي ذكرتُ هٰذا تمثيل يَكْفُر صاحبه، ولهٰذا كفّر أهلُ السنة النصارىٰ، وكفّر أهلُ السنة المجسمة؛ لأن النصارىٰ شبّهوا المخلوق بالخالق، وشبّهوا عيسىٰ بالله جل وعلا، والمجسمة شبّهوا الله جل وعلا ومثّلوه بخلقه.

**المسألة الثالثة: الفرق ما بين المماثلة والمثلية وبين التشبيه**، ولتقرير ذلك فانتبه إلىٰ الذي جاء نفيه في الكتاب والسنة إنما هو نفي المماثلة، أما نفي المشابهة -مشابهة الله لخلقه- فإنها لم تُنْفَ في الكتاب والسنة؛ لأن المشابهة تحتمل أن تكون مشابهة تامة، ويحتمل أن تكون مشابهة ناقصة، فإذا كان المراد المشابهة التامة فإنّ هٰذه المشابهة هي التمثيل وهي المماثلة، وذلك منفي، لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾[الشورىٰ:١١]، فإذن لفظ المشابهة ينقسم:

- إلىٰ موافق للمماثلة، الشبيه موافق للمثيل وللمِثْل.
- وإلىٰ غير موافق.

يعني قد يشترك معنىٰ الشبيه والمثيل ويكون المعنىٰ واحدا، إذا أُريد بالمشابهة المشابهة التامة في الكيفية وفي تمام معنىٰ الصفة.

وأما إذا كان المراد بالمشابهة المشابهة الناقصة وهي الاشتراك في أصل معنىٰ الاتصاف، فإن هٰذا ليس

هو التمثيل المنفي، فلا يُنفىٰ هٰذا المعنىٰ الثاني، وهو أن يكون ثم مشابهة بمعنىٰ أن يكون ثم اشتراك في أصل المعنىٰ.

وإذا كان كذلك فإن لفظ الشبيه والمثيل بينهما فرق -كما قررتُ لك- ولفظ المشابهة لفظ مجمل لا ينفىٰ ولا يثبت، وأهل السنة والجماعة إذا قالوا: إن الله جل وعلا لا يماثله شيء ولا يشابهه شيء. يعنون بالمشابهة المماثلة، أما المشابهة التي هي الاشتراك في المعنىٰ فنعلم قطْعا أنّ الله جل وعلا لم ينفها؛ لأنه سبحانه سمّىٰ نفسه بالملك﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾[الفاتحة]، ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ ﴾[1] وسمىٰ بعض خلقه بالملك﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ﴾[2] وأشباه ذلك من الآيات، وكذلك سمّىٰ نفسه بالعزيز، وسمّىٰ بعض خلقه بالعزيز، وكذلك جعل نفسه سبحانه سميعا، وأخبرنا بصفة السمع له، والبصر، والقوّة، والقدرة، والكلام، والاستواء، والرحمة، والغضب، والرضا وأشباه ذلك، وأثبت هٰذه الأشياء للمخلوق؛ للإنسان فيما يناسبه منها، فدل علىٰ أن الاشتراك في اللفظ وفي بعض المعنىٰ ليس هو التمثيل الممتنِع؛ لأن كلام الله جل وعلا حق وبعضه يفسر بعضا، فنفىٰ المماثلة سبحانه بقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١ ﴾[الشورىٰ]، وأثبت اشتراكا في الصفة.

وإذا قلتُ اشتراكا ليس معنىٰ ذلك أنها من الأسماء المشتركة في الصفات، لكن أثبت اشتراكا في الوصف يعني شركة فيه، فإن الإنسان له ملك والله جل وعلا له الملك، والإنسان له سمع والله جل وعلا له سمع، والإنسان له بصر والله جل وعلا له بصر، وهٰذا الإثبات فيه قدْر من المشابهة، لكنها مشابهة في أصل المعنىٰ، وليست مشابهة في تمام المعنىٰ ولا في الكيفية، فتحصّل من ذلك أن المشابهة ثلاثة أقسام:

- **الأولىٰ**: مشابهة في الكيفية، وهٰذا ممتنع.
- **والثاني**: مشابهة في تمام الاتصاف ودلالة الألفاظ علىٰ المعنىٰ بكمالها، وهٰذا ممتنع.
- **والثالث**: مشابهة في معنىٰ الصفة؛ في أصل المعنىٰ، وهو مطلق المعنىٰ وهٰذا ليس بمنفي.

ولهٰذا صار نفي التمثيل، ونفي المثيل، ونفي المثلية صار شرعيا؛ لأنه واضح؛ دلالته غير مجملة، وأما لفظ المشابهة فإن دلالته مجملة فلم يأتِ نفيه.

**ونحن نقول**: إن الله جل وعلا لا يماثله شيء ولا يشابهه شيء ﷻ. ونعني بقولنا: (لا يشابهه شيء) معنىٰ المماثلة في الكيفية أو المماثلة في تمام الاتصاف بالصفة وتمام دلالة اللفظ علىٰ كمال معناه.

**المسألة الرابعة**: علىٰ قوله: (وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ) أنّ إثبات الصفات لله جل وعلا قاعدته مأخوذة من هٰذه الجملة (وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ)، فإثبات الصفات مأخوذ من قوله سبحانه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١ ﴾[الشورىٰ]، فنفىٰ ﷻ وأثبت، وعند أهل السنة والجماعة أن النفي يكون مجملا (لَا شَيْءَ

---

(١) طه:١١٤، المؤمنون:١١٦.

(٢) يوسف:٤٣، ٥٠، ٥٤.

مِثْلُهُ)، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وأنّ الإثبات يكون مفصلا ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وهٰذا بخلاف طريقة أهل البدع فإنهم يجعلون الإثبات مجملا، والنفي مفصلا.

فيقولون في صفة الله جل وعلا: إن الله ليس بجسم ولا بشبح ولا بصورة ولا بذي أعضاء ولا بذي جوارح ولا فوق ولا تحت ولا عن يمين ولا عن شمال ولا قُدّام ولا خلف وليس بذي دم ولا هو خارج ولا داخل. إلىٰ آخر تصنيفهم للمنفيات، وإذا أتىٰ الإثبات، إنما أثبتوا مجملًا، فصار نفيهم وإثباتهم علىٰ خلاف ما دلت عليه الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾.

فطريقة أهل السنة أنَّ النفي يكون مجملا وأن الإثبات يكون مفصلا علىٰ قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، والنفي المُجمل فيه المدح، والإثبات المفصل فيه مدح، والنفي المجمل والإثبات المفصل من فروع معنىٰ استحقاق الله جل وعلا للحمد، والله سبحانه أثبت أنه محمود ومُسبَّح في سماواته وفي أرضه جل وعلا، كما قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[الإسراء:٤٤]، وكقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الروم:١٨]، وكقوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾[الروم]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1] ونحو ذلك.

**والجمع بين التسبيح والحمد هو جمْعٌ بين النفي والإثبات**؛ لأن التسبيح نفي النقائص عن الله فجاء مجملا، والحمد إثبات الكمالات لله جل وعلا فجاء مفصّلا، فإثبات الكمالات من فروع حمده ﷻ، ولهٰذا صار محمودا جل وعلا علىٰ كل أسمائه وصفاته، وعلىٰ جميع ما يستحقه سبحانه، وعلىٰ أفعاله جل وعلا، وتنزيهه سبحانه بالنفي؛ يعني بالتسبيح أنْ يكون ثَم مماثل له ﷻ؛ فمعنىٰ (سبحان الله) تنزيها لله جل وعلا عن أن يماثله شيء أو عن النقائص جميعا، والحمد إثبات الكمالات بالتفصيل.

فإذن من نفىٰ مجملا وأثبت مفصلا، فإنّه وافق مقتضىٰ التسبيح والحمد الذي قامت عليه السَّمٰوات والأرض.

ومن نفىٰ مفصلا وأثبت مجملا، فقد نافىٰ طريقة الحمد والتسبيح الذي قامت عليه السَّمٰوات والأرض.

لهٰذا صارت طريقة القرآن أن يكون النفي مجملا والإثبات مفصلا، وطريقة أهل البدع بعكس ذلك.

**المسألة الخامسة**: أن قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورىٰ:١١]، الذي هو دليل (وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ)، قد اختلف فيه المفسرون في معنىٰ الكاف في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، والكاف هنا، علىٰ أي شيء تدل؟ علىٰ أقوال:

**الأول** منها: أن الكاف هٰذه بمعنىٰ مِثْل، فيكون معنىٰ قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ليس مِثْلَ مِثْلِه

---

(١) الجمعة:١، التغابن:١.

شيء، مبالغة في النفي عن وجود مِثْل المِثْل، فكيف يوجد المِثْل، فنَفْيُه من باب الأولىٰ.

ومجيء الكاف بمعنىٰ الاسم هٰذا موجود في القرآن وكذلك في لغة العرب:

● فأما مجيئه في القرآن -مجيء بمعنىٰ الاسم، وهي حرف- كما في قوله جل وعلا: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[البقرة:٧٤]، فقوله: ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ عَطَفَ الاسم علىٰ الكاف التي هي في قوله ﴿كَٱلْحِجَارَةِ﴾؛ ﴿فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ﴾، ومعلوم أن الاسم إنما يعطف علىٰ الاسم، فقوله ﴿فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ يعني فهي مثل الحجارة أو أشد قسوة من الحجارة.

● ومجيئه في اللغة أيضا ظاهر ومحفوظ، كقول الشاعر:

لو كان في قلبي كقدر قلامة حبا لغيرك ما أتتك رسائلي

وقوله(لو كان في قلبي كقدر قلامة) هٰذا جعل شبه الجملة الجارّ والمجرور (في قلبي) مقدم، وجعل الاسم (كقدر) لكون الكاف بمعنىٰ (مِثْل)؛ يعني لو كان في قلبي مِثْل قدر قلامة.

وهٰذا التوجيه الأول لطائفة من المفسرين؛ لأن الكاف بمعنىٰ (مِثْل) علىٰ ما ذكرنا، وهٰذا التوجيه لهم وجيهٌ وظاهر في اللغة ومستقيم المعنىٰ أيضا في الآية.

**الثاني**: أنّ الكاف في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ هٰذه صلة، وهي التي تسمىٰ عند النحويين زائدة؛ وزيادتها ليس زيادة للفظ، وإنما هو زيادة لها ليكون المعنىٰ زائدا، ليست زائدة بمعنىٰ أن وجودها وعدم وجودها واحد، حاشا وكلا أنْ يكون في القرآن شيء من ذلك، وإنما تُزاد ليكون مبالغة في الدلالة علىٰ المعنىٰ، فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ تكون الكاف صلة ومجيء الصلة في مقام تكرار الجملة تأكيدا، كما حرره ابن جِنِّي النحوي المعروف في كتابه «الخصائص» حيث قال: إنّ الصلة والزيادة تكون في الجمل لتأكيدها وتكون مقام تكريرها مرتين أو أكثر. أو كما قال، فيكون معنىٰ قوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: ليس مِثْلَه شيء، ليس مثله شيء، وهو السميع البصير. وهٰذا تفهمه العرب في كلامها.

جاءت الزيادة بالصلة في مواضع كثيرة من القرآن كقوله جل وعلا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران:١٥٩]، فقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يعني: فبرحمة من الله لنت لهم، فبرحمة من الله لنت لهم. يعني ليس من جهتك وإنما هو رحمة من الله ﷻ، وكقوله جل وعلا: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾[المائدة:١٣] يعني: فبنقضهم ميثاقهم لعناهم، فبنقضهم ميثاقهم لعناهم. وكقول: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١﴾[القيامة] في أحد وجهي التفسير.

**إذا تقرر لك ذلك** فالوجه الأَوْلىٰ من هذين التفسيرين هو الثاني من كون الكاف صلة زائدة في مقام تكرير الجملة؛ يعني أنّ النفي أُكِّد فتكون أبلغ من أنْ يُنفىٰ مِثْل المِثْل؛ لأنه قد يُشكل في نفي مثل المثل أن

يكون[1] نفيُ المِثْلية الأولىٰ ليس مستقيمًا دائما، أو ليس مفهوما دائمًا. أما الثاني فإنه واضح من جهة العربية، وواضح من جهة العقيدة، وواضح من جهة دِلالته علىٰ تأكيد النفي الذي جاء في الآية.

هٰذا خلاصة الكلام علىٰ قوله: (وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ).

* ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (وَلا شَيْءَ يُعْجِزُهُ)، ومعنىٰ (وَلا شَيْءَ يُعْجِزُهُ) يعني أنه ﷻ لا شيء ممَّا يصِح أن يُطلق عليه أنه شيء يعجزه جل وعلا ويُكْرِثُه ويُثْقله ولا يكون قادرا عليه؛ بل هو ﷻ الموصوف بكمال القدرة وكمال العلم وكمال اتصافه بالصفات وكمال القوة، فلذلك لا شيء يعجزه ﷻ.

(وَلا شَيْءَ يُعْجِزُهُ) فيها تقرير لتوحيد الربوبية كما ذكرنا آنفا؛ لأن نفيَ العجز لأجل كمال القُدرة، كمال الغنىٰ، وكمال قوته ﷻ، وهٰذا راجع إلىٰ أفراد توحيد الرُّبوبية.

وفي الكلام علىٰ قوله: (وَلا شَيْءَ يُعْجِزُهُ) مسائل:

**المسألة الأولى**: أن هٰذا منتزع من قوله الله جل وعلا: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾[فاطر]، فنفىٰ سبحانه أن يكون ثَم شيءٌ يعجزه في السَّمٰوات وكذلك في الأرض، وعلل ذلك بكونه ﴿عَلِيمًا قَدِيرًا﴾، ونفيُ العجز في الآية جاء معلَّلا بكمال علمه وقدرته؛ وذلك لأنَّ العجز في الجملة:

- إما أن يرجع إلىٰ عدم علم، فلأجل عدم علمه بالأمر عجز عنه.
- وإما أن يرجع إلىٰ عدم القدرة، فعلم ولكن لا يقدر علىٰ انفاذ علم أو ما يريد.
- وإما أن يرجع إليهما معا.

ولذلك لما قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ عَلَّله بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

ومن المتقرِّر في علم الأصول في مسائل العلة في أبواب القياس: أنّ التعليل في القرآن والسنة يُستفاد من جهات؛ ومنها مجيء (إنَّ) بعد الخبر أو بعد الأمر والنهي.

وهنا لما أخبر عن نفسه بعدم العجز، وعلل ذلك بكونه سبحانه عليمًا قديرًا، علِمنا أن سبب عدم العجز هو كمال علمه سبحانه وكمال قدرته.

**المسألة الثانية**: أنّ هٰذه الجملة نأخذ منها قاعدة قَعَّدها أئمة أهل السنة والجماعة وهي: **أن النفي إذا كان في الكتاب والسنة فإنه لا يُراد به حقيقة النفي، وإنما يُراد به كمال ضدِّه.**

يعني أنّ كل نَفْيٍ نُفِيَ عن الله جل وعلا؛ أنَّ كل نَفْيٍ أضيف لله جل وعلا فنُفِيَ عنه سبحانه ما لا يليق عن جلاله في القرآن أو السنة، فإنَّ المقصود منه إثبات كمال الضِّد؛ لأن النفي المحض ليس بكمال، فقد يُنفىٰ عن الشيء الاتصاف بالصفة؛ لأنه ليس بأهلٍ لها، فيقال: فلان ليس بعالم. لأنّه ليس أهْلاً لأن

---

(١) انتهىٰ الشريط الأول.

يتّصف بذلك، يقال: فلان ليس بظالم. لأنه ليس بقادر أصلا، كما قال الشاعر في وصف قوم يذمُّهم:

قُبَيِّلَـــةٌ لا يَغْـــدِرُونَ بِذِمَّـــةٍ وَلاَ يَظْلِمُـونَ النَّـاسَ حَبَّـةَ خَـرْذَلِ

لأنهم لا يستطيعون أصلا أنْ يظلموا أو أن يعتدوا لعجزهم عن ذلك؛ لأن العرب كانت تفتخر بأنّ من لم يَظلم يُظلَم كقول الشاعر وهو زهير:

وَمَنْ لاَ يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ

فتقرر أن النفي المحض ليس بكمال، ولذلك نقرّر قاعدة: **أنّ النفي في الكتاب والسنة إنما هو لإثبات كمال الضِّد.** وأخذنا وذلك من قوله جل وعلا: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾، فصار النفي نفي العجز عنه سبحانه فيه إثبات كمال علمه وقدرته، وهٰذا خُذه مطّردا في مثله قوله جل وعلا: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾[البقرة:٢٥٥]، وفي قوله جل وعلا في أول آية الكرسي ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾[البقرة:٢٥٥]، لكما حياته وكمال قيومته سبحانه، ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ﴾ فيه كمال قدرته ﷻ وكمال قوته، وفي قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾[الكهف] لكمال عدله سبحانه، وفي قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص] وذلك لكمال اتصافه بصفاته، في قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾[الإخلاص] لكمال استغنائه سبحانه، ففي كل نفي جاء في الكتاب والسنة تأخذ إثبات الصفة التي هي بضد ذلك النفي.

ولهٰذا تُثْبَتُ بعض الصفات وتُثبت بعض الأسماء عند طائفة من أهل العلم بألفاظ لم ترد صراحة وأخذوها من النفي الذي جاء في الكتاب والسنة.

**المسألة الثالثة**: أنّ قوله: (**وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ**) -كما ذكرتُ لكَ- من أفراد توحيد الربوبية، والتمثيل عن العام ببعض أفراده في التوحيد صحيح؛ لأنَّ دِلالة الخاص علىٰ العام مؤكَّدةٌ واضحة لا يمكن أن تخرج دِلالة الخاص عن الأمر الكلِّي العام.

ولهٰذا يجيء الإثبات مفصلا كما ذكرنا لأجل أنَّ الإثبات العام لله جل وعلا في جميع الصفات حق، فيُثْبَت في كل موضع بحسبه، فمن مثَّل في موضع ببعض أفراد الرُّبوبية، فإن تمثيله لذلك حق وإن لم يُمَثِّل بجميع أفراد الربوبية.

بخلاف الأسماء والصفات فإنّ الأسماء والصِّفات تُمَثِّل عليها بأنواعها، أهل السنة إذا ذكروا الأسماء والصفات تمثيلا في هٰذا المقام فإنهم يذكرون تلك الأسماء والصِّفات والأفعال التي تدل علىٰ أنواع الصفات؛ فيذكرون مثالًا للصفات الذاتية، ومثالا للصفات الاختيارية، ومثالا للصفات الفعلية، حتىٰ يكون ذلك عامّا لأجل أن لا يشترك أهل السنة مع أهل البدع في التعبير.

فإذا أتىٰ مثلا في إثبات الصفات لا يقولون: إننا نثبت صفات الرب جل وعلا كالحياة والقدرة والسمع والعلم والبصر والإرادة والكلام.. ويسكتون، لأن هٰذه السبعة هي التي أثبتها الكُلاَّبية والأشاعرة

وطائفة، ولا يقولون: نثبت الحياة والكلام لله والسمع والبصر ويسكتون، ولكن يذكرون هٰذا وهٰذا، فإذا ذكروا هٰذه السبع يقولون أيضا معها: فهو سبحانه سميع بصير أو موصوف بالسمع والبصر والقدرة والكلام والإرادة والحياة والاستواء والنزول والرحمة والغضب والرضا، والوجه واليدان، إلىٰ آخره، فيجمعون في الصفات ما جرىٰ عليه الاتفاق وما لم يجرِ عليه الاتفاق؛ يعني بينهم وبين أهل البدع تمييزًا لقول أهل السنة عن غيرهم.

وأما في الربوبية لأجل أنه لم يجر فيها الخلاف يسوغ أن يمثل لها ببعض أفرادها.

**المسالة الرابعة**: علىٰ قوله: (**وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ**) أنّ العجز هنا كما في الآية؛ جاء نفيه متعلقًا بالأشياء، ودِلالة الآية علىٰ النفي أبلغ وأعظم في قول المصنّف: (**وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ**)، لأنه جاء في الآية زيادة ﴿مِن﴾ التي تنقل العموم من ظهوره إلىٰ النَّصِّيَّة فيه، فقال الله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[فاطر:٤٤]، فقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ﴾ لو قال: وما كان الله ليعجزه شيء. لصَحَّ النفي وصار ظاهرا في العموم، وأما لما قال: ﴿مِن شَىْءٍ﴾ جاءت زيادة ﴿مِن﴾ هٰذه، لتنقل العموم المستفاد من مجيء النكرة في سياق النفي من ظهوره إلىٰ النَّصِّيَّة فيه.

ومعنىٰ **الظهور في العموم**: أنّه قد يتخلّف بعض الأفراد علىٰ سبيل النُّدْرَة.

وأما **النَّصِّيَّة في العموم**: فإنه لا يتخلّف عن العموم شيء.

فلما نفىٰ بمجيء النكرة في سياق النفي وجاء بزيادة ﴿مِن﴾ التي دلّت علىٰ انتقال هٰذه النكرة المنفية من ظهورها في العموم إلىٰ كونها نصا صريحا في العموم.

إذا تقرر فالمنفي أن يعجزه ﷻ هو الأشياء، والأشياء جمع شيء، والشيء الذي جاء في الآية ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ﴾، وفي قوله هنا: (**وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ**)، وكذلك في قوله قبل: (**وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ**)، تعريف (**شَيْء**) عندنا: **أنّه ما يصح أن يُعلم أو يؤول إلىٰ العلم، سواء كان من الأعيان والذّوات، أو كان من الصفات والأحوال.**

فكلمة (شيء) في النصوص تُفَسَّر عند المحققين من أهل السنة بأنها: ما يصح أن يُعلم أو يؤول إلىٰ العلم. قولنا: "يصح أن يعلم" مما هو موجود أمامك أو ما يؤول إلىٰ العلم لعدم وجوده ذاتا ولكنه موجود في القدر، كقول الله جل وعلا: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان]، وقد كان شيئا لكن لا يذكره الناس؛ لأنه لم يروه، ولكنه شيء يُعلم في حق الله جل وعلا، وسيؤول إلىٰ العلم في حق المخلوق والذِّكر.

ولهٰذا في قوله: (**وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ**)، كقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ راجع هنا إلىٰ ما هو موجود وإلىٰ ما ليس بموجود من الذوات والصفات والأحوال؛ لأنها جميعا إما أن تكون معلومة، أو تكون آيلة إلىٰ العلم.

* قال بعدها رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَا إِلٰه غَيْرُهُ**)، فقوله: (**وَلَا إِلٰه غَيْرُهُ**) هٰذا منتزع من قول الله جل وعلا: ﴿ٱعْبُدُوا

ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[1] هٰذه جاءت بها الرسل جميعا؛ جاء بها نوح، وجاء بها هود، وجاء بها صالح، وجاءت بها الأنبياء والرسل جميعا، وهٰذا في المعنىٰ كقوله جل وعلا: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ﴾[هود]، وكقوله جل وعلا: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل:٣٢]، وكقوله جل وعلا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾[الأنبياء].

وفي قوله: (وَلَا إِلٰه غَيْرُهُ) مسائل:

**الأولى**: أنّ هٰذه الكلمة هي معنىٰ كلمة؛ أو هي مطابقة لكلمة التوحيد "لا إلٰه إلا الله"، وكلمة التوحيد "لا إلٰه إلا الله" معناها (وَلَا إِلٰه غَيْرُهُ)، والإله في كلمة التوحيد وفي قوله: (وَلَا إِلٰـه غَيْرُهُ) هٰذا دخل عليه النفي، فالمنفي جنس الآلهة التي تستحق العبادة، والله جل وعلا ليس داخلا في هٰذا النفي -كما سيأتي بيانه في إعراب كلمة التوحيد-، وكلمة "إلا الله" موافقة لـ(غَيْرُهُ)؛ لأنَّ الغيرية:

- ربما كانت غيرية في الذوات كقولك: ما دخل رجلٌ غيرُ زيد. فهنا ذات الرّجال غير ذات زيد.
- أو في الصفات كقولهم: جاءكم بوجه غير الذي ذهب به. الوجه من حيث هو واحد لكن من حيث الصفة اختلف.

فإذن الغيرية قد ترجع إلىٰ غيرية الذات، وقد ترجع إلىٰ غيرية الصفات، وفي النفي "لا إلٰـه إلا الله" هنا الإله المنفي هو جنس الآلهة التي تستحق العبادة، و"إلا الله" ليس هٰذا مخرجا من الآلهة؛ لأنه لم يدخل أصلا فيها حتىٰ يخرج منها لأن النفي راجع إلىٰ الآلهة الباطلة.

**المسألة الثانية**: أن قوله: (وَلَا إِلٰه غَيْرُهُ) مشتملٌ علىٰ كلمة (إِلَه)، وكلمة (إِلَـه) هٰذه اختلف الناس في تفسيرها.

♦ **التفسير الأول لها**: أنّ الإله هو الرب، وهو القادر علىٰ الاختراع، أو هو المستغني عمّن سواه، المفتقر إلىٰ كل ما عداه. وهٰذا قول أهل الكلام، في أنّ الإله هو الرب؛ يعني هو الذي يَقْدِرُ علىٰ الخَلْقِ والاختراع والإبداع، وهو الذي يستغني عما سواه وكل شيء يفتقر إله.

كما ذكرنا إليكم مرارا عبارة صاحب السَّنوسية، وعبارة أهل الكلام في ذلك.

وهٰذا التفسير بكون الإله هو القادر علىٰ الاختراع وهو الرب لأهل الكلام من أجله صار الافتراق العظيم في فهم معنىٰ كلمة التوحيد وتوحيد العبادة وفي فهم الصفات وفي تحديد أول واجب علىٰ العباد.

♦ **التفسير الثاني**: نأتي للجملة هٰذه...[2] وأنّ الإله، إلٰه فِعَال بمعنىٰ مفعول يعني مألوه، سُمِّي إلٰهً لأنه مألوه، والمألوه مفعول من المصدر وهو الإلهة، والإلهة مصدر إلٰه يَأْلَهُ إِلَهَةً وأُلُوهَةً إذا عبد مع الحب

---

(١) الأعراف:٥٩، و٦٥، و٧٣، و٨٥، هود:٥٠، و٦١، و٨٤، المؤمنون:٢٣، و٣٢.

(٢) يوجد مسح في الشريط.

والذُّلِّ والرضا.

فإذن صارت كلمة الإله هي المعبود، والإلهة والألوهية هي العبودية إذا كانت مع المحبة والرضا، فصار **معنىٰ الإلهة -إذن- هو الذي يُعبد مع المحبة والرضا والذل**، وهٰذا التفسير هو الذي تقتضيه اللغة؛ وذلك لأن كلمة "إله" هٰذه لها اشتقاقها الراجع إلىٰ المصدر إلٰهة، الذي جاء في قراءة ابن عباس في سورة الأعراف: ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَٰهَتَكَ﴾[الأعراف:١٢٧]، يعني ويذرك وعبادتك، وأما مجيؤُها في اللغة فهو كقول الشاعر كما ذكرنا لكم مرارا:

لله درّ الغانيات المُدّهِ سبّحن واسترجعن من تألهي

يعني من عبادتي، فالإله هو المعبود، ولا يصح أن يفسَّر الإله بمعنىٰ الرب مطلقا؛ لأن الخصومة وقعت بين الأنبياء وأقوامهم، بين المرسلين وأقوامهم في العبودية لا في الربوبية، فالمشركون أثبتوا آلهة وعبدوهم، كما قال جل وعلا: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾[مريم]، وكقوله: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ﴾[ص:٥] يعني أجعل المعبودات معبودا واحدا.

وهٰذا يدلُّك علىٰ أن هٰذا النفي في قوله: (**وَلَا إِلٰه غَيْرُهُ**) راجع إلىٰ نفي العبادة، وهٰذا القول الثاني هو قول أهل السنة وقول أهل اللغة وقول أهل العلم من غير أهل البدع جميعًا، وهو المنعقد عليه الإجماع قبل خروج أهل البدع في تفسير معنىٰ الإله، وهٰذا هو معنىٰ كلمة التوحيد "لا إلٰه إلا الله" يعني لا معبود بحق إلا الله جل جلاله.

**المسألة الثالثة**: راجعة إلىٰ كلمة التوحيد "لا إلٰه إلا الله" ما معناها؟ معناها: لا معبود حق إلا الله جل وعلا. وكما هو معلوم الخبر في قولك (لا)، خبر (لا) النافية للجنس محذوف (لا إله)، ثم قال: (إلا الله)، وحذْفُ الخبر -خبر (لا) النافية للجنس- شائع كثير في لغة العرب كقول النبي ﷺ: «**لاَ عَدْوىٰ، وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ، وَلاَ صَفَرَ، وَلاَ نَوْءَ، وَلاَ غُولَ**» الخبر كله محذوف، وخبر (لا) النافية للجنس يُحذف كثيرًا وبشيوعٍ إذا كان معلوما لدىٰ السّامع، كما قال ابن مالك في الألفية في البيت المشهور: وشاع في ذا الباب -يعني باب لا النافية للجنس-:

وَشَاعَ فِي ذَا الْبَابِ إِسْقَاطُ الخَبَرْ إِذَا الْمُرَادُ مَعْ سُقُوطِهِ ظَهَرْ

فإذا ظهر المراد مع السقوط جاز الإسقاط، وسبب الإسقاط؛ إسقاط كلمة حق، "لا إلٰه حقٌّ إلا الله" أنّ المشركين لم يُنازعوا في وجود إلٰه مع الله جل وعلا، وإنما نازعوا في أحقِّية الله جل وعلا بالعبادة دون غيره، وأنّ غيره لا يستحق العبادة، فالنزاع لما كان في الثاني دون الأول؛ يعني لما كان في الاستحقاق دون الوجود، جاء هٰذا النفي بحذف الخبر لأن المراد مع سقوطه ظاهر وهو نفي الأحقية في (لا إله) صار الخبر راجعا أو صار الخبر تقديره حق، كما قال تعالىٰ قال:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾[الحج:٦٢]، وفي الآية الأخرىٰ قال جل وعلا: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ

وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ ﴾[لقمان:٣٠]، فلما قال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ قرن بين أحقّية الله للعبادة وبطلان عبادة ما سواه، دلّ على أن المراد في كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" هو نفي استحقاق العبادة لأحد غير الله جل وعلا.

فإذن صار تقدير الخبر بكلمة "حق" صوابا من جهتين:

♦ **الجهة الأولى**: أنّ النّزاع بين المشركين وبين الرسل كان في استحقاق العبادة لهٰذه الآلهة، ولم يكن في وجود الآلهة.

♦ **والثانية**: أنّ الآية؛ بل الآيات دلت على بطلان عبادة غير الله وعلى أحقية الله جل وعلا بالعبادة **دون ما سواه.**

**إذا تقرر ذلك** فكما ذكرت لك فالخبر مقدر بكلمة "حق"؛ (لا إله حق)، و(لا) نافية للجنس، فنفت جنس استحقاق الآلهة للعبادة، نفت جنس المعبودات الحقّة، فلا يوجد على الأرض ولا في السماء معبود عبده المشركون حق، ولكن المعبود الحق هو الله جل وعلا وحده وهو الذي عبده أهل التوحيد.

وتقدير الخبر بـ"حق" -كما ذكرنا لك- هو المتعيِّن خلافا لما عليه أهل الكلام المذموم، حيث قدروا الخبر بـ"موجود" أو بشبه الجملة بقولهم "في الوجود" (لا إله في الوجود) أو (لا إله موجود)، وهٰذا منهم ليس من جهة الغلط النحوي، ولكن من جهة عدم فهمهم لمعنى "الإله" لأنهم فهموا من معنى "الإله" الرب، فنفوا وجود رب مع الله جل وعلا، وجعلوا آية الأنبياء دليلا على ذلك وهي قوله جل وعلا: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[الأنبياء:٢٢]، وكقوله في آية الإسراء: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[الإسراء]، ففسّروا آية الأنبياء وآية الإسراء بالأرباب؛ بالرب، ولكن هي في الآلهة كما هو ظاهر لفظها.

**إذا تقرر ذلك** فنقول: إنّ عبادة غير الله جل وعلا إنما هي بالبغي والظلم والعدوان والتعدي لا بالأحقية.

**المسألة الرابعة**: في إعراب كلمة التوحيد: لا إله إلا الله.

لا: نافية للجنس.

إله: هو اسمها مبني على الفتح.

و(لا) النافية للجنس مع اسمها: في محل رفع مبتدأ.

وحق: هو الخبر؛ وحق المحذوف هو خبر، والعامل فيه هو الابتداء أو العامل فيه (لا) النافية للجنس على الاختلاف بين النحويين في العمل.

وإلاّ الله:

إلا: استثناء؛ أداة استثناء.

الله: مرفوع، وهو بدل من الخبر، لا من المبتدأ؛ لأنه لم يدخل في الآلهة حتى يُخرَج منها؛ لأن المنفي هي

الآلهة الباطلة، فلا يَدخل فيها -كما يقوله من لم يفهم- حتىٰ يكون بدلا من اسم لا النافية للجنس؛ بل هو بدل من الخبر، وكون الخبر مرفوعًا والاسم هٰذا مرفوعا، يُبين ذلك لأنّ التابع مع المتبوع في الإعراب والنفي والإثبات واحد.

وهنا تَنْتَبِهْ إلىٰ أن الخبر لما قدّر بـ"حق" صار المُثبت هو استحقاق الله جل وعلا للعبادة، ومعلوم أنّ الإثبات بعد النفي أعظم دلالة في الإثبات من إثباتٍ مجرد بلا نفي.

ولهٰذا صار قول: "لا إلٰه إلا الله" وقول: (**وَلَا إِلٰه غَيْرُ الله**) هٰذا أبلغ في الإثبات من قول: الله إلٰه واحد. لأن هٰذا قد ينفي التقسيم لكن لا ينفي استحقاق غيره للعبادة، ولهٰذا صار قوله جل وعلا: ﴿**لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ** ﴿١٦٣﴾﴾[البقرة]، وقول القائل: "لا إلٰه إلا الله" بل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾[الصافات] جمعت بين النفي والإثبات، وهٰذا يسمىٰ الحصر والقصر، ففي الآية حصر وقصر.

وبعض أهل العلم يعبّر عنها بالاستثناء المفرّغ وهٰذا ليس بجيد، بل الصواب فيها أن يقال: هٰذا حصر وقصر، فجاءت (لا) نافية وجاءت (إلا) مثبتة ليكون ثَم حصر وقصر لاستحقاق العبادة في الله جل وعلا دون غيره، وهٰذا عند علماء المعاني في البلاغة يفيد الحصر والقصر والتخصيص، يعني أنه فيه لا في غيره، وهٰذا أعظم دلالة فيما اشتمل عليه النفي والإثبات.

ومعنىٰ كلمة التوحيد وتفصيل الكلام عليها ترجعون إليه في موضعه من كلام أئمة الدعوة رحمهم الله تعالىٰ.

**المسألة الأخيرة**: علىٰ قوله: (**وَلَا إِلٰه غَيْرُهُ**) أن هٰذه الكلمة فيها إثبات توحيد العبادة لله جل وعلا -كما ذكرنا-، وتوحيد العبادة لله جل وعلا لا يستقيم إلا بشيئين كما ذكرنا: بنفي وبإثبات.

فالنفي وحده لا يكون به المرء موحدا.

والإثبات وحده لا يكون به المرء موحدا.

حتىٰ يجمع ما بين النفي والإثبات، نفي استحقاق العبادة لأحد من هٰذه الآلهة الباطلة، وإثبات استحقاق العبادة الحقّة لله جل وعلا وحده دون ما سواه، وهٰذا هو معنىٰ الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، فلا يستقيم توحيد أحد حتىٰ يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله، ومن كان إيمانه بالله صحيحًا كان كفره بالطاغوت صحيحا، إذْ ثَمّ ملازمة ما بين هٰذا وهٰذا.

وإثبات توحيد الإلهية علىٰ هٰذا المعنىٰ بين النفي والإثبات يتضمن إثبات توحيد الربوبية؛ لأن كل موحد لله في الإلهية موحّد لله جل وعلا في الربوبية، وكذلك مستلزم لإثبات صفات الكمال لله جل وعلا؛ لأنه لا يُعبد إلا من كان متّصفا بصفات الكمال.

فهٰذا خلاصة ما يشتمل عليه قوله: (**وَلَا إِلٰه غَيْرُهُ**).

وفي هٰذا القدر كفاية وأسأل الله جل وعلا لي ولكم النور في الدنيا وفي الآخرة والاهتداء التام والأمن

التام إنه كريم جواد سميع الدعاء.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

[الأسئـلة]: نجيب علىٰ ثلاث أسئلة فقط.

سؤال (٥): بعض الأسئلة يكون خطها سريع ما نفهم إيش يقول، كلام علىٰ مسألة التشبيه من حيث الكيفية والمعنىٰ، والأصل أن توضحها وتمثّل.

**الجواب**: هٰذه المسألة -كما هو معلوم- بسطها أهل السنة وخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع كثيرة من كتبه، وكذلك هو في «شروح الواسطية» المطولة تُذكر هٰذه المسألة:

التشبيه من حيث الكيفية هو التمثيل كقول المجسمة: إن الله جسم كأجسامنا، ويده كأيدينا، وقدمه كأقدامنا، واستواؤه كاستوائنا، في كيفية الاستواء مماثل لنا مشابه لنا. فهٰذا تشبيه من حيث الكيفية.

وتشبيه من حيث تمام المعنىٰ بأن يقول: معنىٰ استواء الله هو معنىٰ استوائنا تماما، المعنىٰ في هٰذا هو هٰذا، معنىٰ سمع الله هو معنىٰ سمعنا تماما، لا فرق بين هٰذا وهٰذا، وهٰذا أيضا تشبيه مذموم باطل.

ولكن المشابهة التي لا تُنفىٰ هي ما كان من جهة الاشتراك في أصل المعنىٰ؛ لأن المعنىٰ -كما هو معلوم- يوجد كليا في الأذهان، وأما في الخارج فيكون مختلفا بحسب الإضافة والتخصيص، فإذا كان المعنىٰ الكلي هٰذا له جهتان:

- جهةُ مطلق المعنىٰ أقل درجات المعنىٰ فهٰذه هي أو هٰذا هو القدر المشترك بين كل من اتصف بالصفة، فمثلا في السمع: البعوضة لها سمع، والذباب له سمع، والضأن له سمع، والنمل له سمع، والإنسان له سمع، هؤلاء اشتركوا في أصل معنىٰ السمع؛ لكنّهم يتفاوتون فيه بقدر ما هم عليه، بقدر ما يناسب ذواتهم، بقدر ما يناسب أبدانهم، بقدر ما يناسب استعداداتهم التي جعلها الله جل وعلا لهم، فسمع البعوض ليس هو كسمع الإنسان، وسمع النمل ليس كسمع الإنسان، لكن أصل معنىٰ السمع مشترك بين هٰذه المخلوقات.

فكذلك جنس المخلوقات التي لها سمع نُثبت لها أصل السمع كما هي عليه؛ ولكن سمع الله جل وعلا يناسب ذاته، فكما أن ما بين الإنسان وما بين النمل في السمع قدر مشترك في هٰذا المعنىٰ؛ معنىٰ السمع ومعنىٰ البصر، فما بين المخلوق وبين الله جل وعلا هو قدر مشترك في أصل المعنىٰ، أما في تمام المعنىٰ فكل له ما يناسبه؛ فالله جل وعلا يناسب ذاته العلية العظيمة الجليلة الاتصاف بالصفات الكاملة المطلقة؛ الكمال المطلق الذي لا يعتريه نقص في وجه من الوجوه، والمخلوق له ما يناسب ذاته من نقص وحال. فهٰذا معنىٰ الكيفية تمام المعنىٰ أصل الاتصاف بالصفات.

تمام المعنىٰ غير مضاف كلي، والكيفية تمثيل:

فإذا قلت السمع هو كالسمع صار هٰذا تمثيلا.

وإذا قلت سمعه جل وعلا أو بصره في كيفية الاتصاف هو ككيفية اتصاف المخلوق بالسمع

والبصر صار هٰذا تكييفا.

وإذا قلت السمع والسمع صار هٰذا تمثيلا، تمثيلا في المعنىٰ.

وإذا قلت اتصف بالسمع بكيفية اتصافنا بالسمع، واتصف بالبصر بكيفية اتصافنا بالبصر، صار هٰذا تجسيما أو صار هٰذا من جهة الكيفية.

لأن السمع إدراك المسموعات، أنت تدرك المسموعات بواسطة أُذُن وطبلة إلىٰ آخره، والله جل وعلا إدراكه للمسموعات ليس بكيفية إدراك المخلوق للمسموعات، كذلك البصر؛ عين الله جل وعلا ليست كعين المخلوق في الكيفية، نثبت لله عينا كما يليق بجلاله وعظمته؛ لكن لا نقول عينه سبحانه كعين الإنسان في الكيفية؛ فيها سواد، بياض، أو لها حدقة، شبكية إلىٰ آخره. فإثبات المعنىٰ هٰذا كمال المعنىٰ لله جل وعلا، والكيفية التمثيل فيها هٰذا تجسيم وهو من المكفّرات، لأنه تمثيل للمخلوق بالخالق.

سؤال (٦): ما رأيك في كتاب «المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية»؟

**الجواب**: ما شفت الكتاب هٰذا.

**سؤال (٧)**: قولك: المنفي جنس الآلهة التي تستحق العبادة؟

**الجواب**: المقصود تستحق العبادة تستحق العبادة في ظن العابدين وإلاّ (لا إلٰه حق) فنفت كلمة التوحيد أحقية الآلهة في العبادة، المقصود بحسب ظنهم، أو نقول المنفي جنس استحقاق الآلهة للعبادة.

سؤال (٨): هٰذا سؤال في الأصول ومتعلق بكلمة الكاف في ﴿كَمِثْلِهِۦ﴾[الشورىٰ:١١].

**الجواب**: والجواب عليها تقسيم الألفاظ إلىٰ شرعي ووضعي وعرفي ونقص وزيادة ونقل واستعارة...[1] وكازدياد الكاف في ﴿كَمِثْلِهِۦ﴾. هٰذا البحث فيه معروف لكن هٰذا يحتاج إلىٰ بسط آخر.

سؤال (٩): قال أهل السنة كما ذكرتم قاعدة أهل السنة: أن النفي مجمل والإثبات مفصل، وأن أهل البدع عكس لأهل السنة، فما القول عندما يقول أحد من أهل البدع (املأ الكون نفيا ولا تقل بإثبات) فيكون الإثبات عندهم والإثبات مجمل، أنا ما أفهم الكلام.

الجواب: (املأ الكون نفيا) يعني انْفِ كما تريد ( ولا تقل بإثبات) يعني لا تفصل، هٰذا موافق لقولهم إن النفي مفصل والإثبات مجمل. نكتفي بهٰذا القدر.

وصل اللّٰهمَّ وبارك علىٰ نبينا محمد.[2]

---

(١) كلام لم أفهمه.

(٢) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الثاني.

## الدّرس الثالث

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ.
لَا يَفْنَىٰ وَلَا يَبِيدُ. وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ.
لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ.
وَلَا يُشْبِهُ الْأَنَامَ.
حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ.
خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلَا مَؤُونَةٍ.
مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ.

---

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ إلٰه وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدين.

أما بعد..

فأسأل الله جل وعلا لي ولكم العلم النافع والعمل الصَّالح، اللّٰهمَّ اجعلنا من عبادك المتّقين، نعوذ بك من الضلال بعد الهدىٰ، من الكفر بعد الإيمان، نسألك الثبات علىٰ الإيمان حتىٰ الممات.

هٰذه الجمل من هٰذه العقيدة المختصرة؛ عقيدة الإمام الطحاوي -رَحِمَهُ اللَّهُ وأجزل له المثوبة-، اشتملت علىٰ جملة من صفات الله جل وعلا، وهي ليست راجعةً إلىٰ ترتيب معين؛ يعني في ذكر صفاتٍ لله جل وعلا أو في ذكر قواعدَ في الصفات، أو فيما يخالف فيه أهل السنة والجماعة غيرَهم، إلا في بعضها كما سيأتي.

وهٰذا كما ذكرنا لك من قبل راجع إلىٰ أنه لم يرتّب هٰذه العقيدة علىٰ ترتيب موضوعيّ منهجي بحيث ينتقل من أنواع الإيمان إلىٰ غيرها، وبين أنواع الإيمان -يعني أركان الإيمان- وهكذا.

ولهٰذا نذكر البيان علىٰ كل جملة بحسب ما اشتملت عليه، وفي ذلك إن شاء الله تعالىٰ فوائد.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ.) أراد رَحِمَهُ اللَّهُ بذلك أن يبيّن أن الله جل وعلا منزّه عمّا خَلق، فهو سبحانه خلق الزمان، والزّمان لا يحويه، وكذلك خلق المكان، والمكان لا يحويه، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذكر هنا أنّ الله جل وعلا سبق الزمان، **وأيضا سيدوم بعد انتهاء الزمان** بلا انتهاء.

وهٰذا المعنىٰ الذي أراده عبّر عنه بتعبير المتكلمين في أبدية الزمان في الماضي وفي المستقبل، وهٰذا خروج منهم عمّا جاء في النص من التعبير عن أبدية الزمان من الجهتين؛ وذلك أنّ أبدية الزمان يعني أنّ الله جل وعلا لا يُوصف بأنه ابتدأ في زمان ولا أنه ينتهي في زمان؛ لأن الزمان محدود مخلوق، والله سُبْحَانَهُ

كان قبل خلقه، وسيبقىٰ سبحانه بلا انتهاء.

هٰذا المعنىٰ يُعبر عنه المتكلمون ويعبر عنه أهل العقائد المختلفة بأنواع من التعبير منها هٰذا الذي ذكره الطحاوي.

ومن المعلوم أن التعبير الذي جاء في الكتاب والسنة وقول الحق جل وعلا: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾[الحديد:٣]، وقوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾ هٰذا في المعنىٰ الذي أراده الطحاوي، لهٰذا فسره النبي عليه الصلاة والسلام في دعائه: «**أنت الأول ليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء**» فليس قبل الرّب جل وعلا زمان، وليس بعده ﷻ زمان، كما أنه ليس قبله شيء من المخلوقات، ولا بعده أيضا شيء من المخلوقات، وهٰذان الاسمان ﴿ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾ دلاَّ علىٰ أنه سبحانه (**قَدِيمٌ** - كما ذكر- **بِلَا ابْتِدَاءٍ**) وأنه (**دَائِمٌ** -سبحانه- **بِلَا انْتِهَاءٍ**)، وما جاء بوصف الله جل وعلا في القرآن وفي سنة المصطفىٰ ﷺ هو الأكمل؛ بل هو الصحيح، وأما ما ذكر من الوصف، فسيأتي ما فيه في المسائل المتعلقة بهٰذه الجملة.

فإذن قوله: (**قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ.**) من جهة المعنىٰ ومن جهة الدليل عرفتها.

والمتكلمون يعنون بكلمة (**قَدِيمٌ**) غير ما يُعنىٰ بها في اللغة، فإنهم يعنون بالقديم الذي تقدّم علىٰ غيره، والغيريّة هنا مطلقة بلا تقييد، فتشمل كل ما هو غير الله جل وعلا يعني من جميع المخلوقات، فيكون قولهم في وصف الله بأنه (**قَدِيمٌ**) أو في أسماء الله بأنه سبحانه القديم يعنون به المتقدم علىٰ غيره مطلقًا، وهٰذا التقدم يشمل كل الأزمنة الماضية وزيادة، وبذلك احترز المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: (**قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ**)؛ لأن كونه متقدِّمًا علىٰ غيره قد يكون من جهة التقسيم العقلي أنّ له ابتداء سبحانه معروف، وهٰذا مما لم يأذن الله جل وعلا لنا بعلمه، ولا تدركه أوهامنا ولا عقولنا ولا قلوبنا، فلذلك قال: (**قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ**) وهٰذا هو معنىٰ كما ذكرت لك اسم الله «**الأول الذي ليس قبله شيء**».

فإذن تعبير المتكلمين عن الرب جل وعلا عن اسمه الأول بكونه قديم وأنه القديم هٰذا أرادوا به غير المعنىٰ اللغوي.

وأما المعنىٰ اللغوي فإنّ **القديم**: هو الذي صار متقدِّمًا علىٰ غيره، وسيعقبه غيرُه، وقد سبقه غيرُه، كما قال جل وعلا: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩﴾[يس] وكقوله الحق جل وعلا: ﴿وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ١١﴾[الأحقاف]، وأشباه ذلك، والقِدم أو التقدم أو القَدم في اشتقاق هٰذه المادة في اللغة راجعة إلىٰ ما تقدّم علىٰ غيره، وهٰذا في اللغة، ومعلوم أن اللغة موضوعة للأشياء المحسوسة التي رآها، أو عرفها العرب، ولهٰذا دخل في اسم القديم المخلوقات، وإذا كان كذلك فإن القديم لا يوصف الله جل وعلا به كما سيأتي في المسائل.

إذن فكلمة (**قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ**) هٰذه عند المتكلِّمين لها معنىٰ غير المعنىٰ في اللغة، ومعناها عند المتكلمين -كما ذكرتُ لك- هو المتقدِّم علىٰ غيره. وفي اللغة المعنىٰ أخص، المتقدِّم أو ما كان متقدِّمًا

علىٰ غيره وتقدَّمه غيرُه، وهٰذا يجوز في اللغة، وهم لم يريدوا هٰذا المعنىٰ، فلذلك جعلوا القديم من أسماء الله، وجعلوا القِدم صفة للحق جل وعلا.

إذا تبين لك ذلك فقوله: (قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ) هٰذا راجع إلىٰ ما سُمِّي بالأزلية؛ بأزلية الرب جل وعلا.

وقوله: (دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ) راجع إلىٰ أبديته جل وعلا.

ولفظ (أزلية) هٰذا مركب أو منحوت من (لم يَزَل)، فلما أرادوا النسبة جعلوها للأزل؛ يعني الزمان الماضي القديم جدًّا الذي لم يزل، لا يعرف له بداية، فيقال هم يعبرّون بأنه أزلي جل وعلا، أو أن صفات الرب جل وعلا أزلية، والتعبير عن هٰذه الأشياء بما جاء في الكتاب والسنة هو الحق، فلا يُعبَّر عن هٰذه الأشياء بما لم يرد في الكتاب والسنة؛ لأنه قد يشتمل علىٰ باطل، والمرء لا يعلم ذلك، حتىٰ من جهة الاحتمالات العقلية أو الاحتمالات اللغوية.

المؤلف احترز فقال: (قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ) وهٰذا فيه احتراز، جعل الجملة حقّ في نفسها لكن فيها مخالفة، وعَبّر عن الأبدية بقوله: (دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ).

إذا تبين لك ذلك، فعندهم أن القِدَم هو قِدَم الذات -يعني عند المتكلمين وعند الأشاعرة وأشباه هؤلاء، والمعتزلة- عندهم القِدم حينما يطلقونه يريدون به قدم الذات، وأما قدم الصفات فهٰذا فيه تفصيل.

فقوله: (قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ) يعنون به قِدَم الذات، ودائم الذات، وأما الصفات فلهم فيها تفصيل، وكأنّ الطحاوي درج علىٰ ما درجوا عليه لأنه عبّر بتعبيرهم.

إذا تقرر لك ذلك، ففي قوله: (قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ) مسائل:

**المسألة الأولى**: في وصف الله بالقِدَم، واسم القديم: وهٰذا كما ذكرتُ من الأسماء التي سمَّىٰ اللهَ جل وعلا بها المتكلمون، فإنهم هم الذين أطلقوا هٰذا الاسم (القديم) علىٰ الرب جل وعلا، وإلا فالنصوص من الكتاب والسنة ليس فيها هٰذا الاسم، وإدراج ( القديم) في أسماء الله هٰذا غلط، ولا يجوز، وذلك لأمور.

أما **الأمر الأول**: فإن القاعدة التي يجب اتّباعها في الأسماء والصفات ألاّ يُتجاوز فيها القرآن والحديث، ولفظ أو اسم (القديم) أو الوصف بالقدم لم يأتِ في الكتاب والسنة، فيكون في إثباته تعدٍّ علىٰ النص.

**والثاني**: أنّ اسم (القديم) منقسم إلىٰ ما يُمدح به، وإلىٰ ما لا يمدح به، فإنّ أسماء الله جل وعلا أسماء مدح؛ لأنها أسماء حسنىٰ واسم القديم لا يمدح به؛ لأن الله وصف به العرجون، والقديم هٰذا قد يكون صفة مدح وقد يكون صفة ذم.

**والثالث**: أن اسم القديم لا يدعىٰ الله جل وعلا به، فلا يدعا الله بقول القائل يا قديم أعطني، ويا أيها القديم، أو يا ربي أسألك بأنك القديم أن تعطيني كذا، والأسماء الحسنىٰ يدعىٰ الله جل وعلا بها فذلك

لقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]، فالأسماء الحسنىٰ يُدعىٰ بها؛ يعني تكون وسيلة لتحقيق مراد العبد، ولهٰذا لم يدخل الوجه في الأسماء، ولم تدخل اليدان في الأسماء، ولا أشباه ذلك؛ لأن هٰذه صفات وليست بأسماء، والأسماء هي التي يدعىٰ الله جل وعلا بها.

وإذا تبين ذلك فننتقل إلىٰ:

**المسألة الثانية**: وهي ضابط كون الاسم من الأسماء الحسنىٰ؟

والاسم يكون من أسماء الله الحسنىٰ إذا اجتمعت فيه ثلاثة شروط، أو اجتمعت فيه ثلاثة أمور:

**الأول**: أن يكون قد جاء في الكتاب والسنة، يعني نُصّ عليه في الكتاب والسنة، نُصّ عليه بالاسم لا بالفعل، ولا بالمصدر، وسيأتي تفصيل لذلك.

**الثاني**: أن يكون مما يدعىٰ الله جل وعلا به.

**الثالث**: أن يكون متضمِّنا لمدحٍ كاملٍ مطلقٍ غير مخصوص.

وهٰذا ينبني علىٰ فهم قاعدة أخرىٰ من القواعد في منهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات؛ وهي أن باب الأسماء الحسنىٰ أو باب الأسماء أضيق من باب الصفات، وباب الصفات أضيق من باب الأفعال، وباب الأفعال أضيق من باب الإخبار. واعكس ذلك فتقول: باب الإخبار عن الله جل وعلا أوسع، وباب الأفعال أوسع من باب الصفات، وباب الصفات أوسع من باب الأسماء الحسنىٰ.

وهٰذه القاعدة نفهم منها أن الإخبار عن الله جل وعلا بأنه (قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ) لا بأس به، لكن لا بأس به لأنه مشتمل علىٰ معنىً صحيح، فلما قال: (قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ) انتفىٰ المحذور فصار المعنىٰ حقا، ولكن من جهة الإخبار، أما من جهة الوصف وصف الله بالقدم فهٰذا أضيق لأنه لا بد فيه من دليل، وكذلك باب الأسماء وهو تسمية الله بالقديم هٰذا أضيق فلا بد فيه من اجتماع الشروط الثلاثة التي ذكرتُ لك.

والشروط الثلاثة غير منطبقة علىٰ اسم القديم، وعلىٰ نظائره كالصانع والمتكلم والمريد وأشباه ذلك، فإنها:

**أولا**: لم تَرِدْ في النصوص فليس في النصوص اسم القديم، ولا اسم المريد، ولا اسم المتكلم، ولا المريد، ولا القديم، أما الصانع فله بحث يأتي إن شاء الله.

**والثاني**: اسم القديم لا يدعا الله جل وعلا به؛ يعني لا يُتوسل إلىٰ الله به؛ لأنه في ذاته لا يحمل معنىً متعلقا بالعبد فيسأل الله جل وعلا به، فلا يقول: يا قديم أعطني، لأنه لا يتوسل إلىٰ الله بهٰذا الاسم، كما هي القاعدة في الآية ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]، فثَم فرق ما بين التّوسل بالأسماء والتّوسل بالصفات.

**والثالث** من الشروط: الذي ذكرناه هو أن تكون متضمنة علىٰ مدح كامل مطلق غير مختص، وهٰذا نعني به أنّ المدح، أن أسماء الله جل وعلا هي متضمنة لصفات، وهٰذه الأسماء لابد أن تكون متضمنةً

للصفات الممدوحة علىٰ الإطلاق، غير الممدوحة في حال والتي قد تُذمُّ في حال، أو ممدوحة في حال وغير ممدوحة في حال أو مسكوت عنها في حال.

وذلك يرجع إلىٰ أنّ أسماء الله جل وعلا حسنىٰ؛ يعني أنها بالغة في الحسن نهايتَه، ومعلوم أن حُسن الأسماء راجع إلىٰ ما اشتملت عليه من المعنىٰ؛ ما اشتملت عليه من الصفة، والصفة التي في الأسماء الحسنىٰ والمعنىٰ الذي فيها لا بد أنْ يكون دالا علىٰ الكمال مطلقا بلا تقييد وبلا تخصيص.

فمثل اسم القديم، هٰذا لا يدلّ علىٰ مدحٍ كامل مطلق، ولذلك لما أراد المصنف أنْ يجعل اسم القديم أو صفة القِدم مدحا قال: (**قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ**)، وحتىٰ الدائم هنا قال: (**دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ**)، لكن لفظ القديم قيّده بكونه (**بِلَا ابْتِدَاءٍ**) فهٰذا يدل علىٰ أن اسم القديم بحاجة إلىٰ إضافة كلام حتىٰ يُجعل حقًّا وحسنًا ووصفا مشتملا علىٰ مدح حق.

لهٰذا نقول: إنّ هٰذا الأسماء التي تُطلق علىٰ أنها من الأسماء الحسنىٰ يجب أن تكون مثل ما قلنا صفات مدح وكمال ومطلقة غير مختصة، وأمّا ما كان مقيّدا أو ما كان مختصا المدح فيه بحال دون حال، فإنه لا يجوز أن يطلق في أسماء الله.

ولهٰذا مثال آخر أبْيَن من ذلك، مثل المريد والإرادة، فإنّ الإرادة منقسمة إلىٰ:

- إرادة محمودة؛ إرادة الخير، إرادة المصلحة، إرادة النفع، إرادة موافقة للحكمة.
- والقسم الآخر إرادة الشرّ، إرادة الفساد، إرادة ما لا يوافق الحكمة، إلىٰ آخره.

وهنا لا يسمّىٰ الله جل وعلا باسم **المريد**، لأنّ هٰذا منقسم، مع أن الله جل وعلا يريد ﷻ، فيُطلق عليه الفعل، وهو سبحانه موصوف بالإرادة الكاملة، ولكن اسم المريد لا يكون من أسمائه لما ذكرنا.

وكذلك اسم **الصانع** لا يقال: إنه من أسماء الله جل وعلا؛ لأن الصّنع منقسم إلىٰ ما هو موافق للحكمة، وإلىٰ ما ليس موافقا للحكمة، والله ﷻ يصنع وله الصنع سبحانه، كما قال: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل:٨٨] وهو سبحانه يصنع ما يشاء وصانع ما شاء كما جاء في الحديث «**إِنَّ اللَّهَ صَانِعٌ مَا شَاءَ**» ﷻ، ولكن لم يسمَّ الله جل وعلا باسم الصانع لأنّ الصُّنع منقسم.

أيضا اسم **المتكلم**، المتكلم لا يقال في أسماء الله جل وعلا المتكلم؛ لأن الكلام الذي هو راجع إلىٰ الأمر والنهي، منقسم: إلىٰ أمر لما هو موافق للحكمة؛ أمرٍ بمحمود، وإلىٰ أمرٍ بغير ذلك، ونهي عمّا فيه المصلحة؛ نهي عمّا فيه الخير، ونهي عما فيه الضرر، والله ﷻ نهىٰ عمّا فيه الضرر، ولم ينهَ عما فيه الخير جل وعلا، بل أمر بما فيه الخير، ولذلك لم يُسمَّ الله جل وعلا بالمتكلم.

هٰذه كلها أطلقها المتكلمون علىٰ الله جل وعلا، فسموا الله بالقديم، وسموا الله جل وعلا بالمتكلم، وسموا الله جل وعلا بالمريد، وسموا الله جل وعلا بالصانع، إلىٰ غير ذلك من الأسماء التي جعلوها لله جل وعلا.

فإذا تبين لك ذلك فإن الأسماء الحسنىٰ هي ما اجتمعت فيها هٰذه الشروط، واسم (القديم) لم تجتمع

فيه الشروط؛ بل لم ينطبق عليه شرط من هٰذه الشروط الثلاثة.

والمؤلف معذور في ذلك بعض العذر؛ لأنّه قال: (قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ).

* الخالق غِير والصانع غِير.

الخالق أولا جاء في النص، والصّانع ما جاء.

ومن جهة المعنىٰ الصُّنع فيه كَلَفَة؛ فليس ممدوحا علىٰ كل حال، والخَلق هٰذا إبداع وتقدير فهو ممدوح.

الخلق منقسم إلىٰ مراحل، وأمّا الصنع فليس كذلك؛ والله الخالق البارئ المصور، فالخلق يدخل من أول المراحل، والصنع لا، الصنع ليس كمالا، ممكن يصنع ما هو محمود ويصنع ما هو مذموم، يصنع بلا برء ولا إنفاذ، وقد يصنع شيئا لا يوافق ما يريده.

فلهٰذا اسم الخالق يشتمل علىٰ كمال ليس فيه نقص، وأما اسم الصانع فإنه يطرأ عليه أشياء فيها نقص من جهة المعنىٰ ومن جهة الإنفاذ، لذلك جاء اسم الله الخالق ولم يأتِ في أسماء الله الصانع.

**المسألة الثالثة والأخيرة** المتعلقة بهٰذه الجملة: أن قوله: (قَدِيمٌ) و(دَائِمٌ) كما ذكرنا عند أهل السنة يعبّر عنه بالأول والآخر كما جاء في النص.

والله ﷻ أوليته -عند أهل السنة- في ذاته وفي صفاته، وآخرٌ سبحانه في ذاته وفي صفاته، فهو ﷻ لم يزل متصفا بالصفات، وهو أولٌ بصفاته، وهو سبحانه لن ينقطع اتصافه بصفاته ﷻ من الجهة الأخرىٰ؛ يعني أن آخريته سبحانه آخرية ذات وصفات، وأوليته سبحانه أولية ذات وصفات، فنقول: عِلْم الله ﷻ أَوَّل، ورحمة الله جل وعلا أُولىٰ، وخلقه سبحانه أوّل يعني اتصافه بهٰذه الصفات كذاته سبحانه، فهو الأول الذي ليس قبله شيء لا في ذاته ولا في صفاته.

وهٰذا سيأتي له مزيد بيان عند قوله: (مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِم شَيْئًا، لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُم مِنْ صِفَتِهِ، وكما كانَ بصفاته أزَلِيًّا، كذلك لا يزالُ عَلَيْها أبديًّا).

المقصود أنّ التعبير عن صفات الله جل وعلا بكونها أُولىٰ والله جل وعلا أوّل بذاته وصفاته هٰذا الموافق للنص، أما نقول: الكلام القديم أو خلْقه القديم أو حكمته القديمة وأشباه ذلك فإنّ هٰذا لم يَرِد وأيضا يحتمل معنىٰ غير صحيح.

**الجملة الثانية** قوله: (لَا يَفْنَىٰ وَلَا يَبِيدُ)، وكونه سبحانه (لَا يَفْنَىٰ وَلَا يَبِيدُ) ذلك لكمال حياته جل وعلا وكمال قيوميته دلّ علىٰ ذلك قوله سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرَّحمٰن]، ويدل عليها قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص:٨٨] بأحد التفسيرين، ويدل عليها قوله جل وعلا: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة:٢٥٥] وذلك لكمال حياته وكمال قيُّوميته، وإذا انتفىٰ الأدنىٰ انتفىٰ الأعلىٰ من باب أولىٰ.

ولهٰذا قال: (لَا يَفْنَىٰ وَلَا يَبِيدُ) ﷻ، وأراد المصنّف بقوله: (لَا يَفْنَىٰ وَلَا يَبِيدُ) شيئين فيما يظهر:

**الأول**: أن هٰذا فيه مزيد وصْل لله جل وعلا بكمال الحياة وكمال القيومية جل وعلا، وتفسير لقوله: (دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ).

**والثاني**: أنّ بعض أهل البدع زعموا أنّ بعض صفات الله جل وعلا تفنىٰ، أو أنّ بعض آثار أسمائه جل وعلا يبيد، ونحن نطلق القول بأنه جل وعلا لا يفنىٰ ولا يبيد ﷻ في ذاته وفي أسمائه وصفاته، ولا نقيّد ذلك في الزمن المستقبل بشيء، بل نقول: هو علىٰ إطلاقه؛ لأنه سبحانه آخر ليس بعده شيء، وأنه لا يزال متصفا بصفاته بمشيئته وقدرته جل وعلا.

فإذن قوله: (لَا يَفْنَىٰ وَلَا يَبِيدُ) هٰذا لكمال ربوبيته سبحانه وكمال اتصافه بالصفات.

ثم قال: (وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ) وهٰذه الجملة الأدلة عليها كثيرة من الكتاب والسنة؛ فإن الله ﷻ قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾[الإنسان]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[التكوير]، و«**ما شاءَ الله كَانَ وَما لَمْ يَشأْ لَمْ يَكُنْ**» والله سبحانه يشاء الأشياء فتكون كما شاءها جل وعلا، ولا تخرج مشيئة العبد عن مشيئة الله جل وعلا للأشياء.

وقوله: (وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ) يريد به المشيئة؛ يعني لا يكون إلا ما يشاؤه سبحانه، فالإرادة هنا المعني بها الإرادة الكونية، وأراد بهٰذه الجملة الرد علىٰ القدرية الذين يزعمون أنّ الرب جل وعلا أراد طاعة المطيع، وأراد إيمان المؤمن؛ أراد إيمان المكلف، ولكن المكلف أراد الكفر وأراد المعصية فكان ما لم يُرِدِ الله جل وعلا، وهٰذا قول الذين يقولون: إنّ العبد يخلق فعل نفسه كما هو قول المعتزلة وبعض الطوائف أيضا من القدرية، يقولون إن العبد يخلق فعل نفسه وأنّ الله جل وعلا لا يخلق فعله، فيحصل في الكون ما لا يريده جل وعلا؛ لأن الله سبحانه لا يريد الكفر ولا يريد الضلال ولا يريد المعصية، وهٰذا القول باطل -كما ذكرنا لك-؛ لأن الإرادة المراد بها هٰهنا الإرادة الشرعية.

وهنا نخلص في هٰذه الجملة إلىٰ مسائل:

**المسألة الأولى**: أنه أراد بقوله: (وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ) أراد بالإرادة هنا المشيئة، والإرادة؛ إرادة الله جل وعلا منقسمة إلىٰ:

① إرادة كونية؛ يعني فيما يحصل في كون الله جل وعلا.

② وإرادة شرعية.

أما الإرادة الكونية فكثيرة في النصوص، وهي مرادفة للمشيئة، فمشيئة الله هي الإرادة الكونية.

فإذا قلنا: شاء الله كذا؛ يعني أراده كونا.

أما المشيئة فلا تنقسم إلىٰ مشيئة كونية وإلىٰ مشيئة شرعية؛ بل هي نوع واحد هو مشيئة في كونه، أما الشرع فإنما يوصف بإرادة شرعية.

وهٰذا يعني أنّ الإرادة الكونية التي هي المشيئة هي التي لا يخرج أحد عنها، فقد يقع الشيء مأذونا من الله جل وعلا؛ شاءه الله ﷻ كونا وقدرا، ولكنه لم يُرده شرعا ولم يُرده دينا، فتختلف الإرادتان إذا تعلقت

بمعصية العاصي وكفر الكافر، فمِن جهة معصية العاصي وقعت بإرادة الله الكونية لكنها لم تقع بإرادة الله الشرعية، والله سبحانه قال: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾[غافر]، وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة:١٨٥].

وفي المشيئة قال جل وعلا: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الأنفال] وهٰذا راجع إلىٰ عِلم الله جل وعلا فيهم بأنه سبحانه ما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن ﷻ، ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ﴾ جل وعلا ﴿فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يعني في عِلم الله جل وعلا فيما لم يقع، ولن يقع، لو وقع، ولو شاءه كيف يكون.

فإذن صارت مشيئة الله جل وعلا هي الإرادة، والإرادة مرتبطة بالعلم وبالحكمة، وهٰذا خلاف الإرادة الشرعية فإن الإرادة الشرعية مطلوبة من العبد؛ أَمْر، أَمَرَ بكذا، وَنَهَىٰ عن كذا، فصار المأمور به والمنهي عنه مرادا له شرعا.

فإذا تبين هٰذا، فإذن قوله: (وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ) هٰذا راجع إلىٰ الإرادة الكونية فقط، والذين لم يفرقوا ما بين الإرادتين وقع منهم الغلط في معصية العاصي وضلال الكافر فيما سيأتي بيانه إن شاء الله في موضعه من مباحث القدر.

**المسألة الثانية**: أنّ قوله: (وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ) فيه تداخل ما بين إرادة الله جل وعلا وإرادة العبد، وإرادة العبد هي مشيئته، وهي خارجة عن رؤية الحكمة، وأما إرادة الله جل وعلا الكونية فهي منظور فيها بالحكمة، فالله سبحانه يريد ما يوافق الحكمة، والعبد يريد ما لا يوافق الحكمة وقد يريد ما يوافق الحكمة.

وإذا كان كذلك فإرادة الله جل وعلا بالعبد موافقا للحكمة سواء تعلّقت بالمعين أو تعلقت بالمجموع، وهٰذا يعني أنّ إرادة العبد فيما يريده خارجة عن مقتضىٰ حكمة الله جل وعلا؛ إذا أراد شيئا في نفسه له -يعني له بخصوصه-، والله جل وعلا يريد من العبد ما يوافق حكمته، فقد تجتمع الإرادتان فيما فيه حكمة لله جل وعلا، وقد تختلف الإرادتان فيما كان يريده العبد ولا يوافق حكمة الله جل وعلا، وهٰذا يعني أنّ العبد قد يتجه بإرادته إلىٰ شيء فيُصرف عنه لعدم موافقته حكمة الله جل وعلا في نفسه؛ يعني فيما يتعلق بالعبد أو فيما يتعلق بالمجموع، والله جل وعلا قد يريد الشيء كونا، ولا يكون إلا ما يريد لموافقته للحكمة في خصوص العبد في نفسه، أو ظهور الحكمة في نفسه أو لظهور الحكمة في المجموع؛ يعني في غيره.

ولهٰذا نقول: ما من شيء يريده الله ﷻ في ملكوته إلا وهو موافق للحكمة، والشر ليس إلىٰ الله جل وعلا؛ بل الله سبحانه لا يوصف أو لا يضاف إليه إلا الخير، وأما العبد فقد يريد الشيء ويكون بالنسبة له شرا فيخرج من هٰذه الجهة عن كونه موافقا للحكمة؛ يعني حكمة العبد ومصلحته، ولكنه بالنسبة لفعل الله جل وعلا وإرادته يوافق الحكمة التي هي منظورٌ فيها إلىٰ المجموع.

وهٰذا يعني أنَّ إرادة الله جل وعلا في ملكه إنما تكون علىٰ وَفْق الحكمة، وحكمة الله هي القاضية لهٰذه الأشياء جميعا في الإرادات.

وهٰذا فيه رد علىٰ طوائف كثيرة من المبتدعة في مسائل القدر يأتي بيانها مفصلا إن شاء الله في موضعها في تعريف الظلم والعدل، وفي التحسين والتقبيح، وفي أيضا الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، وفي وقوع المعصية ووقوع الكفر، وفي فعل العبد بنفسه، هٰذه مسائل كبيرة تحتاج إلىٰ بيان وتفصيل في موضعها.

المقصود من ذلك أنّ قوله: (**وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ**) هٰذا موافق لما -أو تضيف عليها عبارة- أنّ ما يريده موافق لمقتضىٰ الحكمة المطلقة سواء وافقت العبد المعين أو وافقت المجموع، فالله سبحانه الشر ليس إليه كما وصفه به النبي ﷺ بقوله في الدعاء: «**وَالشرّ لَيْسَ إِلَيْكَ**» ففعله سبحانه خير محض، وقد يأذن بالشر المضاف إلىٰ العبد، ولا يكون شرًّا بالنسبة لإرادته سبحانه، والله ما يريد ظلما للعباد، ولا يريد شرا بالعباد، وإنما العباد أرادوا ذلك بأنفسهم، وإذا وقع ذلك فإنما يقع بالإضافة إلىٰ فعل العباد، وليس مضافا إلىٰ الله سبحانه لأنّ فعله سبحانه خير محض.

قال في الجملة بعدها: (**لا تَبلُغُه الأوْهَامُ، ولا تُدْرِكُهُ الأفْهَامُ**) هٰذا يَرُد به علىٰ المجسمة والمعطلة جميعا، (**لا تَبلُغُه الأوْهَامُ**) يعني أنّ تفكير المفكر ونظرَه بخياله لا يمكن أن يبلغ بخياله وفكره وصف الله جل وعلا ولا كُنْهَ ذاته ﷻ، فليست الأفهام موضوعة لإدراكه ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣] سبحانه.

و(**لا تَبلُغُه الأوْهَامُ**) يعني مهما فكر العبد فلن يبلغ كُنْهَ ذاته سبحانه ولا كُنْهَ اتصافه بصفاته جل وعلا، ولا يمكن للأفهام مهما عَلَت أن تدرك ذلك.

ففيه رد علىٰ المجسمة الذين جعلوا الله جل وعلا جسما كالأجسام.

وفيه رد علىٰ المعطلة الذين جعلوا الله جل وعلا معطَّلا عما وَصَف به نفسه، لأنهم شبهوا أولا، ثم عطلوا ثانيا، فقام بقلوبهم في صفات الله أنها علىٰ صفة شيء معين، فمنعوا ذلك، فدخلوا بأوهامهم وأفهامهم في تحديد كُنْه الاتصاف بالصفة، ثم عطلوا ونفوا ثانيا.

وفيه ردّ علىٰ المتصوفة؛ غلاة المتصوفة أيضا وهي الطائفة الثالثة الذين زعموا أنّ العبد بالرياضة قد يبلغ إلىٰ مرتبة يرىٰ فيها الرب جل وعلا، وأنه يمكن إذا فَنِي عن المحسوسات أن يدرك بوهمه غير المحسوسات يعني الغيبيات، وهٰذا هو الذي يسمونه الفناء بالدرجة العليا عندهم، وهو أنه يفنىٰ عن المخلوق فيبقىٰ في رؤية الخالق جل وعلا.

إذا تبين ذلك، ففي قوله (**لا تَبلُغُه الأوْهَامُ، ولا تُدْرِكُهُ الأفْهَامُ**) مسائل:

**المسألة الأولى**: أن القاعدة العقلية المتفق عليها[1] .....﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا

(١) انتهىٰ الشريط الثاني.

﴿تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[النحل]، فمعرفة الإنسان باتفاق العقلاء والحكماء واتفاق أهل الشرع أنها إنما تكون شيئا فشيئا، وهٰذا هو الذي يسمىٰ عند الفلاسفة نظرية المعرفة، أو نظرية حصول المعارف، وهي كما قلنا: تأتي شيئا فشيئا وهي مبنية علىٰ قسمين:

**القسم الأول**: أن هناك أشياء يدركها بحواسه؛ باللمس، بالبصر، بالشم، بالذوق، بالسماع، بحواسه يدرك، وهٰذا نوع من تحصيل المعارف، نوع من المعارف يحصل للإنسان بحواسه، هٰذا أول ما يبدأ بها الصغير.

**والقسم الثاني**: ما يحصل بعقله وإدراكه، وهٰذا مبني علىٰ المقارنة.

وهٰذا -القسم الثاني- مبني علىٰ الأول، وهو أنه يقارن الأشياء مع ما أحسّها، فالمحسوسات التي أدركها بعينه وبشمّه وبذوقه وبسمعه وبلمسه للأشياء، هٰذه تسمي ضرورية؛ لأن وجودها لا يحتاج إلىٰ برهان، وغيرُها مما يحصل به المعرفة، إنما يكون منسوبا عنده لهٰذه الأشياء، فيرىٰ مثلا هٰذا العمود، فيراه بإحساسه ذا حجم، ثم يرىٰ عمودا آخر أصغر منه، فيراه مختلفا عنه في الطول، فعقد المقارنة فقال هٰذا أصغر من هٰذا، ثم عقد المقارنة فقال هٰذا أكبر من هٰذا، عقد المقارنة بين الألوان فقال: هٰذا أبيض وهٰذا أسود وهٰذا أحمر، عقد المقارنة بين الأشياء الحرارية؛ فقال: هٰذا بارد وهٰذا متوسط وهٰذا دافئ وهٰذا حار إلىٰ آخر ذلك.

وهٰذا نتحصّل منه علىٰ القاعدة المتفق عليها بين القائلين بنظرية المعرفة، وهي صحيحة شرعا علىٰ القدْر الذي ذكرتُ لك بأنه لا يمكن للوَهَم؛ وهم الإنسان، ولا يمكن لفهمه أن يدرك شيئا ولا أن يبلغه وهَمه وفهمه إلا:

- إذا رآه.
- أو أحس بأحد الحواس.
- أو رأىٰ ما يماثله ويشابهه فيقيس عليه.
- أو رأىٰ ما يقيسه عليه ولو لم يَرَ ما يماثله أو يشابهه إذا أمكنه القياس.

فمثلا نذكر صفة حيوان ما، إذا قيل لك: هناك حيوان اسمه (القلع) أي اسم، فأنت مباشرة تتصور ولو لم تعرف حقيقته، أنه ما دام حيوان يمكن أن تقيس لتخرج بعض الصفات لأن ابتدأنا وقلنا حيوان، فإذا قلت: إنه أكبر من الفيل ذهبت إلىٰ شيء آخر، إذا قلت أنه أصغر من الفيل بدأت تحدد تقرب عندك؛ لأنك أدركت هٰذه الأشياء بما رأيت، أو بما يمكنك أن تقيس عليه.

لهٰذا نقول: لا يمكن لأحد أن يدرك شيئا ولا أن يتحصّل منه علىٰ معرفة يبلغها وهمه ويدركها فهمه: إلا إذا رآه، أو رأىٰ مثيله وشبيهه، أو رأىٰ ما يقاس عليه. المثيل والشبيه، مثلا تقول: أكلنا خبزا في بلد كذا، ما دام ذكرت الخبز. نحن أكلنا خبزا، هناك إذا قلنا لك: الخبزة طولها ثلاثة أمتار طولها نأخذها

ونقطعها، تعرف أن الخبز دقيق أوبر إلىٰ آخره، فعرفت مثيله أو شبيهه، فيمكن أن تدرك الآخر برُؤيتك لما يدخل معه في الشبه أو في المثلية.

الله ﷻ لن تدركه الحواس ﷻ، ولم يُرَ مثيل له أو شبيه له، ولم يُرَ ما يمكن أنْ يقاس الحق عليه جل وعلا.

ولذلك دخول المعرفة أو إدراك المعرفة أو حصول المعرفة بالله جل وعلا لا يمكن أن تكون بالأوهام أو بالأفهام أو بالأقيسة أو بما تراه.

ولهٰذا احتاج الناس إلىٰ بعثة الرسل تبين لهم صفة ربهم جل وعلا وصفة خالقهم؛ لأنه جل وعلا لم يُر، ولم يدرك مثله، ولا ما يشبهه سبحانه، ولا ما يمكن أيضا أن يقاس علىٰ شيء، كذلك كان لابد من بعثة الرسل لبيان ذلك، وهٰذا يعني أنه سبحانه: (**لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ.**) كما ذكر المصنف.

فإذن كونه: (**لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ.**) مُنْطلِق من مسألتين كبيرتين ذكرتهما لك في هٰذه المسألة.

**المسألة الثانية**: أنّ (**الْأَوْهَامُ**) و(**الْأَفْهَامُ**) هٰذه عَبَّر عنها بقوله: (**لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ**) في (**الْأَوْهَامُ**)، وفي (**الْأَفْهَامُ**) قال: (**وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ**)، وهٰذا راجع إلىٰ أن الوهَم يعني ما يتوهمه الإنسان غير ما يفهمه، فالوهم راجع إلىٰ الخيال، والفهم راجع للأقيسة والمقارنات.

ولهٰذا الرب جل وعلا لا يمكن تخيله، ولا يمكن أيضا أنْ يُفَكَّر فيه فيُدرك، هٰذا معنىٰ قول الله جل وعلا: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ ﴾[الأنعام:١٠٣] ﷻ، ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ سبحانه، هنا ﴿ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ يأتي معنىٰ البصر؛ هو سبحانه لا يحيط به البصر لأهل الإيمان في الآخرة، وفي الدنيا لا تدركه الأبصار أيضا التي هي الرؤىٰ والعيون، وكذلك الأبصار التي هي الأفهام والأوهام لا تدركه جل وعلا.

فالفهم إذن منقطع، والوهم إذن منقطع، ولهٰذا قال بعض السلف: "**ما خطر ببالك فالله جل وعلا بخلافه**"، لِم؟ لأنه ما ذكرتُ لك أنّه لا يمكن أنْ يخطر ببالك أن تتخيل إلا شيء مبني علىٰ نظرية المعرفة من قبل، وهٰذا مقطوع يقينا.

إذن فصار الأمر أنّ إثبات الصفات لله جل وعلا بأنواعها مع قطع الطَّمع في بلوغ الوهَم لها من جهة الكيفية والكُنْه، وكذلك من جهة إدراك الأفهام لتمام معناها، فمن الجهتين:

- كنه الصفة؛ الكيفية.
- وكذلك تمام المعنىٰ.

هٰذا لا يمكن أن تبلغه الأوهام، ولا يمكن أن تدركه الأفهام.

نقف عند هٰذا القدر، وهٰذه الجمل في أولها، مثل ما ذكرت لك راجعة إلىٰ مسائل مختلفة لا ينتظمها زمام، ويأتي بعد ذلك ذِكر المسائل العقدية بتفصيلها إن شاء الله تعالىٰ.

[الأسئلة]

سؤال (١٠): ذكر سؤال، سؤال يرجع إلىٰ شرح كشف الشبهات ذكرناه بتفصيلها: ما الفرق بين بلوغ الحجة وفهم الحجة.

سؤال (١١): هل القاعدة التي ذكرتم؛ وهي أن الاسم إذا كان منقسما فإنه لا يطلق علىٰ الله، فماذا يقال في اسم الباسط والقابض، فإن هذين الاسمين منقسمين فالبسط يكون للخير وقد أن يكون للشر، وكذلك القبض قد يكون للخير وقد يكون للشر؟

الجواب: هٰذا سؤال جيد، وجوابه راجع إلىٰ معرفة أنّ الأسماء الحسنىٰ منها ما لا يكون كمالا إلا مع قرينه، مثل الخافض الرافع، الرافع لما اقترن بالخافض صار كمالا، ومثل القابض الباسط، الله جل وعلا قال:﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾[البقرة:٢٤٥] القابض الباسط ﷻ، الضار النافع جل وعلا، فثَم من الأسماء الحسنىٰ ما لا يكون دالا علىٰ الكمال بمفرده، ولا يسوغ التعبيد له، مثل الضار هو من الأسماء الحسنىٰ، ما نقول عبد الضار وأشباه ذلك، مثل المميت، المحيي المميت، ما نقول: عبد المميت؛ لأن هٰذه الأسماء تطلق علىٰ وجه الكمال وتكون حسنىٰ مع قرينتها، لهٰذا تجد أنها ملازمة للاسم القرين.

لهٰذا نقول: الباسط صار كمالا بالقابض، فيطلق منفردا لأن كماله باسم الله القابض، والقابض أيضا هو كمال باسم الله الباسط لكنه لا يعبّد له كما يعبد للباسط، ومثله النافع والضار، الضار كماله بالنافع والنافع كماله بالضار، لأنه يدل علىٰ القهر والجبروت لله جل وعلا، وكذلك المحيي المميت. وهٰذا يأتينا عند قوله إن شاء الله: (مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ).

سؤال (١٢): لماذا تقولون أنّ عقيدة أهل السنة والجماعة من عقيدة التابعين، ونجد كثيرًا من التابعين قد غلط في الأسماء والصفات؟ وهل نقول: عقيدة الصحابة ولا نقول: عقيدة التابعين؟

**الجواب: أولا** من حيث الأدب في السؤال ما يناسب بطالب العلم أن يسأل بقوله: (لماذا تقولون؟) (لماذا) فيه منافاة لأدب المتعلم مع المعلم، هٰذه واحدة.

**الثانية** أن قوله: (نجد كثيرًا من التابعين قد غلط في الأسماء والصفات) التابعون إذا أراد بالذين غلطوا في الأسماء والصفات من أدركوا الصحابة، فليس هؤلاء من التابعين للصحابة بإحسان، لهٰذا قال جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾[التوبة:١٠٠] فليس كل من تبع فجاء تابعا للصحابة يكون محمودا.

لهٰذا نقول: عقيدة الصحابة والتابعين. المراد بالتابعين الذين أثنىٰ الله عليهم بأنهم تبعوهم بإحسان.

أما الذين تبعوا الصحابة زمانا وخالفوهم عقيدة، وابتدعوا في الأسماء والصفات أو في القدر أو في الإيمان، كالخوارج والمرجئة والقدرية وأشباه هؤلاء، هؤلاء لا يدخلون أصلا في كلامنا، خير الناس قرن النبي ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، المراد من كان منهم علىٰ الحق.

إنْ أراد السائل بعض الغلط المروي عن التابعين من أهل السنة؛ يعني ممن تبع الصحابة بإحسان، فإنه لا يقال: إنهم غلطوا في الأسماء والصفات، وإنما حصل بعض العبارات التي يُنازعون فيها؛ لأنهم

اجتهدوا، لكن لا يقال إنهم غلطوا في ذلك، ولكن لهم اجتهدوا فينسب إليهم اجتهادهم ولا يعابون، لا يعتبرون غلطوا، ما فيه مسألة يقال غلطوا فيها في الصفات؛ التابعين بإحسان، ولا غلطوا في الأسماء؛ لأنه من غلط في هٰذا الأمر في أصل من أصول الصفات أو من الأسماء فإنه لا يكون من التابعين بإحسان.

سؤال (١٣): ورد في الحديث «نعوذ بِوَجْهِك الْكَرِيم وَسُلْطَانِك الْقَدِيم»؟

**الجواب**: هٰذا معروف في البحث، السلطان هنا المقصود به الخَلق؛ يعني الملكوت أو يقصد به الصفة المتعلقة بذلك، وهٰذا فيه بحث زيادة علىٰ ما ذكرت، ولكن هٰذه الكلمة لا تعني أن القديم من أسماء الله جل وعلا، أو أنه من صفاته سبحانه؛ لأنه وُصف به سلطانه سبحانه «**أَعُوذُ بِوَجْهِ الله الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ**» سلطان الله القديم الذي هو صفة تدبيره سبحانه، وهٰذه ليست راجعة إلىٰ الاسم القديم الذي يدل علىٰ الذات، كما هو معلوم أن الأسماء تدل علىٰ الذات وتدل علىٰ الصفات.

سؤال (١٤): ما الفرق بين الصفات والأفعال في قولك باب الصفات أضيق من باب الأفعال؟

**الجواب**: يعني قد يكون هناك أفعال تضاف إلىٰ الله جل وعلا، ولا نشتقّ منها صفة نصف بها الرب جل وعلا، فباب الأفعال أضيق من باب الصفات،(١) فليس كل فعل أطلق أو أضيف إلىٰ الله جل وعلا من فعله سبحانه نشتق منه صفة من الصفات، كذلك ليس كل ما جاز أن يُخبَر به عن الله جل وعلا جاز أن نجعله اسما له سبحانه، أو أن نجعله صفة له سبحانه، وكذلك ليس كل صفة له جل وعلا يجوز أن نشتق منها اسم، مثل مثلا الصُّنع الله جل وعلا قال في آخر سورة النمل: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل:٨٨] فالصنع هٰذا صفة ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾، ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ هٰذا صفة لكن لا يجوز أن نشتق منها الصانع، لأنه كما ذكرنا الشروط لا بد أن تكون:

**أولا**: جاءت في الكتاب والسنة.

**والثاني**: أن يكون يدعىٰ بها، واسم صانع لا يدعىٰ به الرب جل وعلا، لا نقول: يا صانع اصنع لي كذا؛ لأنه لا يتوسل إلىٰ الله به.

**والثالث**: أنه ليس مشتملا علىٰ مدح كامل مطلق غير مختص.

باب الأفعال مثل ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[البقرة:١٥]، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾، وهنا ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾[الأنفال]، ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ جاء إضافة الأفعال هٰذه إلىٰ الله جل وعلا، ما نقول: نشتق منها صفة فيوصف الله بالمكر ويوصف الله بالاستهزاء وأشباه ذلك، هٰذا غلط؛ لأن باب الأفعال كما ذكرنا أوسع من باب الصفات، وباب الصفات أضيق؛ لأن المكر منقسم ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ جاء هنا إضافة ﴿وَيَمْكُرُ﴾ إلىٰ الله جل وعلا ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ لكن

---

(١) يريد أن يقول: فباب الصفات أضيق من باب الأفعال، لأنه: قال عند شرحه (قَدِيمٌ بلا ابتدَاء، دَائمٌ بلا انْتهاء) تحت الشرط الثالث من الشروط الواجب توفرها في الاسم ليكون من الأسماء الحسنىٰ (وباب الصفات أضيق من باب الأفعال).

المكر صفة منقسمة إلىٰ:

- المكر الذي هو بحق، وهو ما دلّ علىٰ كمال وقهر وجبروت وهو المكر بمن مكر به سبحانه، أو مكر بأوليائه، أو مكر بدينه، هٰذا مكر حق.
- وإلىٰ مكر مذموم وهٰذا ما كان علىٰ غير وجه الحق.

فإذا كان كذلك، ما نقول أن من صفة الله الاستهزاء، كذلك الملل لا نقول من صفات الله الملل، وأشباه ذلك «**إِنَّ اللهَ لاَ يَمَلّ حَتّىٰ تَمَلّوا**» أُطلق الفعل لكن لا نشتق منه الصفة؛ لأن الصفة منقسمة، وكذلك من الصفة إلىٰ الاسم، وهٰذا فيه قواعد ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في أول «بدائع الفوائد».

نقف عند هٰذا نسأل الله التَّوفيق والسَّداد....

## الدرس الرابع

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ -مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ-: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ، وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ، وَلَا إِلٰه غَيْرُهُ.

قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ.

لَا يَفْنَىٰ وَلَا يَبِيدُ. وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ.

لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ، وَلَا يُشْبِهُ الْأَنَامَ.

حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ. خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلَا مَؤُونَةٍ. مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ.

مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا.

لَيْسَ مُنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ اسْتَفَادَ اسْمَ (الْخَالِقِ)، وَلَا بِإِحْدَاثِهِ الْبَرِيَّةَ اسْتَفَادَ اسْمَ (الْبَارِي).

لَهُ مَعْنَىٰ الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَىٰ الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقَ.

---

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسوله، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ إلٰه وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدِّين.

اللَّهمَّ نسألك العلم النَّافع، والعمل الصَّالح، والدُّعاء المسموع، والقلب الخاشع، اللَّهمَّ تقبَّل منا أعمالنا، وثبِّتنا علىٰ ما يرضيك، واجعلنا من عبادك المخلَصين.

أما بعد..

فهٰذه الجمل التي سمعنا من هٰذا المتن العظيم -الذي هو متن «العقيدة الطحاوية»- متصلة بما قبلها، والكلام فيما تقدَّم كان عن وصف الله جل وعلا بصفات الكمال ونعوت الجلال والجمال.

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في وصفه ﷻ: (لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ، وَلَا يُشْبِهُ الْأَنَامَ.) وهٰذه كما ذكرنا لك فيما سلف عامة في جميع الصِّفات، وأنّ صفات الحقِّ جل وعلا لا تشبه صفات الأنام بالقيد الذي ذكرناه لك مفصَّلًا فيما سلف.

وبعدها ذكر جملة من ما يُفارق به وصف الله جل وعلا صفة المخلوق فقال بعد قوله: (وَلَا يُشْبِهُ الْأَنَامَ): (حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ. خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلَا مَؤُونَةٍ. مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ) وهٰذه الصِّفات هي صفات وأسماء للحقِّ جل وعلا، فإنّ صفة الحياة ثابتة له جل وعلا، وكذلك صفة القيّومية وصفة الخلق والرَّزق والإماتة والبعث له سبحانه، وهو سبحانه المحيي والحي وهو القيوم جل وعلا كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة:٢٥٥]،

﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾[آل عمران]، وكذلك صفة الخَلق وصفة الرَّزق وغير ذلك من الصفات، فأسماء الله جل وعلا كما هو معلوم مشتملة علىٰ صفات، وصفات الحق جل وعلا مباينة لصفات المخلوق من جهات:

**الجهة الأولىٰ**: أنّ الرَّب جل وعلا يتَّصف بالصفة علىٰ وجه الكمال، والمخلوق يتَّصف بالصفة علىٰ وجه النَّقص.

**والثاني**: أنَّ الرَّب جل وعلا صفاته متلازمة؛ لأنه سبحانه له الكمال المطلق، وله الصفات العُلىٰ الكاملة من كل وجه، وأمَّا المخلوق فصفاته غير متلازمة بل قد يكون فيه جملة من صفات النقص، ويكون ثَم فيه بعض الصفات التي هي كمالٌ قي حقه، وإن كانت في الجملة لا يتصف بها إلا لنقصٍ فيه.

**الوجه الثالث**: أنّ اتصاف المخلوق بالصفات وإن كان في أصل المعنىٰ اشترك مع صفات الحق جل وعلا لكنه اتصف بها علىٰ وجه الحاجة إليها، وأما الرب جل وعلا فهو متصف بصفاته لا علىٰ وجه الحاجة إلىٰ آثار الأسماء والصِّفات.

فمثلا المخلوق يُقدِّر أو يقيم الأشياء لحاجته، ويخلق ما يخلق لحاجته، والله ﷻ (**خَالِقٌ بِلا حَاجَة**)، ويهب المخلوق ويرزق لحاجته، والله ﷻ يهب ويرزق ويُعطي وهو الغني جل وعلا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥﴾[فاطر]، وهكذا في بقية الصِّفات.

فإذن اتصاف المخلوق بالصفات التي يشترك فيها من حيث أصل المعنىٰ مع الرب جل وعلا هو اتصاف علىٰ سبيل النقص، وهٰذا الاتصاف -مع ضميمة ما سبق أنْ ذكرنا لك فيما سلف- لا يشبه -فضلا أن يماثل- صفات الرب جل وعلا.

لهٰذا فصَّل الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد قوله: (**وَلا يُشبِهُ الأَنَامَ**) بعض صفات الحق جل وعلا التي يتصف بها وفارق بها صفة المخلوق الذي ربما اتصف بتلك الصفات، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلا يُشبِهُ الأَنَامَ. حَيٌّ لا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لا يَنَامُ**) وكونه جل وعلا حيًّا، هٰذا دلّ عليه العقل ودلّ عليه السمع؛ يعني دلّ عليه الكتاب والسنة، وقبل ورود الكتاب والسنة فالعقل يدلُّ علىٰ أن الله جل وعلا موجود لكثرة الدلائل وتواتُرها وتتابعها علىٰ وجود الحق جل وعلا، وكونه ﷻ موجودًا يدلّ باللازم الذي لا انفكاك منه علىٰ أنّه حيٌّ ﷻ، وحياته جل وعلا تدلّ علىٰ أنه متَّصف بصفات كثيرة.

فإذن صار اسم الله "الحيّ" يدلُّ عليه العقل قبل ورود السمع، وكذلك اسم الله (القيوم) وصفة القيُّومية له جل وعلا هٰذه أيضا يدلّ عليها العقل ويدل عليها السمع؛ لأنه سبحانه هو الذي أقام الأشياء، فكونه هو الخالق للأشياء يدلّ عقلا علىٰ أنه هو الذي أقامها وأنّ قيوميتها به جل وعلا.

إذا كان كذلك فنقول هٰذان الاسمان (الحي) و(القيوم) قد قيل فيهما -وهو قول قوي، وله حظ من الترجيح- أنهما اسما الرب جل وعلا الأعظمان، فالاسم الأعظم الذي إذا دُعي به الرب جل وعلا أجاب، وإذا سئل به أعطىٰ كما جاء في الحديث، هو في سورة البقرة وسورة آل عمران، وفيهما قول الله

جل وعلا: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾[١]، وهٰذا له معنىٰ، وذلك أن الحي والقيوم بلوازمه؛ بلوازم اسم الحي وما يلزم من اسم القيوم يقتضي جميع الأسماء التي هي من أفراد الربوبية والصفات التي هي من أفراد الربوبية، ولهٰذا عُلِّق إعطاء السائل سؤله في هذين الاسمين الأعظمين؛ لأنَّ إجابة السؤال وإجابة السُّؤَّال وإعطاء الداعي ما دعا هٰذا متعلق بربوبية الله جل وعلا، فإذا انظمّ إليها إدانة العبد وإقراره بتوحيد الإلهية وأن الله جل وعلا لا إلٰه إلا هو، صار هٰذا الدعاء ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ متضمنًّا لتوحيد الإلهية ولتوحيد الربوبية ولتوحيد الأسماء والصفات.

لهٰذا فإن اسم الحي واسم القيوم هما اسما الله الأعظمان اللَّذان إذا دُعي بهما أجاب وإذا سئل بهما أعطىٰ، في قول قوي مرجَّح لأحد القولين في اسم الله الأعظم.

إذا تبين لك ذلك ففي قوله: (**حَيٌّ لا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لا يَنَامُ**) مسائل:

**المسألة الأولى**: أنّ صفة الحياة مشتركة بين كلِّ مخلوقات الله جل وعلا، وكل حياة لها ما يناسبُها، حتىٰ الجماد له حياة تناسبه؛ حتىٰ الشَّجر والحجر له حياة تناسبه، وإنما سُمِّي جمادًا لأنه جامد في الظاهر؛ ليس له حركة ظاهرة، وإلا فإنه ليس بميِّت يعني لا حراك فيه ولا حياة، وإنما هو ميِّت باعتبار عدم الحركة، وجماد باعتبار عدم الحركة.

ولهٰذا فإنّ اشتراك المخلوقات مع الرب جل وعلا في هٰذا الاسم وفي صفة الحياة هٰذا اشتراك في أصل المعنىٰ فكلٌّ له حياة تناسبه، علىٰ حسب القاعدة المعروفة وهي أن: **الصِّفات بما يناسب الذَّوات**. فإثبات الصِّفات إثبات وجود لله جل وعلا لا إثبات كيفية، وصفات المخلوقات تناسب ذواتهم الوضيعة الضَّعيفة الفقيرة.

وهٰذا ظاهر أيضا في صفتي السمع والبصر كما قد قررناه لكم مرارا في قوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورىٰ]، فإنّ صفة السّمع وصفة البصر مشتركة بين أكثر الكائنات الحية، وكذلك الحياة فهي مشتركة بين جميع الكائنات الحية:

منها ما حياته بالرُّوح والنفس.

ومنها ما حياته بالنَّماء.

ومنها ما حياته خاصة به كالصُّخور والتراب، وأشباه ذلك.

ولهٰذا كان عليه الصلاة والسلام يقول كما رواه مسلم في الصحيح: «**إني لأعلم حجرا بمكة ما مررت عليه إلا....**»[٢]

---

(١) البقرة:٢٥٥، آل عمران:٢.

(٢) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الثالث، والظاهر أنّ الشريط الذي عندي فيه نقص كبير، أما الحديث الذي في مسلم فهو بلفظ «إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَراً بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ».

...العبودية، فإذن قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (خَالِقٌ بلا حَاجَة) ذلك لكمال غناه ﷻ وكمال حمده سبحانه، كما قال جل وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات]، وكما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي: «قَالَ اللهُ تعَالَىٰ: يَا عِبَادِي إِنِّي؛ حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي» إلىٰ أن قال: «فإنَّكم لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي» وقد قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر].

وكذلك قوله: (رَازِقٌ بلا مَؤُونَة) وكونه سبحانه يرزق بلا نفقة ينفقها تُنقص مما عنده سبحانه، وبلا تعب، فهو سبحانه يرزق من يشاء بغير حساب، وما يفتح للناس من رحمة فإنه لا ممسك لها، فقد قال ﷻ: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾[فاطر:٢]، وقال جل وعلا: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[المائدة:٦٤]، وفي حديث أبي ذر المعروف قال «أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمٰوات والأرض، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ ممّا فِي يَمِينِهِ شيْئًا»، وهٰذا لا شك أنّه صفة الرب جل وعلا، وأما المخلوق فإنه إذا رزق يرزق بكلفة وتعب، ويرزق لحاجته أن يرزق، ويرزق أيضا لمؤونة تنقص وتزيد، والله سبحانه له الملك الأعظم في ذلك.

فتبين أنّ معنىٰ قوله: (رَازِقٌ بلا مَؤُونَة) يعني بلا كَلَفة ولا مشقة، أو بلا مؤنة يأخذ منها فتحتاج إلىٰ أن تُمَوَّن، بل هو سبحانه لا ينقص ما يعطي خلقه من ملكه شيئا، ولا يزيد فيه شيئا، بل هو سبحانه الرازق بلا مؤونة ﷻ.

نكتفي اليوم بهٰذا القدْر، ونكمل إن شاء الله تعالىٰ في الأسبوع القادم.

[الأسئلة]

سؤال (١٥): هل يوصف المخلوق بكونه خالقا للأشياء؟

**الجواب**: لا، خلْق الأشياء هٰذا مختص بالرب جل وعلا، فهو ﷻ هو الذي يخلق الأشياء، أما أن يوصف بكونه خالقا، فنعم، لكن لا يقال خالق للأشياء، الأشياء بيد الله جل وعلا، لكن يخلق ما يناسب، كما قال سبحانه: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾[المؤمنون]، ويُعنىٰ بالخلق هنا التقدير أو التصوير أو ما يناسبه، ولهٰذا قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه البخاري وغيره: «مَنْ أَظْلَمُ مِمّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقوا حَبّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شعِيرَةً» فأثبت لهم خلقا قال: «يَخْلُقُ كَخَلْقِي»، ثم نفىٰ عنهم خلقا فقال: «فَلْيَخْلُقوا حَبّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شعِيرَةً»، فدلّ علىٰ أنّ المخلوق يخلق أشياء؛ بمعنىٰ يصوّرها أو يقدّرها، أما برء الأشياء، أو برء الأمور؛ بمعنىٰ إخراج الصور يعني فيها حياة فهٰذه لله جل وعلا، وأما تصنيع الجمادات فهٰذا نوع من الخلق؛ لأنه تقدير وتصوير.

سؤال (١٦): يستدل أهل التعطيل والتجسيم بقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورىٰ:١١] علىٰ باطلهم، وقد رد أهل السنة والجماعة بردود عليهم في ورود الكاف والمِثل في الآية، فما هو وجه

استدلال المعطلة والمجسمة؟ وما هو الرد الصحيح والوجه الصحيح من ردود أهل السنة في زيادة الكاف؟

**الجواب**: سبق أن ذكرناه أظن في الدرس الماضي، أو الذي قبله، في أول الدروس، أو عند قوله ولا يشبهه شيء أو (**وَلا يُشبِهُ الأَنَامَ**)، أو في أوله عند قوله (**وَلا شيءَ مثْلُهُ**)[1].

المقصود أن استدلال المبتدعة بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ مصيرٌ منهم إلىٰ أن المثلية هنا قد تكون ناقصة، فيكون هناك مطلق التشابه منفيا، وهٰذا فيكون مطلق التشابه منفيا، وقد ذكرنا لكم أنّ المراد هنا المماثلة والمماثلة منفية في كل حال، والمشابهة في الكيفية أو في كمال المعنىٰ؛ يعني في المعنىٰ المطلق أيضا منفي، وأما المشابهة في مطلق المعنىٰ وهو أصله الذي حصل به الاشتراك فإن هٰذا ليس منفيا؛ لأن هٰذا أثبته الرب جل وعلا.

سؤال (١٧): ما هو أفضل كتاب شرح الأسماء الحسنىٰ واعتنىٰ بمعناها؟

الجواب: أحسن ما أُلف في ذلك فيما أعلم كتاب «النهج الأسمىٰ» لأحد طلبة العلم في الكويت محمد الحمود، وهو من أنفع ما كُتب في ذلك، ويليه ما فرقه الشيخ عبد الرَّحمٰن بن سعدي في كتبه من معاني الأسماء و الصفات.

سؤال (١٨): هل الله جل وعلا محتاج إلىٰ عبادة العابد كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾[الذاريات]، فهو غير محتاج سبحانه للرَّزق ولا للإطعام لكن أثبت العبادة؟

الجواب: ما أدري ما وجه السؤال.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ اللام هنا هٰذه لام (كي) لام الحكمة وليست لأجل الحاجة.

سؤال (١٩): من صلىٰ الصلاة وهو جنبا حياءً؟

**الجواب**: من صلىٰ الصلاة وهو جنبا غير متوضئ غير مغتسل، فيجب عليه الإعادة، يسأل أنه صلىٰ بعض الصلوات وهو جنب واكتفىٰ بالتيمم، السائل يعرف تفاصيل سؤاله، فيجب أن يعيد الصلوات جميعا، وأن يستغفر الله جل وعلا من كونه صلىٰ صلاة بلا طهارة شرعية كاملة، والله جل وعلا أحق أن يُستحيىٰ منه.

سؤال (٢٠): هل يقال: إن الصفات الذاتية راجعة إلىٰ صفة الحياة، والصفات الفعلية راجعة إلىٰ صفة القيومية؟

**الجواب**: لا، لا يقال ذلك، ممثل صفة الرحمة ذاتية باعتبار وفعلية أيضا، ولكنها راجعة هي أيضا

---

(١) ذكره الشيخ في الدرس الثاني تحت شرح (**وَلا شيءَ مثْلُهُ**) في المسألة الخامسة.

لقيوميته، فهو سبحانه أقام خلقه علىٰ الرحمة.

سؤال (٢١): كيف نعرف أن نفي صفة من صفات النقص تدل علىٰ الكمال المطلق؟

**الجواب**: أي نفي جاء في الكتاب والسنة؛ نفي صفة عن الله جل وعلا فالمراد من هٰذا النفي إثبات كمال الضد؛ لأن النفي المجرد ليس مدحا وليس كمالا، نفي الصفة عن المتصف أو عن من يتصف بها أو عن من يقال أو تنسب إليه قد يكون لنقصه ولعجزه؛ لعدم علمه ولعدم قدرته.

فيقال مثلا: فلان لا يسيء إلىٰ أحد؛ لأجل أنّه ضعيف، حتىٰ الكافر المشرك المعاند لا يسيء إليه لضعفه، ويقال: فلان مثلا ليس كثير الكلام قد يكون لعجزه عن الكلام بما ينفع، ولهٰذا قال الشاعر في ذم قبيلة من القبائل:

قُبَيِّلَةٌ لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

(قبيلة لا يغدرون بذمة) لعجزهم.

و العرب كانت تفتخر بالاعتداء والقوة، وهو نفىٰ عنهم صفة لأجل عجزهم عنه، وقال: (ولا يظلمون الناس حبة خردل) لعجزهم ولهٰذا في وصف الرب جل وعلا إذا نفي...[1]

قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾[البقرة:٢٥٥] لكمال حياته، لا لأرقه مثلا أو لاهتمامه بخلقه أو لعدم إرادة تركهم حتىٰ لا يفسد الملك أو نحو ذلك، بل ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ لكمال حياته، يتضمّن النفي إثبات كمال الصفة التي هي ضد ذلك، والنفي المحض -كما هو معروف وذكرناه لكم سابقا- ليس كمالا.

كذلك ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾[مريم] لكمال علمه وإحاطته.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾[الإخلاص] لكمال غناه ﷻ.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص:٤] لكمال أحديته سبحانه، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾[الإخلاص]، وهكذا في غير ذلك من الصفات.

● الحقيقة الأخ يذكر مسألة يقول: إن الصوت غير واضح في المكبر، حبذا لو يشوف إخواننا المؤذن إما يغيرون هٰذا الجهاز أو يشوفولنا حل، حتىٰ أنا إذا ارتحت في الإلقاء يكون الاستحضار أكثر.

سؤال (٢٢): بودي لو شرحت كتاب «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» للصابوني فهو أجمع من شرح «متن الطحاوية»؛ لأنه حسب علمي لم يُشرح؟

الجواب: لا، أظن عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني سبق أنه شرحه بعض المشايخ موجود مسجلا، وأما متن الطحاوية فإنه مرجِع، والاهتمام به منهجيا أولىٰ من الاهتمام بعقيدة السلف وأهل الحديث للصابوني؛ لأننا نمشي علىٰ منهجية في قراءة الكتب، فالشرح يكون علىٰ كتاب له صلة بتكوين الطالب علميا.

---

(١) يوجد قطع في الشريط.

وشرح الطحاوية مقصود أنه يشتمل علىٰ مسائل لم تذكر في الواسطية، يشتمل علىٰ مسائل لم تذكر في لمعة الاعتقاد ولا في الحموية، فهو مهم من هٰذه الجهة، إضافة إلىٰ أن ثم استدراكات عليه، وهٰذا مما ينمي طالب العلم، ومشايخنا رحم الله الميت وحفظ الحي يعتنون بشرح الطحاوية لذلك قُرّر في جامعات المملكة.

سؤال (٢٣): ما حكم تعريف الاسم المضاف إلىٰ الله جل وعلا مثل العبد اللطيف؟

**الجواب**: هٰذا لا يجوز، هٰذا نبهنا مرارا أنه لا يجوز كتابة هٰذه، ولا نُطقها علىٰ هٰذا الشكل، كتابتها العبد اللطيف أو العبد الله، أو العبد العزيز، أو العبد الكريم بهٰذا الشكل، أن تكون العبد هكذا معرفة، واللطيف معرفة؛ لأن هٰذا يجعل اسم الله جل وعلا مشتبها أن يكون نعتا للعبد، هٰذا لا شك يجب دحضه ويجب رده، فتكتب آل منفصلة، ثم عبد اللطيف، حتىٰ تقرأ: آل عبد اللطيف، آل عبد الكريم، آل عبد العزيز، آل عبد الله، آل عبد الوهاب، وهكذا في نظائرها.

فطلبة العلم ينبغي ينبهون علىٰ ذلك، وربما يجري تنبيه من الجهات الرسمية علىٰ هٰذا الأمر، أنّ هٰذا فيما يظهر لي أنه من المنكرات لأنه فيه امتهان لأسماء الله جل وعلا.

أسأل اللهَ لي ولكم العافية. وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.



## الدرس الخامس

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

📖 خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلَا مَؤُونَةٍ. مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ.

مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا.

لَيْسَ مُنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ اسْتَفَادَ اسْمَ (الْخَالِقِ)، وَلَا بِإِحْدَاثِهِ الْبَرِيَّةَ اسْتَفَادَ اسْمَ (الْبَارِي).

لَهُ مَعْنَىٰ الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَىٰ الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقَ.

وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَىٰ بَعْدَمَا أَحْيَىٰ اسْتَحَقَّ هٰذا الِاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ.

ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ شَيْءٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ:١١].

---

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبد الله ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ إلٰه وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدين.

أما بعد..

فهٰذه تكملة وصِلة لما تقدم الكلام عليه من بيان معاني جُمل هٰذه العقيدة النافعة؛ عقيدة العلامة أبي جعفر الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

ووقفنا عند قوله: (مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ.)، وهٰذا كالجُمَل التي قبله، فيها إثبات كمال الرب جل وعلا، وأنه في كمالاته وصفاته غير مماثل لخلقه؛ بل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ]، فذكر فيما تقدَّم جملة من صفات الرب جل وعلا وأنه في اتِّصافه بتلك الصفات لا يماثل المخلوق الذي إذا اتَّصف بصفة فهو لحاجته لمقتضىٰ تلك الصفة ولضعفه ولافتقاره، والله جلَّ جلاله متَّصِفٌ بصفات الكمال التي مرجعها إلىٰ أنه سبحانه هو الغني الحميد، هو الغني غير محتاج لمقتضىٰ صفاته وغير محتاج سبحانه لأثر تلك الصِّفة؛ بل هو ﷻ فيما يفعل يفعلُ لحكمة لا لحاجة جل وعلا، فخَلْقُه ﷻ للخلق بلا حاجة، ورَزْقه ﷻ لهم لحاجتهم إليه لا لحاجته ﷻ إليهم، كما مرّ معنا علىٰ حد قول الله جل جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر].

**وجميع صفات الكمال ترجع إلىٰ صفة الغنىٰ وصفة الحمد له سبحانه**، وإلىٰ هذين الاسمين العظيمين الغني والحميد، سواءٌ في ذلك صفات الجلال، أو صفات الجمال، صفات الربوبية، أو الصفات التي ترجع إليها معاني العبودية للرب جل جلاله.

قال هنا: (مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ) يعني أنّه سبحانه يميت من شاء أنْ يميته، ويُفقد من شاء أن يُفقده

الحياة، لا لخوف من هٰذا الذي أفقده الحياة أن يعتدي علىٰ مقام الربّ جل وعلا؛ ولكن لحكمته سبحانه، فهو الذي أحيىٰ وأمات، وهو الذي أفقر وأغنىٰ سبحانه لحكمته البالغة العظيمة، فهو فيما يُحيي لم يُحيِ لحاجة، وفيما أمات سبحانه ما أمات لمخافة؛ بل هو سبحانه الذي يحيي ويميت لحكمة بالغة.

فقال هنا: (مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ) والمخلوق -البشر أو غير البشر- يعتدي بالإماتة علىٰ من يخاف من شره، وهٰذا دليلُ النَّقص في المخلوق؛ لأنه لمَّا لم يكن دافعًا عن نفسه إلا بهٰذا الفعل صارت في المخلوق هٰذا من صفات النقص في أنه يميت لمخافته، وهٰذا لا يدخل فيه معنىٰ مشروعية الجهاد؛ لأن هٰذا لمعنىً آخر لا يتعلق بالمخلوق، بل يتعلق بحق الله جل وعلا وإقامة دينه وإعلاء كلمته.

فهٰذا معنىٰ قوله: (مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ).

وأنه سبحانه (بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ) باعث الخلق بعد موتهم سواءٌ في ذلك بعث المكلَّفين أو بعث غير المكلَّفين بلا مشقة تلحقه سبحانه، ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[لقمان:٢٨]، وهٰذا لكمال صفات الرب جل وعلا.

إذا تبين لك ذلك، فإنّ في هٰذه الجملة من كلامه مسائل؛ أعني قوله: (مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ) فيها مسائل:

**المسألة الأولى**: أن (مُمِيتٌ) اسم فاعل من (أمات) المتعدي والاسم للرب جل وعلا المميت، هو سبحانه: المحيي المميت، والمميت صفة كمال مع قرينتها المحيي، المميت اسم كمال مع قرينه المحيي، فهو سبحانه الموصوف بكونه أحيىٰ وأمات جل وعلا.

**المسألة الثانية**: معنىٰ (مُمِيتٌ) أي خَلَقَ الموت، فيمن شاء سبحانه؛ يعني جعل من شاء من خلقه ميِّتا بعد أن كان حيا.

والموت عند جمهور أهل السنة ومن وافقهم من غيرهم مخلوقٌ موجود، وهو الذي يعبِّرون عنه بأنّ الموت صفة وُجودية.

وذلك لقول الله جل وعلا: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك:٢] فجعل الموت مخلوقا وتسلَّط عليه الخلق، وهٰذا يدل علىٰ أنه موجود، ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ﴾ وخَلْقه يدل علىٰ أنه صفة وُجودية.

وكذلك ما جاء في السنة من أحاديث كثيرة فيها أنَّ الموت يؤتىٰ به يوم القيامة علىٰ هيئة كبش فيذبح علىٰ قنطرة بين الجنة والنار، فهٰذا يدلّ علىٰ أنّ الموت موجود وله صفة الوُجود.

وهٰذا له أدلة أيضا كثيرة تدل علىٰ ما ذكرنا من أنّ الموت ليس عدمًا للحياة، وإنما هو وجودٌ لصفةٍ ليست هي الحياة، فالحياة وصف صفة، وهو وجود لصفة أخرىٰ، وهٰذه الصفة الأخرىٰ هي الموت، هٰذا هو الذي قرّره جمهور أهل السنة.

وقال غير أهل السنة من الفلاسفة وبعض من وافقهم من أهل السنة وهو قول أهل الكلام فيما ذكروه في كتبهم الخاصة بالكلام، قالوا في تعريفهم للموت: **الموت عدم الحياة عمّا من شأنه أن يكون حيّا.**

وهٰذا التعريف تجدُه في كثير من كتب التفسير التي ينحو أصحابها منحىٰ أهل الكلام، حتىٰ إن بعضها المنتسبين لمنهج السلف ظن أن هٰذا التعريف يمشي فنقل بعض النقولات فيها هٰذا التعريف.

وهٰذا هو تعريف أهل الكلام والفلاسفة يقولون: **الموت عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حيا**.

ويجيبون عن الآية في قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ بأنّ الخلق هنا بمعنىٰ التقدير، فيكون عندهم معنىٰ الآية الذي قدّر الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا، وهٰذا مصيرٌ منهم إلىٰ أنَّ الموت عدمٌ محض، وهٰذا خلاف الأدلة الكثيرة من السُّنَّة وأيضا من القرآن التي تدل علىٰ أن الموت حياة أخرىٰ، لهٰذا نقول: لمن مات إنه في الحياة البرزخية وليس في عدمٍ.

فالحياة؛ حياة الإنسان متعلِّقة بروحه ومتعلقة بجسده، وحياة الجسد بحلُول الروح فيه، فإذا فارقت الروح الجسد صار الجسد عديم الحياة، لذلك تندثر أجزاؤه في التراب ويذهب، وأمَّا الروح وهي داخلة في جملة تسمية الإنسان إنسانا، أما الروح فهي مخلوقة للبقاء لا للعدم.

لهٰذا إذا قيل: ماتَ يعني صار جسمه لنوع من العدم أو صار جسمه للفناء، وأما روحه فهي للبقاء، لكن لها حياة تخصُّها.

والجسد عند أهل السنة في القبر له تعلق بالرُّوح؛ فإن الحياة البرزخية للروح عند أهل السنة، والجسد تبعٌ لها؛ تبع للروح، ليست الحياة للروح فقط؛ بل هي للروح والجسد تابع، عكس الحياة الدنيا؛ فإن الحياة فيك الآن للجسد والروح تبعٌ، فيألم الجسد فتألم الروح، وهكذا يسعد الجسد فتسعد الروح إلىٰ غير ذلك من التَّفصيل.

وأما بعد الحياة البرزخية يعني بعد الموت، فإن الموت حالة، صفة وُجدت أدَّت إلىٰ انفصال الروح علىٰ البدن، فصارت الروح بالموت لها حياة تخصُّها، وصار البدن بالموت له صفة تخصُّه، وبين هٰذا وهٰذا تعلُّق.

يدلُّكَ هٰذا علىٰ صحة ما اختاره أهل السنة لما دلتهم الأحاديث وظاهر القرآن من أن الموت صفة توجد وليس عدما محضًا، بل هو موجود له خصائصه، والموت بالآية مخلوق ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾، وقولهم: إن الموت والحياة هنا تَسَلَّط عليها فعل ﴿خَلَقَ﴾ فيكون بمعنىٰ التقدير، نقول: هٰذا غير مستقيم لأنه علل ذلك بعده بقوله ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وحُسن العمل إنما يكون بعد الوجود، ولهٰذا قدّم الموت علىٰ الحياة؛ لأنّ الموت يكون بعده الجزاء علىٰ حُسن العمل، ولما جاء في السنة من الأدلة.

**المسألة الثالثة**: إماتة الرب جل وعلا متعلقة بكل شيء، كما قال سبحانه: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[القصص:٨٨]، فكل شيء كُتب عليه الموت، فلا بد أن يموت، ﴿كُلُّ شَىْءٍ﴾ يعني مما حلته الحياة بالروح فلا بد أن يفنىٰ.

وهناك ما استُثني مما يموت وذلك في قوله جل وعلا: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾[الزمر]، والاستثناء هنا في قوله:

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ اختلف فيه أهل العلم علىٰ عدة أقوال ترجعون إليها في التَّفسير.

ومنها أن يكون المستثنىٰ أرواح الشهداء؛ لأن الشهداء أحياء بنص الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[آل عمران] الآيات في آل عمران، وهٰذا هو أظهر الأقوال؛ أنّ المستثنىٰ أرواح الشُّهداء، فيكون عموم قوله جل وعلا: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ علىٰ ظاهره في أنه سيهلك كل شيء إلا الرّب جل وعلا، وهٰذا قد جاء في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ إلىٰ قوله ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾[غافر]؛ لأنّ الرب جل وعلا إذا أمات الملائكة المقربين نادىٰ ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ﴾؟ ثم أجاب نفسه العلية بقوله جل جلاله: ﴿ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، ثم قال: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾[غافر].

وهٰذا يدلّ علىٰ أنّ المخلوقات جميعا ضعيفة محتاجة إلىٰ ربها، فكل من استحضر صفة الموت الذي سيحل به وسيحل أيضا بغيره من المخلوقات، فإنه يظهر له عظم الرب جل وعلا الذي يُمسك السَّمٰوات والأرض أن تزولا، وأنه ﷻ هو المحيي المميت، وأنّه جل وعلا هو الواحد الأحد الغني الكامل في صفاته ونعوت جلاله وعظمته.

وأمّا قول الطحاوي: (بَاعِثٌ بِلَا مَشقَّةٍ) فهٰذا فيه صفة البعث لله جل وعلا، وفي موضعه سيأتي إن شاء الله تعالىٰ ذكر مسائل البعث والنشور بتفصيلاتها.

قال بعدها: (مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ)، قوله: (مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ...) إلىٰ آخره، أراد به أنه جل وعلا لم يزل بصفاته؛ متَّصفًا بصفاته قبل أن يخلُق الخلق، فصفاته سبحانه ثابتة له قبل وجود المخلوقات المنظورة، التي تراها الآن، والتي لا تراها مما هو موجود، قال: (مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا) هٰذا فيه بحث مرّ معكم في اسم (القديم) أو في وصف الله جل وعلا بالقِدم.[1]

(لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ) تركيب هٰذه الجملة كالتالي: لم يزدد شيئا جلَّ وعلا من صفاته، لم يزدد شيئا بكونهم -يعني بوجودهم وإيجادهم وخلقهم- لم يزدد شيئا، وهٰذا الشيء وُصف أنه لم يكن قبلهم من صفته؛ يعني أنّ الرب جل وعلا ما ازداد شيئا لم يكن عليه سبحانه قبل أن يخلقهم؛ بل هو سبحانه بصفاته قبل أن يخلق الخلق وبعد أن خلق الخلق؛ لأنه لا يجوز أن يعطَّل الرب من صفاته؛ لأن تعطيل الرب من صفاته نقص، والله سبحانه متنزِّه عن النقص بأنواعه.

وهٰذا الكلام منه مع ما بعده متَّصل، ولذلك سنذكر ما يتعلق به من المسائل متتابعًا بعد بيان هٰذه

---

(١) انتهىٰ الشريط الثالث.

الجمل الآتية:

قال: (وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا) يعني أنّ صفات الرب جل وعلا كما أنه لم يزل عليها وهو أولٌ بصفاته وهو أيضا جل وعلا آخرٌ بصفاته ﷻ، فصفات الرب جل وعلا أبديَّة أزلية لا ينفكّ عنه الوصف في الماضي البعيد ولا في المستقبل، بل هو ﷻ لم يزدد بخلقه شيئًا، لا في جهة الأولية ولا في جهة الآخرية؛ بل هو ﷻ لم يزل بصفاته أولا سبحانه وآخرًا.

قال(لَيْسَ [بَعْدَ خَلْقِ الْخَلْقِ][1] اسْتَفَادَ اسْمَ (الْخَالِقِ=، وَلَا بِإِحْدَاثِ الْبَرِيَّةِ اسْتَفَادَ اسْمَ (الْبَارِي)) أراد بذلك أنه جل وعلا من أسمائه الخالق ومن صفاته الخلْق قبل أن يَخلق، فلم يصر اسمه الخالق بعد أن خلق؛ بل هو اسمه الخالق جل وعلا قبل أن يخلق، ولم يكن اسمه الباري بعد أن برأ الخليقة؛ بل اسمه الباري قبل أن يبرأ الخليقة.

لهٰذا قال بعدها: (لَهُ مَعْنَىٰ الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَىٰ الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقَ) وقبل أن يكون سبحانه خالقا للخلق؛ يعني قبل أن يكون ثَم مخلوق هو خالق، وقبل أن يكون ثَم مربوب هو جل وعلا هو الرب ﷻ.

قال: (وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَىٰ بَعْدَمَا أَحْيَىٰ اسْتَحَقَّ هٰذا الِاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ) فهو سبحانه المحيي قبل أن يكون ثم ميْت، قبل أن يميت الموتىٰ هو المحيي، وكذلك هو المستحق لاسم الخالق قبل إنشائهم (ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شيْءٍ قَدِيرٌ).

هٰذه الجمل مترابطة في الدلالة علىٰ المعنىٰ الذي ذكرته لك.

وهٰذا المعنىٰ الذي دلّ عليه كلام الطحاوي ترتبط به مسائل مهمة جدا بهٰذا الموضع، وهٰذا الموضع مما يظهر منه أنّ الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ خالف ما عليه أهل الحديث والأثر في هٰذه المسألة العظيمة، وذلك أنّ أصول هٰذه المسألة قديمة في البحث بين الجهمية وبين المعتزلة وبين الكلابية والأشاعرة وبين الماتريدية وبين أهل الحديث والأثر، والمذاهب فيها متعددة، لهٰذا نبيّن ما في هٰذه الجمل من مباحث علىٰ مسائل إيضاحًا للمقال.

**المسألة الأولى**: أنّ الناس اختلفوا في اتّصاف الله جل وعلا بصفاته: هل هو متَّصف بها بعد ظهور آثارها وأسماء الرب جل وعلا سمي بها بعد ظهور آثارها أم قبل ذلك؟ علىٰ مذاهب:

**المذهب الأول**: هو مذهب المعتزلة والجهمية ومن نحا نحوهم مِنْ أنّه جل وعلا لم يَصِرْ له صفات ولا أسماء إلا بعد أن ظهرت آثارُها، فلما خلق صارت له صفة الخلق، وصار من أسمائه الخالق، وذلك علىٰ أصلٍ عندهم وهو أن أسماء الله جل وعلا مخلوقة، فلما خلق سمّاه الناس الخالق، وخلق له اسم الخالق.

---

(١) هكذا قرأها الشيخ وهي تختلف عن نسخة قارئ المتن: منذُ خَلَقَ الخلْقَ.

فعندهم أنّ الزمان لما ابتدأ فيه الخلق أو الرَّزق أو الإنشاء صار بعده له اسم الخالق، وقبل ذلك لم يكن له هٰذا الاسم ولم تكن له هٰذه الصفات.

فقبل أن يكون ثَم سامع لكلامه فليس هو سبحانه متكلِّمًا، فلما خلق سامعا لكلامه خلق كلاما -عند المعتزلة والجهمية- فأسمعهم إياه، فصار له اسم المتكلِّم أو صفة الكلام لمّا خلق مَنْ يسمع كلامَه، كذلك صفة الرَّحمة علىٰ تأويلهم الذي يؤولونه أو أنواع النعم والمنعم والمحيي والمميت، كل هٰذه لا تطلق علىٰ الله -عندهم- إلا بعد أن وُجد الفعل منه، علىٰ الأصل الذي ذكرته لكم عنهم أن الأسماء عندهم والصفات مخلوقة.

**المذهب الثاني**: هو مذهب الأشاعرة والماتريدية ومذهب طوائف من أهل الكلام في أنّ الرب جل وعلا كان متّصفا بالصفات وله الأسماء، ولكن لم تظهر آثار صفاته ولا آثار أسمائه؛ بل كان زمنًا طويلا طَويلا معطلا عن الأفعال جل وعلا، له صفة الخلق وليس ثم ما يخلقه، له صفة الفعل ولم يفعل شيئا، له صفة الإرادة وأراد أشياء كونية مؤجلة غير منجزة وهكذا.

فمن أسمائه -عند هؤلاء- الخالق، ولكنه لم يخلق، ومن أسمائه عندهم أو من صفاته الكلام ولم يتكلم، ومن صفاته الرحمة بمعنىٰ إرادة الإنعام وليس ثم مُنعَم عليه، ومن أسمائه المحيي وليس ثَم من أحيىٰ، ومن أسمائه الباري وليس ثم برأ، وهكذا حتىٰ أنشأ الله جل وعلا وخلق جل وعلا هٰذا الخلق المنظور الذي تراه يعني الأرض والسَّمٰوات وما قصَّ الله في كتابه، ثم بعد ذلك ظهرت آثار أسمائه وصفاته، فعندهم أن الأسماء والصفات متعلقة بهٰذا العالم المنظور أو المعلوم دون غيره من العوالم التي سبقته.

وقالوا هٰذا فِرارا من قول الفلاسفة الذين زعموا أن هٰذا العالم قديم، أو أن المخلوقات قديمة متناهية أو دائمة من جهة الأولية؛ من جهة القدم مع الرب جل وعلا.

**والمذهب الثالث**: هو مذهب أهل الحديث والأثر وأهل السنة؛ أعني عامَّة أهل السنة، وهو أنّ الرب جل وعلا أولٌ بصفاته، وصفاته ﷻ قديمة، يعني هو أوّل ﷻ بصفاته، وأنّه سبحانه كان من جهة الأولية بصفاتِه -كما عبر الماتن هنا بقوله: (**كَانَ بِصِفَاتِهِ**)- وأنّ صفات الرب جل وعلا لابد أن تظهر آثارها؛ لأنه سبحانه: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾، والرب جل وعلا له صفات الكمال المطلق، ومن أنواع الكمال المطلق أنْ يكون ما أراد ﷻ، فما أراده كونا لابد أن يكون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

ومن مذهب أهل السنة والحديث والأثر أنّه سبحانه يجوز أن يكون خلق أنواعًا من المخلوقات وأنواعا من العوالم غير هٰذا العالم الذي نراه، فجنس مخلوقات الله جل وعلا أعمّ من أن تكون هٰذه المخلوقات الموجودة الآن، فلا بد أن يكون ثَم مخلوقات أَوْجدها الله جل وعلا وأفناها ظهرت فيها آثار أسمائه وصفاته جل وعلا، فإن أسماء الرب جل وعلا وإنّ صفات الرب جل وعلا لابد أن يكون لها أثرُها؛ لأنه سبحانه: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾، فما أراده سبحانه فعله، ووصف نفسه بهٰذه الصفة علىٰ صيغة

المبالغة الدالة علىٰ الكمال بقوله: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[1]، فما أراده سبحانه كان، وهٰذا متسلسل -كما سيأتي بيانه- في الزمن الأول، يعني في الأولية وفي الآخرية فهو سبحانه (**كَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا**).

وهٰذا منهم -يعني من أهل الحديث والأثر والسنة- هٰذا القول منهم لأجل إثبات الكمال للرَّب جل وعلا.

وقول المعتزلة والجهمية فيه تعطيل للرب عن أسمائه وصفاته؛ يعني أنّ الله جل وعلا كان بلا صفات وبلا أسماء، وأنه لما فعل وُجدت صفات الرب جل وعلا، وهٰذا نسبة النقص للرب جل وعلا؛ لأنّ الصفات هي عنوان الكمال، والله ﷻ كمالاته بصفاته.

وأمّا قول الأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم، هٰذا أيضا فيه وصف الرب جل وعلا بالنقص؛ لأن أولئك يزعمون أنه متّصف ولا أثر للصفة.

ومعلوم أن هٰذا العالم المنظور الذي تعلقت به عندهم الأسماء والصفات، هٰذا العالم إنما وُجد قريبا، فوجوده قريب وإن كانت مدته أو عمره طويل لكنه بالنسبة إلىٰ الزمن بعامة -الزمن المطلق- لا شك أنه قريب لهٰذا قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه علىٰ الماء**» جل وعلا فالتقدير كان قبل أن يخلق هٰذه الخلائق قبل أن يخلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، وهي مدة محدودة، والله جل وعلا لا يحدّه زمان، فهو أول ﷻ ليس قبله شيء جل وعلا، وفي هٰذا إقرار لأنه من جهة الأولية يتناهىٰ الزمان في إدراك المخلوق، وننقل من الزمان المنسوب إلىٰ الزمان المطلق، وهٰذا تتقاصر عقولنا عنه وعن إدراكه، وأما هٰذا العالم المنظور فإنه محدَث وحدوثه قريب.

ولهٰذا نقول: إنّ قول الآشاعرة والماتريدية بأنه كان متصفا بصفات وله الأسماء، ولكن لم تظهر آثارها ولم يفعل شيئا أن بعد وجد هٰذا العالم، نقول معناه أن ثم زمانا مطلقا طويلا طويلاً جدا ولم يكن الرب جل وعلا فاعلا، ولم يكن لصفاته أثر ولا لأسمائه أثر في المربوبات، ولا بد أن الله جل وعلا له ﷻ من يعبده جل وعلا من خلقه، ولا بد أن يكون له جل وعلا مخلوقات؛ لأنه سبحانه ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، وهٰذه صفة مبالغة مطلقة في الزمن كله؛ لأن (ما) اسم موصول وأسماء الموصول تعمّ ما كان في حيّز صلتها.

بقي أنْ يُقال: إن قولهم: (أراد ولكن إرادته كانت معلقة غير منجزة)، ونقول: هٰذا تحكّم؛ لأن هٰذا مما لا دليل عليه إلا الفرار من قول الفلاسفة ومن نحا نحوهم بقدم هٰذا العالَم المنظور، وهٰذا الإلزام ولا يلزم أهل الحديث والسنة والأثر؛ لأننا نقول إن العوالم التي سبقت هٰذا العالم كثيرة متعددة لا

---

(١)هود:١٠٧، البروج:١٦.

نعلمها، الله جل وعلا يعلمها.

وهٰذا ما قيل: إنه يسمىٰ بقِدم جنس المخلوقات، أو ما يسمىٰ بالقِدم النوعي للمخلوقات، وهٰذه من المسائل الكبار التي نكتفي في تقريرها بما أوردنا لكَ في هٰذا المقام المختصر.

المهم أن يتقرر في ذهنكَ أن مذهب الحديث والأثر في هٰذه المسألة لأجل كمال الربّ جل وعلا، وأن غير قولهم فيه تنقّص للرّب جل وعلا بكونه معطَّلا عن صفاته أو لكونه ﷻ معطلا أن يفعل وأن تظهر آثار أسمائه وصفاته قبل خَلْق هٰذا العالم المعلوم أو المنظور.

**المسألة الثانية**: أنّ الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ كأنّه يميل إلىٰ المذهب الثاني؛ وهو مذهب الماتريدية، وهٰذا من أغلاط هٰذه العقيدة التي خالف فيها مؤلفها منهج أهل الحديث والأثر، هٰذا ظاهر كلامه كما اعترف به الشَّارح، ومن شرح هٰذه العقيدة من الماتريدية قرّروا هٰذا الكلام علىٰ أن كلامه موافق لكلام أبي منصور الماتريدي والأشعري ومن نحا نحوهم.

**المسألة الثالثة**: متصلة بهٰذا البحث، وهٰذا البحث من أصعب المباحث التي ستعرض لك في شرحنا لك لهٰذه العقيدة، لكن نعرضها بشيء من الوضوح والاختصار، وهو ما يسمىٰ **بمسألة التسلسل**.

**والتّسلسل**: معناه أنه لا يكون شيء إلا وقبله شيء ترتَّب عليه، أو لا يكون شيء إلا بعده شيء ترتب عليه.

والتّسلسل علىٰ اعتبارات:

**فالجهة الأولىٰ المعتبرة في بحث التّسلسل صفات الرب جل وعلا**: وللناس في التسلسل المتعلق بصفات الرب جل وعلا مذاهب:

الأول: من قال: إنّ الرب جل وعلا يمتنع تسلسل صفاته في الماضي، ويمتنع تسلسل صفاته في المستقبل، فلا بد من أمد يكون قد ابتدأ في صفاته أو قد ابتدأت صفاتُه، ولا بد أيضا من زمن تنتهي إليه صفاته، وهٰذا هو قول الجهمية -والعياذ بالله- وقول طائفة من المعتزلة كأبي الهذيل العلاَّف وجماعة منهم.

الثاني: التسلسل في الماضي ممتنع، والتسلسل في المستقبل لا يمتنع، يعني أنّ الاتصاف بالصفات لا بد أن يكون له زمن ابتدأ فيه، وهٰذا الزمن قريب من خلق هٰذا العالَم الذي تعلّقت به الأسماء والصفات أو الذي ظهرت فيه آثار الأسماء والصفات، في المستقبل هناك تسلسل في الصفات يعني عدم انقطاع للصفات، وهٰذا هو قول أهل الكلام والأشاعرة والماتريدية.

القول الثالث: المذهب الثالث؛ مذهب أهل السنة والحديث وهو أنّ التَّسلسل ثابت في الماضي وثابت في المستقبل، وثبوته في الماضي غير متعلق بخَلقٍ تتسلسل فيهم الصفات وتظهر فيهم آثار الصفات، بل يجوز أو نقول: بل تتنوع التعلقات باختلاف العوالم، وفي المستقبل يعني في الآخرة هو جل وعلا آخر بصفاته ﷻ، فهناك تسلسل في جهة المستقبل.

مقتضىٰ القسمة أن يكون ثَم قسم رابع: وهو أنه لا تسلسل في المستقبل وهناك تسلسل في الماضي، هٰذا مقتضىٰ السبر والتقسيم في القسمة، وهٰذا لا قائل به من المذاهب المعروفة، يعني لا يعرف أنّ أحدا قال بهٰذا القسم.

إذا تبين لك ذلك، فإن هٰذه المسألة بُحثت أولا -مسألة التسلسل- قبل بحث المسألة الأولىٰ التي ذكرناها لكم من جهة مذاهب الناس في الصفات وتعلقها بالخلق؛ يعني ثلاثة المذاهب التي ذكرناها، فلما بُحث التسلسل نتج منه البحث الأول، لهٰذا إذا أردت أن تفهم جهة التسلسل تفهم أثرها الذي ذكرته لك في الأول؛ لأن كُلاًّ من هاتين المسألتين مرتبطٌ بالمسألة الأخرىٰ.

**الجهة الثانية من الاعتبار تسلسل المخلوقات**: تسلسل في صفات الخالق ذكرناه، والجهة الثانية من الاعتبار التسلسل في المخلوقات، و التسلسل في المخلوقات للناس فيه مذهبان فيما أعلم:

الأول: تسلسل في الماضي، وهٰذا ممتنع عند عامة الناس إلا الفلاسفة الذين قالوا: إنه لا عالَم إلا هٰذا العالم، وأن هٰذا العالم لم يزل في الماضي، وأنه ما من عِلَّة فيه إلا وهي مؤثّرة لمعلولٍ فيه أيضا، وأن هٰذا العالم ترتَّب التسلسل فيه الآخر عن الأول والثاني عما قبله وليس ثم غيره.

نقول: إنَّ هٰذا من هٰذه الجهة عامة الناس عدا الفلاسفة علىٰ ما ذكرنا، يعني اتفق عليها معتزلة وأهل السنة علىٰ أنّ التسلسل؛ تسلسل المخلوقات في الماضي أنه ممتنعٌ إلا قول الفلاسفة.

والفلاسفة كما هو معلوم من قالوا بهٰذا القول خارجون عن الملة؛ لأنهم يرون قِدم هٰذا العالم مطلقًا، وأن المؤثر فيه الأفلاك في علل مختلفة يبحثونها.

المذهب الثاني: في المستقبل التَّسلسل في المخلوقات غير ممتنع عند الجمهور، إلا في خلاف جهم وبعض المعتزلة في أنّ تسلسل الحركات والمخلوقات في المستقبل أيضا ممتنع وأنهم لا بد أن يصيروا إلىٰ عدم أو إلىٰ عدم تأثير؛ إمّا عدم محض أو عدم تأثير.

**الجهة الثالثة في الاعتبار في التسلسل؛ تسلسل الأثر والمؤثر والسبب والمسبَّب والعلة والمعلول**: وهٰذا لابد من النظر فيه وأيضا نقول: أشهر المذاهب فيه اثنان:

الأول: مذهب نفاة التعليل والعلل والأسباب الذين يقولون: لا أثر لعلة في معلولها، ولا أثر لسبب في مسبّب، وإنما يفعل الله جل وعلا عند وجود العلة لا لكونها علة، وهٰذا هو مذهب نفاة التعليل، كقول الأشاعرة، القدرية، وابن حزم، وجماعة.

الثاني: أن الأسباب تنتج مسبباتها ويتسلسل ذلك، وأنّ العلة تنتج معلولها ويتسلسل ذلك يعني جوازا، ولكن ذلك كله بخلق الله جل وعلا له، وأنّ التسلسل في الآثار ناتجا عن مؤثرات ليس لذاتها؛ بل لسنة الله جل وعلا التي أجراها في خلقه ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾[فاطر].

**المسألة الرّابعة**: قوله: (**وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَلِكَ لا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا**)، وهٰذا القول في قوله: (**كَانَ بِصِفَاتِهِ**) هٰذا حق؛ لأن أهل السنة يعبرون عن الله جل وعلا بأنه ﷻ بصفاته، فيعبرون بالباء

المقتضية للمصاحبة؛ لأن الله جل وعلا لن تنفكّ عنه صفاته، (وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ) ﷻ فلم يكن ﷻ ولا صفة؛ بل كان بصفاته، والباء هنا للمصاحبة؛ يعني أنه ﷻ كان أزليًّا بصفاته التي هو جل وعلا موصوف بها.

والمعتزلة وأشباههم يعبِّرون في مثل هٰذه المسائل عن الصفات بالواو، فيقولون: الله وصفتُه، الله وعلمه، والله وقدرته، والله وحِلمه، الله ورحمته، الله وقهره، وهكذا، فيعبرون بالواو؛ لأن الصفة عندهم منفكّة عن الموصوف، فعندهم الصفة غير ملازمة للموصوف وليست قائمة به.

ولهٰذا بحث الشارح عندك مسألة هل الصفات غير الذات؟ والاسم هل هو عين المسمىٰ ونحو ذلك عرض لذلك فيما تستفيده من بحثه لأنه نوع من الاستطراد.

ولكن ننبهك لقوله: (كَانَ بِصِفَاتِهِ) هو الاستعمال الذي يستعمله أهل السنة، ولا نقول: الله جل وعلا وقدرته، فإن الله فَعَل وقدرته مثلا، أو نقول: الله جل وعلا وعلمه، فاستعمال الواو في هٰذا المقام لا يسوغ؛ بل تُستعمل الباء، نقول الله جل وعلا بعلمه، الله ﷻ بقدرته؛ لأن الباء تدل علىٰ المصاحبة؛ لأن هٰذه الصفات قائمة بذات الرب جل وعلا.

قوله: (أَزَلِيًّا) مرّ معنا في بحث وأنه منحوت من كلمة (لم يزل).

**المسألة الخامسة**: قوله في آخر الكلام: (ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ شَيْءٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ].) هٰذا تعليل لما مرّ (ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) علىٰ إحياء الموتىٰ وعلىٰ إفنائهم، وعلىٰ رَزْق المخلوقات وجميع ذلك.

وقوله: (ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) تتعلق به المسألة الخامسة هٰذه، وهي أنّ أهل السنة يجعلون قدرة الرب جل وعلا متعلقة بكل شيء، واسم الله القدير متعلق بكل شيء، وقدرة الله جل وعلا غير محصورة؛ بل هو سبحانه قادر علىٰ ما شاء وعلىٰ ما لم يشأ جل وعلا، وهٰذا هو مذهب أهل الحديث والسنة، وبه جاء القرآن العظيم وكلّ ما في القرآن تعليق القدرة بكل شيء، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] ﴿[وَكَانَ ][2] ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾[الكهف]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ ﴾[النساء]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾[3] ونحو ذلك من الآيات التي فيها تعليق القدرة بكل شيء.

أهل البدع وأهل الكلام يعلّقون القدرة بما يشاؤه الرب جل وعلا فيقولون: تعلق قدرة الرب جل وعلا بما يشاؤه، ولذلك ترىٰ أنهم يعدلون عما جاء في القرآن، بقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ إلىٰ

---

(١) البقرة:٢٨٤، آل عمران:٢٩، ١٨٩، المائدة:١٧، ١٩، ٤٠، الأنفال:٤١، التوبة:٣٩، الحشر:٦.

(٢) الشيخ قال: إنّ الله كان .

(٣) البقرة:٢٠، ١٠٩، ١٤٨، آل عمران:١٦٥، النحل:٧٧، النور:٤٥، العنكبوت:٢٠، فاطر:١.

قولهم: والله علىٰ ما يشاء قدير. لأن القدرة عندهم متعلقة بما شاءه الله وليست متعلقة بما لم يشأه، فعندهم قدرة الله تتعلق بما شاء أن يحصل، أما ما لم يشأ أن يحصل فإنه لا تتعلق به القدرة، فإذا قيل هل الله قادر علىٰ أن لا يوجد إبليس؟ فيقولون: لا؛ غير قادر. هل الله قادر علىٰ أن لا توجد السَّمٰوات؟ يقولون: لا، غير قادر. لأنّ القدرة عندهم متعلقة بما شاءه جل وعلا، وما لم يشأه في كونه وفي ملكوته مما لم يحصل بعد أو مما حصل خلافه فإنّ القدرة غير متعلقة به، فلذلك يقول قائلهم: ليس في الإمكان أبدع مما كان. لأن القدرة عندهم متعلقة بما شاءه الله جل وعلا.

وهٰذا القول باطل بوضوح وذلك لدليلين:

**أما الأول**: فإن الذي جاء في القرآن كما ذكرنا لك، تعليق القدرة بكل شيء في الآيات التي ذكرتُ لكم طرفا منها.

**الثاني**: أن الله جل وعلا قال في سورة الأنعام ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[الأنعام:٦٥]، ولما نزلت هٰذه الآية تلاها عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال عليه الصلاة والسلام «**أعوذ بوجهك**» ثم تلا ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ فقال عليه الصلاة والسلام: «**أعوذ بوجهك**»، ثم تلا ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال عليه الصلاة والسلام: «**هٰذه أهون**»، والله جل وعلا لم يشأ أن يبعث علىٰ هٰذه الأمة عذابا من فوقها أو من تحت أرجلها، فيهلككم بسَنَة بعامّة، بل جعل بينهم بأسهم شديد، لحكمته ﷻ العظيمة العليّة، فدلّت الآية علىٰ أنّ قدرة الله جل وعلا تتعلق بما لم يشأ أن يحصل ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾، وهٰذا لم يشأه الله جل وعلا، ومع ذلك تعلقت به القدرة، وهٰذه من الكلمات التي يكثر عند أهل العصر استعمالُها فيتنبّه أنها من آثار قول الاعتزال.

في بعض الأحاديث جاء: «**والله علىٰ ما يشاء قادر**» و«**إني علىٰ ما أشاء قادر**» وهٰذا الجواب عنه معروف بأنه متعلق بأشياء مخصوصة، وليست تعليقا للقدرة بالمشيئة، أو أن يقال: قدرته علىٰ ما يشاء لا تنفي قدرته علىٰ ما لم يشأ جل وعلا.(١)

نكتفي بهٰذا القدر، وأسأل الله جل وعلا لي ولكم التوفيق والسّداد.

في هٰذا القدر كفاية وإن شاء الله نلتقي في الأسبوع القادم إن شاء الله وفقكم الله جميعا(٢)

---

(١) قال الشيخ الألباني في السلسة الصحيحة برقم ٣١٢٩ الذي فيه (ولكني علىٰ ما أشاء قادر- وفي رواية- قدير) وانظر.(المجلد ٧ص٣٤٦-٣٥٣).

(٢)انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الرابع.

## الدَّرسُ السَّادِسُ

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ. وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا. وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا.

وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ.

وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

وَكُلُّ شيْءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِهِ وَمَشيئَتِهِ، وَمَشيئَتُهُ تَنْفُذُ لَا مَشيئَةَ لِلْعِبَادِ إِلَّا مَا شاءَ لَهُمْ، فَمَا شاءَ لَهُمْ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشأْ لَمْ يَكُنْ.

يَهْدِي مَنْ يَشاءُ، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلًا، وَيُضِلُّ مَنْ يَشاءُ، وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي عَدْلًا.

وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ.

وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ.

لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ.

آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ.

---

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ إلٰه وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد..

فأسأل الله جل وعلا أن يعيذني وإياك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن عين لا تدمع ومن دعوة لا يستجاب لها.

اللّٰهمَّ إنا نعوذ بك أن نزل أو نزل أو نضل أو نضل أو نجهل أو يجهل علينا، اللّٰهمَّ فأعذنا.

شرع الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في ذكر بعض صفات الرَّبِّ جل وعلا المتعلقة بقَدَرِهِ السَّابق، وبمشيئته العامة، وأنه سبحانه ذو العلم الكامل المطلق الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه، وأنه سبحانه الذي أجرىٰ كل شيء أراده علىٰ وفق ما أراد، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وهٰذه المسائل التي سمعتم والجمل متّصلة ببحث القدر، والمؤلف الطحاوي لم يجمع الكلام في القدر في موضع واحد؛ بل فرّقه في نحو ثلاثة واضع.

ولهٰذا كان من عيوب هٰذه الرسالة أنها جرت علىٰ وفق ما تيسَّر لمؤلفها، والترتيب ينفع المتلقِّي لكن بالنسبة لنا سنجري علىٰ وفق ما جرىٰ هو عليه، ونذكر ما يفيد إن شاء الله في كل موضعٍ بحسبه.

قال هنا: (خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ. وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا. وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا.)

أما قوله: (﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ].) تكلمنا عنها في أول المقام، (وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ شَيْءٍ) واضحة مع ما سبق إن شاء الله.

قال: (خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ) هو سبحانه خلق المخلوقات عالما بها غير جاهل بما هي عليه ومتىٰ يؤول إليها أمرها.

وأورد هٰذه الجملة الطحاوي مخالفا أهل الاعتزال الذين لا يجعلون العلم مصاحبًا لصفات الله جل وعلا ولأفعاله، وعِلْمُ الله ﷻ صفة ملازمة، هو ﷻ عالم بعلمٍ، وخالق بعلمٍ، وقادر بعلم، ورحيم بعلمٍ، يرحم من يشاء عن علمٍ، وهٰذا العلم هو صفته جل وعلا الملازمة له لا تنفكّ عنه، وعلمه سبحانه أوّل قبل خلق الخلق كان عالما، بما يصلح لهم وما تقتضيه حكمته فيهم، لهٰذا قال: (خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ) ففي هٰذا رد علىٰ المعتزلة من جهة الصفات.

وفيه ردّ أيضا علىٰ القدرية أعني بهم الذين ينفون علم الله السابق القدرية الغلاة؛ نفاة القدر الذين يقولون: إن العلم حدث بعد وجود الأشياء فهو سبحانه علم بعد وقوع الأشياء، فخلق الخلق ففعل الناس فعلم جل وعلا ذلك، واستدلوا علىٰ هٰذه النِّحلة بقوله جل وعلا: ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ﴾ [المائدة:٩٤]، وبقوله جل وعلا في تحويل القبلة: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ﴾[البقرة:١٤٣]، ونحو ذلك من الآيات التي فيها تعليل بعض الأحكام الكونية أو الأحكام الشرعية وحصول الأشياء بأن يعلم الله جل وعلا ذلك، (ذلك ليعلم) قال جل وعلا في هٰذه الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ فزعموا أنّ هٰذه الآيات وأشباه هٰذه الآيات تدلّ علىٰ أنه جل وعلا لا يعلم الأشياء إلا بعد أن تقع.

وأهل السنة مثبتون لعلم الله جل وعلا الكلي بالأشياء، ولعلم الله جل وعلا التفصيلي بأجزاء الأشياء وحوادثها المفردة، وإذا عُلِّل شيء في القرآن أو في السنة (لكي يعلم الله جل وعلا ذلك الشيء) فإن معناه عندهم بما دلت عليه الأدلة معناه حتىٰ يظهر علم الله في الأشياء في هٰذه الأمور ليقع حسابُه وليقع تعذيبه أو تنعيمه أو نحو ذلك، يعني إظهار ما تنقطع به الحجة، فقوله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ يعني إلا ليظهر علمنا فيمن اتَّبع الرسول ممن انقلب علىٰ عقبيه؛ لأنّ الله جل وعلا لو آخذ العباد، آخذهم وحاسبهم علىٰ علمه السابق فيهم لكان لهم حجة، فهو سبحانه جعل هٰذه الأشياء مع علمه السابق بما سيفعله السَّابق في العباد لكي يظهر علمه فيهم، فجاء إذن هنا (لكي) في قوله: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ حتىٰ يظهر العلمُ فيكون ذلك حجة علىٰ الناس.

وهٰذا ظاهر بين أن علم الله ﷻ للأشياء قبل وقوعها، قال سبحانه ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾[الحج:٧٠]، هٰذا وفي الآية الأخرىٰ ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾[العنكبوت:٥٢]، وهٰذا يدلك علىٰ أن الله ﷻ عَلِم قبل الكتابة، والكتابة متأخرة علىٰ العلم.

وهٰذا الذي يجعلنا نقول: إنّ علم الله جل وعلا أول بالأشياء، وهنا يقيَّد ذلك بعلم الله جل وعلا فيما أراده سبحانه، فإذا أراد الله جل وعلا شيئا علم تفصيلاته، وخلق المخلوقات وخلق الأشياء بعلمه؛ يعني علىٰ وَفق علمه ﷻ بها، وهو عالم بها غير جاهل بها.

ولهٰذا قرأتم أو قرأ بعضكم ما في مناظرات المعتزلة مع أهل السنة في أن المعتزلة يقولون في أسماء الله جل وعلا: إنه سبحانه مثلا عالم بغير علم، وخالق بغير خلق، وحيّ بغير حياة، وهكذا، يجعلون الصفات مخلوقات منفصلة فعندهم العلم هو المعلومات، فتعلقت الصفات التي يثبتونها بالمعلوم فصار عالمًا، لا لعلم حدث فيه، وذلك فرارا منهم من مسألة حدوث مفردات العلم؛ لأنّ العلم له مفردات وإذا حلت المفردات -يعني علم هٰذه-، معناه أنه حل به علم بهٰذا الشيء الذي حصل، أو تعلق به خَلْق هٰذا الشيء، فكأنه جل وعلا صارت له صفة لم تكن له من قبل، وهٰذا يستلزم التركيب، والتركيب يستلزم الجسمية، والجسمية تنافي ألوهية الرب جل وعلا كما هو مقرر في موضعه.

المقصود أن قوله: (خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ) ظاهر، معناه أنه خلق سبحانه المخلوقات وهو عالم بها، وهو جل وعلا عَلِم قبل خلقها، وأيضا يعلمها بعد خلقها.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا) يعني قدّر للخلق أقدارا، وذلك لقول الله جل وعلا: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[القمر]، ولقوله سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾[الفرقان]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أيضا: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾[الأعلىٰ]، والإيمان بقدر الله جل وعلا هٰذا ركن من أركان صحة الإيمان، فهو واجب لأن التكذيب به باطل كما سيأتي مفصلا في موضعه.

فقول المؤلف: (وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا) يعني أنه جعل للمخلوقات أقدارا لا تحصِّل المخلوقات ما هي عليه بلا ترتيب سابق، بلا تقدير سابق، وهٰذا يشمل أشياء؛ يعني تقدير الأقدار لهم يشمل أشياء:

الأول: تقدير ما به تمام خلقهم، فإن الله جل وعلا قدّر لكل مخلوق خِلقة يكون عليها، ووصوله إلىٰ غاية هٰذه الخِلقة أيضا يحتاج إلىٰ تقدير، فالجنين لا يخرج من بطن أمه إلا وقد سبقه تقدير تفصيلي لكل المراحل التي سيمر بها وما يعرض له من كمال أو نقص، كما قال جل وعلا: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾[الرعد].

الثاني: أن مقادير المخلوقات مقدرة في الصفات التي تكون عليها المخلوقات من الغرائز والأحوال التي يسميها الآخَرون الأعراض، فكل الأعراض التي تعرض علىٰ الذوات الله جل وعلا قدّرها، فقدّر الألوان بتفصيلاتها، وقدّر الصفات من الحرارة واليبوسة، وقدر الذكاء، وقدر تفصيلات الحياة التي في المخلوق بجميع أحواله، سواء المخلوقات التي حياتها بالروح، أو المخلوقات التي حياتها بالنماء، أو المخلوقات الجامدة عن الحركة الظاهرة.

الثالث: قدّر الله جل وعلا علىٰ المكلَّفين من مخلوقاته ما هم عليه من الشقاوة ومن السّعادة ومن الهدىٰ ومن الضَّلال، ولهٰذا قال: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾[الأعلىٰ]، فرتّب الهداية بعد التقدير لأنه عنىٰ بالتقدير هنا المرتبتين الأوليين؛ لأنه جعلها بعد قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ يعني جعل الخلق علىٰ نهايته يعني سواه، يعني جعله علىٰ نهايته المقدَّرة له، ثم قال: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ يعني لما خلق من الأشياء الغريزية والخلقية فهٰذا للطريقين.

**إذا تبيَّن لك ذلك** فالله ﷻ قدّر للأشياء المقادير، وتعبير المؤلف بقوله: (وَقَدَّرَ لَهُمْ) هٰذا مناسب من لو قال: قدر عليهم أقدارًا. لأن تقدير لهم يشمل ما سيكونون عليه من خير أو شر.

إذا تبين هٰذا ففي قوله: (وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا) مسائل:

**الأولى**: القَدَر معناه في **اللغة**: تهيئة الشيء لما يصلح له. فإذا هيأت شيئا لما يصلح له فقد قدرته، وتقول أُقَدِّر أن يكون كذا وكذا، يعني هيأت هٰذا الأمر علىٰ أن يكون كذا وكذا، فتكون داخلا في الأمر بتقدير إذا دخلت فيه بتهيئة، وهٰذا هو المعنىٰ اللغوي العام، كما قال سبحانه: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾[فصلت]، والآيات في هٰذا كثيرة ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾[الرعد]، ونحو ذلك.

أما في **الشرع** فالقدر: سرّ الله جل وعلا الذي لم يُطْلِع عليه أحدًا، لم يطلع عليه ملكا مقربا، ولم يطلع عليه نبيا مرسلا، بل هو سر الله جل وعلا، لا يعلمه علىٰ وجه الكمال أحد.

وتعريف القدر اختلف فيه الناس، وحتىٰ تعريفه عند المنتسبين للسنة مختلف، لكنه عُرِّف بتعريف أُخذ من مراتب القدر التي جاءت الأدلة علىٰ مفرداتها.

فقيل في تعريف القدر عند أهل السنة: **إنه علمُ الله السابق بالأشياء قبل وقوعها، وكتابته لذلك في اللوح المحفوظ قبل خلقها وإيجادها، ومشيئته النَّافذة الشاملة، وخلقه جل وعلا لكل ما قدَّر، أو خلقُه جل وعلا لكل شيء.**

وهٰذا يشمل المراتب جميعا، وسيأتي ذكر مراتب القدر ودرجاته في موضعه فيما نستقبل من هٰذه الرسالة.

**المسألة الثانية**: أنّ القدر لما كان هٰذا أول موضع فيه يجب أن يبحث من جهة النصوص فقط؛ لأن النبي ﷺ صحّ عنه أنه قال: «**إذا ذُكر القدر فأمسكوا**» يعني فأمسكوا عن الخوض فيه بما لم يدلكم عليه كلام الله جل وعلا أو كلام نبيكم عليه الصلاة والسلام، فإذا تكلمنا في القدر أو خاض المرء فيه بعقله وفهمه فيجب أن لا يتعدىٰ ما دلت عليه النصوص، وذلك لأن تجاوز ما دلت عليه النصوص في باب القدر بسببه ضلّ الناسُ، وهٰذا الخوض يسبِّب الضلال إذا تعرّض لأمور؛ يعني إذا تعرض الناظر لأمور تسبب له الضلال في القدر:

♦ **الأمر الأول**: الخوض في أفعال الله جل وعلا بالتعليل، إذا خاض في أفعال الله جل وعلا بالتَّعليل الذي يظهر له دون حجة فإنه يضل، لأنّ أفعال الله جل وعلا صفاتُه ﷻ، وهي مرتبطة عندنا بعلل توافق حكمة الربّ جل وعلا، والمخلوق لا يفهم من تعليل الأفعال إلا بما أدركه أو بما يصل إليه إدراكه، بما أدركه يعني يرىٰ مثيله، علل هٰذا بهٰذا لأنه مرّ عليه، أو أدركه بما شاهد، أو أنَّه يصل إليه إدراكه بالمعلومات المختلفة التي يقدّرها.

وقد قدمنا لكم أنّ الأساس في صفات الله جل وعلا أنه لا يُدرَك كيفية الاتصاف بالصِّفات، كما لا

يدرك كمال معرفة حكمة الله ولا كمال التعليل، ولهٰذا من خاض في التعليلات في الأفعال بالعلل فإنه لابد أن يخطئ إذا تجاوز ما دل عليه الدليل. والعلل قسمان: علل كونية وعلل شرعية.

وأفعال الله معلّلة لاشك، أفعال الله في ملكوته معللة، وأفعال الله جل وعلا في شرعه -يعني أحكام الله جل وعلا في الشرعية- معللة في الغالب، يعني الشرعيات في الغالب معللة.

إذا تبين لك ذلك فإن الخوض في التعليلات، في الأفعال بالعلل هو سبب ضلال الفرق المختلفة في باب القدر، هو سبب ضلال القدرية المشركية، وهو سبب القدرية الغلاة النافية للعلم، وهو سبب ضلال القدرية المتوسطون أو المعتزلة؛ لأنّ الفرق الرئيسَة في القدر ثلاث كما سيأتي بيانه:

**قدرية مشركية** ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾[الأنعام:١٤٨].

**وقدرية غلاة نفاة العلم** الذين قالوا: إن الأمر أنف ولا يعلم الأشياء.

**وقدرية متوسطة** وهم المعتزلة في باب القدر الذين لم ينفوا كل مراتب القدر، لم ينفوا العلم السابق كما سيأتي تفصيله في موضعه.

وكل هٰذه الفرق خاضوا في مشيئة الله وإرادته والتعليلات بعقولهم، فلما لم يفهموا التعليل ضلوا، كما قال شيخ الإسلام في «تائيته القدرية»:

وأصلُ ضلالِ الخَلْقِ مِنْ كُلِّ فِرقَةٍ ... هو الخوضُ فِي فعْلِ الإلهِ بعلَّةِ

فإنَّهمُو لم يَفْهَمُوا حِكْمَةً لَهُ ... فصاروا علىٰ نَوْعٍ مِنَ الجاهليَّةِ

فإذن الأمر الأول من أسباب الضلال في هٰذا الباب الخوض في الأفعال، لِمَ أغنىٰ؟ ولِمَ أفقر؟ ولِم أصحّ؟ لِمَ خلَقَ هٰذا الشيء علىٰ هٰذا النحو؟ لِم أعطىٰ؟ لِم شرع؟ لِم جعل هٰذه الأمة كذا وهٰذه الأمة كذا؟ لِم جعل الأرض كذا؟ لِم جعل الجنة كذا؟ لِم جعل مصير هٰذا كذا؟ إلىٰ آخره، كل هٰذا إذا خاض فيه العبد فإنه باب ضلال؛ لأنّ القدر سرّ الله جل وعلا.

♦ **الأمر الثاني**: مما لا يخاض فيه في باب القدر قياس أفعال الله جل وعلا علىٰ أفعال المخلوقين، أو جعل ميزان تقدير الله علىٰ وجه الكمال والصحة هو ميزان تقدير المخلوقين، فإن العباد إذا نظروا في فعل المخلوق وفي تقديره وتصرفاته فإنهم يجعلون الصواب والكمال في حق المخلوق علىٰ نحوٍ ما، فإذا نقلوا هٰذا الذي أدركوه في المخلوق إلىٰ فعل الله جل وعلا فإنه أتىٰ باب كبير من أبواب الضلال؛ يعني حصل باب كبير من أبواب الضلال.

كما حصل للقدرية من المعتزلة وأشباههم، فإنهم قاسوا أفعال الله بأفعال خلقه، فأوجبوا علىٰ الله جل وعلا فعل الأصلح بما عهدوه من فعل الإنسان، وأوجبوا علىٰ الله جل وعلا العدل ونفوا عنه الظلم بما عهدوه من فعل الإنسان، ولهٰذا قالوا: إن الله جل وعلا يجب عليه فعل الأصلح، وأنه يَحسن في فعل الله كذا، ويقبح كذا، فما حسّنته عقولهم بما رأوه في البشر حسنوه في فعل الله، وما قبّحته عقولهم من أفعال المخلوقين قبّحوه في فعل الله، فنفوا أشياء عن الله جل وعلا ثابتة له لأجل هٰذه المسائل الثلاثة التي

ذكرتها لكم:

- مسألة التحسين والتقبيح.
- مسألة الصَّالح والأصلح.
- ومسألة الظلم والعدل.

فهٰذه المسائل الثلاث هي أعظم أبواب الضلال القدرية، ولهٰذا يجب أن لا يدخل فيها المكلَّف إلا بما دلت عليه النصوص، والأصل في هٰذا أن الله سبحانه لا يشبَّه في خلقه في أفعاله ولا في صفاته، كما قال سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ].

♦ **الأمر الثالث**: مما ينبغي مراعاته في بحث القدر وإذا قرأت في هٰذا الباب، أن العلماء الذين تكلموا في مسائل القدر من المتقدمين من علماء السلف، فصنفوا فيه كابن أبي داود، بل قبله ابن المبارك، ومن كتب في ذلك من مصنفات مستقلة، أو ضمن كتب السنة الأخرىٰ، أو من صنف من المتأخرين، في هٰذا الأمر يجب أن تنظر إلىٰ كلامه علىٰ أنه قابل للأخذ والرد إذا دخل في أمرٍ عقلي لا دليل عليه، إذا دخل في أمر عقلي لا دليل عليه من كلام الله جل وعلا أو كلام رسوله ﷺ فتوقف.

لأننا وجدنا أن طائفة من الناس أخذوا كلام من وثقوا به من كلام أهل العلم في مسائل القدر علىٰ أنه مسلَّم لما كان منتسبا إلىٰ السنة؛ لكنه خاض باجتهاده في بعض المسائل من جهة العقل، فيأتي الناظر فلا يدرك كلامه علىٰ وجه التمام، أو يكون ذاك مخطئا فيتابعه هٰذا وينسبه إلىٰ السنة، والسنة في باب القدر هي ما دل عليه القرآن وحديث المصطفىٰ ﷺ فحسب، وما زاد عنه فيجب الإمساك عنه، قد يحتاج طالب العلم إلىٰ التفصيل العقلي بما دلت عليه النصوص والالزامات بما علم من النصوص في مقام الرد علىٰ المخالفين، لا في مقام التقرير.

فإذن ينبغي أن يفهم كلام أهل العلم علىٰ مرتبتين:

**المرتبة الأولىٰ**: مقام تقرير مسائل القدر. -هٰذا واحد-.

**والثاني**: مقام الرد علىٰ الخصوم في القدر.

فإذا كان المقام مقام تقريرٍ للاعتقاد الصحيح للقدر فلا يجوز أن يتجاوز القرآن والسنة، لا يجوز أن يُتجاوز كلام الله جل وعلا وحديث المصطفىٰ ﷺ؛ لأن القدر سرّ الله جل وعلا.

**المسألة الثالثة**: أنّ الفِرق في باب القدر -قبل أن نخوض أو نبحث هٰذا الموضوع نعطيك تصور عام وسيأتي له تفصيل-، فالفرق في هٰذا الباب المنتسبة للأمة ثلاث فرق:

**الفرقة الأولىٰ**: القدرية.

**الفرقة الثانية**: الجبرية.

**الفرقة الثالثة**: أهل السنة والجماعة.

**والقدرية** طوائف كثيرة منهم الغلاة، ومنهم المتوسطون، وقولنا عنهم: قدرية، نعني به نفاة القدر،

ننسبهم للقدر؛ لأنهم نفوه، قال أهل العلم عنهم: قدرية؛ لأنهم نفوا القدر منهم من نفىٰ العلم، ومنهم من نفىٰ عموم المشيئة، أو عموم خلق الله جل وعلا لكل شيء.

ومنهم **الجبرية** الذين قالوا إنّ العبد مجبور، وهؤلاء الذين قالوا إن العبد مجبور منهم الغلاة كالجهمية وغلاة الصوفية الذين يقولون هو كالريشة في مهب الريح، ومنهم المتوسطون الذين قالوا هو مجبور في الباطن ومختار في الظاهر وهم الماتريدية والأشاعرة.

والمؤلف الطحاوي ينتمي في الجملة في المسائل المشكلة إلىٰ الماتريدية، ولهٰذا ينبغي أن يُنتبه لكلامه في المواطن ذات الزَّلل كمسألة القدر، هل قررها علىٰ وجه الجبر أم علىٰ وجه كلام أهل السنة والجماعة كما سيأتي.

**المسألة الرابعة**: نختم بها قوله: (وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا) أن هناك ألفاظا تستعملها الطوائف جميعا في مبحث القدر، ولكل طائفة قصدٌ ومصطلح في استعمالها، وهٰذه يجب عليك أن تنتبه لها. ستأتي مفصّلة في موضعها إن شاء الله تعالىٰ.

مثال ذلك مسألة الكسب، فإنَّ الكسب عند أهل السنة له معنىٰ، وعند الأشاعرة والماتريدية له معنىٰ، وعند المعتزلة له معنىٰ، فلفظٌ واحد يَرِدُ في كتب أهل السنة، ويَرِدُ في كتب الأشاعرة والماتريدية، ويَرِدُ في كتب المعتزلة، وكل له في هٰذا المقام اصطلاحه ومعناه.

كذلك **نفوذ المشيئة**، مشيئته نافذة، هٰذا عند المعتزلة له معنىٰ، وعند الأشاعرة والماتريدية له معنىٰ، وعند أهل السنة له معنىٰ، نفوذ المشيئة، عموم المشيئة، شمول المشيئة.

فالقدرية يعنون بذلك معنىٰ -يعني المعتزلة ومن نفوا القدر-.

والجبرية يصرفونهم لمعتقدهم.

وأهل السنة يذكرونه علىٰ ما دلت عليه النصوص.

المقصود من هٰذه المقدمات دخولٌ لك في هٰذه المباحث المهمة؛ لأننا في تقرير هٰذه العقيدة الطحاوية نريد أن ننتقل بكَ من سرد المعلومات التفصيلية فقط في معتقد أهل السنة إلىٰ ما يفتح لك آفاقا في رؤية كتب أهل العلم في الاعتقاد بعامة؛ لأننا الأصل أن الذين يحضرون معنا سبق أن حضروا كتبا كثيرة يعني كالواسطية وما قبلها في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة.

فتنتبه إلىٰ أنّ الألفاظ في باب القدر متشابهة؛ لكن المعاني مختلفة، إذا قرأت كتابا من كتب التفسير في الآيات التي فيها عموم المشيئة، في الهدىٰ والضلال، في عموم خلق الله جل وعلا، الله خالق كل شيء، في التفضيل، إذا قرأت كلاما لمفسر سلفي قد يستعمل العبارات التي يستعملها الأشعري أو يستعملها المعتزلي، وكلٌّ له اصطلاحه، ولهٰذا قال من قال عن كتاب «الكشاف» للزمخشري إنه دسّ فيه منهج المعتزلة في الصفات وفي القدر وهو أعظم، بحيث لا يدركه إلا الناقد البصير.

هٰذه المسائل بتفصيلاتها تأتي إن شاء الله تعالىٰ في مواضعها.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذلك: (وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا) ضرب لهم آجالا، الآجال جمع أجل، وضرب الآجال معناه: أنه جل وعلا جعل لكل شيء أجلًا ينتهي إليه، فما من شيء إلا وله أجل ينتهي إليه المراد من خلقه، فالسَّمٰوات لها أجل والأرض لها أجل تنتهي إليه، وهكذا مخلوقات الله جل وعلا، ومنها ما جعل الله جل وعلا له أجلا يعلمه سبحانه ولا يعلمه العباد، قد يطول جدا وقد لا يكون له نهاية، بعلم الله ﷻ له.

**الآجال غير الأعمار، فالعمر أخص من الأجل**، ولهٰذا قال من قال من أهل العلم: إن الأجل في القرآن لا يقبل التغيير ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾[يونس]، ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ [يونس:٤٩] في الأمم. وقال جل وعلا في العمر ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر:١١].

وهٰذا يدلك علىٰ أن الله ﷻ ضرب آجالا وجعل أعمارا، والجمع بين هٰذا وهٰذا عند طائفة من المحققين من أهل العلم **أن الأجل لا يقبل التعديل ولا التغيير، وأما الأعمار فهي قابلة لذلك**، بأسباب أناط الله جل وعلا بها التغيير في قدره السابق، كما قال سبحانه ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾[الرعد].

فإذن أجل العباد، أجل المخلوقات، أجل الأمم، هٰذا هو الذي في اللّوح المحفوظ، لا يقبل التغيير، ولا يقبل التبديل، جعله الله جل وعلا علىٰ هٰذا النحو علىٰ ما اقتضته حكمته ﷻ.

وأما الأعمار فإنها تقبل التغيير، وقَبولها للتغيير لما في التقدير السنوي للعباد؛ لأن القدر منه قدر عام وهو الأصل العظيم، وهو ما جاء في قوله عليه الصلاة والسلام: «**قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة**» هٰذا التقدير العام في اللوح المحفوظ، ومنه تقدير خاص، التقدير الخاص يختلف، فيه تقدير لكل مخلوق في رحم أمه، وثَم تقدير سنوي في ليلة القدر، وثَم تقدير يومي أيضا لما يفعله العباد.

**إذا تبين ذلك** فإن التقدير الذي يقبل التغيير هو ما في صحف الملائكة، وهٰذا الذي يُحمل عليه قول الله جل وعلا ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾[فاطر:١١]، بعض أهل العلم في التفسير فهم الآية أن معناها وما يعمر من معمر ولا يُنقص من عمر معمر آخر إلا في كتاب، وأنّ تعمير المعمَّر يكون بسببٍ قد قُدِّر هو والتعمير معا، فيكون قد عُمِّر، لا بالنسبة إلىٰ أنه كان عمره ليس بطويل فأطيل فيه، وهٰذا يخالف ما جاءت به السنة الصحيحة من قول المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام: «**من سرَّه أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه**»، وبقوله عليه الصلاة والسلام فيما صح عنه: «**ولا يزيد العمر إلاّ البرّ**»، قال هنا: «**من سرّه أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره**» يعني أن زيادة الأرزاق منوطة بسبب، وأن تعمير المعمر زيادة في عمره نَسْءُ الأثر هٰذا مربوط بسبب، وهٰذا الذي ارتبط بالأعمار، بالآثار، أما الآجال فلا، الآجال لا تقبل تغييرا، لأنها هي الموافقة لما في اللوح المحفوظ، يعني الأجل الذي إليه النهاية، أما العمر فهٰذا يقبل التغيير، ولهٰذا صح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال في قوله تعالىٰ في

سورة الرعد: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾[الرعد:٣٩] أنه في صحف الملائكة، ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾[الرعد] يعني اللوح المحفوظ وهٰذا واضح.

فقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا) يعني ما كان من التقدير السابق قبل خلق السَّمٰوات والأرض.

قال: (وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ.) (لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ) هٰذا عام يعني من الطاعات ومن المعاصي، من الخير ومن الشر، مما سيعملون، ومما لم يعملوه لو عملوه كيف يكون، فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعلم أحوال الخلق علىٰ وجه التفصيل، فيما سيعملون وفيما لم يعملوه، ومثاله قول الله جل وعلا: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ [فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا ][1] خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾[الكهف].

إذن فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تعلق عمله بكل شيء، قال: (وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ) لم؟ لأنه سبحانه بكل شيء عليم، كما قال جل وعلا: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[2] وقوله ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ هٰذا عموم لا يخرج منه شيء، والأشياء كما فسّرناها لكم قبل ذلك جمع شيء، والشيء ما يصح أن يعلم أو يؤول...[3]

هو بكل شيء عليم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لهٰذا قال علماؤنا: علم الله جل وعلا متعلق بكل شيء:

- علم ما سيكون. واحد.
- وعلم ما لا يكون. اثنين.
- وعلم ما قدَّر ألا يكون، لو حصل كيف يكون.

فهٰذه الثلاث فيها مخالفة للقدرية والمعتزلة في مذاهبهم.

علم ما سيكون وما لم يكن؛ والذي لا يكون أيضا علمه جل وعلا لأنه اختار أن يكون الأمر علىٰ نحو كذا، وهو علم ما سيكون والذي لا يكون أيضا علمه جل وعلا، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون، كما قال جل وعلا: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذلك: (وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.) هٰذا تعليق للأشياء بالأمور الشرعية يعني أنّ الخلق والعلم والتقدير السابق وضرب الآجال هٰذا نافذ فيهم، ومع ذلك أمرهم سبحانه بطاعته ونهاهم عن معصيته جل وعلا.

---

(١)الشيخ حفظه الله قال: فأراد ربك أن يبدلهما.

(٢)البقرة:٢٨٢، النساء:١٧٦، النور:٣٥، النور:٦٤، الحجرات:١٦، التغابن:١١.

(٣)انتهىٰ الشريط الرابع. انظر تعريف (شيء) عند شرحه (وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ).

وهٰذا الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية أراد منه مخالفة المعتزلة في أنّ الأمر بالطاعات والنهي عن المعاصي أنه جاء عقليًّا وليس شرعيا، ولكن الحق أنه إنما جاء بالشرع لا بالعقل.

لبسط هٰذه المسائل تفصيل يأتينا إن شاء الله في موضعه.

هٰذه كلها الذي قدمناه من أول العقيدة إلىٰ الآن وإلىٰ قوله: (وإنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ المصطَفىٰ) هٰذه كلها مقدمات، ما دخلنا في تفصيل الكلام في معتقد أهل السنة والجماعة في مواضعه.

لذلك أنا أرجئ الكلام علىٰ تفصيلات القدر ومسائله في موضعه حتىٰ يكون لك في مكانه مجتمعا غير ما ذكرناه في هٰذا الموضع.

نقف علىٰ هنا، وأنبّه علىٰ أنّ هٰذا الدرس هو آخر الدروس في هٰذا الفصل، وإن شاء الله نستقبل إتمام شرح هٰذه العقيدة في الفصل القادم، وفي الصيف إن شاء الله سيكون هناك دروس يُعلن عنها بعد الاختبارات في هٰذا المسجد إن شاء الله تعالىٰ.

الخميس الأسبوع القادم عندنا إن شاء الله تعالىٰ، الأسبوع القادم فقط ننهي فيه الحموية التي قاربت الانتهاء، ننهي فيه الحموية، الفرقان أظن باقي فيه؟ باقي الكثير، إذن الحموية، وفقكم الله تعالىٰ.

[الأسئلة]

فيه كثير من الإخوة سألني في المسائل التي كنا تكلمنا فيها الأسبوع الماضي كمسألة التسلسل؛ التسلسل الماضي والمستقبل وحلول الحوادث، وكلام الشارح أيضا في هٰذا الموضع، في هٰذا الموطن، والمسألة يعني شائكة؛ لكن ما ذكرته لك هو الحد الأدنىٰ في فهمها، فينبغي أن لا تكثر من الخوض فيها لأنها عسرة بعض الشيء.

سؤال (٢٤): يقول: ما أفضل كتاب تكلم علىٰ القدر وتعريفه ومراتبه وجميع ما يتصل به؟

الجواب: أفضل كتاب: «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» لابن القيم، ومن الكتب المعاصرة كتاب «القدر» للدكتور عبد الرَّحمٰن المحمود، كتاب قرّب فيه المسألة لطالب العلم فهو كتاب نافع في هٰذا الباب جدا.

سؤال (٢٥): ألا نستفيد من قوله سبحانه: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾[الرعد]، ألا نستفيد منه تغيير الأجل لقوله سبحانه: ﴿يَمْحُواْ﴾؟

الجواب: لا، ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ﴾ يعني ما في صحف الملائكة، أما الآجال فهي ثابتة.

سؤال (٢٦): لا يرد القدر إلا الدعاء؟.

الجواب: هٰذا جاء في الحديث الذي رواه الحاكم وغيره، وهو حديث صحيح.

سؤال (٢٧): ذكرتم في الدرس السابق أن الخلق يشمل مراتب منها التقدير، فأرجو إيضاح هٰذه المرتبة بتفصيل أكثر؟

الجواب: لعلي أرجع إليها لأنها تحتاج إلىٰ تفصيل.

سؤال (٢٨): ذكرتم في الدرس السابق أن صفات الله ﷻ متلازمة وله الكمال المطلق، معنىٰ قولكم متلازمة؟ وهل تجوز العبارة (إن الله علىٰ ما يشاء قدير)؟.

الجواب: أما كون الصفات متلازمة فنعم، الصفات بعضها ملازم للآخر، أو الصفة تدل علىٰ الصفة الأخرىٰ بالتلازم؛ يعني لا يُتصور أن صفة الرحمة بلا صفة الحياة، ولا يُتصور أن هناك صفة قهر بلا صفة القدرة، ولا يُتصور أن هناك صفة علم بلا صفة إرادة، ولا أن هناك صفة كلام بلا صفة إرادة وملك وقوة.

إذن فصفات الله جل وعلا متلازمة، لهٰذا أهل العلم لما تكلموا علىٰ الأسماء الحسنىٰ، قالوا: إن الاسم من أسماء الله الحسنىٰ يدل علىٰ مسماه ومعناه جميعا بالمطابقة، ويدل علىٰ أحدهما بالتضمن، ويدل علىٰ الصفة الأخرىٰ أو علىٰ الاسم الآخر باللزوم، كما هو معروف في موضعه.

قال هل تجوز العبارة (إن الله علىٰ ما يشاء قدير) كنا ذكرنا لكم تفصيلات الكلام عليها، (علىٰ ما يشاء قدير) هٰذه عبارة الأشاعرة وأشباههم؛ لأنهم علقوا القدرة قدرة الله جل وعلا بما يشاؤه، وأما ما لم يشأه فعندهم أن الله جل وعلا ليس بقادر عليه، هٰذا كلام الأشاعرة، المعتزلة علقوا القدرة بما هو مقدور له، وما لم يكن مقدورا له فليس بقادر عليه، عندهم أن ثَم أشياء ليست بمقدورة لله جل وعلا، فليس بقادر عليها، مثل الظلم، أصل الظلم هو ليس قادر عليه،لم؟ لأنه ليس ظالما فهو سبحانه ليس بمقدور له جل وعلا أن يظلم جل وعلا، وعندنا الله جل وعلا قادر علىٰ كل شيء، ما يشاؤه هو وما لم يشأه، والظلم لم يشأه سبحانه بل حرّمه علىٰ نفسه «**إِنِي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلاَ تَظَالَمُوا**.».

إذن هٰذه المسائل تعلق الصفات، يعني القدرة لها متعلَّق، العلم له متعلَّق -عند الطوائف جميعا- الكلام له متعلق، الرحمة لها متعلق، وهكذا، فتعلق الصفات هٰذه تختلف فيها الفرق المختلفة، وهو معلوم في موضعه.

المقصود أن قول القائل إن الله علىٰ ما يشاء قدير هٰذا من البدع التي لا تجوز، وقائلها ينبه علىٰ مخالفته لما جاء في القرآن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[1].

سؤال (٢٩): هل أوضحتم ثمرة الخلاف، المرتّبة الناتجة عن الاختلاف لكون الموت صفة وجودية أو عدمية؟

الجواب: المقصود الكلام علىٰ هل الموت صفة وجودية أو صفة عدمية؟ هٰذا متعلق بحياة الروح والعذاب والنعيم، هٰذا الخلاف بين أهل السنة وبين الفلاسفة الذين يقولون: إن الموت عدم أو الموت حياة، يعني هل أن الموت حياة جديدة أو هو عدم حياة وزوالها؟

الفلاسفة لهم مذهب في هٰذا، في أن الموت هنا موت البدن، الروح هٰذه تذهب إلىٰ مكان لها ثم تعود

---

(١)البقرة:٢٠، ١٠٩، ١٤٨، آل عمران:١٦٥، النحل:٧٧، النور:٤٥، العنكبوت:٢٠، فاطر:١.

في جسد جديد تناسبه، فعندهم الموت عدم الحياة انتهىٰ.

عندنا لا، الروح كل روح مستقلة، روح المكلف هٰذه باقية، خُلقت للبقاء، فلا تنتقل من فلان إلىٰ فلان كما هو قول الفلاسفة ومن شابههم، بعض من ينطق بهٰذه الكلمة يعني بأن الموت صفة أعدمية قد لا يستحضر أو قد لا يقول بهٰذا المذهب، لكن هو من أنشأ هٰذا الكلام ويقول بهٰذا المذهب من أن الأرواح محدودة والأجساد متعددة فالأرواح تتنقل فيها.

يعني مثلا عندهم نعيم الروح، كيف روح منعمة؟ يقول: الروح تعذّب بمصيرها في جسد حياته شقاء، يعني الآن فلان مثلا- أعوذ بالله ما نريد أن نقلق أسماعكم بهٰذا الباطل نعوذ بالله منه - لكن ما من مسألة نتكلم عنها إلا ولها ثمرات، يعني في العقيدة ما فيه خلاف لا ثمرة له، خذها كلية.

سؤال (٣٠): كيف عرف ميل الإمام الطحاوي إلىٰ مذهب الأشاعرة في مسألة اتصاف الله بصفاته.

الجواب: لا، ليس في مسألة الصفات، مسألة التسلسل.

سؤال (٣١): هل يصح أن يقال إن العلم بالله لا يكون إلا بالعلم النظري، لا العلم الضروري؟

الجواب: يعني يصح مع أحد الاعتبارات، لكنه قد يصل العكس إلىٰ أن يكون علمه بالله ضروريا لا يحتاج معه إلىٰ استدلال، صار عنده واضحا عنده بحيث يحتاج منه إلىٰ نظر، نظر واستقر الإيمان في قلبه واتضح له حتىٰ صار عنده وجود الحق جل وعلا ضرورة لا يحتاج إلىٰ استدلال، ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾[إبراهيم:١٠] أصبح ضروريا؛ لأن الضروري هو ما لا يحتاج له إلىٰ استدلال، والنظري الذي يحتاج في إثباته إلىٰ نظر واستدلال.

سؤال (٣٢): ذكرت أن الروح لها صفة البقاء، فكيف نوفق بين هٰذا وبين المراد من المستثنىٰ عند قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾[الزمر:٦٨]، وهل معنىٰ ذلك أن أرواحهم غير ميتة؟

الجواب: لا، ما لها علاقة ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ في الاستثناء يعني أرواح الشهداء أو أشبه ذلك، الأرواح لا يحلها الموت، تجتمع في الصور فيُنفخ فيه فتعود إلىٰ الأجساد.

سؤال (٣٣): هل الموت عرض أو عين؟ أو عرض يقلبه الله عينا؟

الجواب: الموت صفة إذا سميت الصفات أعراضا فلا بأس، الموت حياة جديدة؛ حالة فيها حياة جديدة، يعني سمي الانتقال من الحياة الدنيا إلىٰ الحياة البرزخية سمي موتا، هو انتقال إلىٰ حياة جديدة، ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾[آل عمران] وكذلك كل مؤمن حي عند ربه يرزق.

هل الموت عرض أو عين؟ أو عرض يقلبه الله عينا؟

في الآخرة يؤتىٰ الموت علىٰ صفة كبش فيكون قد قلب إلىٰ عين.

سؤال (٣٤): هل لابد أن يكون لله مخلوقات ليوصف بالخلق أو أنه يوصف بالخلق ولو لم يخلق شيئا أبدا؟

الجواب: هٰذا سؤال في غير مكانه لأنه ﷻ خالق وله مخلوقات، ولم يزل ﷻ خالقا جل وعلا يعني هٰذه صفة ملازمة له سبحانه.

سؤال (٣٥): هل كان ابن حزم من أهل السنة والجماعة؟

الجواب: لا، ابن حزم ليس سنيا بل له مذهب خاص.

ابن عبد الهادي وغيره يعتبرونه من الجهمية، طائفة تعتبره من الفلاسفة يعني خليط، هو العقيدة مخلّط لا يتبع مذهبا من المذاهب عنده تجهم، وعنده أشعريات، وعنده فلسفة يعني مختلط.

سؤال (٣٦): ما هو الرد علىٰ من استدل بحديث «**إن أول شيء خلقه الله القلم**» علىٰ عدم التسلسل في الماضي بالنسبة للمخلوقات؟

**الجواب**: الأخ سألني قبل الصلاة أظن عن ذلك، وقلت أترك المسألة لوقت آخر، وحديث «**إن أول شيء خلق الله القلم**» هٰذا لفظ، واللفظ الآخر المعروف «**إنّ أول ما خلق الله القلم**» (أول) هنا بمعنىٰ حين، إنه حين خلق الله القلم قال له: اكتب، لماذا فسرنا بهٰذا التفسير؟ لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص «**قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة**» هٰذا التقدير هل هو راجع إلىٰ العلم علم الله؟ الجواب: لا؛ لأن علم الله ما يعلق بقبل خلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، إذن يتعلق بالكتابة، كتب الله مقادير الخلائق قبل خلقها بخمسين ألف سنة، هٰذا الحديث «**إن أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب**» وفي رواية «**فقال له: اكتب**» هنا يعني خلق القلم فأمره بالكتابة؛ يعني التقدير، فكتب ما هو كائن إلىٰ قيام الساعة، فالمراد من الحديث أن الله جل وعلا خلق القلم فأمره بكتابة المقادير فوْر خلقه له، هٰذا الذي نفهمه مع حديث عبد الله بن عمرو بن العاص؛ لأن التقدير هناك لابد أن يكون للكتابة، والأولية هنا إن كانت أولية مطلقة قبل المخلوقات يعني وُجد قلم وليس ثم مخلوق البتة، فقوله هنا: «**فقال له: اكتب**» تقتضي الترتيب «**خلق فقال**»وهٰذا يعني أنه هناك زمن طويل ما بين خلقه وما بين ابتداء الكتابة، وهٰذا يشوش علىٰ الموضوع.

إذن فهٰذا الحديث فُهم منه منع التسلسل في الماضي كما هو معلوم، وأن أول المخلوقات القلم وهٰذا عند المحققين كشيخ الإسلام وابن القيم الذين ضمّوا الأحاديث في هٰذا الباب وفهموها مع فهم صفات الله جل وعلا وما دل عليها من الآيات وكلام السلف، فهموا أن القلم في هٰذا الحديث أوليته هنا بالنسبة إلىٰ الكتابة، فحين خُلق القلم كتب، «**إن أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب**» أو «**فقال له: اكتب**» يعني حين خلق القلم قيل له أكتب فجرىٰ بما هو كائن علىٰ قيام الساعة، فالحديث ليس في أولية المخلوقات، الأولية بالنسبة لغيرها وإنما هي من جهة التقدير والكتابة.

ولهٰذا تنازع العلماء مع ورود هٰذا الحديث، تنازعوا في أول هٰذه المخلوقات من هٰذا العالم المعلوم في الكتاب والسنة.

هل أول المخلوقات من هٰذا العالم المعلوم العرش أو القلم؟

والصواب أنّ العرش كان قبل لأنه في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال عليه الصلاة والسلام: «**قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه علىٰ الماء**» صار عندنا خلق للقلم، كتابة المقادير، وجود العرش علىٰ الماء، وهٰذا هو الذي عقده ابن القيم في النونية بقوله:

والناس مختلفون فِي القلم الذِي ... كتب القضاء به من الديان

هل كان قبل العرش أو بعده ... قولان عند أبىٰ العلا الهمدانى

والحق أن العرش قبل لأنه ... عند الكتابة كان ذا أركان

والمسألة فيها بحث أطول من هٰذا نرجئه إلىٰ وقته إن شاء الله تعالىٰ.

وفقكم الله ونلتقي إن شاء الله علىٰ خير وتقوىٰ.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

## الدَّرس السابع

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبد الله ورسوله، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد..

فأسأل اللهَ جل وعلا أن يجعلني وإيَّاكم من المتقرِّبين إليه بما يحبُّ، ومن المخلصين له دينَهم، وأن يجعلنا من أهل الدُّعاء المسموع والقلب الخاشع، وأن لا يكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين.

وقد جرت العادة أنَّه في ابتداء هٰذه الدُّروس أن نقدِّم بمقدِّمة نافعة في آداب المتعلِّم في طلبه للعلم، ومع مشايخه، وفي صِلته بالكتب، وبالحفظ.. وأشباه ذلك ممَّا يحتاجه المتعلِّمون.

ولا شكَّ أنَّ الأدب العام لطالب العلم مهمٌّ كأهمِّية العلم؛ لأنَّ من لم يُدرك الأدب ولم يكن متأدِّبًا بآداب أهل العلم فيما يأتي وفيما يذر وفي منهجه وفي طريقته؛ فإنَّه يفوته الانتفاع بالعلم كثيرًا؛ لأنَّ هناك صلة قوية متينة ما بين الأدب والعلم؛ أدب طالب العلم وما بين العلم نفسِه.

وقد ذكروا أنه كان يُحصىٰ في مجلس الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ يُحصىٰ فيه عدد من الألوف كلهم يسمعون كلامه وكان الذين يكتبون منهم قريبا من خمسمائة وأما الباقي فيستفيدون الأدب والهدي والعلم؛ يعني العلم العام.

وهٰذا ملاحظ فإنه ليس كل من يحضر متحقِّقا للعلم، متحقِّقا بطريقة تحصيله، ولكن لن يعدم خيرًا وفائدة، وقد قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**لا خير في الدُّنيا إلا لأحد رجلين متكلِّم عالم أو صامت واعٍ**) وهٰذا ظاهر بيِّن فيما تلاحظه فإنَّ الدنيا لا خير فيها إلا لعالم متكلِّم يفيد أو صامت كافٍّ عمّا لا يعنيه واعٍ للعلم النافع الذي يلقىٰ إليه، كما قال ربنا جل وعلا: ﴿**لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴿١١٤﴾﴾ [النساء]، وقد صحَّ عنه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أنه قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخر: فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَو لِيَصْمُتْ**»، وهٰذا كما قال أبو الدرداء (لا خير في الدُّنيا إلا لأحد رجلين صامت واعٍ أو عالم متكلم) أو كما قال.

لهٰذا عرضنا فيما سبق عددًا من الآداب في صدر هٰذه الدُّروس التي ينبغي لطالب العلم أن يتعاهدها وأن يتعلمها.

ونذكر في هٰذه الليلة: **أدب طالب العلم مع مشايخه ومعلميه**.

وقبل هٰذا نذكر بعض الكتب التي عُنيت بآداب طالب العلم بعامة ومع المشايخ بخاصَّة، فمن ذلك:

- كتاب ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ «الجامع».
- وكتاب الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ أيضا «الجامع».

- ومن ذلك كتاب ابن جماعة رَحِمَهُ اللَّهُ «تذكرة السَّامع والمتعلم».
- ومن ذلك مقدِّمة «المجموع شرح المهذب» للنَّووي رَحِمَهُ اللَّهُ.
- ومن ذلك أيضا ما تفرق في كتاب «سير أعلام النبلاء» من آداب كثيرة.
- ومنها ما جاء في مقدمة «سنن الدارمي» أيضا.

وفي عدد من الكتب التي ذكرت فيها آداب كثيرة لطالب العلم، وقد صُنّف في هٰذا الوقت المتأخِّر يعني في زماننا مؤلفات كثيرة ما بين من أجاد ومن توسط ومن كان ضعيفا.

والمقصود من ذلك أن يحصِّل طالب العلم مع العلم الأدب، ونعني بالأدب الهدي والسَّمت الذي يكون عليه، ولهٰذا كان من الأصول العامة التي ينبغي التواصي بها أن يكون طالب العلم ذا سمت حسن وذا هدي ودل، فقد قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم: ما كان أحد أشبه هديا وسمتا ودلًّا لرسول الله ﷺ من ابن مسعود. وقال بعض أصحاب ابن مسعود: ما كان أحد أشبه سمتا لابن مسعود من الربيع بن خُثيم. وهكذا في أمثلة كثيرة يكون المتعلِّم يأخذ مع العلم الهدي والسَّمت والأدب؛ لأنَّ هٰذه لا يحصِّلها المتعلم بالقراءة للكتب ولا يحصلها بالإطلاع ولا يحصلها بكثرة السماع المجرد عن الاختلاط، ولهٰذا كان كثيرٌ من طلاب العلم الذين لا يخالطون المشايخ ولا يقتربون منهم يفقدون كثيرًا من الهدي والسمت والمنهج لأجل عدم القُرب من أهل العلم والمشايخ.

فالأصل العام أن يكون طالب العلم حريصا علىٰ الهدي وعلىٰ السَّمت وعلىٰ العلم، وأن يكون متأدبا بآداب المشايخ، وكلَّما كان المرء أصحب للمشايخ وأقل صحبة لأقرانه كلَّما كان أقرب إلىٰ العلم؛ لأنه هناك صلة وثيقة ما بين إدراك العلم والمخالطة، فإذا خالط من هو أكبر منه من أهل العلم والمشايخ فإنَّه يكون هديه وفهمه وفكره قريبًا من هديهم وعلمهم وفكرهم وسمتهم ورؤيتهم للأشياء وكيف تعلَّموا وكيف أخذوا وكيف يتعاملون مع الكتب ومع الناس إلىٰ آخر ذلك، ممَّا لا يدركه من قرأ في الكتب وحدها.

ولهٰذا قال بعض المتقدِّمين كما ذكره العسكري في بعض كتبه وذكره غيره قال: من أعظم البليَّة تشيّخ الصَّحفيّ. يعني الذين أخذوا العلم عن الصحف ولم يخالطوا المشايخ فإن تصدرهم يحدث بلاء وإن انتفع الناس بهم، لكن عدم مخالطتهم لأهل العلم وأخذهم الهدىٰ والدلّ والسمت من أهل العلم فإنه يُفقدهم ذلك شيئا كثيرا، لهٰذا في هٰذا الدرس الموجز كمقدمة لهٰذه الدروس نعرض لبعض آداب طالب العلم مع المتعلم ومع شيخه وذلك إكمالًا لجملة آداب عرضنا لها فيما مضىٰ في صدر هٰذه الدروس.

أول الأدب مع المشايخ والمعلمين:

**أن يكون الطالب حَسَن الظن بشيخه في العلم الذي يتعلمه منه.**

وهٰذا يعني أن ينتقي لنفسه من يحسن العلم الذي يعلمه، معلوم أن أهل العلم لا يدركون كل العلوم، فليس من شرط العالم أو الشيخ الذي يعلم أن يكون متصدرا في كل فن وفي كل علم، هٰذا قلّ من يؤتاه،

ولكن المهم أنه إذا تكلم في علم من العلوم أجاد، يحسن تقرير العقيدة، يحسن تقرير الفقه، يحسن تقرير الحديث، ويحسن تقرير التَّفسير، الأصول، النحو، إلىٰ آخر العلوم، فتأخذ العلم ممَّن يحسن تقريره، وهٰذا إذا تحرَّيت وأقبلت علىٰ العالم عالمًا بمنزلته في العلم الذي يعلمه فإنَّ الذي ينبغي عليك أن تحسن الظن به فيما يقول؛ يعني أن تأخذ ما يقول أخذ المستفيدِ لا أخذ المعترض.

وهٰذا كتقعيدٍ عام ينفع في حسن التلقِّي وقَبول العلم واستقرار العلم في الصدر؛ لأنَّ من المتعلمين من يحضر عند شيخ مثلا، وهٰذا المعلِّم أو الشيخ إذا تكلم تجد أن المتعلِّم يورد الاعتراضات علىٰ هٰذا الشيخ، وهو يتكلَّم يورد الاعتراضات فيما بينه وبين نفسه، فتجد هٰذه أنَّ الاعتراضات التي يوردها علىٰ كلامه تفوّته ربط الكلام بعضه ببعض، وتفوّته أيضا الاستفادة من الشَّيخ والمعلم فيما يقول وفيما يقرِّر.

لهٰذا أوَّلا انتقاء المشايخ، وأن تنتقي العالم الذي يحسن تقرير العلم الذي يدرسه كلٌّ في مجاله، فإذا اخترت فتُحسن الظنَّ به في أن الأصل فيما يقوله هو الصَّواب في هٰذا العلم، وألا تكثر الاعتراضات عليه فيما يقول وفيما يقرر.

الثاني من الآداب:

**أن يكون طالب العلم متأدبا مع شيخه في لفظه وفي جلسته وفي فعله**

وهٰذا أخذه أهل العلم من قصَّة جبريل مع المصطفي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في الحديث المشهور المعروف؛ وهو أنَّ جبريل لمَّا أتىٰ النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في صورة رجل جاء إليه متعلِّمًا، فأقبل النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وثنىٰ ركبتيه بين يديه وأسند ركبتيه إلىٰ ركبتيه وجعل يديه علىٰ فخذيه، فهٰذا أدبُ الجلسة بين يدي المعلِّم، وهٰذا الأدب يفيد فوائد منها:

**أوَّلًا**: أن يتعلم طالب العلم الصبر في التعلُّم.

**والثَّاني**: أن يكون هٰذا داعيا لإقبال الشيخ علىٰ المتعلم للإجابة؛ لأنَّ للمشايخ حبّ ورغبة فيمن يكون متأدِّبًا في الكلام معهم؛ لأنَّه من سنن أهل العلم المتوارَثة أنَّ العلم إنما يكون في المتأدِّبين.

ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أمسك بزمام ناقة زيد بن ثابت فقالوا له: هٰذا وأنت ابن عم رسول الله ﷺ؟! فقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا.

وقد جاء في بعض الآثار أن من السنة توقير العالم، وهٰذا له شواهده العملية من هدي الصَّحابة رضوان الله عليهم.

فإذن الجِلسة أمام العالم لها أثر، والتَّكلُّم معه في طريقته له أثر علىٰ المتعلِّم وعلىٰ العالم جميعا: أما أثره علىٰ المتعلم وهو أن يوطِّن نفسه علىٰ احترام العلم وأهله، وإذا العالم احترم العالم الذي يكون أمامه فإنه سيحترم العلماء الأولين، وكم رأينا من ذوي فضاضة وغلظة علىٰ العلماء الحاضرين فصاروا ذوي فضاضة وغلظة علىٰ العلماء العابرين السابقين، والأمر من جهة ما يَقَرُّ في نفس المتعلم واحد؛ فإذا تعلم الأدب في اللفظ فإنه يكون متأدبا في العلم وحمله.

كان رجلان أتيا إلىٰ الأعمش أحدهما صاحب حديث والآخر ليس بصاحب حديث، فأغلظ الأعمش -وكان فيه نوع حدّة- علىٰ صاحب الحديث بكلام فيه غلظة، فلما انتهوا قال الآخر لصاحب الحديث في حضرة الأعمش: لو قال لي ما قال لك لم أحضر إليه أبدًا. فقال الأعمش: أوَ يكون أحمق كمثلك يترك خيري الدنيا والآخرة لغلظتي.

إذا كان هٰذا تركَّب في نفس بعض المشايخ أو في كلامه أو في طريقة تعامله أن فيه غلظة، فهل يترك المتعلِّم الأدب لأجل شدة الشيخ أو لأجل تعنيفه أو نحو ذلك؟ هٰذا ليس بصحيح؛ لأن طالب العلم ما أخذ في طريق العلم إلا وهو مؤْثِرٌ له علىٰ الدنيا، مؤثر له علىٰ الرَّاحة، ومن جملة الدُّنيا والراحة أن يكون الكلام معه دائما بعبارة لا تسوؤه، ولهٰذا يدخل ذلك في التَّأدُّب في اللفظ بحيث أنه إذا سأل يسأل متأدبا، ينتقي أحسن العبارات، وإذا تكلَّم في حضرة شيخه تكلَّم بأحسن العبارات، وإذا أراد المعلِّم أو الشيخ أن يعنف أو عنّف أو تكلم فإنَّ ذلك الطالب يحتمله ولا يردُّ عليه مقالته.

**[ثالثا:]** من الأدب أيضًا مع الشيخ الأدب في الأفعال، وهو أن لا يرىٰ العالم طالب العلم علىٰ هيئة لا تحسن؛ في لباسه، أو في مشيته، أو في خفة في تصرفاته، أو في نقص في الأدب معه وهو يكلمه، فيكون معه في فعل حسن، قالوا: ومن الآداب أن لا يمشي المتعلم بين يدي شيخه إلَّا بأمر شيخه، وأن يكون وقورًا في مماشاة المشايخ غير مكثرٍ للحديث، غير مكثر للحركة، وهٰذا لا شك له أثر علىٰ المتعلِّم وعلىٰ الشيخ فيما يفيد به المتعلم.

فإذن هٰذه الثَّلاث -الأقوال والأفعال والجلسة، هيئة الجلوس- لها أثر في إقبال المتعلم علىٰ العلم واحترامه أهله وفي إقبال المعلم علىٰ إفادة المتعلم.

من الآداب وهو الأدب الثالث:

## أن يكون طالب العلم متأدِّبًا مع شيخه في السؤال

عمر رضي الله عنه كما في الصحيح أراد ابن عباس أن يسأله عن المرأتين اللَّتين تضاهرتا علىٰ رسول الله ﷺ، يقول ابن عباس: مكثتُ سنة أتحيَّن الفرصة لأسأله حتىٰ إذا كان وقت قفولنا من الحج ذهب عمر إلىٰ شجرة أراك ليقضي حاجةً له، فانتظرت فلما رجع سألته فقلت له: يا أمير المؤمنين من المرأتان اللتان تضاهرتا علىٰ رسول الله ﷺ؟ فقال: هما عائشة وحفصة.

فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين لقد كان هٰذا في نفسي سنةً أريد أن أسأل عنه فما سألتك هيبة لك. قال له عمر: لا تفعل أبدًا ما بدا لك فسل وما كان عندي من علم أخبرتك به. أو كما قال عمر رضي الله عنه، هٰذا الكلام من عمر وهو الرجل المهيب من أثر أدب ابن عباس، فانفتح الباب لأجل هٰذا الأدب وهٰذه الهيبة التي كانت عند ابن عباس لعمر رضي الله عنهم أجمعين.

هٰذا الأدب في المخاطبة وفي السؤال وتحرِّي الوقت المناسب، هٰذا مهمٌّ جدًّا في طالب العلم مع شيخه لم؟ أولا ليس كل وقت يكون بالُ المعلم أو بال الشَّيخ جيِّدًا محبذا لإجابة السؤال، هو بشر يعتريه ما

يعتري البشر، وأعظم إذا كان السؤال بالهاتف في مثل هٰذا الزمان فإن المتَّصل لا يدري ما حال الشيخ، فقد يكون جوابه ليس تامًّا، وقد يكون لا يريد الجواب ونحو ذلك، فالطَّالب يكون عاذرا لشيخه في كل ما يحصل منه من جهة السُّؤال والجواب، وأن يكون ذا هيبة وأن يتحرَّىٰ الوقت المناسب للسؤال، فلا يسأله مثلا وهو متعب، لا يسأله في وقت يكون من حقوقه؛ يعني من حقوق الشيخ مع نفسه أو مع أهله، لا يسأله في وقت يريد الانصراف؛ لأن باله يكون مشغولا، قد لا يستحضر الجواب من كل جهة ومراد المتعلم من السؤال أن يستفيد من شيخه، وهٰذا إنَّما يكون في حال يكون فيها الشيخ مع طلابه حسن الاستحضار أو مرتاح البال فيفيض عليهم ممَّا عنده، أما إذا كان باله غير جيد فينبغي لطالب العلم أن يتحرىٰ وأن يكون شيخه حِسُّه مُحِسًّا بأن هٰذا الطالب يهابه ويحترمه ويحبه فإنه يختصه ويخصه بأشياء قد لا يفيضها علىٰ الآخرين، وهٰذا ظاهر بيِّن في سيرة كثير من أهل العلم.

انظر مثلا كم نقل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن شيخ الإسلام ابن تيمية من مسائل لم ينقلها غيره؛ بل كان يختصه بكلمات وبفوائد وبعلوم لم يعطها غيره.

وكذلك أهل العلم فيما يتواردون فإنهم يختصُّون بعض طلابهم بأشياء، وهٰذا إنَّما كان نتيجة لحسن أدب الطالب، وحسن إظهار هيبة الشَّيخ ووقت السُّؤال ونحو ذلك مما هو من الآداب العامَّة.

صيغة السؤال أيضا مهمَّة، عدم الاعتراض في الجواب هٰذا مهم، فإذا كان مثلا في الدرس فلا يحسن إذا أجاب الشيخ إجابةً أن يعترض الطَّالب؛ بل يذهب معه وينبهه إلىٰ رأيه في المسألة، إذا كان هو مثلا يعني الشيخ ترك شيئًا أو ما استحضر الجواب أو أخطأ أو ذهب ذهنه إلىٰ شيء آخر ونحو ذلك من عوارض البشر، ينبهِّه والأصل في أهل العلم أن يكونوا رجّاعين إلىٰ الحق، فإذا استبان الصَّواب إلىٰ الشيخ من جرّاء كلام الطالب عنده فإنَّه ينبه الطلاب بعد ذلك علىٰ هٰذا الأمر.

فإذن نخلص من هٰذا إلىٰ شيئين:

**الأوَّل**: أنه لا يُشترط أن يكون العالم مصيبًا دائما، مفصلا للمسائل دائمًا، قال: كنا -يعني في رواية الحديث- إذا نشطنا أسندنا وإذا كسلنا أرسلنا. يعني قد يكون الحديث مسندًا عند العالم فيختار أن يكون مرسلًا، فيقول مثلا: عن ابن عباس أن النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قال كذا، أو يقول الزهري قال رسول الله ﷺ كذا، وإذا نشط أسند، وهٰذا يعني أنَّ العالم قد يكون عند الجواب مفصلا؛ لكن لأجل شيء في باله، أو ضيق المجلس، أو ما يعتري المرء عادة يختصر الجواب، وقد يكون ثم في الاختصار شيء من الخلل.

فإذن طالب العلم إذا رأىٰ في جواب مسألة ما ليس بمستقيم، فإمَّا أن ينبِّه الشيخ أو أن يعرض السُّؤال مرَّةً أخرَىٰ في وقتٍ آخر؛ ليأخذ الجواب ويعرف اجتهاد العالم أو رأيه في هٰذه المسألة أو جوابه علىٰ السُّؤال؛ لأنَّ الشيخ والعالم أو المعلم ليس دائما نشيطًا أن يقول كل ما عنده، فتارة يكون نشيطا وتارة لا يكون نشيطا، فتجد الجواب مختصرًا وأحيانا ربما كلمة واحدة.

من الآداب أيضا وهو الرابع:

**أن يكون طالب العلم مع شيخه صبورا**

- والصَّبر يعني في التعلم.
- والصَّبر علىٰ أخلاق شيخه.
- والصَّبر علىٰ انتزاع الفوائد منه.

هٰذه ثلاثة أشياء:

**المسألة الأولىٰ: صبره علىٰ التَّعلم**: في أن يكون صابرا علىٰ حضور الدرس، كما قلنا إذا كان واثقا بعلم شيخه فلا يحكمن علىٰ شيخه أو يزهَد فيه إذا حضر درسا أو درسين أو ثلاثة، فهٰذا ربما تأتي عوارض، أو نوع الدرس يحدده، أو المتن مثلا ما فيه مجال للتفصيل وللإفادة، فلا يكن الطالب عجِلًا غير صبور في الحكم في التعامل مع شيخه وفي الحكم عليه.

وهٰذا كثير عند الشباب في أنهم يستعجلون في الحكم ولا يصبرون خاصة مع المشايخ الكبار الذين لهم علم بالعلوم الأصلية في الشريعة، والصبر عليهم ومعهم يفيد الطالب كثيرًا.

**المسألة الثَّانية: الصَّبر علىٰ الشَّيخ من جهة أخلاقه**: فقد قدَّمنا طرفًا منه؛ ما يشير إشارة إلىٰ أصل ذلك، وقصَّة موسىٰ عليه السلام مع الخضِر معلومة لديكم، كيف أنّ موسىٰ عليه السلام كما روىٰ البخاري وغيره «**سئل فقيل له: من أعلم أهل الأرض؟ فقال موسىٰ: أنا. فأوحىٰ الله إليه ايتي عبدَنا خضِرًا، فإنه أعلم منك**». في القصة المعروفة، وموسىٰ عليه السلام لما صحِب الخضر لم يصبر عليه:

قال في المرة الأولىٰ له -ركب السفينة فخرقها الخضر- فقال له موسىٰ: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ [الكهف]، لأنَّ الأصل الصبر.

المرة الثانية سأل فكرر عليه الجواب، فقال الخضر لموسىٰ: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ هٰذه فيها تخويف وفيها غلظة، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾[الكهف] ثم فارق الكليم الخضر بسبب عدم الصبر، ولو صبر- وددنا أن موسىٰ صبر – لأخذ منه علما كثيرا.

فهٰذا الأصل العام؛ وهو أن الطالب مع الشيخ يكون صبورا ولا يستعجل عليه في مسائل لا يحسنها الطَّالب، هٰذا وجدناه من بعض الإخوان؛ أنهم يستعجلون.

خُذْ مثلا علم قبل مخالطته لهٰذا العالم، والشيخ، علم مسألتين أو ثلاث مثلا في مصطلح الحديث، علم حكم المرسل أو حكم الحديث الضعيف والاستدلال به أو نحو ذلك أو الحديث الضعيف أو الحديث هٰذا ليس بصحيح، أو علم أن الراجح في المسألة كذا، فإذا خالط هٰذا عالما وابتدأ هٰذا بكلام ذهب ذاك لعدم صبره يعارضه، فيقول مثلا معترضا: هٰذا حديث مرسل، أليس هٰذا الحديث مرسل يا شيخ؟ -مثلا-، يقول هٰذا الحديث أليس حديثا ضعيفا؟ ونحو ذلك.

وهٰذا الطالب لقلة صبره وأيضا لقلة العلم فإنه اعترض، وهٰذا الاعتراض الذي هو من جراء عدم الصبر يسبب المفارقة وعدم إحسان الشيخ الظَّن بهٰذا الطالب وعدم إفادته.

ومعلوم كما قلنا أن العلوم مختلفة وأن المشايخ مختلفون في استعداداتهم وفي علومهم، وأيضا الطالب قد يكون متأثِّرًا بكلام عالم فيأخذ هٰذا الكلام ويدلي به علىٰ عالم فيقع منه عدم الصبر والاستعجال.

**المسألة الثالثة: ترك الصبر الذي يفضي إلىٰ خسارةٍ في اقتناص الفوائد:** العلم مراتب؛ هناك علم هو تقرير للعلم، مثل تحضر تسمع شرح كتاب وتقرير علىٰ متن أو تقرير علىٰ كتاب مطوّل، هٰذا علم يمكن أن يؤدىٰ والطالب يسمع؛ لكن هناك فوائد لا يجدها الطالب في كتاب بسهولة؛ فوائد متنوِّعة حصَّلها الشيخ من مشايخه المتنوِّعين ومن معلومات كثيرة ومن قراءات متنوعة بضوابط وفوائد ونحو ذلك، وهٰذه الفوائد والضَّوابط والنُّكات الرَّصينة هٰذه لا يوصلها الشيخ لأي طالب؛ بل يخصُّ بها بعض طلابه؛ لأنها من الفوائد المهمة عنده، فلا يظهرها لكلِّ أحد، لهٰذا إذا صبر المتعلم علىٰ العالم فإنَّه يخصه بأشياء تفتح له باب العلم، بل ربما كانت الواحدة من تلك الفوائد تساوي رحلة كما يقال.

لهٰذا ينبغي لطالب العلم أن يكون صبورًا وأن يعلم أنَّه كلما طالت صحبته لشيخه وكلما طال حسن أدبه معه وكلَّما كان صبره عليه أكثر كلما أعطاه من العلم؛ من العلم الخاصّ الذي قد لا يكون ثم مناسبة لإبدائه لكل أحد، رأي العالم في النَّاس، رأي العالم في الأوضاع، رأي العالم في بعض المسائل الخاصَّة ونحو ذلك، هٰذه قد لا يحسن أن تُبدىٰ في الدروس، وإنما قد يخص بها بعض الطلاب، وهٰذا إنما يكون لمن عنده الأدب مع الشيخ وحسن ظن الشيخ بالطالب في أنه حافظ لكلامه مستفيدٌ منه.

الأدب الذي يلي هٰذا وهو الخامس:

**أن يعلم الطالب أنّ حضوره لمجلس الشيخ إما في علم أو في مجلس ليس من مجالس العلم؛ يعني في مجلس معتاد في بيته أو يصحبه في رحلة أو يمشي معه في وعظ أو إلقاء دروس أو محاضرات أو علم أو نحو ذلك، أو يصحبه في حج أو في سفر إلىٰ آخره، أنْ يكون طالب العلم مع الشيخ متحريا للاستعداد.**

يعني أن لا يبتدئ الكلام دون استعداد منه لذلك، بل يقتنص هٰذا الوقت ولو كان ضئيلا في أن يأتي الأسئلة المهمة المشكلة، أو أن يتحرىٰ الفوائد التي لا يكون المجال مفتوحًا أن يلقيها دائما، وهٰذا يحتاج إلىٰ استعداد، معلوم أنّ كل طالب علم إذا قرأ، فإن لديه مشكلات يشكل عليه قراءة في الكتاب الفلاني وكلام العالم، ويشكل عليه فتوىٰ العالم ولا يدري ما وجه هٰذا؛ هٰذا الحديث كيف يوجَّه، الفتوىٰ علىٰ كذا والحديث فيه كيف نوجه هٰذا، أنت قلت –مثلا– مرة كذا والسنة دلت علىٰ كذا، بما توجِّه هٰذا؟ وأشباه ذلك من المُشكلات التي تعترض طالب العلم في قراءاته، ومن المشكلات التي تعترض طالب العلم فيما يسمع من الفتاوىٰ والعلم، فإنَّ هٰذه تحتاج منه إلىٰ وقت مناسب للسُّؤال، وهٰذا كما ذكرت يحتاج إلىٰ استعداد.

فإذن صلة طالب العلم بشيخه في مجلس العلم أو في خارج مجلس العلم لا بد أن يكون علىٰ استعداد، لا يأتيه للمجلس هكذا عفوا، وخاصة في هٰذا الزمن الوقت فيه أصبح أقل من القليل، فإذا أراد طالب العلم أن يستفيد من المعلم أو من شيخه أو من العالم فيكون مستعدا للحضور فيما يفكِّر به وفيه وفيما سيعرضه قبل حضوره، من الناس مثلا من يظهر علىٰ باله سؤال وقت الجلوس فيلقيه، وهٰذا غير مناسب؛ لأنه قد لا تكون أنت مفكِّرًا في السؤال من كل جهة فيأخذ العالم أو الشيخ الانطباع عنك بأنك تستعجل في السؤال، وبالتالي قد لا يفتح لك ويفصل لك أو يعطيك المنزلة اللائقة بعلمك.

فينبغي أن يكون طالب العلم مستعدا في مخالطته للعلماء وللمشايخ في أن يكون حذِرًا في الكلام هائبا بأن يسأل إلا بشيء يحسن السؤال عنه لا يورد إشكال إلا بإشكال يحسن الاستفهام عنه وهكذا.

وأما أن يحضر ويلقي أي سؤال أو أي كلام ونحو ذلك فهٰذا ليس مناسبا؛ لأنه قد يُعطي الشيخ نظرًا علىٰ طالب العلم ليس بحسن.

هٰذه بعض آداب عامة مع المشايخ، والأدب الذي ينبغي حفظه وتجده في الكتب التي ذكرنا بكثرة أن **موالاة طالب العلم لشيخه أنها واجبة**، ومعنىٰ الموالاة يعني أن يحبه وأن ينصره وأن يذُبَّ عنه ونحو ذلك بما يعلمه هو.

ولهٰذا جاء في كتب الآداب أو في بعضها أنه يُحرم الطَّالب من علم الشيخ إذا كان مغتابًا له، وهٰذه مجرَّبة؛ لأن غيبة طالب العلم للشيخ تُفقد محبته وتفقد الاستفادة من علمه بعد ذلك، والأمور تأتي شيئا فشيئا؛ لأن القلب كلما كان أكثر محبة وأكثر قبولا لما يُقال ورغبة في هٰذا المعلم أو في هٰذا الشيخ أو العالم كلما كان أذب عنه واحفظ لعرضه وأكف اللسان عنه.

وما علمنا أحد من خاصة طلبة أحد من أهل العلم المتقدمين أو المتأخرين إلا وينشرون محاسنهم، معلوم أن العلماء أو طلبة العلم ليسوا بأنبياء ولا يشترط فيهم الوَلاية؛ يعني أن يكونوا من كُمَّل المؤمنين وإنما يستفاد منهم علىٰ ما فيهم، وكلما كان العالم أو الشيخ أكثر إتِّباعا وأكثر استقامة وأكثر مجاهدة وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر فهو أعلىٰ لمقامه، لكن يؤخذ من العالم ما عنده وأن لا يتْبع العالم بزلته، فالعالم لا يتَّبع في زلته، وكذلك لا يُتْبَع في زلته، فلا يشنَّع عليه بأشياء يقولها مثلا وتنشر عنه ويترك الخير الكثير الذي يقوله.

فلو تتبع الناس سقطات العلماء في الماضي من الأموات رحمهم الله تعالىٰ ورفع درجتهم لوجدوا شيئا كثيرا، فما من عالم إلا وله زلة، ولما ذكر الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة محمد بن نصر المروزي لما ذكر بعض ما قيل قال: ولو فتحنا هٰذا الباب -يعني ما يقال- لما سلم لنا محمد بن نصر المروزي ولما سلم لنا ابن منده ولما سلم لنا فلان وفلان.

فإذن العالم يغتفر قليل خطئه في كثير صوابه، كما قال ابن رجب في فاتحة كتابه «القواعد» حيث قال: فلقد سنح بالبال -يعني يصف كتابه- علىٰ جناح الاستعجال في أيام يسيرة وليال، والمنصف من اغتفر

قليل خطإ المرء في كثير صواب. وهٰذا هو المنصف، يعني كل عالم لابد أن يكون له غلط هل يشترط في العالم أن يحرر كل مسألة أو أن يكون إماما في كل مسألة ولو ذكرنا ما نقل فمالك رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ نقلت عنه أشياء كما هو معلوم، الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ نُقلت عنه أشياء، أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ نقلت عنه أشياء، أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ نقلت عنه أشياء، وهكذا، العلماء ما منهم أحد إلا وتَمّ شيء، قال بعض أهل العلم هٰذا فيه حكمة من الله جل وعلا حتىٰ لا يظنَّ الناس بعالم أنه وصل مرتبة الأنبياء في أنه يؤخذ قوله كلُّه، وأن يقبل بعمله في الإقتداء كلّه؛ يعني أن يقبل بعلمه كله في الإقتداء، فلا بد من ظهور بعض النقص، وكلما قل النقص كلما ظهرت إمامة العالم وازدادت مكانته للناس وكلما زاد النقص كلما قلت مكانته وهكذا.

فإذن ينبغي لطالب العلم أن يتحقق قول الله جل وعلا: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة:٧١]، وأن يتحقق قول الله جل وعلا: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة:١١]، وأن يعلم أن أهل العلم هم أهل الرفعة في هٰذه الدنيا وأن أهل العلم درجات فلا يجعلنهم في مرتبة واحدة وأن يطلب الكمال في العالم أو في المعلم أو في شيخه، هٰذا لا يكون، وما من أحدٍ إلَّا وله قصوره إما في مقاله أو في أفعاله أو تصوره للمسائل أو في إلقائه للعلم، فيأخذ الطالب من العالم أحسن ما يجده والحَكم في ذلك كله سنَّةُ المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام.

هٰذه كلمات مختصرة في ابتداء هٰذا الدرس.

وأسأل الله جلَّ وعلا أن ينفعني وإيَّاكم بما سمعنا، وأن يجعلنا متأدِّبين مع علمائنا ومشايخنا، وأن يلحقنا بالصَّالحين، وأن يجعلنا في زمرة العلماء العالمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبيِّنا محمَّد.

**[الأسئلة وأجوبتها]**

**سؤال (٣٧):** سؤال يُكتب لثالث مرَّة: ورد عن الإمام أحمد أنه كان يترك السنة الراتبة، فإذا سئل عن ذلك قال: اكتفينا بدرس أبي زرعة أو كلمة نحوها، -(اكتفينا عن الرَّواتب بمذاكرة العلم مع أبي زرعة) هٰذه كلمة الإمام أحمد- فهل ينطبق هٰذا علىٰ وضعنا في هٰذا المسجد؟

**الجواب:** لا، لا يُتصور في عالم أو في طالب علم أو في رجل صالح يرجو ما عند الله جل وعلا ويحب المصطفىٰ ﷺ أنه يترك النوافل، فمن ترك النوافل رُدَّت شهادته كما قال أهل العلم، وإنما قد يترك العالم أو طالب العلم بعض النوافل لمصلحةٍ راجحة؛ لأن النوافل نفعها قاصر، وقد ينشغل طالبُ العلم بما نفعه متعدٍّ ويفوت وقته، فأبو زرعة من أهل الرَّي فلما قدم بغداد تذاكر العلم مع أحمد ليلة كاملة حتىٰ أصبح من بعد صلاة العشاء وفي النهار فترك الإمام أحمد الرواتب والوتر فيما يُذكر، وهٰذا لأجل أن مذاكرة العلم مع أبي زرعة هٰذا نفعها متعدٍّ للأمة مصلحتها عامة في العلم وفي الإرشاد وفي نقد الأحاديث وفي تعليلها ونحو ذلك، والرَّواتب قاصرٌ نفعها علىٰ من أداها، وأيضا مذاكرة أبي زرعة تفوت والرواتب يمكن أن يزيد من النوافل المطلقة في وقت لاحقٍ ويأتيه الثواب.

يعني أنّ الأصل المتابعة في السنة، الأصل أداء هٰذه الرواتب، وقد يعرض لطالب العلم، قد يعرض للشيخ ما يرجحه من جهة أنه أفضل شرعًا لا من جهة هواه أو من جهة رغبته، ومعلوم أنَّ الرواتب أنها ليست مفروضة لكن من جهة المصلحة التي يرجوها في تركها المصلحة المتعدِّية، فهٰذا يسوغ، لكن لا يكون ديدنا له ولا هديًا له.

وهٰذه لها نظائر، فبعضهم ترك قيام الليل لأجل التَّفكُّر، وبعضهم ترك بعض الصلوات لأجل التَّأليف يعني الرواتب لأجل التأليف، ونحو ذلك مما هو معلوم.

**سؤال (٣٨):** ما حكم تحية المسجد، وماذا أفعل لو دخلت المسجد في وقت نهي؟

**الجواب:** تحية المسجد سنة مؤكَّدة وليست بواجبة علىٰ الصحيح، وإذا دخلت المسجد وقت نهي فالعلماء اختلفوا في ذلك اختلافًا كثيرا طويلا، والاختلاف من جهة التَّرجيح فيه صعوبة.

ومن أهل العلم من قال: النهي مقدم؛ النهي عن الصلاة في هٰذه الأوقات يعني أوقات النهي، وتحية المسجد سنة والنهي يدلُّ علىٰ التحريم فلا تصلَّىٰ وقت النهي، وهٰذا مذهب الإمام أحمد وجمع من أهل الحديث.

وآخرون من أهل العلم قالوا: إن النهي عن الصَّلاة في وقت النهي هي الأوقات الخمسة المعروفة، ثلاثة أوقات مضيقة ووقتان واسعان، هٰذا لغير الصلوات ذوات السَّبب، أما إذا كانت الصلاة لها سبب مثل ركعتي الوضوء ومثل تحية المسجد والاستخارة وركعتي الطَّواف وركعتي الدخول في الإحرام عند من قال به ونحو ذلك، فإن هٰذا يعتبر من ذوات السَّبب فتُفعل وقت النهي، وهٰذا مذهب طائفة من أهل العلم منهم شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وينصره طائفة من أهل العلم في هٰذا الزمن.

والشَّوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ لما عرض إلىٰ هٰذه المسالة ذهب مذهبًا غريبًا، هو أصولي وتعارضت عنده الأدلة؛ لأنَّ الدَّليل الذي فيه الأمر بصلاة المسجد فيه الأمر بتحية المسجد هٰذا فيه عموم، فيه أنه إذا دخل في أي وقت فيركع ركعتين، والنهي عن الصلاة هٰذا فيه خصوص الأوقات ولكنه فيه عموم الصلوات، وذاك فيه عموم الأوقات وفيه خصوص الصَّلاة، فأي العمومين يقضىٰ به علىٰ الآخر وأي الخصوصين يقضىٰ به علىٰ الآخر؟ نظر فيه نظرا أصوليا ولم يترجح له شيء –في نيل الأوطار–، وقال: فإن قلتَ ما الذي تحصل لكَ في هٰذه المسألة المشكلة؟ قلتُ: تحصَّل لي أن لا تدخل المسجد وقت النهي، حتىٰ لا تصلي تحية المسجد. يعني لا تدخل المسجد أصلا.

وهٰذا يبيِّن لك أن المسألة مشكلة من جهة الترجيح لتعارض العمومين فيها والخصوصين، وإذا أعملنا القاعدة أن الاحتياط يقضي بالترك لأجل النهي، وأن درأ المفسدة مقدَّم وإذا اجتمع حاظر ومبيح فيقدم الحاضر ونحو ذلك من القواعد، فإنه يرجَّح بذلك عدم أداء الصلاة وقت النهي كما هو مذهب الإمام أحمد.

ومن نظر في أنها ذات سبب وأنّ النبي عليه الصلاة والسلام أمر الرجل الذي أتىٰ وهو يخطب في

الجمعة وقال له: «**أصليت ركعتين**» فقال: لا، فقال: «**قم فصليهما**»، وأن ذلك كان وقت نهي، جعل ذلك من ذوات الأسباب.

وتبقىٰ المسألة فيها هٰذه المذاهب.

**سؤال (٣٩)**: ما رأيك يا شيخ في الإكثار من الأسئلة علىٰ الشيخ من باب الأخذ أكبر كمية من العلم، أي حرصًا من الطالب؟

**الجواب**: أولا العلم ليس بالسؤال، العلم بالتعلم، السؤال كاشف عما يشكل في العلم، وإذا كان طالب العلم يُكثر من السؤال لأخذ العلم فلن يحصّل علما؛ لأن الأسئلة لا يجمعها زمام، ومعلوم أنّ تقرير العلم من جهة الكتب غير الجواب علىٰ الأسئلة، وقد نأتي نقرر المسألة في كتاب ونفصل الكلام فيها ويأتي السؤال ويكون الجواب عليه مقتضبا أو يكون الجواب عليه له منحنىٰ آخر.

فإذن العلم التأصيلي ليس بالأسئلة، هٰذا كأصل تأخذ معك، الأسئلة إنما تنفع لكشف ما يشكل، شيء يشكل عليك في العلم تسأل عنه لكشفه، وأما إذا كان السؤال للتعلم فليس كذلك، فالعلم ليس بالسؤال وإنما يؤخذ العلم بالتعلم والسؤال بالعلم في كشف ما يشكل من العلم.

**سؤال (٤٠)**: من الملحوظ قلة من يتصدىٰ لتدريس علوم الآلة من أهل العلم فما هو السبب، وما هو الحل بالنسبة للطالب؟

**الجواب**: علوم الآلة محدودة، ولا ينبغي للطالب أن يُكثر من علوم الآلة علىٰ حساب العلوم الأصلية؛ علوم الشريعة العقيدة، التوحيد، الفقه، الحديث، التفسير، هٰذه هي العلوم الأصلية التي ينبغي لطالب العلم أن يعتني بها، ويأخذ من علوم الآلة ما يحتاجه لفقه الكتاب والسنة، هٰذا هو الأصل الذي ينبغي لطالب العلم أن يتعاهده.

علوم الآلة طويلة عريضة ليس لها طرف، بحر لا ساحل له، وهي علوم اصطلاحية، والتحقيق فيها وفهمها يحتاج منك إلىٰ وقت طويل وإلىٰ أخذ عن عدد من العلماء؛ لأن استيعاب تلك العلوم متنوع، وعرض تلك العلوم أيضا متنوع، فمنهم من يعرضها بتوسط، ومنهم من يعرضها بطول، من أهل العلم من يعرضها لحاجة الطالب لما هو فوق حاجة الطالب إلىٰ آخر ذلك، فلذلك أنت تأخذ منها ما ينفعك في فقه الكتاب والسنة، وخاصة النحو وأصول الفقه.

النحو وأصول الفقه هٰذه ينبغي علىٰ كل طالب علم أن يعتني بهما، ولم أذكر أصول الحديث يعني المصطلح؛ لأن الغالب يهتم بالمصطلح، غالب من نرىٰ من الإخوان الاهتمام بالمصطلح، لكنهم لا يهتمون بالنحو ولا بأصول الفقه، وهما علمان مهمان فالعلوم الثلاثة هٰذه: أصول الفقه، أصول الحديث، أصول العربية يعني النحو، هٰذه أهم علوم الآلة.

**سؤال (٤١)**: قد يوجد تقرير لبعض العلوم عند الأصاغر بما لا يجده المرء عند الأكابر، فيترك هؤلاء ويلزم هؤلاء في أخذ العلوم؟

**الجواب**: أن العلم يؤخذ ممن يفيد فيه، فقد يكون الصغير أكثر إفادة، لكن لا يترك طالب العلم أهل العلم الكبار لا يسألهم ولا يحضر دروسهم ولا يأخذ من هديهم ولا يحضر مجالسهم، هٰذا يعطي خللا في بِنية طالب العلم في نفسه، الذي ينبغي أن يأخذ العلم ممن يفيده، إذا كان طالب العلم الذي هو أقل في سنه أكثر إفادة للطالب فيأخذ منه، ولكن لا يترك أهل العلم الكبار والمشايخ.

فهنا مسألة ينبغي التنبيه عليها، وهي أنه ليس تقييم طالب العلم من جهة الفائدة الكبرىٰ أو كَثرة الفوائد يكون بكثرة الكلام، قد يكون الشرح طويلا لكن الفائدة قليلة، مثل ما قال ابن رجب في كتابه «**فضل علم السلف علىٰ علم الخلف**» وهو كتاب مهم ومفيد جدا –فضل علم السلف علىٰ علم الخلف– قال: **كلام السلف قليل كثير الفائدة، وكلام الخلف كثير قليل الفائدة**.

قد يكون المعلم الذي سماه الأخ السائل سماه من الأصاغر يعني ممن يصغر الكبار في سنه أو نحو ذلك قد يكون أكثر تفصيلا أو أكثر معلومات لكن طريقته لا تفيد الطالب هٰذا لا يعني أنه أكثر إفادة، قد تكون المعلومات أكثر ولكن الإفادة أقل، قد يكون كلامه من جهة التفصيل ومن جهة الاستطراد أكثر ولكن إفادته أقل؛ لأن العالم يربي طالب العلم في العلوم، يريبه شيئا فشيئا، يعطيه ما ينفعه وما يحتاجه في فهم المتن، في فهم الكتاب الذي يُقرأ عليه، وهٰذا لابد فيه من رعاية لهٰذا، ذكر العلماء في قوله تعالىٰ ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران]، أن الرباني هو الذي يربي الطلاب بصغار العلم قبل كباره يعني في التربية ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ ففي تعليم الكتاب وفي الدرس يحتاج إلىٰ تدرج، فإذن ينبه الطالب لأن الأصاغر لا يعني كثرة كلامهم وكثرة تفصيلاتهم أنها أنفع، فقد تكون أنفع وقد لا تكون أنفع بحسب المنهجية والطريقة.

**سؤال (٤٢)**: بعض الطلاب يهتمون كثيرا بالدروس في المساجد ولا يهتمون بالدراسة المنهجية في الجامعة، فيكون الطالب متعثرا في الدراسة المنهجية بحجة أنّ العلم يؤخذ من المساجد؟

**الجواب**: هٰذا غير صحيح؛ بأن الدراسة الجامعية ليست مفيدة، لا الدراسة الجامعية مفيدة، ولكن:

كثرة المعلومات، واحد.

عدم بروز المعلِّمين فيما يعلّمون، اثنين.

وعدم ثقة الطالب في مشايخه في الجامعة لأسباب، ثلاثة.

أيضا ضعف بعض الأساتذة في الجامعة في المستوىٰ العلمي يجعل الطالب لا يتفاعل مع الدرس في الجامعة.

أيضا الهدي العام، والسمت وملازمة السنة، وإذا سأل الطلاب بعض الأساتذة في الجامعة وجاءت إجاباتهم ليست بمستقيمة فإنه لا يحسن الظن به أوْ لا يستفيد منه.

فيه عوامل كثيرة وأسباب كثيرة، تجعل الطالب لا يحسن أو لا يحبِّذ الدراسة في الجامعة من جهة

الجد، وهٰذا غير جيد.

الكتب التي تدرسها في الجامعة في الإجمال كتب منهجية عظيمة؛ لكن قد تكون أعلىٰ من مستوىٰ بعض الطلاب فهي موضوعة لمستوىٰ الطلاب قبل ثلاثين سنة، نفس الكتب التي درسها الآن يدرسها الطلاب مثلا في الشريعة يدرسوها في أصول الدين هي نفس الكتب التي كانت تدرس منذ عشرين، ثلاثين سنة لما كان الطلاب يقرؤون علىٰ المشايخ وكانوا أقوىٰ وكانوا يتخرجون من المعاهد العلمية ومستواهم أعلىٰ.

فإذن الخلل متنوع، فكثرة المعلومات التي يتلقاها الطالب في الكلية تجعله ما يتحمَّل، ويجد أن الدراسة في المسجد أيسر، أيضا الدراسة في الجامعة يجد أنها ليست بالطريقة التي يرتاح إليها.

هٰذه نظرة عامة، يبقىٰ ولا شك أنّ المسجد له بركته، مكان عبادة وهو أحب البقاع إلىٰ الله جل وعلا، واجتماع الطلاب وهم جالسون علىٰ الأرض ويسمعون ويثقون بالمعلم ويأخذون منه، وكلٌّ يحرص علىٰ هٰذا الدرس هٰذا أمر نفسي وأيضا عبادي ويجعل النية فيه صالحة، ولهٰذا يستفيد أكثر، فإذن المسألة تحتاج من طالب العلم إلىٰ تعاهد في نفسه وكلٌّ يقيّم نفسَه.

**سؤال (٤٣)**: هل يصح أن يقال: إن من صفات طالب العلم كثرة الشيوخ حتىٰ يتجرَّد طالب العلم من التعصب للرجال كما يظهر من حال أهل الحديث بخلاف حال كثير من أهل الفقهاء؟

**الجواب**: التعصُّب مذموم بالاتِّفاق، التعصب مذموم بالاتفاق؛ باتفاق المحدثين والفقهاء وجميع أصناف العلماء، لكن ما هو التعصُّب؟

التَّعصُّب أن تأخذ بقول وتنصره وتدفع غيرَه مع عدم وضوح الدليل عليه، هٰذا هو التعصب، تأخذ بقول فلان لأنه قال، والأصل عندنا أن الحق لا يعرف بالرِّجال، ولكن الرجال يعرفون بالحق، هٰذا الأصل العام عند السلف؛ يعني أن قبول كلام المتكلم إذا كان علىٰ إطلاقه وتدفع عنه وتنصره سواء وافق الحق أم لم يوافقه ولو ظهر لك الدليل بخلافه، فهٰذا هو التعصب المذموم هٰذا هو الذي يقال فيه تعصب، أما أن يكون الرجل محبًّا لشيخ من المشايخ ويأخذ بأقواله لظهور دليلها عنده، أو يأخذ طائفة من الناس بمذهب من المذاهب لظهور الدَّليل عندهم فيه أو لمتابعتهم لتأصيل المذهب فهٰذا ليس بتعصب إذا لم يردوا القول الحق إذا ظهر الدَّليل.

فإذن ثَم فرق ما بين المتابعة والتقليد، فقد يتابع المذهب في مسألة ويتابع شيخًا معينا في مسألة لاقتناعه بكلامه مع أنَّ السنة تكون بخلافه، لكنه هو مقتنع بكلام هٰذا العالم وبوجهة نظره في هٰذا الدليل وبتوجيهه لهٰذا الاستدلال ونحو ذلك فيأخذ به هٰذا لا يعد تعصبا، فلو كان كذلك لقيل في كل من أخذ يقول أحد من أهل العلم إنه يتعصب له، وهٰذا ليس بصحيح.

فإذن كثرة الشيوخ قد تكون محمودة وقد تكون مذمومة؛ قد تكون محمودة إذا كانت في تنوُّع العلوم، وقد تكون مذمومة إذا كانت كثرة الشُّيوخ تسبب الإرباك لطالب العلم في طلب العلم، بعض الناس

يذهب هنا يحضر لعشرة أو لستة أو ثمانية من أهل العلم هنا وهناك وفي النهاية ماذا حصّل؟ تجد أنه لم يحصّل، والأفضل أن يجعل له شيخا مختصا في التوحيد والعقيدة فيأخذ طريقته حتىٰ ينهيها معه، ثم بعد ذلك يريد أن ينتقل إلىٰ غيره لا بأس، فهو يأخذ له شيخًا في الفقه ويأخذ ما عنده، ويأخذ له شيخًا يثق به في السنة؛ الحديث، ويأخذ ما عنده في ذلك، ثم كل طالب علم تتكون شخصيّته بقدر تأثير الشيخ المعين فيه، فهو يميل لفلان في الفقه، يميل إلىٰ فلان في الحديث بحسب استعداداته وما جعل له.

طلَّاب شيخ الإسلام ابن تيمية منهم المتخصِّص في العقيدة، ومنهم المتخصص في الفقه كابن مفلح، ويكون في غير ذلك أقل، ومنهم المتخصِّص في الرَّد علىٰ المتصوفة ومنهم المتخصِّص في الرجال ونحو ذلك.

فإذن لا يعني الأخذ من شيخ والذب عنه وتلقي ما يقول أن يكون الرجل الطالب كهيئة شيخه في كل شيء لا يعني ذلك؛ بل يكون هو باستعداداته وبما وهب الله جل وعلا وما يسر له وما قدر له «**واعملوا فكل ميسر لما خلق له**» يكون ينصبغ بصبغة جديدة بحسب ما كتب الله جل وعلا له.

كما يظهر من حال أهل الحديث بخلاف حال كثير من الفقهاء، بعض أهل الحديث يتعصبون أكثر من تعصب الفقهاء، وبعض أهل الفقه يتعصبون أكثر، وهٰذا ليس علىٰ إطلاقه أنَّ كل من كان من أهل الحديث ليس بمتعصب وكل من من أهل الفقه فهو متعصب هٰذا ليس بصحيح، ولا يقول هٰذه من يفقه العلم ويعرف مدارك أهله.

لأن أصلًا التقليد يجري مثلا أخذ قول العالم الفلاني بأن الحديث صحيح؛ أحد العلماء قال هٰذا الحديث صحيح وبناء عليه نأخذ منه كذا وكذا، طيب هل هو شارك العالم الفلاني الذي أخذ قوله هل شاركه في صحة الحديث؟ هل شاركه في البحث وصارت صحة الحديث عنده عن دليل لا عن تقليد له؟ سؤال.

الثاني هل إذا نظر في الرجال نظرا متجردا سيشارك هٰذا العالم؟ لا.

الخلاف في درجات الحديث وهل الحديث هٰذا صحيح أو حسن أو ضعيف بين أهل العلم في الحديث أكثر من خلاف الفقهاء؛ لأنها مبنية علىٰ الحكم علىٰ الرجال، ومعلوم أن الرجال من الرواة المتفق عليهم قليل؛ قليل جدا وأكثر الرواة مختلف فيهم، إما من جهة الثقة والضعف هل هو ثقة أو ليس بثقة، وإما من جهة صحة حديثه مطلقا في بعض الأحيان كحال المختلطين، وإما من جهة صحة حديثه في بلد وعدم صحته في بلد آخر كحال عدد مثل معمر وغيره، معمر من رواة الصحيح لكن حديثه في البصرة إذا علمنا أن الحديث هٰذا في البصرة فإنه ضعيف وإن كان من رواة «الصحيحين»، وهو من الأفذاذ في العلم، وهل هٰذا الحديث معلل؟ ومعلوم أن العلل والتعليل يدخلها الاجتهاد في كثير من الأحيان، هل يرجح قول يحيىٰ القطان في هٰذا الرجل علىٰ قول أحمد؟ هل يرجح قول بلدي الرجل؛ يعني إذا كان الرجل كوفيا نرجح قول العالم من أهل الكوفة في ثقته أو نرجح قول البغدادي في توثيقه؟

هٰذه مسائل كلها تبين لك الكلام في صحة الإسناد أيضا فيه خلاف وميدان فيه للاجتهاد والأخذ والنظر.

هل يؤثر العمل في صحة الحديث أم لا يؤثر؟ هل تؤثر رواية الصحابي في تقوية المرفوع أم لا؟ وهٰذه مسائل كثيرة تحتاج إلىٰ نظر.

ولهٰذا نقول: إنّ التقليد يكون من أهل الحديث في صحة الأحاديث وفي قبولها كما يكون في أهل الفقه في قبول الفتوىٰ ونحو ذلك، فالتقليد موجود لن يسلم أحد من التقليد؛ لكن هو درجات، والتعصب هو المذموم.

**سؤال (٤٤)**: كيف نفسر قبول كثير من السلف عند النظر في بعض شيوخهم أنهم أهل نحل وملل من غير أهل السنة والجماعة، مع أن المشهور عن السلف انتقاء الشيوخ؟

**الجواب**: هٰذا الكلام ليس صحيح علىٰ إطلاقه، فالسلف في رواية المبتدعة لم يجعلوا المبتدعة علىٰ درجة واحدة، بل التحقيق أن المبتدعة من أهل الرِّواية درجات، فإذا علموا أنّ هٰذا الرَّاوي الذي اُتُّهم بالبدعة أنه صادق في قوله صادق في روايته فإنه يقبل حديثه ولا يقبل مطلقا، بل يقبل بعض حديثه انتقاء كما خرج البخاري لعمران بن حطان وكما خرّج لقتادة وكان يرىٰ القدر إلىٰ آخره.

هناك عدد من أهل العلم من رواة الحديث لم تؤثر بدعتهم في صدق حديثهم، وكان منهم من أثَّرت بدعته في صدق حديثه، كما قال أحدهم: كنا إذا هوينا أمرا صيَّرناه حديثا.

بعض أهل العلم يقول: لا يؤخذ برواية المبتدع فيما يؤيد بدعته أما في غيرها فلا بأس.

والتَّحقيق عند أهل العلم عند المحققين كما ذكرها ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ وكلامه متين في آخر «شرح علل الترمذي»: أنّ المسألة فيها تفصيل، وأنه لا يُطلق القول بقبول رواية المبتدع ولا يُطلق القول بردها، بل لابد من التفصيل.

والمذاهب في المسألة متعددة:

منها مذهب من يردُّ أحاديث المبتدع إطلاقا، هٰذا مذهب شائع.

ومنها مذهب من يقول العمدة في رواية المبتدع صدقه فإذا ثبتت ثقته من جهة الصدق فلا ننظر إلىٰ عدالته من جهة البدعة، وهٰذا مذهب بعض المتأخرين وليس بجيد.

ومذهب المحققين من أهل العلم كالبخاري ومسلم والإمام أحمد وجماعة أنهم ينظرون إلىٰ هٰذا المبتدع فيما يروي بحسب بدعته، فلا يجعلون البدع مرتبة واحدة، فبدعة الإرجاء لا يجعلونها كبدعة الخروج؛ يعني أن يكون مرجئا ليس كأن يكون خارجيا، فالقدري حال، الجهمي حال، المعتزلي حال، المرجئ حال، وهكذا في أنواع البدع، فيجعلون لكل ما يناسبه فالذين ابتلوا بالقدر من أهل البصرة عُفي عن أكثرهم من جهة الرواية، الخوارج أنتقي من أحاديثهم ما ظهر صدق القائل فيه أو غلب علىٰ الظن صدق القائل فيه، فمنهم من كان يرىٰ الكذب في الحديث كفرا، من طوائف الخوارج من يرىٰ الكذب في

الحديث كفرا، ولهٰذا قبل منهم عدد كما في «الصحيحين»؛ لكن في الجملة ترىٰ أن هؤلاء نوادر أربعة خمسة عشرة لكنهم نوادر في جملة الرواة .

كذلك المرجئ تجد أنه يتركون الرواية عنه، لهٰذا البخاري قال: في كتابي هٰذا لم أخرج لأحد إلا وهو يقول الإيمان قول وعمل. ما روىٰ لأحد وهو يقول الإيمان قول وعمل هٰذا قد يكون من جهة التعزير أن لا يروي عن مرجئ، وقد يكون من جهة اتهامه في صدق حديثه.

أما الجهمية والمعتزلة فإنهم لم يرووا عن جهمي وعن معتزلي شيئا بل من أجاب في الفتنة فتنة خلق القرآن وسكت فإنهم تركوا حديثه اتِّقاء واحتياطا، حتىٰ البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ مع جلالته وأنه إمام من أئمة أهل السنة والجماعة وأمير المؤمنين في الحديث لما ترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل قال محمد بن إسماعيل البخاري ترك أبي وأبو زرعة الحديث عنه، يعني أنه عند أبي حاتم وعند أبي زرعة متروك قال لما أظهر القول في اللفظ في القصة المعروفة بينه وبين محمد بن يحيىٰ الذهلي فيما هو معروف.

لما ترجم لمسلم لأجل تولي قال صدوق تجد مسلم بن الحجاج النيسابوري صدوق، هٰذه الفتنة ترىٰ أن من وقف فيها أهل الحديث وأهل السنة اشتدُّوا في التغليظ عليه حتىٰ لا يقتدي الناس بهم، مع أن الأمة أجمعت علىٰ إمامتهم وجلالتهم كالبخاري ومسلم وعلي بن المديني ويحيىٰ بن معين إلىٰ آخره، وهل يصبر كل أحد علىٰ ما قوي عليه إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

أسأل الله أن يغفر لهم ولنا وأن يحشرنا معهم في زمرة أوليائه وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمَّد.[1]

---

(١) انتهىٰ الشريط الخامس.

## الدَّرسُ الثَّامن

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَىٰ، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَىٰ، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَىٰ.

وَإِنَّهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ، وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَكُلُّ دَعْوَىٰ النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ فَغَيٌّ وَهَوًىٰ.

وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَىٰ عَامَّةِ الْجِنِّ، وَكَافَّةِ الْوَرَىٰ، بِالْحَقِّ وَالْهُدَىٰ، وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ.

---

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ إلٰه وصحبه ومن اهتدىٰ بهداهم إلىٰ يوم الدين.

أما بعد..

أسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم من أهل العلم النافع وممن يتعلّم لوجه الله، كما أسأله سبحانه أن يقرّ العلم في قلوبنا، وأن يعيذنا من مضلاّت الفتن ومن الأهواء ما ظهر منها وما بطن.

أما بعد..

فقول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَىٰ، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَىٰ، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَىٰ. وَإِنَّهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ، وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَكُلُّ دَعْوَىٰ النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ فَغَيٌّ وَهَوًىٰ. وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَىٰ عَامَّةِ الْجِنِّ، وَكَافَّةِ الْوَرَىٰ، بِالْحَقِّ وَالْهُدَىٰ، وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ.)

هٰذه الجملة من كلامه من التوحيد، وذلك أنه قال في أول الكلام؛ يعني في أول هٰذه العقيدة (نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ -مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ-: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ.) ثم مضىٰ في ذلك وأتىٰ إلىٰ مقام الرّسالة والكلام علىٰ النبوة فقال: (وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَىٰ)، فهي معطوفة علىٰ قوله: (إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ)، و(إِنَّ) هنا مكسورة لأنها معمول القول، ومن المعلوم في النحو أنّ (إِنَّ) تُكسر إذا كانت تقدّر مع ما بعدها بجملة؛ يعني أنّ (إِنَّ) مع ما دخلت عليه تقدّر بجملة فلذلك تُكسر إذا كانت بعد كلام يقدّر ما بعده بجملة، ومعلوم أنّ القول له مقول، ومقول القول جمل وليس بمفردات، وهٰذا بخلاف فتح الهمزة في (أَنَّ) فإن القاعدة فيها أنها تُفتح إذا كانت في تقدير المفرد أو المصدر، كما هو مقرر في النحو كما هو معلوم لكم جميعا.

المقصود أن قوله: (وَإِنَّ مُحَمَّدًا) هٰذا بكسر همزة (إِنَّ)؛ لأنها مقول القول في أول الرسالة وهو قوله: (نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ).

وبحث الرسالة والنبوة هو من توحيد الله جل وعلا:

♦ ووجه ذلك أنّ توحيد الله جل وعلا يُطلق ويعنىٰ به العقيدة بعامة، فكل العقيدة بأركان الإيمان تدخل في توحيد الله، فتوحيد الله جل وعلا هو الإيمان، وهو المشتمل علىٰ أركان الإيمان الستة،

والكلام علىٰ نبوّة محمد عليه الصلاة والسلام من ضمن ذلك.

♦ والوجه الثاني أنّ نبوّة محمد عليه الصلاة والسلام هي طريق التوحيد؛ لأنّ توحيد الله جل وعلا لم يُعلم إلا عن طريق الرسل، وفي ذلك تقريرُ أنّ العقول لا تستقلُّ في معرفة توحيد الله جل وعلا وما يتضمنه ذلك وما يستلزمه ذلك؛ بل إنّه لابدّ من بعثة رسلٍ وأنبياء للبيان ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾[النساء:١٦٥]، وبعثة الرسل بها عُلم حق الله جل وعلا وتوحيده؛ توحيد الإلهية، وبها عُلم نعت الله جل وعلا وأسماؤه وصفاته الكاملة الجليلة.

فإذن بعثة محمد عليه الصلاة والسلام وبعثة الرسل جميعا هي طريق توحيد الله جل وعلا، ولهٰذا قال هنا: (نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ -مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ-: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لا شريكَ لَهُ.) واستمرّ ومرّ حتىٰ قال: (وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَىٰ) يعني (وَنَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ: إِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَىٰ، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَىٰ، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَىٰ.). وهٰذه الجملة من كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ فيها تقرير عقيدةٍ عظيمة، وهي أنّ محمدا عليه الصلاة والسلام جُمعت له أوصاف ونعوت ومراتب:

- فمنها أنه عبد.
- ومنها أنه نبيٌّ.
- ومنها أنه رسولٌ.
- ومنها أنه خاتَم الأنبياء والمرسلين.
- ومنها أنه حبيب ربّ العالمين وخليله.
- ومنها أنّ بَعثته عامة للجن والإنس، وكافة الورىٰ.

وسيأتي بيان هٰذه الجمل والصفات في شرح كل جملة بما تقتضيه.

نخصّ الآن من هٰذه الجمل المتعلّقة بالنبوة قولَه: (وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَىٰ، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَىٰ، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَىٰ.) فذكر ثلاث مقامات لمحمَّد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

وقوله: (إِنَّ مُحَمَّدًا) بدون أوصاف زائدة كسيدنا محمد ونحو ذلك فيه اتّباع لما جاء في الأحاديث الكثيرة من ذكر التعبد باسم النبي عليه الصلاة والسلام مجردا عن وصف السيادة وغير ذلك، وهٰذا هو المسنون والمشروع كما في دعاء المصلي في التحيات إذا جلس للتشهد وأشباه ذلك، وكما في قول المؤذن، وكما في الصلاة علىٰ النبي عليه الصلاة والسلام في الصلاة وفي غيرها، فالسنة التي جاءت بها الأحاديث الكثيرة وعمل السّلف أنّ مقام المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام أرفع ما يوصف به أنْ يوصف بمقام العبودية والنبوة والرّسالة، وذلك لأن الله جل وعلا وصف نبيَّه بذلك في أعلىٰ المقامات في أجلها، فقال سبحانه: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾[الإسراء:١]، فوصفه في هٰذا المقام العظيم وهو مقام الإسراء وما تبعه من المعراج إلىٰ رب العالمين بأنه أسرىٰ بعبده، وقال سبحانه في وصف نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وتذلله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ

عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾[الجن]، فقال سبحانه في المعراج وقُرْبِ محمد عليه الصلاة والسلام من رب العالمين قال: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾[النجم]، وهٰذا الوصف -وصف العبودية الخاصة- هو أعلىٰ المقامات التي يوصف بها الإنسان، فإذا زاد عليه وصف النبوة ووصف الرسالة كان ذلك أعلىٰ الكمال، ولهٰذا يَعْظُم العبد بتحقيق كمال العبودية لله جل وعلا، وتحقيق كمال العبودية إنما هو في الأنبياء والمرسلين.

فإذن وصف محمد عليه الصلاة والسلام بأنه (عَبْدُهُ الْمُصْطَفَىٰ) هٰذا فيه رفعٌ له وإكرام للنبي عليه الصلاة والسلام؛ بأنّ الله جل وعلا هو الذي رضي له هٰذا الوصف وهٰذا النعت وهٰذا المقام.

وهٰذا هو الذي ينبغي علىٰ من يكتب ويصنف أو يخطب أو يحاضر أن يتّبع السنة في الألفاظ، فنقول: إن محمدا عبده المصطفىٰ. دون زيادة لسيدنا وأشباه ذلك وإن كان هو عليه الصلاة والسلام هو سيد المرسلين كما ذكر، هنا وهو سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام.

قال: (وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَىٰ) والاصطفاء هو الاختيار، ومحمد عليه الصلاة والسلام اصطُفي للرسالة، وهٰذا اللفظ مأخوذ من قوله تعالىٰ ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ ﴾ [الحج:٧٥]، فكلّ مرسل مصطفىٰ لأنّ الله اصطفاه يعني اختاره وقربه لمقام الرسالة ولمقام العبودية الخاصة.

قال: (وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَىٰ) والاجتباء هو الاختصاص، اجتباه ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾[الأنعام:٨٧]، هٰذا معناه الاختصاص؛ يعني جعله نبيا فاجتباه، جعله حبيبا له وخليلا ومختارا ومختصا بالمقامات العالية.

والوصف الثالث قال: (وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَىٰ) وهٰذا مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾[الجن].

هٰذا البيان لمعاني تلك الكلمات نُتبعه بأنّ هٰذا الكلام، هٰذه الجمل من المصنف فيها تقريرٌ لعقيدة عامة، وهي أنّ محمد بن عبد الله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ عبدٌ ونبي ورسول، وأنّه خاتَم الأنبياء، وأنّ كل دعوة للنبوة بعده فغيٌّ وهوىٰ، وهٰذا من جملة ما يدخل في أركان الإيمان.

فلا يصح إيمان عبد حتىٰ يعتقد بأنّ محمدا عليه الصلاة والسلام عبدٌ نبيٌ رسول، وأنه خاتَم الأنبياء وخاتَم المرسلين، وأنه لا تصح دعوة للنبوة بعده، وكل دعوة للنبوة بعده فكذب وضلال وغيٌّ وهوىٰ، إلىٰ آخر ما سيأتي في بيان تلك الجمل.

وهٰذه الجملة فيها تقرير لـ: أنّ النبوة مختلفة عن الرسالة، وأنَّ النبوة تسبق الرسالة كما قال: (وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَىٰ، وَرَسُولُهُ [الْمُرْتَضَىٰ]) وهٰذا هو المعروف عندكم فيما هو مقرر من أن محمد عليه الصلاة والسلام نبئ بإقرأ وأرسل بالمدثر، فالنبوة مرتبة دون مرتبة الرسالة -كما سيأتي-، وجعْل العطف متغايرا

---

(١) الشيخ حفظه الله تعالىٰ قال: المصطفىٰ.

أولىٰ من جعله –يعني متغايرا في الذات– أولىٰ من جعله متغايرا لفظيا؛ يعني أن المصنف الطحاوي يرىٰ أن النبوة غير الرسالة وأن النبي غير الرسول، وهٰذا هو الحق كما سيأتي بيانه.

هٰذه الجملة فيها تقرير ما ذكرت من العقيدة العامة المعروفة، ويدخل تحتها مسائل:

**المسألة الأولى**: تعريف النبي والرسول.

والنبي والرسول لفظان موجودان في لغة العرب، فتعريفهما في اللغة يؤخذ من موارده في اللغة.

وهو أن **النّبي**: مأخوذ من النَّبْوَة وهي الارتفاع وذلك لأنَّه بالإيحاء إليه وبالإخبار إليه أصبح مرتفعا علىٰ غيره.

**والرّسول**: هو من حُمِّل رسالةً فبُعث بها.

ولهٰذا نقول: إنَّ كلمة (نبي) جاءت في القرآن في القراءات علىٰ وجهين؛ يعني علىٰ قراءتين متواترتين:

**الأولىٰ** (النبي) بالياء.

**والثانية** (النبيء) ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ**﴾.

والفرق ما بين (النبي) و(النبيء) أنّ النبيء هو من نبئ وكلا الأمرين حاصل في النبي عليه الصلاة والسلام وفي كل نبي، فهو مرتفع ولأجل ذلك فهو نبي، وهو منبأ ولأجل ذلك فهو نبيء.

لهٰذا نقول: إن كلمة (نبي) صارت من الرفعة لأجل أنه (نبيء) ؛ يعني أنه نبئ فصار في نَبْوَة وارتفاع عن غيره من الناس.

أما في الاصطلاح –التعريف الاصطلاحي للنبي والرسول– فهٰذا مما اختلف فيه أهل العلم كثيرًا، والمذاهب فيه متنوعة:

- فمنها قول من قال إنه لا فرق بين الرسول والنبي، فكل نبي رسول وكل رسول نبي.
- والقول الثاني أن النبي والرسول بينهما فرق، وهو أن النبي أدنىٰ مرتبة من الرسول؛ فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا.
- والمذهب الثالث أن النبي أرفع من الرسول، وهو قول غلاة الصوفية وأن الرسول دون النبي.

المذهب الأول: قال به طائفة قليلة من أهل العلم من المتقدمين ومن المتأخرين، ومنهم من يُنسب إلىٰ السنة.

والقول الثاني: وأنه ثمة فرق بين النبي والرسول وأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا، هٰذا قول جمهور أهل العلم وعامة أهل السنة، وذلك لأدلة كثيرة استدلوا بها علىٰ هٰذا الأصل مبسوطة في مواضعها، ونختصر لكم بعضها:

**الأول** منها قوله جل وعلا في سورة الحج: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ﴾[الحج:٥٢].

قال سبحانه هنا: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ ووجه الاستدلال أن الإرسال وهو فعل ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾ وقع علىٰ الرسول وعلىٰ النبي، فإذن الرسول مرسل والنبي مرسل؛ لأنّ هٰذا وقع علىٰ الجميع.

وجه الاستدلال الثاني أنه عطف بالواو فقال: ﴿مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾، والعطف بالواو يقتضي المغايرة؛ مغايرة الذات أو مغايرة الصفات، وهنا المقصود منه أن الصفة التي صار بها رسولا غير النعت الذي صار به نبيا، وهو المقصود مع تحقّق أن الجميع وقع عليهم الإرسال.

والوجه الثالث من الاستدلال أنه عطف ذلك بـ﴿لَا﴾ أيضا في قوله ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾، ومجيء ﴿لَا﴾ هنا في تأكيد النفي الأوّل؛ في أول الآية وهو قوله ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾، فهي في تقدير تكرير الجملة منفية من أولها، كأنه قال: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا أرسلنا من قبلك من نبي إلا إذا تمنىٰ ألقىٰ الشيطان في أمنيته.

هٰذا هو الدليل الأول.

والدليل **الثاني** أنّ النبوة ثبتت لآدم عليه السلام فآدم كما صح في الحديث «**نبي مكلّم**» وأن هناك أنبياء جاؤوا بعد آدم عليه السلام كإدريس وشيث وكغيرهما، وإدريس ذكره الله جل وعلا في القرآن، والرسل أولهم نوح عليه السلام، وجعل الله جل وعلا أولي العزم من الرسل خمسة، وجعل أولهم نوحا عليه السلام، فهٰذا يدل علىٰ أنّ آدم عليه السلام لم يحصل له وصف الرسالة، بل جاء في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: «**آدم نبي مكلم**»، ووُصف نوح بأنه رسول، ووُصف إدريس بأنه نبي، فدلّ هٰذا علىٰ التفريق بين المقامين.

الدليل **الثالث** الذي أورده أصحاب هٰذا القول ما جاء في حديث أبي ذر من التفريق ما بين عدد الأنبياء وعدد المرسلين، فجُعل عدد الأنبياء أكثر من مائة ألف -مائة وأربعة وعشرين ألف أو نحو ذلك-، وجُعل عدد الرسل أكثر من ثلاثة مائة بقليل -بضعة عشرة وثلاثمائة رسول-، والله جل وعلا قص علينا خبر بعض الرسل وحجب عنا قَصص البعض الآخر فقال جل وعلا: ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ﴾[النساء:١٦٤]، وهٰذا الحديث -حديث أبي ذر- حسّنه بعض أهل العلم وإن كان إسناده عند التحقيق فيه ضعف؛ لكن فيه جمل صحيحة وهو حديث طويلة رواه ابن حبان غيره.

وثَم أدلة أخرىٰ في هٰذا المقام، قد لا تكون دالة بوضوح علىٰ المراد.

إذا تبين لكَ ذلك، وأنَّ الصحيح هو قول الجمهور وهو أن ثمة فرقا بين النبي والرسول، فما تعريف النبي وما تعريف الرسول في الاصطلاح؟

قلنا إن النبي يقع عليه الإرسال؛ ولكن لا يسمىٰ رسولا عند الإطلاق.

والرسول يقع عليه الإرسال وهو الذي يسمىٰ رسولا عند الإطلاق.

والله جل وعلا جعل ملائكة مرسلين، وإذا قلنا: الرسول، فلا ينصرف بالإطلاق علىٰ المبلِّغ للوحي جبريل عليه السلام، والله جل وعلا أرسل الريح وأرسل المطر وأرسل أشياء من العذاب، ولا يقع عند الإطلاق أنْ يقال: هٰذه مرسلة أو هٰذه رسالة الله أو هٰذه الأشياء رسول من إطلاق المفرد وإرادة الجمع به.

ولهٰذا نقول: قد يقال عن هٰذه الأشياء كما جاء في القرآن، قد يقال عنها إنها مرسلة ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ [المرسلات]، ولكن إذا أُطلق لفظ الرسول فلا ينصرف إلىٰ من أرسل من الملائكة وإنما ينصرف إلىٰ من أرسل من البشر.

وهٰذا يدل علىٰ أن الفرق قائم ما بين النبي وما بين الرسول، وأنّ النبي إرساله خاص وأن الرسول إرساله مطلق.

فلهٰذا نقول: دلّت آية سورة الحج ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ علىٰ أنّ كلا من النّبيّ والرسول يقع عليه إرسال.

فما الفرق بينهما من جهة التعريف؟

الجواب: أن العلماء اختلفوا علىٰ أقوال كثيرة في تعريف هٰذا وهٰذا، ولكن الاختصار في ذلك مطلوب:

وهو أن تعريف **النبي**: –وهي مسألة اجتهادية– تعريف النبي هو: من أَوْحَىٰ الله إليه بشرعٍ لنفسه أو أَمَرَه بالتبليغ إلىٰ قوم موافقين؛ يعني موافقين له في التوحيد.

**والرسول**: هو من أَوْحىٰ الله إليه بشرع وأُمِرَ بتبليغه إلىٰ قوم مخالفين.

وتلحظ أن هٰذا التعريف للنبي وللرسول أنه لا مدخل لإيتاء الكتاب في وصف النبوة والرسالة، فقد يُعطىٰ النبي كتابا وقد يعطىٰ الرسول كتابا، وقد يكون الرسول ليس له كتاب وإنما له صحف ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾[الأعلىٰ]، وقد يكون له كتاب.

فإذن من جعل الفيصل أو الفرق بين النبي والرسول هو إيتاء الكتاب –وحي– جاءه بكتاب منزل من عند الله جل وعلا، فهٰذا ليس بجيد، بل يقال كما ذكرت لك في التعريف أن المدار علىٰ:

**أولا** الإيحاء؛ النبي موحىٰ إليه والرسول موحىٰ إليه.

**والثاني** أنه يوحىٰ إليه بشرع أو بفصل في قضية –شرع يشمل أشياء كثيرة– وكذلك الرسول يوحىٰ إليه بشرع.

النبي يوحىٰ إليه لإبلاغه إلىٰ قوم موافقين أو ليكون في خاصة نفسه يعمل به في خاصة نفسه كما جاء في الحديث «**ويأتي النبي وليس معه أحد**»، والرسول يُبعث إلىٰ قوم مخالفين له.

ولهٰذا جاء في الحديث أن العلماء ورثة الأنبياء ولم يجعلهم ورثة الرسل، وإنما قال: «**وإن العلماء ورثة الأنبياء**»، وذلك لأنّ العالم في قومه يقوم مقام النبي في إيضاح الشريعة التي معه، فيكون إذن في إيضاح شريعته، في إيضاح الشريعة يكون ثَم شبَه ما بين العالم والنبي، ولكن النبي يُوحىٰ إليه فتكون

أحكامه صوابا؛ لأنها من عند الله جل وعلا، والعالم يوضح الشريعة ويعرض لحكمه الغلط.

**يتعلق بهٰذه المسألة** بحث أنَّ الرسول قد يكون متابعا لشريعة من قبله، كما أنّ النبي يكون متابعا لشريعة من قبله.

فإذن الفرق ما بين النبي والرسول في إتباع الشريعة -شريعة من قبل- أنّ النبي يكون متابعا لشريعة من قبله، والرسول قد يكون متابعا -كيوسف عليه السلام جاء قومه بما بعث الله به إبراهيم عليه السلام ويعقوب-، وقد يكون يُبعث بشريعة جديدة.

وهٰذا الكلام؛ هٰذه الاحترازات لأجل أن ثمة طائفة من أهل العلم جعلت كل محترز من هٰذه الأشياء فرقا ما بين النبي والرسول.

فإذن كما ذكرت لكم الكتاب قد يُعطاه النبي وقد يعطاه الرسول.

بَعْثه لقوم موافقين أو مخالفين هٰذا مدار فرق ما بين النبي والرسول.

الرسول قد يبعث بشريعة ما قبله بالتوحيد بالديانة التي جاء بها الرسول لمن قبله، لكن يرسل إلىٰ قوم مخالفين، وإذا كانوا مخالفين فلا بد أن يكون منهم من يصدقه ويكون من يكذبه؛ لأنه ما من رسول إلا وقد كُذِّب، كما جاء في ذلك الآيات الكثيرة.

**المسألة الثانية**: نبوة الأنبياء، هل هي واجبة أو ممكنة؟ الصواب أن نبوة الأنبياء وإرسال الرسل مما جعله الله جل وعلا علىٰ نفسه، كما قال سبحانه: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[النساء:١٦٥]، وقد اختلف الناس في ذلك:

- فقالت طائفة: إرسال الرسل جائز.
- وقالت طائفة: إرسال الرسل واجب علىٰ الله جل وعلا.
- وقالت طائفة: إرسال الرسل ونبوة الأنبياء لا يقال فيها جائزة ولا واجبة؛ بل هي تبع للمصلحة.
- وكما ذكرنا أنّ قول أهل السنة في ذلك: أن إرسال الرسل جعله الله جل وعلا حجة علىٰ الناس كما في الآية، ولا يُطلق القول بوجوبها ولا بإمكانها أو جوازها أو رد ذلك، بل يُتَّبع في ذلك النص الوارد لأنّ أفعال الله جل وعلا والإيجاب عليه والتحريم إنما يكون من عنده جل وعلا.

**المسألة الثالثة**: نبوة الأنبياء أو رسالة الرسل بما تَحْصُل؟ وكيف يعرف صدقهم؟ وما الفرق ما بين النبي والرسول وبين عامة الناس أو من يدعي أنه نبي أو رسول أو من يأتي بالأخبار المغيبة أو يجري علىٰ يديه شيء من الخوارق؟

والجواب عن ذلك: أنّ المتكلمين في العقائد نظروا في هٰذا علىٰ جهات من النظر، ونقدم قول غير أهل السنة، ونبين لكم قول السلف وأهل السنة والجماعة في هٰذه المسألة العظيمة، وهي من المسائل التي يقل تقريرها في كتب الاعتقاد مفصّلة.

فنقول: إنّ طريقة إثبات نبوة الأنبياء وإرسال الرسل للناس فيه مذاهب:

**المذهب الأول**: أن الرسل والأنبياء لديهم استعدادات نفسية راجعة إلىٰ القوىٰ الثلاث والصفات الثلاث وهي السمع والبصر والقلب، فإنه يكون عنده قوة في سمعه، فيسمع الكلام؛ كلام الملأ الأعلىٰ، وعنده قوة في قلبه، فيكون عنده تخيلات أو يتصور ما هو غير مرئي، وعنده بصر أيضا قوي يبصر ما لا يبصره غيره، وهٰذه طريقة باطلة، وهي طريقة الفلاسفة الذين يجعلون النبوة من جهة الاستعدادات البشرية، لا من جهة أنها وحي وإكرام واصطفاء من الله جل جلاله.

**والثاني**: قول من يقول إنّ النبوة والرسالة طريق إثباتها والدليل عليها هو المعجزات وهٰذا قول المعتزلة والأشاعرة وطوائف من المتكلمين، وتبعهم ابن حزم وجماعة، وجعلوا الفرق ما بين النبي وغيره هو أن النبي يجري علىٰ يديه خوارق العادات، فمنهم من التزم -وهم المعتزلة وابن حزم- وهو أن ما دام الفرق هو خوارق العادات وهي المعجزات؛ فإذن لا يثبت خارق لغير نبي، فأنكروا السحر والكهانة، وأنكروا كرامات الأولياء، وأنكروا ما يجري من الخوارق؛ لأجل أن لا يلتبس هٰذا بهٰذا، وجعلوا ذلك مجرد تخييل في كل أحواله. وأما الأشاعرة فجعلوا المسألة مختلفة، وسيأتي تفصيلها في موضعها إن شاء الله عند كرامات الأولياء.

**المذهب الثالث**: هو مذهب أهل السنة والجماعة والسلف الصَّالح فيما قرره أئمتهم وهو أن النبوة والرسالة دليلها وبرهانها متنوع، ولا يُحصر القول بأنها من جهة المعجزات الحسّية التي تُرىٰ أو تجري علىٰ يدي النبي والولي.

فمن الأدلة والبراهين لإثبات النبوة والرسالة:

- **أولا** الآيات والبراهين.
- **والثاني** ما يجري من أحوال النبي في خبره وأمره ونهيه وقوله وفعله مما يكون دالاً علىٰ صدقه بالقطع.
- **الثالث** أن الله جل وعلا ينصر أنبياءه وأولياءه ويمكّن لهم ويخذل مدّعي النبوة ويُبيد أولئك ولا يجعل لهم انتشارا كبيرا.

وهٰذه ثلاثة أصول.

أما الأول: فمعناه أن من قرّر نبوة الأنبياء عن طريق المعجزات، فإننا نوافقهم علىٰ ذلك؛ لكن أهل السنة لا يجعلونه دليلا واحدا، لا يجعلونه دليلا فَرْدا؛ بل يجعلونه من ضمن الدلائل علىٰ النبوة، وهٰذا الدليل وهو دليل المعجزات -كما يسمىٰ- يعبِّر عنه أهل السنة بقولهم: الآيات والبراهين، وذلك لأنّ لفظ (المعجز) لم يرد في الكتاب ولا في السنة، لفظ (المعجزة) وإنما جاء في النصوص الآية والبرهان ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]، ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾[النمل:١٢]، وقال ﴿فَذَٰنِكَ

(١) الشعراء:٨، ٦٧، ١٠٣، ١٢١، ١٣٩، ١٥٨، ١٧٤، ١٩٠.

بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ ﴾[القصص:٣٢]، ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾[البقرة:١١١]، ونحو ذلك من الآيات التي تدل علىٰ أن ما يؤتاه الأنبياء والرسل إنما هو آيات وبراهين.

وبعض أهل العلم جعل لفظ المعجز نتيجة؛ في أن آية النبي وبرهان النبوة معجز، لكن لفظ الإعجاز فيه إجمال، وذلك لأنه معجز لمن؟ فيه إجمال وفيه إبهام، فإعجاز ما يحصل لمن هو معجز؟ فإذا قلنا: معجز لبني جنسه فهٰذا حال، معجز لبني آدم فهٰذا حال، معجز للجن والإنس فهٰذا حال، معجز لكافة الورىٰ فهٰذا حال.

ولهٰذا جعل المعتزلة والأشاعرة في الخلاف ما بينهم في المعجزات جاء من هٰذه الجهة؛ أن لفظ معجز اختلفوا فيه، معجز لمن؟ -كما سيأتي تقريره في موضعه إن شاء الله-، ولهٰذا نعدل عن لفظ الإعجاز إلىٰ لفظ الآية والبرهان.

ونقول: الآية والبرهان التي يؤتاها الرسول والنبي للدِّلالة علىٰ صدقه تكون معجزة للجن والإنس جميعا، فما آتاه الله جل وعلا محمدا عليه الصلاة والسلام يكون معجزا للجن والإنس جميعا، كما قال تعالىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء].

أما إعجاز بعض الإنس دون بعض أو الإنس دون الجن، فهٰذا هو الذي يدخل في الخوارق ويدخل في أنواع ما يحصل علىٰ أيدي السحرة والكهنة وما أشبه ذلك.

أما الفرق ما بين الآية والبرهان الدال علىٰ صدق النبي مع ما يؤتاه أهل الخوارق، أنَّه هل هو معجز عامة الجن والإنس أم لا؟ فإن كان معجز لعامة الجن والإنس فهو دليل الرسالة والنبوة، هٰذه الآيات والبراهين التي آتاها الله جل وعلا محمدا عليه الصلاة والسلام أنواع:

**النوع الأول** منها القرآن وهو حجة الله جل وعلا وآيته العظيمة علىٰ هٰذه الأمة، فتحدّىٰ الله جل وعلا به الجن والإنس، ولم يستطيعوا ذلك مع أنهم متميّزون في الفصاحة والبلاغة وأشباه ذلك.

فإذن الآية والدليل الأول هو القرآن العظيم وهو الحجة الباقية.

الثاني آيات وبراهين سمعية؛ يعني تكون دالة من جهة ما يُسمع، ومن ذلك تسبيح الحصىٰ، تسبيح الطعام علىٰ عهده ﷺ كما روىٰ البخاري في الصحيح أن ابن مسعود قال: كنا نسمع تسبيح الطعام ونحن نأكل مع رسول الله ﷺ.

ومنها آيات وبراهين راجعة إلىٰ البصر وهو ما يُبْصَر من أشياء لا تحصل لغيره؛ بل هي آية وبرهان علىٰ عجز الثّقلين عن ذلك، مثل نبع الماء ما بين أصابعه، ومثل حركة الجمادات وأشباه ذلك.

ومنها أدلة وبراهين فيها نُطق ما لم ينطق وهٰذه تشمل الأول المسموعة، وتحرك ما لم يتحرك بالعادة ويشمل حركة الجمادات، وشعور من لم يُعرف بشعوره وهٰذه إنما يخبر عنها نبي وتحصل للرسل

والأنبياء، مثل حنين الجذع وتسليم الحجر وأشباه ذلك...[1]

... وأمر ونهي وللرسول قول وفعل فهٰذه خمسة أشياء، وهٰذا النوع من الدلائل أهم من الدلائل التي ذكرت لك فيما قبل عدا القرآن فهو أعظم الأدلة؛ وذلك أنّ محمدا عليه الصلاة والسلام جاء بأخبار - هٰذه تصدق علىٰ جميع النبوات والرسالات-.

جاء بخبر عن الله جل وعلا، وهٰذا الخبر: منه ما يتعلق بالماضي، ومنه ما يتعلق بالحاضر، ومنه ما يتعلق بالمستقبل.

وجاء بأمر ونهي، وهٰذا الأمر والنهي وما يدخل في الشريعة، والأوامر متنوعة والنواهي متنوعة.

وجاء بأقوال هو قالها في التبليغ وأفعال له.

وكل هٰذه بمجموعها تدل للناظر علىٰ أن من قال وأخبر عن الله وفعل وأمر ونهىٰ فإنه صادق فيما قال؛ لأنّ كل مدَّعٍ للخبر والأمر والنهي وله أقوال وله أفعال وليس علىٰ مرتبة النبوة فلابد أن يظهر لكل أحد أن يظهر له كذبه فيما ادّعاه وتناقضه في أقواله وأفعاله وضَعْفُ أمره ونهيه وعدم إصلاحه وأشباه ذلك.

ولهٰذا محمد عليه الصلاة والسلام جعل الله جل وعلا له الكمال فيما أخبر به، وفيما أمر به، وفيما نهىٰ، وفي أقواله وأفعاله، فجعل إتّباعه في الأقوال والأفعال إتّباعا مأمورا به ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[آل عمران:٣١]، وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]، وجعل ما يخبر به الرسول ﷺ هو في كخبر الله جل وعلا؛ لأنه لا ينطق عن الهوىٰ، ونحو ذلك، فاستقام أمره عليه الصلاة والسلام في هٰذه الأمور الخمسة، ولم يُعْرَف أنّ أحدا طعن في شيء من هٰذه الأشياء واستقام علىٰ طعنه ولم يستسلم؛ بل كل من طعن في واحد من هٰذه الأشياء فإنه آل به أمره إلىٰ الاستسلام، أو أن يكون طعنه مكابرة دون برهان.

**لهٰذا نقول**: إن هٰذا الدليل من أعظم الأدلة التي تُفَرِّق ما بين النبي والرسول الصادق وما بين مُدّعي النبوة، فإنّ الرسول له أحوال كثيرة يُسمع في أقواله، يُرىٰ في أفعاله، أوامره ونواهيه جاءت بماذا؟ أخباره جاءت بماذا؟ ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام أخبر عن أشياء حدثت في الماضي لم يكن العرب يعرفونها، وجاء تصديقها من أهل الكتاب وما كان يقرأ عليه الصلاة والسلام كتب أهل الكتاب، وجاء بأخبار عما سيحصل مستقبلا، وجاء بأخبار عما سيحصل بين يدي الساعة وحصلت بعده عليه الصلاة والسلام شيئا فشيئا، منها ما حصل بعد موته سريعا، ومنها ما يحصل شيئا فشيئا، ومنها ما سيحصل بين يدي الساعة، وكل هٰذه الأخبار في تصديقها دالّة علىٰ أنه لا يمكن أن يعطاها إلا نبي.

كذلك ما أمر به النبي عليه الصلاة والسلام وما نهىٰ عنه فهو موافق للحكمة البالغة التي يعرفها أهل الدّين ويعرفها أهل العقل الراجح، حتىٰ إنَّ الحكماء شهدوا في الزمن الماضي وفي الزمن الحاضر بأن

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط السادس.

شريعة محمد عليه الصلاة والسلام هي شريعة ليس فيها خلل لا من جهة الفرد في عمله ولا من جهة التنظير في المجتمع بعامة.

وكذلك ما في أفعاله عليه الصلاة والسلام فكان عليه الصلاة والسلام له المقام الأكمل في التخلص من الدنيا والبعد عن الرفعة؛ يعني والترفع علىٰ الناس؛ بل كان عليه الصلاة والسلام أكمل الناس في هديه وفي تواضعه وفي قوله وفي عمله عليه الصلاة والسلام، وكان أكمل الناس في عبادته، وكلّ دعوىٰ لمن ادّعىٰ النبوة فلا بد أن يظهر فيها خلل في هٰذه الأشياء.

أيضا هو عليه الصلاة والسلام تحدّىٰ الناس في قوله فيما أتىٰ به، وأخذ يدعو كما يظهر لك من قصة هِرَقل مع أبي سفيان وسؤالات هرقل لأبي سفيان، وأخذ يدعو غير ملتفت لخلاف من خالف، والناس يزيدون وأعداؤه ينقصون، وهٰذا مع تطاول الزمن ونصرة الله جل وعلا له، فإن هٰذا دليل علىٰ صدقه فيما أخبر وفي أمره ونهيه وقوله وفعله عليه الصلاة والسلام.

الدليل الثالث -كما ذكرنا هٰذه جنس أجناس الأدلة- أن الله جل وعلا هو صاحب الملكوت وهو ذو الملك والجبروت، وهو الذي ينفذ أمره في بريته، فمحال أن يأتي أحد ويدّعي أنه مرسل من عند الله، ويصف الله جل وعلا بما يصفه به، ويذكر الخبر عن الله وأسمائه ونعوته، ثم هو في ملك الله جل وعلا يستمر به الأمر إلىٰ أن يشرِّع ويأمر وينهىٰ وينتشر أمره ويغلب من عاداه ويسود في الناس ويُرفع ذكره دون أن يُعاقب، ولهٰذا قال جل وعلا في بيان هٰذا البرهان: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الحاقة]، لو كانت دعوىٰ في ملك الله جل وعلا وهٰذا يدعي أنه مرسل ونبي ويأتي بأشياء هو يقول هي من عند الله، فإنّ مالك الملك لا يتركه وهٰذا بل ربما جعل هٰذا امتحانا للناس، ولكن لا ينصر وتكون الشريعة وتكون شريعته هي الباقية ويكون ذكره هو الذي يبقىٰ، ويكون الخبر عن الله وعن أسمائه وصفاته ودينه وشرعه وعن الأمم السالفة وعما سيحصل هو الذي يبقىٰ في الناس، فإن هٰذا مخالف لقول الله جل وعلا: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾، والمشركون لما كذّبوا النبي عليه الصلاة والسلام قالوا: ﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾[الطور]، لأنّ السنة ماضية عند العقلاء أن من يدّعي عن الله جل وعلا فإنما يتربص به الهلاك والإفناء، ﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ فجاء البرهان ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾[الطور]، لأنّ هٰذا البرهان صحيح، فتربصوا فغني معكم من المتربصين ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾ وقد صدقتهم في هٰذا البرهان؛ لأنه لو كان كما تقولون: كاذب فإنه يتربص به ريب المنون وأن يهلكه الله جل وعلا وأن يجعله مخليا وأن يجعله عبرة لمن اعتبر.

فالنبي عليه الصلاة والسلام وسائل الأنبياء والمرسلين جعلهم الله جل وعلا حملة لرسالته وشرفهم ورفع ذكرهم ونصرهم بين الناس، ولهٰذا تجد أن الرسالات هي الباقية في الناس كرسالة موسىٰ عليه

السلام ورسالة إبراهيم ورسالة عيسىٰ عليه السلام ورسالة محمد عليه الصلاة والسلام، وكل واحدة منها دخلها من التحريف ما دخلها، فأتباع إبراهيم من الحرانيين حرفوا في دينهم حتىٰ أصبحوا علىٰ غير ملة إبراهيم، وأتباع موسىٰ من اليهود الآن علىٰ غير دين موسىٰ، وأتباع عيسىٰ عليه السلام الآن علىٰ غير دين عيسىٰ، وأتباع محمد عليه الصلاة والسلام هم الذين حفظهم الله جل وعلا وجعل منهم طائفة ظاهرين بالحق يقومون به إلىٰ قيام الساعة.

هٰذا ما يتعلَّق بالمسألة الثالثة.

**المسألة الرابعة**: وهي آخر المسائل، أنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجوز في حقِّهم ما يجوز في حقِّ البشر مما هو من الجبلة والطبيعة، لهٰذا في القرآن يكثر وصفهم بأنهم بشر وأنّ محمدا عليه الصلاة والسلام بشر لكن يوحىٰ إليه، وأما من جهة الذُّنوب والآثام ونجعل البحث هٰذا يعني رأس المسألة منقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

**القسم الأول** من حيث الأمراض والعاهات: فعند أهل السنة والجماعة أن الرسل والأنبياء يُبتلون ويمرضون مرضا شديدًا، وعند الأشاعرة أنهم يمرضون ولكن بمرض خفيف ولا يمرضون بمرض شديد، هٰذا غلطٌ بيّن فإنّ ابن مسعود دخل علىٰ النبي عليه الصلاة والسلام وقال: يا رسول الله إني أراك توعك. يعني فيك حمىٰ شديدة، قال: «**أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**» قال ابن مسعود: ذلك بأن لك أجرين؟ قال: «**نعم**» إلىٰ آخر الحديث، والأنبياء يُضاعف عليهم أو يشتدّ عليه البلاء بأنواعه.

فإذن من جهة الأمراض والأسقام التي لا تؤثر علىٰ التبليغ وصحة الرسالة فإنهم ربما أُبتلوا في أجسامهم وأبدانهم بأمراض متنوعة شديدة.

المسألة الثانية من جهة الذنوب: الذنوب أقسام:

١. فمنها الكفر وجائز في حق الأنبياء والرّسل أنْ يكونوا علىٰ غير التوحيد قبل الرسالة والنبوّة.

٢. والثاني من جهة الذنوب فالذنوب قسمان كبائر وصغائر:

- والكبائر جائزة فيما قبل النبوة، ممنوعة فيما بعد النبوة والرسالة؛ فليس في الرسل من اقترف كبيرة بعد النبوة والرسالة أو تقحّمها عليهم الصلاة والسلام بخلاف من أجاز ذلك من أهل البدع.
- أما الصغائر فمنع الأكثرون فعل الصغائر من الأنبياء والرسل والصواب أن الصغائر علىٰ قسمين:
  - صغائر مؤثرة في الصِّدق؛ في صدق الحديث وفي تبليغ الرسالة وفي الأمانة، فهٰذه لا يجوز أن تكون في الأنبياء، والأنبياء منزَّهون عنها؛ لأجل أنها قادحة أو مؤثرة في مقام الرسالة.
  - والثاني من الأقسام صغائر مما يكون من طبائع البشر في العمل أو في النظر أو في ما أشبه ذلك، فهٰذه جائزة إن لم تكن من جهة النقص بتحقيق أعلىٰ المقامات وأشباه ذلك، فهٰذه جائزة، ولا نقول واقعة؛ بل نقول جائزة، والله جل وعلا أنزل علىٰ نبيه عليه الصلاة والسلام:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[الفتح] الآية، فالنبي عليه الصلاة والسلام غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

**المسألة الأخيرة نجعلها الخامسة**: -تذكَّرْتُها الآن- هي أنّ الرسول والنبي فيهم شروط أو أوصاف عامة جاءت في القرآن والسنة:

**أولا** أن الرسول يكون ذكرا وكذلك الأنبياء ذكورا، فليس في النساء رسولة ولا نبية، وإنما هم ذكور.

**الثاني** أنهم من أهل القرىٰ يعني ممن يسكنون القرىٰ ويتقرّون ويجتمعون، وليسوا من أهل البادية يعني ممن يَبْدون كما جاء في آية يوسف.

**الثالث** أنّ الرسول لابد أن يُكذَّب، فلم يأتِ رسول إلا وكُذِّب كما قال جل وعلا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾[يوسف:١١٠].

مباحث النُّبوَّة والرسالة كثيرة متنوعة، وهٰذه بعض المسائل المتعلقة بها، وقد لا تجد ذلك مجموعا في موضع واحد، ولاشك أنّ هٰذا البحث خاصة دلائل النبوة بحث مهم، واعتنىٰ به أئمة السنة والسلف، وصنّف فيه عدد من العلماء في دلائل النبوة وفي آيات وبراهين النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

نكتفي بهٰذا القدر، ونقف عند قوله: (وَإِنَّهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ) إن شاء الله.

ننبّه أنّه قبل ما يقوم أحد أن الدرس القادم أنا غير موجود في الرياض ونعوضكم عن الدرس إن شاء الله بدروس متعددة يعني درس الخميس ودرس السبت كلها مَانِي موجود.

[الأسئلة]

**سؤال (٤٥)**: يقول ذكرتم أن العطف بالواو يقتضي المغايرة فهل فصلتم أكثر وكيف تكون المغايرة في قوله تعالىٰ ﴿الٓرٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١﴾[الحجر]؟

الجواب: أنا ذكرتُ أنّ المغايرة نوعان: مغايرة في الذات، ومغايرة في الصفات.

مغايرة في الذّات: تقول: هٰذان قلم وكتاب، خُذ القلم والكتاب، معلوم أنّ القلم شيء في ذاته والكتاب شيء في ذاته، دخل محمد وخالد، هٰذا شيء وهٰذا شيء، فالعطف بالواو يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه في هٰذه الأمثلة؛ مغايرة ذات، هٰذه ذات وتلك ذات، هٰذا له حقيقة وهٰذا له حقيقة، هٰذا له ماهية وهٰذا له ماهية.

**النوع الثاني من المغايرة** مغايرة في الصفات: أن يكون المعطوف والمعطوف عليه في الدلالة علىٰ مسمىٰ واحد، ولكن يكون ثمة فرق ما بين الصفات، كما ذكر في المثال قوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١﴾[النمل]، الكتاب المبين هو القرآن، لكن العطف لاختلاف الصفات، فالقرآن سمي قرآنا لأنه صار مقروءا، وسمي كتابا مبينا لأنه يُكتب فيستبين به كل شيء كما قال: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل:٨٩].

فإذن حقيقة المصحف في كونه قرآنا غير حقيقة المصحف في كونه كتابا، فهٰذا وصف له وهٰذا وصف له، كما ذكرنا في الآية ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ﴾[الحج:٥٢]، فالنبي والرسول قد يجتمعان في شخص واحد فيكون الرسول والنبي العطف لتغاير الصفات، يكون مقام النبوة غير مقام الرسالة كما نقول في نبينا عليه الصلاة والسلام نُبِّئ بإقرأ وأرسل بالمدثر، وقد يكون هنا الرسول والنبي في الفرق ما بين الذاوت، الرسول واحد أحد المرسلين والنبي المقصود به نبي آخر، وهكذا في نظائرها.

مثل هٰذه المباحث ترجعون فيها إلىٰ كتب اللغة ومن أمْثَلِها في الحروف كتاب «مغني اللبيب عن كُتُب الأعاريب» لابن هشام وأمثل الكتب في حروف المعاني.

الكتب التي في دلائل النبوة منها كتاب «دلائل النبوة» لأبي نعيم وقد طبع مختصرا في مجلدين معروف، و«دلائل النبوة» للبيهقي، و«دلائل النبوة» للبغوي، وفي كتب الحديث أبواب أو كتب تتعلق بدلائل النبوة.

سؤال (٤٦): ما معنىٰ قول بعض السلف: النبوة العلم والعمل، وهل هٰذا صحيح أم لا؟

**الجواب**: أنّ هٰذا القول ليس بقول لبعض السلف؛ بل قاله ابن حبان صاحب الصحيح وغُلِّط في ذلك وهُجر بسبب هٰذه الكلمة؛ فإنه سئل عن النبوة فقال: النبوة العلم والعمل.

وهٰذا كقول الفلاسفة؛ لأن الفلاسفة عندهم أن النبوة ليست اصطفاء واجتباء واختيارا إنما هي كسبيّة يكتسبها الحكيم، هٰذا لما سُئل ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ وقيل له: ما النبوة؟ فقال: العلم والعمل. اُتهم بالفلسفة وكان رَحِمَهُ اللَّهُ ربما طالع بعض كتبها ولذلك صنف كتابه في «الصحيح علىٰ التقاسيم والأنواع»، قالوا: إنه تأثر بما في المنطق من الترتيبات ونحو ذلك، التقاسيم والأنواع كتاب ابن حبان معروف أنه غير موجود ولكنه رتبه الفارسي ابن بلبان، وهو المطبوع رتّبه علىٰ الأبواب، ولكن نفس كتاب ابن حبان ليس علىٰ هٰذه البابة.

لكن الواقع أنّ ابن حبان سليم مما رمي به رَحِمَهُ اللَّهُ فإن تصنيفه للكتاب ليس مأخذه مأخذا فلسفيا، ولكنه رأىٰ طلاب العلم يعتمدون علىٰ الكتب، يعتمدون علىٰ ما في الكتب وتركوا الحفظ، فصنف لهم كتابا جمع فيه صحيح السنة -بحسب رأيه، بحسب اجتهاده في التصحيح- وجعله غير مبوب علىٰ الأبواب المعهودة حتىٰ يُحفظ رغبة في الحفظ وتوجيه الناس إلىٰ الحفظ وإلزام الطلبة بالحفظ، ومعلوم أن حسن الظن بأهل العلم هٰذا أولىٰ من إساءة الظن بهم.

وأما قوله النبوة العلم والعمل يعني أنّ النبوة فيها كمال العلم وكمال العمل، وهٰذا كما هو معروف في ذكر الشيء بأعظم صفاته كما سئل النبي عليه الصلاة والسلام عن الحج فقال: «**الحج عرفة**» يعني مع بقية الأركان والشروط، فلا ينفي أن النبوة وحي من الله جل وعلا وأنها اصطفاء وأنّ النبي هو من أوحي إليه ونحو ذلك، لا ينفي ذلك وإنما ذكر الصفة التي يبلغها النبي؛ كمال العلم وكمال العمل، وهٰذه ليست إلا في الأنبياء، رَحِمَهُ اللَّهُ، لكن ليس قول للسلف فليُنتبه لذلك.

سؤال (٤٧): أشكل عليَّ قولك: النبي قد يكون علىٰ غير التوحيد قبل الرسالة؟

الجواب: نعم النبي قد يكون علىٰ غير ذلك، فيصطفيه الله جل وعلا وينبهه؛ يعني ما فيه مشكل في ذلك، قد يكون غافلا.

سؤال (٤٨): لم تذكروا ما إذا كان هناك رسول من الجن أولا؟

الجواب: الصواب أنّ الجن ليس فيهم رسول وإنما الجن تبع للإنس في الرسالة، كما قال جل وعلا: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾[الأحقاف:٢٩]، صرفهم الله جل علا إلىٰ محمد حتىٰ يسمعوا الرسالة ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ﴾ فالصارف هو الله جل وعلا والمصروفون هم الجن لسماع الرسالة، قال: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾[الأحقاف] الآية، فدلّ علىٰ أنهم متّبعون لموسىٰ قبل ذلك، متبعون للأنبياء، فلما جاءت رسالة محمد عليه الصلاة والسلام خوطبوا بذلك، فهٰذا هو الصحيح في الآية.

وأما قوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾[الأنعام:١٣٠]، المقصود التغليب لأن الجنسين جنس واحد في التكليف.

سؤال (٤٩): أرجو بيان بعض الكتب التي بحثت هٰذا الموضوع.

الجواب: إن هٰذا الموضوع تفرّق في بيان الآيات في تفسير الآيات التي فيها ذكر النبوة والرسالة والآيات والبراهين، وشيخ الإسلام ابن تيمية كتب كتابة عظيمة في هٰذا الباب خاصة في المعجزات والآيات والبراهين والفرق بين النبوة والرسالة في كتابه النبوات، لكنه طويل يحتاج إلىٰ اختصار من طالب علم يقرّبه لطلاب العلم.

سؤال (٥٠): ما رأيكم في عبارة أشرف الأنبياء؟

الجواب: هٰذه العبارة ما جاءت في الأحاديث، والشرف متنوع، الشرف نوعان:

- شرف كسبي.
- وشرف نَسَبي.

وهٰذا من حيث تقسيم الشرف؛ يعني في تعريفه.

الشرف النَّسَبي: هٰذا النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**إنّ الله اصطفىٰ من قريش كنانة**» إلىٰ أن قال: «**فأنا خيار من خيار من خيار**».

الشرف الكسبي أو شرف النبوة: هو الكمال، كمال العبودية، كمال الصفات، ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام فيه كمال الصفات؛ الصفات الكاملة التي صار بها أكمل من غيره -وإن كنا لا نقول: إنه أفضل من غيره في جهة الموازنات- لكن هو اجتمعت فيه صفات الكمال، لهٰذا الناس يأتون يوم القيامة إلىٰ كل أولي العزم من الرسل فيمتنعون من إجابتهم -في حديث الشفاعة المعروف- ويأتون إلىٰ محمد عليه

الصلاة والسلام فيقول: «**أنا لها**»، فقد كمله الله جل وعلا في صفات لم يجعلها في غيره عليه الصلاة والسلام.

فإذن الشرف هنا شرف الصفات، ولهٰذا يقول أهل العلم: وأشرف الأنبياء والمرسلين.

وحدثني الشيخ عبد العزيز بن صالح بن مَرشد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ وكان من مشايخنا العباد الزهاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورفع درجته في الجنة، أنه كان يقرأ علىٰ شيخه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، وكان يقول هٰذه الكلمة: والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين. فقال له أحد الإخوان: هٰذه ما جاءت؛ يعني كيف تقول أشرف الأنبياء والمرسلين، فعظمت عليه يقول: فرأيت النبي عليه الصلاة والسلام في المنام، فقال لي: أنا أشرف الأنبياء وأشرف المرسلين، وهٰذه لها حُكم المنامات التي هي للبشرىٰ، وإلا فالمعنىٰ كما ذكرت لكم صحيح.

سؤال (٥١): هل أرسل للعرب رسول غير محمد عليه الصلاة والسلام ؟

الجواب: الجواب: لا.

نكتفي بهٰذا القدر وأسأل الله لي ولكم التوفيق، وصلىٰ الله وسلم علىٰ ونبينا محمد

## الدرس التاسع

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

قبل البدء بعض الإخوة اقترح أن يكون أول الدرس خمس دقائق أسئلة إما فيما مضىٰ أو في غيره؛ لأجل أن يحضر الذين يصلون في أماكن بعيدة، فما أدري، الحق لكم يا الذين تحضرون مبكّرين، هو مناسب أو لا؟ الذي عنده أنه غير مناسب يرفع يده، الذي يرىٰ أنه غير مناسب يرفع يده. فكان إجماعًا. طيب، فيه أسئلة عندك، انتهت؟ طيّب.

[الأسئلة]

بسم الله، الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ إلٰه وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه، أما بعد:

سؤال (٥٢): قال: ظهرت قبل فترة أشرطة تكلمت بالتفصيل علىٰ ما وقع بين الصحابة من فتن، واسم هٰذه السلسلة قصص من التاريخ الإسلامي، فما رأيكم فيها؟

**الجواب**: لم أستمع لها؛ ولكن ذُكر لي من عدد من الإخوة أن عليها ملاحظات، والذي ذكر لي ذلك يوردها ما في الأشرطة فإذا كانت لا توافق طريقة أهل السنة ما وقع بين الصحابة من شجار وجب منعها حينئذ.

ذكر الأخ أنّ سماحة الشيخ يقول أن منعناها، فالحمد لله. فهٰذا شيء طيب.

سؤال (٥٣): هل تارك العمل بالكلية مسلم؛ تارك الأركان وتارك غيرها من الواجبات والمستحبات والأعمال الظاهرة بالجوارح ؟

الجواب: أن العمل عند أهل السنة والجماعة داخل في مسمىٰ الإيمان؛ يعني أن الإيمان يقع علىٰ أشياء مجتمعة وهي الاعتقاد والقول والعمل، ولذلك من ترك جنس العمل فهو كافر؛ لأنه لا يصحّ إسلام ولا إيمان إلا بالإتيان بالعمل.

سؤال (٥٤): هل يُتصور وجود مطلق الانقياد في القلب ولا يظهر له أثر علىٰ الجوارح؟

والجواب: أن هٰذا فرع المسألة التي قبلها، فإن الانقياد في أصله عقيدة واجب وهو من عمل القلب، ولا يصح الإيمان حتىٰ يكون الانقياد ظاهرا علىٰ الجوارح؛ يعني حتىٰ يعمل.

سؤال (٥٥): ما هو التوجيه الصحيح للحديث الذي في مسلم «**لم يعمل خيرا قط**»؟

الجواب: وردت عدة أحاديث بهٰذا اللفظ، فينبغي أن يُحضر النص لأن لكل جوابا.

سؤال (٥٦): ما حكم تغير الصوت عندما يقرأ متنا ثم إذا وصل آية وتلاها ؟

الجواب: لم تكن علىٰ هٰذا سنة أهل العلم.

سؤال (٥٧): كيف نجمع بين أن الله –الخط غير واضح – يتربص –إيش- بكذا، وبين ما جاء في الخبر أن بني إسرائيل كانت تقتل الأنبياء؛ كيف نجمع بين أن الله يتربص بأعداء الأنبياء، وبين ما جاء في الخبر أن بني إسرائيل كانت تقتل الأنبياء؟

الجواب: الله جل وعلا يتولىٰ أولياءه بنصره وانتقامه وإظهارهم علىٰ أعدائهم، وأعداء الأنبياء هم أشد الناس عداوة لله جل وعلا، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾[الفرقان]، وهداية الله جل وعلا ظاهرة للنبي في نفسه ولأمته ولبيان ظلال واعتداء من اعتدىٰ عليهم، وكذلك نَصره جل وعلا ظاهر لهم، ولكن قد يؤخر النصر كما قال جل وعلا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾[يوسف:١١٠]، فحكمة الله جل وعلا ماضية، وسنّته ﷻ فيما يفعل لأعدائه أيضا ماضية، وقد يؤخِّر ذلك سبحانه، فهو سبحانه يمهل ولا يهمل، قد دلّت علىٰ هٰذا الأصل آيات وأحاديث كثيرة.

سؤال (٥٨): ما حكم الصلاة في مسجد فيه قبر، وهل تجوز الصلاة في هٰذه المساجد بغية الدعوة إلىٰ الله، إلىٰ آخره؟

الجواب: أن الصلاة في مسجد فيه قبر فيها تفصيل:

**فإن كان المسجد وجد أولا ثم أُدخل القبر في المسجد**: فهنا يجب إخراج القبر من المسجد؛ لأن الحق للمسجد، والمسجد بأرضه وَقْفٌ، والقبر لا يدخل في المسجد؛ لأن الحق للمسجد.

ثم إذا وجد القبر المتأخر الذي أدخل في المسجد:

فإن كان في قبلة المصلي فلا تجوز الصلاة إليه ولا تجوز الصلاة حينئذ في المسجد.

وأما إذا كان في ظهر المصلي أوْ لا يستقبله فإنّ الصلاة فيه جائزة، وتركها أولىٰ لأجل ألا تحدث شبهة.

**وأما إذا كان القبر موجودا أوّلا ثم بُني المسجد علىٰ القبر**: فهٰذا يجب هدم المسجد وأن يبقىٰ القبر؛ لأن القبر له الحق، والقبور منازل الأموات ومساكنهم فلا يُعتدىٰ عليهم فيها، كما أن اتخاذ المساجد علىٰ القبور منهي عنه بالآي والحديث قال جل وعلا: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾[الكهف]، والذين غلبوا علىٰ أمر أصحاب الكهف هم أصحاب النفوذ والأمراء المعاندين لأهل الإيمان أو المشركون وليسوا بالمسلمين، قد ثبت علىٰ النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال في وصيته قبل وفاته عليه الصلاة والسلام: «**أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ. فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**»، وسببها أن أهل الكتاب كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، فنهىٰ النبي عليه الصلاة والسلام عن ذلك ودعا بقوله: «**اللّٰهمَّ لا تجعل قبري وثنا يعبد**».

المقصود أن المسألة فيها هٰذا التفصيل فإن كان القبر وجد أولا ثم بني عليه المسجد وجب هدم المسجد وإبقاء المقبرة، ثم إن الصلاة في مسجد فيه قبر وكان المسجد متأخرا عن القبر فإن الصلاة فيه باطلة؛ لأن النهي يقتضي الفساد.

سؤال (٥٩): هل يشترط في مسائل العقيدة معرفة الدليل حتىٰ للعامي، وهل يسوغ التقليد في مسائل العقيدة؟

**الجواب**: هٰذا بحث يطول سبق أن تكلمنا عليها أظن في بعض الشروح، ويأتي إليه بحث إن شاء الله في هٰذا الكتاب شرح العقيدة الطحاوية بإذنه تعالىٰ.

وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَىٰ، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَىٰ، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَىٰ.
وَإِنَّهُ خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ، وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ.
وَكُلُّ دَعْوَىٰ النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ فَغَيٌّ وَهَوًىٰ.
وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَىٰ عَامَّةِ الْجِنِّ، وَكَافَّةِ الْوَرَىٰ، بِالْحَقِّ وَالْهُدَىٰ، وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ.

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ إلٰه وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد..

فأسأل الله جل وعلا أن يُقْرّ في قلبي وفي قلوبكم العلم النافع وأن ينوّر به قلوبنا، وأن يجعلنا ممن إذا علم عمل وثبت علما وعملا يا أرحم الراحمين.

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَىٰ، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَىٰ، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَىٰ. وَإِنَّهُ خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ، وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَكُلُّ دَعْوَىٰ النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ فَغَيٌّ وَهَوًىٰ. وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَىٰ عَامَّةِ الْجِنِّ، وَكَافَّةِ الْوَرَىٰ، بِالْحَقِّ وَالْهُدَىٰ، وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ.) عليه الصلاة والسلام.

ووقفنا عند قوله: (وَإِنَّهُ خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ) وهٰذه الجملة فيها تقرير أنّ محمدا عليه الصلاة والسلام به خُتمت النبوة، (وَإِنَّهُ خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ) يعني الذي ختمهم، فصار خاتِما لهم، ليس بعده أحد.

وهٰذا مجمَعٌ عليه بين طوائف هٰذه الأمة جميعًا، حتىٰ الطوائف الخارجة أو الفرق الخارجة عن الثنتين والسبعين فرقة كالجهمية والرافضة وأشباه هؤلاء من المتقدّمين فإنهم مقرون بأن بَعثة محمد عليه الصلاة والسلام بها خُتمت النبوة وأنه عليه الصلاة والسلام خاتِم الأنبياء وخاتِم المرسلين عليه الصلاة والسلام.

فهٰذا إجماع، وقد ادَّعت طوائف خلاف هٰذا؛ ادعت طوائف من المعاصرين كالقاديانية وأشباههم خلاف هٰذا، وبعض المتقدّمين أشار إلىٰ أنَّ النبوة قد لا تُختم، وهٰذا سيأتي له البحث إن شاء الله فيما نعرض من مسائل.

ولكن لا يُنسب إلىٰ طائفة عامة، ولكن قد يكون نُسب إلىٰ بعض الأشخاص أو بعض الأفراد المنتسبين إلىٰ الفلسفة أو الغلو أو أشباه ذلك.

فقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَإِنَّهُ خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ) يعني النبي ﷺ هٰذا كما قلنا: مجمعٌ عليه لدلالة القرآن والسنة علىٰ ذلك ولإجماع أهل السنة عليه، قال ربنا جل وعلا: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب:٤٠]، قرأ قوله ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ عاصم وحده من بين القرّاء بفتح التاء؛ ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، وقرأ الباقون من السبعة ﴿وَخَاتِمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وبأحد القراءات كان يقرأ الطحاوي ولذلك اخترنا الكسر علىٰ الفتح لاتّباع الآي قراءة الآية علىٰ ما يقرأ به المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهٰذا موضوع يحتاج من طلاب العلم إلىٰ التنبُّه إليه وإلىٰ التنبيه عليه، وهو أن كثيرين إذا نشروا كُتُبا أو حققوا رسائل ضبطوا الآيات بما يقرأ به المحقّق أو يقرأ به الباحث.

وهٰذا غلط؛ لأنَّ حق المؤلف أن تورد الآية بحسب قراءته، فإذا عُرفت قراءته التي كان يقرأ بها، فإنه تورد الآية علىٰ نحو ما كان يقرأ، فإن كان يقرأ بحفص فتُثبت علىٰ حفص، وإن كان يقرأ بأبي عمرو أثبتت كذلك، وإن كان يقرأ علىٰ قراءة نافع فتثبت كذاك، وهكذا.

فينبغي التنبُّه لذلك؛ لأن بعض العلماء يورد آية ويذكر وجه الاستدلال، وقد لا يذكره فيقع إشكال في أن وجه الاستدلال أو أنّ الدليل لا يطابق القضية التي تُبحث، وذلك من جهة أن الناظر أو المحقق أو الناشر أورد الآية علىٰ نحو ما يقرأ هو، ولذلك يقع في إشكال.

وهٰذه بالمناسبة قضية كبيرة فالذين نشروا كتبًا متنوعة أو ينشرون ينبغي لهم العناية بهٰذا الأمر.

وأعظم منها إذا نشروا تفسيرًا للقرآن فإنهم قد يجعلون التفسير بقراءة ليست هي قراءة المؤلف، كما في عامة طبعات ابن كثير، فإن ابن كثير الحافظ المفسّر لم يكن يقرأ بقراءة حفص عن عاصم، وكما في غير ذلك.

وكذلك في كتب السنة كتب الحديث معلوم أنها روايات، والروايات مختلفة لكتب الحديث، فالبخاريُّ له روايات متعددة، وأبو داود له روايات قد تكون عن أبي داود نفسه وقد تكون عن من تلقىٰ عنه باختلاف، يأتي الناشر ويثبت نصا للكتاب يخالف النص الذي شرح عليه الشارح، ولهٰذا كل النّشرات أو الطبعات لكتاب فتح الباري ليست موافقة لرواية صحيح البخاري المثبت معها، فإن الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ لم يشرح البخاري علىٰ واحدة من الروايات المثبتة طبعًا مع نسخ فتح الباري.

وهٰذه المسألة ينبغي لطلاب العلم أن يتنبهوا عليها.

وخُذْ ما جرّه الأمر في صحيح مسلم حيث أدخل بعض الناشرين التبويب في داخل صحيح مسلم، وكأن مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ هو الذي بوب صحيحه، ومعلوم أن مسلمًا رَحِمَهُ اللَّهُ لم يبوّب كتابه وإنما جعله كتبا، وأما التبويب الداخلي فإنه من صُنع الشراح فلا ينبغي [1]... ينبغي أن تراعىٰ أيضا هل ذكرها في أولها أو لم يذكرها.

المقصود من هٰذا أنّ الله جل وعلا قال ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب:٤٠]، وفي القراءة الأخرىٰ التي قرأ بها ستة من السبعة القراء ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتِمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، وفي هٰذه الآية دلالة علىٰ أنّ النبي عليه الصلاة والسلام خُتمت به النبوة، وخَتم النبوة يدل علىٰ خَتم الرسالة من باب أولىٰ عند من يقول: إنّ الرسول أرفع رتبةً من النبي وأنّ كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا، وهو من قبيل دِلالة المساواة عند من يقول: إنّ الرسول والنبي بمعنىٰ واحد، والآية تدل علىٰ التفريق؛ لأنه قال: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتِمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

وفي السنة دلت أحاديث كثيرة علىٰ النبي ﷺ علىٰ أن بَعثته بها خُتمت الرسالات والنبوات، فثبت عنه

---

(١) انتهىٰ الشريط السادس.

عليه الصلاة والسلام في الصحيح أنه قال من حديث ثوبان «**إِنَّهُ سَيَكُونُ كَذَّابُونَ ثَلاَثُونَ كُلُّهُمْ يدّعي أَنَّهُ نَبِيّ -أو كُلُّهُمْ يَزْعَمُ أَنَّهُ نَبِيّ-، ولا نَبِيّ بَعْدِي**»، وأيضا دل قوله عليه الصلاة والسلام كما في الصَّحيح «**إنّه لا نَبِيّ بَعْدِي**» علىٰ ذلك، ودل أيضا قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه بعض أصحاب الصَّحيح وبعض أصحاب السنن؛ بل هو في مسألة ستأتي ليس فيها لفظ الختم.(١)

المقصود أنّ الأدلة من السنة التي فيها ذِكر ختم النبوة كثيرة متنوعة دالة علىٰ ما دلت عليه الآية من أنّ رسول الله ﷺ به خُتمت النبوة وكما ذكرنا لكم أن هٰذا إجماع.

إذا تبين ذلك ففي هٰذا البحث مسائل:

**المسألة الأولى**: أنّ قوله جل وعلا ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب:٤٠]، بكسر التاء، هو فاعل من ختَم، خَتَم الشيء يَخْتِمه فهو خاتِم له؛ يعني جاء آخرا فختمه فهو الآخِر منهم، وهٰذا دلّ عليه قوله عليه الصلاة والسلام: «**وأنا العاقب**» يعني الذي لا نبي بعده، وأما قوله جل وعلا ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بالفتح ففسره العلماء علىٰ أوجه:

منها أن الخاتَم في هٰذا ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أنه كالطابَع علىٰ مسألة النبوة، والطابَع علىٰ الشيء يأتي آخر ما يأتي، فالذي يرسل الرسالة يجعل الخاتَم آخر شيء، فتكون دِلالة ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ دالة علىٰ أنه هو الآخر؛ لأنّ الخاتم إنما يأتي آخره.

وفيه أيضا أن الخاتم هو زَيْن الشيء وما يُتَزَيَّن به، فهو البارز حلية وزينة وفضلا.

وهٰذا الوجه ذكره الشوكاني وغيره.

فدلّ هٰذا علىٰ أن القراءتين ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، والقراءة الأخرىٰ ﴿وَخَاتِمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أن دلالتهما علىٰ ختم النبوة واحدا، وأن قراءة ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ تزيد علىٰ القراءة الأخرىٰ بزيادة معنىٰ وفضل دلالة.

**المسألة الثانية**: أن مسألة ختم النبوة الكلام فيها راجع إلىٰ بعض الكلام في مسألة النبوة والنبي والرسول التي مرَّت معنا؛ وذلك أن من الأفراد المنتسبين إلىٰ الفلسفة وإلىٰ الصوفية الغالية من قال: إن النبوة مكتسبة، وتكتسب النبوة بأشياء:

- منها أشياء علمية.
- ومنها أشياء عملية.
- ومنها استعدادات ومواهب فطرية.

---

(١) قال الشيخ صالح حفظه الله في المسألة الخامسة والأخيرة من المسائل الآتية ما نصه: الحديث الذي ذكرتُ لكم أُنسيته، جاء الآن، هو قوله عليه الصلاة والسلام «**مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبياءِ قبلي كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَىٰ دَاراً فَحَسَّنَهَا وزينها إلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ منها، فَجَعَلَ النّاسُ يطوفون بهذه الدار، ويقولون ما أحسنها ما أجملها لو كملت هذه اللبنة، فأنا تلك اللبنة وبي ختم النبيون**» عليه الصلاة والسلام.

كما قد يكون غير الأنبياء مساوين لهم في تلقي الأوامر وتلقي الوحي كما يزعمون، وهٰذا القول لا يُنسب إلىٰ طائفة معروفة بحيث يقال إن الفلاسفة قالوا: هٰذا أو إن الصوفية قالوا هٰذا؛ بل ربما وُجد عند بعض أفرادٍ منهم.

**المسألة الثالثة**: أنّ الكلام علىٰ ختم النبوة هو الكلام نفسه علىٰ ختم الوحي، فإنّ النبوة إنما كانت بالوحي، فمن ادّعىٰ أنه يسمع كلام الله جل وعلا فقد ادّعىٰ أنه يُوحىٰ إليه، وانقطاع الوحي بموت النبي ﷺ دالٌّ علىٰ أنّ الوحي لا يكون لأحدٍ بعده عليه الصلاة والسلام، فلهٰذا كفّر طائفة من المحقِّقين من أهل السنة من ادّعىٰ أنه يوحىٰ إليه وأنه يسمع كلام الله جل وعلا مباشرة أو بواسطة جبريل ونحو ذلك؛ لأنّ حقيقة سماع الوحي هي حقيقة النبوَّة.

فإذن من ادّعىٰ أنه يوحىٰ إليه فقد ادّعىٰ أنه نبي، ولو نفىٰ النسبة عن نفسه.

**المسألة الرابعة**: أن ادّعاء الوحي كفر كدعوىٰ النبوة، وهٰذا باتفاق أهل السنة، فمن ادّعىٰ أنه يوحىٰ إليه فقد ادّعىٰ منزلة النبوة، وهٰذا يدخل في عدم التصديق بِخَتْم النبوة وبالكذب علىٰ رب العالمين، وهٰذا هو الكفر.

**المسألة الأخيرة**: أنّ ختم النبوة وكون النبي عليه الصلاة والسلام خاتِم الأنبياء وخاتَمهم لا يعارض نزول عيسىٰ عليه السلام في آخر الزمان، فإنّ نبوته عليه السلام كانت قبل نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وإذا نزل فالنبوة السابقة ملازمة له عليه السلام، ولكنه يأتي مؤمنا بمحمد عليه الصلاة والسلام حاكما بشريعته، قاتلا الخنزير، كاسرا الصليب، واضعا الجزية علىٰ النصارىٰ واليهود، كما ثبت في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**لَيُوشِكَنّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ عيسىٰ بْنُ مَرْيَمَ حَكَما عدْلا. فَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَكْسِرُ الصّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ**» وإذا نزل عليه السلام جعل إمام هٰذه الأمة منها وصلىٰ مأموما عليه الصلاة والسلام، وقال في ذلك: «**إمامكم منكم تَكْرِمة الله لهٰذه الأمة**».

فلا ينظر من ادّعىٰ بطلان تقرير ختم النبوة بنزول عيسىٰ عليه السلام في آخر الزمان فإن نبوّته والوحي إليه كان سابقا لبعثة محمد عليه الصلاة والسلام، وإذا نزل في آخر الزمان فإنه ينزل حاكمًا بالشريعة، حاكما بالقرآن، مؤمنا بمحمد عليه الصلاة والسلام، ولا يوحىٰ إليه بشيء جديد.

الحديث الذي ذكرتُ لكم: أُنسيته، جاء الآن، هو قوله عليه الصلاة والسلام: «**مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبياءِ قبلي كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَىٰ دَاراً فَحَسَّنَهَا وزينها إلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ منها، فَجَعَلَ النّاسُ يطوفون بهٰذه الدار، ويقولون ما أحسنها ما أجملها لو كملت هٰذه اللبنة، فأنا تلك اللبنة وبي خُتم النبيون**» عليه الصلاة والسلام.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بعدها: (**وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ**) وكونه عليه الصلاة والسلام إماما، يعني أنه يؤتم به، والأتقياء هم صفوةُ هٰذه الأمة، وفي قوله هٰذا إبطالٌ لقول من قال: إنّ من الأتقياء من قد يخرج عن الائتمام بمحمد ﷺ. كقول بعض غلاة الصُّوفية من أهل الزندقة الذين رأىٰ بعضهم أنه يسعه الخروج

علىٰ شريعة محمد عليه الصلاة والسلام كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسىٰ عليه السلام، فكل تقيّ جاء بعده عليه الصلاة والسلام فلا يكون تقيًّا إلا بالائتمام بمحمد عليه الصلاة والسلام، وهٰذا الائتمام يكون بالإتباع كما قال جل وعلا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب]، وقال جل وعلا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران:٣١]، والأتقياء جمع تقي والتقي هو من حصَّل التقوىٰ.

والتقوىٰ في القرآن جاءت علىٰ ثلاث مراتب:

**المرتبة الأولىٰ**: أن يتقي العذاب المؤبد بتحقيق التوحيد؛ بالإتيان بالتوحيد وبنبذ الشرك وبتركه، يعني بالإسلام، وهٰذه هي التي جاءت في مثل قول الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾[1] فخوطب الناس جميعا بالتقوىٰ؛ يعني باتقاء العذاب المخلّد بالإيمان بتوحيد الله جل وعلا وبترك الشِّرك والبراءة منه ومن أهله.

**المرتبة الثانية**: من مراتب المتَّقين أنّ المتقي هو الذي يفعل الواجب ممتثلًا ويترك المحرم ممتثلا، وهٰذه هي مرتبة المقتصدين الذين جاء فيهم قول الله جل وعلا: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[فاطر:٣٢]، من ترك المحرم امتثالا وأتىٰ بالواجب امتثالا فهو من المتقين؛ لأنه اتقىٰ العذاب والعذاب يكون يترك الواجب أو بفعل المحرم.

**المرتبة الثالثة**: أن يتقي الله جل وعلا بترك صغائر الذنوب وبترك ما به بأس وبترك ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، وهٰذه هي تقوىٰ الله حق تقاته، كما قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[آل عمران:١٠٢]، يعني خوفوه واحذروه حق الخوف والحذر، وهٰذه المرتبة إنما هي للسابقين بالخيرات الذين يتركون المكروهات ويسعون في كل المستحبّات.

قال بعدها رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ**)، قوله: (**وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ**) معناه أنه عليه الصلاة والسلام هو المقدَّم في المرسلين وهو أفضلهم؛ لأن السيادة فرع الفضل بكمال الصفات المحمودة في السيد، (**وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ**) من السيادة كما ذكرنا، والسيادة معناها يجمع أمورا، ومنها أن يكون أمره نافذا وأن يكون المرجع هو، وهٰذا إذا قيل في محمد عليه الصلاة والسلام (**وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ**) بهٰذا المعنىٰ؛ يعني أنه هو المرجع فبالنظر إلىٰ شيئين:

الأول: قوله عليه الصلاة والسلام: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ**» وولد آدم داخل فيهم المرسلون.

والثاني: أن رجوع الأمر إليه بالنسبة إلىٰ الأنبياء يكون في عرصات القيامة؛ حيث يذهب الناس إلىٰ آدم ثم إلىٰ نوح إلىٰ آخره، ثم يأتون محمدا عليه الصلاة والسلام يطلبون منه تعجيل الحساب، فيقول: «**أنا**

---

(١) النساء:١، الحج:١، لقمان:٣٣.

**لها، أنا لها، فيخرّ تحت العرش، فيحمد الله»** إلىٰ آخر الحديث.

وهنا في معنىٰ السيادة كما ذكرنا، في معنىٰ السيادة التفضيل، ولهٰذا بحث الشارح هٰهنا ابن أبي العز مسألة التفضيل بين الأنبياء في هٰذا الموضع؛ لأن من فروع السيادة أو من أسباب السيادة الفضل، وكون النبي عليه الصلاة والسلام سيد المرسلين حق -كما ذكرنا- للدليل وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلاَ فَخْرَ**».

إذا تبين ذلك ففي المسألة مسائل:

**الأولى**: أن التفضيل بين الأنبياء جاء به النص كما قال جل وعلا ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥٣]، والرسل كثيرون وأفضلهم أولي العزم من الرسل وهم خمسة: نوح ثم إبراهيم، -يعني في الزمان- نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وقد جاء ذكرهم في سورة الأحزاب والشورىٰ.

وهؤلاء الخمسة أفضلهم محمد عليه الصلاة والسلام، فقد فُضِّل إبراهيم بالخُلّة ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾[النساء]، والله جل وعلا جعل محمدا عليه الصلاة والسلام خليلا له، فَفَضْلُ إبراهيم جاء لمحمد عليه الصلاة والسلام، وفضِّل موسىٰ بالتكليم ومحمد عليه الصلاة والسلام أيضا مكلّم كما في حديث المعراج.

**المسألة الثانية**: أنّ الفضل والتفاضل والتخيير بين الأنبياء له حالتان: حالة عامة وحالة خاصة.

**فالحالة العامة**: يجوز فيها ذلك بمعنىٰ أن يقال: محمد عليه الصلاة والسلام أفضل المرسلين سيد المرسلين، أشرف الأنبياء والمرسلين.

**وأما في مقابلة نبي بحسب شخصه** في مقابلة نبي بذاته فهٰذا يكون خصوص فلا يجري التفضيل علىٰ وجه الاختيار، ولهٰذا جاء في السنة أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**لا تخيروني علىٰ موسىٰ فإن الناس يُصعَقون يومَ القِيامةِ فأكونُ أولَ مَن يُفِيقُ، فإذا أنا بموسىٰ آخذٌ -أو قال باطش- بقائمةٍ من قوائم العرش، فلا أدرِي أأفاقَ قبلي أم جُوزِيَ بصَعقةِ الطّور**» فقوله عليه الصلاة والسلام هنا: «**لا تخيروني علىٰ موسىٰ**» وفي رواية «**لا تفضلوني علىٰ موسىٰ**» دلّ علىٰ عدم جواز التفضيل الخاص.

**المسألة الثالثة**: أن هٰذا البحث وهو بحث التفضيل بين الأنبياء جاءت فيه أحاديث، منها هٰذا الحديث «**لا تفضلوني علىٰ موسىٰ**»، «**لا تخيروني علىٰ موسىٰ**»، ومنها حديث عام «**لا تَخيَّروا بين الأنبياء**»، ومنها حديث خاص ليونس عليه السلام وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متّىٰ**» وفي رواية قال: «**من قال أنا خير من يونس بن متّىٰ فقد كذب**»، وهٰذا اختلفت فيه أنظار العلماء في الجمع بين هٰذه الأحاديث والتفضيل وما جاء في القرآن من قوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[البقرة:٢٥٣]، وأحسن الأجوبة علىٰ ذلك أن يقال:

**أولا**: أن قوله: «**لا تخيروني علىٰ موسىٰ**» هٰذا قاله لسبب قصة وردت، وهو أن اليهودي والمسلم

اختلفا فافتخر اليهودي علىٰ المسلم بموسىٰ، والمسلم ردّ علىٰ اليهودي ولطمه، فإذن يكون النهي إذا كان التفضيل الخاص جاء علىٰ جهة العصبية والحمية والفخر، ولهٰذا جاء في الحديث «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلاَ فَخْرَ**»، فدلّ علىٰ أن التفضيل إذا كان مورده الفخر والعصبية فإنه يمنع منه.

**الثاني**: أنَّ جهات الفضل متنوّعة، والتفضيل من جهة الجنس؛ جنس الفضائل سائغ، ومن جهة كل فَضيلة فضيلة بحسبها متعدد، ولهٰذا يقال: إن تفضيل محمد عليه الصلاة والسلام من جهة مجموع الفضائل، ولا يُنَص علىٰ أنه أفضل من غيره من الرسل في كل فضيلة عند جميع الرسل؛ يعني من حيث النّظر العام.

**الجواب الثالث**: أن يقال: إنّ التفضيل بين الأنبياء لا حاجة إليه؛ لأنّ الأنبياء والرسل رسالتهم واحدة، والله جل وعلا وصف المؤمنين بأنهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله، والرسل وصفهم النبي عليهم الصلاة والسلام بقوله: «**الأنبياء إخوة لعلات الدين واحد والشرائع شتىٰ**»، وتَوَلِّي الرسل جميعا فرض، ومحبتهم جميعا فرض.

فإذن الدخول في التفضيل دخول فيما لا طائل تحته، فالواجب أن يُبقىٰ في ذلك علىٰ النص وهو ما ذكرناه أولا من التفضيل العام دون التفضيل الخاص.

أما قوله عليه الصلاة والسلام: «**من قال أنا خير من يونس بن متّىٰ فقد كذب**» فهٰذا لأجل أن بعض الناس قد يظن أن يونس عليه السلام فعل ما يلام عليه، وأنه عوقب بأن كان في بطن البحر وفي بطن الحوت، ثم قال: لا إلٰه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. فقال: إن هٰذه الكلمة ربما تكون لمن فعل شيئا يلام عليه وعوقب، فقال: إن يونس بن متّىٰ قالها لأنه فعل ما فعل.

وهٰذا في الحقيقة غلط؛ لأنه لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متّىٰ، كما قال عليه الصلاة والسلام، فيترك الدعاء بهٰذا الدعاء العظيم لا إلٰه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فهٰذا قد دعا به آدم عليه السلام، ودعا به موسىٰ عليه السلام، ودعا به غيرهما من الأنبياء والمرسلين.

فإذن هٰذا الدعاء وحال يونس بن متّىٰ ليس فيها نقص في حقه عليه السلام أعني يونس بن متّىٰ عليه السلام، فإذن لا ينبغي أن يقال إنّ فلانا أفضل من يونس من جهة الاستحباب، لا ينبغي أن يقال ذلك، يعني لا ينبغي أن يقال: إن محمدا أفضل من يونس بن متّىٰ علىٰ جهة الاستحباب، والدليل دلّ علىٰ عدم الجواز فيمن يقوله لنفسه، فلا يجوز لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متّىٰ. والنبي عليه الصلاة والسلام ترك ذلك، وهو أكمل الخلق عليه السلام.

هٰذا البحث ربما لم تظهر حاجتُه لكن بحَثَه العلماء في هٰذا الموضع؛ لأن هناك مِن مَن يعتقد الكمال في الوَلاية من يظن أنّ حالتَه أرفع من حالة يونس بن متّىٰ عليه السلام.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذلك: (**وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**)، فوصف النبي عليه الصلاة والسلام بأنّه (**حَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**)، والمحبة محبة رب العالمين محبة الله جل وعلا لنبيه عليه الصلاة والسلام هٰذه متحققة،

وإنما نُظِر في مسألة الخُلَّة، والمحبة لفظ عام يدخل تحته مراتب في اللغة، وأعلىٰ مراتب المحبة الخلّة، فالتعبير بـ(حَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) عند المصنف مال إليه لأجل ما ورد في بعض الأحاديث أنّ إبراهيم عليه السلام خليل الله ومحمد حبيب رب العالمين.

والجواب أن الاقتصار علىٰ مرتبة المحبة العامة للنبي عليه الصلاة والسلام فإن هٰذا قصور؛ لأنه عليه الصلاة والسلام هو حبيب رب العالمين وهو خليل رب العالمين أيضا، فإبراهيم عليه السلام خليل الرَّحمٰن كما قال جل وعلا: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾[النساء]، وكذلك محمد عليه الصلاة والسلام خليل الله كما ثبت ذلك في السنة قال عليه الصلاة والسلام: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً أحدًا خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، ولكنّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ الرَّحمٰن** -أو قال **خَلِيلُ اللّهِ**-» فدلّ هٰذا مع أحاديث آخر في الباب علىٰ أن المحبة ثابتة للنبي عليه الصلاة والسلام، وفوقها مرتبة الخلة ثابتة له عليه الصلاة والسلام.

إذا تبين ذلك ففي هٰذه الجملة مسائل:

**المسألة الأولى**: أنّ المحبة بمراتبها التي تضاف إلىٰ رب العالمين جل وعلا إنما هي ما ورد، وبعض الناس غَلَوْا في ذلك فوصفوا الله جل وعلا بكل مراتب المحبة، وهٰذا باطل وغلو وبعضهم جفا كالجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم فنفوا المحبة بمعناها الظاهر وما يكون من مراتبها؛ فنفوا حقيقة محبة الله لعبده ونفوا حقيقة اتخاذ الله جل وعلا لعبده خليلا، وأوَّلوا ذلك كما سيأتي في مواضعه في بيان أصولهم في الصفات.

وأهل السنة والجماعة بين هاتين الطائفتين فلم يغلو في المحبة؛ يعني في محبة الله لعبده ولم يكونوا من الجفاة في ذلك، بل سلكوا الأصل الذي أصلوه وهو أنّ هٰذه المسائل تبع لما ورد في النصوص.

فمن المراتب مراتب المحبة التي جاءت في النصوص وتُثبت لله جل وعلا:

- الإرادة؛ الإرادة الخاصة التي هي بمعنىٰ المحبة.
- والمحبة بلفظها.
- والمودة.
- والخلة.

وما ثبت من غير ما ذكرتُ، هٰذه التي أذكرها الأربعة: إرادة، المحبة، المودة، الخلّة.

**المسألة الثانية**: أنّ من ألفاظ المحبة التي هي من مراتبها لفظ (**العشق**) وهٰذا اللفظ استعمله طائفة من أرباب السلوك فيما بين العبد وبين ربه، فقالوا: إنّ الله يُعشق ويَعشق. وقالوا: إنني -يعني المتكلم الذي تكلم- أعشق الله جل وعلا.

ولفظ العِشق هو من مراتب المحبة -كما هو معلوم-؛ ولكنه يُمنع في إطلاقه من العبد علىٰ ربه ومن الرب للعبد، وذلك لأمور:

**الأول** أنّ لفظ العشق لم يرد في النصوص؛ لا في الكتاب ولا في السنة، لا من جهة العبد لربه ولا من جهة الرب لعبده، فيمتنع إطلاق هٰذا اللفظ واستعماله في المحبة لأجل الاتّباع.

**الثاني**: -وهو تعليل لفظي أيضا- أن لفظ العشق إنما تستعمله العرب فيما إذا كان لصاحبه شهوة في المعشوق، ومعلوم أنّ الشهوة إنما تكون لمن يَنكِح أو يُنكَح يعني للرجل أو المرأة، فإذن استعمال اللفظ في حق الله جل وعلا ممتنع لفظا؛ لأنه لا يستعمل هٰذا اللفظ إلا في ذلك المعنىٰ.

**الثالث**: -في رد لفظ العشق واستعماله- من جهة المعنىٰ، وهو أن العشق فيه من جهة العبد أو في إطلاقه علىٰ من وُصف به فيه تعلُّق بالإرادة وبالإدراك، فلا عشق يحصل إلا وهو مؤثر في الإرادة لإضعافها ومؤثّر في الإدراك لحصول خلل فيه، ولهٰذا أجمع أهل اللغة في أنّ معاني العِشق لابد أن يكون في آثارها ما هو نوع اعتداء؛ إما علىٰ النفس وإما علىٰ الغير، اعتداء علىٰ النفس بإضعاف الإدراك أو بإضعاف الإرادة، واعتداء علىٰ الغير بأنه لو أشعره بذلك فتعاشقا لصار عنده ضعف في الإدراك وضعف في الإرادة.

والله جل وعلا لا يجوز أنْ يُقال في محبته: إنها تُنتج ضعفا في الإرادة أو ضعفا في الإدراك؛ بل محبة الله جل وعلا تبلغ بالعبد -يعني محبة العبد لربه- تبلغ بالعبد كمال الإرادة المطلوبة المحمودة وكمال الإدراك المطلوب المحمود؛ يعني في الإيمان، ولهٰذا امتنع أنْ يوصف الله جل وعلا بأنه يعشق عبدَه أو أن العبد يعشق ربَّه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعدها: (**وَكُلُّ دَعْوَىٰ النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ فَغَيٌّ وَهَوًى**) وهٰذا فيه تقرير أنّ كل دعوىٰ للنبوة بعده عليه الصلاة والسلام فهي ضلال وكذب، كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث ثوبان «**وَإِنَّهُ سَيَكُونُ بعدي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وإنه لا نَبِيَّ بَعْدِي**» فكل دعوىٰ للنبوة كذب ولا شك؛ للإجماع المنعقد علىٰ ختم النبوة بمحمد عليه الصلاة والسلام كما ذكرت لك من قبل.

قوله: (**وَهَوًى**) يعني أنها ناشئة عن الهوىٰ فليس ثَمّ شبهة فيها يعني من ادعىٰ النبوة فلا شبهة له، وإنما هي هوىٰ مجرد فلن ينزل عليه وحي ولن يكون معه معجزات -معجزات نبوة من عند الله- وإنما هي هوىٰ، وقد يُسَخِّر الشياطين لنفسه فتعينه علىٰ بعض الخوارق إلىٰ آخر ما ذكرنا في البحث السابق في الدرس الماضي.

(**دَعْوَىٰ النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ** -عليه الصلاة والسلام- **فَغَيٌّ وَهَوًى**) يعني: وكفر، والذي يدعي أنه نبي أو أنه يوحىٰ إليه أو أنه رسول فإنه كافر يجب قتله، وهل يستتاب فتُقبل توبته إن تاب؟

هٰذا مبني علىٰ خلاف بين العلماء في توبة الزنديق، والذي يرجّح في هٰذا أنه لا تقبل توبته ظاهرا، فإن كان صادقا في الباطن فإن الله جل وعلا يقبل توبته، لكن ظاهرا لا تقبل توبته بل يجب قتله، وهٰذا هو الراجح وهو الصحيح، فيقتل لما ادّعاه من النبوة ولو قال: إني تبت ظاهرا، وذلك لأنه قد يدعي ثانٍ وثالث ورابع وخامس كلٌّ يدعي النبوة والرسالة ثم يقول: تبتُ. فيكون في ذلك خلل في الأمة.

فإذن الزنديق الذي يظهر الكفر يسبّ الله جل وعلا أو يسبّ رسوله ﷺ أو يدعي النبوة أو أشباه هٰذه الأشياء أو يدعي الوحي، فهٰذا يقتل علىٰ كل حال ولا تقبل توبته.

الجملة الأخيرة قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (**وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَىٰ عَامَّةِ الْجِنِّ، وَكَافَّةِ الْوَرَىٰ، بِالْحَقِّ وَالْهُدَىٰ، وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ.**)، قوله: (**وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَىٰ عَامَّةِ الْجِنِّ، وَكَافَّةِ الْوَرَىٰ**) يعني أنه عليه الصلاة والسلام هو المبعوث إلىٰ الجن والإنس أجمعين، وبعثته عليه الصلاة والسلام للإنس والجن جميعا ذكر عدد من أهل العلم الإجماع عليها، فنُقل عن ابن عبد البر وعن ابن حزم في «الفِصَل» أنهم ذكروا الإجماع علىٰ عموم بعثة النبي عليه الصلاة والسلام للجن والإنس، وذكرها تقي الدين السُّبكي أيضا في رسالة خاصة في عموم رسالته عليه الصلاة والسلام.

والدليل علىٰ ذلك يعني علىٰ عموم بعثته الدليل علىٰ قول المؤلف: (**وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَىٰ عَامَّةِ الْجِنِّ، وَكَافَّةِ الْوَرَىٰ**) أدلة كثيرة من القرآن ومن السنة:

فمن القرآن:

قوله جل وعلا: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[الأنعام:١٩]، والإنذار بلغ الجن كما في آيات أخر، فإذن هو نذير للجن وللإنس.

والدليل الثاني قوله جل وعلا: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان]، والعالمون اسم لكل ما سوىٰ الله جل وعلا، وخرج من ذلك الملائكة علىٰ الصحيح كما سيأتي، فيكون من العام المخصوص، والعام المخصوص دالّ علىٰ ما بقي بعد التخصيص كما هو معلوم، فيكون كل الجن والإنس داخلين في لفظ العالمين ولم يُستثنوا ولم يخرجهم دليل فيبقون داخلين في عموم النِّذارة.

وهٰذا الدليل أعترض عليه بأن قوله جل وعلا: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ لأن هٰذا هو القرآن وليس هو بمحمد عليه الصلاة والسلام، وهٰذا وإنْ كان وجها لاحتمال رجوع الضمير في قوله: ﴿لِيَكُونَ﴾ للقرآن في قوله في أوله ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ - يعني القرآن- لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ فهٰذا الوجه وإن كان محتملا؛ لكنه خلاف الأولىٰ والأولىٰ عند أهل العربية أن الضمير يرجع علىٰ أقرب مذكور وهو قوله: ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ -عبدُه- لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾.

والدليل الثالث علىٰ ذلك قوله جل وعلا في سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾، إلىٰ آخر الآيات.

ودل عليه أيضا قوله جل وعلا: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1] يعني للجن وللإنس.

---

(١) آية مكررة في سورة الرحمن ٣١ مرة.

وكذلك دل عليه قوله جل وعلا: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾[الجن].

وبعثة محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ إلىٰ الجن والإنس جميعا دلت عليها هٰذه الأدلة قال بعض العلماء: إنها في القوة وفي عدم الاعتراف ممن خالف مرتبة في قوتها بحسب ترتيب المصحف وأقواها آية الأنعام ثم آية الفرقان ثم الأحقاف ثم الرَّحمٰن ثم آية الجن وهٰذا وجيه.

والأدلة من السنة أيضا علىٰ عموم بعثته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ للجن والإنس كثيرة معروفة منها قوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**كان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة وبعثت للناس كافة**» علىٰ لغة من يدخل الجن في لفظ الناس وسيأتي زيادة بيان لذلك.

وثبت أيضا في الصحيح أنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال: «**بعثتُ للأحمر والأبيض**» قال بعض العلماء: يدخل في قوله «**الأحمر**» الجن لأنهم مخلوقون من نار والنار صائرة إلىٰ الحمرة أو لونها مائل إلىٰ الحمرة. وغير ذلك من الأدلة التي تدل علىٰ عموم بعثته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ للجن والإنس.

أما عموم بعثته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ للإنس للناس جميعا فثم آيات كثيرة.(١)

إذا تبين ذلك في معنىٰ قول المصنف وفي دليله وأن هٰذه المسألة ذكر عليها غير واحد الإجماع فثم في هٰذه المسألة أو في هٰذه الجملة مسائل:

**الأولى**: أن قوله جل وعلا: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ [الأنعام:١٣٠]، قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ هٰذا علىٰ جهة التغليب؛ لأن الجن والإنس اجتمعا في شيء وافترقا في أشياء، فاجتمعا في التكليف فلذلك صح أن يشتركا في التثنية ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ لاشتراكهما في أصل التكليف ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[الذاريات]، والاشتراك الجنس ولو اختلف النوع فإنه يُبقي الدلالة الأغلبية صحيحة.

وقال بعض السلف: إن الجن يكون منهم رسلا. ولكن هٰذا القول ضعّفه جماعة كثيرون من أهل العلم من التابعين فمن بعدهم، قال ابن عباس رضي الله عنه ورحمه: الرسل من الإنس ومن الجنّ النُّذُر. أخذ هٰذا من قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩﴾[الأحقاف].

**المسألة الثانية**: أن بعثة النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قيل فيها إنها تشمل الملائكة وذلك لعموم قوله: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾[الفرقان] وهٰذا ليس بجيد، هٰذا القول ليس بجيد؛ بل يترجح أنّه غلط وذلك لأمور:

**الأول**: أنّ قوله جل وعلا ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ هٰذا فيه الإنذار، والملائكة مقيمون علىٰ عبادة الله جل وعلا وعلىٰ توحيده وعلىٰ تسبيحه كما قال عليه الصلاة والسلام: «**أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ**

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط السابع.

مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلاّ وَمَلَكٌ قائم أو مَلَكٌ سَاجِد أو مَلَكٌ راكع» فالملائكة موحّدون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، الملائكة عُبّاد لله جل وعلا، الملائكة متقرّبون إلىٰ لله جل وعلا ومن كانت هٰذه حاله فلا يصلح له الإنذار، ولهٰذا قوله جل وعلا: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ ليس فيه دليل لمن ذهب إلىٰ أنّ بَعثة النبي ﷺ عامة للجميع؛ لأن الآية فيها تعليق بالإنذار والملائكة لا ينذرون.

**الوجه الثاني**: أنّ الملائكة جنسُهم أو نقول: منهم من أتىٰ بالرسالة إلىٰ محمد عليه الصلاة والسلام وهو جبريل عليه السلام، وأمَرَه أن يبلِّغها للناس، ودخول الآمر في مثل هٰذا -في الأمر- يحتاج إلىٰ دليل؛ لأنّ الأصل أنّ الآمر إذا أَمر غيرَه فإنه لا يدخل في الأمر، فطلب من النبي عليه الصلاة والسلام أنْ يُعلن الرسالة للناس جميعا؛ بل للثقلين فإدخاله -إدخال جبريل- عليه السلام يحتاج إلىٰ دليل.

**الثالث والأخير**: أنّ الملائكة ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾[الشورىٰ:٥]، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر:٧]، وهم أنصار الأنبياء يُرسلهم الله جل وعلا إليهم لنصرتهم وهم أولياؤهم، وهٰذا يدلّ علىٰ أنهم خارجون عن الاتّباع؛ لأنهم لو كانوا تابعين لصارت نصرتهم للنبي عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين متعيّنة بلا أمر لأجل عقد نُصرة الرسالة.

قال هنا: (**وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَىٰ عَامَّةِ الْجِنِّ، وَكَافَّةِ الْوَرَىٰ**)، (**وَكَافَّةِ**) هٰذه في إضافتها للورىٰ -(**الْوَرَىٰ**) يعني الناس- صحيحة، وجاءت في لغة قليلة عن العرب، واستعملها عمر بن الخطاب ﷺ وهي صحيحة، خلافا لمن قال إن (**كَافَّة**) لا تستخدم إلا منصوبة علىٰ وجه الحال. يعني أن تكون حالا، كما قال جل وعلا: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[سبإ:٢٨]، فالأصل أن تكون منصوبة حالا، ويجوز أو في لغة قليلة أُستعملت مضافة.

قوله: (**بِالْحَقِّ وَالْهُدَىٰ، وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ**) هٰذه الأربع أوصاف وأسماء للقرآن.

وبهٰذا نختم هٰذا الدّرس.

أسأل الله جل وعلا أن يجعلنا من أتباع محمد عليه الصلاة والسلام.

مباحث النبوة سبق أن ذكرنا لكم أنها لم تُجمع في كتاب عام لكل مباحث الأنبياء تعريف النبي والرسول والمعجزات والبراهين وختم النبوة والرّد علىٰ المخالفين في كل ما يتعلق بالنّبوات، ولا شك أن الحاجة داعية إلىٰ ذلك، فهٰذه مباحث قد لا توجد في كتاب مجموع، لهٰذا حبذا لو يتوجه إلىٰ هٰذا البحث بجمع كل مسائل النبوة، بعض طلبة العلم حتىٰ يكون تناوله يسيرا في أيدي إخوانهم من طلبة العلم.

نكتفي بهٰذا القدر.

[**الأسئلة**] نجيب علىٰ سؤالين أو ثلاثة.

سؤال (٦٠): إذا ركع الإمام قبل انتهاء المأموم من الفاتحة فهل يسجد أم يُكَمِّلها؟

الجواب: أن هٰذا مبني علىٰ البحث في قراءة الفاتحة هل هي واجبة علىٰ المأموم أم أنّ الإمام يتحملها؟

والذي قاله جمهور أهل العلم جمهور الصحابة كما عزىٰ ذلك إليهم شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة من أهل العلم أنّ قراءة الفاتحة يتحملها الإمام عن المأمومين في الصلاة الجهرية.

وإذا كان كذلك فإن المأموم لا يقرأ الفاتحة علىٰ هٰذا القول، وإذا قرأ بعضها فإنه يكفي.

والقول الثاني وهو الذي رجحه عدد من المحققين لظهور الدليل من السنة فيه وهو قوله عليه الصلاة والسلام؛ بل نذكر القول قبل الدليل هو أن قراءة الفاتحة واجب علىٰ الجميع الإمام والمأموم والمنفرد أو ركن، ودل عليها قوله عليه الصلاة والسلام: «**قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال: عبدي الحمد لله رب العالمين**» إلىٰ آخره، فتسمية الفاتحة بالصلاة وهي جزؤها دال علىٰ أنه ركن فيها، وكذلك قوله عليه السلام: «**أُراكم تقرؤون خلف إمامكم**» قالوا: نعم يا رسول الله. قال «**لا تفعلوا إلا بأم القرآن فإنّه لا صلاة لمن لم يقرأ بها**» دلّ هٰذا علىٰ وجوب قراءة الفاتحة، وعلىٰ هٰذا القول فإنّ المصلي يأتي بما يمكنه بما يستطيعه بما يمكّنه من اتّباعه للإمام، فإذا تمكن من قراءة بعض الفاتحة سقط عنه البعض الآخر بتكبير الإمام.

تحصّل لك من هٰذا أنه علىٰ كِلا القولين فإن المأموم إذا ركع الإمام وجب عليه أن يتابعه، ويترك قراءة الفاتحة لأنّ الإمام انتقل إلىٰ ركن آخر وهو الركوع.

سؤال (٦١): ما عورة المرأة لمحارمها وللنساء الأخريات؟

الجواب: عورة المرأة لمحارمها ما يظهر منها غالبا كالوجه والرأس وأطراف اليدين وبعض الرّجلين، ما يظهر غالبا مما جرىٰ عليه العُرف في البيت لأنها بحاجة إلىٰ ذلك.

وأما عورتها بالنسبة للنساء فإنّ المرأة بالنسبة للمسلمة عورتها من السّرة إلىٰ الرّكبة، والثديان لا يدخلان في العورة بالنسبة للمسلمة؛ لأنه ربما احتاجت إلىٰ كشفها حال الرَّضاع أو أشباه ذلك، وقد كانت نساء الصحابة يُرضعن بحضرة أخريات من أخواتهن المؤمنات، فدلّ علىٰ أنّ عورة المرأة لا يدخل فيها الثديان، وهٰذا هو الذي ذهب إليه الإمام أحمد وأصحابه وطائفة من أهل العلم.

وأما إذا كانت المرأة ليست بمسلمة وهنّ نساء أهل الكتاب كافرة نصرانية أو وثنية أو نحو ذلك، فقد اختلف أهل العلم في هٰذه المسألة:

فمنهم من قال إن قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ إلىٰ أن قال: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ [النور:٣١]، دال علىٰ تخصيص إبداء الزينة للإباحة في نسائهن وهن المسلمات، فبقي ما عداهن علىٰ الأصل وهو المنع، ويقول: إنه لا يجوز للمرأة أن تتكشف عند المرأة الكافرة، وهٰذا القول قال به طائفة أيضا من العلماء؛ لكنه ضعيف من جهة أن المشركات وبعض أهل الكتاب كن يدخلن علىٰ بيت النبي عليه الصلاة والسلام وكنّ يدخلن بعض بيوت الصحابة ولم تؤمر الصحابيات بالاحتجاب عنهن كالرجال.

فإذن تكون المرأة المسلمة عورتها بالنسبة للمرأة الكافرة عورتها ما يظهر منها غالبا كعورة المرأة

بالنسبة لمحارمها.

هٰذا كله إذا لم يظهر ثَم فتنة، فإن كانت المرأة تفتتن بجزء من بدن المرأة -والعياذ بالله- لمرض في نفسها فإنه يجب تغطيته، فإذا كانت المرأة تنظر إلىٰ الأخرىٰ بشهوة، فإنه يجب علىٰ المرأة أن تصون عورتَها من أن ينظر إليها أحد بشهوة، حتىٰ المحارم وحتىٰ النساء المسلمات.

سؤال (٦٢): ما حكم تكفير الكافر المعين والحكم عليه بالخلود في النار بعد الممات، وما معنىٰ قول أهل السنة: ولا نشهد لأحد بجنة ولا نار إلىٰ من شهد له، إلىٰ آخره؟

الجواب: أن قول أهل السنة: ولا نشهد لأحد بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله ﷺ؛ يعني من هٰذه الأمة من المنتسبين للقبلة، أما المشرك الأصلي أو الكافر اليهودي أو النصراني فهو يُستصحب الأصل الذي كان عليه؛ فإذا مات علىٰ الكفر فإننا نقول: هو كافر ومات عليه وهو من أهل النار، والنبي عليه الصلاة والسلام قال لنا: «**حيثما مررت بقبر كافر فبشِّره بالنار**» أبشر بالنار، فهٰذا لا يدخل في قول أهل السنة؛ لأن المقصود من ذلك أهل القبلة، لا نشهد لمعيَّنٍ بجنة يعني من أهل القبلة ولا معين لأهل القبلة بنار، إلا من شهد له الرسول عليه الصلاة والسلام في الذين يدخلون الجنة، وفي الذي غلّ، وفي الذي قتل نفسه؛ وجع نفسه بحديدة ونحو ذلك، من شهد عليه رسول الله ﷺ بنار من أهل القبلة فنشهد عليه بالنار.

وأما المشركون والكفار من أهل الكتاب فلا كرامة لهم فإذا ماتوا شهدنا عليهم بالنار وكفّرناهم بحياتهم وبعد مماتهم، ولا يقال في حقهم: لا نكفر إلا من بلغته الحجة أو لا نشهد عليهم بالنار إلا من قامت عليه الحجة ونحو ذلك، كما بينا ذلك مرة في هٰذا المسجد حينما رددت علىٰ صاحب مقالة كفرية.

سؤال (٦٣): ما هو مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية في تارك الصلاة؟

الجواب: شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يرىٰ أن تارك الصلاة تهاونا وكسلا، -تهاونا أو كسلا لأنها صورتان- يكفر الكفر الظاهر، ولا يكفر الكفر الظاهر والباطن جميعا إلا إذا حُكِم عليه بذلك، قد فصل الفرق بينهما في شرحه علىٰ العمدة عمدة الفقه لابن قدامة وفي موضع من الفتاوىٰ.

سؤال (٦٤): هل الملائكة أفضل أم الأنبياء؟

الجواب: يأتينا البحث مطولا إن شاء الله في آخر العقيدة الطحاوية، والجواب باختصار الأنبياء أفضل من الملائكة.

سؤال (٦٥): هل يُقال أن أفضل الصحابة أبو بكر وأفضل أمة محمد عيسىٰ عليه السلام؟

الجواب: الجواب أن عيسىٰ عليه السلام نبي من الأنبياء ومن أولي العزم من الرسل، وأيضا يصدق عليه حد الصحابي، ولذلك يلغز بعض العلماء يقول: مَن مِن هٰذه الأمة من هو أفضل من أبي بكر؟ فيُقال عيسىٰ عليه السلام، من جهة أنه لقيه لقي النبي عليه الصلاة والسلام لما أُسري به وآمن به وإذا نزل يكون مؤمنا وحاكما بشريعة محمد.

سؤال (٦٦): ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾[يوسف:١١٠]، ما معنىٰ ﴿

كُذِبُواْ ﴾؟

الجواب: مرّ علينا الجواب فيما مضىٰ.

سؤال (٦٧): ما رأيكم في كتاب الإيمان بالرسل لفضيلة الدكتور عمر الأشقر فقد استوفىٰ كثيرًا من الموضوعات؟

الجواب: الجواب: أن كتب الدكتور عمر الأشقر في العقيدة في الجملة جيدة، وشاملة للمباحث وهو يتحرىٰ في نقوله فهي نافعة لطالب العلم والاستفادة منها طيبة.

سؤال (٦٨): ما حكم العمليات التجميلية؟

الجواب: عمليات التجميل فيها تفصيل:

إن كانت العملية لتغيير خلق الله؛ للتحسين فقط، هٰذه لا تجوز؛ لأن الله جل وعلا ذكر أن الشيطان يأمر العباد بتغيير خلق الله قال سبحانه: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾[النساء]، وثبت في الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام «**لعن النامصة والمتنمصة، والواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله**»، وهي التي تنشر السن سنها ليتباعد ما بين السنين فإذا ضحكت تفلّج أو ظهر شيء من الحسن كما هو عند أهل ذلك الزمان، فهٰذا النوع من عمليات التجميل وهو أن تُعمل العملية لأجل التجميل فقط، فيغير خلق الله جل وعلا لأجل الزينة، فهٰذا لا يجوز؛ فهو محرم وفاعله ملعون، وهٰذا يدل علىٰ أنه من الكبائر والعياذ بالله.

**النوع الثاني** أن تكون عملية التجميل لحادث في شيء خارج مشوّه أو ضار بالإنسان كظهور أصبع زائدة في قطعها أو ظهور ثآليل في الوجه أو في البدن وهي قطع لحم زائدة، أو نحو ذلك من عَظْمٍ زائد يؤذي فيما فيه مضرة للعبد، أو تشويه ظاهر يبعث علىٰ الاشمئزاز منه أو تنكره، فهٰذا لا بأس به، لا بأس بأن يُفعل لأن هٰذا من قبيل العلاج لا من قبيل تغيير خلق الله للحسن، فقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**المتفلجات للحسن المغيرات خلق الله**» هٰذا ضابط بأنّ من غيّر خلق الله لأجل الحسن دون حاجة أخرىٰ فإنّه داخل في اللعن.

سؤال (٦٩): ما الفرق أن نقول أن هٰذه الصفة علىٰ سبيل الإخبار وبين أن نقول هٰذه صفة علىٰ سبيل الإقرار؟

الجواب: هٰذا يأتينا في بحث الصفات إن شاء الله والقواعد.

سؤال (٧٠): ثبت في سنن أبي داوود أن النبي سابق عائشة في السفر، فهل نستفيد منه سنية المسابقة علىٰ الأقدام؟

الجواب: نعم المسابقة علىٰ الأقدام مشروعة، النبي عليه الصلاة والسلام سابق علىٰ الأرجل فعله بنفسه وسابق، وسابق علىٰ الخيل، وهٰذا مما يقوي وينفع بإذن الله.

سؤال (٧١): هل في العمرة طواف وداع؟

الجواب: أن العمرة لا وداع فيها واجب وإنما يستحب للمرء أن يوادع إذا أنهىٰ عمرته، والعلماء لهم في ذلك قولان:

منهم من يرىٰ أنّ العمرة يجب لها طواف وداع كما يجب للحج، ويستدل علىٰ ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا ينفر أحدكم حتىٰ يكون آخر عهده بالبيت**»، وهٰذا المتنسك داخل في هٰذا الخطاب في أنه لما أدّىٰ النّسك فإنه لا ينصرف حتىٰ يكون آخر العهد بالبيت، فيجعل هٰذا الدليل دالا علىٰ وجوب طواف الوداع في العمرة كما هو في الحج.

والقول المختار أنه لا يجب في العمرة إنما يجب في الحج وحده، وذلك أن قوله عليه الصلاة والسلام: (**لا ينفر أحدكم**) خطاب للحجاج الذين حجوا معه وليس خطابا للمعتمرين بلا حج، وهٰذا من بساط الحال الذي يُرعىٰ في دلالة النص، وكذلك النبي عليه الصلاة والسلام اعتمر عُمرا لم يطف بعدها طواف الوداع.

ويرد علىٰ من أوجبه إيرادات كثيرة لا مجال لذكرها هنا.

سؤال (٧٢): أقرأ في كتب أهل العلم لكن أحس في قرارة نفسي أني لا أستفيد، فما هو الحل؟

الجواب: هٰذا سؤال جيد.

**أولا**: قولك لا أستفيد، هٰذا فيه نظر، فمن حضر مجالس أهل العلم فقرأ كتبهم فلابد أن يستفيد، إن استفاد علما أو استفاد عملا وصحبة للأخيار وحضور مجلس ذكر.

**والثاني** أنّ العلم طويل واستعدادات الناس، استعدادات طلاب العلم أو من يرغب في العلم أو من يرغب في العلم لإدراكه متنوع، فمنهم من يكون استعداده جيدا فيدرك سريعا، ومنهم من يكون استعداداتهم ضعيفة فيدرك متأخرا؛ لكن من لزم هٰذه الجادة فإنه سيدرك، فقد قال بعض –لقد ذكرت لكم هٰذه القصة مرارا– رواها الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع قال: كان فلان –سماه من طلبة الحديث– وكان يحضر مجالس الحديث ولكنه رأىٰ أنه لم يحصّل شيئا فانصرف وترك، قال هٰذا الراوي يعني الذي انصرف وترك، قال فمررت مرة علىٰ ماء يتقاطر علىٰ صخرة، وقد أثّر فيها حفرة فقلت يا هٰذا هٰذه عظة فليس العلم بأخف من الماء وليس قلبي بأثقل من الصخر؛ يعني أن العلم إذا جاء وكَسر وكسر لابد يحفّر، فرجع إلىٰ العلم وصار من علماء الحديث.

لا تسـئ بـالعلم ظنـا يـا فتـىٰ ... إن سـوء الظـن بـالعلم عطـب

العلم من أراده جاء بإذن الله تعالىٰ.

نكتفي بهٰذا القدر.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

## الدّرس العاشر

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ إلٰه وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

[الأسئلة]

فبين يدي الدرس نجيب عن بعض الأسئلة.

سؤال (٧٣): يقول السؤال للمرة الثانية: ما هو الفرق بين الفعل لله والصفة لله، ما هو الفرق بين الاسم والمسمّىٰ مع الأمثلة؟ وحبذا ذِكر المرجع الذي تكلّم علىٰ هٰذه المسألة.

**الجواب**: الفرق بين أفعال الله وصفاته: أنّ الأفعال مشتملة علىٰ صفة وعلىٰ زمن؛ لأنّ الفعل يشتمل علىٰ حدث وعلىٰ زمن، والحدث هٰذا وصف، ولما كان كذلك كان الفعل المضاف إلىٰ الله جل وعلا لا يدلّ علىٰ الصفة التي اشتمل عليها هٰذا الفعل بإطلاق، بل قد يوصف الله جل وعلا بها وقد لا يوصف؛ لأنّ باب الأفعال أوسع بمن باب الصفات.

مثاله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾[الفرقان:٥٩]، فاستواء الله جل وعلا صفة أخذناها من فعل استوىٰ؛ لأن استوىٰ مشتمل علىٰ حدث وهو الاستواء (الصفة)، ومشتمل علىٰ زمن وهو الماضي، ويُثبت الاستواء هنا صفة لله جل وعلا كما يليق بجلاله وبعظمته لأنه متضمنٌ كمالا، فيقال: من صفات الله الاستواء علىٰ العرش.

مثال الثاني: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ﴾[الأنفال:٣٠]، ﴿وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُ﴾ هٰذا فعل مضارع مشتمل علىٰ حدث علىٰ صفة وهو المكر؛ يعني علىٰ مصدر وهو المكر، ومشتمل علىٰ زمن وهو المضارع؛ لكن لا يقال: هٰذا الفعل يدلّ علىٰ إثبات صفة المكر؛ لأنّ صفة المكر ليست دائما صفة كمال، فلهٰذا قال أئمة أهل السنة رحمهم الله تعالىٰ: إن باب الأفعال أوسع من باب الصفات؛ فقد يضاف الفعل إلىٰ الحق جل وعلا ولا تثبت الصفة التي تضمنها هٰذا الفعل، كما أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء؛ فقد تطلق الصفة علىٰ الله جل وعلا ولا يطلق الاسم. من مثل الاستواء والمستوي، وممثل المكر بحق والماكر وأشباه ذلك.

إذن ثَمّ فرق بين أفعال الله جل وعلا وبين صفاته من هٰذه الجهة.

أما من جهة قيامها جميعا بالله جل وعلا فالصفة قائمة بالله جل وعلا ولها أثر في الخارج ولها أثر، مثل صفة الخلق لها أثر هو المخلوق، صفة الرحمة لها أثر في المرحوم، وهكذا، والفعل في تعقله بالله جل وعلا قد يكون متعديا وقد يكون لازما.

وللمسألة مزيد تفصيل، المقصود أن باب الأفعال أوسع من باب الصفات، وأنه لا يطّرد القول بالمساواة بين الفعل القائم بالله جل وعلا وبين الصفات القائمة بالله جل وعلا.

ما هو الفرق بين الاسم والمسمىٰ؟

الاسم والمسمىٰ إذا اجتمعت فيعنىٰ بها بحث كلامي بحث عند أهل الكلام ودخل فيه أهل السنة ردا علىٰ أهل الكلام وبيانا للحق فيها، وإلا فبحث الاسم والمسمىٰ ليس من البحوث الموجودة في الكتاب والسنة ولا في كلام الصحابة رضوان الله عليهم، وإنما الكلام فيها حادث؛ لكن جرّ إلىٰ الكلام فيها أنّ المعتزلة خاضوا في ذلك توطئة لنفي الصفات ولتحريف الأسماء لله جل وعلا.

وتلخيص المسألة:

أنّ الاسم مثل: الرَّحمٰن الرحيم الكريم ونحو ذلك، المسمىٰ بهٰذا الاسم هو الله جل وعلا، محمد المسمىٰ به رسول الله ﷺ، الكأس اسم المسمىٰ هو هٰذا الذي ترىٰ.

فإذن الاسم دلالة عامة والمسمىٰ انطباق هٰذا الاسم علىٰ العين أو علىٰ الذات.

إذا تبين ذلك، فإنّ المسألة التي اختلفوا فيها هي: قولهم هل الاسم عين المسمىٰ أم أنّ الاسم غير المسمىٰ؟ وهٰذه المسألة مبسوطة وطويلة الذّيول؛ لكن اختصار القول فيها أن مذهب الأئمة أنّ الاسم لا يطلق القول بأنه عين المسمىٰ ولا أنه غير المسمىٰ؛ بل المسألة فيها تفصيل في دلالة الاسم علىٰ المسمىٰ وأن الأسماء مختلفة؛ لأنّ كل اسم يدل علىٰ المسمىٰ وزيادة صفة، فهو يدل علىٰ الذات ويدل علىٰ الصفة التي تضمنها هٰذا الاسم، كما ذكرنا لكم الرحيم تدل علىٰ ذات الله جل وعلا المتصفة بالرحمة، والذين قالوا إن الاسم هو عين المسمىٰ جعلوا أنه لا فرق بين الأسماء في دلالتها علىٰ المسمّىٰ فجعلوا العليم هو الرحيم مطابقة، وجعلوا الملك هو الودود، ونحو ذلك، بدون تفرقة بين الاسم والصفة، يعني جعلوا أن الأسماء دالة علىٰ الذات كما قال المعتزلة عليم بلا علم، رحيم بلا رحمة، وهكذا وهلم وجرّ.

والمسألة فيها طول؛ لكن هٰذا بيان لأصلها.

سؤال (٧٤): يتعرّض كثير من الشباب لبعض من الشبهات من خلال دراسته للعقيدة والفِرق، أرجو حل هٰذه المشكلة كيف يتعامل الشخص مع هٰذه الشبهات؟

**الجواب**: لاشك أنّ هٰذا كائن، وكثير من المسائل يرغب المعلم ربما في تفصيلها للخاصة من طلاب العلم، لكن لأجل حضور من ليس مستواه مهيئا لتلقي العلم العالي فإنه يُحجم، فذِكر المسائل العقدية وذكر التفصيل وكلام أهل الفرق والشبهة وردها، الحقيقة في الأصل أنه لا يناسب؛ لا يناسب المبتدئ في طلب العلم؛ بل لابد أن يتلقاه من علم أصول أهل السنة والجماعة وفهِم مذهبهم وطريقتهم وسنتهم في ذلك بعد قراءته الكتب الأولىٰ.

لهٰذا نوصي دائما بالمنهجية، إذا علم مذهب أهل السنة والجماعة من خلال «لمعة الاعتقاد» كمنهج عام في تقرير مسائل الإيمان بأجمعها؛ عرف مذهبهم في الإيمان، مذهبهم في الصفات، مذهبهم في الأسماء، في القدر، في الغيبيات، في الصحابة، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في وُلاة الأمر، وهكذا المسائل التي يعرضونها، في القدر، في اليوم الآخر، فيما يُعرض، علم قول أهل السنة، بعد ذلك ينتقل إلىٰ مرحلة تلي ذلك؛ حتىٰ لا يطّلع علىٰ بعض الشبهات فيظن أن هٰذه مؤثِّرة علىٰ مذهب أهل

السنة والجماعة، فيُعرض له شيء من التفصيل من الزيادة بقول أهل البدع مع الرد عليهم، ثم يترقّىٰ حتىٰ يتوسع في ذلك.

فلهٰذا من رأىٰ أن حضوره لمجالس العلم التي فيها تفصيل يُورد عليه الشبهات فينبغي له أن لا يحضر، وأن يبتدئ العلم من أوله، وأن لا يعرض نفسه للشبهة؛ لأنّ الشبهة ربما استحكمت فأثّرت.

سؤال (٧٥): ما موقف طالب العلم في المسألة التي فيها قولان، وكل قول يستند علىٰ حديث صحيح؟

الجواب: أما في مسائل التوحيد والعقيدة فليس ثَم صورة تطابق ما ذكر أن حديثا صحيحا يعارض حديثا صحيحا آخر في مسألة، وذلك أن الكل من مشكاة رسول الله ﷺ الموحَىٰ إليه من رب العالمين، والحق لا يعارض حقا بل يؤيده، فلا يمكن أن يكون في مسألة قولان من مسائل الاعتقاد ويكون القولان يُعتمد فيها علىٰ أحاديث صحيحة.

أما إذا كانت المسألة من مسائل الفقه العمليات ونحو ذلك فطالب العلم لابد أن يرجع إلىٰ من يثق به من أهل العلم فيرجّح له أحد القولين، فيذكر له وجه الاستدلال الذي به رَجَح هٰذا القول علىٰ غيره.

سؤال (٧٦): ما معنىٰ التغني بالقرآن وما حكمه؟

الجواب: التغني بالقرآن اختلف فيه أهل العلم علىٰ أقوال أصحها أن التغني هو تحسين الصوت بالقرآن، «**ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن**» يعني من لم يحسن صوته بالقرآن وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**ما أذن الله في شيء أذنه لنبي يقرأ القرآن يجهر به يتغنّىٰ به**» يعني يحسّن صوته بالقراءة، وتحسين الصوت بالقراءة هو التغني؛ يعني علىٰ حسب ما جاء في قراءة القرآن، لا يجعل القرآن ألحان غناء، ولكن يجعل القرآن محسنا الصوت به بتطبيق التجويد علىٰ ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة].

سؤال (٧٧): هل الرافضة والجهمية ليستا من الاثنين والسبعين فرقة وكيف؟

الجواب: أما الجهمية فأهل السنة جميعا علىٰ أنهم ليسوا من الثنتين والسبعين فرقة ليسوا من فرق الأمة.

وأما الرافضة فجمهور أهل السنة علىٰ خروجهم من الثنتين والسبعين فرقة، والمقصود من الرافضة الغلاة؛ غلاة الشيعة الذين يلعنون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، والذين يتدينون بسبّ الصحابة ويُبغضون بعض أمّهات المؤمنين ويقذفون عائشة ونحو ذلك من معتقداتهم المعروفة.

سؤال (٧٨): ما حكم قول البعض شاءت الأقدار، ساقته الأقدار، اقتضته حكمة الله، شاءت إرادة الله، ونحو هٰذه العبارات؟

الجواب: شاءت الأقدار، الأقدار جمع قَدَر، والقدر تبع المقدِّر وهو الله جل وعلا، والذي يشاء القدر هو الله ﷻ، فقول القائل شاءت الأقدار وأشباه ذلك، فإنّ هٰذا غلط لأن الأقدار ليس لها مشيئة، المشيئة

لله جل وعلا هو الذي شاء القدر وشاء القضاء ﷻ.

وساقته الأقدار هٰذه محتملة، محتملة لهٰذا وهٰذا، وتجنُّبها أولىٰ.

اقتضت حكمة الله، هٰذه صحيحة لا بأس بها استعملها أهل العلم؛ لأن الاقتضاء خارج عن الشيء؛ يعني حكمة الله نشأ عنها شيء هو مقتضاها، اقتضت حكمة الله أن يكون كذا وكذا؛ يعني من القضاء الذي حصل؛ يعني أن ما حصل موافق لحكمة الله جل وعلا.

شاءت إرادة الله، هٰذا أيضا مثل ما سبق فإنّ الإرادة الكونية هي المشيئة، فقول القائل شاءت إرادة الله كقوله شاءت مشيئة الله وهو تكرار لا وجه له.

**سؤال (٧٩):** ما ضابط إدراك تكبيرة الإحرام؟

**الجواب:** هٰذه المسألة من المسائل التي فيها نظر واختلاف وعدم وضوح من حيث الاستدلال، ولأهل العلم فيها مذاهب:

منها -وهو المشهور عندهم- أن إدراك تكبيرة الإحرام يكون بأن تكبر بعد تكبير الإمام، من كان في المسجد فكبر الإمام تكبيرة الإحرام فكبر بعده فقد أدرك تكبيرة الإحرام «**وإذا كبّر فكبّروا**».

والقول الثاني أن تكبيرة الإحرام تدرك إذا لم يبدأ الإمام في الفاتحة؛ يعني ما كان قريبا منها لأنه ما انتقل من الركن إلىٰ ركن بعده، الركن الذي يلي تكبيرة الإحرام هو قراءة الفاتحة عند من قال بركنيتها، ولهٰذا يُقال -يعني عندهم- إنه يُدرك تكبيرة الإحرام ما لم يشرع الإمام في الفاتحة.

والقول الثالث أنّ المأموم يدرك تكبيرة الإحرام إذا أدرك آمين مع الإمام؛ لأنّ بلالا ﷺ كان يقول للنبي عليه الصلاة والسلام لا تسبقني بآمين.

ونرجئ بقية الأسئلة إلىٰ وقتها.

وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا، وَأَنْزَلَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ حَقًّا، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالْحَقِيقَةِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ، فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللهُ وَعَابَهُ، وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرَ، حَيْثُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾[المدثر]، فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرَ لِمَنْ قَالَ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾[المدثر]، عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ، وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَشَرِ.

هٰذه الجمل من كلام الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ اشتملت علىٰ تقرير قوْل السلف وأئمة الحديث والسّنة وأهل السنة والجماعة والأثر في مسألة القرآن وكلام الله جل وعلا، وأنّ القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود، وأنّ القرآن ليس بمخلوق، وأنّ من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر، وأنّ من زعم أن القرآن كلام البشر فهو كافر بتوعد[1] الله جل وعلا علىٰ ذلك بقوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾[المدثر].

وهٰذه المسألة وهي مسألة القرآن وكون القرآن كلام الله جل وعلا منزّل غير مخلوق، هٰذه أكبر المسائل التي اختلف فيها المنتسبون إلىٰ القبلة، ولأجلها وكثرة الكلام فيها سُمِّي أهل الكلام بأهل الكلام، فهي مسألة شرَّقت وغرَّبت في القرن الثاني الهجري، وكَثُر الكلام فيها وإثبات ذلك ونفيه؛ يعني إثبات أن القرآن كلام الله وأنّ الله يتكلم حقيقة وما أشبه ذلك، والكلام في نفي ذلك، حتىٰ صارت عنوانا علىٰ الانحراف في التوحيد بما سُمِّي بعلم الكلام.

ومذهب أهل السنة والجماعة الذي دلّت عليه النصوص من القرآن والسنة ودلّ عليه إجماع سلف هٰذه الأمة هو ما ذكره الطحاوي فيما سمعت وهو قوله: (وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا، وَأَنْزَلَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ حَقًّا)، وهٰذه الجمل إلىٰ آخرها اشتملت علىٰ مسائل؛ يعني اشتملت علىٰ موضوعات:

**الموضوع الأول**: أنّ القرآن كلام الله.

**والثاني**: أنه ليس بمخلوق.

**والثالث**: أن من زعم أن القرآن كلام البشر فهو كافر.

**المسألة الأولى**: وهي قوله: (وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ...) إلىٰ آخره، هٰذه نذكر فيها بعض التعريفات المهمة لتصورها ولتصور مذهب أهل السنة والجماعة فيها.

أولا قوله: (الْقُرْآنَ) بل قبل ذلك نقول قوله: (وَإِنَّ الْقُرْآنَ) هٰذه الكلام في كسر همزة (إِنَّ)كالكلام في كسر الهمزة قبلها في قوله (وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَىٰ) يعني: (نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ: إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ). لأنّ توحيد الله هو الإيمان والكلام في القرآن كلام في ركن من أركان الإيمان وذلك أن الإيمان هو إيمان بالله وملائكته وكتبه، فالكلام في القرآن وأنه كلام الله كلام في التوحيد؛ في توحيد الله تعالىٰ.

---

(١) انتهىٰ الشريط السابع.

**التعريفات:**

قال: (وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ).

**القرآن في اللغة**: مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآنا، فالقرآن مصدر قرأ، كما قال الشاعر في وصف عثمان ﷺ:

ضحّوا بأشمط عنوان السجود به ... يُقَطِّعُ الليلَ تسبيحا وقرآنا

يعني قراءة، ﷺ وأرضاه.

وأما في **الاصطلاح**: فالقرآن اسم لكل كتاب يُتلىٰ أنزله الله جل وعلا علىٰ نبي من أنبيائه، وذلك يدلّ علىٰ أنّ تخصيص القرآن بالاسم بما أُنزل علىٰ محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ هو كتخصيص الدين الذي أنزل عليه بالإسلام، فالقرآن هو الذي أنزل علىٰ محمد عليه الصلاة والسلام، كما أن الإسلام هو الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام، وإن اشترك في الإسلام دعوة جميع الأنبياء والمرسلين، وكذلك القرآن، دلّ علىٰ ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام فيما ثبت عنه وصح: «**ما أذن الله لشيء أذنه لنبي يقرأ القرآن يجهر به يتغنىٰ به**» دلّ علىٰ أن قراءة النبي لما أُنزل عليه والتغني بذلك علىٰ أن هٰذا قراءة للقرآن.....، هي مصدر قرأ قراءة وقرآنا لكن هو لما فيه شرف ومنزلة.

(كَلَامُ اللهِ) هٰذا اللفظ الثاني، كلام الله هو صفة من صفاته.

والكلام أصله في **اللغة**: ما سُمِع من الأقوال وتعدىٰ قائله، وهٰذا مأخوذ من اشتقاق المادة أصلا، مادة (الكاف واللام والميم) فإن (كَـلَـمَ) هٰذه تدل علىٰ قوة وشدة في تصريفاتها وتفريعاتها في لغة العرب كما حرر ذلك العلامة ابن جِنِّي في كتابه «خصائص اللغة»، وهٰذا يدلّ علىٰ أن حديث النفس لا يُسمّىٰ في اللغة كلاما، وعلىٰ أنّ القول الذي يسمعه صاحبه دون غيره -يعني ما يُجريه علىٰ نفسه- لا يسمىٰ كلاما في اللغة، أو يُحرك به لسانه لا يسمىٰ كلاما حتىٰ يُسمع غيره.

هٰذا يدل عليه من حيث الاشتقاق الأكبر والأوسط أن هٰذه الأحرف الثلاثة هٰذه (كَـلَـمَ) حيثما فرَّقتها لا تدل علىٰ خفاء ولا تدلّ علىٰ لين ولا تدل علىٰ رخاوة؛ بل هي تدلُّ علىٰ قوة وصلابة وشدة.

فخذ مثلا كَلَمَ بمعنىٰ جَرَحَ، وكَلَّمَ بمعنىٰ تحدّث، وقلْب هٰذه الكلمة مَلَكَ فيه قوة، ولَكَمَ فيه قوة، وكَمُلَ فيها قوة، فحيث صرّفت هٰذه المادة وقلبتها مستخدمًا الاشتقاق الأكبر أو الاشتقاق الأوسط فإنّ هٰذا يدل علىٰ قوّة وشدّة، ولا يدل علىٰ خفاء ورخاوة ولين، وهٰذا أصلٌ مهم في هٰذا الباب في فهم معنىٰ الكلام لغةً.

وسيأتي مزيد تفصيل عند الرد علىٰ قول الجهمية والمعتزلة في هٰذه المسألة.

قوله: (كَلَامُ اللهِ) الكلام صفة من صفات الله وإضافته إلىٰ الله جل وعلا هنا إضافة صفة إلىٰ متصف بها.

والذي جاء في القرآن والسنة أن ما يضاف إلىٰ الله جل وعلا نوعان:

**النوع الأول**: إضافة مخلوقات علىٰ الله سبحانه أعيان قائمة بنفسها، وهٰذا كإضافة البيت بيت الله،

وإضافة الناقة ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴿١٣﴾﴾[الشمس]، وإضافة العبد ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾[الجن:١٩]، وكل هٰذه إضافة مخلوق إلىٰ خالقه، ولكن هٰذه الإضافة لتخصيصها بالله جل وعلا تدل علىٰ شرف المضاف إلىٰ الله جل وعلا؛ يعني علىٰ شرف البيت، شرف الناقة، شرف محمد عليه الصلاة والسلام.

**النوع الثاني**: معاني وليست بأعيان معاني لا تقوم بنفسها مثل الرحمة لا يوجد أمامنا شيء يسمىٰ رحمة مستقل عن من يقوم به، لا يوجد عندنا شيء يسمىٰ كلام مستقل عن المتكلم أو السامع، هٰذه المعاني والصفات إذا أُضيفت إلىٰ الله جل وعلا فإنها إضافة صفة إلىٰ متّصف بها، وهٰذا أخذ بقواعد اللغة العربية.

قال بعدها: (**مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا**)، هٰذه الكلمة (**مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا**) أوردها لاستعمال طائفة من أئمة أهل السنة والحديث والأثر لهٰذه الكلمة، وهو أنهم قالوا: القرآن كلام الله منزه غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود. فاستعملها كما استعملها الأئمة من قبل.

قوله: (**مِنْهُ بَدَا**) بدأ منه (مِنْ) هنا ابتدائية، و(مِنْ) لها استعمالات كثيرة في اللغة، ومنها أن تكون للابتداء وقدمها الناظم في حروف المعاني جمع معاني (مِنْ) في اللغة العربية جمعها اثني عشرة معنىٰ، وهي تزيد عن ذلك فقال:

أتتنا (من) لتبيين وبعض ... وتعليل وبدءٍ وانتهاء

وزائدة وإبدال وفصل ... ومعنىٰ (عن) و(علىٰ) و(في) و(بعد)

فأول معاني (مِنْ) التبيين ثم التبعيض والتعليل والبدء هٰذه رتبها، ومعنىٰ (مِنَ) الابتدائية أن يكون الفعل بدأ من المسند إليه، وقوله هنا: (**مِنْهُ بَدَا**) يعني أنه ابتدأ من الله جل وعلا، يعني من الله ابتدأ فيعني بـ(من) أن ابتداءه كان من الله جل وعلا، وهٰذا دلت عليه آيات كثيرة كقوله: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾[النحل:١٠٢]، وكقوله ﴿تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[فصلت]، وغير ذلك كما سيأتي بيانه.

قوله (**بَدَا**) هكذا بدون همز (**مِنْهُ بَدَا**) تفسيرها يعني ظهر، (**مِنْهُ بَدَا**) يعني كان ابتداء ظهوره وخروجه من الله جل وعلا ويقال فيها أيضا: (**مِنْهُ بَدَأَ**)، بَدَأَ بالهمز يعني به الابتداء، منه ابتدأ، وأن الله سبحانه هو الذي بدأه لم يُبتدأ تنزيله من غير الله جل وعلا؛ بل نزل من الله ابتداء.

قال: (**بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا**) تقدير الكلام أو سياق سبر الكلام؛ المراد منه: منه بدا قولا بلا كيفية. منه بدا؛ لم يبتدئ منه معنىٰ ولكن بدأ منه قولا، ظهر وخرج القرآن منه قولا، فهو كلامه وقد ظهر وخرج أو ابتدأ منه قولا، ففي قوله: (**قَوْلًا**) إخراج لمن ادعىٰ أنه معنىٰ من المعاني جُعل في نفس جبريل.

قوله: (**بِلَا كَيْفِيَّةٍ**) يعني بلا كيفية معقولة، وإلا فإن كلام الله جل وعلا لاشك أن له كيف ولكن الكيف غير معقول فيصدق علىٰ هٰذا قول الإمام مالك في الاستواء: إنّ الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول.

قال: (**وَأَنْزَلَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَحْيًا**)، (**أَنْزَلَهُ**) يعني الإنزال من الله جل وعلا، والإنزال في القرآن والسنة جاء

علىٰ نوعين:

**النوع الأول**: إنزال مطلق وهٰذا يكون من الله جل وعلا، وقد يُذكر من الله وقد لا تذكر فيكون الإنزال المطلق من الله جل وعلا.

**فتارة وهو النوع الثاني**: أن يكون إنزالا مقيدا؛ يعني أنه يقيد ابتداء الإنزال من شيء مخلوق، ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[ق:٩]، فصار هنا ابتداء الإنزال أو التنزيل من السماء، ونحو ذلك من الآيات التي فيها التنزيل المقيّد.

إذن قوله: (وَأَنْزَلَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ) هٰذا لأجل أنّ الآيات فيها ذكر التنزيل، والتنزيل مطلق منه جل وعلا، كقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾[النحل:١٠٢]، وكقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[الشعراء]، وفي آية الشعراء هٰذه قوله: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ لأنّ القلب به تتميز المدركات؛ لأن القلب به تتميز المدركات المسموعة أو المدركات المرئية أو المدركات المعقولة، فذِكْر القلب في آية الشعراء لأجل تمييز المدركات بأنواعها؛ تمييز المسموعة عن المسموع، وتمييز المرئي عن المرئي، وتمييز المعقول عن المعقول وهكذا، وكذلك قوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[فصلت]، وكذلك قوله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس]، والآيات في هٰذا الباب كثيرة متنوعة.

قال: (وَأَنْزَلَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَحْيًا) والوحي هنا المقصود به أن الإنزال كان وحيًا، (وَأَنْزَلَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَحْيًا) أوحي علىٰ محمد عليه الصلاة والسلام.

**والوحي في اللغة** -يعني تعريف الوحي في اللغة-: إلقاء الخبر أو العلم في خفاء وسرعة، ولهٰذا سُميت الكتابة وحيا وسُميت الإشارة وحيا، وهكذا، وهٰذا بحث معروف في اللغة واضح.

**والوحي من جهة الاصطلاح**: اختلفت التعاريف فيه بِحَسب اصطلاح مذهب القائل، ولهٰذا تجد في كثير من كتب التفسير تعريف للوحي لا ينطبق علىٰ مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة الكلام، وربما نقله من لا يُحسن.

فإذن لابد من معرفة تعاريف الوحي في الاصطلاح يعني عند أهل السنة والجماعة.

فعُرِّف الوحي اصطلاحا عند أهل السنة والجماعة: هو إعلام النّبي بشيء إما بكتاب أو برسول أو بمنام أو بإلهام. وفي كلّ من هٰذه خلاف لبعض المخالفين.

قال: (وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ حَقًّا) يعني آمن به المؤمنون.

(وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالْحَقِيقَةِ)، وقوله هنا: (وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالْحَقِيقَةِ) استعمل لفظ (بِالْحَقِيقَةِ) ردًّا علىٰ قول من قال: إنه كلام الله تعالىٰ مجازًا. كما هو قول المعتزلة وغيرِهم، هٰذا من جهة استعمال لفظ (الحقيقة) بما استعملت فيه عند أهل هٰذه البحوث...

(لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ) يعني أن الله سبحانه تكلم بهٰذا الكلام وهو صفته ليس بمخلوق؛ بل هو

وحي منزّل كلام الله جل وعلا صفته، وأما المخلوق هو كلام البرية.

إذا تبيّنت لك هٰذه التعاريف سنقف عند هٰذا، ونرجع إلىٰ تقرير ما اشتملت عليه.

هٰذه الجمل فيها تقرير أنّ القرآن كلام الله جل وعلا وأنه منه بدأ، وأنه وحي، وأنه كلامه حقيقة، وأنه ليس بمخلوق، وهٰذه المسائل التي ذُكرت هي التي قررتها الأدلة في الكتاب والسنة بحيث إنّه من نظر فيها أيقن أن كل قول خلاف هٰذا القول هو باطل، ولبيان ذلك سنقول:

الكلام علىٰ ما اشتمل عليه كلامه السابق ينتظم في مسائل:

**المسألة الأولى**: نشأة القول بخلق القرآن أو أن كلام الله مجاز وأشباه ذلك؛ ما منشأ القول بهٰذه المسألة؟ ولِمَ خالف المخالفون في ذلك؟

من المعلوم أنّ أول من تكلّم في هٰذه المسألة هو الجعد بن درهم وضُحِّي به؛ ضحّىٰ به خالد القصري، وكان يقول: إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسىٰ تكليما، كما رواه البخاري في «خلق أفعال العباد».

هٰذه المسألة تطورت عند الجهمية وعند جهم بخصوصه فأصل لها أصلا، وهو أنه نظر في أصل الدين فوجد أنه مبني علىٰ إثبات وجود الله جل وعلا –وانتبه! معي في سياق ما أذكر باختصار– نظر أن أصل الدين مبني علىٰ إثبات وجود الله جل وعلا، وقد ابتلي هو بطائفة من منكري وجود الإله ﷻ، وحيّروه فيما أوردوا عليه من الأسئلة، فقالوا له: أقم لنا برهانا عقليا علىٰ أن الله ﷻ أو علىٰ أن هٰذا الخلق له رب وله خالق وأنه موجود. فتحير ونظر في هٰذه المسألة، ثم قال لهم: وجدتها. فأقام البرهان بما يسمىٰ عند أهله بحلول الأعراض في الأجسام، وهو أصل الانحراف في مذهب الجهمية ثم المعتزلة ثم الأشاعرة والماتريدية، ولهٰذا السلف ينسبون كل من انحرف في الصفات إلىٰ جهم فيقولون هو جهمي؛ لأنه ما انحرف إلا لموافقته لجهم في هٰذا الأصل الذي أصّله وانحرف به عن منهج السلف.

وهٰذه المسألة أو هٰذا البرهان الباطل –وليس ببرهان بل هو دليل باطل–، قال في تقريره: **إنّ الجسم تَحُلّ فيه الأعراض** –الجسم هو المتحيز، كتاب متحيز، كرسي متحيز، مبنىٰ متحيز، إلىٰ آخره– الأجسام تحل فيها الأعراض، والأعراض مثل البرودة الحرارة مثل الارتفاع، مثل الطول العرض العمق، مثل الحركة فيه والتحرك إلىٰ آخره، هٰذه الأشياء معلوم أنها لا توجد بنفسها وإنما وجدت بالجسم، والجسم حلَّت فيه هٰذه الأعراض دون اختياره، فلهٰذا صار هٰذا الجسم جسما محتاجا إلىٰ العَرَض؛ لأنَّ العرض لا يقوم بنفسه وإنما يقوم بالأجسام، وما دام أنّه محتاج بوجوده محتاج لصفات فمعنىٰ ذلك أنه غيره، وإذا كان كذلك فمعنىٰ ذلك أنه غير كامل ومحتاج لغيره وإذا كان كذلك فنعنىٰ هٰذا أن الأعراض جلبت إليه ومعنىٰ هٰذا أن حلول الأعراض في الأجسام دل علىٰ أنها مخلوقة يعني علىٰ أنها محتاجة إلىٰ من يأتي

إليها بهٰذه الأشياء التي تميزها عن غيرها وتصلح معها للوجوب،[1] فلهٰذا صار الجسم قابلا لحلول الأعراض فيه وصار إذن الجسم محتاجا لغيره فصار إذن مخلوقا مُوجَدا.

إذا تبين هٰذا، قالوا له: هٰذا دليل صحيح في أن الجسم لم يوجد نفسه يعني الجسم المعين عين المعين هٰذه لم يوجد نفسه وأنه موجود واقتنعوا بهٰذا البرهان، مع أنه في حقيقته غير مُقنع وغير مستقيم، فأثبت لهم وجود خالق، وجود رب لهٰذه الأشياء.

فلما نظروا في هٰذا قالوا له: هٰذا دليل صحيح، فصِفْ لنا ربّك. كان جهم فقيها عنده علم بالكتاب والسنة، ولما سألوه هٰذا السؤال، نظر في الصفات التي جاءت في الكتاب والسنة فتحيّر في أنّه لو أثبت هٰذه الصفات لعادت علىٰ هٰذا الدليل الذي لم يجد غيره في إثبات وجود الله عادت عليه بالإبطال؛ لأنه وجد في الكتاب والسنة أن من الصفات الاستواء، من الصفات العلو، من الصفات الرّحمة، من الصفات الانتقام، من الصفات الإعطاء، من الصفات الغضب، من الصفات الرضا إلىٰ آخره، وهٰذه كلها معاني لا تقوم بنفسها، وهي تأتي وتذهب يعني من حيث هيه.

فلهٰذا قال إنه لو قال لهم: إن الصفات صفات الرَّحمٰن جل وعلا هي التي جاءت في الكتاب والسنة علىٰ ظاهرها فإنه يؤول إلىٰ أن يقال له: إذن فالذي يتصف بهٰذه الصفات إذن هو محتاج، إذن هو مثل الجسم فهو جسم كالأجسام.

فلهٰذا قال لهم: إن الله سبحانه لا صفة له إلا صفة الوجود المطلق، وعلىٰ هٰذا الأصل مشىٰ جهم في نفي الكلام ونفي جميع الصفات، حتىٰ أسماء الرَّحمٰن جل وعلا يفسرها بالآثار المخلوقة.

جاء بعده المعتزلة فقالوا: هٰذا البرهان صحيح، ولكن ثمّ صفات دلّ عليها العقل لا يمكن أن يكون الرب جل وعلا موجودا دون هٰذه الصفات.

جاء الأشاعرة وقالوا: كلام المعتزلة صحيح؛ لكن الصفات أكثر من الثلاث التي أثبتها المعتزلة فهي سبع وتؤول إلىٰ عشرين عندهم.

بعد ذلك جاء الماتريدية وقالوا: الصفات ثمان لابد من الزيادة علىٰ السبع صفة التكوين وهكذا.

إذن منشأ الضلال في هٰذه المسألة هو هٰذا البرهان الباطل علىٰ وجود الله جل وعلا الذي جعل فيه دليل الأعراض هو الدليل علىٰ حدوث الأجسام، ومنه أبطل وصف الله جل وعلا بصفاته ونفىٰ الكلام.

ولهٰذا مسألة الكلام هي أعظم المسائل التي بُحث فيها؛ لأنه ورثها جهم من الجعد بن درهم وكانت أصل المسائل التي يُفكر فيها من جهة الصفات، فلما أقام برهانه صارت هٰذه المسألة أو هٰذه الصفة من أوائل الصفات التي نفاها لأجل إقامة برهانه واستقامه.

إذا تبين لك ذلك فثَم تعبيرات مختلفة عن منشأ الضَّلال في هٰذه المسألة:

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الثامن.

فتارة تجد من يقول -وكلّها حق- أن من يقول: إن منشأ الضلال هٰذه المسألة هو أن إثبات صفة الكلام يستلزم التجسيم، وهي راجعة إلىٰ ما ذكرنا.

ومنهم من يقول: إن صفة الكلام المضافة إلىٰ الله صفة تشريف -يعني إضافة تشريف- لا إضافة صفة إلىٰ موصوف.

وهٰذان القولان هما اللذان ذكرهما الشارح ابن أبي العز في هٰذا الموضع؛ يعني شبهة الذين قالوا: إن كلام الله جل وعلا مخلوق.

**المسألة الثانية**: أنّ الناس اختلفوا في مسألة الكلام هٰذه إلىٰ أقوال كثيرة يهمُّك منها عدد -يعني لا نستوعب الأقوال؛ لأنها طويلة وبعضها لا فائدة منه-:

**الأول**: قول أهل السنة والجماعة وهو الذي سَمعت؛ وهو أنّ القرآن كلام الله جل وعلا سمعه منه جبريل فنزل به علىٰ محمد عليه الصلاة والسلام فسمعه منه محمد عليه الصلاة والسلام وأسمعه الناس وتلاه عليهم، وأنّه منه بدأ جل وعلا وإليه يعود، وأنّ كلام الله ﷻ يُسمع.

وإذا كان جبريل قد سمعه ونزّله، فإذن هو صوت، سمعه بصوت، وليس معنًىٰ قُذِف في داخل جبريل أو أخذه من اللوح المحفوظ، وأنّ كلام الله سبحانه هو كلامه حيث وُجد، وأنه إذا تُلي فالكلام كلام الباري والصوت صوت القاري، فهو كلامه الموجود في المصاحف، وهو كلامه الموجود الذي يُسمع في تلاوة التالي، وهو كلامه الذي يُستدل به إلىٰ آخره، لا يخرج من هٰذه الحالات عن كونه كلام الله جل وعلا.

وهٰذا هو الذي قُرِّر في هٰذا الموضع من الطحاوية.

**المذهب الثاني**: مذهب الجهمية وهو أنّ الله سبحانه لا يوصف بكلام أصلًا، وليس بمتكلم ولا بذي كلام، فيُسْلب عنه هٰذا الوصف، ويُفَسَّر الكلام بمخلوق منفصل، يقال له كلام، فخلق الله هٰذا القرآن وسمّاه كلاما له، فيكون الكلام كلام الله جل وعلا، يكون خلقًا من خلقه.

**المذهب الثالث**: مذهب المعتزلة وهو شبيه بمذهب الجهمية إلا أنهم قالوا: إنّ القرآن مخلوق خلقه الله جل وعلا في نفس جبريل، فعبّر به جبريل أو نقل جبريل ما خُلق في نفسه، فهو مخلوق في نفس جبريل، وكلام الله جل وعلا يُخلق في أحوال مختلفة؛ من جهة كلام موسىٰ خُلق في الشجرة، ويُخلق في كذا، ويُخلق في كذا إلىٰ آخر قولهم.

فإذن يتفقون علىٰ أنه مخلوق مع الجهمية، ويجعلون زيادة عليهم أنه مخلوقٌ في موضع يناسبه، وهٰذا منهم فقه أعظم من فقه جهم؛ لأنه حتىٰ لا يُعارض عليه بأن القرآن تنزيل وأنه أُنزل، فقالوا: إنه أنزل ولكنّه خلق في نفس جبريل أو رُوع جبريل.

**المذهب الرابع**: هو مذهب الكلّابية أتباع ابن كلاب؛ بل مذهب ابن كلاب نفسه وأتباعه من الأشاعرة وغيرهم، وهو أنّ كلام الله جل وعلا معنًىٰ واحدًا، وكُتُب الله تعبير عن هٰذا المعنىٰ الواحد فتارة يُعَبّر عنه

بالعربية فيُسمىٰ قرآنا وتارة يعبر عنه بالسريانية فيسمىٰ إنجيلًا، فتارة يعبر عنه بالعبرانية فيسمىٰ توراة، وهكذا.

فإذن هو معنىٰ وليس ثَم صوت يسمع ولا كلام حقيقة، ولكنه معنىٰ قائم بنفس الرب جل وعلا ألقاه في روع جبريل فنزل به جبريل، عبّر عنه جبريل بهٰذه التعبيرات المختلفة.

**المذهب الخامس**: هو مذهب الفلاسفة وطائفة من الصُّوفية، وهو أنّ كلام الله جل وعلا هو ما يُفاض أو ما يفيضه علىٰ النفوس من المعاني الخيِّرة معاني الحكمة، وهٰذه الإفاضة قد تكون مباشرة منه إلىٰ العقل الفَعَّال –عندهم–، والعقل الفَعَّال يفيضه علىٰ النفوس حسب استعداداتها، وقد تكون هٰذه الإفاضة منه جل وعلا مباشرة علىٰ قلب الرجل، كقول طائفة من الصوفية، وقد تكون هٰذه الإفاضة في وقائع مختلفة.

المقصودُ من هٰذا تقريب المذاهب المشهورة في هٰذه المسألة، وإلا فثم مذاهب أخرىٰ لهٰذه المسألة، وكما ذكرت لك فإن هٰذه المسألة من كبريات المسائل التي تكلم فيها الناس.

**المسألة الثالثة**: أدلة أهل السنة والجماعة علىٰ قولهم، وردّ استدلال المخالفين؛ بل نقول: أولا أدلة أهل السنة والجماعة علىٰ قولهم.

فكما سمعت المسألة فيها أشياء:

ففيها أنّ القرآن كلام الله، وهٰذه أدلتها كثيرة معلومة لكم، ومنها قوله جل وعلا: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٦].

وقوله: (**مِنْهُ بَدَا... قَوْلاً**) هٰذا دليله قوله جل وعلا: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل:١٠٢]، وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[فصلت]، قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾ ثم وصفه، ثم قال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾، ولهٰذا حرف ﴿مِّنْ﴾ هٰذا من الأحرف المهمة في تقرير العقائد السلفية، فينبغي لطالب العلم أن يعتني به في كتب النحو وكتب المعاني؛ لأنه يفيد فيما ذكرنا في مواضع كثيرة، يفيد في هٰذا الموضع وفي غيره من المواضع.

قال: (**بِلَا كَيْفِيَّةٍ**) يعني أن الكيف غير معقول، وهٰذا يدلّ عليه قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ].

(**وَأَنْزَلَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَحْيًا**) يعني أنّ القرآن وحي وهٰذا أمر ظاهر متواتر معروف للجميع.

قال: (**وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالْحَقِيقَةِ**) هٰذه الكلمة دليلها قوله جل وعلا: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[النساء]، فتكليم موسىٰ أُكِّد بالمصدر فقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ قال علماء العربية: إن تأكيد الفعل بالمصدر يدلُّ علىٰ إرادة حقيقته وألا يراد به غير الظاهر والحقيقة. هٰذا القول من باب التنزل معهم بحسب لغتهم، وإلا فإن استعمال الحقيقة والمجاز في هٰذا الموضع لا يصلح

تأسيسًا، وإنما إذا كان في الرد علىٰ المخالفين فلا بأس به من باب حدّثوا الناس بما يعرفون، قارِن بين هٰذه الآيات وبين قوله ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٦].

فإذن كلام الله جل وعلا الذي تكلم به هو حقيقة جمعا بين الآيتين آية براءة وآية سورة النساء.

**المسألة الرابعة**: أقوال أهل البدع نخصّ منها قول المعتزلة وقول الأشاعرة، أما الأقوال الأخر الجهمية والفلاسفة هٰذه نطويها.

قول المعتزلة مشهور وهو أن القرآن مخلوق، استدلوا بدليل عقلي -كما ذكرنا-، وهو أنه لو أُثبت الكلام وأن الكلام يُسمع فمعنىٰ ذلك أنَّ الرب جل وعلا جسم؛ لأن الكلام لا يصدر إلا بتغيّر، وهٰذا التغير إذا حلّ في شيء فإنه يدلّ علىٰ أنه جسم علىٰ الذي ذكرنا لك من قولهم.

وهٰذا القول يدلُّكم علىٰ أن الرب جل وعلا يجب أن يُنَزَّه علىٰ جميع المظاهر الجسمية بأنواعها لأنّ وصفه جل وعلا بأنه جسم كفر. وهٰذا القول يرد عليه من جهتين:

**الأول**: أن ذِكر صفة الكلام لله جل وعلا وارتباط الجسمية بها، هٰذا ليس بصحيح؛ وذلك أنّ المقدمة التي بُني عليها هٰذا القول هي البرهان بما سموه حلول الأعراض في الأجسام.

وهٰذا البرهان لم يدلَّ عليه القرآن ولا السنة؛ بل دلّ القرآن والسنة علىٰ بطلانه، وذلك من جهة أن الجسم موجود بأعراضه، وأنه إذا كان العرض يحِلُّ في الجسم فدلّ علىٰ أن الجسم غير مختار لحلوله -لاحظ معي-، إذا كان الجسم يَحُلُّ فيه العرض والجسم لم يختر حلول العرض فيه فدل علىٰ أنه محتاج، لا ينطبق علىٰ الصورة التي فيها الكلام؛ لأنّ من قال: إنّ القرآن كلام الله تكلّم به، فلو قيل إنه عرض فيقال اتصافه به كان بمشيئته وقدرته واختياره ﷻ، فخالف من هٰذه الجهة البرهان.

فدل أولا علىٰ أن البرهان في نفسه غير صحيح علىٰ هٰذه المسألة؛ يعني تطبيق البرهان غير صحيح في مسألة الكلام.

ودل ثانيا علىٰ أنهم حينما أصّلوا البرهان لم يطبقوه علىٰ وجه الصواب في الصفات جعلوا الجسمية والعرضية متلازمة دائما مع الحاجة، وهٰذا فيه نظر كما ذكرت لك.

**الرد الثاني**: أنّ النّصوص دلت علىٰ أن القرآن كلام الله جل وعلا، وعلىٰ أنّ الله يتكلّم، وعلىٰ أن هٰذا أُكِّد بمؤكدات، ومجموع هٰذه النصوص، إذا أُريد تأويلها فإنه:

*أولا* : لا يستقيم في كل المواضع.

*والثاني*: أنه يلزم منه نفي الصفات التي وَصف بها المعتزلةُ ربَّ العالمين.

أما الأول: فلا يستقيم في كل موضع، فمثل ما قالوا في قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾، قالوا: إن معنىٰ ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ عند المعتزلة بأنّ معنىٰ ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ يسعني أنه سمع كلامه المخلوق في الشجرة، وهٰذا السماع أُكِّد في حق موسىٰ لأنه سمع كلامًا تكليمًا؛ يعني أن التكليم ليس تأكيدا للفعل الذي بدا من الله جل وعلا ولكنه لإحساس موسىٰ بما سمع، وقال بعض

الناس في هٰذا ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ١٦٤﴾ يعني جرحه بأظافير الحكمة تجريحا، أخذوه من كلّم يعني جرّح.

وقد جاء بعض المعتزلة إلىٰ أبي عمر بن العلاء -وهو أحد القراء الذين جعلوا قراءتهم معتمدة علىٰ النحو- فقال له في هٰذا الموطن: اقرأ **وَكَلَّمَ اللهَ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا**. قال: هَبْني قرأت ذلك فما تصنع بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[الأعراف:١٤٣]، وما تصنع بقوله تعالىٰ ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾[البقرة:٢٥٣]. وهٰذا يدلّ كما ذكرنا لك علىٰ أنه لا يستقيم مع الآيات الأخر.

**المسألة التي بعدها**: قول الأشاعرة فهٰذا هو أخطر الأقوال لأن قول المعتزلة جمهور الأمة يقول بخلافه يعني جمهور المنتسبين للقبلة يقولون بخلافه في زماننا هٰذا، ما فيه من يقول بقول المعتزلة إلا ثلاث طوائف: الرافضة والإباضية أو الخوارج والزّيدية.

قول الأشاعرة ذكرنا لكم أن كلام الله معنىٰ، وأن القرآن ألقي في نفس جبريل فعبَّر عنه، وهٰذا القول منهم لا شك أنه أخص من قول المعتزلة، ولذلك تجد أن الأشاعرة هم الذين أخذوا زمام الرَّد علىٰ المعتزلة في خلق القرآن في القرون المتوالية بعد زمن السلف كالإمام أحمد والبخاري والأئمة هؤلاء تولوا الرد وعثمان بن سعيد وغيره ومن صنَّف.

لكن من رد علىٰ المعتزلة بردود عقلية وتوسّع في ذلك هم الأشاعرة، وبينهم وبينهم مناظرات، ولأجل خلاف المعتزلة والأشاعرة في هٰذه المسألة كان أهل الحديث والأشاعرة في أول الأمر متّفقين غير مختلفين، حتىٰ حدثت فتنة ابن القشيري المعروفة في أواخر القرن الخامس، فصارت المنابذة العظيمة ما بين الأشاعرة وأهل السنة، فكان الأشاعرة لا يعلنون مذاهبهم في كل المسائل علىٰ التفصيل حتىٰ حدثت الفتنة.

المقصود من هٰذا أن الأشاعرة ردوا علىٰ المعتزلة في خلق القرآن، وأصل مذهب ابن كلاّب في هٰذه المسألة أنه توسّط ما بين قول أهل الحديث -لأنه خالط أهل الحديث- وما بين قول المعتزلة، فأتىٰ بهٰذا الشيء الذي هو: أن القرآن معنىٰ؛ لأن الذي من أجله قيل: إنّ القرآن مخلوق هو أن كلام الله جل وعلا أصوات وحروف وأنه يُسمع، فقال: ننفي هٰذه ونبقي كلام الله جل وعلا غير مخلوق وأنه علىٰ حقيقته؛ ولكن نقول: هو معنىٰ دون لفظ، دون سماع.

**إذا تبين ذلك**، فنأخذ من هٰذا تفصيل وهو أن دلالة الكلام في اللغة علىٰ اللفظ والمعنىٰ فيها مذاهب:

**مذهب أهل السنة والجماعة** وأهل الحديث والأثر: أن الكلام والقول إذا أُطلق؛ يعني إذا قيل: الكلام، كلام فلان، قول فلان، قول الله جل وعلا، فإنه يراد به شيئان معا دون تفريق بين والواحد والآخر؛ يراد به اللفظ والمعنىٰ جميعا.

**والثاني مذهب المعتزلة**: وهو أن الكلام هو في المعنىٰ وفي اللفظ مجاز.

**والثالث وهو مذهب الكلابية**: وهو أن الكلام للمعاني؛ ولكن الحديث إخراجه هٰذا دليل عنه، واستدلوا علىٰ هٰذا بقول الأخطل في الشعر المشهور المعروف عندهم في الاستدلال:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جُعِل اللسان علىٰ الفؤاد دليلا

والكلام علىٰ هٰذا البيت ورد الاستدلال به إلىٰ آخره، مرّ معنا في الواسطية فنحيلكم عليها؛ لأنه معروف مشهور كررناه أكثر من مرة.

نرجع علىٰ أصل المسألة وهو أن الكلابية والأشاعرة قالوا: إنّ الكلام معنىٰ؛ كلام الله جل وعلا معنىٰ، ألقاه في روع جبريل، وهٰذا لأجل أنهم أصّلوا تأصيلات، ومنها أن الكلام لا يدلّ علىٰ الإخراج وإنّما يدل علىٰ ما قام في النفس، كما استدلوا بهٰذا البيت، لهٰذا ذكرت لكم في أول الكلام تعريف كلّم وكَلَمَ وهٰذه المادة واشتقاقها ليبطل معه قول من قال: إن الكلام معنىٰ، فإن اللغة دلت علىٰ أن الكلام لابد أن يكون لفظا ومعنىٰ، وحتىٰ كلمة لفظ تدل علىٰ شيء ملفوظ مفرد، وما أحسن قول المعرِّي وإن كان ليس مجال احتجاج قال:

من الناس من لفظه لؤلؤ يبادره اللّقط إذ يلقط

وبعضهم قوله كالحصىٰ يقال فيلغىٰ ولا يحفظ

يعني من الناس من لفظه لؤلؤ يعني اللفظ لابد أن يلفظ يخرج، فكيف يكون الكلام والقول يكون في الداخل دون الخارج؟ وكيف يكون المعنىٰ يدل عليه في الإنسان بلا لفظ؟ وإذا كان ثَم لفظ فإذن ثم معنىٰ واللفظ لابد أن يلفظ ويخرج.

فدل ذلك علىٰ أن قولهم بأن الكلام معنىٰ وأن هٰذا هو الأصل فيه، هٰذا لاشك أنه معارض باللغة في تأصيلاتها أو اشتقاقاتها وأيضا معارض بالنصوص التي سقنا لك بعضا منها.

الكلاّبية ورثهم أبو الحسن الأشعري والماتريدي في الكلام في هٰذه المسألة:

- تارة يعبّرون عنه بقولهم: الكلام صفة نفسية.
- وتارة يعبّرون عنه بأن الكلام كلام الله جل وعلا قديم؛ يعني قبل أن يخلق الخلق، قبل أن يوجد شيء، تكلّم بكلام قديم وانتهىٰ.
- تارة يعبّرون عنه بأنه معنىٰ قائم بالنفس.
- وتارة يعبرون عنه بأنه عبارة يعني القرآن، عبارة عن كلام الله؛ يعني عُبِّر به عن كلام الله.

**إذا تبين لك ذلك**، فحاصل معتقد هٰذه الطوائف -الكلابية الأشاعرة والماتريدية- أنّ القرآن قديم، كلام الله جل وعلا قديم؛ يعني تكلم الله جل وعلا به في الأزل ثم لما أرد إنزاله علىٰ محمد عليه الصلاة والسلام قام ما تكلّم به في الأزل به معنىٰ فألقاه في رُوع جبريل فنزل به جبريل وعبّر عنه، وإلاّ فكلام الله عندهم ليس بالعربية وليس بالسريانية وليس إلىٰ آخره لتنزهه عندهم عن اللغات.

إذا تبين ذلك، فمن أحسن الردود عليهم ما استشكله الآمدي، والآمدي من حذاق الأشاعرة

المعروفين ومن الأذكياء، قال: إني نظرت في هٰذا القول، وهو أنّ كلام الله قديم، وأنّ القرآن قديم، وأنه حين أوحي إلىٰ محمد عليه الصلاة والسلام إنما أوحي بالعبارة وبما ألقي في نفس جبريل، فأشكل علي أنّ القرآن فيه آيات كثيرة فيها التعبير عنه بلفظ الماضي ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة:١]، وهل كان ثم مجادِلة؟ وهل كان ثَم زوج؟ وهل كان ثم صوت حتىٰ يسمع الله؟ قال: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ فإذا كان الله قال هٰذا القول في الأزل ولا زوجة ولا مجادِلة ولا قول، فما الذي سمع؟ فيلزم منه أن قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ وكل الأفعال الماضية في القرآن أنها غير مطابقة للواقع، وهٰذا هو الكذب، وهٰذا لاشك أنه رد منطقي جميل لأنه يلزمهم علىٰ أصولهم ولا فرار لهم منه.

**إذا تبين لك ذلك**، فنقول خلاصة الرد علىٰ هٰذه الطوائف يكمن في أشياء:

**الأول**: الاستدلال باللغة في معنىٰ كلّم، في معنىٰ الوحي، هٰذا واحد.

**الثاني**: الاستدلال بالنّصوص من القرآن والسنة التي فيها الإضافة، والقاعدة الفرق ما بين إضافة المخلوقات وإضافة المعاني.

**والثالث**: أنه يردّ ما استدلوا به من أنواع الأدلة مثل ما أصلوه في أن الكلام يدل علىٰ المعنىٰ فقط في اللغة، وأنّ الوحي يكون بالمعنىٰ والإلقاء في الروع، وغير ذلك من الاستدلالات، ونفي القول يلزم التشبيه يلزم التجسيم إلىٰ آخره.

وأيضا بقول الآمدي في التفريق ما بين الماضي والحاضر.

أطلنا عليكم، والكلام يطول؛ لأن هٰذه المسألة فيها طول، وأكثر المسائل وأعظم المسائل بحثا وتفصيلات هي هٰذه.

علىٰ العموم نقف عند هٰذا؛ لأن الوقت تأخر، ونكمل إن شاء الله تعالىٰ المسائل في الدرس القادم.

هو دائما إذا أوضحت أو استطردنا مثل هٰذا الواحد يتألم من جهة وهو أن مثل هٰذا الكلام لا ينبغي أن يقرر مثل مذاهب الفرق وأقوال الأقوام؛ لكن لابد منه، لأنه مع الأسف المجتمعات؛ يعني مجتمعات المسلمين وفي بلادنا بخاصة وكل من سيصلهم هٰذا الكلام عن طريق الأشرطة، المجتمعات اختلطت، فصار فيها من أتباع الفرق جميعا، ولا يحسن أن يبقىٰ طالب العلم السُّني السلفي عريا عن قوة الحجة وقوة الدليل وعن فهم كلام الناس في ذلك؛ لأنه قد يقال: إنكم لا تفهمون تقلدون إلىٰ آخره.

فإذا فهم المسائل وضبطها، واستطاع أن يرد علىٰ أولئك فقد نصر الحق، إضافة علىٰ أن كتب التفسير المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة أكثر من كتب التفسير السّلفية، وأكثر كتب التفسير والحديث وإلىٰ آخره شروح الحديث يعني، وكتب الأصول كلها علىٰ منهج الأقوام؛ لا تجد كتابا في الأصول من الكتب المتقدمة إلا ما شذّ أثبت مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة الكلام، حتىٰ كتب الحنابلة تجد فيها ضلالا في هٰذه المسألة؛ لأنهم وافقوا الأقوام في أن القرآن عبارة أو معنىٰ ونحو ذلك.

[الأسئلة]

نجيب عن بعض الأسئلة في ثلاث دقائق.

سؤال (٨٠): هٰذا يسأل عن أدلة المعتزلة عن مرادهم.

**الجواب**: أدلة المعتزلة كثيرة، مما استدلوا به أن الله جل وعلا قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف:٣]، ونحو ذلك فذكر الجعل، والجعل قالوا هو بمعنىٰ الخلق ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الرعد:٣]، يعني خلقهما، ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[الأعراف:١٨٩]، يعني خلقها وهكذا.

الجواب علىٰ كلامهم معروف وهو:

أن الجعل في اللغة إذا تعدىٰ إلىٰ مفعول واحد صار بمعنىٰ خلق.

وإذا تعدىٰ إلىٰ مفعولين صار بمعنىٰ صيّر، ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ يعني صيّرناه قرآنا عربيا يعني غير خلقناه، والآيات علىٰ هٰذا كثيرة وهٰذا من أضعف حججهم لأنها منقوضة باللغة.

سؤال (٨١): العلاقة بين العلم والكلام النفسي؟

**الجواب**: من هٰذه الجهة عندهم ما فيه فرق؛ يعني كل ما قام بالنفس فهو معنىٰ قائم بالنفس، العلم الفرق بينه وبين الكلام، العلم راجع إلىٰ المعلومات، وأما الكلام راجع إلىٰ ما سينسب إليه الكلام، عندهم ما قام بالنفس من الكلام هٰذا موافق لما تكلّم به.

فإذن هو تكلم في الأزل بكلام بالقرآن، والآن يعني حين أراد الوحي قام بنفسه المعنىٰ الذي تكلّم به فأوحىٰ إلىٰ جبريل هٰذه المعاني في نفسه فعبّر عنها جبريل، واضح.

سؤال (٨٢): ما رأيكم فيمن قاس الكلام علىٰ الاستواء؟

الجواب: ذكرت لكم في إشارة أو ربما ما ذكرتها؛ لكن منهج السلف في الكلام أن الكلام قديم النوع حادث الآحاد؛ يعني أصل صفة الكلام لم يزل الله ﷻ متصفا بها ﷻ، واتصافه بالكلام أوّل ﷻ، اتصافه بالكلام أزلي، لذلك يقولون: كلام الله جل وعلا قديم النوع حادث الآحاد، وكلامه نوعان جل وعلا:

**كلام كوني قدري**: وهٰذا الذي به تكون الأشياء ويتصرف ﷻ في ملكه وهو الذي جاءت فيه الاستعاذة: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. وفي مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾[لقمان:٢٧]، ونحو ذلك من الآيات هٰذه الكلمات الكونية القدرية.

والنوع الثاني من كلام الله جل وعلا **الكلام الشرعي الديني** وهو الذي تعبد الناس جل وعلا أن يعملوا به في العمليات وأن يصدقوا بأخباره.

وهٰذا الأشاعرة يقولون قديم؛ كله قديم.

سؤال (٨٣): هل القرآن الكريم حروفه ومعانيه مكتوب في اللوح المحفوظ؟

**الجواب**: نعم، كما قال سبحانه: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾[البروج]، وقال جل وعلا: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ

﴿٧٨﴾ ﴿[الواقعة] الله جل وعلا جعل القرآن في اللوح المحفوظ مكتوبا قبل أن يتكلم به فما في اللوح المحفوظ هٰذه مرتبة الكتابة، مرتبة الكتابة لا علاقة لها بالكلام كما أنه سبحانه جعل في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء وثم تقدير سنوي وتقدير عمري وتقدير يومي إلىٰ آخره.

فكذلك جعل الله جل وعلا كلامه الذي هو القرآن، جعله في اللوح المحفوظ تكرمة له ويصان، يعني مجموعا كاملا، ثم هو جل وعلا تكلم به وسمعه منه جبريل.

ولهٰذا نقول: إن ترتيب الآيات في السور توقيفي، وكذلك ترتيب السور توقيفي، ما يجوز أن نقول: الترتيب اجتهادي؛ لأنه هكذا أنزل علىٰ النبي عليه الصلاة والسلام وجاءت العرضة الأخيرة الموافقة لما في اللوح المحفوظ والنبي عليه الصلاة والسلام كان يقرأ في أول الأمر البقرة ثم النساء ثم آل عمران كما جاء في الحديث حذيفة وغيره، فهٰذا في الأمر الأول.

ثم لما كمل القرآن وتمت آياته وعرضه النبي عليه الصلاة والسلام علىٰ جبريل في العرضة الأخيرة علىٰ هٰذا الترتيب، والصحابة كتبوه علىٰ ما سمعوا منه عليه الصلاة والسلام؛ لهٰذا كان إذا جاءت آية قال عليه الصلاة والسلام: اجعلوها بعد آية كذا وقبل آية كذا كما هو معروف.

سؤال (٨٤): هل نزل القرآن من الله علىٰ جبريل منطوقا أو مكتوبا؟

**الجواب**: لا، منطوقا يعني مسموعا سمعه جبريل، أما المكتوب فلا علاقة لجبريل عليه السلام به، هٰذا من أقوال الأشاعرة أنهم قالوا: إن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ، وقاله السيوطي وغيره، وهٰذا باطل؛ لأن الكتابة لا علاقة لجبريل بها، جبريل سمع فأدىٰ.

سؤال (٨٥): من سأل النبي ﷺ أن يدعو له وأن يطلب له المغفرة من الله بعد موته، هل هٰذا شرك؟

الجواب: الجواب: نعم، وهو شرك أكبر لأن النبي عليه الصلاة والسلام لا يدعىٰ بعد موته، فطلب الدعاء من الميت، وطلب الدعاء بالإغاثة أو الاستسقاء؛ يعني أن يدعو الله أن يغيث، أو أن يدعو الله أن يغفر، أن يدعو الله أن يعطي ونحو ذلك، هٰذا كله داخل في الدعاء في لفظ الدعاء والله جل وعلا قال: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[الجن]، والذي يقول إنّ هٰذه الصورة وهي طلب الدعاء تخرج عن الطلب الذي به يكون الشرك شركا فإنه ينقض أصل التوحيد كله في هٰذا الباب، فكل أنواع الطلب؛ طلب الدعاء يعني طلب الدعاء من الميت، طلب المغفرة من الميت، أو طلب الدعاء من الميت أن يدعو الله أن يغفر، أو طلب الإغاثة من الميت أو طلب الإعانة أو نحو ذلك كلها باب واحد هي طلب، والطلب دعاء، فداخلة في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾[المؤمنون]، وفي قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾، وفي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾[فاطر]، ونحو ذلك من الآيات، فالتفريق مضاد للدليل.

ومن فهم من كلام بعض أئمتنا التفريق أو أن هٰذا طلب الدعاء من الميت بدعة لا يعني أنه ليس بشرك؛

بل هو بدعة شركية؛ يعني ما كان أهل الجاهلية يفعلونه، وإنما كانوا يتقربون ليدعو لهم.

لكن أن يطلب من الميت الدعاء هٰذا بدعة ما كانت أصلا موجودة، لا عند الجاهليين ولا عند المسلمين، فحدثت فهي بدعة ولاشك، ولكنها بدعة شركية كفرية وهي معنىٰ الشفاعة، إيش معنىٰ الشفاعة التي من طلبها من غير الله فقد أشرك؟ الشفاعة طلب الدعاء، طلب الدعاء من الميت هو الشفاعة.

نكتفي بهٰذا القدر، نلتقي إن شاء الله، وفقكم الله لما يحب ويرضىٰ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.[1]

(١)انتهىٰ الشريط الثامن.

## الدَّرسُ الحادي عشر

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله وعلىٰ إلٰه وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

اللّٰهمَّ إنا نسألك علمًا نافعًا، وعملا صالحًا، وقلبًا خاشعًا، ودعاء مسموعا، اللّٰهمَّ علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وعملا، يا أرحم الرَّاحمين.

وكالعادة ريثما يجتمع الإخوة نجيب عن بعض الأسئلة.

**سؤال (٨٦):** ما حكم سبِّ الدهر؟

**الجواب:** سبُّ الدهر محرم؛ لأنه إيذاء لله جل وعلا، كما قال جل وعلا في الحديث القدسي: «**يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار**»، فسب الدهر بمعنىٰ أن يتنقّصه أو أن ينسُب إليه الأفعال القبيحة وأشباه ذلك، فهٰذا في الواقع لا يتوجَّه للدهر؛ لأن الدهر يقلِّب الدهر ليس يفعل شيئا، وإنما يتوجه إلىٰ من جعل الدَهر علىٰ هٰذه المثابة، ومن جعل الدهر بهٰذه الصفة، وهو الله جل وعلا، لهٰذا قال: «**يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار**»، فمسبة الدهر حرام وإيذاء لله جل وعلا.

وقوله جل وعلا في الحديث القدسي: «**وأنا الدهر**» لا يُفهم منه أن الدهر من أسماء الله جل وعلا؛ بل يعني أن الذي سب الدهر وقعت مسبته علىٰ الله جل وعلا؛ لأن الله ﷻ هو الذي يُصرِّف الدهر كيف يشاء.

إذا تبيَّن ذلك قد ذكرنا مرارا أنّ وصف الدهر بأوصاف مما يقع فيه من الأوصاف المشينة ليست مسبّةً للدهر، فقول القائل: هٰذا يوم أسود، أو هٰذا الشهر شهر نحس أو نحو ذلك، فإن هٰذا ليس بمسبة للدهر؛ لأن هٰذا وصف لما يقع في الدهر لما يقع في اليوم أو ما وقع فيه، لما يقع في الشهر أو لما يقع فيه، وهٰذا كما قال جل وعلا: ﴿يَوۡمٖ نَّحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩﴾[القمر]، وقال سبحانه: ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾[فصلت:١٦] فوصف الله جل وعلا الأيام التي عزَّز بها الكفرة أنها أيام نحيسة، فمثل هٰذا ليس بسبٍّ للدهر؛ لأن هٰذا لأنه وصف لما وقع فيه بالإضافة إلىٰ المخلوق.

**سؤال (٨٧):** هل يدخل في سبِّ الدهر قول القائل: الدهر [باطل] والزمان غدَّار، ونحو ذلك؟

**الجواب:** نعم، لأنَّ هٰذا من التَّنقُّص، وهٰذا من سب الدهر؛ لأنَّ الدهر لا يبغي علىٰ أحد؛ ولكن الذي دبَّر الدهر وقدَّر فيه ما قدر هو الله جل جلاله.

**سؤال (٨٨):** هل آية الرجم المعروفة تعتبر من كلام الله، غير أنها منسوخة ولا يجوز التعبد بتلاوتها؟

**الجواب:** نعم، كل آية نزلت علىٰ النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فهي من كلام الله جل وعلا، سواء أكانت باقية أم كانت منسوخة، كما قال جل وعلا: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾[البقرة:١٠٦]، وفي القراءة الأخرىٰ ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نَنسَأۡهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾

فالآية التي نُسخت قرآن ولكن نسخت تلاوتها والتعبد بذلك، وحكمها منسوخ، وهٰذا إذا كانت منسوخة، وإذا لم تكن الآية منسوخة فإنه قد تُترك آية بغير النسخ كما قال: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾.

**سؤال (٨٩):** يستخدم بعض الكُتَّاب ألفاظا منسوبة إلىٰ القرآن كقولهم: قال القرآن، أو تحدث القرآن، فَنَدَ القرآن هٰذه الشبهة، هل يصح الحكم عليها بأنها متفرعة عن القول بخلق القرآن؟

**الجواب:** لا؛ لأنّ هٰذه الكلمات جرت علىٰ ألسنة كثير من أئمة أهل العلم السابقين، يقولون: قال القرآن، وردَّ القرآن ونحو ذلك، فينسبون الفعل إلىٰ القرآن، ومعلوم أن القرآن كلام الله جل وعلا، وفي الحقيقة القائل هو الله جل وعلا، كأنهم قالوا: قال الله في القرآن، تحدث الله في القرآن، وردّ الله في القرآن، وأشباه ذلك.

**سؤال (٩٠):** ما حكم تقليد الأئمة أثناء قراءة الإمام في الصلاة؟ بلغنا عنك أنك تحرِّم ذلك ونريد التأكُّد.

**الجواب:** المشكلة في بعض الشباب أنه يأخذ الحكم وما يفهم الصورة التي انجرَّ الكلام عليها، تقليد الأئمة!! إيش معنىٰ تقليد الأئمة؟ سمع مرة بحثًا في الموضوع بحثناه هنا في المسجد، وما فهم المسألة فقال: بلغنا أنك تحرم تقليد الأئمة. ولو سألناه: ما معنىٰ تقليد الأئمة؟ ما عرف الجواب.

لهٰذا دائما أوصيكم بأن تحرص علىٰ فهم المسألة قبل الحكم؛ لأنَّك قد تنزِّل الحكم الحل أو التحريم علىٰ غير المسألة التي تكلم عليها العلماء، فالكلام ينبغي أن يُفهم أوَّلًا تفهم الصورة، ما الذي تتحدث عنه قبل أن تعرف الحكم والدليل، حتىٰ إذا اتَّضحت الصورة بعد ذلك يأتي الدليل ويأتي الحكم، وقد ذكرنا لكم في كيفية دراسة الفقه، كيفية دراسة العقيدة، أنّ أول مرحلة في دراسة العقيدة ولدراسة الفقه:

- أن تعرف ألفاظ الكلام؛ لغة أهل العقيدة، لغة أهل الفقه التي يتحدَّثون بها.
- ثم ثانيا أنْ تفهم صورة المسألة التي تتحدث بها.

ذكرنا لكم سبع نُقاط في الفقه وفي العقيدة التي من تدرَّج فيها أحسن تصور المسائل وفهم الدليل والتدليل والخلاف إلىٰ غير ذلك.

فهٰذه المسألة؛ تقليد الأئمة أثناء القراءة -قراءة الإمام في الصلاة- هٰذه غير واضحة وإن كنت أعرف ماذا تحدثنا به.

تقليد الأئمة ما معناه؟

الذي تكلمنا عنه التلفيق بين قراءة القرّاء في الصلاة الواحدة؛ يعني أن يقرأ قارئ بقراءة عاصم برواية حفص، ويقرأ أيضا بورش، هٰذا تلفيق ولا يصلح، يقرأ بالقراءة التامة حتىٰ وهو منفرد؛ ليس شرطا في جماعة، إذا قرأ منفردا ما يجوز له أن يلفَّق يقرأ آية بقراءة حفص عن عاصم، ثم يقلب بقالون عن نافع، ثم يقلب إلىٰ كذا، هٰذا تلفيق، والقراءة سَنَن قال جل وعلا: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾[القيامة]، فأنت

تتبع قراءة القارئ التي نقلها عن الصحابة رضوان الله عليهم ولا تلفِّق في القراءة، التلفيق في القراءة لا يجوز.

نعم... إذا كان يقصد تقليد الأئمة يعني محاكاة الصَّوت: أن يقرأ مثلا بقراءة الشريم أو بقراءة السديس أو بقراءة علي جابر، هٰذا ما مرّ أن تكلمتُ فيه بحل أو بحرمة.

**سؤال (٩١):** كان من الرُّدود علىٰ المعتزلة في الدرس الماضي، أنهم إذا أرادوا تأويل صفة الكلام فإنه يترتب عليه نفي الصفات التي أثبتها المعتزلة، مع أنه قد تقرَّر في كثير من الدُّروس أنّ المعتزلة لا يثبتون أي صفة من الصفات، فما الجواب؟

**الجواب:** أن الذي قرَّرناه وهو المعروف أنّ المعتزلة يثبتون ثلاث صفات، وأنّ الذين لا يثبتون إلا صفة الوجود المطلق بشرط الإطلاق هم الجهمية.

وكلُّ من أثبت صفة من الصفات ونفىٰ الباقي فإنه يُطعن بإثباته علىٰ ما نفاه.

**مثلا** من أثبت صفة الوجود، قالوا: إن الله جل وعلا ليس له إلا صفة الوجود فقط؛ الوجود المطلق، يقال له: لم نفيتَ غيرها من الصفات؟ لم نفيت صفة العلم؟ لم نفيت صفة الكلام؟ لم نفيت صفة المحبة؟ بل سيقول: إن هٰذه الصفات تستلزم المشابهة -التمثيل أو التشبيه-.

فيقال: لم؟ فيقول: لأن المخلوق يتكلم، فكيف نقول: إن الله يتكلم والمخلوق يتكلم، معناه فيه تشبيه. يقول: إن الله يحب والمخلوق يحب، معناه إن هٰذا فيه تشبيه.

فكذلك يقال: الصفة التي أثبتها وهي الوجود أيضا مشتركة، فالمخلوق موجود وتقول: الله جل وعلا موجود.

المعتزلة يثبتون القدرة لله جل وعلا، والمخلوق عنده قدرة، فما الفرق ما بين ما أثبت وما بين ما نفىٰ؟ الوجود أيضا مشترك في التشبيه.

إذا قلنا: إن وجود الصفة من حيث هي في المخلوق في الله جل وعلا أن هٰذا تشبيه، فإذن الوجود فيه تشبيه، والله جل وعلا موجود والبشر موجودون إذن ثَم تشبيه، فالصفة التي أثبتها فيها تشبيه وهو يريد أن ينفي التَّشبيه أن ينفي الصفات الأخرىٰ لأجل التشبيه.

كذلك نأتي للأشاعرة نقول: أنتم أثبتم سبع صفات: السمع والبصر والعلم والكلام... إلىٰ آخره، فنقول: لم أوَّلتم صفة الوجه؟ لم أوَّلتم صفة اليدين؟ لم أوّلتم صفة الغضب، صفة الرضا، صفة المحبة، صفة الرحمة، إلىٰ غير ذلك؟

يقولون؛ لأنّ هٰذه تستلزم التشبيه.

نقول: كذلك صفة السمع تستلزم التشبيه، كذلك صفة البصر تستلزم التشبيه، كذلك صفة الإرادة؛ الله جل وعلا يريد والإنسان يريد، لماذا نقول: إن هٰذا فيه تشبيه؟ يجيب الجميع منهم علىٰ اختلاف فرقهم بأن إرادة الله جل وعلا مختلفة عن إرادة المخلوق، وأن قدرة الله جل وعلا مختلفة عن قدرة المخلوق.

نقول إذن: نقول في باقي الصفات مثل هٰذا الأصل، فكلام الله جل وعلا يختلف عن كلام المخلوق، ورحمة الله تختلف عن رحمة المخلوق، فإثبات الصفات إثباتُ وجود؛ إثبات لفظٍ ومعنىٰ لا إثبات كيفية، فلا اشتراك في الكيفية، الله جل وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ]، فكما أنه سبحانه له سمعٌ يليق بجلاله وعظمته، فكذلك له بصر يليق بجلاله وعظمته، له كلام يليق بجلاله وعظمته، وسمع الإنسان وبصر الإنسان وكلام الإنسان هٰذا يليق بحال الإنسان.

فإذن الاشتراك في أصل الصِّفة، أما الكيفية وتمام المعنىٰ فهٰذه لا اشتراك فيها.

فإذن كلُّ مؤوِّل للصِّفات من الفرق يلزمه التناقض، كل من أوَّل يلزمه التناقض؛ بل كل أهل البدع دائما في التناقض؛ لأنه يتناقض، ولو أعملوا القاعدة أننا نسلم للقرآن والسنة وما قاله السلف الصَّالح لما صار التناقض في أبواب الاعتقاد أبدًا، ولكنهم تارة يُثبتون وتارة يتأولون بعقولهم؛ لأنهم خلطوا قولا سُنِّيا وآخر عقليا.

**سؤال (٩٢)**: هل معنىٰ قول من قال: إن القرآن مخلوق. يعني مثل أعضائنا وغير ذلك من المخلوقات؟

**الجواب**: لا، يقولون: القرآن مخلوق؛ يعني أنّ الله سبحانه خلق هٰذا الكلام وسمَّاه قرآنا، أو أنّ الله جل وعلا خلقه في نفس جبريل فعبر جبريل بذلك، ليس يعني أن ثَم شيء مخلوق له صفته يعني يُمس ويحس مثل الأعضاء، لا.

خلق هٰذا شيء يعني أنه ليس صفة له خلقه في نفس جبريل وعبر جبريل عما وجده في نفسه.

**سؤال (٩٣)**: كيف نوفِّق بين كون الله تكلم بالقرآن، وأنّ القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ؟

**الجواب**: أنَّ مرتبة الكتابة أو جهة الكتابة للقرآن غير جهة الكلام، فاللهُ -جل وعلا- يعلم ما سيُنزله علىٰ رسوله ﷺ: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾[هود: ١٤]، فالله سبحانه يعلم أن هٰذا القرآن -هٰذا الكلام- سيُنزله علىٰ عبده -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فجعل هٰذا الذي سيُنزله مكتوبا تشريفا له وتعظيما لمكانته -لمكانة هٰذا القرآن-؛ ولأنه حجة الله الباقية إلىٰ قيام الساعة، أمَّا التكلم فكلام الله جل وعلا بالقرآن إنما هو حين أراد أن يبعث محمدًا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، أو حين أراد أن ينبِّهه.

أما نزول القرآن جملة في السماء الدنيا فهٰذا أيضا عند من قال به نزول مكتوب لا نزول مسموع.

**سؤال (٩٤)**: هٰذا يقول: إذا خلوتُ بنفسي تراودني نفسي علىٰ فعل المعصية، وأحاول المجاهدة لكنها تغلبني، مع أنَّ ظاهري الصلاح، فهل يعدّ هٰذا من الخلوة بمحارم الله، علمًا بأني أستر علىٰ نفسي؟

**الجواب**: أن العبد المؤمن إذا منَّ اللهُ عليه بالنفس اللوامة فإنه علىٰ خير، النَّفس التي تلومه علىٰ فعل الذّنب وتُحسِّن له فعل الخير، وقد جاء في الأثر: إذا سرّتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت المؤمن، أو المؤمن تسره حسنته وتسوؤه سيئته.

وإذا ابتلىٰ الله جل وعلا العبد بذنب فإنه إذا عمله في خلوة أيسر مما إذا عمله في علن أو جهر به؛ لأن

الله جل وعلا يستر علىٰ عبده، قد ثبت في «صحيح البخاري» أنّ النبي ﷺ قال: «**كل أمتي معافىٰ**» يعني يغفر له بالأسباب «**إلا المجاهرون**»، قالوا: ومن المجاهرون يا رسول الله؟ قال: «**من يصبح وقد ستر الله عليه ذنبه، فيصبح يتحدَّث للناس بما فعل في ليلته**»، فالعبد إذا ابتلي بمعصية فإن المعصية إذا كانت سرا لم تضرَّ إلا صاحبها، ويمنّ الله جل وعلا علىٰ عبده المنيب بالمغفرة، وأمَّا إذا تحدث بها فإنها المجاهرة بمعصية الله يتحدث فعلت وفعلت من باب الاستعلاء وعدم رعاية حقِّ الله في المعصية والاستهانة بالمعصية والتهاون بها.

لهٰذا قال بعض أهل العلم: إن العبد قد يعمل كبيرةً من الكبائر فتظلُّ نفسُه تلومه وتلومه وتلومه حتىٰ يغفر الله جل وعلا له تلك المعصية الكبيرة باستغفاره وبإنابته، وإن العبد ليفعل المعصية من الصغائر فيظل يتهاون بها يتهاون بها ولا يراها شيئًا حتىٰ تؤول به إلىٰ كبيرة.

وقد ثبت في الصَّحيح أنَّ ابن مسعود رضي الله عنه قال: إنَّ الرجل الكافر -أو قال المنافق- إذا همّ بالمعصية فكأنما مرّ علىٰ أنفه ذبابٌ فقال به هكذا -يعني ليست بشيء، بعد فترة قليلة كأنه ما عمل شيئا- وإن العبد المؤمن أو قال الصَّالح إذا فعل معصية فكأنما علىٰ رأسه جبل يخشىٰ أن يقع عليه. فالعبد المؤمن إذا كان تسرّه حسنته وتسوؤه سيئته.....[1] وفعلت وقابلت ونظرت وغشيت وكذا وكذا وإلىٰ آخر ذلك مفاخرا بذلك متهاونا به.

نسأل الله جل وعلا للجميع المغفرة والتوبة والإنابة، وأن يمُنَّ علينا بالعمل الصَّالح وبمغفرة الذنوب جميعها.

---

(١) انقطاع في التسجيل.

فمن سمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كلامُ البشرِ، فَقَدْ كَفَرَ، وقد ذمَّهُ الله وعابَهُ وأوعَدهُ بسَقَر، حيث قال تعالىٰ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾[المدثر]، فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرٍ لمنْ قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾[المدثر]، عَلِمْنَا وأَيْقَنَّا أنه قولُ خالقِ البَشرِ، ولا يُشْبِهُ قولَ البشر.

وَمَنْ وَصَفَ الله بِمعنَىٰ مِنْ مَعاني البشر، فقدْ كَفَر، فمن أبْصَرَ هٰذا اعْتَبر، وعَنْ مِثْلِ قول الكفَّارِ انْزَجَر، وعَلِمَ أنَّه بصفاته ليسَ كالبشر.

---

الحمد لله حقَّ حمده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبيِّه وعبده، وعلىٰ إلٰه وصحبه وسلم اللّٰهمَّ تسليمًا مزيدا.

أما بعد، فقد مضىٰ الكلام في الدرس الماضي عن كلام الله جل وعلا، وعلىٰ أن القرآن كلام الحق ﷻ، وعلىٰ أنّ القرآن كلام الله جل وعلا بحروفه ومعانيه، وأنّ الله سبحانه تكلم به، فمنه بدأ فسمعه منه جبريل عليه السلام، وبلغه إلىٰ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وتقدم لنا إبطالَ قول القائل: إن القرآن مخلوق، أو أنَّ الكلام عبارة عن كلام الله، أو قال: إن كلام الله جل وعلا نفسي وكلام الله جل وعلا قديم، ونحو ذلك من أقوال أهل البدع والضلالات؛ من أقوال المعتزلة والأشاعرة والفلاسفة وغلاة الصوفية، وتقدم لنا ذلك مختصرًا في أوجه الرد علىٰ أولئك.

وفي مسألة الكلام النفسي ذكرنا بعض الأوجه، وسبق أن تقدم لنا في «شرح الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية سبق ردود مزيدة علىٰ ما ذكرنا، وقد ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية علىٰ من قال بالكلام النفسي في تسعين وجها، في رسالة مطبوعة سميت «التسعينية»؛ لأنها اشتملت علىٰ تسعين وجها تردّ قول من قال: إن كلام الله جل وعلا نفسي؛ يعني أنه لم يتكلم بصوت يُسمع وإنما ألقىٰ ما أراده بروع جبريل.

هٰذه الجملة التي سمعناها الليلة متصلة بالبحث نفسه، قال: (فمن سمِعَهُ) يعني القرآن (فَزَعَمَ أَنَّهُ كلامُ البشرِ، فَقَدْ كَفَرَ، وقد ذمَّهُ الله وعابَهُ وأوعَدهُ بسَقَر، حيث قال تعالىٰ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾[المدثر]، فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرٍ لمنْ قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾[المدثر]، عَلِمْنَا وأَيْقَنَّا أنه قولُ خالقِ البَشرِ، ولا يُشْبِهُ قولَ البشر، وَمَنْ وَصَفَ الله بِمعنَىٰ مِنْ مَعاني البشر، فقدْ كَفَر، فمن أبْصَرَ هٰذا اعْتَبر، وعَنْ مِثْلِ قول الكفَّارِ انْزَجَر، وعَلِمَ أنَّه بصفاته ليسَ كالبشر.)

هٰذه الجمل مشتملة علىٰ تقرير مسألة عظيمة، وهي أنَّ كلام الله جل وعلا لا يشبه قول البشر، وكيف يشبه قول البشر وهو كلام الباري جل وعلا الذي لا يشبه بصفاته البشر، فالبشر لهم صفاتهم في كلامهم وفي سمعهم وبصرهم وإدراكاتهم وأعضائهم، والله جل وعلا له صفاتٌ في كلامه وفي سمعه وبصره وجميع صفاته، فلا يشبه في صفاته -التي منها كلامه- لا يشبه صفات البشر.

فمن قال عن القرآن: إنه قول بشر، أو إنه مخلوق، أو هو قول جبريل، أو نحو ذلك، أو أنه كلام جبريل وليس بكلام الله جل وعلا فإنّ هٰذا كافر بالله العظيم؛ لأن من قال إنّ القرآن كلام البشر فإن هٰذا كفر، كما

قال سبحانه: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾[المدثر] لقول الوليد.

إذا تبيَّن لك ذلك، فإنهم قالوا أيضا -أي المشركون-: إنما يُعَلِّمُه بشر. كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل]، فالذين أبوا هداية القرآن وأبوا الإذعان له وصفوا القرآن بصفات:

- قال بعضهم: هو كِهانة.
- وقال بعضهم: هو شعر.
- وقال بعضهم: هو قول بشر.
- وقال بعضهم: أساطير الأولين.

وكل هٰذه الأقوال يعلمون أنما هي لتنفير الناس عن قبول هٰذا القرآن، فلقد تواعد كما هو معلوم في القصة ثلاثة من كفار قريش ألا يأتوا إلىٰ النبي ﷺ، بل قبل ذلك وكلهم كان يراد بالقرآن، ذهب أحد هؤلاء إلىٰ النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في الليل ليسمع قراءته للقرآن، ولما ذهب وجد فلانا وفلانا فإذا بهم ثلاثة يسمعون القرآن لما له من سلطان علىٰ نفوسهم، ثم لما رجعوا تقابلوا في الطريق، فتواعدوا أن لا يسمعوا مرة أخرىٰ لهٰذا القرآن؛ لأجل أن لا يراهم بعض العامة وبعض الناس فلا يقبل قولهم في رد القرآن، ثم لما جاء من الليلة الثانية اجتمعوا أيضا، ثم صارت أيضا ثالثة حتىٰ رأوا أنهم لابد أن يتفارقوا علىٰ ذلك، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾[فصلت].

كذلك لما أرسل الوليد أو عقبة إلىٰ النبي ﷺ ليفاوضه في شأن القرآن وأن يترك هٰذا الأمر، قال له: يا محمد إن أردت ملكا ملكناك، وإن أردت مالا جمعنا لك من المال ما تكون به أغنىٰ العرب، وإن أردت نساء نظرنا في أجمل نساء العرب فأتينا بهن إليك. فقال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- له: هٰذا الذي عندك؟ اسمع فتلا عليه صدر سورة فصلت بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾ [فصلت] ومر -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في التلاوة حتىٰ بلغ قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾[فصلت] فالتفت إليه الرجل، وقال: حسبك الآن، فرجع إلىٰ قومه لما رأوه مقبلا، قالوا: لقد أتاكم فلان بوجه غير الوجه الذي ذهب به، فلما حضر، قالوا: ما عندك يا فلان؟

فقال: إني سمعت كلاما ليس هو بالشعر، وليس هو بالكهانة، وليس هو بالكلام الذي نألف، إن له لحلاوة، وإن عليه لطُلاوة -أو طَلاوة أو طِلاوة مثلثة- وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وإنه ليعلو ولا يُعلىٰ عليه.

فتبين بذلك أن أولئك الذين قالوا: هو كهانة، هو شعر، وهو قول البشر، أنهم هم الذين ردوا علىٰ أنفسهم ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾[النمل: ١٤].

هٰذه المسألة يمكن أن نمرّ عليها فيما ذكر بشيء من التقرير العام كما فعل الشَّارح؛ لكن هٰذه المسألة متصلة ببحث عظيم، وهو بحث دلائل النبوة؛ لأن كون القرآن لا يشبه كلام البشر ولا يشبه قول البشر هو المسألة الموسومة عند العلماء بمسألة **إعجاز القرآن** وأن القرآن مُعجز.

وهٰذه ولاشك مسألة مهمة قلّ بل أن تتعرض لها كتب العقائد، ولها صلة ببحث دلائل النبوة فهي في التوحيد؛ لأن صلتها تارة بدلائل النبوة من كون القرآن معجزا ودليلا علىٰ صحة نبوة محمد -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وأنه منزل من عند الله، ومن جهة أخرىٰ لها صلة بمبحث كلام الله جل وعلا، وهو أن القرآن لا يشبه كلام البشر، وأن كلام الله جل وعلا ليس ككلام البشر.

فلا بأس إذن أن نقرر هٰذه المسألة -وهي المسألة الموسومة **بإعجاز القرآن**-؛ لأجل ندرة الكلام عليها في كتب العقائد مفصلة، ونذكر منها بعض ما يناسب هٰذه الدروس المختصرة.

لتقرير هٰذه المسألة وهي مسألة إعجاز القرآن، وقد تكلَّم فيها أنواع من الناس من جميع الفرق والمذاهب، نجعل البحث فيها في مسائل، نقول:

**المسألة الأولى**: أن لفظ الإعجاز لم يرد في الكتاب ولا في السنة، وإنما جاء في القرآن وفي السنة أنّ ما يُعطيه الله جل وعلا للأنبياء والرسل وما آتاه محمد -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- هو آية وبرهان علىٰ نبوته، فلفظ المعجزة لم يأتِ كما ذكرنا من قبل في الكتاب ولا في السنة، وإنما هو لفظ حادث ولا بأس باستعماله إذا عُني به المعنىٰ الصحيح الذي سيأتي.

الذي جاء في القرآن الآيات والبراهين؛ لكن العلماء استعملوا لفظ الإعجاز لسبب، وهو أن القرآن تحدَّىٰ الله جل وعلا به العرب بأن يأتوا بمثله، أو أن يأتوا بعشر سور مثله أو أن يأتوا بسورة من مثله، فلما تحداهم فلم يغلبوا، ولم يأتوا بما تحداهم به، فدلَّ ذلك علىٰ عجزهم، وذلك بسبب أن القرآن معجز لهم فلم يأتوا بمثله، قال جل وعلا: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[الإسراء]، وقال جل وعلا: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾[هود].

إذا تبين ذلك، فالتحدي لما وقع وعجزوا، وهم يريدون أي وسيلة لمعارضة القرآن وإثبات أنه قول البشر، فأتوا بمثل عشر سور، ائتوا بمثله، ائتوا بسورة من مثله، لما عجزوا سمىٰ العلماء فعلهم ذلك أو عجزهم سموه: **مسألة إعجاز القرآن**؛ لأجل التحدِّي وعجز الكفار أن يأتوا بمثله.

**المسألة الثانية**: أن كلام الله جل وعلا هو المعجز، وليس أنّ الله جل وعلا أعجز لأجل السَّماع، أعجز لما أنزل القرآن.

والفرق بين المسألتين أن الإعجاز صفة القرآن، ولكن لا يقال: إن الله جل وعلا أعجز البشر عن الإتيان بمثل هٰذا القرآن؛ لأن هٰذا القول يتضمن، بل يدل علىٰ أنهم قادرون لكن الله جل وعلا سلبهم

القدرة علىٰ هٰذه المعارضة.

فإذن الإعجاز والبرهان والآية والدليل في القرآن نفسه لم؟ لأنه كلام الله جل وعلا، ولا يقال: إنّ الله جل وعلا أعجز الناس، أن يأتوا بمثل هٰذا القرآن، أو صرفهم عن ذلك، كما هي أقوال يأتي بيانها.

فإذن تنتبه إلىٰ أن تعبير أهل العلم في بهٰذه المسألة أن القرآن آية، فآية محمد -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- القرآن، آية نبوته وآية رسالته القرآن؛ بل محمد -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لما سمع كلام الله جل وعلا خاف -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فلما فَجَأَه الوحي وهو بغار حراء فأتاه جبريل فَقَالَ له: اقْرَأْ. قَالَ: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**» فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**». قَالَ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾[العلق] إلىٰ آخر ما أنزل في أول ما نبئ النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فرجع بها -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يرجُف بها فؤاده؛ لأن هٰذا الكلام لا يشبه كلام أحد، ولم يتحمله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لا في ألفاظه ومعانيه، ولا أيضا في صفة الوحي والتنزيل، فما استطاع -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أن يتحمل ذلك فرجع بهن -يعني بالآيات- يرجف بها فؤاده -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- إلىٰ آخر القصة.

إذن فالنبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- نفسه أول ما جاء الوحي لم يتحمَّل هٰذا الذي جاءه، لم؟ لأنه كلام الله جل وعلا، وأما كلام البشر فإنه يتحمله لما سمع منه.

**المسألة الثالثة**: أقوال الناس في إعجاز القرآن.

مسألة إعجاز القرآن -كما ذكرنا- لها صلة بدلائل النبوة، والقرآن معجز لمن؟ للجن والإنس جميعا؛ بل معجز لكل المخلوقات لم؟ لأنه كلام الله جل وعلا، وكلام الله جل وعلا لا يشبه كلام الخلق، وكون القرآن معجزًا، راجعٌ إلىٰ أشياء كثيرة يأتي فيها البيان.

فاختلف الناس في وجه الإعجاز لأجل أن إعجاز القرآن دليل نبوة النبيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في أقوال:

**القول الأول**: ذهب إليه طائفةٌ من المعتزلة ومن غيرهم حتىٰ من المعاصرين الذين تأثروا بالمدرسة العقلية في الصِّفات والكلام، قالوا: إنّ القرآن الإعجاز فيه إنما هو بصرف البشر عن معارضته، وإلا فالعرب قادرة علىٰ معارضته في الأصل؛ لكنهم صُرفوا عن معارضته، فهٰذا الصرف هو قدرة الله جل وعلا، لا يمكن للنبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أن يصرفهم جميعا عن معارضته، وهٰذا الصَّرف لابد أن يكون من قوة تملك هؤلاء جميعا وهي قوة الله جل وعلا.

فإذن الصَّرفة التي تسمعون عنها، القول بالصَّرفة؛ يعني أن الله صرف البشر عن معارضة هٰذا القرآن، وإلا فإن العرب قادرون علىٰ المعارضة.

وهٰذا القول هو القول المشهور الذي ينسب للنّظّام وجماعة بما هو معلوم.

وهٰذا القول يردُّه أشياء نقتصر منها علىٰ دليلين: الدليل الأول سمعي نقلي من القرآن، والدليل الثاني عقلي.

**أما الدَّليل القرآني** فهو قول الله جل وعلا: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء]، فالله جل وعلا أثبت أنّ الإنس والجن لو اجتمعت علىٰ أن تأتي بمثل هٰذا القرآن وصار بعضهم لبعض معينا في الإتيان بمثل هٰذا القرآن أنهم لن يأتوا بمثله، وهٰذا إثبات لقدرتهم علىٰ ذلك؛ لأنَّ اجتماعهم مع سلب القدرة عنهم بمنزلة اجتماع الأموات لتحصيل شيء من الأشياء، فالله جل وعلا بيّن أنهم لو اجتمعوا علىٰ أن يأتوا بمثل هٰذا القرآن وكان بعضهم لبعض معينا وظهيرًا علىٰ المعارضة، فإنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بمثل هٰذا القرآن، فأثبت لهم القدرة لو اجتمعوا قادرين وبعضهم لبعض يعين، لكنهم سيعجزون مع قُدَرِهم التي ستجتمع وسيكون بعضهم لبعض معينا علىٰ المعارضة. وهٰذه الآية هي التي احتج بها المعتزلة علىٰ إعجاز القرآن، ففيها الدليل ضدَّهم علىٰ بطلان الصَّرفة.

**أمَّا الدليل الثَّاني** وهو الدليل العقلي أن الأمة أجمعت من جميع الفرق والمذاهب أن الإعجاز ينسب ويضاف إلىٰ القرآن ولا يضاف إلىٰ الله جل وعلا، فلا يقال: إعجاز الله بالقرآن، وإنما يقال باتفاق الجميع وبلا خلاف: هو إعجاز القرآن.

فإضافة الإعجاز إلىٰ القرآن تدل علىٰ أن القرآن معجز في نفسه، وليس الإعجاز من الله بصفة القدرة؛ لأننا لو قلنا: الإعجاز إعجاز الله بقدرته الناس عن الإتيان بمثل هٰذا القرآن، فيكون الإعجاز بأمر خارج عن القرآن.

فلما أجمعت الأمة من جميع الفئات والمذاهب علىٰ أنّ الإعجاز وصفٌ للقرآن علمنا بُطلان أن يكون الإعجاز صفة لقدرة الله جل وعلا؛ لأن من قال بالصرفة بأن الله سلبهم القدرة هٰذا أرجع الإعجاز -يعني تعجيز أولئك- راجع إلىٰ صفة القدرة وهٰذه صفة ربوبية.

إذن لا يكون القرآن معجزا في نفسه، وإنما تكون المعجزة في قدرة الله جل وعلا علىٰ ذلك، وهٰذا لاشك أنه دليل قوي في إبطال قول هؤلاء.

لهٰذا المعتزلة المتأخِّرون ذهبوا علىٰ خلاف قول المتقدِّمين في الإعجاز بالصَّرفة؛ لأن قولهم لا يستقيم لا نقلًا ولا عقلا.

**المذهب الثاني**: من المذاهب في إعجاز القرآن، من قال: القرآن معجز بألفاظه، فألفاظ القرآن بلغت المنتهىٰ في الفصاحة؛ لأنّ البلاغيين يعرفون الفصاحة:

فصاحة المفرد فى سلامته ... من نُفرة فيه ومن غرابته

فالقرآن مشتمل علىٰ أعلا الفصيح في الألفاظ، ولما تأمل أصحاب هٰذا القول جميع أقوال العرب في خطبهم وأشعارهم، وجدوا أن كلام المتكلم لابد أن يشتمل علىٰ لفظ دانٍ في الفصاحة، ولا يستقيم في كلام أي أحد -في المعلقات وفي خطب العرب ولا نثرهم ولا في مراسلاتهم إلىٰ آخره- لا يستقيم أن يكون كلامهم دائما في أعلىٰ الفصاحة، فنظروا إلىٰ هٰذه الجهة فقالوا: الفصاحة هي دليل إعجاز القرآن؛

لأن العرب عاجزون.

وهٰذا ليس بجيد؛ لأن القرآن اسم للألفاظ والمعاني، والله جل وعلا تحدّىٰ أن يؤتىٰ بمثل هٰذا القرآن، أو بمثل عشر سور مثله مفتريات -كما زعموا- وهٰذه المثلية إنما هي باللفظ وبالمعنىٰ جميعا وبصورة الكلام المتركِّبة.

فإذن كونه معجزا بألفاظه نعم؛ لكن ليس وجه الإعجاز الألفاظ وحدها.

**القول الثالث**: من قال: إنّ الإعجاز في المعاني، وأما الألفاظ فهي علىٰ قارعة الطريق، مثل ما يقول الجاحظ وغيرُه؛ يعني فيما ساقه في كتاب «الحيوان» يقول: الشأن في المعاني أما الألفاظ فهي ملقاة علىٰ قارعة الطريق. يعني أنّ الألفاظ يتداولها الناس؛ لكن الشأن في الدلالة بالألفاظ علىٰ المعاني، وهٰذا لاشك أنه قصور لأن القرآن معجز بألفاظه وبمعانيه وبصورته العامة كما سيأتي في الأقوال الآتية.(١)

**القول الرابع**: من قال إن القرآن معجزٌ في نظمه، ومعنىٰ النظم الألفاظ المتركبة والمعاني التي دلت عليها الألفاظ وما بينها من الرَّوابط؛ يعني أنَّ الكلام يحتاج فيه إلىٰ أشياء، يحتاج فيه إلىٰ ألفاظ وإلىٰ معانٍ في داخل هٰذه الألفاظ يعبر بها، يعبر بالألفاظ عن المعاني، وإلىٰ رابطٍ يربط بين هٰذه الألفاظ والمعاني في صور بلاغية، وفي صور نحوية عالية، وهٰذا المجموع سماه أصحاب هٰذا القول النَّظم.

وهٰذا هو مدرسة الجُرجاني المعروفة العلامة عبد القادر الجرجاني فيما كتب في دلائل الإعجاز وفي أسرار البلاغة، وهٰذا القول لما قال به الجرجاني وهو مسبوق إليه من جهة الخطّابي وغيره يعني في كلمة، هو أراد به الرد علىٰ عبد الجبار المعتزلي في كتابه «المغني»، فإنه ألف كتاب المغني وجعل مجلدا كاملا في إعجاز القرآن، وردّ عليه بكتاب «دلائل الإعجاز» وأن الإعجاز راجع إلىٰ اللفظ والمعنىٰ والروابط؛ يعني إلىٰ النظم نظم القرآن جميعا، المقصود بالنظم يعني تآلف الألفاظ والجمل مع دلالات المعاني البلاغية واللفظية وما بينها من صلات نحوية عالية.

وهٰذا القول قول جيد؛ ولكن لا ينبغي أن يُقصر عليه إعجاز القرآن.

**القول الخامس**: من قال: إعجاز القرآن فيما اشتمل عليه، فالقرآن اشتمل علىٰ أمور غيبية لا يمكن أن يأتي بها النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-؛ بأمر الماضي وبأمر المستقبل، واشتمل القرآن أيضا علىٰ أمور تشريعية لا يمكن أن تكون من عند النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، واشتمل القرآن علىٰ هداية ومخالطة للنفوس لا يمكن أن تكون من عند بشر، وهٰذا قولٌ لبعض المتقدِّمين وجمع من المعاصرين بأن القرآن محتمل علىٰ هٰذه الأشياء جميعا.

ولكن هٰذا القول يُشكل عليه أنّ إعجاز القرآن الذي تُحدِّيت به العرب، والعرب حينما خوطبوا به خوطبوا بكلام مشتمل علىٰ أشياء كثيرة، وكان التحدي واقعا أن يأتوا بمثل هٰذا القرآن أو بمثل سورة أو

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط التاسع.

بعشر سور مثله مفتريات كما زعموا، وهٰذا يؤول إلىٰ ما تميزت به العرب، وهو مسألة البلاغة وما تميزوا به من رِفعة الكلام وفصاحته وبلاغته، والعرب لم تكن متقدِّمة عارفة بالأمور الطبية ولا بالأمور الفلسفية ولا بالأمور العقدية ولا بالغيبيات، وليس عندهم معرفة بالتواريخ علىٰ تفاصيلها ونحو ذلك، حتىٰ يقال: إن الإعجاز وقع في هٰذه الجهة؛ لكنهم خوطبوا بكلام من جنس ما يتكلمون به -يعني من جهة الألفاظ والحروف-؛ لكنهم عجزوا عن الإتيان بذلك لأنه كلام الله جل وعلا.

**القول الأخير** -والأقوال متنوعة؛ لأن المدارس كثيرة-: أن القرآن معجز لأنه كلام الله جل وعلا، وكلام الله جل وعلا لا يمكن أن يشبه كلام المخلوق، وهٰذا القول هو الذي ذكره الطحاوي هنا قال: (عَلِمْنَا وأَيْقَنَّا أنه قولُ خالقِ البَشرِ، ولا يُشْبِهُ قولَ البشر، وَمَنْ وَصَفَ الله بِمعنَىٰ مِنْ مَعاني البشر، فقدْ كَفَر، فمن أبْصَرَ هٰذا اعْتَبر، وعَنْ مِثْلِ قول الكفَّارِ انْزَجَر، وعَلِمَ أنَّه بصفاته) التي منها القرآن (ليسَ كالبشر) وهٰذا القول الذي أشار إليه لم يتفرغ إليه الشارحون -شارحو هٰذه الرسالة سواء من السلفيين أو من المبتدعة من الماتريديين وغيرهم- في تقرير هٰذه المسألة، وهو من أرفع وأعظم الأقوال؛ بل هو القول الحق في هٰذه المسألة: أنّ كلام الله جل وعلا لا يمكن أن يشبه كلام البشر.

خُذ مثلا فيما يتميَّز به المخلوقات ترىٰ فلانا فتقول: هٰذا عربي، وترىٰ آخر فتقول: هٰذا أوروبي، وترىٰ ثالثا فتقول: هٰذا من شرق آسيا، لم؟ لأنّ الصفة العامة دلت علىٰ ذلك، ولو أخذ الآخذ يعدد لأخذ يعدد أشياء كثيرة متنوعة دلَّته علىٰ أن هٰذه الصورة هي صورة عربي، وهٰذه الصورة صورة أوروبي، وهٰذه الصورة الخَلقية صورة من شرق آسيا وهكذا.

فإذن الصورة العامة بها تتفرَّق الأشياء، فالذي يدل علىٰ الفرقان ما بين شيء وشيء، وأهمها الصورة العامة له.

كلام الناس -إذا انتقلنا من الصورة الخَلقية- كلام الناس يختلف بعضه عن بعض، قول الصحابة إذا سمعنا كلاما نقول: هٰذا من قول الصحابة أو من قول السلف؛ لأن كلامهم لا يشبه كلام المتأخِّرين، كما قال ابن رجب: كلام السلف قليل كثير الفائدة وكلام الخلف كثير قليل الفائدة. فكلام السلف له صورة عامة تعلم أن هٰذا من كلام السلف، فلو أتينا بكلام إنسان معاصر وبكلمات له كثيرة وقارناها بكلام السلف لاتَّضح الفرق.

فإذن البشر في كلامه متباين إذا رأيت كلام الإمام أحمد تقول: هٰذا ليس كلام ابن تيمية، ترىٰ كلام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب في تقريره تقول هٰذا ليس بكلام مثلا النووي، إذا رأيت كلام الإمام أحمد تقول: هٰذا ليس هو كلام أبي حنيفة وهكذا.

فإذن الكلام له صورة وهيئة من سمعها ميز هٰذا الكلام، وهٰذا هو الذي أشار إليه الطحاوي بأنّ كلام الله جل وعلا لا يشبه كلام البشر.

**إذا تبين ذلك**، فإنَّ كلام الله جل وعلا صفته، فهٰذا القرآن من سمعه أيقن أنه ليس بكلام البشر، ولهٰذا

بعض الأدباء الغواة مثل ابن المقفع والمعري ونحو ذلك أرادوا معارضة القرآن بصورة أدبية فظهر؛ بل افتضحوا في ذلك فغيروا منحاهم إلىٰ منحىٰ التَّأثير إلىٰ ما أشبه ذلك في كتبهم المعروفة وهي مطبوعة، أرادوا المعارضة من جهة المعاني من جهة الألفاظ أن يأتوا شيئا؛ لكنهم افتضحوا؛ لأن كلام البشر لا يمكن أن يكون مثل كلام الله جل وعلا.

العرب عندهم معرفة بالبيان، هم الغاية في البيان، هم الغاية في معرفة الفصاحة، هم الغاية في معرفة تركيب الكلام؛ لكنهم لما سمعوا القرآن ما استطاعوا أن يعارضوه لم؟ لأنّ الكلام لا يشبه الكلام، لا يمكن، لا يمكن أن يعارضوا؛ لأن كلام الله جل وعلا لا يشبه كلام المخلوق.

**إذا تبين لك ذلك**، فنقول إذن: ما نقرِّره هو أنّ وجه الإعجاز في كلام الله جل وعلا هو أن كلام الله ﷻ لا يشبه كلام البشر، ولا يماثل كلام البشر، وأن البشر لا يمكن أن يقولوا شيئا يماثل صفة الله جل وعلا، والناس لا يستطيعون علىٰ اختلاف طبقاتهم وتنوِّع مشاربهم أن يتلقّوا أعظم من هٰذا الكلام، **وإلا فكلام الله جل وعلا في عظمته لو تحمّل البشر أعظم من القرآن لكانت الحجة أعظم؛ لكنهم لا يتحملون أكثر من هٰذا القرآن**، لهٰذا تجد التفاسير من أوَّل الزمان إلىٰ الآن وكل واحد يُخرج من عجائب القرآن ما يُخرج، والقرآن كنوزه لا تنفذ ولا يفتر علىٰ كثرة الرد لا من جهة التِّلاوة ولا من جهة التفسير.

إذا تبين لك ذلك فكلام الطحاوي هٰذا من أنفس ما سمعت وأصح الأقوال في مسألة إعجاز القرآن؛ وهو أن الكلام لا يشبه الكلام.

إذا تبين هٰذا، فنقول: كلام الله جل وعلا في كونه لا يشبه كلام البشر له خصائص، فأوجه إعجاز القرآن التي ذكرها من ذكر، نقول: هي خصائص لكلام الله جل وعلا أوجبت أن يكون كلام الله جل وعلا ليس ككلام البشر.

مثل ما يقول الواحد: والله هٰذا الشعر موزون، هٰذا البيت فيه كسر، حرف واحد نقص قال: فيه كسر، أو هٰذا البيت ما يمكن أن يكون كذا، لماذا؟ في هيئته العامة؛ لكن له برهان يأتيك، يقول: لأنه كذا، وكذا، وكذا.

فلان بخصاله دلنا بصفاته حركاته تصرفاته علىٰ أنه ليس بعربي، هٰذه القضية العامة لم؟ له أدلة عليها؛ لكن هٰذه الخصائص العرب وما تميزوا به عن غيرهم.

يقول: هٰذا الحديث ضعيف، أو هٰذا الحديث معلول، ما وجه علته؟ مثل ما قال أبو حاتم وغيره ممن تقدمه: إنّ أهل الحديث يعرفون العلة كما يعرف صاحب الجوهر الزَّيف من النقي، أنت ترىٰ هل هٰذا ألماس نقي أو ليس بنقي؟ يأتيك صاحب الخبرة ويقول: هٰذا ألماس ليس بنقي، أنت ترىٰ ما تعرف تفرق هل هٰذا نقي؟

هٰذا الكتاب طبعته طبعة حجرية، الذي لا يعرف ما يعرف، هٰذا الكتاب مطبوع في روسيا كيف عرفته أنه مطبوع وليس فيه اسم البلاد؟ هٰذا الكتاب مطبوع في بلدة كذا في الهند لماذا؟ عنده البرهان ولكن

الصفة العامة هي هٰذه.

وانتبه لهٰذا حتىٰ تخلص من إشكال عظيم في مسألة إعجاز القرآن- لتنوع الخطاب فيها وتنوع المراس فيها، ولهٰذا نقول:

**إنّ كلام الله جل وعلا ليس ككلام البشر، وكلام الله جل وعلا له خصائص ميزته عن كلام البشر.**

ما هٰذه الخصائص كل ما قيل داخل في خصائص القرآن:

أولا: القرآن كلام الله جل وعلا، واشتمل القرآن علىٰ ألفاظ العرب جميعا، تجد القرآن فيه كلمات بلغة قريش، وفيه كلمات بلغة هذيل، وفيه كلمات بلغة تميم، وفيه كلمات بلغة هوازن، وفيه كلمات بلغة أهل اليمن، وفيه بلغات كثيرة، بلغة حِمْيَر، ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾[النجم]، قال ابن عباس: السُّمود الغناء بلغة حمير.

بعض قريش خفي عليها بعض الكلمات مثل ما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما تلا سورة النحل في يوم الجمعة -يعني في الخطبة-، تلا سورة النحل فوقف عند قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾[النحل]، نظر فقال: ما التَّخوف؟ فسكت الحاضرون، فقام رجل من هذيل فقال: يا أمير المؤمنين التخوّف في لغتنا التَّنَقُّص، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي:

تخـوّف الرَّحْـلُ منهـا تامكـا فـردا كمـا تَخَـوَّف عـودُ النّبعـة السَّـفِنُ

تنقَّص، يعني ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ يعني يبدأ يتنقص شيئا فشيئا، ينقصون عما كانوا فيه من النعمة شيئا فشيئا، حتىٰ يأتيهم الأجل، عمر القرشي خفيت عليه هٰذه الكلمة؛ لأنها بلغة أخرىٰ.

هل يستطيع أحد من العرب أن يحيط بلغة العرب جميعًا بألفاظها وتفاصيلها؟ لا يمكن، ولهٰذا تجد في القرآن الكلمة بلغة مختلفة، وتجد فيه التركيب النحوي بلغة من لغات العرب، فيكون مثلا علىٰ لغة حِمير في النحو، أو علىٰ لغة سدوس في النحو، أو أعلىٰ لغة هذيل في النحو.

فإذن الألفاظ والمعاني والتراكيب النحوية والبرهان تنوَّعت ودخل فيها كل لغات في العرب، هٰذا لا يمكن أن يكون من كلام أحد، لا يمكن أن يحيط هٰذه الإحاطة إلا من خلق الخلق وهو رب العالمين.

الثاني: الألفاظ، كما ذكرنا ألفاظ القرآن بلغت الأعلىٰ في الفصاحة، والقرآن كله فصيح في ألفاظه، والفصاحة راجعة إلىٰ الكلمات جميعًا؛ الأسماء والأفعال والحروف، حتىٰ ﴿الٓمٓ﴾[1] فصيح.

إذن من خصائص القرآن التي دلَّت علىٰ إعجازه أن ألفاظه جميعًا فصيحة، وما استطاع أحد -من العرب الذين أُنزل عليهم القرآن- أن يعيبوا القرآن في لفظٍ مما فيه كما عابوا كلام بعضهم بعضا، بل قال قائلهم: إن له لحلاوة وإن عليه لطُلاوة.. إلىٰ آخر كلامه.

الوجه الثَّالث: من خصائصه المعاني، المعاني التي يتصوَّرها البشر عند قول كلامه لابد أن يكون فيها

---

(١) البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة: الآية١.

قصور، فإذا تكلَّم البشر في المعاني العَقدية، فلابد أن يكون عنده لاشك قصور، إذا تكلم في العاني التشريعية لابد أن يظهر خلل، إذا تكلم في المعاني الإصلاحية التَّهذيبية لابد أن يكون فيها خلل، ولهٰذا قال جل وعلا: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء].

فإذن تنوُّع المعاني علىٰ هٰذا الوجه الثاني بما يناسب المعاني الكثيرة التي يحتاجها الناس يدل علىٰ أن هٰذا كلام الله جل وعلا؛ يعني أنه صفته.

هٰذه خصائص كلام الله جل وعلا، فلو قيل تقديرًا: إنَّنا سنصف القرآن الذي هو كلام الله جل وعلا وبه فارق كلام البشر فستعدد هٰذه جميعا، فهي خصائص، أو أوجه للإعجاز بها صار القرآن معجزا بجميعها، لا بواحدة منها.

الوجه الرَّابع: أو الخصيصة الرابعة للقرآن: أنَّ القرآن فيه النَّظم مثل ما قال الجرجاني وهو من أحسن النظريات والكلام في إعجاز القرآن من جهة البيان، القرآن فيه القمَّة في فصاحة الألفاظ وفي البلاغة، البلاغة متركبة من أشياء؛ متركبة من ألفاظ ومن معاني ومن روابط -الحروف التي تربط بين الألفاظ والمعاني وتصل الجمل بعضها ببعض-.

فالقرآن إذن من أوجه إعجازه أو من صفاته وخصائصه أن نظمه؛ يعني أن تركيب الكلام والآيات فيه وتركيب الجمل في الآية الواحدة يدل علىٰ أنه الغاية في البيان، ولا يمكن لبشر أو لا يمكن للجن والإنس لو اجتمعوا أن يكونوا دائما علىٰ أعلىٰ مستوىٰ في هٰذا النَّظم، ولهٰذا تجد أنَّ تفاسير القرآن حارت في القرآن، حتىٰ التفاسير المتخصصة في النحو تجده ينشط في أوله تجده يعجز في آخره، ما تجده ينشط، آخر تجده في البلاغة يريد أن يبين بلاغة القرآن فيجود في موضع ثم بعد ذلك تأتي مواضع يكسل، ما يستطيع أن يُبين عن ذلك.

لهٰذا قال من قال من أهل العلم: العلوم ثلاثة:

- علم نضج واحترق.
- وعلم نضج ولم يحترق.
- وعلم لم ينضج ولم يحترق.

والثالث هو التفسير، لم ينضج ولم يحترق؛ لأنه علىٰ كثرة المؤلفات في التفسير وهي مئات فإنها لم تأتِ علىٰ كل ما في القرآن، لم؟ لأن الإنسان يعجز، يعجز المبين أن يبين عن كل ما في القرآن.

إذن نظرية النظم التي ذكرها أبي الطاهر الجرجاني في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة -علىٰ تفصيل ما فيها- لا شك أنها دالة علىٰ صفة من صفات القرآن.

الوجه الخامس: أنَّ القرآن له سُلطانٌ علىٰ النفوس، وليس ثَمَّ من كلام البشر ما له سُلطان علىٰ النفوس في كل الكلام، ولكن القرآن له سلطان علىٰ النفوس بما تميَّز به من كلام الله جل وعلا؛ لأنه كلام الله جل وعلا، مثل ما صار السلطان علىٰ ذلك المشرك؛ يعني أنه يُرغم الأنوف.

وقد كان مرة أحد الدُّعاة يخطب بالعربية وفي أثناء خطبته يورد آيات من القرآن العظيم يتلوها، فكانت امرأة كافرة لا تُحسن الكلام العربي ولا تعرفه، فلما انتهىٰ الخطيب من خطبته استوقفته -وكانت خطبته في سفينة-، لما انتهىٰ من خطبته استوقفته، وقالت: كلامك له نمط، وتأتي في كلامك بكلمات مختلفة في رنتها وفي قرعها للأذن عن بقية كلامك، فما هٰذه الكلمات؟ فقال: هي القرآن.

وهٰذا لاشك إذا سمعتَ القرآن تجد له سلطانا علىٰ النفس ينبئ النفس علىٰ الاستسلام له، إلا لمن ركب هواه.

هٰذا السلطان تجده في أشياء:

**أولا** أن آيات القرآن -الدرس قد يطول عشر دقائق بقي مسألتان- أن آيات القرآن في السورة الواحدة -كما هو معلوم- لم تجعل آيات العقيدة علىٰ حدا، وآيات الشريعة علىٰ حِدة؛ الأحكام، وآيات السلوك علىٰ حدا، إلىٰ آخره؛ بل الجميع كانت هٰذه وراء هٰذه، فآية تخاطب المؤمنين، وآية تخاطب المنافقين، وآية تخاطب النفس، وآية فيها العقيدة، وآية فيها قصص الماضين، وآية تليها فيها ما سيأتي، وآية فيها الوعد وآية فيها الوعيد، وآية فيها ذكر الجنة وذكر النار، وآية فيها التشريع، وثم يرجع إلىٰ آية أخرىٰ فيها أصل الخلق قصة آدم، وهكذا في تنوُّع.

وهٰذا من أسرار السلطان الذي يكون للقرآن علىٰ النفوس؛ لأن الأنفس متنوِّعة، بل النفس الواحدة لها مشارب، فالنفس تارة يأتيها الترغيب وتارة يأتيها الترهيب، وتارة تتأثر بالمثل، تارة تتأثر بالقصة، تارة هي ملزمة بالعمل، تارة هي ملزمة بالاعتقاد، فَكَوْنُ هٰذه وراء هٰذه تُغْدِقُ علىٰ النفس البشرية أنواع ما تتأثر به، وهٰذا لا يمكن أن يكون إلا من كلام من خلق هٰذه النَّفس البشرية، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[الملك]، فتجد أنَّ القرآن يحاصرك، فأيُّ إنسان أراد أن يفرَّ لا يمكن أن يفر من القرآن، سيأتيه قوة بآية فيها وصف الكافرين، آيات فيها قوة بوصف المنافقين، آيات فيها قوة بوصف المؤمنين، آيات فيها العقيدة، فيها الماضي، فيها الحاضر، فيها النبوة، فيها الرسالة، فيها الدلائل، فيها حال المشركين.. إلىٰ آخر ما يحصر علىٰ النفس الحية والعقل الواعي الذي يتحرك وعنده همة = عليه الهروب، وهٰذا لا يمكن أن يحصره في أنواع النفس البشرية الواحدة إلا من خلق هٰذه النفس وتكلم بهٰذا القرآن لإصلاحها، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩].

فكيف إذن بأنواع الأنفس المختلفة، هٰذا الذي يصلح له الترغيب، وهٰذا الذي يصلح له الترهيب، وهٰذا الذي يصلح له وصف الجنة، وهٰذا الذي ينشأ عنده الإيمان بالحب وإلىٰ آخره، وذلك الذي ينشأ عنده الإيمان بالجهاد، ونحو ذلك، تنوع الأنفس وخطاب القرآن للناس جميعا علىٰ تنوع أنفسهم هٰذا دليل ثانٍ علىٰ أن هٰذا القرآن له سلطانٌ علىٰ النُّفوس.

أيضا تجد أن القرآن خُوطب به من عنده فنُّ الشِّعر وما يسمِّيه بعض الناس موسيقىٰ الكلام؛ يعني رنَّات الكلام، بعض الناس عندهم شفافية بالتأثر باللَّحن، بالرنات، بالصعود والنزول في نغمة الكلام،

هٰذا أيضا هٰذا النوع من الناس تجد في القرآن ما يُجبره علىٰ أن يستسلم له.

لَبيد بن رَبيعة صاحب معلقة وصاحب ديوان مشهور، قيل له: ألا تُنشدنا من قصائدك، لم وقفت عن الشعر؟ قال: أغناني عن الشعر وتذوقه -أو كما قال- سورتا البقرة وآل عمران؛ لأن هٰذا الشيء هو له تذوُّق في هٰذا الفن بخصوصه، فيأتي القرآن فيجعل سلطانه علىٰ النفس فيقصره قصرًا، لهٰذا قال جل وعلا ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[فصلت]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ﴾[فصلت:٤٤].

الوجه السَّادس: أو الصِّفة السَّادسة للقرآن أو الخاصِّيَّة السادسة للقرآن التي تميز بها عن كلام الناس، أنَّ القرآن فيه الفصل في الأمور الغيبية، فثَم أشياء في القرآن أُنزلت علىٰ محمد -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وكان أمِّيًّا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ما لم يظهر وجه بيانها وحجتها في كمال أطرها إلا في العصر الحاضر، وهو ما اعتنىٰ به طائفة من الناس وسموه الإعجاز العلمي في القرآن، والإعجاز العلمي في القرآن حق؛ لكن له مواضع تَوسَّع فيه بعضهم فخرجوا به عن المقصود إلىٰ أن يجعلوا آيات القرآن خاضعة للنظريات، وهٰذا باطل؛ بل النظريات خاضعة للقرآن؛ لأن القرآن حق من عند الله والنظريات من صنع البشر، لكن بالفهم الصحيح للقرآن، فثَم أشياء من الإعجاز العلمي حق لم يكن يعلمها الصحابة رضوان الله عليهم علىٰ كمال معناها، وإنما علموا أصل المعنىٰ، فظهرت في العصر الحاضر في أصولٍ من الإعجاز العلمي.

الإعجاز الاقتصادي، الإعجاز التشريعي، الإعجاز العَقدي أشياء تكلم عنها الناس في هٰذا العصر -ما نطيل في بيانها- وكل واحدة منها دالة علىٰ أن هٰذا القرآن من عند الله جل وعلا: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[النساء].

الوجه السابع والأخير وبه تختم هٰذا الدرس: أنّ القرآن من صفاته أنّ الإنسان المؤمن كلَّما ازداد من القرآن ازداد حبا في الله جل وعلا، وهٰذا راجع إلىٰ الإيمان، وراجع إلىٰ أن صفة القرآن فيها زيادة في الهدىٰ والشفاء للقلوب، فالأوامر والنواهي والأخبار التي في القرآن هي هدىٰ وشفاء لما في القلوب، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ﴾[فصلت:٤٤]، وهٰذا سلطان خاص علىٰ الذين آمنوا في أنه يهديهم ويخرجهم من الظلمات إلىٰ النور في المسائل العلمية وفي المسائل العملية، لهٰذا ما تأتي فتنة ولا اشتباه إلا وعند المؤمن البصيرة لما في هٰذا القرآن؛ ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩].

فإذن صفة كلام الله جل وعلا في أن المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعلم حدوده ويعلم معانيه، أن عنده النور في الفصل في المسائل العلمية والعملية، وهٰذه لا يُلقاها إلا أهل الإيمان ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ﴾[فصلت:٤٤]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا

خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء]، وهٰذا أيضا سلطان خاص يزيد المؤمن إيمانا، لهٰذا إذا تُليت علىٰ المؤمن آيات الله جل وعلا ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾[الأنفال:٢]، زادتهم إيمانا لما فيها من السلطان علىٰ النفوس.

إذا تبيَّن لك ذلك فكلام الله جل وعلا قديم النَّوع حادث الآحاد، والقرآنُ من الحادث الآحاد وقتُ التنزُّل كما قال جل وعلا: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[الإسراء] إلىٰ آخر الآيات؛ يعني أنّ الله جل وعلا تكلَّم به وكلام الله جل وعلا أوسع من الكلام بالقرآن، والقرآن جاء علىٰ هٰذا النَّحو؛ لأنه هو الذي يتحمله الإنسان، الإنس والجن لا يتحملون أكثر من هٰذا، وإلا لصار عليهم كَلفة وعنفة.

بهٰذا يتبين لك ما ظهر لي من تحصيل أقوال أهل العلم بهٰذه المسألة العظيمة التي خاض فيها المعتزلة، وخاض فيها الأشاعرة، وقلَّ بل ندر من أهل السنة من خاض فيها علىٰ هٰذا النحو، بل لا أعلم من جمع فيها الأوجه علىٰ هٰذا النحو في كتب العقائد؛ بل تجدها متفرِّقة في كتب كثيرة في البلاغة، وفي الدراسات في إعجاز القرآن، وفي التفسير، وفي كتب متنوعة.

وما أجمل قول الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ رحمة واسعة: (أَيْقَنَّا أنه قولُ خالقِ البَشرِ، ولا يُشْبِهُ قولَ البشر) وهٰذا هو الحق، فالقرآن بصورته وهيئته وصفته لا يمكن أن يشبه قول البشر، حتَّىٰ في رسمه وتنوع آياته وسوره بل لا يشبه قول البشر.

أسال الله جل وعلا أن يغرس الإيمان في قلوبنا غرسًا عظيما، وأن يجعلنا من أوليائه الصَّالحين، وأن يهيئ لنا من امرنا رشدا.

وأسأله سبحانه أن يوفقنا وأن يوفق ولاة أمورنا لما يحب ويرضىٰ، وأن يجعلنا وإياهم من المتعاونين علىٰ البر والتقوىٰ.

كما أسأله سبحانه أن ينور قلوبنا بالقرآن وأن يجعلنا من أوليائه إنه سبحانه جواد كريم، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

[الأسئلة وأجوبتها]

نجيب علىٰ ثلاثة أسئلة.

موضع في مسألة إعجاز القرآن، مسألة طويلة الذيول وما ذكرت متفرق بين مراجع كثيرة.

**سؤال (٩٥):** ما هي عقيدة أبا العتاهية؟

**الجواب:** رحم الله أبا العتاهية، فهو من الصَّالحين، ولا تسل عن شيء ليس فيه مصلحة، أبو العتاهية شاعر من الشعراء الزهاد وديوانه مطبوع.

**سؤال (٩٦):** هل يوجد في القرآن ألفاظ أعجمية، وما معنىٰ ﴿حمٓ ﴾، ﴿الٓمٓر ﴾؟

**الجواب:** الكلمات الأعجمية في القرآن أعجمية الأصل لكنها عربية الاستعمال، ومعلوم أنّ العرب لما استعملوا هٰذه الكلمات صارت عربية كالسندس والإستبرق وأشباه ذلك؛ لأنها لم تأت علىٰ أوزان

العرب.

فأهل العلم في هٰذه المسألة لهم قولان:

- منهم من ينفي وجود الكلمات الأعجمية أصلا.
- ومنهم من يقول: هي موجودة لكنها بالاستعمال صارت عربية، وهٰذا هو الصحيح.

وأما الأحرف المقطعة في أوائل السور ﴿الٓمٓ﴾، ﴿الٓرٰۚ﴾، ﴿حٰمٓ﴾ فهي دالة علىٰ إعجاز القرآن، فالحجة فيها عظيمة ﴿الٓر﴾، ﴿الٓمٓ﴾ فصيحة ألفاظُها؛ يعني هٰذه الأحرف من حيث الاستعمال، ودالة علىٰ أعظم أنواع الإعجاز، أو علىٰ دليل عظيم من أدلة الإعجاز، كيف؟ ﴿الٓمٓرٰۚ﴾، ﴿حٰمٓ﴾، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ هٰذه الأحرف هي الأحرف التي بها يتكلم العرب وينشئون بها الكلام الذي يفاخرون به.

فأشعار العرب من هٰذه الأحرف، وكلمات العرب وخطب العرب من هٰذه الأحرف، وما تفاخروا فيه من البيان والبلاغة والخطب والفصاحة إنما هو مكوَّن من هٰذه الأحرف، فالله جل وعلا في بعض السور -في أول بعض السور- افتتحها بالأحرف المقطعة لينبه أنّ هٰذا القرآن كلماته وآياته من هٰذه الأحرف التي بها تنشئون كلامكم البليغ الذي تتحدون به، فَهَيَّ استعملوا هٰذه الأحرف في إنشاء كلام مثل هٰذا القرآن، ولهٰذا تجد أنَّ الأحرف المقطعة في افتتاح السور أغلبها والغالب منها يكون بعد الأحرف المقطعة يكون ذكر الكتاب والقرآن، لا تجد سورة فيها ذكر الأحرف المقطَّعة إلا وفيها ذكر القرآن، والأغلب أن تكون بعد الأحرف المقطعة مباشرة.

خُذ مثلا: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ﴾[البقرة]، ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾[ق]، ﴿حٰمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾[1]، ﴿يٰسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾، ﴿حٰمٓ ۝١ تَنزِيلُۢ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت]، ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾[هود:١]، ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾[الرعد:١][2]، كلما ذكر الكتاب كلما ذكرت الأحرف ذكر بعدها الكتاب، وتارة تكون بعد ذلك كسورة مريم ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ يأتي ذكر القرآن بعدها.

فإذن إيراد هٰذه الأحرف المقطعة في أوائل السور لتحدِّي العرب لتكوين كلام من هٰذه الأحرف التي يكوِّنون منها كلامهم وينشئون بها خطبهم وأشعارهم و[أن] يعارضوا القرآن بمثل هٰذا الكلام.

**سؤال (٩٧):** ما رأيكم بمن يقول: إن الله ليس له لغة بدليل أنه يخاطب جميع البشر كلٌّ حسب لغته؟

**الجواب:** نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللغة اصطلاحية، اللغة من آيات الله ﴿وَمِنۡ

---

(١) سورة: الزُّخرف، الدُّخان.

(٢) الشيخ قال: والقرآن المبين.

﴿ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ﴾[الروم:٢٢]، البشر احتاجوا للغات ليتفاهموا فيما بينهم، الله جل وعلا هو الذي خلق البشر وخلق لغات البشر وجعل اختلاف الألسن دليلا علىٰ عظم الباري جل وعلا.

الله سبحانه أعظم من أن يقال فيه: إنه يتكلم بكل اللغات، أو أنه ليس له لغة، أو نحو ذلك الله جل وعلا أعظم وأجل من ذلك أو نحو ذلك، وما قدروا الله حق قدره سبحان ربي وتعالىٰ، سبحان ربي وتعالىٰ.

**سؤال (٩٨):** ما رأيك بقول الشخص الآخر -هٰذا ليس متعلقا بالدرس لكن الجواب عليه مهم- قول الشخص الآخر: لك خالص شكري؟

**الجواب:** هٰذا نبَّهنا عليه مرارا أنّ الشكر عبادة؛ الشكر عبادة لله جل وعلا، أمر الله بها ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾[لقمان:١٤]، ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾[البقرة]، ولما أمر الله جل وعلا به فهو عبادة عظيمة من العبادات التي يُتقرب إلىٰ الله جل وعلا بها، والعبادات من الدِّين، والدين الخالص لله جل وعلا، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾[الزمر:٣]، فلا يجوز أن يقال لأحد: لك خالص شكري. لأنَّ خالص الشكر لله ﷻ، أو: لك خالص تحياتي. مع خالص تحياتي أو: خالص تقديري. هٰذه كلُّها لله جل وعلا، خالص التحيات وخالص التقدير والقدر والتعظيم، وخالص الرَّجاء، ومثل ما يقول وفيك خالص رجائي، الرجاء والشكر، ومثل هٰذه الأشياء هي عبادة وخالصها لله جل وعلا.

فلا يجوز أن يقول القائل -مثل ما هو شائع في كثير من الرسائل والمؤلفات-: وتقبل خالص شكري وتقدري؛ لأن هٰذا إنَّما هو لله جل وعلا.

فالشكر الخالص لله، يقال للبشر: ولك عظيم شكري، أو يقال له: مع عظيم شكري لك، مع جزيل شكري، ونحو ذلك، نعم يشكر البشر علىٰ ما يقومون به من أنواع الخير، وذلك لقول النبي ﷺ: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»، الذي لا يشكر الناس لا يشكر الله جل وعلا.

أسأل الله ﷻ أن يتقبَّل مني ومنكم، وأن يزيدنا من العلم النافع والعمل الصَّالح، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.(١)

---

(١)انتهىٰ الشريط التاسع.

## الدَّرس الثَّاني عشر

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

[الأسئلة]

أما بعد: نجيب علىٰ بعض الأسئلة والاستفسارات.

سؤال (٩٩): يقول: قول الرسول ﷺ: «**إنما أبيتُ عند ربي يطعمني ويسقيني**» في الوصال، هل الإطعام حقيقي؟ وما هي الأقوال في ذلك؟

**الجواب**: أن الأمور المضافة إلىٰ الله جل وعلا من الأفعال، الأصل فيها -ككلّ فهمٍ للغة- أن يُفهم ظاهر الكلام، وظاهر الكلام هو ما يتبادر إلىٰ الذهن -ذهن العربي- من سماع الكلام.

والظاهر تارة يكون بإفراد الكلام، وتارة يكون بتركيبه.

والصحابة رضوان الله عليهم واصلوا الصيام، فنهاهم النبي عليه الصلاة والسلام، وسبب نهيه عليه الصلاة والسلام الصحابةَ عن المواصلة الإبقاء عليهم وعدم تكليفهم؛ لأنّ في الوصال مشقة ترك الطعام الذي به قوام الإنسان، فقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث حينما نهاهم قالوا: يا رسول الله إنّك تواصل، قال: «**إني لست كهيئتكم، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني**» فدل هٰذا علىٰ أن ظاهر الكلام: أن الله جل وعلا يطعم الرسول ﷺ ويسقيه، معلوم أن الإطعام والسقيا ليست بالأكل والشرب المعتاد؛ لأن هٰذا يُفَطِّر.

فإذن يكون ظاهر الكلام دلّ علىٰ شيئين:

**الأول**: أن الإطعام والسقيا هٰذا حقيقي علىٰ ظاهره، وأنه طعام به يقوىٰ البدن ولكن ليس عن طريق الفم.

**والثاني**: أنّ النبي عليه الصلاة والسلام ليس إطعامه من ربه جل وعلا بالأكل والشرب المعروف؛ لأنه بهٰذا يُفطِر الصائم.

الأقوال في هٰذا متعدِّدة؛ لكن هٰذا القول هو الذي يوافق ظاهر الحديث، والحديث ليس من أحاديث الصفات؛ لكن هٰذا هو الذي يوافق الحديث.

سؤال (١٠٠): إذا تضرر الناس من المطر واضطروا إلىٰ الاستصحاء، هل يصلىٰ لها صلاة أو يدعو الإمام في الجمعة؟

**الجواب**: الاستصحاء هو طلب الصحو، والنبي عليه الصلاة والسلام جاءه رجل وهو يخطب فشكا إليه الحال فدعا واستغفر، فخرجت سحابة مثل التُّرس فملأت السماء فأمطروا إلىٰ الجمعة القادمة، ثم أتىٰ رجل -قيل لأنس هل هو ذلك الرّجُلُ الأَوّلُ؟ قَالَ: لاَ أَدْرِي-، فقال: يا رسول الله انقطعت السّبل، إلىٰ آخره. فدعا النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: «**اللّهمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا. اللّهمَّ عَلَىٰ الآكَامِ وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشجَرِ**» وأشار بيده هكذا وهكذا وهكذا، فصار ما فوق المدينة كالجوبة؛ يعني

كالفتحة من إشارة أن تفرق السحاب، وهٰذا من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام.

فإذا احتيج علىٰ ذلك دعا الإمام بهٰذا، وهٰذا مشروع كما دلت عليه السنة.

سؤال (١٠١): ما حكم تعليق المشيئة علىٰ أمر متأكد أنه واقع كقوله: هٰذا فلان الواقف أمامك إن شاء الله، كذلك حكم تعليقها علىٰ أمر قد حصل وانتهىٰ؛ كقوله: أكلتم إن شاء الله؟

**الجواب**: المشيئة في استعمال المسلم لها علىٰ درجتين:

**الأولىٰ**: أنه يقصد بها حقيقة التعليق؛ يعني أن ما سيفعله معلق بمشيئة الله كما قال جل وعلا ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾[التكوير]، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ٣٠﴾[الإنسان]، وقال: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[الكهف]، فإذا كان الأمر يُعلق علىٰ المستقبل فإنه يتأكد استعمال المشيئة، يعني أن يعلَّق الأمر علىٰ مشيئة الله؛ لأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

**والدرجة الثانية**: أن تقول: إن شاء الله لتحبيب تحقق الأمر بمشيئة الله؛ لأن الأمر وقع ووقوعه ليس بمشيئتي ولكن بمشيئة الله، ولا بأس أن يؤكد أي أمر وقع بكلمة (إن شاء الله) ويقصد بها أنه تحقق ووقع بمشيئة الله جل وعلا، وعلىٰ هٰذا جاء في القرآن قول الله جل وعلا: ﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٩٩﴾[يوسف]، بعد أن دخلوا، وكقوله جل وعلا: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ﴾[الفتح:٢٧].

بالمناسبة بتعليق المشيئة: الكلمة المعروفة التي تروىٰ عن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه لما حض الناس علىٰ جهاد التتر فقال: إنكم منصورون. فقال: له أحد القضاة قل: إن شاء الله. قال: إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا؛ يعني أنتم منصورون والنصر بمشيئة الله يتحقق، وهٰذا لأجل أن الله جل وعلا وعد عباده -ووعده حق- أن ينصرهم ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾[غافر]، وقال جل وعلا: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾[المجادلة:٢١]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾[الصافات]، ونحو ذلك من الأدلة.

سؤال (١٠٢): ما حكم الاحتجاج بالقدر علىٰ فعل المكروهات وترك المستحبات، مثل أن يترك الإنسان النوافل بعد الصلاة، فإذا حاجه أحد قال: هٰذا بقضاء الله وقدره؟

**الجواب**: القدر لا يجوز الاحتجاج به علىٰ المعايب، فإذا كان ثم فعل لإنسان فيه عيب من ترك فريضة أو فعل محرم، أو من ترك نافلة أو فعل مكروه، فإنه لا يجوز أن يحتج علىٰ ذلك بالقدر.

وإنما يجوز الاحتجاج بالقدر علىٰ المصايب؛ إذا أُصيب الإنسان بمصيبة علق ذلك بقدر الله جل وعلا؛ لأنه في تعليقه للقدر تطمئن النفس ويكمل الإيمان والهدىٰ ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾[التغابن]، ما شاء الله كان، قدّر الله وما شاء فعل، هٰذا في المصائب.

أما في المعايب فإن هٰذا من وسائل الشيطان؛ لأن الاحتجاج بالقدر علىٰ المعايب ليس فيه في الحقيقة

حجة؛ بل حجة علىٰ صاحبه الذي احتج به؛ لأن الإنسان مخيّر هل يعمل هٰذا أو يعمل الأمر الثاني؟ فكونه اختار أحد الأمرين بإرادته التي توجّهت إلىٰ أحد الأمرين، وبقدرته التي توجّهت إلىٰ أحد الأمرين، فإن احتجاجه بالقدر حينئذ احتجاج للخروج من التبعة؛ لأنّه كان عنده إرادة، ولو صحّ الاحتجاج بالقدر في المعايب ما بقي معنىٰ للتكليف ولا للحساب؛ لأنّ هٰذا هو معنىٰ قول الجبرية.

سؤال (١٠٣): ما الفرق بين معجزات الأنبياء ومعجزة القرآن؟ وهل معجزات الأنبياء معجزة بنفسها كالقرآن أم لا؟

**الجواب**: معجزات الأنبياء ومنها معجزات المصطفىٰ ﷺ، ذكرنا لكم أنها آيات وبراهين ودلائل، فلفظ المعجزة لفظ حادث، ولهٰذا تارة يقع الإشكال في توجيه بعض الأمور؛ لأنّه يُنتقل من استعمال العلماء لها في أحد معانيها أو في كثير من معانيها إلىٰ أن تُجعل حقيقة شرعية عامة، وهٰذا يُنتبه له، فإن كلام العلماء تقرير للحقائق فإذا كان الاستعمال الاصطلاحي لهم في الألفاظ لم يأت في القرآن ولا في السنة فينبغي أن يُجعل بقدره، وألا يزاد علىٰ ما استعملوه فيه، فلهٰذا لفظ المعجزة -كما ذكرنا لكم- لم يأتِ في القرآن ولا في السنة، وإنما فُهم ذلك فهما وهٰذا الفهم صحيح إذا قُدِّر بقدره الشرعي ولم يُنتقل عنه إلىٰ ما لم يأت به دليل.

**ولهٰذا نقول**: آيات الأنبياء والبراهين الدالة علىٰ صحة رسالاتهم وعلىٰ أنهم مرسلون من عند الله وأنّ ما جاؤوا به حق، هٰذه كلها دليل صدقها في نفسها؛ لأنها شيء خارج عن قدرة الإنس والجن في ذلك الزمان جميعا، فكلّ معجزة، كلّ آية، كل برهان، اقترن بدعوىٰ النبوة فهو خارج عن قدرة الإنس والجن جميعا، في النّبي محمد عليه الصلاة والسلام وفي جميع الأنبياء والمرسلين؛ لأنّنا نقول: إنَّ كل نبي يخاطب به؛ يعني يخاطب برسالته الإنس الذين بُعث فيهم وكذلك يخاطب برسالته من سمع برسالته من الجن، فلهٰذا يقع الإعجاز وتقع الحجة بأن تكون الآية والبرهان خارجا عن مقدور الإنس والجن جميعا.

وهٰذا هو في آيات وبراهين الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه، وكذلك في القرآن، فكلها آية وبرهان حجته في نفسه قاطع في نفسه لمعارضة المعترض.

وتدبّر هٰذا في جميع الآيات التي أوتيها الأنبياء والمرسلون عليهم صلوات الله وسلامه.

نكتفي بهٰذا. اقرأ

وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ، كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[القيامة]، وَتَفْسِيرُهُ عَلَىٰ مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَعَلِمَهُ.

وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَعْنَاهُ عَلَىٰ مَا أَرَادَ، لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا، وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا، فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ ﷻ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَىٰ عَالِمِهِ.

---

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ إلٰه وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

اللّٰهمَّ نسألك علما نافعا وعملا صالحا وقلبا خاشعا ودعاء مسموعا.

اللّٰهمَّ علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما وعملا، يا أرحم الراحمين.

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ: (وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ، كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة]، وَتَفْسِيرُهُ عَلَىٰ مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَعَلِمَهُ.

وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَعْنَاهُ عَلَىٰ مَا أَرَادَ، لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا، وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا) هٰذه المسألة مسألة عظيمة جدًّا، وهي مسألة رؤية الرّب جل وعلا في الجنة.

ورؤية الله جل جلاله في جنات النعيم هي أعلىٰ ما يلتذُّ به أهل الجنة، فأهل الجنة أعلىٰ نعيمهم رؤية الله جل وعلا، وذلك لأنه منتهىٰ الجمال؛ ولأنّ في الرؤية الرضا، ولأنّ في الرؤية الإكرام، ولأنّ في الرؤية صلاح القلب برؤية محبوبه جل وعلا، فكل أنواع الجمال التي يتعلق بها المتعلّقون إنما هي بعض جمال صفات الرب جل وعلا؛ يعني أنّها شيء من جمال الصفات، كما أنّ رحمة الله جل وعلا منها جزء يتراحم به الناس، وكذلك جمال الحقّ جل وعلا في ذاته وصفاته وأفعاله، من جماله أفاض علىٰ هٰذا الوجود، فصارت الأشياء جميلة لمّا أفاض عليها جل وعلا من جماله ﷻ، كما قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ:

وهو الجميل علىٰ الحقيقة كيف ... لا وجمال سائر هٰذه الأكوان

من بعض آثار الجميل فربها ... أولىٰ وأجدر عند ذي العرفان

فكل جمال يطمع إليه الطامع..... بجمال مخلوقات الدنيا أو من أنواع الجمال والتلذُّذ فإنه ليس عند الرُّؤية والتلذذ بمن أصاب ذلك.....

قال بعض أهل العلم: إن الرؤية لله جل وعلا هي الغاية التي شمّر إليها المشمرون. فإذا كانت الجنة غاية في تشمير المشمّر وفي تعبّد العابد، فإن أعلىٰ نعيم الجنة وأعظم نعيم الجنة أن يرىٰ المؤمنون ربّهم جل وعلا، كما قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة]، نظرت إلىٰ الرَّحمٰن فاكتسبت الوجوه نظرة وجمالا وبهاء وحسنىٰ تبارك ربنا وتعالىٰ.

قال: (وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ) يعني أن الرؤية ثابتة، وهي حق لا مِرْيَة فيه، ولا شك فيه، وهي حق لأهل الجنة فأهل الجنة يرون ربهم جل وعلا ويتلذَّذون بذلك النعيم.

قال: (بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ) فنفىٰ الإحاطة؛ لأنّ رؤية الله جل وعلا لا يمكن أن تكون بإحاطة للمرئي، كما قال سبحانه ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام]، فرؤية الله جل وعلا رؤية عيان؛ لكن لا يمكن أن يحاط بالله جل وعلا رؤية كما لا يمكن أن يحاط بالله جل وعلا علما ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[طه]، ولكن أصل العلم بالله جل وعلا ثابت، وكذلك الرؤية لا يحاط بها فلا تُدرك؛ لا تدرك الرب جل وعلا الأبصار، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، ولكن أصل الرؤية موجود.

فالمنفي إذن في الآيات الإحاطة، وهٰذا ليس في الرؤية وحدها ولكن في كل صفات الله جل وعلا؛ فإن الله سبحانه بذاته وبصفاته لا يُحاط به علما ولا يُحاط بالله جل وعلا إدراكًا ورؤية.

قال: (وَلَا كَيْفِيَّةٍ) يعني لا تُكيَّف رؤية الناس لربّهم جل وعلا؛ وإنّما هي حق علىٰ ما جاء في الأدلة، والكيفية منفية؛ لأنّ رؤية الناس لله جل وعلا -يعني بالناس المؤمنين في الجنة- فإن رؤية المؤمنين لله جل وعلا في الجنة تبع لصفاته، وصفات الرب جل وعلا لا تعرف كيفيتها، فرؤية الرائي للرب جل وعلا في دار النعيم والخلود والسعادة ليست رؤية إحاطة ولا تُكَيَّف بكيفية؛ لأنّ الله جل وعلا في علوه لا يعلم كيف ذلك؛ ولأنّ الله جل وعلا في رؤية الخلق في رؤية المؤمنين إليه لا تعلم كيفية ذلك؛ ولأنّ الله جل وعلا في كشف الحجاب الذي يحجبه عن رؤية الخلق لا تُعلم كيفية ذلك، فربُّنا أعلىٰ وأعظم مما يدور في الذهن أو مما يحوم عليه الخاطر أو يتوهَّمه المتوهم.

فلذلك نثبت الرؤية دون نظرٍ في كيف تكون هٰذه الرؤية، لكنها رؤية بالعيان رؤية بالعينين ليست رؤية قلب، وإنما هي رؤية عينين، كما سيأتي ذلك في الأدلة.

وكما استدل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: (كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا) ذكرنا لكم أن هٰذا من الذي استعمله أهل العلم كثيرًا أن ينسب القول والنطق والكلام للقرآن يعنون بذلك من تكلم به وهو الرب جل وعلا، فقوله: (كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا) لا بأس به ويستعمله كثير من أهل العلم بما فيهم المحققين والأئمة.

قال جل وعلا: (﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]) هٰذه الآية فيها إثبات رؤية أهل الجنة للرب جل وعلا، وأن وجوه من رأىٰ الرب جل وعلا ستكون ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ يعني حسنة بهيّة تعلوها النُّضرة والنَّضرة، كما دعا النبيّ عليه الصلاة والسلام بقوله «**نضّر الله وجه امرئ**»أو قال «**نضّر الله امرَأً -امرُؤا- سمع مقالتي فأدّاها كما سمعها**» الحديث، دعا له بنضارة الوجه يعني بالحسن والبهاء والزينة والجمال وهٰذا إنما هو لأهل الإيمان.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ يعني يوم القيامة تلك الوجوه ناضرة حسنة بهية، وتلك الوجوه ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ناظرة إلىٰ الرب جل وعلا؛ يعني رائية ربها جل وعلا، تنظر الوجوه إلىٰ الرَّبِّ جل وعلا، ووجه استشهاد المصنف بهٰذه الآية، آية سورة القيامة من ثلاثة وجوه:

***الوجه الأول***: أن النظر عُدِّي بـ﴿إِلَىٰ﴾، وتعدية النظر بـ﴿إِلَىٰ﴾ تفيد أن معناه الرؤية -كما سيأتي بيان

ذلك في مسائل-، قال: ناظرة إلىٰ ربها، وناظرة والنظر يأتي لمعاني فإذا عدي بـ﴿إِلَىٰ﴾ كان المراد رؤية العِيَان.

**الوجه الثاني**: أنه جعل النظر إلىٰ الرب جل وعلا مضافا علىٰ الوجوه، فجعل الوجوه هي التي تنظر إلىٰ ربها، قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ فالوجوه ناظرة إلىٰ ربها، ومحل الرؤية والنظر في الوجه هو العينان.

**الوجه الثالث**: أنه قال: ﴿يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾، والنَّضرة: وهي الحسن والبهاء والسرور والحبور الذي يعلو الوجوه والاطمئنان، هٰذا إنما يكون بالرؤية لأنها من تمام نعيم واللَّذة، لا من الانتظار الذي لا يدرىٰ هل بعده نعيم أم بعده غير ذلك؟ فكون الأوجه بالنظر صارت ناضرة يعني حسنة بهية دلّ علىٰ أن هٰذا إنما هو الرؤية لأنه أثر الرؤية، وأما مجرَّد الانتظار فليس كل منتظر للرب جل وعلا يُنضَّر وجهه، بل من المنتظر من يكربس في جهنم والعياذ بالله.

وسيأتي مزيد بيان أوجه الاستدلال في المسائل إن شاء الله تعالىٰ.

قال: (وَتَفْسِيرُهُ عَلَىٰ مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَعَلِمَهُ.)، (تَفْسِيرُهُ) يعني تفسير النظر إلىٰ الرب جل وعلا (عَلَىٰ مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَعَلِمَهُ)، التَّفسير هنا يراد به أحد نوعي التفسير:

وذلك أنه جعل الرُّؤية حق، ونفىٰ في الرؤية التي هي حق ويثبتها: الإحاطة والكيفية، فدلّ علىٰ أنه يثبت معنىٰ الرؤية الذي يعلمه السامع للكلام من ظاهر الكلام، فلما نفىٰ الإحاطة والكيفية دل علىٰ أن قوله (الرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ) أن الرؤية علىٰ ظاهرها، وهٰذا هو المعنىٰ الأول للأشياء، هو المعنىٰ المتبادر للذهن في الصفات، نقول: هٰذا ما يتبادر إلىٰ الذهن، فصفة الرحمة معروفة، صفة الكلام معروف إلىٰ آخره.

والنوع الثاني من التفسير هو تفسير لتمام المعنىٰ وللكيفية، فإنّ تمام المعنىٰ والكيفية لا يعلمها إلا الله جل وعلا، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٧]، علىٰ من وقف هنا فأراد بالتأويل الذي هو التفسير تمام لمعنىٰ والكيفية.

فإذن تفسير النظر إلىٰ وجه الله الكريم، تفسير النظر إلىٰ الرب الكريم جل وعلا بتمام معناه لا نعلمه، تفسيره علىٰ ما أراده الله جل وعلا هو حق، وتمام المعنىٰ لا نعلم كيف ذلك، هل كيف تعطىٰ العيون القدرة، النبي عليه الصلاة والسلام قيل له: أرأيت ربك؟ قال: «نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ»؟ وقال: «رَأَيْتُ نُوراً» كما في الصحيح من حديث أبي ذر، وموسىٰ عليه السلام سأل ربه ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف:١٤٣]، قالت طائفة من السّلف: كشف الله جل وعلا من الحجاب قدر هٰذه؛ أنملة واحدة، فساح الجبل، فردت الرؤية علىٰ موسىٰ لأنه لم يقدر علىٰ ذلك.

وكذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره**

من خلقه».

فإذن الناس ليس عندهم القدرة علىٰ الرؤية، فكيف تكون عندهم القدرة علىٰ الرؤية؟ وكيف تكون قواهم؟ وكيف تكون قُدَرُهم؟ وكيف يُعطون؟ وعلىٰ أي حال تكون الرؤية وتفسير ذلك علىٰ تمام معناه؟ هٰذا كله لا يعلم كما قال: (وَتَفْسِيرُهُ) يعني بتمام معناه بما يزيد علىٰ إثبات الرؤية وأنها حق (عَلَىٰ مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَعَلِمَهُ)، (لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا، وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا)، كما ذكر بعد ذلك.

وهٰذه الكلمة تشبه ما ذكره ابن قدامة وغيره عن الإمام أحمد وعن الإمام الشافعي في الآيات والأحاديث التي فيها إثبات الصفات؛ صفات الرب جل وعلا، أنهم قالوا: أمرّوها كما جاءت لا كيف ولا معنىٰ. وهٰذه استدلّ بها بعض أهل التّأويل علىٰ أنهم -يعني الإمامين- يعنون بذلك التّأويل، لا كيف فلا نكيف الصفات، ولا معنىٰ لا نثبت المعنىٰ؛ بل نفوض المعنىٰ والكيفية، وهٰذا ليس بمراد، بل المراد من قولهم لا كيف ولا معنىٰ أنّ إمرار الصفات كما جاءت معناه إثبات الصفات علىٰ ما دلّ عليه ظاهر الكلام؛ لأنّ الصفة لا تثبتها إلا بما دلّ عليه ظاهر الكلام، ونفي الكيفية عن الصفة يعني الكيفية التي نحا إليها المجسِّمة، ونفي المعنىٰ بقولهم: لا كيف ولا معنىٰ؛ يعني المعنىٰ الذي ذهب إليه المؤولة الذي يخالف ظاهر الكلام، ويخالف الإمرار كما جاءت، فإذن: الإمرار كما جاءت بما يفهم، فمن كيَّف فقد صار مجسما أو صار مكيفا، ومن تأول المعنىٰ فقد دخل بالكلام بما يخرج اللفظ عن ظاهره.

لهٰذا قول القائل: (لا كيف ولا معنىٰ) يعني لا كيف كما يقول المجسمة ولا معنىٰ كما يقول المؤولة بما يخرج تلك الآيات والأحاديث عن ظاهرها المتبادر منها من إثبات صفات الرب جل وعلا والأمور الغيبية بعامة، وهٰذا كما قال هنا: (تَفْسِيرُهُ عَلَىٰ مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَعَلِمَهُ).

قال: (وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ فَهُوَ كَمَا قَالَ) وقد ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام رؤية المؤمنين لربهم جل وعلا بالتواتر؛ عُدَّ ذلك متواترًا في أكثر من عشرين حديثا جاءت عن المصطفىٰ ﷺ في إثبات الرؤية، بأحاديث متنوعة، مختلفة في ألفاظها وفي طرقها عن عدد كبير من الصحابة، فهي متواترة، ولهٰذا كفّر طائفة من أهل السنة من أنكر رؤية الرب جل وعلا؛ لأنه إنكار للمتواتر من القرآن وللمتواتر من سنة النبي عليه الصلاة والسلام.

قال: (فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَعْنَاهُ عَلَىٰ مَا أَرَادَ، لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا، وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا)، (لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا) يعني نُخرج هٰذا الظاهر بتأويل، (وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا) بما يجعل للرؤية كيفية معينة، فنُثبت الرؤية بكيفية أو لأجل الكيفية ننفي الرؤية كما ذهب إليه المعتزلة وكما ذهب إليه المجسمة، فالمعتزلة توهّموا أنّ الرؤية تكون بكيفية فنفوا، والمجسمة توهموا أن الرؤية تكون بكيفية فأثبتوها علىٰ تلك الكيفية.

إذا تبيَّن لك هٰذا المعنىٰ لك الآن لكلام الماتن رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ ففي هٰذه المسألة العظيمة مسألة الرؤية مسائل:

**المسألة الأولى**: أنّ المؤمن بتعلقه بربه جل وعلا في عبادته سبحانه بأنواع العبادة القلبية والعملية يرىٰ أنّ الإنعام عليه بأن يكون من أهل الجنة هٰذا أعظم إنعام؛ لأن من دخل الجنة قد ﷺ ومتّعه بملاذّها وسرورها وأفاض عليه الزيادة وهي رؤية وجه الله الكريم، ومن أحبّ تعلق بالمحبوب، وإذا تعلّق القلب بالمحبوب لم يهدأ له بال ولا يقرّ له قرار حتىٰ يلقىٰ محبوبه راضيا عنه متمتّعا بلذة النظر إليه ومحادثته وتحيَّته، كما قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الأحزاب]، وهٰذا أعلىٰ أنواع التّمتع، والقلب إذا خشع لله جل وعلا وتلذذ بتلاوة القرآن وبالصلاة، وعلم أن هٰذه من اللّذات الحاضرة التي هي التلاوة والصلاة، فكيف بأعظم اللذات وهو رؤية الرب جل وعلا؟ وهي الغاية كما ذكر العلماء التي شمّر إليها المشمّرون، الذين تعلّقت قلوبهم بالرب جل وعلا.

**المسألة الثانية**: أن أهل السنة والجماعة جعلوا الرؤية حق، والرؤية بالعينين، وهٰذه الرؤية جاءت فيها آيات كثيرة وأحاديث متواترة عنه عليه الصلاة والسلام، وأجمع أهل التفسير من الصحابة والتابعين علىٰ القول بالرؤية، ولم ينكرها أحد من السلف الصَّالح رضوان الله عليهم.

ومن الأدلة علىٰ أن الرؤية حق قول الله جل وعلا: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام]، وقوله جل وعلا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[يونس:٢٦]، وقوله جل وعلا: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾،(١) وقوله جل وعلا: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة]، وقوله جل وعلا عن الكفار: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[المطففين]، وقوله جل وعلا ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾[ق]، ونحو ذلك من الأدلة.

وكذلك الأدلة التي فيها ذِكرُ لقاء الله جل وعلا كلها صالحة للاحتجاج بها علىٰ رؤية الله سبحانه، كقوله سبحانه ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف]، فسّرها طائفة من العلماء من السلف فمن بعدهم بأن لقاء الله برؤيته وهو المعروف لغةً، وكذلك في قوله جل وعلا: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الأحزاب] قال ثعلب -وهو من علماء اللغة المبرّزين العارفين-: أجمع أهل اللغة علىٰ أن لِلُّقْيَا هاهنا هي الرؤية، وذلك لأنه لا يمكن الملاقاة والتحية والخطاب باللغة إلا برؤية.

والأدلة علىٰ ذلك متنوعة، في كل دليل فيه ذكر الرؤية لله جل وعلا أو فيه ذكر اللقاء، أو ما فسر بالسنة برؤية الله جل وعلا.

وأما من سنة النبي عليه الصلاة والسلام فكما ذكرت لكم الأدلة كثيرة جدًّا بلغت مبلغ التواتر، فمنها قوله عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّكُمْ سترَوْنَ رَبَّكُمْ يوم القيامة كَمَا تَرَوْنَ البدر ليلة التمام لاَ تُضَامّونَ فِي**

---

(١) المطففين:٢٣، ٣٥.

**رُؤْيَتِهِ»**.

والحديث الآخر قال فيه عليه الصلاة والسلام: «**هل تَرَوْنَ الشمس في وسط النهار، هل تُضَامّونَ فيها؟**» قالوا: لا. قال «**هل تَرَوْنَ القمر ليلة الْبَدْرِ، هل تُضَامّونَ فيه؟**» قالوا: لا. قال «**فإِنّكُمْ سترَوْنَ رَبّكُمْ كما تَرَوْنَ الشمس وسط الظهيرة لا تُضَامّونَ فيها وكما تَرَوْنَ القمر ليلة التمام لا تُضَامّونَ فيه**».

وفيه أيضا قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم في الصحيح في تفسير قوله تعالىٰ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، من حديث صهيب ﷺ، قال عليه الصلاة والسلام في حديث طويل: «**الزيادة النظر إلىٰ وجه الله الكريم**».

وأيضا في الباب قوله عليه الصلاة والسلام في وصف الجنة: «**جنتان من ذهب وما فيهما، وجنتان من فضة وما فيهما، وليس بين القوم وبين أن يروا ربهم إلا أن يُكشف الحجاب**».

نسأل الله سبحانه المنّ والكرم لرؤيته جل وعلا، وأن يغفر ذنوبنا وآثامنا، وأن نلقاه وهو راض عنا، سبحانه إنه جواد كريم.

هٰذه الآيات والأحاديث فيها تقريرٌ لقول أهل السنة واضح الدلالة، ولا نخوض في ذلك بتقرير الأوجه اللغوية لما ذُكر؛ لأنه بتكاثرها وتواترها بلغت مبلغ القطع في هٰذه المسألة، حيث إن المسالة ليست بخفية حتىٰ قال الإمام أحمد لمن قال له: إن فلانا ينفي الرؤية. قال: كافر، كافر. لأن هٰذه لا تحتمل التأويل، وليس ثَم فيها شبهة.

**المسألة الثالثة**: أنَّ قول أهل السنة في الرؤية؛ أنَّ الرؤية حق لأهل الجنة وللمؤمنين في عرصات القيامة.

والرُّؤية التي للمؤمنين هو رؤية سرور وتلذذ وإكرام، واختلف أهل السنة في رؤية الله جل وعلا في الموقف هل:

- هي للمؤمنين وحدهم؟
- أم للمؤمنين والمنافقين؟
- أم للناس جميعًا؟

علىٰ ثلاثة أقوال، وكل الأقوال في مذهب أهل السنة؛ يعني قال بها طائفة، وكما قال الإمام تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الخلاف في هٰذه المسألة -يعني هل يرىٰ الكفار ربهم يوم القيامة أو لا يرونه؟ هل يراه المنافقون أو لا يرونه؟- لا ينبغي أن تكون من المسائل التي يشدِّد فيها الخلاف؛ بل الأمر فيها خفي. هٰذا نص عبارته.

والمذاهب فيها كما ذكرت لكم ثلاثة، فجمهور أهل السنة والحديث علىٰ أن الرؤية للمؤمنين في عرصات القيامة.

وقال طائفة....[1]

..... إلىٰ ذلك الإمام ابن خزيمة كما نص عليه في «كتاب التوحيد».

القول الثالث الرؤية للجميع للمؤمنين والمنافقين والكفار، واستدلوا علىٰ أن الكافر يُحجب، استدلوا علىٰ ذلك بأن الكافر يُحجب ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾[المطففين]، قالوا: فكونه حجب يومئذ دل علىٰ أنه قبل ذلك لم يكن محجوبًا؛ لأن الكلام في الآخرة، وأما في الدنيا فالكلّ محجوب عن رؤية الرب جل وعلا.

وهٰذه الأقوال جمعت النّظر في الرؤية، ويبقىٰ أن رؤية الرب جل وعلا نوعان:

**رؤية** إكرام ولذة ونعيم وإنعام وحبور وسرور، فهٰذه للمؤمنين في الجنة وللمؤمنين في عرصات القيامة، فهي من الطمأنينة لهم.

**والنوع** الثاني من الرؤية؛ رؤية حساب وتقرير وتعريف، فهٰذه هي التي يمكن أن يقال: إنها مرادة في حديث المنافقين فيما ثبت في الصّحيح «**أنّ الله جل وعلا يأتي الأمة وفيهم منافقوها، ثم يأتيهم بغير الصورة التي رأوها من قبل، ثم يأمرهم بالسجود فلا يسجدون، فيقولون نحن هنا حتىٰ يأتي ربنا، ثم بعد ذلك يكشف الربّ عن ساق، فيعرفونه فيسجد المؤمنون، ويبقىٰ من لم يكن مخلصا في الدنيا فيعود ظهره طبقا واحدا**» فهٰذا يدلّ علىٰ أنّ هٰذه الرؤية رؤية تعريف ورؤية حساب وهٰذا النوع من الرؤية لا ينبغي أن يكون الخلاف فيه؛ لأن الحديث دل عليه.

فإذن الرؤية التي نقول: إنه أجمع أهل السنة علىٰ أنها للمؤمنين: هي رؤية التنعم والتلذذ، وكذلك رؤية التعريف.

وأما رؤية الله جل وعلا للتَّعريف والحساب فهٰذه كلٌّ يراه بحسب حاله والله أعلم بكيفية ذلك وتفسيره.

أما الكفَّار فعامة أهل العلم إلا من شذَّ وقلَّ يقولون: أن الكافر لا يرىٰ الله جل وعلا لا رؤية تعريف ولا رؤية تلذذ من باب أولىٰ؛ لأن الكافر محل العذاب والنكال، وأجابوا عن استدلالهم بقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾[المطففين]، بأن هٰذا استدلال بالمفهوم بمفهوم ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾، ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾[المطففين] وهم محجوبون في الدنيا عن الرؤية وكذلك محجوبون في الآخرة عن الرؤية، وكلمة ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾، ليس لها مفهوم كما قال جل وعلا: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾ [الحاقة]، وكما في قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨﴾[التكاثر]، وفي آيات كثيرة علقت أشياء تحصل يوم القيامة بـ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾، وقد يكون جنسها أو بعض أفرادها يحصل في الدنيا إما بالعموم أو بالخصوص.

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط العاشر.



سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

المقصود من هٰذا الاستدلال أن كلمة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ليس لها مفهوم، لا نفهم منه أنهم حجبوا يومئذ، فمعنىٰ ذلك أنهم قبل ذلك يعني قبل الحجب يومئذ لم يكونوا محجوبين؛ بل كانوا محجوبين ثم صاروا محجوبين؛ لكن توعدهم وبيّن حالهم بقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ فحجبوا ثم صاروا صالين للجحيم.

**المسألة الرابعة**: مذاهب الناس في الرؤية، المذاهب فيها متعدِّدة -يعني المخالفة لمذهب أهل السنة- أشهرها مذهبان:

**مذهب من مَنع الرؤية** وتأوّل كل النصوص الواردة في ذلك: وهم المعتزلة، وقبلهم الجهمية، والخوارج بعامة، والإمامية من الرَّوافض؛ بل الروافض بعامة؛ لأن الزيدية ينكرون الرؤية كقول المعتزلة، وهٰذا القول له حججه واستدلالاته ستأتي.

**الثاني المشهور من أثبت الرؤية ولكن** قال: الرؤية ليست إلىٰ جهة، وإنما تكون إدراكًا، وهٰذا هو قول الأشاعرة ومن نحا نحوهم. فردُّوا قول المعتزلة في أن الرؤية ممتنعة في إثباتها، ووافقوهم في أنه ليس علىٰ العرش رب، وأن الله سبحانه ليس في جهة؛ جهة العلو، فقالوا الرؤية لا إلىٰ جهة. فكيف تكون رؤية إذن وليست إلىٰ جهة؟

أما قول المعتزلة والخوارج، ويُشهر هٰذا القول في زمننا هٰذا طوائف؛ الروافض والزيدية والإباضية من الخوارج، فيستدلون له.

فمن أدلتهم قوله جل وعلا حينما سأل موسىٰ عليه السلام الرؤية: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾[الأعراف:١٤٣]، إلىٰ آخره، قالوا: وجه الاستدلال أنه نفىٰ رؤيته لله جل وعلا، والمرسلين أحقّ الناس بالرؤية، والنفي إذن يفيد التأبيد.

والجواب عن هٰذه الحجة التي أدلىٰ بها أوائل المعتزلة من تابعهم إلىٰ يومنا هٰذا: أن النفي بـ(لن) في اللغة لا يفيد التأبيد، وإنما يفيد النفي المجرد.

وأما من قال إنه يفيد التأبيد وهو الزمخشري في «الكشاف» وفي كتابه «المفصل في النحو» فإنه باطل، وردَّه ابن مالك في «الكافية الشافية» بقوله:

ومن رأىٰ النفي بـ(لن) مؤبدا فقوله اردد وسواه فاعضدا

ورده أيضا ابن هشام في «أوضح المسالك» قال: ولا تفيد تأبيد النفي خلافا لمن قاله.

ويدل علىٰ ذلك أن الله جل وعلا قال: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾[البقرة:٩٥] يعني الموت، فقال: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ فنفىٰ بالتأبيد بكلمة ﴿أَبَدًا﴾ وباستعمال ﴿لَنْ﴾ نفىٰ التمني، وأثبت أنهم يتمنونه يوم القيامة قال جل وعلا: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾[الزخرف] يعني ليميتنا ربك قال: ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾، فدلَّ علىٰ أن نفيه بـ﴿لَنْ﴾ وبكلمة ﴿أَبَدًا﴾ لم يُفد التأبيد المستغرق للدنيا والآخرة معا.

فإذن أفاد:

**أولا**: أن قوله ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ أنه لما استعمل ﴿أَبَدًا﴾ دلّ على أن ﴿لَنْ﴾ لا تفيد التأبيد.

**والثاني**: على أن كلمة ﴿لَنْ﴾ لم تفد التأبيد؛ لأنهم تمنوا الموت في الآخرة، فدلت على أنها تفيد النفي في الدنيا.

ومن أدلتهم أنهم قالوا: إن النظر في القرآن وفي اللغة يفيد الانتظار، وهو أصله، وليس أصل النظر الرؤية، فالآيات التي فيها ذكر النظر تفيد الانتظار، فقوله جل وعلا: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾[1] يعني فهل ينتظرون، وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة]؛ يعني منتظرة الفرج ويستدلون عليه بقول الشاعر:

وجوه يوم بدر ناظرات ... إلى الرَّحمٰن يأتي بالفلاح

(ناظرات إلى الرَّحمٰن)، قالوا: معناها منتظرات.

وهٰذا القول في الاستدلال بمعنى النظر والإتيان عليه بهٰذا الشاهد اللغوي، ليس على ما قالوا.

وذلك أن اللغة فيها أفعال تختلف بالتعدية كثيرًا جدًّا، فيكون للفعل معانٍ متعددة مختلفة بأنواع التعدية، ومنها فعل: انتظر ونظر، ومصدر ذلك اسم الفاعل ناظرا، وهكذا تبيين ذلك أن يقال أن كما أوضحه الشارح وغيره من أهل اللغة أن كلمة النظر وما اشتق منها:

- تارة تتعدّى بنفسها فيكون المعنى الانتظار؛ يعني تصل إلى المفعول بنفسها فيكون معناه الانتظار.
- وتارة تتعدى بـ(في) فيكون المعنى التفكر والاعتبار.
- وتارة تتعدى بـ(إلى) فيكون المعنى الرؤية، وقد يكون مع الرؤية الانتظار بحسب السِّياق، ولكن لا يمكن أن تتعدى بـ(إلى) ويكون انتظارًا بلا رؤية، لا يمكن، ولم يأتِ في أي شاهد في لغة العرب لا في القرآن ولا في السنة أن النظر يتعدى بـ(إلى) ويكون معناه الانتظار المجرد من الرؤية؛ بل النظر إذا تعدى بـ(إلى) صار معناه الرؤية، وقد يكون على قلة مع الرؤية الانتظار، وهٰذا له نظائر في اللغة يطول الكلام ببيانها.

فإذن قوله جل وعلا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة]، كونه عدّى اسم الفاعل ﴿نَاظِرَةٌ﴾ الذي يعمل عمل فعله عداه بـ﴿إِلَىٰ﴾ دل على معناه الرؤية، وكونه أضاف النظر إلى الرؤية التي هي الوجوه التي هي مكان الرؤية دلّ على أن الرؤية تكون بآلة في هٰذا الوصف وهي العينان.

من أدلتهم أيضا قوله جل وعلا: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾[الأنعام:١٠٣]، قالوا: فنفى الإدراك، ونفي الإدراك مستلزم لانتفاء الرؤية.

والجواب أن هٰذا غلط كبير؛ لأن نفي الإدراك لا يستلزم انتفاء الرؤية، فإنه قد ترى الشيء ولا تدركه؛

---

(١) فاطر:٤٣، محمد:١٨.

يعني لا تحيط به، فهٰذه السماء نراها ولا أحد يدركها بأنه يرىٰ السماء، ولو قلت لأي أحد يرىٰ السماء: هل تدرك السماء رؤية وتحيط بها؟ فسيكون جواب كل أحدا: لا، يعني لا يدركها رؤية، وإنما يرىٰ منها ما يمكنه أن يرىٰ، وكما قال جل وعلا: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ﴾ [الشعراء] ووجه الدلالة أنه نفىٰ الإدراك، ومع نفي الإدراك أثبت الله جل وعلا الترائي وهو رؤية كل جمع لآخر فقال: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ هٰذا الجمع رأىٰ الجمع وذاك الجمع رأىٰ الجمع ومع ذلك ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ فقال موسىٰ: ﴿كَلَّآ﴾ يعني لن ندرك يعني لن يحاط بنا، فالإحاطة؛ نفي الإحاطة لا يستلزم أن تنفىٰ الرؤية.

بل نفي الإحاطة يستلزم إثبات الرؤية نقيض ما قالوا، وهو الوجه الثاني من الاستدلال عليهم بهٰذه الآية، وهو أن نفي الإدراك ليس تماما، والقاعدة المعروفة أن كل نفي في القرآن فكماله بإثبات ضده، فربنا جل وعلا قال: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾، وذلك لكمال سَعته ﷻ وكمال علوه وكمال استغناه عن خلقه، إلىٰ غير ذلك من أسرار صفات الجلال للرب جل وعلا.

فلا يقال: إنه لا يُدرَك ويكون المراد كمالا إلا وأصل ذلك ثابتا، وهو أنه في محل من يرىٰ أو في محل الرؤية.

فمثال ذلك أنك لو قلتَ: إنني لم أر العقل، ولم أر الفهم، ولم أر القلب، ولم أر السّمع، ولم أر الإبصار، وهكذا الصفات؛ ولم أر الرحمة، ولم أر الرأفة، إلىٰ آخرها، فإن نفي هٰذه الرؤية ليس كمالا في أن هٰذه الأشياء تُرىٰ، ولكنك عجزت؛ لأنك لو قلت في شيء إنك لا تراه أو لا تدركه رؤية، فإنما يكون كمالا إذا كان في محل ما يمكن أن يُرىٰ، أما الأشياء التي لا ترىٰ أصلا فإنه ليس من الكمال أن تنفي الرؤية عنها، فكونُك تنفي الرؤية عن الرحمة لا يعد هٰذا كمالا في الرحمة، وإنما هكذا، هكذا يجب وإنك تنفي الرؤية عن الإبصار والإدراك لا يدلّ علىٰ كمال فيها.

فإذن دل نفي الإدراك عن الرب جل وعلا أن نفي الإدراك لأجل أنه عظيم جل وعلا فإنه يُرىٰ، ولكنه لا يُدرك.

والإدراك ينقسم علىٰ قسمين:

- إدراك برؤية.
- وإدراك بعلم.

**والإدراك بعلم**: نفاه الله جل وعلا بقوله سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[طه].

**وإدراك الرؤية**: نفاه الله جل وعلا في هٰذه الآية.

وهٰذه الآية في إدراك الرؤية لا في إدراك العلم، دل عليه قوله بعد النفي: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام]، فقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ يعني يرىٰ، وأبطل الإدراك بإدراك الأبصار لأن الأبصار هي محل نفي الإدراكات، فقال ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ

يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾[الأنعام:١٠٣]، فلما قال: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ دلنا على أن المنفي هو إدراك الرؤية لا إدراك العلم.

الأدلة التي استدلوا بها متنوعة كثيرة، لا نشغلكم بها معروفة فهٰذه المسألة من أطول المسائل التي فيها الكلام، لكن دائما المؤمن أحق بالحجة من غيره، وفهم الحجة يكون بالأناة، تتأنى في فهم احتجاجنا بالسنة، فإننا -ولله الحمد- بتجرد لا نعلم مسألة قال فيها أهل السنة قولا واستندوا فيها إلى الأدلة، ويكون ثَم فيها شبهة لا في الأصول -أصول صفات الرب جل وعلا- ولا في الغيبيات بعامة؛ لأن قولهم مبرأ من الهوى، لا يأخذون متوهمين بأهوائهم ولا متأولين بآرائهم وقلوبهم، وإنما يثبتون ما ثبت في الكتاب والسنة، وإنما هم مستسلمون بنصوص الوحي، كما سيأتي في الدرس القادم إن شاء الله تعالى.

من العجيب أن الحجج عند المعتزلة يحتجون بما ذكرنا ويردُّون حجج أهل السنة على حسب أقوالهم بتفسير النظر كما قلنا بأنها ناظرة يعني منتظرة، إلى آخر ما ذكرت لكم.

لكنهم إذا أتت السنة والأحاديث من تفسير الآيات وفي إثبات الرؤية وهي بالغة مبلغ التواتر فإنهم يشرحون ولا يستطيعون حتى الإبانة عن وجه ردِّها؛ يعني أنهم يقلقون ولا يحسنون إبانة ولا تفقه لهم قولًا، وقد سمعت كلام بعضهم -سمعته بأذني- وقرأتُ كلام بعضهم أيضًا بعيني فما أحسنوا جوابا ولا خلصوا إلى قولٍ يردون به الأدلة من السنة.

لهٰذا قال طائفة من المحققين من أهل السنة: إنَّ تأويل نصوص المعاد والبعث والقبر والصِّراط والجنة والنار ونحو ذلك -يعني ما يحصل في عرصات القيامة وما يحصل في السَّماء- أسهل بكثير من تأويل آيات وأحاديث الرُّؤية؛ لأنها بلغت مبلغ التواتر وأُكِّدت بأنواع من التَّأكيدات، وعُرض لها وبُيِّنت بأنواع من البيان بما يقطع معه السّامع أن المراد بها ظاهرُها على حقيقتها حتى عند قول من يُجيز القول بالمجاز أو التأويل الذي ينحو إليه أولئك، فإن هٰذه لا يمكن أن يجري عليها ما يجري على غيرها بقطعٍ.

فإذن الحجة فيها قوية وقاطعة وإنما هو الهوى، نسأل الله جل وعلا السلامة والعافية، ولكن يجب على المؤمن الموحد أن يعلم الأدلة ووجه الحجة حتى يدلي بحجته في تلك المسائل.

أمَّا قول الأشاعرة في المسألة وهو أنهم قالوا: يُرى إدراكا لا إلى جهة فإنه عجيب، فإن قول المعتزلة بنفي الرؤية أقرب إلى العقل من قول الأشاعرة؛ يعني إلى عقلي وفهمي، خلافًا لقول الشارح إن قول الأشاعرة أقرب إلى العقل من قول من نفى؛ بل الحقيقة العكس، من نفى الرؤية وأنه لا يثبت العلو قال ما دام أننا لا نثبت العلو فالرؤية لا يمكن أن تكون إلا إلى جهة، الإنسان كيف يرى؟ لابد على جهة يراه، أما يرى شيئا ليس أمامه ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن شماله وليس بأعلى منه ولا أسفل منه فكيف يراه؟ وأين يراه؟ لاشك أن هٰذا العقلُ يرده.

ولهٰذا نقول: قول الأشاعرة إنه يرى لا إلى جهة؛ يعني لا يُرى في جهة العلو ويُرى إدراكا، فإن هٰذا ليس إثباتا للرؤية فهو غير مقبول عقلا ولا وقبول سمعًا.

والواجب إثبات النصوص التي جاء فيها ذلك وإثبات ما دلت عليه من أن الرؤية تكون علىٰ ما أخبر الله جل وعلا، وأن الله سبحانه يطَّلع إلىٰ أهل الجنة وأنه يكشف الحجاب فيرفعون رؤوسهم فينظرون إلىٰ الرب جل وعلا، وأنه سبحانه مستوٍ علىٰ عرشه كما يليق بجلاله وعظمته، وأن عرش الرَّحمٰن فوق الجنة؛ يعني سقف الجنة، وهٰذا في أدلة كثيرة.

فمن نفىٰ علو الرَّحمٰن جل وعلا وقال هو -سبحانه- في كل مكان، فكيف يقبل إثباته للرؤية؟ لاشك أن قول الأشاعرة عجيب وليس لهم حجة من جهة سمعية ولا من جهة عقلية، إلا شيئا واحدا وهو أنهم أبطلوا: نفي علو الله جل وعلا؛ وأنّه سبحانه في كل مكان. وفرّعوا عليه أن الرؤية ما جاءت فيها الأدلة قالوا: يرىٰ لا علىٰ جهة وهٰذا باطل.

**المسألة الخامسة**: أن رؤية المؤمنين في الجنة لربهم جل وعلا عامّة في الإنس والجن، للرّجال وللنّساء، وللملائكة أيضا، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد]، فالملائكة في الجنة يعني طائفة منهم في الجنة، وفي الجنة المؤمنون من الجن والإنس من الرجال والنساء، ولم يدلَّ دليل علىٰ اختصاص الرؤية بالرجال دون النساء ولا علىٰ اختصاص الرؤية بالإنس دون الجن، وهٰذه فيها أقوال:

**فمن** أهل العلم من قال: إن الرؤية للإنس دون الجن، وهٰذا خلاف الصواب كما ذكرنا؛ لأن الآيات عامة في الرؤية في كل مؤمن فمن دخل الجنة رآه.

**قال** طائفة أيضا من أهل العلم: إن الرؤية للرجال دون النساء، واستدلوا علىٰ ذلك بقوله جل وعلا: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾[الرَّحمٰن] وأن القصر في الخيام يدل علىٰ عدم خروجهن من ذلك، والصواب أن الرجال والنساء من المكلفين من الجن والإنس يرون ربهم جل وعلا إن كانوا من أهل الجنة.

أمَّا الاستدلال بالآية فعجيب لأن الآية:

أولا: في الحور، والحور خلق ينشئهن الله جل وعلا إنشاءً في الجنة وليسوا من المكلفين في الدنيا.

الثاني: لأن الله جل وعلا قال: ﴿وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾[يس] وقال جل وعلا في الآية الأخرىٰ: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾[1]، فمن نعيم أهل الجنة أنهم يتمتعون هم وأزواجهم علىٰ الأرائك، فيتكئون وينظرون، وإخراج النساء من الاتكاء تردّه الآية كذلك إخراجهم من النظر تردّه الآية.

لهٰذا نقول: غلط من قال: إن الرؤية للرجال دون النساء، فالنساء يرون ربهم جل وعلا كما يراه الرجال؛ لأنهم مكلفون متعبَّدون، والنعيم عام للإنسان الذي يدخل الجنة من الرجال والنساء، نسأل الله الكريم من فضله.

---

(١) المطففين:٢٣، ٣٥.

نذكر مسألة مشهورة:

**المسألة السادسة**: رؤية النبي عليه الصلاة والسلام لربه، وهل حين المعراج رأىٰ ربه أم لا؟

اختلف فيها أهل العلم علىٰ أقوال:

**القول الأول**: من ينفي رؤية النبي عليه الصلاة والسلام لربه جل وعلا؛ يعني بالعين.

**القول الثاني**: من يثبت الرؤية إما بالقلب أو بالعينين.

**والقول الثالث**: التوقُّف. والتوقف لا ينبغي أن يكون قولا؛ لكن هكذا قيل.

أما **القول الأول**: وهو أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لم ير ربه، فهٰذا هو القول الذي عليه الجماهير، ولما قال مسحوق لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إن قوما يقولون: إن النبي عليه الصلاة والسلام رأىٰ ربه. فقالت عائشة: **لقد قَفّ شعْرِي** -يعني وقف شعري- **مما قلتَ**، هٰذا مما يدل علىٰ تعظيم الصحابة لربهم جل وعلا، وأنهم قدروه سبحانه حق قدره، وأن منزلة النبي عليه الصلاة والسلام في قلوبهم مهما علت وعظمت فإنهم يعلمون عظمة الرب جل وعلا وعظيم صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قالت: لقد قَفّ شعْرِي مما قلت، من زعم أَنّ مُحمداً عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ رَأَىٰ رَبّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ علىٰ الله الفِرْيَةَ.

وفي حديث أبي ذر عند مسلم أن النبي عليه الصلاة والسلام سُئل فقيل له: **هَلْ رَأَيْتَ رَبّكَ؟** قال: «**رَأَيْتُ نُوراً**»، وفي الرواية الأخرىٰ «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ**»؟ قوله: «**رَأَيْتُ نُورًا**» يعني الحجاب، فإن الله جل وعلا نور وحجابه نور، (**رَأَيْتُ نُوراً**) يعني رأيت حجابا، ولم ير الرب جل وعلا، ولهٰذا في الرواية الثانية قال: «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ**»؟ يعني ثَم نور حاجب فكيف أراه؟ وهٰذا هو الصحيح لأنّ النبي عليه الصلاة والسلام لم ير ربه؛ بل لا يرىٰ أحد ربه بعينيه في الدنيا.

**وأما** من قال: إن محمدا عليه الصلاة والسلام رأىٰ ربه بعينيه أو بقلبه وهو قول ابن عباس وقاله طوائف قليلة من الناس، فهٰذا بناءً علىٰ آية في سورة النجم، والاستدلال بها فيه نظر.

**أما** القول التوقف فلا يصلح؛ لأن الحديث دال علىٰ نفي الرؤية مع كلام عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

نكتفي بهٰذا القدر، وثَم مسائل كثيرة في رؤية الله جل وعلا نرجئها أو نطويها، والمسألة من أراد المزيد فيها فليراجعها في مظانها.

أسأل الله سبحانه أن يوفقني وإياكم لما يحب ويرضىٰ وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ إلٰه وصحبه وسلم.

النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال: «**رأيت البارحة ربي في أحسن صورة**»، لأن الإيمان تام، ما أحد يراه في اليقظة ولا في المنام، إن رآه في المنام فهو يرىٰ إيمانه في المنام، يتمثل له إيمانه في المنام. الرؤية في المنام جائزة ممكنة هو يرىٰ إيمانه.. أقول: هٰذا ممكن وحصلت لعدد من أهل العلم...[1]

---

(١) انتهىٰ الشريط العاشر.

## الدَّرسُ الثَّالث عشر

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ إلٰه وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد..

[**الأسئلة**] فسنجيب علىٰ بعض الأسئلة بين يدي الدرس.

**سؤال (١٠٤)**: سؤال يقول: هل يجب علىٰ طالب العلم أن لا يُحَدِّث بحديث عن الرسول ﷺ إلا عالما صحته ودرجته ومن خرّجه، وكذلك الآثار عن السلف؟

**الجواب**: الجواب أن هٰذا لا يلزم، فإذا سمع بحديث أو قرأه في كتاب، سمعه من مأمون؛ من عالم، أو قرأه في كتاب عالم يوثق به فإن له أن يحدث بذلك، وإن كان لا يدري [من حدَّث به فليقل:] جاء في الحديث ونحو ذلك.

والآثار أسهل من الأحاديث يعني الآثار عن الصحابة أو عن السلف أو الأحاديث المرفوعة عن النبي ﷺ؛ لكن لا ينبغي لطالب العلم أن يجزم بحديث وهو لا يعلم صحته؛ يقول: قال رسول الله ﷺ كذا وهو لا يعلم صحته؛ يعني لا ينسبه قولا -للنبي عليه الصلاة والسلام- أما إذا قال جاء في الحديث، ذكر العالم الفلاني الحديث كذا وكذا، أو في الأثر، فهٰذا لا بأس به جرىٰ سنة أهل العلم، يقولون: وفي الحديث كذا أو يُروىٰ كذا وهٰذا لا بأس به.

وفي أحد الرسائل التي أرسلها إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ لأحد علماء عصره، وذكر فيها حديثا يعني ذكر المرسَل إليه حديثا فأجاب الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: إن المرء أو طالب العلم لا ينبغي له أن يجزم بنسبة حديث عن النبي ﷺ أو إلىٰ النبي ﷺ دون أن يكون متثبتا في ذلك؛ لأن الحديث عن رسول الله ﷺ شديد. بل يقول: ويُذكر أو يُروىٰ أو وفي الحديث، ولا شك أن التثبت في الإسناد أولىٰ.

سؤال (١٠٥): يقول ذكر العلماء أن لفظ الجلالة أصله إلٰه فأدخلت الألف واللام وقلبت الهمزة وأدغمت اللام في التي تليها، والسؤال: ألا يتنافىٰ هٰذا مع كون أسماء الله عظيمة؟

**الجواب**: لفظ الجلالة واسم الله: (الله) اختلف العلماء فيه؛ هل هو مشتق أم هو غير مشتق؟ والخلاف واسع.

والذي يرجحه جمع كثير من المحققين وهو المعتمد عند أئمة الدعوة رحمهم الله تعالىٰ أن لفظ الجلالة مشتق، ومعنىٰ كونه مشتقا أن اسم الله دال علىٰ المعبود بحق دلالة مطابقة؛ يعني أنَّ كلمة الله أصلها الإله والإله هو المعبود.

وأما الذي يقول أنه ليس بمشتق فيقول: إن الله علم علىٰ الذات -ذات الرب جل وعلا- وليست فيه معنىٰ.

والقاعدة عامة عندنا أن اللغة في الأسماء لابد أن تكون دالة علىٰ معاني، الاسم يكون دال علىٰ معنىٰ،

أسماء الله الحسنىٰ دالة علىٰ معاني فيها، فليس ثَم اسم ليس له دلالة علىٰ معنىٰ، والدلالة علىٰ المعنىٰ تارة تكون دلالة جامدة وتارة تكون دلالة مشتقة.

وهٰذا في اسم الله الأعظم أو اسم الله (الله) لفظ الجلالة العظيم هٰذا مشتق من إلٰه؛ لأن العرب تُسهل في مثل هٰذا كثيرًا.

والبحث فيه بحث نحوي وصرفي وأَكْثَرَ العلماء منه.

المقصود منه -من الجواب- أن اسم (الله) مشتق ولا ينافي من هٰذا تعظيم لفظ الجلالة؛ لأننا كما نقول: إن الجبار يتنوع إلىٰ عدة معاني أو يدل علىٰ عدة معاني ومشتق من كذا، واسم الله العظيم مشتق، واسم الرَّحمٰن مشتق من الرحمة، وهكذا.

فالذين يقولون: إن الاشتقاق ينافي التعظيم هٰذا ينخرم الكلام فيما أوردوه بجميع الأسماء الحسنىٰ، فأسماء الله الحسنىٰ كلها مشتقة، والاسم (الله) مشتق من الألوهة وهي العبادة؛ لأن الله عَلَمٌ علىٰ المعبود بحق.

... هٰذا بحث آخر؛ يعني هل تظن أن أسماء الله جل وعلا هي قبل اللغات؟

لا، اللغات دالة علىٰ أسماء الله جل وعلا وصفاته، كما تدل اللغات علىٰ أشياء أخر، ولا يعني هٰذا أنها مواضعة؛ أنَّ الناس اصطلحوا عليها، ليس كذلك؛ لأن الله جل وعلا: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[البقرة:٣١]، فالأسماء ومن ضمنها أسماء الله جل وعلا معلمة، وكذلك في اللغات دلالة الكلمة علىٰ أنها اسم من أسماء الله هٰذا بالتعليم، وليس العباد الذين يضعون أسماء لله جل وعلا، فهٰذا لا يعني أن أسماء الله جل وعلا بالمواضعة -يعني بالاصطلاح-، الناس وضعوها واشتقوا هٰذا من هٰذا إلىٰ آخره، يعني أنهم هم الذين فعلوا ذلك، لا، أسماء الله جل وعلا، الله سبحانه لم يزل له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلا قبل أن يخلق الخلق.

.. هٰذا علىٰ كل حال بحث لغوي طويل، لا أظن يسع مثل هٰذا المقام أن يُفَصَّل فيه، اللغات في نشأتها، كيف نشأت اللغات؟ اللغة العربية كيف نشأت؟ هل آدم عليه السلام كان يتكلم باللغة العربية؟ ما قبل إبراهيم عليه السلام هل كان يتكلم باللغة العربية؟ نوح عليه السلام هل كان يتكلم باللغة العربية؟

الله جل وعلا جعل من آياته اختلاف الألسن والأنواع، فأصل اللغات أسماء علمها ربُّنا جل وعلا آدم، ثم حصل هناك أنواع من الاشتقاق وتداخل الناس لما تفرقوا في اللغات، اللغات بعضها يأخذ من بعض، وعند العلماء المعاصرين يعني علماء اللغة، علماء فقه اللغة وخاصة اللغات السامية دلتهم البحوث والكتابات القديمة التي وجدوها في الجدران وفي الآثار القديمة علىٰ أن مجموعة من الكلمات كانت مشتركة ما بين اللغات، وهٰذا طبعا يدل علىٰ أن أصل اللغات واحد، وهٰذا لا شك فيه، ثم بعد ذلك بدأت تتوسع اللغات وتختلف.

فلهٰذا جاء في الحديث «**أول من فُتق لسانه عن العربية الفصحىٰ إسماعيل عليه السلام**»، فُتِقَ اللسان،

من الذي فَتَقَ اللسان؟ يعني هٰذه القواعد التي أوردها العلماء -قواعد النحو- هٰذا استنتاج، لا يُتصور أن قواعد النحو أن العرب اجتمعت في مؤتمر عام وطلبوا أن يضع قواعد في لغتهم، مُو موجود.

كذلك أغرب منه في العلل والاشتقاق، ولهٰذا قال بعض العلماء في العلل الضعيفة هٰذه أضعف من علة نحويّ؛ لأنها مستنتجة.

فإذا قال العالم أنَّ مثلا تقول: محمد قادم، ثم تقول: لمحمد قادم، ثم تقول: إنَّ محمدا لقادم.

محمد قادم خبر، أُكد باللام الذي هو لمحمد قادم، واللام هٰذه هي لام التأكيد يعني الابتداء لها حق الصدارة، إن محمدا لقادم، هنا أُخّرت لذلك سميت المزحلقة؛ لأنها زُحلقت من المبتدأ حينما كانت فيه -لمحمد قادم- إلىٰ الخبر فصارت -إن محمدا لقادم-، هنا لماذا حصل هٰذا؟

يأتي النحاة ويوجهون ذلك، وثَم كتب كثيرة في علل النحو، وهي عدة مدارس في تعليل الأحكام النحوية، من تعليلاتهم يقولون: إن العرب من عادتها أن تكرم الضيف، فلما أتت اللام ضيفا علىٰ محمد قادم كان لها حق الصدارة، فلما أتىٰ الضيف الجديد إن تأخرت اللام؛ لأنها كانت في الجملة موجودة وتأخرت وتقدمت إن، هٰذه كلها التماسات.

كذلك إذا قال: كان لماذا كان نصبت الخبر ورفعت الاسم؛ لأنها مشبهة بالفعل وهي فعل ماضي ناقص، وكذلك أخواتها.

إن وأخواتها؛ إن وأن وليس إلىٰ آخره، طيب هٰذه انعكست فيها القضية؛ مُخالِفةً لـ(كان)؛ لأنها تقعدت كان وهٰذه وهٰذه بعضها يشبه بعضا، يعني كان وأخواتها وإن وأخواتها بالدخول علىٰ الجملة الاسمية ففرقوا بينها.

إذن كل هٰذا نخلص به علىٰ شيء مهم جدا في علم اللغة وهو: أنَّ صنعة العلوم إنما أتت بعد انتهاء اللغة، فإذن هي التماس، إذا قال لك عالم: إن كلمة (الله) كانت إلٰه ثم أُدخلت، هٰذا من جهة التحليل، لا أن العرب صنعت ذلك علىٰ مراحل؛ لكن هٰذا من جهة التحليل، يقول لك: ولكثرة الاستعمال صارت كذا. يعني هٰذا من جهة التحليل؛ يعني اعكس المسألة وقل: لأن لفظ الجلالة الله موضوع لكثرة الاستعمال فجاء علىٰ لفظ الله ولم يأت علىٰ لفظ الإله؛ لأنه موضوع لكثرة الاستعمال، وهٰذه تجدها قاعدة في اللغة.

ولهٰذا يخطئ بعض الذين يعتنون بمباحث الاشتقاق ويستغربون بعضها من هٰذه الجهة، يظنون أن العرب اجتمعت ووضعت للغتها قواعد، والصحيح الذي لا ينبغي المحيد عنه: أنه ليس ثَم وضع في اللغة. وعلم الوضع الذي يسمىٰ علم الوضع إنما هو تقريب للعلوم التي صُنفت في هٰذه الأمة، وليس هو وضع العرب، العرب ما اجتمعت، العرب متفرقة، العرب كانت في اليمن ثم تفرقت، والعرب القديمة يعني العرب العاربة ثم العرب المستعربة تفرقت، واللغة بدأت تتدرج وتنمو وتصل إلىٰ مراحل في نموها.

فاللغة مثل الإنسان، اللغة مثل الإنسان، مرَّ به طفولة، ثم مرَّ به شباب، ثم مرّ به فتوة وقوة ثم يمرُّ به اكتهال إلىٰ آخره، فهٰذه اللغات تمر بهٰذه المراحل.

أما اللغة العربية فثبتت وقويت ولم تمر بها فترة الكهولة التي تسمىٰ فترة الكهولة؛ لأن فيها القرآن، القرآن هو الذي أبقاها حية قوية في شبابها.

فلهٰذا كل ما تراه من التعليلات عند النحويين أو الذين يعتنون بالنحو ويوغلون فيه بحثا هي كلها في ظنهم أنهم فيما يستبعدون أو يقبلون أن المسألة ليست هكذا وإنما هي هكذا، كيف يكون إلٰه؟ أو كيف يشتق هٰذا من هٰذا؟ العرب ما اشتقت هٰذا من هٰذا، وإنما الوضع الأول هو كذا، الوضع الأول في الأسد هو كذا، الوضع الأول في الجناح هو في الطائر، من الذي يقول هٰذا؟ كل هٰذا من الذي يقوله؟ يقولون الجناح للطائر من الذي قال أن الجناح للطائر؛ من؟ هل ثَم برهان؟ لذلك يكون عند قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾[الإسراء:٢٤] يقولون استعارة؛ لأن الجناح للطائر استعير للإنسان استعارة يعني استعارة مجاز، من الذي قال: إن العرب وضعت الجناح للطائر، من؟ واضح.

فإذن الذين يبحثون المباحث اللغوية -هٰذه تنتبه لها-؛ لأن من أوغل في المباحث اللغوية دون معرفة لأصولها والتحقيق فيها قد تدخل عليه إشكالات في العقيدة، لهٰذا اعتنىٰ المعتزلة بالمباحث اللغوية لصدّ كثير من الناس عن الحق في مسائل الاعتقاد، ظنّا منهم أنهم حققوا المسائل العقدية.

فينتبه إلىٰ هٰذه القاعدة أنّه لا يُتصور بالقواعد التي وُضعت في هٰذه الأمة -القواعد العلمية في النحو أو في الأصول أو في أي فن من الفنون أو في المصطلح أنها وُضعت هكذا باجتماع واتفق العلماء علىٰ هٰذا، لا، هي التماس ولهٰذا المجتهد إذا بلغه في الاجتهاد مبلغا عظيما وصارت عنده آلات الاجتهاد له أن يخالف.

ابن جرير الذي ذكرتَ أنتَ المثال عنه، ابن جرير لا يمثل مدرسة البصريين في النحو، ولا يمثل مدرسة الكوفيين في النحو، وإنما له مدرسة مستقلة في تفسيره؛ تارة يذهب إلىٰ هؤلاء وتارة يذهب إلىٰ هؤلاء، عندما يملي عليه الراجح أو ما يسمعه ربما يحفظه من كلام العرب.

كذلك في القراءات ما عنده شيء اسمه قراءات سبع ولا قراءات عشر، وإنما عنده قراءات أنصاف، لماذا يصنع هٰذا؟ لأنه لا يتقيد بمصطلحات أهل العلم وبمواضعات أهل العلم، نحن إذا تقدمنا في العلم ترىٰ أنك تمرُّ علىٰ العلم، وترىٰ أن العلم يسبح في قرون، يسبح في القرون هكذا بين مد وجزر، في صنيع أهل العلم؛ لكن هل هٰذا هو العلم أو هو وضع لقواعد العلم؟ هو وضع لقواعد العلم؛ لأن العلم موجود قبل ذلك، العلوم موجودة قبل ذلك؛ العلوم اللغوية والشرعية والحديث كلها موجودة قبل ذلك، وإنما وضعوا القواعد، ووضع القواعد هٰذا هل هو إجماع أو اجتهاد؟ اجتهاد؛ ليس ثَم قواعد علم من العلوم مجمع عليها، وإنما تجد في العلم ما هو مجمع عليه؛ في النحو فيه مسائل مجمع عليها، في الفقه فيه مسائل مجمع عليها، في المصطلح فيه مسائل مجمع عليها، في الأصول ثَم مسائل مجمع عليها، وتجد أن

المسائل مجمع عليها في كل فن قليلة.

إذن ننتبه إلىٰ أنَّ التعليلات التي تجد في العلوم المختلفة إنما هي التماس هٰذه تعتمدها.

فإذن الذي أتىٰ يحلل لك هي التماس، قد يكون صاحبه مصيبا في التماسه وفي تعليله، وقد لا يكون كذلك.

مثلا الكلمة المشهورة أو البحث عند قوله تعالىٰ: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَانِ﴾[طه:٦٣]، ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَانِ﴾ في قراءة سبعية متواترة ﴿إِنَّ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَانِ﴾، طيب (إِنَّ) تنصب الاسم، لماذا ما صارت إن هذين لساحران؟ بدؤوا يعللون منهم من يخطئ، يقارن، هٰذا غلط علمي كبير، لماذا؟ لأنك تحكم قواعد وضعها النحاة في الحق المطلق الذي هو القرآن؛ لأنها قراءة متواترة هي الحق، يجب أن تبحث في القواعد لا العكس، فالقواعد اصطلاحية.

يأتي في «مسند أبي يعلىٰ» في مطالعتي عند حديث قال فيه النبي عليه الصلاة والسلام: «**إنّ هٰذان لشيطانان**» في الحديث الذي في المتن قال: إن هذين لشيطانان-لأني بحثت في الآية، وأعرف كلام المحققين عليها وما يتعلق بها-، استغربت (إن هذين لشيطانان) يخرم القاعدة، وإذا في الحاشية يقول: في الأصل «**إن هٰذان لشيطانان**» وهٰذا يخالف القاعدة النحوية فغيرتها إلىٰ إن هذين لشيطانان.

طبعا سيطرة القواعد النحوية علىٰ الحق المطلق، سيطرة القضايا الاصطلاحية كلها علىٰ الحق المطلق قضية كبيرة في العلم وفي نشأة العلوم وتوسع العلوم.

فطالب العلم ينبغي له يرتقي في هٰذه المسائل ولا يعجل.

فمسائل الاشتقاق في أسماء الله جل وعلا هي من هٰذه البابة، فينبغي أن يُنظر إليها نظرا...

سؤال (١٠٦): هل من نصيحة الذين يتأخرون عن الصلاة؟ جزاك الله خيرا.

**الجواب**: الأخوان الذين لا تدركهم الصلاة ينبغي أن يصلوا في مساجدهم مع الجماعات، ثم بعد ذلك يدركون معنا الدرس، لكن يأتون بعد الصلاة أربع خمس جماعات هٰذا لا يطاق.

فنرجو من المرة القادمة ما نرىٰ جماعات بعد الصلاة، صلوا في المساجد وأتوا إن شاء الله.

**سؤال (١٠٧)**: ما هي ضوابط خوارم المروءة؟

**الجواب**: المروءة ملكة تحمل علىٰ البعد عمّا يشين.

وإذا كان كذلك فالمروءة فيها الخرم.

فخوارم المروءة هي المسائل التي من تعاطاها وقامت به صار مقدوحا فيه عند أهل الإيمان أو عند المستوين -أهل الاستواء في القَسط والاعتدال من أهل الإيمان-، لهٰذا تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة.

لهٰذا مثلا تجد أن أهل الحديث ماذا قالوا؟ بعض أهل الحديث قدح في فلان لأنه رآه مرة يأكل في السوق، وقالوا: الأكل في السوق يخرم المروءة. يعني رآه أمام الناس في الشارع يأكل، أو مثل الآن يأكل

في مطعم مثلا عندهم سابقا هو من خوارم المروءة؛ لكن الآن اختلف الحال فقد يحتاج المرء مثل هٰذه الأشياء ولا يعد خارما لمروءته.

فخوارم المروءة هٰذه تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، فإذا كان هٰذا الشيء لا يفعله أهل المروءة ومن فعله قُدح فيه فهٰذا يعدّ خارما من خوارم المروءة، والعدل من الناس هو الذي يجتنب خوارم المروءة.

سؤال (١٠٨): صلينا لغير القبلة، ثم علمنا بذلك قبل خروج الوقت هل تلزمنا الإعادة؟

**الجواب**: هٰذا فيه تفصيل.

إذا كانت الصلاة صليتم لغير القبلة في الحضر في البلد، لغير القبلة اجتهادًا منكم فإنَّ هٰذا تعيدوا الصلاة سواء كنت في الوقت أو خارج الوقت.

وأما إذا صليت لغير القبلة في البرية باجتهاد منك لعدم وجود محاريب لعدم وجود من يدلك علىٰ القبلة الصحيحة فقد أديت ما عليك ولا يلزمك أن تعيد، سواء في الوقت أو خارج الوقت.

📖 لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا، وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا، فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ ﷻ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَىٰ عَالِمِهِ.

وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَىٰ ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ، فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ، وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ، وَصَحِيحِ الْإِيمَانِ، فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالْإِقْرَارِ وَالْإِنْكَارِ، مُوَسْوَسًا تَائِهًا، زَائِغًا شَاكًّا، لَا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، وَلَا جَاحِدًا مُكَذِّبًا.

---

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ إلٰه وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

اللّٰهمَّ نسألك علما نافعا، وعملا صالحا، وقلبا خاشعا، ودعاءً مسموعا.

اللّٰهمَّ علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما وعملا، يا أرحم الراحمين.

أما بعد..

فهٰذه الجمل من كلام العلامة الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ جاءت بعد الكلام علىٰ الرؤية؛ رؤية الرَّب جل وعلا في الجنة في العرصات فيما سبق لنا شرحه في الدرس الماضي، وأيضا بعد هٰذه الجمل التي سمعنا تكلم علىٰ الرؤية متعلقا بهٰذا البحث قال: (وَلا يَصحُّ الإيمانُ بالرُّؤْيَة لأهْل دارِ السَّلامِ لِمن اعْتَبَرَهَا مِنْهُم بِوَهْمٍ أوْ تأوَّلَها بِفَهْمٍ..) إلىٰ آخر ما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ في الدرس القادم.

هٰذه الجمل التي سمعنا تشتمل علىٰ أصل عظيم من أصول الدين الذي تميز به أهل السنة والجماعة -في مسائل العقيدة بعامة وفي مسائل العمل-.

والعقيدة والعمل مبناهما واحد من جهة الإيمان، وذلك أن العقيدة والعمل الجميع يُعمل به ويُعلم من جهة أنه من الله جل وعلا ومن رسوله عليه الصلاة والسلام، فالكل كلمة الله ﷻ، كما قال جل وعلا ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾[الأنعام]، ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا﴾ يعني في الأخبار، ﴿وَعَدْلًا ﴾ في الأمر والنهي، ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾.

فالشريعة بابها واحد ولا تفريق ما بين باب الاعتقاد وبين باب العمل -يعني الأبواب العلمية والأبواب العملية- من جهة مصدر التلقي وهو الكتاب والسنة ما كان من الوحي، لهٰذا قال هنا رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ ﷻ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَىٰ عَالِمِهِ) وذلك أنّ الأمور -أمور العقيدة في الاعتقاد، وأمور الفقه في العمل- لابد أن يكون ثَم إشكال في عللها أو في القناعة بها ولا مَجال لذلك في الإيمان إلاَّ أن يكون علىٰ ظهر التسليم والاستسلام، وهٰذا ينبني علىٰ مسألة عظيمة من مسائل الاعتقاد والعمل وهي: أنّ الدّين قائم علىٰ البرهان، والأمور التي يتعاطاها النّاس ثلاثة:

- أمور عاطفية؛ يعني برهانها العاطفة الغرائز، يعرف الجوع، يعرف العطش، يعرف الخوف، يعرف الرحمة بعاطفته وفطرته.

- والنوع الثاني برهان عقلي وهي الأمور التي يتعاطاها بعقله فيقيس ويُعَلِّم ونحو ذلك من الأمور العقلية، وهي التي خدمها المنطق بشكل عام.
- والنوع الثالث من البراهين: البراهين الدّينية، والبرهان الدّيني مبني علىٰ مقدمة، وهي مقدمة الاستسلام لمصدر التلقي.

ولهٰذا لا يصحّ أن يُخلط بين هٰذه البراهين، فالدّين ليس مصدره العقل وليس مصدره العاطفة، وإنما مصدره نوع من البراهين، وذلك لم يتكلم عليه الفلاسفة ولا المناطقة وهو البرهان الديني المنبني علىٰ مقدمات دينية بحتة.

وهٰذه المقدمات الدينية الشرعية -في التصديق بها- مبنية علىٰ براهين متنوعة؛ التصديق بوجود الله، استحقاقه للعبادة، التصديق بالرسول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، التصديق بالرسل الآيات التي أوتيها والبراهين، فيما ذكرنا لك كل هٰذه براهين.

وهٰذه البراهين عقلية في أولها ودينية في ثانيها؛ يعني أنّنا حين نستسلم سنستسلم للبرهان الذي استسلمت له الأمم التي قبلنا، فالصحابة رضوان الله عليهم رَأَوا هٰذه البراهين واستسلموا لها بصدق عن قناعة وعن ديانة، ثم بعد ذلك تبعهم من تبعهم في التسليم لأنهم سلَّموا، ثم تبعهم من بعدهم في التسليم لأن من قبلنا سلم في كثير من الدلائل.

ويبقىٰ الدليل العام للشريعة في العقيدة وفي الفقه وهو أنه ما كان في كتاب الله جل وعلا أو في سنة الرسول ﷺ فهو حق وهو البرهان.

وما قبل هٰذا البرهان ثَم براهين أُخر لا مجادلة في هٰذه الملّة -يعني في أتباع الفرق- علىٰ صحة هٰذا البرهان من الكتاب ومن السنة؛ لأن الجميع يُقرّون بهٰذا البرهان ما جاء في كتاب الله وما جاء في سنة رسول الله ﷺ فإنه حق، فإنه هو برهان؛ لكن هل هو البرهان الأول أو هو البرهان الثاني؟ هل يُسلَّط العقل علىٰ الكتاب والسنة أم لا يسلط والعقل تبع؟ ونحو ذلك، هو جاء من جهة الخلط ما بين أنواع البراهين الثلاثة التي ذكرتها لك.

هٰذه مقدمات بين يدي المسائل؛ مسائل البحث.

العقلانيون خلطوا بين البراهين الثلاثة، فجعلوا البرهان العقلي والبرهان الديني واحد؛ بل جعلوا البرهان العقلي متسلطا علىٰ البرهان الديني، وظنّوا أنه إذا تسلَّط عليه وسُلِّط عليه أنَّه لأنَّ العقل به عُرف الشرع به عُرفت صحة الشرع، وهٰذا ليس بصحيح كما سيأتي في رد هٰذه المقالة.

الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ استحضر القسمين معا: استحضر مسائل العقيدة ومسائل الفقه، وجعل هٰذه الكلمات مناسبة لهٰذا البحث -بحث الرؤية-، لهٰذا قال: (**فإنَّهُ مَا سَلِم في دينه إلاَّ مَنْ سَلَّمَ لله ﷻ ولرسُولِه ﷺ**) يعني أنَّه بدأ من حيث إن الكتاب والسنة هما البرهان، بدأ من هٰذه، فإذا صدَّقت وأيقنت أن الكتاب والسنة هما الحق المطلق؛ لأنّها من عند الله جل وعلا -فالسنة وحي-، فإذن الرجوع في البرهان والدليل سيكون إلىٰ

الكتاب والسنة، وإذا كان ثَم شك أو ثَم تردّد فإنّ المرء لا يسلم في دينه؛ لأنّ العقول لأنّ البراهين كما ذكرنا لك ثلاثة:

- برهان عاطفي.
- وبرهان عقلي.
- وبرهان ديني.

والبرهان العاطفي لا ينضبط -عواطف الناس مختلفة-.

البرهان العقلي لا ينضبط؛ لأنّ القائل حينما قال -وهم العقلانيون من المعتزلة والأشاعرة وجماعات- حينما قالوا: العقل ينبغي أن يُقدّم علىٰ الشرع. فالعقل غير منضبط، عقل من؟ هل ثم عقل واحد أُجمع عليه في النظر إلىٰ الأشياء؟ لا، في النظر إلىٰ الكونيات ليس ثَم عقل واحد عند الفلاسفة، اختلفوا في النظر إلىٰ الطبيعيات في الأرض، الذين قدّسوا العقل اختلفوا في مقتضيات ذلك، اتّفقوا علىٰ قاعدة: العقل، لكن عقل من؟ هل اجتمعوا؟ لا، ولذلك اختلف أصحاب المدرسة العقلية إلىٰ أنواع شتّىٰ:

فالجهمية من أصحاب المدرسة العقلية.

والمعتزلة من أصحاب المدرسة العقلية.

والأشاعرة أيضا من أصحاب المدرسة العقلية إلىٰ حد ما، ونحو ذلك.

ولكنهم مختلفون في عقولهم وإدراكاتهم.

إذن فإذا كان البرهان العاطفي غير منضبط، والبرهان العقلي غير منضبط، فإذن البرهان الديني يجب أن يبدأ من المستوىٰ أو يبدأ من المقدمة التي هي ثابتة بيقين، وهٰذه المقدِّمة الثابتة بيقين هي الكتاب والسنة؛ لأنَّ الكتاب وحي الله جل وعلا، وآمنا بذلك عن برهان، وبراهين سبق أن ذكرنا لكم ذلك في الكلام علىٰ الإعجاز وبرهان النبوة في الكلام علىٰ معجزات وبراهين وآيات الأنبياء.

فإذن المقدمة التي يُتّفق عليها ويمكن أن يجمع عليها هي التّسليم والاستسلام للكتاب والسنة.

فإذا كان كذلك كان البرهان الذي يصحّ أن يقال: إنه يُتفق عليه بلا خلاف هو برهان الكتاب والسنة.

ولهٰذا إذا جاء إشكال في الاعتقاد تُرجعه إلىٰ التّسليم لله جل وعلا ولرسوله ﷺ، فالكتاب والسنة برهان صحيح، فإذا لم تُدرك العلة فإنّ ذلك ليس معناه أنّه خلل في البرهان إنما هو خلل في التلقي، خلل في إيضاح ذلك البرهان، أو لأنّ البرهان الذي هو الدّليل لم يوضح لنا هٰذه الأسرار.

كذلك في أمور العبادات الصلوات ليش خمس؟ ليش أربع؟ الفجر ثنتين ثلاث، لماذا الحجّ علىٰ هٰذه الصفة؟ لماذا الطهارة علىٰ هٰذه الصفة؟ كل هٰذه مبنية علىٰ مقدمة من التّسليم، وهو التسليم للكتاب والسنة.

فلهٰذا هٰذا البحث الذي ذكره الطحاوي في هٰذه الجمل يسمّيه بعض المعاصرين تسمية حديثة وهي:

**وحدة مصدر التلقِّي**، فمصدر التّلقي من أهمّ المسائل التي يجب أن يُبحث فيها فإذا اختلفت أنت وأناس علىٰ شيء، فلا بد أن يكون هناك مرجعية في البرهان حتىٰ تنطلقوا منها.

أيضا مرجعية في التلقي، والأمة -كما قلنا- لا يمكن أن يصلح لها أن تتلقّىٰ من الحق المطلق والبرهان المطلق، الذي هو البرهان الديني، الذي هو الكتاب وسنة النبيّ عليه الصلاة والسلام، فما وضح فيهما وما أُبِينَ فيهما وجب اعتقاده والعمل به، وما اشتبه علىٰ المعين علىٰ الفرد -لأنه في الشريعة ليس مشتبه مطلق كما سيأتي في المسائل- إذا اشتبه علىٰ الفرد وجب عليه التسليم.

قال: (**وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَىٰ عَالِمِهِ**) يعني إذا اشتبه عليك شيء ترده علىٰ عالمه؛ لأن الله جل وعلا قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾[آل عمران]، دلت الآية علىٰ أن القرآن مشتمل علىٰ محكم وعلىٰ متشابه وعلىٰ أنّ أهل العلم يقولون آمنا بالمتشابه، ما اشتبه عليه علمه فإنه يرده إلىٰ عالِمه إلىٰ الله ﷻ وإلىٰ رسوله ﷺ.

قال: (**وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَىٰ ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ**) يعني أنَّ من خاض في مسائل الإيمان والإسلام ومسائل الشريعة والعقيدة في الفروع والأحكام، إذا خاض فيها مدقِّقا ليس مستسلمًا، وإنما مناقشا لكل مسألة؛ لم؟ فإنه يُحجب عنه الإيمان؛ لأن هٰذا الدين؛ بل الأديان بعامة مبنية علىٰ الاستسلام للغير، لهٰذا أول إيمان في القرآن هو الإيمان بالغيب ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[البقرة]، فأصل الديانات؛ الدين الذي جاء من عند الله هو الإيمان بالغيب والإيمان بالله جل وعلا بالجنة والنار والملائكة وبمسائل القدر إلىٰ غير ذلك؛ باليوم الآخر بالكتب السّابقة، كل هٰذه مسائل غيب.

فإذن (**لَا تَثْبُتُ قَدَمُ الإِسلام إِلَّا علىٰ ظَهْرِ التَّسْليم والاسْتِسْلَامِ**) فشبَّه التسليم والاستسلام بالأرض الصّلبة التي من وطئها فإنه لا تزلّ قدمه بل تثبت؛ لأنها أرض قوية صلبة، وغير التسليم والاستسلام في مسائل العقيدة وفي مسائل العمل، غير التسليم والاستسلام فإنها أرض دحض؛ مزلة أقدام وإنها موطن متعثر للأقدام لمن وطئها ورضي بها.

**لهٰذا نقول**: إذا تبين لك ذلك فإنّ هٰذه الكلمة أو هٰذه الجمل التي مرت معنا فيها مسائل:

**المسألة الأولى**: أنَّ الناس في تلقّي الشريعة -الناس؛ يعني هٰذه الأمة الفرق جميعًا- انقسموا إلىٰ أقسام:

**القسم الأول**: من كان عقليا محضًا؛ يعني جعل العقل حكمًا علىٰ الشريعة، وجعل الشريعة تابعة للعقليات.

**الثاني**: من جعل الشريعة خالية من البرهان العقلي البتة؛ بل الشريعة جميعا عندهم ليس فيها علل ولا

تعليل بقسميها العقيدة والشريعة.

**الثالث**: من توسّط بين الفئتين، وقال: إنَّ الحكم الشرعي، إنَّ الشريعة العقيدة الأمور الغيبية وكذلك في العمليات: العقل مفيدٌ فيها، والعقل خادم للشريعة وليس حكما عليها، فنستفيد بالعقل في بيان العلل والأحكام وفهم الشريعة واستخراج الأفكار؛ لأن الله جل وعلا جعل القرآن لقوم يعقلون.

هٰذه الثلاث مدارس كبيرة:

- **المدرسة الأولىٰ** يمثلها الجهمية والمعتزلة، والأشاعرة في أصول مباحثهم.
- **والمدرسة الثانية** يمثلها الظاهرية في الفقه وكذلك في الاعتقاد، ويمثلها الأشاعرة والماتريدية في مسائل الأسباب.
- **والثالثة** منهج أهل السنة والجماعة.

وتفصيل هٰذه المدارس الثلاث بحوث تطول نرجئها إلىٰ مواضعها إن شاء الله تعالىٰ.

**المسألة الثانية**: أنَّ التسليم لله ﷻ ولرسوله ﷺ هو تسليم للحق المطلق، والبراهين التي يتعاطاها الناس في العقليات وفي مصدر التلقي هٰذه البراهين تختلف -كما ذكرتُ لك تنقسم إلىٰ أقسام ثلاثة-، والتسليم يعني أن البرهان الديني شرعي يقين، وأنَّ البرهان العقلي ناقص، وأن البرهان العاطفي فطري؛ معنىٰ ذلك أنَّ البرهان الديني يقيني في مقدماته نصل إلىٰ صدق الكتاب وصدق السنة بمقدمات...[1]

يعتمد علىٰ أشياء:

**الأول** يعتمد علىٰ الحس.

**والثاني** يعتمد علىٰ التجربة.

**والثالث** يعتمد علىٰ تصديق اللاحق بالسابق.

① أما البرهان الأول وهو البرهان العقلي الضروري: فالله جل وعلا جعل للإنسان أعضاء سمع بصر لسان؛ يعني جعل له حواسّا كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[النحل]، فهٰذه الثلاث هي التي يسميها الفلاسفة والمناطقة يسمّونها وسائل تحصيل المعرفة، هٰذه وسائل ضرورية حسية؛ يعني بعينك حصل لك البرهان، بسمعك حصل لك البرهان، بيدك لمست الشيء حصل لك البرهان، فالمعرفة جاءت من براهين ضرورية مُحَسَّة ليست خارجة عن المحسوس، ولذلك ما يُجادل أحد في هٰذا بهٰذه البراهين إلا طائفة لا يُعبأ بها يجادلون في الضروريات.

ثم بعد ذلك بُنيت المعرفة من الحسيات من طريق المقارنة بين هٰذه المعلومات التي جاءت بالوسائل الحسية؛ يعني نأتي نقول: هٰذا طويل، هٰذا العمود طويل، الآخر ليس في طوله. عرفنا حجم هٰذا وطوله

---

(١)انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الحادي عشر.

بالعين، فصار الحجم وصار الطول مدركا محسوسا بأمر ضروري، ثم بعد ذلك يُنسب له الشيء آخر، فإذا رأينا ما هو أقل منه قيل: هٰذا أطول، فيأتي آخر وينازع ويقول القصير أطول من الطويل، لا يُقبل، لماذا؟ لأنه المقارنة ما بين هٰذا وهٰذا حَصلت بمقدمات يقينية؛ لأن المقدمات الحسية يقينية، مقدّمة العين أنها حست بهٰذا أنه أطول من ذاك، لا يمكن أن يأتي يجادل ويقول هٰذا أطول، القصير أطول من الطويل؛ لأن هٰذا شيء مدرك بالعين، وهٰذا ينتج في كل المقدمات الحسّية.

وانتبه لمسألة المقدمات الحسّية؛ لأنها أقوىٰ البراهين للضروريات، أقوىٰ البراهين.

تشرب ماء تقول هٰذا بارد يأتي آخر ويقول –إذا كان بارد جدا– يأتي آخر ويقول: هٰذا حار يغلي. لا يمكن، لماذا؟ لأن البرهان عليه الحسّ.

فلان مثلا ملتحي، يأتي آخر، يقول: لا هٰذا حالق لحيته. هٰذا لا يمكن أن يكون ثم لأن البرهان حسّي.

كذلك السمع يقول هٰذا صوت إنسان، قال آخر: لا هٰذا صوت مثلا إيش؟ صوت سيّارة مثلا، لا يمكن، هٰذا يتكلم لهٰذا؛ لأن البرهان جاء سمعي.

وهٰذه تعتمدها هٰذه النقطة لأنها تفيد في قضية الاستسلام.

هٰذا البرهان الحسي هو الذي بنىٰ عليه طائفة من الناس الكلام علىٰ نظرية المعرفة وتكلّموا فيه.

قلنا اعتمدوا علىٰ الحس –يعني أهل العقل–:

- اعتمدوا علىٰ الحس.
- وعلىٰ التجربة.
- وعلىٰ تقليد أو متابعة اللاحق للسابق.

② التجربة ما يصلح للتجربة تكون التجربة برهانا صحيحا له؛ لكن ما لا يدخل تحت التجربة، كيف تكون التجربة برهانا صحيحا له؟ فنقول: الله جل وعلا جعل الخلق علىٰ قسمين، بل نقول؛ جعل الأشياء –أحسن من الخلق– علىٰ قسمين:

- قسم لا تدخله الأهواء لتغيِّر حقائقه.
- وقسم يدخله الهوىٰ ليغيّره.

والله جل وعلا جعل كلماته تامّة ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾[الأنعام:١١٥]، ما لا يدخله الهوىٰ لم تأتِ الشرائع ببيانه، وهو غاص فيه الفلاسفة، وغاص فيه العلماء، وغاص فيه الباحثون، لم تأتِ الشرائع ببيانه؛ لأنه لا يدخله الهوىٰ، واحد زائد واحد يساوي اثنين يساوي ثلاثة يساوي أربعة لم تأتِ به الشرائع؛ لأن هٰذا خلق الله جل وعلا الأشياء واحد زائد واحد يساوي اثنين، خلق الله جل وعلا الجبل فيه من المكونات كذا وكذا، خلق الله جل وعلا الجاذبية علىٰ هٰذا النحو وقوانين الجاذبية علىٰ هٰذا النحو، لا يمكن لهٰذه الأشياء أن تدخلها الأهواء، ولهٰذا لم تتعرّض لها الشرائع، ولم تتعرض لها الديانات، وتُرك إنتاجها والبحث فيها للناس؛ لأن هٰذه سيصلون إليها بالتجربة، سيخطأ المخطئ

وسيصوّب المصيب؛ لأنّ الشيء ماثل أمامهم، ليس لهم هوىٰ في أن يجعلوا معامل الجاذبية كذا يزيدون واحد أو ينقصون واحد من عشرة ما لهم، الهوىٰ ما يدخل في هٰذه المسائل.

التجربة، إذن قلنا: **إن الشرائع جاءت لما فيه إخراج الإنسان من داعية هواه.**

فالأشياء التي يتحكم فيها الهوىٰ جاءت الرّسالات لها، يتحكّم الهوىٰ في علاقات الناس بعضهم ببعض، يتحكّم الهوىٰ في العبادة، واحد يريد أن يخرج من التّكاليف، يريد أن يعمل ما يشاء، يفعل ما يشاء، يقتل، يسرق، يفعل ما يشاء، الهوىٰ يدخل في حرّية الإنسان، يدخل في هل يتعبّد أم لا يتعبّد، في علاقته بأهله، في علاقته بمجتمعه، في علاقته بأسرته، إلىٰ آخره، هٰذه أشياء يدخلها الهوىٰ؛ لهٰذا جاءت الشريعة بضبطها.

إذن فنقول: التجربة في العقليات صحيحة لكن فيما لا يدخله الهوىٰ، أما ما يدخله الهوىٰ فلا تصح التجارب فيه، لابد أن يُتلقَّىٰ من حَكَم يفرض علىٰ [.....] ما تتنازع فيه ويسلمون لها جل وعلا ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[المؤمنون:٧١]؛ لأن الأهواء غير منضبطة، والحق واحد لا يخضع لهوىٰ.

تجارب المجربين تصلح إذن فيما يمكن عمل التجارب عليه....[1]

هل ثَم سلطان للتجربة عليها؟ لا، الأمور الكونية لا مجال للتجربة عليها ولهٰذا قال [العلماء العصريون] في الأمور الدنيوية -الغربيين وغيرهم من الحذاق-: إن المرء كلما أوْغل في العلم بالكونيات كلما ازداد معرفة بأن فيها أسرارا لا تدرك.

ولهٰذا الأمور الكونية صعب أن تخوض فيها بإدراك تام، تجارب لكن ستبقىٰ تجارب، وإذا كانت ليست مسلّمات، فإذن لا يمكن أن نُخضع لها الحق المطلق.

③ النوع الثالث من البرهان العقلي أو المدرسة العقلية التي اعتمدتها المدرسة العقلية: أنَّ المتأخر يسلّم للسابق، يأتي يقول.

انظر مثلا للمعتزلة، المعتزلة في أصلهم سلَّموا للفلاسفة بصحّة أنواع البرهان العقلي، فإذن ثَم تقليد.

المتأخرون سلّموا لمن قبلهم.

الأشاعرة سلّموا للأولين في البرهان.

إذن ثَم تقليد، فقولهم برهان عقلي، وهٰذا عقل؛ لأن الشرائع مبنية علىٰ التقليد، هٰذا غير صحيح منطقيا؛ لأنه أيضا أهل البرهان العقلي يسلمون لأوائلهم الصحة في البرهان، فيبتدئ من برهان الأشعري، الأشعري مثلا بدأ ووصل إلىٰ شيء، فيبتدئ أصحابه من النقطة التي وصل إليها، وينطلقون منها.

فإذن قولهم العقليات تُخْلِي من التقليد ومن التسليم ومن الاستسلام وتطلق الحرية، فهٰذا غير

---

(١) يوجد مسح في الشريط.

صحيح؛ لأنه ما من أحد إلا ويسلم لمقدمات من سبقه، فإذا كان التسليم لبشر ليس معصوما من الخطأ، فالتسليم لمن هو معصوم من الخطأ من جهة البرهان أولىٰ، فإذا كانت المسألة مسألة تسليم واستسلام، فالتسليم لمن لا يخطئ أولىٰ.

لهٰذا تجد أنّ من المتأخرين -حتىٰ في العصر الحاضر من أهل العقليات- تجد أنهم يحيلونك علىٰ شيء؛ لكن هٰذا الشيء بنوه علىٰ التقليد، يقولون طبعا هو كذا، **طبعا** في عُرْفِ من؟ لماذا هٰذا صار **طبعا**؟ لأنه شيء غير مشكوك فيه، لماذا صار غير مشكوك فيه؟ إذا كان المرجع إلىٰ حس فلا مجادلة إلىٰ الحسيات، إذا كان المرجع علىٰ أمور تجريبية أو إلىٰ نظريات فالذي يُحيل الأمور في الاستسلام إلىٰ الدّين أَوْلىٰ فيمن يحيل الأمور في الاستسلام علىٰ أصحاب العقليات؛ لأن أصحاب العقليات يقلد بعضهم بعضا، وأصحاب الديانات صحيح نقول: صحيح المتأخر يسلم للأول براهينه ولكنه يصل إلىٰ برهان يقيني هو الكتاب والسنة، وأما تقليد العقليات فإذا كانت راجعة إلىٰ أشياء صحيحة فهٰذا تسليم لاشك فيه ما نجادل فيه؛ لكنهم في كثير من مباحثهم يتابع المتأخر الأول.

انظر مثلا إلىٰ قضية ترتيب الأفلاك، الناس قرون بل آلاف، منذ بدأ اليونان الكلام علىٰ ترتيب الأرض والشمس والكواكب السبعة في الكون وهم علىٰ نحو ما، إلىٰ وقت قريب تغيّر، هٰذه الأمم آلاف السنين التي مرت من الفلاسفة الفلكيين الإسلاميين والفلكيين اليونان والمدرسة الرومانية إلىٰ آخره، هٰذه الأمم والمدرسة الهندية في الأمور العلمية والفلك، التتابع في الطب كذلك، كلّ هٰذه ألم يسلم المتأخر للأول؟ سلّم له، ظهر الآن أن تلك الأشياء جميعا غير صحيحة، لماذا كانت غير صحيحة؟ لأنهم -كما ذكرنا لك- وضعوا تجارُبا؛ لكن التجارُب صارت علىٰ أمور خارجة عن حيز التجربة الذي يُنتج نتائج صحيحة.

المقصود من هٰذا -هٰذه مسألة عظيمة ما نحب نطيل فيها- هٰذه المسألة راجعة إلىٰ البرهان الحقّ في أنَّ أقوىٰ البراهين هو البرهان الديني.

لذلك نقول لك: هٰذه الثلاثة من الأشياء العقلية:

- البرهان الحسي نقول: صحيح، ما فيه إشكال فيه، وكل المعرفة قامت علىٰ هٰذه البراهين الحسية.
- برهان التجربة منقسم إلىٰ ما يكون ثَم تجربة ناجحة فيه، وما لا تنجح فيه التجربة.
- البرهان الثالث برهان متابعة اللاحق للسابق، هٰذا أيضا لابد يخضع للدراسة لأنه قد يكون الأول مخطئا في برهانه العقلي، كما هي كثير من الأمور العلمية والنظرية، فضلا عن أمور الغيبيات والإلهيات.

إذن نستخلص من هٰذه المسألة الثانية إلىٰ أنّ أنواع البراهين الثلاثة، من قال البرهان العقلي، هٰذا تجده

عند جميع العقلانيين حتىٰ في العصر الحاضر وكثير من....[1] هٰذا المنطق، هٰذا العقل.

فإذن نقول: المنطق أو العقل منقسم علىٰ ثلاثة أقسام:

- شيء حسي.
- تجربة.
- فيه أشياء فيها تقليد.

كيف عرفت أنّ هٰذا المنطق؟ قال: فلان. فيحيله علىٰ من قبله، فإذن تكون المناقشة مع من قبله، إذن تبقىٰ المسألة خاضعة لبحث ورد.

أما المصدر المتيقّن بمقدماته هو مصدر الكتاب والسنة، وما ذكرتُ لك وبرهان كون الكتاب من عند الله جل وعلا تقدم، برهان وجود الله جل وعلا معروف، برهان النبي؛ برهان النبوة متقدم.

**المسألة الثالثة**: قوله: (وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَىٰ عَالِمِهِ) كلمة الاشتباه والمشتبه معناها ما لا يُدْرَكُ معه العلم، ويقابَل ما بين المحكم والمتشابه، والله جل وعلا جعل القرآنَ محكما ومتشابها؛ يعني صيّر القرآن محكما ومتشابها، والقرآن يصحّ أن يقال: إنه محكم كله، وإنه متشابه كله، وإنه محكم ومتشابه. فالقرآن منه محكم ومنه متشابه، والقرآن محكم كله، والقرآن متشابه كله، كل قسم باعتبار.

♦ أما **الإحكام** فالله جل وعلا بيَّن أنه أحكم القرآن فقال: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾[هود:١]، فالقرآن محكم كلُّه ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾[يس]؛ يعني المحكم بأحد أوجه التفسير.

♦ والقرآن أيضا **متشابهٌ كله** كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾[الزمر:٢٣]، فالقرآن كله متشابه؛ لكن هٰذا بمعنىٰ أن بعضه يشبه بعضا؛ لأن المسائل محدودة وبعضه يشبه بعضا؛ هٰذا قصص في سورة وقصص في سورة وقصص في سورة، هٰذا الكلام علىٰ الإيمان والإيمان والإيمان، والكلام علىٰ الجنة والنار في سور مختلفة، في صفات الله، وأسماء الله جل وعلا فهو متشابه.

♦ ومنه **محكم** ومنه **متشابه**، وهٰذا هو الذي أشار إليه الطحاوي في هٰذا الموضع قال: (وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَىٰ عَالِمِهِ)، منه محكم يعني ما معناه واضح للجميع، ومنه متشابه ما يشتبه معناه علىٰ البعض.

وإذا تبين ذلك، فليس ثم في القرآن إذن متشابه علىٰ كل أحد، ليس ثَم في القرآن متشابه مطلق، نقول: هٰذه المسألة متشابهة يعني لا أحد يعلمها، في القرآن آية لا أحد يعلم معناها، هٰذا مستحيل؛ لأن الله جل وعلا جعل القرآن محكمًا كله، وجعل منه محكم ومنه متشابه، والراسخون في العلم يعلمون المتشابه الذي في المعنىٰ.

أما المتشابه النسبي فنعم، هٰذا المتشابه النسبي ما معناه؟

---

(١) يوجد مسح في الشريط.

هو أنه ما من شيء إلا ويشتبه عليّ أو عليك أو علىٰ فلان، ليس ثم أحد بعد النبي ﷺ علم كل شيء، علم كل القرآن، علم كل السنة، لابد أن يشتبه عليه شيء، بمعنىٰ أن يستسلم لبعض الشريعة لأنه لا يعلم المعنىٰ، وقد جاء عن أبي بكر ﷺ أنه قال عند قوله تعالىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾[عبس] قال: أي سماء تظلّني وأي أرض تقلّني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

فإذن عند قوله تعالىٰ مثلا: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[الكهف:٢٢] كم عدة أصحاب الكهف؟ متشابهة؛ يعني أنا لا أعلم، أنت لا تعلم، ابن عباس ﷺ حينما جاء إلىٰ هٰذه الآية قال: أنا من القليل الذي يعلمه. لأنه متشابه نسبي.

فإذن الذي يقول: إن في القرآن متشابه مطلق علىٰ كل أحد، هٰذا غير موجود لا في العقائد ولا في العمليات؛ لكن هناك متشابه علىٰ الجميع وهو الكيفيات؛ كيفيات الأشياء، كيفيات الغيبيات، ولهٰذا قال كثير من السلف: إن الوقف علىٰ لفظ الجلالة في آية آل عمران ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٧]؛ يعني تأويل الآيات، تأويل المتشابه المحكم ما يعلمه إلا الله في أمور الكيفيات، في أمور تمام المعنىٰ، في الجنة جاءت صفتها نعلم معنىٰ الأنهار ومعنىٰ الشجر؛ لكن كيفية ذلك هٰذا مشتبه علينا.

لذلك نقول: الاشتباه نسبي، أما الاشتباه المطلق لا يوجد.

فإذا كان كذلك: لزم أن رد علم ما اشتبه علينا إلىٰ عالمه، نقول: الله أعلم، لهٰذا قال من قال من أهل العلم: إذا ترك العالم الله أعلم أُصيبت مقالته، وفي رواية قال: إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقاتله. لأنه لابد أن يشتبه عليه شيء.

**إذا تقرر لك ذلك**: فإنّ الاشتباه الحاصل يكون في العقيدة وفي الشريعة، فكلّ ما لا تعلم علّتَه أو حكمته أو السِّر فيه فهو متشابه؛ فسلِّم للشريعة، سلِّم للكتاب والسنة الحق وأيقن بذلك ورُدَّ ما اشتبه إلىٰ عالمه.

مثلا في العقائد يأتينا أنواع الاشتباه، في العقائد في مسائل الغيبيات، واحد يشكل عليه في مسائل الغيبيات أشياء؛ أمر الجنة، أمر النار، أمر الناس كيف يعذّبون في النار بعد الموت، تأتيك أسئلة، تأتيك أسئلة كثيرة، هٰذه الأسئلة، الرؤية مثل التي ذكر، كيف يرىٰ الفرد المؤمن بقواه المحدودة يرىٰ الرب جل وعلا الذي السَّمٰوات مطويات بيمينه وهو سبحانه وسع كل شيء رحمة وعلما، كيف يكون؟ ما يتحمل العقل ذلك، العرش كيف أنّ السَّمٰوات السبع كدراهم سبعة ألقيت في ترس، كيف أن الكرسي وسع السَّمٰوات والأرض؟ كيف الماء وكان عرشه علىٰ الماء؟ تأتي مثل هٰذه الأسئلة لا تدركها.

فإذا جاء عدم الإدراك في مسائل الإيمان بالغيبيات فيجب أن تُسَلِّم إلىٰ عالمه، القدر لم كان كذا؟ لم قضىٰ الله كذا؟ لم أغنىٰ الأغنياء؟ لم أفقر الفقراء؟ لماذا أمرض؟ لماذا أصاب بكذا؟ إذا بدأت الأسئلة فيأتي بدأ الاعتراض ويُحرم المرء كما سيأتي في الجملة التالية.

فإذن تحتاج إلىٰ الاستسلام في العقائد أعظم الاستسلام؛ لأنها مبنية علىٰ الغيبيات، فالأمور الغيبية برهانها إذا استسلمت للبرهان أصبت، الأمور الغيبية مبنية علىٰ برهان، هل هو البرهان للغيبي نفسه؟ لا،

هو برهان لبرهان الغيبيات، برهان الغيبيات هو القرآن والسنة، عندنا برهان لصحة القرآن والسنة، هٰذا برهان واضح صحيح؛ لكن البرهان علىٰ الغيبيات بأفرادها ما عندنا، لكن عندنا برهان علىٰ البرهان الأصلي وهو الكتاب والسنة.

بالنسبة لأمور العبادات والفقه تأتي مسائل العلل؛ التعليلات، الشريعة معلّلة ولاشك، والله جل وعلا جعل الأحكام الشرعية منوطة بعللها، لكن من العلل ما ظهر ومنه ما لم يظهر، لهٰذا تجد أن بعض العلماء يعبر عن مسائل العلل في العبادات بأن علته قاصرة، تارة يقول: فإن العلة تعبدية. وهناك علل معروفة.

فإذن إذا جاءتك المجاهيل في أمور العبادات فإنك تُسَلِّم دون خوف؛ لأنه ثَم أشياء تغيب عن العبد.

**المسألة الرابعة والأخيرة**: قال: (وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَىٰ ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ)، التسليم والاستسلام هما دين الإسلام، فإن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

فإذن دين الإسلام هو دين الاستسلام، ولهٰذا كل الأنبياء دينها الإسلام يعني دينها الذي دعت إليه الاستسلام، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩]، نوح عليه السلام بعث بالإسلام، وعيسىٰ بعث بالإسلام، وموسىٰ عليه السلام بعث بالإسلام، الذي هو الدين العام؛ لكن الشرائع مختلفة، ودين محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ الذي بُعث به هو الإسلام العام الذي اشترك فيه مع جميع الأنبياء والمرسلين والإسلام الخاص الذي هو شريعة الإسلام، كل هٰذه لا تثبت إلا علىٰ قدم التسليم والاستسلام؛ يعني أن من لم يستسلم فهو شاك والشاك ليس بمسلم؛ لأن أصل الديانة مبنية علىٰ التسليم، فإذا شك في أمر يجب الإيمان به، فإن الإيمان يجب أن يكون عن يقين، لا تنفع لا إلٰه إلا الله إلا بيقين، لا تنفع محمد رسول الله إلا بيقين، لا ينفع الإيمان بالجنة والنار إلا بيقين كما جاء في حديث عبادة «**وأن الجنة حق وأن النار حق**»، فلا بد من اليقين بذلك بدون تردد، فإذا جاء الشك والارتياب وعدم التسليم والاستسلام، هٰذا معناه أن الإسلام غير قائم.

في بعض الناس يكون الشك لطلب الحقيقة، هو يبحث عن جواب، وهٰذا لا يقدح في دينه؛ لأنه قد يعرض للمرء؛ لكن يجب أن لا يُظهره بل يكتم ذلك ويسأل عنه من يثق بعلمه حتىٰ يزيل الشبهة، فمعنىٰ ذلك أنَّ عدم الاستسلام والتسليم ينقسم إلىٰ قسمين:

♦ الشك المستمر الذي يستكين له صاحبه، وهٰذا خلاف اليقين الواجب، وهٰذا ليس بمسلم، عنده الشك في الغيبيات وعنده الشك في الجنة، شك في النار، شك في صدق الرسالة، شك في القرآن، هٰذا ليس بمسلم.

♦ القسم الثاني عنده شك في بعض الأفراد؛ مسألة في السنة، مسألة في القرآن، ليس الشك في الأصل، إنما عنده شك في الأفراد، فهٰذا يجب عليه أن لا يستسلم لهٰذا الشك، وأن يبحث عمّن يزيل عنه الشبهة.

نكتفي بهٰذا.

[الأسئلة] نجيب عن بعض الأسئلة، سؤالين في الموضوع، إذا كان في الموضوع.

سؤال (١٠٩): ...

**الجواب**: لا يجوز أن يقال: إنه في عصر من الأعصار خلت الأمة من قائم لله بالحجة يعني من عالِمٍ للمعنىٰ.

سؤال (١١٠): هل اتباع ما لا علة عقلية له أعظم أجرا من اتّباع ما دل النقل والعقل عليه؟

**الجواب**: لا، من كان بالتسليم وبالبرهان فهو أعظم. والتسليم والبرهان، البرهان بأنواعه.

سؤال (١١١): ...

**الجواب**: يستغفر ربه ويتوب لأن هٰذا ما عنده شك في الأصل مؤمن؛ لكنه عصىٰ ربه فيتوب.

سؤال (١١٢): كيف يكون البرهان بالتجربة في أمور العقيدة؟

**الجواب**: الدرس ما أدري فُهم أو ما فهم.

المقصود العقيدة هٰذه برهانها ديني، والذي قد قلنا حس وتجربة ومتابعة هٰذا البرهان العقلي، واضح؟ هٰذا تأصيل مهم في منهج التلقي ومعرفة الدليل والاستسلام له لأنه ما يسوغ أن يقال في علم العقيدة بالخصوص أن يكون غير مبرهن، العقيدة ليست قضايا نظرية! لا، برهانية لكن نوع من البرهان، برهانية واضحة مثل هٰذه اللّمبة التي أمامنا مثل الشمس في رابعة النهار، ما عندنا شك في ذلك؛ لكنها بأنواع البرهان الذي ذكرت.

نكتفي بهٰذا القدر، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

## الدّرس الرَّابع عشر

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي مَنَّ علىٰ عباده بالهداية [....] ﷺ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ إلٰه وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

[الأسئلة]

**سؤال (١١٣)**: فهٰذا سائل يقول: ذكر ابن التّين في «شرحه للبخاري» في مسألة إثبات اليدين لله جل وعلا: أن يدي الله جل وعلا لا توصف بأنها جارحتان وذكر خلافا، هل إثبات اليدين يقتضي كون أنهما جارحتان، أرجو توضيح ذلك؟

**الجواب**: أن معتقد أهل السنة والجماعة مبني علىٰ متابعة الكتاب والسنة، وعلىٰ أن لا يُتجاوز القرآن والحديث، نُمر ما جاء علىٰ ظاهره لا نتجاوز القرآن والحديث، فإثبات صفة اليدين لله جل وعلا، هٰذا لأنها جاءت في القرآن وفي السنة، كما قال جل وعلا: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[المائدة:٦٤]، وكما قال جل وعلا في سورة ص: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:٧٥]، وكما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾[يس] ونحو ذلك من الآيات، وفي السُّنّة أيضا أحاديث كثيرة في هٰذا الباب.

**فإذا تقرر ذلك**، فإثبات صفة اليدين لله جل وعلا لا يُتجاوز فيه ما جاء في الكتاب والسنة، فلا نقول: اليدان جارحتان، ولا نقول اليدان كأيدينا، ونحو ذلك مما فيه مجاوزة، اليد معروفة كلّ يعقل معنىٰ اليد؛ لكن لا تشبّه يد الرَّحمٰن جل وعلا بيد عباده؛ بل علىٰ قاعدة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ]، فإثبات الصفات إثبات وجود وإمرار علىٰ ظاهرها لما اشتملت عليه الصفة من المعنىٰ، لا إثبات كيفية، فلا ندخل في الصفات متوهمين بأوهامنا ولا مجتهدين بآرائنا؛ لأن الباب باب غيبي لا يخاض فيه بالآراء والأوهام، وهكذا كل صفات الرب جل وعلا مثل صفة الوجه صفة العينين وصفة السمع والبصر وصفة الإتيان والمجيء والاستواء والرحمة والرضا والغضب، وسائر صفات الرب جل وعلا كلها تثبت؛ لأنها جاءت في النصوص جاءت بالحق المطلق بالكتاب والسنة، وما لم يأت بالكتاب والسنة فلا نثبته ولا نطلقه علىٰ صفات الله جل وعلا إذْ ذلك زيادة علىٰ ما علمنا، والله جل وعلا قال ناهيا: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[الإسراء:٣٦] فمن زاد علىٰ ما جاء بالنصوص في الصفات فقد قفا ما ليس له به علم.

**سؤال (١١٤)**: ما هو ضابط الجمع في المطر؟

**الجواب**: النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لم يصح عنه أنه جمع في المطر، وإنما جاء في «صحيح مسلم» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ جمع ثماني وسبعا -يعني جمع الظهر

والعصر وجمع المغرب والعشاء- من غير خوف ولا سفر. في رواية أخرىٰ: من غير خوف ولا مطر.

وإذا تبين ذلك فإن هٰذا النّفي فهم منه العلماء أن السّفر والمطر والخوف تُبيح الجمع؛ لأنه قال جمع من **غير** خوف ولا سفر، من غير خوف ولا مطر، فهٰذا يدلّ علىٰ أن المطر مشروع الجمع له، والسفر مشروع الجمع له كما هو معلوم، والخوف مشروع الجمع له، وهٰذا بالمفهوم.

وهٰذا المفهوم يحتمل أن يرجع إلىٰ جمع الظهر والعصر، والمغرب والعشاء بكل سبب من الأسباب المذكورة، ويحتمل أن يرجع التعليل المعدد إلىٰ واحد دون الآخر؛ لأن المفهوم إذا تعدَّدَ فلا يتعيّن رجوعه علىٰ الجميع إذْ يحتمل أن المجموع يرجع علىٰ المجموع؛ يعني أن الخوف والمطر ترجع علىٰ جمع الظهر والعصر معا والمغرب والعشاء معا، أن السفر والمطر يرجع إلىٰ هٰذا وهٰذا معا.

فلا يتعين في هٰذا المفهوم أن يكون في الحديث دلالة ظاهرة علىٰ أن الجمع يكون بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء بالمطر.

فنُظر في عمل السلف فوجدنا أن الصحابة جمعوا بين المغرب والعشاء فقط، وعمل السلف يحدد المحتملات كما هو معلوم في أن العلة أو المفهوم جاء مركبا راجعا إلىٰ شيء مجموع، ولا يتعيّن رجوع الأفراد إلىٰ المجموع، لهٰذا جاء عن ابن عمر أنه كان يجمع ومعه أمراء المدينة بين المغرب والعشاء جمعوا في ليلة مطيرة.

وإذا تبين ذلك، فضابط الجمع بين المغرب والعشاء في الليلة المطيرة أنْ يكون المطر يشقُّ معه وصول بعض الجماعة إلىٰ المسجد، بعض الناس إلىٰ المسجد؛ يعني إذا كان يبلُّ ثياب بعض الناس الضعاف من المصلين فإنه يُجمع له، أما مجرد نزول المطر فلا يباح الجمع لمجرد نزول المطر، فلا بد من وجود المشقة، والمشقة يعتبرها الإمام، ولا يفترض وجود المشقة في الجميع؛ بل إذا وجدت المشقة في حق البعض جاز الجمع؛ لأن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال للإمام: «**واقتدِ بأضعفهم**» فالإمام يراعي حال المأمومين في طول القراءة وفي الصلاة وفي الجمع إلىٰ غير ذلك.

**وينتبه** هنا إلىٰ مسألة من السنة تخفىٰ علىٰ كثيرين من الناس، وهو أنه إذا نزل المطر الشديد في وقت من الأوقات؛ يعني ودخل الوقت نزل مطر شديد وقت الظهر، نزل مطر شديد وقت العصر، فإنه يباح أو يجوز أن يُصلّىٰ في البيت؛ لأنّ المطر من الأعذار المبيحة -المطر الذي يشق معه الخروج للمسجد من الأعذار المبيحة للصلاة في الجماعة- فإذا وجد المطر فيترك من شق عليه ذلك الصلاة في الجماعة، وهو أوْلىٰ من أن يجمع في وقت الأولىٰ لتوهم نزول المطر في الثانية من دون عذر واضح.

وأيضا من الأمور التي في السنة وقلَّ وجودها أنه يُسن للمؤذن إذا وجد مطر شديد في وقت الأخيرة في الظهر أو في وقت العصر أو في الجمعة أو في وقت العشاء أنه ينادي في الناس بعد قوله:

أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله.

أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله.

لا يقول:

حي علىٰ الصلاة، حي علىٰ الصلاة.

حي علىٰ الفلاح، حي علىٰ الفلاح.

بل يقول: الصلاة في البيوت.

أو يقول: صلوا في بيوتكم.

أو: الصلاة في الرحال.

وهٰذا من سمعه فيصلي في بيته عند وجود المطر الشديد، وليس مجرد وجود المطر أو المطر الذي لا يشق معه إذا وُجد المطر الشديد ووجد وحل أو الطريق مملوء بالأمطار ويُفسد علىٰ الناس أحذيتهم، يُفسد علىٰ الناس نعالهم، يفسد علىٰ الناس ملابسهم، أو يكون معه مشقة في الوصول بالأرجل، ولو للبعض، فإن هٰذا يباح معه أن يقال؛ بل يسن معه أن يقال: الصلاة في البيوت، صلوا في بيوتكم.

ولكن هٰذه ينبغي أن ينتبه المؤذن لها فلا تقال إلا بأمر الإمام في أوقات يكون المطر فيها شديدا.

**أما** الجمع بين الظهر والعصر فالصحيح عندي لما يدل عليه الحديث وتطبيق قواعد أصول الفقه أنه لا يُجمع بين الظهر والعصر؛ لأنه لم يأتِ دليل بالجمع، والدّليل الذي ذُكر هو حجة الجميع؛[1] من قال يجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء ومن قال يقتصر في الجمع بين المغرب والعشاء الدليل في ذلك واحد.

سؤال (١١٥): قال في سؤاله: إذا ثبت لله تعالىٰ صفة بلفظ معين، فهل يجوز أن يطلق لله جل وعلا مرادف هٰذه الصفة، مثل قول بعض العامة: الله يشوف. يريدون يرىٰ.

**الجواب**: هٰذا إذا كان من باب الخبر فلا بأس؛ لكن من باب إثبات الصفة فلا يجوز لأن الصفات توقيفية.

سؤال (١١٦): ما هو التسلسل الواجب والممتنع والممكن؟

**الجواب**: هٰذا ذكرناه فيما مضىٰ في أول شرح العقيدة الطحاوية ويمكن أن ترجع إلىٰ شرح الطحاوية ففيها تفصيل ذلك.

سؤال (١١٧): ذكرتم مسألة مهمة في تقعيد العلوم، ولكن هل لكم أن تنبهوا الطلاب إلىٰ أنّ معرفة هٰذه لا تعني تطاولهم علىٰ القواعد وعدم الاعتداد بها لأدنىٰ سبب؟

**الجواب**: نعم هٰذه التي ذكرناها ليس تعليما لها؛ ولكنه تنبيه لما سأل السائل عن مسألة لفظ الجلالة هل الأسماء هي قديمة إلىٰ آخره.

سؤال (١١٨): ما رأي الدين في رجل رأىٰ منكرا علىٰ رجل، ولم يستطع تغييره فقال الرجل الذي لم

---

(١) انتهىٰ الشريط الحادي عشر.

يستطع التغيير: أعوذ بالله منك أو قال أعوذ بالله من وجهك. فهل هٰذا السبّ يجوز؟

**الجواب**: الجواب أولا في الأسئلة لا يسوغ أن يقال ما رأي الدين؛ لأن:

المسألة ليست رأيا هٰذا واحد.

والمسألة الثانية لا يُنسب الرأي للدين.

وإنما يقال: ما تقول الشريعة مثلا؟ ما الحكم الشرعي في كذا؟ ما يقول أهل العلم؟ ما الجواب عن كذا؟

ومن رأىٰ منكرا فالله جل وعلا وسّع علىٰ العباد، فمن رأىٰ منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان.

وأما سبّ من وُجد عليه منكر هٰذا اعتداء، وإنما يُنكر عليه، السبّ هٰذه مسألة خارجة، ينكر عليه المنكر، ما استطعت تقف، أما سبه أو الاستعاذة منه، فهٰذا لا يسوغ وإنما يستعاذ بالله من شرّه؛ يعني شر تعدي المنكر إلىٰ من لم يستطع الإنكار، نعوذ بالله من شرك، نعوذ بالله من شرّ ما أنت عليه، نعوذ بالله من سوء عملك، ونحو ذلك، هٰذا حسن؛ لأن النّاس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك الله أن يعمّهم بعقاب منه. أسأل الله السلامة والعافية، وتغيير المنكر بالقلب تغيير إذا علم الله منك أنّك كاره ومنكر، فهٰذا إنكار بالقلب.

سؤال (١١٩): هل التّرضي علىٰ أهل الشجرة دعاء لهم بأن يرضىٰ الله عنهم أو تقرير رضا الله ﷻ؟

**الجواب**: هٰذا سؤال جيد وهو مبني علىٰ أن قول القائل: ﷺ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ. هٰذا دعاء في أصله، فإذا كان قد أُمْتُنَّ عليهم بذلك من الرب جل وعلا فالترضي معناه التحقيق تحقيق ذلك والدخول في تأكيده؛ لأن الله سبحانه منّ عليهم ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح:١٨].

سؤال (١٢٠): الحروف المقطعة هل هي من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، أو يوجد من يعلمه من العلماء؟

**الجواب**: الحروف المقطعة اختلف أهل العلم فيها إلىٰ اثني عشر قولا، وهٰذه الأقوال جماعها قولان:

**الأول** أنه يعلم معناها.

**والثاني** أنه لا يعلم معناها.

ومن قال: يعلم معناها اختلفوا فيها إلىٰ أقوال، والصحيح أن معناها معلوم معروف، وأنه لا يقال: لا يعلم معناها؛ لأنها ذُكرت -كما بينتُ لكم مرارا- ذكرت للتحدّي، فهٰذه الأحرف المقطعة ليست أوائل كلمات، وليس مجموعها يدل علىٰ أسماء الله جل وعلا، وليست أسماء للسور كما هي أقوال مختلفة في المسألة، وإنما هٰذه الأحرف المقطعة هي الأحرف التي يُنشئ بها العرب كلامهم، والتي بها يُفاخرون في إنشاء الأشعار وإنشاء الخطب، فإذا كان كذلك فهٰذا القرآن من هٰذه الأحرف، تكلّم الله جل وعلا بالقرآن

بلسان عربي مبين، فإذا كان كذلك، فتكلموا بمثل هٰذا القرآن أو بمثل عشر سور مثله، أو بمثل سورة، والجميع عجزوا عنه، ولهٰذا هٰذه الأحرف المقطعة الصحيح أنه لا يقال: لا يعلمها إلا الله؛ بل هٰذه الأحرف المقطّعة جُعلت في صدر السّور للتحدّي؛ تحدّي الكفار أن ينشئوا مثل هٰذا القرآن الذي هو من هٰذه الأحرف.

📖 وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ، أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ، إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ تَرْكُ التَّأْوِيلِ وَلُزُومُ التَّسْلِيمِ، وَعَلَيْهِ دِينُ الْمُسْلِمِينَ. وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ، فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ، لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ.

كان وقوفنا في الدرس الماضي عند قوله: (فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ، وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ، وَصَحِيحِ الْإِيمَانِ) هٰذه الجملة فيها النهي عن أنْ يتعدىٰ المؤمن ما عُلِّمَهُ في الكتاب والسنة وأن يقتصر عليه، وذلك لأن ما لم يُعَلَّم إياه من أمر التوحيد والإيمان والعقيدة فإنّ الخير فيما عُلمناه، والتعدي علىٰ ما عُلمناه فيه خوض فيما لم يأتِ لنا به علم وهٰذا منهيّ عنه، كما قال جل وعلا: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[الإسراء:٣٦]، فشيء لم يرد -في أمور الغيبيات- لم يرد في النص في الكتاب ولا في السنة فإنه يُسكت عنه ولا يتكلم فيه، وإذا كان معارضا لما في الكتاب والسنة فيرد؛ لأن الحق فيما قال ربنا جل وعلا وقاله رسوله ﷺ.

فقوله: (فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ) يعني ما لم يأت به علم رام شيئا أراد علما لم يأتنا فيه علم وهو الدليل البرهان من الكتاب والسنة، (وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ) كما ذكرنا لكم أن ثمة أشياء قد تشتبه وواجب علىٰ المسلم أن يسلِّم بما جاء في النص من الأمور الغيبية، إذا لم يقنع بالتسليم الفهم، ورام شيئا محظورا عنه ودخل في أقوال وعقليات وآراء فإن هٰذا الذي فعل يحجِبُه عن خالص التوحيد، قال: (حَجَبَهُ مَرَامُهُ) وهو طلبه لشيء لم يرد فيه العلم، (حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ، وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ، وَصَحِيحِ الْإِيمَانِ)، (خَالِصِ التَّوْحِيدِ) يعني كامل التوحيد، التوحيد الذي لا شيء يكدِّره، خالص، الشيء الخالص الذي لا شيء يكدّره صافي خالص وسامي، فمن بحث في أشياء لم يأت بها العلم الشرعي لم يأت بها الدليل فإن توحيده ناقص، وهٰذا يدلّ علىٰ أن من خاض في المشكّكات واستمر معها متشكّكا لم يسلّم فإنه لابدّ وأن يُحجب عن خالص التوحيد، ولهٰذا قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في «تائيته القدرية»:

وأصلُ ضلالِ الخلْقِ مِنْ كُلِّ فِرقَةٍ ... هو الخوضُ في فعْلِ الإلهِ بعلَّةِ

خاضوا في شيء لم يأت لهم به خبر ولم يأت لهم به دليل، فخاضوا في أفعال الله جل وعلا قال:

وأصلُ ضلالِ الخلْقِ مِنْ كُلِّ فِرقَةٍ ... هو الخوضُ في فعْلِ الإلهِ بعلَّةِ

فإنَّهمُو لم يَفْهَمُوا حِكْمَةً لَهُ ... فصاروا علىٰ نَوْعٍ مِنَ الجاهليَّةِ

فكل من خاض في أشياء غيبية لم يأت بها الدليل فإنه يحجب عن خالص التوحيد، ولهٰذا واجب في مسائل الإيمان أن لا يُتجاوز فيها ما جاء في الأدلة، واجب في مسائل القدر أن لا يُتجاوز فيها ما جاء في الكتاب والسنة لهٰذا جاء في الحديث الصحيح «**إذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا،**

**وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا**» يعني أمسكوا عن أن تخوضوا في هٰذه الأشياء في غير ما علمتم، فمن خاض في شيء لم يعلمه فإنه يحجب عن خالص التوحيد؛ لأنه قد يقوده ذلك إلىٰ الشك وعدم الاستسلام.

قال: (وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ) المعرفة في كلام أهل العلم تتناوب مع العلم، إذا قيل: المعرفة فيراد به العلم، ولهٰذا قسم طائفة من العلماء التوحيد إلىٰ قسمين:

- توحيد المعرفة والإثبات.
- توحيد القصد والطلب.

توحيد المعرفة والإثبات يعني توحيد العلم؛ يعني التوحيد العلمي الخبري، والتوحيد الطلبي الإرادي، والمعرفة إذا كانت بذلك بهٰذا المعنىٰ فلا بأس بذلك، ونبهتكم مرارا علىٰ أن كلمة المعرفة جاءت بمعنىٰ العلم في السنة كما روىٰ أصحاب الصحيح أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال لمعاذ: «**إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن هم عرفوا ذلك**» يعني علموا ذلك وأقرّوا به ونحو ذلك، هٰذا من المعنىٰ الجائز الذي ورد، وأكثر ما جاء في القرآن بل كل ما جاء في القرآن أن المعرفة أضيفت لمن يذم وليس لمن يمدح، كما قال جل وعلا: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾[النحل:٨٣]، وكما قال ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾[الأنعام]، ونحو ذلك من الآيات، وهٰذا سبق بيانه.

فإذن قوله: (وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ) يعني وصافي العلم، فالعلم الصافي لا يؤتاه إلا من سلَّم، وهٰذا أمر عجيب لأنّ العلم الشرعي وخاصة التوحيد يؤتاه العبد بشيئين؛ بشيئين سلوكيين من أعمال القلوب:

**الأمر الأول**: أنْ لا يعترض، فإذا اعترض حُجب.

**والأمر الثاني**: أن يعمل، فإذا تعلم الإخلاص عمل به، تُفتح له من أبواب الإيمان والعلم بالإيمان والإخلاص ما لا يُفتح للآخرين؛ بل المرء نفسه يجد في حاله في تارات من حياته أو من تارات من طلبه للعلم مرة يُفتح له لإخلاص كان عنده وصدق وعمل صالح كان عنده، ومرات يحجب عنه كثير من أنواع الإخلاص وأنواع العلوم القلبية والأعمال القلبية.

فهٰذان الأمران مهمان:

**الأول** عدم الاعتراض.

**والثاني** العمل بمفردات التوحيد ومفردات الإخلاص.

فصفاء العلم يكون بهٰذين الشيئين، حتىٰ الأمور العملية؛ الأمور العملية -أمور الصلاة الأحكام الفقهية من العبادات في المعاملات وغير ذلك-، إذا علمت شيئا فسلمت للدليل، وسلمت لكلام أهل العلم، فعملت بذلك أورثك الله جل وعلا ثباتا في هٰذا العلم الذي علمته وفهما لما لم تعلم، كما قال بعض السلف: من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، وقد قال جل وعلا في سورة النساء: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾، فكان خيرا لهم إذا فعل المرء ما يوعظ به؛ يعني في

القرآن والسنة خير أن تعمل ما وُعظت به وأشد تثبيتا للإيمان وللعلم، ولهٰذا عدم الاعتراض في أمور العقائد والتوحيد علىٰ النصوص يعطىٰ العبد به نور ويخلص توحيده وتصفىٰ معرفته وعلمه ويصح إيمانه كما ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ، وكذلك في الأمور العملية إذا عمل بعد العلم وسلَّم ولم يعترض فإنه يصفىٰ من جهة العمل ويكون إيمانه وعمله داعيا له إلىٰ العلم وإلىٰ الازدياد من العمل. نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا وإياكم من أهل صحة الإيمان وصفاء العلم.

قال: (فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالْإِقْرَارِ وَالْإِنْكَارِ، مُوَسْوَسًا تَائِهًا، زَائِغًا شَاكًّا، لَا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، وَلَا جَاحِدًا مُكَذِّبًا.) وهٰذا كثير في الذين عرضت لهم الشكوك وساروا معها ولم يقنعوا بما دلهم عليه الكتاب والسنة، فإنهم يبقون متشككين حائرين ليسوا مؤمنين وليسوا كفارا، تارة ينزعُ إلىٰ هؤلاء بشكه، وتارة يكون مع أهل الإيمان بتصديقه، وتارة يعرض له التكذيب، وتارة يعرض له التصديق، تارة يعرض له الإقرار وتارة يعرض له الإنكار، فليس في قلبه يقين للحق، ليس في قلبه علم لا شك فيه؛ بل هو متردد بل هو ذو ريب وذو شك، والله جل وعلا وصف المنافقين بأنهم لا يزالون في ريبهم فقال سبحانه: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾[التوبة].

ننبِّه إلىٰ أن قوله: (فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ) والوسوسة ونحو ذلك، هٰذه لها حالات إذا عرضت فلم يتكلم بها العبد، وحتَّم العلم علىٰ قلبه فإن هٰذه الوسوسة دليل الإيمان، كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ لما سئل فقيل له: إن أحدنا ليجد في نفسه أشياء لا يتجاسر أن يتكلم بها قال: «**أو قد وجدتم ذلك، ذلك صريح الإيمان**» يعني أن الشيطان إذا لم يتمكن من العبد إلا أن طرح في قلبه بعض الوساوس فهٰذا يدل علىٰ أنه لم يستطع عليه؛ بل هو مؤمن وهٰذا دليل صريح الإيمان الذي في القلب؛ لكن هٰذا بحق من؟ من تعرض له هٰذه الأشياء ثم ينفيها بالعلم، فإن كل أحد لا يسلم من هٰذه العوارض التي تأتي والشكوك أو الوساوس التي يُلقيها الشيطان لكن صاحب العلم ينفيها ولا يستأنس لها، وأما الذي يستأنس لها ويسير معها ويبحث متشككا حائرا كما ذكرنا ولم يستسلم فإن هٰذا هو الذي وصف هنا بقوله: (فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ) إلىٰ آخره.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هٰذه المسائل التي سمعتموها وما سيأتي تأصيلية، في مسائل التلقي والموقف من العقل، والاستسلام للنص، ووحدة مصدر التلقي، وأن العقيدة مأخوذة بالاستسلام، ونحو ذلك والمباحث العقدية يأتي بعد ذلك بقية ما أورده المصنف.

قال: (وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ، أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ) هٰذا سبق أن ذكرنا الرؤية رؤية الرب جل وعلا والمباحث فيها والرد علىٰ أهل الزيغ فيها وتقرير مذهب أهل السنة والجماعة أهل الحديث في ذلك، سبق أن ذكرنا ذلك بتفصيل.

قال هنا: (وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ) (دَارِ السَّلَامِ) التي هي الجنة ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[الأنعام:١٢٧]؛ لأن فيها السلامة بجميع أنواعها؛ السلامة في البدن والسلامة في القلب، والسلامة

في الخواطر، حتىٰ اللغو لا يسمعون وحتىٰ كما قال: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾﴾[الغاشية]، حتىٰ ما يؤذي السمع فلا يسمع، وخرير الأشجار وحركة الأوراق ألحان في الجنة، فكل ما فيها سلام، وتحية أهلها السلام.

قال: (وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ) يعني أنَّ الإيمان بالرؤية فرض؛ لأن الله جل وعلا ذكره في كتابه وذكره النبي ﷺ في سنته، فهو عقيدة الإيمان بها فرض، فمن تأول الرؤية فلا يصح إيمانه، وهٰذا ليس للرؤية فحسب، ليس في الرؤية وحدها، بل كل من تأول شيئا من الغيبيات فلا يصح إيمانه به؛ لأن الإيمان بالأمور الغيبية إيمان بما دل به ظاهر اللفظ، إيمان بما دل به ظاهر الصفة، إذ كانت قاعدة السلف أمروها كما جاءت لا يُتجاوز القرآن والحديث.

قال: (وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ، أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ)، اعتبرها بوهم؛ من تخيل شيئا ما، (أَوْ تَأَوَّلَهَا) يعني سلَّط علىٰ نصوص الرؤية التأويل قال في التعليل: (إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَىٰ الرُّبُوبِيَّةِ تَرْكَ التَّأْوِيلِ وَلُزُومَ التَّسْلِيمِ)؛ يعني أن التأويل تأويل الرؤيا وتأويل الصفات الحق هو ترك التأويل وهٰذا يأتي بيانه في المسائل، فتأويل الصفات هو ما تؤول إليها حقائقها، والعقل والقلب لا يدرك الغيبيات، فلذلك عدم إدراكه للغيبيات يدل علىٰ أنها علىٰ ظاهرها، فقوله هنا: (وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ) إلىٰ آخره علله بقوله: (إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَىٰ الرُّبُوبِيَّةِ -يعني إلىٰ الرب جل وعلا من الصفات جميعا تأويل ذلك الحق- تَرْكَ التَّأْوِيلِ وَلُزُومَ التَّسْلِيمِ، وَعَلَيْهِ دِينُ الْمُسْلِمِينَ) وهٰذه الجملة من كلامه واضحة المعنىٰ فيما ذكرت لك لكن ينبني عليها لفهم مراده مسائل:

**المسألة الأولى**: في معنىٰ التأويل، التأويل هو ما تؤول إليه الأشياء، آل الأمر إلىٰ كذا؛ يعني صار إلىٰ كذا، والتأويل هو إِيَالُ الأشياء إلىٰ نحو ما، هٰذا في اللغة.

تأويل الرؤية ما تؤول إليه الرؤية، تأويل الطاعة ما تؤول إليه الطاعة ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[1] يعني وأحسن عاقبة، أحسن مآلا.

فإذن كلمة (تأويل) هٰذه اسم مصدر آل الشيءُ، يؤول، إيالا، وتأويلا، فإياله؛ نهايته تسمىٰ تأويله.

**المسألة الثانية**: التأويل في استعمال أهل العلم أو فيما جاء في الكتاب والسنة وفيما جرىٰ عليه كلام العلماء ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

**القسم الأول** التأويل بمعنىٰ التفسير: الكل يشترك في المعنىٰ الأول اللغوي الذي ذكرت لك في المسألة الأولىٰ، الأول التأويل بمعنىٰ التفسير، تأويل كذا يعني تفسيره، ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ ﴾[يوسف:١٠٠] يعني هٰذا تفسير ﴿رُءْيَايَ ﴾، و[ذهب] قول العلماء في تفسير القرآن قول أهل التأويل؛ مثل ما يستعمل

---

(١) النساء:٥٩، الإسراء:٣٥.

الإمام ابن جرير في تفسيره ويكثر منه يقول: قال أهل التأويل. يعني أهل التفسير تفسير القرآن.

**الثاني** تأويل الأخبار وتأويل الأمر والنَّهي: تأويل الخبر ما تؤول إليه حقيقة الخبر؛ يعني أنه إذا ذُكر شيء لك فأُخبرت به فتأويله حينما تراه، كما قال جل وعلا: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ يعني تأويل ما ذكر الله في سورة الأعراف من خبر يوم القيامة من الجنة والنار ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ﴾[الأعراف:٥٣] إلىٰ آخر الآية، قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ يعني ما يؤول إليه حقيقة الخبر وهو ما سيراه الناس، فتأويل كل خبر في الأمور الغيبية هو حقيقته التي هي عليه، فتأويل الجنة هو حقيقة الجنة، تأويل النار حقيقة النار، فهٰذه الأخبار التي اخبر الله جل وعلا بها من الغيبيات تأويلها هي حقائقها في الأمور الغيبية، ولهٰذا قال جل وعلا: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧] علىٰ من وقف عند لفظ الجلالة؛ لأن أحدا لا يعلم التأويل إلا الله؛ يعني تأويل المتشابه، يُعنىٰ بهٰذا التأويل ما تؤول إليه حقائق هٰذه الأشياء يعني ما هي عليه وهٰذه لا يعلمها إلا الله، لا يعلم حقيقة الصفات إلا الله، لا يعلم حقيقة الجنة إلا الله، لا يعلم حقيقة النار إلا الله، لا يعلم حقيقة يوم القيامة إلا الله، لا يعلم حقيقة ما في السماء إلا الله، لا يعلم حقيقة الصراط وأحوال البرزخ إلا الله جل وعلا.

فهٰذه الحقائق لا يعلمها إلا الله؛ لكن المسلم يعلم المعاني في الأمور الغيبية، أُخبرنا في الأمور الغيبية بأشياء لها معنىٰ فنعتقدها، وأما حقيقة ما هي عليه بكمالها من جهة المعنىٰ والكيفية، هٰذه لا يعلمها إلا الرب جل وعلا، لهٰذا صح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: ليس في الجنة من دنياكم إلا الأسماء. يعني أنك تعرف أصل المعنىٰ، أما الحقائق فالمسألة ليست بمقدور الناس أن يفهموا حقيقة ما في الجنة.

حقائق الأخبار إذن، حقيقة الخبر من جهة تمام المعنىٰ ومن جهة كيفية الأمور الغيبية هٰذه لا يعلمها إلا الله، فيكون الوقف عند الآية ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ والراسخون في العلم لا يعلمون تأويل الأخبار بمعنىٰ حقائق الغيبيات علىٰ ما هي عليه من جهة الكيفية ومن جهة تمام المعنىٰ.

أما الأمر والنهي فالله جل وعلا أمر بأوامر ونهىٰ عن نواهي، فتأويل الأمر امتثاله، وتأويل النهي الانتهاء عنه؛ لأن الله جل وعلا قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾[النساء]؛ يعني وأحسن امتثالا لأمر الله جل وعلا وأحسن عاقبة.

فإذن كل من أُمر بأمر فتأويل الأمر؛ يعني ما تؤول إليه حقيقة الأمر أن تمتثله، فمن لم يمتثل فلم يستسلم للأمر ولم يطع في ذلك، تأويل النهي هو ما تؤول إليه حقيقة النهي وهو امتثاله – امتثال النهي يعني أن يجتنب النهي؛ ما نهي عنه–، ثم يزيد علىٰ الأمرين في الامتثال عاقبة أو جزاء الامتثال بالأوامر وجزاء الانتهاء عما نهي عنه بالنواهي.

فإذن التأويل بالأمر والنهي يشمل شيئين:

- يشمل: أن يمتثل الأمر ويجتنب النهي.

- ويشمل: ما سيراه في الآخرة من جزاء الأمر، وما امتثله، ومجازاة العبد علىٰ انتهائه عن ما نهي عنه.

***الثالث*** التأويل بمعنًىٰ حادث لم يأتِ في القرآن وفي السنة، أما الأولان فقد جاءا، لكنه صحيح إذا كان صحيح بضابطه الذي ضبطه به أهل العلم، وهو أنْ يُصرف دليل عن ظاهره لحجة، ويعبِّر عنه الأصوليون بقولهم: صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلىٰ غيره لقرينة. وهٰذا للأصوليِّين فيه تفصيلات حيث أنه ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام؛ لكن هٰذا المعنىٰ من التأويل صحيح؛ يعني أن النُّصوص ربما صرف اللفظ إلىٰ غيره صرفت دلالة الدليل إلىٰ آخر لدليل آخر لقرينة.

**المسألة الثالثة**: هٰذا التأويل الأخير هو الذي به تسلَّط[1]..... وأوَّلوها بالتأويلات، فنصوص الرؤية حرَّفوها وسموا تحريفهم تأويلا، ونصوص إثبات الصفات كالوجه واليدين والرحمة والرضا من الصفات الذاتية والصفات الفعلية جميعا حرَّفوها وسموا تحريفهم لها تأويلا، وهٰذا هو الذي أراده الطحاوي بقوله: (**إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًىٰ يُضَافُ إِلَىٰ الرُّبُوبِيَّةِ تَرْكَ التَّأْوِيلِ وَلُزُومَ التَّسْلِيمِ**)؛ لأن تأويلهم له كان باطلا، وحقيقة التأويل أن يترك التأويل؛ يعني التأويل المطلوب شرعا أن يُترك التأويل، وهٰذا يحتاج علىٰ تطبيق.

فالتعريف، عَرَّف الأصوليون -كما ذكرتُ لك- التأويل بأنه صرف اللفظ -الذي جاء بالدليل- صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلىٰ غيره لقرينة.

هنا القرينة لابد أن تدل علىٰ أنَّ الظاهر غير مراد حتىٰ يُمكن أن يُصرف اللفظ عن ظاهره؛ لأنّ الظاهر هو الأصل، فإذا أردنا أن نؤول الظاهر لابد من قرينة، هٰذه القرينة هي التي بها قلنا: الظاهر غير مراد، فأتوا بهٰذه القرينة وسلّطوها علىٰ نصوص الصفات، فقالوا -هنا الأمور الغيبية هٰذه مثلا خذ الرؤية-: الرؤية ظاهرها يقتضي التجسيم، يقتضي التحيز، يقتضي التشبيه - رؤية الرب جل وعلا-، يعني أنه يكون متحيّزا حتىٰ يمكن أن الناس يروه، لابد أن يكون في جهة حتىٰ يمكن أن الناس يروه، لابد أن يكون بمقابلة العينين حتىٰ أن العينين تراه، وهكذا، فلما كانت هٰذه القرينة العقلية عندهم وهي أنّ الله جل وعلا لا يشبه المخلوق ولا يماثل المخلوق، قالوا: إذن الرؤية تُؤَوَّل لأن معناها الظاهر غير مراد قطعا؛ لأن فيه تمثيلا وتشبيها لله بخلقه.

وهٰذا ينطبق علىٰ جميع الصفات، فيمكن أن تطبّق هٰذه القاعدة علىٰ كل ما أُوِّلَ من النصوص في الصفات والأمور الغيبية سواء كان في الصفات الذاتية أو الصفات الفعلية.

ونناقش هؤلاء -وأنا أريد منكم أن تتابعوا معي؛ لأني أريد كلمة مهمة لبناء ما بعدها عليها- هؤلاء جاءوا بشيء سمَّوه قرينة فحكّموه علىٰ النص، فسمَّوا هٰذا الذي فعلوه تأويلا، ونحن بقاعدة الأصوليين -بتعريف الأصوليين- نناقشهم، هل طبقتم التأويل حقا؟ أم أنكم عملتم شيئا سميتموه تأويلا؟

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الثاني عشر.

القاعدة ما عليها غبار، القاعدة صحيحة.

فنقول هنا: صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلىٰ غيره لقرينة، أنْ يُصرف عن ظاهره المتبادر منه إلىٰ غيره لابد أن يكون الظاهر الذي صُرف عنه لابد أن يكون معلوما، معلوم المعنىٰ حتىٰ نصرفه إلىٰ غيره؛ ونقول: هٰذا الظاهر الأول غير مراد لأنه لا يصلح حتىٰ يمكن أن نصرفه، وهٰذا في التقعيد واضح.

صفات الرب جل وعلا في ظاهرها المتبادر منها ظاهرُ معنىٰ، وأصل المعنىٰ أيضا وليس ظاهرا في كيفية وليس ظاهرا في كل المعنىٰ.

إذن فعندنا في النص ثلاثة أشياء:

- عندنا أصل المعنىٰ الذي نفهم به، نفهمه من اللغة.
- وعندنا كمال المعنىٰ، تمام الصفة، كمال معنىٰ الصفة.
- وعندنا ثالثا الكيفية.

فإذن ظاهر النص مشتمل علىٰ أصل المعنىٰ؛ يعني علىٰ إثبات الصفة من حيث الوجوب، صفة الرحمة ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[1] هٰذا فيه إثبات صفة الرحمة؛ لكن ما هو كمال معنىٰ الرحمة؟ ليس واضحا في النص، إذن النصوص فيها أصل إثبات الصفة.

فإذن صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلىٰ غيره لقرينة، هم صرفوا، لم يصرفوا الظاهرَ، وإنما صرفوا شيئا توهموه زيادة علىٰ الظاهر، فالظاهر يجب الإيمان به والاستسلام له، فهم توهموا للظاهر شيئا زائدا علىٰ دلالة النص توهموا تمام معنىٰ وتوهموا كيفية.

فإذن لم يقتصروا علىٰ الأمر الأول؛ وهو أن النص جاء في الصفات وفي الأمور الغيبية لأصل المعنىٰ وإنما توهموا كيفية، فقالوا: صفات الله جل وعلا: كيف أن الإنسان يراها بعينيه؟ معناه أن الله جل وعلا يكون متحيزا، وسوف يكون في جهة، وسوف يكون إلىٰ آخره من الأمور الباطلة. ونقول: هٰذه زائدة علىٰ النص.

فإذن التأويل الذي سُلِّط علىٰ النص في الحقيقة سُلِّط علىٰ ما في الأوهام ولم يُسلَّط علىٰ النص، فإنكم تخيلتم أن النص يشمل الثلاث هٰذه جميعا في المعنىٰ في أصل المعنىٰ وفي تمامه وفي الكيفية، ثم سلطتم التأويل عليها، فسلطتم التأويل ليس علىٰ اللفظ وإنما علىٰ ما توهمتموه من اللفظ.

فإذن قاعدة التأويل في الحقيقة لم تطبقوها وإنما طبَّقتم ما في أذهانكم.

لهٰذا نقول: إثبات الصفة إثبات وجود لمعنىٰ وليس إثبات تمام المعنىٰ أو الكيفية، فالقرينة التي بها تسلطوا علىٰ النص هي قرينة المماثلة أو المشابهة، كلٌّ يقول: هٰذا يقتضي التمثيل يقتضي التشبيه يقتضي التجسيم، فلذلك يؤوَّل فالقرينة عندهم عقلية بحتة وليست نصا، القرينة عقلية في أن هٰذه الأشياء ظاهرها

---

(١) الفاتحة:١، ٣، البقرة:١٦٣، النمل:٣٠، فصلت:٢، الحشر:٢٢.

يماثل صفات المخلوقين، يشابه صفات المخلوقين، فلذلك يجب أن ننفي هٰذا الظاهر.

وهٰذا في الحقيقة ليس هو ظاهر النص، ظاهر النص ليس فيه الكيفية، ظاهر النص ليس فيه كمال المعنىٰ، وإنما ظاهر النص الذي يجب الإيمان به أنّ فيه أصل اتصاف الله جل وعلا بالصفة، فنؤمن بأن الله جل وعلا ذو وجه جل وعلا، وأنه سبحانه متصف بصفة السمع؛ لكن كيف يسمع؟ يسمع دبيب النملة علىٰ ظهر الصخرة الملساء، كيف حصل هٰذا السمع؟ تمام معنىٰ السمع لا نستطيع أن ندخل فيه، وإنما نقول: الله جل وعلا موصوف بصفة السمع وله من هٰذه الصفة كمالها؛ كمال هٰذه الصفة، الكمال المطلق؛ لكن هل نستطع أن نخوض في تفصيلاته؟ هٰذا الكمال إلىٰ أي حد؟ لا نستطيع، كذلك صفة الوجه، صفة اليدين، إلىٰ غير ذلك من الصفات.

فإذن هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، إثبات اتصاف بالصفة لا إثبات كيفية.

فإذن الذين سلطوا القرينة سلطوها بشيء متوهم، فلهٰذا لا يصح أن يقال: إنهم طبقوا قاعدة التأويل، بل هم حرَّفوا؛ لأنهم جعلوا للنص دلالة بأوهامهم خلاف دلالة النص، ثم بعد ذلك سلطوا عليها تأويلهم.

لهٰذا قال طائفة من أهل العلم: كل مؤول ممثل، كل مؤول مشبه. لأنه لا يمكن أن يؤول إلا وقد قام في قلبه من دلالة النص التشبيه أو التمثيل. هٰذا واحد.

الأمر الثاني نقول لهم: إذا لم تسلِّموا بذلك، وقلتم: إن تأويلنا كان لأصل المعنىٰ وليس لما قام في أوهامنا وفي أذهاننا، فنقول: يلزم من ذلك أن تؤولوا صفة السمع، يلزم من ذلك أن تؤولوا صفة البصر، يلزم من ذلك أن تؤولوا صفة الكلام، فما الفرق بين صفة الكلام لله جل وعلا وصفة السمع والإرادة والحياة وصفة الرحمة؟ ما الفرق بينها؟ ما الفرق بين هٰذه الصفات وبين صفة اليدين؟

فإذن السمع للمخلوق سمع، فالمشابهة حاصلة بحسب أفهامهم، فالنص الذي به أثبتم صفة السمع والبصر وصفة الكلام هو النص الذي به أثبتت به سائر الصفات، فلِمَ لم تتعرضوا لهٰذا بتأويل وتعرضتم للآخر بتأويل؟ إنْ كان الآخر أخذتم كما قلتم أصل المعنىٰ فأوّلتم، فهٰذه أنتم أخذتم أصل المعنىٰ فيلزمكم التأويل.

إذن فالحاصل من هٰذا أن كل مؤول لا يصح أن يقال: إنه مؤول؛ بل هو محرّف لأن التأويل لا ينطبق علىٰ قاعدته، لا ينطبق علىٰ هٰذه الحالة.

فالنصوص الغيبية بابها باب واحد، تطبيق القاعدة الأصولية التي هي التأويل لا يصلح علىٰ هٰذه المسائل، المسائل الغيبية لما ذكرته لك.

تتميم للمسألة، إذن قول الطحاوي هنا دقيق للغاية يُتنبه لقوله، قال: (**إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَىٰ الرُّبُوبِيَّةِ تَرْكِ التَّأْوِيلِ**) التأويل إذا أردت أن تطبق قاعدة التأويل فتخرج منها وستستنتج منها أنَّ التأويل ترك التأويل، كيف؟ إذا قلنا إن القرينة غير ممكنة؛ لأن المعنىٰ هٰذا غيبي، فإذن سينتج منه

أنَّ القاعدة غير منضبطة.

فإذن التأويل سيؤديك إلىٰ ترك التأويل؛ لأن القاعدة غير جائية وسارية في مسائل الغيبيات، وهٰذه الكلمة دقيقة منه رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ (**إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًىٰ يُضَافُ إِلَىٰ الرُّبُوبِيَّةِ تَرْكَ التَّأْوِيلِ وَلُزُومَ التَّسْلِيمِ**)؛ لأنك لو طبقت قاعدة التأويل نتج منها ترك التأويل، التأويل يعني أن تترك التأويل.

**المسألة الرابعة**: مثل التأويل في تطليقه علىٰ نصوص الغيبيات ما يسمىٰ بالمجاز، والتأويل والمجاز يُستخدمان في مباحث الصفات والأمور الغيبية بعامة، يستخدمها أهل البدع الذين لم يسلِّموا للنصوص دلالتها.

(المجاز) لم يأتِ هٰذا اللفظ لا في القرآن ولا في السنة ولا في كلام الصحابة ولا في كلام التابعين ولا في كلام تبع التابعين؛ يعني انقضت القرون الثلاثة المفضلة ولم يُستعمل هٰذا اللفظ. فلفظه حادث.

والألفاظ الحادثة بحسب الاصطلاح: إن كان هٰذا المصطلح أُستخدم في شيء سليم، في شيء مقبول شرعا، فلا بأس به إذ لا مُشاحة في الاصطلاح، مثل ما قال: التأويل هو كذا وكذا فعرفوه، ومثل ما تعارفوا علىٰ أشياء كثيرة في العلوم، ولهٰذا استعمل لفظ المجاز بعض العلماء في معاني صحيحة؛ فكتب أبو عبيدة مَعمر بن مثنىٰ كتابا سماه «مجاز القرآن»، وتجد في ألفاظ لابن قتيبة أيضا تجد ذكرا للمجاز -للمجاز العام-؛ يعني المجاز المقبول؛ وله هو نظر في المجاز لا نعرض له الآن.

إذن هٰذا تاريخ اللفظ أن اللفظ حادثة ما كانت مستعملة، ماذا يقصد بلفظ المجاز من حيث اللغة؟

المجاز يعني: ما يجوز. في اللغة.

يعني هٰذا قال أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ في كتابه «مجاز القرآن» ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾،[1] ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾[المؤمنون:٢٨]، قال: مجازه علا علىٰ العرش، وهٰذا يعني أنه معناه في اللغة؛ يعني ما تجيزه اللغة يعني هٰذا مجازه اللفظي في اللغة وما أجازته العرب من المعنىٰ، إذا نظرت لذلك وجدت أن استعمال من استعمل لفظ المجاز غير استعمال المحرّفين.

**لهٰذا نقول**: المجاز عند أهل التّحريف عرفوه بما يلي:

قالوا: المجاز هو نقل اللفظ من الوضع الأول إلىٰ وضع ثانٍ لعلاقة بينهما.

وعرفه آخرون بقولهم: المجاز هو استعمال اللفظ في غير ما وُضع له.

مثاله عندهم تقول مثلا: ألقىٰ فلان علي جناحه. فمجاز الجناح هنا قالوا: الجناح يعني كنفه ورعايته ويده إلىٰ آخره. قالوا: أصل الجناح للطائر جناح الطائر، فلما استعمل في الإنسان صار استعمال للفظ لغير ما وضع له، لهٰذا سموه مجازا.

**إذا تبين لك ذلك** فنقول:

---

(١) وردت هذه الآية في القرآن في ستّ مواضع: الأعراف:٥٤، يونس:٣، الرعد:٢، الفرقان:٥٩، السجدة:٤، الحديد:٤.

أولا قولهم في التعريف -في تعريف المجاز- المجاز استعمال اللفظ في غير ما وضع له. مبني علىٰ أنّ الألفاظ موضوعة لمعاني، ومن الذي وضع المعنىٰ أو اللفظ للمعنىٰ؟ من الذي وضع؟ يقولون: العرب وضعت.

التعريف الأول -وهو مشهور عند الأصوليين- المجاز نقْلُ اللفظ من وضع أول إلىٰ وضع ثاني، يعني أن العرب وضعت للألفاظ شيئا ثم نقلته من الوضع الأول إلىٰ الوضع الثاني.

هٰذا التصور مبني علىٰ خيال في أصله؛ وهو أنه يطالَب من عبَّر هٰذا التعبير بأن يقال له: من الذي وضع الوضع الأول؟ أولا في التعريف، لهٰذا لا تدخل مع الذين يبحثون في المجاز أصلا، يعني في الغيبيات أما في الأمور الأدبية، هٰذا الأمر سهل؛ يعني الخلاف الأدبي سهل، لكن إذا أتىٰ المجاز في الأمور الغيبية والصفات فناقشه في التعريف.

الآن التعريف ما هو تعريف المجاز؟ استعمال اللفظ في غير ما وضع له، نقل اللفظ من الوضع الأول إلىٰ الوضع الثاني، هٰذا الوضع الأول والوضع الثاني كيف عرفنا أن هٰذا هو الوضع الأول؟ الجواب: لا سبيل إلىٰ الجواب.

ليس ثَم أحد يمكن أن يقول: هٰذا اللفظ وُضع لكذا، إذْ معنىٰ ذلك أن العرب اتفقت، عقدت مؤتمرا، اجتمعت جميعا، وقالت: الآن نحدد لغتنا في الوضع الأول، هٰذا السقف السماء وضعها الأول ما علا، الأرض هي هٰذه هٰذا الوضع الأول، السير جرىٰ مشىٰ معناه كذا، جناح هو لهٰذا الطائر، حمام هو لهٰذا الطائر، وهكذا.

فيتصور من التعريف أن العرب اجتمعت وجعلت لكل لفظ معنىٰ في لغتها، وهٰذا خيال؛ لأنّ من عرف ودرس نشأة اللغات لا يمكن أن يتصوّر أن اللغة العربية نشأت علىٰ هٰذا النّحو.

**لهٰذا نقول**: أولا التعريف غير صحيح؛ لأن الوضع الأول يحتاج في إثبات أنه وضعٌ أول إلىٰ برهان، أثبت لي أن هٰذا هو الوضع الأول ولا بأس؛ لكن لا سبيل إلىٰ الإثبات.

**لهٰذا نقول**: إن المعاني في اللغة العربية كثير منها كلية، وكلما ذهبت إلىٰ المعنىٰ الكلي كلما كنت أحذق وأفهم للغة، وهٰذا ما جرىٰ عليه العالم المحقق ابن فارس في مقاييس اللغة كتاب سماه «معجم مقاييس اللغة»، جَعَلَ كلمات لها معاني كلية ثم تندرج التفريعات تحت المعنىٰ الكلي، وليس وضعا أول ثم وضعا ثانيا، وهٰذا حقيقة وهٰذا مجاز، ليس كذلك.

**إذا تبين ذلك فنقول**: لفظ التأويل ولفظ المجاز يستعملان كثيرًا، الظاهر يقابله التأويل، والحقيقة يقابلها المجاز، فيقال هٰذا حقيقة وهٰذا مجاز، ويقال هٰذا ظاهر وهٰذا تأويل، ولا يقال في التأويل مجاز وللمجاز تأويل، لا، التأويل يختلف عن المجاز كما ذكرته لكم مرارا.

المجاز كتطبيق لأجل أن تفهم كيف يطبقون المجاز علىٰ قاعدتهم وكيف أن هٰذا الكلام الذي طبقوه غير جيد غير صحيح.

يقولون مثلا: الرحمة مجاز عن الإنعام، طيب مجاز عن الإنعام يعني أن لفظ الرحمة وضعته العرب للمخلوق للإنسان، فلما استعمل في صفات الرب جل وعلا نقوله من الوضع الأول إلىٰ وضع ثانٍ وهو الإنعام؛ لأن العرب استعملت الرحمة بمعنىٰ الإنعام، فإذن الرحمة تشمل رحمة الأم بولدها، ورحمة الوالد بولده، ورحمة الإنسان بمن يتعرض لشيء أمامه من المكروهات، وتشمل الإنعام؛ رحمه يعني أنعم عليه، قالوا: الإنعام هٰذا وضع ثاني والرحمة التي يجدها الإنسان في نفسه هٰذا الوضع الأول، ففي صفات الرب جل وعلا لا نقول إنه متصف بالرحمة لم؟ قالوا: لأن الرحمة لا تحصل إلا بضعف، إلا بانكسار، وهٰذا منزه عنه الرب جل جلاله.

فإذن نقلوا من الوضع الأول إلىٰ وضع ثاني لعلاقة، العلاقة بينهما هي مناسبة هٰذا لله جل وعلا؛ يعني الإنعام مناسب، مناسب في هٰذا وفي هٰذا، لعلاقات عندهم في المجاز نحو ثلاثين علاقة، ألفت فيها كتب يعني من باب الذكر وليست مهمة.

طيب، عندكم الرحمة بمعنىٰ الإنعام، والرحمة حينما فسرتموها قلتم الوضع الأول في الإنسان لماذا الرحمة هٰذا اللفظ وُجد مع الإنسان؟ أحس بهٰذا الشيء الذي في نفسه وهٰذا الشيء سمي رحمة، فهل هٰذه الرحمة حينما وُضع لها هٰذا المعنىٰ هي في لغة العرب أو هي في اللغات جميعا؟ الجواب أنها في لغات العرب؛ يعني من حيث لفظ (رحمة)، وأما المعنىٰ المشترك لهٰذه الصفة فهٰذا عام في جميع اللغات؛ يعني موجود في كل لغة ما يدل عليه.

اللغة هل تضع الأشياء محدودة أو كلية؟ اللغة المفروض فيها أنها تجعل الألفاظ للمعاني الكلية، لا لمعاني محدودة.

فنأتي للرحمة فنقول: الإنسان عنده هٰذه الرحمة، وَجد هٰذه الصفة في نفسه فسماها رحمة، لكن لا يوجد تعريف في أي كتاب من كتب اللغة للرحمة بتعريف جامع مانع محدود، كذلك الرأفة، كذلك الوُد، كذلك المحبة، ونحو ذلك، فالمعاني النفسية هٰذه الموجودة في داخل نفس الإنسان هٰذه لا يوجد تعريف محدّد لها حتىٰ في كتب اللغة.

إذن فهي ليست موضوعة لما يحسّه الإنسان، وهي إذن موضوعة لمعانٍ كلّية تشمل هٰذه الصفة، ولهٰذا نجد أنّ كل الصفات، الصفات المعنوية لا يمكن تعريفها، لو أتاك أحد وقال عرف لي هٰذه الرحمة التي في قلبك، لا يحسن حتىٰ هؤلاء الذين يحكمون بالمجاز والتأويل لا يحسنون أن يعرفوا الرحمة بشيء جامع مانع؛ يعني الرحمة التي في الإنسان التي لا يمكن أن ننقلها إلىٰ غيره، هات الرحمة بتعريف جامع فيفسر الرحمة بأثر الرحمة، فيفسر الرأفة بأثر الرأفة، فيفسر المحبة بأثر المحبة؛ لكن كل إنسان في أي لغة إذا طرق سمعه الرحمة هو يعرف مدلول الرحمة بما يجده في نفسه.

إذن فالمعاني النفسية هٰذه التي هي ليست ذوات هٰذه كليات، والكليات ليست مفردات، الكليات للجميع، فإذن جعْل الكلية اللغوية مفردا في حال الإنسان، وجعْل هٰذه المفردة وضعا أول هٰذا لاشك أنه

ليس له دليل في اللغة وليس له أيضا برهان وهو تحكُّم.

فإذن لكل شيء يناسبه فإذا قلت للعربي: رحمة الطير، الطير حينما رحم، هل كانت الرحمة في الإنسان واستعار للطير الرحمة؛ يعني جعلها في الطير مجازا؟ الجواب: لا، يقول: لا، الطير فيه رحمة، طيب هٰذا المعنىٰ الكلي بين الطير والإنسان هل كان في الوضع الأول خاصا بالإنسان ثم عُدي أو كان للجميع ؟

فإن قال للإنسان وحده فإنه لن يقوله؛ لأنه لا يُسلم له.

وإن قال للإنسان والطير وللحيوان فيما يرحم، قيل له: فإن العرب إذن وضعت هٰذا اللفظ للجميع لهذين فقط أو وضعت كلية فطبقت علىٰ الإنسان والحيوان وعلىٰ الطير؟ فمُؤدىٰ الأمر أن هٰذه الكلمات مبنية علىٰ برهانين:

البرهان الأول: معرفة نشأة اللغات، وأن الوضع الأول للأشياء في الإنسان أو في الطير فقط أن هٰذا غير جارٍ؛ لأنه ما يتصور -كما قلت لك أنه خيال أن العرب اجتمعت ووضعت هٰذه الأشياء علىٰ هٰذا النحو.

الأمر الثاني: أن يقال المعاني الكلية المشتركة هٰذه لها تعريف عام لغوي، وإذا كان لها تعريف عام، ووجودها في الإنسان تمثيل، ووجودها في الطير تمثيل ووجودها في الأم من الحيوان لابنها تمثيل، وهكذا.

فإذن القضية الكلية أو التعريف الكلي لا يسلَّط عليه المجاز بالأمثلة.

هٰذه قضية كبيرة بلا شك، ولابد منكم لمن أراد التحقيق في علوم العقيدة وفي علوم اللغة أن ينتبه في هٰذه المسألة؛ وهي نشأة اللغات، كيف نشأت اللغات؟ كيف نشأت اللغة العربية؟ اللغة العربية أتىٰ العرب موجودون فكانت أمامهم لغة؟ لا، الأسماء عُلِّمها آدم ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١]، هٰذه الأسماء هل كانت باللغة العربية؟ لا، كانت بلغة، ثم بعد ذلك تداخل أولاد آدم تنوعت لغاتهم، اكتسبوا أشياء من الأصوات، اكتسبوا أشياء من الرؤية، كلمة كانت بسبب الصوت مثلا مثل كلمة جرّ، جرّ هٰذه أنت لو حملت جذع شجرة تحتاجه في إيقاد النار، تأتيه من مكان بعيد عن المكان الذي تطبخ فيه، تسمع صوته في الأرض لهٰذه الكلمة جَرْرْرْ، فتسمع هٰذه. مثل كلمة خرير؛ خرير الماء هٰذا الصوت. مثل كلمة وسوسة الصوت هٰذه الوسوسة مأخوذة بالسمع.

إذن هناك اللغة تشكلت من أشياء، فالوضع الأول الذي أعتمد عليه بالمجاز من درس نشأة اللغات يقول: الوضع الأول البرهان عليه ممتنع.

**وأنا أريد الحقيقة من باب طلب الحق أن يأتي باحث ممن يبحث في اللغة ويُثبت لي هٰذا الوضع الأول كيف جاء؟ كيف تواضعت العرب علىٰ أنّ الكلمة بهٰذا المعنىٰ في الإنسان المحدّث أو في الحيوان إلىٰ آخره.**

خذ مثلا كلمة جناح، جناح في اللغة فيها دلالة علىٰ الميل، ميل واستطالة في الميل؛ يعني مال وثم زيادة واستطالة في الميل، ليس ميلا خفيفا لكن فيه استطالة، لهٰذا قال: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾

[الأنفال:٦١]، ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾[الممتحنة:١٠]؛ يعني لا إثم عليكم لأن الإثم ميل واستطالة.

إذن تسمية جناح الطائر بجناح، هل هو لأنهم أطلقوا علىٰ هٰذا الجزء؛ يعني قسموا الطائر إلىٰ أجزاء، وقالوا هٰذا سموه جناح، أو لمعنىٰ كلي موجود قبل وجدوه في هٰذا الجزء من الطائر فسموه به، فعندهم الميل رأوا أن جناح الطائر فيه استطالة وميل يمتد يستطيل ويميل إلىٰ آخره، نفس الجناح، لكن الجسم ثابت، جسم الطائر ثابت؛ لكن هٰذا الذي يذهب ويجيء هٰذا الجناح، فسمّوا هٰذا الجناح بهٰذا الاسم، الإنسان فيه أيضا شيء يميل وهو اليد، اليد تميل، فإذن اليد أيضا جناح، فلذلك قول الله جل وعلا: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾[الإسراء:٢٤]، كما قال المفسرون: اخفض لهما جناحك الذليل، ليست استعارة وليست مجازا وإنما اليد جناح؛ لأنها فاعلة وتذهب وتجيء، ولهٰذا قال جل وعلا في قصة موسىٰ عليه السلام ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص:٣٢]، ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ الجناح إيش هو؟ اليد ليست استعارة لأنها المعنىٰ الكلي.

إذن في هٰذه المسائل تطول.

يعني العنق سُمي عنق يعني هكذا؟ أما ثَم معاني نشأت منها اللغات ثم توسعت؟

لهٰذا نقول اللغة كلية جاءت أمثلة عنها تطبيقات في الواقع، قواعد عامة، لهٰذا من عرف أقيسة اللغة فَهِمَ حقيقتها، أما وجود وضع أول يبنىٰ عليه المجاز فهٰذا غير ممكن.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعدما ذكر: (وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ) وهٰذا رد علىٰ الطائفتين: طائفة المؤولة المحرّفة وطائفة المجسمة. المجسمة شبهوا، والمؤولة أو المحرفة نفوا، فهؤلاء نفوا الصفات والمجسمة مثلوا، فمن كان ممثلا أو محرفا فقد زل ولم يصب التنزيه، ولهٰذا نقول: إنَّ قوله: (وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ) أن هٰذا تحذير حتىٰ للموحد، لا يخطر ببالك أن الله جل وعلا في صفته ثَم مشابهة بينه وبين صفة الخلق، وكل ما خطر ببالك فالله جل وعلا بخلافه، لا من جهة تمام الصفة ولا من جهة الكيفية، وإنما نثبت الكمال المطلق؛ لكن كيف هٰذا الكمال حدود هٰذا الكمال؟ لا نستطيع ذلك.

نقف عند هٰذا، ونكمل إن شاء الله في الدرس القادم.

وأسأل الله جل وعلا أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا وأن يزيدني وإياكم الهدىٰ والسداد.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

[**الأسئلة**] الأسئلة التي بعد الدرس حبذا أن تكون في الدرس، ما تكون في موضوعات أخرىٰ.

**سؤال (١٢١)**: لو ذكرتم كتبا تكفي طالب اللغة تتحدث عن نشأة اللغات؟

**الجواب**: نشأة اللغات فيها كتب كثيرة ليست سليمة؛ يعني لم أر كتابا سليما في جملة تفاصيله، لأنه لا يخلو كل باحث من خلفيات له ومقرّرات سابقة تسيطر عليه في بحثه ذاك، لكن من أحسنها أو مما يطلعك علىٰ ذلك كتاب اسمه «مولد اللغة» للشيخ مصطفىٰ الغلييني وثَم كتب أخرىٰ.

سؤال (١٢٢): أول درس لي في العقيدة هو هٰذا الدرس في الطحاوية ولم أدرس الواسطية وغيرها،

فبماذا تنصحني؟

**الجواب:** فإذا كان هٰذا أول درس فصعب؛ لأنه راعيت في هٰذا الشرح من انتقل معنا من الواسطية إلىٰ الطحاوية تذكر أشياء فيها مباحث لم تذكر فيما قبل؛ ما نكرر المعلومات تماما، إنما نزيد بعض المسائل.

فأنا أوصي الأخ الذي هٰذا أول درس له أن يبتدئ مع أحد أهل العلم في كتاب «لمعة الاعتقاد»، وينتقل منه إلىٰ «الواسطية»، ثم بعد ذلك ينتقل إلىٰ «شرح الطحاوية».

سؤال (١٢٣): ...

**الجواب:** تولدت اللغة من أخرىٰ، هل ثم مرة حصل فيه مواضعة؟ أنت ستصل بك المسألة إلىٰ ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[البقرة:٣١]، ثم تقف، لهٰذا العلماء اختلفوا هل اللغات توقيفية أو اصطلاحية؟ والصحيح من الأقوال –فيها عدة أقوال– الصحيح أنَّ الأسماء المطلقة توقيفية، الأسماء اللغوية بدون أن نقول بلغة فلان بلغة العرب أو باللغة السريانية، الأسماء مطلقا هٰذه توقيفية لقوله تعالىٰ: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ أما بعد ذلك تداخل وتوسع كما في البرهان واضح.

....

لا شك لابد اللغة فن، إذا كان المعنىٰ الكلي موجود فكل ما ينسب مثال؛ لأنه المعنىٰ الكلي يختلف باختلاف الإضافة مثلا عندك السمع، السمع هٰذه كلمة عامة، صحيح، السمع معروف لو أردت أن تعبر عن السمع تقول: إدراك المسموعات واضح، وأيضا فيه إشكال لأنك رجعت بتعريف السمع إلىٰ المسموع، واضح، المسموع رجعنا بالمسموع إلىٰ السمع، صار فيه دور، لذلك لا يصح تعريفا علىٰ طريقة المناطقة وإنما هو تقريب، إذا قلنا: السمع هو إدراك المسموعات، سمع الإنسان يصح أن يطلق عليه سمع، سمع البعوضة يصح أن يطلق عليه سمع، الإنسان في سمعه تلحظ فيه أذن، وفيه صمام، وفيه الغضاريف الزائدة هٰذه التي يتلقىٰ بها، هٰذا وسيلة حصول السمع؛ لكن البعوضة ما فيها شيء عندها سمع.

فإذن الكلية الحاصلة هو إدراك المسموع موجود، لكن تمام المعنىٰ بالنسبة للإنسان يناسب ذاته والكيفية مختلفة، ما يناسب البعوضة أو الذبابة من السمع يناسبها بقدْرها، آلة السمع عنها مختلفة عن آلة السمع عندنا، البصر في بعض الحيوانات تبصر بإيش؟ بالذبذبات أو لا؟ يعني بإرسال الأصوات، يعني عندها إحساس آخر قلنا تبصر؛ لأنها تدرك المبصرات، إذا جاءت للشيء مالت عنه، وهي ليس لها ما تبصر.

إذن كيف الاتصاف بالصفة، كيفية الاتصاف بالصفة، هٰذا لا يجوز أن يجعل حكما علىٰ المعنىٰ الكلي، فالمعنىٰ الكلي ما يشمل هٰذه الصفات المشتركة بين الكائنات، بل المعاني المشتركة العامة، هي تأتي في الإنسان تطبيقا، يطبقها علىٰ نفسه، يطبقها علىٰ الحيوان، وإنما تختلف من حيث كمال المعنىٰ ومن حيث الكيفية مثل ما مثلت لك.

ولهٰذا قال طائفة من أهل العلم في قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ]، أن الله جل وعلا نبه علىٰ السمع والبصر في هٰذا لأجله اشتراكه بين كل الكائنات الحية، الكائنات الحية لها سمع ولها بصر ومع ذلك أثبته لنفسه مع قاعدة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ لأنه موجود ووصف الله به نفسه، فمعنىٰ ذلك أنه إثبات صفة لا إثبات مشابهة أو كيفية.

سؤال (١٢٤): هل يصح إثبات لفظ العارف أو قاضي القضاة علىٰ العالم؟

**الجواب**: أما لفظ العارف فلا بأس به، استعمله أئمتنا في بعض كلامهم، قال بعض العارفين، قال فلان العارف بالله، علىٰ قلة، والأحسن أن يترك.

وأما لفظ قاضي القضاة فهو محرم؛ لأن قاضي القضاة هو الرب جل جلاله.

سؤال (١٢٥): ما رأيكم من قال: ليس لله مكان؟

**الجواب**: هٰذا باطل، المكان ما يطلق ولا ينفىٰ لأنه ما جاء في الكتاب والسنة، وإنما نقول: الله جل وعلا مستوٍ علىٰ عرشه بما وصف به نفسه.

هٰذا وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.[1]

(١)انتهىٰ الشريط الثاني عشر.

## الدّرس الخامس عشر

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ إلٰه وصحبه أجمعين.

اللّٰهمَّ علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما وعملا يا أرحم الراحمين.

أما بعد..

[الأسئلة] فهٰذه بعض الأسئلة بين يدي الدرس.

بعض الأسئلة لا يحسن أن تطرق هكذا علىٰ أسماع الجميع.

أيضا هٰذا شيء ما أدري عنه، يسأل عن بعض التسجيلات التي سجلت بعض المحاضرات لي.

سؤال (١٢٦): ما معنىٰ هٰذه العبارة: لا يُستعمل في العلم الإلهي قياس تمثيلي أو شمولي وإنما يستعمل قياس الأَوْلىٰ.

**الجواب**: هٰذه الأقيسة الثلاث مستعملة عند المناطقة:

- قياس التمثيل.
- وقياس الشمول.
- وقياس الأولىٰ.

والتمثيل والشمول يقتضي الاشتراك في الجنس؛ لأن المثال هو أحد أفراد الجنس، وأما القياس الذي يصح أن يطبّق في صفات الله جل وعلا وفيما يليق به جل جلاله وهو قياس الأولىٰ؛ يعني أن يقال: كل كمال في المخلوق فالله جل وعلا أولىٰ به؛ لأن الله سبحانه متصف بصفات الكمال المطلق، وإذا في المخلوق نوع كمال يناسبه فالله جل وعلا له الكمال المطلق.

مثاله: المخلوق الغنىٰ كمال في حقه؛ يعني عند الناس، وكذلك سلامته في حكمته وإدراكه، وهٰذا كمال في حقه، كذلك قدرته كمال في حقه، كذلك سمعه وبصره وسلامة آلاته هٰذا كمال في حقه، وهكذا، فهٰذه الصفات التي في المخلوق التي تكون فيه كمال، فهي تُثبَت لله جل وعلا؛ لأن الله سبحانه أولىٰ بالكمال، وأولىٰ بنفي النقص عنه جل جلاله.

ومن الأمثلة التي تُشكل علىٰ بعض الناس في هٰذا الباب هو أن يقال: إن الله جل وعلا نفىٰ عنه الولادة، فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾[الإخلاص]، فليس له ولد لأنه غير محتاج إليه، والمخلوق الولد في حقه كمال؛ إذ العقيم ليس بكامل عند الناس.

وهٰذا ليس متجها ولا معارضا للقاعدة؛ لأن المخلوق صار الولد في حقه كمالا لحاجته إليه، فهو يستكثر بالولد ويستقوي به لحاجته إليه؛ لأنه قد ينتفع منه بأنواع الانتفاع، والولد في حق المخلوق نقص، ولهٰذا ينفىٰ عن الله جل وعلا، وليس كمالا كما قد يُظن.

المقصود أن عبارات (القياس التمثيلي والقياس الشمولي وقياس الأَوْلىٰ) من عبارات المناطقة

أصحاب المنطق وعلم الكلام، ولا يصح استعمالها عند أهل السنة والجماعة إلا في قياس الأَوْلىٰ دون غيره.

سؤال (١٢٧): ذكر أحد طلبة العلم أن التوراة والإنجيل والزبور ليست كلها محرفة؛ بل أغلبها، لذا اختلف العلماء في مس الجنب لها، ويجوز الحلف بها؛ لأنها من كلام الله، وكلام الله ﷻ صفة من صفاته.

السؤال: هل هٰذا الكلام صحيح؟ وهل يجوز الحلف بالتوراة والإنجيل والزبور؟ أرجو التوضيح.

**الجواب**: أولا التوراة والإنجيل والزبور التي أُنزلت علىٰ موسىٰ وعيسىٰ وداود هٰذه كلام الله جل وعلا؛ لكن هٰذا المنزَّل علىٰ هؤلاء الأنبياء الموجود الآن لا يُتيقن أنه ذلك المنزل؛ بل قد يكون الموجود اختلط به كلام الله جل وعلا وكلام علمائهم وزيادات باطلة من التحريفات، والعلماء اختلفوا هل وقع التحريف في هٰذه الكتاب من جهة المعنىٰ أو من جهة الألفاظ؛ يعني هل حُذفت بعض الأشياء وأبدلت بأخرىٰ وحرفت بنقص بحذف ثم زيادة أشياء من كلام الناس، أم كان التحريف في المعنىٰ فقط، فهم حرفوا من جهة المعنىٰ مع بقاء الأصل، علىٰ ثلاثة أقوال لأهل العلم.

والصواب منها أنَّ التوراة والإنجيل فيها وفيها:

- فيها ما هو من كلام الله.
- وفيها ما هو من إضافات الناس الباطلة.
- وفيها ما حُرِّف لفظه.
- وفيها ما حُرِّف معناه.

اجتمعت فيها كل أنواع التحريف؛ تحريف اللفظ وتحريف المعنىٰ وترك الأحكام، وهٰذا له تفاصيل في محلها.

سؤال (١٢٨): ما المراد بالغِل في قوله تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر]؟

**الجواب**: الغل هو الحقد والضغينة التي تتخلل النفس والفؤاد، وأصل هٰذه المادة -مادة غلّ- لما يكون متخللا لشيء، ولهٰذا قيل للغُل الذي يغل به -تغل به الرقبة- ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا ﴾ [يس:٨] سُمِّي غُلاّ لأن الرقبة تتخلله وهو أيضا يتخلل أيضا الرقبة يحيط بها، وكذلك يقال للماء الذي يجري بين السواقي من هٰذه المادة، ويسمىٰ الماء الغليل وأشباه ذلك.

فالمقصود أن هٰذه المادة تدور علىٰ التخلل، وعلىٰ التسلل، فلهٰذا الحقد والضغينة إذا كانت متسللة في النفس محيطة بها سميت غِلًّا، كما قال هنا: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾، ويدعو أهل الإيمان ربنا ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[الحشر]، فأهل الجنة ليس في قلوبهم غل ولا حسد ولا ضغينة؛ بل هم أحباب متآخون.

سؤال (١٢٩): ما حكم التقليد في مسائل الأصول والفروع؟

**الجواب**: هٰذه مسألة طويلة.

سؤال (١٣٠): ما حكم من نسي قراءة الفاتحة في صلاة حال الجهر أو السر؟

**الجواب**: ليس عليه شيء وينتبه المرات القادمة أن يقرأها.

سؤال (١٣١): شخص فاتته الصلاة فصلىٰ بزوجته، هل تكون صلاتهما جماعة، وتكون أفضل من صلاته وحده بسبع وعشرين درجة؟

**الجواب**: الجواب نعم، صلاة المرء في جماعة ولو معه واحد مكلف، هٰذه تعتبر صلاة جماعة؛ لأن الجماعة في هٰذا المقام اثنان فصاعدا، فإذا فاتته الصلاة في المسجد أو مع جماعة فإنه يصلي بأهله.

سؤال (١٣٢): ما هو الفرق بين معجزات الأنبياء ومعجزة القرآن؟

**الجواب**: هٰذا سبق أن ذكرنا الكلام عليه.

وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ، فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ، لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ. وَتَعَالَىٰ عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ، لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ.

الحمد لله، وبعد..

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ) هٰذه العبارة مقررة لقاعدة عامة من قواعد أهل السنة والجماعة: أنَّ صفات الرب جل وعلا يجب أن لا يسلَّط عليها النفي، ولا أن يعتقد فيها التشبيه؛ بل يجب علىٰ المسلم في إثباته للصفات أن يتوقّىٰ نفيها بدرجاته، وأن يتوقّىٰ التشبيه؛ فلا يثبت مشبِّها ولا ينفي معطلا.

قال: (زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ) لأنه ليس علىٰ الطريق الحق، فكلّ من تعرَّض للصفات بنفي أو بتشبيه فإنّه ليس بموحّد، قال (لَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ) يعني لم يصب التوحيد وتنزيه الرب جل وعلا عمّا لا يليق بجلاله وعظمته، وهٰذا الأصل معلوم في الكتاب والسنة في مواضع كثيرة:

منها قول الله جل وعلا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[الصمد].

وقال سبحانه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾[مريم].

وقال أيضا جل وعلا: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[الروم:٢٧] ﷻ، وهٰذه وأمثالها ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ يعني له النعت الأعلىٰ والوصف الأعلىٰ.

و﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ يعني يساميه يماثله يشابهه في كمال أسمائه وما تضمنته من الصفات، فهو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[الشورىٰ].

إذا تبين لك هٰذا المعنىٰ العام لهٰذه الجملة فإن قوله: (النَّفْيَ) و(التشبِيهَ) و(التنْزِيهَ) هٰذه ثلاثة ألفاظ تحتاج إلىٰ شرح.

أما الأولىٰ وهي **النَّفْي**: فالنفي يشمل أشياء:

♦ **الأول**: أن ينفي صفات الله جل وعلا كلها، أو أن ينفي أكثرها، أو أن ينفي بعضًا منها.

فالذين نفوا كل الصفات هم الجهمية.

والذين نفوا أكثر الصفات هم المعتزلة والكلابية والأشاعرة والماتريدية.

والذين نفوا بعض الصفات طوائف كثيرون من المفسرين ومن شرّاح الأحاديث يغلطون فيثبتون في موضع ويناقضون أنفسهم فينفون في موضع آخر.

فإذن النفي من جهة أصله فيه هٰذه الدرجات، والدرجة الأخيرة وهي نفي بعض الصفات فأكثر ما يغلط فيه من غلط فيه من المفسرين وشرَّاح الحديث في الصفات التي هي من جهة صفات الأفعال،

وهٰذه يعني الصفات الاختيارية مثل الرضا والغضب والنزول والمقت والأسف وأشباه ذلك من الصفات، الصفات الاختيارية قلَّ من ينهج فيها منهج السّلف الصَّالح؛ وذلك لأنّ الباب باب واحد في الصّفات الذّاتية وفي الصّفات الفعليّة.

♦ **المسألة الثانية** المتعلقة بكلمة النفي، النفي:

**تارة** يتوجّه لأصل الصفة.

**وتارة** يتوجّه لظاهر الصفة.

**وتارة** يتوجّه لكيفية الصفة.

**وتارة** يتوجّه إلىٰ معنىٰ الصفة.

فهٰذه مراتب.

◄ أما **توجهه لأصل الصفة** كما ذكرنا: ينفي أصلا اتصاف الله جل وعلا بالسمع، ينفي أصلا اتصاف الله جل وعلا بالحكمة، ينفي أصلا اتصاف الله جل وعلا بالعلم، وهكذا.

◄ أما المرتبة الثّانية فهو أن **يتوجه النفي للظّاهر**: فيقولون: نثبت الصفة لكن ظاهرها غير مراد، كيف؟ يقولون: نثبت الاستواء لكن ليس علىٰ ظاهره، فالاستواء له معنىٰ غير المعنىٰ الظاهر المتبادر منه، له معنىٰ آخر. وهؤلاء علىٰ فرقتين:

- منهم من يقول: المعنىٰ كيت وكيت.
- ومنهم من يقول: المعنىٰ لا أحد يعلمه.

فأما الأوّلون فهم المؤولة.

وأما أصحاب القول الثاني فهم أهل التجهيل الذين يسميهم العلماء المفوِّضة، يثبتون لكن يفوضون كل الصفة لله جل وعلا، لا يعلمون لها معنىٰ، ولا يعلمون لها كيفية، جميع الصفة منفية؛ يعني منفي العلم بها مثبتة لكن منفي العلم بها.

◄ وأما المرتبة الثالثة **فالنفي المتجه إلىٰ الكيفية فقط**: وهٰذا النّفي الذي يتجه إلىٰ كيفية الصفة هٰذا واجب، وهو منهج أهل السنة والجماعة فإننا ننفي العلم بالكفية؛ لأن الله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ]، فنثبت الصفة مع نفينا للكيفية، وهٰذا المعنىٰ ليس مرادا في قوله: (وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ)؛ بل هٰذا نفي واجب أن ننفي علمَنا بالكيفية، فالكيفية لا يعلمها إلا الله جل وعلا، كما قال جل جلاله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧].

◄ والأخير **النفي المتجه إلىٰ المعنىٰ**: والنفي المتجه للمعنىٰ هٰذا يُثبت كثيرون الصفة؛ لكن ينفون المعنىٰ؛ يقولون ليس لها معنىٰ، ليس لها معنىٰ مطلقا؟ يقولون: نعم. فاسم الرحيم هو العليم، والرحمة هي العلم؛ لكن لما تعلقت إرادة الله بالمعين فرُحم سُمِّي هٰذا التَّعلق رحمة، لما تعلقت به قدرة سمي ذلك قدرة إلىٰ آخره، فيقولون: هي من جهة قيامها بذات الرب جل وعلا شيء واحد، فلذلك ننفي أن

يكون لهٰذه الصفات معاني متعددة، وهٰذا يشترك فيه جملة من أصحاب المذاهب المختلفة.

فقوله إذن: (وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ) يدل علىٰ أن ترك النفي مطلوب وواجب، وهو ألا تنفىٰ أصل الصفات، وألا ينفىٰ الظاهر، وألا ينفىٰ العلم بالمعنىٰ؛ بل ينفىٰ شيء واحد وهو الكيفية دونما سواها.

قال: (وَالتَّشْبِيهَ) هٰذه الثانية: الثانية كلمة **التشبِيه**، التشبيه مصدر شبَّهَهُ بغيره تشبيها، أو شبَّه الشيء بكذا تشبيها.

فالتشبيه: هو جعل مخلوق مشابها لله جل وعلا، أو جعل الله جل جلاله مشابها في صفاته للمخلوقات، والتشبيه مراتب أيضا.

♦ **المرتبة الأولىٰ** من مراتب التشبيه: **التشبيه الكامل** وهو المساوي للتمثيل؛ يعني أن يقول: يده كيدي، كقول المجسمة والعياذ بالله، وصورته كصورتي والعياذ بالله، وأشباه ذلك، فهٰذا تشبيه كامل؛ يعني شبه الله جل وعلا بالمخلوق من جهة الصفة في الكيفية وفي المعنىٰ.

وهٰذا كفر بالله جل وعلا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ والمشبه يعبد صنما، الممثل يعبد صنما، تخيل في نفسه صورة للرب جل وعلا وجعلها عليه، وهٰذا كما قلنا لكم: لا يمكن أن يكون لله جل وعلا في ذاته وصفاته شيء يتخيله العبد أو يتصوره؛ لأنه كل ما خطر ببالك فالله جل وعلا بخلافه، كل ما جاء في بالك فالله ﷻ بخلافه.

لأن المعرفة واستقبال المعارف والإدراكات في الإنسان ستأتي شيئا فشيئا؛ وهو أصلا جاء من غير إدراك، فالله جل وعلا جعل له السمع والبصر والفؤاد ليدرك.

فإذن كل المدركات في الإنسان مجلوبة له من واقع ما رأىٰ، ومن واقع ما سمع، أو من واقع ما قارن، والشيء الذي لم يره ولم يسمعه وليس ثَم ما يقارَن به، فكيف تحصل له معرفته، ولذلك تجد أن الإنسان لا يمكن يتصور شيء ما رآه أو رأىٰ مثيلًا له أو رأىٰ ما يقاس عليه؛ ما يجتمع هو وإياه في أشياء، ما يمكن أن يتصوّر شيء لم يره أصلا أو لم ير مثيلا له؛ لكن لو رأىٰ ما يقاس عليه ممكن، رأىٰ مثيلا له ممكن.

مثلا تقول: الإنسان الياباني مختلف في صورته عنَّا لكن يبقىٰ التخيل العام عندك أنه ما دام أنه إنسان فهو علىٰ هٰذه الصفة.

تقول مثلا: الخبز في بلد له شكل غريب، لا تتصور أنت هٰذا الشكل، لكن تعرف الخبز ما هو من حيث الصفة؛ لأنك تعرف أن ذاك سيكون في مادته مشابها لهٰذا الذي عرفته.

لو ذُكر لك شيء غريب مثلا في بلد من البلاد فيه بناء، ممكن أن تتصور البناء علىٰ نحو ما إذا كنت رأيت شبيها له أو ما يقاس عليه؛ أو مركبات هٰذا البناء وطريقة البناء وأنه أدوار مثلا، قال لك مثلا مثلث، شرح لك عن الأهرامات من صفتها كذا وكذا، يمكن أن تتصور لأنك رأيت مثيلا له، رأيت ما يقاس عليه، رأيت ما يمكن أن تعقد مقارنة فتصل علىٰ نوع إدراك لذلك.

أما الرب جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته فلا يقاس بخلقه ولم يُر مثيلا له جل جلاله ولا يقارن

بشيء، ولذلك كل ما يخطر في البال إنما هو من جرّاء إدراكات مختلفة لا يمكن أن يكون منها حقيقة الرب جل جلاله.

ولهٰذا كل ما خطر في بالك فالله ﷻ بخلافه، فإذا استرسل مع هٰذا وشبه فإنّه يعبد صنما، يعني تخيّل في نفسه صورة وهيأ له إلٰها يكون علىٰ نحو ما فعبده.

لهٰذا قال أئمة السلف: **المشبه يعبد صنما والمعطل يعبد عدما.**

هٰذا التشبيه الكامل الذي هو التّمثيل، وهٰذا التمثيل أو التشبيه قد يكون في الذات بأجمعها، وقد يكون في صفة من الصفات، قد يقول: الله ﷻ مثلي علىٰ صفتي -والعياذ بالله- وهٰذا كفر، أو يقول يده كَيَدي، وسمعه كسمعي، وعينه كعيني وأشباه ذلك وهٰذا أيضا كفر بالله جل جلاله.

♦ **المرتبة الثانية** في التشبيه: أن يكون التشبيه في بعض الصفة لا في الكيفية ولكن في المعنىٰ، فيقول: الكيفية لا نعلمها لكن معنىٰ الصفة في الله جل وعلا هو معناها في المخلوق.

وهٰذا أيضا مما ينبغي تجنبه؛ لأن صفة الرب جل وعلا معناها في حقه كامل لا يعتريه نقص من وجه من الوجوه، وأما في المخلوق فهو فيه الصفة ولكنها ناقصة تناسب نقص ذاته.

ولهٰذا يقال في مثل هٰذا: إنّ الله جل وعلا له الكمال المطلق في صفة السمع، والمخلوق متصف بالسمع، أو تقول: لله سمع وللمخلوق سمع وليس السمع كالسمع؛ يعني في أصل المعنىٰ موجود سمع وسمع؛ لكن في تمام المعنىٰ وكماله مختلف ليس الاتصاف في الله جل وعلا مثل الاتصاف في المخلوق.

♦ **المرتبة الثالثة** في التشبيه: تشبيه العكس؛ تشبيه المخلوق بالخالق والعياذ بالله، وتشبيه المخلوق بالخالق يعني أن يجعل للمخلوق صفة من صفات الله جل وعلا، مثل أن يغيث أو أنه يسمع وهو غائب، أو أن له قدرة أو أن له تصرف في الكون أو أشباه ذلك، وهٰذا كحال عباد الأصنام والأوثان والقبور وعباد عيسىٰ والملائكة وعباد الأولياء، كلهم علىٰ هٰذه الصفة، يجعلون للمخلوق بعض صفات الله جل وعلا، وهٰذا لاشك أنه تشبيه وهو في حد ذاته من جهة التشبيه كفر لمن اعتقده، فمن وصف المخلوق بصفة الله جل وعلا من تصريف الكون أو يقولون: فلان من الأولياء له ربع الكون يتصرّف فيه أوله نصف الكون يتصرف فيه، أو فلان الملك له التصرف في الملكوت بنفسه فيطلب منه ويستغاث به ويسأل أو يلجأ إليه ونحو ذلك، من الأموات أو من الغائبين.

فكل هٰذا تشبيه للمخلوق بالخالق وتمثيل للمخلوق بالخالق وهو شرك بالله جل جلاله.

لهٰذا لم يُطلق أكثر السلف نفي التشبيه، وإنما أطلقوا نفي التمثيل؛ لأن الله جل جلاله قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

ولفظ شبه والتشبيه لم يرد فيه النفي في الكتاب ولا في السنة فيما أعلم، وإنما ورد لفظ التمثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وفرق ما بين التمثيل وما بين التشبيه؛ لأن التمثيل معناه المساواة هٰذا مثل هٰذا؛ يعني يساويه في صفة أو في صفات، أما التشبيه فهو من التشابه، وقد يكون التشابه كاملا، فيكون تمثيلا، وقد

يكون التشابه ناقصا فيكون في كلّ المعنىٰ أو في أصل المعنىٰ علىٰ نحو ما فصلت لك.

فإذن إذا قيل: لا نشبِّه فلا يندرج في ذلك إثبات أصل المعنىٰ يعني التشابه في المعنىٰ؛ لأنه لا يستقيم إثبات الصفات إلا بمشابهة في المعنىٰ، ولكن ليس مشابهة في كل المعنىٰ، ولا في الكيفية؛ لأن هٰذا تمثيل.

فلهٰذا لا يُطلق النفي للتشبيه، لا نقول: التشبيه منتفيا مطلقا، كما يقوله: من لا يحسن، بل يقال: التمثيل منتفٍ مطلقا، أما التشبيه فنقول التشبيه منتف؛ الله ﷻ لا يماثله شيء ولا يشابهه شيء وينصرف هٰذا النفي للتشبيه في الكيفية أو في تمام المعنىٰ في كماله.

قال: (**زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ**)، (**التَّنْزِيهَ**) يعني تنزيه الرب جل وعلا عما لا يليق بجلاله وعظمته، الذي لم يحذر النفي ولم يحذر التشبيه، فإنه يزلُّ ولن يصيب تنزيه الرب جل وعلا عما لا يليق بجلاله وعظمته.

والتنزيه هو التسبيح؛ فمعنىٰ ذلك أن من نفىٰ أو شبّه فإنه لم يسبِّح الله جل وعلا كما يليق بجلاله وعظمته؛ لأن معنىٰ سبحان الله تنزيها لله والكون كله يردد سبحان الله وبحمده، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[الإسراء:٤٤].

فإذن من الواجب أن ينزَّه الله جل وعلا عما لا يليق بجلاله وعظمته.

ولهٰذا نقول: إنّ اتقاء النفي والتشبيه هو طريق التنزيه والتسبيح الحق لله جل وعلا، فالمعتزلة الجهمية والمبتدعة من الأشاعرة والكلابية وسائر الطوائف التي نفت بعض الصفات هؤلاء لم يُنزهوا الرب جل وعلا عن ما لا يليق بجلاله وعظمته؛ بل وقعوا في شيء من عدم التنزيه؛ لذلك قال: (**وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ**) يعني لم ينزه سواء أكان مراده التنزيه فأخطأه أو هو في الحقيقة لم ينزه؛ لأنه ما نزه الله جل وعلا عما لا يليق بجلاله وعظمته؛ لأنَّ الله سبحانه له الكمال المطلق في الاتصاف بالصفات، فمن يثبت جميع الصفات فلم يثبت الكمال المطلق فمعناه أنه نقص حمده لله جل وعلا ومعنىٰ ذلك أنه لم ينزه الله جل جلاله عما لا يليق بجلاله وعظمته.

وهٰذه لجملة عظيمة من كلام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ**، -يعني من سائر طوائف الضلال- **زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ**) وإن زعم أنه ينزه فإنه لم يصب، وهٰذا يكثر في المعطلة وفي المؤولة وفي النفاة، يقولون: نفينا وأولنا وعطلنا لأجل التنزيه.

وهٰذا يرد عليهم بأنه ما فعلتموه هو وصف لله بالنقائص، وليس تنزيهًا للرب ﷻ.

ثم علل ذلك بقوله (**فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ، لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ.**) هٰذا أخذه من قول الله جل وعلا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[الصمد]، قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، ﴿أَحَدٌ﴾ يعني واحد في أسمائه وفي صفاته وفي أفعاله، فليس له شريك في ملكه، وليس له مثيل في صفاته وأفعاله، وليس له ند في فردانيته وفي صَمَدانيته جل وعلا، ولهٰذا بعدها جاء بأنواع التوحيد قال:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ يعني الذي تَصْمُد إليه المخلوقات بأجمعها في طلب ما ينفعها ودفع ما يضرها، فإذن في قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ إثبات توحيد الإلهية.

قال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وهٰذا فيه إثبات التفرد بالربوبية.

قال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ وهٰذا فيه توحيد الأسماء والصفات، فلا أحد يكافئه ويماثله، فلذلك جل وعلا أحد في أسمائه وصفاته وأفعاله جل جلاله.

قال: (فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ) يعني أنه متوحد في صفاته، (مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ) يعني أن كل نعت ينعت به الرب جل وعلا على أساس أنه منفرد فيه، فهو سبحانه فرد في أسمائه وصفاته وذاته، فهو سبحانه وِتر وفرد، وصفاته هو فيها سبحانه فرد فلا يماثله شيء ولا يشاركه فيها أحد جل جلاله.

إذا تبين لك ذلك: فالصفة والنعت هنا غاير بينهما قال: (مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ) والصفة والنعت في اللغة متقاربة، وهو لم يرد التفريق ما بين الصفة والنعت؛ لأن الله سبحانه له الصفات العلىٰ وله النعوت العلىٰ، له المثل الأعلىٰ، والصفة والنعت هي المثل في القرآن في قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[الروم:٢٧]؛ يعني له النعت والصفة والعليا ﷻ، أما المخلوق فله الوصف الأدنىٰ الذي يناسب ذاته الوضيعة الضعيفة المحتاجة.

صفات الرب جل وعلا ونعوته تنقسم إلىٰ أقسام باعتبارات مختلفة:

- فتنقسم إلىٰ قسمين باعتبار قيامها في الرب جل وعلا، تنقسم:
  - إلىٰ صفات ذات.
  - وإلىٰ صفات فعل.

أما **صفات الذَّات**: فهي التي لا ينفكُّ ربنا جل وعلا عن الاتصاف بها، لم يزل موصوفا بها وهو متصف بها دائما، مثل الوجه والعينين واليدين، مثل الرحمة والسمع والبصر، فإن الله سبحانه لم يزل ذا وجه وذا سمع وذا بصر ﷻ، وكذلك في صفاته الذاتية، ومنها صفة الرحمة، فالله جل وعلا متصف بصفة الرحمة وهي ملازمة له ﷻ.

القسم الثاني **صفات الأفعال**: وصفات الفعل لله جل وعلا يسميها بعض الناس من أهل العلم الصفات الاختيارية، وهي التي يفعلها ربنا جل وعلا تارة ولا يفعلها تارة، صفات الفعل هي التي تقوم بالرب جل وعلا بمشيئته وقدرته ﷻ، وهٰذه الصفات التي هي الصِّفات الاختيارية أوَّل من نفاها بخصوصها الكلابية، وتبعهم علىٰ ذلك أبو الحسن الأشعري؛ يعني ابن كلَّاب هو أول من نفاها ثم تبعه أصحابه ثم تبعهم أبو الحسن.

- من جهة أخرىٰ نقسم الصفات إلىٰ قسمين:
  - إلىٰ صفات جلال.

- وإلىٰ صفات جمال.

**وصفات الجلال**: هي الصِّفات التي فيها نعت الرب جل وعلا بجلاله وعظمته وقهره وجبروته ﷻ، وهي التي تجلب في قلب الموحِّد الخوف منه ﷻ، مثل صفة القوة القدرة القهر الجبروت وأشباه ذلك، صفات الجلال؛ يعني من تأمَّلها أجل الله جل وعلا وهابه وخافه ﷻ.

القسم الثاني **صفات الجمال**: وصفات الجمال هي الصفات التي تبعث في قلب الموحد [....] الرب جل وعلا والأنس به وبلقائه وبمناجاته وبالإنابة إليه، وهٰذه الصفات كثيرة لله جل وعلا، مثل صفة الرحمة والرأفة والمغفرة وقبول التوبة والسلامة؛ اسم الله السلام، والمؤمن وأشباه ذلك.

فإذن صفات العظمة هٰذه صفات يقال لها: صفات جلال، وصفات ونعوت الرحمة والمحبة ويقال لها: صفات جمال، هٰذا اصطلاح لبعض علماء السنة وهو اصطلاح صحيح.

ولهٰذا في الختمة التي تُنسب لشيخ الإسلام ابن تيمية رجَّح طائفة من أهل العلم أن تكون لشيخ الإسلام لورود هٰذا التقسيم فيها، وهو قوله في أولها: صدق الله العظيم المتوحّد بالجلال لكمال الجمال تعظيما وتكبيرا. ولا أعلم من أشهر هٰذا التقسيم قبل شيخ الإسلام ابن تيمية -يعني تقسيم الصفات إلىٰ صفات جلال وجمال- وفي هٰذه الختمة جمل معروفة في الاستعمال عن شيخ الإسلام دون غيره، وابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بحث صفات الجلال والجمال في بعض كتبه.

- التقسيم الثالث الصفات:
  - صفات ربوبية.
  - وصفات ألوهية.

هٰذا باعتبار التوحيد؛ يعني رجوع الأسماء والصفات إلىٰ نوعي التوحيد: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

فما كان من أفراد الربوبية فهو **صفات ربوبية**، مثل الملك والهيمنة والانتقام والقدرة والقوة والإحاطة وأشباه ذلك.

والقسم الثاني **صفات الألوهية**: وهي التي وحَّد العبد ربه جل وعلا بها مثل اسم الإله وما فيه، مثل الصمد وأشباه ذلك مما فيه توجه من العبد للرب جل جلاله.

قال بعدها: (**وَتَعَالَىٰ عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ، لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ.**)[1] هنا ذكر هٰذه الألفاظ متابَعَةً لما جرىٰ عليه المتكلمون في زمنه، وهو ذكرها بعد إثبات، فأثبت الصفات ثم نفىٰ، وقاعدة أهل السنة والجماعة: أن النفي يكون مجملا وأن الإثبات يكون مفصلا.

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الثالث عشر.

ففي قوله هٰذا نوع مخالفة لطريقة أهل السنة والجماعة؛ لكن كلامه محمول علىٰ التنزيه بعد الإثبات، والتنزيه بعد الإثبات يُتوسع فيه؛ لأن طريقة أهل البدع أنهم ينزهون أو ينفون بدون إثبات؛ ينفون مفصلا ولا يثبتون، ولكن المؤلف أثبت مفصلا ونفىٰ وكان في نفيه بعض التفصيل.

**لهٰذا نقول**: عند الاختيار لا نقول هٰذا الكلام -نقول تعالىٰ ربنا عن الحدود والأركان والغايات والأعضاء ونحو ذلك- عند الاختيار لا نقوله، وذلك أن هٰذه الألفاظ كما ذكرت لك:

السبب الأول: أن هٰذا نفي مفصل، وهو مخالف لطريقة أهل السنة؛ لأن طريقتهم مأخوذة من قوله تعالىٰ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ]، فنفىٰ مجملا وأثبت مفصّلا.

الوجه الثاني في هٰذه الألفاظ: أن هٰذه الكلمات لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة، فلهٰذا الذي لم يرد لا يَحسن أن ننفيه ولا أن نثبته؛ لأن طريقتنا هو اقتفاء الكتاب والسنة، فلفظ الحد والغاية والركن والأعضاء والأدوات والجهات، كل هٰذه ما جاءت في القرآن ولا في السنة، فلذلك لا نثبتها ولا ننفيها.

وليس معنىٰ النفي أنها محتملة، إذا قال أهل السنة: لا ننفيها. لا يُفهم منه يعني أن معناها محتملة، لا؛ ولكن لا ننفيها لأننا لا نتجاوز القرآن والحديث، هٰذا أمر غيبي كيف نتجاسر عليه بدون دليل، فلذلك نقول لا نثبت إلا بدليل ولا ننفي إلا بدليل.

فإذن استعمال هٰذه الألفاظ لا يسوغ، والمؤلف يؤاخذ رَحِمَهُ اللَّهُ في استعماله هٰذه الألفاظ؛ لأنها من الألفاظ التي لم ترد في الكتاب والسنة.

طبعا الحد والغاية متقارب في أن يكون له حد ينتهي إليه اتصافه بالصفة، وفي هٰذا مسألتان:

**الأولى**: أن طائفة من العلماء لما ذكروا الاستواء علىٰ العرش بالله جل وعلا سئلوا: بحدٍّ؟ قالوا: بحد. من أئمة أهل السنة كابن المبارك والثوري وجماعة من الأئمة، وهٰذا يوجَّه بأن استعمالهم لفظ (الحد) مع أنه لم يأتِ في الكتاب والسنة لأجل أن يبطلوا دعوىٰ الجهمية في أن الله في كل مكان، وإذا احتاج الموحّد لبيان عقيدته في المناظرة إلىٰ كلمات توضِح الأمر فإنه لا بأس باستعمالها للمصلحة؛ لكن لا تثبت عقيدة مستقلة -يعني إذا جاء أحد يقول: ما هي عقيدتك؟ فلا تقل: عقيدتي أن الله مستوىٰ علىٰ عرشه بحد. إنما نقول: هو جل وعلا مستوٍ علىٰ عرشه. إذا احتيج إلىٰ ذلك في مقامه فقد يُقال ذلك؛ لأن لفظ (بحد) يعني أنه ليس مختلطا بخلقه جل جلاله، فهو سبحانه الحدود والغايات التي تنتهي إليها صفاته كما قال: (تَعَالَىٰ عَنِ)، لأن الله سبحانه ليس لصفاته حد يعلمه البشر، قال: (تَعَالَىٰ عَنِ الْحُدُودِ) يعني المعلومة (وَالْغَايَاتِ) المعلومة.

**المسألة الثانية**: يشكل علىٰ هٰذا ما جاء في الحديث الذي رواه مسلم وغيره وهو قوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في وصف الرب جل وعلا: «**حِجَابُهُ النُّورُ. لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»، فهل معنىٰ ذلك أنَّ البصر محدود بالخلق؟ والجواب عن ذلك: أن هٰذا إحالة علىٰ -يعني في قوله: «**مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»- في أن الإحراق إحراق السبحات لما انتهىٰ إليه البصر، والبصر لا

ينتهي لحد، فكذلك الإحراق لا ينتهي لحد.

فإذن هو بناء شيء علىٰ شيء، فلا يُثبت الثاني لأجل ورود الأول؛ بل الثاني منفي كذلك الأول نقول ليس له حد، «**مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**» الله جل وعلا ينفذ بصره في جميع بريته ﷻ، وكل ما سواه جل وعلا مخلوق.

فإذن بصره ينتهي في جميع مخلوقاته، فإذن لو كشف الحجاب لأحرقت سبحات وجهه كل مخلوقاته.

فإذن هٰذا ليس فيه إثبات الحد والغاية، وإنما هٰذا فيه إثبات أنه جل وعلا مطلق في اتصافه بصفاته لا حد؛ يعني لذلك يُثبت؛ بل نقول: هو سبحانه كامل في صفاته.

قال: (**وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ**) هٰذه الألفاظ الثلاث -الركن والعضو والأداة-، هٰذه راجعة إلىٰ الصفات الذاتية يعني مثل اليد القدم العينين ومثل الوجه إلىٰ آخره، فهٰذا ينفي أن يكون هٰذا عضو أو ركن أو أداة أو نحو ذلك؛ لأن هٰذه الأشياء في المخلوق فينزّه الرب جل وعلا عنها، هٰذا مراده، وكما ذكرت لك المقرر أن هٰذه الأشياء لا تُقال لا نفيا ولا إثباتا؛ بل لا نذكر ذلك؛ لأن الله سبحانه أعظم من أن يُنفىٰ عنه استعمال هٰذه الألفاظ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾.

قال: (**لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ**)، (**الْمُبْتَدَعَاتِ**) يعني المخلوقات، وقوله: (**كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ**) سائر في اللغة تستعمل بمعنىٰ بقية، ولذلك قيل لبقية الشراب سؤر، فكلمة سائر يعني البقية، تقول مثلا أتاني محمد وسائر الإخوان. يعني وبقية الإخوان؛ لكن هنا استعملها بمعنىٰ (كل) (**كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ**) يعني ككل المخلوقات، المخلوقات تحويها الجهات الست، (**لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ**) الجهات الست ما هي عندهم؟ الجهات الست أمام وخلف ويمين وشمال وأعلىٰ وأسفل، هٰذه الجهات الست مخلوقة، هٰذه الجهات الست مخلوقة، وهٰذه المخلوقة لا تحوي الرب جل جلاله؛ بل الله ﷻ فوق مخلوقاته.

لكن ما من مخلوق من هٰذه الجهات الست إلا وهو نسبي إضافي ليس مطلقا، فما من شيء إلا وأمامه شيء، وهو أمام شيء، وهو يمين شيء وثَم شيء آخر يمين، وهكذا.

مثل ما نقول: نحن الآن أسفل -يعني في أرض المسجد-؛ لكن بالنسبة لمن تحتنا -في الْقَبُوْ مثلا إذا كان فيه قَبُوْ- نحن فوق مثلا، واحد ساكن في أدوار الدور الأول فوق الدور الأرضي فهو أعلىٰ؛ لكن هو بالنسبة للدور الثاني أسفل.

إذن الجهات هٰذه ليست مطلقة، وإنما هي نسبية، فتقول: يمين، ليس ثَم يمين مطلق في حياة المخلوقات وإنما هو يمين إضافي، لا تقل شمال مطلق إنما هو شمال إضافي، أمام مطلق إنما هو أمام إضافي؛ يعني نسبي تَنْسُبُه إليك وتَنْسِبُه إليك، تقول أمامي، أمام فلان، يمين فلان إلىٰ آخره.

ولهٰذا الجهة -جهة العلو- إذا نسبتها للمخلوق فثَم جهة لنا هي حال وثَم جهة لمن هم في الجهة

الثانية من الأرض هي لها حال أخرىٰ، فنحن جهة العلو عندنا فوق، وجهة السُّفل هم، وهم بالعكس يعني الذين في الجهة الثانية من الأرض.

إذن جهة العلو وجهة السُّفل هٰذه نسبية لك، تقول: هٰذا أعلىٰ، ليس هٰذا هو العلو المطلق هٰذا العلو المنسوب إليك، والذي في الجهة الثانية من الكرة الأرضية العلو هو المنسوب إليه.

فإذن هٰذه أمور نسبية في الجهات، فإذا أردت المطلق فثَم شيء واحد فقط وهو العلو المطلق علىٰ جميع المخلوقات، غير منسوب لطائفة من المخلوقات أو لبعض المخلوقات، وهو علو الرب جل جلاله.

إذن فنقول: هٰذه الجهات الست إذا أريد بها النسبي، فنقول: نعم الله ﷻ لا تحويه الجهات النسبية؛ يميني وفوقي وأمامي وشمالي وإلىٰ آخره، لا تحويه، لكن المطلق لا نقول تحوي ولا ما تحوي؛ لأنّ الله سبحانه فوق مخلوقاته، والمخلوقات هٰذه محتاجة إليه، لكن له العلو المطلق، هو سبحانه جل وعلا كلتا يديه يمين، اليمين المطلق ليس النسبي، وهو سبحانه وسع كل شيء، واسع ﷻ.

فإذن تنتبه إلىٰ أن هٰذه المخلوقات نسبية وليست مطلقة.

فإذن قوله: (**لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ**) ليس في هٰذا منحىٰ من منحىٰ أهل البدع في نفي العلو، لا؛ لكن هٰذه يعني بها الجهات الست النسبية كسائر المخلوقات، كل مخلوق لابد أن يكون محصور بهٰذه الجهات؛ يعني أعلىٰ أسفل يمين شمال والثاني كذلك والثالث كذلك، وهٰذه مسألة مهمة تفيدك في كل ما يوصف الرب جل وعلا به لا تقسه بالمخلوق؛ اجعله مطلقا.

مثل الآن مسألة النزول «**ينزل ربنا حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر**» أو «**في النصف الآخر من الليل**» أو «**آخر كل ليلة**» علىٰ اختلاف الروايات والألفاظ، هٰذه ثلث الليل هل هو منسوب لك أو منسوب للزمان المطلق؟ هنا ننسبه للزمان المطلق، الذي يدخل فيه الزمان النسبي بالنسبة للمخلوق الواحد، كذلك جهة العلو أنت تدعو ربك جل وعلا إلىٰ أعلىٰ، ونعلم أنه فوقنا ﷻ، ومن هو في الجهة الثانية هو فوقه أيضا وهو في جهة أخرىٰ، نحن مثلا نتجه كذا وهو في الجهة الثانية من الأرض يتجه عكس الاتجاه، أليس كذلك؟ لكن هٰذا علو نسبي وهٰذا علو نسبي، وإذا أردت العلو المطلق فتأمل قول الله جل وعلا: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[الزمر:٦٧]، وتأمل أنَّ السَّمٰوات السبع الأرض بالنسبة لها صغيرة، والسَّمٰوات السبع بالنسبة للكرسي صغيرة، والكرسي بالنسبة للعرش أيضا كحلقة ألقيت في ترس صغير.

فإذن كلها تتلاشىٰ، ويبقىٰ الإطلاق في الزمان وفي المكان بما يجعل معه أن تصور العبد لما يوصف الله جل وعلا به نسبيا يجني علىٰ نفسه ويدخل في النفي أو التشبيه، فيجب أن يكون ما يؤمن به الموحد من صفات الله جل وعلا علىٰ ما جاء في الكتاب والسنة، وكل ما جاء هو علىٰ الإطلاق، لا علىٰ ما تعرفه أنت من نفسك، والإطلاق اللائق بالله جل وعلا يدخل فيه ما يختص بالمعيَّن من المخلوقين، تبارك ربنا

وتعاظم وتقدس ﷻ وسع كل شيء رحمة وعلما، وكان الله بكل شيء محيطا جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه.

نقف عند هٰذا والأسبوع القدم إن شاء الله من قوله: (وَالمِعْرَاجُ حقٌّ).

وأسأل الله سبحانه أن ينفعنا وإياكم في هٰذه العقيدة، وأن يجعلنا صالحين مصلحين، وأن يقينا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

[الأسئلة]

سؤال (١٣٣): يا شيخ، قلنا: الإنسان له ملك، والله ﷻ له ملك، وملك الإنسان مقيد، وأن ملك الله مطلق، هل هٰذا صحيح؟

**الجواب**: ملك الله مطلق في الأشياء، صحيح، ملك الإنسان مقيد، صحيح.

سؤال (١٣٤): هل الفرد اسم لله؟

**الجواب**: لا، ليس من الأسماء الحسنىٰ الفرد، لكن الإخبار عن الله جل وعلا بأنه فرد موافق لاسم الله الصّمد والأحد وأشباه ذلك.

سؤال (١٣٥): قلتَ: نفي الكيفية واجب، فهل نفي الكيفية هو الواجب أم تفويض الكيفية؟

**الجواب**: الجواب أن النفي؛ يعني نفي الكيفية المعقولة، نفي العلم بالكيفية، أما اتصاف الرب جل وعلا بالصفات بكيف، هو سبحانه في صفاته متصف بها بكيف بكيفية، لكن نعلمها؟ لا نعلمها.

فإذن النفي يتوجه إلىٰ العلم بالكيفية، لا إلىٰ وجود الكيفية.

سؤال (١٣٦): ذكرت أنّ صفة الرحمة صفة جمال، فهي اختيارية وذكرت أن هٰذا ذاتية؟

**الجواب**: ما ذكرت أن صفة الرحمة اختيارية، التقسيمات غير متساوية، هٰذه تنتبه لها في العلوم جميعا، إذا قسمنا الصفات إلىٰ ذاتية وفعليه، ثم باعتبار آخر -يعني باعتبار نوعها- إلىٰ جلال وجمال، لا يعني أن الجلال هي الذاتية والجمال هي الاختيارية، لا، هٰذا تقسيم آخر.

مثل ما نقول مثلا: شرك أكبر وأصغر، شرك ظاهر وخفي، مُو معنىٰ أن الأكبر والأصغر، أن الخفي هو الأصغر، الخفي منه أكبر هو شرك المنافقين.

مثل غلط من غلط، تقسيم الكفر إلىٰ كفر أكبر وأصغر، ثُم قُسم باعتبار آخر إلىٰ كفر اعتقاد وكفر عمل، فظُنّ أن كفر العمل هو الكفر الأصغر، وأنّ كفر الاعتقاد هو الكفر الأكبر، هٰذا ليس بصحيح، فمن فهم من كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في تقسيم الكفر إلىٰ أكبر وأصغر، ثمّ إلىٰ كفر اعتقاد وكفر عمل: إن العمل هو الأصغر. هٰذا ليس بصحيح، حتىٰ علىٰ كلام ابن القيم؛ لأنّ العمل هٰذا تقسيم باعتبار المورد، مورده يكون من جهة الاعتقاد، ومورده يكون من جهة العمل، فكفر العمل منه ما هو أكبر ومنه ما هو أصغر -كما نبهنا عليه مرارا-، يعني في التقسيمات تنتبه.

مثل ما يقسّم الأصوليون الواجب مثلا، يقولون:

الواجب ينقسم إلىٰ واجب موسَّع وواجب مضيَّق، طيب.

ثم يقسمون باعتبار آخر إلىٰ واجب عيني وواجب كفائي.

ثم يقسمون القسمة الثالثة إلىٰ: واجب معيّن وواجب مخيّر، مثل [خصال] الكفارة.

فإذن هناك تقسيم، التقسيم باعتبارات مختلفة، فإذا علمت التقسيم مع جهة اعتباره فهمت العلم، أما التقسيم هٰذا مطلقا بدون أن تفهم جهة اعتبار التقسيم فهٰذا يُحدث لَبْسا.

سؤال (١٣٧): هل الإنسان إذا رأىٰ ربه في المنام تكون الرؤية صحيحة؟

**الجواب**: مثل ما جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**رأيت الليلة ربي في أحسن صورة**»، يرىٰ المؤمن ربه جل وعلا في صورة إيمانه بالله، فإذا كان إيمانه بالله كاملا رأىٰ صورة حسنة أحسن الصور، وإذا كان إيمانه بالله ناقصا رأىٰ صورة تناسب إيمانه؛ لكن ما يرىٰ في المنام الرب جل وعلا علىٰ ما هو عليه جل جلاله.

سؤال (١٣٨): إذا أردتُ أن أعظ عاصيا.

**الجواب**: هٰذا يعني تأمل صفات الجلال وصفات الجمال وتأمل التوحيد، التوحيد كله خير، الذي يعلم التوحيد يعلم صفات الرب جل وعلا، ويأخذ هٰذه المباحث من جهة إيمانه بما وصف الله جل وعلا به نفسه، وإيمانه بأركان الإيمان الستة والملائكة والإيمان بالقدر والكتب والرسل ويوم الآخر، لاشك أنه سيُعقبه خشية وإن أذنب فسيرجع، مثل ما جاء في الحديث أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال «**إذا زنىٰ العبد المؤمن كان الإيمان علىٰ رأسه كالظلة، فإن ترك عاوده**»؛ لأنّ الموحد ولو عصىٰ غلبته شهوته علىٰ المعصية، أخطأ، أذنب، فإنّ إيمانه بربه جل وعلا وتعظيمه لله جل جلاله يوجب عليه الخشية والإنابة والخوف؛ لأن الرب سبحانه مستحق لأنْ يُذلَّ له وأن يطاع فلا يعصىٰ وأن يذكر فلا ينسىٰ.

أعانني الله وإياكم علىٰ الخير والهدىٰ والتوبة والإنابة.

سؤال (١٣٩):يسأل عن وصف اليمين والشمال لله جل وعلا.

**الجواب**: هٰذا جاء في حديث رواه مسلم وأثبته طائفة من أهل العلم.

والصواب عندي عدم إثباته؛ إثبات صفة الشمال لله جل وعلا.

سؤال (١٤٠): ذكرتَ في هٰذا الدرس: صفة العين مع عدم وروده، فما وجه ذلك؟

**الجواب**: كيف صفة العين مع عدم وروده؟!! الله جل وعلا متصف بهٰذه الصفة كما قال سبحانه: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطور:٤٨]، وقال سبحانه: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، والجمع هٰذا يُراد به المثنىٰ؛ لأن لغة العرب إذا أضافت المثنىٰ إلىٰ ضمير تثنية أو إلىٰ ضمير جمع جَمعت المثنىٰ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[التحريم:٤]، مع أنَّ لهما قلبين: قلب عائشة وقلب حفصة، ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أصل الكلام: فقد صغىٰ قلباكما. لكن لما كانت التثنية تضاف إلىٰ ضمير التثنية

أو الجمع فيجمع الأول.

وقد ثبت في حديث ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن الدجال أعور العين اليمنىٰ، كأن عينه عنبة طافئة -أو طافية** روايتان، **وإن ربكم ليس بأعور جل جلاله**»، العَوَر في اللغة هو ذهاب أحد ما له منه اثنان؛ يعني أحد العينين؛ هٰذا العور، عينان ذهبت إحداهما قيل عَوَر، فلهٰذا الدجال وصف بأنه أعور قال: «**وإن ربكم ليس بأعور**»؛ يعني لا يشتبه عليكم الدجال له عين واحدة، والله سبحانه ليس بأعور؛ يعني له عينان.

ومن قال: إنَّ الآية ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ فيها إثبات الأعين لله جل وعلا، هٰذا باطل من جهتين:

الجهة الأولىٰ: الإجماع فإنَّ أهل السنة أجمعوا علىٰ أن الله موصوف بصفة العينين.

والثاني: أنَّ الأعين مخالفة لقوله: «**وإن ربكم ليس بأعور**»؛ لأن لفظة أعور في اللغة تدل علىٰ ذهاب إحدىٰ العينين، فتكون الإضافة ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ هي إضافة مثنّىٰ إلىٰ مجموع فجمع لأجل هٰذه الإضافة كما هو مقرّر في لسان العرب يعني في لغة العرب.

نكتفي بهٰذا القدر، وصلىٰ الله وسلم بارك علىٰ نبينا محمد.

## الدرس السادس عشر

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

📖 وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَعُرِجَ بِشخْصِهِ فِي الْيَقَظَةِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَىٰ حَيْثُ شاءَ اللهُ مِنَ الْعُلَا، وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شاءَ، وَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾[النجم]. فَصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ.

وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ -غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ- حَقٌّ.

---

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ إلٰه وصحبه أجمعين.

اللّٰهمَّ نسألك علما نافعا، وعملا صالحا خالصا، وقلبا خاشعا، ودعاء مسموعا.

ربنا لا تكِلنا لأنفسنا طرفة عين، عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَعُرِجَ بِشخْصِهِ فِي الْيَقَظَةِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَىٰ حَيْثُ شاءَ اللهُ مِنَ الْعُلَا ، وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شاءَ، وَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم]. فَصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ.).

هٰذه الجملة من كلامه اشتملت علىٰ تقرير الإسراء والمعراج، وأنّ النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أُسري به من مكة إلىٰ بيت المقدس، وأنه عُرج به عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ إلىٰ السماء في اليقظة إلىٰ حيث شاء الله جل وعلا من العلو.

وهٰذه المسألة من المسائل الغيبية؛ يعني أن حقيقة الإسراء وحقيقة المعراج من الغيب الذي لم يُعلم إلا من جهته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ؛ يعني أنَّ الله جل وعلا أسرىٰ بنبيه، ثم عَرَج به إلىٰ السماء، فالعقل لا يدلّ علىٰ ذلك ولا يستلزمه، وإنما ذلك سُلِّم به وكان حقًّا من جهة أن الله جل وعلا أخبر به في كتابه وأخبر به نبينا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، فالإيمان به واجب، وهو حق لا مِرْية فيه.

وثَم كما سمعت ارتباط ما بين الإسراء والمعراج، والإسراء والمعراج معنيان مختلفان.

**فالإسراء**: هو المشي في الليل، سَرَىٰ أي مشىٰ في الليل، وأسرىٰ أي مشىٰ ليلا.

وأما **المعراج**: فهو مِفْعَال من العروج، وهو اسمٌ للآلة التي عليها عُرج به عليه الصلاة والسلام.

**والإسراء**: هو الانتقال ليلا من مكة إلىٰ بيت المقدس، وكان علىٰ دابة بين البغل وبين الحمار تسمىٰ البُرَاق.

وأما **العروج** إلىٰ السماء فكان علىٰ آلة علىٰ سُلَّمٍ خاص وهو المعراج.

فإذن الإسراء اسم للفعل، والمعراج اسم للآلة التي عليها سار عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ إلىٰ السماء.

إذا كان كذلك، فالإسراء وهو المشي ما بين مكة وبيت المقدس ليلا في ساعات معدودة ثم الرجوع، هٰذا أمر غيبي عجيب، لهٰذا الإيمان به واجب بتفاصيله التي وردت، فيكون له أصل الكلام علىٰ

الغيبيات، فما جاء فيه يُصدَّق دون تعرض للعقل فيه؛ يعني أن العقل لا مَسْرَح له في الأمور الغيبية فكل ما جاء فيه حق دون تفكير فيه من جهة العقل؛ أن هٰذا يمكن عقلا أو لا يمكن.

كذلك المعراج وهو أبلغ في كونه غيبيا، فإن آلة العروج وذهاب النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ إلىٰ السَّمٰوات السبع، يَستفتح سماء، فيُستفتح له من سماء علىٰ سماء إلىٰ أن بلغ سدرة المنتهىٰ إلىٰ أن كلَّم الرَّحمٰن جل جلاله، هٰذا أمر غيبي، ففي أصله وفي تفاصيله مندرِج عليه قاعدة الغيبيات عند أهل السنة والجماعة.

إذن فهٰذا الذي ذكره الطحاوي أصل في الإيمان بالإسراء والمعراج، وأنَّ الإسراء والمعراج أمران غيبيان، وإذا كان غيبيين فلا يُتعرّض لهما ولا بما جرىٰ فيهما بتأويل أو تحريف يخالف ظاهر ما دلت عليه النصوص، فالنص دلّ -يعني من الكتاب والسنة- علىٰ أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أُسري به ليلا في وقت قصير ما بين مكة إلىٰ بيت المقدس.

وأخبر عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أنَّ جبريل جاءه وهو مضطجع في الحطيم، فأخذه فشق صدره ما بين ثُغرة نحره إلىٰ شُعرته إلىٰ أسفل بطنه، وكان أثر المخيط يظهر في صدره عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، فلما شقّه أخرج قلبه وجِيء بطست فيه الإيمان والحكمة، طست من ذهب، قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ «**فغُسل قلبي به وحُشي إيمانا وحكمة**»، وكان هٰذا لأجل أن يستعد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لهٰذا الأمر الغريب؛ وهو أنه يقطع هٰذه المسافة الطويلة في الأرض في وقت وجيز ثم يُصعد به إلىٰ السماء فيحتاج إلىٰ قلب خاص، ومعلوم أن الإنسان إذا خاف أو استغرب فأول ما يتأثّر قلبُه، فإذا كان قلبه لا يتأثّر من الاختلاف، فإنه يتحمل بدنه ذلك بما أعدَّ الله جل وعلا له في ذلك.

قال: «**ثم أخذني جبريل فإذا دابة بين البغل والحمار، فقال: اركب. فركبت، ثم سرنا إلىٰ أن وصلنا إلىٰ بيت المقدس**» إلىٰ آخر الحديث.

فهٰذه الصفات ومما حصل له في بيت المقدس من لقاء الأنبياء ومن صلاته فيه -يعني صلاته في بيت المقدس- ومن كونه صار إماما، واجتماع الأنبياء له، وكونه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أَمَّهُم.

كل هٰذا وما ثبت في الأحاديث الصحيحة من الأمور الغيبية التي تجري عليها قاعدة أهل السنة والجماعة في الأمور الغيبية بأنه:

- يُسَلَّمُ بها. **واحد.**
- يُؤمن بها. **اثنين.**
- ألا يُتعرض لها بتأويل يصرفها عن ظاهرها، أو بتحريف يصرفها عن حقائقها.

فنؤمن بها علىٰ ما جاء، من جنس جميع الأمور الغيبية التي أخبرنا بها جل وعلا، أو أخبرنا بها نبينا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

**المعراج** -كما ذكرتُ لك- آلة العُروج فقد جاء وصفها بأن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لما صلَّىٰ في

بيت المقدس أخذه جبريل، قال: «**فوجدتُ سُلَّمين أحدهما ذهب والآخر فضة، فقال لي جبريل: اصعد. فصعدتُ**»، وجاء في بعض الروايات أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال في المعراج: «**وهٰذا هو الذي يشخص إليه البصر حين تفارق الروح البدن**» يعني أن هٰذا المعراج آلة خاصة يُعرج بالبدن وبالروح في السماء بها.

فهي إذن آلة من جنس الآلات الله جل وعلا أعلم بحقيقتها.

إذا تبين ذلك في تقرير مذهب أهل السنة والجماعة في الإسراء والمعراج، علىٰ هٰذا الوصف الإجمالي فثَم هاهنا مسائل:

**الأولى**: أنّ الإسراء والمعراج يربطان معا، وأهل العلم مختلفون في هل تكرر الإسراء والمعراج، أم كانا مرة واحدة، علىٰ أقوال كثيرة، وأهمها قولان:

**الأول**: أن الإسراء والمعراج لم يكونا إلا مرة واحدة.

**والثاني**: أنَّ الإسراء وقع مرتين، والمعراج وقع مرة واحدة، وهٰذا هو اختيار الحافظ ابن حجر.

والأول أوْلىٰ، وهناك من قال: إن المعراج تكرر وأن الإسراء تكرر ثلاث مرات أو أربع مرات.

وسبب الاختلاف في تكرر وقوعه هو اختلاف الروايات، فكلما جاءت رواية فيها مخالَفة لرواية أخرىٰ مع ثقة النقلة قالوا: إن هٰذا يُحمل علىٰ تعدد الوقوع؛ ولكن هٰذا ليس بجيد ولا بصحيح حيث المنهج؛ لأن الإسراء كما هو ظاهر الآية وقع مرة واحدة ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾[الإسراء:١].

وقد يكون ثَم احتمال في بعض الروايات أن الإسراء وقع مرتين؛ لكن الأقرب لظاهر الأدلة أن الإسراء والمعراج وقعا مرة واحدة.

**المسألة الثانية**: متىٰ وقع الإسراء والمعراج؟

♦ أكثر أهل العلم علىٰ أن الإسراء والمعراج وقعا قبل الهجرة بسنة، علىٰ تباين بينهم في هل السنة تحديدا أم السنة تقريبا؟

- فقال بعضهم سنة إلا شهر.
- وقال بعضهم سنة إلا شهرين.
- وقال آخرون ثمانية أشهر قبل الهجرة.
- وقال آخرون عشرة، إلىٰ آخره.

وإذا تبين هٰذا الاختلاف في كونه قبل الهجرة بسنة لهٰذا القول، فإنّ معه عدم تحديد وقوع الإسراء والمعراج في شهر رجب، واشتهر عند المؤرخين عند أصحاب السير أن الإسراء والمعراج وقعا في رجب، في الليلة؛ ليلة السبعة والعشرين من ليلة رجب، وهٰذا إنما هو عند طائفة من أهل السّير، وأما أهل العلم المحققون من المحدثين والفقهاء ومن المفسرين فإنهم لا يحملون ذلك علىٰ الوقوع في شهر

رجب بظهور، وإنما يقولون: وقع قبل الهجرة بسنة، ومعلوم أن الهجرة كانت في شهر ربيع الأول، وإذا كان كذلك فقولهم قبله بسنة يعني أنّ الإسراء والمعراج لم يقع في رجب، والأكثرون من أهل العلم علىٰ أنه أكثر من سنة: سنة وشهرين، سنة وثلاثة أشهر ونحو ذلك، والقليل من قال: إنه ثمانية أشهر.

هٰذا قول أنه كان قبل سنة.

♦ والقول الثاني: أنه كان قبل ثلاث سنين.

♦ وقال آخرون وهو القول الثالث: أنه كان قبل خمس سنين، واستدلّوا علىٰ ذلك بأنَّ خديجة صلّت وقد ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين أو بخمس سنين، قالوا: كيف تصلي وإنما فُرضت الصلوات في ليلة المعراج؟ فكونها صلت يدلّ علىٰ أن المعراج وقع في حياتها، وهي ماتت قبل الهجرة بثلاث أو بخمس سنين.

والجواب عن هٰذا: أن الصلاة كانت مفروضة ركعتين ركعتين؛ ركعة[1] أول النهار وركعة آخر النهار، كما قالت عائشة رضي الله عنها: فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين ركعتين، فزيد في صلاة الحضر، وأُقرت صلاة السفر.

فخديجة رضي الله عنها كانت تصلي؛ ولكن لم تكن في الصلاة المفروضة؛ الصلوات الخمس التي فرضت ليلة المعراج.

**المسألة الثالثة**: الإسراء والمعراج هل وقعا بجسد النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أم بروحه؛ يعني بجسده وروحه، أم بروحه فقط، أم كانا مناما؟

اختلف الصحابة رضوان الله عليهم في ذلك:

- فقالت طائفة: كان الإسراء والمعراج بروحه.
- وقال آخرون: بل بروحه وبجسده.

ولم يقل أحد منهم: إنّ الإسراء والمعراج كانا مناما. لهٰذا لا يسوغ أن ينسب هٰذا القول للسلف؛ بل قاله بعض العلماء الذين لم يدقِّقوا الفرق بين قول من قال: إنه روح وبين أن يكون مناما.

**والصواب** الذي عليه عامة أهل السنة؛ أكثر أهل السنة: أنه كان بجسده وروحه معا في الإسراء والمعراج، ولم يقل أحد من المنتسبين لأهل العلم -فيما أعلم-: إنه أُسري بجسده وروحه وعرج بروحه فقط، وإنما تَم اتفاق ما بين الإسراء والمعراج؛ لأنه لم يقل أحد أنه ذهب ونام في بيت المقدس.

إذن نقول: الصواب أن الإسراء والمعراج كانا بروحه وجسده معا.

ويدلُّ علىٰ ذلك أدلة منها:

♦ أنَّ الله جل وعلا قال: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا

---

(١) انظر آخر هذا الدرس السؤال رقم:١٦٦.

﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ﴾[الإسراء:١][1] قوله﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ العبد: اسم للجسد والروح معا، وليس اسما للروح، وإنما الروح تُخصّ بالإضافة، فيقال: روح العبد، «**روح عبدي فلان**»، كما جاء في بعض الأحاديث، وكذلك الجسد يخص، فيقال: جسد فلان، أو جسد عبدي فلان؛ يعني إذا كان من الله جل وعلا.

أما إطلاق لفظ العبد أو الإنسان فإنه يكون بمجموع الروح والجسد.

فإذن في قوله: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ دليل علىٰ أن الإسراء كان بالروح والجسد معا، وإذا كان في الإسراء كذلك، فالمعراج كان بهما جميعًا.

◄ والدليل الثاني: أنَّ النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أخبر أنه كان مضطجعا في بيته، أو في بيت أم هانئ، ففُرِج السقف فنزل جبريل، وفي رواية أنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ كان مضطجعا في الحطيم -في الصحيحين- فأخذه جبريل فشق صدره ما بين ثُغرة نحره إلىٰ أسفل بطنه، استخرج قلبه إلىٰ آخره، وهٰذه إنما تكون للجسد، ولا معنىٰ للإسراء بالجسد بدون روح، فصار ثَم تلازم ما بين الإسراء بالجسد والروح معا.

إلىٰ أدلة أخرىٰ في هٰذا المقام معروفة.

**المسألة الرابعة**: أن الإسراء والمعراج اختلفت فيها الأحاديث.

فمن الأحاديث ما أُفرد فيه الإسراء دون المعراج.

ومنها ما أُفرد فيه المعراج دون الإسراء.

وهي في الصحيح وفي غيره.

وما جرىٰ في الإسراء وما جرىٰ في المعراج يؤخذ من مجموع الأحاديث؛ يعني أن تُجمع الرّوايات الصحيحة التي جاءت في الإسراء وجاءت في المعراج، وينظر ما حدث في الإسراء والمعراج؛ يعني أنّ بعض الروايات -مثلا فيما رواه البخاري في صحيحه- قال: «**فأتاني جبريل فأخذني فأركبني علىٰ البراق فعرجت في السماء-أو فعرج بي إلىٰ السماء- فاستفتح**» وهٰذا فيه نقص؛ لأن العروج في السماء إنما كان بعد الذهاب إلىٰ بيت المقدس.

وفي بعض الروايات فيها نقص.

المقصود أن الإسراء والمعراج تنوعت الروايات فيه، ونبَّه أهل العلم علىٰ أن أحد الروايات في الإسراء والمعراج -مما روي عن أنس ﷺ- أن فيها خلطا، وهي رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر في البخاري وفي غيره، ومسلم رَحِمَهُ اللَّهُ حينما ذكر الرواية في صحيحه أشار إلىٰ رواية شريك بن عبد الله عن أنس، وقال: فزاد ونقص يعني شريكا فزاد ونقص وقدم وأخر. ولم يسق روايته، وفي روايته أغلاط عند

---

(١)انتهىٰ الشريط الثالث عشر.

أهل العلم، خالف فيها مجموع أهل العلم الذين رَوَوا ذلك عن الصحابة.

إذن فمسألة الروايات بها يُعلم ما حصل.

وبالنسبة للمعراج رواية الإسراء فيها يعني الإسراء والمعراج معا؛ يعني مجموع الروايات، فيه أن فيه وصف الدابة، وفيه تسميتها بالبُراق.

وتسمية هٰذه الدابة بالبُراق لأمرين:

**الأول**: أنها في سرعتها كالبرق، قد جاء في وصفها أنها -يعني البراق وهي الدابة- تضع حافرها حيث ينتهي بصرها، معلوم أن الإسراء كان بالليل معناه أنها تبصر ليلا وأن سرعتها عظيمة، فلذلك كان من أوجه تسميتها بالبراق أن سرعتها كالبرق.

**الثاني** في تسميتها بالبراق: أن لها بريقا، ولذلك جاء في وصفها أنها بيضاء، دابة بيضاء بين البغل والحمار، ذلك لأن لها بريقا والبريق يؤخذ من البياض.

النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في الإسراء به مرَّ علىٰ أشياء كثيرة حتىٰ وصل إلىٰ بيت المقدس.

قال طائفة من أهل العلم: ارتبط الإسراء بالمعراج مع أنه لا رابط بينهما من جهة العروج إلىٰ السماء، يمكن أن يكون العروج إلىٰ السماء من مكة، ارتبط الإسراء بالمعراج وكان الإسراء من مكة إلىٰ بيت المقدس ثم العروج من بيت المقدس لأمور؛ يعني لحكم فيما استظهروه:

♦ **الحكمة الأولىٰ**: أن يطلع النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في مسيره علىٰ الأرض علىٰ أشياء تكون أقوىٰ لحجته إذا سأله المشركون، ولو عُرج به إلىٰ السماء مباشرة فإذا سألوه فلن يكون عنده ما يُقَوِّي حجته عليهم بهٰذا الأمر، لهٰذا لما رجع سألوه فأخبرهم عن خبر قافلة، فلما رجع أهل القافلة سألوهم فقالوا: نعم حصل كذا وكذا.

♦ **الثاني من الحِكم**: أن فيها إظهارا للترابط ما بين مكة وما بين بيت المقدس، وأنّ بيت المقدس كان قبلة وأن مكة كانت قبلة، فلم يتوجه بالُ الأنبياء إلا إلىٰ هذين إلىٰ بيت المقدس وإلىٰ مكة المكرمة يعني إلىٰ الكعبة.

♦ **التعليل الثالث**: أن يظهر فضل محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ حيث يلتقي بالأنبياء في بيت المقدس ثم يصلي بهم، وقد جاءت روايات مختلفة صحيحة في دخول النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ إلىٰ المسجد الأقصىٰ، ففيها أنه دخل فقال له: جبريل صلِّ ركعتين. فصلىٰ ركعتين، وصلىٰ جبريل ركعتين، ثم وجد الأنبياء ووجد صفوفا خلفه فصف معهم، ثم قَدَّمَه جبريل عليه السلام فصلىٰ بهم، ففي هٰذا إظهار لفضله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ولمكانته ومزيته في الإمامة علىٰ سائر الأنبياء عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

أيضا مما يذكر في الإسراء أنَّه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ مرّ بموسىٰ في قبره قال -كما رواه مسلم في الصحيح- «**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِمُوسَىٰ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ**»، وهٰذا الحديث رواه مسلم في الصحيح، وطائفة من أهل العلم قالوا: إن في هٰذا الحديث شذوذا أو نكارة. ولم يقبلوه،

والأكثرون علىٰ قَبوله؛ يعني أن هٰذا الحديث صحيح، وابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ وجماعة ممن يميلون إلىٰ أن فيه مقالاً.

أيضا مما حدث في الإسراء أن أهل العلم اختلفوا في الدَّابة: هل رُبطت أم تُركت؟

فأنكر طائفة أن تكون ربطت في الصخرة.

وقَبِل هٰذه الرواية أكثر أهل العلم فقالوا: إن جبريل وخز الصخرة فثقبت فربط الدابة فيها.

أما المعراج: فلما عُرج به عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أتوا إلىٰ السماء الأولىٰ فاستفتح جبريل، فقيل له: أمعك أحد؟ قال: نعم. قيل: من؟ قال: محمد بن عبد الله. فقيل له: أو قد بعث؟ أو قد أرسل؟ أو أوقد أوحي إليه؟ فقال: نعم. ففتح، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: فلما ولجنا السماء وجدتُ فيها آدم عليه السلام -يعني السماء الأولىٰ- إلىٰ آخره، فقيل لي: هٰذا أبوك آدم فسلِّم عليه. قال: فسلمت عليه، ثم رد علي السلام، فقال: مرحبا بالابن الصَّالح والعبد الصَّالح.

ثُم عَرج به إلىٰ السماء الثانية، فاستفتح -يعني حصل مثل الذي حصل؛ أو قد أرسل؟ إلىٰ آخره- فوجد في السماء الثانية عيسىٰ عليه السلام ويحيىٰ وهما ابنا خالة.

ثُم إلىٰ السماء الثالثة وجد فيها يوسف.

ثُم السماء الرابعة وجد فيها إدريس.

ثُم السماء الخامسة وجد فيها هارون.

ثُم السماء السادسة وجد فيها موسىٰ عليهم جميعا السلام.

ثُم السماء السابعة وجد فيها إبراهيم، وكل يقول له مرحبا بالأخ الصَّالح والعبد الصَّالح، إلا آدم وإبراهيم فيقولان: مرحبا بالابن الصَّالح والعبد الصَّالح.

ولما مر علىٰ موسىٰ عليه السلام وسلم عليه ورد عليه موسىٰ، قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: فلما انصرفت أو فلما ذهبت إذا به يبكي -موسىٰ عليه السلام- فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: أبكي أن بُعث غلام من بعدي يكون من يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل الجنة من أمتي.

ثُم لقي إبراهيم الخليل عليه السلام في السماء السابعة، قال: ثم رُفعت لي سدرة المنتهىٰ، فإذا نبتها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال: ثم رفع لي نهران باطنان ونهران ظاهران، فسألت: فقيل لي النهران الباطنان من الجنة والنهران الظاهران النيل والفرات.

ثم أتيتُ بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فشربت الإناء من اللبن، فقيل لي: هديت للفطرة أو هٰذه الفطرة فيك وفي أمتك. أو كما قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ إلىٰ آخر الحديث.

المقصود أن هٰذا حديث المعراج وما فيه، هٰذه إحدىٰ الروايات والروايات في ذلك كثيرة، باختلاف أماكن الأنبياء، واختلاف المقالة، اختلاف ما حصل وكذلك ما حصل في السماء السابعة.

**إذا تبين ذلك** فثَم كلام هنا علىٰ لُقْيا النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ للأنبياء والمرسلين والعلماء لهم في

ذلك قولان: هل لقي أجسادَهم مع أرواحهم؟ أم إنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لقي أرواحهم دون أجسادهم؟

♦ فطائفة من أهل العلم قالوا: لقي أرواحا وأجسادا، واستدلوا علىٰ ذلك بدليلين:

**الأول**: أن هٰذا هو الظاهر من الجمع؛ يعني من أنهم جُمعوا له وأنه كلّم آدم وكلّم فلان وكلّم فلان إلىٰ آخره.

**والدليل الثاني**: أنه جاء في أحد الروايات قوله: «**وبُعثت لي الأنبياء**» وبعثة الأنبياء له، تدلّ علىٰ أن ذلك خاص في ذلك الموقف الخاص.

♦ والقول الثاني: أن ذلك إنما هو للأرواح دون الأجساد حاشا عيسىٰ عليه السلام فإنه رُفع إلىٰ السماء بروحه وجسده، وفي إدريس قولان؛ إدريس عليه السلام في السماء الرابعة فيه قولان، هل كان رفعه للسماء الرابعة بروحه فقط أم كان بروحه وجسده؟ وفي ذلك خلاف عند المفسرين وعند أهل العلم مأخوذ أو تجده عند قوله تعالىٰ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾[مريم] في قصة لا تثبت؛ يعني في قصة لسبب الرّفع لا تثبت.

**والأظهر من القولين عندي** أن ذلك كان بالأرواح دون الأجساد خلا عيسىٰ عليه السلام؛ وذلك أنَّ النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ حين التقىٰ بالأنبياء وصلوا معه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ:

- إما أن يُقال: صلوا معه بأجسادهم، وقد جُمعت أجسادهم له من القبور، ثم رَجعت إلىٰ القبور وبقيت أرواحهم في السماء.
- وإما أن يُقال: هي بالأرواح فقط؛ لأنه لقيهم في السماء.

ومعلوم أنَّ الرّفع إنما خُصَّ به عيسىٰ عليه السلام إلىٰ السماء رفعا حيّا، وكونهم يرفعون بأجسادهم وأرواحهم إلىٰ السماء دائما ولا وجود لهم في القبور، هٰذا لا دليل عليه؛ بل يخالف أدلة كثيرة أن الأنبياء في قبورهم إلىٰ قيام الساعة.

فمعنىٰ كونهم ماتوا ودُفنوا أن أجسادهم في الأرض، وهٰذا هو الأصل، ومن قال بخلافه قال هٰذا خاص به عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أنه بعثت له الأنبياء فصلىٰ بهم ولقيهم في السماء، وهٰذه الخصوصية لابد لها من دليل واضح، وكما ذكرت لك فالدليل التأمُّلي يعارضه.

وعلىٰ كل هما قولان لأهل العلم من المتقدمين والمتأخرين.

**المسألة الخامسة**: النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ حين رُفع إلىٰ ما وفق السماء السابعة، ورأىٰ البيت المعمور، ورأىٰ سدرة المنتهىٰ، رأىٰ أشياء من آيات الله الكبرىٰ، كما قال جل وعلا: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾[النجم].

النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ رأىٰ هٰذه الأشياء رآها بقلبه ورآها بعينه، كما قال جل وعلا: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾[النجم]، فصار للفؤاد رؤية، وقال: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾[النجم] فصار للبصر رؤية.

لهٰذا نقول: رؤية النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لآيات ربه الكبرىٰ لما فوق السماء السابعة وفي السماء

السابعة وما رأىٰ صار بشيئين: بالبصر وبالقلب جميعا، ولا يقال بالبصر وحده ولا يقال بالفؤاد وحده؛ بل رأىٰ بهما جميعا.

وهٰذا يعني أن ثَم أشياء قد يكون قد رآها ببصره وقلبه جميعا، وثَم أشياء رآها بفؤاده دون بصره.

لهٰذا قال من قال من أهل العلم: إن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ رأىٰ ربه جل وعلا بفؤاده، وهٰذا يجرنا إلىٰ المسألة المشهورة:

هل رأىٰ نبينا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ربه أم لا؟

في قولين للصحابة:

- منهم من قال: رأىٰ ربه.
- ومنهم من قال: لم يره.

كما هما قولان لعائشة وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين.

**والصحيح من ذلك** أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لم يرَ ربه وإنما سمع كلامه، ﴿**فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ** ۝١٠﴾[النجم]، كما ثبت في الصحيح من حديث أبي ذر أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قيل له: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟؟ قال: «**نُورٌ فَأَنَّىٰ أَرَاهُ**»؟ يعني ثَم نور وهو الحجاب، حجاب الرب جل وعلا نور، قال: «**ثم نور أنىٰ أراه**»، وفي رواية أخرىٰ قال «**رأيت نوراً**»؛ يعني نور الحجاب.

إذن فالصحيح أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ حصلت له أنواع رؤية:

منها رؤية أشياء بالبصر.

ورؤية أشياء بالقلب بالفؤاد.

ورؤية أشياء بهما جميعا.

وأما الله جل جلاله فلم يره وإنما سمع كلامه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

**المسألة السادسة**: أنه من المشهور المعروف في قصة الإسراء والمعراج المراجعة التي حصلت بين النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ وموسىٰ في فرض الصلاة، فإنَّ الله جل وعلا فرض الصلاة المفروضة علىٰ هٰذه الأمة خمسين صلاة، ثم رجع جبريل مع النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ثم لما لقي النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ موسىٰ سأله فقال: «**فرض علي خمسين صلاة**»، فقال: إنها لكثيرة وقد عالجت من أمر أمتي ما علمتُ أن أمتك لن تطيق ذلك، فارجع فاسأل ربك التخفيف. قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**فاستأذنت جبريل فأذن لي فسألت ربي التخفيف**».

هنا وقع خلاف في الروايات: هل صار التخفيف خمسا خمسا؟ أم كان التخفيف عشرا عشرا حتىٰ وصلت إلىٰ خمس في آخرها؟

**والصواب** الأصح أنَّ التخفيف وقع عشرا عشرا؛ يعني.... ثم خفف عنه فصارت عشرين، ثم خفف عنه فصارت عشرا، ثم خفف عنه خمسا، ثم لما رجع إلىٰ موسىٰ قال: إنها كثيرة إن أمتك لن تطيق ذلك،

فقد عالجتُ من أمر أمتي ما عالجت أو كما قال فقال نبينا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**لقد استحييت من ربي، فقد سمعته من يقول لقد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي**».

هٰذه بعض المسائل المشهورة في مسألة الإسراء والمعراج، ولا ندري هل غطيت أم لا؟

نرجع إلىٰ ألفاظ المؤلف.

قال: (**وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وَعُرِجَ بِشخْصِهِ فِي الْيَقَظَةِ**)، (**فِي الْيَقَظَةِ**) يعني ليس في المنام، (**وَعُرِجَ بِشخْصِهِ**) يعني بجسده يعني بروحه، فنفهم من قوله: (**وَعُرِجَ بِشخْصِهِ**) أنه عروج بالرّوح والجسد معا، وقوله (**فِي الْيَقَظَةِ**) أنها ليست في المنام، وقوله: (**وَقَدْ أُسْرِيَ**....، **وَعُرِجَ**) نفهم منه أنهما متلازمان كما قررتُ لك سالفا، قال: (**إِلَىٰ السَّمَاءِ**) والمقصود بـ(**السَّمَاءِ**) جنس السماء وهي السَّمٰوات، (**ثُمَّ إِلَىٰ حَيْثُ شاءَ اللهُ مِنَ الْعُلَا**) يعني مما فوق السماء السابعة، (**وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شاءَ**) يعني من تكليمه ومن أنه رأىٰ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أشياء لم يرها غيرُه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ وما حباه الله جل وعلا به، قال (**وَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ مَا أَوْحَىٰ**) يعني من شأن الصلاة وفي غيره، (﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾[النجم])، ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ هٰذه:

**قد تُفهم** علىٰ أنه رأىٰ ربه في فؤاده يعني من حيث صياغة المؤلف.

**وقد يفهم** أنه أراد الاستشهاد بالآية ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ يعني ما رآه في أثناء الوحي من الأنوار والآيات العظام.

قال: (**فَصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ**)، (**فَصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ**) الصلاة هنا علىٰ النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ من الله جل جلاله معناها الثناء عليه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، فالصلاة لها استعمالات:

فإذا كانت الصلاة من الله جل وعلا علىٰ عبده علىٰ الأنبياء والمرسلين علىٰ المؤمنين ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾[الأحزاب:٤٣]، تكون الصلاة من الله جل وعلا بمعنىٰ الثناء؛ يعني يُثني علىٰ نبيه في الملإ الأعلىٰ: اللّٰهمَّ صلِّ علىٰ محمد يعني أثْنِ علىٰ محمد في الملإ الأعلىٰ بما هو أهله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

والصلاة من الملائكة علىٰ المؤمنين هو الدعاء لهم والاستغفار ﴿ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ يعني الملائكة تدعو لابن آدم: اللّٰهمَّ اغفر له اللّٰهمَّ ارحمه، تستغفر له كما قال جل وعلا: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[غافر:٧].

الصلاة من العبد للعبد: اللّٰهمَّ صلِّ علىٰ فلان؛ يعني اللّٰهمَّ أثني علىٰ فلان، صليتُ عليك أو لك؛ يعني دعوت لك، لهٰذا قال جل وعلا: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة:١٠٣].

**إذا تبين ذلك**، فالصلاة من الله جل وعلا مختصة بالأنبياء والمرسلين؛ يعني لا يقال علىٰ وجه الانفراد: اللّٰهمَّ صلَّ علىٰ فلان إلا أن يكون نبيا ورسولا؛ يعني أن يكون نبيا أو رسولا -أحسن من الواو-؛ نبيا أو

رسولا الصلاة علىٰ الأنبياء والمرسلين، أما غيرهم فلا يصلىٰ عليه علىٰ وجه الانفراد، وقد يُصلىٰ عليه علىٰ وجه التّبع: اللّٰهمَّ صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، اللّٰهمَّ صل علىٰ محمد وآله وصحبه، صلىٰ الله عليه وآله وصحبه، هٰذا يجوز من جهة التّبع، أما من جهة الاستقلال فلا يقال: صلىٰ الله علىٰ آل محمد، فقط. صلىٰ الله علىٰ الصحابة، فقط.

وقد يجوز علىٰ المفرد إذا لم يكن شعارا، مرة مرتين تارة تارتين ونحو ذلك، ولا يكون شعارا، كما قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لما جاءه ابن أبي أوفىٰ بالصدقة قال: «**اللّٰهمَّ صل علىٰ آل أبي أوفىٰ**»، هٰذا دعاء لهم، هٰذا يكون علىٰ وجه الانفراد، ولا يكون شعارا.

فإذن لا يكون شعارا نصلي علىٰ علي علي ﷺ، كلما ذكر علي ﷺ قلنا عليه السلام، أو بعض الآل نقول عليهم الصلاة والسلام أو نحو ذلك، فهٰذا مخالف للهدي هدي الصحابة رضوان الله عليهم.

تجوز الصلاة علىٰ المفرد بشرطين -ذكرتهما لك-:

**الأول**: ألا تكون دائما تكون أحيانا.

**والثاني**: أن لا تكون شعارا علىٰ شخص أو علىٰ مجموعة؛ يعني الأئمة؛ صلىٰ الله علىٰ الأئمة هٰذه كلها من شعارات أهل البدع.

هٰذا ما يتعلّق بهٰذه الجمل، ونؤجل الكلام علىٰ الحوض في المرة القادمة إن شاء الله تعالىٰ.

هٰذا الدرس حسب رغبة الكثيرين يكون كالعادة آخر درس لأجل قُرب الاختبارات، ونواصل عن شاء الله مع اليوم الأول من الدّراسة -إن شاء الله تعالىٰ- بعد العيد.

أسأل الله جل وعلا أن يبلغنا وإياكم رمضان، وأن يجعلنا فيه من عباده الصَّالحين المقبولين، وأن يعيننا فيه علىٰ التّلاوة والعبادة، وأن يجعلنا مخلصين صادقين في أقوالنا وأعمالنا، وألا يكلنا لأنفسنا طرفة عين.

اللّٰهمَّ كن لنا ولا تكن علينا.

اللّٰهمَّ قوّنا علىٰ ما تحب وترضىٰ إنك جواد كريم.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

[الأسئلة]

سؤال (١٤١): ما صحة الرواية التي فيها أن شق صدره كان وهو مسترضع في بني سعد؟

**الجواب**: الجواب أن هٰذا صحيح، النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ شق صدره عدة مرات، بكل مرة ما يناسبه، ثلاث مرات لكل مرة بما يناسبها، من العجيب ما رواه الإمام أحمد من حديث أنس أنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ كان يُرىٰ المخيط في صدره من أثر الشَّق، المخيط في صدره من أثر شقِّ صدره عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

سؤال (١٤٢): عندما صلَّىٰ النبيﷺ في بيت المقدس هل بالأجساد والأرواح؟

**الجواب**: هٰذه ذكرناها.

سؤال (١٤٣): هل كلّم النبي ﷺ ربه في قصة الإسراء والمعراج؟

**الجواب**: هٰذه الأسئلة قبل تمام الدرس جاء الجواب عليها.

سؤال (١٤٤): هل كان المعراج بالبُراق؟

**الجواب**: لا، البراق دابة رُكب عليها ما بين مكة إلىٰ بيت المقدس فقط، أما المعراج فبالمعراج، يعني يكون السؤال بهٰذا الشكل معناه أن الدرس ما فُهم.

سؤال (١٤٥): هٰذا يسأل سؤال خاص، هٰذا السؤال مهم لعله يأتيني يتعلق بجماعة الدعوة يعني جماعة التبليغ وسفره معهم إلىٰ خارج المملكة، المقام يحتاج إلىٰ تفصيل معه بيني وبينه إن شاء الله.

سؤال (١٤٦): كيف نوّفق بين رواية أن إبراهيم في السماء السابعة وموسىٰ في السادسة وفي فرض الصلاة كان أول من قابل موسىٰ؟

**الجواب**: لا، هو نزل فلما بلغ موسىٰ راجعه موسىٰ؛ يعني سأله موسىٰ لا يعني أنه كان في السابعة.

سؤال (١٤٧): هل الكلام من الله جل وعلا يصل مباشرة أم هو وحي؟

**الجواب**: كلام الله جل وعلا ثلاثة أنواع كما قال سبحانه في أخر سورة الشورىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورىٰ:٥١]:

قال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ هٰذا واحد.

﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾.

الوحي الأول يدخل فيه النفخ بالروع ويدخل فيه الإلهام ويدخل فيه المنام ويدخل فيه أشياء كثيرة.

﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ وهو الذي كُلِّم به موسىٰ عليه السلام وما كلم به محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ فكان من وراء حجاب.

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ سبحانه.

سؤال (١٤٨): ...

**الجواب**: والله ما شفت فيها مؤلف، ربما الإخوة الأكثر نظر في الكتب المعاصرة؛ لأني ما شفت فيها مؤلف جيد ؛يعني إنما هي مجموعة متفرقة بين كتب التفسير وكتب الحديث وكتب العقائد، حتىٰ الذين كتبوا في العقائد:

تارة يوردون الإسراء والمعراج في أمور الغيبيات؛ يعني يجعلونه مع الحوض والكوثر والصراط والميزان مثل الشفاعة مثل ما فعل الطحاوي.

وتارة يذكرونها بعد النبوات علىٰ أنها من دلائل النبوة.

سؤال (١٤٩): ما معنىٰ النهران في الجنة، النيل والفرات و..؟

**الجواب**: هٰذا نؤمن به والله جل وعلا أعلم بحقيقته، نؤمن بما جاء في الحديث والله جل وعلا أعلم

بحقيقته، نهران باطنان ونهران ظاهران.

سؤال (١٥٠): أسألك بحق تلاوتي للقرآن أن تجيب دعوتي...؟

**الجواب**: هٰذا تركه أحسن لأن فيه اعتداء.

حق التلاوة له جهتان:

**جهة** الإثابة عليها هٰذا [فعله جل وعلا].

وحق تلاوة القرآن يعني مكانة التلاوة وهو عظمة التلاوة إلىٰ آخره، وهٰذه قد تكون سؤالا بأمر أجنبي، فلذلك الدعاء بهٰذا يترك؛ لأنه لا يخلو من اعتداء لعدم وروده.

سؤال (١٥١): هل التكليم مختصا بالأنبياء فقط أو يدخل فيه غيرهم؟

**الجواب**: أما تكليم الله جل وعلا، فهو لم يكلم الله جل وعلا مباشرة إلا موسىٰ عليه السلام ومحمد بن عبد الله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ من الرسل، ونضيف عليهم آدم عليه السلام من الأنبياء.

سؤال (١٥٢):....

**الجواب**: لا، الروح شكلية، الروح شكلها شكل الجسد؛ يعني بمعنىٰ لو فصلت روحك عنك صارت الصورة واحدة، يكون الجسد الجثمان، والروح مخلوق، الله أعلم بحقيقتها لكن من حيث الصورة واحدة.

ويدل عليه أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال: «**من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي**» ومعلوم أنّ الرائي للنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ إنما يرىٰ روحه؛ لأن جسده عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ مدفون، وإذا كان رأىٰ روحه فإنه يرىٰ روحه علىٰ صورة جسده عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ الذي كان يعيش في الدنيا بروحه وجسده.

لهٰذا الروح صورتها صورة الجسد، الروح والجسد نفس الصُّورة، الروح تدخل في الإنسان؛ يعني في النفخ فيه حينما يكون جنينًا وتتشكل مع الجسد، الهيئة هيئة الروح هي هيئة الجسد والله أعلم بحقائق الأشياء. نعم.

سؤال (١٥٣): ...

**الجواب**: حديث القبر يجيء له بحث، هو بحثه الشيخ عبد الحق الظاهري في جزء فارجعوا له، ومن جهة حديثية فيه مقال، صححه مسلم وأورده في صحيحه، الحكم يحتاج إلىٰ مزيد بحث ونظر.

سؤال (١٥٤):...

**الجواب**: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾[النجم] هٰذا جبريل عليه السلام.

سؤال (١٥٥): ...

**الجواب**: هٰذا قول يعني لأنها مشكلة هل الروح جُعل لها جسد حتىٰ يمكن رؤيته، أو أنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ مُكِّن من رؤية الأرواح من حيث هي، أما الخلاف الذي ذكرته هو من قال أن الجسد والروح

جميعا يرد عليه إشكالات، يرد عليه إشكالات أكثر من ورود الإشكالات علىٰ الروح فقط.

سؤال (١٥٦): هل يجوز أن نقول إن القرآن مؤلف؟

**الجواب**: لا يجوز ذلك، هٰذا من امتهان القرآن؛ القرآن كلام الله جل وعلا، التأليف معناه الجمع، يؤلف ما بين جملة وجملة ويناسق بينها، ألَّفه؛ يعني جمعه ونسَّق بينه؛ بين جمله ومباحثه وإلىٰ آخره.

القرآن كلام الله جل وعلا، القرآن نزل علىٰ سبعة أحرف، هٰذا من العجيب في كلام الله جل وعلا أن القرآن أنزل علىٰ سبعة أحرف؛ يعني أن القرآنَ سمعه جبريل علىٰ هٰذا النحو سبع أحرف فنزل، هٰذا مما يدل علىٰ عِظم كلام الرب جل جلاله.

سؤال (١٥٧): هل صحيح أن أول كتاب ألف هو «الموطأ»؟

**الجواب**: يعني أول كتاب جمع الحديث مبوبا هو الموطأ.

سؤال (١٥٨):...

**الجواب**: سُلَّم له درجات مرقاة للصعود إما من ذهب أو من فضة، هٰذا الذي جاء في «المسند».

سؤال (١٥٩):...

**الجواب**: مادة القرآن، ما يصلح، مادة التلاوة لا بأس، مادة تلاوة القرآن.

سؤال (١٦٠):...

**الجواب**: أول مسجد وُضع في الأرض مسجد الحرام، ثم بعده بأربعين عاما وُضع المسجد الأقصىٰ؛ يعني وضع هٰذا المسجد الموجود، ومسجد الحرام بنته الملائكة، يعني الكعبة بنتها الملائكة، والمسجد الحرام حدد حرمته إبراهيم عليه السلام، هو الذي حرمه يعني ما حول الكعبة، والمسجد الأقصىٰ أيضا بنته الملائكة بعد بناء المسجد الحرام بعد بناء الكعبة بأربعين سنة.

سؤال (١٦١):...

**الجواب**: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء:١] لفظة (أَقْصَىٰ) هٰذه أَفْعَل فتدل علىٰ أن ثم مسجدا ليس قاصي ولكنه ليس بأقصىٰ، ولذلك فُهم من الآية أن فيها بشارة بالهجرة، وفُهم من الآية فيها إرهاص بالهجرة، وأنه ثَم مسجد سيعظم سيكون قاصيا عن المسجد الحرام ولكنه ليس أقصىٰ.

ولهٰذا قال تعالىٰ: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ فكونه كان أقصىٰ يعني أقصىٰ المساجد؛ يعني فيه جمع من المساجد، وهٰذه المساجد هٰذه هي الثلاثة مسجد الحرام ومسجد النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ والمسجد الأقصىٰ.

بيت المقدس أعم، المسجد خاص مثل ما تقول: مكة والكعبة أو مسجد الحرام.

بالمناسبة فيه تشوفون في الصور، في القبة الموجودة هٰذه أنها ذهبية أو شيء، المهم القبة المعروفة هٰذه

القبة[1] وُضعت علىٰ الصخرة، لذلك الذي تحتها يسمىٰ مسجد الصخرة ما هو المسجد الأقصىٰ، وهٰذا الذي حول الصخرة لا يصلَّىٰ فيه يعني اختيارا؛ لأنّ هٰذا عظمت فيه الصخرة، الصخرة لا يجوز تعظيمها لا ببناء قبة عليها ولا بتحويطها وإلىٰ آخره، وإنما هي من جملة ما وصل إليه المسجد، فالتعظيم صار للصخرة بالبناء عليها ووضع القبة الحالية عليها هٰذا بعد زمن الصحابة رضوان الله عليهم.

أما المسجد الأقصىٰ وهو مسجد قديم تشوفونه بعيد، لو شفتوا الصورة هٰذا هو الذي فيه حصلت؛ صلاة النبي ﷺ وكان الإسراء إليه.

نعم توسعة المسجد الأقصىٰ توسّع وشمل الصخرة هٰذه وزيادة عليها، فللجميع الاسم الآن، اسم المسجد الأقصىٰ للجميع للمسجد القديم العتيق ولما ألحق به من التوسعة؛ لكن ليس المسجد الأقصىٰ الذي فيه المحراب وفيه يعني الإمام الذي هو ما يسمىٰ بمسجد الصخرة، وهٰذا من الأغلاط الشائعة.

سؤال (١٦٢): ...

**الجواب**: هٰذا قلنا: نؤمن بها علىٰ حقيقتها، النيل والفرات مو يعني أنها من السماء متصلة إلىٰ هٰذا الموضع، أنت إذا ذهبت إلىٰ الجبال رأيت منابع النيل تجدها ومنابع الفرات تجدها؛ ولكن النيل والفرات وجدهما النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في السماء وهٰذا حق نؤمن به، كيف ذلك؟ وما اتصال النهرين اللذين في السماء بالنهرين الذين في الأرض؟ الله أعلم بحقيقة ذلك.

سؤال (١٦٣): ...

**الجواب**: هو كما قال جل وعلا: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾[البقرة:١٢٧]، لما جاء إبراهيم عليه السلام إلىٰ الوادي، الوادي ليس فيه أحد فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾[إبراهيم:٣٧]، هو قصد هٰذا المكان هٰذا الوادي عند البيت، البيت موجود؛ لكنه ما وُجد منه إلا قواعده؛ لكن متىٰ أُقيم؟ لما بلغ إسماعيل وشارك إسماعيل أباه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام في بنائه ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾[البقرة:١٢٧]، يعني بعد بلوغ إسماعيل، وإلا البيت موجود من قبل.

**سؤال (١٦٤)**:...

**الجواب**: يعقوب لا، مَا هُو صحيح، المسجد الأقصىٰ بنته الملائكة مثل المسجد الحرام وهو أوّل مسجد وضع في الأرض، سئل النبي ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض؟ قال: «**الكعبة**» قيل: ثم أي؟ قال: «**المسجد الأقصىٰ**» قال: كم كان بينهما؟ قال: «**أربعون سنة**».

سؤال (١٦٥):...

**الجواب**: هٰذا التدلي الذي في الآية ليس لله جل وعلا، والتدلّي الذي جاء في الحديث هٰذا أهل العلم

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الرابع عشر.



سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

منهم من أثبته صفة، وذلك منه لأجل تصحيح الرواية، ومنهم من أنكر ذلك وهو الصّحيح؛ لأن هٰذه من أفراد شريك بن عبد الله بن أبي نمر فلا يؤخذ منه، وعامة أهل العلم الذين رووا الحديث خالفوه في ذلك، أصحاب أنس خالفوه في ذلك.

سؤال (١٦٦):...

**الجواب**: أنا ذكرت هٰذا، لكن قبله قلتُ أن الصلاة مفروضة ركعتين ركعتين من أول البعث ركعتين أول النهار وركعتين آخر النهار: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ﴾[هود:١١٤]، فالصلاة كانت ركعتين ركعتين، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فُرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين ركعتين وأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر. فلما صلىٰ بهم عليه الصلاة والسلام صلىٰ بهم ركعتين كانت صلاة الأنبياء ركعتين.

وأما الصفة هٰذه فرضت الصلوات الخمس في المعراج؛ يعني ليلة العروج ثم من غدٍ جاء جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ فعلمه الصلاة، علمه مواقيتها علمه صفاتها.

سؤال (١٦٧):...

**الجواب**: هٰذا في القرآن، !!! ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ [الصافات]، ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾[الصافات]، فالذَّبيح إسماعيل عليه السلام؛ يعني الذي أراد إبراهيم أن يذبحه هو ولده إسماعيل وليس إسحاق، «**أنا ابن الذبيحين**»؛ يعني أبي وإسماعيل عليه السلام.

سؤال (١٦٨):...

**الجواب**: أنتَ رُوحك تفْصلْها هي شبهك، ما تختلف.

سؤال (١٦٩):...

**الجواب**: الصخرة لا يجوز؛ يعني بناء القبة عليها حرام، والتعلق بها حرام، والصخرة ليس لها مكان مثل غيرها من المكان، شهرتها أنها رُبط بها البراق؛ يعني هي قريبة من المسجد الأقصىٰ رُبط البراق ومشىٰ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ ودخل المسجد، هٰذا هو لأجل أنه ربط بها البراق.

يقولون وهٰذا ما[1] رأيته في رواية ثابتة يحتاج إلىٰ تأمل: أنه عُرج به منها يعني أنه صعد عليها ومنها طلع، لكن هٰذه أنا ما أعرفها في رواية ثابتة، الذين ويشوفون الصخرة لا أدري يقولون فيها مغارة وفيها مثل إيش؛ يعني لهم فيها تعلقات.

أهل العلم أئمة السنة نبَّهوا أنَّ هٰذه كلها متعلقة بالصخرة وبناء القبة عليها إلىٰ آخره كل هٰذا حرام ومن التعلقات البدعية ومن وسائل الشرك.

وفقكم الله جميعا وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

---

(١) يعني لم أره.

## الدَّرس السَّابع عشر

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد الله حق الحمد وأوفاه، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ إلٰه وصحبه وسلِّم اللّٰهمَّ تسليمًا مزيدا.

أما بعد..

فأسأل الله جل وعلا أن يجمع لي ولكم بين العلم والعمل والتوفيق للعمل الصَّالح.

وأسأله سبحانه أن يمُنَّ علينا بما منَّ به علىٰ العلماء العاملين من التّوفيق للصالحات وتيسير سُبل العلم علىٰ طلَّابه، وأن يسددنا في أقوالنا وأعمالنا إنه كريم جواد، قريب من الداعي إذا دعاه.

[الأسئلة]

وبين يدي الدرس فيما يأتي بقية الأخوة نُجيب علىٰ بعض الأسئلة التي وردت كالعادة.

سؤال (١٧٠): يقول: هل يجوز لجماعة ذهبوا للنزهة يوما كاملا أن يجمعوا الصلاة مع العلم أنهم ماكثون في مكان واحد؟

**الجواب**: أنَّ جمع الصلاة في مثل هٰذه الحال لا بأس به لمن جاز له القصر، وقصر الصلاة للمسافر إذا ضرب في الأرض، والأصل فيه قول الله جل وعلا: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾[النساء:١٠١]، والنبيّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ جرت سنَّته علىٰ أنه كان يقصر في أسفاره.

وحدّ السفر اختلف فيه العلماء متىٰ يكون مسافرا؟

فقال الأكثرون: أن المسافر هو من خرج من البلد ناويا أن يقطع مسافة ثمانين كلم -بالعُرف المعاصر- فأكثر، فإذا خرج من البلد ينوي قطع هٰذه المسافة -يعني المكان الذي سيذهب إليه أكثر من هٰذه المسافة ثمانين فأكثر- فله أن يترخص برخص السفر ومنها القصر.

وإذا كان كذلك فإنَّ من جاز له القصر جاز له الجمع ولا عكس.

وكونهم ذهبوا للنزهة لا أثر له في جواز القصر من عدمه، وإنما تكلم العلماء فيمن أنشأ سفرا لمعصية هل له أن يترخص بالرخص الشرعية أم لا؟

**والمسألة معروفة والصواب فيها** أن من أنشأ سفرا لمعصية لا غير؛ كقطع طريق أو سرقة أو زنىٰ لا غير ونحو ذلك، فلا نعينه علىٰ معصيته بالترخيص عليه، لذلك الرُّخص الشرعية تكون للمؤمن، أما الذي ينوي بسفره المعصية؛ يعني لم يُلحقه إلا لهٰذا الغرض لا لشيء آخر فلا يترخص برخص السفر علىٰ الصحيح.

سؤال (١٧١): هل يسن دعاء الاستفتاح عند بداية كل [تكبيرة] في صلاة الوتر؟

**الجواب**: والجواب أيضا المسألة فيها أقوال لأهل العلم أو فيها قولان لأهل العلم.

**والأظهر** أنه يستفتح استفتاحا واحدا في أول صلاته كما كان يفعل النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

سؤال (١٧٢): أكملنا سنة منذ بداية الشرح، وتم شرح ثلث الكتاب تقريبا، وهٰذا يعني أنه بقي سنتان والعمر قصير نطلب منكم النظر في ذلك؟

**الجواب**: الجواب أن الشرح الذي نشرح به الطحاوية الآن شرح متوسط، ليس بالطويل ولا بالقصير؛ لأني أراعي في الشرح حال الذين حضروا قبل ذلك في شروح كتب العقيدة المختلفة مثل الواسطية وغيرها كي يستفيد من سبق له حضورها، والمباحث القادمة ربما كانت أقصر من المباحث الماضية.

سؤال (١٧٣): لقد صدر لكم كتاب بعنوان «هٰذه مفاهيمنا»، وقد رأيت أنَّ بعض أهل العلم يذكر أن أمور العقيدة لا تطلق عليها مفاهيم؛ لأنها ترجع إلىٰ ما يعتقده المرء مما دل عليه الكتاب والسنة لا إلىٰ فهوم الناس، فما تعليقكم علىٰ ذلك، إلىٰ آخره؟

**الجواب**: الجواب أنَّ كلام بعض أهل العلم فيما ذكر إنما هو بالابتداء؛ يعني من سمّىٰ بحوث العقيدة ابتداءً فُهوما، مفهوم القدر في الإسلام، مفهوم الشفاعة في الإسلام، يعني من قرّر العقيدة ابتداءً باسم مفهوم.

وهٰذا ظاهر لأنَّ العقيدة مبنية علىٰ النصوص وليست ابتداء يطلق عليها مفهوم أو نحو ذلك.

وقد يُقال إنَّ المسألة إذا اختلف فيها أهل القبلة فإنه يقال فهم -يعني في غير المسائل قطعية الدّلالة- يقال: فهم أهل السنة والجماعة كذا، وفهم السّلف الصَّالح كذا، وهٰذا ظاهر في تعبير عدد من أهل العلم حيث عبّروا باعتقادهم في أصول أهل السنة والجماعة بقولهم: والذي يفهمه أهل السنة والجماعة من هٰذه النصوص كذا.

الحال الثانية وهي في الظاهر لم يردها من ظنَّ السائل أنه أراد بها كتابي «هٰذه مفاهيمنا»، الحال الثانية أن تكون في مقابلة الرد، والرد معلوم أنه يقابَل فيه [الفصل] ويكون كمالا إذا كان فيه دفع للمبتدع.

وهٰذا فيه مناسبة بلاغية أيضا لأنّ الذي رُد عليه بكتاب «هٰذه مفاهيمنا» سمىٰ كتابه «مفاهيم يجب أن تصحح» فالرد يكون باستعمال لفظ استعمله هو لتأكيد قوة الأمر وتثبيته بقوله: «هٰذه مفاهيمنا».

وهٰذا له أصل في اللغة العربية وفي القرآن والسنة فإن الله جل وعلا لا يجوز عليه ابتداءً أن يوصف بصفات؛ لكن إذا كان في مقابلة نقص البشر أو مكرهم أو استهزائهم فإنه يوصف، مثل المكر ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾[الأنفال:٣٠]، فلا يطلق ابتداء المكر وإذا كان في مقابلة مكر فيقال: يمكر الله بمن مكر، أو الاستهزاء يستهزئون الله يستهزئ بهم، أو المخادعة ونحو ذلك.

ففي تسمية الكتاب «هٰذه مفاهيمنا» في مقام الرد فيه صواب وذلك من جهتين:

**الجهة الأولىٰ**: أنّ الرد فيه القوة وفيه الاستعلاء، بما استعلىٰ به صاحب النص والدليل.

**والثاني**: أن فيه وجها بلاغيا؛ لأنّ مقابلة النص بتثبيته؛ تثبيت اللفظ والزيادة علىٰ ذلك بصحة المعنىٰ، فإنه جائز بل مستعمل في اللغة وفي القرآن والسنة، ومن استعماله في اللغة قول عمرو بن كلثوم في

«معلقته»:

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِيْنَا

مع إجماع العقلاء علىٰ أن الجهل من صفات السفهاء، لكنّ لما كان في مقابلة جهل الجاهل صار كمالا لأنه يدلّ علىٰ قوة.

فلما سمّىٰ كتابه «مفاهيم يجب أن تصحح» كان من الكمال والرفعة أن يُقال «هٰذه مفاهيمنا»؛ يعني أن وجوب تصحيحها الذي ادعاه إنما هو باطل ومردود.

مع ظنِّي أن من كتب في انتقاد هٰذه اللفظة يريد الوجه الأول وهو الابتداء لا الوجه الثاني.

سؤال (١٧٤): ما رأيك أن تضيف إلىٰ هذين الدرسين المباركين درسا ثالثا ولعله يكون شرحا لنونية الإمام ابن القيم؟

**الجواب**: لعله يكون هٰذا النونية طويلة وتحتاج منكم إلىٰ صبر، أكبر من الصبر علىٰ الطحاوية؛ لأنها أكثر من ستة آلاف بيت أو نحو ستة آلاف بيت.

سؤال (١٧٥): منَّ الله عليّ بحب القراءة حتىٰ أني أقرا في اليوم ست إلىٰ سبع ساعات؛ ولكني لا حول ولا قوة إلا بالله لا أجد حماسا لقراءة القرآن ومراجعته مع أني حفظته؟

**الجواب**: القرآن هو أهم المهمات، فإذا كان طالب العلم منَّ الله عليه بحفظ كتابه لا يفرطنَّ فيما حفظ بأيّ علم آخر؛ بل يتمسّك بما حفظ ويترك العلوم إذا كان طلبه للعلم سيؤثر علىٰ حفظه للقرآن بما يعلم من نفسه أنه لا يستطيع، فإنه يترك تلك العلوم لحفظ كتاب الله جل جلاله؛ لأن القرآن أعظم ما يُحفظ في الصدور، وبه يهتدي المرء، وإذا كان عنده رغبة فيمكن أن يجمع بين هٰذا وهٰذا فيما يسر الله له.

سؤال (١٧٦): يشكل علىٰ الناظر حال عائشة رضي الله عنها حيث أنها لا تقضي الصوم إلا في شعبان، فيأتي السؤال أنها لا تصوم النوافل المرغَّب فيها إلىٰ آخره؟

**الجواب**: صيام النوافل ليس فرضا وإنما هو سنة، وعائشة بيَّنت لما تركت صوم النفل وانشغلت بعدم قضائها إلا في شعبان، قالت: لمكان رسول الله ﷺ يعني أنها منشغلة عن سنة الصيام إلىٰ ما هو أفضل من ذلك وهو مراعاة حال النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في خدمته وما يريده وقضاء حاجته من أهله.

لهٰذا هي تركت نفل الصيام؛ لكنها منتقلة لما هو أفضل وهو خدمة النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ومراعاة حاله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

نكتفي بهٰذا القدر ونبدأ في الكتاب.

وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ -غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ- حَقٌّ.
وَالشفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ، كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ.
وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ.

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ إلٰه وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في عقيدته المباركة: (وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ -غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ- حَقٌّ.) بعد وقوله (فَصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ.): (وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ -غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ- حَقٌّ.) وهٰذه الجملة مشتملة علىٰ تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة الحوض، فقال: إن الحوض حقّ.

ومعنىٰ أنّ الحوض حق يعني أنه كما أخبر نبينا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ حق، كما أخبر علىٰ ظاهر ما ورد فيه في صفته، وفيما جاءت الأخبار، فليس ثَم شيء من ذلك يُرد ولا يؤوَّل علىٰ خلاف ظاهره، فإنه حقّ يجب اعتقاد ما دلَّ عليه الدليل في ذلك، والحوض هٰذا أكرم الله جل وعلا به محمدا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

**لهٰذا نقول**: إنَّ الحوض من المسائل العظيمة التي يبحثها أهل السنة والجماعة في الاعتقاد، وبحثهم لها من جهات؛ يعني سبب بحثهم له في العقائد من جهات:

♦ الجهة **الأولىٰ** أو السبب الأول: أن الحوض أمر غيبي، والأمور الغيبية الإيمان بها واجب، فإنَّ الله سبحانه أثنىٰ علىٰ خاصة عباده بقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[البقرة]، فجعل أخص صفاتهم الإيمانُ بالغيب.

♦ **الثاني**: أن الحوض دلت عليه الأدلة من السنة بما يبلغ حد التواتر -التواتر النقلي والتواتر المعنوي- ؛ لأنها رُويت من طريق أكثر من خمسين صحابيا، وبعض أهل العلم أوصلها إلىٰ طريق ثمانين صحابيا، كما سيأتي بعض مزيد بيان لذلك.

♦ الجهة **الثالثة**: أنّ الحوض خالف فيه المبتدعة من الخوارج والرافضة والمعتزلة، خالف المعتزلة في إنكارهم للحوض أصلا، وخالف الروافض والخوارج في فهم أحاديث الحوض، كما سيأتي بيانه.

فإذن مسألة الحوض من المسائل العقدية التي ترتبط بأمر غيبي، وبنقل متواتر لا يجوز رده، وبمخالفة المبتدعة من أصحاب الفرق الضالة.

قال الطحاوي: (وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ -غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ- حَقٌّ.) فذكر أنّ الحوض إكرام لنبينا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ به، أكرم الله نبيه بهٰذا الحوض، فإكرامه بهٰذا الحوض لا يعني أن الحوض خاص بالنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ؛ بل قد جاء في الحديث «**إنّ لكل نبي حوضا**» وهٰذا يناسب ما سيأتي بيانه من أنَّ النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ يذود الناس عنه؛ يعني ممن ليس من أمته صارفا لهم عن إتيان حوضه إلىٰ

الذهاب إلىٰ أحواض الأنبياء كما وجهه طائفة من أهل العلم.

فإذن الحوض إكرام؛ إكرام للنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وفي إكرامه إكرام لأمته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ بذلك الحوض الذي سيأتي وصفه إن شاء الله تعالىٰ.

قال: (أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ -غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ- حَقٌّ) وكلمة (غِيَاثًا) هٰذه نفهم منها أن الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ أراد أنّ الحوض تُغاث به الأمّة، وكون الأمّة تُغاث بالحوض يعني بماء الحوض؛ يعني أنها تُغاث به وقت حاجتها إلىٰ الحوض، وهٰذا يدلّ علىٰ أنّ الطحاوي يذهب إلىٰ أن الحوض يكون في عرصات القيامة قبل ورود الصراط وقبل العبور علىٰ النار وقبل تجاوز الصراط، يكون قبل ذلك إذا اشتدّ بالنّاس الحاجة إلىٰ أن يشربوا من ذلك الصراط؛ فإن المقام مقام الساعة عظيم والزمن طويل يلبث الناس في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ويشتدّ عليهم البلاء، ويشتدّ عليهم الكرب، فيكرم الله جل وعلا نبيّه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ بالحوض، ويكرم أمته بأن يجعله غياثا لهم، فمن شرب منه شربة في ذلك اليوم العصيب لم يضمأ بعدها أبدا، فهٰذا معنىٰ قوله: (غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ).

ثم قال: (حَقٌّ) يعني أنه واقع وحاصل، وأنه موجود، وأنّ الإيمان به فرض، وأنّ غير ذلك باطل.

إذا تبيّن ذلك في بيان معنىٰ ما قاله الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ ففي مسألة الحوض مسائل:

**الأولى**: أنَّ الحوض دلَّ عليه القرآن باحتمال، ودلَّت عليه السنة بقطع:

أما القرآن فدليل الحوض فيه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾[الكوثر]، وقد ثبت في الصحيح أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ فسر الكوثر بأنه حوض أعطاه الله إياه، وهناك عدة تفاسير للكوثر منها أنه نهر في الجنة، وقد جاء أيضا أن «**الحوض يشخب فيه من الكوثر ميزابان**» يعني يغذونه بماء الكوثر.

وأما من السنة فقد تواترت الأحاديث من النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في وجود الحوض وفي صفته، وقد رواها عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أكثر من خمسين صحابيا، ولهٰذا نقول: هي متواترة نقلا ومتواترة تواترا معنويا، فجمعت بين نوعي التّواتر، وهٰذا النقل جاء عن أفاضل الصحابة وعن أكمل الصحابة، فمرويات الحوض ثابتة عن الصحابة عن أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعن عمر وعن عثمان وعن علي وعن فقهاء الصحابة كابن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وأبي ذر إلىٰ غير هؤلاء فجُلة الصحابة رووا أحاديث الحوض علىٰ خلاف بينهم في ألفاظها، والنّبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ كان يكرّر الكلام علىٰ أحاديث الحوض كما روىٰ أبو داود في «سننه» عن أحد الصحابة أنه قال سمعته مرارا لا أقول مرة أو مرتين يعني عن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، فكان يكرر أحاديث الحوض فلذلك حصل فيها بعض الاختلاف كما سيأتي فيما نستقبل.

**المسألة الثانية**: أن صفة الحوض التي دل عليها الدليل من صحيح السنة.

أولا من حيث مساحته؛ بل أولا من حيث شكله هو مربع زواياه سواء وأضلاعه متساوية، قد ثبت في

الصحيح أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**قال طوله شهر وعرضه شهر زواياه سواء**» فهٰذا يدل علىٰ أن شكل الحوض أنه مربع، وأن زواياه قائمة، وأن طوله وعرضه واحد وهو شهر.

واختلفت الروايات كثيرًا في طوله وعرضه، ومحصَّلُها ما ذكرتُ لك من أنه شهر في شهر، وقد جاء في بعض الروايات قال: «**هو كما بين المدينة وبيت المقدس**»، وفي رواية قال: «**هو كما بين المدينة وعُمَان**» أو قال «**عَمَّان**»، وفي رواية قال: «**هو كما بين المدينة إلىٰ صنعاء**»، وفي رواية قال: «**هو كما بين أيلة إلىٰ صنعاء**» وثَم غير ذلك.

وإذا قلنا مسيرة شهر في شهر، فالمراد بالشهر بسَير الجمال بالسّير المعتاد؛ لأنه هو الفصل في التقدير.

هٰذا من حيث طوله وعرضه وشكله، شكله مربع وطوله وعرضه شهر في شهر.

الصفة الثانية: مكانه هو في الأرض المبدَّلة يعني يوم يبدّل الله الأرض غير الأرض والسَّمٰوات، هو في الأرض المبدلة.

آنيته وصفَها عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره قال: «**آنيته كنجوم السماء**» وهٰذا التشبيه بقوله: «**كنجوم السماء**» نفهم منه صفتين:

- **الصفة الأولىٰ**: الكثرة في أن كثرتها كثرة نجوم السماء، وهٰذا يدل علىٰ مزيد راحة وطمأنينة في الشرب منه وتناوله، وألا يكون هناك تزاحم علىٰ كيزانه، أو أن الناس يشربون بأيديهم.
- **والصفة الثانية**: أن كيزانه أو كيسانه أو أباريقه أو نحو ذلك كنجوم السماء في الإشراق والبهاء والنور.

فنجوم السماء فيها صفة الكثرة وفيها صفة النور والكثرة والنور والبهاء، هٰذا من جهة وصف كيزانه من حيث العدد ومن حيث الشكل.

ماؤه من حيث اللون أشد بياضا من اللبن، كما ثبت في الحديث قال: «**حوضي طوله شهر وعرضه شهر ماؤه أشد بياضا من اللّبن وأحلىٰ من العسل**»، وقد جاء في رواية: «**ماؤه أشدّ بياضًا من الورِق**» يعني من الفضة.

فرائحة مائه قال: «**رائحته كرائحة المسك**».

ومصدر ماؤه من الكوثر؛ النهر الذي في الجنة، قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**الكوثر نهر أعطانيه الله في الجنة**».

وقد جاء في صفة الحوض «**يشخب فيه من الكوثر ميزابان**».

هٰذه من جملة صفاته.

**المسألة الثالثة**: موقعه، اختلف العلماء أين يكون الحوض؟ هل هو قبل الصراط أم بعد الصراط؟ علىٰ قولين:

**جمهور** أهل العلم علىٰ أنه قبل الصراط وليس بعد الصراط؛ لأنّ الأحاديث التي فيها صفة الحوض

فيها ذكر أنّ أناسا يذادون عنه ويدفعون ويؤخذ بهم إلىٰ النار، فيقول النبي ﷺ: «**ربي أصيحابي أصيحابي**»، أو يقول: «**أصحابي أصحابي فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**».

**وقال** طائفة من أهل العلم: إن الحوض حوضان حوض قبل الصراط وحوض بعد الصراط، فمن لم يشرب منه قبل الصراط بأن أُخذ للعذاب من هٰذه الأمة ثم نجىٰ بعد ذلك، فثم حوض آخر بعد الصراط يشرب منه.

ولكن الذي تدل عليه الأحاديث بوضوح وكثرة أن الحوض يكون قبل الصراط لا بعده.

ثم القائلون بأنه قبل الصراط أيضا اختلفوا: هل هو قبل الميزان أم بعد الميزان؟ علىٰ قولين لأهل العلم، والأكثر أيضا أنّه قبل الميزان، وأنّه في العرصات قبل أنْ يأتي الله جل جلاله لفصل القضاء وقبل أن تتطاير الصحف وإلىٰ آخر ذلك، ولشدة طول [مقام] الناس فإنّ الله يكرم نبيه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ بهٰذا الحوض حتىٰ يشرَب منه المؤمنون ولا يضمؤون ولا يقلقون من شدة هول الموقف.

فإذن نقول: إنه قبل الصراط وأيضا أنه قبل الميزان.

قال القرطبي صاحب كتاب «التذكرة» في الكلام المشهور عنه يتناقله عنه العلماء قال: والمعنىٰ يقتضي هٰذا؛ لأن الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فإذا وافوا الموقف فإنهم يحتاجون مع طول الموقف إلىٰ ما به ذهاب ظمئهم، وهٰذا يناسب أن يكون إكرام النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ بالحوض قبل الميزان.

**المسألة الرابعة**: جاء في الأحاديث أن الحوض يُذاد عنه.

فقد جاء أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ يذود أناسا عن الحوض.

وجاء في أحاديث أخرىٰ عن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ يأتيه قوم فيعرفهم فيذادون عن الحوض؛ يعني يذودهم غيره عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، فيقول: «**يا ربي أصيحابي أصيحابي**» إلىٰ آخر الأحاديث التي سيأتي توجيهها.

فهٰذا يدلّ علىٰ أنّ التحقيق أنّ الذَّوْد عن الحوض نوعان:

**الأوّل ذود عام**: وهو ذود النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ غير أمته أن يستقوا من الحوض فيدفعهم أو يمنعهم ويذودهم عن الحوض الخاص بأمته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وهٰذا الذّود العام منه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ وإبعاد الناس عن حوضه إلا أمته يفيد فائدتين:

◄ **الأولىٰ**: أنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ للمؤمنين به من هٰذه الأمة رؤوف رحيم، فيريد أن تختص أمته بحوضه، وذلك فيه إكرام لهم ومزيد عناية بهٰذه الأمة.

◄ **والفائدة الثانية**: أنه قد جاء -كما ذكرنا- أن «لكل نبي حوضًا»، والنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ يريد من كل أتباع نبي من الأنبياء من إخوانه الأنبياء والمرسلين، يريد من كل تابع لنبي ومؤمن بنبي أن يذهب إلىٰ النبي ليكون أبلغ في ظهور عظم الرسالة -رسالة النبي إلىٰ قومه- ورأفة قومه به، وإبقاء لمن آمن بكل نبي علىٰ من لم يؤمن بذلك النبي.

وهٰذا توجيه جيد أفاده عدد من أهل العلم منهم الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ ومن تبعه.

**أما الذود الخاص**: فهٰذا يُذاد عن الحوض طائفة قليلة بالنسبة لكثرة من يرد، قد جاء فيه أحاديث كثيرة عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ متعددة: أنه إذا ورد الحوض ورد عليه أناس يعرفهم ويعرفونه ثم يذادون عن الحوض؛ يعني يُدفعون بشدة فيقول: «**يا ربي قومي قومي**» وفي رواية «**أصحابي**» وفي رواية لأنس في الصحيح «**أصيحابي أصيحابي**»، فينادي المنادي «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»، في رواية «**إنهم لم يزالوا مرتدّين علىٰ أدبارهم مذ تركتهم**»، فهٰذا دفع بشدة عن الحوض لطائفة من المرتدّين ومن المحدِثين.

ولهٰذا اختلف أهل العلم في هؤلاء الذين يُدفعون عن الحوض من هم؟[1] علىٰ أقوال:

**القول الأول**: أنّ الذين يُذادون عن الحوض هم الذين ارتدوا من الصحابة بعده عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، كالذين تبعوا مسيلمة الكذاب أو سجاح أو كفروا وارتدوا بعد ذلك، وهم قليل.

ويدل علىٰ قلتهم أنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال: «**يذاد قوم**» أو يؤتىٰ كما في رواية أخرىٰ قال: «**فيأتيني قوم فيُذادون عن الحوض**» وهٰذا يدل علىٰ قلّتهم.

ويدل علىٰ ذلك أيضا قوله: «**يا ربي أصيحابي أصيحابي**».

فقال أهل العلم أن كلمة (قوم) و(أصيحابي) ونحوهما، يدل علىٰ قلة العدد لا علىٰ كثرتهم وهٰذا يناسب هٰذا القول؛ لأن عدد الذين ارتدوا بعد النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ممَّن صحبوه أو حجوا معه حجة الوداع قليل من شرذمة من الأعراب الذين لم يؤمنوا به حق الإيمان.

**القول الثاني**: أن الذين يُذادون عن الحوض هم المنافقون، والنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لم يعرف المنافقين جميعا فقد قال الله جل وعلا له: ﴿**وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ**﴾[محمد:٣٠] فيأتون يوم القيامة وعليهم سيما أهل الإيمان أو أنهم مع المؤمنين فيظنّهم عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ من المؤمنين به ظاهرا وباطنا، ثم يُذادون فيدفعون عن الحوض بشدة، ويساقون إلىٰ النار فيقول: «**أصحابي أصحابي**» باعتبار ما كان عليه ظاهر أمرهم، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، أو إنهم لم يزالوا مرتدين علىٰ أدبارهم مذ تركتهم. يعني ظهر نفاقهم واستبان بعد وفاته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

**القول الثالث**: أن الذين يذادون هم كل من أحدث بعده عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ حدثا فغير في دينه إما بالارتداد عن الإسلام إلىٰ الكفر أو بما هو دون ذلك من المحدثات كالبدع المضلة من أنواع البدع المضلة كبدعة الرِّفض والسبئية والخوارج والنّصب والاعتزال كل هٰذه من أنواع المحدثات، والنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال في وصفهم في وصف من يذاد قال: «**فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»،

---

(١)انتهىٰ الشريط الرابع عشر.



سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

وهٰذه من جملة أنواع المحدثات.

وهٰذا القول الثالث هو أظهر الأقوال لشموله للقولين السابقين، فنقول:

أولا الذين يذادون كما جاء في بعض الأحاديث الذين ارتدوا ممن شارك في الحج حجة الوداع أو صحب النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ولم يؤمن به إيمانا حقيقيا، فهؤلاء يذادون.

وأيضا يذاد المنافقون.

وأيضا يذاد كل أصحاب الفرق الضالة كالخوارج والمعتزلة والرافضة، وأشباه هؤلاء من الفرق الذين ضلوا وأحدثوا في الدين وابتدعوا في الدين ما لم يأذن به الله.

قال بعض أهل العلم: ويُلحق بذلك أيضا من افترىٰ علىٰ الله جل وعلا في دينه؛ يعني كذب في أمر الدين، ويدل علىٰ ذلك ما رواه مسلم في «صحيحه» والإمام أحمد في «مسنده» ونحو ذلك بألفاظ متقاربة من أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال: «**سيكون بعدي أمراء فمن صدّقهم بكذبهم وأعانهم علىٰ ظُلمهم فليس مني ولست منه ولن يرد عليَّ الحوض**» قال في وصف هؤلاء «**فمن صدقهم في كذبهم وأعانهم علىٰ ظلمهم**» يعني يكذبون علىٰ الدين وهٰذا يصدقهم علىٰ ذلك ويعينهم علىٰ الكذب علىٰ الدين ويعينهم علىٰ الظّلم، فهٰذا محدث، لذلك أُلحق بهٰذه الفئات بقوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ «**فليس مني ولستُ منه ولن يرد عليّ الحوض**».

**المسألة الخامسة**: خالف في الحوض طوائف من أهل البدع، خالف فيه المعتزلة والخوارج والرّافضة.

**أما المعتزلة**: فخالفوا بإنكاره أصلًا، فأنكروا الحوض، وقالوا: هٰذه الصفة التي وردت لا تعقل، فردّوا الأحاديث المتواترة المتطابقة المتتابعة لفظا ومعنىٰ، ردوها بالعقل فقالوا: الحوض لا يعقل وإنما له معنىٰ يؤول به. وليس عندهم حوض موجود يوم القيامة وإنما هو معنًىٰ من المعاني، قالوا: فكيف يكون الحوض قبل الصراط وبين الناس وبين الجنة وجهنم الكبيرة، ويكون الحوض يغذىٰ من الجنة، والصراط علىٰ جهنم؟ يعني أنهم تخيّلوا ما ورد في صفة يوم القيامة بعقولهم، ثم بعد ذلك ردّوا ذلك، ردّوا بعض الأحاديث مما لا يتناسب مع الوصف العام الذي تخيّلوه.

ومن المعلوم أنَّ السنة إذا ثبتت ولو بالآحاد، فكيف إذا كانت بالتواتر اللفظي والمعنوي؟ إذا ثبتت فلا يجوز أن يسلّط عليها العقل؛ لأنّ الأمر أمر غيبي، والمعتزلة كما هو معلوم في قاعدتهم يؤوّلون الغيبيات، فأنكروا الصراط وأوّلوا الميزان وأوّلوا الصحف وأوّلوا الحوض إلىٰ غير ذلك، علىٰ أساس قاعدتهم من تقديم العقل علىٰ النّقل.

فإذن مخالفتهم مردودة.

وقال بعض أهل العلم: من أنكر الحوض بعد علمه بالتواتر فإنّه يكفر.

لكن هٰذا فيه نظر من جهة تطبيقه؛ لأنّ التواتر قسمان: تواتر لفظي وتواتر معنوي، وقد يسلمون بصحة

النقل؛ لكن لا يسلمون بصحة الدّلالة.

أما **الخوارج والرافضة**: فمخالفتهم ليست في إثبات الحوض، ولكن في أنهم جعلوا أحاديث الحوض علىٰ غير ما هي عليه من جهة الصحابة رضوان الله عليهم، فقالت الخوارج والرافضة: إن الذين ارتدوا فلم يَرِدُوا علىٰ الحوض هم الصحابة، وأولئك جمع كبير من الصحابة، فيؤمن الخوارج والرافضة بالحوض لكن يقولون هؤلاء الذين رُدُّوا هم الصحابة فيحتجون بأحاديث الحوض علىٰ تكفير الصحابة.

فيقول الرافضة مثلا: إن هؤلاء هم أصحاب النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ فإنه لم يسلم أو لم يبق علىٰ الإيمان بعده عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ من الصحابة إلا نفر قليل والأكثرون كفروا والعياذ بالله.

**والجواب** عن هٰذه الفِرْية:

⇦أولا: الألفاظ المختلفة تدلُّ علىٰ تقليل العدد، فقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ:

⬅«**فيُذاد قومٌ عن حوضي**» هٰذا في لفظ.

⬅والثاني «**فيذاد أناسٌ عن حوضي**».

⬅وفي الثالث قال: «**فأقول يا ربي أصحابي**».

⬅وفي الرابع قال: «**فأقول يا ربي أصيحابي**».

فدل ذلك بمقتضىٰ اللغة علىٰ أن قوله: «**يذاد أناس فأقول يا ربي أصيحابي**» علىٰ أن العدد قليل، كما يقول القائل في اللغة: أتاني بنو تميم مثلا إلا قوم منهم لم يأتوا. يعني إلا قليل منهم، فإذا أتت الجملة الكثيرة ثم أُستثني قوم دلَّ علىٰ قلة أولئك كيف وقد جاء الحديث فيه ذكر التقليل كقوله: «**أصيحابي أصيحابي**».

⇦الدليل الثاني أو **الرد الثاني** علىٰ الرافضة في هٰذا الباب: أن الذين نقلوا أحاديث الحوض عن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ هم الذين زعمت الرافضة أنهم كفروا، وهم جمع كبير أكثر من خمسين صحابيا يقول الرافضة: إن هؤلاء كفروا، وهم الذين نقلوا أحاديث الحوض.

فنقول: إن كنتم صدّقتم بأن ما نقله هؤلاء من صفة الحوض وأحاديث الحوض وأنها صحيحة، فكيف تقبلون أحاديث من كفر عندكم؟ وإنْ كان النقل عندكم إنما هو للتكاثر، فكيف ينقل هؤلاء الجلّة من الصحابة والعدد الغفير أحاديث فيها تكفيرُهم؟ لا شك أن فهم الجمع الغفير بل عامة الصحابة بل كل الصحابة لأحاديث الحوض، وكونهم رووها وتناقلوها جميعا -جميع الصحابة وجميع التابعين- نقلوها وتناقلوها مع ترضيهم عن الخلفاء الأربعة جميعا وعن العشرة المبشرين بالجنة ما يدل دلالة قاطعة علىٰ أن هٰذا الفهم لتلك الأحاديث لم يكن معروفا عند الصحابة ولا التابعين ولا تبع التابعين، وكون فهم في الأحاديث يكون غائبًا عن الصحابة جميعا وعن التابعين وعن تبع التابعين ولا يظهر هٰذا الفهم إلا بعد مائتي سنة يدلّ علىٰ أن هٰذا الفهم مردود؛ لأنه لم يفهمه أجيال من المسلمين، وإذا كان كذلك فالقاعدة

المتفق عليها: أنَّ الفهم إذا كان محدثًا وغابت القرون المفضلة ولم تفهم هٰذا الفهم، فإن معنىٰ ذلك أن هٰذا الفهم غير صحيح، وهٰذا هو الذي يلاحظ في الواقع، فإن الذين ارتدوا من أصحاب النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ممن لم يدخل الإيمان في قلوبهم نفر قليل ممن قاتلوا مع مسيلمة أو كفروا بعد إسلامهم من شذاذ الأعراب وطوائف ممن قال الله فيهم: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ ﴾[التوبة:١٠١].

وكلام الرافضة لهم كلام طويل في الاستدلال بأحاديث الحوض علىٰ مسألة تكفير الصحابة ليس هٰذا محل بسطها وبيانها.

**المسألة السادسة**: في هٰذا الأمر العظيم أن الشرب من الحوض له؛ ورود الحوض له أسباب في هٰذه الدنيا ينبغي؛ بل يجب علىٰ الموحّد أن يحرص عليها، بل يجب علىٰ كل مسلم أن يحرص عليها:

أولا: أن يكون غير مُحْدِث في الدين حدثًا؛ يعني كلّ ما لم يكن علىٰ عهده عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ من أنواع الاعتقاد والعلم فإنه يجب ردُّه، يعني أن لا يعتبره حقّا.

فإذن العقيدة والدين هو الذي كان عليه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ وأصحابه في عهده، فكلّ من أتىٰ بشيء جديد فإنّه لا يأمَن أن يكون داخلا في قوله: «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»، حتىٰ إنَّ أهل العلم أدخلوا في ذلك كما سمعت كل من أحدث بدعة في الاعتقاد من المرجئة والخوارج والمعتزلة والكلاّبية والرّافضة والسّبئية إلىٰ غير ذلك من الفرق الغالية والمتوسطة والخفيفة، كل من أحدث حدثا يدخل في ذلك.

لذلك يجب علىٰ الموحد وعلىٰ المؤمن أن يحرص تماما علىٰ أن يحظىٰ بهٰذه التّكرمة العظيمة وهو ورود حوض النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ الذي من شرب منه شربة لن يظمأ بعدها أبدا وأمِن في يوم الفزع أمن في يوم الحَزَن حيث قال الله جل وعلا: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾[الأنبياء:١٠٣]، ومن أسباب عدم الحَزَن أنه يأمن قبل تطاير الصحف بأن يشرب من حوض النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، لذلك صار اهتمام المهتم بالتوحيد وبالعقيدة وبالدين الصحيح لأجل أن يأمن علىٰ نفسه وأن يحظىٰ بهٰذه التّكرمة العظيمة يوم القيامة.

السبب الثاني: أن يُخَلِّصَ قلبه من الغش والغل لخيرة هٰذه الأمة وهم صحابة رسول الله ﷺ، فإن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ معه من أحب، والصحابة معه يوم القيامة كما ثبت «**أنت مع من أحببت**»، وإذا كان كذلك فلا يجوز لأحد أن ينتقد الصحابة أو أن يُبغض بعضا منهم أو نحو ذلك؛ بل يجب عليه أن يحب الجميع فلعله أن يحشر في زمرتهم وأن يرد حوض نبيه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ معهم.

السبب الثالث: أن يكون بعيدا عن الافتراء في دين الله جل وعلا؛ كما ذكرت لك من الحديث الصحيح أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ذكر أن من صفة الذين لا يردون عليه الحوض قال: «**يكون بعدي أمراء فمن صدّقهم بكذبهم وأعانهم علىٰ ظلمهم فليس مني ولست منه ولن يرد عليّ الحوض**»، وهٰذا الأمر

شديد في أنَّ المرء لا يكذب علىٰ اسم الله، وأيضا إذا خالط أحدا فلا يصدقه علىٰ كذبه، فلا يصدّق من يكذب علىٰ دين الله، ولهٰذا المسألة العظيمة هي هٰذه؛ في أنّ المرء يعلم الدين ويعتقد الاعتقاد الصحيح ويعلم الشريعة ولا يعين المرء المسلم من كذَب علىٰ الدين؛ بل يجب عليه أن لا يصدِّق أحدا في كذبه وأن لا يعين أحدا علىٰ ظلمه، بل يسأل الله جل وعلا السلامة والعافية، وأكثر ما يورد الناس النار يوم القيامة اللسان، فذلك ينتبه المرء في أنه لا يقول شيئا، بأنك لا تقول شيئا يكون كذبا علىٰ الدين، فقد تقول: لا أدري أو في الأمر مسألتان، أو إن استطعت أن تنطق بالحق، فهٰذا يعني فيمن كذب علىٰ دين الله فهٰذه مرتبة عظمىٰ، أما أن يقول المرء في دين الله جل وعلا بما لا يعلمه فهٰذا قد يكون افتراء علىٰ الدين، لهٰذا ذكر السَّفَّاريني رَحِمَهُ اللَّهُ في عقيدته المعروفة في منظومته ذكر جملة هٰذه الصفات بقوله:(١)

أنه يُذاد عن الحوض المفتري علىٰ الله جل وعلا؛ يعني من كذب علىٰ الله جل وعلا في العقيدة أو في الدين فنسب شيئا إلىٰ الله جل وعلا أو إلىٰ دينه إنما هو محض تخرص منه، ما اجتهد اجتهادا اخطأ فيه أو هو معذور في اجتهاده؟ لا، وإنما هو محض تخرّص واستهانة وعدم مبالاة بما ينسبه للشريعة وللدين، وهٰذا أمر يجب علىٰ المرء أن يحافظ علىٰ لسانه من أن يفتري علىٰ الله جل وعلا، والله سبحانه نهىٰ عن أن يقال عليه ما ليس للمرء به علم فقال: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأعراف]، وقرن بين الشِّرك وبين القول علىٰ الله بلا علم.

السبب الرابع: أن يبتعد المرء عن الكبائر والذنوب؛ عن المداومة عليها، فإذا أذنب يرجع ويستغفر لأن جمعا من أهل العلم قالوا: إنّ الذين يلازمون الكبائر لا يرِدُون الحوض، وأخذوا ذلك من قوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ فيقال: «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»، والناس في عهد النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ كانوا إذا أذنبوا استغفروا ولم يكن بينهم -يعني من الصحابة- ممن هو مداوم علىٰ الكبيرة غير تائب منها.

لهٰذا يحرص المرء علىٰ أن يأتي بالسبب الذي به غفران الله جل وعلا، وأن يكرمه الله بحوض نبيه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في أنه يبتعد عن الكبائر والموبقات والآثام، وأنّه إذا غشي شيء من المعاصي فيُنيب ويستغفر ويُتْبِع السَّيئة الحسنة لتُمحىٰ عنه السيئات.

أسال الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم ممن أكرم بالورود علىٰ حوض النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

نعوذ بك الله من أن نذاد علىٰ حوض نبيك.

اللّٰهمَّ فأكرمنا بما أكرمت به أولياءك، وأكرمت به الصَّالحين في المنة عليهم بالورود علىٰ حوض المصطفىٰ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ الذي من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا، ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلىٰ من العسل، وأطيب ريحا من المسك، وقاعه يتقاذف منه ألوان الجوهر وألوان عجيبة.

---

(١) عنه يُذادُ المفتري كما ورد ومن نحا سبل السلامة لم يُرَد

وأسأل الله سبحانه أن يجعلني وإياكم من الصَّالحين وممن غُفرت ذنوبهم ومحيت خطاياهم إنه سبحانه جواد كريم.

وصلىٰ الله وسلّم علىٰ نبينا محمد.

مباحث الحوض كثيرة لو نسيت شيئا منها ستجدونه إن شاء الله في الكتب المختصّة.

[الأسئلة]

نجيب علىٰ سؤالين فقط.

سؤال (١٧٧): تعريف الصحابي أنه مات علىٰ الإيمان، فلماذا نقول: إن بعض الصحابة ارتدوا؟ هل هناك فرق بين الإطلاق الاصطلاحي وبين الإطلاق غير الاصطلاحي؟

**الجواب**: أما الاصطلاحي فإن الصحابي: هو من لقي النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ مؤمنا به ومات علىٰ ذلك.

وكلمة (**مات علىٰ ذلك**) هٰذه فيها خلاف، (**مؤمنا به**) كم المدة ساعة شهر يوم؟ أيضا فيها خلاف بين أهل العلم.

لكن التعريف الراجح في الصحابي هو ما ذكرته لك.

(**من لقي**) فلا نقول: رأىٰ؛ لأن الرؤية في بعض الصحابة لم يكونوا مبصرين، نقول: من لقي النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ مؤمنا به ومات علىٰ ذلك. زاد بعض أهل العلم ولو تخللت ذلك ردة؛ يعني ارتد ثم رجع، فمن لقي النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ مؤمنا به ومات علىٰ ذلك -يعني مات علىٰ الإيمان به- فهو صحابي وإن قلت المدة لشرف الصحبة، لهٰذا نقول الذي جاء في الأحاديث هٰذا باعتبار ما كانوا عليه.

الذي يقول: لماذا نقول أن بعض الصحابة ارتدوا يعني بعد ما كان صحابيا وارتد، كان صحابيا فارتد.

سؤال (١٧٨):...

الجواب: القاعدة ما فيه فرق:

ألا لا يجهلـــنْ أحـــدٌ علينـــا فنجهـــل.....

الجهل نقص، وكُمَّل الرجال لا يجهلون؛ لأن الجهل من صفة السفهاء، ولذلك قال جل وعلا: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾[الفرقان]، الجهل صفة نقص؛ لكن لما كان جهله في مقابلة جهل الآخرين؛ يعني سفههم ونقصهم، فإن وصف نفسه بالجهل لا يريد به صفة النقص، وإنما يريد به صفة الكمال والقوة والقدرة عليهم والاستعلاء عليهم والمُلك إلىٰ غير ذلك.

لهٰذا نقول: البيت يدل علىٰ أن صفة النّقص إذا كانت في مقابلة صفة نقص أخرىٰ فإن الاتصاف بها كمال، لهٰذا المكر في أصله نقص؛ لكن لَمّا كان في مقابلة مكر صار الاتصاف به كمالا من جهة قوة الله جل وعلا وقدرته وهيبته وجبروته وعظمته إلىٰ غير ذلك، كذلك استهزأ به بعض العباد فقال: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[البقرة:١٥]، يعني في مقابلة فعلهم ذلك مما يدل علىٰ كمال الله جل وعلا وقدرته وعظمته

وجبروته وقهره لعباده.

... هٰذه مسألة أخرىٰ ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[الشورىٰ:٤٠]، يعني ما ساءك هٰذا راجع [للتفكير]، ما ساءك من اعتداء غيرك عليك فأثب إليه بالاعتداء عليه؛ لكن هو إساءته ظلم أو اعتداء، وإساءتك إليه هٰذه قصاص وحق لك، هٰذا من جهة.

والجهة الثانية أن قوله: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ يعني باعتبار المتلقي لا في اعتبار الفاعل.

سؤال (١٧٩): هل إذا قلنا أن شكل الحوض مربع نجزم بذلك، وهو من المغيبات التي لا نقول، أم نقول أن زواياه متساوية وأضلاعه مسيرة شهر؟

**الجواب**: زواياه سواء -هٰذا كلام النبي ﷺ- وأضلاعه مسيرة شهر؛ يعني كل ضلع مسيرة شهر هٰذا يدل علىٰ أنه مربع، لذلك صرّح طائفة من علماء السنة بأنه مربع الشكل.

نكتفي بهٰذا القدر وأسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

## الدرس الثامن عشر

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ إلٰه وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

وبعد..

[الأسئلة] فنجيب علىٰ بعض الأسئلة.

سؤال (١٨٠): ما رأيكم في من يقول أن الحوض مدوّر، ويستدل في ذلك بأن طوله وعرضه سواء، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا أن يكون مدورا؟

**الجواب**: الجواب أنّ طوله وعرضه سواء لا يقتضي أن يكون مدوّرا، قد جاء في الرواية الأخرىٰ «**طوله مسيرة شهر وعرضه مسيرة شهر زواياه سواء**»، وهٰذا يدل علىٰ أنه ليس بدائري.

سؤال (١٨١): إذا ورد فضل عمل معين بعد الصلاة كفضل قراءة آية الكرسي هل هو خاص بالفرائض أم عام لكل الصلوات؟

**الجواب**: يُتأمل الحديث الوارد فستجد فيه أنه يكون بعد الفرائض، مثل آية الكرسي فيها حديث التقييد بأنها بعد الفرائض «**من قرأ آية الكرسي بعد كل صلاة مكتوبة كانت له حرزا أو حفظا من الشيطان إلىٰ الصلاة الأخرىٰ**» أو كما جاء، والحديث في قراءة آية الكرسي بمفرداته يعني مفردات طرقه فيه ضعف لكن بمجموعها هو حسن.

سؤال (١٨٢): ما القدر المجزئ في سترة المصلي من حيث طولها وعرضها وبعدها عن المصلي؟

**الجواب**: سترة المصلي مشروعة وأمر بها عليه الصلاة والسلام، وقال: «**إذا صلىٰ أحدكم إلىٰ شيء يستره من الناس فليدنو منه**»، وكان عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ تُحمل العَنَزَة وهي حربة صغيرة فتوضع بين يديه فيصلي إليها عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وربما صلّىٰ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ إلىٰ غير سترة أو إلىٰ غير جدار كما صلىٰ في منىٰ كما في حديث ابن عباس في الصحيح، وإذا صلىٰ إلىٰ سترة فيستحب له أن يدنو منها؛ يعني بقدر ما يكون يصلي إلىٰ موضع سجوده؛ يعني لا يبتعد عنها كثيرًا، فليكن بينه وبينها قدر ما يمكنه الصلاة بمجافاة الأعضاء المسنونة.

أما قدر السترة فالسترة تكون مرتفعة كقدر الذراع ونحوه؛ لأنه جاء في الحديث أن السترة تكون كمؤخرة الرحل، كمؤخرة الرحل يعني العمودين الذين يكونان في آخرة الكرسي الذي يوضع علىٰ الرحل.

إذا لم يكن بين يديه سترة فله من الحقّ المكان الذي يشغله في صلاة؛ يعني مثلا في المسجد واحد يصلي هنا وليس أمامه سترة، ما حكم المرور؟ لا يجوز أن يُمَرَّ بين يديه يعني المكان الذي تصله يديه وهو المكان الذي يشغله إلىٰ السجود، فهٰذا لا يجوز المرور بين يديه؛ لأن له الحق في ذلك لأنه يصلي وهٰذا المكان يحتاجه في صلاته، فالحق له فيه، لهٰذا يحرم أن يمرّ بين يدي المصلي، ومعنىٰ (بين يدي

المصلي) الذي جاء في الحديث الصحيح هو ما بين مقامه قائما إلىٰ مكان وضع جبهته؛ إلىٰ مكان سجوده، ولا جُناح أن يمر بعد ذلك، إذا لم يكن له سترة، أما إذا كان له سترة فلا يجوز للمار أن يمر بين المصلي وبين سترته إذا قصد إليها ولو كانت أبعد من ذلك.

سؤال (١٨٣): ما معنىٰ قول القائل: قدّس الله روح فلان؟

**الجواب**: التقديس معناه التطهير، قدس الله روح فلان يعني طهّر الله روح فلان من الذنوب أو من أثر الذنب من السيئات من المعاصي، وهٰذا التطهير يكون بمغفرة الله لذنبه، أو بمنّ الله جل وعلا عليه بأن يجعل ما أصابه كفّارة، أو بغير ذلك من الأسباب بتهيئة دعاء المؤمنين.

المقصود أنّه دعاء بأن يطهر الله روح فلان، هٰذا لا بأس به، قدّس الله روح فلان لا بأس به؛ لأنّ معناه طهر الله روح فلان.

ومن أسماء الله القدّوس؛ يعني المطهر من كل عيب ونقص:

- لا في الذات.
- ولا في الأسماء.
- ولا في الصفات.
- ولا في الأفعال.
- ولا في الأمر: أمره الكوني القدري، ولا في أمره الديني.

في هٰذه الخمسة.

وهناك عبارة أخرىٰ لا تجوز وهي قول بعضهم: **قدّس الله سِرَّه**، كلمة سرّه هٰذه هي المنكرة؛ لأنّ هٰذه اللفظة يستعملها من يعتقد في الأموات بأنّ روح فلان لها سر، ولذلك يطلقون علىٰ من له السّر السيد، علىٰ اعتقاد أنّه الذي فيه السر، فالذين يخصون بعض الأولياء الذين يُعتقد فيهم بأنهم يجيبون، أو أن الدعاء عند قبرهم يستجاب، أو أن الاستشفاع بهم يحصل به المقصود ونحو ذلك، يخصونه بقولهم قدس الله سره، وهٰذا غلط ومنكر؛ لأن الروح ليس فيها سر، روح الناس روح المؤمنين ليس فيها أسرار، وهٰذا بالإضافة إلىٰ أن هٰذه الكلمة لم تأتِ لا في اللغة ولا في الشرع.

سؤال (١٨٤): ما الدليل علىٰ التفريق بين السفر المباح والسفر للمعصية في حكم القصر؟ والأدلة جاءت عامة دون تقييد والأصل فيها الإطلاق كما قرر شيخ الإسلام، نرجو توضيح المسألة؟

**الجواب**: أن هٰذه مسألة خلافية اختلف فيها أهل العلم: هل سفر المعصية تستباح فيه الرخص الشرعية؛ رخص السفر من الفطر وقصر الصلاة ومسح الجوربين أو الخفين إلىٰ ثلاث؟

وذهب جمهور أهل العلم إلىٰ أنّ سفر المعصية لا تُستباح به الرخص؛ لأنّ في إباحة ذلك له إعانة له علىٰ المعصية.

فإذا كان سيقطع الطريق ونقول له: يجوز لك ما دمت أنت مسافر أن تفطر فإنه سيتقوىٰ بفطره علىٰ

قطع الطريق وعلىٰ قتل الناس.

سيذهب إلىٰ بلد من البلدان مثلا -والعياذ بالله- ليزني أو يذهب ليسرق فنقول له: يجوز لك الفطر فإنه سيتقوىٰ بهٰذا علىٰ معصية الله.

ولهٰذا ذهب جمهور أهل العلم إلىٰ أنّ المسافر سفر معصية -يعني لا يريد بسفره إلا المعصية- لم ينشئ سفره إلا لهٰذا الغرض، ذهبوا إلىٰ أنه لا يعان بالتّخفيفات الشرعية؛ لأنّ التّخفيفات الشرعية أعطيت لأهل الإيمان، وهٰذا الذي أنشأ سفر المعصية لا يُعان علىٰ المعصية لقوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[المائدة:٢].

معلوم أنَّ الأدلة جاءت بترخّص كل مسلم في السفر بالرخّص الشرعية، ولهٰذا ذهب أصحاب القول الثاني إلىٰ أنّه يترخّص المطيع والعاصي لا بأس بذلك، وهٰذا فيه نظر كما ذكرتُ لك بأننا لا نعين العاصي علىٰ معصيته، ذهب يزني نقول: له لا بأس تفطر!! يذهب يريد أنه يقطع الطريق، نقول له: لا بأس تفطر، يتقوىٰ علىٰ المعصية بالرخصة!! هٰذا ليس بجيد.

سؤال (١٨٥): ما معنىٰ قول النبي ﷺ «إن الله خلق آدم علىٰ صورته»؟

**الجواب**: هٰذا الحديث يطول الكلام عليه؛ لكن خلاصة الكلام أن الصورة هنا بمعنىٰ الصفة؛ لأن الصورة في اللغة تطلق علىٰ الصفة كما جاء في الصحيحين أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال: «**أول زمرة يدخلون الجنة علىٰ صورة القمر**» يعني علىٰ صفة القمر من الوضاءة والنور والضياء، فقوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ «**إن الله خلق آدم علىٰ صورته**»؛ يعني خلق آدم علىٰ صورة الرَّحمٰن جل جلاله؛ يعني علىٰ صفة الرَّحمٰن، فخص الله جل وعلا آدم من بين المخلوقات بأن جعله مَجْمَع الصفات وفيه من صفات الله جل وعلا الشيء الكثير؛ يعني فيه من أصل الصفة علىٰ التقرير من أن وجود الصفة في المخلوق لا يماثل وجودها في الخالق، فالله جل وعلا له سمع وجعل لآدم صفة السمع، والله جل وعلا موصوف بصفة الوجه وجعل لآدم وجها، وموصوف بصفة اليدين وجعل لآدم صفة اليدين، وموصوف بالقوة والقدرة والكلام والحكمة، وموصوف ﷻ بصفة الغضب والرضا والضحك إلىٰ غير ذلك مما جاء في الصفات.

فإذن هٰذا الحديث ليس فيه غرابة كما قال العلامة ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ قال: وإنما لم يألفه الناس فاستنكروه.

فهو إجمال لمعنىٰ الأحاديث الثانية الأخرىٰ في صفات الله جل وعلا، «**خلق آدم علىٰ صورته**» يعني خلق آدم علىٰ صفة الرَّحمٰن جل وعلا فخصّه بذلك من بين المخلوقات.

الحيوانات قد يكون فيها سمع فيها بصر لكن ما يكون فيها إدراك ما يكون عندها حكمة ما يكون كلام خاص إلىٰ آخره.

فآدم خُصّ من بين المخلوقات بأنْ جعل الله جل وعلا فيه من الصفات ما يشترك بها في أصل الصفة لا في كمال معناها ولا في كيفيتها مع الرَّحمٰن جل وعلا، تكريما لآدم كما ذكرنا لك.

وهٰذا ملخص الكلام فيها وإلا فالكلام يطول لأنَّ هٰذا الحديث كثيرون لم يفهموا المراد منه، ولا حقيقة قول أهل السنة والجماعة في ذلك.

سؤال (١٨٦): يقول ذكرت أن لفظ قدس الله سره لفظة منكرة، وقد أكثر منها الإمام السَّفَّاريني عند ذكره لشيخ الإسلام ابن تيمية، فهل لذلك معنىٰ؟

**الجواب**: أحيانا العالم أو المؤلف يستعمل عبارة علىٰ حسب ما درج، ولا يعني حقيقة العبارة، فلذلك يُفرق بين من يستعلمها يقصد المعنىٰ وبين من يستعمل العبارة مشاركة، فالحكم يختلف:

فالذي يقصد المعنىٰ أن روح فلان لها سر وأنها تغيث فهٰذا شرك أكبر.

وأما من يستعمل اللفظ من غير قصد لما يستعمله الآخرون منها، فإنه يقال تستبدل تلك بغيرها كما قال جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا ﴾[البقرة:١٠٤]، فنهاهم علىٰ قول ﴿رَٰعِنَا ﴾ لاستعمال اليهود لها في معنىٰ الرعونة الإيذاء، ووجههم إلىٰ غيرها مع أنها تحتمل أن تكون من المراعاة، فقال: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا ﴾ فأبدلهم بكلمة لا إشكال فيها ولا شبهة ولا يشتركون فيها مع من يحرفون الكلم عن مواضعه.

اقرأ

وَالشفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ، كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ.
وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ.

الحمد لله، وبعد..

قال العلامة أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في هٰذه العقيدة المباركة: (وَالشفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ، كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ)، قوله: (الشفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا) يعني ادَّخرها رسول الله ﷺ، (لَهُمْ) يعني لأمته، (حَقٌّ) يعني ثابتة (كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ)، وأراد بقوله: (ادَّخَرَهَا) ما جاء في الحديث الصحيح أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال: «**لكل نبي دعوة مجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي مدرِكة منهم من قال: لا إلٰه إلا الله، خالصا من قلبه أو نفسه**»، وفي رواية قال: «**وإني أخَّرتُ شفاعتي**»، «**أخَّرت شفاعتي**» أو «**اختبأت دعوتي**»، هٰذا يدل علىٰ أنه ادَّخرها لهم؛ يعني جعلها مدخرة مرجأة إلىٰ يوم القيامة، فالله جل علا جعل لكل نبي شفاعة تحصل له جزما بإكرام الله جل وعلا له وإذنه ومحض تفضله سبحانه، والنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لأجل شدة رحمته ورأفته بالمؤمنين ومعرفته بما فيه نجاتهم في الدنيا والآخرة أخَّر هٰذه الشفاعة إلىٰ يوم القيامة.

قال: (حَقٌّ) يعني ثابتة، (كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ)، والشفاعة هٰذه التي ادَّخرها لهم يُعنىٰ بها بأول ما يعني الشفاعة العامة لأهل الموقف أنْ يُعجِّل الله جل وعلا لهم الحساب فيستريحون من العناء ويعرف كلٌّ منزلته.

هٰذا معنىٰ قوله: (وَالشفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ، كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ).

وفي هٰذه الجملة مسائل:

**الأولى**: في تعريف الشفاعة.

**الشفاعة في اللغة**: من الشفْع وهو الزوج ضد الفرد؛ لأنّ الدّاعي أو المتوسّط[1] صار زوجا للسائل بعد أن كان السائل فردا، فسُمي شفيعا؛ يعني سمي شفيعا لأنه شفع؛ يعني صار زوجا له؛ يعني صار ثانيا معه.

وحقيقة الشفاعة في اللغة هي السؤال، سؤال الشافع للمشفوع له في حاجةٍ ما وطلب ذلك، فرجعت في اللغة إلىٰ معنىٰ السؤال والدعاء، فمن قال لأحد: اشفع لي؛ يعني اشفع لي عند فلان؛ يعني اسأل لي واطلب لي، توسط لي ونحو ذلك.

**وأما في الاصطلاح**: فالشفاعة اسم عام لكلِّ دعاء للنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ[2] يوم القيامة لأمته، فكل دعوىٰ يدعو بها النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في العرصات يوم القيامة فإنها تعدُّ من الشفاعة؛ يعني أنه إذا جاء في الحديث: فسألت الله لأمتي كذا، أو أسأل الله لأمتي، أو فأدعو الله لأمتي، هٰذه كلها شفاعة.

---

(١) من الوَساطة.

(٢) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الخامس عشر.

ولهٰذا أهل العلم جعلوا لأجل ما جاء في الأحاديث الشفاعة عدة أقسام لتنوع العبارات في ذلك.

**المسألة الثانية**: أن الشفاعة في أحكامها قسمان:

- ♦ شفاعة في الدنيا.
- ♦ وشفاعة في الآخرة.

والذي أراده الطحاوي هنا الشفاعة في الآخرة؛ لأنه عبَّر بقوله: (**الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ**)، ولكن لما كان ثم من يخالف في أحكام الشفاعة في الدنيا والآخرة وفي تأصيلها في العقيدة الصحيحة فيها يذكر العلماء هنا ما يتّصل بالشفاعة في الآخرة وأيضا الشفاعة في الدنيا، ويبيِّنون أحكام ذلك بالنسبة للنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ولعموم المكلّفين.

**المسألة الثالثة**: الشفاعة اختلف فيها الناس -أعني الشفاعة في الآخرة- إلىٰ أقوال متعددة:

① فَثم شفاعة مجمع عليها، وهي شفاعته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لأهل الموقف كما سيأتي.

② وهناك شفاعة أنكرها المعتزلة والخوارج وطوائف وهي الشفاعة لأهل الكبائر من الأمة في أن يعفو الله جل وعلا عنهم وأن يخرجهم من النار.

③ وهناك أنواع من الشفاعة يختلف فيها نظر العلماء من أهل السنة ومن غيرهم لأجل ورود الدّليل عليها.

وهٰذه الثالثة لا تعدّ من الخلاف في العقيدة؛ لأنّه قد يُثبت الشفاعة من رأىٰ صحة حديث وقد ينفيها آخر لعدم ثبوت الدليل عنده بذلك، فهي -إذن- مأخذ اجتهاد.

**المسألة الرّابعة**: أنَّ الشفاعة التي للنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ بما جاء في الأخبار يوم القيامة أنواع:

**أوَّلُها**: الشفاعة العظمىٰ وهي شفاعته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لأهل الموقف أن يحاسبوا، فإن الناس يوم القيامة يمكثون زمانا طويلا في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ينتظرون الفرج وهم في شدة كرب وشدة حر وخوف وهلع، ينتظرون الحساب، وينتظرون تبيين المنازل، فيأتون إلىٰ الأنبياء، يأتون إلىٰ آدم يستغيثون به يطلبونه أن يشفع لهم، قال: «**فيأتون إلىٰ آدم فيقولون له: أنت أبونا ألا ترىٰ ما نحن فيه اشفع لنا**» فيعتذر عن ذلك متذكِّرًا ذنبه عليه السلام، ثم يأتون إلىٰ نوح فيسألونه، ثم يأتون إلىٰ إبراهيم ثم يأتون إلىٰ موسىٰ ثم يأتون إلىٰ عيسىٰ عَلَيْهِم جميعًا السَّلاَمُ، كل أولئك يعتذرون وبعضهم يذكر سؤالا له وبعضهم يذكر ذنبا له، كما جاء في الحديث الطويل المعروف حديث الشفاعة.

ثم يأتون إلىٰ النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ فيقول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**أنا لها، أنا لها**»، فيذهب فيخر تحت العرش بعد نزول الجبار جل جلاله، قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**فأحمد الله بمحامد يفتحها عليّ لا أحسنها الآن**» فيقال: «**يا محمد ارفع رأسك وسل تُعطَ واشفع تشفع**» الحديث.

وهٰذا فيه من جهة السياق ما يدل علىٰ أن المراد من هٰذا السؤال أن يشفع لهم عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في تحقيق ما طلبوا، وإن لم يرد له ذكر في الحديث، في تحقيق ما طلبوا وهو أن يحاسبوا وأن يرتاحوا من

الموقف.

فهٰذه هي الشفاعة العظمىٰ جاءت فيها عدة أحاديث، وعليها التفسير في قوله جل وعلا: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾[الإسراء]، وكما جاء في دعاء المجيب للأذان: اللّٰهمَّ رب هٰذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه اللّٰهمَّ مقاما محمودا الذي وعدّته.

المقام المحمود هو المقام تحمده عليه الخلائق جميعا، ويثني عليه به عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ جميع الخلائق الذين وقفوا في الحساب، وهو مقام الشفاعة العظمىٰ؛ لأنه بدعائه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ وشفاعته يرتاح الناس من ذلك الموقف العظيم الذي لا يُتصور ولا يَعرف هوله إلا من قام فيه، أعاننا الله جل وعلا علىٰ كرباته وأمننا وإياكم من الفزع الأكبر.

**النوع الثاني من الشفاعة**: شفاعته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في أهل الكبائر، وهٰذه قد جاء بها الدليل الخاص في قوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»، وقد سأل أبو هريرة ﷺ نبينا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ وقال له: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه**» خرجاه في الصحيحين، فقوله: «**أسعد الناس بشفاعتي**» يعني سعيد الناس بشفاعتي، فـ«**أسعد**» أَفْعَل علىٰ غير بابها بمعنىٰ فَعِيل يعني سعيد الناس بشفاعتي كما قال سبحانه: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ٢٤﴾[الفرقان]، ليس معناه أنهم أحسن مقيلا من أهل النار، فيشترك أهل النار معهم في حسن مقيل، بل معنىٰ قوله: ﴿وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾ يعني حَسَنٌ مقيلهم، فأفعل ليس علىٰ بابها في المفاضلة؛ ولكنها بمعنىٰ المصدر يعني حسن مقيلهم، سعيد الناس بشفاعتي ونحو ذلك.

وهٰذه الشفاعة لأهل الكبائر لها نوعان؛ يعني لعموم اللفظ «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» نوعان:

**النوع الأول**: قوم أهل كبائر رَجحت سيئاتهم علىٰ حسناتهم، فأُمر بهم إلىٰ النار فيَشفع فيهم عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في أن لا يدخلوا النار، فيُشفّع فيهم عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

**والنوع الثاني**: في أقوام دخلوا النار فيشفع فيهم عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أن يخرجوا منها، فيخرجون منها كأنهم الحِمَم فيوضعون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحِبَّة في جانب السيل.

**الثالث من أنواع الشَّفاعة**: شفاعته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في أن يدخل فئام أو أن يدخل أقوام الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهٰذه يُستدلّ لها بقول عُكَّاشة في حديثه: يا رسول الله أدعوا الله أن يجعلني منهم قال: «**أنت منهم**».

**النوع الرابع**: شفاعته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في رفع درجات بعض أهل الجنَّة، وهٰذه يذكرها أهل العلم، ولم يوردوا عليها دليلًا بيِّنا، وهي شفاعة متفق عليها حتىٰ عند أهل البدع، ويُستدل لها بالاتفاق، وأيضا يستدل لها بما استدل به ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرحه علىٰ تهذيب سنن أبي داود» حيث قال: ويستدل لها بقوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لما صلىٰ علىٰ أبي سلمة: «**اللّٰهمَّ اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين**».

فقوله: «**وارفع درجته**» دعاء في الدنيا له وهٰذا معنىٰ الشفاعة.

**النّوع الخامس من أنواع الشفاعة**: شفاعته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم وصاروا علىٰ الأعراف، في أن يعفو الله جل وعلا عنهم ويُدخلهم الجنة، فهؤلاء يدخلون في عموم قوله جل وعلا: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ﴾[الأعراف:٤٦]، علىٰ أحد أوجه التفسير علىٰ أن أصحاب الأعراف هم الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيُجعلون علىٰ رأس جبل بين الجنة والنار لأجل التساوي، إذا نظروا يمنة إلىٰ الجنة سُرُّوا، وإذا نظروا شمالا إلىٰ النار خافوا، فيشفع فيهم عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ إكراما له في أن يجعلهم الله جل وعلا من أهل الجنة.

**النّوع السادس من الشَّفاعة**: شفاعته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة، فإن الناس إذا جاوزوا الصراط يُحبسون في عرصات الجنة مدة، ثم يأتي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ فيقرع باب الجنة فيُفتح له، ويسأل الله جل وعلا قبل ذلك أن يأذن لأهل الجنة بدخولها، فيدخلون برحمة الله جل وعلا، ثم بشفاعته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وهو عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أول شافع وأول مُشفَّع؛ يعني من حيث الجنس هو أول شافع وأول مُشفَّع.

**النّوع السابع**: شفاعته عليه الصلاة والسلام لأبي طالب عمِّه في أن يخفف الله جل وعلا عنه العذاب، فيُشفَّع فيه فيكون في ضحضاح من نار نعلاه من نار يغلي منهما دماغه، نعوذ بالله من عذابه.

هٰذه سبعة أنواع وبعض أهل العلم يجعلها ثمانية؛ لأجل أن أهل الكبائر -كما ذكرنا لكم- نوعان، فيجعل شفاعته لأهل الكبائر يعدها نوعين من الشفاعة، وهي واحدة لأن الدليل فيها واحد.

**المسألة الخامسة**: الشفاعة يوم القيامة ليست خاصة بالنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ولا بالأنبياء؛ بل تَشفع الملائكة ويَشفع المؤمنون بدرجاتهم العلماء والشهداء والصَّالحون يشفعون؛ كما ثبت في الصحيح أن الله جل وعلا يقول يوم القيامة: «**شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا رحمة أرحم الراحمين فيأمر الله جل وعلا بأقوام في النار لم يعلموا خيرا قط أن يخرجوا**» إلىٰ آخر الحديث؛ يعني أنَّ الشفاعة ليست خاصة بالأنبياء بل الملائكة تشفع كما قال جل وعلا في وصف الملائكة من حملة العرش وغيرهم ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾[الشورىٰ:٥]، وهٰذا استغفار قبل معاينة المصير والعذاب، وهم أرحم ومتولينا لأهل الإيمان حين رأوا العذاب ورأوا المصير.

قال: «**شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون**» فإذن الشفاعة عامة فكل مؤمن صالح يشفع؛ يشفع في قريبه، يشفع في من شاء.

**المسألة السادسة**: الشفاعة لا تنفع عند الله جل وعلا مطلقا كما قال سبحانه: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر]، فليس كل شافع يُشفَّع وليست كل شفاعة تُقبل بل لا تنفع الشفاعة لا من الأنبياء ولا من الملائكة إلا بوجود شرطين فيها:

**الشرط الأول**: أي يأذن الله للشافع أن يشفع.

**الثاني**: رضا الرَّحمٰن جل جلاله عن المشفوع له.

كما قال سبحانه: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم]، وقال سبحانه: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾[الزخرف]، يعني فيمن تنفعه الشفاعة، لهٰذا قال العلماء يُشترط لحصولها وقبول الشفاعة:

**أولا**: إذن الرَّحمٰن جل وعلا.

**الثاني**: الرضا.

إذا تبين ذلك:

⇦ فالمقصود بالإذن الإذن الشرعي والإذن الكوني، فإن العبد لا يبتدئ بالشفاعة كونًا إلا بعد أن يشاء الله جل وعلا أن تقع منه الشفاعة كونا؛ يعني في الدنيا وفي الآخرة، وكذلك لا بد لتحقيق هٰذا الشرط من الإذن الشرعي، فإذا شفع فيمن لم يؤذن شرعًا بالشفاعة فيه، فإن الشفاعة لا تقبل.

مثاله شفاعة إبراهيم في أبيه قال: ﴿لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾[الممتحنة:٤] فلم تنفعه، وقال سبحانه في حقه: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾ [التوبة:١١٤]،.

كذلك شفع نوح عليه السلام في ابنه: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ﴾[هود:٤٥] فأجابه الرَّحمٰن جل وعلا فـ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾[هود:٤٦].

وكذلك شفع النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في عمِّه وقال: «**لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عن ذلك**»، فنزل قول الله جل وعلا: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾[التوبة].

فإذن: ولو وقعت الشفاعة بإذن الله الكوني فإنها لا تنفع حتىٰ يكون إذن الله الشرعي؛ يعني حتىٰ تكون الشفاعة موافقة للشرع؛ موافقة للشرع يعني الإذن الشرعي في صفتها وفي المشفوع له وفيما يكون في ذلك، وهٰذا الشرط مهم فيما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ.

⇦ الثاني الرضا: كما قال سبحانه: ﴿وَيَرۡضَىٰ ﴿٢٦﴾﴾[النجم]، وقال جل علا في سورة الأنبياء في ذكر الملائكة: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾، هٰذا الرضا هو رضا الله جل وعلا عن الشافع ورضا الله جل وعلا عن المشفوع له:

**رضا الله عن الشافع** في قوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾[الزخرف].

**ورضا الله عن المشفوع له** في قوله: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾، وآية النجم في قوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾كذلك.

إذن فالرضا شرط:

- ♦ رضاه سبحانه عن الشافع ولذلك الكافر لا يشفع.
- ♦ الثاني رضا الله جل وعلا عن المشفوع له.

ويرد علىٰ هٰذا شفاعته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لعمه أبي طالب، فهي مستثناة من هٰذا الشرط لأجل أن الله جل وعلا رضي نصرته للنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، فحصل من أبي طالب من الفعل ما فيه نوعُ رضًا لله جل وعلا عن الفعل لا عن الفاعل.

فإذن هو إيراد علىٰ الشرط، والجواب أنَّ هٰذا استثناء وسبب الاستثناء ما ذُكر.

**المسألة السابعة**: أنَّ الشفاعة من المباحث العظيمة التي ضلَّ فيها فئام من الناس، فضلت النصارىٰ فيها، وضل مشركو العرب فيها، وضلّ مشابهو مشركو العرب من الذين يغلون في الأولياء والأنبياء والقبور فضلوا فيها، والجميع لسانهم قول المشركين: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[الزمر:٣].

ولهٰذا الشفاعة كما ذكرت لك لها جهتان في بحثها:

- **جهة** تتعلق بالعقيدة والآخرة؛ وهي ما قدمنا ملخصا ومختصرا في يوم القيامة.
- **والجهة الثانية** ما يتصل بتوحيد العبادة وطلب الشفاعة من الأموات.

وتحقيقا لذلك المقام فنقول: إنّ طلب الشفاعة من المخلوق هٰذه منقسمة إلىٰ قسمين:

**الأول**: شفاعة أذِن بها الشرع.

**والثاني**: شفاعة نهىٰ عنها الشرع.

أما التي أذن بها الشرع فهي طلب الشفاعة ممن يملكها ويستطيع أداءَها وهو الحيّ الحاضر الذي يسمع، ولهٰذا سأل الصحابة النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أن يشفع لهم في حياته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لأنه حي حاضر يسمع.

وقد ثبت في الصحيح أن عمر ﷺ لما جاءت المجاعة وأصاب الناس الكرب في عام الرَّمادة أنه قال لما استسقىٰ بالناس: اللّٰهمَّ إنا كنا إذا أجدبنا استسقينا بنبيك، وإنا الآن نستسقي بعم نبيك اللّٰهمَّ فأسقنا، يا عباس قم فأدعُ ربَّك.

فدل هٰذا علىٰ أنهم كانوا يطلبون الشفاعة من النّبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وطلب الشفاعة منه في حياته بمعنىٰ طلب أن يدعو لهم ربّه جل جلاله، والنبي ﷺ دعواته الأصل فيها أنها مجابة، وقد يُرَدُّ بعضها لحكمة الله جل وعلا.

أما طلب الشفاعة من المخلوق الذي ليس بحي -ميت- أو هو غائب فإنه شرك بالله جل وعلا، لماذا؟ لأنه طلب؛ لأن حقيقة الشفاعة دعاء وطلب، فإذا سأل غيره الشفاعة، فهو سأل وطلب من المسؤول أن يسأل.

فإذن حقيقة طلب الشفاعة أنها دعاء، ولذلك من طلب من الميت أن يدعو له، فإنه يدخل في عموم نصوص الدّعاء؛ لأنّ الطّلب دعاء.

ولهٰذا نقول: كل طلبِ شفاعة من الأموات أو الغائبين ممن لا يملكها أو لا يستطيعها أو لم يُؤذن له فيها شرعا في حياة البرزخ فإنّ هٰذه من الشرك بالله جل وعلا؛ لكنّ الشبهة في الشفاعة كبيرة وتحتاج إلىٰ

إقامة الحجة أكثر من غيرها من مسائل العقيدة.

المشركون لم يكونوا يطلبون من آلهتهم الدّعاء، لم يكونوا يطلبون من أوثانهم.....[1]

فإذن صورة طلب الشفاعة من الميّت محدثة، ولهٰذا يعبِّر كثير من أهل العلم عن طلب الشفاعة من الأموات بأنها بدعة محدثة؛ لأنّها لم تكن فيما قبل الزمان الذي أُحدثت فيه تلك المحدثات في هٰذه الأمة.

فإذن تعبير بعض أهل العلم عنها بأنها بدعة، لا يعني أنها ليست بشرك؛ لأن البدع منها ما هو كفري شركي ومنها ما هو دون ذلك.

تفاصيل مسألة الشفاعة من حيث تعلقها بتوحيد الإلهية مبسوط في «شرح كتاب التوحيد» كما هو معروف، والمقام بشرح العقيدة العامة لا يتسع لتفصيل الكلام علىٰ ذلك.

**المسألة الثامنة**: احتج المعارض والمخالف من المعتزلة والخوارج في أن الشفاعة لأهل الكبائر لا تنفع، الشفاعة لمن في النار لا تنفع، بقول الله جل وعلا: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[المدثر]، ووجه الاستدلال عندهم من الآية أنه قال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ بالجمع، والذين يشفعون يوم القيامة هم الذين أذن الله لهم بالشفاعة وهم الأنبياء والمؤمنون، قالوا: فدلت الآية علىٰ أن من في النار لا تنفعه الشفاعة -شفاعة الشافعين-، لأجل عموم لفظ الشافعين فهو عام في كل من يشفع.

**والجواب** عن ذلك أن هٰذه الآية جاءت في سياق ذكر الكفار وأنهم في النار، فقال جل وعلا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[المدثر]، فقوله: ﴿فَمَا﴾ الفاء هنا ترتيبية ترتِّب النتيجة التي بعدها علىٰ الوصف الذي قبلها، والوصف الذي قبلها في الكافرين الذين وصفهم بقوله: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ ووصفهم بقوله: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ وهؤلاء هم الكفار.

والمسألة التي هي الشفاعة لأهل الكبائر هي فيمن كان مسلمًا، أما المكذّب بيوم الدين والذي لم يصحَّ إسلامُه فإنه ليس هو محل البحث.

فإذن استدلالهم بالآية في غير محله؛ لأن الآية يقول بها من يثبت الشفاعة لأهل الكبائر؛ لأن المشركين ولو شفع بعضهم لبعض وظنوا أن آلهتهم تشفع فما تنفعهم شفاعة الشافعين؛ لأنهم مشركون كفرة، والكافر لم يرضَ الله جل وعلا عنه، ومن شرط الشفاعة الرضا، فلو شفع علىٰ فرض أن أحدا شفع لهم من أقربائهم فإنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين، والله سبحانه إنما تنفع الشفاعة عنده لمن يأذن الله جل وعلا له ولمن يرضىٰ.

---

(١) يوجد مسح في الشريط.

**الجواب الثاني** أن قول النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في الحديث الصحيح بمجموع طرقه: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» هٰذه نص وليست بالظاهر؛ يعني لا يحتمل التأويل، وكذلك قوله: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إلٰه إلا الله خالصا من قلبه ومن نفسه**» هٰذا فيه ظهور في الدلالة؛ لأنها تعم من قال: لا إلٰه إلا الله مخلصا وصاحب الكبيرة قالها، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال**» يعني الذي قال، ومن المقرر أن الاسم الموصول في العربية وعند الأصوليين يعم ما كان في حيّز صلته لظهورٍ في العموم.

ولهٰذا نقول: إن من منع الشفاعة لأهل الكبائر من المعتزلة والخوارج هٰذا لأجل مذهبهم الرّديء في أن فعل الكبيرة كفر وأنه يوم القيامة يكون من أهل النار والعياذ بالله، وهٰذا باطل كما هو مقرّر في موضعه من مباحث الأسماء والأحكام وفي الإيمان.

**المسألة الأخيرة وهي التاسعة**: أنّ الشارح ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه ذكر في هٰذا الموضع مسائل التوسّل بالجاه والتوسّل بالحق؛ يعني قول القائل بحق فلان، بحق نبيك، بحق عمر ونحو ذلك، والتوسل بجاه فلان، وبحثها بحثا جيدا ملخصا من كتاب التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية، فلابد من الإطلاع علىٰ ذلك الكلام، ومراجعة كتاب «التوسل والوسيلة»؛ لأن لفظ التوسل يشتبه بالشفاعة، فبعضهم يجعل (أتوسّل إليك) بمعنىٰ الشفاعة، فيكون توسلا متضمنا الشفاعة أو متضمنا التّشفع أو طلب التشفع.

ولهٰذا في قول القائل: أسألك بحق فلان، هٰذا فيه تفصيل ويرجع فيه إلىٰ شرح الطحاوية وإلىٰ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لأنه لا يناسب المتن؛ يعني لفظ الشفاعة التي ذكرها الطّحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ، فهي فائدة استطرادية.

لعلّ في هٰذا القدر كفاية، والجملة التالية (**وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ**.) تحتاج أيضا إلىٰ تفصيل نرجئه إن شاء الله إلىٰ الدّرس القادم بحوله تعالىٰ وقوته.

[**الأسئلة**]

نجيب علىٰ خمسة أسئلة، اختر لي خمسة أسئلة مما في الموضوع، السؤال بعد الدرس يكون في الموضوع، بعض الأسئلة يحتاج إلىٰ تفصيل وتقعيد نرجئها إلىٰ وقتها إن شاء الله تعالىٰ.

سؤال (١٨٧): يقول الحديث الوارد في شرح ابن أبي العز للطحاوية في موضوع الشفاعة فيه خلط بين أنواع الشفاعة، فلو أراد شخص الاستزادة هل يرجع إلىٰ هٰذه الكتب؟

**الجواب**: الحمد لله مسألة الشفاعة ليست من المسائل الغامضة أو العزيزة، هي موجودة في كل كتب العقيدة؛ لكن من حيث الحديث الذي ورد حديث الشفاعة الطويل كلام ابن أبي العز عليه حسن فيرجع إليه.

سؤال (١٨٨): ما حكم قول من قال لمن ذهب إلىٰ الغزو: إن استشهدت فاجعلني من السبعين الذين

تشفع لهم. وهل إذا قُتل يكون شهيدا؟

**الجواب:** الله المستعان، كما جاء في البخاري أن عمر ﷺ يقول: تقولون فلان شهيد -لما كثر قول الناس في ذلك لما رجعوا من معاركهم- تقولون: فلان شهيد وفلان شهيد، والله أعلم بمن يُكْلَمُ في سبيله، والله أعلم بمن يُستشهد في سبيله.

فالمسألة عسيرة ولذلك لا يقال لأحد: إنه شهيد، الشهيد فلان، هٰذا جزم لأنّ الشهداء معلومة منزلتهم، منزلتهم في الأحاديث، فلا يجوز أن يقال: فلان شهيد لأنه حكم له من أنه من أهل الجنة لأنه موقوف علىٰ معرفة النية والخاتمة.

وقد ذُكر رجل بأنه استشهد وقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في حقه: «**لا هو في النار**» فلما رأوا إذا هو قد غلَّ شملة، نسأل الله العافية.

وما أحسن قول أنس بن مالك ﷺ وأرضاه لما رأىٰ الناس وما توسعوا فيه قال: إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نَعُدُّها علىٰ زمن رسول الله ﷺ من الموبقات.

والناس لا يتوسعون في الألفاظ خاصة العالم طالب العلم ما يتلاعب بالألفاظ الشرعية بالمدح؛ لأنه بالتلاعب بالألفاظ تذهب معالم الدين، فلابد لطالب العلم أن يكون حريصا علىٰ ألفاظه حتىٰ يسلم أولا وحتىٰ لا ينشر شرا بالألفاظ، ولهٰذا صار من علامات يوم القيامة أو مما يكون قرب الساعة أن يقال: فلان أمين فلان فيه كذا فيه كذا من أنواع المدح، كما جاء في الحديث « **فلان أمين ما أجلده ما أظرفه وليس في قلبه من الإيمان حبة خردل**».

الثناء يكون بما فيه إذا أراد المرء أن يُثني علىٰ أحد يكون بما فيه وبما لا يتضمن محظورا شرعيا؛ لأنّ الثناء علىٰ المرء بما فيه يشجّع ويحثّ المرء به الآخرين علىٰ الخير وينتشر الخير، ولكن لا يكون في وجهه حتىٰ لا يكون مدحا إلا بمصلحة شرعية.

ولهٰذا ينبغي علىٰ طلاّب العلم ألا يتوسّعوا في الألفاظ الخادشة بالشرع أو التي ليس لها أصل في الشرع أو التي فيها مؤاخذة في الاعتقاد كلفظ الشهيد، الشهيد فلان، الشهيد فلان، والله المستعان.

سؤال (١٨٩): هل يشفع الغريق والمحروق بسبعين من أهل بيته؟

**الجواب:** لا أعلم.

سؤال (١٩٠): ذكر بعض أهل العلم أن من أنواع الشفاعة: الشفاعة بأقوام استحقوا النار بأن لا يدخلوها، فما الدليل علىٰ هٰذا النوع من أنواع الشفاعة؟

**الجواب:** الشفاعة في أقوام استحقوا النار أن لا يدخلوها، ذكرناه؟ ما هو الدليل؟ «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»، وبعض أهل العلم قال وهٰذا النوع لا دليل عليه؛ لكن هٰذا ليس بصحيح، لأن قوله عليه الصلاة والسلام «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» هٰذا يعم نوعي أهل الكبائر فيمن استحق النار

وفيمن دخل النار، ولذلك جعلتهم لك في التقسيم في نوع واحد، في أحد[1] أنواع الشفاعة لأجل أن الدليل واحد في النوعين معا.

**سؤال (١٩١)**: ما توجيه قول الرسول ﷺ في الحديث «**أسألك بحق السائلين عليك**»؟

**الجواب**: هٰذا ذكره الشارح والبحث فيه معروف، وخلاصة الكلام أن دعاء الخارج من المسجد في قوله أسألك بحق السائلين عليك في الحديث المعروف الذي رواه ابن ماجه وغيره بإسناد ضعيف وحسنه بعض أهل العلم كالحافظ ابن حجر وغيره، معنىٰ «**أسألك بحق السائلين عليك**» يعني أسألك بصفة الإجابة أسألك بصفة إجابتك للسائل؛ لأن حق السائل علىٰ الله جل وعلا أن يجيب أو أن يثيب، كما قال سبحانه ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر].

﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الدعاء:

- منه دعاء مسألة.
- ومنه دعاء عبادة.

﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ في دعاء المسألة بإعطائكم السؤال.

و﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ في دعاء العبادة بالإثابة.

ولهٰذا قول القائل: «**أسألك بحق السائلين عليك**» حق السَّائلين صفة الله جل وعلا وهي إثابتهم أو إجابتهم.

فإذن هو سأل بصفة من الصفات، والسؤال بالصفة جائز.

سؤال (١٩٢): ما رأيك في من يقول: إن شروط طلب الشفاعة أن يكون حاضرا حيّا قادرا، وأنها تتوفر في الجن، كيف نرد علىٰ ذلك؟

**الجواب**: هٰذا ربما أنه من أصحاب الجن؛ لأنه إذا كان علم أنه حاضر وحي، كيف علم أنه قادر؟ ثم كيف علم أنه مسلم؟ لأن الجن عند أهل العلم خبرهم ضعيف وشهادتهم غير مقبولة.

ولهٰذا الأحاديث التي يرويها أهل العلم وفي إسنادها جني عندهم ضعيفة كما هو معروف في مصطلح الحديث.

كذلك قَبول الخبر -فضلا عن الشفاعة- متوقّف علىٰ معرفة العدالة، والجني إنما يُسمع صوته عند من سمع صوته ولا يعرف عدالته، وقول القائل: أنا مسلم وأنا أشهد، يعني لو قال الجني وخاطب بهٰذا الكلام، فإنه لا يعني أنه صادق في ذلك؛ لأنه تراه في الإنس يقول كذا وهو كاذب، فإذا كان شيطانا فإنه قد يكذب في ذلك.

---

(١) وهو النوع الثاني من الشفاعة في المسألة الرابعة.

لهٰذا نقول: قبول قول الجني في هٰذه الأشياء متوقّف علىٰ القول بعدالته، والعدالة مبنية علىٰ الرؤية والمشاهدة، وهٰذه غير حاصلة، فلذلك لا يؤخذ بقول الجن ولا بشهادتهم، نعم قد يكون خبرهم خبرا من الأخبار التي تثبت منها كما يقال، يعني قيل لا يعتمد ولا يؤخذ به.

هٰذا في مسألة قبول الخبر. فكيف بأن تطلب منه الشفاعة؟ فإذا كان طلب الشفاعة من الإنسان فيها ما فيها، فكيف تطلب من جني لا يُرىٰ ولا يُعرف حاله، لا شك أن هٰذا من وسائل الشرك ومن ذرائع التعلق بالجن والغائبين.

نسأل الله جل وعلا أن يعيذني وإياكم من مضلات الفتن، ومما يقرِّب إلىٰ مساخطه، وأن يوفقنا إلىٰ ما فيه رضاه، وأن يشرح صدورنا لطاعته، وأن يُعلي مقامنا في الجنة إنّه جواد كريم.

كما أسأل المولىٰ جل جلاله أن لا يحرمنا شفاعة نبيه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وأن يجعلنا ممن حظي بها ومُنَّ عليه بها.

اللّٰهمَّ فاغفر ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا واجعلنا من الصَّالحين، وثبت أقدامنا إنك علىٰ كل شيء قدير.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.[1]

---

(١)انتهىٰ الشريط الخامس عشر.

## الدرس التَّاسع عشر

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وولي الصَّالحين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ إلٰه وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

اللّٰهمَّ نسألك البر والتقوىٰ، ومن العمل ما ترضىٰ.

اللّٰهمَّ علمنا ما ينفعنا، وزدنا علما وعملا يا أرحم الرّاحمين.

[الأسئلة]

نجيب علىٰ بعض الأسئلة فيما يجتمع الإخوة.

سؤال (١٩٣): هل يجوز لعن من فيه نص بدخول النار كقاتل الزبير بن العوام ﷺ، هٰذا إن صح حديث «بشر قاتل ابن صفية بالنار»، إلىٰ آخره؟

**الجواب**: هٰذه المسألة مبنية علىٰ حكم اللعن، وهل يجوز للمسلم أن يلعن أم لا؟

واللعن:

- إما أن يكون لمسلم؛ يعني أن يلعن مسلمٌ مسلما.
- إما أن يلعن المسلم كافرا.

فهاتان مسألتان.

ولعْن المسلم اختلف فيه أهل العلم؛ هل يجوز لعْن المسلم الذي ارتكب شيئا يستحق به اللعن أم لا؟ علىٰ أقوال.

**والصحيح** منها أنّ اللعن يجوز أن يتوجه للجنس لا للمعيّن من المسلمين، فلا يجوز أن يَلعن مسلم مسلما معيّنا، ولو كان قد فعل كبيرة أو كان فعل أو كان كاذبا أو كان ظالما ونحو ذلك، فلا يجوز أن يُلعن المسلم، واستدلّوا علىٰ ذلك بقول الصحابة لرجل كان يشرب الخمر وجُلد مرة ومرتين، ثم لما أوتي به بعد ذلك قال أحدهم: لعنه الله ما أكثر ما يؤتىٰ به. فقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**لا تقولوا هٰذا فإنه يحب الله ورسوله**» استدل هٰذا علىٰ أن المسلم المعين الذي يشرب الخمر لا يُلعن مع أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لعن الجنس فلعن في الخمر عشرة؛ لعن شاربها وساقيها إلىٰ آخره، فدل علىٰ التفريق ما بين الجنس وما بين المعين، وهٰذا من مثل الآيات التي في هٰذا الباب ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود]، ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾[المائدة]، فالذي لا يتناهىٰ عن المنكر من المسلمين لا يُلعن بعينيه وإنما قد يُلعن بوصفه، وكذلك أشباه هٰذه لعنة الظالم ولعنة الكاذب إلىٰ آخره.

فإذن هٰذا النوع هو لعن مسلم مسلما فإنه لا يجوز لعن المعين؛ لكن قد يُلعن الصفة يُلعن الجنس كما لَعن الله جل وعلا ولعن رسوله ﷺ.

ومن ذلك لعن الكاسيات العاريات وقول النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في حقهن: «**أينما لقيتموهن فالعنوهن فإنهن ملعونات**»، هٰذا لعنٌ للجنس، والقاعدة منطبقة عليه لأن المرء لا يجوز أن يلعن معينة مسلمة لكونها كاسية عارية، فقوله: «**أينما لقيتموهن فالعنوهن**» يعني لعن الجنس لا لعن المعينة، من مثل لعن شارب الخمر ولعن المرابي وأشباه ذلك.

أما المسألة الثانية وهي لعن مسلم كافرا فالعلماء اختلفوا فيها علىٰ قولين:

♦ منهم من أجاز أن يُلعن الكافر المعين؛ لأن الكافر المعين ليس له حق وعِرضه غير مصان؛ ولأن معنىٰ اللعن طلب الطرد والإبعاد من رحمة الله وهو متحقق في الكافر، فجاز عند هؤلاء أن يلعن المسلم الكافر المعين كما يلعن جنس الكفرة، واستدلوا لذلك أيضا بأنّ النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لعن أقواما بعينهم من كفار قريش.

♦ والقول الثاني: وهو الصحيح وهو أن الكافر أيضا لا يلعن بعينه؛ لأن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لما لعن أقواما نزل قول الله جل وعلا في حقهم: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[آل عمران]؛ ولأنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ كان لا يلعن؛ ولأن اللعَّانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة، يعني من جرىٰ اللعن علىٰ ألسنتهم.

وكذلك يدل عليه أيضا -يعني علىٰ امتناع لعن الكافر المعين- أن السنة لم تأتِ به، فإن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لم يلعن كافرا بعينه إلا هؤلاء ونزل فيهم قول الله جل وعلا: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾، لهٰذا قال طائفة من العلماء: إنّ لعن الكافر المعين منسوخ بهٰذه الآية.

ويلحق بلعن الكافر لعن الشيطان أو لعن إبليس، وهٰذا أيضا اختلف فيه أهل العلم علىٰ قولين:

⇦ منهم من أجاز لعنه بعينه لقول الله جل وعلا: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾[النساء]، وما جاء في الآيات في لعن إبليس وطرده عن رحمة الله جل وعلا.

⇦ القول الثاني: أنه لا يلعن إبليس ولا الشيطان لما صحّ في الحديث أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ نهىٰ عن لعن الشيطان أو عن لعن إبليس وقال: «**لا تلعنوه فإنه يتعاظم**» رواه تمَّام في «فوائده» وغيره بإسناد جيد، قالوا: فهٰذا يدل علىٰ النهي عن اللّعن، وهٰذا متّجه في أنَّ اللعن عموما في القاعدة الشرعية أن المسلم لا يلعن؛ لأنّ اللعن منهي عنه المؤمن بعامة، ومن أعظم ما يكون أثرا للعن أن اللّعان لا يكون شفيعا ولا شهيدا يوم القيامة.

والمسألة فيها أيضا مزيد بحث فيما جرىٰ من لعن يزيد، ولعن بعض المعينين؛ لكن الإمام أحمد لما سئل عن حال يزيد قال: أليس هو الذي فعل بأهل المدينة يوم الحرة ما فعل، أليس هو كذا؟ فقال له: لم لا تلعنه؟ فقال: وهل رأيت أباك يلعن أحدا.

وهٰذا يدل علىٰ أن ترك اللعن من صفات الأتقياء، وأن اللعن من صفات من دونهم إذا كان في حقّ من

يجوز لعنه عند بعض العلماء.

أما لعن من لا يستحق اللعن فهٰذا يعود علىٰ صاحبه؛ يعني من لعن من لا يستحق اللعن عادت اللعنة؛ يعني الدعاء بالطرد والإبعاد من رحمة الله علىٰ اللاعن والعياذ بالله.

... لا، الجنس، «**أينما لقيتموهن**» للجنس، «**لقيتموهن**» بالجمع، الجمع للجنس ما هو للمعين المفرد، يعني أدركتموهن، اللُّقي هنا بمعنىٰ الإدراك.

سؤال (١٩٤): هل هناك فرق بين جرح المحدثين للمبتدعة وإنكار أهل العلم علىٰ المبتدعة؟

الجواب: لعل الوقت يضيق، احفظ السؤال هٰذا. اقرأ

وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ.

وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلَا يُزَادُ فِي ذَلِكَ الْعَدَدُ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ.

---

في مسائل الشفاعة قبل نسينا مسألة أشير إليها إشارة ويمكن أن تجمعوا أنتم المادة؛ لأنها قد يضيق الوقت عنها، ويمكن أن تجعلها المسألة العاشرة نحن ذكرنا تسع وهٰذه تكون:

**المسألة العاشرة**: وهي الأسباب التي بها يُحَصِّل المرء المسلم شفاعة نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ.

الأسباب جاءت فيها الأحاديث الصحيحة عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ ونذكر منها سببين:

**الأول**: وهو أعظم الأسباب وأرجاها التوحيد وإخلاص الدين والعمل لله جل وعلا وإسلام الوجه لله جل جلاله، وهٰذا قد دلَّ عليه ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة ﷺ أنه سأل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ فقال: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ له: «**لقد علمت أن لن يسألني أحد عن هٰذا قبلك، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إلٰه إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه**»، ومثله قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «**لكل نبي دعوة مجابة وإني ادخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي مدركة منهم من قال لا إلٰه إلا الله خالصا من قلبه ونفسه**» أو كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ.

**السبب الثاني**: متابعة المؤذن فيما يقول كما دل عليه الحديث الذي رواه البخاري وغيره أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ قال «**من سمع النداء فقال مثل ما يقول المؤذن، ثم قال: اللّٰهمَّ ربّ هٰذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته إلا حلت له شفاعتي يوم القيامة**».

فمن أسباب نيل شفاعته عليه الصلاة والسلام متابعة المؤذن بإخلاص وصدق؛ لأنّ ذلك دال علىٰ التوحيد وعلىٰ الاستسلام لله جل وعلا في شرعه وأمره، فيقول مثل ما يقول المؤذن، ثم إذا ختم لا إلٰه إلا الله قال مثل ما يقول ثم يقول: اللّٰهمَّ رب هٰذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته.

وهنا فيه زيادات مروية في بعض الروايات في دعاء مجيب المؤذن منها: آتِ محمدا الوسيلة والفضيلة **والدرجة العالية الرفيعة**. هٰذه الزيادة ضعيفة.

وكذلك زيادة أخرىٰ: وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته **إنك لا تخلف الميعاد**. وهٰذه رواها البخاري في صحيحه في رواية الكُشمَيهني وهي عند المحققين شاذة لا تصحّ عن البخاري لمخالفة الكشميهني لجميع رواة الصحيح.

وثَم أشياء أخرىٰ تجمعونها إن شاء الله تعالىٰ فإنها من نفيس العلم جعلني الله وإياكم ممن ينال هٰذا الحظ العظيم وهو شفاعته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ.

ثم قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ)، (الْمِيثَاقُ) يُذكر في بعض كتب العقائد لا في كلِّها؛ بل كثير منها أو الأكثر لا يذكرون مسألة الميثاق.

والميثاق الذي أخذه الله جل وعلا من ذريته متّصل بمسألة القدر؛ بل هو مبحوث في القدر، ولذلك لا يستقل بحثه عن مسألة القدر؛ بل هو مرتبط بالقدر، وذلك أنَّ الروايات والأحاديث التي فيها أخذ الميثاق من آدم وذريتِه فيها أنّه جعل فئة من الجنة وفئة إلىٰ النار وأنَّ النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ سُئل لم العمل؟ فقال: «**اعملوا كل ميسر لما خلق له**» ونحو ذلك.

فالأحاديث الصحيحة التي فيها ذكر الميثاق متصلة بالقدر وليس فيها تقرير لمسألة الميثاق في نفسه بكونه أمرا غيبيا أو لكونه حجة علىٰ العباد دون مسألة القدر؛ بل هي المراد بها القدر، ولذلك الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ جعل مسألة الميثاق مقدمة لبحثه في القدر؛ فقال: (وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ. وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلَا يُزَادُ فِي ذَلِكَ الْعَدَدُ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ.) فهٰذا العلم مذكور في أحاديث الميثاق.

هٰذا الميثاق من الأمور الغيبية والاعتقاد؛ اعتقاد ذلك موافق أو مرتب علىٰ معرفة ما جاءت به السنة.

وأما القرآن الكريم فليس فيه ذكر للميثاق الذي أخذه الله جل وعلا من آدم وذريته، وإنما جاء ذلك بعدد من الأحاديث في الصحيحين وفي غيرهما.

ومسألة الميثاق من المسائل التي يتّفق عليها أرباب الفرق المختلفة، فلا خلاف في أنّ الميثاق أُخذ؛ لكن كيف يُفَسَّر؟ يختلفون فيه كما سيأتي.

فإذن قوله: (وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ) يعني أنه ثابت، وأنَّ هٰذا جاءت به الأدلة الصحيحة، وأننا نؤمن بذلك، وأنَّ الله جل جلاله لما أخذ الميثاق جعل الذّرية إلىٰ فريقين: فريق في الجنة وفريق في النار، وأنَّ الرّبّ جلّ جلاله مضت حكمته في استخراج ذرّية آدم من ظهره كأمثال الذرّ وجعْل فريق في الجنة وفريق في النار.

إذا تبين هٰذا الأصل العظيم فإن هٰذه المسألة -وهي مسألة الميثاق- مما يَختلف فيها فهم أهل العلم جدًّا حتىٰ إنك لا تجد فيها قولا واضحا واحدا لأهل السنة والجماعة ولا لغيرهم؛ فما من فرقة إلا ولهم أقوال مختلفة في مسألة الميثاق.

وكذلك أهل السنة والجماعة اختلفوا جدا في مسألة الميثاق مع اتفاقهم علىٰ حصول الاستخراج من ظهر آدم وأخذ الميثاق عليه.

إذا تبين هٰذا الإجمال في هٰذه المسألة المشكلة فإن بحثها يكون في مسائل:

**الأولى**: معنىٰ الميثاق، الميثاق ذُكر في القرآن بمعنىٰ العهد الشديد المؤكد كما في قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾[البقرة:٨٤]، وكما في قوله جل جلاله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [الأحزاب]، والآيات

في ذكر الميثاق متنوّعة كثيرة.

ومعنىٰ الميثاق هو العهد الشديد المؤكّد. ومنه قوله جل وعلا في سورة يوسف: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾؛ يعني عهدا شديدا مؤكّدا من الله جل وعلا تُشهدون عليه ربّنا تشهدون عليه الله ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾[يوسف].

**المسألة الثانية**: أنَّ الميثاق الذي أُخذ من آدم معناه علىٰ ما جاء في بعض الأحاديث: أنَّ الله جل وعلا استخرج ذرية آدم من ظهره؛ استخرج صورهم، وأنَّ هٰذا الاستخراج لأجل ظهور علم الله جل وعلا فيهم ولأجل أخْذ العهد عليهم بما يشاؤه الله جل وعلا.

والأحاديث في هٰذا متعارضة متنوعة مختلفة، لهٰذا يُدخل أهل العلم تارة في بحث الميثاق دليل من القرآن علىٰ ذلك -وهو ليس بدليل في المسألة- وهو قول الله جل وعلا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾[الأعراف]، فيجعلون هٰذه الآية لأجل اختلاف الأحاديث وتنوع العبارات فيها يجعلونها من أدلة هٰذا الميثاق.

وسيأتي بيان أن هٰذا ليس بصحيح، وأنّ الميثاق الذي أخذه آدم من ذريته لا دليل عليه من القرآن.

الأحاديث تحتاج إلىٰ عناية وإلىٰ جمع، والاختلاف فيها كما ذكرنا والاضطراب والشذوذ كثير، فلعله أن يُجمع ما صح من ذلك في الصحيحين ويُطَّرح الضعيف أو المضطرب أو المختلف، مع أن كثيرًا من العلماء دخل عليهم بعض تلك الألفاظ في بعض ولذلك اضطربت أقوالهم في المسألة.

هٰذا تسبيب يعني ذكر سبب الاضطراب في هٰذه المسألة العظيمة.

فإذن الميثاق أمر غيبي، والأخذ من آدم ذريته علىٰ ما جاء في الأحاديث حق وصواب، وأنّ هٰذا الميثاق لأجل مسألة القدر ولأجل العهد عليهم وهٰذا العهد أمر غيبي وليس متّصلا بآية الأعراف.

**المسألة الثالثة**: أن آية الأعراف التي ذكرنا وهي قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ لا يصح بها الاستدلال علىٰ ما أورده هنا الطحاوي في قوله: (**وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ**) والطحاوي في كتابه مشكل الآثار ذهب إلىٰ تفسير الآية بالميثاق الذي أخذه ربنا من آدم وذريته، فجعل الآية مفسَّرة فيما جاء في السنة في حديث عمر وحديث ابن عباس وحديث عبد الله بن عمرو في أنّ الميثاق المأخوذ من آدم وذريته تفسيرا لقول الله جل وعلا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فقال: إنّ التفسير الصحيح هو ما جاءت به السنة من أن آية الأعراف هٰذه تُفسَّر بالميثاق وأن قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ من أن آدم هو السبب فذُكر المسبَّب وهم بنو آدم ولم يذكر آدم لأنه هو السبب كما قال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾[المؤمنون]، ويعني بذلك آدم عليه السلام ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[الأعراف:١١]، يعني آدم عليه السلام.

ولأجل هٰذا المأخذ من الطحاوي ذكر الشارح عندك ابن أبي العز هٰذه الآية في أول بحثه علىٰ هٰذه المسألة لأجل أن الطحاوي نفسه لأن كثيرين جدا من أهل العلم يوردون الآية دليلا، وهٰذا الاستدلال من الطحاوي المصنف ومن عدد كثير من أهل العلم فيه نظر في هٰذه المسألة، فالميثاق كما ذكرنا أمر غيبي وأما الآية فليس فيها ذكر الميثاق بل قال الله جل وعلا: فيها ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ﴾ هٰذا الذي في الآية أن الله سبحانه أخذ من بني آدم ولم يأخذ من آدم، وأخذ من الظهور علىٰ صفة الجمع ولم يأخذ من الظهر -ظهر آدم-، وأنه أشهد بعضهم علىٰ بعض ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ وهٰذا ليس موجودا في مسألة الميثاق وهٰذا الاشهاد متعلق بمسألة الربوبية ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ﴾ وأنهم أجابوا بـ﴿بَلَىٰ ۛ﴾.

لهٰذا نقول: إن الآية ليس فيها مسألة الميثاق، وإنما دلهم علىٰ أنها مسألة الميثاق وجعلوها دليلا علىٰ تلك المسألة ورتَّبوا عليها أشياء لأجل أمور:

**الأول**: أن الصيغة متشابهة ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وأنه جاء في الأدلة في السنة أن الله سبحانه أخرج ذرية آدم من ظهره كهيئة الذر فلما جاء هنا ذكر الظهر والاستخراج فجعلوا هٰذا تفسير لهٰذا كما ذكرت لكم من كلام الطحاوي ومن كلام كثيرين من أهل العلم من السلف والخلف.

**الأمر الثاني**: لأجل الربط بين الآية ومسألة الميثاق أنه قال: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ والاشهاد معناه الشهادة هٰذا يقتضي أن يكون الاستخراج علىٰ ما جاء في الأحاديث وأن الله خاطبهم وأنهم ردوا عليه إلىٰ آخره.

**الأمر الثالث**: أنهم أجابوه بالقول ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ﴾ وهٰذا صريح في القول دون غيره.

والجواب: أن هٰذه الأمور اشتبهت علىٰ من استدل بالآية علىٰ مسألة الميثاق، والآية ليست دليلا علىٰ مسألة الميثاق الذي أخذه الله تعالىٰ من ذريته، وأن تفسير الآية اختلف فيه علىٰ قولين:

**القول الأول**: هو الذي ذكرنا من أن الله استخرج من ظهر آدم وذريته إلىٰ آخره وجعلوا السنة تفسيرا لما جاء في الآية والآية دليلا، فلم يفرقوا بين هٰذا وهٰذا.

**والقول الثاني**: وهو قول جماعات كبيرة من أهل العلم من جميع المذاهب والفرق والمحققين من أهل العلم أيضا فقالوا: إن الآية تفسيرها هو أن الله أخذ من بني آدم من ظهورهم يعني ﴿أَخَذَ﴾ يعني خلق وجعل، فجعلهم يتناسلون وأخذ بعضهم من بعض يعني أنشأ بعضهم من بعض كما قال سبحانه: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[الأنعام] يعني بما خلق من السبب من إراقة الماء في الأرحام إلىٰ الحمل إلىٰ الولادة، فقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ لما ذكر الربوبية هنا في الأخذ دل علىٰ أن معنىٰ الأخذ هنا الخلق، قال: ﴿أَخَذَ رَبُّكَ﴾ يعني خلق ربك من ظهور بني آدم ذريتهم، هٰذا سبك الآية ﴿مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ فتكون ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ بدل بعض من كل من بني آدم، ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ لأن

أصلاب الرجال فيها الماء فقال: ﴿مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ يعني خلق الذرية من الماء الذي في ظهور الآباء، أخذهم يعني أخذ بعضهم من بعض هٰذا يطلق من هٰذا وهٰذا يوجد من هٰذا.

﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ ﴿أَنفُسِهِمۡ﴾ هنا الإشهاد في القرآن له معنيان:

إشهاد بلسان المقال بأن يشهد بقوله؛ اشهد أنه كذا وكذا قولا.

والثاني إشهاد بلسان الحال يعني أن حالته تشهد والإشهاد هٰذا بلسان الحال بمعنىٰ ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِ﴾[التوبة:١٧] فشهودهم علىٰ أنفسهم بالكفر هو لسان حالهم من تأليههم غير الله وعبادتهم لغير الله أما هم فلا يقولون علىٰ أنفسهم إنهم كفار؛ بل يقولون نحن الحنفاء، وكذلك في قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧﴾[العاديات ] يعني شاهد بلسان حاله بأفعاله أنه كنود جاحد بنعمة الله جل وعلا وهٰذا أيضا في مثل قول الله تعالىٰ: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾[النساء:١٣٥] هنا شهداء لله ولو علىٰ أنفسكم يعني بلسان الحال أو بلسان المقال.

فدل إذن علىٰ أن الإشهاد في القرآن له هٰذان المعنيان ولهٰذا لما كان الإشهاد علىٰ هٰذين المعنيين صار تفسير الآية ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ أَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ محتمل أن يكون بلسان المقال أو بلسان الحال، ولما كان أول الآية فيه الأخذ بالخلق صار الإشهاد علىٰ الربوبية بلسان الحال لا بلسان المقال يعني شاهدين يعني ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ بحالهم وما جعل الله جل وعلا فيهم في كل الأنفس من دلائل ربوبيته ووحدانيته التي تؤدي وتدل علىٰ أنه سبحانه هو المستحق للعبادة وحده دونما سواه، وأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ بما جعل في أنفسهم من العبرة علىٰ أن من خلقهم وفطرهم وأوجدهم وبرأهم هو الله جل وعلا كما قال سبحانه: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٣٥﴾[الطور]، وكما قال: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٢١﴾[الذاريات] فإذن تكون هنا الشهادة ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ يعني جعل حالهم وما هم مركبون عليه دال علىٰ الوحدانية وأيضا جعل بعضهم دليلا علىٰ بعض ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ يعني جعل هٰذه الذّرية بعضها شاهدا علىٰ بعض بما أودع الله جل وعلا في الناس من دلائل وحدانيته وآثار ربوبيته ومعالم صنعته وبرئه جل وعلا، لهٰذا قاله سبحانه هنا: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾ فذكر الربوبية التي هي الخلق وما يترتّب عليها.

﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾ يعني أنهم جميعا جميع هٰذه الذرية إذا رجعوا إلىٰ دلائل الوحدانية التي يشهدونها بلسان الحال فإنهم مقرون بالربوبية، وهٰذا هو الذي ذكره الله جل وعلا عن جميع الفئات والمشركين في أنّهم مقرون بالربوبية منكرون للإلهية، ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآۛ﴾ وفي قوله: ﴿بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآۛ﴾ وجهان من الوقف:

**الأول**: أن يوقف علىٰ ﴿بَلَىٰ﴾ ثم تستأنف ﴿شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾.

**والوجه الثاني**: أن يوقف علىٰ شهدنا ﴿بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآۛ﴾ ثم تقف وتقول بعدها ﴿أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا

﴿كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾.

والوجه الأول وهو أن يكون الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ هٰذا أولىٰ وأظهر في معنىٰ الآية، ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ﴾، ﴿شَهِدْنَا﴾ هٰذا من كلام بعضهم لبعض يعني بلسان الحال شهادة الحال، شهد بعضهم علىٰ بعض بلسان الحال، لم؟ ليكون ذلك دليلا من الأدلّة التي تكون دافعة لاحتجاجهم يوم القيامة، فإنّ الله جل وعلا جعل دفع احتجاج المشركين يوم القيامة وتنصّلهم من التّكليف ورغبتهم في عدم التّعذيب جعل ثَم حججا منها هٰذا الإشهاد؛ أنّ بعض هٰذه الذّرية شاهد علىٰ بعض، فهٰذه الآية فيها ذكر الشهداء وهم الذين يأتون يوم القيامة في قوله جل وعلا: ﴿وَجِاْيَءَ بِالنَّبِيِّـۧنَ وَالشُّهَدَآءِ﴾[الزمر:٦٩] يشهد بعضهم علىٰ بعض لأنّ الدلائل ظاهرة وأنّكم مقرون بالربوبية مقرون بالوحدانية، ويشهد الآباء علىٰ الأبناء، ويشهد الأبناء علىٰ الآباء، ويشهد بعضهم علىٰ بعض، حتىٰ لا تكون ثَم حجة؛ لكن هٰذه ليست الحجة التي يحاسبون عليها ويعذّبون عليها وإنما هي دليل لقطع معذرتهم مع الدّليل الآخر وهو الأعظم وهو بعث الرسل.

لهٰذا هٰذه الآية فيها ذكر دليل، وما رُتِّب عليها ما رتب علىٰ هٰذا الإشهاد إنما هو مع بعثة الرسل، وتأمل حين قال: ﴿شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ من الذي شهد؟ الذرية شهد بعضهم علىٰ بعض ﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾، ﴿عَنْ هَٰذَا﴾ الإشارة إلىٰ أي شيء؟ لدليل الربوبية ودليل الربوبية هو الذي احتجّت به الرسل علىٰ ما جاءت به وهو توحيد الإلهية.

فإذن في قوله: ﴿شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا﴾ يعني أشهد الله الذرية بعضها علىٰ بعض علىٰ مسألة الربوبية لئلا يقولوا: إنا كنا عن هٰذا غافلين، والرّسل جاءت بتقرير الحجة التي بعدها العذاب استمسك الرسل بالأصل الذي شهد بعضهم علىٰ بعض بلسان الحال وهو الإيمان بالربوبية.

لهٰذا صارت الآية دليلا علىٰ الربوبية هٰذه حجة عليهم؛ ولكنها ليست الحجة التي بها يعذبون ولكنها قاطعة لنزاعهم ورغبتهم في التنصّل من العذاب.

والثاني أن قوله: ﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾ يعني عن هٰذا الدليل الذي هو التوحيد - توحيد الربوبية أو الفطرة- الذي ذكرت به الرسل أو الذي جاءت الرسل بإحيائه في الأنفس ليدلّ الناس علىٰ ما يستحقه الله جل وعلا من توحيد العبادة.

﴿شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا﴾ يعني الذين يحتجون بالغفلة أو يحتجون بالتقليد، ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ فهم احتجوا إما بالغفلة أو احتجوا بعدم الشرك وبمتابعة الآباء وهٰذا لو حصل يوم القيامة نحتج به فإن الله سبحانه أقام عليهم الحجة بالشهداء وأقام عليهم الحجة بالرسل والعذاب إنما يكون بـ.....[1]

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط السادس عشر.

دلائل الصّنعة وما أقام الله جل وعلا في الإنسان من عقل وفكر بحيث يستدل بهٰذه المخلوقات علىٰ خالقها جل جلاله، وإنما بالثاني مع الأول وهو بعثة الرسل.

إذا تبيّن لك ذلك فإنّ:

الآية إذن ليس فيها حجة لمن ذهب بأن هٰذه الآية في الميثاق. هٰذا واحد.

والثاني الآية ليس فيها حجة لمن قال: إنه بالفطرة أو بالتوحيد أو بما أُخذ من الميثاق الأول أن هٰذا كافٍ عن إقامة الحجة علىٰ العباد، وأنّه بذلك الميثاق وذلك الإشهاد وإقرارهم علىٰ أنفسهم والشهادة بالربوبية والعبادة؛ لأنه إذا تبلغهم الرّسالات ولم تأتِهم الرسل أن تلك الشهادة كافية في تعذيبهم.

فإذن الآية:

**أولا**: ليس فيها دليل علىٰ الميثاق.

**والثاني**: ليس فيها دليل علىٰ أنّ هٰذه حجة كافية في تعذيبهم.

بل لابد من إقامة الحجة الرّسالية، لذلك ترىٰ أن أئمة أهل العلم المحققين كشيخ الإسلام وأئمة الدعوة دائما يذكرون الحجة الرّسالية، لابد من إقامة الحجة الرّسالية، لماذا لفظ الرّسالية؟ حتىٰ لا يتوهّم المتوهّم أن الحجة الفطرية أنها كافية.

إذا تبين ذلك فإن تفسير الشهادة هنا وهٰذه الآية عند المحققين من أهل العلم علىٰ ما ذكرنا هو بالفطرة؛ الفطرة التي فطر الله جل وعلا الناس عليها، وهي الفطرة في الربوبية التي تدل علىٰ الألوهية، وهي في معنىٰ قوله جل وعلا: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾[الروم:٣٠]، وفي معنىٰ قوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**كل مولود يولد علىٰ الفطرة**».

وهٰذا الذي ذكرتُ من تفسير الآية علىٰ وجه التفصيل والبسط هٰذا هو مذهب واختيار أئمة أهل السنة كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير رَحِمَهُمُ اللَّهُ في تفسيره وشارح الطحاوية وأئمة الدعوة الشيخ عبد الرَّحمٰن بن سعدي في تفسيره وهو تفسير جماعات كثيرة من أهل العلم، وهو الذي يتعيَّن في الموافقة مع أصول التوحيد وأصول العقيدة بعامة، وهو الذي يتعين موافقةً لحكمة الله جل وعلا، وهو الذي يتعين موافقة لما هو مقرر في الشريعة من مسألة إقامة الحجة في أحكام المرتد.

لهٰذا غلِط في هٰذه الآية جماعات، ومن المعاصرين جماعات أيضا جعلوها حجة علىٰ أنه ليس ثَم حاجة لإقامة الحجة علىٰ العباد؛ بل الفطرة كافية، والعهد الأول كافي وإلىٰ آخره. وهٰذا ولاشك ليس بمرضيّ.

والحجة لا تقوم علىٰ العباد بشيء لا يتذكرونه أصلا، وإنما العباد أمامهم الدّلائل، وأما تذكّر ميثاق وتذكر شهادة وتذكر هٰذه الأشياء، فإنّ أحدا لا يتذكر ذلك، وإنما الرسل تذكّرهم بذلك وتكون الحجة بالرسل لا بذلك الأمر الأول.

لهٰذا ذكرتُ لك في أول البحث أن مسألة الميثاق مرتبطة بالقدر، وليست متصلة بالتكفير، ليست

متصلة بالحجة، ليست متصلة بهٰذه المسائل، وإنما هي -يعني الميثاق- مرتبط بالقدر لا غير، وليس حجة علىٰ خلاف القدر، إنما هو دليل علىٰ القدر فقط دون ما سواه.

تقرؤون الكلام الطويل الذي ذكره شارح الطحاوية وفيه طول.

والمسألة بما ذكرتُ لك تكون قريبة واضحة، ولا يكون ثَم إشكال في هٰذه الآية ولله الحمد، وهي من الآيات المشكلة كما ذكرتُ لك؛ لكن بتأمل قول المحققين والنّظر في تصحيح الأحاديث وعللها وأنَّ الأحاديث التي فيها الرّبط ما بين الآية والميثاق أنّ هٰذه الأحاديث فيها اضطراب وفيها ضَعف في بعضه فيها ضعف في الإسناد وفي بعضها علّة في الوقف وثَم أشياء أُخر لا نطيل بالكلام عليها.

بعدها ذكر مسألة القدر، مسألة القدر يطول الكلام عليها، ولعلنا نبحثها إن شاء الله المرة القادمة.

[الأسئلة]

سؤال (١٩٥):...

**الجواب**: الله جعل المؤمنين شهداء علىٰ الكفار، الإشهاد قائم، أنا مُشهَد علىٰ كل مخالف للرسالة، مشهد علىٰ كل مخالف لدليل الوحدانية، كل مؤمن لما كان مؤمنا مستسلما للرسالة هو مُشهد علىٰ غيره، مُشهد علىٰ المخالف، فهو إشهاد، ﴿وَأَشْهَدَهُمْ﴾ يعني جعل بعضهم شهيدا علىٰ بعض، لذلك يوم القيامة سمىٰ الشهداء يشهدون.

سؤال (١٩٦): بعض أهل العلم يستشهد بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ يعني علىٰ أن من يفعل الشرك ولو كان جاهلا أنه يكون مشركا علىٰ هٰذه الآية، قال: فإنه قد أُخذ عليه الميثاق إذ هو عالم، فما تعليقكم؟

**الجواب**: هٰذا هو الذي بحثنا الكلام عليه، هٰذا قول ليس بصحيح، وهو مخالف لظاهر الآية، وسبب الاشتباه هو الذي ذكرنا هو الربط ما بينه وبين الميثاق يعني هٰذا، هو أخذ الألفاظ علىٰ مسألة الميثاق.

سؤال (١٩٧): هل هناك ميثاق أول وميثاق غيره أم هو ميثاق واحد؟

**الجواب**: ثم ميثاق سابق الذي نؤمن به الذي جاءت به الأحاديث وهو أن الله استخرج ذرية آدم من ظهره؛ لكن إيش معنىٰ هٰذا الميثاق؟ الله أعلم بحقيقته، ثم هناك عهود مؤكدة لكل فئة من بني آدم؛ فآدم أُخذ عليه عهد موثق لطاعة الله جل وعلا، كذلك ذرية آدم القريبين، كل رسول أُخذ عليه ميثاق، وأخذت علىٰ أمته المواثيق بأن تطيع وهكذا؛ يعني هٰذه مواثيق لفظية وعهود بما أنزل الله جل وعلا من الكتب وبعث من الرسل.

سؤال (١٩٨): كيف يكون أهل الفرق متّفقين علىٰ الميثاق، وهناك من الفرق من يأخذ بالقرآن فقط، والقرآن لم يأتِ بالميثاق؟

**الجواب**: هل هناك من الفرق من يأخذ بالقرآن فقط؟ يعني من الفرق القديمة، هل فيه أحد؟ ما أعرف؛ يعني من الذي يأخذ بالقرآن فقط، أنا ودي أستفيد؛ لأن الخوارج يأخذون بالقرآن والسنة،

الرافضة بالقرآن والسنة، المعتزلة القرآن والسنة، المرجئة، القدرية، كلهم يأخذون بالقرآن والسنة، لكن السّنة يحتجون في العقائد بالمتواتر لا بالآحاد، الآحاد مقبولة عندهم لكنها تفيد الظن لا العلم، علىٰ تفصيل الكلام المعروف لديكم في هٰذا.

سؤال (١٩٩): أورد الألباني حفظه الله الأحاديث في المسألة في «السّلسلة الصحيحة»، وقد جمعها وحققها وبين الصحيح منها.

**الجواب**: أنا ما أدري عن بحث الشيخ ناصر؛ لكن المسألة تحتاج إلىٰ نظر؛ لأنها راجعة إلىٰ نظر في المتن ونظر في الإسناد، النظر في الإسناد غير النظر في المتن، النظر في المتن يحتاج إلىٰ معرفة تفاسير الآية وأن لا يحمل الآية علىٰ الحديث، يعني لابد من مراجعة البحث.

سؤال (٢٠٠): اتضح عدم دخول الآية في الميثاق فما معنىٰ الميثاق الذي ذكره أهل العلم ؟

الجواب: معنىٰ الميثاق هو العهد لكن إيش هٰذا العهد؟ إيش حقيقته؟ قال العلماء: معناه الفطرة؛ الفطرة التي فطر الناس عليها.

إذن مسألة الميثاق ما فيه شيء غريب، هو الفطرة «**كل مولود يولد علىٰ الفطرة**»، ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾؛ يعني جعلهم مفطورون عليها لما أخذ الميثاق.

فإذن مسألة الميثاق -يعني العهد- لما استخرجت الذرية معناه الفطرة السابقة وهكذا، يعني الميثاق ما فيه شيء جديد، الميثاق ليس فيه شيء جديد عن غيره ولا يتميز بشيء.

سؤال (٢٠١): هل الإشكال بين الآية والحديث جاء من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف:١٧٣]؟

الجواب: لا، هٰذه ما لها علاقة؛ لأن الآية قال: ﴿شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يعني لئلا تقولوا يوم القيامة، أقام الله هٰذه دلائل بالربوبية وأقام دلائل الوحدانية لئلا تقولوا يوم القيامة أو تحتجوا بالغفلة، ولئلا تحتجوا بالتقليد، ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾[الأعراف:١٧٣] فلا تحتجوا بالغفلة ولا تحتجوا بالتقليد، فثم فطرة مركوزة ورسل أُرسلت إليكم تدلكم بهٰذه الفطرة المركوزة علىٰ حق الله جل جلاله، فليس ثم إذن حجة لأولئك، وقطع الله المعذرة وأقام الحجة وأبان المحجة، ولله الحمد والمنة.

نكتفي بهٰذا القدر. وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

## الدَّرس العشرون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

باسم الله، نحمد الله جل جلاله علىٰ نعمه التي لا تحصىٰ والتي لا تعد، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ إلٰه وصحبه وسلم تسليمًا مزيدا.

أما بعد:

[الأسئلة]

فبين يدي هٰذا الدرس نجيب عن بعض الأسئلة.

سؤال (٢٠٢): هٰذا يقول: أجد في نفسي رغبة شديدة لطلب العلم، وأستعين بالله علىٰ ذلك في كلّ أحوالي؛ لكن فيما يتعلّق بالقراءة كلما شرعت في قراءة كتاب وأعجبني كتاب آخر انتقلت إليه وهكذا، فلا أتجاوز في كلّ كتاب ربعه أو نصفه، فما الأساس في القراءة؟ هل نركّز علىٰ كتب السلف إلىٰ آخره؟

**الجواب**: عن ذلك: أن طلب العلم الحقيقي الصحيح الذي يُرجىٰ معه أن يكون طالب العلم طالب العلم بدلالة هٰذا الاسم أنه لا يترك نفسه في العلم وهواها؛ بل لابد أن يحصر نفسه علىٰ ما ينبغي أن يتعلمه؛ لأن للعلم حلاوة وللنفس في العلم شهوة وللعلم أيضا طغيان في بعض الأحوال، ولذلك إذا ترك طالب العلم نفسه وهواها فيما تتعلم فإنها ستكون مبعثرة وستكون متفرقة لن يجمع نفسه علىٰ شيء بيِّن، ولهٰذا ينبغي له أن يأخذ بما ذكرناه مرارا من منهجية طالب العلم؛ يعني أن يسعىٰ في العلم علىٰ منهجية يترتب بها طلبه للعلم علىٰ ترقيته شيئا فشيئا في مجال العلم، فلا بد أن يأخذ العلم شيئا فشيئا في كل العلوم.

أما ما ذكره يقول: إذا شرعتُ في قراءة كتاب وأعجبني كتاب آخر انتقلت إليه. فهٰذه تسمىٰ مطالعة، وتسمىٰ قراءة ومرور علىٰ الكتب، هٰذا ليس هو طلب العلم، طلب العلم ليس خاضعا: أعجبني هٰذا الكتاب ولأجله تركت الآخر ونحو ذلك، فطلب العلم له طريقة لهٰذا أنتم تقرؤون في تراجم أهل العلم في الكتب القديمة إذا ترجموا لأحد يذكرون أنه قرأ كتبا محدودة، يقولون: قرأ في النحو كذا، وقرأ في الفقه كذا، وقرأ في الحديث كذا. وغالب ما تجد أن هٰذه هي المتون المختصرة أو الكتب التي شرحت وخُدمت؛ لأن بها منهجية لطالب العلم في ترقيه في العلم.

ولي محاضرة في ذلك سبق أن ألقيناها في زمن مضىٰ نسيت متىٰ هو؛ لكن هي بعنوان «المنهجية في طلب العلم»، فلعل الأخ الكريم يرجع إليها.

سؤال (٢٠٣): هل يجوز الدعاء بهٰذه الصيغة: أسأل الله أن يوفقك إن شاء الله؟

**الجواب**: الدعاء الأصل فيه أن يكون المرء إذا دعا عازما في المسألة غير متردد، ظانّا بالله جل وعلا الظن الحسن؛ وهو أنَّه يجيب الدعاء ولا يرد العبد، وكلّما قوي يقين العبد بإجابة الدعاء كلما كان هٰذا من أسباب استجابة الدعاء.

وتعليق الدعاء أو تعليق السؤال بالمشيئة يخالف عزم المسألة، ولهٰذا لما قال: رجل اللّٰهمَّ اغفر لي إن شئت، قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**لا يقل أحدكم: اللّٰهمَّ اغفر لي إن شئت. وليعزم المسألة فإن الله لا مُكره له**» فتعليق الدعاء بالمشيئة الأصل فيه أنه خلاف أدب الدعاء، والله سبحانه لا مكره له علىٰ إجابة الدعاء حتىٰ يعلقه بالمشيئة.

لكن إن كان تعليقه المشيئة ليس المقصود به التعليق، إنما المقصود به التبرك فهٰذا لا بأس به.

وبعض أهل العلم يرىٰ أن قوله: إن شاء الله في مثل هٰذا لا بأس به؛ وذلك لقول النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لما زار رجلا وهو مصابا بالحمىٰ فقال له: «**طهورٌ إن شاء الله**»، فأجاب الرجل بجواب سيئ، المقصود أنه استدل «**طهور إن شاء الله**» لا بأس أن يعلق الدعاء بالمشيئة.

والأول هو الأوْلىٰ، وللمسألة مزيد تفصيل لا يناسب هٰذه الأجوبة المختصرة.

سؤال (٢٠٤): ما رأيك بدراسة «تفسير الجلالين» في بداية دراسة علم التفسير؟

الجواب: تفسير الجلالين نافع ومختصر، وفيه أيضا علوم كثيرة علىٰ اختصاره؛ لكن يُتفطن للمواضع التي سلك فيها غير طريقة السلف في العقيدة سواء في مسائل الصفات أو في مسائل القدر أو في مسائل الإيمان، فينتبه لذلك، وإلا فالكتاب من الكتب النافعة.

**سؤال (٢٠٥)**: هل يصحّ أن يُطلق علىٰ المسلم بأنه هالك إذا مات؟

**الجواب**: إذا كان الهلاك بمعنىٰ الموت فلا بأس، إذا كان إطلاق الهلاك بمعنىٰ الموت فلا بأس، أما إذا قال إنّ فلانا هلك ويعني به أنه آل به الأمر إلىٰ عذاب أو نحو ذلك، فهٰذا لا يجزم أحد من أهل القبلة بجنة ولا نار ولا بعذاب ولا برحمة إلا من شهِد له الله جل جلاله بذلك أو نبيُّه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، لهٰذا مما درج عليه العلماء في تدريس علم الفرائض أنهم إذا ذكروا قسمة المسائل يقولون هلك هالك عن، ثم يذكرون الوَرَثة.

سؤال (٢٠٦): ما حكم بيع المرابحة للآمر بالشراء، يقول: من يريد سلعة لمن يشتريها له اشتري لي السلعة التي وصفها كذا علىٰ أن أقوم بشرائها منك.؟

**الجواب**: بيع المرابحة للآمر بالشراء اختلف فيه المعاصرون من العلماء، والأكثرون علىٰ منعه لأنه قائم علىٰ الإلزام بالوعد.

والصحيح أن الوعد لا يُلزم به، وإنما الوعد يستحب الوفاء به، فإذا كان العقد قائما علىٰ وعد وإلزام بالوفاء بهٰذا الوعد صار كأنه عقد من البداية قبل الدخول في العقد الآخر، وهٰذا ممنوع.

كُتبت رسائل في مسألة المرابحة المذكورة بين مانعيه ومجيزيه.

**سؤال (٢٠٧)**: إذا قرأ شخص بعض الآيات التي تتكلم علىٰ بر الوالدين مثلا فتذكر والديه وبكىٰ لذلك، هل يكون داخلا في حديث وعين بكت من خشية الله؟

**الجواب**: الحديث مقيد أن البكاء من خشية الله وهو ما جاء في الحديث الصحيح أنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ

والسَّلاَمُ قال: «**عينان لا تمسهما النار يوم القيامة عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**» فمن كان بكاؤه من خشية الله جل جلاله فهو مأمول له أن يدخل في هٰذا الفضل العظيم، وكذلك ما جاء في حديث السبعة أنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أن «**رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**».

سؤال (٢٠٨): هل يجب قرن السلام علىٰ النبي بالصلاة، وعلىٰ ماذا يحمل قوله تعالىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[الأحزاب]؟

**الجواب**: ذكر العلماء أنّ الواجب هو الصلاة علىٰ النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، والسّلام في الصلاة - في داخل الصلاة- ومرة في العمر ليمتثل ذلك، أما إذا ذُكر اسم النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ فإنه يُتأكّد الصلاة عليه والسلام ولا يجب ذلك، ولهٰذا يختصر صيغة الصلاة والسلام بما تسمعون العلماء وغيرهم يقولونه: اللّٰهمَّ صلّ وسلّم عليه، ﷺ، ونحو ذلك.

نكتفي بهٰذا، نعم اقرأ

وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلَا يُزَادُ فِي ذَلِكَ الْعَدَدُ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ. وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ، وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ.

وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللهِ، وَالشقِيُّ مَنْ شقِيَ بِقَضَاءِ اللهِ.

وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَىٰ فِي خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَىٰ ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ، وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ، فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ طَوَىٰ عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الأنبياء]، فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ.

---

هٰذه الجُمل من هٰذه العقيدة المباركة شروعٌ من الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في مسألة القدر.

ومسألة القدر والبحث فيها من المسائل العظيمة جدًّا؛ لأنَّ الخلاف فيها بين أهل السنة والجماعة وبين المخالفين كثير ومتنوّع.

والطّحاوي لم يرتِّب الكلام علىٰ مسألة القدر بل فرَّقه، ولم -أيضا- يتناوله تناولًا منهجيًّا واضحًا بيِّنا، وإنما ذكر جملا منه، ولهٰذا فإننا سنذكر -إن شاء الله تعالىٰ- كل ما يتصل ببحث القدر في هٰذا الموضع بما اتسع له الوقت، ونُحيل فيما نستقبل علىٰ هٰذا الموضع الذي نأتيه عند قوله: (وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَىٰ فِي خَلْقِهِ).

قال: (وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلَا يُزَادُ فِي ذَلِكَ الْعَدَدُ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ. وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ.) هٰذه الجملة أخذها ابتداء من عدد من أحاديث المصطفىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، وتلك الأحاديث متنوعة وثابتة في أنّ الله جل وعلا علِم خلق الجنة خلق لها أهلا وعلم ما هم عاملون، خلق النار وخلق لها أهلا وعلم ما هم عاملون، وأن الله سبحانه قبضة قبضة إلىٰ النار وقبض قبضة إلىٰ الجنة، وأنّ الله سبحانه لما استخرج ذرية آدم من ظهره قال: هؤلاء إلىٰ الجنة وهؤلاء إلىٰ النار فلا يُزاد في ذلك العدد ولا يُنقص، والأحاديث في هٰذا كثيرة متنوعة.

لكن المراد من ذلك هو ذكر أعظم مراتب الإيمان بالقدر ألا وهي مرتبة العلم؛ حيث ذكر أن الله سبحانه علم عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار، وكذلك علم أفعالهم، فعلم العدد؛ يعني علم الأفراد وعلم الأعمال، والأعمال يدخل فيها القول والعمل والاعتقاد والأحوال جميعا، من جميع التصرفات أصحاب الجنة وأصحاب النار، وهٰذا فيه إيمان لذكر هٰذه المرتبة العظيمة وهي مرتبة **العلم**.

**ولهٰذا نقول**: إن هٰذه الجملة فيها تقرير لمرتبة العلم، والكلام علىٰ هٰذه المرتبة يمكن أن نرتّبه لك في مسائل:

**المسألة الأولى**: أنَّ عِلم الله جل وعلا كما ذكر (عَلِمَ اللهُ [تَعَالَىٰ] فِيمَا لَمْ يَزَلْ) يعني أن علم الله أزلي

وأبدي، وأنَّ علمه سبحانه أوّل، وهٰذه كلّها بمعنىٰ واحد.

**المسألة الثانية**: أنّ علم الله جل وعلا من حيث هو صفة له سبحانه متعلقٌ بكل شيء، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ٣٢﴾[النساء]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[1] وقال أيضا جل جلاله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾[2] وقال سبحانه: ﴿وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ [غافر:٧]، ونحو ذلك من الآيات.

فعِلْم الله جل جلاله متعلق بكل شيء، وكلمة ﴿بِكُلِّ شَيۡءٍ﴾ هٰذه فيها شمول للأشياء **والشيء يُعرَّف بأنه ما يصح أن يُعلم أو ما يصح أن يؤول إلىٰ أن يُعلم**.

فإذن ما سيقع سواءً كان من جليل الأمر أو من حقيره هٰذا سيؤول إلىٰ العلم، وأيضا يصح أن يُعلم ويصح أن يؤول إلىٰ العلم ما لم يقع.

لهٰذا نقول: إن علم الله جل وعلا بالأشياء شامل، وأن علم الله جل وعلا بالأشياء بدأ -هو أوّل-؛ لكن بدأ حيث أراد الله جل وعلا أن يوجَد ذلك الشيء، أو أن يكون الأمر علىٰ هٰذا النّحو، أو أن لا يكون هٰذا الأمر.

[يعني أنّ الله ﷻ علِم أحوال الأشياء علىٰ التفصيل وعلىٰ الإجمال لَمَّا أراد خلقها وإيجادها ﷻ.

والله سبحانه يعلم تلك الأشياء علىٰ ما هي عليه وعلمه بها أوَّل، وإذا قلنا: إن علمه بها ﷻ بها شامل وأنه جل وعلا علِم تلك الأشياء إذْ توجهت الإرادة إليها فإنَّ ذلك العلم لم يسبقه جهالة، هٰذه من أصول المسائل أيضا؛ لأنّ علم الله جل وعلا لم يسبقه جهالة، وهٰذه تنفعك في البحث مع القدرية؛ نفاة العلم.][3]

وقولنا: لم يسبقه جهالة؛ يعني لا في الأزل، فإذا قلنا: علِم، ليس معناه أنه قبل ذلك كان جاهلا بهٰذا الشيء، لم؟ لأنه لم يكن شيئا إلا لما توجهت الإرادة إليه، فلما توجهت الإرادة إليه بأنه يكون أو لا يكون أو إذا كان كيف يكون فإنه سبحانه عِلْمُه بذلك سابق.

فإذن علم الله جل وعلا لم يسبقه جهالة، لا حين توجه إلىٰ الإرادة ولا حين وقع مشيئةً كونيةَ.

والإرادة في قولنا: توجّهت إليه الإرادة، ليست هي الإرادة الكونية المتعلقة -يعني التي تعرفونها التي هي المشيئة، إذا تعلقت بشيء كان- وإنما هي إرادة القدر؛ يعني تقدير الأشياء بأن هٰذا سيكون أو لا

---

(١)البقرة:٢٨٢، النساء:١٧٦، النور:٣٥، النور:٦٤، الحجرات:١٦، التغابن:١١.

(٢)الأحزاب:٤٠، الفتح:٢٦.

(٣) قال الشيخ صالح إجابة عن سؤال وجه إليه في الدرس الحادي والعشرون: هذه كلمة أردت بها التوضيح، وأشكلت علىٰ كثير من الإخوان، وهي سليمة في نفسها صحيحة؛ لكن لأجل عدم الاستيعاب أتركوها، وهي للإيضاح ليست للاعتقاد، هي للإيضاح، كلمة للإيضاح فاحذفوها من كتاباتكم، وإن أمكن أيضا من التسجيل لئلا يوقع الناس في اللَّبس.

يكون وأن هٰذا سيخلقه الله أو لا يخلقه الله؛ يعني الإرادة المرتبطة بالحكمة والتقدير بإيقاع الأشياء في أوقاتها.

**المسألة الثالثة**: أن مرتبة العلم من أنكرها كفر، ومراتب القدر أربعة كما تعلمون:

- أولها العلم.
- ثم الكتابة.
- ثم عموم المشيئة.
- ثم عموم خلق الله جل وعلا للأشياء.

والمرتبة الأولىٰ وهي العلم من أنكرها كفر، وعِلم الله ﷻ -كما ذكر لك الطحاوي- أنه عَلِم أهل الجنة وعَلِم أهل النار؛ يعني علم حال المكلفين وعددهم وصفاتهم، وعَلِم أيضا أعمالهم، وأيضا هٰذا القدر المتعلق بالمكلَّفين، وأيضا علم الله جل وعلا بكل شيء حتىٰ بغير المكلفين علىٰ التفصيل.

**المسألة الرابعة**: أنَّ المنكرين للعلم -علم الله جل وعلا السابق- خرجوا في زمن ابن عمر ﷺ، فقال ابن عمر في حقهم لمن سأله قال: أعْلِمْهم أني منهم بريءٌ. وذكر حديث الإيمان -يعني حديث جبريل الطويل المعروف، وفيه من أركان الإيمان، الإيمان بالقدر خيره وشره-، وهؤلاء كانوا يقولون إنّ الله جل وعلا لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها؛ يعني أنّ الأمر أنف مستأنف يقع ثم يُعلم.

وشبهتهم -شبهة القدرية هؤلاء- أنهم قالوا: إنّ الله سبحانه علق أشياء في القرآن بالعلم الذي ظاهره أنَّه لم يكن قبل ذلك عالما، وذلك من مثل قوله جل وعلا: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾[البقرة:١٤٣]، وهٰذا فيه تعليق الأمر بعلم سيحصل، قال: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ يعني أنه قبل ذلك -يعني كما يقولون- لم يكن يعلم من سيتّبع ممن سينقلب علىٰ عقبيه.

وهٰذا الإيراد في الاستدلال بالآية هو استدلال بالمتشابه وتركٌ للمحكمات، ولهٰذا يُرد عليهم هٰذا الاستدلال بأن هٰذه الآية تُفهم مع الآيات الأُخر التي فيها علم الله جل وعلا بكل شيء، حتىٰ قبل وقوع الأشياء.

كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ كما ذكرتُ لك أن الشيء يعرَّف بأنه ما يؤول إلىٰ العلم؛ ما يصح أن يعلم أو يؤول إلىٰ العلم، وكذلك يستدل عليهم بقوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الأنفال]، والأحاديث الكثيرة التي فيها علم الله جل وعلا بأهل الجنة، وعلم الله جل وعلا بأهل النار، وعلمه بعمل العاملين، ونحو ذلك قبل خلق الخلق.

ويُستدل أيضا عليهم بقوله سبحانه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[1] وبقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾[النساء]، والآيات كثيرة التي فيها ذكر العلم بلفظ ﴿كَانَ﴾؛ ﴿كَانَ بِكُلِّ

---

(١) الأحزاب:٤٠، الفتح:٢٦.

شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾.

وهؤلاء القدرية هم الذين قال فيهم السلف: ناظروا القدرية بالعلم فإن أنكروه كفروا وإن أقرّوا به خُصموا.

والقدرية هؤلاء سُمُّوا قدرية لأنهم ينفون القدر، ونفي القدر قد يتوجه إلىٰ نفي مرتبة من مراتبه، أو إلىٰ نفي أكثر من مرتبة.

فممّن نفىٰ أكبر المراتب وأعظمها وهي العلم، هؤلاء هم القدرية الأوائل الذين يقال لهم: القدرية الغلاة.

ومن هؤلاء -يعني من القدرية- الذين ينفون مرتبة عموم الخلق كالمعتزلة.

وهم مراتب أعني القدرية في ذلك مراتب.

وقد لخص شيخ الإسلام أصناف القدرية بقوله في «تائيته القدرية»:

ويدعىٰ خصوم الله يوم معادهم ... إلىٰ النار طُرًّا معشر القدرية

سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا ... به الله أو ماروا به للشريعة

يعني أنَّ أعظم تلك الفرق التي تدعىٰ القدرية الذين ينفون القدر وهم الغلاة نفاة العلم أو المتوسّطون وهم المعتزلة ومن شابههم.

**المسألة الخامسة**: متعلقة بالعلم، أنّ علم الله جل وعلا شامل لكلِّ شيء، هٰذا يفيد المؤمن في إيمانه بالقدر، وهو أنه سبحانه علِم الأشياء، وعلِم حال العبد، وعلم ما ستكون عليه هٰذه الأمور جميعا من دقائقها وتفاصيلها وإجمالها.

وهٰذا يعني أنه ليس ثم شيء يقع علىٰ وجه الصدفة بلا ترتيب سابق ولا تقدير سابق، فإذا كان الله علم فإن معنىٰ ذلك أنه سبحانه جعل هٰذا الذي علم أنه علىٰ وفق ما يشاؤه، علىٰ وفق الحكمة البالغة؛ لأن الرب المتصرف في الملكوت لا يقع في ملكه إلا ما يشاء أن يقع، فإذا كان علم وأيقن العبدُ هٰذا العلم الشامل الكامل فإنه يوقن بعده بالحكمة العظيمة.

لهٰذا مسألة الحكمة من وجود الأشياء مرتبطة بالقدر علما ونفيا:

- يعني مرتبطة بالقدر علما -أعني الحكمة-؛ لأن الله ﷻ عليم؛ ولأنه سبحانه ما شاء كان.
- ومرتبطة بالقدر نفيا في أنَّ الخوض في الحكمة خوضٌ في القدر.

ولهٰذا قال الطحاوي في آخر كلامه: (**وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَىٰ فِي خَلْقِهِ**) وقال في آخرها أيضا: (**فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ طَوَىٰ عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ**) إلىٰ أن قال:[1] (**فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ**)، وهٰذه هي التي يُشكل علىٰ البعض

(١) انتهىٰ الشريط السادس عشر.

كيف دخل في القدر أي مسألة الحكمة، إذا قال المرء: لم حصل كذا؟ ولم قُدِّر كذا؟ أو لم صار الأمر علىٰ هٰذا النحو؟ لم صار هٰذا غنيا وهٰذا فقيرا؟ ولم صار هٰذا مريضا وصار ذاك صحيحا؟ كيف انتقل هٰذا السؤال في القدر وصار المتشكك من القدرية؟ لأن المتشكك ينفي الحكمة، ولو أيقن بعموم العلم وعموم المشيئة لأيقن بحكمة الله جل وعلا الماضية، وأنه لا شيء يقع إلا والله ﷻ علمه قبل أن يقع وأراده كونا وشاءه، هٰذا يعني أنه لم يقع إلا علىٰ وفق حكمة الله جل جلاله.

فلهٰذا صار الداخل في مسائل القدر بـ:لم؟ صار معارضا للقدر، لهٰذا قال لك ابن تيمية في البيت الذي ذكرته لك آنفا (**أو ماروا به للشريعة**) يعني من القدرية منهم من يماري به للشريعة، يماري يعني يشكك ويجادل ويسأل وكذلك قال بعدها:

وأصلُ ضلالِ الخلْقِ مِنْ كُلِّ فِرقَةٍ ... هو الخوضُ فى فعْلِ الإلهِ بعلَّةِ

فإنَّهمُو لم يَفْهَمُوا حِكْمَةً لَهُ ... فصاروا علىٰ نَوْعٍ مِنَ الجاهليَّةِ

فأهل الجاهلية عارضوا الشريعة بـ:لم؟ والمتشككون عارضوا أفعال الله جل وعلا بـ:لم؟

إذن فمِن أعظم مراتب القدر -الإيمان بالقدر-، من أعظم مراتب الإيمان، الإيمان بعلم الله جل وعلا الشامل للأشياء، الشامل لكل شيء، فإذا أيقن العبد بهٰذا بعموم العلم وعلم معنىٰ ذلك، أيقن أيضا بحكمة الله جل وعلا واستسلم لقدر الله ولم يخض فيه بالسؤال؛ لأن القدر سر وهو مرتبط بعلم الله جل وعلا.

يوضّح لك ذلك أن الله جل جلاله قصَّ علينا في القرآن قصة الخضر مع موسىٰ عليه السلام أو عليهما السلام، فالخضر مع موسىٰ اختلفا واعترض موسىٰ علىٰ الخضر، وسبب الاعتراض عدم العلم، لما كان موسىٰ في تلك المسائل أنقص علما من الخضر واعترض حجب عن علم زائد، ولذلك صار السؤال -سؤال الاعتراض- مرتبطا بالعلم، فإذا كان الخضر أعلم من موسىٰ، وموسىٰ حُجب بالسؤال فدل علىٰ أن السؤال في أفعال الله أو السؤال في قدر الله أو السؤال في تصرفات خلق الله جل وعلا أن هٰذا اعتراض علىٰ العلم، وإذا كان الله جل وعلا هو العليم بكل شيء فإنه لا يجوز للعبد أن يعترض علىٰ علمه وعلىٰ حكمته بـ:لم؟

لهٰذا قال في آخر الكلام هنا: (**فَمَنْ سَأَلَ : لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ.**) يعني قوله: ﴿ **لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ** ﴾ [الأنبياء:٢٣].

هٰذه بعض المسائل في كلامه علىٰ مرتبة العلم.

قال بعدها: (**وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**) هٰذه الجملة ثبتت في الحديث عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ حيث قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «**اعْمَلُوا فكُلٌّ مُيَسرٌ لما خُلِقَ له**» يعني بذلك قول الله جل وعلا: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾[الليل].

ومعنىٰ (**كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**) أن الله جل وعلا خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم،

فهؤلاء أهل السّعادة سييسرون لعمل أهل السعادة، خلق النار وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم، فهؤلاء سييسرون للعسرىٰ؛ لعمل أهل الشقاوة.

وقولهك (كُلٌّ مُيَسَّرٌ) لا تفيد الجبر؛ وإنما يعني أنّ الله سبحانه علِمَ أنّ هؤلاء سيعملون بعمل أهل النار وكَتَبهم من أهل النار، وأنهم لما في نفوسهم من الخُبْث سيكونون من أهل النار، فسيتركهم الله جل وعلا لأنفسهم؛ يعني سيخْذُلهم، فإذا خذلهم يُسِّر لهم سبيل الضلال؛ يعني أن التيسير لأهل الجنة فيه زيادة فضل والتيسير لأهل النار فيه سلب الفضل، وهٰذا يعني أنّه لا جبر، وأن الجميع لأجل الله جل وعلا، وأن أهل الجنة عاملهم الله ﷻ زيادة علىٰ عدله بأن منحهم فضلا ويسَّر لهم وأعانهم علىٰ الخير.

قال: (وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ) الأعمال بالخواتيم يعني بذلك ما جاء في قول النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**فإنّ أحدَكم سيعمل بعمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلُها، وإنّ أحدهم ليعمل بعمل أهل النار حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**» لهٰذا كان كثير من السلف إذا ذكروا الخاتمة بكوا كثيرًا، وقال: بعضهم قلوب الأبرار معلّقة بالخواتيم يقولون: بماذا يُختم لنا؟

وهٰذا التعلق بالخواتيم، وهٰذا الإيمان بهٰذا النوع من القدر، يجعل العبد المؤمن صاحب يقظة وحرص علىٰ إيمانه؛ لأنّ الله سبحانه لا يظلم النّاس شيئا، والعبد يُيسر لعمل أهل الشقاوة إذا اختار هٰذا الطّريق، فإذا جاهد نفسه فإنّ الله سبحانه أعظم فضلا ومنة وكرما، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت:٦٩]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾[محمد]؛ يعني مدافعة نوازع الباطن في النفس.

قال: (وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللهِ) يعني أنَّ السّعيد هو من جعله الله سعيدا إذْ قضىٰ عليه أنْ يكون من المخلوقين، وهٰذا يُشير به إلىٰ حديث نفخ الروح وأنَّ الملك يأتي إلىٰ الجنين ويقول: يا ربي شقي أو سعيد؟ ويؤمر بكَتْب أربع كلمات بكتابة رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد.

وهنا في قوله: (بِقَضَاءِ اللهِ)، (مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللهِ) يعني به القدر، وهٰذا علىٰ أحد الوجهين أو أحد القولين في أنَّ القضاء والقدر بمعنىٰ واحد، وسيأتي تفصيل لهٰذه الجملة والفرق بين القضاء والقدر.

وهٰذا أيضا هو معنىٰ قوله: (وَالشقِيُّ مَنْ شقِيَ بِقَضَاءِ اللهِ).

ثم قال: (وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَىٰ فِي خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَىٰ ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ) يعني أنَّ القدر -وهو تقدير الأشياء- هٰذا سر إذْ هو تصرُّف الرب جل جلاله بملكوته، وتصرف الرب جل جلاله في ملكوته مما يختص به الله جل جلاله فلم يُطْلِع عليه أحدا ولم يطَّلِع أحد علىٰ ذلك، حتىٰ أكرمُ عباده من الملائكة لا يدرون ما مصيرهم، لا يدرون ماذا يقضي الله في السماء، ما يدرون ما مصير أهل الأرض إلىٰ غير ذلك، وكذلك أنبياء الله لا يدرون ولا يدرون عن الغيب ولا متىٰ سيموتون، إلىٰ آخر ذلك.

المقصود أنّ القدر -وهو كما سيأتي تعريفه تقدير الله للأشياء- أن هٰذا مما اختص الله جل وعلا به، فلا أحد يعلم ما القدر، وما الذي قُدِّر، وما الذي كُتب، وما الذي جعله الله جل وعلا مكتوبا في اللوح المحفوظ أو مكتوبا في صحف الملائكة، هٰذا علمه عند الله جل وعلا، وهو من مفاتح الغيب العظيمة التي قال الله فيها: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام:٥٩].

والقدر معنىٰ كونه سرا أنّه لا يمكن أن يُطَّلع عليه إذ هو سرٌّ عند الله جل وعلا، والله سبحانه لم يُطْلِع علىٰ ذلك أحدا فمعنىٰ ذلك أنّه لن يطّلع أحد علىٰ ذلك ولو خاض فيه.

ومبنىٰ القدر علىٰ صفات الله جل وعلا:

- مبنىٰ القدر علىٰ العلم.
- مبنىٰ القدر علىٰ عموم المشيئة.
- مبنىٰ القدر علىٰ عموم الخلق.
- مبنىٰ القدر علىٰ حكمة الله جل وعلا.

... وعموم مشيئته، وإلىٰ أي شيء تتوجه لا يعلمها العبد، وعموم خلقه جل وعلا من أشياء إذا توجّه الشيء لا يعلمه العبد إلا بعد أن يقع، وحكمة الله لا يعلمها العبد.

إذن فصارت أنحاء القدر الأربعة لا يعلمها العبد، فكيف إذن يمكن له أن يخوض في القدر، فصار الأمر إذن إلىٰ الاستسلام.

وهٰذا هو الذي أراده الطحاوي فيما قال، قال: (وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ) يعني في القدر المبني علىٰ الأشياء التي ذكرتُ لك (وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ، وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ).

إذا تبين هٰذا فيمكن أن نُجمل أو نُقَسِّم الكلام علىٰ القدر في مسائل كثيرة، نذكر منها ما يناسب الوقت بعض الأشياء.

قال: (وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَىٰ فِي خَلْقِهِ) نقول: إنه تحتها مسائل، هي مسائل بحث القدر جميعا يمكن أن نجعلها في هٰذا الموضع.

**المسألة الأولى**: في تعريف القدر.

القدر يمكن أن يُعرَّف بأنه: تقدير الله للأشياء قبل وقوعها، وعلمه الأوّل بكل شيء، وكتابته لذلك؛ يعني للمقادير في اللوح المحفوظ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وعموم خلق الله للأشياء كلها.

هٰذا لا ينطبق عليه حد التعاريف عند أهل التعاريف؛ لكن هٰذا يعم ويضم كل مراتب الإيمان بالقدر الأربعة.

**المسألة الثانية**: مراتب الإيمان بالقدر، والإيمان بالقدر إيمان بما دل والقرآن والسنة عليه بما يتصل بالقدر، وذلك إيمان بأربع مراتب:

**المرتبة الأولىٰ**: العلم.

**المرتبة الثانية**: الكتابة.

**والمرتبة الثالثة**: عموم المشيئة.

**والمرتبة الرابعة**: خلق الله جل وعلا للأشياء كلها.

أما المرتبة الأولىٰ العلم: فأدلتها كثيرة ذكرنا لكم بعضًا منها.

المرتبة الثانية الكتابة: ثَم أدلة كثيرة منها قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[الحج]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر]، ودلّ عليه قول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «**قدّر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه علىٰ الماء**».

ومعنىٰ الكتابة أنّ الله سبحانه كتب كلَّ شيء في اللوح المحفوظ، سواء ما يتعلق بالمكلفين أو ما يتعلق بغير المكلَّفين وذلك لعموم قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ﴾[الحج:٧٠] يعني ما في السماء والأرض.

والكتابة هٰذه المقصود بها الكتابة في اللوح المحفوظ؛ كتابة مقادير الأشياء في اللوح المحفوظ.

ومن هٰذه الكتابة ثَم أنواع من الكتابة تفصيلية لها: منها الكتابة العُمْرية، والكتابة السنوية، والكتابة اليومية، وأشباه ذلك مما دلت عليه الأدلة في القرآن والسنة.

المرتبة الثالثة مرتبة المشيئة: ويُعنىٰ بها أن ما شاء الله جل وعلا كان لا يرد، لا ترد مشيئة الله جل وعلا، وأن الذي لا يشاؤه الله سبحانه ولو شاءه العبد ورغب فيه فإنه لا يقع، ودليلها قوله سبحانه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾[الإنسان]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[التكوير].

والمشيئة مرتبطة بالكون؛ يعني أن المشيئة كونية، فإذا شاء الله أن يقع هٰذا الشيء في هٰذا الوقت علىٰ هٰذه الصفة فإنّه يقع علىٰ ما شاءه الله جل وعلا وأراده كونا.

والمشيئة تساوي الإرادة الكونية، لهٰذا يُبحث هنا في مرتبة المشيئة الفرق ما بين المشيئة والإرادة، وأهل السنة علىٰ أنّ مشيئة الله جل وعلا هي إرادته الكونية، وأنّ الإرادة منقسمة إلىٰ إرادة شرعية دينية وإلىٰ إرادة كونية، وأنَّ الله سبحانه قد يشاء الشيء كونا؛ يعني يريده كونا فيقع ولا يريده دينا وشريعة.

فيجتمع إذن في بعض الحالات إرادة وعدم إرادة، فيكون الفعل المعيّن مراد وغير مراد، شاءه الله فوقع وأراده فوقع؛ ولكن لم يرده سبحانه دينا وشريعة، وهٰذا فيما يَكرهه الله ولا يرضاه دينا مثل كفر الكافر معصية العاصي ضلال الضال إلىٰ آخره، فإنّ الله سبحانه شاء الكفر من الكافر؛ لأنّه ما دام وقع فإنه قد شاءه وأراده كونا؛ لأنه لا يحصل في ملكوته إلا ما أراده جل وعلا كونا؛ ولكن لم يرضه لم يرده دينا؛ لأن الله نهىٰ في كتابه علىٰ ألسنة رسله عن الكفر والفساد وبيَّن أنه لا يرضىٰ ذلك ولا يحبه، كما قال: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾[الزمر:٧]، وقال: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾[البقرة].

وهٰذه هي المسألة المعروفة لدىٰ كثير منكم بالفرق ما بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية، وسيأتي

لها مزيد بيان عند ذكر الرد علىٰ المخالفين في القدر إن شاء الله تعالىٰ.

المرتبة الرّابعة والأخيرة هي مرتبة عموم خلق الله جل وعلا للأشياء: وأنَّ الله سبحانه خالق كل شيء، وأنَّ طاعة المطيع خلقها الله ومعصية العاصي خلقها الله وأنَّ صلاة المصلي خلقها الله كما خلق ذاته؛ يعني ذات المصلي فإنه يخلق أعمالهم، وهٰذه يستدل لها بقول الله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾[الزمر]، وبنحو قوله سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢﴾[الفرقان]، ونحو ذلك من الآيات.

وفي خصوص عموم خلق الله للعمل يُستدل بقوله سبحانه ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾[الصافات]، وفي هٰذه الآية دليل علىٰ أنَّ عمل العامل خَلَقَهُ الله، وذلك أن كلمة ﴿مَا﴾ في الآية ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾:

- الأصح فيها أنها مصدرية بمعنىٰ أنّها تقدر مع ما بعدها بمصدر؛ يعني يكون سبك الآية: والله خلقكم وعملكم.
- والوجه الثاني أن ﴿مَا﴾ هنا موصولة بمعنىٰ الذي فيكون المعنىٰ: والله خلقكم والذي تعملونه.

وهي علىٰ كلا من الوجهين دالة علىٰ المراد في عموم خلق الله جل وعلا للعبد، ووضوح الدليل الأول يعني في كونها مصدرية وقد يكون ثم بعض الاعتراض علىٰ الاستدلال بالوجه الثاني.

لهٰذه تكملة -إن شاء الله- في الدرس القدم بإذنه تعالىٰ. فنكتفي بهٰذا القدر.

[الأسئلة]

سؤال (٢٠٩): ما الفرق بين القدر والقضاء؟

**الجواب**: يأتي إن شاء الله.

سؤال (٢١٠): يجعل الله سرّه في أضعف خلقه، إذا رأىٰ مثلا شخصا ضعيفا.

**الجواب**: هٰذا المقصود به حكمته في الخلق، لا بأس به.

سؤال (٢١١): هل يدخل الغيب تحت القدر؟

**الجواب**: نعم كل مغيَّب فهو مقدر.

سؤال (٢١٢): هل يصح قول: ما ليس بشيء فإن الله لا يعلمه؟

-ما ليس بشيء، إيش معنىٰ: ما ليس بشيء فإن الله لا يعلمه؟-

والله علىٰ كل شيء قدير والذي ليس بشيء فإن الله ﷻ غير قادر عليه لأنه ليس بشيء كالجمع بين النقيضين؟

**الجواب**: هٰذا الكلام غير منضبط لا من جهة كلام المناطقة ولا من جهة أيضا [التعليل]، فلا تطلق عليه العبارة لأنها غير منضبطة؛ لأنه يقول: ما ليس بشيء يعني الذي ليس بشيء، وما دام قال الذي فإنه شيء.

سؤال (٢١٣): قبل إرادة الله الخلق للشيء وعلمه به، ماذا يسبقه، هل يسبقه جهل به؟

**الجواب**: أستغفر الله وأتوب إليه، الله سبحانه علمه أول، وعلمه مرتبط بإرادته وحكمته جل وعلا فلا يسبق علمه جهل جل جلاله وتقدست أسماؤه.

سؤال (٢١٤): ما معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[آل عمران:١٤٠]، ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾[1] ونحو ذلك من الآيات؟

**الجواب**: نحن ما أجبنا عن هٰذا السؤال؟ يمكن نسينا في الرد علىٰ القدرية، ما أجبنا علىٰ الآية؟ ما ذكرناه.

معنىٰ تفسير الآية ونحوها من الآيات التي ذكرها الأخ السائل جزاه الله خيرا -ذكّرني بالموضوع-، ذكرنا أن الرد علىٰ القدرية من وجهين:

**الوجه الأول**: هو أن ذلك من المتشابه وترك للمحكم وذكرنا المحكمات.

**الوجه الثاني**: أن معنىٰ الآية ﴿عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾[البقرة:١٤٣] ومعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾، وقوله: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال:٦٦]، ونحو ذلك هو ظهور علم الله جل وعلا؛ لأن علم الله ﷻ خفي، ولا يحاسِب العبد إلا علىٰ ما ظهر من علم الله جل وعلا المتعلق بالعبد، وإلا فلو أُنِيط ذلك بعلم الله الباطن دون ظهور الشيء في الواقع المتعلق بالمكلف لكان للمكلف حجة في رد التكليف.

ولهٰذا الآيات التي فيها ذكر العلم اللاحق أو ما سيأتي المقصود منه ظهور العلم، العلم الذي سيأتي يعني العلم الذي سيظهر، أما علم الله جل وعلا المشتمل علىٰ ما خفي وما ظهر، أو علم الله السّابق واللاّحق فهٰذا كان بعلم الله جل وعلا للأشياء الذي هو مرتبة من مراتب القدر.

فإذن في قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ يعني إلا ليظهر علمنا في المكلفين، فنعلم فيظهر علمنا فيمن اتبع الرسول ممن انقلب علىٰ عقبيه، حتىٰ تكون حجة علىٰ هٰذا العبد.

كذلك ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ هٰذا مرتبط بالتّشريع، وعلم الله جل وعلا الشامل -يعني الظاهر والباطن- هٰذا متّصف الله جل وعلا به؛ لكن لا يكون معه التّدرج في التشريع، فالله ﷻ جعل العبد المؤمن يقاتل عشرة، ثم ظهر عِلمه فيهم أنهم ضعفاء فخفّف، فالتخفيف إذن مسألة شرعية لما ظهر علم الله الباطن بحالهم فهنا شرع لهم التّخفيف.

وهٰذا يعني أنّ الآيات هٰذه تدل علىٰ ظهور علم الله جل وعلا، وظهور علم الله جل وعلا فيهم مُناط بأمرين:

**الأول**: أن تنقطع الحجة من العبد علىٰ التكليف والحساب.

---

(١)آل عمران:١٤٢، التوبة:١٦.

**والثاني**: أن تُشرّع وتظهر الشريعة أو تُسن الأحكام.

... ما دام وقع يعني ظهر، وعلم الله موجود لكن إذا وقع ظهر؛ ظهر للعبد، ما علم الله سبحانه فإنه سيقع إذا كان مقدرا أن يقع.

سؤال (٢١٥): نرجو أن تملوا علينا الأبيات الميمية في القضاء والقدر؟

**الجواب**: الميمية هي أو التائية؟ تائية شيخ الإسلام القدرية هٰذه مشهورة ينبغي لطالب العلم أن يحفظ منها أو أن يحفظها؛ لأنها فيها ذكر كثير من مسائل القدر.

... هذيك في التعليل مو في القضاء والقدر؛ في ترك تعليل أفعال الله جل وعلا أو الخوض في ذلك، نأتيها إن شاء الله تعالىٰ هٰذه أبيات ذكرها ابن الوزير في كتابه إيثار الخلق علىٰ الحق دون نسبة، هي أبيات جميلة مهمة في مسألة تعليل الأفعال ومطلعها يقول فيها:

تسلّ عن الوفاق فربنا قد ... حكىٰ بين الملائكة الخصاما
كذا الخضِر المكرّم والوجيه الـ ... ـمكلّم إذ ألمَّ به لماما
تكدَّر صفو جمعهما مرارا ... فعجّل صاحب السرّ الصراما
ففارقه الكليم كليم قلب ... وقد ثنّىٰ علىٰ الخضر الملاما
وما سبب الخلاف سوىٰ اختلاف الـ ... ـعلوم هناك بعضا أو تماما
فكان من اللوازم أن يكون الإله ... مخالفا فيها الأناما
فلا تجهل لها قدْرا وخُذها ... شكورًا للذي يحيىٰ الأناما[1]

هي قصة عظيمة قصة الخضر مع موسىٰ فيها من الفوائد ما لا يحصىٰ.

نكتفي بهٰذا القدر ونلتقي إن شاء الله تعالىٰ بخير وعافية.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

---

(١) اللفظ المذكور في الكتاب هو (العظاما)

## الدَّرسُ الْحادِي والعِشْرُون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي أنعم علىٰ عباده باتباع دينه، ثم أكرمهم بقبول ذلك منهم، فله الحمد في الأولىٰ والأُخرىٰ، له الثناء الحسن بما له من الأسماء والصفات العُلا، تبارك ربنا عظيما كبيرا، وتقدس اسمه، وعلت صفاته، وجلّ جلاله، تعالىٰ عن الأشباه والأنداد، ﷻ عما يقول الظالمون علوًّا كبيرا.

وأُصلي وأسلم علىٰ محمد بن عبد الله النعمة المهداة لهٰذه البشرية أجمعين، صلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله محمد وعلىٰ إلٰه وصحبه وسلم اللّٰهمَّ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد..

ففي هٰذه الليلة نجعل الدرسَ للإجابة عن الأسئلة التي لم نجب عليها في الدروس الماضية إن شاء الله تعالىٰ، وهٰذا الدرس وهو آخر الدروس في هٰذا الفصل؛ لأن الأسبوع القادم ربما يكون أول ليلة أو أول يوم من أيام الأشهر المباركة عشر ذي الحجة، وإن شاء الله نستقبل هٰذه الدروس بعد الرجوع من الحج لمن حج، أو في أول أسبوع من الدراسة إن شاء الله تعالىٰ.

وهٰذا يشمل درس السبت وغيره أيضا؛ يشمل درس السبت والخميس.

[الأسئلة]

سؤال (٢١٦): ما حكم فكِّ السّحر بالسحر، وقد نُقل عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يرىٰ فيه بأسا، إذا كان الرجل سُحر يمشي إلىٰ من يطلقه عنه، فقال هو صلاح، قال قتادة كان الحسن يكره ذلك، قال فقال سعيد بن المسيب إنما نهىٰ الله عن الذي يضرّ ولم ينهَ عما ينفع؟

**الجواب**: هٰذه المسألة من المسائل العظيمة في باب التوحيد وفي الفقه أيضًا؛ ألا وهي حكم حلِّ السحر بسحر مثله، ولابد من تقديم مقدمة في بيان حقيقة السحر.

هو أن السحر لا ينعقد إلا بأن يخدمه شيطان؛ لأن حقيقة السحر هي تسليط الشياطين علىٰ المسحور، إما علىٰ بدنه، وإما علىٰ جزء من بدنه، وإما علىٰ عقله، والشيطان قد يتسلَّط بإذن الله جل وعلا فيضر المسحور وقد لا يضره فينفع غير المسحور، كما في مسألة الصرف والعطف، والله جل وعلا قال لما ذكر السحر: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة:١٠٢].

وحقيقة السحر -كما ذكرتُ لك- راجعة إلىٰ خدمة الشيطان لهٰذا السحر، والسحر يؤثّر حقيقة في بدن المسحور أو في عقله، يؤثّر حقيقة لا تخيل يؤثر في البدن فيمرض حقيقة، يؤثر في العقل فيُنسي حقيقة، يصرف العقل عن الشيء حقيقة وليس بالتخيّل، وإنما قد يخيل إلىٰ العين في بعض أحواله كما قال جل وعلا: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾[طه]، هٰذا تخييل علىٰ العين في بعض أحواله، أما فيما يصيب البدن ويصيب العقل فهو حقيقة وهو ليس توهّما من المسحور.

إذا تبين ذلك فإن الشيطان هٰذا الذي يخدم السحر لا يمكن أن يفعل ذلك ويخدم الساحر حتىٰ

يتقرّب إليه الساحر، فيستمتع الجني بهٰذا السّاحر الإنسي استمتاعًا يُرضيه حتىٰ يخدمه بعقد السحر وبالتّأثير في بدن المسحور.

وهٰذا من جملة أنواع الاستمتاع التي ذكرها الله جل وعلا في قوله: ﴿اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾[الأنعام:١٢٨]، فيستمتع الإنسي بالجني ويستمتع الجني بالإنسي.

استمتاع الإنسي بالجني بأن الإنسي يطلب من الإنسي أشياء فيحققها له الجني.

واستمتاع الجني بالإنسي بالسّحر بأن الإنسي يتقرّب إلىٰ الجني الشيطان الكافر يتقرّب إليه بأشياء يرضىٰ بها عنه، ثم بعد ذلك يخدمه بالسحر.

فحقيقة السحر إذن: أنها لا يقوم السحر إلا علىٰ تقرّب من الإنسي للجني بإرضائه، والجني يرضىٰ علىٰ ذلك بالشرك بالله ﷻ وبأنواع الشرك إما بالذبح أو بدعاء والتعلق بالجن والخوف من الجن خوف السر أو نحو ذلك من التذلل لهم، أو تكون الخدمة بأن يجعل الجنيُّ الإنسيَّ يكفر بالله جل وعلا ويرتد بأن يعمل أشياء من الردة كإلقاء المصحف في قاذورات عمْدًا، أو -والعياذ بالله- البول عليه أو إلقاء النجاسات ونحو ذلك مما هو معروف من حال السحرة قبحهم الله.

فإذن حقيقة السحر أنها لا تكون إلا بشرك وكفر من السّاحر، ولهٰذا قال جل وعلا في حكمه قال: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[البقرة:١٠٢]، وهٰذا يعمّ حالي التعلم: تعلم ما ينفع وتعلم ما يضر. قال: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ وهٰذا فيه عموم؛ لأن ﴿مَا﴾ نافية و﴿أَحَدٍ﴾ نكرة في سياق النفي فتعم، ثم زادها تنصيصا صريحا في العموم مجيء ﴿مِنْ﴾ قبل النكرة فصار هٰذا لا يخرج عنه شيء من الأفراد، فهو يعمّ حالتين: ما يُظن أنّه ينفع، أو يضر، الصرف والعطف أنواع السحر. قال: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

فإذا كان كذلك فالسحر إذن لا يقوم إلا علىٰ الكفر بالله جل وعلا من الساحر أو علىٰ الشرك بالله جل وعلا من الساحر وقد يكون من المتقدّم للساحر لطلب السحر أو لطلب فَكِّهِ.

إذا كان كذلك، فإنّ فكّ السحر بالسحر إذن يكون إقرارا للشرك بالله جل وعلا، إقرارا للكفر بالله جل وعلا، إذْ إنه في حقيقته إقرار للساحر علىٰ كفره وعلىٰ شركه بالله جل وعلا حتىٰ تخدمه الشياطين الكفرة المردة.

هٰذا تقرير أصل هٰذه المسألة، فيكون إذن تعلم السحر كفر واستعمال السحر كفر، ويكون إذن التقرّب إلىٰ الساحر بأنواع التقرّبات إذا كان فيها كفر فهو أيضا كفر من المتقرب إليه، إذا كان فيها ذبح: اذبح لي أو عظم أو أعطيني فلوسا اشتري ذبيحة واذبحها أو نحو ذلك، فالرّاضي بالذنب كفاعله وهٰذا يعلم أنه سيتصرف إلىٰ الجن بهٰذه الأشياء.

فيكون إذن حل السحر بسحر حكمه حكم السحر؛[1] لأنه لا يُحل السحر بسحر إلا فُعل السحر، فيكون إذن ثَم فعل للسحر حتىٰ يُزال سحر، هٰذا هو الذي تريده الشياطين، تريده الجن من الإنس؛ أن يكفر الإنسي بالله جل وعلا وأن يشرك الإنسي بالله جل وعلا الجني، فيكون عابدًا للجني متقرّبا للجني ومشركا بالله جل وعلا.

فإذن حلّ سحر بسحر مثله مع بيان هٰذا التأصيل تصل معه إلىٰ نتيجة أنه محرَّم وكفر وشرك بالله جل وعلا.

إذا تبيّن هٰذا فالعلماء من المتكلّمين في الفقه وفي الفتوىٰ اختلفوا في هٰذه المسألة؛ حكم حل السحر بمثله هل يجوز أم لا يجوز؟

والجمهور؛ بل عامة أهل العلم علىٰ أنَّ هٰذا محرم ولا يجوز؛ يعني محرّم ولا يجوز مطلقا دون تقييد.

وقال جماعة من أهل العلم: إنّ حل السحر بمثله ضرورة جائز، وهٰذا هو مذهب الحنابلة وهو المنصوص في كتب الفقه الحنبلي يقولون: يجوز حل سحر بمثله ضرورة، لماذا جعلوه ضرورة؟ يعني جعلوا الضرورة مبيحة مع أن الضرورة لا تبيح الشرك بالله جل وعلا، قالوا: لأن السحر لا يكون في جميع أقسامه شركًا؛ ليس كل السحر يكون عن كفر، وتعلمون كلام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أيضا حينما قال السحر نوعان:

- سحر بالتدخينات كذا هٰذا يؤثر وهٰذا لا يستعمل فيه الكفر فليس بكفر.
- سحر يكون عن طريق التقرب للشياطين فهٰذا كفر.

فعند من قسّم هٰذا التقسيم قال: إذا لم يتمحّض الساحر للشرك فإن المحرم يباح عند الضّرورة، فيكون استعمال الساحر لسحر بدون شرك محرم، والمحرمات تبيحها الضرورات.

لكن هٰذا في الحقيقة تنظير لا حقيقة له في الواقع، فإنه في الواقع لا يكون السّحر المؤثر إلا بخدمة جني إلا بخدمة شيطان؛ لأن الشياطين هي التي تؤثر في ذلك، وعند ذلك فيكون حل السحر بمثله ضرورة ليس بالقول الصواب؛ لأنه مبني علىٰ أن السحر منقسم والسحر ليس بمنقسم؛ بل السحر لا يكون إلا عن شرك بالله جل وعلا.

أما كلام سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ ومن أجاز حل السحر بما ينفع: فإنهم لا يعنون به الذّهاب للسّاحر، قال: أما ما ينفع فلم ينه الله جل وعلا عنه. يعني من الأدعية والأوراد والأسباب والتلاوة ونحو ذلك مما فيه حل السّحر هٰذا نافع ولا يُتقيد به أيضا بما ورد، فإنه ما عرف الناس أنه نافع في حل السحر ولم يشتمل علىٰ منكر أو محرّم في نفسه أو فيما يؤول إليه فإنه لا بأس بتعاطيه.

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط السابع عشر.

ولذلك ذكر العلماء في شروح الأحاديث أن مما يُحل به السحر أن تُحمىٰ حديدة حتىٰ تكون جمرة حمراء ثم يبول عليها المسحور، وهٰذا مما يكون بالتجربة سواء كانت تجربة صادقة أم غير صحيحة المقصود أنهم ذكروها، فالباب باب تجربة، إذا لم تشتمل هٰذه التجربة أو هٰذا الأمر علىٰ محرّم بنفسه أو يؤول إلىٰ محرّم فإنه يكون هٰذا العلاج جائز.

هٰذا هو الذي يحمل عليه كلام من أجاز حلّ السحر كسعيد بن المسيب وغيره، فإنهم يبيحون حلّ السحر بغير الأدعية وبغير القرآن؛ لكن بما هو جائز، والسحر يضر، السحر يضر، ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾[البقرة:١٠٢] بنص الآية.

... لا، راجع للتجربة، والقاعدة لما ليس بسبب تحتاج ضبط عالم جيد؛ لأنها ربما أُدخل فيها ما ليس منها، المقصود منه أن باب التجربة في هٰذا، لكن يجيء يقول: والله السحر مثلا جلد ذئب أو بوجود هٰذا شرك التعلقات في التعلقات الشركية ولو كان أنها قد تنفع لكن هنا يصير فيه تعلق بأمور أخرىٰ.

سؤال (٢١٧): السؤال الثاني يقول: الإيمان بالأركان الستة منها ما لا يصح الإيمان إلا به، ومنها ما يجب علىٰ المؤمن أن يعتقده إذا بلغه بالدليل، فأرجو أن تبينوا دليل التفريق في ذلك؟

**الجواب**: السؤال ما هو واضح من كل جهة، لكن المقصود مقصود السائل أنّ أركان الإيمان هي الأركان الستّة المعروفة قال جل وعلا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[البقرة:٢٨٥]، وقال جل وعلا: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[البقرة:١٧٧]، وقال جل وعلا في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[النساء]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[القمر]، فأركان الإيمان الستّة دل الدليل علىٰ وجوب الإيمان بها وأنها أركان الإيمان، وهٰذه الأركان هي التي جاءت في حديث جبريل عليه السلام، قال: «**الإيمان أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ الله تعالىٰ**».

هٰذا الإيمان الواجب متوقّف علىٰ العلم، فهٰذا القدر المجمل في الإيمان بالله، بالملائكة، بالكتب، بالرسل، القدر المجمل هٰذا واجب علىٰ كل أحد؛ لأنّه لا يصحّ الإيمان إلا بقدْرٍ منه، وهٰذا القدر هو الذي يتوقف عليه الإيمان بهٰذه الأمور الستّة، ولذلك ذكرنا لك التقييدات، وُش ضابط الإيمان بالملائكة الذي يصح به الإيمان؟ ضابط الإيمان بالكتب؟ يعني القدر المجزئ، ما القدر المجزئ في الإيمان باليوم الآخر؟ ما القدر المجزئ في الإيمان بالقدر؟ ذكرناه لكم بالتفصيل ترجعون إليه.

ما زاد علىٰ ذلك -علىٰ القدر المجزئ- فهو راجع إلىٰ العلم فمن علم شيئا وجب عليه من علم أن ثَمة ملك اسمه جبريل وجب عليه أن يؤمن بجبريل، ثَمة ملك اسمه ميكال في القرآن: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[البقرة:٩٨] وجب عليه أن يؤمن بميكال، من علم في السنة بعذاب

القبر أو بالقرآن: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[التوبة] وجب عليه الإيمان بعذاب القبر.

فإذن ثمة قدر مجزئ من الإيمان هٰذا شرط في صحة الإيمان، أو هو شرط في صحة الإيمان بهٰذا الركن الخاص من الأركان الستة، ما بعد ذلك ما هو زائد علىٰ هٰذا القدر المجزئ فهو موقوف علىٰ العلم بالدليل، وهٰذه قاعدة الشريعة.

سؤال (٢١٨): كثيرًا ما نقرأ ونسمع هٰذا يدل علىٰ كذا بالمطابقة، وعلىٰ كذا بالالتزام، وعلىٰ كذا بالتضمن، فما معنىٰ هٰذه الثلاث وما الفرق بينها؟

**الجواب**: المطابقة والتّضمّن والالتزام هي في أصلها من البحوث المنطقية، مطابقة تضمّن والتزام يبحثها المناطقة في أول كتب المنطق، ونقلها اللغويون ونقلها الأصوليون في كتبهم فأصبح الناس يستفيدون ممن لم يقبل علىٰ كتب المنطق يستفيدونها من كتب الأصول، سيما أنّ أئمة أهل السنة استفادوا منها في مباحث الأسماء والصّفات كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وعدد من أئمة الدعوة.

معناها:

**المطابقة**: هي دلالة اللفظ علىٰ كل المعنىٰ.

**التضمن**: دلالة اللفظ علىٰ بعض معناه.

**اللزوم**: دلالة اللفظ علىٰ شيء آخر يلزم لوجود هٰذه الصفة وجود ذلك الشيء الآخر.

مثاله في صفاته الله جل وعلا الرحيم، الرحيم مطابقة هٰذا اللفظ يعني المعنىٰ بالمطابقة ذاتٌ متصفة بالرحمة، فجمعت المطابقة ما بين الذات وما بين صفة الرحمة، فإذن نقول: الرحيم دال علىٰ الرحمة بالمطابقة، صح أو غلط ؟ هٰذا ليس بصحيح، نقول: دال علىٰ ذات متصفة بالرحمة؛ يعني الاثنين معا لهٰذا زائد هٰذا، جميعا، هٰذا معنىٰ المطابقة.

يأتي التضمن علىٰ بعض المعنىٰ إذا قلنا الرحيم دال علىٰ صفة الرحمة يكون بالتضمن.

يأتي اللزوم الرحيم دال علىٰ صفة الحياة يعني هل هو يكون رحيما بلا حياة؟ يدل علىٰ الإرادة، هل هو رحيم بلا إرادة؟ يدل علىٰ الكرم، هل ثم رحمة بلا كرم؟ ونحو ذلك من أدوات أو دلالات اللزوم المختلفة.

سؤال (٢١٩): يقول: سمعت من أحد زملائي أنكم أفتيتم بجواز العمل في البنوك الربوية إذا كان العامل لا يواجه الجمهور، فما مدىٰ صحة ذلك؟

**الجواب**: لا يواجه الجمهور! الأحكام الشرعية لا تتعلق بالمواجهة، هل هو يواجه أو لا يواجه؟ لأن المحاسب هو رب العالمين، رب العالمين هو الذي يحاسب العباد إذا كان هٰذا مواجها أو ليس بمواجه؛ لكن المسألة فيها تفصيل:

الذي يعمل في البنك، في بنك يعمل بالربا تمحضّ للربا، أو غالب عليه الربا، أو فيه ربا غير متميّز؛

يعني في جهة من جهاته، فإنه إن باشر الربا فهٰذا محرم عليه عمله ومحرّم كسبه، ولا يجوز له أن يباشر الرّبا لأنّ النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لعن كاتب الربا وموكله وشاهديه، وهٰذا في حالة المباشرة، سواء كان كاتبا له، شاهدا عليه، مقرضا، مقترضا، كل هؤلاء يدخلون في هٰذا، فالذي يعمل هٰذا عمله هٰذا محرم عليه وما يكسبه من هٰذا كسب حرام إذا كان متمحض لهٰذا العمل.

هناك عمل آخر يكون غير مباشر للربا ولا دخل له في الربا، مثلا يكون علىٰ الهاتف، أو يكون يحاسب علىٰ الصندوق، يعطي ويأخذ، أو يكون في الحسابات الجارية أو نحو ذلك هٰذا لا يباشر الربا، فهنا نقول له ابحث عن مكان آخر لكي لا تعين أولئك ويكون هٰذا أزكىٰ لنفسك والله جل وعلا يقول: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[المائدة:٢]؛ لكن في هٰذه الحالة كسب هٰذا ليس بحرام، عمله لا يجوز يأثم عليه إذا كان يعين في البنوك التي تتعامل بالربا؛ لكنّ كسبه قام علىٰ عمل في نفسه مباح؛ حارس سواق سيارة ينقل الفلوس إلىٰ آخره، وذلك لأنّ البنوك ليست متمحّضة للربا، فالبنوك فيها أعمال كثيرة تنفع وليست من الربا، وثَم فيها قطاعات فيها ربا.

هٰذا هو التفصيل الذي قلته في أكثر من مكان.

سؤال (٢٢٠): من قواعد أهل السنة في باب الأسماء والصفات أنّ الاسم من الأسماء الحسنىٰ أن الاسم متضمن للصفة، ولا يشتق من الصفة الاسم، وقد أشكل عليّ بعض الأسماء التي ذكرها العلماء مشتقة من الصفات كالمعز المذل المحيي المميت وكالخافض الرافع، القابض الباسط والمعطي المانع؟

**الجواب**: هٰذه الأسماء كمالها في اجتماعها في اقترانها، ومسألة الاشتقاق هٰذا في الانفراد، أما إذا كان الكمال في الاقتران فإنه لا بأس، ولذلك عدّوها من الأسماء الحسنىٰ؛ لأنّ الكمال في الاقتران، والاسم هٰذا من الأسماء الحسنىٰ مع الاقتران يعني المميت ليس من الأسماء الحسنىٰ؛ لكن المحيي المميت من الأسماء الحسنىٰ، الخافض ليس من الأسماء الحسنىٰ في نفسه، لكن الرافع الخافض من الأسماء الحسنىٰ وهكذا.

فإذن هٰذه كمالها في اقترانها تدلّ علىٰ الكمال بالاقتران لا علىٰ وجه الانفراد.

سؤال (٢٢١): هل يجوز الدعاء بـ: اللّٰهمَّ ربّ الأرواح الغائبة والأجساد البالية؟

الجواب: الأرواح الغائبة مخلوقة لله جل وعلا وهو ربها، والأجساد البالية أيضا الله جل وعلا ربها وهو أعلم بها وأين تفرقت أجزاؤها. ظاهر الدعاء أنه لم يشتمل علىٰ غلط.

لكن مما ينبغي التنبيه عليه أن القاعدة أن الدعاء يتحرىٰ فيه المرء الصواب، وأن لا يكون معتديا في الدعاء، والاعتداء في الدعاء:

- إما أن يكون في الطلب.
- وإما أن يكون في المطلوب.

الاعتداء في الدعاء علىٰ ناحيتين:

- إما أن يكون في الطّلب؛ يعني في صيغة الدعاء فيه اعتداء؛ ولكن يكون المطلوب طيّب.
- وإما أن يكون في المطلوب؛ يعني في الشيء الذي سأله.

مثال الثاني معروف عند السائل قال: اللّهمَّ إني أسألك القصر الأبيض من الجنة إلىٰ آخره، فهٰذا اعتداء في الدعاء من جهة المطلوب.

لكن من جهة الطلب نفسه أن يستعمل صيغا ليست من الصيغ التي فيها تأدب، أو صيغ ليس له أن يستعملها هو من جهة المعنىٰ، أو أنّ فيها نوع نزول في المخاطبة مخاطبة الله جل وعلا ونحو ذلك، هٰذه تكون من الاعتداء في الدّعاء، ولذلك كلّما اجتهد المرء في أن يكون دعاؤه مأثورا كان أسلم وأعظم وأجمع للدّعاء.

سؤال (٢٢٢): لو قال قائل: هٰذا اليوم ما عندي حظ، حظي غير طيب، فهل في هٰذه المقولة تطيرا أو تشاؤم؟

**الجواب**: لا، ليس فيها تطيرا ولا تشاؤم لأن الحظ موجود الله جل وعلا يقول: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[فصلت]، الحظ بمعنىٰ النصيب، نصيبه وما قُدِّر له في هٰذا اليوم يكون حظا عظيما حظا طيبا.

يقول: أنا ليس لي حظ؛ يعني ليس لي نصيب حسن في هٰذا اليوم، أو حظي غير طيب؛ يعني نصيبي أو ما قُدر علي اليوم ليس بطيبٍ لي، هٰذا لا بأس به، الحظ قد يكون موافقا لما يريده العبد وقد لا يكون كذلك.

سؤال (٢٢٣): ما صحة الزيادة في حديث الخاتمة «وَإِنّ الرّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنّاسِ».

**الجواب**: الجواب أن هٰذه صحيحة.

سؤال (٢٢٤): ما هي الحجة التقريرية والحجة الفطرية في آية الميثاق؟

**الجواب**: آية الميثاق أظنه يعني بها قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الأعراف]، هٰذه عند بعض أهل العلم تسمىٰ آية الميثاق؛ لكن في الواقع ليس فيها ذكر للميثاق كما ذكرنا لكم وإنما فيها الإشهاد، وهٰذا الإشهاد كما مر معنا تفسيره إنما هو دليل الفطرة والربوبية وآيات الله جل وعلا في الآفاق وفي الأنفس.

فإذن **الحجة التقريرية** في حد سؤال السائل هي إقرار أولئك بما أقرهم الله جل وعلا عليه وشهد بعضهم علىٰ بعض الله ربهم وأنه لا إلٰه إلا الله.

**والحجة الفطرية** هي ما فُطِرُوا عليه يعني منذ بداية خلقهم هم فطروا علىٰ الإسلام فطروا علىٰ التوحيد، وهٰذه الحجة ليست حجة كافية في الحساب؛ بل لابد أن ينظمّ معها الحجة الرّسالية، فالحجة الفطرية لا تكفي؛ بل لابد من الحجة الرسالية في الحساب والعقاب.

إلا فيمن لم يبلغ فإنّ الفطرة تكفيه، الفطرة الأصلية تكفيه فيمن مات قبل البلوغ، فإنه علىٰ الفطرة من أبناء المسلمين، وأما أبناء المشركين فهم علىٰ الخلاف المعروف في شأنهم والنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ سئل عن أطفال المشركين فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**» رواه البخاري وغيره.

سؤال (٢٢٥): ما رأيك في القول بأن الأموات يعرفون من يزورهم ويأتي إلىٰ قبورهم؟ ما رأيكم فيمن يقول الخير يصل الميت ويصل الشر؟

**الجواب**: هٰذا قاله جمع من أهل العلم، وفيه أحاديث أن الأموات يعرفون من يزورهم، وأن المسلم إذا زار ميتا في قبره وسلم عليه أنه يعرف من زاره ويرد عليه، ونحو ذلك مما جاء.

وهٰذا فيه بحث عند أهل العلم، والأقوال فيها مختلفة؛ لكن علىٰ أيٍّ ليس في هٰذا تعلّق بأن الميت يُسأل أو يُطلب منه، فإذا كان يعلم أو يسأل أو يسمع أو نحو ذلك، سماع الميت ثابت، كما جاء في حديث الدّفن قال: «**وإنه ليسمع قرع نعالهم**» هو يسمع الميت في بعض الأحوال بإسماع الله جل وعلا له، هٰذا لا يعني أن يُتعلق به، التعلّق به بدعة وشرك في أكثر أحواله.

وانظر مثلا إلىٰ شهداء أحد أليسوا بأحياء؟ ومع ذلك لم يأتِ أحد إلىٰ قبورهم في عهد النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ولا عهد الصحابة لم يأت أحد إلىٰ قبور الشهداء ويسألهم ويطلب منهم أشياء، مع أنهم أحياء بنص القرآن.

فإذن الكلام هل يسمع أو لا يسمع؟

إذا قلنا: لا يسمع انقطع الطريق من أوله.

وإذا قلنا: يسمع في بعض الأشياء التي ورد فيها النّص، وذلك متوقف علىٰ ثُبوت النصوص في ذلك يعني الأحاديث، فإننا نقول أن هٰذا لا يدل علىٰ أننا نخاطبه، سماعه شيء ومخاطبته شيء آخر.

كذلك إعلامه بما يفعله أبناؤه من بعده أو كذا فيفرح بما يسمع مما يُفرح، ويحزن إذا سمع غير الخير، هٰذا كله من هٰذا الباب.

سؤال (٢٢٦): شخص مصاب بمرض مزمن لا يُرجىٰ برؤه ويريد الزواج؛ ولكن يخاف أن يعذب الزوجة معه بهٰذا المرض، هل يترك الزواج أم ماذا يفعل؟

**الجواب**: إن صبر فهو خير له، وإن أراد أن يتزوج فيجب عليه أن يُعلم؛ لأن هٰذا عيب ويتعب المرأة ويكلفها، فلا بد من الإعلام أن يعلمها هٰذا العيب الذي فيه وهٰذا المرض المستديم، فإن قبلت فيرجىٰ لها إن شاء الله الثواب من الله جل وعلا علىٰ ما تبذل، وإن لم تقبل فلها ذلك.

فإن دخل علىٰ غرّة يعني لم يخبرها، فهٰذا عيب فإن بان للمرأة بعد ذلك فلها الفسخ؛ لأنها لم تُعلم به،

فلها الخيار، لها أن تبقىٰ أو تطلب الفسخ.

سؤال (٢٢٧): لقد سمعت عن خروج كتاب في شرح وترتيب العقيدة الطحاوية.

**الجواب**: ما أدري، إيش يعني؛ لكن فيه كتاب لأحد الإخوة في مكة الآن أطالع فيه وما تكوّن رأيي فيه إلىٰ الآن.

سؤال (٢٢٨): نقل المرداوي في شرح اللامية عن السلف أن تفسير آيات الصفات عندهم هو قراءتها من غير التعرض لمعناها، ونقل عن الفضيل بن عياض أن تفسير آيات الصفات قراءتها فهل ذلك صحيح؟

**الجواب**: السلف ربما قال بعضهم أمرّوها كما جاءت، تفسيرها قراءتها، وربما قال بعضهم: لا كيف ولا معنىٰ، يعنون بذلك أنه ليس ثَم شيء غير الظاهر، لا كيف كما يقول المجسمة، ولا معنىٰ -غير الظاهر- كما يقول المؤولة، قراءتها تفسيرها يعني كما يتبادر للذهن هٰذه كلمات عربية فما تبادر للذهن من معناها فهو الذي يجب الإيمان به، مع قطع الطمع عن الإدراك.

سؤال (٢٢٩): أشكل علينا قولكم إن العلم يكون مع أول الإرادة، وما هي الإرادة المقصودة؟

**الجواب**: هٰذه كلمة أردت بها التوضيح، وأشكلت علىٰ كثير من الإخوان، وهي سليمة في نفسها صحيحة؛ لكن لأجل عدم الاستيعاب أتركوها، وهي للإيضاح ليست للاعتقاد، هي للإيضاح، كلمة للإيضاح فاحذفوها من كتاباتكم، وإن أمكن أيضا من التسجيل لئلا يوقع الناس في اللَّبس.

سؤال (٢٣٠): لماذا نقول عموم المشيئة ولا نقول المشيئة دون ذكر كلمة العموم؟

**الجواب**: لأن المشيئة ما تبين الفرق بين السني والقدري، في مباحث القدر نقول: عموم المشيئة لنُدخل طاعة المطيع ومعصية العاصي في مشيئة الله جل جلاله.

سؤال (٢٣١): في سورة التكوير: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾[التكوير] إلىٰ آخره، هل هٰذه الآيات بعد البعث وقيام أهل القبور أو قبله؟ وكيف الجمع مع قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾[التكوير]؛ ﴿ٱلْعِشَارُ﴾ معناها الإبل التي قرب حملها، فهل هي لم تتم أم ماذا؟

**الجواب**: أن هٰذه التغيرات التي تحدث في ملكوت الله جل وعلا في الأرض وفي السماء وتفجير البحار وانشقاق السماء وما يحدث مما في القرآن كثير أو ذكر كثير من هٰذه الآيات في هٰذا الباب.

هٰذا علىٰ الصحيح أنه يحدث بين النفختين بين النفخة الأولىٰ التي هي نفخة الصعق والنفخة الثانية التي هي نفخة البعث، وبين النفختين تحدث هٰذه الأشياء والنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ صح عنه أنه قال: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**» قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قال النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**وكل شيء يَبْلَىٰ من ابن آدم إلا عَجْبُ الذَّنَبِ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»؛ وذلك لأن السماء تمطر يوم القيامة في هٰذه الأربعين مطرا كمني الرّجال، مشبه بذلك، تنبت منه الأجساد؛ أجساد الناس، تنبت منه هٰذه الأجساد، فإذا نبتت الأجساد وانشقت الأرض وأخرجت أثقالها؛

يعني من المدفونين، في هٰذه الفترة الأرض تغيرت الجبال سيرت والماء تغيرت وأبدلت الأرض بين الأرض والسَّمٰوات، يعني صار الأمر أمرا جديدا ليس هو المألوف، لا الأرض هي الأرض، ولا السماء هي السماء، السماء الآن تستعد لنزول الله جل وعلا لفصل القضاء، والأرض كذلك، فيستوي من دُفن وراء الجبال ومن دفن في ساحل البحر، كلهم يستوون، الأرض سيرت وتغيرت، فيسيرون سيرا واحدا.

ثم بعد ذلك ينفخ الله جل وعلا في الصور نفخة البعث فتتطاير الأرواح فتهتز الأجساد بالأرواح حية، ثم ينظرون يتلفتون؛ لأن الأرض مختلفة، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾ لأنه انشقت بهم الأرض ﴿يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾[الزمر] يعني ينظرون ما حولهم، ويكرم الله جل وعلا أهل الإيمان بأن يأتي لهم بجوار قبورهم بجوار أمكنتهم بنَجَائِبَ من نور من الجنة فيحشرهم إليه وفدا لا يتعبون في السير إلىٰ أرض المحشر، وهٰذه أول البشائر لهم، ويُذل الله جل وعلا أهل الكفر بأن يجعلهم يحشرون ويساقون إلىٰ جهنم، وهٰذا معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾[مريم]، والوفد في اللغة هم الراكبون يقصدون راكبين مكرمين، ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾[مريم]، والعياذ بالله.

هٰذا بعض ما يتعلّق بهٰذه المسألة.

وهٰذه لابد أنك تعرفها، طالب العلم من المهم أن يعرف في إيمانه باليوم الآخر ماذا يحدث من حين الوفاة إلىٰ دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، حتىٰ ما بعد ذلك أوش الذي يحصل.

نفخ في الصور نفخة البعث، نفخة الصعق قبل ذلك، ما الذي يحصل؟ ثم نفخة البعث ما الذي يحصل بعدها، سيقوا، ترتيب الأشياء.

في عرصات القيامة، أوش الذي يحصل أول؟ الميزان أول، أو الحوض أول، وتطاير الصحف، هٰذه كل هٰذه الأشياء هٰذه من جملة الإيمان باليوم الآخر لابد من أن يتعلّمها طالب العلم، فتكون عنده مرتبة من إحياء الله جل وعلا الموتىٰ إلىٰ دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وهي مرتبة في كتب أهل العلم وإذا كانت غير مرتبة فرتّبها.

وإذا فهمتها فهما جيدا فإذن نكون بعد ذلك فهم القرآن ومعرفة تفسيره ومعرفة دلالات الآيات في ذلك واضحة في ذهنك مرتبة، إذا جاءت، تطاير الصحف متىٰ يكون واضح زمنه عنك، إذا جاء عدم الكلام، ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾[يس:٦٥] متىٰ يكون ذلك؟ واضح عندك أيضا، وهكذا.

فيتعلم المرء العقيدة وعلم الجزاء، وهٰذا ومن العلوم الثلاثة المهمة لأن العلوم النافعة ثلاثة -العلوم الشرعية- التوحيد والفقه وعلم الجزاء اليوم الآخر وهٰذا هو الذي ذكره ابن القيم في «النونية» حيث يقول:

والعلم أقسام ثلاث مالها ... من رابع والحق ذو تبيانِ

علم بأوصاف الإله وفعله ... وكذلك الأسماء للديانِ

والأمـر والنهـى الـذى هـو دينـه .....

يعني الفقه

..... وجـزاؤه يـوم المعـاد الثانـى

يعني علم الجزاء؛ علم الحساب، قال:

والكـلُّ فى القـرآن والسـنن التـى جـاءت عـن المبعـوث بالفرقـان

إلىٰ آخر الكلام.

سؤال (٢٣٢): هل من كلام حول من قال إنه يوجد في القرآن مجاز.

**الجواب**: الله المستعان، هٰذه المسألة طويلة ذكرناها لكم مرارا الكلام عليها يطول جدا جدا.

سؤال (٢٣٣): ورد في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾[الصف:٥]، أي أمالها عن الهدىٰ كما قدّره في الأزل، فما هو الصّواب في ذلك؟

**الجواب**: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾، الله جل وعلا يزيغ القلب الذي بذل أسباب الزيغ، الذي فعل أسباب الزيغ، الله جل وعلا حكم عدل لا يظلم الناس شيئا، فإذا كان العبد اختار الزيغ وبدأ فيه بعد ظهور البيّنات والهدىٰ له فإنّ الله جل وعلا يزيغ قلبه؛ لأنه هو الذي اختار ذلك وجزاء فعله واختياره ذلك، أما قبل أن يعلم الله جل وعلا له الحكمة البالغة كما قال سبحانه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[التوبة:١١٥]، فإذن تفسير الزّيغ بأنه أمالها عن الهدىٰ يعني لا بأس به أو صرفهم عن الهدىٰ أو جازاهم من جنس فعلهم ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾.

سؤال (٢٣٤): هل هناك فرق بين الأمر والقدر؟

**الجواب**: ما فيه شك، الأمر أعم.

سؤال (٢٣٥): في قول النبي ﷺ: «**إنّ الله جميل يحب الجمال**»، «**إنّ الله وتر يحب الوتر**»، ونحوها من الأحاديث، هل هٰذه النصوص من باب الإخبار عن الله جل وعلا بصفاته الذاتية والفعلية؟ أم المراد منها إثبات هٰذه الأسماء في الأسماء الحسنىٰ؟

**الجواب**: ذكرنا لك أن الشروط التي بها يكون الاسم من أسماء الله الحسنىٰ ثلاثة:

**الشَّرط الأول**: أن يكون واردا في الكتاب أو السنة أو فيهما معا؛ يعني قد جاء به النص؛ لأن باب الأسماء والصفات توقيفي.

**الشرط الثاني**: أن يكون الاسم متضمِّنًا لكمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

**الثالث**: أن يكون الاسم يدعىٰ الله جل وعلا به، كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

ذكرنا لكم هٰذه الشروط الثلاثة في شرح «العقيدة الأصفهانية».

سؤال (٢٣٦): للتوبة مسائل في العقيدة وخلاف، فما هو الخلاف في التوبة بين أهل السنة والفرق

المخالفة؟

**الجواب**: هٰذا يصلح لامتحانات الجامعة، كأن السائل يعرف الجواب، شوف للصياغة: للتوبة مسائل في العقيدة وخلاف، فما هو الخلاف في التوبة بين أهل السنة والفرق المخالفة؟

يعني صيغة السؤال للذي يريد أن يستفيد ما تكون بهٰذه الطريقة.

سؤال (٢٣٧): ما المقصود بالمقلّد في العقيدة، وما هو حكمه؟

المقلد في العقيدة الذي أخذ ما يصحُّ به الدين أو ما لا يصح الدين إلا به تقليدا لا عن دليل، هٰذا لا يقبل منه؛ بل لابد لكل أحد أن يعلم دينه بدليله، ليعلم معنىٰ الشهادتين بدليله، ليعلم فرضية الصلاة بدليلها، يعلم فرضية الزكاة بدليلها، يعلم فرضية الصوم بدليلها، يعلم فرضية الحج بدليله، هٰذه الأركان الخمسة.

وهٰذه يكفي في تعلمها بدليلها مرّة في العمر في أن يتعلمها فيدخل في الإيمان عن علم بهٰذا الدّليل، فلو نسيه بعد ذلك أو غاب عنه أو غفل لم يؤثّر في استدامة وصحة إيمانه وإسلامه.

هٰذا هو معنىٰ التقليد وحكمه عند أهل السنة.

أما تقليد المتكلّمين فهٰذا له بحث آخر، فتقليدهم يعنون به التقليد في النظر أو في إثبات دليل الوجود عن طريق التأمل في آلاء الله جل وعلا أو القصد إلىٰ التأمل.

لعلنا نكتفي بذلك.

وأسأل الله جل وعلا أن يجعل قلبي وقلوبكم جميعا مخبتة له، خالصة له في أعمالها، قاصدة إياه دون غيره.

كما أسأله سبحانه أن يبارك لي ولكم في القول والعمل، وأن يلهمنا رشدنا وأن يقينا شر أنفسنا، وأن يغفر لنا جميعا وأن يلهمنا الرشد والسداد.

كما أسأله سبحانه أن يوفّق ولاة أمورنا وعلماءنا لما فيه رضاه، وأن يجعلنا وإياهم من المتعاونين علىٰ البر والتقوىٰ، إنّه سبحانه جواد كريم.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

## الدَّرس الثَّاني والعشرون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله والصلاة علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه .

أسأل الله جل وعلا لي ولكم أن يجعلنا من الذين يتعلمون العلم فينتفعون به، وأن يقينا شر أنفسنا، وأن يغفر لنا، وللذين سبقونا بالإيمان.

اللّٰهمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدا، واجعل لنا ولآباءنا وأمهاتنا ومن له حق علينا وولاة أمورنا وعلمائنا وإخواننا المؤمنين.

اللّٰهمَّ اجعلنا من عبادك الصالحين ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر].

[الأسئلة]

نأخذ بعض الأسئلة بين يدي هٰذه البداية.

سؤال (٢٣٨): نلاحظ أن كثيرًا من طلبة العلم والمنتسبين إلىٰ العلم يعرف المسائل معرفة عظيمة ويدرسونها نظريا؛ لكن تعاملاته وأخلاقه مع أقرانه والمحيطين به تصد الناس كثيرًا علىٰ ما عنده من الخير، فهل من نصيحة وتذكير بأهمية أخلاق وسلوك طالب العلم مع إخوانه، إلىٰ آخره؟

**الجواب**: لاشكّ أنّ هٰذه المسألة من المسائل العظيمة، والعلم لابد أن يكون مؤثرا علىٰ صاحبه، وخاصة في أمرين:

**الأوّل** في تعبده لله جل وعلا بأنواع العبادة التي أعظمها توحيده والإخلاص له جل وعلا، والإنابة إليه، ونحو ذلك من أعمال القلوب والجوارح، وأنواع العبادات المختلفة.

ثم أن يعطي الخلق حقوقهم، وحسن الخلق أعظم ما يوضع في الميزان يوم القيامة، وأثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة.

ولهٰذا فإن العلم إذا صح عند العبد وكان متحققا به فإنه يظهر ولا شك عليه في تعامله مع ربه جل وعلا في عباداته وإخلاصه وتوحيده، وإذا أذنب استغفر، وفي تعامله مع الخلق بإعطائهم حقوقهم وللتخلق بالأخلاق الحسنة.

لهٰذا أمر النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ بأن يخالط المؤمن إخوانه بالخلق الحسن فقال: «**اتق الله حيث ما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**» وهٰذا الخلق الحسن الذي يعامل به الناس أن يعطيهم حقّهم وأن يأخذ حقه وأن يزيد في ذلك بأن يكون في تعامله كما يحب أن يعاملوه به في البِشر عند اللقاء وسرور الوجه ثم لين الكلام وعدم الإغلاظ والعفو عن الخطأ وعدم إقصاء الأمور إلىٰ آخرها في تعامله مع الناس وأن يتغاضىٰ وأن يعفو ونحو ذلك، كما وصف الله جل وعلا عبادة الصَّالحين بقوله ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل

عمران:١٣٣]، وهؤلاء المتقون وصفهم الله جل وعلا بصفات، ومنها صفات متعلقة بالخلق: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران] العلم الذي لا يظهر أثره علىٰ صاحبه في أخلاقه وتعامله مع الناس هٰذا لا خير فيه؛ لأن العلم له ثَمَرة، ثمرة الإحسان إلىٰ الخلق؛ إحسان إلىٰ الخلق بتعليمهم، بدعوتهم، بحب الخير لهم، بأن يؤدي إليهم ما يحب أن يؤدّوه إليه.

ولا شك أنّ المرء طالب العلم إذا علم ذلك فإنه سيصحح المرء نفسه ويصحح طريقته، بعض الناس عنده طبع يعني هو متطبع بطبيعة يعني طبع عليها، والطبيعة إذا كانت موجودة لا يعذر صاحبها بها لا يعذر صاحبها، بأن يقول: أنا طبعي هكذا؛ لأن ثمرة التعبد والعلم أن يتطبع بالشريعة لا يقول هٰذا طبعي، طبعي أني غليظ، طبعي، لا، لابد أن يكون له أثر، ولهٰذا جاء في الحديث الصحيح أنّ النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال: «**من يتحرّ الخير يُعطه، ومن يتوقّ الشرّ يُوقه**»، وجاء أيضا «**من يتصبّر يصبّره الله**» ونحو ذلك مما فيه.

وإذا ما رأيت سنّة النبي ﷺ في تعاملاته علمت منها مثلا إغلاظ الناس في التعامل معه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وكيف قابلهم بالسماحة، كيف قابلهم بالعفو عن من أخطأ عليه، كيف قابلهم بأشياء.

هٰذا أعرابي يناديه: يا محمد، ويجذب قميصه حتىٰ أثر في عنق النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ يجذبه من خلفه، ومع ذلك يصبر عليه ويعامله باللين ويعامله بالإحسان إليه.

لاشك أن العلم له أثر، لهٰذا ينبغي علينا جميعا، وأوصي نفسي وإياكم بأن نكون متخلقين بالقرآن متخلقين بالسنة في الأمور العامة والخاصة، ومن أخطأ يستغفر الله جل وعلا.

سؤال (٢٣٩): ما حكم الاستفادة من بطاقة فيزا (Visa) وماستركارد (Mastercard) في المشاريع الخيرية، وذلك لأن فيها خصم خمسين في المائة أحيانا أو أقل أو أكثر مع محاولة تسديد الخصوم أولا بأول لكي لا يحصل للبنك أي فائدة؟

الجواب: ما أدري هل الصور صحيحة! فيزا (Visa) يعطىٰ عليها خصم خمسين في المائة ما أظن هٰذا، لكن هي أنواع -بطاقة فيزا (Visa) وماستركارد (Mastercard)- أنواع:

منها ما هو بطاقة ائتمان هٰذه يدخل في العقد الربا، أو أنه إذا تأخر لابد أن يسدّد بفائدة.

ومنها بطاقة دفع وهي التي يُخصم -مثلا إذا كان له حساب- يخصم من حسابه فورا وإذا[1] لم يكن عنده حساب فيبقىٰ في ذمته حتىٰ يسدد القرض هٰذا.

فإذا كانت من النوع الثاني فهٰذه لا بأس بها.

وإذا كانت من النوع الأول فأيضا فيها تفصيل؛ لكن المسلم لا يدخل في عقود مشتملة علىٰ ربا لكن

---

(١) انتهىٰ الشريط السابع عشر.

إن احتاج إلىٰ ذلك كما يحتاج إليه بعض المسلمين مثل أمريكا وأوروبا وغير ذلك ما عندهم إلا النوع الائتماني فقد يجوز لهم ذلك ببعض الشروط.

لكن استعمال بطاقة فيزا (Visa) ونحوها إذا كان المقصود منها نوع الدفع يعني بطاقة الدفع الفوري أو التي ليست ائتمانية يعني ما يدخل فيها أرباح إذا لم يسدد تضاعف عليه أو يبدأ القرض وثَم فائدة عليه فالنوع هٰذا لا بأس به، أما إذا كان قرض؛ يعني إذا سدد يبدأ قرض وفائدة عليه؛ يعني يكون المبلغ مثلا صار عليه عشرة آلاف يقولون سددها بعد شهر ما سدد يبدأ حساب فوائد فهٰذه ربوية.

أما إذا كان لم يسدد يقال يبقىٰ في ذمتك حتىٰ تسددها أو يخصم من الحساب مباشرة فهٰذا جائز بعد دراستي للموضوع.

نكتفي بهٰذا، اقرأ

وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَىٰ فِي خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَىٰ ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ، وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ، فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ طَوَىٰ عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء]، فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ.

الحمد لله وبعد:

فهٰذه الجمل من كلام العلامة الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ فيها إشارة إلىٰ القدر مع عدم ذكر معتقد أهل السنة والجماعة علىٰ وجه التفصيل فيه، وقد سبق أن ذكرنا بعض المسائل فيه؛ ولكن فنعيد المسائل من أولها حتىٰ يفهم الموضوع لبعد العهد بما سبق.

قال: (وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَىٰ فِي خَلْقِهِ) يعني بقوله: (وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ) يعني أن القدر من الأسرار في كمال درجاته ومراتبه فإنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يكشف قدره علىٰ وجه التفصيل لأحد؛ بل هٰذا علمه عند الله جل وعلا، لهٰذا قال بعدها: (لَمْ يَطَّلِعْ عَلَىٰ ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ)، وإذا كان ملائكة الله المقربون لم يطَّلعوا علىٰ القدر علىٰ وجه التفصيل، وكذلك الأنبياء المرسلون الذين هم صفوة عباد الله لم يطَّلعوا علىٰ ذلك علىٰ وجه التفصيل فإنّ التعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان؛ يعني وسيلة من وسائل سلب التوفيق؛ لأن الله منع العباد عن ذلك ولم يأمرهم بالبحث في هٰذا ولا بالتعمق فيه، وإذا كان الصفوة لم يُطْلعوا علىٰ ذلك ولم يطَّلعوا عليه فإذن الباب مغلق وإذن لا تحاول كشفًا للقدر.

ومعنىٰ كشف القدر ما ذكره في جمله بأن يحذر المسلم من التفكير في تقدير الله جل وعلا للأشياء نظرا في العلل وفكرا في الحِكم ووسوسة في لم فعل ذلك ولم حصل ولم قُدر كذا ولم وفق هٰذا ولم خذل ذلك ولم حصل كيت وكيت؟ فإن الله سبحانه طوىٰ علم القدر عن أنامه، ولذلك نهاهم عن تطلُّبه قال: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء].

فإذن إذا تبين ذلك فإيماننا بقدر الله جل وعلا إيمان بما جاء في النصوص من تفصيل ما يجب علينا أن نؤمن به، ثم إيمان إجمالي وهو ركن الإيمان؛ لأنّ كل شيء فإنه بتقدير الله جل وعلا، لأن من أركان الإيمان، الإيمان بالقدر خيره وشره، يعني أن نؤمن بأن ما حصل من الخير والشر بالنسبة إلينا فإنه بتقدير الله جل وعلا يعني لم تحصل الأشياء ابتداء دون تقدير من الله وعلم وكتابة ومشيئة خلق لله جل وعلا، بل الله هو الذي علمها وكتبها وقدرها وشاءها ولم يحصل شيء ولا يحصل شيء إلا بتقدير الله جل وعلا وإذنه الكوني.

إذا تبين ذلك فإن الإيمان الإجمالي لما ذكرت هٰذا ركن الإيمان، ما يصح إيمان أحد حتىٰ يؤمن بهٰذا القدر، وهو أن كل شيء بقدر وأن الأشياء يقدرها الله جل وعلا فيما سبق.

ثم الإيمان التفصيلي ما علم تفصيلا من نصوص الكتاب والسّنة بما يدخل في بحث القدر، فإذا جاءه

الدليل أن من القدر علم الله السابق فإنه يؤمن بذلك، وإذا جاءه الدليل أن الله خالق كل شيء فيؤمن بهٰذا العموم؛ عموم خلق الله جل وعلا للأشياء لما في ذلك طاعة المطيع ومعصية العاصي، إذا علم عموم مشيئة الله جل وعلا وأن مشيئة العبد لا تستقل بإحداث الأشياء بل لابد من مشيئة الله جل وعلا آمن بذلك علىٰ وجه التفصيل، فيكون ذلك من الإيمان الواجب لأنه علم الدليل الذي يجب عليه الإيقان به.

بحث القدر بحث طويل، وقد يحتاج الأمر لبسطه إلىٰ مجالس عديدة ودروس متنوّعة، ولعلي أرتبه لك في مسائل فيها مزيد تفصيل عما سبق ذكره لك في الدروس السابقة مثل الواسطية والشروح الأخر ليحصل مزيد علم عمّا سبق إن شاء الله تعالىٰ.

فنقول:

**المسألة الأولى**: في تعريف القدَر: والقدَر والقدْر في **اللغة** بمعنىٰ ترتيب الشيء ليكون علىٰ وجه ما، يقال: قدَّرتُ أو تقول: قدرت أن يكون الأمر كذا وكذا، إذا رتبتَ أن يكون الأمر علىٰ هٰذا المنوال.

فإذن القدر في معناه اللغوي يدخل فيه الفعل، ويدخل فيه الإرادة والمشيئة، ويدخل فيه العلم، ويدخل فيه أيضا الحكمة بحسب من قدّر.

وأما في **الشريعة** فالقدر يجمع أربعة أشياء: يجمع العلم السابق، والكتابة السابقة، وعموم مشيئة الله جل وعلا، وعموم خلقه جل وعلا للأشياء.

ولهٰذا عرف القدر بعض أهل العلم بأن القدر: **هو علم الله بالأشياء قبل وقوعها وكتابته لها في اللوح المحفوظ وعموم مشيئته لما يقع وخلقه جل وعلا للأشياء كلها.**

وهٰذا في الواقع تعريف من باب ليس حدّا يعني علىٰ صناعة الحدود ولكنه تعريف يشمل مراتب الإيمان بالقدر الأربعة ويدخل في ذلك تعريف القدر عند أهل السنة والجماعة.

**المسألة الثانية**: الفرق ما بين القضاء والقدر.

القدر مرّ بك تعريفه.

وأما القضاء فإنه في **اللغة** بمعنىٰ إنهاء الشيء، وقد يكون الإنهاء إنهاء عمل وقد يكون إنهاء خبر، ولهٰذا جاء في القرآن تنوّع معنىٰ القضاء إلىٰ عدة معاني:

الأول مما جاء في القرآن أن القضاء يكون بمعنىٰ **الإنهاء** كما قال سبحانه: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه:٧٢]، وقال: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾[سبإ:١٤].

ويكون القضاء بمعنىٰ **الوحي** وذلك إذا عدي بـ(إلىٰ)، قضينا إلىٰ، قضىٰ إلىٰ، يكون إنهاء الخبر بالوحي كما قال جل وعلا: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾[الإسراء:٤] يعني أوحينا إلىٰ بني إسرائيل وأعلمناهم وأخبرناهم، وقال أيضا جل وعلا: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾[الحجر] ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ يعني أوحينا إليه وأنهينا إليه ذلك الخبر بالوحي.

والثالث من معاني القضاء في القرآن أن القضاء يكون بمعنىٰ **القدر** كما قال جل وعلا: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[فصلت:١٢]، يعني قدر ذلك وخلقه وفعله، وكما في قوله أيضا: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾[سبإ:١٤]، ما دلهم علىٰ موته علىٰ أنه بمعنىٰ القدر؛ لأن الإنهاء يدخل في القدر.

ولهٰذا المعنىٰ قال جمع من أهل العلم: إن القضاء والقدر بمعنىٰ واحد؛ لأجل أنهم لحظوا أن معنىٰ القضاء داخل في معنىٰ القدر، وأن القضاء والقدر لا فرق بينهما ممن ذهب إلىٰ ذلك جماعة من أهل العلم كابن الجوزي وكثير من العلماء السابقين.

وأما فيما دلت عليه النصوص -يعني في الكتاب والسنة- فإن القدر غير القضاء، وهٰذه الغيرية بمعنىٰ أن القدر أعم من القضاء، والقضاء قد يكون بعض مراتب القدر من حيث الإطلاق، ولهٰذا قال بعض أهل العلم في سبيل ذلك: إن القضاء هو القدر إذا وقع، وقبل وقوع المقدر لا يسمىٰ قضاء؛ لأن كلمة قضاء -كما رأيت معناها في اللغة استعمالاتها أنها بمعنىٰ الإنهاء إنهاء الشيء إنهاء الخلق إلىٰ آخره- والقدر إذا وقع وانتهىٰ صار قضاء، قضي، ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾[يوسف]، يعني انتهىٰ ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾[طه:٧٢]، يعني أحكم بما شئت وأَنْهِ الأمرَ علىٰ أي وجه شئت.

فإذن يكون القضاء هو إنهاء القدر، وهٰذا يتبيّن بأن مراتب القدر الأربعة التي سيأتي بيانها منها مرتبتان سابقتان وهي مرتبة العلم والكتابة، ومنها مرتبتان -وهي عموم المشيئة وعموم الخلق لله جل وعلا- هاتان المرتبتان مقارنتان لوقوع المقدر.

ولهٰذا إذا نظر لوقوع المقدر من جهة عموم الخلق وعموم المشيئة فإنه حينئذ يكون قضاء لله جل وعلا بهٰذا الشيء، قضىٰ الله جل وعلا الأمر علىٰ كذا وكذا بمعنىٰ خلقه وشاءه.

ولهٰذا نظر من نظر في أن القضاء داخل في القدر ولذلك قالوا: القضاء والقدر بمعنىٰ واحد؛ لكن علىٰ التحقيق ليس القضاء والقدر بمعنىٰ واحد، وإنما القضاء هو وقوع المقدر، فإذا وقع القدر السابق وانتهىٰ سمي قضاء، قضي وانتهىٰ وهو المقدر، ولاشك أن الذي يقع مقدر ويكون قضاء.

ولهٰذا يكون القضاء، والقدر بينهما فرق فإن:

القدر أعم، والقضاء أخص.

والقدر سابق، والقضاء لاحق.

والقدر فيه عدة صفات لله جل وعلا العلم والكتابة والمشيئة والخلق، وأما القضاء قضاء الله جل علا للشيء في نفسه يدل علىٰ خلقه ﷻ ومشيئته له.

لهٰذا علىٰ الصحيح أن القضاء والقدر ليسا لمعنىٰ واحد ولا يتواردان يعني ما يستعمل أحدهما بمعنىٰ الآخر؛ بل القدر أعم.

**المسألة الثالثة**: في مراتب الإيمان بالقدر عند أهل السنة والجماعة.

وقد ذكرنا لكم شيئا من هٰذا البحث فنعيد ذلك مختصرا، فنقول: إن الإيمان بالقدر يشمل أربع

مراتب:

أما مرتبتان فسابقتان قبل خلق السَّمٰوات والأرض قبل خلق الأشياء:

- وهما علم الله جل وعلا السابق.
- وكتابه جل وعلا للأشياء في اللوح المحفوظ.

**وعلم الله السابق للأشياء**: علم أزلي والله ﷻ علمه صفة ذاتية له، فما شاء الله جل وعلا وأراد أن يوقعه في ملكوته موقتا بوقت مقدر بزمان وصفة فإنه ﷻ علم ذلك علىٰ وجه التفصيل لكمال علمه وأنه سبحانه بكل شيء عليم.

**وأما الكتابة**: فإن الله كتب مقادير الخلائق مؤخرا؛ يعني قبل خلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم وغيره «**قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه علىٰ الماء**» وقوله: (**قدر الله**) يعني كتب لأن المرتبة السابقة للعلم هي قبل ذلك علم الله جل وعلا أول علمه أزلي.

فإذن نقول: إنّ مرتبة الكتابة هي كتابة الله جل وعلا للأشياء علىٰ وجه الإجمال والتفصيل في اللوح المحفوظ كما قال سبحانه: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾[القمر]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر]، وقال جل وعلا: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[الحج]، ونحو ذلك من الأدلة والأدلة لهاتين المرتبتين كثيرة في القرآن والسنة.

أما المرتبة الثالثة فهي مرتبة **عموم مشيئة الله** جل وعلا: فإنه ما شاء الله كان وما لن يشأ لم يكن، فطاعة المطيع وقعت بمشيئة الله، ومعصية العاصي وقعت بمشيئة الله، إحياء النفس وقع بمشيئة الله، وقتل النفس وإزهاق روحها ظلما وعدوانا وقع أيضا بمشيئة الله جل وعلا، فالله سبحانه شاء كل ما وقع، فما وقع في ملكوته لا يمكن أن يوقعه العبد إلا إذا شاءه العبد جل وعلا بما في ذلك الأمور المحمودة عند الإنسان والأمور المذمومة عند الإنسان، الخير بالنسبة للإنسان والشر بالنسبة للإنسان كل ذلك وقع بمشيئة الله جل وعلا، ولا يخرج أحد عن مشيئته قال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾[الإنسان]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير]، وقال سبحانه: ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾[الأنعام]، وقال سبحانه أيضا: ﴿هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾[الأعراف:١٥٥].

فإذن ما يقع من الإضلال هو بمشيئة الله؛ لكن وقع بمشيئة الله لحكمةٍ لله جل وعلا بوقوعها.

فإذن الله سبحانه شاء الخير وشاء الشر وأذن بوقوع الخير، وأذن بوقوع الشر كونا، وأما من جهة الشرع من جهة الدين فإن الله سبحانه نهىٰ عن الشر، نهىٰ عن الكفر، نهىٰ عن الكبائر، نهىٰ عن المعصية، نهىٰ عن الظلم، وأمر بالإيمان وأمر بالعدل وأمر بالطاعة وأمر بالعبادة.

فإذن ثَم فرق بين الإرادة الكونية وبين الإرادة الدينية، فالإرادة الكونية لا يشترط لها وهي المشيئة أن

يكون الشيء وقع والله ﷻ يحبه ويرضاه؛ بل قد يأذن الله جل وعلا ويشاء بالشيء وهو لا يحبه ويرضاه، يأذن به كونا ويشاؤه ويقع وهو لا يحبه ويرضاه من عباده، وهو لا يحبه ويرضاه أن يقع؛ لكن أذن به وشاءه لحكمة له جل وعلا له في ابتلاء العباد؛ لكنه لم يرضه دينا يعني ما أراده شريعة ما أرده دينا، وهٰذا يحتم كما قال جل وعلا: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[الزمر:٧] مع أنه ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾، ولكنه ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ فإذن الأدلة دلت علىٰ التفريق ما بين الإرادة الكونية والإرادة القدرية، والإرادة الكونية هي المشيئة إذن الإرادة تنقسم إلىٰ إرادة كونية وإرادة دينية، وأما المشيئة فلا تنقسم، المشيئة هي الكونية يعني هي الإرادة الكونية.

إذا تبين لك ذلك فمرتبة المشيئة هي المرتبة التي فيها اختلاف، والضلال ما بين القدرية المتوسطة وبين أهل السنة والجماعة هي في مسألة المشيئة، والقدرية الذين ينفون القدر كالمعتزلة والرافضة وأشباه هؤلاء والزيدية كل هؤلاء ينزهون ويقولون: إن المشيئة لا تدخل في معصية العاصي ولا في كفر الكافر، فإن كفر الكافر ومعصية العاصي هٰذه لم يشأ الله جل وعلا أن تقع وإنما شاءها العبد وهي مكروهة لله جل وعلا استدلالا بقوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾.

والصواب في ذلك أنه ما من شيء يقع إلا بإذن الله، وإلا فيكون الله جل وعلا يقع في ملكه ما لم يأذن به، هٰذا وصف لله جل وعلا بالنقائص؛ بل عموم قدرة الله جل وعلا وقوته وملكوته وجبروته وملكه هٰذا الملكوت أنه لا يحصل شيء إلا يعلمه سبحانه وبعلمه ومشيئته؛ لكن له حكمة بأنه يقع هٰذا الشيء فقتل القتيل ظلما وقع بمشيئة الله الكونية لكنه لم يأذن به شرعا بل نهىٰ عنه، اقتحام الكعبة والمسجد الحرام وإسالة الدم فيه لم يقع بإذن الله الشرعي ولكنه وقع بإذن الله الكوني.

فإذن يجتمع في إذن الله الكوني الطاعات والمعاصي، المحمود والمذموم، الشر والخير وأن إذن الله الشرعي إرادة الله الشرعية فهي ما أمر الله جل وعلا به، وأما ما نهىٰ عنه فإنه لم يرده شرعا.

وهٰذا بيان مهم والمسألة معروفة لأكثر طلبة العلم في التفريق ما بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية، وسيأتي إن شاء الله مزيد بيان لهٰذه المسألة.

أما المرتبة الرابعة فهي مرتبة **عموم خلق الله جل وعلا للأشياء**: وأما خلق الله للأشياء فجميع المنتسبين للإسلام بل وغير المسلمين يؤمنون بأن الله خالق للأشياء؛ لكن عموم خلق الله للأشياء إضافة قيد العموم هٰذا مما تميز به أهل السنة والجماعة إعلانا وإيمانا بقول الله جل وعلا ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[الزمر]، وقوله سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان]، فإذن الأشياء التي خلقها الله جل وعلا داخلة في قدر الله ﷻ.

يدخل في ذلك في عموم الخلق خلق الله جل وعلا للأشياء يدخل في ذلك الكفر، ويدخل في ذلك معصية العاصي، ويدخل في ذلك عمل الإنسان بجميع أنواع الخير والشر وذلك لقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[الصافات]؛ يعني خلقكم والذي تعلمونه، فتكون ﴿مَا﴾ بمعنىٰ الذي يعني الاسم

الموصول بمعنىٰ الذي، أو تكون ﴿مَا﴾ مصدرية يعني حرف مصدري تقدر مع الفعل بما بعدها بمصدر فيكون تقدير الآية والله خلقكم وعملكم فما عمله الإنسان خلقه الله جل وعلا كما خلق ذات الإنسان وخلق عمله، والله خلقكم وعملكم، أو الله خلقكم والذي تعلمونه.

وهٰذا ظاهر، ويأتي بيان شبه الفرق والرد عليها مزيد تفصيل لعموم خلق الله جل وعلا للأشياء.

**المسألة الرابعة**: في منشأ الضلال في القدر. منشأ الضلال في القدر يرجع إلىٰ عدة أسباب:

أما **السبب الأول**: فهو منشأ ضلال الفرق الجبرية والقدرية، ومنشأ ضلالهم ومخالفتهم لهدي الصحابة أو لما دلت عليه النصوص في ذلك هو: **قياس أفعال الله جل وعلا وتصرفاته سبحانه بأفعال الخلق**، فيجعلون ما كان محمودًا في الخلق محمودا في فعل الله جل وعلا، ما كان مذموما في الخلق فيكون مذموما في فعل الله جل وعلا، فعندهم أن العدل محمود والظلم مذموم، فيجعلون العدل في تفسيره في الخلق والظلم في تفسيره للخلق في حق الله جل وعلا فما اقتضىٰ العدل في المخلوق يعرض لله، وما اقتضىٰ الظلم في المخلوق يعرض منفيا عن الله جل وعلا، ولذلك نفوا عموم المشيئة ونفوا عموم الخلق؛ لأنهم جعلوا أن إذن الله جل وعلا بالكفر يقتضي الظلم؛ لأنه معناه الإلزام وجعلوا خلق الله جل وعلا لمعصية العاصي وكفر الكافر جعلوا ذلك ظلمًا؛ لأنه في حق الإنسان إذا جَعل غيره يفعل ذلك الشيء لأنه قهره عليه وأجبره عليه أو أنه أذن له به وهٰذا ظلم في حقه للإنسان فيما بينهم فيقولون: إذن ما كان عدلا في الإنسان فهو عدل في الله وما كان ظلما في الإنسان فهو ظلم في الله لأن تعريف العدل والظلم بما جاء في النصوص هو التعريف اللغوي وهو الذي يشمل الإنسان ويشمل الله جل وعلا.

وهٰذا في الحقيقة هو أعظم أسباب الضلال في هٰذه المسألة.

**السبب الثاني**: **عدم التفريق ما بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية**؛ فيجعلون الإرادة والمشيئة شيء واحد، فما نفي مما لم يرده الله جل وعلا شرعا جعلون منفيا كونا، فالله جل وعلا لم يرد الكفر فجعلوه جل وعلا لم يشأ الكفر؛ لأن الإرادة قسم واحد، لم يرد المعصية فجعلوه لم يشأ المعصية، لم يرد الكبيرة جعلوه لم يشأ الكبيرة، والإرادة كما ذكرنا منها إرادة شرعية ومنها إرادة كونية، الإرادة الكونية هي المشيئة، وأما الإرادة الشرعية هي التي تدخل فيها صفة المحبة والرضا لله جل وعلا.

**المنشأ الثالث** للضلال في باب القدر: **دخول العقل في التحسين والتقبيح**؛ فيجعلون الأفعال التي تقع في الملكوت في ملكوت الله وتقدير الله جل وعلا للأشياء يدخل فيه العقل محسنا ومقبحا وذلك لأن العقل عندهم أصل، فقالوا: العقل يُعمل في أفعال الله فما حسنه العقل في أفعال الله صار حسنا وما قبحه العقل في أفعال الله جل وعلا وجب نفيه عن الله جل وعلا، وهٰذه هي المسألة المشهورة في التحسين والتقبيح العقليين التي لها صلة بالأصول وبالفقه يعني بالتكفير ولها أيضا صلة بمبحث القضاء والقدر.

**منشأ الضلال أيضا وهو الرابع**: أو من أسباب نشأة الضلال في ذلك **الدخول في أفعال الله جل وعلا وعدم التسليم لمراد الله جل وعلا**؛ يعني الخوض في أفعال الله ﷻ، والخوض في أفعال الله جل وعلا كما

ذكر لنا الطحاوي في ذلك: (ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ، وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ) معنىٰ (ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ) يعني وسيلة لأن يخذل العبد لأنه معناه أنك تريد أن تصل إلىٰ سر القدر وهٰذا لا يمكن، (سُلَّمُ الْحِرْمَانِ) أيضا لا يمكن أن تدخل في أفعال الله فتحرم؛ لأن هٰذا سلمه الحرمان فتصل إلىٰ أن تكون محروما، وكذلك أنه درجة من درجات الطغيان؛ لأن الإنسان رفع نفسه فوق ما لها ويعني طغىٰ وجاوز حده، حده أن يتعبد الله جل وعلا بالإيمان والتسليم ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء].

فإذن السؤال بـ(لم؟) هٰذا من منشأ الضلال لمن ضل في الجبرية وفي القدرية وفي المتحيرين المتشككين الذين أنكروا الشريعة وضلوا وألحدوا بسبب الدخول في القدر.

معلوم أن القدر فيه العلم، والعلم يتفاوت فيه الناس، والله جل وعلا يعلم ما يوافق حكمته جل وعلا، الحكمة أين هي؟ ما يريده الله جل وعلا من الابتلاء بخلقه، الله ﷻ يعلم ذلك، فأوقع في خلقه ما يوافق الحكمة له؛ يعني ما يوافق مراداته في خلقه وحصول الابتلاء في ذاته، والإنسان قد ينظر ويكون علمه قاصرا فلا يصل إلىٰ حقيقة الإدراك.

ولهٰذا قال بعض السلف وتنسب إلىٰ أبي بكر ﷺ قال: العجز عن الإدراك إدراك. لم؟..[1] إدراكات الذكي غير إدراكات البليد فإذا اعترض البليد علىٰ الذكي بأن هٰذا الشيء ليس كذلك بأن هٰذا ما يعقل وهٰذا ما يحصل فيكون هٰذا اعتراض لا عن علم وإنما عن جهل فيرد علىٰ صاحبه فيكون هو المحروم، مثل ما جاء بعض الناس في بعض الأجهزة الكفار من النصارىٰ أول ما اخترع المسلمون الساعة أنكروها وخافوا منها، ورجع في هٰذا الوقت أن بعض الاختراعات في العصر الحديث رفضه بعض المسلمين وخافوا منه؛ لأن ذلك فيه عجزا عن إدراك حقيقته، فرفضوا لأنهم عجزوا عن إدراك وهٰذا إن كان في المخلوق فالله جل وعلا له العلم الكامل وله العلم بكل شيء ﷻ يعلم الأشياء، والإنسان علمه قليلا، إذا خاض في القدر بعلمه القاصر فلاشك أنه يعترض لأنه لا يعلم، وإذا اعترض علىٰ الله جل وعلا فإنه يخذل ويحرم يتيه ويخذل ويضل الطريق كما حصل أن كثير ضلوا بسبب خوضهم في أفعال القدر.

هٰذه وقد ذكرنا لكم كلمة شيخ الإسلام ابن تيمية في «تائيته القدرية» قال:

وأصلُ ضلالِ الخلْقِ مِنْ كُلِّ فِرقَةٍ ... هو الخوضُ فِي فعْلِ الإلهِ بعلَّةِ

فإنَّهمُو لم يَفْهَمُوا حِكْمَةً لَهُ ... فصاروا علىٰ نَوْعٍ مِنَ الجاهليَّةِ

هٰذه بعض أسباب منشأ الضلال في باب القدر.

**المسألة الخامسة**: أنّ الناس في القدر الذين خالفوا أهل السنة والجماعة، لهم فرق كثيرة وهٰذه الفرق ترجع إلىٰ فرقتين:

**أما الأولىٰ** فهم القدرية.

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الثامن عشر.

**وأما الثانية** فهم الجبرية.

ويعنىٰ **بالقدرية**: الذين أنكروا القدر إما أنكروا كل المراتب، أو أنكروا بعض مراتب القدر التي ذكرنا لك.

**والجبرية**: هم الذين يزعمون أن الإنسان لا اختيار له وأنه مجبور.

القدرية فرقٌ يلخَّص خلافهم في أن:

**الفرقة الأولىٰ** منهم وهم الغلاة الذين كانوا ينكرون علم الله جل وعلا السابق فيقولون: إن الله جل وعلا لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه والأمر أنف. كما كان يقول معبد الجُهني وغيلان الدمشقي وجماعة من الأولين.

وهؤلاء هم الذين أنكروا علم الله السابق، فقالوا: إن الله لا يعلم الأشياء حتىٰ تقع والأمر أنف؛ يعني مستأنف جديد غير معلوم وغير مقدَّر له قبل ذلك.

وهؤلاء هم الذين كفرهم السلف وكفّرهم الصحابة كابن عمر وابن عباس وغير أولئك، وذلك لأنهم أنكروا مرتبة العلم، والله جل وعلا ذكر علمه، فمعنىٰ ذلك أنهم ردوا حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب فهو من الكافرين.

هؤلاء هم الذين قال فيهم السلف: ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خُصموا وإن جحدوه كفروا. وهٰذه الفرقة ذهبت ولا يُعرف أنها [عطَّلت] وارثا في الأعصر المتأخرة.

أما **الفرقة الثانية** من القدرية وهم المتوسطة: المعتزلة والشيعة وعموم الزيدية ومن نحا نحو أولئك، وهؤلاء لا ينكرون جميع المراتب؛ ولكن ينكرون بعض الأشياء في بعض المراتب، فيقولون: إن المشيئة ثابتة لكن ليست عامة، ويقولون: إن الخلق ثابت ولكن ليس عامًّا، وسموا بالقدرية لأنهم ينفون بعض مراتب القدر، وهٰذه الفرقة باقية إلىٰ الآن المعتزلة موجودة الآن، والزيدية والرافضة والفرق موجودة في أمصار كثيرة من بلاد المسلمين، وهؤلاء هم الذين يأتي إن شاء الله ذكر بعض شبههم والرّد عليها بإذنه تعالىٰ.

أما الجبرية فهم أيضًا فرق منهم:

**الغلاة** وهم الذين يقولون: إن الإنسان مجبور علىٰ كل شيء، وحركاته كحركة الريشة في مهب الهواء، وكحركة الخشبة في البحر، فإن الأمواج تتقاذفها وليس لها اختيار، وكذلك الريشة يقلبها الهواء وليس لها اختيار، فالعبد يقولون: ليس له اختيار وإنما هو مفعول به في كل أحواله، سواء من ذلك الطاعات والمعاصي، فصلىٰ مجبورا، وصام مجبورًا، وسرق مجبورا، وغش مجبورا، ويقولون: إن أفعال الله جل وعلا غير معلَّلة، فقد يُدخل الله جل وعلا إبليس الجنة، وقد يدخل آدم النار؛ يعني من لازم مذهبهم، فإنه لا تعليل لأفعال الله، قد يعذّب المطيع الصَّالح، وقد يعطي وينعّم الكافر الطاغوت، ليش؟ لأنه يقول: هؤلاء فعلوا بغير اختيارهم، فالله ﷻ هو الذي أجبر هٰذا وأجبر هٰذا، فله أن يقلب الأمور؛ لأن هٰذا ما فعل

أصلا باختياره، نعوذ بالله من الأقوال الضالة.

وهؤلاء يمثّلهم يعني الجبرية يمثلهم طوائف من الصّلحاء في الزمن الأول ممَّن رأوا الفناء في شهود الأمر الكوني، وممن قال أيضا بهٰذا القول جهم ومن اتبعه، وأيضا قال به طوائف من غلاة الصوفية يرون أنهم ليس لهم الفعل البتة، فأفعالهم الظاهرة كحركة أمعائهم لا اختيار لهم فيها.

**الفرقة الثانية** من الجبرية هم الأشاعرة والماتريدية ونحا نحوهم ممن غلوا في إثبات المشيئة مشيئة الله جل وعلا وخلقه، وقالوا إن الإنسان ليس مجبورا علىٰ كل حال؛ ولكن هو مجبور باطنا لا ظاهرا؛ يعني في الباطن مجبور لا يتحرك بإرادته ولكن في الظاهر تصرفاته بإرادته، فيحاسب علىٰ تصرفاته الظاهرة، وأما الذي دفعه في الحقيقة هو أمر باطن مجبر عليه من الله جل وعلا.

وهٰذا في الحقيقة قول بالجبر، ومشهور عن الأشاعرة أنهم جبرية، ولهٰذا لما أُعترض علىٰ الأشعري في الحساب والعقاب والثواب قال: إن الأفعال يحاسب عليها العبد وينعّم ويعذّب لأنه كسبها، وكسبه لها من فعله، فإذن يعاقب ويثاب علىٰ ما كسب، والله جل وعلا يقول: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦] فأخذ من لفظ (كسب) في القرآن أن الفعل الظاهر كسبه العبد يعني عمِله فهو يحاسب علىٰ ما ظهر.

وهٰذا الكسب عنده في الواقع ابتدأه أبو الحسن الأشعري دون سابق في هٰذه الأمة، فلهٰذا نظر أصحابه في تعريف الكسب، أيش معنىٰ الكسب هٰذا الذي أحدثه الأشعري لقاء قوله بالجبر الباطن؟ يقول: إن الإنسان يُفعل به، وهو يفعل، والأمر يحصل عند حركة الإنسان، مثل قطع السِّكِّين للخبزة، أو تكسير العصا للحجر، فإذا ضرب الحجر بالعصا الإنسانُ، يقول: إن الحجر تنكسر لا بالضرب؛ ولكن عند الضرب؛ يعني كسر اللهُ الحجر لا بضرب الإنسان لكن عند ضربه، يعني أن الحجر ليس له خاصية الانكسار بضرب العصا، والعصا ليست لها خاصية الكسر كسر الحجر، والإنسان ليس فيه خاصية أنه يحمل العصا علىٰ الحقيقة ويكسر علىٰ الحقيقة، ولهٰذا سماهم السلف نفاة التعليل ونفاة الأسباب؛ يعني ليس ثم شيء ينتج شيئا، ليس ثم سبب ينتج مسببا عندهم كل شيء يحصل بخلقٍ له منعزل عن غيره، لا بأسباب غيره، فالماء إذا نزل علىٰ الأرض نبت العشب لا بالماء، ولكن عند الإلتقاء، وما جاء في القرآن من ذكر حرف الباء ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ﴾[النمل:٦٠] يعني لفظ ﴿بِهِۦ﴾ هٰذا يفسرونه بعنده هٰذا كثير في التفاسير فتنتبه لهم.

إذن خلصوا إلىٰ أن الإنسان يكسب العمل وتفسير الكسب كيف يجمع ما بين الجبر الظاهر والجبر الباطن بالكسب اختلف فيه الأشاعرة علىٰ أقوال كثيرة وخلاصتها أنه لا محصل لها وأنه مجبور لا مختار.

ولهٰذا قال القائل في البيت المعروف في بعض كتب العقائد المطولة قال:

مما يقال ولا حقيقة تحته معقولة تدنو لذى الأفهام

الكسب عند الأشعري والحال عند البهشمي وطفرة النظام[1]

هٰذه ثلاثة أشياء لا حقيقة لها، اخترعها أصحابها دون حقيقة.

**إذا تبين لك ذلك**، فلفظ الكسب له عدة استعمالات فيستعمل الكسب أو الكسب عند الناس له ثلاث استعمالات أو الناس في الكسب لهم ثلاثة أقوال يعني بما تراه:

أما **الأول**: فإن الكسب عند الأشاعرة هٰذا أوضحناه لك.

**والثاني**: كسب بمعنىٰ العمل، ما يعمله الإنسان باختياره ورغبته يكون كسبًا له لأنه حصَّله، مثل ما تقول: كسبتُ مثلا كذا من المال يعني أن الإنسان عمل شيئا فحصل هٰذا المال، كذلك الأعمال الصَّالحة كسبٌ له؛ لأنه بذل فيها وعمل فكسب، وكذلك الأعمال السيئة عليه لأنه كسبها بجهده، وهٰذا هو المعنىٰ الذي جاء في الكتاب والسنة، فمن استعمل الكسب في هٰذا المعنىٰ فهو صحيح؛ لأنه جاء في القرآن والسنة مثل: ﴿لَهَا مَاكَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[البقرة:٢٨٦] ولفظ الكسب في القرآن كثير ذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ أَنْفُسُهُمْ ونحو ذلك.

فإذن هٰذا المعنىٰ واضح وصحيح.

ترجعون في تقسيم الكسب إلىٰ الأقوال الثلاثة والحجج فيه؛ لأنه مهم إلىٰ كتاب ابن القيم «شفاء العليل».

طولنا عليكم نرجئ بقية المباحث إن شاء الله إلىٰ الأسبوع القادم. نكتفي بهٰذا القدر لأجل عدم الإطالة، وإن شاء الله نلتقي بكم علىٰ خير حال.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

---

(١) قال شيخ الإسلام في رسالة له ضمن مجموع الفتاوي –أقوم ما قيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل–ولهذا صار الناس يسخرون بمن قال هذا ويقولون: ثلاثة أشياء لا حقيقة لها طفرة النظام وأحوال أبي هاشم وكسب الأشعري.

## الدَّرسُ الثَّالثُ والعشرون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله حق حمده، وأثني عليه الخير كله، فله الحمد سبحانه علىٰ نعمه الكثيرة، وله الشكر علىٰ ما تفضل به وأولىٰ ومنّ، تبارك ربنا وتعالىٰ وتقدس وتعالىٰ تعظيما له جل وعلا وتكبيرا.

وأصلي وأسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ إلٰه وصحبه صلىٰ الله عليه وعلىٰ إلٰه وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد..

ذكرنا بعض المسائل التي تتعلَّق بمذهب أهل السنة والجماعة في باب القدر، آخر ما تكلَّمنا عليه تفسير الكسب عند الناس ونجعلها مسألة مستقلة أحسن فنقول:

**المسألة السادسة**: في تفسير الكسب.

لفظ الكسب جاء في القرآن في ذكر ما للمكلف وما عليه، فقال سبحانه: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[البقرة:٢٨٦] وقال جل وعلا: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾[1] وقال جل وعلا: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[البقرة:٢٢٥] ونحو ذلك من الآيات.

ولما جاء لفظ الكسب في القرآن وفي السنة أيضا جاء مذهب أهل السنة والجماعة بإثبات كسب المرء.

وتفسير الكسب بما دلت عليه النصوص وهو أن كسب المرء هو عمله، فالكسب هو العمل والفعل فقوله سبحانه: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ يعني لها ما عملت، فالعمل هو الكسب، ودلّ علىٰ ذلك أنه جل وعلا قال: ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾[النحل:١١١]، وفي الآية الأخرىٰ ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ فدلّ علىٰ أن الكسب هو العمل.

والناس أعني المذاهب الثلاثة المشهورة في باب القدر وهي مذهب الجبرية والقدرية وطريقة أهل السنة والحديث كلٌّ فسر الكسب علىٰ حسب معتقده:

ولهٰذا فسّر القدرية -وهم نُفاة القدر الذين يقولون: إن العبد يخلق فعل نفسه وأن الله جل وعلا لا يخلق فعل العبد من المعتزلة ومن شابههم- قالوا: إن معنىٰ الكسب في هٰذه الآيات هو إيجاد العبد للفعل، وشبهوه بكسب التجارة، فإن كسب التجارة فعل، كما قال جل وعلا: ﴿أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾[البقرة:٢٦٧] فما كسب الإنسان من التجارة أنفقوا من طيبات ما كسبتم، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[البقرة:٢٦٧]، فذكر الكسب في معرض التجارة فقالوا كذلك هو في فعله كسب العمل الصَّالح

---

(١) البقرة:٢٨١، آل عمران:١٦١.

كما يجتهد في فعل كسب التجارة، فإذن جعلوا الكسب هو إيجاد العبد للفعل علىٰ مذهبهم في خلق أفعال العباد، وذلك أن لفظ الكسب في شيء من الاحتمال، ولهٰذا فسرته كل طائفة علىٰ مذهبها.

والجبرية -كما ذكرنا لكم طرفا من مذهبهم في قول الأشاعرة والجهمية- الجبرية فسروا الكسب بأشياء كثيرة وبعبارات متنوعة لا حاصل معها علىٰ التحقيق، وذكرت لكم قول الشاعر أو قول أحد العلماء:

مما يقال ولا حقيقة تحته ... معقولة تدنو لذي الأفهام

الكسب عند الأشعري والحال ... عند البهشمي وطفرة النظام

فالكسب هٰذا فهمه لما اختار الأشعري مذهبه الذي هو جبر متوسط؛ جبر الباطن لا جبرا ظاهرا، لما أخذه وجد في لفظ الكسب في الكتاب والسنة مخرجا له فقال: الأعمال كسب، كيف يتوافق هٰذا مع قوله في القدر؟ قال: الكسب عبارة عن تعلق القدرة عن حال أو غير ذلك من التفاسير، واختلف أصحابه في تفسير الكسب علىٰ هٰذا الاصطلاح الذي هو كسب الجبر؛ كيف يكون للإنسان كسب وهو مجبور؟ اختلفوا في تفسير الكسب علىٰ أوجه كثيرة أكثر من عشرة أوجه، وكلها راجعة إلىٰ نوع من التعلق ما بين القدرة والإرادة والعمل والتكليف، وهٰذا فيه صعوبة الربط بينها.

فلذلك أهل العلم حتىٰ الأشاعرة قال محققوهم: إنه لا حصيلة تحت هٰذه العبارة التي هي عبارة الكسب علىٰ خلاف معنىٰ العمل.

أما القول الثالث في الكسب، وهو قول أهل العلم والسنة والحديث من الصحابة رضوان الله عليهم فمن بعدهم فإنهم قالوا: إن الكسب هو العمل وهو الفعل، والله جل وعلا قال: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ وفرَّق ما بين الكسب والاكتساب مع أن كثيرًا من أهل العلم يجعلون الكسب والاكتساب بمعنىٰ واحد؛ لكن في الآية قال: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ يعني في الخير، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ فجعل الاكتساب فيه زيادة في المبنىٰ؛ لأنّ فيه نوع كُلْفَة، فالخير موافق للفطرة فيكسبه الإنسان لموافقته لفطرته مع أنه تكليف، وأمّا الشر والردىٰ والضلال فإنه مخالف لفطرته لذلك إتيان المحرمات وإتيان الموبقات ونحو ذلك علىٰ ما في الإنسان ربما من الشهوة لبعض ذلك لكن يحتاج معه إلىٰ أن يُعمل نفسه أن يُتعب نفسه ويخالف فطرته في أن يأتي تلك الموبقات لذلك زاد المبنىٰ ليدل علىٰ أنها فيها نوع كلفة ومشقّة في ما يعمله المرء من الشر، قال: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ يعني من الشر فجعل أهل السنة الكسب بمعنىٰ العمل.

**المسألة السابعة**: معنىٰ خلق الله جل وعلا لفعل العبد، وتحقيق مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك.

قلنا: إن الإنسان عمله من خير أو شر يضاف إليه حقيقة، فهو الذي عمل الخير حقيقة وهو الذي عمل الشر حقيقة، ومع ذلك لا يقال: إنه خلق فعله. بل هو عمله ويضاف إليه لأنه كسبه وعمله، وأما

خلق الفعل فالله جل وعلا هو الذي خلق ﷻ.

وبيان ذلك في الفرق ما بين أهل السنة والجماعة وما بين مذهب القدرية أو المعتزلة وأشباه هؤلاء أن العبد كسب العمل وعمل العمل حقيقة؛ لأن ذلك العمل نتج عن شيئين فيه من الصفات لا يمكن له أن يحدث العمل إلا بوجود هاتين الصِّفتين:

**الصّفة الأولىٰ**: هي صفة القدرة التامة.

**والصّفة الثانية**: هي الإرادة الجازمة.

فإذا كان عند العبد قُدرة تامة وإرادة جازمة حصل له الفعل، توجهت قدرته التامة؛ يعني ليس بعاجز وإرادته الجازمة يعني ليس بمتردد، توجه للشيء فعمله، فيكون الفعل حدث بقدرة العبد وبإرادته بقدرته التامة وبإرادته الجازمة، فالذي تكون قدرته ناقصة لا يُحْدث الفعل، والذي تكون إرادته مترددة لا يحدث الفعل.

يعني مثلا الإتيان إلىٰ المسجد للصلاة شخص ما يستطيع أن يأتي إما لمرض أو لغير ذلك فهٰذا ربما عنده إرادة لكن ليس عنده قدرة، ولذلك لا يحصل منه الفعل العمل الكسب وهو إتيان المسجد، آخر عنده قدرة تامة ولكن ليس عنده إرادة البتة، ليس عنده إرادة لإتيان المسجد فلا يمكن بالقدرة أن يحدث بالإتيان، وقد يكون عنده إرادة لكن عنده تردد ما جزم علىٰ الإتيان فلا تتحرك جوارحه وآلاته؛ لأن إرادته ليست جازمة.

فإذن العمل -فعل العبد- عند أهل السنة والجماعة لا يمكن أن يحدث إلا بقدرة تامة وإرادة جازمة، وقدرة العبد صفة من صفاته لم يُقدر هو نفسه باتفاق الناس، وإرادة العبد صفة من صفاته لم يُحدث إرادة نفسه ويختار الإرادة يعني أن يكون مريدا بنفسه، وإنما الله جل وعلا هو الذي خلق فيه القدرة وآلات القدرة وخلق فيه الإرادة وله الإرادة ومقتضيات الإرادة.

فإذن ما نتج عن خلق الله جل وعلا في الأمرين فهو مخلوق لله جل وعلا، ففعل العبد نتج عن الإرادة والقدرة وهما مخلوقان، فنتج شيء عن خلق الله جل وعلا، فإذن هو مخلوق لله جل وعلا؛ لأن الله ﷻ جعل العمل نتيجة للقدرة والإرادة.

مثل النبات: أنزل الله جل وعلا من السماء ماء فأنبت به أزواجا من نبات شتىٰ، الماء نزل، الأرض موجودة، بالماء بسبب الماء وبسبب الأرض خرج النبات، فهل يقال: إن النبات خلقه الماء والأرض؟ ليس كذلك باتفاق المسلمين، باتفاق الناس، لم؟ لأنه نتيجة لنزول الماء الذي هو مخلوق باتفاق القدرية وأهل السنة، ونتيجة لنزول الماء علىٰ الأرض والتراب، والتراب والأرض مخلوق باتفاق أهل السنة والجماعة والقدرية والناس جميعا، فإذا كان كذلك كان ما ينتج عنهما وهو النبات مخلوق؛ لأنه نتج عن شيئين اجتمعا الماء والتراب، وما نتج عن مخلوقين فإذن له نفس الحكم.

إذا تبين ذلك فإذن نقول أهل السنة والجماعة في تقريرهم في خلق أفعال العباد استدلوا بالآية كما

ذكرنا لكم من قبل: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[الزمر:٦٢]، وبقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات]، وأيضا استدلوا بهٰذه القاعدة؛ وهو أن عمل العبد لا ينتج إلا عن هاتين الصفتين.

لهٰذا الله جل وعلا إذا لم يعط العبد القدرة فإنه يرفع عنه التكليف «**صلّ قائما فإن لم تستطع فقاعدا**» ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ﴾[النور:٦١]، وإذا لم يعطه الإرادة كان مجنونا لا يريد أو كان صغيرا إرادته لا تتوجه إلىٰ شيء بجزم بعقل فإنه أيضا يكون التكليف مرفوعا عنه لأن الفعل لا يتوجه إليه.

الحقيقة إذن أن العبد أُبتلي لهٰذه الصفات التي فيه كل الصفات الجسمانية هٰذه كلها ومنها صفة القدرة وصفة الإرادة.

إذن فتحصل لك أن معنىٰ خلق أفعال العباد والدليل عليها وهو ذكرنا من الأدلة من القرآن، ومن السنة قوله عليه الصلاة والسلام: «**إن الله صانع كل صانع وصنعتِه**» يعني صنع الناس وصنع أيضا ما يصنعون.

ولهٰذا نقول: إن الدليل علىٰ خلق أفعال العباد واضح من الكتاب والسنة، وأيضا مما قرّرنا لك من صفات الإنسان وما ينتج من ذلك من الدليل العقلي، وثم بسط كثير في الاستلال علىٰ هٰذه المسألة محله المطولات.

هٰذه ألفاظ ترد معك في مباحث القدر لا بد أن تعرفها بوضوح، ثم بعد ذلك إذا قرأت ما شئت من الكتب في باب القدر ستكون واضحة إن شاء الله تعالىٰ لك.

**المسألة الثامنة**: معنىٰ الاستطاعة التي وصف الله جل وعلا بها المكلف ونفاها عن بعض، فقال في النفي ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعٗا ١٠١﴾[الكهف]، والعبد مستطيع: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾ [التغابن:١٦]، فالعبد أثبتت له استطاعة ونفيت عنه استطاعة، والاستطاعة التي أثبتها ربنا جل وعلا للعبد غير الاستطاعة التي نفاها.

وهٰذه المسالة مسألة الاستطاعة فيها بحث طويل مع القدرية والجبرية معا، وسيأتي تفصيل الكلام عليها إن شاء الله تعالىٰ في آخر شرح الطحاوية؛ لأنه تعرض لها الطحاوي في أواخر هٰذه العقيدة المختصرة.

**المسألة التاسعة**: في معنىٰ إضلال الله جل وعلا من أضل، وهدايته من هدىٰ.

إذا كنا نقول إن الإنسان غير مجبور علىٰ الضلال وغير مجبور علىٰ الهدىٰ، فما معنىٰ قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾[1] وهٰذا من احتجاجات الجبرية ما معنىٰ: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٩﴾[الأنعام]؟ ما معنىٰ: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِ﴾[الكهف:١٧]؟ ما معنىٰ: ﴿مَن

(١) النحل:٩٣، فاطر:٨.

﴿يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾[الأعراف:١٧٨]؟ ما معنىٰ: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الأعراف]؟

ونحو ذلك من الآيات التي فيها لفظ الإضلال والاهتداء لله جل وعلا وفق مشيئته ﷻ وإرادته.

هٰذه المسألة ضل فيها الناس ومن أجلها ضلَّت الجبرية والقدرية، **وهي مرتبطة في بيانها بمسألة التوفيق والخذلان**، فالله جل وعلا علق الإضلال بمشيئته وعلق الهداية بمشيئته، ونعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فما شاء الله جل وعلا خلقه، الذي يشاؤه ﷻ أن يكون فإنه يكون، والذي يشاء الله جل علا ألا يكون فإنه لا يكون.

إذا كان كذلك فإن حدود الهداية وحدود الضلال نتيجة لأشياء، ولذلك جاء لفظ التوفيق والخذلان في النصوص، جاء لفظ التوفيق في القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[هود:٨٨]، ونحو ذلك فالله جل وعلا يوفّق من يشاء ويخذل ﷻ من يشاء.

ما معنىٰ وَفَّقَ وخَذَلَ؟ وما صلتها بـ(يهدي الله من يشاء، ويضل من يشاء)؟ إذا تبين لك معنىٰ التوفيق والخذلان فإنه سيتبين لك بوضوح معنىٰ أن الله جل وعلا يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﷻ.

**التوفيق** عند أهل السنة والجماعة هو **إمداد الله جل وعلا العبد بعونه؛ يعني بإعانته وتسديده وتيسير الأمر وبذل الأسباب المعينة عليه.**

فإذن التوفيق فضل لأنه إعانة، وأما **الخذلان فهو سلب التوفيق** هو سلب الإعانة؛ يعني التوفيق إعطاء وكرم، وأما الخذلان فهو عدل وسلب؛ لأن العبد أعطاه الله جل وعلا القُدَر، أعطاه الصفات، أعطاه ما به يحصل الهدىٰ، أعطاه الآلات، يسر له، أنزل عليه الكتب، فلذلك هو بالآلات التي معه قامت عليه الحجة؛ لكن الله جل وعلا يُنعم علىٰ من يشاء من عباده بالتوفيق فيعينهم ويسدّدهم ويفتح لهم أسباب تحصيل الخير، ويمنع من شاء ذلك فلا يسدده ولا يعينه ولا يفتح له أسباب الخير؛ بل يتركه ونفسه، وهٰذا معنىٰ أنه جل وعلا يخذل؛ يعني لا يعين يترك العبد وشأنه ونفسه.

ومعلوم أنّ العبد عنده آلات يحصِّل بها الأشياء لكن هناك أشياء ليست في يده، هناك أشياء لا يمكن له أن يحصلها، فهٰذه بيد من؟ بيد الله جل وعلا؛ لأنّ الإنسان مرتبط قدرُه بأشياء كثيرة من الأسباب التي تفتح له باب الخير، مثل مثلا أن يكون ذا أصحاب أو أن ييسَّر له أصحاب يعينونه علىٰ الخير، مثل أن لا يكون في طبعه الخلقي مزيد شهوة إما شهوة كبر من كبائر القلوب أو من كبائر البدن، هٰذه الأشياء موجودة فيه خلْقا خارجة عن اختياره وتصرفه، فالله جل وعلا يوفق بعض العباد بمعنىٰ يعينهم، فيعينهم علىٰ الأمر الذي يريدونه إذن فتح له باب خير وأراده فيحس العبد أنه أُعين علىٰ ذلك، إذا أراد فعل أمر ما من الخير يسر الله جل وعلا له أسبابا تعينه ففتح له طريق الخير.

وآخر لا، حضرته الشياطين وغلبته علىٰ مراده وأطاعها؛ لأنه لم يزوَّد بوقاية بإعانة بتوفيق يمنعه من ذلك.

فإذن صار عندنا أن مسألة إضلال الله جل وعلا مَن يشاء هو بخذلان الله جل وعلا للعباد.

وهداية الله جل علا من يشاء بتوفيق الله جل وعلا بعض العباد.

يعني أعان هٰذا وترك ذاك ونفسه، كونه جل وعلا أعان هٰذا هو بمشيئته، فإذن من يشأ الله يضلله يعني يسلب عنه التوفيق فيخذله فينتج من ذلك أن الله جل وعلا سلب عنه إعانته، سلب عنه تسديده، سلب عنه الأسباب أسباب الخير، سلب عنه غلق أبواب الشر من الكفر وما دونه فإنه يكون ضالا وضلاله هو بفعل نفسه؛ لأنه وكلّ إلىٰ نفسه؛ لكن الله جل وعلا لم يمن علىٰ هٰذا بمزيد توفيق.

فإذن مسألة الإضلال في كلام أهل السنة والجماعة عدلٌ، ومسألة الهداية فضْل، ولهٰذا أعظم الفضل والنعمة والإحسان نعمة التوفيق، الذي هو في الحقيقة نعمة الهداية.

فإذن نقول: إنّ ربنا جل وعلا منَّ علىٰ عباده المؤمنين فوفّقهم أعانهم سددهم هيأ لهم الأسباب التي توصلهم إلىٰ الخير، حبّب لهم العلم، حبّب لهم الجهاد، حبّب لهم الحكمة، حبّب لهم الأمر والنهي، حبّب لهم أهل الخير إلىٰ آخره، حبّب لهم كتابه مثل ما جاء.

وهٰذا التوفيق درجات أيضا ففي الهداية يكون فتح باب، وبعض الناس إذا انفتح له باب التوفيق نفسه فيها قُبح فتنازعه للشر فيكون بين هٰذا وهٰذا، وآخر نفسه فيها خير فمن الخير الذي معه أنه ينتقل منه توفيقا إلىٰ توفيق أعظم منه حتىٰ يصل بسبب عمله؛ لأن الله جل وعلا ينعم عليه بتوفيق زائد ثم بتوفيق زائد ثم بتوفيق زائد، مثل ما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره «**وما تقرّب إلي عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتىٰ أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه** -يعني وُفِّق في سمعه- **الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها**» هٰذا كله توفيق، مزيد إعانة في هٰذه الجوارح، الجوارح هٰذه هي التي عليها الحساب والتي يحاسب العبد علىٰ ما صنعت جوارحه.

إذن فحقيقة إضلال الله جل وعلا من شاء ليست جبرًا، وهداية الله جل وعلا من شاء ﷻ ليست جبرا، وإنما العبد عنده آلات وأمر بالتكليف وعنده الآلات، ولو كانت جبرا لصارت التكاليف -بعث الرسل، إنزال الكتب، الأمر والنهي، الجهاد- لكان كل ذلك عبثا، والله جل وعلا منزّه عن العبث؛ لأن العبث سلب الحكمة وشر والله جل وعلا الشر ليس إليه، لا في ذاته ولا في أفعاله ولا في صفاته جل وعلا ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء]، والله ﷻ منزه عن العبث يضل جبرا ويسلب العبد الاختيار بالمرة ثم يحاسبه وينزل عليه الكتب ويرسل الرسل ويأمره بالتكاليف كيف يكون ذلك؟ يكون كالغريق الذي يقال له:[1] إياك أن تبتل بالماء وهٰذا العياذ بالله هو حقيقة قول الجبرية الذين قال قائلهم:

---

(١)انتهىٰ الشريط الثامن عشر.



سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

ألقاه في اليمّ مكتوفا وقال له إيّاكَ إيّاك أن تبتلّ بالماء

وهٰذا ينزه عنه الحكيم الخبير جل جلاله، فمن عرف صفات الله جل وعلا وعلم حكمته، فإن القول بالجبر في حقيقة الأمر إبطال للتكاليف أو رجوع إلىٰ أفعال الله جل وعلا بأنها لعب ولا حكمة فيها ولا تُوافق الغايات المحمودة، والله جل وعلا منزه عن ذلك.

**المسألة العاشرة**: في إثبات الأسباب، وأن أفعال الله جل وعلا معللة، وأنه ﷻ يفعل الفعل لعلة، ويأمر بالأمر لعلة، وهٰذه العلة هي حكمته جل وعلا بإيجاد ذلك الشيء، وهٰذا في الأمور الكونية وفي الأمور الشرعية.

فما أحدثه الله جل وعلا في ملكوته أمرا فحدث فله حكمة جل وعلا من إيجاده.

وما أمر الله جل وعلا به في الشرع من الأحكام التشريعية أو نهىٰ عنه فهو لعلة الله سبحانه يأمر بالشرع بما مصلحته راجحة أو تامة وينهىٰ في الشرع عن ما مفسدته تامة أو راجحة.

فإذن أهل السنة والجماعة يُثبتون التعليل في أفعال الله جل وعلا، وأنّ أفعال الله ﷻ الكونية وأوامره الكونية والشرعية كلّها مرتبطة بحكم عظيمة كما قال سبحانه: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾[القمر].

إذا تبيَّن ذلك ففي القرآن إثبات أفعال الله جل وعلا معللة، وتنزيه الله جل وعلا علىٰ أن يفعل الفعل لا لعلة كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝١٦ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٧ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[الأنبياء].

وقال أيضا جل وعلا في السَّمٰوات والأرض: ﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[الدخان:٣٩]، وقال جل وعلا: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾[الحج]، وفي الأشياء الشرعية الأوامر والنواهي الأدلة علىٰ التعليل كبيرة جدّا جدا.

المقصود من هٰذا أن الله ﷻ إذا كانت أفعاله معللة، فأفعاله جل وعلا لم يفعلها في مخلوقاته مباشرة دون وساطة؛ بل جعل الله جل وعلا إيصال الفعل إلىٰ نهايته منوطًا بأسباب، وكل سبب يُحدث مسببا، ولهٰذا قال أهل السنة بإثبات التعليل في أفعال الله جل وعلا والأسباب، وأما أهل البدع من الجبرية وغيرهم فإنهم ينفون العِلل وبالتالي ينفون الأسباب، ولذلك يقال للجبرية الأشاعرة ومن نحا نحوهم يقال لهم نفاة الأسباب، وهم في الحقيقة نفاة التعليل، يقولون: أفعال الله جل وعلا غير معللة.

فإذن السبب لا يُنتِج المسبب؛ ولكن يحدث عنه المسبب عند الالتقاء، وهٰذا أيضا قول يعني في نفي الأسباب والتعليل قول ابن حزم وجماعة من الذين ظاهرهم متابعة الحديث.

إذا تبيَّن ذلك فإن حقيقة السبب؛ لأن الله جل وعلا يخلُق شيئا ويأمر بشيء أمرا كونيًا ويكون ذلك سببا لأشياء كثيرة.

فمثلا إنزال المطر من السَّماء، الله جل وعلا أمر بإنزاله، وفي إنزاله لله جل وعلا حكمة، وأمْره ﷻ بأن يُنزل هٰذا الماء علىٰ الأرض مرتبط بعلة؛ لأن الأرض حياتها بالماء، وأيضا إنزال المطر علىٰ هٰذه الأرض

المعينة مرتبط بعلة الله جل وعلا يعلمها كما قال في بعض حكمته: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾[الفرقان].

إذا تبين ذلك فالماء ينتج عنه شيء آخر، نزول الماء، الماء سبب، والله ﷻ بين أنه أنبت النبات بالماء ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾[النمل:٦٠]، ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾﴾[ق]، ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ﴾[1]، إذن صارت كلمة ﴿بِهِۦٓ﴾ هٰذه تدل علىٰ أن الإخراج بالماء، وأن الماء بسببه صار الإخراج؛ يعني الماء أنتج الإخراج.

أما غير أهل السنة فما ذا يقولون؟ يقولون عند التقاء الماء بالأرض حصل النبات، فيفسرون حرف (بِـ) بنحو كلمة (عند)، من، من الكلمات.

فإذن عندهم عندية كذلك ينفون السبب يقولون: لا، الماء لم ينبت إلا علىٰ المجاز العقلي كما تقول: أنبت الماء البقل والمنبِتُ هو الله جل وعلا، ولذلك ينشرون هٰذه القاعدة في كتب العقائد وفي كتب البلاغة الذي يسمونه المجاز العقلي، أنبت الرَّبيعُ البَقْلَ، أو نحو ذلك.

فإذن نقول: إن الله جل وعلا من حكمته أنه خلق الأشياء وجعلها أسبابا لأشياء، خلق ماء الرجل وجعله سببا لحمل المرأة، خلق اللباس وجعله سببا للدفء، خلق السّرابيل لعلة، خلق الأشياء لعلة، وهكذا فما من شيء تراه إلا وله حكمة، حتىٰ في المؤذيات، حتىٰ الهوام، حتىٰ الحشرات، حتىٰ ما تتأذىٰ منه وتظن أنه لا حكمة فيه، فإن فيه حكمة بالغة لله جل جلاله وتقدست أسماؤه، هٰذه كلها أسباب والأسباب تثبت المسببات.

إذن حقيقة قول نفاة الأسباب أنهم يقولون: إن السبب يُحدث المسبب عند الالتقاء؛ لكن لا ينتجه بالاقتضاء، يعني لا ينتجه بما جعل الله جل وعلا فيه من التأثير، ويمثّلون لذلك بالسكين التي يحملها الحامل لقطع الخبز، فيقولون: هٰذه السّكين لما أمرّها الحامل علىٰ الخبز قطعت الخبز. فإذن الواقع السكين ما قطعت الخبز عندهم حسب ما يقرّرون -والعياذ بالله- يقولون: إن السكين الذي قطع في الواقع هو الحامل الذي حمل السكين لكن صارت هٰذه لما التقت السكين بالخبز انقطع لأجل أن الحامل أمرّها، فيقولون لما التقىٰ الرجل بالمرأة جامع الرجل المرأة وأذن الله بالحمل حملت، سواء بماء أو بغير ماء، الماء عنده حصل الحمل، لما نزل الماء علىٰ الأرض نبتت.

فإذن عندهم عندية وهؤلاء نفاة الأسباب، وكثير من التفاسير مشحونة بهٰذه -مسائل القدر-، وأنا أرد يعني بمزيد هٰذه التفاصيل أن تنتبه للتفاسير كثير من الناس يحذر من مسائل التأويل، ومعلوم أن مذهب أهل السنة والجماعة وما في النصوص ليست هي مسائل التأويل فقط يعني المخالف خالف في التأويل لكن مسائل القدر أهم مسائل القدر في التفاسير أهم لا لأنها أعظم من مسائل الصفات ولكن لأجل

---

(١) الأنعام:٩٩، الأعراف:٥٧، طه:٥٣، فاطر:٢٧.

خفائها علىٰ الناس فهي خفية، الآيات آيات الإضلال الهداية، آيات الأسباب، آيات أفعال الله جل وعلا في الصفات، كلها تجد في كتب التفاسير خلط وخبط وخروج عن طريقة أهل السنة والجماعة، رفع الله مراتبهم، وبعد ذلك أن تستفصل إن شاء الله وتزداد هٰذه الأصول.

**المسألة الحادية عشر**: في أنواع التَّقدير، التقدير ذكرنا لك أنه أربعة مراتب ومنها مرتبة الكتابة، ومرتبة الكتابة جاء في الحديث أنها التقدير كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «**قدّر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه علىٰ الماء**» يعني كتب، ولهٰذا نقول: مراتب التقدير يعني مراتب الكتابة.

الله جل وعلا جعل كتابته للأشياء لها خمس أحوال:

**أولها** وأقدمها وأعظمها كتابة الله جل وعلا مقادير الخلائق قبل أن يخلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة في اللوح المحفوظ، هٰذه هي الكتابة التي كانت قبل الخلق، وهٰذه الكتابة لا تتبدل ولا تتغير، رُفعت الأقلام وجفت الصحف، فيجد العبد ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ من خير أو شر، وهٰذه مر معنا جمل الأدلة عليها وبعض التفصيل لها.

**الثانية** كتابةٌ لمقادير الخلق من حيث الشقاوة والسعادة، [ومن حيث الرزق والأجل][1] ونعني بالخلق خاصةَ المكلفين، وهٰذه هي التي تأتي فيها أحاديث الميثاق وأنّ الله جل وعلا استخرج ذرية آدم من صلبه فنثرهم أمامه كهيئة الذَّر وأخذ عليه أن لا يشركوا به شيئا ﷻ، وقبض قبضة وقبضة إلىٰ النار وكتب أهل الجنة وكتب أهل النار، ونحو ذلك مما جاء في السّنة من بيان ذلك، هٰذا تقدير بعد الأول، وهو قبل أن يخلق جنس المكلفين أي من الإنسان، لما خلق الله جل وعلا آدم حصل ذلك حصل هٰذا التقدير العام لهم.

**والثالث** هو التقدير العُمري، والعُمري هو الذي يكون والإنسان في بطن أمه فإنّ النطفة إذا صارت في الرحم وبلغت ثنتين وأربعين ليلة أتاها ملكٌ، فأمره الله جل وعلا كتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد، وهٰذه أيضا جاءت في حديث ابن مسعود المشهور الذي فيه أنَّ الملك يأتي بعد أربعين وأربعين وأربعين؛ يعني بعد عشرين ومائة، فيأتي فيكتب رزق الإنسان وأجله وعمله وشقي أو سعيد، يؤمر بكتب هٰذه الكلمات الأربع، هٰذه الكتابة عمرية، هٰذه الكتابة العُمرية هي تفصيل لما في اللوح المحفوظ، لأن الذي في اللوح المحفوظ شامل لكل المخلوقات، وهٰذا متعلق بهٰذا المخلوق المعين وحده، لهٰذا قال العلماء:

---

(١) قال الشيخ صالح حفظه الله تعالىٰ: الأخ نبهني -جزاه الله خيرا- التقدير الثاني من حيث الشقاوة والسعادة، (الأجل والرزق) تشطبون عليها ما فيها هي من حيث الشقاوة والسعادة، الأحاديث كلها فيها من أهل الجنة وأهل النار أما الرزق والأجل إلىٰ آخره فهذه تحتاج إلىٰ مزيد لأنه لما أخرجت الذرية من ظهر آدم رأىٰ آدم عليه السلام له داوود ما لي في هذا كذا فذكروا له أن عمره كذا، فقال أعطه يا ربي من عمري أربعين سنة، والمعروف جملة الأحاديث كلها في الشقاوة والسعادة وفي أهل الجنة وأهل النار سواء أحاديث الميثاق أو غيرها.

إن هٰذه تفصيل [داخل] فيه الجميع، وهٰذا للإنسان المعين بخصوصه، قالوا: تفصيل، ولك أن تقول: تخصيص.

**الكتابة الرابعة** الكتابة السنوية والكتابة السنوية هي التي تكون في ليلة القدر قال جل وعلا: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان] هٰذه تكتب فيها المقادير في تلك السنة من السنة إلىٰ السنة، إيش معنىٰ ذلك؟ معناها أن الله جل وعلا يوحي إلىٰ ملائكته بأن يكتبوا أشياء منها في اللوح المحفوظ فتكون بأيديهم مما سيحصل للناس.

**والخامس:** التقدير الأخير هو التقدير اليومي واستدل له أهل العلم بقوله سبحانه: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ۝٢٩﴾[الرَّحمٰن].

إذا تبينت هٰذه المراتب فإنه قد ثبت في السنة أن الله جل وعلا يزيد في العُمُر، ينسأ في الأثر، يبسط في الرزق، فقال عليه الصلاة والسلام: «**من سرّه أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره أن يصل رحمه**» يعني الرزق صار يتغير والأثر العمر صار يتغير، وقال أيضا في الحديث الآخر: «**إنّ العبد ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه**» فمعناه فيه حرمان لبعض الرزق، وهٰذا معنىٰ قول الله جل وعلا في آية سورة الرعد ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ۝٣٩﴾[الرعد].

فنظر أهل العلم في ذلك فقالوا:

إن المراتب الثلاث الأُوَل هٰذه لا تتغير ولا تتبدل؛ يعني الأول السابق القديم الذي في اللوح المحفوظ، وهؤلاء إلىٰ الجنة وهؤلاء إلىٰ النار، وكذلك كتب الملك الكلمات الأربع لهٰذا جاء في آخر الحديث مؤكدا عليه الصلاة والسلام علىٰ أنها لا تتغير، «**وإنّ الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بيناه وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتىٰ ما يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**». الثلاث الأُول هٰذه ما تتغير.

أيش الذي يتغير ويتبدل ويحدث فيه المحو والإثبات والزيادة إلىٰ آخره ويؤثر فيه الدعاء ويؤثر فيه الأعمال الصَّالحة؟ هٰذا التقدير السنوي، والتقدير السنوي في الحقيقة هو من التقدير الأوّل، ومن اللوح المحفوظ؛ لكنه في اللوح المحفوظ وجد معلّقا فصار بأيدي الملائكة معلقا، وأما التقدير العمري هو ما فيه النهاية؛ يعني ما كتبه الله جل وعلا بما فيه نهاية العبد وما فيه نتيجة أثر الدعاء وأثر الأعمال إلىٰ آخره مما قد يكون متغيّرا.

إذن فقوله جل وعلا: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ﴾ يعني مما في أيدي الملائكة من الصحف ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ﴾ وكذلك من التقدير اليومي.

**إذا كان كذلك** فهٰذا به تفهم الأحاديث التي فيها تغيير الرزق وتغيير العمر والنسء في الأثر أو حرمان الرزق بالذنب ونحو ذلك، ومنه أيضا تفهم قول عمر رضي الله عنه فيما جاء عنه: اللّٰهمَّ إن كنت كتبتني شقيا

فاكتبني سعيدا؛ يعني بما يتعلق بتلك السنة من الإضلال والهداية.

هٰذه إحدىٰ عشرة مسألة لعل فيها بيانا لما تحتاج إليه في هٰذا الركن من أركان الإيمان.

**تنبيه**: الأخ نبهني -جزاه الله خيرا- التقدير الثاني من حيث الشقاوة والسعادة، (الأجل والرزق) تشطبون عليها ما فيها هي من حيث الشقاوة والسعادة، الأحاديث كلها فيها من أهل الجنة وأهل النار أما الرزق والأجل إلىٰ آخره فهٰذه تحتاج إلىٰ مزيد؛ لأنه لما أخرجت الذرية من ظهر آدم رأىٰ آدم عليه السلام له داود فقال: ما لي في هٰذا كذا فذكروا له أن عمره كذا، فقال: أعطه يا ربي من عمري أربعين سنة، والمعروف جملة الأحاديث كلها في الشقاوة والسعادة وفي أهل الجنة وأهل النار سواء أحاديث الميثاق أو غيرها.

لعل في هٰذا كفاية إن شاء الله تعالىٰ.

وأسأل الله سبحانه أن ينور قلبي وقلوبكم بعلم سلفنا الصَّالح، وأن يزيدنا من العلم النافع وأن يوفقنا لحسن الظن به جل وعلا حسن التوكل عليه وعظم العلم به وحسن العمل إنه سبحانه جواد كريم سميع قريب.

وصلىٰ الله وسلم بارك علىٰ نبينا محمد.

## الدَّرسُ الرَّابعُ والعِشْرُون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

فَهٰذا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ، وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ، فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ، وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ كُفْرٌ، وَلَا يَثْبُتُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِقَبُولِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ، وَتَرْكِ طَلَبِ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ.

وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ، فَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ؛ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ؛ لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ.

وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا، لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ وَلَا مُعَقِّبٌ، وَلَا مُزِيلٌ وَلَا مُغَيِّرٌ، وَلَا نَاقِصٌ وَلَا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ الْإِيمَانِ، وَأُصُولِ الْمَعْرِفَةِ، وَالِاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَىٰ وَرُبُوبِيَّتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾[الفرقان]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾[الأحزاب].

فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ فِي الْقَدَرِ خَصِيمًا، وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا، لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهَمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا.

---

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

أحمد ربي الله جل وعلا علىٰ ما أنعم به وتفضل، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ إلٰه وصحبه أجمعين.

أما بعد..

فأسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياك من الذين غفر ذنبهم، وبارك لهم في قولهم وعملهم، اللّٰهمَّ فاغفر ذنوبنا وأجزل أجورنا وأنت أرحم الرَّاحمين.

هٰذه الجمل من كلام الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ بسط فيها جملًا من آداب الإيمان بقدَر الله جل وعلا، وعلىٰ خلاف العادة في المختصرات والمتون التي يُراد حفظها وانتشارها فإنه قد أفاض في الكلام ممَّا لا يدخل كله ضمن القواعد والأصول والعقائد، وإنما فيه جمل من ذلك وأكثره تفصيل وزيادة في البيان.

ولهٰذا سنطوي -إن شاء الله- بيان الجمل علىٰ تفاصيلها، ونذكر ما اشتملت عليه من العلوم والعقائد؛ لأنّ المقصود هو العلم والإيمان بقَدَر الله جل وعلا ومعرفة منهج السَّلف الصَّالح وعقيدة أهل السنة والجماعة في هٰذه المسائل العظام.

لما ذكر ما ذكر قد ذكرنا لكم جملًا من المسائل التي بها تعلم اعتقاد أهل السنة والجماعة في قضاء الله

جل وعلا وقدره.

فقال بعدها: (فَهٰذا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ، وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ) أراد بذلك أنّ ما ذكر في القدر وما ذكرناه لك من المسائل هٰذا من العلم الذي عَلّمناه ربُّنا جل وعلا ورسوله ﷺ مع أن الأصل أن القدر سرّ الله تعالىٰ وغيبُه الذي لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولهٰذا أمر نبيُّنا ﷺ بأنه إذا ذُكر القدر أمسكنا فقال عليه الصلاة والسلام: «**وإذا ذكر القدر فأمسكوا**» يعني أمسكوا عن الخوض فيه بما لم توقفوا فيه علىٰ علم.

فعلم القدر نوعان:

- علم في الخلق موجود.
- وعلم في الخلق مفقود.

وهٰذا تفسير أنسب عندي لأجل أن نعلق تقسيم العلم إلىٰ علم موجود وعلم مفقود فيما يتصل بالقدر لا في أصل العلوم؛ لأنه أشار في ذلك إلىٰ ما سبق فقال: (فَهٰذا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ) ومعلوم أنه لم يذكر كل ما يحتاج إليه من هو منوّر قلبه في مسائل العقائد؛ لأنه بقي كثير ستأتي في هٰذه الرسالة، فإرجاع قوله: (فَهٰذا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ) إلىٰ مسائل القدر منضبط، أما إذا قيل إنه إلىٰ علم العقيدة جميعا فإنه لم يذكر أشياء كثيرة وستأتي بعد الكلام علىٰ مسائل القدر كما ستراه إن شاء الله تعالىٰ.

فإذن نقول: إنَّ الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ أراد أن علم القدر العلم به علىٰ نوعين:

علم في الخلق موجود: وهو ما علمنا الله جل وعلا إياه في كتابه وما علمنا رسوله ﷺ، وهٰذا كما قال: (فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ) إذا تبيَّن أنه من عند الله جل وعلا وليس ثم شبهة ولا تأويل فإنّ إنكار العلم الموجود كفر؛ لأنه تكذيب لله جل وعلا ولرسوله ﷺ.

والعلم الموجود في القَدَر كما رأيت مما جاء في الكتاب والسنة يعلمه الراسخون في العلم، وأما من ليس بذي رسوخ في العلم فإنه في مسائل القدر لا يزال علىٰ اشتباه وعلىٰ عدم وضوح، فالواجب علىٰ من لم يكن من الراسخين في العلم من عامة أهل الإيمان أن يقول: ربنا آمنا به كل من عند ربنا، كما وصف ربنا جل وعلا الراسخين مع علمهم أنهم قالوا ذلك ليقتدي بهم الناس فيما لم يعلموا، قال سبحانه: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾[آل عمران:٧]، يعني آمنا بالمحكم وآمنا بالمتشابه كلّ من عند الله جل وعلا لا نفرق بين كلام الله جل وعلا.

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ هم أهل الثّبوت والقوة في العلم الموروث عن النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأن الرسوخ هو الثبات والاستقرار والقوة والتمكن، فهؤلاء يعلمون لأن وصفهم بكونهم راسخين يقتضي أنهم يعلمون؛ لأن الذي لا يعلم لا يوصف بالرسوخ في العلم، وهم متميزون عن غيرهم بالعلم

والإيمان.

والرسوخ في العلم هو الرسوخ في أنواع العلم الثلاثة: العلم بالتوحيد، والعلم بالفقه، والعلم باليوم الآخر والغيبيات.

هؤلاء هم الراسخون في العلم، وقد يكون الرسوخ في العلم يتنوَّع أيضا ولكن من لم يصحّ علمه بالتوحيد فإنه ليس بذي رسوخ في العلم مهما كان؛ لأن أصل الأصول هو الاعتقاد أصل الأصول هو التوحيد الذي معه يصحُّ الفقه، يصح العمل، تصح العبادة، يصح الحكم والإفتاء إلىٰ آخره.

فإذن أهل الرُّسوخ في العلم يعلمون أن العلم علمان علم في الخلق موجود يعني جعله الله جل وعلا في القدر جعله موجودًا في الخلق لما أنزل في كتابه أو علىٰ لسان رسوله ﷺ.

وشيء كثير من مسائل القدر حجبها الله جل وعلا عن عباده، لهٰذا فإن أهل الرسوخ في العلم يبسطون من مسائل القدر بما جاء في الأدلة، ويطوون من مسائل القدر ما لم يأتِ في الأدلة.

فلذلك كل ما لم يكن مبسوطا عند أهل العلم الراسخين من أهل الحديث والسنة والجماعة، فإن هٰذا العلم يعني الذي تكلم فيه الآخرون ينبغي أن لا يتكلم فيه كل أحد؛ لأن ما طوىٰ الله جل وعلا عنا علمه فإن الخير في أن لا نبحث فيه، لهٰذا قال: (**وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ**) يعني في النوع الذي هو من العلم المفقود (**ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ، وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ، فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ طَوَىٰ عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ**).

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ كُفْرٌ**) لأنه غيبي ومن ادّعىٰ الغيب الذي اختصّ الله جل وعلا به فإنه كافر، وذلك لقوله جل وعلا: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾[الجن]، جل جلاله، وقال سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام:٥٩].

وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ[1] وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾[لقمان]، فهٰذه الخمس اختصّ الله جل وعلا بها، لهٰذا علم القدر من علم الغيب، وعلم الغيب عام يشمل القدر ويشمل غيره، لهٰذا قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَا يَثْبُتُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِقَبُولِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ، وَتَرْكِ طَلَبِ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ**.) المؤمن الحق لا يخوض في القدر إلا بحثًا عن العلم الموجود فيؤمن به وأما العلم المفقود فيترك طلبه.

قال بعد ذلك رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ**)، (**نُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ**) اللوح والقلم تعلّق بالقدر من جهة أن القدر من مراتبه الكتابة، مراتب الإيمان به الكتابة، والكتابة كانت بالقلم في اللوح، ولهٰذا لا يتم الإيمان بالكتابة إلا بالإيمان باللوح والقلم، والله جل وعلا أقسم بالقلم فقال

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط التّاسع عشر.

سبحانه: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾[القلم]، ﴿وَٱلۡقَلَمِ﴾ هٰذا هو القلم الذي كتب به القضاء كتب به القدر في أحد وجهي التفسير.

واللوح ذكره الله جل وعلا في كتابه في غير ما آية كقوله جل وعلا ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢﴾ [البروج]، وسماه سبحانه كتابا مكنونا فقال: ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة]، وسماه أم الكتاب فقال سبحانه: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ۝٣٩﴾ [الرعد]، وسمي لوحا لما فيه من البهاء والنور والإضاءة لأنه يلوح بمعنىٰ أنه يظهر ويبين لما فيه من النور.

فالإيمان باللوح والقلم من الإيمان بكتابة الله جل وعلا، ونؤمن بجميع ما في اللوح رُقم، كل ما كتبه الله جل وعلا نؤمن به، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وما كتبه الله لابد أنه كائن، لهٰذا قال بعده: (**فَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَىٰ شيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ؛ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ**) إلىٰ آخر كلامه.

إذا تبيّن هٰذا ففي مسألة اللوح والقلم عدة مسائل:

**الأولى**: وأن اللوح جاء وصفه في حديث حسّنه طائفة من أهل العلم ويحتاج في بحث إسناده إلىٰ مزيد نظر، فيه أنَّ اللوح كما جاء في الحديث «**خلق الله اللوح من درّة بيضاء**» ووصفه بأن حافتيه الدر والياقوت؛ يعني غطاء هٰذا اللوح أو دفتا هٰذا اللوح من در وياقوت، وصفحات هٰذا اللوح حمراء، جعل الله جل وعلا هٰذا اللوح كما وصفه بعض السلف علىٰ يمين العرش، وهو بين جبين إسرافيل لا يَنظر فيه.

وجاء أيضا أن الله خلق القلم وجعله من نور، وأن طوله ما بين السماء والأرض، وأن اللوح المحفوظ طوله ما بن السماء والأرض وعرضه كما بين المشرق والمغرب.

وهٰذا كما ذكرتُ لك يحتاج إلىٰ مزيد بحث لكن يذكره العلماء من أهل السنة وتتابعوا عليه في حديث رواه يعني في أصل وصف اللوح والقلم رواه الطبراني وغيره وحُسِّنَ إسناده كما ذكرت لك، وقد ساقه أو ذكر الحديث شارح الطحاوية وغيره.

**المسألة الثانية**: أنَّ القلم الذي كتب الله جل وعلا به القدر كُتب به ما يتعلق بهٰذا العالم؛ يعني كُتِب به القدر إلىٰ قيام الساعة كما جاء في الحديث الصحيح حديث عبد الله بن عمرو أنّ النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال: «**قدر الله مقادير الخلائق** -يعني كتب مقادير الخلائق- **قبل أن يخلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه علىٰ الماء**» فالقلم متعلقةٌ كتابته في اللوح المحفوظ بما هو كائن إلىٰ قيام الساعة.

**المسألة الثالثة**: أنّ القلم لما خلقه الله جل وعلا أمره أن يكتب، فجرىٰ بما هو كائن إلىٰ قيام الساعة، كما جاء ذلك في حديث عُبادة بن الصامت الذي رواه أبو داود والترمذي والإمام أحمد وجماعة بألفاظ متقاربة، وفيه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب. فجرىٰ بما هو كائن إلىٰ قيام الساعة**» وهٰذا لفظ أبو داود وغيره، وجاء أيضا بلفظ «**أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب.**

**فجرىٰ بما هو كائن إلىٰ قيام الساعة»**.

ولهٰذا اختلف العلماء هنا في هل هٰذا الحديث علىٰ ظاهره في أن أول المخلوقات القلم أو أن هٰذا الحديث له معنىٰ آخر؟ وجعلوا هٰذا الحديث وحديث عبد الله عمرو من الأحاديث التي ينبغي الجمع بينها وهٰذا هو:

**المسألة الرابعة**: وهو الجمع ما بين الحديثين، فتلحظ أن حديث عبد الله بن عمرو فيه قال: «**قدر الله مقادير الخلائق**» ولما قدر يعني كتب كان عرشه علىٰ الماء، وفي حديث عبادة قال: «**إن الله أول ما خلق القلم قال له: اكتب**» فيقتضي حديث عبادة أن الأمر بالكتابة كان مرتّبا علىٰ ابتداء الخلق خلق القلم، وتقدير القدر كان قبل خلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة والعرش علىٰ الماء.

فدل حديث عبد الله بن عمرو علىٰ وجود تقدير وعلىٰ وجود العرش -خلق العرش- وعلىٰ خلق الماء.

ودل حديث عبادة علىٰ أن خلق القلم تبعه قول الله جل وعلا للقلم: اكتب فجرىٰ بما هو كائن إلىٰ قيام الساعة، وهٰذا الترتيب جاء في حرف الفاء الذي يدل في مثل هٰذا السياق علىٰ أنَّ هٰذا بعد هٰذا دون تراخٍ زمني.

لهٰذا اختلف العلماء في هٰذه المسألة في الجمع بين هذين الحديثين هل القلم أول المخلوقات أم العرش خُلق قبله علىٰ قولين للسلف فمن بعدهم:

**والقول الأول** وهو قول جمهور السلف كما نسب ذلك إليهم شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره قال -يعني القول الأول-: إنَّ العرش قبل القلم وكذلك الماء قبل القلم.

**والقول الثاني** أن القلم هو أول المخلوقات والعرش والماء بعد ذلك وهو قول طائفة من أهل العلم.

الترجيح ما بين هذين القولين هو أن الأحاديث يجب الجمع بينها وعدم تعارضها، وحديث عبادة بن الصامت في قوله عليه الصلاة والسلام «**إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب**» يقتضي أن الكتابة كانت بعد خلقه وحديث عبد الله بن عمرو يقتضي تقدم وجود العرش والماء علىٰ حصول الكتابة.

فدلّ هٰذان الحديثان علىٰ أن العرش والماء موجودان قبل، وأن خلق القلم تبعته الكتابة، ولهٰذا نسبه شيخ الإسلام إلىٰ جمهور السلف بأن القلم موجود بعد العرش والماء، وهٰذا تدل عليه رواية «**أولَ ما خلق الله القلم قال له: اكتب**» يعني حين «**أولَ**» بمعنىٰ حين، «**أوّلَ ما خلق الله القلم قال له أكتب**» حين خلقه قال له: اكتب، وهٰذا هو معنىٰ «**إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب**» لأن الجمع بين الروايات أولىٰ من تعارضها.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه التِّبْيَان أن قوله «**إن أول ما خلق الله القلم**» ورواية «**أول ما خلق الله القلم**» إما أن تُجعل جملتين أو جملة واحدة وقد ذكر هٰذا النقل شارح الطحاوية فترجعوا إليه.

وخلاصة البحث هو ما ذكرت لك من التقدير، فإن قوله «**إن أولَ ما خلق اللهُ القلم**» «إن أول ما خلق

الله القلم» هنا برفع القلم يكون خبر (إن) يعني إن أول الذي خلق الله، إن أول المخلوقات القلمُ فقال له: اكتب، وإذا كان أول المخلوقات فكيف يفسر مع حديث «**وكان عرشه علىٰ الماء**» الذي ذكرته لك، فقوله إن أول المخلوقات أو أول ما خلق الله أو أول الذي خلقه الله، يُفهم علىٰ أن القلم جرىٰ بما هو كائن إلىٰ قيام الساعة قبل خلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، فالقلم متعلّق بما كتب في اللوح المحفوظ، متعلّقا بما يحدث في هٰذا العالم المخصوص لا في مطلق الأشياء، لهٰذا عُلّق بأنه إلىٰ قيام الساعة.

فإذن يُفهم لما كان التعلق تعلق الكتابة بهٰذا العالم الذي جرىٰ التقدير عليه إلىٰ قيام الساعة، يُفهم أن القلم لما تعلق بهٰذا العالم كتابة لتقديره ولقدره ولآجاله إلىٰ آخره فإنه من هٰذا العالم؛ لأنّ العوالم أجناس والله جل وعلا جعل لمخلوقاته أقدارًا وأجناسًا.

فإذن يُفهم قوله: «**إن أول ما خلق الله القلم**» يعني من هٰذا العالم فالقلم قبل السَّمٰوات وقبل الأرض وقبل الدخان الذي خلق منه السَّمٰوات والأرض، وكل ما يتصل بهٰذا العالم المرئي المشاهد، فالقلم هو أول المخلوقات، أما العرش والماء فليسا متعلقين بهٰذا العالم.

فإذن إعمال الحديثين مع ما يتّفق مع عقيدة أهل السنة والجماعة واضح لا إشكال فيه، فيكون ذلك هو تقرير هٰذه المسألة.

وقد لخّص ابن القيم المسألة في نونيته وبحثها مفصلا في كتابه «التبيان في أقسام القرآن»، وفي غيره فقال في النونية رَحِمَهُ اللَّهُ:

والناس مختلفون فى القلم الذى ... كتب القضاء به من الديَّان
هل كان قبل العرش أو بعده ... قولان عند أبىٰ العلا الهمذانى
والحق أنَّ العرش قبل لأنه ... عند الكتابة كان ذا أركان

فهٰذا القول كما ترىٰ من تقريره مع دليله هو الصحيح، وهو الموافق لفقه النَّص وفقه خلق العالم وآثار فعل الله جل وعلا في ملكوته، ومتّفق مع القول بأن الله جل وعلا ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، وأن قبل هٰذا العالم ثَم عوالم أخرىٰ، والله جل وعلا يخلق ما يشاء ويختار، وأنّه ثَم أشياء أخرىٰ بعد قيام الساعة، والقلم متقيّدٌ بما خلقه الله جل وعلا له، والله سبحانه له الأمر كله يقضي ما يشاء ويحكم ما يريد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

**المسألة الخامسة**: جاء في حديث أنس الذي رواه البخاريُّ وغيره في قصة الإسراء أن النبي عليه الصلاة والسلام ذكر عروجه إلىٰ الله جل وعلا ليلة المعراج، ثم قال في وصف ارتفاعه عليه الصلاة والسلام: «**ثم إني رُفِعت لمستوًىٰ أسمع فيه صريف الأقلام**» وهٰذه الأقلام غير القلم الذي كتب به القدر فإن ذلك القلم من نور كُتب به القدر في اللوح المحفوظ، وأما هٰذه الأقلام فهي التي بأيدي الملائكة أقلام يُكتب بها وحي الله جل وعلا إلىٰ ملائكته مما يوكّلون به من الأشياء، فهم يكتبون أمر الله جل وعلا، وله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كلمات لا تنقضي كما قال جل وعلا: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن

بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾[لقمان:٢٧]، فالله جل وعلا كلماته الكونية لا تنفذ يأمر وينهىٰ ﷻ في ملكوته والملائكة تكتب، فهٰذه الأقلام نوع آخر، ولك أن تقول: هٰذا هو النوع الثاني وهي أقلام الوحي التي بأيدي الملائكة يكتبون ما يوحي الله جل وعلا به في سَمَائه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك: (فَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ) يعني في اللوح (أَنَّهُ كَائِنٌ؛ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ؛ لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ.) وهٰذه العقيدة هي حقيقة الإيمان بالقضاء والقدر في أنْ يعلم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنه لو فعل ما فعل فإنه لن يحجز قضاء الله جل وعلا وقدره، لم؟ لأنه لا يمكن أن يفعل خلاف ما قدَّر الله جل وعلا، لهٰذا وجب التسليم لله جل وعلا في أمره، ووجب في أمر المصائب التي لا اختيار للعبد فيها أن يسلِّم لله جل وعلا ذلك، وأن يؤمن بقضاء الله جل وعلا الذي يقضيه.

وقضاء الله جل وعلا كما ذكرت لك هو إنفاذه ما قدَّر جل وعلا وهٰذا القضاء له جهتان:

جهة متعلِّقة بالله جل وعلا وهي فعله ﷻ، وفعله بأن يقضي صفة من صفاته فهٰذه يجب علىٰ العبد أن يحبها وأن يرضىٰ بها لأنها صفة من صفات الله جل جلاله.

وللقضاء تعلُّقٌ آخر للعبد لا بالرب فيكون مقضيا علىٰ العبد، والمقضي علىٰ العبد نوعان: مقضي عليه من جهة المصائب، ومقضي عليه من جهة المعايب.

والمصايب ربَّما كان لا اختيار له فيها، والمعايب فعلها بإرادته.

لهٰذا بحث العلماء مسألة الرّضا بالقضاء وهل القضاء تسليم له يعني الرضا به، وتحقيق القول في هٰذه المسألة أن تعلم أن القضاء غير المقضي، المقضي هٰذا تعلُّقُ القضاء بالعبد، والقضاء هو قضاء الله جل وعلا وهو فعله، وقد يقال فيما يتعلق بالعبد: هٰذا قُضي عليه وصار قضاء عليه، فيكون قضاءً بالنسبة للعبد وهو مقضي.

لهٰذا نقول: جهة الرَّب جل وعلا في القضاء هٰذه نرضىٰ بها ونحبها.

وأما ما يقضيه الله جل وعلا علىٰ العبد فإنه ما كان من المعايب من المعاصي والآثام التي تقع منه فإنه يجب عليه أن لا يرضىٰ بها؛ يعني وقعت عليه لكن يجب عليه أن يكره ذلك الذي وقع منه ولو كان قضاء، ويجب عليه أن يسارع بالانسلاخ من آثاره بالتوبة والإنابة، فلا يُحب هٰذا العيب ولا هٰذا الذنب مع أنه قضاء ولا يرضىٰ به؛ بل يسارع في تخليص نفسه منه.

وأما ما كان من قبيل المصائب التي يصاب بها العبد فإنّ الرضا بها مستحب غير واجب، أصيب بمصيبة فإن الرضا بها مطلوب لكنه مستحب، كما قال جل وعلا: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[التغابن:١١]، قال علقمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضىٰ ويسلّم. فالرضا بالمقضي

الذي هو من المصائب مستحبٌّ لا واجب بالنظر إلىٰ تعلّقه بالعبد وهو المقضي، أما بالنظر إلىٰ تعلقه بالله فسواء كان من المصايب أو من المعايب فإنه يجب الرّضا عن الله جل وعلا بأفعاله وصفاته ومحبة أفعال الله جل وعلا؛ لأنّ الله جل وعلا يفعل ما يفعل عن حكمة عظيمة، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾[التوبة]، فالله جل وعلا يقضي بحكمته ما يشاء، وله الحكمة البالغة، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

فإذن تلخّص من ذلك أن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ويتصل بهٰذا البحث، أو نطويه قد يطول علينا، مباحث القدر طويلة ترجعون إليها إن شاء الله تعالىٰ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذلك: (وَعَلَىٰ الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا، لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ وَلَا مُعَقِّبٌ) يعني له ناقض ولا معقب (وَلَا مُزِيلٌ وَلَا مُغَيِّرٌ، وَلَا نَاقِصٌ وَلَا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، وَذَلِكَ) يعني هٰذا الذي أشار إليه (مِنْ عَقْدِ الْإِيمَانِ) يعني مما يجب أن يعقد عليه القلب إيمانا به، وقال: (عَقْدِ الْإِيمَانِ) يعني من ما يجب في الإيمان يكون عقيدة يؤمن بها، (وَأُصُولِ الْمَعْرِفَةِ) يعني أصول العلم لله جل وعلا (وَالِاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَىٰ وَرُبُوبِيَّتِهِ)، ويريد بتوحيد الله في هٰذا الموطن توحيد الله جل وعلا في تصرُّفه في ملكه وفي عبادته، فإن العبد إذا اعترف بأن الله جل علا هو المتصرف في ملكه، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو المدبر وهو الرب جل جلاله فإنه يوحِّد الله في قدره، ويوحد الله جل وعلا في أفعاله كما يوحد الله جل وعلا في ربوبيته بعامة، ففي الحقيقة من تأمل توحيد الرُّبوبية وآمن حقا بربوبية الله جل وعلا فإنه يؤمن بالقدر؛ لأنّ الإيمان بالقدر من ثمرات الإيمان التام بربوبية الله جل وعلا، فإن المؤمن بالربوبية بأن الله جل وعلا هو الرب المتصرف في ملكه هو السيد المطاع هو الذي لا معقِّب لحكمه ولا راد لأمره هو الذي ما شاء كان هو الذي لا يُغالَب في ملكه وهو الذي يعطي ويمنع ويخلق ويرزق ويميت ويحيي من آمن بالربوبية علىٰ تفاصيلها فإنه لن يجادل في القدر؛ لأنه يعلم أنه مربوب مستسلم لله جل وعلا.

ختم ذلك بقول (كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾[الفرقان]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾[الأحزاب].) قال (فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ فِي الْقَدَرِ خَصِيمًا، وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا، لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهَمِهِ) الوهَم بالتحريك وهَم: الفهم أو الإدراك أو الذهن أو ما أشبه ذلك، والوهْم بالسكون هو الغفلة عن الشيء، نقول: هٰذا وهْم يعني هٰذا غلط وغفلة ونحو ذلك، أما الوهَم فهو الإدراك والفهم إلىٰ آخره.

قال: (لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهَمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ) يعني بذهنه وبفهمه وتفكيره (فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا.).

فأسأل الله جل وعلا أن يكتب لي ولكم الإيمان التام بقدر الله جل وعلا، وأن يجعلنا ممن سلَّموا لله

جل وعلا، وآمنوا بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته حقا وصدقا دون تردد ودون ريب ودون معارضة لما أمر الله جل وعلا به وقضىٰ.

[الأسئلة]

نجيب عن بعض الأسئلة.

سؤال (٢٤٠): إن من ضابط الكبيرة ما توعِّد فيه بنفي الإيمان، فهل كل نص نُفي فيه الإيمان دال علىٰ أن مرتكبه فاعل للكبيرة، نرجو بيان الضابط في ذلك حيث أشكل هٰذا علىٰ بعض الأخوة؟

**الجواب**: هٰذه المسألة أصلها أن الله جل وعلا حرم أشياء، وقَسَم جل وعلا المحرّمات إلىٰ قسمين: إلىٰ كبائر وإلىٰ صغائر. فقال جل وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾[النجم:٣٢]، فجعل ثم كبائر وثم صغائر، وقال جل وعلا أيضا: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾[النساء]، وصحّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**الكبائر سبع**» وفي الحديث المتفق علىٰ صحته «**اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله والسحر**» إلىٰ آخره.

فإذن انقسام المحرَّمات إلىٰ كبائر وصغائر أمر مقرر في الشريعة في القرآن وفي السنة وعليه أكثر أهل العلم أو غالب أهل العلم.

وقال آخرون: إنَّ الذنوب كلها كبائر؛ لأن الصغيرة إذا نظر فيها إلىٰ حق من عُصي بها فهي كبيرة، واستدلوا لذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، بلىٰ إنَّه كبير**» فجعله ليس بكبير ثم أثبت أنه كبير، فقالوا: إنَّ الذنب لا يكون صغيرا.

وهٰذا غلط ممن قال به لأن النصوص دالة علىٰ التقسيم، ثم النبي عليه الصلاة والسلام قال في ذكر المكفرات: «**الصلاة إلىٰ الصلاة، والجمعة إلىٰ الجمعة، ورمضان إلىٰ رمضان= مكفرات لما بينهما ما اجتنبت الكبائر**» وصحّ أيضا أنه عليه الصلاة والسلام جاءه رجل وقال يا رسول الله: إني لقيت امرأة في بعض السكك فأصبت منها غير أني لم أنكح. فقال عليه الصلاة والسلام: «**هل صليت معنا؟**» فقال: نعم فقال «**تلك كفَّارتها**» وتلا قول الله جل وعلا: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾[هود]، قال الرجل: يا رسول الله أهي لي أم للناس عامة؟ قال: «**بل هي عامة**» فدل هٰذا علىٰ أن الصغائر تكفر وعلىٰ أن الكبائر لابد لها من التوبة.

اختلف العلماء في ضابط الكبيرة ما هي الكبيرة؟ وبِمَ تُحَد؟ علىٰ أقوال كثيرة جدًّا، لكن الذي نرجحه في ذلك تبعا للمحققين من أهل العلم أن الكبيرة **ما تُوُعِّد فيه يعني ما جاء الدليل بأن صاحبه متوعد بالحد في الدنيا أو بالعذاب في الآخرة** ما كان فيه الوعيد بحد في الدنيا كشرب الخمر والزنا والسرقة والقذف وأشباه ذلك فإن هٰذا أو ما هو أكبر من ذلك فإن هٰذا كبيرة؛ لأنه متوعد صاحبُه بالعذاب بالنار في الآخرة أو بالحد في الدنيا.

وزاد شيخ الإسلام ابن تيمية -اجتهادا منه- علىٰ هٰذا أنه ما جاء النص فيه بنفي الإيمان واللعن فإنه

يدل علىٰ أنه كبيرة ونظمها ابن عبد القوي في منظومته المشهورة التي طُبعت مؤخرا فقال في ذلك في حد الكبيرة:

فما فيه حد في الدُّنىٰ أو توعدٌ بأخرىٰ فَسَمْ كبرىٰ علىٰ نص أحمد

يعني هٰذا الذي نص عليه الإمام أحمد وهو قول جمهور العلماء، قال:

وزاد حفيد المجد أو جا وعيده بنفي لإيمان وطردٍ لمبعد

(وزاد حفيد المجد) يعني الشيخ تقي الدين ابن تيمية:

يعني ما جاء في النص بنفي الإيمان: «**لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه**»، وطرد لمبعد «**لعن الله من غير منار الأرض**» هٰذا يدل علىٰ أنه كبيرة عند شيخ الإسلام.

إذا تبين ذلك فالسائل يسأل عن ضابط نفي الإيمان لأنه في النصوص نُفي فيها الإيمان وبالإجماع أنه ليس بكبيرة كقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» والضابط في نفي الإيمان أنه **ما نفي الإيمان فيه عن من فعل محرما**، أما من لم يفعل المحرم فإن نفي الإيمان ليس من هٰذا الباب لكن من فعل محرما فإن دخول نفي الإيمان علىٰ الفعل المحرم ينقل هٰذا الفعل المحرم من كونه صغيرة إلىٰ كونه كبيرة «**لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه**» أما قوله: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» فهٰذا بالإجماع مستحب، قوله: أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك من الخير بالإجماع علىٰ أنه مستحب، وقال: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**» ونحو ذلك فهٰذا لا يدخل في البحث، وإنما المقصود إذا كان الشيء محرما فاقترن بالشيء المحرم نفي الإيمان عن من فعله. والله أعلم.

سؤال (٢٤١): طيب هٰذا جيد، نقرؤه عليكم حتىٰ يعرف الإخوة ما نعاني يقول: أرفع إليكم هٰذا الاقتراح وهو عبارة عن وجهة نظر قد تصيب وقد تخطئ –وهٰذا صحيح جزاك الله خيرا–، وهو يعبر عن رأي كثير من الطلاب الذين يحضرون هٰذا الدرس المبارك، وهٰذا الاقتراح أن في الدرس يلاحظ أن كثيرًا من الاستطراد والتفصيل في كثير من المسائل وهو وإن كان مهما ومفيدا في ذاته إلا أني أشعر أنه غير مناسب في هٰذا المقام، وذلك لأمور منها:

**واحد**: أن الحضور فيما يظهر ويغلب علىٰ الظن من المبتدئين أو المتوسطين في الطلب فعرض بعض المسائل عليهم فيه تشتيت لأذهانهم وربما لم يستوعبوا الكثير منها، وأعرف بعضا من هؤلاء الطلاب.

**الثاني**: أن المتقدمين في طلب العلم والمتميزين من الممكن أن يُخصّوا بدرس بحيث يبين في بداية الدرس أنه للخاصة وليس لكل أحد.

**الثالث**: أن بعض المبتدئين والمتوسطين ربما فهموا بعض المسائل فهما خاطئا.

**الرابع**: ربما ترك الكثير حضور الدرس والانتفاع به لأنه يشعر أنه لا يفهم كثيرًا منه.

**الخامس**: ربما لم يكن لذكر بعض المسائل حاجة ماسة لجميع الطلاب، ويمكن أن تخص بمن

يحتاجها أو يسأل عنها.

وفي الختام أقترح أن يوزع على الطلاب استبيان شامل لما يتعلق بالدرس كي يستفاد من آراء واقتراحات الطلاب، وأرجو أن لا أكون أثقلت عليكم بكثرة الكلام وأسأل الله ﷻ أن يحفظكم ويبارك فيكم ينفع بكم ويبارك فيكم.

الجواب: جزاكم الله خيرا. هٰذا الاقتراح هو وجيه في نفسه، وفي الحقيقة كما تعلمون أنه لابد من التدرج في طلب العلم، لكننا نقع في حرج في مثل هٰذه الدروس، من لهم الحق الأول وهم الإخوة من الطلاب جزاهم الله خيرا الذين مشوا معنا سنوات في الدروس السابقة، فعلموا شرح «لمعة الاعتقاد»، ثم علموا شرح «الواسطية» ثم الآن شرح «الطحاوية»، فالتدرج في الطلب نمارسه معهم شيئا فشيئا، والعلم له دورة ففي العقيدة مثلا الذي ينتهي معنا إلىٰ شرح الطحاوية وقد علم ما قبلها فقد أخذ دورة كاملة يمكن معه إذا فهم كل ما نقول أن يكون فهم ما ينبغي فهمه في مسائل الاعتقاد.

أما القول بأن هٰذا للخاصة فهٰذا في الحقيقة درس للمتوسطين أو ما هو أقل من المتوسط؛ لأن العلم واسع وكثير لكن هٰذا بلا شك أنه عند من لم يسمع ما قبله فإنه ربما يكون صعب كثيرًا؛ لكنه مثلا في هٰذا الشرح تجد مسائل فيها تقرير أكثر من التقرير الذي في «الواسطية»، والواسطية ذكرنا تقرير أشياء أكثر مما كان قبلها، وهكذا هٰذا هو الذي ينبغي علىٰ طالب العلم أن يترقىٰ فيه.

فالذي يحضر وهو لم يؤهّل لهٰذا المستوىٰ مثلا وصعُب عليه بعض الأشياء لعدم تقدم منهجية له في الطلب قبل ذلك فإنه يصبر معنا ويراجع، يفهم ما يفهم، والشكوىٰ علىٰ الله فيما لم يفهم، وإما أن يجتهد هو في أن يفهم الجميع، وهو لابد له أن يحصِّل ما أحب أنه لا يفهم أو أنه لا يستفيد فكونه يحضر عند من يستفيد منه ويرقيه في العلم أولىٰ.

ولا شك الدروس دائما نواجه فيها بمثل هٰذا، يأتي واحد يقول هٰذا صعب، الثاني يقول اليوم ما جبت شيئا زيادة يعني، والواحد يقع في حرج في مثل هٰذه المسائل، والعلم واسع العلم كثير كما يقول العوام: العلم بحر، صحيح العلم بحر.

هو تكلم جزاه الله خيرا، وعبارته عبارة طالب علم أثابه الله، تكلم عن جملة من الإخوة الموجودين لأننا نشوف كثير منهم ممن قد لا يمشون معنا خاصة في مسائل القدر، تأتي الآن مسائل العرش والكرسي والملائكة ومسائل كثيرة سهل تقريرها ما في زيادة يعني شيء صعب.

والقدر كما ذكرنا لكم فيه أشياء محدودة.

سؤال (٢٤٢): هٰذا سؤال يتعلق بشبهة في القدر.

الجواب: الشبهات المنهج فيها حتىٰ نتفاهم مع من عرضت له حتىٰ يستوعب إن شاء الله تعالىٰ، ما تلقىٰ علىٰ العامة لأنه يمكن فيه ما لا شبهة عنده.

سؤال (٢٤٣): لا يخفىٰ أن كتب الأصول في كثير من المسائل التي لها خلفية اعتقادية كالاعتزال أو

أشعرية ونحوها فما نصيحتكم لطالب العلم الذي يقرأ في كتب الأصول؟

**الجواب**: كتب الأصول، أنا لا أعلم كتابا في الأصول سلم في العقيدة؛ يعني من الكتب التي تستحق أن[1] تكون كتب أصول، فيه كتب للمتأخرين للمعاصرين سهلة ما فيها إلا بعض المسائل للمبتدئين ونحو ذلك لا تدخل في ضمن الكلام؛ لكن كتب الأصول المعروفة لا تسلم من الغلط في العقيدة؛ لكن بعضها يكثر ككتب المعتزلة المعتمد وغيره وبعض تلك الكتب يكثر فيها الأغلاط علىٰ مذهب الأشاعرة كالمحصول وأشباهه، والبعض يكون لا بأس به يعني فيه جمل كبيرة أو قليل فيه الغلط كروضة الناظر لابن قدامة وككتاب ابن النجّار الكوكب المنير شرح المختصر وككتاب الشوكاني الذي لخص فيه بحر المحيط الذي سماه إرشاد الفحول ونحو ذلك هٰذه فيها معلومات والغلط فيها في العقيدة قليل.

والحقيقة أن كتب الأصول كتبت للفن يعني لتقرير فن الأصول.

والذي أراه أن طلاب العلم اليوم مقصدهم من العلم هو أن يفهموا الكتاب والسنة، والأصول آلة، فكنت أتمنىٰ ولا أزال أن يوجد مؤلف يكتب في الأصول للانتفاع به في فهم نصوص الكتاب والسنة؛ يعني مسائل أصولية تُعرض بتقرير ما إذا فهمه الطالب كان له أثر في فهم نصوص الكتاب والسنة في العقيدة والفقه، وهٰذا لو اعتنىٰ به بعض الإخوة فإنهم سيُفيدون غيرهم فيه خاصة من له عناية بالعقيدة وبتحرير المسائل في الفقه؛ لأنه سيجد أن كثيرًا من المسائل الأصولية ينتفع بها لا شك العالم وطالب العلم لكن قد تكون تطبيقاتها قليلة جدا، والمسائل التي يكثر تطبيقها يحتاج إليها تكون في غمرة تلك المسائل، فإذا كان هناك عالم أو طالب علم متمكّن وكتب هٰذه المسائل في مقدمات الأصول الخلافية أو في أركان الأصول الأربعة وبحثها فإنه سينفع لا شك الطلاب نفعا عظيما؛ لأن طالب العلم بحاجة ماسة جدا إلىٰ الأصول ولكن المحتاج إليه في العقيدة وفي الفقه من مسائل أصول الفقه المعروفة فإنه ليس بالكثير فإنما هو يعني متوسط ليس بالكثير يعني بالأكثر فإنما هو متوسط، حبذا لو تحققت هٰذه الأمنية أعان الله الجميع علىٰ ما فيه رضاه.

سؤال (٢٤٤): هل من سُلب التوفيق وكان له الخذلان يستطيع أن يهتدي بما أعطاه الله من الآلات؟

**الجواب**: هٰذا مبني علىٰ عدم فهم التوفيق والخذلان يراجع معنىٰ التوفيق والخذلان.

نكتفي بهٰذا القدر.

---

(١) انتهىٰ الشريط التاسع عشر.

## الدّرس الخامس والعشرون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله حق الحمد وأوفاه، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله ومصطفاه، صلىٰ الله عليه وعلىٰ إلٰه وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

اللّٰهمَّ إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ ومن العمل ما ترضىٰ، اللّٰهمَّ هيّئ لنا من أمرنا رشدا واجعلنا من عبادك الصَّالحين الذين رضيت قولهم ورضيت عملهم.

[الأسئلة]

نجيب علىٰ بعض الأسئلة بين يدي الدرس.

سؤال (٢٤٥): هل النبي عليه الصلاة والسلام يُحبّ لذاته؛ لأن ذاته حميدة، أم يحب لله جل وعلا لما اتصف من النبوة والرسالة؟

**الجواب**: هٰذا سؤال جيد، نبينا عليه الصلاة والسلام جمع من الأوصاف والعلل والأسباب التي من أجلها يُحب المحب من أحب جمع كل الأسباب والأوصاف، فهو عليه الصلاة والسلام يحَب من كل جهة:

**يُحبّ** لله جل وعلا؛ لأن الله جل وعلا أمر بحبه عليه الصلاة والسلام.

**ويحبّ** لأن الله جل وعلا اصطفاه وفضله وجعله رسولًا ورحمة للعالمين.

**ويحبّ** عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ؛ لأن الله خصه بالقرآن وخصه بالآيات والبراهين وخصه بما لم يخصّ به الأنبياء والرسل.

**ويحبّ** عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لأجل جهاده في الله حق الجهاد ونصحه لهٰذه الأمة وتبليغه رسالة ربه جل جلاله.

**ويحبّ** عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لعظم الإحسان لكل أحد، فما من أحد إلا وهو قد أحسن إليه عليه الصلاة والسلام أيما إحسان، وإذا كان الناس فيما بينهم يحبُّون من أحسن إليهم كما قال شاعرهم:

أحسن إلىٰ الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

فنبيُّنا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أحسن أيما إحسان وأفاض علىٰ هٰذه الأمة من إحسانه وفضله عليه الصلاة والسلام بما بلغ من رسالة ربه واقتدىٰ بهدي ربه جل وعلا، فيُحبّ لذلك أعظم المحبة عليه الصلاة والسلام، فلو لا أنّ الله جل وعلا منَّ علينا ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام ثم باتّباعه لكنا من الهالكين، فنبيُّنا عليه الصلاة والسلام يحب لما في عنق كلّ أحد من هٰذه الأمة له عليه الصلاة والسلام من المنّة، فمنّته عليه الصلاة والسلام علىٰ كل أحد، ولهٰذا جعل الله جل وعلا من جميل ثوابه لنبيه أنّ له مثل أجور أمته، وكل من عمل عملا صالحا من الإيمان وشعبه، فله عليه الصلاة والسلام مثل أجره، والناس يحبّون أيضا بأنواع الصفات، فيحب المحب فلانا لكرمه، ويحبّ المحب فلانا لخلقه ولشجاعته

ولإمامته ولفتواه ولحكمه ولحسن تعامله ولأشياء كثيرة من الخلال والأوصاف ولتعامله مع أهله ولكماله في صفاته وأخلاقه وسجاياه.

والنبي عليه الصلاة والسلام إذا نظرنا إلىٰ كل جهة من هٰذه الجهات فإنه يحب عليها عليه الصلاة والسلام.

ولكن مع هٰذا كله فإن القاعدة عند أهل العلم من أهل السنة أن النبي عليه الصلاة والسلام محبته ليست استقلالا ولكن تبع لمحبة الله جل وعلا، وهٰذا يعظّم شأن نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

وفي الحقيقة من تأمل ذلك حق التأمل فإنه يحبه عليه الصلاة والسلام، وبرهان المحبة قوله جل وعلا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[آل عمران]، وقد قال الشاعر في معرض كلام له لما ذكر بعض الصفات التي ينبغي أن يتحلّىٰ بها من يعظ الناس قال:

..... إن المحبّ لمن يحبّ مطيع

المحبة للنبي عليه الصلاة والسلام ليست مراسيم تنشد ولا أشعار يتباهىٰ بها وليست هي خلافة يتزين بها من يتزين إنما اتبع لسنته عليه الصلاة والسلام وحقيقة المحبة لمن أحب أنه يتبع هٰذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، فهو الرسول المصطفىٰ والخليل المجتبىٰ الذي أرسله الله جل وعلا بالهدىٰ، فطاعته عليه الصلاة والسلام أول ثمرات محبته عليه الصلاة والسلام، لهٰذا إذا عظُمت المحبة فإن الطاعة تكون أعظم، لهٰذا قال من قال من السلف لما كثر الأدعياء: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ وقال آخر: ليس الشأن أن تُحِبَّ ولكن الشأن أن تُحَب، ليس الشأن أن تحب النبي عليه الصلاة والسلام ولكن الشأن أن يحبك النبي عليه الصلاة والسلام، ليس الشأن أن تُحِبَّ الله جل وعلا ولكن الشأن أن يحبك الله جل جلاله، والله جل وعلا لا يحب إلا أهل توحيده والإنابة إليه وخلع الأنداد والشرك؛ الذين يحبون نبيه عليه الصلاة والسلام ويحققون معنىٰ الشهادة له لأنه رسول الله عليه الصلاة والسلام.

سؤال (٢٤٦): يقول: إني أقول الشعر وأكثر ما أخوض فيه الفخر فأفخر بنفسي ومكارم أخلاقي إلا أني أبالغ في بعض الأحيان وما ذاك إلا لأفعل هٰذا الأمر الذي دعوته في شعري فما الحكم في ذلك الشعر بعامة؟

**الجواب**: الشعر حكمه في الشرع أنه كسائر الكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح، ولهٰذا تندرج علىٰ ما يورد الإنسان في الشعر الأحكام الشرعية؛ لأنه محاسب علىٰ كلامه إن قال نثرا أو قال شعرا.

فلهٰذا نبينا عليه الصلاة والسلام قال لحسان: «**أهجهم وروح القدس معك**» واستنشد لأمية بن أبي الصلت إلىٰ مائة بيت؛ أبيات فيها توحيد الله توحيد الربوبية وذِكر بعض آثار الربوبية في خلق الله جل وعلا، فقال لما سمع عليه الصلاة والسلام قال: «**إن كاد ليُسلم في شعره**» أو كما قال عليه الصلاة والسلام فيما هو مروي في الصحيح.

وحسّان شعره سائر وعبد الله بن رواحة شعره سائر وكثير من الصحابة من الشعراء.

فالشعر محمود، ولما قيل للنابغة، وكان قد أسلم وهو من الشعراء المشهورين ومن أصحاب المعلقات، لما قيل له: ألا تنشد الشعر قال ألهاني عن الشعر سورة البقرة وآل عمران، فالشعر ينبغي أن يتقي الله فيه المرء، فالذي يقول الشعر يستخدم هٰذه الملكة التي آتاه الله جل وعلا في نظم الشعر فيما فيه خير له، أما الفخر بالنفس ومكارم الأخلاق والمدح الذي يكون في الوجه الذي لا يكون فيه مصلحة شرعية، فإن هٰذا مما يضرب عنه، ولهٰذا حسن أن تكون شاعرا ولكن لا تكن غافلا عن أن الشعر يحاسب عليه المرء.

- الأسئلة طويلة جدا لو تكون الأسئلة مختصرة، ينقلون كلام طويل ثم يريدون شرحها وتوضيحها وهو يحتاج مقام غير هٰذا المقام.

سؤال (٢٤٧): إذا توضأ الشخص وأراد أن يصلي سنة الظهر وأراد أن ينوي معها سنة الوضوء هل تجزي مع التوضيح جزاك الله خيرا؟

**الجواب**: هٰذا مبني علىٰ أصل مهم أن يعلمه طالب العلم؛ وهو أن النوافل بحسب ما جاء في الأدلة في تأكيدها جعلها طائفة من العلماء علىٰ مراتب:

- فجعلوا آكد النوافل الوتر.
- ثم يليه ركعتي الفجر.
- ثم يلي ذلك الرواتب.
- ثم يلي ذلك في المرتبة الرابعة ما له سبب مثل تحية المسجد وسنة الوضوء وأشباه ذلك صلاة الاستخارة.
- ثم الخامس عامة النوافل والتطوعات.

هٰذه إذا تداخلت اثنتان منها فإنه تدخل التي في مرتبة أدنىٰ في الأعلىٰ إذا ما صلىٰ سنة الوضوء وصلىٰ الراتبة فإنها تكفي عنه، وإذا دخل المسجد -تحية المسجد مما لها سبب- صلىٰ الراتبة فإنها تكفي عنه، وهكذا في نظائره.

فإذن إذا اجتمعت الراتبة مع صلاة لها سبب فإن الصلاة التي لها سبب تدخل فيها، حتىٰ الاستخارة فإذا أراد المرء أن يستخير فإن النبي عليه الصلاة والسلام قال في حديث الاستخارة: «**إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللّٰهمَّ إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك**» إلىٰ آخر الحديث فقوله: «**فليركع ركعتين**» هٰذا يشمل ركعتي الراتبة أو تحية المسجد أو خاصة بالاستخارة، فإذا وجد الركعتين بما هو أعلىٰ كركعتي الفجر أو الرواتب عموما فإنه تدخل هٰذه فتكون صلاة استخارة؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال فليركع ركعتين من غير الفريضة.

إذن هٰذا أصل عام يمكن أن تجيب به، وأن تفهم به كثير من النظائر في هٰذه المسألة.

سؤال (٢٤٨): في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾[لقمان:٣٤]، البعض يقول الله جل

وعلا لم يقل وما تدري نفس ماذا تعمل غدا؛ لأن الإنسان قد يعلم ماذا يعمل إذا فلهٰذا يقولون إن الكسب لا يعني العمل فما هو القول الصحيح في تفسير هٰذه الآية؟

**الجواب**: الآية هٰذه كنظائرها ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ يعني ماذا تعمل في الغد لأن الكسب بمعنىٰ العمل لكنه عمل يتحصل منه علىٰ شيء وهو أجره سمي العمل في النص كسبا لأنه كأنه شيء يكتسبه مثل واحد يتاجر قالوا: كسب كذا. يعني عمل وخرج له شيء من عمله، فلما كان العمل الصَّالح يؤجر عليه العبد سمي بالنص كسبا، لا بمعنىٰ الكسب عند المبتدعة فإن ذلك كما أوضحت لك في الدروس له معنىٰ آخر.

نكتفي بهٰذا القدر، ونبتدئ -إن شاء الله- في الدرس. نعم اقرأ

وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ.
وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ.
مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ.) قدّمتُ لك معنىٰ قوله: (حَقٌّ) فيما سبق وأنّ معنىٰ ذلك أنّ العرش والكرسي يؤمن به علىٰ ظاهره كما جاء في النصوص، وأنه ليس بالباطل؛ بل هو موجود كما وصف الله جل وعلا، فهو حق ثابت لا مِرية فيه.

قال هنا رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ.) سبب إدخاله لهٰذه المسألة في العقائد أن أهل البدع خالفوا أهل السنة في تفسير العرش وفي تفسير الكرسي، فلما كانوا مخالفين لما دل عليه الدليل وكان عليه الصحابة ومن تبعهم بإحسان رضي الله عن الصحابة ومن تبعهم، فإنهم قد خالفوا في أمر غيبي، ومن خالف في أمر غيبي لقد خالف ما يجب معه عقد الإيمان؛ لأن من سمة المؤمن بما أثنىٰ الله جل وعلا عليه أن يعلم الغيب قال جل وعلا في الثناء علىٰ خاصة عباده: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[البقرة]، جعل الله جل وعلا أهل الإيمان لا يلحدون في صفاته وسبب ذلك أنهم يؤمنون بالغيب مدراه علىٰ التسليم، ولذلك فإن المخالفين للكتاب الذين عقدوا ألوية البدعة فإنهم تأولوا وحرفوا أكثر في الأمور الغيبية كما سيأتي بيانه، لهٰذا كان إدخال الإيمان بالعرش والكرسي في هٰذه العقيدة المختصرة كان له مأخذه، ولا شكّ أن الإيمان بالعرش والكرسي حقّ علىٰ ما جاء في ظاهر الأدلّة.

دلّ قوله: (وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ.) علىٰ أنّ معتقد أهل السنة والجماعة أن العرش غير الكرسي فالعرش شيء والكرسي شيء آخر وكلاهما حقٌّ.

إذا تبين هٰذا كتقريرٍ لهٰذه الجملة، فإنَّ بحثها يمكن أن يكون في هٰذه المسائل:

**المسألة الأولى**: أن العرش حق لأن الله جل وعلا ذكره في كتابه في آيات كثيرة فقال جل وعلا: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[الأعراف:٥٤]، ووصف العرش بأنه عظيم، فقال ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1] ووصف عرشه جل وعلا بأنه مجيد، ووصف عرشه بأنه يحمل فقال سبحانه ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾[غافر:٧]، ووصف عرشه أيضا بأنّه يستوي عليه جل وعلا، وأن عرشه جل جلاله موصوف بصفات العظمة التي فاق بها سائر العروش.

فإذن وصف بهٰذه الصفات، وجاء في السنة مزيد في وصفه بأن العرش له قوائم تحمله الملائكة، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**يُصعق الناس فأكون أول من يُفيق، فإذا بموسىٰ باطشٌ** -أو قال آخذ- **بقائمة من قوائم العرش**».

(١) التوبة:١٢٩، النمل:٢٦.

فالعرش إذن مخلوق من مخلوقات الله جل وعلا العظيمة، ومن عِظمه أنه قال فيه عليه الصلاة والسّلام: «**مثل السَّمٰوات السبع للعرش كمثل حلقة أُلقيت في فلاة ومثل الكرسي للعرش كذلك**»(١) يعني كحلقة ألقيت في فلاة وهٰذا الحديث صحَّحه وقواه جمع من أهل العلم، وروي من طرق كما ذكر الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ والبحث يقتضي ذلك.

وصْف العرش في النص جاء بأنه مجيد؛ يعني أنه ذو سعة، وأنه ذو جمال، وجاء بأنه عظيم؛ يعني أنه أعظم من غيره، وجاء في وصف العرش أنه كريم؛ يعني أنه فاق جنس العروش والمخلوقات في البهاء والحسن والعظمة؛ لأن لفظ كريم يعني أنه فاق غيره في الأوصاف التي يحمد فيها، فقول العرب للإنسان الجواد الذي يبذل الندىٰ ويذل الطعام: أنه كريم داخل في معنىٰ كريم في لغة العرب.

لهٰذا من فاق غيره في الأوصاف فإنه كريم، ومن أسماء الله جل وعلا الكريم الذي بلغ المنتهىٰ بعلو صفاته وحسن أسمائه بحيث لا يشابهه ولا يناسبه شيء فيما وصف به جل جلاله، ووصف النبي عليه الصلاة والسلام بأنه كريم لذلك؛ بل وصف في القرآن أن النبات كريم لأجل ذلك، فقال سبحانه: ﴿أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧﴾[الشعراء]، يعني الأزواج التي تفوق غيرها وجنسها في النضرة والبهاء وما خلقه الله جل وعلا.

فإذن يقتضي وصف العرش في النص بأنه كريم «**رب العرش الكريم**» في الحديث، يقتضي ذلك أن العرش من جنس العروش؛ يعني أنه له صفة العروش يعني أنه عرش علىٰ ظاهره لكنه فاقها في جميع الصفات التي توصف بها العروش.

فإذن هو عرش علىٰ الحقيقة ليس علىٰ المعنىٰ، هو عرش علىٰ الحقيقة، وفاق جنس العروش، والله جل وعلا في القرآن ذكر العرش عرش المخلوقين وعرش الملوك بآيات كثيرة فقال مثلا في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾[يوسف:١٠٠]، وقال سبحانه في وصف عرش بلقيس قال: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝٢٣﴾[النمل]، وقال سبحانه: ﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾[النمل:٤١] ونحو ذلك.

فإذن العرش هٰذا معناه، فيما جاء في الأدلة، وهٰذا عرش الرَّحمٰن، ووُصف في الأدلة في الكتاب والسنة بهٰذه الأوصاف، وأن العرش يحمل، وأن له قوائم، وأنه يدار حوله من الملائكة، وأنه مُقَبَّب كالقبة فوق سمواته، كما جاء في الحديث الذي في السنن واعتمد ما دل عليه من جهة العرش أهل العلم لما جاء عن الصحابة تقوية ذلك بأن عرشه علىٰ سمواته هكذا وأشار بيديه مثل القبة، فقال أهل العلم إن العرش مقبب، وكونه مقبب لا يعني أنه أصغر كما يدل عليه النظر العقلي، مثل تقبيب سطح الأرض علىٰ

---

(١) لعل الشيخ يريد أن يقول: مثل السموات السبع للكرسي كمثل حلقة ألقيت في فلاة ومثل الكرسي للعرش كذلك يعني كحلقة ألقيت في فلاة. والله أعلم.

مستوىٰ الهوىٰ فيها فإنه مقبب عليها وهو أعظم منها فكيف بالعرش.

**المسألة الثانية**: في معنىٰ العرش في اللغة.

العرش في اللغة مأخوذ من الرفع والارتفاع كما قال جل وعلا في ذكر فرعون: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾[الأعراف]، يعني يبنون ويرفعون من الأبنية، وقال جل وعلا: ﴿جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾[الأنعام:١٤١]، المعروشات يعني التي جُعل لها البناء الذي يسمىٰ تعريش أو العريش، ولأجل هٰذا الارتفاع والعلو سمي العرش عرشا، فكلمة عرش والتعريش ونحو ذلك مأخوذة أو أصلها من ارتفاع، ولهٰذا حتىٰ في أكل اللحم إذا أراد أن يأخذ اللحم إلىٰ فيه ويأكله بفيه دون أن يقتطع منه يقال: عرشه؛ عرش اللحم أو عرش اللحم عن العظم ونحو ذلك لأنه يرفعه علىٰ هٰذا النحو.

فإذن مادة العرش في اللغة ترجع إلىٰ الارتفاع وهٰذا التحليل اللغوي المختصر تفيد في الرد علىٰ المخالفين في مسألة العرش.

**المسألة الثالثة**: أن العرش دلت الأدلة علىٰ هٰذا الوصف، أما المخالفون فلهم في العرش أقوال:

**القول الأول**: أن العرش هو فلك من الأفلاك، وهو نهاية الأفلاك مستدير حولها، وهٰذا هو قول أهل الكلام المدوَّن في كتبهم، ويسمُّون الفلك التاسع عندهم الأطلس يعني الذي ليس فيه خروق ولا نجوم، وقالوا وهو المسمىٰ في الشريعة العرش لأجل علوه وارتفاعه علىٰ سائر الأفلاك.

وهٰذا علىٰ أصلهم لأنهم جعلوا الأفلاك سبعة ثم الثامن ثم التاسع وهو الفلك الأطلس، ولأجل علوه وارتفاعه جمعوا ما بين الشريعة والفلسفة فقالوا: هو هٰذا الفلك التاسع الذي تسميه الفلاسفة وأهل الهيئة وهم جزء من الفلاسفة يسمونه الفلك التاسع أو الأطلس والعرش.

وهٰذا القول يُردُّ عليه بورود واضحات وهو أن أهل الهيئة سموا فلكهم التاسع أطلس ولم يزعموا - يعني قبل الإسلام- أنه هو العرش، والعرش في النصوص له صفة أخرىٰ غير صفة الفلكيَّة، فوُصف بأن له قوائم وأن الملائكة تحمله وأنه علىٰ السَّمٰوات وأنه مفضَّل علىٰ العروش إلىٰ آخره، فدل علىٰ أنه ليس بفلك، والفلك مسار من المسارات وكرة من الكُرات التي تكتنف الأفلاك الأخرىٰ، فإذن من جهة دلالة النص تُبطل هٰذه الدلالة.

الثاني من الرد عليهم أنَّ الدلالة العقلية أيضا تبطل ذلك، ودليله أن أهل الهيئة والفلاسفة لم يقدِّموا باتفاقهم برهانًا قطعيًّا علىٰ أنه ليس وراء الفلك التاسع كما سموه فلك، وإنما قالوا: هٰذا نهاية ما رأينا بحد وضع الكشوفات، وتقدم هٰذا علىٰ هٰذا إلىٰ آخره فرتبوها بحكم مشاهدة، ولم يقولوا: إنه ليس وراء الفلك التاسع فلك؛ لكن علىٰ هٰذا رتبوا، ولهٰذا لم يقولوا يعني بالبرهان القاطع وإنما قالوا: إن الفلك التاسع هٰذا هو آخر الأفلاك بحكم ما شاهدنا؛ ولكن قد يكون ثم شيء آخر وراءه.

وهٰذا يخالف ما فهموه من كلمة العرش؛ لأنهم أرادوا أن يجعلوا صلة بين العرش وبين كلام

الفلاسفة، والعرش هٰذا الذي ذُكر في النصوص لا يوافق هٰذا المبدأ؛ لأنه آخر المخلوقات والعرش أعظم المخلوقات وما تحته صغير بالنسبة إليه وليس دائريًّا كما ذكروا.

فإذن كلامهم من الجهة العقلية أن لم يأتِ بفرقان يدلُّ علىٰ أنه ليس وراء الفلك التاسع شيء بقرآن قطعي عقلي، وإنما قالوا هٰذا الذي يظهر من جهة النظر، فإن هٰذا يدل علىٰ أن تسمية الفلك التاسع بالعرش أنه ليس بصواب، وهٰذا واضح؛ لأنك قد تجده في بعض كتب التفسير فانتبه من ذلك.

**القول الثاني**: في العرش، أنّ العرش هو عبارة عن المُلك ولكن عبر عن الملك بالعرش لتلازمه معه، فكما أنَّ لملوك الأرض عرشا يجلسون عليه فإن الله جل وعلا جعل لنفسه عرشًا، وهٰذا العرش هو ملكه، ولكن من قبيل تعظيم الأمر.

وهٰذا القول أيضا باطل ومردود؛ لأن الملك ملك الله جل وعلا لا يوصف بتلك الصفات في الشريعة، فإن الملك لا يحمل، والملك ليس له قوائم، والملك ليس ثم ملائكة تدور حوله ونحو ذلك، والملك لا يأتي يوم القيامة محمول ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾[الحاقة]، إلىٰ آخره، أيضا الملك مرتفع معنًىٰ والعرش مرتفع حِسًّا يعني من جهة دلالة اللغة وهٰذا فرق بين.

**القول الثالث**: أن حقيقة العرش هي الكرسي، وأن الكرسي والعرش شيء واحد، وأن الكرسي الذي وسع السَّمٰوات هو العرش، هٰذا هو قول هنا وقول في أقوال الكرسي يأتي بيانه عن شاء الله تعالىٰ، وهٰذا القول منسوب إلىٰ الحسن البصري وهو قول ضعيف؛ لأن:

- الله جل وعلا وصف العرش بصفات ليست هي صفات الكرسي.
- ثم مادة العرش غير مادة الكرسي؛ يعني من جهة الاشتقاق.
- ثم الآثار عن السلف هٰذا الوجه الثالث متضافرة بأن العرش شيء والكرسي شيء آخر.

ولهٰذا عطف الطحاوي الكرسي علىٰ العرش فقال: (وَالْعَرْش وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ.) لأن العطف بالواو يقتضي المغايرة مغايرة الذوات بين الكرسي والعرش.

بالنسبة للعرش نذكر لكم كثيرًا مذهب الأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم فإنهم في العرش مضطربون، ليس لهم مذهب واضح:

منهم من ينحو منحىٰ أهل الكلام.

ومنهم من يقول: العرش مخلوق من مخلوقات الله لا نعرف حقيقة تكوينه، ولا معنىٰ الاستواء عليه ونحو ذلك.

ومنهم من يقول: إن العرش هو الملك.

ومنهم من يقول: العرش تمثيل أصلا ليس فيه عرش وليس ثم شيء، وإنما هو تقريب تمثيل للأفهام.

أما الكرسي فإن الله جل وعلا ذكر الكرسي في آية واحدة في القرآن سميت بآية الكرسي لقوله جل وعلا فيها: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البقرة]، وهٰذه الآية

هي أعظم آية في كتاب الله، قال عليه الصلاة والسلام لأبي «**أي آية في كتاب الله أعظم؟**» فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[البقرة]، فقال: «**ليهنك العلم**» لأن هٰذا يعني أنه فقه معنىٰ هٰذه الآية لأنه لا يدرك كون هٰذه الآية أعظم ما في القرآن إلا أنه علم معانيها ولا شك أن هٰذه تعني علما عظيما.

وفي السنة جاء بيان حجم الكرسي بالنسبة للسَّمٰوات لأن[1] السَّمٰوات السبع بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض والكرسي بالنسبة إلىٰ الأرض مثل ذلك.

وجاء في أثر عن ابن عباس موقوف يصح عنه موقوفا، وروي مرفوعا ولا يصح مرفوعا، وهو قوله ﷺ: الكرسي موضع القدمين لله جل وعلا. وهٰذا يعني أن الكرسي مخلوق من مخلوقات الله عظيم جدا جعله بهٰذا العظم وأنه وسع السَّمٰوات والأرض، وأكثر من ذلك السَّمٰوات صغيرة بالنسبة لكرسي الرَّحمٰن جل جلاله.

**المسألة الثانية**: أن كلمة كرسي من جهة اللغة مأخوذةٌ من الكَرْسِ، والكرس هو الجمع، الكرس هو الجمع في اللغة، ويقال للكرسي المعروف إنه كرسي لأجل أن أعواده تُجمع علىٰ هيئة ما، فالكرسي يختلف عن المقعد الآخر بأنه أعواد مجموعة في اللغة، ومنه سمي أيضا العلماء كَرَاسِي لأجل أنهم جمعوا العلم، لأجل معنىٰ الجمع، وكذلك قيل للورق المجموع علىٰ نحو ما: كُرَّاسة؛ لأنها أوراق جمعت.

فمادة الجمع مادة الكرس تعود إلىٰ الجمع، ويقال: تَكَرَّسَ فلان بالشيء؛ إذا جمعه أو تكرَّس فلان الشيء إذا جمعه إلىٰ صدره أو جمعه إليه.

فإذن مادة الكرسي مأخوذة من الجمع.

وهٰذا يدل علىٰ أن كرسي الرَّحمٰن جل جلاله وتقدست أسماؤه له من الصفات العظيمة ما يختلف به عن صفة العرش؛ لأن الله جل وعلا سمَّىٰ العرش عرشا هٰذه لها دلالتها في اللغة، وسمىٰ الكرسي كرسيا وهٰذه لها دلالتها في اللغة.

**المسألة الثالثة**: في الأقوال في الكرسي.

الناس لهم في الكرسي أربعة أقوال يعني غير أهل في السنة:

أما **القول الأول**: وهو قول الحسن وهو أن الكرسي هو العرش وهٰذا قول ضعيف، الآثار تردُّه كما قلت لك.

**القول الثاني**: أن الكرسي لما ذكر في آية واحدة هي آية الكرسي في سورة البقرة أنه تمثيل وأنه ليس ثم حقيقة للكرسي؛ ولكن هو تمثيل لتقريب عظمة الله جل وعلا، وهٰذا هو قول الذين ينفون كثيرًا من الصفات التي تدل علىٰ عظمة الله وقدرته كقوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ

---

(١)انتهىٰ الوجه الأول من الشريط العشرين.

مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾[الزمر:٦٧]، ونحو ذلك فيقول: إن هٰذا كله تخييل؛ بل قالوا: إن كل نص جاء في الكتاب والسنة من هٰذا القبيل فإنه لأجل التخييل لا تقصد حقائقه، وإنما المقصود تعظيم الناس لله جل وعلا وإلا فهٰذه ليست علىٰ حقائقها.

وهٰذا القول معروف من أقوال المعتزلة وطائفة من الأشاعرة، ومن المعاصرين قرره في تفسيره سيد قطب في ضلال القرآن وجعله قاعدة كلية في آخر سورة الزّمر عند قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾.

وفي الحقيقة إن القول بأن هٰذا كله علىٰ جهة.....إلغاء لكل الدلالات الشرعية للألفاظ وإلغاء لكل الغيبيات لأنه يكون المقصود بكل هٰذا التمثيل، وهٰذا القول قدمه الزمخشري في «الكشاف» وكأنه يميل إليه، وعلىٰ قاعدتهم في أن كل النصوص من هٰذا الباب علىٰ وجه التوهم والتخييل.

وهٰذا القول كما ذكرت لك غلط عظيم؛ لأن معناه نفي كل الأمور الغيبية هٰذه علىٰ هٰذه القاعدة، فما كان من الأمور الغيبية يدل علىٰ عظمة الله وكان فيها تمثيل بأشياء موجودة عند البشر فتنفىٰ ويكون المقصود التمثيل لا الحقيقة.

**والقول الثالث**: أن الكرسي هو العلم، فكرسي الرَّحمٰن جل وعلا هو علمه، وقوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ يعني وسع علمه السَّمٰوات والأرض وهٰذا القول مروي عن ابن عباس ولكن الصحيح أن ابن عباس خلاف هٰذا القول.

ويرد علىٰ هٰذا القول بأمور:

الأول منها أن مادة [...] بالجمع والعلم شيء آخر هٰذا من جهة اللغة.

والثاني أن الله جل وعلا ذكر أن الكرسي وسع السَّمٰوات والأرض؛ ولكن علمه جل وعلا وسع كل شيء، قال سبحانه: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[غافر:٧]، وقال جل وعلا: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] وعلم الله جل وعلا يشمل علمه بذاته جل وعلا وبأسمائه وصفاته وأفعاله، وعلمه... وعلمه الذي يسع الجنة والنار.... جل وعلا بعد تغير السَّمٰوات والأرض وقبل خلق السَّمٰوات والأرض.

فإذن تفسير الكرسي بأنه العلم هٰذا يضاد أن العلم يسع كل شيء ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[غافر:٧]، وأما كرسي الرَّحمٰن جل وعلا فقال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾.

الجواب الثالث: أن قولهم: إن الكرسي هو العلم وأن مادة تكرس راجعة إلىٰ العلم، والعلماء سموا كراسي لأجل العلم ونحو ذلك من الاحتجاجات واحتجاجهم بقول الشاعر يصف قنصه لفريسته:

فلمـــــا احتازهـــــا تكـــــرَّس .....

يعني قالوا.... فهٰذا من الجهة اللغوية فيه ضعف، وذلك أن العلم ليس راجعا إلىٰ الجمع والعلماء

---

(١)النساء:١٧٦، النور:٣٥، النور:٦٤، الحجرات:١٦، التغابن:١١.

صحيح أنهم جمعوا علومهم لكن العلم من حيث هو يحصل بتلقي المعلوم ثم العلم به والمعرفة به، فليس كل علم ناتجا عن جمع؛ بل يكون ناتجا عن تصور الخبر، فيكون معلوما له، وهٰذا هو المقرر في اللغة وعند أهل نظرية المعرفة، فإن المرء يعلم بدون جمع، والله جل وعلا وصف الصغير بقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾[النحل:٧٨]، فكلما علم المخلوق كلما علم الصغير شيئا صار عالما به ولو لم يجمعه إلىٰ غيره، فمادة الجمع غير مادة العلم مادة الكرس غير مادة العلم والعلم ما صار علما للجمع، وإن كان العلماء سموا كراسي لأجل جمعهم العلم.

فإذن راجع تفسير كلمة التكرس إلىٰ كلمة الجمع، واحتجاجهم بقول الشاعر كما ساقه ابن جرير الطبري في تفسيره:

فلما احتازها تكرَّس .....

يدل علىٰ أن التكرس بمعنىٰ الجمع لا بمعنىٰ العلم لم؟ لأنه قال:

فلما احتازها –يعني صارت في حوزته– تكرس وهو علم بأنه قنصها لما صارت في حوزته، يكون تكرسه شيئا جديدا زائدا علىٰ ما حصل له من الحيازة، فالحيازة فيها عَلِمَ وزاد بعد الحيازة أن ضمها وجمعها إليه.

فإذن من حيث اللغة فإن دلالة التكرس علىٰ العلم دلالة ضعيفة؛ بل الصواب أن التكرُّس ومادة كَرَسَ راجعة إلىٰ الجمع في اشتقاقاتها جميعا.

**القول الرابع**: أن الكرسي عبارة عن [الملك] كما قالوا في العرش، وقالوا: إن الكرسي إذا قيل: إن كرسي الملك واسع فهٰذا يدل علىٰ سعة ملكه وعلىٰ علو شأنه وقوته فيقولون أن الله قال: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾[البقرة:٢٥٥]، يعني أن سلطانه وملكه وسع السَّمٰوات والأرض.

وهٰذا ليس بجيد أيضا؛ لأن الكرسي من جهة دلالة اللغة غير دلالته علىٰ الملك، والثاني أن الكرسي موصوف في السنة في آثار السَّلف بأنه غير الملك، فدل ذلك علىٰ أن تفسيره بالملك تفسير حادث والتفسير الحادث بعد زمن الصحابة رضوان الله عليهم لا يصار إليه في تفسير القرآن.

هٰذه بعض المباحث المتعلقة بـ(وَالْعَرْش وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ.) وثم مباحث زائدة يعني قد تدخل في مباحث الكلام المذموم، الذي يهمنا هو تقرير ما دل عليه الكتاب والسنة وما يجب اعتقاده أن العرش والكرسي حق، وأن العرش موصوف بتلك الصفات والكرسي موصوف بتلك الصفات، وأن الأقوال الباطلة في العرش والكرسي متعددة والجواب عليها.

وأسأله جل وعلا لي ولكم التوفيق والسداد.

**المسألة الأخيرة**: هي غير متصلة بالكرسي هي بالعرش والكرسي جميعا، وهي راجعة إلىٰ أثر الإيمان بالعرش والكرسي.



سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

المؤمن إذا آمن بأن عرش الله جل وعلا حق، وأن هٰذه التي ذُكرت هي صفة العرش، وأن عرش الله عظيم جدا وأنه مجيد وأنه كريم، وأن النبي ﷺ حدّث عن أحد حملة العرش بأن مسيرة ما بين عاتقه إلىٰ شحمة أذنه مسيرة خمسمائة عام، وأن السَّمٰوات بالنسبة للكرسي كحلقة في فلاة من الأرض، وأن الكرسي بالنسبة إلىٰ العرش كذلك، وأن الكرسي موضع قدمي الرَّحمٰن جل وعلا، فلا شك أن هٰذا يعود بالمؤمن الحق إلىٰ اعتقاد عظمة الله جل وعلا، وإلىٰ أن الله سبحانه تتناهىٰ المخلوقات عنده في الصغر، وأنه جل وعلا كما وصف نفسه بقوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، وجاء في الأثر أنه يرمي بها يوم القيامة كما يرمي الصغير بالكرة فيقول: أنا الله الواحد أنا الملك إلىٰ آخره.

فمعرفة صفة الكرسي وصفة العرش ويبتدئ المرء من نفسه التي يعظمها وكيف هو علىٰ هٰذه الأرض العظيمة جدا وهو صغير جدا جدا علىٰ هٰذه الأرض، حتىٰ أن المدن الكبار إذا صعدت بالطائرة تراها صغيرة جدا وهي تحوي ملايين الناس، فكيف بالفرد والأرض هٰذه بالنسبة للسَّمٰوات صغيرة، والسَّمٰوات السبع علىٰ سعتها وعِظم ما فيها من الأفلاك والنجوم السيارات بالنسبة للكرسي صغيرة كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض، والكرسي بالنسبة إلىٰ العرش كذلك، والله جل وعلا فوق العرش مستغن عن العرش، وكل شيء محتاج إليه، والله سبحانه محيط بكل شيء إحاطة سعة وقدرة وذات وشمول جل جلاله وتقدست أسماؤه فإن المرء ولاشك يصيبه بل يحصل له في قلبه نوع عظيم من الذل لله جل وعلا، ونوع عظيم من احتقار النفس ومعرفة قدر الإنسان كيف هو، وأنه شرِّف أعظم تشريف أن جعله الله جل وعلا عبدا له سبحانه، ولهٰذا ينظر المرء إلىٰ عظم المخلوقات هٰذه ويؤمن بها ويعظم الله جل وعلا حقيقة الإيمان بأسماء الله جل وعلا وصفاته يثمر ثمرات عملية في القلب من وجل القلوب إجلال من إجلال الله جل وعلا وحب القلوب لجمال الله جل وعلا وأنواع ما يحدث في القلب من الإيمان ومدارك الإيمان التي تتصل بالإيمان بالأسماء والصفات، كذلك الإيمان بالجنة والنار.

كذلك الإيمان بالعرش والكرسي لمن تأمله فإنه يجعل القلب خاضعا لربنا جل جلاله ويجعل القلب مخبتا منيبا لله جل وعلا فإن غفل جاءه تعظيمه وإيمانه وعقيدته بالإنابة السريعة لاستظهار الحق.

فإذن حين نبحث هٰذه المباحث في العقيدة ليست كما يبحثها أهل الكلام المذموم في كونها أشياء لا ثمرة لها علىٰ الإيمان والعمل الصَّالح وتعبد المرء لله جل وعلا، فإن كل شيء وصفه الله جل وعلا لنا من الأمور الغيبية لم يقصد إيماننا به واعتقادنا له من جهة الوجود دون جهة الإيمان وما يثمر منه؛ بل قُصد الإيمان به يعني بوجوده وأثر الإيمان الذي يحدثه في النفس؛ لأن المقصود إصلاح القلوب بالله جل وعلا.

وأنت سمعت قول أولئك من المعتزلة وطوائف من المبتدعة إن هٰذه الأشياء تمثيل لأجل إصلاح الناس وإيمانهم بعظمة الله جل وعلا، والواقع أننا إذا قلنا بما جاء في الأدلة في الكتاب والسنة فإنها في تحصيل الإيمان وفي إحداث الإيمان في النفوس وتقوية الإيمان أعظم من أن تكون للتمثيل؛ لأن ذكرها

علىٰ الحقيقة وعلىٰ هٰذه الصفات يجعل المرء علىٰ الحقيقة يتصور كيف هٰذه المخلوقات جميعا والأرض هٰذه الكبيرة وما فيها ثم السَّمٰوات ثم الكرسي بعد ذلك ثم العرش ثم الملائكة الحافين حول العرش لاشك يحدث له أنواع من الإيمان والوجل والخوف وحب الله جل وعلا وتعظيمه والإنابة إليه، وهٰذا لاشك كله من المقاصد الشرعية.

فإذن الإيمان بهٰذه يحتاج منك إلىٰ تأمل وإلىٰ تدبر في أن تُعْمِل في قلبك هٰذه الأشياء وتتذكر عظمة الله جل وعلا.

عسىٰ الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم من الناجين اللّٰهمَّ اغفر لنا جما، اللّٰهمَّ اغفر لنا جما، اللّٰهمَّ اغفر لنا جما، وعلمنا من نعوت جلالك وأوصاف ذاتك ومخلوقات ما يعظم به إيماننا وتزكو به عقيدتنا، اللّٰهمَّ فأجب وأنت سميع قريب وأنت أرحم الراحمين.

وفي هٰذا القدر كفاية عسىٰ الله جل وعلا أن يرحمنا برحمته وأن يجعلنا من المسلمين إليه المتقين.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

هٰذا الدرس آخر الدروس، فالأسبوع القادم ما عندنا درس، وإن شاء الله نلتقي لمن شاء في الدورة العلمية بعد الاختبارات بإذن الله.

الدورة العلمية في مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية. يقول الأخ الدورة العلمية تبدأ في ثلاثة ثلاثة أنا بإذن الله بإذن الله أسأل الله جل وعلا يعيننا ونشارك فيها إن شاء الله وهي طيبة لأنها ثلاثة أسابيع متوالية كل يوم ويشرح فيها كتاب كامل يعني فيها فوائد أحسن من التفصيل، فلذلك أوصي الإخوة بالحضور لعلهم ينتفعون. حددنا لهم كتاب «فضل الإسلام» لإمام الدعوة لأنه سبق أنه شرح من سنين وكثرة الطلبات عليه مسجل وكان مسجل لكن أحد الإخوة الله يهديه -أنا شحيح ما أعطي أحدا- لكن ألح فأخذها ووضعها في السيارة عند الشمس فخربت راحت، الكتاب مهم لأنه كتاب علم سنة ومنهج «فضل الإسلام»، يتأمل إذا كان المصلحة في إكمال هٰذا أكملناه، نكتفي بهٰذا القدر، لا تنسونا من صالح الدعاء.[1]



ويليها المجموعة الثانية إن شاء الله تعالىٰ.

(١) انتهىٰ الشريط العشرون.

موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

# شرح العقيدة الطحاوية

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

**حفظه الله تعالى**

**المجموعة الثانية (٢٢ ) مجلسا**

**[(١٩) شريطا مفرّغا]**

**بدأ فضيلته بشرحها في مدينة الرياض**

**يوم السبت ٢٢ جمادى الأولى ١٤١٩هـ- وقد أنهى شرحها يوم السبت ١ محرم ١٤٢٠هـ**

يحوي ١٧١ سؤالا

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

**الشيخ لم يراجع التفريغ**

بسم الله الرحمن الرحيم

## الدرس السادس والعشرون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لمجده، وأشهد أنَّ محمدا عبده ورسوله ومصطفاه وخليله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فأسألُ الله جل وعلا لي ولكم العلم النافعَ والعمل الصالح، وأن يجعلنا من حملة العلم ومحصِّليه، الذين نفعهم العلم؛ فحازُوه وبثوه وعلّموه وجاهدوا فيه.

كما أسألُه سبحانه أن يقيني وإيَّاكم الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا من المقيمين للحقّ المستقيمين عليه علىٰ نهج سلفنا الصَّالح رضوان الله عليهم.

وهٰذه فاتحة الدّروس لهٰذه السنة الدراسية **بشرح العقيدة الطحاوية**.

ولاشك أن الجميع ممن يهتمون بعلم التوحيد والعقيدة لأنه أساس العلوم؛ ولأن العلم به يُحتاج إليه في كل علم آخر.

فإذا اطّلعت علىٰ كتب التفسير تحتاج إلىٰ التوحيد والعقيدة لمعرفة الصحيح من غيره فيما ورثناه من أقوال المفسرين.

كذلك في شرح الأحاديث سواءٌ في الشروح المتقدمة أم في الشروح المتأخرة لكتب الحديث من الصحيحين وغيرها تحتاج إلىٰ علم العقيدة لتميز أقوال السلف من أقوال غيرهم في شرح سنة نبيهم عليه الصلاة والسلام.

وكذلك أيضًا في الفقه، وفي الأصول، وفي جميع العلوم الأصلية والمساندة تحتاج فيها إلىٰ علم العقيدة.

فالتبحُّر فيه يقي المرء من الزلل في فهم كلام الله جل وعلا وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام.

وثانيا أن العلم الصحيح في التوحيد والعقيدة يصح معه العمل ويبارك الله جل وعلا فيه العمل وإن قلّ، وكلنا في هٰذا الزمن -إلا من شاء الله- قليل عمله كثير ذنبه، ونسأل الله جل وعلا لنا جميعا العفو والعافية والمغفرة لنا ولإخواننا ولأحبابنا.

فصلاح القلب واستقامته هي الأصل في قَبول الأعمال، فإذا صلح القلب صلح الجسد كله، كما ثبت ذلك عن عليه الصلاة والسلام في قوله: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**».

وقال أبو هريرة ﷺ: القلبُ ملك والأعضاء والجوارح جنودُه، فإن استقام الملك استقامت جنوده، وإن زل الملك زلت جنوده. وقوله عليه الصلاة والسلام أرفع وأعظم وأدل علىٰ المراد؛ إذا صلَح القلب صلح الجسد كله وإذا فَسد فسد الجسد كله، وليس الجوارح فحسب وإنما الجسد بأجمعه.

ولهٰذا أوصيكم جميعًا من حضر معنا ومن ابتدأ الحضور إلىٰ الاهتمام بالتوحيد والعقيدة دراسة

وتأملا وحفظا لأدلتها ووضوحا لمسائلها؛ لأنك تحتاج إليها في كل حال، فالأمور الغيبية ليست مبنية علىٰ العقل ولا تدرك بالقياس ولا تدرك بالتفكير ولا تُدرك أيضا بمطالعة بعضٍ فيلحق ما لم يقرأ بما قرئ، وإنما لابد فيها من المعرفة التفصيلية لطالب العلم.

نبتدئ الدرس.

كان العادة أن نقدِّم بمقدِّمة في الدروس المنهجية فاتحةً للفصل؛ لكن لما تأخرنا وسبق محاضرة في الأسبوع الماضي بعنوان «**من ثمرات العلم**» فيمكن أن تُجعل كمقدمة لهٰذه الدروس. اقرأ...

وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ.
مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ.
وَنَقُولُ: إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا، إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا.

قال العلاّمة الطحاوي في هٰذه النبذة المختصرة في وصف الله جل وعلا: (وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ. مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ.) يريد بهٰذا الكلام أنه لما أثبت عرشَ الرَّحمٰن جل وعلا وأثبت الكرسي علىٰ ما جاء في النصوص وما في ذلك من الاستواء علىٰ العرش كما يليق بجلال الله جل وعلا، بيّن أن خلق العرش واستواء الرب جل وعلا علىٰ العرش كما يليق بجلاله وعظمته ليس لحاجة من الله جل وعلا لما خلق؛ للعرش، ولكن الله جل وعلا هو الغني ﷻ، وهو مستغن عن جميع مخلوقاته؛ بل العرش وما دونه مفتقر إلىٰ الرب جل وعلا، إذْ ربُّنا جل وعلا به تقوم الأشياء، فلا أحد يقوم ولا شيء يقوم إلاّ بالربّ جل جلاله، والعرش من ذلك؛ فإنه مفتقرٌ في قيامه وفي استمراريته وفيما عليه شأنه إلىٰ الربّ جل جلاله، فالله سبحانه هو الذي يحفظه، وهو الذي بقدرته يحمله جل وعلا، إلىٰ غير ذلك.

فإذن استواء الربّ جل جلاله علىٰ العرش ليس استواءً كما يظنه الجهلة وأهل البدع لما نفوا الاستواء أن ذلك يقتضي الحاجة إليه، لا وكلّا؛ بل هٰذا فعلٌ فعله الله جل وعلا وصفة اتصف الله جل وعلا بها، والله سبحانه يتّصف بما يشاء جل جلاله وتقدّست أسماؤه، والعرش شَرُفَ وعَظُم لأنَّ الله جل وعلا جعله مكانا لاستوائه عليه ﷻ.

لأجل مخالفةِ المخالفين ولأجل الرد علىٰ جهالة الجاهلين قال الطحاوي هنا: (وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ) يعني أنَّ الله جل وعلا موصوف بالغنىٰ المطلق من كل وجه، كما وصف بذلك نفسه في القرآن، وهو مستغنٍ عن أعظم المخلوقات وأعلىٰ المخلوقات وفوق المخلوقات وهو العرش، فاستغناؤه جل وعلا عما دون ذلك الخلق العظيم وهو العرش لاشك أنه من باب أولىٰ، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ هنا في وصف الله: (وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ) وذلك لكمال غنىٰ الرب جل وعلا، وكمال جلاله، وكمال قدرته سبحانه وكمال قهره، ولعلوِّ ذاته ﷻ وأنه الحي القيوم:

(القيوم) يعني أن كل شيء إنما قيامه بالله جل وعلا، فأي شيء في هٰذه الدنيا؛ بل أي شيء من مخلوقات الله جل وعلا لو تخلىٰ ربنا جل وعلا عنه لباد ولهلك ولما استقام له شأن، ولهٰذا كان من دعاء أعرف الخلق بربه وأعلم الخلق بربه عليه الصلاة والسلام كان من دعائه لربه أنه يقول: «**ولا تكلني لنفسي طرفة عين**» فهٰذا فيه التخلِّي عن كل حول وقوة وعن أن يوكل العبد إلىٰ نفسه طرفة عين.

فإذن كلّ الخلق قيامُهم بالله جل وعلا، وكل الخلق فقراء إلىٰ الله جل وعلا ومن ذلك العرش، والربّ سبحانه هو الغني الحميد المستغني عن كل ما عداه والمفتقر إليه كل شيء ﷻ.

قال: (مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ) يعني أنَّ الربّ ﷻ موصوف بإحاطته لكل شيء وأنه سبحانه فوق كل شيء، وهٰذه الإحاطة يأتي بيانها بالتفصيل، **ومعناها أنّ الرب جل وعلا محيط بصفاته بكل شيء بعظمته جل وعلا وبقدرته وبعلمه وهو سبحانه بكل شيء محيط.**

قال: (وَفَوْقَهُ) يعني أن الله جل وعلا موصوف بالعلو المطلق؛ علو الذات والفوقية المطلقة؛ فوقية الذات له سبحانه وكذلك علو وفوقية الصفات.

قال بعدها: (وَقَدْ أَعْجَزَ -جل وعلا- عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ) يعني أن الله جل جلاله لعظم قدرته ولكماله في غناه لا أحد ولا شيء يحيط به كما قال جل وعلا: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣]، وقال جل وعلا لموسىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ في آية الأعراف قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾[الأعراف:١٤٣]، فإحاطة الرؤية بالله جل وعلا ممتنعة، وإحاطة العلم بالله جل وعلا ممتنعة، وإحاطة القدرة لله جل وعلا ممتنعة.

فالعباد -إذن- مهما بلغ شأنهم فيما أعطاهم الله من قوة فإنهم أحقر وأضعف وأذل لله جل وعلا من أن يحيطوا به جل وعلا علما أو يحيطوا به وصفا أو يحيطوا به جل وعلا قدرة إلىٰ آخر ذلك؛ بل هو سبحانه المتصف بصفات الكمال، وهٰذا من الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تقرير لعقيدة عظيمة من عقائد أهل السنة والجماعة مخالفة للمعتزلة والخوارج والرافضة والأشاعرة وطوائف كثيرة من الصفاتية ومن غيرهم.

وفي هٰذه الجملة مسائل لبسط الكلام عليها.

**المسألة الأولى**: قوله: (وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ)، (مُسْتَغْنٍ) من الغِنىٰ وهو عدم الحاجة، الله جل وعلا سمَّىٰ نفسه بالغني كما في قوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾[1] وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت]، وفي قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[آل عمران]، وفي قوله أيضا جل وعلا: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾[النساء]، ونحو ذلك من الآيات.

فهو سبحانه موصوف بالغنىٰ، ومن أسمائه الغني، ومعنىٰ هٰذا الاسم -الذي هو من أسماء الجلال لله جل وعلا ومن أسماء الجمال لله جل وعلا- معنىٰ هٰذا الاسم انه سبحانه الذي يحتاج إليه كل شيء، وهو المستغني عن كل شيء، وهٰذا الغنىٰ غنًى بالقهر؛ فإنّ الله سبحانه لا يحتاج إلىٰ مُعين ليقهر من شاء ويذلّ من شاء، كما أنه غنىٰ في الملك؛ فالله سبحانه غني عن أن يعينه أحد في تدبير ملكه ولكن يشرِّف من شاء من عباده ببعض ما يقومون به من عمل في ملكوت الله جل وعلا، كما يشرِّف الملائكة وبعض عباده الصالحين.

وغناه أيضا جل وعلا غنًى لكمال قدرته ﷻ، ومن هٰذا الأخير غِناه عن العرش، فهو سبحانه لكمال قدرته واستغنائه بقدرته عن أحد من خلقه فإنه مستغنٍ عن العرش.

فإذن عموم غناه جل وعلا وإطلاق غناه جل وعلا وأنَّ الخلق جميعا فقراء إليه ﷻ هٰذا يشمل هٰذه المعاني جميعًا.

**المسألة الثّانية**: استغناؤه جل وعلا عن العرش وما دونه يقتضي أن العرش وما دونه محتاج إليه ومفتقر إلىٰ الربّ ﷻ، وهٰذا له جهتان:

**الجهة الأولىٰ**: أن العرش وما دونه مفتقرٌ لله جل وعلا؛ لأنه لا قوامةَ له ولا قيام له بنفسه، فهو

---

(١) سورة: لقمان؛ الآية (٢٦)، فاطر؛ الآية (١٥)، الحديد؛ الآية (٢٤)، الممتحنة؛ الآية (٦).

محمول، له قوائم كما مرَّ معنا في وصفه، وهو محمول والذي يحمله خلق سخرهم الله جل وعلا لحمله، وأقدرهم علىٰ ذلك، فقُدرتهم في حمل العرش واستقراره وفي بقائه وقيامه إنما هو بقدرة الله جل وعلا، فهٰذا نوعٌ من الحاجة.

**والجهة الثانية** من افتقار العرش وما دونه إلىٰ الله جل وعلا: أن كلّ شيء عبدٌ لله جل وعلا، ومن ذلك العرش، فالعرش من مخلوقات الله التي تعبدُه وتسبحه وتذِلّ له جل وعلا، وكذلك حملة العرش، لك من في السَّمٰوات ومن في الأرض، وكذلك ما في السَّمٰوات وما في الأرض، وقد قال جل وعلا: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾﴾[مريم]، وقال أيضا: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾[الإسراء:٤٤]، وقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ﴾ هٰذه نكرة جاءت في سياق النفي بـ﴿إِنْ﴾، إذن ﴿إِنْ﴾ هنا بمعنىٰ ما و﴿إِلَّا﴾ بعدها حاصرة أو قاصرة، فيكون المعنىٰ: ما من شيء إلا يسبّح بحمده. والعرش شيء، وتسبيحُه بحمد الله جل وعلا نوع من الذل والعبودية له ﷻ، والعبودية والذل معنًىٰ من معاني افتقار إلىٰ الرب جل جلاله وتقدَّست أسماؤه.

وفي هٰذا تنبيهٌ للعباد بعامة أنّ هٰذا المخلوق العظيم الذي الكرسيُّ بالنسبة إليه كالحلقة الملقاة في فلاة من الأرض، والكرسي السَّمٰوات السبع بالنسبة إليه كما جاء في كلام أحد السلف كدراهم سبعة ألقيت في ترس أو كحلقات ألقيت في ترس، والأرض صغيرة بالنّسبة للسموات، فإنّ هٰذا يعني أنك -أيها العبد، أيها الإنسان، المخلوق الضعيف الذي تعرف ضعفَك- تنظر إلىٰ العرش الذي هو مفتقر إلىٰ الله جل وعلا مسبح ذال منيب إلىٰ ربه جل علا، كيف أنه لا يستغني عن مولاه، وكيف أنه يسبح ويحمل ويذل لله جل وعلا، فهٰذا المخلوق الضعيف جدا الذي هو الإنسان أُبتلي بالتكليف لاشك أنه أولىٰ بالذل لله؛ لأنه ضعيف جدا ومفتقرٌ للغاية.

فإذن النظر إلىٰ العرش وفقر العرش إلىٰ الله جل وعلا، وأن قوامة العرش علىٰ عظمه وعظم خلق السَّمٰوات وضعف نسبة خلق السَّمٰوات إلىٰ العرش جدًّا، كيف الإنسان ينظر إلىٰ نفسه لاشك أنه يستفيد من هٰذا في قلبه وعمله أنه أولىٰ بالافتقار إلىٰ الله وأولىٰ بالذل إلىٰ الله، وأولىٰ بالعبودية لله جل جلاله وتقدّست أسماؤه، وهٰذا من ثمرات التّفكر الشّرعي والنظر في ملكوت السَّمٰوات والأرض، والنظر أيضًا فيما ذكر الله جل وعلا في كتابه من أواع خلقه التي لم نر ومنها عرشه جل جلاله وتقدَّست أسماؤه.

**المسألة الثالثة**: قول المؤلف هنا في وصف الرب جل وعلا (مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ)، (مُحِيطٌ) هٰذا الوصفُ (الإحاطة) قد جاء وصف الله جل وعلا به في القرآن في عدة آيات كما في قوله سبحانه في آخر سورة فُصِّلت: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾﴾، وكذلك في قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطَۢا ﴿١٢٦﴾﴾[النساء]، وكذلك في قوله جل وعلا: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾﴾[البروج]، ونحو ذلك.

**والإحاطة في اللغة** هي الإتيان بالشيء من جميع جهاته، يعني من جميع الجوانب يكون مطوّقا كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾[الكهف:٢٩]، يعني جاءهم من كل جهة.

وتفسير إحاطة الله جل وعلا بكل شيء السَّلف والمفسرون منهم من يمضي وهم الأكثر عن الدخول

في هٰذا الوصف؛ وصف الإحاطة إحاطة الله جل وعلا بكل شيء، وكأنهم هربوا من أن يُظن أن الإحاطة إحاطة ذات، كإحاطة الفَلَك بما فيه إحاطة السَّمٰوات بالأرض ونحو ذلك، ولاشك أن معنىٰ إحاطة الذات ليس مرادا، فإنّ الله جل علا فوق مخلوقاته والمخلوقات صغيرة بالنسبة لذات الله جل وعلا وجلاله سبحانه، لهٰذا أعرضوا عن الخوض في تفسيرها، وفسّرها طائفة من العلماء تفسيرًا يوافق ما قاله السلف وما يعتقده أئمة أهل السنة في ذلك بقولهم: إن الإحاطة أنواع:

* بمعنىٰ أنها إحاطة عظمة لله جل علا.

* وبمعنىٰ أنها إحاطة سَعة، الله سبحانه وصف كرسيه بأنّه وسع السَّمٰوات والأرض ووصف نفسه جل وعلا بأنه واسع ﷻ الذي وسِع كل شيء.

* وإحاطة بمعنىٰ أنها إحاطة صفات؛ إحاطة علم، إحاطة قدرة، إحاطة قهر، إحاطة ملك إلىٰ غير ذلك.

فهٰذه كلها من معاني إحاطة الرب جل وعلا بعباده.

ولهٰذا أين المفر؟

فكل أحد يُفَرُّ منه إلىٰ غيره؛ ولكن الله جل وعلا ولإحاطته بخلقه وإحاطته بجميع ملكوته ﷻ -إحاطة عظمة وسعة وقدرة وعلم إلىٰ غير ذلك- فإنّه سبحانه إذا فررت منه فإنك لن تجد إلا أن تفر إليه ﷻ ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾[الذاريات:٥٠].

ويقول القائل يوم القيامة: أين المفر؟ لا مفر من الله إلا إليه، وهٰذا إذا نظر إليه العبد مع التفكر وجد نفسه تتصاغر جدًّا أمام ربه جل وعلا، فيعظم الإيمان في قلبه، ويعظم اليقين، ويعظم توكُّله علىٰ الله، فيأنس بالله جل وعلا وبما جاء من الله جل وعلا حتىٰ يصير راضيًا بكل ما جاء من الله جل وعلا دالا لربه ﷻ.

وكلمة (شَيْءٍ) في قوله: (بِكُلِّ شَيْءٍ) -ذكرنا لكم- أنها تُفَسَّر بأن الشيء ما يصح أن يُعلم أو يؤول إلىٰ أن يعلم، والله ﷻ إحاطته بالأشياء منها -كما ذكرنا- إحاطة علم وإحاطة قدرة، فهو ﷻ عالم بكل شيء قديرٌ علىٰ كل شيء.

فإذن كلمة (كُلِّ شَيْءٍ) هنا لأجل ما جاء في الآيات ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ ونحو ذلك لأجل ما جاء في الدليل.

**المسألة الرّابعة**: وهي أعظم المسائل وأجلُّها في كلام الطحاوي هٰذا، وهي قوله في وصف الله جل وعلا: (مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ)، كما ذكرتُ لك أن الإحاطة قد يتبادر إلىٰ بعض الأذهان أنها إحاطة ذات بمعنىٰ أن الأشياء جميعًا اللهُ سبحانه بذاته محيط بها من كل جهة، وهٰذه قد نفاها العلماء ولم يجعلوها تفسيرًا للإحاطة.

لهٰذا قال بعدها: (وَفَوْقَهُ) يعني أنه مع إحاطته بكل شيء فهو فوق جميع الأشياء.

والفوقية هنا هي المسألة المشهورة العظيمة في هٰذه الأمة وهي مسألة علو الله جل وعلا علىٰ خلقه وفوقية الرب جل وعلا علىٰ خلقه.

والفوقية بمعنىٰ العلو، والآيات التي فيها تفسير الفوقية فيها ذكر الفوقية تفسّر بالعلو، والآيات التي فيها العلو تفسر بالفوقية، ففوقية الرّب جل وعلا هي علوه سبحانه علىٰ جميع خلقه.

**المسألة الأولى**: أن العلو والفوقية ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

إلىٰ علو الذات، وعلو القهر، وعلو القدر والشرف.

وكذلك الفوقية: فوقية الذات، وفوقية القهر، وفوقية القدر والشرف.

وبعض أهل العلم يقسمها إلىٰ قسمين: إلىٰ فوقية الذات وإلىٰ فوقية الصفات، علو ذات وإلىٰ علو صفات.

والأول هو الأكثر في تفسير أهل العلم الذين دونوا شرح عقائد أهل السنة والجماعة.

**ومعنىٰ علو الذات وفوقية الذات**: أن الله جل وعلا فوق جميع الأشياء وأنه الأعلىٰ سبحانه، وهٰذا هو الذي فسّره به عليه الصلاة والسلام ففسّر الآية وهي آية سورة الحديد ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [الحديد:٣]، فسّر ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ فقال: «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**» ﷻ.

**وفوقية القهر وعلو القهر**: يعني أنه ﷻ لا يُغلب ويُرام جنابه؛ بل هو سبحانه الذي يقهر من عداه، يملي ويستدرك ويقهر ويأخذ علىٰ غِرَّة، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [هود]، فهو سبحانه عالٍ علوّ القهر، وهو فوق خلقه فوقيّة قهر وجبروت وعظمة للمولىٰ جل جلاله.

**والثالث علو وفوقية القدْر**: وهٰذا المعنىٰ هو الذي يُثبته المبتدعة من العلو، فلا ينازعون في علو القهر والقدر والشرف، فيقولون: (معنىٰ الله فوق خلقه) كقول القائل: (الملك فوق شعبه، أو الأمير فوق رعيته)؛ يعني من جهة قدره، وكقولهم: (العالم فوق عامة الناس)، من جهة القدر، وكقول القائل: (الذّهب فوق الحديد)؛ يعني من جهة المنزلة والقدر. وهٰذا تفسير ناقص، كما سيأتي في هٰذه المسائل إن شاء الله تعالىٰ.

**المسألة الثانية** (أو الخامسة، دخل بعضها في بعض ولكها متعلقة بالفوقية): العلو والفوقية لله جل وعلا ثابت بدليل القرآن والسنة والعقل والفطرة؛ بل قال بعض العلماء: إن في القرآن والسنة ألف دليل لإثبات علو الله جل وعلا بذاته وفوقيته بذاته علىٰ خلقه. وهٰذا يعني أن أمر العلو ومسألة العلو والفوقية من المسائل المتواترة العظيمة التي دِلالتها صريحة؛ بل دلالتها نصِّية فدلالتها إذن قطعية، لهٰذا صرّح عدد من أهل العلم بتكفير من أنكر علو الله جل وعلا علىٰ خلقه لأجل عظم الأدلة في هٰذا كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ.

الأدلة التي دلت علىٰ علو الله جل وعلا علىٰ خلقه وعلىٰ أنه سبحانه فوقهم بذاته وصفاته كثيرة جدًّا، لهٰذا ابن القيم جعلها أنواع لأجل كثرتها، جعلها ثمانية عشرة نوعا كل نوع تحته جملة من الأدلة في الكتاب والسنة، ونذكر بعضًا منها، وترجعون إلىٰ الباقي:

**من ذلك** أن الله جل وعلا نصَّ علىٰ أنه فوق عباده في قوله في سورة الأنعام ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾.

والنوع الثاني أنه جاء التصريح بـ﴿مِنْ﴾ قبل الفوقية كقوله سبحانه في سورة النحل: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾.

ومن مقتضيات اللغة أن مجيء (من) قبل الظرف (فوق) تدل بوضوح علىٰ أن الفوقية فوقية ذات؛ لأن فوقية الصفة أو القهر أو القدر لا يبدأ فيها بـ(من)، لا يقال: (الذهب من فوق الحديد) ويُعنىٰ به صفاته، أو (الملك من فوق الرعية) ويعنىٰ بها الصفات، إذا بُدي بـ(من) في اللغة قبل الظرف (فوق) فإنها تدل علىٰ فوقية المكان أو فوقية الذات لله جل وعلا، يعني فوقية الذات لأي شيء، وفي الآية فوقية الذات لله جل وعلا.

فإذن قوله سبحانه لمَّا وصف الملائكة بأنهم يسكنون السماء وأنهم يسبحون قال: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ يعني الذي هو فوقهم بذاته جل جلاله وتقدست أسماؤه.

النوع الثالث: أنه سبحانه ذكر أنَّ الملائكة تعرج إليه فقال سبحانه: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ ﴾[المعارج]، عروج الملائكة يعني صعودها، عروج الملائكة يعني ارتقاءها إلىٰ أعلىٰ وإلىٰ فوق، وهٰذا يدل علىٰ فوقية الذات لله جل وعلا.

النوع الرابع: أنه سبحانه ذكر ونص علىٰ أنّ العمل الصالح يصعد إلىٰ الرب جل وعلا، والأعمال تُرفع إليه ﷻ، كما جاء في قوله تعالىٰ في سورة فاطر ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[فاطر:١٠]، فقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ﴾ يعني لا إلىٰ غيره؛ لأنه سبحانه هو المتفرد بعلو الذات علىٰ خلقه جميعا.

الخامس من الأنواع: أن الله سبحانه ذكر أنه اختصّ بعض عباده بأن جعلهم عنده، ومن ذلك الملائكة، فالملائكة في السماء؛ ولكن هم متنوعون أيضا في سكناهم في السماء، فجعل جل وعلا بعضهم مختص بأنه عنده سبحانه، وهٰذه العندية هي عندية علو وفوقية، كما في قوله سبحانه: ﴿[ وَمَنْ عِندَهُۥ ][1] لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنبياء]، ونحو ذلك من الآيات، فالعندية -عندية الملائكة- يعني كون الملائكة عند الله ﴿ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ [الأعراف:٢٠٦] يقتضي أنه سبحانه شرفهم وخصهم بشيء وهو أنهم عنده؛ يعني في علاه جل وعلا، وكذلك ما وصف الله جل وعلا به الشهداء في قوله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٩] ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ هم بين الخلق جسدا ولكنهم عند ربهم روحا يعني في علاه تكريما لهم وتعظيما لأجرهم وثوابهم.

النوع السادس -وهٰذه كلها ذكرها ابن القيم تحفظونها لأنها نافعة في الحجاج ومجادلة من ينكرون علو الله جل وعلا-، ما ذكر الله جل وعلا من تنزيله للكتاب من عنده، كقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ

---

(١) الشيخ قال: ﴿ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾. التي في سورة الأعراف الآية ٢٠٦ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾. وقد استدرك الشيخ ذلك عند الإجابة علىٰ الأسئلة.

ٱلْحَكِيمِ ﴾[1]، وكقوله: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ ﴾[غافر]، وكقوله: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ ﴾[فصلت]، وكقوله سبحانه: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[النحل:١٠٢]، ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ ﴾[الشعراء]، ونحو ذلك من الآيات.

وأنواع كثيرة يمكن أن تطلبوها، وفيها أقوىٰ دلالة وأوضح برهان علىٰ أن الله سبحانه هو العالي فوق خلقه بذاته جل وعلا.

**المسألة الثالثة**: دِلالة السنة علىٰ فوقيَّة الله جل وعلا أيضا جاءت أدلة فيها كثيرة جدًّا.

كقوله عليه الصلاة والسلام: «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**»، وكقوله: «**العرش فوق سماواته والله فوق ذلك**» في الحديث الذي مرّ معنا البحث فيه وأن أهل السنة يستدلون منه بهٰذا القدر في ثبوته في أدلة أخرىٰ.

وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع يشير إلىٰ السماء ثم ينكث بإصبعه إلىٰ الأرض: «**اللّٰهمَّ هل بلغت، اللّٰهمَّ فاشهد**».

وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام في حديث الجارية لما سألها: «**أين الله؟**» قالت: في السماء. قال عليه الصلاة والسلام لسيدها: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»، والأدلة علىٰ علو الله جل وعلا كثيرة.

**الرابعة**: الدِّلالة العقلية؛ دلالة العقل علىٰ علو الله جل وعلا بذاته علىٰ خلقه، ودلالة العقل متنوعة وكثيرة؛ لكن نكتفي منها بدليل عقلي واحد:

وهو أنّ الله جل وعلا موجود ﷻ بالاتّفاق، يعني كل من أثبت الله جل وعلا أثبت وجوده، حتىٰ جهم الذي ينفي جميع الصفات يثبت وجود الله جل وعلا.

فنقول لجميع هٰذه الفئات: أنّ الوجود قدر مشترك، والله جل وعلا موجود، وخلْقُ الله جل وعلا أيضا موجودون، وهٰذان الوجودان إما أن يتمايزا وإما أن يتداخلا.

فإن تداخلا -يعني صار أحدهما داخل الآخر-:

إما أن يكون الخلق محيطون والله جل وعلا في داخل خلقه.

وإما أن يكون الله جل وعلا الخلق في داخله ﷻ.

خلْق الله جل وعلا والكائنات منها أشياء مستقبحة[2] ومستقذرة وقبيحة مثل النجاسات ومثل القاذورات ومثل الأشياء التي لا يصرّح بها ونحو ذلك استقذارا واستهجانا وبعض المخلوقات السيئة ونحو ذلك، وهٰذه لا أحد -في الجميع من يبحث هٰذه المسائل- يقول بجواز أن تكون في داخل الله جل وعلا.

فإذن... من الاختلاط يقتضي هٰذا المعنىٰ الفاسد، وكون الله جل وعلا في داخل خلقه هٰذا فيه نَقص لله جل وعلا، وهٰذا برهان عقلي صحيح، وذلك لأنه مبني علىٰ مقدمتين وهاتان المقدمتان إثباتهما مشترك بين جميع الجهات:

---

(١) سورة: الزمر؛ الآية (١)، الجاثية؛ الآية (٢)، الأحقاف؛ الآية (٢).

(٢) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الحادي والعشرين.

**المقدمة** الأولىٰ: وجود الله جل وعلا.

**والمقدمة** الثانية: تنزه الله جل وعلا عن أن يكون في داخله شيء مما يُستقبح أو يستقذر.

**المسألة الخامسة**: (البرهان الأخير) الدليل الفطري، الدليل الفطري لعلو الله جل وعلا هو أنّه كل أحد يحس بفطرته سواء علم الدين أو لم يعلم الدين، عُلّم أو لم يُعلَّم أن قلبه عند الحاجة وعند الرّغب لله جل وعلا وعند اقتطاع الأسباب وبقاء لطف الله جل وعلا أنه يتجه القلب إلىٰ العلو، وهٰذا شيء فطري مغروس في الإنسان.

لهٰذا ذكر شارح الطحاوية وقد نقله أيضا غيره ذكر القصة قصة الزاهد الأثري الهمذاني مع أبي المعالي الجويني الذي يلقّب بإمام الحرمين، حيث ذكر إمام الحرمين في درسه نفي علو الله جل وعلا علىٰ خلقه -علو الذات-؛ وأن المراد بذلك علو القهر وعلو القدر فقال له الشيخ الهمذاني: يا أستاذ -وكلمة (أستاذ) في الزمن الأول تطلق علىٰ من أجاز فنا من الفنون، وأما كلمة الشيخ فتطلق علىٰ من له مكانة وديانة وورع وخوف من الله جل وعلا-، فقال له: يا أستاذ -لإجادته فن الكلام- أخبرني عن هٰذه الضرورة التي أجدُها في نفسي، وهي أني أطلب العلوَّ إذا احتجتُ إلىٰ الله جل وعلا. فقال أبو المعالي: حيَّرني الهمذاني، حيَّرني الهمذاني.

لأن قوله بنفي العلو لله جل وعلا هٰذا منافٍ للفطرة، فلما استدل عليه بالفطرة قال: حيرني الهمذاني.

وقد ذكر بعض من صنّف في الرحلات كما ذكرته لكم في هٰذه الدروس، ذكروا أنهم زاروا في وفد في عهد الخليفة العباسي إلىٰ روسيا إلىٰ بلاد الترك التي هي روسيا الآن، وقالوا: وجدنا أناسا لا يعبدون الله جل وعلا وليس عندهم رسالة يريدون أن يشرحوا لهم الإسلام، قالوا: ولكننا وجدناهم إنهم إذا أصابهم شدة إما من المطر ونحوه ومن قحط ونحو ذلك خرجوا إلىٰ الفلاة ورفعوا أيديهم إلىٰ السماء ونظروا إلىٰ السماء يتمتمون، كأنهم يطلبون الفرج مِن مَن هو في السماء، وهٰذا أمر مركوز في الفطرة كما سمعت.

إذن دليل علو الله جل وعلا وفوقية الرب ﷻ دليل من القرآن والسنة ومن العقل ومن الفطرة.

نكتفي بهٰذا القدر، ونكمل إن شاء الله تعالىٰ ما يتصل بهٰذا البحث الأسبوع القدم بإذنه تعالىٰ.

[الأسئلة]

نجيب عن بعض الأسئلة

سؤال (٢٤٩): ذكرتم كثرة الأدلة علىٰ ثبوت علو الله جل وعلا بذاته ومع ذلك فأكثر الفرق تُنكره وتصرفه إلىٰ المعاني الأخرىٰ، فما سبب ذلك؟

الجواب: سببه أنّ إثبات العلو عندهم علو الذات يقتضي إثبات الجهة؛ أن يكون الله جل وعلا في جهة، وإثبات الجهة يقتضي التحيز، والتحيز ممتنع عندهم عقلا لأنه من صفات الأجسام، فمنعوا العلو لأجل ذلك، هٰذه شبهتهم.

سؤال (٢٥٠): ذكر بعض العلماء في مقدمة القول: الحمد لله الواحد القهار العزيز الغفار يبسط كفه بالأسحار. فهل العبارة الأخيرة صحيحة؟

الجواب: هٰذه أخذها من الحديث الصحيح الذي في الصحيح أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال:

«إن الله يبسط يده في الليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده في النهار ليتوب مسيء الليل»، العبارة صحيحة؛ لأن السحر بعض الليل.

سؤال (٢٥١): آية الأنبياء ﴿ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾[الأعراف:٢٠٦]، فهل هٰذه العندية عندية ذات أم عندية القهر؟

الجواب: العندية عندية ذات، العندية لا تنقسم، العندية عندية ذات يعني عند الله جل وعلا فوق سماواته هٰذا معناه.

قوله تعالىٰ في سورة الأنبياء ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾[الأنبياء]، ليست ﴿ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أو فالذين عند ربك ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء]،.

والآية الأخرىٰ ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾[الأعراف].(١)

سؤال (٢٥٢): ما معنىٰ (ذات) في قولنا: ذات الله سبحانه؟

الجواب: الذات في اللغة تأنيثه، يقال: هٰذا الشيء ذو صفات وهٰذه ذات صفات. هٰذا في الأصل ولا تطلق إلا مضافة لا تطلق الذات مستقلة إنما تطلق مضافة، وقد جاءت في قول الصحابي ﷺ في شعره المشهور قال:

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك علىٰ أوصال شِلْوٍ ممزّع

استعمال كلمة (ذات) مضافة لله جل وعلا موجودة وقد قال سبحانه: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ﴾[الأنفال:١]، استعملت بعد ذلك الذّات ويعنىٰ بها ما يقابل الصفات، فقُسم الشيء إلىٰ صفة وإلىٰ ذات، ذات وصفات.

لِم قسم هٰذا التقسيم؟

لأن الصفة تضاف إلىٰ الموصوف، فكأنه قال القائل: الذات يعني الشيء الذي هو ذو صفات، فالذات المتصفة بالصفات، فقسموها لأجل أن الذات كأنه نعتها بقوله: الذات الموصوفة بالصفات، فيكون تتمة الكلام محذوف.

ثم استعمل كلمة الذات هكذا بالتعريف، استعملت بدون إضافة ولا بالتنكير معرفة الذات، استعملت استعمالا واسعا في كلام أهل العقائد.

فإذن نقول: الذات يُعنىٰ بها الذات الموصوفة بالصفات؛ يعني ما يضاف إليه الوصف ويتّصف به، طبعا ربنا جل جلاله وتقدست أسماؤه لا نضيف إليه من شيء إلا إذا ثبت به الدليل بالكتاب أو السنة، وما يتوسع في الكلام في بيان العقيدة من الألفاظ أو التعابير الأَوْلىٰ بل الذي ينبغي ويتأكد علىٰ طالب

---

(١) الشيخ قال: فإن استكبروا فالذين عند ربك لا يستأخرون عن عبادته.

العلم أن يستعمل تعابير السلف لأنها أبعد عن الخطأ في التعبير.

لهٰذا يمرّن طالب العلم نفسه علىٰ أن يعبر في هٰذه المسائل مسائل العقيدة بتعابير السلف لأنهم أعلم وأحكم في هٰذه المسائل.

سؤال (٢٥٣): .....

الجواب: الله ﷻ ينزّه نفسه ويسبح له كل شيء، وتنزيه الله جل وعلا نفسه عن النقائص هو معنىٰ تسبيح الله هو معنىٰ التسبيح.

هٰذا جواب علىٰ سؤال صياغته ما كانت مناسبة من صاحبه، يستفيد الجواب.

سؤال (٢٥٤): أين ذكر هٰذه الأدلة ابن القيم ؟

الجواب: ذكرها في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية غزو المعطلة والجهمية» وفي «النونية» وفي غيرها، ذكرها شارح الطحاوية عندك.

سؤال (٢٥٥): نرجو إكمال شرح «البلوغ» في درس الخميس؟

الجواب: نرجو إن شاء الله أن يتيسر له دورة أخرىٰ نشرح فيها قطعة أخرىٰ منه إن شاء الله تعالىٰ.

سؤال (٢٥٦): ما هو ضابط الاسم والصفة فيما ورد في الكتاب والسنة مثلا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾ [النساء:١٣١](١) هل يقال: الغنىٰ هنا صفة أم اسم؟ وهل المحسن من أسماء الله ﷻ؟

الجواب: كان غنيا هٰذا وصفه بالغنىٰ، لكن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾[لقمان]، هٰذا اسم.

وإذا أُطلق الاسم فإنه يقتضي الاسم والصفة؛ لأن أسماء الله جل وعلا مشتملة علىٰ صفات، وأما إذا جاءت الصفة فإنه لا يستقل ورود الصفة بإثبات الاسم؛ بل قد ترد الصفة ولا نثبت لله جل وعلا الاسم الذي فيه الصفة، وهٰذه فيها يعني بحث أطول في وقته إن شاء الله.

**المحسن** من أسماء الله جل وعلا؛ لأنه جاء في الحديث «**إن الله محسنٌ**» ومن أسماء العلماء من القديم عبد المحسن وشيخ الإسلام وابن تيمية وابن القيم وعلماء الدعوة أيضا إذا ذكروا أسماء الله جل وعلا عدُّوا فيها المحسن. والمحسن صفة كمال والمحسن اسم متضمن لصفة كمال لا نَقص فيها بوجه من الوجوه.

سؤال (٢٥٧): في بعض كليات الجامعة يذكر بعض المدرسين أشياء خطأ في العقيدة، ولكنّا لا نملك العلم الكافي لمجادلتهم، وكذلك هم لا يسمحون بالمجادلة، وكذلك نخشىٰ إثارة الشبه، وكذلك نخاف أن يتسلط علينا بالدَّرجات إلىٰ آخره؟

الجواب: مسألة الدرجات ونحوها ليست عذر، إن من ﷺ أرضىٰ عنه الناس.

وأنا أذكر مرة لما كنا في الجامعة حصل أن كان أحد الأساتذة يدرّس، وكان عنده خلل في مسائل الاعتقاد في مسائل الصحابة رضوان الله عليهم والخلاف الذي حصل بين علي ﷺ ومعاوية.

فذكرتُ له قول أهل السنة أن الصحابة يجب احترامهم وتعظيمهم وتوقيرهم وأن هٰذا دين،

---

(١) السائل قال: إن الله كان غنيا حميدا.

والكلمات التي فيها تنقص أو تحتمل التنقص لا يجوز أن تقال، هٰذه ما يرضىٰ بها من يعظِّم ويوقر الصحابة.

حصل بحث، ثم تركتُ الحضور إلىٰ آخر العام إلىٰ الاختبار، يمكن من عشرين سنة، ٩٩ أو نحوها ٩٨، ولله الحمد ما حصل لا حجز ولا درجات وتنقيص ولا حرمان -مثل ما يقولون-كما يقولون، مع أنه كان غيابا مستمرًّا.

المقصود أن العبد إذا نصر الله جل وعلا ونصر دينه لابد أنه يحصل له ابتلاء، وقد يكرمه الله جل وعلا بأنه يحفظه، وهٰذا من نعمة الله جل وعلا وكرمه.

فلهٰذا ينبغي أن يكون العبد واضحا في هٰذه المسائل، إذا كان يعلم يبيِّن؛ لكن كيف يبين هل هو بإغلاظ أو يبين بالمجادلة المحمودة ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[العنكبوت:٤٦]، وقال سبحانه: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[النحل:١٢٥]، فالأسلوب مهم، والصَّدع بالحق لا يعني الغلظة في الكلام حتىٰ يكون معاندًا متجبِّرًا مكابرا أو يغلظ هو كما أغلظ فرعون علىٰ موسىٰ فأغلظ عليه موسىٰ بعد ذلك.

المقصود من هٰذا أن من عنده علم واجب عليه أن يبينه، ولا يجوز له أن يكتمه، لابد أن يبيِّنه إذا كان عالما وكان حريا، المسألة واضحة عنده، لا شبهة عنده فيها لأجل أنه أحيانا يورث المجادل شبهة أخرىٰ أو يضعفك أمام الآخرين فتصبح حجتُه أقوىٰ، ولهٰذا لا يدخل في المجادلة إلا المتمكِّن.

في مثل هٰذه الحالات إذا خشي المرء أن يجادل أمام الناس يذهب معه في مكانه أو يناقشه علىٰ انفراد، هٰذا أولىٰ؛ لكن السكوت مطلقا ما يسوغ في أي مسألة.

قد يرجح طالب العلم عدم الإنكار مثلا في بعض الأحيان لمصلحة شرعية؛ لكن السكوت مطلقا بحيث أنه يمر المنكر أو فساد العقيدة أو نحو ذلك دون كلام فيه لاشك هٰذا من الذنوب.

سؤال (٢٥٨): قلتم من معاني العلو العندية، هل هٰذا المعنىٰ لغوي أم شرعي؟

الجواب: لا، العلو معانيه نقول: علو ذات علو قهر علو قدر، علو ذات علو صفات ونحو ذلك.

لكن العندية يعني فيما جاء من الأدلة فيه ذكر (عند ربك)، (عند الله) فهٰذه دليل لعلو الله جل وعلا ونوع من أنواع الأدلة في الكتاب والسنة، فلا نقول: أن معنىٰ العلو الندية؟ لا، نقول: إنه قد تأتي (عند) ويراد بها العلو. كما في قوله في الآيات التي ذكرنا لاشك ﴿ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾[الأعراف:٢٠٦]، ونحو ذلك.

سؤال (٢٥٩): الأخ كتب كتابة في أولها دعاء جزاه الله خيرا، ثم يقول: ولكن هناك بعض الدروس التي فاتت ولم أتمكن من الحضور، قد حاولنا أن نأخذ هٰذه الدروس من الأشرطة التي سُجِّلَت ولكن رفضوا بحجة عدم الإذن فنرجو السَّماح بالأشرطة؟

**الجواب**: الأشرطة إن شاء الله يعني في طريقها، وأسأل الله جل وعلا أن يعفو عني في الزلل وأن ينفعكم؛ لكن الأفضل أنها تنتهي ينتهي الشرح ثم تنشر الأشرطة هٰذا الأفضل.

أنتم تستمروا من الآن إلىٰ آخر الطحاوية ونحن الآن تقريبا تجاوزنا النصف، وأظن هٰذه السنة كافية

لإنهاء هٰذا الكتاب العظيم، ثم بعد لك تبدؤون من أولها.

سؤال (٢٦٠): جاء عن النبي ﷺ أنه نهىٰ عن بيعتين في بيعة، فما صورة هٰذه المسألة؟ وهل تصح دليلا لمن منع التقسيط، وما حكم الزيادة مقابل الأجل إلىٰ آخره؟

**الجواب**: النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ نهىٰ عن بيعتين في بيعة، ونهىٰ عن شرطين في بيع، ومعنىٰ البيعتين في بيعة والشرطين في بيع، معنىٰ الشرط هنا المشروط، وهو العقد، فالبيعة في البيعة يعني العقد في عقد، بيعتان في بيعة يعني عقدين في عقد.

نهىٰ عن شرطين في بيع؛ يعني عن عقدين في بيع، وهٰذا هو التفسير الصحيح لها.

صورة بيع التقسيط، بيع التقسيط لا يدخل في هٰذا؛ لأنه ينتهي المتعاقدان علىٰ أحد الصورتين؛ ولكن يدخل فيه لو تفرَّقا بدون تحديد أحد عقدي البيع يعني هل هو آجل أم حاضر.

يعني مثلا يقول القائل: أنا أريد أن اشتري هٰذه السيارة فيقول: هي حاضر بمائة وآجل مائة وعشرين، يقول: أوافق اشتريت فيقول انتهينا، فيستلم السيارة.

هنا ما تحددت الصورة هل هو شرىٰ حاضرا أم اشترىٰ آجلا.

فلهٰذا ذكر السلف ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن غيره فيه عدم التحديد -تحديد صورة العقد-؛ هل هو آجل أو حاضر؛ لأنه يختلف، لأن الضمان أيضا يختلف، وثم أشياء تترتب علىٰ ذلك.

أما إن تفارقا علىٰ صورة من صورتي العقد علىٰ هٰذه أو هٰذه، فهٰذا يسمىٰ بيع إما حاضر وإما آجل، أريد هٰذه السيارة قال بمائة حاضر وبمائة وعشرين آجل، قال: أريدها حاضرا هٰذا عقد مستقل وشراء بعقد واحد غير متعدد قال: أريدها آجلة قال بمائة وعشرين، فكتب العقد أو اتفقا علىٰ أن البيع آجلا بمائة وعشرين بعد سنة، فهٰذا ليس بيعتين في بيعة، بيعتين في بيعة يعني إما كذا وإما كذا، والمباع واحد، إما مائة حاضرة أو مائة وعشرين مؤجلة والمثمن واحد صار هناك صار عقدان في عقد، أما إذا تفارقا علىٰ صورة واحدة فهٰذا عقد واحد، قال: أريدها آجلة بمائة وعشرين..

هٰذه صورة بيع الآجل، اختلف المعاصرون فيه، وأتباع المذاهب الأربعة والأئمة الأربعة متفقون علىٰ جوازه، وقد نقل الاتفاق الحافظ في «فتح الباري»: **وقد اتفق العلماء علىٰ جواز البيع لأجل بزيادة لقاء الأجل إذا تفارقا علىٰ بيعه.**

ولهٰذا نقول: الصحيح الذي هو قول جماهير أهل العلم وهو المتفق مع الأدلة وأقوال السلف، ولا يخالفها ما جاء لأن يوجه الصورة التي ذكرنا من المفارقة دون التحديد أحد صورتي البيع.

نقول: الصحيح جواز بيع التقسيط، جواز بيع الآجل؛ يعني أنت يزيد في الثمن لقاء الأجل هٰذا ليس بربا وليس ببيعتين في بيعة؛ لأن فيه إرفاق بالناس والإرفاق مطلوب.

هٰذا جواب قوله: ما حكم الزيادة مقابل الأجل؟.

الزيادة في المثمن، في السلع، مقابل الأجل جائزة، ثم بعد ذلك يسلم الثمن بعد انتهاء الأجل بعد السنة بعد السنتين، يقول: أشتري هٰذا البيت بخمسمائة ألف، مليون ريال، متىٰ تسدد؟ قال: أسدد لك بعد سنتين قال: لا بعد سنتين تسدد لي أجعل القيمة مليون ومائة، قال: ماشي فيتفارقان فيكون التسديد

بعد مضي المدة، لا بأس، إذا قال: لا بأس أنا أؤجل لك الثمن ولكن اجعله نجوما لي يعني اجعله أقساطا، كلمة أقساط في الشرع في الأدلة كلام السلف تسمىٰ النجوم، مثل ما نجوم الكتابة إذا أراد المكاتبة إذا أراد العبد أن يعتق نفسه فإنه يجعل عليه الثمن نجومًا، لا بأس.

المقصود أنه المقصود في البيع، الأصل في البيع الإباحة إلا ما نهىٰ عنه الشارع؛ لكن المطلوب أن لا يكون عقدا ربويا، أن لا يكون عقد غرر، وأن تتم الشروط الشرعية فيه.

سؤال (٢٦١): ما حكم قول القائل: مادة القرآن في وقت كذا؟

الجواب: أنّ القرآن كلام الله جل وعلا، صفة من صفاته، تعظيمه واجب لأنه أعظم شعائر الله جل وعلا التي أشعر عباده بتعظيمها وإجلالها، قد قال جل وعلا في سورة الحج: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾.

فتعظيم شعائر الله واجب، تعظيم حرمات الله جل وعلا واجب، والقرآن لا يساوىٰ بغيره ولا يجعل كغيره، فيجعل مادة من المواد كغيره.

فتعظيم القرآن يقضي بأن لا يُجعل في تسميته كغيره من المواد، يقال: مادة جغرافيا، مادة إنجليزية، ومادة قرآن. هٰذا فيه عدم تعظيم والله جل وعلا أمرنا بتعظيم كتابه.

ثم القرآن كلام الله وكلام الله جل وعلا ليس بمادة؛ لأن المادة قد تُطلق ويراد بها المادة المخلوقة، أو يراد بالمادة المخلوقة والقرآن كلام الله جل وعلا صفة من صفاته ليس بمخلوق.

نكتفي بهٰذا القدر، وأسأل الله جل وعلا لكم التوفيق والسداد والعلم والعمل، وأن يجمعنا علىٰ المحبة فيه وعلىٰ طاعته وعلىٰ نصرة دينه إنه جواد كريم، صلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

## الدّرس السَّابع والعشرون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

[الأسئلة]

نجيب علىٰ بعض الأسئلة فيما يجتمع الإخوة.

سؤال (٢٦٢): هل يُفهم من قوله تعالىٰ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[الأنعام:١٠٣]، أن المؤمنون في الجنة عندما يتجلىٰ لهم الرب ﷻ أنهم لا يرون جميع ذات الرب ﷻ؟

**الجواب**: أولا تعلمون أن الأصل في عقيدة السلف واتباع القرآن والسنة هو عدم تجاوز القرآن والحديث، وأنّ الكلام في الصفات والكلام في تقرير العقائد بتفصيل إنما جاء بعد فشو البدع وكثرة كلام الضّالين من الفرق في ذلك، فتوسّع من توسع من أئمة السلف لأجل أنّ المخالف توسّع والحق يُقذف به علىٰ الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

فالأصل أن المسلم السني المتبّع لطريقة السلف الرّاغب في الاعتقاد الحق أن لا يشغل نفسه بتفاصيل أسئلة في الصفات ليست علىٰ ظاهر الأدلة التي وقفنا عليها من سنة النبي ﷺ أو ما جاء في القرآن من آياته العظام.

لهٰذا لا ينبغي تفصيلات الكلام في الصفات؛ بل قد يدخل ذلك في الكلام المذموم إذا كان ليس ثم حاجة في تفصيل الكلام في الرد علىٰ أهل البدع أو تقرير عقيدة من عقائد أهل السنة والجماعة.

**لهٰذا نقول**: ظاهر قوله الله جل وعلا ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ أنّ الله جل وعلا لا تحيط به الأبصار، وأنه وإن رآه من شاء الله جل وعلا من عباده وشرفه بأن يرىٰ الرب جل جلاله فإنه يراه رؤية وليست بإحاطة.

لذلك ظاهر الآية أن الإحاطة بالرب جل وعلا ممتنعة، سواء أكان ذلك في عرصات القيامة أم كان ذلك بعد دخول أهل الجنة الجنة جعلني الله وإياكم منهم.

سؤال (٢٦٣): يدعو بعض الأئمة قائلا: اللّٰهمَّ لا تكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، فهل ورد علىٰ النبي ﷺ (ولا أقل من ذلك)؟ وهل يعتبر هٰذا من التعدي في الدعاء؟

الجواب: أما الحديث الذي أعلمه أنه مقتصر علىٰ طرفة عين «**ربي لا تكلني لنفسي طرفة عين**» وأما الزيادة (ولا أقل من ذلك) تحتاج منكم إلىٰ بحث أنا لا أحفظها الآن.

وأما كونها تعدي فليست من التعدي لأنها من المبالغة في التذلل، والوقوف عند ما ورد في الحديث لاشك أنه أَوْلىٰ؛ لأنه كمال الذل بالله جل وعلا وكما إظهار الفقر والحاجة والتبرّي من الحول والقوة.

سؤال (٢٦٤): معلوم أن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال في مذهب المفوضة: إنه من شر المذاهب، ومع ذلك وجد في كتب أصحاب مذهبه بعض التفويض كما في كتاب المرداوي في «شرح لامية شيخ الإسلام» وفي

«لمعة الاعتقاد»، فهل هناك فرق بين ما يقصد الإمام أحمد وما وقع فيه بعض أتباعه أم لا؟ نرجو بسط القول في ذلك.

الجواب: مذهب المفوضة مذهب كبير، والذين قالوا بالتفويض كثرة جدًّا وليسوا بالقليل سواء من المتقدمين يعني في عهد الإمام أحمد وما قبل إلىٰ زماننا هٰذا.

ثَم رسالة طُبعت مؤخرا بعنوان التفويض فيها تفصيل الكلام علىٰ المذهب بما لا يمكن أن يقال في هٰذا الموضع ما يستحقه المقام وتستحقه المسألة.

لكن الذي ينبغي أن تعلمه أن التفويض قسمان:

- تفويض للكيفية.
- وتفويض للمعنىٰ.

والذي ورد عن السلف فيمن قال منهم: إنهم يفوّضون، أو نفوض هٰذا، أو نكل علمه إلىٰ قائله، أو نحو ذلك مما يفهم منه التفويض، فيراد به تفويض الكيفية؛ لأنّ الكيفية من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله جل وعلا كما قال سبحانه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾[الأعراف:٥٣]، إلىٰ آخر الآية في الأعراف، وكذلك قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٧]، عند الوقف علىٰ لفظ الجلالة يدخل في التأويل ما تؤول إليه حقائق الأخبار، ومنها العلم بالكيفيّات.

فلاشك أن أحدا لا يعلم كيفية اتصاف الرب جل وعلا بصفاته، ولا كيفية الغيبيات علىٰ حقيقتها التي خلقها الله جل وعلا عليه؛ لأن هٰذا من العلم من علم الغيب الذي اختص الله جل وعلا به نفسه العلية جل جلاله وتقدست أسماؤه.

فهٰذا النوع الأول تفويض الكيفية وهٰذا نؤمن به، فنفوض كيفية الأمور الغيبية ومن ذلك صفات الرب جل وعلا نعوت جلاله ومعاني أسمائه، وما يتصل بذلك من أمور الغيب نفوّض كيفيتها إلىٰ ربنا جل وعلا.

والقسم الثاني من التفويض تفويض المعنىٰ؛ يعني يقول: أنا أفوض العلم بالمعنىٰ، أفوض المعنىٰ، ما أدري إيش معنىٰ (الرَّحمٰن الرحيم)، ما أعرف إيش معنىٰ (الرَّحمٰن)، (ثم استوىٰ علىٰ العرش) ما أعلم معنىٰ استوىٰ، أفوض معناها إلىٰ الله، فالاستواء ربما يكون معناه القهر، ربما يكون معناه العلو، ربما يكون معناه الرحمة، ربما يكون معناه أي معنىٰ، فيفوضون المعنىٰ.

فيقولون: لا نعلم معاني الغيبيات ولا أحد يعلمها.

ولهٰذا ذهب إلىٰ هٰذا المذهب قلة -يعني تفويض المعنىٰ- قلة من المتقدمين يعني في القرن الثاني والثالث، وشاع عند طائفة من المتأخرين بسبب أنه قول للأشاعرة، وقد نظموه في عقائدهم بقول القائل في «جوهرة التوحيد»:

**وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوّض ورم تنزيها**

فمذهب الأشاعرة له في الصفات قولان:

**الأول** وهو الراجح عندهم والأقوىٰ أن تؤول الصفات التي تتعارض مع الصفات السبع التي أثبتوها وتتعارض مع العقل.

**والثاني** وهو صحيح عندهم؛ لكنه ليس بقول أهل العلم والحكمة هو تفويض المعنىٰ.

وهٰذا التفويض -تفويض المعنىٰ- حيث يقول: لا نعلم معنىٰ الصفات، هٰذا موجود عند الأشاعرة من بعد أبي الحسن الأشعري إلىٰ وقتنا الحاضر.

وهو أيضا الذي راج علىٰ جملة من الحنابلة في كتبهم، حيث ظنّوا أنّ ذمّ الإمام أحمد لمن فوّض أنه تفويض الإثبات في أصله؛ يعني لا ندري نثبت أو لا، لا ندري الصفة موجودة أو غير موجودة أو نفي الصفة من أصلها، وفهموا أيضا من قوله -قول الإمام أحمد وقول الشافعي ونحو ذلك- (لا كيف ولا معنىٰ) في الصفات، مثل ما ساقها صاحب «اللمعة»، فهموا منه أنه التفويض، وفهموا هٰذا من قول الشافعي: نؤمن بما جاء عن الله علىٰ مراد الله، ونؤمن بما جاء عن رسول الله ﷺ علىٰ مراد رسول الله ﷺ. أنه في التفويض.

هٰذا التفويض في الحقيقة تفويض المعنىٰ هو الذي قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية وقال فيه غيره أيضا: **إن التفويض هو شر المذاهب**. وذلك لأنّ تفويض المعنىٰ يرجع إلىٰ عدم العلم به، ولهٰذا صنفهم ابن تيمية في أول «درء التعارض»: إلىٰ أن من فوّض فهو من أهل التجهيل. يعني الذين يقولون: إنه لا يوجد أحد يعلم معنىٰ الصفات، ما يوجد أحد، الصحابة يعلمون؟ لا، هٰذه المعاني مجهولة، حتىٰ إن بعضهم يقول إن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لا يعلم هٰذه المعاني، إنما هو إثبات ألفاظ دون معاني، فنفوض المعنىٰ لا معنىٰ معقول من هٰذه الصفات.

ولاشك أن مذهب المفوضة هو شر المذاهب؛ لأنه يقتضي تجهيل الصحابة رضي الله عنهم؛ بل يقتضي أن في القرآن كلاما وآيات كثيرة لا أحد يعلم معناها، ومعلوم أن أكثر القرآن في الغيبيات ولهٰذا جاء أول آية في القرآن في امتداح الذين يؤمنون بالغيب يعني في سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾، والإيمان بالغيب يقتضي الإيمان بالكيفيات، والله جل وعلا أعلم بها، والإيمان بمعاني ما دلنا ربنا جل وعلا به علىٰ الغيب، نؤمن بها علىٰ ظاهرها؛ يعني علىٰ ما دلّت عليه لغة العرب.

نعم معلوم أن المعاني في الشيء الواحد تتفاوت، فمثلا إذا أخذت السمع، إذا أخذت البصر، إذا أخذت القوة، خذ القوة مثلا والقدرة، الكائن الضعيف النملة لها قوة ولها قدرة ولها نطق ولها سمع ولهٰذا بصر، فأصل القوة موجود فيها؛ يعني معنىٰ القوة موجود فيها، ما هو أعلىٰ منها في الخِلْقة من جهة مثلا الهرة موجود عندها قوة، لاشك موجود عندها، بصر موجود عندها سمع، موجود عندها قدرة علىٰ أشياء، خذ الأعلىٰ منها الأعلىٰ إلىٰ أن تصل إلىٰ الإنسان، إلىٰ أن تصل من الحيوانات من جهة القوة والقدرة أقوىٰ من الإنسان؛ يعني بذاته يعني من جهة الحيوانات المفترسة كالأسد ونحو ذلك.

إذن القوة قدرٌ مشترك، القدرة قدر مشترك؛ لكن نقول: إنه مادام أنها في النملة مختلفة عن الإنسان، نقول: لا في الإنسان ماله قوة أن قوة النملة هٰذه، هٰذا تحديدٌ للصفة ببعض أفردها، ببعض من يتَّصف بها وهٰذا جناية علىٰ المعنىٰ الكلي؛ لأن اللغة العربية كليات فيها كليات المعاني أما الذي يوجد في الخارج

فهي الذوات نعم نقول: جدار، جبل، يد، أشياء هٰذه تتصورها؛ لكن من جهة المعاني، المعاني تتصور هٰذا المعنىٰ بالإضافة إلىٰ من اتَّصف به.

ولهٰذا شيخ الإسلام انتبه لقوة هٰذا المعنىٰ في الرد في المبتدعة الصِّفاتية والجهمية وغيرهم، فقرره في كتابه «التدمرية» كما تعلمون.

إذن فتفويض المعنىٰ، المعنىٰ أصلا متفاوت فإذا فوضنا المعنىٰ معناه أننا لا نعلم أي قدر من هٰذا المعنىٰ، وهٰذا لاشك أنه نفي وجهالة بجميع دلالات النصوص علىٰ الأمور الغيبية، وهٰذا باطل؛ لأن القرآن حجة، وجعله الله جل وعلا دالًّا علىٰ ما يجب له جل وعلا وما يتّصف به ربُّنا ﷻ من نعوت الجلال والجمال والكمال.

التفويض يحتاج إلىٰ مزيد بسط؛ لكن يمكن أن ترجعوا إليه في مظانه.

وكثير من العلماء فهِم وظنّ أن مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية والسلف هو التفويض، حتىٰ إنهم ينقلون كلام شيخ الإسلام ويحملونه علىٰ التفويض مثل السفّاريني ومثل مرعي بن يوسف في «أقاويل الثقات»، وجماعة من المتأخرين ينقلون كلام شيخ الإسلام وفهموا مذهب الإمام أحمد ومذهب شيخ الإسلام ومذهب السلف الذي هو أسلم أنه التفويض، وهٰذا ليس بصحيح، إذا كان المقصود تفويض المعنىٰ بحيث إنه لا نعلم معنىٰ (استوىٰ)، لا نعلم معنىٰ ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة]، أيش معنىٰ (العلي)؟، نقول: لا نعلم معناها، لا نعرف العلو، ما نعرف هنا (العلي)، قد يكون بمعنىٰ الرحيم، قد يكون بمعنىٰ القدير، هٰذا تجهيل وجهالة؛ بل ربما آل إلىٰ الطعن في القرآن.

سؤال (٢٦٥): هل الشيطان أو الجن يعلم ما في نفس ابن آدم؟

الجواب: يحتاج إلىٰ مراجعة وتأمُّل، ما أدري.

سؤال (٢٦٦): ما منهج أهل السنة في الرؤىٰ والمنامات من حيث الاعتماد عليها؟

الجواب: هٰذه لا يتميز بها أهل السنة عن غيرهم، هٰذه مسألة من مسائل الفقه والأدب يعني الآداب العامة.

سؤال (٢٦٧): كنت مسافرا فأردت أن أجمع بين الظهر والعصر فصليت مع جماعة خلف إمام، فعلمت بعد أن قام إلىٰ الركعة الثالثة أنه مقيم؛ لكني لم أقم معه إلىٰ الثالثة فجلستُ ثم سلمت، بعدها دخلت معه مرة أخرىٰ بنية صلاة العصر، فما حكم ذلك؟

الجواب: يجب عليك أن تعيد الظهر والعصر؛ لأنك صليت خلف إمام مقيم، الواجب عليك، الفرض عليك أن تصلي صلاة المقيم، قد صحّ عن ابن عباس ﷺ أنه قال: من السنة إذا ائتم المسافر بالمقيم أن يصلي صلاة المقيم. هٰذا هو الواجب عليك، فلو صلىٰ صلاة المسافر فإنه يؤمر بالإعادة؛ لأن الواجب عليه أن يصلي صلاة مقيم، هٰذا سلم ثم دخل أيضا صارت صلاته الثانية من أصلها ومفارقته ليست واقعة موقعها، فلذلك يجب عليه أن يعيد الظهر والعصر.

سؤال (٢٦٨): ما الفرق بين الهداية والتوفيق عند أهل السنة، وهل بينهما عموم وخصوص بيّنوا لنا ذلك؟

**الجواب**: الهداية لفظ يشمل الدِّلالة علىٰ ما فيه أو ما الحاجة إليه أنت محتاج إلىٰ طريق تحتاج إلىٰ من يهديك الطريق، تحتاج في مسألة إلىٰ إيضاح، تحتاج من يهديك في هٰذه المسألة، فأصل الهداية الدلالة بها دلالة وإيضاح.

في القرآن العظيم

...[**النوع الأول** الهداية الغريزية][1] وهي هداية المخلوق إلىٰ ما فيه بقاؤه وحسن معاشه، والدليل علىٰ هٰذه المرتبة قوله جل وعلا: ﴿أَلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾[طه]، يعني هداه إلىٰ ما فيه مصلحته في دنياه، إلىٰ آخر ذلك.

فالله جل وعلا هدىٰ الرضيع كيف يلتقم الثدي ويحتاج إليه، وهدىٰ الطائر لمصلحته، وهدىٰ الحيوان لمصلحته، إلىٰ آخر ذلك.

**النوع الثاني الهداية بمعنىٰ الدلالة والإرشاد**؛ دلالة وإرشاد من آخر لما فيه المصلحة مصلحة العبد في دنياه أو في آخرته أو فيهما معا، وهٰذه هي الأكثر في القرآن الهداية بهٰذا المعنىٰ، وهي هداية الدّلالة والإرشاد، وهي التي جاءت في مثل قوله جل وعلا: ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ٧﴾[الرعد]، يعني دال يدلّهم علىٰ الطريق.

**الثالث** هداية التوفيق وهي أخص من الأولىٰ؛ يعني أخصّ من التي قبلها، هداية التوفيق وهٰذه خاصة بالله جل وعلا، وهو الذي يوفّق ويُلْهِم، فالرسل هداة بمعنىٰ أنهم يدلون ويرشدون؛ لكن هداية التوفيق هٰذه من الله جل جلاله، ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[هود:٨٨]، هٰذا حصر التوفيق من الله جل وعلا دون ما سواه، لهٰذا نفاها ربنا جل وعلا عن نبيه ﷺ بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦]، فنفىٰ عنه الهداية في هٰذه الآية وجعلها لله جل وعلا مع إثباتها لنبيه عليه الصلاة والسلام في قوله جل وعلا في آخر سورة الشورىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾.

فالنبي ﷺ يهدي ولا يهدي:

(يهدي) بمعنىٰ أنه يدل ويرشد ويعلم إلىٰ آخر هٰذه المعاني.

و(لا يهدي) بمعنىٰ هداية التوفيق لا يوفّق بل الذي يوفق ويعين العبد ويصرف عنه السوء، ويعينه علىٰ الطاعة ويصرف عنه الشياطين حتىٰ يهتدي؛ بمعنىٰ حتىٰ يستقيم علىٰ أمر الله، هٰذا رب العالمين جل جلاله وتقدست أسماؤه.

**الهداية الرابعة** التي في القرآن هي التي جاءت في «سورة محمد» وهي هداية أهل النار للنار وهداية أهل الجنة للجنة، فهداية أهل الجنة للجنة في قوله جل جلاله: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ٥﴾، هٰذه الهداية وقعت بعد القتل، وما بعد القتل الهداية إلىٰ أيّ شيء؟ هداية

---

(١) الظاهر أنه سماها هنا (الهداية العامة)، وقد ذكر الشيخ صالح في شريطيه «أفمن كان علىٰ بينة من ربه»: إن في القرآن أربع أنواع من الهداية: أولها الهداية الغريزية، ذكر ذلك بتفصيل يحسن الرجوع إليه.

إلىٰ الجنة لهٰذا قال بعدها: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾[محمد]، قال العلماء: يهديهم يعني إلىٰ صراط وإلىٰ طريق الجنة، وهداية أهل النار إلىٰ النار كقوله في سورة الصافات: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۝٢٣ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ۝٢٤﴾.

إذن تبين من هٰذا أن التوفيق مرتبة من مراتب الهداية، والذي يتصل بالإيمان بالقضاء والقدر وفعل العبد من هٰذه المراتب المرتبتان الثانية والثالثة -هداية الدلالة والإرشاد وهداية التوفيق والإلهام-، ولذلك شاع عند العلماء أن الهداية قسمان:

- هداية دلالة وإرشاد.
- وهداية توفيق وإلهام.

لأن هذين النوعين هما اللذان نحتاج إليها في أعظم المسائل المتعلقة بالهداية وهي مسألة القضاء والقدر والهداية والضلال، أما الهداية العامة، وهداية أهل الجنة للجنة وهداية أهل النار للنار هٰذه متفق عليها معلومة عند الجميع.

نكتفي بهٰذا القدر. اقرأ...

📖 مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ.

وَنَقُولُ: إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا، إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا.

[الشرح]

**المسألة الخامسة:** فيما يتعلق بقوله في وصف الرب جل وعلا (مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ.)، المسألة الخامسة في أن نفاة العلو لربِّنا جل وعلا يُعنىٰ بهم من ينفي علو الذات للرب ﷻ.

أما علو القهر والقدر فهٰذا يُثبته الجميع، فإذا قيل نفاة العلو فيعنىٰ بهم من ينفي علو الذات لله جل وعلا.

والذين نفوا علو الذات لربهم جل وعلا خالفوا الأدلة التي ذكرناها لكم من الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة، وأيضا احتجوا هم بأدلة عقلية لنفي علو الله جل وعلا، تعالىٰ الله عن قولهم.

والدليل العقلي الذي من أجله نفوا صفة العلو لله ﷻ قالوا: إنّ علو الذات يعني أن الله جل وعلا عالٍ علىٰ خلقه بذاته هٰذا يقتضي أن يكون في جهة؛ لأنّ العلو أحد الجهات الست، والجهات الست هي أمام خلف يمين شمال تحت وفوق، فإثبات الفوقية وإثبات العلو يقتضي أن يكون الرَّحمٰن جل وعلا في جهة من الجهات، وإثبات الجهة -علىٰ أصلهم- يقتضي أنه جسم.

طيب إذا كان جسما عندكم بحسب تأويلكم، هل هٰذه النهاية؟ قالوا: لا، إذا كان جسما إذا وصلنا إلىٰ هٰذا فإن معناه أننا نبطل الدليل الذي أثبتنا به وجود الرب جل جلاله، ما معنىٰ هٰذا الكلام؟

معناه أن الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم أثبتوا وجود الرب جل جلاله عن طريق حلول الأعراض في الأجسام، وقالوا: إن جعل الجسم محدَثًا، له محدِث، إنما تبيّنا بأن أثبتنا بأنه جسم، وكيف أثبتنا أنّه جسم؟ قالوا: بحلول الأعراض فيه، (حلول الأعراض فيه) أيش معناها؟ معناها أنّ هٰذا الجسم يتصف بصفات لا ترىٰ، يحل فيه أشياء تغيره تسمىٰ الأعراض، تعرض له وتزول عنه، فمثلا البرودة هٰذا عرض علىٰ حد كلامهم، والحرارة عرَض، أيضا الانتقال عرض، التقدم والتأخر عرض، الانخفاض عرض، العلو عرض، فهٰذه الصفات يجعلونها أعراضا، وهٰذه الأعراض إنما تقوم بالأجسام، فلما كان الجسم لا يقوم بنفسه يحتاج إلىٰ أعراض حتىٰ تميّزه وحتىٰ يكون فاعلا، استدللنا علىٰ أنّه يُفعل به؛ لأن الهوىٰ لم يجلب الأعراض بنفسه في الجسم، وإنّما جُلبت إليه معناه أنه محتاج فقير يُفعل به، فإذن ثَم فاعل وثَم محدث إلىٰ آخره.

فاستقام لهم بهٰذا أن جميع الأجسام الموجودة ثبتت جسميتها بحلول الأعراض فيها، وما دام أنّه حلّت الأعراض فيها فثم من أحلّ الأعراض فيها فأوجد الأعراض فيها والتي منها العلو والنزول والتقدم والتأخّر والمشي والهرولة والأخذ والرّد إلىٰ آخره.

لهٰذا جعلوا هٰذا قاعدة -تنتبه لها- فيما نفوا من الصفات، يقولون: الدليل العقلي يُبطل الإتصاف بهٰذه الصفة، أي دليل عقلي؟ هو الدليل العقلي الذي هو حلول الأعراض في الأجسام الذي به أثبتوا أنّ الله جل وعلا موجود.

فإذن قالوا: لو أثبتنا العلو، لو أثبتنا أن الله عالٍ بذاته جل وعلا، لعاد هٰذا الإثبات علىٰ دليلنا بالإبطال؛

لأننا أثبتنا حدوث الأجسام بالأعراض، طيب هٰذا عرض وهٰذه صفة تدل علىٰ أنه في جهة، إذا صار في جهة معناه أنه متحيّز، إذا صار متحيز معناه أنه جسم، إذا صار علو أيضا عرض حلّ في الجسم إذا صار جسما معناه ثمة شيء فعل به، فهٰذا إبطال للربوبية لتوحّد الله جل وعلا في الخلق.

ولهٰذا نفوا كل صفة من الصفات تكون من الأعراض أو تكون من الحوادث.

لهٰذا يتسم الصفاتية عموما؛ بل وجَهْم قبلهم وهو الذي أنشأ هٰذا البرهان الباطل يتسمون بهٰذه السمة وهي أنهم يقولون: الدليل العقلي يمنع الاتصاف بهٰذه الصفة، ويعنون به الدليل العقلي علىٰ إثبات وجود الله جل وعلا.

وهٰذه الجملة اليسيرة فصّلتها لكم أظن في أحد الشروح أظن في «شرح الواسطية» بتفصيل، وهي سبب ونشأة القول بنفي الصفات، كيف ظهر القول بنفي الصفات؟ لماذا اختلفت الأمة؟ وما هو منشأ الضلال فيها؟ وكيف تفرعت؟ ذكرناها لكم ذكرناها لكم أظن في دروس الواسطية أو في غيرها.

إذن فالشّبهة التي من أجلها نفوا العلو، هي أن العلو جهة، وكون الرَّحمٰن في جهة معناها أنه متحيّز، فإذا كان متحيزا فمعناه أنه جسم إلىٰ آخره، وهٰذه لكها ناشئة من صحة اعتقادهم صحة الدليل الأول، والدليل الأول الذي هو إثبات وجود الرب جل وعلا عن طريق حلول الأعراض في الأجسام لا نسلمه، نقول: هٰذا دليل أصلا باطل ودليل غير صحيح ولا يستقيم لإثبات وجود الرب جل وعلا.

بل أعظم إثبات لوجود الرب جل وعلا هو الدليل القرآني وهو قول الرب جل وعلا في كتابه: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾[الطور]، ليس ثم إلا احتمالين إما أن تكون خالقا أو مخلوقا، والسَّمٰوات والأرض إما أن تكون خالقة أو مخلوقة.

تكون خالقة هٰذا ممتنع لأدلة كثيرة، فلابد أن تكون مخلوقة، كذلك الشجر، كذلك النبات، كذلك المياه.

كذلك كل تنظيم تراه ثم احتمالين إما أن يكون خالقا إما أن يكون مخلوقا.

والأدلة علىٰ إثبات وجود الله جل وعلا وأنه سبحانه المتفرّد بتصريف الملك أكثر من أن تحصىٰ وفطرة الإنسان تأبىٰ أن يقول بغير ذلك.

المقصود هٰذه شبهة من نفىٰ العلو، ولهٰذا نقول: إنهم بنوا بنيانهم هٰذا علىٰ شفىٰ جرف هار، بنوه علىٰ قاعدة باطلة وعلىٰ مقدمة باطلة، فيُرد عليهم بإبطال مقدمته.

هٰذا من جملة أدلتهم العقلية، ثَم أدلة متنوعة، من يريد المزيد يرجع إليها في المطولات.

**المسألة السادسة**: ثَم كلمة عند المتكلمين وطائفة من نفاة العلو وهي أنهم يقولون: **إن السّماء قبلة الدُّعاء.**

إذا قال لهم قائل: فطرة الإنسان أنه إذا أراد أن يدعو اتجه إلىٰ السماء. قالوا: هٰذا لأن السماء قبلة الدعاء. وهٰذه الكلمة ربما ردّدها بعض المنتسبين إلىٰ السنة قالوا: إن السماء قبلة الدعاء. وهٰذا باطل، الكلمة هٰذه باطلة، فالسماء ليست قبلة الدعاء، فأعظم الدعاء الصلاة، الصلاة سُميت صلاة لما فيها من دعاء العبادة ودعاء المسألة، ومع ذلك جُعلت قبلة الصلاة إلىٰ بيت الله جل وعلا الحرام، فقبلة الدعاء

هي قبلة الصلاة، وهي قبلة الميّت التي يوجه إليها عند احتضاره ويوجّه إليها عند دفنه، وهي مكة أو الكعبة التي شرّفها الله جل وعلا.

فإذن لا يصح قول من يقول: إن السماء قبلة الدعاء. بل المشروع للدّاعي أنه إذا أراد أن يدعو أن يتوجه إلىٰ القبلة، هٰذا أكمل حالات الدعاء، إذا دعا يتوجه إلىٰ القبلة.

ثم إذا رفع يديه فإنه يرفعها ويتجه ببصره وقلبه إلىٰ القبلة، يتجه بوجهه وببصره إلىٰ القبلة.

قد يرفع وجهه إلىٰ السماء، مثل ما حصل للنّبي عليه الصلاة والسلام في بدر رفع يديه شديدا حتىٰ سقط رداؤه عن منكبيه، فقال له أبو بكر: يا رسول الله مهلا بعض مناشدتك ربك فإنه منجزٌ لك ما وعدك. ورفع وجهه وهٰذا لأجل الإلحاح في طلب الفرج من الله جل وعلا، وليس لأجل أن السّماء قبلة؛ لأن أكثر دعاء النبي عليه الصلاة والسلام لا يرفع فيه وجهه إلىٰ السماء؛ بل في الصلاة وهي دعاء نهىٰ فيها نبينا عليه الصلاة والسلام عن رفع البصر إلىٰ السماء.

المسألة التي تليها وهي:

**المسألة السابعة**: قول الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ) الإحاطة المقصود بها إحاطة الخلق بالله جل وعلا، فالخلق لا يحيطون بالله جل وعلا لا بذاته ولا بصفاته، والإحاطة لا تعني عدم العلم بالشيء وإنما تعني العلم الكلّي به أو الإحاطة به من جميع جهاته سواء كان من الصفات أو من غيرها فالله جل وعلا أعظم وأجلّ أن يحيط به أحد من خلقه ﷻ لا في ذاته ولا في صفاته؛ بل هو الذي يحيط بكل شيء سبحانه ولا يحيط به شيء، بل (أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ) يعني في قوله سبحانه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[الأنعام:١٠٣]، ونحو ذلك من الأدلة.

**الإحاطة** ذكرنا لكم معناها -أظن في أول الكلام-.

وحاصل المعنىٰ أن الإحاطة -يعني في اللغة- هي إدراك الشيء من جميع جهاته، وقد يكون هٰذا الشيء معنىٰ وقد يكون ذاتا.

فالله سبحانه ذكر أنّ عباده لا يحيطون به علما، وهٰذا لكمال صفاته سبحانه وعجز البشر عن أن يدركوا تمام صفاته.

ومن جهة اللغة إحاطة الذات كما في قوله جل وعلا: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾[الكهف:٢٩]، يعني صار من جميع الجهات.

فإدراك الشيء من جميع جهاته المعنوية أو الذاتية يقال له في اللغة العربية: إحاطة، ولهٰذا سمي علماء الإختصاص سموا البحار العظيمة محيطات لأجل المعنىٰ اللغوي في أنها تحيط ببقع كبيرة من الأرض من جميع جهاتها.

الإعجاز كونه جل وعلا (أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ) هٰذا في الدنيا وفي الآخرة، فالخلق لا يحيطون بالله جل وعلا علما في الدنيا، وكذلك المؤمنون إذا رأوه يوم القيامة فإنها رُؤية بصر -رؤية عين- وليست رؤية إحاطة ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ ﷻ.

قال بعدها رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَنَقُولُ: إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمَ [اللهُ] مُوسَىٰ تَكْلِيمًا، إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا.) يريد

بذلك أنّ أهل السنة والجماعة المتّبعين لسلف هٰذه الأمة وأئمة الحديث والعلم أنهم يصدقون ويؤمنون بما أخبر الله جل وعلا في كتابه من صفاته ومن اصطفائه لبعض خلقه ومن ذكر الغيبيات بأنواعها كما قال سبحانه في وصف أهل الإيمان: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾[البقرة]، فكل الغيب يؤمن به أهل السنة والجماعة دون تفريق ما بين مسألة ومسألة ودون خوض في التأويل بما يصرفها عن ظاهرها.

وقد ذكر الله جل وعلا لنا في القرآن أنه تخذ إبراهيم خليلا قال سبحانه في سورة النساء: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥﴾، وكذلك اتخذ نبينا ﷺ خليلا، وكلم الله جل وعلا موسىٰ تكليما، كلمه فسمع موسىٰ كلام الربّ جل وعلا، وكذلك ربنا جل وعلا كلم نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام تكليما ليلة المعراج، فجمع الله جل وعلا لنبينا ﷺ ما اختص به إبراهيم وما اختص به موسىٰ من بين أهل زمانهم فجعله عليه الصلاة والسلام كليمًا خليلا.

هٰذه الجملة وهي: (وَنَقُولُ: إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) دُوِّنت في العقائد لأجل مخالفة الجهمية والجعدية وأشباه هؤلاء في إثبات خُلّة الله جل وعلا وفي إثبات الكلام لله جل وعلا.

ومن أعظم المقالات شناعة في الإسلام مقالة الجعد بن درهم الذي زعم أن الله جل وعلا لم يتّخذ إبراهيم خليلا ولم يكلّم موسىٰ تكليما فضحّىٰ به خالد بن عبد الله القصري أمير مكة يوم عيد الأضحىٰ تقرّبا إلىٰ الله جل وعلا بإراقة دم ذلك الكافر الذي كذّب الله جل وعلا وكذّب رسوله ﷺ.

فهٰذه المقالة ورثها الجهمية ثم ورثها من يؤوّل الصفات فينفون صفة الخُلة وينفون صفة الكلام لله جل وعلا.

قوله: (إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا) هٰذه الكلمات الثلاث متغايرة، فالإيمان والتّصديق والتّسليم تتداخل، فمن آمن فقد سلَّم، ومن صدّق فقد آمن، ومن آمن فهو مصدِّق؛ ولكن من جهة الحقيقة فإنّ المؤمن يعني من قال هٰذا الكلام إيمانا به قد يكون إيمانا لكن ليس تصديقا باتخاذ الخلة كقول المفوضة فإنهم يؤمنون باللفظ وبالآية دون التصديق بالمعنىٰ الذي فيه، والتّسليم تسليم بأن الله جل وعلا يتصف ﷻ بالصفات، نسلّم لربنا جل وعلا ما اتصف به من صفات الجلال والكمال والمحبة والخلة إلىٰ آخر ذلك.

فإذن (إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا) ظاهرها التقارب في المعنىٰ، والذي يظهر أنه أراد لكل كلمة معنىٰ أخص.

هٰذه الجملة فيها مسائل تفصيلية:

**المسألة الأولى**: الله جل وعلا اتخذ إبراهيم خليلا، بمعنىٰ أنه ﷻ اتّصف بأنه أحب إبراهيم عليه السلام، وأحبَّه حتىٰ جعله خليلا له وهو الحِبّ الخاص، والمحبة هي القدر المشترك بين معانٍ كثيرة، وقد ذكر ابن القيم وجماعة ذكروا أن المحبة لها عشر مراتب وفصّلوها؛ لكن هٰذا لا يعنينا في هٰذا المقام، فإنما الذي يعنينا أن الخلة أخص من المحبة.

فصفة محبة الرب جل وعلا لعباده المؤمنين هٰذه ثابتة في الكتاب والسنة في أحاديث كثيرة وفي آيات كثيرة، كقول الله جل وعلا: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة:٥٤]، هٰذه محبة الرَّب جل وعلا لهؤلاء، وكذلك في الصِّفات في صفات من يحبهم الله جل وعلا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ

﴿ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾[البقرة]، ونحو ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾[الصف]، المحبة صفة جاءت في أدلة كثيرة.

كذلك في السنة كما في حديث سهل بن سعد المعروف أن النبي ﷺ ذكر لما ذكر في فتح خيبر قال: «**لأعطين الراية غدا رجلا يحبُّه الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح الله علىٰ يديه**» فكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وصفة المحبة ثابتة، أما الخلة فهي محبة خاصة، ولذلك كل من نفىٰ المحبة فإنه ينفي الخلة؛ لأن الخلة أخص، وليس كل من نفىٰ الخلة فإنه ينفي المحبة؛ لأنهم قالوا: إنَّ الخلة تتخلل النفس وفيها نوع من المعنىٰ الذي لا يليق بالرَّب جل جلاله.

ولهٰذا نقول: إنه في صفات الرب جل وعلا لما ثبتت صفة المحبة في الكتاب والسنة فإنَّ صفة الخلة واتخاذ إبراهيم علىٰ السلام خليلا واتخاذ محمدًا عليه الصلاة والسلام خليلا كما في حديث «**ولكن صاحبكم خليل الرَّحمٰن**» هٰذا في المعنىٰ واحد؛ لأن أصل الصفة وهي المحبة ثابت بالاضطرار، فالخلة محبة خاصة نثبتها كما جاء في الكتاب والسنة.

**المسألة الثانية**: أن صفة المحبة والخلة ثبتت في النصوص، وغيرها من معاني المحبة إذا لم يجئ في الدليل فإنه لا يثبت في الله جل وعلا، وكذلك ينبغي أن لا يستعمله العبد في حبه لله جل وعلا تعبيرا عن ذلك.

ويمثّل العلماء علىٰ ذلك بلفظ العشق، ومعلوم أن العشق محبة عظيمة واستعمله الصوفية بأن فلانا يعشق الله أو هٰذا عاشق الرَّحمٰن أو مات من العشق ونحو ذلك من الكلمات التي يتداولونها.

والعشق لا شك أنه محبة خاصة وزائدة؛ لكن هل يُطلق علىٰ أن العبد يعشق الله؟ أو أنّ الله جل وعلا يعشق عبده؟

هٰذا اللفظ لم يأتِ به الدليل لا في الكتاب ولا في السنة ولا في أخبار الصحابة ولا في أقوال كبار التابعين إلىٰ أن جاءت الصوفية.

وسبب المنع من إطلاق هٰذا اللفظ في صفات الله جل وعلا، أو أن يقول العبد: هٰذا عاشق، أو هٰذا شهيد العشق الإلهي ونحو ذلك من الألفاظ الباطلة.

أنّ العشق حتىٰ في عُرف أهل اللغة وعند العرب لا يخلو من تعدّي، فالذي تصل به المحبة إلىٰ حد العشق فإنه إذا عشِق فلا بد أن يكون ثَم تعدٍّ معه، إما تعدي علىٰ نفسه بالإيغال في هٰذه المحبة حتىٰ العشق، وإما أن يوصله العشق إلىٰ التعدي علىٰ غيره.

ومحبة الله جل وعلا لعباده مبنية علىٰ كمال العدل وكمال الجمال والرحمة بعباده المؤمنين، ومحبة العبد لربه جل وعلا مبنية علىٰ تعظيم الله جل وعلا وعلىٰ توقيره سبحانه وتعالىٰ.

فاللفظ -لفظ العشق- لما كان غير وارد في الدليل والنص واشتمل علىٰ هٰذا المعنىٰ الباطل وهو أنه يشعر بالتعدي، إما علىٰ النفس أو علىٰ الغير فإنه يمتنع إطلاقه علىٰ الرب جل جلاله أو من العبد علىٰ ربه سبحانه وتعالىٰ.

**المسألة الثالثة**: كلمات المحبة التي يستعملها بعض المتصوفة ويستعملها بعض أهل السلوك

والتربية حتىٰ من المعاصرين، هٰذه تنقسم إلىٰ قسمين:

**القسم الأول**: نقول: يجوز إطلاقه؛ يعني من العبد لربه جل وعلا، وذلك إذا كان في معنىٰ المحبة ولم يترتّب عليه مخالفة للغة من جهة ما يليق بالله جل وعلا من الصفات والكمال والجلال.

**والقسم الثاني**: يُمنع وهو ما لم يرد به الدليل، وكان مشتملا علىٰ معاني باطلة، من ذلك؛ من الألفاظ التي تمتنع: العشق والغرام والتتيم ونحو ذلك.

ومن الألفاظ التي لا تمتنع: لفظ المودة والشوق وأشباه ذلك من المعاني، يعني الضابط فيها أن تنظر هل يُخبر عن الله جل وعلا أو العبد يخبر عن محبته لربه بلفظ لم يرد؟

نقول: هٰذه الألفاظ التي يخبر بها العبد إما أن تشتمل علىٰ معنىٰ صحيح وليس فيها تعدي فتجوز، وإما أن تشتمل علىٰ معنىٰ باطل فلا تجوز.

وترجعون في ذلك بتفصيله إلىٰ «قاعدة المحبة» للشيخ تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

ذكر بعد ذلك صفة الكلام فقال: (وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا) وصفة الكلام لربنا جل وعلا نجعلها:

**المسألة الرابعة**: صفة الكلام لله جل وعلا نؤمن بها؛ لأن الله جل وعلا أثبتها لنفسه في النصوص والكلام الذي هو صفة الله جل وعلا عند أهل السنة والجماعة كلام قديم وحادث، قديم النوع حادث الآحاد؛ ويعنون بقديم النوع حادث الآحاد: أن الله جل وعلا لم يزل متكلما، يتكلم متىٰ شاء، فهو سبحانه لم يزل متكلما وكلامه ﷻ من صفاته، وكلامه لم ينقطع؛ بل أفراده وآحاده يعني لا تزال متجددة، وهٰذه تنقسم إلىٰ قسمين -يعني الآحاد- الآحاد تنقسم إلىٰ قسمين:

الكلام الشرعي: القرآن والتوراة ونحو ذلك من كتب الله جل وعلا.

والثاني الكلام الكوني: وهو الذي يأمر الله جل وعلا به في ملكوته كما قال سبحانه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾[الكهف]، وكذلك قوله في لقمان: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان:٢٧]، يعني بها الكلمات الكونية.

ولهٰذا سمَّىٰ الله جل وعلا كلامه مُحدثا -يعني حديثا- في قوله في أول سورة الأنبياء: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾ محدث يعني حديث جديد كذلك آية الشعراء ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾﴾، المحدث ليس بمعنىٰ المخلوق تعالىٰ الله جل وعلا عن ذلك ولكن بمعنىٰ الحديث الجديد، ولهٰذا قال عليه الصلاة والسلام في وصف ابن مسعود: «**من سره أن يقرأ القرآن غضا طريا كما أنزل فليقرأه علىٰ قراءة ابن أم عبد**».

صفة الكلام وما يتصل بها مر معنا أشياء تتعلق بذلك، لعله أن يأتي لها مزيد تفصيل؛ لكن المقصود هنا ليس إثبات الصفة من جملة الصفات؛ ولكن المقصود المخالفة في إثبات الخلة والكلام لموسىٰ عليه السلام إيمانا وتصديقا وتسليما.

سبق لنا الكلام عن صفة الكلام عند قوله: (وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ) في تفصيل الكلام علىٰ صفة الكلام، نكتفي بهٰذا القدر.[1] نلتقي بكم إن شاء الله في الأسبوع القادم، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الثاني والعشرين.

## الدرس الثامن والعشرون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

أحمد ربي وأصلي وأسلم علىٰ عبده ورسوله وخليله محمد بن عبد الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد..

[**الأسئلة**] فنجيب علىٰ بعض الأسئلة.

سؤال (٢٦٩): ما ضابط (المحسن) الذي يدخل في قوله تعالىٰ: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة:٩١]؟

**الجواب**: أولا المحسن أو قبل ذلك المحسنون هو جمع المحسن، والمحسن هو فاعل الإحسان يعني من قام به الإحسان فعلا له، أحسن يحسن إحسانا فهو محسن.

والإحسان ضد الإساءة، وأصل الإحسان هو فعل المرء ما عليه من العمل علىٰ وجه الكمال، أو أن يَتَفضَّل بزيادة عما عليه، ولهٰذا يدخل من فعل الواجبات في اسم المحسن باعتبار أنه أدّىٰ ما وجب عليه، ويدخل من أتىٰ بالنوافل في اسم المحسن؛ لأنه زاد علىٰ ذلك، ولهٰذا سمّىٰ الله جل وعلا عبادته كأن العبد يرىٰ ربه بالإحسان، فجعل الابتلاء بالإحسان ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1]، وجعل معيّته الخاصة لأهل الإحسان ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت]، ﴿اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل]، ونحو ذلك.

فإذن المحسن هو مَن فعل الإحسان وهو أنه فعل ما يجب عليه فِعله أو ما له فعله شرعا ولم يسئ ولم يتعدَّ، وقد يزيد علىٰ ذلك بأن يفعل ما فيه المصلحة.

لهٰذا أدخل العلماء في الآية ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ المعذور، كما هو ظاهر الآية المعذور عن الجهاد لمرض أو عرج أو نحو ذلك، هٰذا محسن ما أساء وما تعدىٰ.

وكذلك أدخل فيه طائفة من علماء العصر وأهل الإفتاء والقضاء أدخلوا فيها مسألة مهمة وهي مسائل قتل الخطأ إذا كان الإنسان يقود سيارة وانقلبت مثلا قد حصل لمن معه جروح أو كسور أو نحو ذلك فهنا: هل يخاطب بأنه متسبب بالقتل أم ليس بمتسبب؟

هنا يُنظر هل فعل ما يجب عليه فعله من أخذ الحيطة مع عدم السرعة ومن تفقد السيارة ونحو ذلك، فإذا فعل ما جيب عليه فعله من أخذ الحيطة وسلامة الأرواح وعدم السرعة فإنه محسن؛ لأنه فعل ما يجب عليه.

وإذا تعدّىٰ ذلك وأساء إما في زيادة سرعة أو في قيادة وهو به نوم أو ما تفقّد أدوات السيارة وأدوات السّلامة من الفرامل ونحو ذلك، فهٰذا لا يدخلونه في اسم المحسن لأنه قصر في أداء ما وجب عليه.

إذن كلمة المحسن في الشرع يضبطها هٰذا الضابط الذي ذكرتُ لك، ومن نقص فقد أساء، من نقص

---

(١) سورة: هود، الآية (٧)، الملك، الآية (٢).

عما يجب عليه أو فرّط أو تعدىٰ فقد أساء، ومن أساء في هٰذا فقد ظلم ولا يدخل في اسم المحسن.

فإذن ظاهر الآية ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾[التوبة:٩١]، أن الله جل وعلا لتمام رحمته ومغفرته ولطفه ورأفته لعباده فإنه لا يؤاخِذ المحسن ولو كان تخلّف عن بعض ما ذهب إليه غيره مثل الجهاد أو [...] أو النصرة إذا كان ليس عنده قدرة أو فعل ما يجب عليه واتّقىٰ الله ما استطاع فإنه محسن وما علىٰ المحسنين من سبيل.

هٰذا بعض ما يدخل في هٰذه الجملة من الآية، مع أنّ كلمة الإحسان والمحسن فيها تفصيل كثير من حيث مراتب الإحسان في الشّرع، ومن هو المحسن وجزاء المحسنين مما يُراجع في كتب التفسير.

سؤال (٢٧٠): هل صحيح أنّ النبي ﷺ بنىٰ مسجده فوق مقبرة؟ إن كان نعم، فكيف يُجمع بين نهيه ﷺ الذين اتخذوا القبور مساجد. وما حكم المدرس ... إلخ

الجواب: النبي ﷺ لما بركت النّاقة في موضع مسجده الآن كان فيها مواضع قبور للمشركين، فأمر النبي ﷺ يعني بجزءٍ منه أمر بالقبور فنبشت واتُّخذ هٰذا المكان مسجدا.

والمقبرة إذا كانت موجودة وبُني علىٰ القبر مسجدا فهٰذا هو الذي جاء فيه النهي.

نبش القبور للمصلحة الشرعية هٰذا جائز، ولهٰذا النبي ﷺ امتثل الأمر وبنىٰ في ذلك المكان مسجدا.

وإن كان يَعني (بُني مسجده فوق مقبرة)، إن كان يعني بُني المسجد علىٰ قبر النبي ﷺ لإن آخر السؤال يدل عليه، (وإن كان ذلك ما حكم المدرس .... وإلىٰ آخره).

إذا كان المقصود أن النبي ﷺ بني مسجده علىٰ قبره، فهٰذا غلط كبير، النبي ﷺ بُني مسجده في حياته، وهو لما توفي عليه الصلاة والسلام دفن في حجرة عائشة كانت ملاصقة للمسجد وليست من المسجد.

ولما احتاج المسلمون إلىٰ توسعة المسجد لضيقه بالناس وُسِّع من الجهة الجنوبية ومن الجهة الشمالية ومن الجهة الغربية، وأما الجهة الشرقية التي فيها حجرات أزواجه عليه الصلاة والسلام ومنها حجرة عائشة بالخصوص، فما كان يؤخذ منها إلا لما احتيج، وبقيت حجرة عائشة التي فيها القبور علىٰ ما هي عليه، فكانت حجرة عائشة ليست من المسجد وإنما المسجد من جهاتها الثلاث وليست حجرة عائشة بالوسط.

وبقي المسلمون علىٰ ذلك زمانا طويلا حتىٰ أُدخل في عصور متأخرة -أظن في الدولة العثمانية أو قبلها- أُدخل الممر الشرقي وذلك بعد شيوع الطواف بالقبور، أدخل الممر الشرقي يعني وُسِّع يعني جهل الحائط يدور علىٰ جهة الغرفة الشرقية، صار فيه هٰذا الممر الذي يمشي معه من يريد الطواف.

وهٰذا الممر وإن كان السور -سور المسجد- من تلك الجهة خلفه لكن ليس له حكم المسجد ولا يقال: القبر في المسجد إلىٰ الآن، ولا يقال: الحجرة الآن في المسجد وإن كان ظاهرها من حيث العين أنها في المسجد؛ لكنها حكما شرعا ليست في المسجد؛ لأن الجهة الشرقية هٰذه الممر لا يصحّ أن يكون مسجدا شرعا، فلذلك إدخاله في المسجد باطل، ولذلك الصلاة في الجزء ذاك لا تصح، ولهٰذا يعمل في كثير من الأحيان أنها تسدّ وقت الصلاة، سد الجهة من ذلك الممر حتىٰ ما يصلي المصلون من جميع الجهات.

ولذلك لما جاء في التوسعة الأخيرة توسعة الملك فهد لم يُبتدأ في التوسعة من أول المسجد الأصلي وإنما ابتدئ بعد نهاية القبر؛ يعني من نهاية الحجرة بكثير وبعد الباب وصار الامتداد هناك.

فإذن الواقع الآن يعني من حيث التاريخ ليس المسجد مبنيّ علىٰ القبر، هٰذا **أولا**.

**الثاني** أن القبر لم يُدخل في المسجد وإنما اكتنفه المسجد من الجهات الثلاثة جميعا.

الأمر **الثالث** الجهة الرابعة الشرقية من الحجر هٰذه أدخلت في عصور متأخرة لما شارع الطواف بالقبور، ولما قامت الدعوة ووصلت الدولة السعودية إلىٰ ذاك المكان، واستفتِي أئمة الدعوة في ذلك فلم يروا تغيير السور وتقطيع المسجد حتىٰ ما تثار أشياء وإنما قالوا: الوقف الجزء هٰذا الصلاة فيه باطلة فيمنع الناس من أن يصلوا فيه الذي هو الممر الشرقي للقبر.

فإذن من كل جهة لا ينطبق عليه أن القبر هٰذا في المسجد، ولا أن المسجد بني علىٰ القبر، وإنما هٰذا ﷺ دفن في حجرة عائشة لا في المسجد، وحُجرة عائشة رضي الله عنها منفصلة عن المسجد وليست في داخل المسجد.

بقي أيضًا أنَّه لما وُسِّع المسجد من الجهة الشمالية واشتُريت بعض حُجرات النبي ﷺ؛ يعني التي هي من جهة دكة الآغوات وما هو شمال منها، كانت الحُجرة حجرة عائشة جُعل عليها جداران:

**الجدار الأول** الذي هو يفصل حجرة عائشة عن بقية الحجر هٰذا الجدار الأول، وهٰذا الجدار له صفته، يمكن تشوفونها في الخرائط موجودة.

**وجعل جدار آخر** أيضا مثلث؛ جعل جدار آخر بعد هٰذا الجدار من الجهة الشمالية صار زاوية في اتجاه السهم كأنه يتجه إلىٰ الجهة الشمالية، فعل ذلك من فعل من العلماء في ذاك الزمان من التابعين وغيرهم حتىٰ لا يَظن أحد أنه يمكن أن يستقبل القبر، لا يُتصور أن القبر أمامه وأنه الآن هو يستقبله، يصير فيه الآن جدران محرفة ويبعد النظر أنه يستقبل القبر.

ثم بعد ذلك **عُمِل جدار ثالث**، والجدار الثالث هٰذا طويل يعني طوله في السماء يعني ارتفاعه نحو ستة أمتار ونحو ذلك، فهو غير مسقوف أيضا.

فهٰذه الجدران الثلاثة فعلها المسلمون مع كون الحجرة ليست في المسجد حتىٰ لا يظن الظان أنه إن صلىٰ في الجهة الشمالية أنه يستقبل القبر؛ لأنه إنْ صح ذلك يقال: لا نستقبل القبر مع وجود هٰذه الجدران الثلاث بينه وبين القبر فمعناه كل إنسان بينه وبين المقبرة جدران فإنه يستقبل القبور، وهٰذا لا قائل به من أهل العلم.

فلهٰذا جعلوا هٰذه الجدران الثلاثة حتىٰ لا يُتّخذ قبره مسجدا يصلىٰ فيه ولا يصلىٰ إليه، وحتىٰ لا تتعلق القلوب به، ولا يوصل إلىٰ قبره، ولا يمكن لأحد أن يخلُص إلىٰ قبره، ليس هناك أبواب وليس هناك طريق أبدا أن يخلص واحد أن يخلص إلىٰ قبر المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام.

ثم بعد أزمان جُعل هٰذا السِّياج الحديدي الموجود الآن، فهو الرابع الآن، هٰذا السياج الحديد الرابع بينه وبين الجدار الثالث ممر، والجدار الثالث هٰذا هو الذي ترون عليه السترة الخضراء أظن أو شيء، وبعده جدار ثاني وبعد الجدار الثاني الجدار الأول.

وهٰذه الثلاثة الجدران هي التي ذكرها ابن القيم في «النونية» بقوله:

فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه به ثلاثة الجدران

يعني في دعاء النبي ﷺ «**اللّٰهمَّ لا تجعل قبري وثنا يعبد**».

المقصود من هٰذه المسألة من مهمات المسائل أن تكون واضحة لطالب العلم تماما؛ لأن الشبهة بها كبيرة، والذين يرددون مثل هٰذا الكلام كثير.

فلهٰذا نقول: إن القبر ليس في المسجد، ولا يمكن لأحد أن يستقبل القبر، وإنّما قد يتّخذ بعض الجهلة أو بعض المشركين في قلبه صورة القبر ويستقبل شيئا في قلبه ويعبد شيئا في قلبه، أما القبر فإنّه ليس وثنا ولا يمكن أن يُتّخذ وثنا وأنه محاط بإحاطات تامة.. إلىٰ آخر ذلك.

والقبة الموجودة فوق سطح مسجد النبي عليه الصلاة والسلام هٰذه ليست علىٰ القبر بالمسامتة إنما هي علىٰ جزء كبير تشمل الجدران الأربعة كلها، ولذلك لأن قطرها كبير جدا والقبر في الداخل، وهٰذه القبة كانت في زمن مضىٰ من الخشب بلون الخشب أول ما صنعها أظن المماليك، ثم بعد ذلك جعلت باللون الأبيض، ثم جعلت باللون الأزرق، وهي التي كانت في وقت الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونحوه كان لونها أزرق، ثم في آخر عهد الدولة العثمانية جُعل لونها أخضر واستمر هٰذا اللون.

فلما قيل للشيخ محمد بن عبد الوهاب أنك تقول: لو أني أقدر علىٰ قبة النبي عليه الصلاة والسلام القبة التي علىٰ قبر النبي ﷺ لهدمتها؟ قال: سبحانك هٰذا بهتان عظيم فما قلت هٰذا ولا أقوله. لأنه ما يترتب من المفاسد علىٰ إزالة هٰذا المنكر أكثر من المصالح.

فالواجب التنبيه وتعليم الناس ودعوتهم إلىٰ التوحيد وعدم تمكين الشرك، والنّهي عن بناء القباب علىٰ المساجد نُهي عنه سدا للذريعة، وللعلماء في ذلك كلام يعني في مسألة بقاء القبة.

المقصود أنّ هٰذا الذي سار عليه أئمة الدعوة رحمهم الله في هٰذا الشأن فرأوا أن إبقاء القبة أن هٰذا أمر لازم، وذلك لما أشاعه الأعداء من بُغض أئمة الدعوة وبُغض أتباع دعوة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ للنبي ﷺ؛ بل عظّموا النبي عليه الصلاة والسلام وسدّوا كل طريق يمكن أن يؤصّل ما قالوه في هٰذا الباب؛ يعني ما قاله الأعداء.

... إذا كان القبر في مقبرة مستقلة عن المسجد فإن الصلاة في المسجد جائزة إذا كان في القبلة، بمعنىٰ أنه يكون للقبر سور مستقل عن سور المسجد، فإذا قال القائل: لا القبر في المسجد أو هٰذا السور محيط، أو أن القبر واضح أنه في جهة من المسجد فهٰذا يدلّ علىٰ أن المسجد بُني علىٰ القبر فلذلك لا تجوز الصّلاة فيه، والصلاة فيه باطلة.

وأما إذا كان المسجد وُجد أولا ثم القبر أدخل فيه، هٰذا يفرّق فيه ما بين إذا كان القبر في قبلة المسجد أو في مؤخرة المسجد، فإذا كان في مؤخرة المسجد فطائفة من العلماء والمشايخ يقولون: إن الصلاة فيه جائزة. وأما إذا كان في القبلة فإنّه لا تجوز الصلاة إليه؛ لأن النبي ﷺ نهىٰ عن الصلاة إلىٰ القبور.

فإذن هنا يفرّق في هٰذه الحال ما بين إذا كان المسجد جُعل علىٰ القبر؛ يعني إذا كان المسجد متأخرا والقبر أولا فيكون هٰذا حكم المقبرة يعني المسجد وضع علىٰ قبر فهٰذا الصلاة فيه لا تجوز؛ لأن هٰذا

منهي عنه والنهي يقتضي الفساد ولعن النبي ﷺ من فعل ذلك.

وأمَّا إذا كان المسجد موجودا ثم جُعل في طائفة منه القبر:

فهنا نقول: إذا كان القبر في الأول في مقدمة المسجد فإن الصلاة محرمة ولا تجوز، باطلة؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لا تصلوا إلىٰ القبور**» الصلاة إلىٰ القبر جعل القبر قبلة باطلة.

وأما إذا كان القبر في مؤخرة المسجد والمسجد مبني أولا فطائفة من العلماء يقولون بصحة الصلاة فيه، يعني من علمائنا.

سؤال (٢٧١): هٰذا سبق الإجابة عليه يقول: قال بعض نفاة الصفات أن قوله تعالىٰ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[المائدة:١١٦]، أن هٰذا من باب المشاكلة فما معنىٰ قولهم هٰذا؟

**الجواب**: هٰذا سبق الجواب عليه أظن مفصلا في أحد الأجوبة في هٰذا الدرس.

سؤال (٢٧٢): هل من علامات خاتمة الموت في الأزمان الفاضلة كرمضان والجمعة جزاكم الله خيرا؟

الجواب: ما فهمت السؤال، حسن الخاتمة! أما يوم الجمعة وليلة الجمعة فقد جاء فيها الحديث الذي رواه النسائي وغيره أن النبي ﷺ ذكر ممن يأمن فتنة القبر من مات يوم الجمعة؛ يعني ليلة الجمعة أو مات مرابطا إلىٰ آخره، أما رمضان فما أحفظ فيه شيء أن له مزية علىٰ غيره. الحديث إسناده جيد، يأمن يعني يجيب الجواب الجيد، فلا تكون في حقّه فتنة.

سؤال (٢٧٣): الرقية الشرعية سبب من أسباب الشفاء بإذن الله، وقد كثر القراء في هٰذه الأزمان وعليهم مخالفات كبيرة، وبعضهم يستعمل الكهرباء لإخراج... إلىٰ آخره.

الجواب: هؤلاء يجب منعهم وتعزيرهم، القرآن ما أنزل ليتخذ حرفة، من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل بالقرآن، يقرأ القرآن مباشرة، أما اتخاذها حرفة هٰذا من بدع هٰذا الزمن.

بعضهم الآن دخلوا في أمور منكرة كبيرة إما في السلوك أو في وضع مشين مع النساء، أو في استعمال القراءة بطرق مختلفة أو استعمال الكهرباء، بعضهم يقول مثل الورقة كانت معي منسوبة إلىٰ أحد القراء هؤلاء يقول: أنك تأخذ من الماء المقري فيه ثلاث مرات بعد الأكل أو قبل الأكل ونحو ذلك من الأمور المنكرة، وإذا أحسست أول يوم ستحس بكذا وإذا أحسست بكذا فخفف الجرعة وأشياء من هٰذا القبيل الذي هو من المنكرات الكبيرة.

**ومن العجائب في التاريخ** أن ابن بشر رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر في أول تاريخه -«تاريخ نجد لابن بشر» لابد تقرؤوه؛ لأن فيه من الفوائد في البلاد هٰذه وأحوال أهلها وتصنيف الناس إلىٰ آخره مما لابد لطالب العلم أن يقرأه-، ذكر في أوله أن أهل نجد لم يكن الشرك موجودا عندهم ولا البدع، وإنما شاع عندهم البدع من قبل متطبّبة البادية -هٰذا كلامه- من قبل متطببة البادية كانوا يجاورون أهل النخيل إذا كان وقد الجذاذ ويأتون ببعض الأدوية، فتعلق بهم أهل القرىٰ حتىٰ أرشدوهم إلىٰ أشياء أو أمروهم بأشياء من قبيل البدع، ثم أمروهم بالذبح لغير الله، ثم أمروهم بتعظيم الأموات.. إلىٰ آخر ذلك، حتىٰ وجد الشرك في هٰذه البلاد فيجب منع هؤلاء سدا للذريعة، وما يعطىٰ أحد من هؤلاء فرصة إلا في حالات نادرة ممن إذا كان العالم

يعرف هٰذا الشخص إلىٰ آخره؛ لكن الأصل العام أن لا يُفتح لمن أراد أن يتّخذ القراءة حرفة أن لا يفتح له المجال؛ لأن هٰذا ذريعة للشرك والبدع، نسأل الله السلامة والعافية. اقرأ..

وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ.

الحمد لله، وبعد..

هٰذه الجملة من كلام العلامة الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ ذكر فيها أصول الدين وأركان الإيمان فقال: (وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ.).

بعد أن ذكر تفصيل الكلام علىٰ الصّفات وعلىٰ القدر وعلىٰ العرش والكرسي وإحاطة الله جل وعلا بكل شيء وعلو الرب ﷻ والخلّة، وما في ذلك من المباحث التي هي متصلة بركنين من أركان الإيمان، وهما الإيمان بالله والإيمان بالقدر خيره وشرّه من الله تعالىٰ= ذكر بقية أركان الإيمان فقال: (وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ) وذلك أنّ أركان الإيمان التي جاءت في القرآن وفي سنة النبي عليه الصلاة والسلام ستة من الأركان.

وهٰذه هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله جل وعلا، لهٰذا قال: (وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ).

والإيمان بهٰذه المسائل من المتّفق عليه بين المنتسبين إلىٰ القبلة، فإنّهم يؤمنون بأركان الإيمان السِّتّة من الفرق الثلاث وسبعين، فإن الجميع يؤمن بذلك علىٰ اختلاف بينهم في تفسير بعض المسائل فيها، وذلك لكثرة النصوص الدّالة علىٰ الإيمان بهٰذه الأركان السِّتّة.

**فمن الأدلّة التي دلت علىٰ أن هٰذه الأركان الستة من الإيمان** بل هي الإيمان:

قول الله جل وعلا: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[البقرة:١٧٧] والبّر من الإيمان[1] أو هو اسم للإيمان؛ لأنه يُطلق فيشمل الإيمان جميعًا ويُطلق البر ويشمل بعض ألفاظ الإيمان.

وكذلك قوله جل وعلا في آخر سورة البقرة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[البقرة:٢٨٥] الآية.

كذلك قول الله جل وعلا في سورة النساء ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾... والآيات في هٰذا المعنىٰ كثيرة.

والحديث الذي يدلّ عليها مشهور عندكم معروف وهو حديث جبريل في سؤاله للنبي ﷺ عن الإيمان، فقال له عليه الصلاة والسلام: «**الإيمان أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، فقال جبريل عليه السلام: «**صدقت**». ثم في آخره قال: «هٰذا جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِمُكُمْ دِينَكُمْ»، فهٰذا القدر مجمَع عليه بين الفرق الثلاث وسبعين جميعا فكل فرقة من الفرق الثلاث والسبعين في هٰذه الأمة هي تؤمن بالملائكة والنبيين وتؤمن بالكتب؛ لكن هناك قدر يختلفون فيه في بعض تفصيلات الكلام علىٰ هٰذه المسائل.

---

[1] انتهى الشريط الثاني والعشرون.

بعض العلماء يعبّر عن هٰذه الأركان بأنها الأركان الخمسة أركان الإيمان الخمسة، أو يجعلها أصول الدِّين الخمسة، وبعضهم يجعلها أصول الدين الستة والأركان الستة، بعضهم يجعلها سبعة ونحو ذلك، وهي كلها متقاربة إما بحذف القدر لأجل الآيات لأن الآيات ليس فيها ذكر القدر، فيجعلونه موافقا للآيات، وإما أن تجعل جميعا مع القدر كما دلّ عليه حديث جبريل المعروف.

وأما من قال: سبعة ففيه توسع بذكر الجنة والنار كما قاله بعض المتصوفة أنهم قالوا: أركان الإيمان سبعة فذكروا اليوم الآخر والجنة والنار. والجنة والنار هي من الإيمان باليوم الآخر.

هٰذا ما يتعلّق بهٰذه الجملة إجمالًا، وتحتها مسائل:

**الأولى**: أن الإيمان بهٰذه الأمور -الملائكة والنبيين والكتب المنزلة علىٰ المرسلين- معناه التصديق الجازم؛ لأنَّ ما أخبر الله جل وعلا به عن هٰذه الأشياء فهو حق، وأن الملائكة كما سيأتي حق إجمالا وتفصيلا، وأن النبيين حق إجمالا وتفصيلا، وأن الكتب من عند الله جل وعلا منزلة حق إجمالا وتفصيلا.

هٰذا معنىٰ الإيمان بهٰذه الأشياء؛ بل يؤمن بوجود الملائكة إجمالا وتفصيلا ويؤمن بالنبيين كما سيأتي إجمالا وتفصيلا ويؤمن بالكتب أيضا إجمالا وتفصيلا.

هٰذا الإيمان مرتبتان: منه قدر واجب لا يصح الإيمان إلا به، ومن لم يأتِ بالقدر الذي سيأتي بيانه فإنه لم يؤمن بالملائكة ولم يؤمن بالنبيين ولم يؤمن بالكتب، ومنه قدر مستحبّ وهو الذي يتنافس فيه أهل العلم في إدراكه والعلم به والعمل بما تحتَه عمل من ذلك.

**المسألة الثانية**: ندخل في تفصيل الكلام علىٰ هٰذه المسائل:

**وأولها الإيمان بالملائكة** الإيمان بالملائكة يمكن أن نجعله أيضا فقرات:

**الأولى** في معنىٰ الملائكة، الملائكة في اللغة جمعٌ لِـ: مَلْأَك، وملأك قال العلماء: إنها مقلوبة من مَأْلك، وأصل مألك علىٰ مصدر فيه معنىٰ الألوكة وهي الرِّسالة، لهٰذا مادة الألوكة هي الرّسالة، وألَكَ فلانا بكذا يعني أرسله بكذا، فمادة الملائكة وألك والألوكة كلّها في الرسالة ومن ذلك قول الشاعر فيها ذكرته لكم من قبل:

في شروحنا السابقة حيث قال:

ألكني إليها وخير الرسول أعلمهم بنواحي الخبر

يعني أرسلني إليها، والألوكة معروفة عند العرب بمعنىٰ الرِّسالة.

فإذن الملائكة هم -معناه اللغوي- المرسلون؛ لكن رسالة خاصّة علىٰ وجه التّعظيم لها.

فإذن الملائكة هم المرسلون، لهٰذا الله جل وعلا سمىٰ الملائكة مرسلين في قوله: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ [المرسلات]، كما هو أصح أقوال المفسرين في ذلك، وكذلك في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[الحج:٧٥]، وسيأتي معنىٰ الاصطفاء هنا ولماذا صار بعض الملائكة رسلا إن شاء الله تعالىٰ؛ يعني خُصّوا باسم الرسالة دون البقية.

أما فيما دلت عليه الأدلة فالملائكة عباد من عباد الله جل وعلا، خُلقوا من نور، خلقهم الله جل وعلا

من نور، وجعلهم متفرّغين لعبادته موكَّلين بشؤون ملكوته، ليسوا ببناتٍ لله ﷻ، وليسوا بأولادٍ له ﷻ، وإنما هم عباد مكرمون يعملون بما يأمرهم به ربهم جل وعلا، عباد يَعبدون ولا يُعبدون مكرمون مطهرون ليسوا بذوي نقص لا في خِلقتهم ولا في خَلقهم ولا في عبادتهم لربّهم جل وعلا.

**الثَّانية** الملائكة درجات وطبقات، فأعظم الملائكة قدْرًا الثَّلاثة الذين خصهم النبي ﷺ في دعائه في الليل يعني في صلاته في الليل حيث كان يدعو عليه الصلاة والسلام بقوله: «**اللّهمَّ ربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السَّمٰوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اللّهمَّ..**» إلىٰ آخر الحديث، فقوله: «**اللّهمَّ اهدني فيما اختلف فيه من الحق بإذنك فإنك تهدي إلىٰ صراط مستقيم**» فنصّ علىٰ هؤلاء الثّلاثة لفضلهم ولرفعتهم عند الله جل وعلا.

وهؤلاء الثلاثة جبريل أفضلهم ثم ميكائيل ثم إسرافيل، أما جبريل عليه السّلام وميكائيل وإسرافيل فهم موكّلون بأنواع الحياة.

**فجبريل** موكّل بحياة القلوب؛ لأنه ينزل بالوحي من الله جل وعلا، كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[النحل:١٠٢].

**وميكائيل** موكّلٌ بأمر حياة الإنسان يعني وسائل حياة الإنسان والحيوان والمطر والنبات والرِّياح، وما أشبه ذلك لما فيه حياته واستقامة أمره.

وأما **إسرافيل** فهو الموكَّل بالنفخ في الصُّور، إذْ به إعادة الناس إلىٰ حياة جديدة بعدها لا موت.

فإذن الجميع يشتركون في أنّهم يُحيون أو أن معهم أسباب الحياة، فلذلك صاروا سادة الملائكة وأكابر الملائكة عليهم السَّلام.

هم طبقات يختلفون يعني في فضلهم ويختلفون في قُربهم من الله جل وعلا، وأيضا يختلفون في وظائفهم وما وُكِّلوا به.

ولفظ التَّوكيل أن الملك موكل؛ يعني أن الله جل وعلا أوْكَلَ إليه أن يعمل هٰذا العمل، وذلك لقول الله جل وعلا: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾[السجدة:١١].

والله جل وعلا جعل ملك الموت موكّلا في الإنسان، وكل سيد من الملائكة معه كثير من الملائكة يأتمرون بأمره وينتهون عن نهيه ويفعلون ما يأمرهم به أميرهم أو قائدهم أو المطاع فيهم.

لهٰذا صار ملك الموت معه رسل كما قال جل وعلا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ في سورة الأنعام، الرسل أعوان ملك الموت، كذلك قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[الواقعة]، يعني ملائكة الموت.

كذلك الله جل وعلا سمَّىٰ الملائكة الذين سخَّرهم للريح ووكَّلهم وهم جنود ميكائيل عليه السلام سماهم بصفاتهم، فقال جل وعلا: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ ﴾ [المرسلات] وقال: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ ﴾[المرسلات]، ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ ﴾[الصافات]، ونحو ذلك، وهؤلاء هم الموكّلون، ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾، ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾، ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾، قال طائفة من العلماء في التفسير: إنها الرّياح، وقال طائفة: هي الملائكة. من الصّحابة ومن التابعين، والقولان متقاربان لأن الرياح لا تفعل هٰذه الأشياء من ذات

أنفسها؛ بل هي مسوقة.

مثل ما ترون اليوم يقولون ما تسميه الأرصاد فيما يرون ويستنتجون يجد منخفض جوي في المكان الفلاني ومرتفع في الهند ومرتفع ما أدري إيش، يسبب وجود الرياح كذا والسحاب نشأ كذا، هٰذه كلها لما يعتقده المؤمن من أن الله جل وعلا هو الذي فعل هٰذه الأشياء، وأنه أمر الملائكة الموكلين بهٰذه الأمور أن تفعل هٰذه الأشياء، ثُم الناس ينظرون إلىٰ الأسباب، ينظرون إلىٰ المسبَّبات ولا ينظرون إلىٰ الفعل الحقيقي، يرون النّتيجة نتجت بسبب المنخفض؛ لكن بماذا حصل المنخفض كيف حصل؟ ونحو ذلك، لا يعرفون لأنهم عن ربهم معزولون.

فإذن الملائكة وكّلهم الله جل وعلا بأمور ملكوته ولم..... حاجة منه جل وعلا لهم تعالىٰ الله جل وعلا من ذلك بل هو الغني، والملائكة يشرفون بعمل ما يأمرهم به جل وعلا؛ لكن ليظهر فضلهم وينشغلوا بعبادة الله جل وعلا وبامتثال أمره وبخوفه وبالانتهاء عن نهيه ونحو ذلك من المعاني.

**الثالثة:** الملائكة خُلقوا من نور وملؤوا السّماء، وهم كما قال جل وعلا عن قولهم: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ يعني في السَّماء ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾[الصافات]، فهم ملؤوا السماء، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع**» والملائكة لما كانوا مخلوقين من نور فإنهم إذا ملؤوا السماء ليس ملء أجسام تحول دون العبور في السماء؛ بل هي أجسام نور الله جل وعلا أعلم كيف تكوينها وكيف صفاتها علىٰ وجه الكمال.

ثَم كُتبٌ كثيرة أُلِّفت في ذكر الملائكة ولا أدري هل هو مناسب أن نطيل الحديث حولها أو نحيلكم إلىٰ بعض الكتب التي فيها ذكر تفصيل للملائكة منها:

«شرح الطحاوية» الذي عندكم فيه بيان لا بأس به.

وكذلك نقل عنه صاحب «معارج القبول» وزاد بعض الأدلة.

ومن الكتب المعاصرة كتاب الدكتور الأشقر «عالم الملائكة» فهو كتاب جيد في بابه يمكن أن ترجع إليه.

**المسألة الرابعة**: من بحث الملائكة أن الإيمان بالملائكة، ومعنىٰ كونه ركنا أن الإيمان لا يوجد إذا فُقِد ركنه؛ لأن الركن هو ما يقوم عليه الشيء، فإذا فُقِد فإنه لا قيام للشيء بدونه، وهٰذا الكلام يَصْدُق في تعريف الرُّكن علىٰ الإيمان -أركان الإيمان-، وأما أركان الإسلام ففيها بحث في هل الركن فيها ما هو بهٰذا المعنىٰ أم ثَم بمعنىٰ آخر؟ ربما يأتينا في موضع آخر إن شاء الله.

لكن بإجماع أهل العلم أن من لم يؤمن بالملائكة فلم يؤمن بالله فهو كافر؛ لأن الله جل وعلا ذكرهم في كتابه فهو كافر بالله، كذلك من لم يؤمن بالنبيين، كذلك من لم يؤمن بكتب الله جل وعلا المنزلة.

هٰذا الإيمان الذي هو فرض وركن وواجب له حالان:

**الحال الأولىٰ**: الإيمان الإجمالي.

**والثانية**: الإيمان التفصيلي.

☜ فمعنىٰ الإيمان الإجمالي أن كل أحد عليه فرض:

- أن يؤمن بوجود الملائكة. واحد.
- والثاني أن الملائكة عباد وليسوا ببنات لله جل وعلا ولا يُعبدون.

هٰذا القدر واجب علىٰ كل أحد أن يؤمن به إجمالًا، أن الملائكة خلق من خلق الله عباد لا يُعبدون، و مع بقية الذي ذكرته الآن.

☜ أما التفصيلي فهو أنه يجب علىٰ كل أحد أن يؤمن بكل ما أخبر الله جل وعلا به في كتابه أو أخبر به نبيه ﷺ في سنته الثابتة من ذكر الملائكة، ففي القرآن لو قال لنا قائل: أنا أومن بالملائكة لكن جبريل لا أدري إيش جبريل؟ لأنه ما قرأ القرآن، فإنه إذا قرأ القرآن وسمع باسم جبريل وأنه ملك هنا وجب عليه الإيمان تفصيلا بجبريل، فمن كفر بجبريل فقد كفر ببقية الملائكة وبالإيمان الإجمالي أصلا، وكذلك من كفر بميكال وكذلك من كفر بإسرافيل وكذلك من كفر بملك الموت إلىٰ آخره.

فإذن الإيمان الإجمالي هٰذا هو ركن الإيمان الواجب علىٰ كل أحد، ثم كل من سمع نصًّا ودليلا فيه ذكر الإيمان بالملائكة من القرآن فإنه يجب عليه أن يؤمن بهٰذا علىٰ وجه بالتفصيل.

فلا يجب علىٰ كلِّ أحد -يعني من المسلمين- أن يعلم مثلا أن ميكال هو الموكل بالقطر، أو أن إسرافيل موكل بالنفخ في الصور، لو قال لك قائل واحد مثلا من العامة أو من جملة الناس: أنا لا أدري لا أعرف هٰذا، المهم أني أومن بالملائكة. هٰذا يكفيه في الإيمان، ثم من علم كل حالة أو كل اسم ملك أو دليل في ذلك وجب عليه الإيمان به.

**المسألة الخامسة**: الإيمان بالملائكة تبعٌ للعلم، وكلّما زاد العلم بالعقيدة وبالنصوص زاد الإيمان بالملائكة لمن وفّقه الله جل وعلا.

ولهٰذا نقول: الناس متفاوتون في إيمانهم بملائكة الله جل وعلا وليسوا جميعا سواء في ذلك. والتفاوت سببه تفاوت العلم، فكلما كان العلم أكثر كان الإيمان أكثر؛ لأن الإيمان هنا معناه التفصيل إذا آمن وصدق وأمن جزما فإن إيمانه يزيد علىٰ غيره، وهٰذا من أوجه معنىٰ زيادة الإيمان ونقصانه في مجموع خصال الإيمان.

**لهٰذا نقول**: الإيمان بالملائكة المستحب درجات كثيرة؛ السعي في البحث في ذلك هٰذا من الإيمان المستحب، ثم إذا علم وجب عليه أن يؤمن صار واجبا، طلب العلم بهٰذا ومعرفته ومعرفة أحوال الملائكة وكيف يعبدون الله جل وعلا ويخافونه وخوفهم من الله جل وعلا وامتثالهم لأوامره ونحو ذلك طلب ذلك والسعي فيه هٰذا من العلم المستحب، فإذا عَلِمَ شيئا من ذلك وجب عليه الإيمان به؛ لأن الحجة قامت عليه.

**من المسائل أيضا المتصلة بزيادة الإيمان بالملائكة** وتفاوت الناس فيه؛ أنّ الإيمان بالملائكة له أثر علىٰ العبد المؤمن، وهٰذا الأثر تارة يرجع إلىٰ التّوحيد والعلم، وتارة يرجِع إلىٰ السلوك والعمل، وتارة يرجع إلىٰ خصال الإيمان وأركان الإيمان الأخرىٰ.

♦ فأما التوحيد والعلم فإنه يعلم أنَّ الملائكة كما وصفهم الله جل وعلا بأنهم عباد؛ بل عباد مكرمون، وأنهم مع كونهم لا يعصون الله ما أمرهم وفعلون ما يؤمرون؛ لكنهم يخافون الله جل وعلا ويعبدونه عبادة دائمة وخوفهم من الجليل جل وعلا مع قربهم منه سبحانه وتعالىٰ، وهٰذه فيها إبطال لدعوىٰ من عبد الملائكة أو قال: إنهم بنات الله كما وصف الله جل وعلا قولهم بقوله: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[الصافات]، و﴿ٱلْجِنَّةِ﴾ هنا هم عموم الملائكة في أحد الأقوال وأصح الأقوال، والنسب يعني أن الملائكة بنات الله، وهٰذا جاء مصرح بها في آيات كثيرة كما في قوله: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾[الزخرف]، وكذلك قوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾[النحل]، إلىٰ آخر الآيات في هٰذا.

المقصود أن في الإيمان بالملائكة إبطال لدعوىٰ كل من عبد غير الله جل وعلا؛ لأنهم يعبدون غير الله جل وعلا إما في ظنّهم أنهم عبدوا الملائكة وهم يعبدون الجن أو عبدوا الأشجار والأوثان وهم يعبدون في الحقيقة أهواءهم والجن سيطرت عليهم، فكلّ عبادة توجّهت إلىٰ غير الله جل وعلا فإنّ الإيمان بالملائكة ومعرفة ما عليه الملائكة يدل علىٰ بطلان تلك العبادة، ولهٰذا ذكر الله جل وعلا في آخر سورة سبإ إشارة إلىٰ هٰذا الأصل الذي يحتاج بيانه إلىٰ تفصيل لقوله جل وعلا: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾[سبإ]، هٰذا يعم جميع أنواع عبادة غير الله جل وعلا.

كذلك في توحيد الله جل وعلا في خصال العبادة من الخوف والمحبة واتّباع الأمر والنهي، هٰذه كلها الإيمان بالملائكة ومعرفة أحوال الملائكة تزيد العبد معرفة بخصال التوحيد؛ لأن أهل السماء الذين هم ملائكة الله جل وعلا كاملو توحيد الله جل وعلا واتِّباعهم لأمره ونهيه ﷻ.

♦ أما من الجهة الثانية وهي جهة السلوك والعمل فللإيمان بالملائكة أثر، وذلك أن الملائكة من آمن بهم علىٰ وجه التفصيل فإنه يعلم أن ثَم ملائكة يكتبون ما يصدر من الإنسان كما قال سبحانه: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾[الانفطار] فكونُهم يكتبون، كذلك ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق]، هٰذا يجعل إحسانه للعمل ومراقبته لربه للفظه ولعمله أعظم لأنه يعلم أنه معه قرين يلازمه لا ينفكّ عن كتابة شيء، فلذلك يحسن قوله ويحسن عمله ما استطاع، وإذا أذنب فإنه يستغفر، وطوبىٰ لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا؛ لأنّ الملائكة تكتب هٰذا وهٰذا وإن الحسنات يذهب السيئات.

♦ أما من الجهة الأخيرة، وهي أن الإيمان بالملائكة له أثر في أركان الإيمان الأخرىٰ فإن الملائكة لمن آمن بهم علم أنَّ منهم الموكَّل بالوحي، وجبريل عليه السلام هو الموكل بالوحي، وهٰذا الوحي ما هو؟ هو كتب الله جل وعلا ووحيه علىٰ أنبيائه، فصار ثم صلة بين الإيمان بالملائكة والأنبياء، الإيمان بالملائكة والكتب.

ولهٰذا المعنىٰ جمع فيما يظهر لي جمع الطحاوي بين هٰذه الثلاثة في هٰذا الموضع لأن كل واحدة منها تدل علىٰ الأخريتين الإيمان بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة وكل واحدة تدل علىٰ البقية، ومن ثمرات الإيمان بالملائكة الإيمان بالكتب، ومن ثمرات الإيمان بالكتب الإيمان بالأنبياء وإلىٰ آخره،

فهٰذه كلها متصلة جميعًا.

من الملائكة من هو موكّل -وهو إسرافيل- بالبعث يعني بالنفخ في الصُّوروالموكل بالموت إلىٰ آخره، هٰذا يرجع إلىٰ الإيمان باليوم الآخر.

ميكائيل موكل بالقطر، وهٰذا يرجع إلىٰ الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالىٰ.

ومنهم الموكل بالأجنّة ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[آل عمران:٦] يأتي ملك ويقول: يا ربي أذكر أم أنثىٰ؟ أشقي أم سعيد؟ أمريض أم سليم؟ فيقضي الله ما يشاء ويكتب الملك. فإذن لها صلة بالقدر.

فلهٰذا نقول: إن الإيمان بالملائكة صار من أركان الإيمان لكثرة الأدلة الدالة علىٰ ذلك، ولأن الإيمان بالملائكة يدل علىٰ الإيمان بجميع الأركان الأخرىٰ.

لهٰذا صار بعد الإيمان بالله، الإيمان بالله وملائكته، مباشرة. الإيمان بالله هٰذا يدل علىٰ الجميع الإيمان بالملائكة يدل علىٰ الجميع، كذلك الإيمان بالكتب يدل علىٰ الجميع والإيمان بالرسل يدل علىٰ البقية، والإيمان باليوم الآخر يدل علىٰ الإيمان بالقدر.

هٰذه كلمات مختصرة حول الإيمان بالملائكة؛ لكن الموضوع طويل مهم ولابد من أن تتطلعوا عليه بتوسع في بعض الكتب التي ذكرت لكم، خاصة كتاب الدكتور الأشقر فإنه مفيد جدا في هٰذا البحث.

هناك مسألة تطرق إليها الشارح وهي مسألة المفاضلة بين الملائكة والأنبياء هو الشارح قال: كان الأولىٰ أن لا أدخل فيها، شيخ الإسلام قال: كنتُ أظن أن البحث فيها يعني أن المسألة من المسائل المبتدعة يعني التفضيل حتىٰ رأيت البحث فيها سنيا أثريا ومع ذلك فإني لا أحب الخوض في هٰذه المسألة؛ لأنه لا يندرج تحتها عمل.

ومن أراد الإطلاع ينظر في الفتاوىٰ في بحث نحو أربعين صفحة أو أكثر لهٰذه المسألة.

لكنّ الذي يهمّ طالب العلم في العقيدة السلفية أن لا يُقر من قال بتفضيل الملائكة مطلقًا، هٰذا القدر مهم أن لا يقر به، إما أن يسكت عنها، وإما أن يقال فيها بقول جمهور أهل السنة وهو بتفضيل الأنبياء وصالح المؤمنين علىٰ الملائكة، وأما الخوض في الزيادة والأدلة والتفصيل والردود هٰذا من العلم الذي يُترك لعدم الحاجة إليه الآن.

نكتفي بهٰذا القدر.

ونلتقي -إن شاء الله- الأسبوع القادم بارك الله فيكم وفقني وإياكم إلىٰ ما فيه رضاه وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

## الدرس التاسع والعشرون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد..

فأسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم ممن يستمع القول فيتبع أحسنه، وأن يبارك لنا في أعمارنا وأعمالنا وأن يقينا شر أنفسنا وسيئات أعمالنا.

[**الأسئلة**] نأخذ بعض الأسئلة.

سؤال (٢٧٤): ما هو تعريف الشّرك الأصغر؟ وما هي الضوابط التي منها يمكن الحكم علىٰ القول أو الفعل أنه شرك أصغر؟

**الجواب**: الشرك بجميع أنواعه -سواء الشّرك الأكبر أم الأصغر أم الخفي- يشترك في كونه تنديدا مع الله جل وعلا، وهٰذا التنديد يعني أن يُجعل لله ندًّا فيما هو له جل وعلا يختلف من جهة الدليل:

فمنه ما هو شرك أكبر.

ومنه ما جاء في الدّليل أنه شرك؛ لكن لم يُجعل شركا أكبر، وجاء في بعض الأحاديث تسمية بعض أنواعه الشرك الخفي، وسَمّاه العلماء الشرك الأصغر تمييزا بينه وبين الأكبر.

اختلفوا في ضابطه مع اتفاقهم علىٰ أنّ الشرك الأكبر هو دعوة غير الله معه، هو عبادة غير الله جل جلاله، أو أن يجعل لله نِدًّا لله ﷻ فيما هو من خصائصه جل وعلا وأعظمها العبادة؛ يعني استحقاق العبادة.

اختلفوا في الشرك الأصغر في تعريفه علىٰ أقوال عند أهل العلم وفي ضبطه:

**ومنهم** من قال: إن الشرك الأصغر هو كل شرك أو عمل يكون وسيلة للشرك الأكبر، فما كان وسيلة وطريقا إلىٰ الشّرك الأكبر فيكون شركا أصغر، وقد نحا إلىٰ ذلك عدد من أهل العلم منهم الشيخ عبد الرَّحمٰن السعدي في حاشيته علىٰ كتاب التوحيد.(١)

**والقول الثاني** وهو قول عامة أئمة الدعوة، وكذلك يفهم من صنيع ابن القيم وابن تيمية رحمهم الله أنه يذهبون إليه، هو أن الشرك الأصغر كل ذنب سماه الشارع شركا ولم يبلغ درجة عبادة غير الله جل وعلا؛ يعني لم يبلغ درجة الشرك الأكبر.

والفرق بين التعريف الأول والثاني أنه هناك أعمال تكون وسيلة للشرك الأكبر ولم يطلق عليه الشارع أنها شرك ولم يتفق العلماء علىٰ أنها شرك، فوسائل الشرك الأكبر كثيرة.

مثلا بناء القباب علىٰ القبور هٰذا وسيلة إلىٰ الشرك ووسيلة إلىٰ تعظيم الأموات وإلىٰ أن يُعتقد فيهم

---

(١) قال الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي تحت باب الخوف من الشرك: وأما الشرك الأصغر فهو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلىٰ الشرك؛ كالغلو في المخلوق الذي لا يبلغ مرتبة العبادة؛ كالحلف بغير الله، ويسير الرياء ونحو ذلك.

وأن يتقرب إليهم أو أن يتعبد عند قبورهم ونحو ذلك؛ يعني أن يعبدوا عند قبورهم ونحو ذلك، فبناء القباب علىٰ القبور من هٰذه الجهة هو وسيلة إلىٰ الشرك الأكبر لكن لم يسمّه أحد من أهل العلم المتقدمين لم يعدوه شركا أصغر مع كونه وسيلة.

فالأضبط هو ما ذكرته لك من أن الشرك الأصغر هو كل ذنب أو معصية سمّاها الشارع شركا في الدليل ولم تبلغ درجة الشرك الأكبر؛ يعني درجة عبادة غير الله معه ﷻ.

مثال آخر: الذنوب، الذنب يطلق عليه بعض العلماء أنه لا يصدر ذنب يعني كبيرة من الكبائر أو ذنب من الذنوب إلا وثَم نوع تشريك؛ لأنه جعل طاعة الهوىٰ مع طاعة الله جل وعلا فحصلت المعصية، وطاعة الهوىٰ وسيلة للشرك الأكبر، والذنوب عدد كبير منها وسيلة إلىٰ الشرك الأكبر، ومع ذلك لم تسمَّ شركا أصغر وإن دخلت في مسمىٰ مطلق التّشريك، لا التشريك المطلق، مطلق التشريك، لا الشرك، فلهٰذا لا يصدق عليه هنا أنها شرك أصغر مع كونها وسيلة في عدد من الذنوب والآثام إلىٰ الشرك الأكبر.

إذن لا يستقيم التعريف الأول في عدد من الصّور، والأقرب والأولىٰ هو الثاني وهو أن يقال: الشرك الأصغر هو كل ذنب أو معصية سماها الشارع شركا ولم تبلغ درجة عبادة غير الله معه.

سؤال (٢٧٥): لماذا لا تجعلون كلمة بعد الصلاة في هٰذا المسجد كل شهر تقريبا وتكون بدل الأسئلة قبل الدّرس.

الجواب: هٰذا رأي مبارك إن شاء الله نعمل به بإذن الله.

سؤال (٢٧٦): هل هناك فرق بين الحلق بالموسىٰ والحلق بالمكينة؛ لأن هنالك من يفرق فيقول أن حلق الرأس بالمكينة يعتبر تقصيرا فلابد من الموسىٰ لحديث المحلقين والمقصرين.

**الجواب**: التحليق المعروف الذي أمر به بعد أداء النسك -العمرة أو الحج- وجعل أفضل من التقصير وجاء في قول الله جل وعلا: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح:٢٧] فقدم التحليق لفضله وجاء في الحديث «**رحم الله المحلقين، رحم الله المحلقين، رحم الله المحلقين**» حقيقته المعروفة في عهد النبي ﷺ هو الحلق بالحديدة، بالموسىٰ المعروف بحيث أنه يستأصل الشعر من أصله، أما المكينة فهي تختلف درجاتها يسمونها درجة خمسة وستة وثلاثة وإلىٰ آخره، فما كان منها أقصر كان أقرب إلىٰ الحلق؛ لأنّ المعنىٰ في التعبد بحلق الشعر وإزالته هو أن يزال الشعر الذي هو مظهر من مظاهر الجمال عند العرب، العرب تتجمل بالشعر في الرجال، والنبي ﷺ كان له شعر وفرة، وربما كانت له غدائر أربع يجعل ثنتين عن يمينه وثنتين عن يساره للخلف ونحو ذلك مما جاء في وصف العرب، والنبي ﷺ أمر بإكرام الشعر «**من كان له شعر فليكرمه**» والعناية به مظهر من مظاهر الجمال هٰذا له صلة أيضا بالديات فيما إذا جنىٰ جناية علىٰ شعره..[1] ترك أنواع الترفه والبعد عن الركون لملذات الأرض والقرب من الله جل وعلا، هٰذا كلما كان أبلغ كان أفضل، فإذن الحلق هو أفضله لأن فيه المبالغة في ترك التزين بالشعر.

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الثالث والعشرين.

الحلق بالمكينة هو كلما كان أقرب إلىٰ الحلق بالموسىٰ فهو أفضل، وكلما كان أقل فهو يداني التقصير، حقيقة التقصير عند العرب يعني في الزمن الأول هو أن يُؤخذ من جميع الشعر من جميع جهاته، يؤخذ ويقصّر الشعر، وإذا كان له غدائر وكان الشعر من خلف يمكن جمعه فيؤخذ بما لا يقل عن ما يلف علىٰ اليد يعني مثل المرأة في أقله إذا يجمع.

المقصود أن المكينة هٰذه تختلف، فكلما كان العبد أبعد إبقاء الشعر يعني كان أخذه للشعر أكثر كلما كان أفضل.

سؤال (٢٧٧): هل أراد ابن الزبير ﷺ أن يحرق أهل البيت أو أن يضيق عليهم؟

الجواب: حاشا وكلا ابن الزبير ﷺ من جلة الصحابة، وهو ممّن يعظم آل البيت كغيره، وأمّا التأويل لبعض أفعاله لما حصل في مكة خاصة مع ابن عباس وغيره فهٰذا لا يدل علىٰ ما قال.

سؤال (٢٧٨): ماذا يقال في تفسير: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾[الرَّحمٰن:٣٣]، الآية في قوله: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ٦﴾[الصافات]، أي أن الفضاء الذي وصل إليه البشر إنما هو في السماء الدنيا.

الجواب: الآية ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٍ ٣٣﴾[الرَّحمٰن] الآيات، هٰذه الراجح من أقوال المفسرين أنها يوم القيامة وليست في الدنيا، وأن هٰذا التعجيز للجن والإنس أن يستطيعوا النفاذ من أمر الله جل علا في الساعة يوم تنزل الملائكة وتصف صفوفا وتحيط بأهل الموقف، فلا أحد يستطيع أن يفلت من الحساب، كقوله جل وعلا: ﴿يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ١٠﴾[القيامة]، وهٰذا أولىٰ من جعلها في الدنيا.

وبعض أهل العلم رأىٰ أن هٰذا يمكن أن تكون في الدنيا لقوله: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٍ﴾ وإذا وجد السلطان فإنه يمكن أن ينفذ؛ ولكن هٰذا ليس بجيد لأننا نعلم أن الجن بنصوص الأحاديث والآيات أنها تنفذ إلىٰ السماء وتبعد وتسترق السمع، يركب بعضهم بعضا حتىٰ يبلغون السماء بحيث يسمعون الوحي، فتارة يسمعون ويلقيها إلىٰ من تحته قبل الشهاب، وتارة يأخذه الشهاب قبل ذلك وفق حكمة الله جل وعلا، والشهب ما تأخذ الجن في السماء يعني في الغلاف الجوي في الأرض إنما تأخذه في أعلىٰ السماء يعني في السماء الدنيا أو ما هو أعلىٰ الله أعلم بحقيقة ذلك.

فإذن ظاهر قوله: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٍ ٣٣﴾ لما كان الخطاب دخل فيه الجن ونعلم من النصوص أن الجن يركب بعضهم بعض ويبعدون وفي السماء حتىٰ ملئت السماء وحرسا شديدا وشهبا لما نزل الوحي علىٰ النبي ﷺ، فيكون الراجح فيها هو تفسير جمهور أهل العلم في أن المراد يوم القيامة وسياق الآيات يدل عليها قال جل وعلا: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٍ ٢٩﴾[الرَّحمٰن]، ثم قال: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ ثم قال: ﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ٣٥﴾[الرَّحمٰن]، ثم قال: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ٣٧﴾[الرَّحمٰن]، إلىٰ أن ذكر مصير أهل النار ومصير أهل الجنة، وترجعون إلىٰ تفسير الآية في تفسير ابن كثير أو غيره.

سؤال (٢٧٩): ما هي الأفعال الجبلية التي فعلها الرسول ﷺ وليس علينا اتباعُها، هل يدخل فيها

مشيته وأكله بثلاث أصابع ﷺ؟

الجواب: هٰذا سؤال جيّد، أفعال النبي ﷺ عند العلماء من الأصوليين والفقهاء والمجتهدين منقسمة:

- إلىٰ أفعال يجب الإقتداء به فيها.
- وإلىٰ أفعال يُستحبّ الإقتداء به فيها؛ يعني أن يستنّ به فيها عليه الصلاة والسلام.
- والقسم الثالث أفعال جبلية فعلها النبي ﷺ بمقتضىٰ ما جبله الله جل وعلا عليه من الرّغبات وما يحبّ وما يكره بمقتضىٰ جبلته واختياره عليه الصلاة والسلام لا بمقتضىٰ الوحي.

فهٰذه الأفعال الجبلية التي يدخل فيها طريقة نومه أو هيئته في المشي كان إذا مشىٰ كأنّما ينحدر من صبب، ونحو ذلك من صفاته عليه الصلاة والسلام التي هي بمقتضىٰ الجبلة، ما يحبه من الأكل، يحب مثلا الحلوىٰ، يحب أن يخلط الرطب بالقثاء ونحو ذلك، هٰذه ضابطها:

- أنها لا تدخل في العبادة بنوع من العبادة.
- والثاني أنه لم يأمر بها النبي ﷺ ولا حضّ عليها.

فإذا فعلها فعلا مجردا وهي من الأفعال الجبلية، ولم يأمر بها، وليست من أمور العبادة، فهٰذه هي ضابط الأفعال الجبليّة، فهٰذه لا يُتعبّد بفعلها.

لكن من فعلها إقتداء بالنبي ﷺ فيُثاب علىٰ نيته التأسي برسول الله ﷺ، يعني لا علىٰ نفس الفعل ولكن علىٰ نية التأسي.

أما الأفعال العبادية أو ما أمر به أو ما فعله النبي ﷺ من الأفعال العبادية هٰذه يؤجر العبد علىٰ التأسي به، يؤجر علىٰ الفعل نفسه وعلىٰ نية التأسي جميعا.

أما الأفعال الجبلية فمن فعل كفعله عليه الصلاة والسلام مما لا دخل له في العبادة ولم يأمر به عليه الصلاة والسلام وإنما كان مقتضىٰ ما يحب وما يكره كان يشرب الماء مصا عليه الصلاة والسلام، كان إذا مشىٰ كأنه ينحدر من صبب عليه الصلاة والسلام، كان يحب من الأكل كذا، كان يحب الدباق يتتبعها في الإناء ونحو ذلك، مما هو من مقتضىٰ الطبيعة، فتركه عليه الصلاة والسلام للضب ولم يحرّمه عليه الصلاة والسلام وقال: «**إنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه**»، ونحو ذلك من الأفعال الجبلية، فهٰذه لا يُشرع التأسي به عليه الصلاة والسلام فيها، لكن من تأسّىٰ فيثاب علىٰ اقتدائه علىٰ نية إقتدائه ومحبته للنبي ﷺ ومتابعته له في شأنه كله لا علىٰ الفعل نفسه لأن الفعل ليس محل التعبد.

سؤال (٢٨٠): هل صحت قصة أسئلة نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله عنه؟

**الجواب**: أسئلة نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله عنه لا توجد مجموعة في كتاب من كتب الحديث، وإنما هي متفرقة، هي أسئلة كثيرة في الاستدلال علىٰ صحة التفسير بشعر العرب، هٰذه روىٰ منها الطّبراني في «الكبير» جملة كبيرة، وروىٰ منها أيضا ابن الأنباري في «الوقف والابتداء» في أوله جملة كبيرة، وروىٰ منها عدد من أهل العلم كابن جرير وغيره متفرّق في كتابه جمل كثيرة، فجمعها السيوطي في «الإتقان»

جمعا حسنا، وأُفردت أيضا في مؤلف معروف، ومنها ما هو صحيح ومنها ما هو دونه من حيث الإسناد؛ لكنها قصة مشهورة عند أهل العلم وعند أهل التفسير، ولا يوجد سؤال من الأسئلة ولا وجوابه والاستدلال عليه بالشعر إلا وتجده في كتب التفسير عناية منهم بذلك.

سؤال (٢٨١): هل ابتياع الطِّيب بثمن كثير من التبذير؟

الجواب: التبذير شرعا غير الإسراف، لو قال: من الإسراف هٰذا فيه بحث، لكنه من التبذير؟ ليس من التبذير؛ لأنّ التبذير هو إنفاق المال مع عدم توخّي الوجه الشّرعي فيه، مأخوذ من رمي البذر، رمي البذور يعني الذي يبذر، يرمي البذور يمينا ويسارا ويمشي، دون أن يتوخىٰ مكانا معينا مثل الغرس، يأخذ البذرة ويحفر لها فإنما يرميها رميا، لذلك سمي من ينفق ماله مع عدم توخي الوجه الشرعي في إنفاقه مبذّرا، ولهٰذا ناسب أن يكون أخا للشيطان لأن الشيطان ليس بمتحري للوجه الشرعي في أفعاله قال جل وعلا: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾[الإسراء] الذي يرعىٰ نعمة الله جل وعلا يتحرّىٰ الحلال في إنفاقه يتحرىٰ ما أذن الله به جل وعلا في إنفاقه.

فالطّيب من الطيبات من سنة النبي عليه الصلاة والسلام، وأمر به عليه الصلاة والسلام، والاهتمام به من السنة، واشتراؤه بثمن كثير أو قليل أو غيره هٰذا ليس من التبذير؛ لأنه مباح أو مسنون.

**لكن هل هو من الإسراف أم لا؟**

يختلف البحث بحسب الأشخاص وبحسب الحالات، فالنبي ﷺ كما رواه الإمام أحمد في المسند ورواه غيره لما خطب علي ﷺ فاطمة بنت محمد عليه الصلاة والسلام وأرسل مهرها وكان نحو أربعة مائة درهم أو شيء من ذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**اجعلي ثلثيه طيبا والثلث فيما تشتهيه**» يعني من اللباس إلىٰ آخره، فالطيب يدخل في الإسراف إذا جاوز ما يستطيعه الإنسان؛ لأنه إذا أرهق نفسه أو تجاوز به ما هو عليه من الواجبات فإنه يدخل في الإسراف.

فإذن لا يستوي الناس في مثل هٰذه المسائل في الإسراف أو عدم الإسراف، هٰذا بحسب الحال.

يعني مثلا واحد يشتري كيلو طيب بألفين ريال يعتبر في حقه معتدلا، وآخر يشتري بألفين ريال ويعتبر في حقه أرهق نفسه وأسرف وزاد، يعني عليه واجبات وليس له أن يتمتع بهٰذا المستوىٰ، مثل أيضا الدهونات والأطياب المختلفة بثلاثمائة أربعمائة ريال وهو ما عنده إلا ما يكفيه هو وأولاده، فيدخل في الإسراف.

أما من وسّع الله جل وعلا عليه ورزقه النبي ﷺ كان يتطيب بأخلاط مختلفة من العود والعنبر والكافور، وكان له سكة يخلط فيها المسك مع العنبر مع أدهان مختلفة عليه الصلاة والسلام.

نكتفي بهٰذا، اقرأ...

وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ.

نكمل بيان ما في هٰذه الجملة من المسائل، وقد ذكرنا في الدّرس السابق أصول الإيمان؛ يعني أركان الإيمان وأدلّة ذلك من الكتاب والسنة، وذكرنا بعض المسائل المتعلقة بالملائكة، وذكرنا لكم أنّ الكلام علىٰ الملائكة فيه تفصيل كثير يُطلب من كتب التفسير ومن كتب الحديث والعقيدة ومن الكتب المصنّفة في هٰذه العقيدة؛ عقيدة الإيمان بملائكة الرَّحمٰن جل جلاله وتقدست أسماؤه.

قال: (وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ) الإيمان بالنبيّين يعني الإيمان بالأنبياء والمرسلين؛ لأنّه إذا أُطلق النّبي في الإيمان فيُراد به الإيمان بالأنبياء والمرسلين، وذلك من جهتين:

**الجهة الأولىٰ**: أن قول كثير من أهل العلم أن كلّ رسول نبي، فإذا قلنا نؤمن بالأنبياء فمعنىٰ ذلك نؤمن بالرسل لأن كل رسول نبي.

**والجهة الثانية**: أن القرآن الكريم جاء فيه ذكر المرسلين بذكر الأنبياء؛ يعني سُمّي المرسلون أنبياء، سورة الأنبياء ما ورد فيها جُلُّهم مرسلون: أولها محمد عليه الصلاة والسلام، ثم إبراهيم الخليل، ثم لوط، ثم نوح، ثم داود، وسليمان، وأيوب إلىٰ آخره.

ولهٰذا قوله: (وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ) يعني بالرسل والأنبياء جميعا، والتعبير بالرسل أولىٰ؛ لأنه هو الذي جاء في الأدلة في الكتاب والسنة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[البقرة:٢٨٥]، قال: أخبرني عن الإيمان. قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ» وفَرْض الإيمان أن يؤمن بالأنبياء والرسل جميعا؛ لأنّ الله جل وعلا أمرنا بذلك.

وتحت هٰذا الأصل والركن وهو الإيمان بالنبيين مسائل:

**المسألة الأولى**: في تعريف النبي.

النبي في القرآن جاء فيه قراءتان ﴿ٱلنَّبِيُّ﴾ والقراءة الأخرىٰ ﴿النبيء﴾ بالهمز ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾، والقراءة الثانية ﴿يَٰٓأَيُّهَا النبيء﴾ كما هي قراءة نافع وغيره، وفرق ما بين النبي والنبيء.

**النبيء** هو مَنْ نُبِّئَ.

**والنبي** ما صار في نَبْوَة؛ يعني في ارتفاع عن غيره.

فإذن نقول: النبي والنبيء هو من اختصه الله جل وعلا بالإنباء والوحي، فصار مرتفعا عن غيره في المقام لأجل ما أوحىٰ الله جل وعلا إليه. هٰذا ليس تعريفا -يعني حد- ليس حدا ولكن هٰذا تقريب.

أما **الرسل**، الرسول فظاهر من اللفظ أنه أُرسل، فلفظ نبيء ونبي من جهة اللغة واللفظ الذي جاء في القرآن هٰذا فيه الإنباء وفيه الرسالة، والرسول فيه الإرسال، ولهٰذا اختلف العلماء هل النبي والرسول واحد أو بينهما فرق بين النبي والرسول؟

علىٰ أقوال كثيرة مر معنا تفصيل الكلام عليها في عدد من الشروح وأقربها شرح الواسطية وغيره؛ لكن نذكر لكم ملخص الكلام أن الأقوال في الفرق ما بين النبي والرسول متعددة:

- من أهل العلم من قال: النبي والرسول بمعنىٰ واحد فكل رسول نبي وكل نبي رسول، وذهب إلىٰ هٰذا جمع من أهل العلم من المفسّرين ومن الفقهاء وغيرهم.

♦ والقول الثاني وهو أنّ النبي غير الرسول.

* ودلّ علىٰ الفرق بينهما قول الله جل وعلا في سورة الحج: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾[الحج:٥٢]، قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ فدلّ ظاهر الآية قوله: ﴿مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ أن النبي غير الرسول، وهٰذا الدلالة علىٰ أنه ثم فرق بينهما، ولو كان النبي هو الرسول لما صح أن يقال: ﴿مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ لأن النبي هو الرسول كيف يقول: ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾، قد يكون بعطف الواو من رسول ونبي فيكون هنا مغايرة، في الصفات لكن لما أدخلت ﴿لاَ﴾ دل علىٰ أنّ هٰذا غير هٰذا ﴿مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾.

* والدليل الثاني علىٰ أن ثمة فرقًا بينهما أن النبي ﷺ ذكر الرسل والأنبياء الذين يأتون يوم القيامة فقال: «**يأتي النبي ومعه الرهط، ويأتي النبي ومعه كذا، ويأتي النبي وليس معه أحد**»، ووجه الدِّلالة من الحديث أنّ قوله: «**ويأتي النّبي وليس معه أحد**»:

يحتمل أن يكون لم يرسَلْ إلىٰ أحد.

ويحتمل أن يكون لم يستجب له.

ويتجه الاحتمال أنه لم يرسل إلىٰ أحد؛ بل هو نبيّ لقوله عليه الصلاة والسلام «**ما بعث الله من نبي إلا وأعطاه من الآيات ما علىٰ مثله آمن البشر وكان الذي أوتيته وحيا يُتلىٰ**» الحديث الذي رواه مسلم في الصحيح حديث عياض بن حمار المُجاشعي، فدلّ علىٰ أنّ كل نبي أعطي آية وآمن من آمن بتلك الآية.

لهٰذا نقول: قوله عليه الصلاة والسلام: «**ويأتي النبي وليس معه أحد**» هٰذا لأجل قصر الرسالة علىٰ هٰذا النبي وحده؛ يعني أنه ليس مرسلا إلىٰ غيره.

* الدليل الثالث حديث أبي ذر المشهور الذي رواه ابن حبان في الصحيح ورواه غيره من أن النبي ﷺ ذكر عدة الأنبياء في حديث طويل منه جمل ثابتة صحيحة بشواهدها، ومنها جمل مختلف فيها، فمنها أنه ذكر عدة الأنبياء وذكر عدة المرسلين، فقال في عدد الأنبياء: إنهم مائة وأربعة وعشرين ألف، وقال في عدة المرسلين: إنهم كعدة أهل بدر يعني نحو أربعة عشر وثلاثمائة رسول، فدلّ الحديث علىٰ الفرق بينهما، وكون هٰذا هو العدد أو أقل ليس هٰذا هو محل الشاهد، وإنما قوّىٰ صحة التّفريق ما بين النبي والرسول أنه في الحديث الاختلاف في العدد، ودِلالة الآية والحديث الذي قبله يقوي الاستدلال بحديث أبي ذر هٰذا.

المقصود دلت هٰذه علىٰ ترجيح قول من قال: إن الرسول والنبي مختلفان، وهٰذا ظاهر في الاستدلال كما ترىٰ.

ما الفرق بينهما في التعريف؟

اختلف العلماء في تعريف النبي والرّسول فقال ممن قال في الفرق بينهما:

فقالت طائفة كثيرة من أهل العلم:

**إنّ النبي**: هو من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه.

**والرسول**: من أوحي إليه بشرع وأمر بالتبليغ.

فجعلوا الفرق ما بين النّبي والرّسول هو الأمر بالتبليغ.

والقول الثاني وهو قول أيضا مشهور عند عدد من المحققين وهو الذي اختاره ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في أول كتاب «النبوات» أن الرسول والنبي يشتركان في وقوع الإرسال عليهما، الرسول مرسل والنبي مرسل لظاهر قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ﴾، فالرسول مرسل والنبي أيضا مرسل لكن جهة الإرسال مختلفة، قال:

**الرسول: يرسل إلىٰ قوم يخالفونه في أصل الدين فيأمرهم بالتوحيد وينهاهم عن الشرك.**

**وأما النبي: فإنه يرسل إلىٰ قوم موافقين يجدد بإرساله شرعة الرسول الذي أُمروا باتباعه.** مثل أنبياء بني إسرائيل كلما مات نبي خلفه نبي وكلهم تبع لموسىٰ عليه السلام.

وهٰذا التعريف أو هٰذا التقريب لتعريف الرسول والنبي هٰذا أقرب للدليل وأوضح في فهم الأدلة الشرعية.

ولذلك نقول هو المختار في أن:

**النبي** موحىٰ إليه بشرع وأمر بتبليغه إلىٰ قوم موافقين أو لم يؤمر بالتبليغ، قد يكون مقتصرا علىٰ نفسه وقد يؤمر بالتبليغ إلىٰ من يوافقه، يوافقه في أي شيء في اتباع الرسول الذي يتبعه النبي ويتبعه الناس.

وأما الرسول فهو من أوحي إليه بشرع أو بكتاب وأُمر بإبلاغه أو بتبليغه إلىٰ قوم مخالفين له يعني في أصل الدين.

**المسألة الثانية**: الأنبياء والرسل درجات في الفضل والمنزلة عند الله جل وعلا، وهٰذا التفضيل جاء في قوله تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖ﴾ [البقرة:٢٥٣]، فنؤمن بأنّ بعض الرسل بعضهم أفضل من بعض، والرسل والأنبياء كذلك بعضهم أفضل من بعض، وليسوا علىٰ مرتبة واحدة.

أوّل الأنبياء آدم عليه السلام، وآخر الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام.

وأوّل الرّسل نوح عليه السلام، وآخر المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام.

فآدم نبي كما جاء في الحديث الصحيح «**آدم نبي مكلّم**» وينطبق عليه حد النبي لأن الله جل وعلا أوحىٰ إليه وكلمه سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

منهم -من الأنبياء والمرسلين- أولو العزم من الرسل وهم الذين جاء فيهم قول الله جل وعلا: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[الأحقاف:٣٥]، واختلف العلماء في أولي العزم من الرسل من هم؟ علىٰ أقوال كثيرة:

**أولها**: أنّ كل رسول هو من أولي العزم، ومعنىٰ أولي العزم يعني أولي الصبر والمصابرة والجلد والتجلد في دين الله جل وعلا، فلهم عزم قوي في مواجهة أعداء الله وصبر ومصابرة، فهٰذا القول أن كل رسول هو من أولي العزم، ما معنىٰ قوله إذن: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾؟ قالوا: ﴿مِنَ﴾ هنا ليست تبعيضية بل بيانية، مثل ما تقول: الرجل من القوم، يعني فاصبر كما صبر أولو العزم من الناس؟ لا؛ من الرسل، والرسل كلهم علىٰ هٰذا، تكون ﴿مِنَ﴾ هنا علىٰ هٰذا التفسير بيانية لا تبعيضية.

**القول الثاني**: أن أولي العزم من الرسل هم ثمانية عشرة رسولا وهم المذكورون في سورة الأنعام.

**والقول الثالث**: أن أولي العزم من الرسل خمسة وهم المذكورون في سورة الأحزاب وسورة الشورىٰ، قال جل وعلا: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾[الشورىٰ]، فجمع خمسة رسل وهم مذكورون أيضا في سورة الأحزاب.(١)

وهٰذا القول بأنهم الخمسة هؤلاء، هٰذا القول هو الأظهر والأرجح ويدل له ويقويه أن هؤلاء الخمسة هم الذين يستغيث الناس بهم يوم القيامة من شدة الحساب أو من شدة هول الموقف وطول المقام في طلب تعجيل المحاسبة والقضاء بين الخلق، أعاننا الله جل علا علىٰ شدائد ذلك اليوم، في الحديث المعروف -حديث الشفاعة الطويل- فيأتون آدم ثم قال: يأتون نوحا ثم إبراهيم ثم موسىٰ ثم عيسىٰ ثم محمد عليه الصلاة والسلام، آدم خرج لأنه ليس برسول بقي الخمسة لأنهم مرسلون.

**المسألة الثالثة**: نؤمن بالأنبياء ونؤمن بآيات الأنبياء، فيعطي الله جل وعلا الأنبياء آيات، وهٰذه الآيات كما جاء في الحديث الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**ما بعث الله من نبي إلا وأعطاه من الآيات ما علىٰ مثله آمن البشر**»، فما يؤتيه الله جل وعلا المرسلين أو الأنبياء للدِّلالة علىٰ صدقهم في دعوىٰ الرسالة أو دعوىٰ النبوة، هٰذه تسمّىٰ آيات وتسمّىٰ براهين في الكتاب والسنة.

وأما تسميتها معجزات فهٰذا لفظ حادث بعد ظهور علم الكلام وخاصة من جهة المعتزلة، ولا نمتنع من إطلاقه؛ لكن يقيّد بتقييده الشرعي الصحيح؛ لأنها هي معجزات ولكنها آيات وبراهين والفرق بينهما:

**أولا**: أن الآية والبرهان جاء الدليل بها، والمعجز لم يأت الدليل به.

**الثاني**: أن اللفظ (معجزة) فيها إجمال؛ ووجه الإجمال يقال: معجزة لمن؟ هل هي معجزة للإنسان؟ معجزة للقوم الذين بعث فيهم النبي؟ أو معجزة للناس أجمعين؟ أو معجزة للجني والإنس؟ أو معجزة للجن والإنس والملائكة؟ فهٰذه فيها إجمال ولذلك ما جاء بها الدليل.

ومن أطلقها اختلفوا فيها، هٰذا الإعجاز، هل هو إعجاز للناس أو إعجاز لأهل زمانهم دون غيرهم؟ والصحيح عند أهل السنة والجماعة أو الصحيح في قول أكثر أهل السنة والجماعة أنّ المعجزة هي ما صار الإعجاز به للجن والإنس جميعا لا لطائفة منهم، فهي معجزة للجن والإنس جميعا لا يستطيعون أن يأتوا بمثل ذلك، ودلّ علىٰ هٰذا قول الله جل وعلا: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾﴾[الإسراء].

وتسميتها آية وبرهان، هي آية يعني دليل واضح يُلزم بنتيجته وهو قبول دعوىٰ من كانت معه هٰذه الآية، وبُرهان وهو الدليل والواضح الجلي الذي هو كبرهان الشمس -يعني ضوء الشمس في وضوحه ونصاعته وجلائه بما لا يجادل فيه-؛ هٰذا هو الذي جاء في القرآن بتسميتها آيات وبراهين ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ

---

(١) لعلها تكون الآية ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب].

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦ﴾[النمل:١٢]، وقال جل وعلا أيضا: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾[القصص:٣٢]، وقال جل وعلا: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾[طه] ونحو ذلك.

فهي إذن في القرآن والسنة مسماة آيات وبراهين، وهٰذه التسمية شرعية، ولا يرد عليها ما يرد علىٰ لفظ المعجز مما ذكرناه لك.

الآيات والبراهين هٰذه تختلف، فهي معجزات وهي تختلف، وثَم بحث طويل فيها ربما يأتي في موضع آخر.

**المسألة الرابعة**: معنىٰ الإيمان بالأنبياء والمرسلين أننا نؤمن بأن الله جل وعلا بعث وأرسل مرسلين وأيدهم وكانوا أصلح أهل زمانهم وأيدهم بالآيات والبراهين الدّالة علىٰ صدقهم، وأنه أتقىٰ الخلق أتقىٰ الناس لربهم، وأعرف وأعلم الناس بربهم جل وعلا، فنؤمن بكل نبي عَلِمْنَاه أو لم نعلمه؛ لأن الأنبياء منهم من قص علينا والمرسلين ومنهم من لم يقص علينا، قال جل وعلا: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[غافر:٧٨]، فإذن الإيمان بالأنبياء والمرسلين علىٰ درجتين:

**إيمان إجمالي** وهو الإيمان بكل رسول أرسله الله جل وعلا وكل نبي علمنا أو لم نعلم.

والثاني **إيمان تفصيلي** بأن كل من علمنا رسالته ونبوته بالدليل والقرآن هٰذا يجب علينا أن نؤمن به وأن نتولّاه وأن نحبه؛ لأن «**الأنبياء إخوة لعلات دينهم واحد**»، وكلُّهم أكمل الخلق توحيدا وإيمانا بالله جل وعلا وطاعة له وخوفا منه جل وعلا.

ثُم ثَم إيمان خاص بهٰذه الأمّة أمة الإجابة وأمة الدعوة أنه يجب علىٰ الجميع الإيمان بمحمد بن عبد الله الهاشمي القرشي الذي أرسله الله جل وعلا للنّاس أجمعين؛ بل للجن والإنس أجمعين، فيجب الإيمان به عليه الصلاة والسلام؛ لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين وأنه بعث بالإسلام، وأن الإسلام نسخ ما عداه من الأديان، وأن كلّ دعوىٰ للدين غير ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام فهي باطلة وردّ، ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب:٤٠]، فبه خُتمت النبوة وأعطاه الله جل وعلا الإسلام وأنزل عليه القرآن حجة له ولأمته إلىٰ قيام الساعة.

ومن الإيمان بالنبي عليه الصلاة والسلام تحقيق شهادة أن محمدا رسول الله بطاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر والانتهاء عما نهىٰ عنه وزجر وأن لا يُعبد الله جل وعلا إلا بما شرعه رسوله عليه الصلاة والسلام.

**المسألة الخامسة**: من كذَّب برسول بعد العلم به فإنه مكذِّب بجميع الأنبياء والمرسلين، فمن قال: أكذّب بفلان من الرسل وأومن بمحمد عليه الصلاة والسلام فهو كافر؛ لأنه من كذب برسول فقد كذّب بجميع المرسلين إذا بلغه العلم وقامت عليه الحجة، قال جل وعلا: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[الشعراء]، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ اتفقنا علىٰ أن نوح عليه السلام كان أوّل رسول، قال جل وعلا: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ لأنهم لما كذّبوا نوحًا فإنهم كذبوا بتكذيب نوح جميع المرسلين؛ لأنّ دينهم واحد وهو توحيد الله جل وعلا والبراءة والكفر بالطاغوت، كذلك قوله: ﴿لَا

﴿نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[البقرة]، وكذلك قوله: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[النساء:١٥٠] إلىٰ آخره.(١)

ننتقل إلىٰ التي بعدها، قال: (وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ).

قوله: (وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ) خصّ إنزال الكتب بالمرسلين لأنهم هم الذين يؤتيهم الله جل وعلا الكتاب، وأنزل الله جل وعلا كتبا كثيرة منها ما نعلم ومنها ما لا نعلم، قد أمر الله جل وعلا عباده أن يؤمنوا بكل كتاب كما قال سبحانه: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ﴾[الشورىٰ:١٥] الآية، والإيمان بالكتب ركن الإيمان كما ذكرنا وأصل من أصوله، فلا يصحّ إيمان أحد حتىٰ يؤمن بالكتب التي أنزل الله جل وعلا.

تحت هٰذه الجملة مسائل:

**الأولى**: الكتاب الذي أنزله الله جل وعلا هو وحيه ﷻ لرسوله الذي أعطاه الله جل وعلا ذلك الكتاب. ووحيه:

- قد يكون بواسطة الرسول الملكي إلىٰ الرّسول البشري.
- وقد يكون أنّ الله جل وعلا أوحىٰ مباشرة.

فوحي الله جل وعلا بكتبه ينقسم كما قال الله جل وعلا في آخر سورة الشورىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[الشورىٰ:٥١]، فجعلها ثلاثة أقسام:

- فمنها ما كتبه الله جل وعلا بيده كما هي صحف موسىٰ عليه السلام والتوراة خطّها الله جل وعلا بيده الكريمة العظيمة جل جلاله.
- ومنها ما نزل به جبريل عليه السلام إلىٰ الرسول عليه الصلاة والسلام.

الكتب كتب الله جل وعلا من جهة أنها كلامه متفقة يعني كلها كلام الله جل وعلا، فالله ﷻ تكلم بما تكلم به وسمعه جبريل منه فأنزله علىٰ رسوله، تكلم بالقرآن فنزل به جبريل علىٰ محمد عليه الصلاة والسلام، وتكلم بالإنجيل فنزل به علىٰ عيسىٰ، وتكلم بالتوراة جل وعلا فنزل بها علىٰ موسىٰ عليه السلام.

**المسألة الثانية**: كتب الله جل وعلا هي من آياته التي أعطاها الرسول؛ يعني لأنها من الوحي، وموضوعات الكتب مختلفة فمنها ما هو مواعظ ورقائق، ومنها ما هو شريعة، ومنها ما هو خبر وأمر ونهي يعني أخبار وإنشاءات وأوامر ونواهي، فهي مختلفة في موضوعاتها.

«الأنبياء دينهم واحد وشرائعهم شتىٰ»، فمن جهة التوحيد الكتب متفقة والأنبياء دينهم واحد في

---

(١) انتهىٰ الشريط الثالث والعشرون.

توحيد الله جل وعلا، واتفاق الكتب والأنبياء في التوحيد يُعنىٰ به شيئان:

**الأول**: أنّ أصل التوحيد وهو عبادة الله جل وعلا وحده، ورد عبادة غيره، والكفر بالطاغوت، والبراءة من الشّرك وأهله، هٰذا قدر مشترك في رسالة جميع الأنبياء، قال جل وعلا: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ يعني من المرسلين ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[الممتحنة:٤]، فهٰذا قدْرٌ مشترك بين جميع الأنبياء والمرسلين، والكتب دلَّت علىٰ هٰذا وحضَّت عليه وأمرت به.

**والشيء الثاني**: هو أصول الإيمان الستة، أركان الإيمان الستة وهي الإيمان بالله بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالىٰ، هٰذا متفق عليه أيضا بين الأنبياء لا خلاف فيه، وذلك أن جهة الإيمان بهٰذه الأشياء الخبر، والخبر لا يُنسخ ولا يكذب فيه والله جل وعلا إذا أخبر نبينا بشيء من أمر الغيب فهو علىٰ ذلك.

فالأنبياء في كتبهم وما أرسلوا به متفقون علىٰ هذين الأصلين العظيمين:

- توحيد الله جل وعلا علىٰ نحو ما ذكرت لك.
- وأمور الغيب الستة هٰذه وأمور الإيمان الستة.

ولذلك معنىٰ قوله: «**الدين واحد**» يعني هذين الأصلين.

والكتب تختلف في الشرائع تختلف في القصص ما يقص في كتاب يكون مفصلا وكتاب يكون مختصرا، تختلف في الشرائع والأمر والنهي.

تكون التوراة شريعتها شديدة وفيها قوة في الطهارة وفي الصلاة وفي الجهاد وفي أشياء كثيرة فهي شريعة فيها الشدة ولا يقدر عليها إلا صادق ولذلك ما صبروا عليها بنو إسرائيل.

والإنجيل فيه الرقة والوعد والتسامح وإلىٰ آخره وتحليل بعض ما حرم الله جل وعلا علىٰ بني إسرائيل.

يعني أن موضوعات كتب الله جل وعلا مختلفة والله ﷻ يوحي بما يشاء وفق حكمته جل وعلا ووفق ما يريد من عباده ﷻ، فشرائع الأنبياء شتىٰ، والكتب مختلفة باختلاف الشرائع، وأيضا مختلفة فيما قص الله جل وعلا في تلك الكتب لأن القصص للعبرة والناس يختلفون في الأمم بما يُصلحهم وما يحدث عندهم العبرة.

**المسألة الثالثة**: الإيمان بالكتب علىٰ نحو ما ذكرنا سالفا في الإيمان بالملائكة والنبيين ينقسم إلىٰ إيمان إجمالي وإيمان تفصيلي:

**الإيمان الإجمالي**: يجب علىٰ كل أحد أن يؤمن بكل كتاب أنزله الله جل وعلا كما قال سبحانه: ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾[الشورىٰ:١٥]، وقال جل وعلا: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾[البقرة:٢٨٥]، فكل كتاب يجب علىٰ الجميع أن يؤمنوا به علموه أو لم يعلموه، فنؤمن بالتوراة ونؤمن بالإنجيل ونؤمن بالزبور ونؤمن

بالقرآن ونؤمن بكل كتاب أعطاه الله جل وعلا أنبياءه يعني رسله.

ونؤمن أيضا **إيمانا تفصيليا**: وهٰذه المرتبة الثانية وهو أن كل كتاب علمناه بالدليل، كل كتاب سمع المسلم بذكره في كتاب الله جل وعلا أو في سنة النبي عليه الصلاة والسلام فيجب أن يؤمن به علىٰ وجه التفصيل، التوراة ذُكرت، صحف موسىٰ ذُكرت، صحف إبراهيم عليه السلام ذُكرت، الزبور ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الإسراء]، ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ الزبور ذُكر، الإنجيل ذُكر، وهكذا، فهٰذه نؤمن بها علىٰ وجه التفصيل، فكل كتاب ذكره الله جل وعلا في كتابه وجب علينا الإيمان به تفصيلا.

ثم الإيمان بالكتب ثَم مرتبة واجبة وأكيدة وهي آكدها وأعظمها وهو الإيمان بهٰذا القرآن، الإيمان بكتاب الله جل وعلا الخاتَم الذي أنزله علىٰ رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، والإيمان بالقرآن يشمل أشياء:

**أولا**: الإيمان بأن القرآن كلام الله جل وعلا وليس بقول البشر؛ بل هو كلام الحق ﷻ أوحاه إلىٰ عبده محمد عليه الصلاة والسلام.

**والثاني**: أن القرآن ناسخ لما قبله من الكتب، فليس لأحد أن يتبع لغير القرآن؛ بل الواجب أن يصدق بكل خبر في القرآن ويُعتقد، وأن يُعمل بكل أمر ونهي جاء في القرآن بامتثال الأمر واجتناب النهي.

**والثالث**: أن يُعلم أن القرآن جعله الله جل وعلا مهيمنًا علىٰ الكتب وشاهدًا عليها، كما وصفه بذلك في سورة المائدة، وهٰذا يدلُّ علىٰ أنَّ الناس واجبٌ عليهم ألا يلتفتوا عن هٰذا القرآن إلىٰ غيره [كما] سمعوا هٰذا القرآن، لذلك الآن الكتاب من جهة السّماع -السماع بالقرآن- تكاد الحجة قامت من جهة القرآن من الوحي وأنه كلام الله جل وعلا علىٰ أكثر الخلق.

**المسألة الرابعة**: الكتب التي أنزلها الله جل وعلا علىٰ المرسلين اختلف العلماء هل يدخل فيها الصحف، أم أن الكتب غير الصحف؟ علىٰ قولين:

- من أهل العلم من قال: الصحف هي الكتب.
- ومنهم من قال: لا؛ الصحف غير الكتاب.

ويتضح الفرق في صحف موسىٰ عليه السلام والتوراة، فإنَّ الله جل وعلا أعطىٰ موسىٰ صحفا عليه السلام وأعطاه أيضا التوراة، فهل هما واحد أو هما مختلفان؟ خلاف:

**القول الأول**: أنهما واحد لأن صحف موسىٰ هي التوراة وهي التي كتبها الله جل وعلا بيده.

**القول الثاني**: لا، الصحف غير الكتب، وهٰذا **القول هو الصحيح** هي أن كتب الله جل وعلا غير الصحف.

ويدل علىٰ هٰذا الفرق أن الله جل وعلا أعطىٰ موسىٰ صحفا عليه السلام، وأيضا كتب له ذلك في الألواح كما قال: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[الأعراف:١٤٥]، وأوحىٰ الله جل وعلا إليه بالتوراة أيضا.

فقوله: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾[الأعلى]، صحف إبراهيم ذكر الله ما فيها في سورة النجم قال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ إلىٰ آخره، فهٰذه كانت مما في صحف إبراهيم عليه السلام.

وفي صحف موسىٰ ما كتبه الله جل وعلا له.

وأما التوراة فهي وحي وكتاب مستقل غير صحف موسىٰ عليه السلام أوحاه الله جل وعلا إليه.

صحف موسىٰ بالذات يعني بالخصوص وقع فيها الاشتباه من جهة أنه ظاهر القرآن أن الله جل وعلا كتب الصحف لقوله: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾[الأعراف:١٤٥]، وجاء في الحديث أن الله جل وعلا كتب التوراة لموسىٰ بيده، من هٰذه الجهة وقع الاشتباه، هل هما واحد لأجل أن هٰذه كتبت وهٰذه كتبت، والأظهر كما ذكرتُ لك في سياق الآيات في سورة الأعراف أن الكتب غير الصحف.

**المسألة الخامسة**: هنا يدخل في الكلام علىٰ الكتب الكلام علىٰ القرآن وعلىٰ إعجاز القرآن وعلىٰ بحث هٰذه المسألة؛ لأن القرآن آية محمد عليه الصلاة والسلام، وقد قدّمنا لك تفصيل الكلام علىٰ إعجاز القرآن في درس مستقل[1] أظن عند قول الشيخ الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في أول الكلام: (فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ) إلىٰ قوله: (عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ، وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَشَرِ. وَمَنْ وَصَفَ اللهَ بِمَعْنًىٰ مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ)، ومسألة إعجاز القرآن ومعرفة القرآن ووجه كونه آية وما فيه، هٰذا من أعظم المسائل في هٰذا الباب.

**إذا تبيَّن ذلك فنقول** -نرجع إلىٰ أصل الموضوع-: وهو أن الإيمان بأركان الإيمان الستة إذا أخرجنا الإيمان بالقدَر فإن بعض أهل العلم يسمِّيها الأصول أصول الدين الخمسة، وذلك لمجيئها في أكثر الآيات دون ذكر القدر، والقدر جاء منفصلا في القرآن وجاء مع بقية الأركان في السنّة.

هٰذه الأصول الخمسة تَبِعَ الإيمان بها أنّ أهل البدع أصّلوا أصولا في مقابلة هٰذه الأصول الخمسة، جاء المعتزلة مع إيمانهم مع بجمل هٰذه الأصول الخمسة لكن جعلوا لهم أصولا خمسة لتميّزهم عن غيرهم، وهٰذه المعروفة بالأصول الخمسة عند المعتزلة، وكتب فيها عبد الجبار كتابه الأصول الخمسة، ويعتني بها المعتزلة والإباضية والزيدية والرّافضة.

الأصول الخمسة هٰذه هي:

**أولا**: التوحيد.

**الثاني**: العدل.

**والثالث**: الوعد والوعيد.

**والرابع**: المنزلة بين المنزلتين.

**والخامس**: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والرافضة يعتقدون معتقد المعتزلة في الغالب، فجعلوا لهم أصولا أربعة في مقابلة ذلك هي: التوحيد

---

(١) وهو الدرس الحادي عشر.

والعدل والنبوة والإمامة.

يُدخلون في هٰذه الأصول عقائدهم في تدريس عقائدهم المخالفة لما دل عليه الكتاب والسنة.

هٰذه الجملة تحتاج إلىٰ تفصيل طويل يمكن أن ترجع لها في الشرح أو في المطولات.

المقصود أن لفظ الأصول الخمسة أو أركان الإيمان الستة أو الخمسة يعني بخلاف الإيمان بالقدر هٰذه جُعل في مقابلتها أشياء وضعها أهل البدع للتعليم وللتميّز؛ ليعلّموا علىٰ أساسها وليتميزوا عن غيرهم.

ولاشك أن الذي دلّ عليه الكتاب والسنة وقول سلف الأمة إلىٰ أن ابتدعت المعتزلة بدعتها وهو أنّ أركان الإيمان ستة، ولا دخل لتلك المسائل التي ذكروها من وعد ووعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل هٰذه لا أصل لها في الكتاب والسنة؛ يعني في كونها من أركان الإيمان أو من أصول الدين.

في هٰذا القدر كفاية إن شاء الله تعالىٰ. ونقف عند قولنا (وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ).

**فيه مسائل** -ذكّرني بعض الإخوان بها جزاهم الله خيرا- وهي تحتاج منا إلىٰ أنكم تقتفون أثر ما ذكرناه في الملائكة وفي كل مسألة الإيمان بالكتب والإيمان بالأنبياء ثم مسألتان:

**الأولىٰ**: تفاضل الإيمان بأجمعه بتفاضل الإيمان الأنبياء والمرسلين. هٰذه مسألة.

**المسألة الثانية**: أثر الإيمان بالمرسلين جميعا علىٰ الإيمان العام.

كذلك في الكتب تأتيك الفقرتان جميعا: تفاضل الإيمان بالكتب، والثانية أثر الإيمان بكتب الله جل وعلا علىٰ الإيمان.

يمكن أنتم تستنتجونها وتبحثونها إن شاء الله تعالىٰ. نكتفي بهٰذا القدر، نستودعكم الله.

## الدَّرس الثلاثون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسلام علىٰ نبيّنا محمّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

اللّٰهمَّ نسألك علما نافعا وعملا صالحا وقلبا خاشعا ودعاء مسموعا، ربنا لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين، ومُنَّ علينا بما يقربنا منك يا ربنا.

اللّٰهمَّ نسألك الفقه في دينك والعلم بكتابك واتباع سنة نبيك يا كريم.

نسألك اللّٰهمَّ العزيمة علىٰ الرّشد والهدىٰ، ونعوذ بك من الضّلال بعد الهدي، ونعوذ بك من كل سوء في الأقوال والأعمال والأخلاق إنّك جواد كريم.

[**الأسئلة**] نُجيب علىٰ بعض الأسئلة.

سؤال (٢٨٢): قال: هل نفهم من كلام المؤلف في قوله: (وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ) أنّ الأنبياء لا يعطون كتبا منزلة؟ وهل كلّ رسول لابد أن ينزل عليه كتاب؟ نرجو الإفادة وجزاكم الله خيرا.

**الجواب**: ذكرنا في شرح كلام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ أنّ الكتب يعطيها الله جل وعلا الرسل حجةً لهم، هٰذا هو الأصل، وقد يعطيها نبيًّا من الأنبياء، قال جل وعلا: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[1]، وداود في أحد الأقوال أنه كان نبيا في بني إسرائيل ولم يكن رسولًا.

المقصود أن الكتب الأصل العام فيها أنه يعطيها الله جل وعلا رسله؛ لأن الكتاب حجة وفيه شريعة هٰذا هو الأصل في ذلك، فنؤمن بكتب الله جل وعلا التي أعطاها أنبياءه ورسله؛ لكن النفي بأن النبي لا يعطىٰ كتاب أصلا هٰذا يحتاج إلىٰ دليل.

سؤال (٢٨٣): ما حكم من أنكر الملائكة أو الجن أو المهدي والدجال، وهل أن من أنكر واحدا من هٰذه الثلاث كافر؟ وما وجه التفريق بين تكفير من أنكر الملائكة وعدم تكفير من أنكر المهدي أو الجن مع أن كلها من الغيب وثابتة بالنص؟

**الجواب**: الإيمان ذكرنا أن من أركانه الإيمان بالملائكة، وضبطنا أن الإيمان بالملائكة الذي هو ركن الإيمان ومن أنكره كفر وهو الإيمان بوجود الملائكة إجمالا، فإذا آمن بوجود الملائكة لله جل وعلا فهو مؤمن، فإذا كان سَمِع باسم جبريل عليه السلام وأنه ينزل بالوحي وجب عليه الإيمان بذلك.

فرجعت المسألة إلىٰ أن من أنكر الملائكة فلم يدخل في عقد الإيمان أصلا؛ لأن من أركان الإيمان؛ الإيمان بالملائكة، ويدلّ أيضا علىٰ أن التّكذيب بأي خبر جاء في القرآن فإنه تكذيب بالقرآن، فإذا كذب بجبريل كذّب بميكائيل ونحو ذلك، كذّب بملك الموت، كذّب بأي ملك جاء ذكره في القرآن فيُعرّف بهٰذه الآية، فإن أصرّ فهو مكذب بالقرآن فيكون كافرا من هٰذه الجهة.

وكذلك الجن جاء ذكرهم في القرآن فالإيمان بالجن واجب والتصديق بخبر الله جل وعلا بذلك واجب ويدخل الإيمان بالجن في الإيمان بالقرآن الإيمان بالكتب؛ لأن معنىٰ الإيمان بالكتب لله جل

---

(١) سورة: النساء؛ الآية (١٦٣)، الإسراء؛ الآية (٥٥).

وعلا أن يعتقد العبد أنها حق وأن الله جل وعلا أنزل كتبه وما فيها حق، وخاصة الإخبار.

فإن الأنبياء لم يختلفوا فيما أخبروا به لأن الخبر مداره الصدق، أما الشرائع فتختلف، عقيدة واحدة ذكرنا لكم أن الأنبياء اجتمعوا علىٰ ما أخبروا به من الاعتقاد بالله جل وعلا وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالىٰ، هٰذه اجتمعت عليها الأنبياء فدينهم واحد، لا فرق بين نبي ونبي، وبين رسول ورسول في أصول الدين، في تحقيق التوحيد في الإسلام في الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، هٰذا أصل عام اجتمعت عليه الأنبياء، واجتمع عليه المرسلون، وكذلك أركان الإيمان الستة، هٰذه اجتمعت عليها الأنبياء؛ لكن الشرائع تختلف من الإيمان.

من الإيمان بالكتب الإيمان بالقرآن والقرآن فيه الخبر عن الغيب الخبر عن الجن، فالجن أنزل الله جل وعلا فيهم آيات كثيرة: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن]، وقال جل وعلا في آية الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩﴾، وقال جل وعلا: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝٤١﴾[سبإ]، وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝١٥٨﴾[الصافات]، وغير ذلك من الآيات التي فيها ذكر الجن: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾[النمل:٣٩]، فالإيمان بالجن واجب؛ الإيمان بوجودهم وبما أخبر الله جل وعلا عنهم من صفتهم في كتابه، وبما صحّ في حديث النبي ﷺ، فمن أنكر وجود الجن كفر لأنه كذّب القرآن، فيعرّف إذا كان مثله يجهل يعرف بما جاء في القرآن من الآيات، فإذا كذب بوجود الجن مع ذكرهم في القرآن فإن تكذيبه يعود إلىٰ إنكار وجحد القرآن فيكون كافرا بذلك.

أما المهدي الذي ذكر فليس الكلام فيه كالكلام في الملائكة والجن؛ لأن المهدي إنما جاء في السنة، ومجيء السنة هو من جنس الأخبار، الأخبار التي تكون مما أخبر بها النبي عليه الصلاة والسلام، يتأوّلها المتأولون ولا تكفير مع احتمال التأويل، مثل من تأول الصفات، ومثل من تأوّل بعض الحقائق بعض الأسماء والأحكام وأشباه ذلك فإنه لا تكفير بذلك.

أحاديث المهدي كثيرة أكثر من خمسين حديثا متنوّعة، قال طائفة من أهل العلم تبلغ درجة التواتر المعنوي لا التواتر اللفظي؛ لأنها مختلفة في ألفاظها؛ لكن وجود المهدي وأنه سيخرج في آخر الزمان، وأن اسمه محمد بن عبد الله، وأنه من ذرية الحسن، وأن من صفاته كذا وكذا، وأنه يصلحه الله جل وعلا في ليلة، وما أشبه ذلك من الأخبار، هٰذا جاء في السنة فجعله طائفة من أهل العلم ما يبلغ درجة المتواتر المعنوي لا المتواتر اللّفظي.

وأحاديث المهدي تأوّلها جماعة ومنها ما لم يصحّح، ومنها ما صُحّح، المقصود أنها ليست مثل الكلام في الجن والكلام في الغيبيات التي جاءت في القرآن وهي التي تكون متواترة بدِلالة قطعية، فلذلك من أنكر المهدي أو أنه سيخرج أو قال: لا مهدي بعد محمد عليه الصلاة والسلام، ونحو ذلك فإنه يقال أخطأ يخالف ما جاء في الأحاديث ولا يحكم عليه بالكفر.

وقد قال بهٰذا القول جماعة من المنتسبين إلىٰ العلم وأخطؤوا في ذلك خطأ شنيعا؛ يعني لأن الأحاديث

كثيرة متعددة المخارج في السنن والمسانيد وغيرها.

سؤال (٢٨٤): هل يصح حديث «الدين المعاملة»؟

الجواب: هٰذا ليس بحديث، الدين المعاملة ليس بحديث.

سؤال (٢٨٥): قال الإمام أحمد: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام. هل المقصود لك (فيها إمام) أحد الأئمة الأربعة أم هو عام؟

الجواب: الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ من توقّيه وحذره وخوفه من الله جل وعلا كان يكره أن يتفرد في مسألة بقول؛ يجتهد وليس له سابق في هٰذا القول، بل ينظر في أقوال الصحابة فإن وجد قال بقول أحد الصحابة، ما وجد، نظر في أقوال التابعين، ثم أخذ ما يظن أنه أقرب إلىٰ السنة والدليل.

لهٰذا ترىٰ أن الإمام أحمد اختلفت الروايات عنه في مسائل، وذلك لشدة توقيه وورعه، واختلاف مظان الإجابة ولأسباب كثيرة، فقول الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام، أو إياك أن تقول في مسألة ليس لك إمام. يعني لا تذهب إلىٰ قول ليس لك فيه سلف من الأئمة المتبوعين؛ ولا يعني بذلك الأئمة الأربعة؛ لأن في زمن الإمام أحمد لم يكن ثَم تشخيص الأئمة بأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد؛ بل كان الأئمة كثر من أمثال سادات التابعين وتبع التابعين ومنهم مثلا الأوزاعي والثوري وإبراهيم النخعي وجماعات كثيرة والليث بن سعد وربيعة وثَم مدارس كثيرة في ذلك.

فإذن مقصد الإمام أحمد من هٰذا القول أن طالب العلم يتورع الخوف يخاف القول علىٰ الله بلا علم قرين الشرك، قرنه الله جل وعلا بالشرك؛ بل لم يحدث الشرك إلا بالقول علىٰ الله بلا علم، قال جل وعلا: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأعراف]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء]، طالب العلم يحذر من ألفاظه، يحذر أن يقول شيء تزل به قدمه، وقد قال القائل: **زلة العالِم زلة العالَم**. يعني إذا كان عالم مقتدىٰ به زل فسيزل بزلته عالَم من الناس، زلة العالِم زلة العالَم؛ لأنه يكون أمم من الناس سيأخذون بقوله، فلهٰذا الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يفرحون أن يُكْفَوا الفتوىٰ، يحيلها هٰذا علىٰ هٰذا، وهٰذا علىٰ هٰذا، والإمام مالك قال في ست وثلاثين مسألة: لا أدري، والإمام أحمد سُئل عن مسائل وقال: لا أدري وتوقف في مسائل.

ولا زال العلماء لا يتكلمون في كل شيء، لهٰذا قال ابن المبارك أو غيره: من أجاب الناس عن كل ما سألوه أو من أفتىٰ الناس عن كل ما سألوه فهو مجنون. يعني ما يقول: لا لأدري أبدا كل مسألة يعلمها، هٰذا ما يتوقف ما يراجع، هٰذا لاشك أنه متعجّل.

ولهٰذا طالب العلم يجب عليه أن يكون متحريا سبيل أهل العلم في التؤدة وعدم الاغترار بالنفس والخشوع والطمأنينة والخوف من الجليل جل جلاله؛ لأنه سيسأل عن عمله، وسيسأل عن أقواله هل قال فيها بحجة أو لا.

إذا كانت مسألة ظهر لك فيها أن الصواب، كذا لكن ليس لك فيها إمام ما أحد سبقك لهٰذا القول، قال: هٰذا مقتضىٰ الدليل، هٰذا لا يجوز لك لأنه من المعروف أنه لا يجوز أن تعتقد أن الحق حجب عن من

كان قبلك، ما يجوز أن الواحد يظن أن الحق حجب عن الصحابة وحُجب عن التابعين وحجب عن الأئمة وآتاه الله جل وعلا الواحد في القرن الرابع أو الخامس أو السابع أو الرابع عشر إلىٰ آخره، لذلك المرء يتّهم نفسه، طالب العلم يتّهم نفسه إذا فهم فهما ولم يجد من أهل العلم الراسخين من قال به، ثُم ثَم تفاصيل كثيرة في هٰذه المسألة.

سؤال (٢٨٦): سؤال كاتب عليه السائل هام جدا وعاجل: الاحتفال بمرور عشر سنوات علىٰ مرور زواجه، سؤال خاص بعد الدرس أتفاهم أنا وإياه.

سؤال (٢٨٧): هل يعتبر التوقف قولا في المسألة.

الجواب: بعض العلماء يعد التوقف قول، وما جهة كونه قولا؟ جهة كونه قولا يعني أن الإمام لم يظهر له أي القولين أرجح، أي الدليلين يعمل به؛ حجة المسألة، فلهٰذا عدوه قولا.

والقول الثاني أن التوقف سكوت والساكت لا ينسب له قولا، لذلك لا يعد قولا؛ لأن التوقف سكت ما تكلم في المسألة بشيء.

سؤال (٢٨٨): كيف نجمع بين قولكم في التفريق ما بين الكرامات والمعجزات، وبين ما ثبت من كرامات بعض الأولياء من إحياء الحمار الميت والمشي علىٰ الماء وغير ذلك، أليست هٰذه من الخارقة للإنس والجن، بينوا لنا ذلك وجزاكم الله خيرا؟

**الجواب**: هٰذه المسألة يطول بيانها، وإن شاء الله تأتي في موضعها في «شرح الطحاوية» فنفصل الكلام عليها؛ لأنه لابد من تعريف الكرامة ماهو، وتعريف المعجزة وشرط الكرامة وشرط المعجزة وخارق العادة وصلته بالكرامات يعني ثم كلام كثير وهي متعلقة ببحث في الأولياء. نعم اقرأ...

وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ.

وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ.

[وَلَا نَخُوضُ فِي اللهِ، وَلَا نُمَارِي فِي دِينِ اللهِ.]

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ.) يريد الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ أن أهل السنة والجماعة يسمون أهل القبلة وهم من توجّه في صلاته إلىٰ الكعبة بيت الله الحرام، يسمونهم مسلمين مؤمنين؛ لأنّ هٰذا هو الأصل واستقبال القبلة دليل علىٰ تميّز من استقبلها عن المشرك الوثني الأصلي؛ لأنه لا يستقبل القبلة يعني لا يصلي كمشركي قريش، وعن اليهودي والنصراني لأنهم يستقبلون جهة الشّرق.

الذي يستقبل الكعبة هٰذا يسمىٰ مسلما كما جاء في الأحاديث الصحيحة «**من أكل ذبيحتنا واستقبل قبلتنا له ما لنا وعليه ما علينا**»؛ لكن هٰذا ليس وصفًا مانعا من خُروجه من الدّين، لهٰذا اشترط له شرطا فقال: (مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ) يعني لو أنكروا ما جاء به النبيّ ﷺ أو شيئا مما جاء به عليه الصلاة والسلام فإنهم لا يسمَّون مسلمين مؤمنين، وقال: (وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ[1] وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ) يعني إذا كانوا لم ينكروا شيئا مما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام.

ويريد بهٰذه الجملة أيضًا مخالفة الخوارج والمعتزلة ومن شابههم ممن يكفرون بالذنوب ويسلُبون عن صاحب الكبيرة والمعصية ويسلبون عنه اسم الإسلام أو اسم الإيمان.

**تحت هٰذه الجملة مسائل:**

**الأولى**: قوله: (أَهْلَ قِبْلَتِنَا) هٰذه الكلمة (أهل القبلة) لم ترد في النُّصوص في تحديد المراد بها؛ يعني من أن يكون لها اصطلاح شرعي؛ ولكن جاء في النَّص أحاديث ذكر من استقبل القبلة، ولهٰذا جُعل هٰذا الاسم (أهل القبلة) بمعنىٰ من استقبل القبلة، فكل من استقبل القبلة -يعني الكعبة- في صلاته فهو من أهل القبلة، وسبب هٰذه التّسمية (أهل القبلة) وما جاء في الأحاديث في الصحيح في «البخاري» وفي غيره «**من استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه ما علينا**»، (**استقبل قبلتنا**) لأنه تميز باستقبال القبلة في عهد النبي ﷺ عن الكفار إذْ لا يصلون وعن اليهود والنصارىٰ إذ قبلتهم مختلفة.

و(أهل القبلة) يشمل -إذن- كل أهل الأهواء كل الفرق الثلاث والسبعين التي أخبر بها وعنها النبي ﷺ في قوله «**وستفترق هٰذه الأمة علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**» فهٰذه الفرق الثلاث وسبعين كلها تدخل عند أهل العلم تحت هٰذا الاسم (أهل القبلة).

ويدخل تحت هٰذا الاسم أيضا المنافقون؛ لأنهم كانوا يستقبلون القبلة في عهد النبي ﷺ واسم الإسلام الظاهر ينطبق عليهم، لهٰذا اسم أهل القبلة كاسم المسلم ينطبق علىٰ من استقبل القبلة في صلاته ولو كان من أهل البدع أو من أهل الأهواء أو ممن يعتقد في الباطن اعتقادا مكفّرا مناقضا للدين، فالأصل فيه أنه من أهل القبلة.

---

(١) بعض النسخ هكذا دون هاء الضمير.

وهٰذا يتّضح بأن نقول أهل القبلة[1] هم أهل الإسلام الصحيح الذين كانوا علىٰ مثل ما كان عليه محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه، وهٰذا يدخل فيه -يعني هٰذه الطائفة- يدخل فيها دخولا أوليا صحابة رسول الله ﷺ والتابعون وتبع التابعين وكل من كان علىٰ منهجهم، فأولىٰ الناس بهٰذا الوصف من كان علىٰ عقيدة الصحابة رضوان الله عليهم، وما أعظم قوله عليه الصلاة والسلام: «**من استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم، له ذمة الله وذمة رسوله ﷺ فلا تُخفروا الله في ذمته**».

ويدخل في هؤلاء من تبعهم بإحسان علىٰ عقيدة أهل السنة والجماعة من أهل التوحيد الذين حقّقوا كلمة التوحيد لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله؛ فلم يعبدوا إلا الله ولم يُحكّموا إلا شرع محمد عليه الصلاة والسلام، وهؤلاء في الحقيقة هم أهل القبلة لأنهم أولياء البيت، وهم المحققون بوصف المتقين، قال جل وعلا لما ذكر المشركين في سورة الأنفال قال: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ﴾ يعني أولياء البيت ﴿إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾[الأنفال:٣٤]، فأولياء البيت الحرام؛ أولياء القبلة يعني الذين يحبونها حقيقة وينصرونها وثم ولاية هم أهل البيت هم أهل القبلة.

الطائفة الثانية هم كل منتسب إلىٰ الإسلام سواءٌ كان فيه مكفر باطنا أم ليس فيه مكفر، فيدخل في ذلك أهل البدع والأهواء من فرق الضلال كالمعتزلة والخوارج والمرجئة والقدرية وإلىٰ آخره وغلاة الصوفية بكل من خالف عقيدة أهل السنة والجماعة، وكذلك يدخل فيه المنافقون.

فإذن اسم الإسلام المسلم، واسم أهل القبلة يشمل المبتدعة وأهل الأهواء والعصاة، ويشمل المنافقين في دار الإسلام؛ لأنّ النبي ﷺ لم يكن يميز ما بين المنافق وغير المنافق في الوَلاية الظاهرة؛ يعني في كونه له ما له وعليه ما عليه؛ لأن المنافق له حكم الإسلام ظاهرا؛ لأنه أظهر الإسلام، وكذلك أهل البدع والأهواء له حكم المسلم ظاهرا لأنهم أظهروا الإسلام واستقبلوا القبلة.

إذا تبيّن ذلك، فإذن هٰذا الوصف أهل القبلة ليس وصفا لطائفة واحدة؛ بل هو وصف متميّز ومتمايز أهله فيه، فالوَلاية لأهل القبلة والنُّصرة لأهل القبلة والمحبة لأهل القبلة ليست علىٰ درجة واحدة، فكل من كان متحقّقا بوصف الطائفة الأولىٰ فله الوَلاية الخاصة لمن كان علىٰ مثل ما عليه النبي ﷺ وأصحابه، ومن كان من أهل البدع والأهواء فله حكم الإسلام وله حكم أنه من أهل القبلة، فلا يستباح دمه ولا يُكفَّر ولا يُخرج من الدين إلا إذا أتىٰ مكفِّرا.

فإذن هٰذا الاسم واللقب أهل القبلة هٰذا فيه نوع اختلاط، وتعلمون أن زمن المؤلّف وما قبله لم يكن فيه إلا ما ذكرنا لك من هاتين الطائفتين:

- طائفة من كان علىٰ منهاج أهل السنة والجماعة.
- والطائفة الثانية طائفة أهل البدع والأهواء والمنافقون.

هؤلاء هم الذين كانوا في زمن المؤلف؛ لكن ظهر بعد زمانه المشركون الشرك الأكبر الذين يعبدون مع

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الرابع والعشرين.

الله غيره ويدعون غير الله ويستغيثون بغير الله ويذبحون لغير الله ويعبدون غير الله جل وعلا، فهل هؤلاء يصدق عليه اسم أنَّهم من أهل القبلة أم لا يصدق عليهم أنهم من أهل القبلة، علىٰ قولين لأهل العلم:

**القول الأول**: ليسوا من أهل القبلة؛ لأن صلاتهم باطلة؛ لأن المشرك لا تُقبل صلاته، فيكون استقباله للقبلة لغوًا؛ يعني أنه ليس من أهلها، كما كان المشرك من قريش، ومن العرب يتوجه إلىٰ الكعبة بالطواف ويؤدون عندها بعض العبادات ونحو ذلك، ولكنهم لم يكونوا موحدين فلم يتصفوا بوصف أنهم يستقبلون القبلة في الأحاديث.

**والقول الثاني**: أنَّ الأصل في المسلم الإسلام حتىٰ يثبت عنه أو منه ما يُخرجه من الدِّين، وهؤلاء إذْ أطلق عليهم أنهم كفروا يعني صار عليهم اسم الكفر سُلب عنهم اسم أهل القبلة، وإن لم يطلق عليهم الكفر يعني ليسوا بكفار فإنهم يبقون في الطائفة الثانية من التقسيم الأول؛ يعني في أهل البدع والأهواء والمنافقين وأشباه هؤلاء؛ لأنه لا يكفّر أحد إلا بعد أن تقوم عليه الحجة الرسالية التي يكفر جاحدها أو يكفر منكرها أو يكفر رادُّها.

وهٰذا القول الثاني هو الأَوْلىٰ وذلك أنّ الأصل فيمن استقبل الكعبة أنه مسلم حتىٰ يثبُت عنه ما يخرجه من الإسلام.

العلماء بحثوا هنا خاصة بعض علماء الدعوة بحثوا هنا في مسألة الكافر الأصلي يعني من نشأ بلغ وهو يعبد الأوثان وهو يعبد الأضرحة وهو يعبد غير الله جل وعلا، ومن كانت هٰذه الأمور عارضة له، بحثوا هٰذه المسألة في بعض الردود؛ لكن ليس بحثها مؤثرا علىٰ التقسيم الذي قلناه.

المقصود أن اسم أهل القبلة مثل اسم المسلم؛ يعني لا يترتب علىٰ هٰذا اللفظ (أهل القبلة) لا يترتب عليه حقوق إلا حقوق المسلم، فما دام أنه مسلم فله حق الإسلام له حقوق المسلم، إذا كان مسلما مطيعا فله حق المسلم المطيع، مسلم عاصي صاحب كبيرة، مسلم مبتدع، مسلم ظاهرا منافق باطنا هٰذا له حقوقه، إلىٰ آخره.

**المسألة الثانية**: قوله: (مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ)، (وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ) هٰذا الوصف: مسلم، مؤمن، هٰذا بناء علىٰ أن الإسلام والإيمان عند الطحاوي واحد وأنه لا فرق ما بين الإسلام والإيمان.

وهٰذا القول ليس بجيد؛ بل مخالف للأدلة ويأتي بحثه في الكلام علىٰ الإيمان.

هناك وُجهة أخرىٰ ظهرت لي أثناء تأمل كلمته أنه وإن قال ذلك لكن هٰذه الكلمة ليست ملزمة له بهٰذا القول؛ يعني لا نفهم منها أنه يسوي ما بين المسلم والمؤمن؛ لأن من جهة التسمية نسميهم مسلمين أو نسميهم مؤمنين فالإسلام والإيمان إذا تفرّقا اجتمعا، إذا قلنا: هو مؤمن مع كونه مسلما صحيح، وحتىٰ صاحب الكبيرة نقول هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

فإذن هٰذه الكلمة (مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ) لا تدل بنفسها علىٰ أنه يجعل الإسلام والإيمان واحد وأن المسلم هو المؤمن، ويأتي بيان أن قول أهل السنة والجماعة -يعني جمهور أهل السنة والجماعة- والراجح عندهم أن الإسلام غير الإيمان، والله جل وعلا فرق بينهما في كتابه فقال جل وعلا: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[الحجرات:١٤]، هٰذا بيّن واضح علىٰ التفريق في بقية الأدلة في موضعها.

**المسألة الثالثة**: أن هٰذا الاسم أهل القبلة واسم المسلم والمؤمن لابد من بقاء ما دل عليه وهٰذا هو ما ذكره بعد ذلك في قوله: (مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ) يعني أنه لو ارتكب مكفرا فإنه يخرج من اسمه مسلم ومن اسمه مؤمن ولو استقبل القبلة، ولو كان السجود في جبهته فإنه ما دام أنه ثبت عنه بيقين ما حكم عليه عالم أو قاضي بكفره فإنه يكون حينئذ ليس له حكم المسلم المؤمن ولو كان مستقبل القبلة.

قال: (مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ) معنىٰ الاعتراف هنا الإقرار بأن بما جاء به النبي في مسألة حق؛ لكن فرق هنا ما بين الجحد وما بين التأويل، فإنّ من جحد أمرًا جاء به النبي ﷺ وكان ثابتا -يعني عن النبي ﷺ- وكانت دلالته قطعية فإنه يكفر بذلك، مثل «**عثمان في الجنة**» هٰذا دلالته قطعية «**عثمان في الجنة**» ما تحتمل معنىٰ آخر، فإذا قال: لا، هٰذا ما يدل علىٰ أنه يحكم له بالجنة، لا أنا ما أحكم لعثمان بالجنة مع أن النبي حكم له، أنا أرد كون عثمان ﷺ في الجنة، لا أدري هو من أهل الجنة أو من أهل النار، هٰذا ردّ لخبر دلالته قطعية.

فإذن قوله: (مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ) هنا الاعتراف بمعنىٰ الإقرار بهٰذا الخبر وبما جاء به عليه الصلاة والسلام، وهٰذا الإقرار فيما كانت دلالته قطعية، أما إذا كانت دلالته محتملة وصار ثَم للتأويل مسرح؛ فإنه لا يُسلب عنه اسم الإسلام والإيمان، ولهٰذا نصّ أهل العلم من أئمة الدَّعوة ومن غيرهم علىٰ أن متأولة الصفات ليسوا كمنكري الصفات يعني ليس الأشاعرة مثل الجهمية، ليس المعتزلة مثل الجهمية في هٰذا الباب، الصفاتية الذين أثبتوا أصل الصفات وتأولوا بعضا هؤلاء لهم شبهة التأويل فلم يكفّرهم أهل السنة والجماعة في هٰذا الباب؛ لأنّهم معترفون بأصل ما جاء به النبي ﷺ في هٰذا الباب؛ لكن تأولوه؛ تأولوه إلىٰ جهة؛ جهة أخرىٰ.

فإذن يُفَرَّق هنا ما بين الرد وما بين التأويل، والاعتراف هو الإقرار، كذلك يُفَرَّقُ هنا ما بين الإقرار الذي يقابله الجحد، وما بين الالتزام الذي يقابله الامتناع.

فالاعترافُ الذي هو الإقرار يقابله الجحد يقال: أقر واعترف أو جحد، أقر بأن النبي ﷺ أمر بكذا أو جحد أن الصلاة واجبة، جحد أن الزكاة واجبة، جحد أن أكل نوع من المأكولات المباحة أنه حلال، جحد أن الخمر محرم، هٰذا جحد يناقض الاعتراف يعني أصلا ما يقر بالتحريم أصلا.

الثاني هو الفرق ما بين الالتزام والامتناع فإنه قد يُقرّ ولكنه لا يلتزم، وقد لا يجحد ولكنه يمتنع، والالتزام واجب والامتناع مكفِّر.

ما معنىٰ الامتناع؟ الامتناع أن يقول: أنا لا أدخل في هٰذا الخطاب، هٰذا معنىٰ قول العلماء: الطائفة الممتنعة، وقول إذا امتنع أحد عن كذا يعني لم يلتزم، فجعل فعله غير داخل في هٰذا الخطاب، مثل حديث أبي بردة بن نيار المعروف أن النبي ﷺ بعثه إلىٰ رجل نكح امرأة أبيه فأمره أن يقتله وأن يخمّس ماله، هٰذا رجل نكح امرأة أبيه، الفعل معصية كبيرة، كبيرة بشعة أن ينكح امرأة أبيه؛ لكن النبي ﷺ أمره أن يقتله وأن يخمّس ماله؛ يعني جعله مرتدا لم؟ لا لكونه جحد ولكن لكونه امتنع.

فإذن هنا في الاعتراف (مَا دَامُوا... مُعْتَرِفِينَ) فيه الإقرار يقابله الجحد، وفيه الالتزام وأن يعتقد أنه

مخاطب، والامتناع أنه غير مخاطب بذلك مثل فعل مانعي الزكاة، الزكاة واجبة وأدوها لكن نحن بذاتنا لا نحن لسنا داخلين في هٰذا الخطاب، فالرجل ظن أنه لا يدخل في هٰذا الخطاب في قوله جل وعلا: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾[النساء]، فهو مقرّ بهٰذه الآية بدخوله في الإسلام، مقر بهٰذه الآية بدخوله؛ لكنه امتنع من الدخول امتنع من الالتزام بها لأجل أن هٰذه كانت فعلة أهل الجاهلية، فكان من إكرام الرّجل لأبيه أن ينكح امرأة أبيه؛ لأن هٰذا يدل علىٰ بره، يدل علىٰ صلته، ويدل علىٰ شرفه، ويدل علىٰ أشياء عندهم، فلما أنه امتنع يعني أنه أخذه هٰذا المأخذ الحكم الجاهلي.

إذن في هٰذه الصورة لم يلتزم -هو مقر معترف- لكنه لم يلتزم بمعنىٰ امتنع وليست المسألة مسألة تكفير بالعمل أو أن فعله دل علىٰ استحلاله، ليست من هٰذا الباب، إنما هي من باب الامتناع فمن عرف واقع أهل الجاهلية في نكاح العبد إلىٰ آخره وسبب نزول الآية ودلالة ذلك عرف.

المقصود من هٰذا أن قول الطحاوي: (مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ) الاعتراف الإقرار، والإقرار يقابله الجحد، ويأتي الكلام علىٰ الاستحلال في قوله: (وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا [مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ] بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ).

فإذن صارت عندك هنا أن النسبة إلىٰ الإسلام، النسبة إلىٰ أهل القبلة يأتي الخروج منها بأشياء، وأما العمل سيأتي الكلام عليه (وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ) لهٰذا هنا علقها بالاعتقادات (مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ).

**المسألة الرابعة والأخيرة**: هٰذا الباب باب الإيمان والخروج من اسم الإسلام واسم الإيمان ومن معنىٰ أهل القبلة، هٰذا من المواضع التي تزلّ فيها الأقدام.

لهٰذا الذي يجب علىٰ كل طالب علم أن يعلم ما قاله أهل السنة والجماعة في بيان الإيمان وبيان ضده، وأنّ الإيمان والإسلام إذا قامت بالشخص يعني وُصف أحد بالإسلام والإيمان، المسلم والمؤمن لا يُخرج من إسلامه وإيمانه حتىٰ يأتي بمكفّر واضح مثل وضوح ما أدخله في الإيمان، فهو دخل باعتقاد واضح، دخل بكلمة التوحيد لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، دخل أيضا بعمل الأركان، فلا بد أن يكون الاعتقاد مضاد لأصل الإيمان بالله وملائكته ورسله إلىٰ آخره، كذلك القول يكون مضاد للأصل؛ يعني مواجه للأصل مضاد للتوحيد لكلمة التوحيد؛ يعني للأقوال الشركية، كذلك العمل يكون مضاد لما دلّ عليه العمل من الاستسلام لله جل وعلا.

هٰذه المسألة يأتي لها مزيد تفصيل فيما نستقبل إن شاء الله تعالىٰ.

فإذن معتقد أهل السنة والجماعة في هٰذه المسألة أنَّ من ثبت في حقه اسم الإسلام والإيمان فإنه يبقىٰ علىٰ هٰذا الاسم ما لم يأتِ بشيء من الأقوال أو الأعمال أو الاعتقادات تردّ هٰذا الأصل بوضوح لا باحتمال؛ لأن الواضح البين اليقيني لا يزيله إلا يقيني.

قال بعدها: (وَلَا نَخُوضُ فِي اللهِ، وَلَا نُمَارِي فِي دِينِ اللهِ)، (لَا نَخُوضُ فِي اللهِ) يعني في ذات الله جل وعلا، (وَلَا نُمَارِي فِي دِينِ اللهِ) يعني لا نلقي الأغلوطات والشّبه والشكوك في دين الله جل وعلا، فأصل الإسلام مبني علىٰ الاستسلام، والاستسلام لله جل وعلا فيما أخبر به في أمور الغيب فيما أنزله علىٰ رسوله عليه

الصلاة والسلام جملة وتفصيلا.

فإذن في الله لا نخوض؛ يعني في ذات الله ﷻ؛ بل نتكلّم عن الذات العلية جل جلاله وعن صفاته ﷻ فيما جاء في الكتاب والسنة، لهٰذا أصل أهل السنة مخالف لأهل الأهواء في هٰذا الأصل، فأهل الأهواء والبدع يخوضون في الله وفي صفاته ولذلك سموا أهل الكلام؛ لأنهم في كل مسألة يخوضون، لو رأيت وراجعت كتاب الأشعري «مقالات الإسلاميين» لوجدت أنه قسمه إلىٰ قسمين:

القسم الأول: جليل الكلام.

والقسم الثاني: دقيق الكلام.

دخلوا في أشياء فيها خوض في الله جل وعلا وفي صفاته بغير ما أنزل علىٰ رسوله ﷺ.

إذن قوله: (وَلَا نَخُوضُ فِي اللهِ) يريد به مفارقة أهل الكلام ومفارقة أهل البدع والأهواء في أننا نتأدب مع الرب جل جلاله فلا نخوض في شيء إلا بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

(وَلَا نُمَارِي فِي دِينِ اللهِ) يعني بإلقاء الشبه والشكوك إلىٰ آخره ولو لقصد المناظرة؛ بل المراء مذموم بأنواعه.

وتحتها مسائل:

**المسألة الأولى**: الخوض في ذات الله محرم، وكذلك التفكر في ذات الله منهيٌّ عنه؛ لكن المأمور به أن يفكِّر المرء في آلاء الله جل وعلا، قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**تفكّروا في آلاء الله، ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا**» المأمور به العبد أن يتفكّر في آلاء الله، آلاء الله جل وعلا بآياته، وآيات الله جل وعلا نوعان:

- آيات مرئية وهي ملكوته في السَّمٰوات وفي الأرض وما خلق الله من شيء.
- وآيات متلوة وهي القرآن.

فمن تفكر في آلاء الله دلّه علىٰ عظم ربه جل وعلا وأصابه طمأنينة وسكينة وخشوع وخضوع للرب جل وعلا.

لهٰذا أمرنا ربنا سبحانه بالتفكر في آلائه وملكوته وآياته، قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[آل عمران]، وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟﴾[1] وقال سبحانه أيضا: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[يونس]، وقال جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾[سبإ:٤٦]، تقف هنا: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبإ:٤٦]، والنبي ﷺ حُبِّب إليه الخلاء حُبب أن يدخل غار حراء ويمكث فيه الليالي ذوات العدد يتحنث ويتأمل في ملكوت الله جل وعلا، وهٰذا يُحدث من حقائق الإيمان في النفس ومن الارتباط والذل لله جل وعلا ما يُحدث.

---

(١) سورة: الأعراف؛ الآية (١٨٤)، الروم؛ الآية (٨).

ولهٰذا كان من هدي السلف رضوان الله عليهم قلة الكلام والتفكّر في آلاء الله جل وعلا، قالت أم الدرداء في وصف زوجها أبي الدرداء: كانت أكثر عبادة أبي الدرداء التفكّر.

وكان الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: **عاملنا القلوب بالتفكر فأورثها التذكر، فرجعنا بالتذكر علىٰ التفكر وحركنا القلوب بهما، فإذا القلوب لها أسماع وأبصار.**

هٰذه كلمة عظيمة، الناس قلوبهم مضغة كلها تتحرك وتقذف الدم؛ ولكن القلب الحي لينذر من كان حيا، صاحب القلب الحي هٰذا يكون قلبه له سمع وبصر؛ يعني يرىٰ أشياء هو يتفرس في الأشياء ويكون له مرئيات يرىٰ ما لا يراه الآخرون.

قال: (عاملنا القلوب بالتفكر)، التفكر في آلاء الله، ليس التفكر في الله ولا في ذات الله إنما التفكر في آلاء الله جل وعلا فيما خلق في آياته التي أعطاها المرسلين في آياته المتلوة القرآن إلىٰ آخره يعني في المنظورة والمقروءة، (فأورثها التذكر)؛ يعني تذكر العبد أو خلا بنفسه فإنه سيتذكر؛ لكن تذكره سيكون ضعيفا؛ لأن بدايات التذكر بعد التفكر، قال: (فرجعنا) -هو يحكي حال السلف الحسن البصري يقول: (عاملنا) يعني السلف يعني طبقة التابعين- قال: (فرجعنا بالتذكر) هٰذا الذي تذكرناه صار في القلب نوع حياة رجعنا به علىٰ التفكر، ففكرنا من جديد نظرنا في الملكوت في آلاء الله، في تصرف الله جل وعلا، في خلقه، في آيات الله في القرآن، (فرجعنا بالتذكر علىٰ التفكر وحركنا القلوب بهما)، يعني مرة وراء مرة، هٰذا تذكر بعد تفكر، تذكر بعد تفكر، يبقىٰ العبد في الإيمان، قال: (فإذا القلوب لها أسماع وأبصار)، ينفتح القلب من معارف الله جل وعلا ومن الأنس به ومن لذة مناجاته ومن إيثار ما عنده علىٰ ما في هٰذه العاجلة، وعلىٰ إيثار محابّه جل جلاله علىٰ أهواء النفس ما لا يُدركه إلا من وفّقه الله جل جلاله.

لهٰذا قال: (وَلَا نَخُوضُ فِي اللهِ) سمة أهل السنة والجماعة أنهم لا يخوضون في الله، ولا يخوضون في صفات الله إنما يذكرون ما دل عليه الكتاب والسنة ويعلّمون ذلك، وإنما المهم العمل، المهم هٰذا القلب أن يكون صالحا، أن يكون خاشعا لله، منيبا لله جل جلاله، لهٰذا صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**»، وقال في السبعة الذين يظلهم الله في ظلهم: «**ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**».

فمن أعظم العبادات التفكر، تفكر في القرآن تردد الآيات التي تؤثر علىٰ قلبك، التفكر في ملكوت الله في هٰذه السماء العجيبة، الأرض، الخلق، هٰذا من سمة وخصال أهل السنة والجماعة، مخالفين بذلك لطريقة الصوفية الذين أورثهم العزلة التفكر والخوف في الله جل وعلا والكشف؛ كشف الحُجب ونحو ذلك مما زلت به أقدامهم.

**المسألة الثانية**: علىٰ قوله: (وَلَا نُمَارِي فِي دِينِ اللهِ) المِرَاء مذموم، والمراء ضابطه هو أن يورد الشيء لقصد الانتصار للنّفس أو إضعاف من أمامه؛ يعني المغالبة يريد يغالب يريد يشكك، الشبه يوردها، هٰذا من الأمور المذمومة لأنّ أصل الدين مبني علىٰ الاستسلام، فالمراء في الدّين محرم وقد صحّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**أنا زعيم ببيت في أعلىٰ الجنّة لمن ترك المراء وهو محقّ وأنا زعيم ببيت بوسط الجنة لمن ترك المراء**». المقصود اشتبه عليّ لفظه، «**أنا زعيم في بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء**». النبي ﷺ تكفّل ببيت

لمن ترك المراء وإن كان محقا -بيتا في الجنة-، لماذا؟ لأن المراء أحيانا وأنت تماري يأتيك الحق معك لكن تغلبك نفسك للانتصار لنفسك لا للحق، والإنسان بين هٰذه وهٰذه يكون عنده شيء -يعني بين الانتصار للحق والانتصار لنفسه-، وكثيرا ما تشتبه علىٰ أكثر الناس؛ يعني تختلط هٰذه تنتصر لنفسك أو تنتصر للحق، لهٰذا يسمىٰ هٰذا مراء، إذا صارت مجادلة وخشيت أن تنتصر فيها لنفسك، فالسكوت أفضل لأن الانتصار لنفسك من المراء في دين الله جل جلاله.

فإذن من صفة أهل السنة والجماعة ومن سماتهم أنهم لا يمارون في دين الله، لهٰذا قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سئل: الرجل تكون عنده السنة أيجادل عليها؟ قال: لا، يخبر بالسنة فإن قبلت منه وإلا سكت. لأن المراء في ذلك يورث العداوة قد يورث الانتصار للنفس، وذلك كله مذموم.

نقف عند هٰذا. وأسأل الله جل وعلا لي ولكم الهدىٰ والرشاد، وأن يحبب إلينا الإيمان ويزيّنه في قلوبنا.

كما أسأله جل جلاله أن يكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان.

نكتفي بهٰذا القدر، وفقكم الله.

## الدرس الحادي والثلاثون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

وأسأل الله الكريم أن يجعلني وإياكم ممن بارك أقوالهم وأعمالهم، ونفعهم بقليل [...]، وعَظُم أجرُه، أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

اللّٰهمَّ اجعلنا من أهل القرآن ممن يتلونه حق تلاوته.

نسألك اللّٰهمَّ ألا تُزيغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.

اللّٰهمَّ هب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، ربَّنا حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين.

اللّٰهمَّ واجعلنا دعاة إلىٰ الحق دالِّين الخلق إليك وعليك.

اللّٰهمَّ وثبتنا علىٰ طريقة سلفنا الصالح حتىٰ نلقاك وأنت راضٍ عنا يا أكرم الأكرمين.

أما بعد..

[**الأسئلة**] فهٰذه بعض الأسئلة نجيب عنها في مقدمة الدرس.

سؤال (٢٨٩): ذكر بعض العلماء أن المرأة إذا طُلّقت طلاقا بائنا في مرض الموت المخوف لقصد حرمانها من الميراث ثم تزوجت بآخر، فمات الأول أنها ترث من الأول هٰذا علىٰ المذهب المالكي.

وقد ذكر بعض المعاصرين أن المرأة لا ترث من الزوجين بالإجماع في هٰذه الصورة، فما الصورة الصحيحة هل يحق من المرأة أن ترث من اثنين أو أكثر في وقت واحد وتخرج عن الإجماع المذكور.

**الجواب**: هٰذه المسائل فيها خلاف ويطول الكلام عليها.

لكن القاعدة التي ينبغي معرفتها في ذلك أن تصرّفات المريض في مرض موته؛ يعني في المرض الذي مات فيه وكان المرض مما يكون معه الهلاك عادة أو غالبا تصرفات المريض غير معتبرة، فلو أعطىٰ فإنّ عطيته غير منعقدة، لو طلق في مرضه فإن طلاقه إذا كان بقصد الحرمان فإنه غير جارٍ؛ يعني غير واقع.

وهنا من غرائب المسائل التي تذكر في هٰذا أن المرأة إذا طلقها زوجها -مما يتصل بالسؤال- إذا طلقها زوجها في مرضه المخوف الذي مات فيه بقصد حرمانها فإنها ترث منه ولا تحادّ عليه؛ لأنه لما طلّقها أسقط حقه عليها والإحداد -إحداد المرأة- أربعة عشر وعشرا هٰذا حق للزوج فبتطليقه لامرأته سقط حقه عليها، وبتطليقه وإرادة حرمانها من الإرث فإن هٰذا ليس له؛ بل هٰذا إلىٰ الله، جل وعلا الله سبحانه هو الذي قسم التركة، فليس له أن يحرم بعض الورثة، فتصرفه هٰذا باطل لهٰذا ترث المرأة منه بهٰذه الصورة ولا تحادّ عليه.

فالمرأة إذا طلقت -كما ذكر في السؤال- فهٰذه مسائل مرجعها إلىٰ القاضي، فقد يكون السؤال خصومة موجودة عند القاضي ونحو ذلك، فهٰذه يرجع فيها إلىٰ القاضي هو الذي يثبت الطلاق أو لا يثبته بحسب مرض الرجل وطبيعة المرض، وهل قصد حرمانها أم لم يقصد، وهل المرض طال، وهل لما تزوجت بالثاني ظروف الزواج. المقصود أن ثم أشياء مرجعها إلىٰ المحكمة.

سؤال (٢٩٠): هل دعاء ركوب الدابة أو السيارة ونحوهما خاص بالسفر فقط أم بالحضر أيضا، وهل هناك دعاء خاص عند شراء سيارة جديدة؟

الجواب: الدعاء في ركوب الدابة والسيارة هٰذا عام سواء في الحضر أو في السفر ولكن في السفر له صيغة طويلة التي جاءت في حديث علي ونحو ثم الدعاء وتلاوة الآية إلىٰ آخره، فمطلق الدعاء في ركوب السيارة أو الدابة هٰذا يشرع بالحضر وفي السفر وذلك بتلاوة الآية: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾[الزخرف]، والنبي ﷺ كان إذا علا كبر وإذا هبط سبّح، وذلك لأن العلو يناسبه التكبير، والانخفاض يناسبه التسبيح وهٰذا في خارج؛ في السفر وفي الحضر، وكذلك لمناسبة ذلك جاء في الصلاة مشروعية ذلك فإن التسبيح جاء في المواضع التي يكون فيها منخفضا لله جل وعلا في الركوع وفي السجود، والتكبير جاء في المواضع التي يكون في ارتفاع بالنسبة لما بعده.

لهٰذا يشرع لمن في الحضر من في السفر إذا علو أن يكبروا وإذا هبطوا يسبحوا، وفي ذلك إذا علا في سيارة أو طيارة أو أراد أن ينزل يدخل في عموم ذلك.

أما الدعاء الخاص عند شراء السيارة هٰذا ليس فيه دعاء خاص؛ لكن يناسب أن يقول الدعاء المعروف فيما استجد الإنسان شيئا من دابة ونحوها يضع يده عليها وأن يقول المرء: اللّٰهمَّ إني أسألك خيرها وخير ما صنعت له وأعوذ بك من شرها وشر ما صنعت له، هٰذا مناسب في السيارة وفي نحوها.

سؤال (٢٩١): ما تحرير محل النزاع في قراءة الفاتحة بالنسبة للمأموم ؟

هل القراءات السبع هي أحد الأحرف السبعة أو جميعها؟

الجواب: أما قراءة الفاتحة بالنسبة للمأموم فللعلماء فيها أقوال:

**الأول** منها: أنها يتحملها الإمام في الصلاة السرية وفي الصلاة الجهرية؛ يعني يتحمل وجوبها ويستحب للمأموم أن يقرأها في السرية وفي الجهرية، وهٰذا هو المعروف من المذهب؛ مذهب الإمام أحمد وهو قول عدد كبير من أهل العلم من السلف ومن المتأخرين.

**القول الثاني**: هو أن المأموم يقرأ في السرية فقط يعني وجوبا، وأما في الجهرية فإن الإمام إذا قرأ فيتحملها عنه لأن المأموم يؤمن في الجهرية المأموم يقول آمين، فمن قال: آمين فقد شرك الداعي في دعائه، وهٰذا اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة بأن الإمام يتحمل الجهرية دون السرية؛ يعني لا يجب علىٰ المأموم أن يقرأ في الجهرية وإنما يقرأ في السرية.

**والقول الثالث**: وهو أن قراءة الفاتحة واجبة أو ركن مطلقا سواء كانت للمأموم أو للإمام أو للمنفرد، والأدلة علىٰ ذلك كثيرة منها قول الله جل وعلا ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء]، ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ يعني قراءة الفجر، والقراءة الواجبة في الفجر؛ يعني هي الصلاة، القراءة الواجبة المراد بها الفاتحة، والمراد الصلاة يعني صلاة الفجر إن صلاة الفجر كانت مشهودة؛ لكنه سمّىٰ الصلاة قرآنا لأن القرآن الذي يُتلىٰ فيها هو ركنها الأعظم؛ لأنّ من القواعد المقررة في القواعد العربية وعند الأصوليين أن ذكر الشيء بذكر بعضه يدل علىٰ أن هٰذا الجزء أو البعض ركنه الأعظم، وقول الله جل وعلا: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ يعني القرآن الذي يُتلىٰ في الفجر، وهٰذا القرآن الذي يتلىٰ في صلاة الفجر

هو الفاتحة مع غيرها؛ لكن ما بعد الفاتحة سنة بالاتّفاق، وبقيت الفاتحة علىٰ أنها دالة علىٰ أنها واجب أو ركن في هٰذه الصلاة، وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين**» هٰذا[1] الحديث الشاهد منه -الحديث رواه مسلم وغيره- وذكر الفاتحة، القاعدة أن تسمية الفاتحة الصلاة يعني أنها في الركن الأعظم فيها، ويدل علىٰ ذلك أيضا قول النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم وغيره «**كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج خداج خداج**» يعني ناقصة غير تامة، وأيضا يدلّ عليه قوله عليه الصلاة والسلام لما سمعهم يقرؤون خلفهم قال: «**أُراكم تقرؤون خلف إمامكم**» قالوا: نعم يا رسول الله. فقال: «**لا تفعلوا إلا بأم القرآن فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها**» وهٰذا يدل علىٰ وجوب قراءة الفاتحة، وهٰذا القول هو أصح الأقوال، وإن كان القائل به من أهل العلم قليل، و إلا فالجمهور ليسوا علىٰ هٰذا؛ ولكن الأدلة تدل عليه.

يفيدك معرفة الخلاف بأنّ العبد إذا لم يقرأ أو لم يتهيأ له أن يقرأ أو عمل بقول آخر فإنه لا إبطال لصلاته ولا إنكار عليه؛ لأنّ المسألة فيها هٰذا الخلاف القوي الذي رأيت.

فطالب العلم يجتهد أن يقرأ في الصلاة الجهرية وفي الصلاة السرية؛ لأنّ الأدلة دلت علىٰ وجوب قراءة الفاتحة، فإن حصل منه أنه تركها بعض الأحيان أو رأىٰ من يتركها فإنه لا حرج عليه في ذلك؛ لأن ثم من يقول بهٰذا؛ يعني بأنها لا تجب، فلا إبطال للصلاة بترك قراءة المأموم للفاتحة.

**بقي أن يُبحث**: هل من اعتقد الوجوب فترك هل لا تصح صلاته؟ بحث عند أهل العلم ولهم في ذلك قولان وأظهرهما عندي أنه لا تبطل صلاته؛ لأن أكثر الصحابة والتابعين علىٰ أن قراءة الفاتحة ليست للمأموم بواجبة؛ ولأنه تسقط الفاتحة عند من قال بالوجوب -يعني عند عامة من قال بالوجوب أو أكثر من قال بالوجوب- بما لو أدرك الإمام وهو راكع، فيقولون يدخل معه راكعا؛ يعني يدخل معه في الركوع وتسقُط عنه قراءة الفاتحة بقول الجمهور بخلاف قول البخاري وجماعة ممن لا يعتدُّون بإدراك الركوع في إدراك الركعة.

المقصود من ذلك أن الأظهر قراءة الفاتحة واجبة وأن من تركها فإن صلاته صحيحة يعني بالنسبة للمأموم.

## هل القراءات السبعة هي أحد الأحرف السبعة؟

القراءات السبع ليست أحد الأحرف السبعة؛ ولكن مجموع القراءات السبع بعض الأحرف السبعة، القراءات السبع والأحرف السبعة لا اتصال ولا علاقة بين تسمية القراءات سبع تسمية الأحرف: الأحرف السبعة، الأحرف السبعة سميت سبعة لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المتواتر «**أنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف**»، وأما القراءات السبع فهٰذا انتخاب انتخبه المقرئ الحافظ ابن مجاهد في كتابه «**السبعة**» وهو كتاب مطبوع، فجوّد كتابه وانتقىٰ من قُرّاء الأمصار سبعة من القراء، وانتقىٰ لكل قارئ راويين، ثم لكل راوي انتقىٰ منهم مجموعة أيضا وذكرهم في كتابه، فانتشر لحسن كتابه ولإمامة ابن

---

(١) انتهىٰ الشريط الرابع والعشرون.

مجاهد انتشر كتابُه، فبهٰذه القراءات السبع دون غيرها، وإلا فثم أيضا قراءات عشر؛ يعني فيه ثلاثة زيادة ليست من السبعة بعضهم أوصلها إلىٰ أربعة عشر ونحو ذلك.

والقراءات السبع متواترة وهي يعني مجموع القراءات السبع هي بعض الأحرف السبعة؛ يعني الأحرف السبعة التي أنزلها الله جل وعلا توسعةً علىٰ هٰذه الأمة وجمعًا للعرب علىٰ حرف قريش وعلىٰ اتّباع محمَّد عليه الصلاة والسلام شُرعت للتَّخفيف ولجمع الكلمة ولعدم الاستكبار ونحو ذلك، هٰذه الأحرف السبعة لما جُمع مصحف عثمان، لمَّا جَمع عثمان المصاحف في مصحف واحد وألغىٰ غير هٰذا المصحف، الأحرف السبعة انتهت، ولم يَجُز بعد أمر عثمان لأحد من الصحابة أو من غيرهم أن يقرأ بغير ما يجده في مصحف عثمان، فذهب بعض الأحرف ليس بعض الأحرف يعني حرف كامل ذهب؛ لا، ذهب بعض من الحروف؛ يعني بعض الحرف الأول ذهب، وبعض الحرف الثاني ذهب، وبعض الحرف الثالث ذهب، وبعض الحرف الرابع ذهب، وبعض الخامس ذهب، وبعض السادس ذهب، وبعض السابع ذهب، وبقي بعض كل حرف في مصحف عثمان لاحتمال القراءة؛ لأن مصحف عثمان كُتب بلا نَقْطٍ ولا شكل، لم يُنْقَط ولم يُشَكَّل؛ لأن النقط والتشكيل إلىٰ آخره جاء في زمن متأخر في زمن الحجاج بن يوسف ومن بعده تيسيرًا، فلما كانت الأحرف غير منقوطة والكلمات غير مشكولة فلا شك أن كل صحابي سيقرأ بما يعلمه من الحرف الذي أقرأه رسول الله ﷺ ولن يقرأ بحرف آخر هو يقرأ بالحرف، فإذا كان الحرف الذي يقرأ به يحتمله الرسم فإنه يقرأ، فإذن ذهب بعض ما عنده، التزم بحرف قريش الذي كُتب به المصحف وترك بعضا وقرأ ببعض ما عنده.

لهٰذا العلماء قسموا القراءات السبعة والقراءات العشر يعني من حيث الأداء قسموا الاختلاف فيها إلىٰ قسمين: اختلاف في الأصول، واختلاف في الفرش.

**الفرش** في الكلمات في نطق الكلمات من جهة التشكيل والاختلاف مثلا بُشْرًا نَشْرًا، سَدًّا سُدا، ونحو ذلك.

واختلاف في **الأصول** الذي هو في المد وفي الميم وفي الإدغام يعني وأشباه ذلك، مما يلتزمه القارئ في كل قراءته.

وهٰذا بحث طويل في اتِّصال الأحرف السبعة بالقراءات السبعة؛ لكن المهم الذي ينبغي التأكيد عليه في هٰذا الموطن أنه تسمية بعض القرّاء بالقراء السبعة هٰذا اجتهاد من العلامة المقرئ الحافظ ابن مجاهد في كتابه «السّبعة» وهو كتاب مطبوع، والعلماء أخذوا اختياره بالقبول؛ لكن ينتبه طالب العلم لأنه لا صلة بين السبعة والأحرف السبعة، فهٰذا اتِّفاق في العدد دون اتفاق في الحقيقة.

نعم اقرأ...

وَلَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا ﷺ، وَهُوَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ.

الحمد لله ربِّ العالمين، وبعد..

فهٰذه الجملة من هٰذه العقيدة التي ألّفها العلّامة أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ قال فيها: (وَلَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا ﷺ، وَهُوَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ.).

وهٰذه الجملة مشتملة علىٰ عقيدة مباركة عظيمة في القرآن، والقرآن الإيمان به فرض وركنُ الإيمان؛ لأن من أركان الإيمان: الإيمان بكتب الله المنزَّلة. وأعظمها الكتاب الذي جعله الله مُهيمنا علىٰ كل كتاب وهو هٰذا القرآن العظيم، فالإيمانُ به ركنُ الإيمان، والإيمان به عند أهل السنة والجماعة يشمل الإيمان بأنَّه كلام الله تعالىٰ، وأنه منزّلٌ من رب العالمين، وأنَّ محمَّدًا عليه الصلاة والسلام عَلَّمه إياه جبريل، وجبريل سمعه من ربِّ العالمين جل جلاله وتقدست أسماؤه، وأنّ هٰذا القرآن لا يُشبهه شيء من كلام المخلوقين لا يماثله ولا يدانيه، وأنه غير مخلوقٍ؛ لأنه صفة الله جل جلاله، وصفات الله ﷻ كذاته العليّة، هو سبحانه الخالق جل وعلا وغيرُه مخلوق.

وهٰذا التقرير من العلامة الطّحاوي مأخوذٌ من النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة التي تدلّ علىٰ هٰذه الأصول:

كقوله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[النحل].

وكقوله جل وعلا: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾[النحل:١٠٢].

وكقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[الشعراء].

وكقوله جل وعلا: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾[التوبة:٦].

وغير ذلك من الآيات التي فيها أنّ القرآن كلام الله، وأنه منزّل من عنده، وأنّ جبريل عليه السلام هو الذي نزل به علىٰ قلب محمد -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

والمجادلة في القرآن دلت السنة علىٰ أنها مذمومة ومحرّمة، وذلك كما روىٰ مسلم في «الصحيح» أن النبي عليه الصلاة والسلام خرج عليهم يوما وهم يتجادلون في القرآن هٰذا ينزع بآية وهٰذا ينزع بآية، فكأنما فُقئ في وجهه حبُّ الرمان -يعني من الغضب- عليه الصلاة والسلام فقال لهم: «**اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا**» أو كما جاء عنه عليه الصلاة والسلام.

وقد جاء أيضا أن نبيّنا عليه الصلاة والسلام نهىٰ أن يجهر بعض الناس علىٰ بعض في القراءة؛ وذلك لأجل التأدُّب مع القرآن وأن لا تكون القراءة سببًا للتخاصم أو للمجادلات؛ يعني بسبب القُرآن أو في القرآن.

والمِرَاء مذمومٌ مطلقًا سواء أكان بحق أو بغير حق وهو المراد به نُصرة النفس والاستعلاء، ولو كان بالقرآن، فلا نجادل في القرآن؛ يعني في أدلَّته، ولا نجادلُ في القرآن في صفته؛ بل نُسَلِّم للقرآن أنه كلام الله جل وعلا، ونستسلم لدليل الرَّحمٰن جل وعلا، فالقرآن آيات الرب ﷻ.

فالتجادل بالاختلاف في القرآن مبني علىٰ الأهواء، هٰذا ليس من صفة أهل الإيمان، وإنما -كما سيأتي- المجادلة تكون لبيان الحق ولبيان وجه الدليل وهٰذا هو المحمود.

فالمجادلة في القرآن مذمومة لهٰذا قال الطحاوي هنا: (وَلَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ).

(وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يعني نُعلن ونُخبر مع اعتقادنا ويقيننا بأنه ليس كلام مخلوق؛ بل هو كلام ربِّ العالمين؛ يعني أنه كلام الله جل وعلا، و(الرُّوحُ الْأَمِينُ) الذي هو جبريل نزل به؛ نزل به من رب العالمين، نزل به سماعًا سمِعه جبريل عليه السلام من رب العالمين، وأمره الله جل وعلا أن ينزل به وحيًا علىٰ سيّد المرسلين (فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا ﷺ).

(وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ) هٰذا منه تقريرٌ لما أجمع عليه أهل السنَّة، وذلك خلافًا للمعتزلة والعقلانيين والخوارج والرَّافضة الذين قالوا بخلق القرآن كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ.

هٰذا الأصل الذي ذكره الطحاوي وهٰذه العقيدة المباركة تحتها مسائل:

**المسألة الأولى**: في المجادَلة.

المجادَلة عُرّفت بأنَّها إيراد الحُجَّة علىٰ القول المختلَف فيه مِن المختلِفين، فإذا اختلفوا في مسألة؛ هٰذا يورد حجته تقريرًا لقوله، وهٰذا يورد حجته تقريرا لقوله، فتصير مجادلة.

وفي الشرع المجادلة قسمان:

**مجادلةٌ مذمومة** وهي التي يُراد بها الانتصار للنفس وللقول دون تحرٍّ للحق.

والأخرىٰ النوع الثاني **محمودة** وهي مأمور بها في الشرع، وهي المجادلة بالتي هي أحسن؛ يعني التي الغرض منها الوصول إلىٰ الحق وإرشاد الضَّال وتبيين حُجَّة الله جل وعلا.

وهٰذه هي التي أثنىٰ الله جل وعلا علىٰ عباده بها، فهو أمرهم بها في قوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[النحل]، وكقوله سبحانه في سورة العنكبوت: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[العنكبوت:٤٦].

**ويشتبه بالمجادلة الجدَل**، والجدل قال بعض أهل العلم: إنه هو المجادلة؛ لأنه مأخوذٌ من الجدْل وهو لف بعضه علىٰ بعض كأن الأقوال التف بعضها علىٰ بعض من الإيراد.

**والأظهر أن الجدَل نوعٌ من الخصومة**؛ لكن لم يُمدح في القرآن فذمّه الله جل وعلا في قوله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾[الزخرف]، وقال فيها: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾[الزخرف]، ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾ يعني في ذلك ذنب لهٰذا الاعتقاد لأنهم ما أرادوا المجادلة ولا أرادوا دفعا للشبهة أو الوصول إلىٰ الحق، وإنما هو جدل.

وهنا ثَم بعض البحوث التي كُتبت في هٰذا الموضوع خاصة عند المعاصرين باسم الجدَل، الجدل في القرآن، والجدل إذا كان يصل معه المتجادلون إلىٰ حقيقة فإنه في الحقيقة مجادلة ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى

﴿تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾[المجادلة:١]، فهي مجادلات في القرآن.

وإذا كان المقصود بالجدل في القرآن المجادلة فإن هٰذا مقبول؛ لكن تكون تسميتها بالجدل هٰذه يكون فيها بحث اصطلاحي، وإذا كان المقصود بالجدل في القرآن -فيما كتبوا- المقصود منه ما ضرب جدلا لغير الوصول إلىٰ الحق فهٰذا لا يدخل فيه المجادلات التي للوصول للحق، فإنّهم يدخلون فيها ما أقام الله جل وعلا به الحجة مثل مجادلة الملك مع إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ﴾[البقرة:٢٥٨]، فيدخلونها في الجدل.

فقوله هنا: (وَلَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ) المجادلة كما ذكرنا إذا كانت بالتي هي أحسن للوصول إلىٰ الحق فهٰذه مطلوبة شرعا وأمر الله جل وعلا بها عباده؛ لكنهم يجادلون بالقرآن لا فيه؛ يعني يجادل غيرّه بحجة القرآن -بالقرآن الكريم-، ففرق ما بين المجادلة في القرآن وبين المجادلة بالقرآن:

**فالمجادلة بالقرآن** أن تُورد الحجة من كتاب الله جل وعلا وتورد وجه الاستدلال من ذلك.

وأما **المجادلة في القرآن** فهو أن يُختلف في دلالته، يختلف في حجيته أو تضرب بعض الآيات ببعض، أو أن لا يردّ المتشابه إلىٰ المحكم أو أن يُخاض في الأمور الغيبية بأمورٍ عقلية ونحو ذلك.

فالمجادلة بالقُرآن محمودة لإقامة الحجة وأما فيه فإنها مذمومة.

**المسألة الثَّانية**: الذين جادلوا في القرآن في هٰذه الأمة -أمة الإجابة- كثيرون، فكل طوائف الضلال من لم يستسلم لنص القرآن والسنة فإنه جادل في القرآن، وذلك أنهم أسَّسوا مذاهب لهم واعتقادات، فإذا جاءهم الدليل من القرآن علىٰ خلاف ما أَلِفُوا أو ما هووه فإنهم يجادلون فيه؛ يعني يردُّون حجّة الله جل وعلا التي في القرآن ويأتون بآية تضرب هٰذه الآية، والنبيُّ ﷺ أتاهم -أتىٰ بعض الصحابة- وهم يتجادلون في القرآن فغضِب كما ذكرنا لك.

فالتأدُّب مع القرآن أن يكون الإيراد به -يعني إيراد الدليل به- فإذا اختلفت الأدلة وجب رد المتشابه إلىٰ المحكم، فالقرآن حقٌّ كله لا يناقض بعضه بعضا؛ بل بعضه يدلُّ علىٰ بعض.

والقرآن محكم كله جعله الله محكمًا كما قال: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود]، وكما قال جل وعلا: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾[يس]، حكيم يعني محكم بأحد أوجه تفسير ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾.

وكذلك القرآن مع كونه محكمًا فإنه أيضا متشابه؛ متشابه كله، فالقرآن محكم كله وأيضا هو متشابه كله؛ لأن بعضه يشبه بعضًا، متشابه يعني يشبه بعضه بعضا وذلك لقوله جل وعلا الله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾[الزمر:٢٣]، يعني يشبه بعضه بعضا؛ هٰذه آية في صفات الله وهٰذه آية في صفات الله، وهٰذه آيات في تقرير التوحيد توحيد الربوبية توحيد الألوهية وهٰذه آيات من مثلها، وهٰذه آيات في الحِجاج مع المشركين، وهٰذه آيات في الحجاج مع المشركين، وهٰذه آيات في قصص الأنبياء وهٰذه آيات في قصص الأنبياء، ونحو ذلك من المعاني فهو متشابه، موضوعاته متشابهة مع اختلاف الآيات في ذلك.

والقسم الثالث: أن القرآن محكم بعضه؛ يعني بعض آياته محكمة، ومنه ما هو متشابه، وهٰذا هو المعني في قوله سبحانه في أول سورة آل عمران: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ لاحظ

قوله: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ يعني أنّ بعضا منه آيات محكمات ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني يرجع إليها في تفسير الكتاب ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[آل عمران:٧]، وقوله: ﴿وَأُخَرُ﴾ يدل علىٰ قلة المتشابه بالنسبة إلىٰ المحكم.

فإذن أقسام القرآن ثلاثة:

- محكم كله.
- متشابه كله.
- والثالث منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه.

وكل من هٰذه الأقسام دلت عليها آية أو آيات من القرآن العظيم.

المحكم والمتشابه الذي هو الأخير:

عُرِّف **المحكم** بأنه ما اتّضحت دلالته وهو يختلف عن المبيَّن عند الأصوليين يعني المجمل والمبين؛ لأنّ ذاك من عوارض الألفاظ؛ يعني ما اتضحت دلالة لفظه وهٰذا ما اتضحت دلالة الآية في معناه.

والثاني **المتشابه** وهو ما اشتبهت دلالته.

والمتشابه للعلماء في تفسيره وبيان نوعه أقوال كثيرة؛ لكن المحقَّق عند أهل السنة والجماعة أن المتشابه في القرآن إنما هو متشابه علىٰ من نُزِّل عليه، متشابه علىٰ بعض هٰذه الأمّة.

أما المتشابه الكلي بحيث إنه يوجد في القرآن ما لا يعلم معناه ولا يعلم تأويله مطلقا لكل الأمة، فإن هٰذا ممتنِع؛ لأن القرآن جاء بلسان عربي مبين.

وما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما فيما ساقه ابن كثير وغيره في أنّ من القرآن ما لا يعلم تأويله إلا الله يعني لا أحد يعلم تأويله، فيريد به نوعًا من التأويل والتفسير.

فالمتشابه متشابه نسبي، المتشابه الكلي آية لا أحد يعلم معناها لا النبي ﷺ ولا صحابته ولا العلماء إلىٰ وقتنا الحاضر فهٰذا ممتنع، حتىٰ الأحرف المقطعة فإن دلالتها علمها بعض هٰذه الأمة.

وأما المشتبه النسبي اشتبه عليّ، اشتبه علىٰ من هو أعظم وأجل، علىٰ بعض الصحابة، فهٰذا موجود، أبو بكر رضي الله عنه سأل عن الأب ما (الأب)؟ ثم قال: أيّ سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم. عمر رضي الله عنه سأل الصحابة عن بعض الآيات، وابن عباس خفي عليه بعض الآيات وسأل عنها وهكذا.

فالمتشابه النسبي الذي يشتبه معناه، تشتبه دلالته إما لعدم معرفة معنىٰ اللفظ أو لمعارضة آية لها أخرىٰ تحتاج إلىٰ تأمل فإن هٰذا يكون نسبيا، مثل ما سئل ابن عباس أن الله جل وعلا أخبر أن يوم القيامة أن الناس يوقفون فيسألون ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾[الصافات] وفي آيات أخر أخبر الله جل وعلا أنهم لا ينطقون ولا يسألون ونحو ذلك، فكيف يُجمع بينهما؟ هٰذا متشابه يعني آيات يشتبه معناها فيجب ردها إلىٰ المحكم.

هٰذا النوع الثالث المحكم والمتشابه هو الذي تكون فيه المجادلة التي نهىٰ عنها الطحاوي هنا ونهىٰ

عنها أئمة أهل السنة جميعا؛ المجادلة في القرآن.

لهٰذا أثنىٰ الله جل وعلا علىٰ الراسخين في العلم بأنهم يردون المتشابه إلىٰ المحكم، آمنا، ما علمت معنىٰ الآية ما عملت معنىٰ سورة، معنىٰ آية، ما عملت وجهها ما عملت كيف تجيب عن الإشكال الوارد عليها فنقول: آمنا به كل من عند ربنا، ونعلم أنّ كلام الله جل وعلا محكم وذلك كما قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[النساء]؛ لكن الله ابتلىٰ الأمة بوجود المتشابه لينظر كيف تسلم وتستسلم لكتاب الله جل وعلا.

المقصود من ذلك أن أصل الضلال في الفرق وُجد من المجادلة في القرآن، والمجادلة في القرآن لأنهم اعتمدوا المتشابه ولم يُرجعوا المتشابه إلىٰ المحكم.

فالخوارج إنما خرجت بالمجادلة في القرآن، جادلوا في القرآن فجاءهم ابن عباس ﷺ فجادلهم بالقرآن، فقالوا: كيف يُحَكِّم علي الرجال والله جل وعلا يقول: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾[غافر]، فقال ابن عباس لهم: إن الله جل وعلا سمىٰ بعض الرجال حكما فقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾[النساء:٣٥]، وحاجّهم في ذلك حتىٰ رجع مع ثلث أو أكثر من الخوارج.

المرجئة، القدرية، المعتزلة، كلّهم لم يعتمدوا القرآن كله وإنما جادلوا فيه، فيَدخلون في عموم قوله: ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾[غافر:٥].

**المسألة الثالثة**: قال: (وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) إلىٰ قوله: (لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ)، هٰذا فيه تقرير لعقيدة أهل السنة في أن القرآن كلام الله، قد مرّ معنا تفصيل الكلام هٰذه الجملة من جهة كون القرآن كلام الله وتفاصيل الأقوال في ذلك.

وأهل السنة يعتقدون أن القرآن حروف وكلمات وجمل وآيات وسور وأنه ألفاظ ومعاني، وأن هٰذه جميعا من الله جل وعلا.

فالقرآن كلام الله جل وعلا بحروفه ومعانيه تكلّم به الحق جل جلاله، فسمعه منه جبريل عليه السلام، فبلّغه لنبيه عليه الصلاة والسلام كما سمع، والقرآن الذي بلّغه جبريل محمدا عليه الصلاة والسلام هو القرآن المسموع كلام الله المسموع وليس كلام الله المكتوب؛ لأن القرآن كتبه الله جل وعلا في اللوح المحفوظ جميعًا، كتب القرآن جميعه في اللوح المحفوظ كما قال سبحانه:

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾[الواقعة].

﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ يعني جميع القرآن كريم هو أعلىٰ وأفضل وأميز الكلام؛ لأن الكريم من الأشياء هو المتميز علىٰ غيره الفاضل الأفضل، قال: ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ يعني في اللوح المحفوظ ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ الذين هم الملائكة، وكذلك قوله جل وعلا في آية الحاقة.

فالقرآن المكتوب في اللوح المحفوظ جبريل لم يأخذه مكتوبا وإنما أخذه مسموعًا، فهٰذا اعتقاد أهل السنة والجماعة، فقوله هنا: (نَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ ربِّ العالمينَ) يعني بحروفه وكلماته وآياته وسوره هو كلام الله

جل وعلا، سمعه جبريل فنزل به، نزل به مسموعا إلىٰ النّبي عليه الصلاة والسلام.

وغيرُ أهل السنة لهم في ذلك أقوال كثيرة يأتي ذكر تعدادٍ لها عند قوله: (وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ).

**المسألة الرَّابعة**: قوله: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) الروح الأمين هو جبريل عليه السلام، سُمّي روحًا لفضله وتميزه عن الملائكة ولأنه ينزل بالرّوح من أمر الله جل وعلا وهو الوحي، وكان أمينا لأنه سُمّي الأمين أو نعته الله جل وعلا بالأمين في قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[الشعراء] لأنه مؤتمن علىٰ أعظم ما يؤتمن عليه وهو كلام الله جل وعلا ووحيه في سماواته.

**المسألة الخامسة**: قوله: (لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ) كلمة (لَا يُسَاوِيهِ) هنا يعني لا يكون مساويًا له أيّ كلام لمخلوق، وهٰذا للدِّلالة علىٰ إعجاز القرآن، ولهٰذا أكَّد بعد قوله: (كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قال: (وَهُوَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ)، وإعجاز القرآن يعني وجه كون القرآن معجزًا للجن الإنس أن يأتوا بمثله من إنزال القرآن إلىٰ قيام الساعة، ما وجه كون ذلك؟ كيف صار القرآن معجزا؟ ذكرنا لكم هٰذا بالتفصيل في درس مستقل[1] وبيانه هو ما ذكره الطحاوي هنا محقِّقا بأنه كلام الله تعالىٰ لا يشبه قول البشر، وهٰذا معنىٰ قوله: (لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ) يعني لا يشابهه، لا يدانيه، لا يكون مساويا له لأنّه معجز، ولماذا صار معجزا؟ لأنه كلام الله.

هٰذا هو المراد بقوله: (لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ)، وإلا فلو كان المراد التقرير الابتدائي فليس مناسبا أن يُقال: إن كلام الله لا يساويه شيء من كلام المخلوقين ابتداءً؛ لأن هٰذا فيه نوع ترك للأدب الواجب مع القرآن، ولقد قال الشاعر:

**ألم تَرَ أنّ السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضىٰ من العصا**

لكن هو لم يرد هٰذا المعنىٰ، إنما أراد دليل الإعجاز أن القرآن لا يشبه قول البشر، لا يساويه، ولا يماثله شيء من كلام المخلوقين، لم؟ لأنه كلام الله تعالىٰ.

**المسألة السَّادسة**: قال في آخر هٰذه الجملة: (وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ.)، في قوله: (وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ) بخصوصها يعني أن معتقد الصحابة رضوان الله عليهم ومعتقد التابعين وتبع التابعين وأئمة الإسلام وأئمة أهل السنة والجماعة ومعتقد عامَّة المنتسبين إلىٰ الإسلام أن القرآن كلام الله منزَّل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ﷻ، وأن القول بخلقه ضلال وخروجٌ عن جماعة المسلمين؛ يعني عن ما اجتمع عليه المسلمون من زمن الصحابة إلىٰ زمن المؤلِّف؛ بل إلىٰ زمننا الحاضر.

والقول بخلق القرآن هٰذه عقيدة فُتِن بها كثيرون؛ لكنهم شواذّ وقلَّة بالنسبة لعموم الأمة.

وأول ما نشأ القول بخلق القرآن من جهة الجعد بن درهم، ثم الجهم بن صفوان، ثم أخذه المعتزلة فنصروه واستدلوا له.

القول بخلق القرآن الكلام عليه يطول جدًّا، ومما يؤسف له ويجب جهاده أيضا أن بعض الضُّلال والمفتونين بدؤوا ينشرون لهٰذه الفكرة عن طريق بعض وسائل الإعلام والقنوات والمناقشة فيها القول

---

(١) وهو الدرس الحادي عشر.

بخلق القرآن كما نشرته بعض الإذاعات كما ذكر لي في مناظرات تتصل بذلك، وجعل النّاس -يعني العامة- يتكلمون بهٰذه المسألة وهي فتنة مشابهة للفتنة الأولىٰ من حيث الابتداء، فنسأل الله جل وعلا أن يكبِتَ شر من يريد صرْف الأمة عن حُسن الاعتقاد وإضلال عامّة المسلمين.

من قال بخلق القرآن طوائف في هٰذه الأمة منهم الجهمية والمعتزلة والخوارج والرّافضة.

والخوارج اليوم يوجد منهم طائفة الإباضية وهم من أخصّ فرق الخوارج قولا واعتقادا، ويوجدون في أكثر من مكان من العالم الإسلامي في الجزيرة وفي ليبيا وفي الجزائر وفي أنحاء أخر، ولهم كتب كثيرة ومصنفات في العقيدة وفي الفقه يعني تبلغ عشرات المجلدات أو أكثر، هم الذين ينصرون اليوم القول بخلق القرآن في مؤلفاتهم.

ومنهم اليوم الرافضة وعقيدتهم أيضا في القرآن بأنه مخلوق.

وكذلك الزيدية يعتقدون هٰذا الاعتقاد.

ومن العجب أن بعض المنتسبين للسنة من أئمة الحديث أو ممن حاربوا التقليد ونصروا الدّليل لأجل ما راج في بلده اشتبهت عليه هٰذه المسألة، وهو العلامة الشّوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، فإنه اشتبهت عليه مسألة خلق القرآن؛ لأجل ما شاع في بلده وذهب فيها إلىٰ الوقف، ذكر ذلك في تفسيره.

فهٰذه الطوائف المعتزلة والعقلانيون أيضا في عصرنا الحاضر جماعة من العقلانيين من...[1] مسألة خلق القرآن كغيرها من مسائل الاعتقاد لا يقال: ذهبت أبدا بل هي باقية، فطالب العلم يتعلم أدلة ذلك حتىٰ يجادل بالقرآن من قال بخلقه والعياذ بالله.

وهٰذه المسائل تحتاج إلىٰ إيضاح طويل وتفصيل الكلام علىٰ الأدلة والخلاف في ذلك مما له موضع آخر إن شاء الله تعالىٰ.

**المسألة السَّابعة**: شبهةُ من قال بخلق القرآن وهم الطوائف الذين ذكرتهم لك قالوا: إنّ القرآن حروف وكلمات وصوت، فإذا قيل: إنه كلام الله جل وعلا الذي هو صفته صار الله جل وعلا محلًّا لِما هو من صفة الأجسام والتقطُّع في الكلام؛ لأن القرآن حروف متقطعة؛ يعني حروف تكوَّنت منها الجمل تكونت منها الآيات، فنظروا إلىٰ هٰذا فقالوا: هٰذا التقطُّع إنما هو من صفات من له نفس من يخرج الحرف ثم يتنفس، ثم يقول كذا ونحو ذلك، وهٰذه من صفات المخلوقين، فلهٰذا جعلوه مخلوقًا، ولهم في تبايُن صفات الخلق أو كيف خلقه أو من أي شيء خلقه لهم أقوال كثيرة.

وهٰذه الشبهة والإيراد مبني أيضا علىٰ اعتقاد لهم، وهو أنّ -أظن أني ذكرته لكم قبل ذلك- حدوث الأجسام إنما كان بدليل الأعراض يعني حلول العَرَض في الجسم تبين به حاجة الجسم وافتقار الجسم إلىٰ العرض، والعرض يطرأ ويزول، فلهٰذا صار الجسم حادثا مما هو معروف، وقد فصّلته لكم فيما قبل فيما يسمىٰ بدليل الأعراض، وهٰذا دليل يعتمده المعتزلة وأخذه عنهم كتفصيل الأشاعرة والماتريدية وجماعة.

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الخامس والعشرين.

والقرآن إن قيل: إنه صفة الله جل وعلا صار عندهم أن القرآن يكون في حال ولا يكون في حال؛ لأن القرآن تكلم الله جل وعلا به ليس دَفعة واحدة، وإنما بحسب الوقائع، قالوا: هٰذا يمتنع معه إلا أن يكون مخلوقًا.

والأشاعرة والماتريدية لما سلّموا لأصل البرهان عارضوا ذلك ظاهرا، عارضوا قول المعتزلة ظاهرا وسلموه باطنا، فقالوا: القرآن قرآنان:

- قرآن قديم وهو الذي تكلم الله جل وعلا به.
- وقرآن أنزل علىٰ محمد عليه الصلاة والسلام.

فالقرآن القديم الذي هو صفة الله جل وعلا، هٰذا تكلم الرب جل وعلا به دفعة واحدة.

والقرآن الذي أنزل علىٰ محمد عليه الصلاة والسلام هٰذا جُعل في روع جبريل، ذلك القرآن جُعل في روعه -يعني في نفسه بدون أن يسمع- فنزل به علىٰ نبينا عليه الصلاة والسلام.

وهٰذا منهم لأجل أن لا يُبطلوا الدليل السابق، واستدلوا علىٰ ذلك -يعني المعتزلة- بأدلة كثيرة ليس هٰذا محل بيانها موجودة في كتبهم.

المقصود أن القول بخلق القرآن مبني علىٰ شبهة، ولأجل هٰذه الشبهة ولأجل إبطالها فإن أئمة أهل الإسلام كفَّروا في خلق القرآن بالنوع، ولم يكفروا كل أحد قال بخلق القرآن حتىٰ تقوم عليه الحجة لأجل الاشتباه في الدَّليل.

**فإذن نقول**: من قال بخلق القرآن فهو كافر؛ لكن إذا جاء المعين لابد من إيضاح الحجة له والرد علىٰ شبهته؛ وذلك لأن هٰذه الفتنة عظيمة، كذلك من توقّف في ذلك ولم يستبن له الأمر، أو من أجاب في الفتنة فتنة خلق القرآن فإن أئمة أهل السنة والجماعة لم يكفروا أحدا في ذلك ولم يمتنعوا أيضا عن الرواية من توقف في المسألة أو أجاب لأجل الافتتان.

**فهٰذا أصل عظيم مهم في هٰذا الأصل؛ يعني في مسألة خلق القرآن.**

فإذن معتقد أهل السنة والجماعة أنّ القول بخلق القرآن من أبطل الباطل، وأن القول بخلق القرآن كفر؛ لأن معنىٰ القول بأن صفة الله مخلوقة، والقرآن صفة الله، كلام الله، فالقول بأن صفة الله مخلوقة هٰذا تنقّص عظيم للرب جل وعلا وتنقّص الرب جل وعلا كفر بالله ﷻ، فهو أعظم من الاستهزاء المجرّد لأن هٰذا قول بالتنقص ومسبّة لله جل وعلا؛ لكن ثَم اشتباه وشبهة الوضع معها ما ذكرته لك آنفا.

أما الأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم فهم يردون علىٰ المعتزلة وعلىٰ العقلانيين وعلىٰ الخوارج وعلىٰ الرافضة في مسألة خلق القرآن، يردّون عليهم بأنواع من الردود لكن تنتبه إلىٰ أن مبنىٰ هٰذه الردود علىٰ مذهبهم؛ وهو أن كلام الله قديم وأن الذي أُنزل علىٰ محمد عليه الصلاة والسلام إنما كان في روع جبريل أو أخذه من اللَّوح المحفوظ -أخذه من المكتوب- أو نزل به من بيت العزة أو نحو ذلك من أقوالهم المعروفة.

**المسألة الثَّامنة**: في قوله: (وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ.)، (جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ) هٰذه الكلمة من الكلمات العظيمة التي ترد في كُتب أهل السنة والجماعة وفي عقائدهم.

والجماعة عندهم يُراد بها نوعان:

**النوع الأول**: جماعة الدِّين.

**والنوع الثاني**: جماعة الأبدان.

وكل منهما مأمورٌ التزامه، وكل منهما مطلوبٌ التمسك به، جماعة المسلمين في دينهم وجماعة المسلمين في أبدانهم، وقد فصلتُ لك الأقوال في ذلك في أول «شرح الواسطية» يمكن أن ترجع إليه للازدياد من هٰذا الموطن.

الجماعة تقابلها الفرقة، والفرقة؛ يعني لماذا قسمناها إلىٰ جماعة دين وجماعة البدن جماعة الأبدان؟ لأنه جاء في النصوص الأمر بلزوم الجماعة، وجاء في النصوص النهي عن الفرقة، والنهي عن الفرقة جاء النهي عن الفرقة في الدّين والنهي عن الفرقة في الأبدان، كما في قوله جل وعلا: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[الشورىٰ:١٣]؛ يعني في الدين، والتفرق في الدين يؤول إلىٰ التفرق في الأبدان، فكلٌّ منها له صلة بالآخر، فجماعة الأبدان يقوىٰ معها الاجتماع في الدين، والتفرق في الأبدان يحصل معه تفرق في الدين، وكذلك الاجتماع في الدين يحصل معه اجتماع في الأبدان، وكل منهما يقودُ إلىٰ الآخر.

ولهٰذا لما ظهرت العقائد الباطلة في زمن عثمان وفي زمن علي رضي الله عنهما ظهر الافتراق في الأبدان والخروج عن الأئمة ونحو ذلك، فهٰذه وهٰذه كل منهما يؤول إلىٰ الآخر.

قول الطحاوي هنا: (وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ.) هٰذه عقيدة عظيمة يجب علىٰ كل معتقد لمعتقد أهل السنة والجماعة أن يهتم بها، فجماعة المسلمين:

* **جماعة الدين** واجب التزامها، وعدم الخروج عما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم وعما كان عليه السلف الصالح وأئمة الإسلام.

* وكذلك **جماعة الأبدان** بلزوم إمام المسلمين وولي أمرهم وعدم شقّ الطاعة والسمع والطاعة في المعروف، هٰذا واجب أيضا الاجتماع عليه والائتلاف علىٰ ذلك.

وهٰذا هو الذي كان عليه أئمة أهل الإسلام رحمهم الله تعالىٰ.

فإذن من خالف في عقيدة من عقائد الإسلام ففي الواقع خالف جماعة المسلمين، جماعة المسلمين كانت علىٰ شيء قبل أن تفسد الجماعة، كانوا علىٰ شيء في زمن الصحابة رضوان الله عليهم، ولذلك تعلمون ما ذكره ابن القيم في أول «إغاثة اللهفان» وذكره غيره من أن الرجل الواحد قد يكون في زمن من الأزمان هو الجماعة، متىٰ؟ إذا كان موافقا لمعتقد الصحابة رضوان الله عليهم ومعتقد التابعين وأئمة الإسلام ولم يكن معه أحد فهو الجماعة وإن خالفه الناس جميعا.

لماذا؟ لأن الجماعة معناها هو من كان في العقيدة مع الجماعة، من كان في الاعتقاد مع الجماعة فهو الجماعة، وفي زمن الإمام أحمد حينما حصلت فتنة خلق القرآن، كان الإمام أحمد ومن معه ممن وقف في وجه أمراء ذلك الوقت في هٰذه العقيدة، وأقرّوا ما عليه جماعة المسلمين، كانوا هم الجماعة، والمخالفون لهم الأكثر كانوا قد خالفوا الجماعة.

وهٰذه مسألة مهمة في أنَّ الجماعة بمعنىٰ العقيدة هو من كان علىٰ الجماعة، فإذن الجماعة لها

إطلاقان:

**الإطلاق الأول** الجماعة بمعنىٰ الاجتماع علىٰ عقيدة السلف، فمن كان علىٰ ذلك الاعتقاد فهو الجماعة في العقيدة وإن كان واحدا.

**والجماعة في الأبدان** هو أن يلزم إمام المسلمين وجماعتهم فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام فيعتزل الفرق كلها، ويعبُد الله جل وعلا علىٰ بصيرة، فيكون حينئذ أدىٰ ما يجب عليه أداءه.

الواجب إذن علىٰ كل طالب علم أن يأخذ بهٰذه الكلمة، وأن يوصي غيره بها؛ لأنها من أعظم ما يتقرب بها العبد إلىٰ ربه أن يكون مع الجماعة؛ لأن النبي ﷺ بيّن الفرق الضالَّة الفرق التي توعدها بالنار قال: «**كلها في النار إلا واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**هي الجماعة**» وفي الرواية الثانية قال: «**الجماعة من كان علىٰ مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**» أو نحو ذلك، والرواية الأولىٰ جيدة يعني من حيث الإسناد قال: «**هي الجماعة**» يعني ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم ومن سار علىٰ نهجهم، وهٰذا وعد عظيم كلها في النار إلا واحدة.

إذا حصل أن المرء اشتبه عليه شيء في مسائل فما الذي يجب عليه؟ يجب عليه أن يأخذ بما يتيقَّنه من الدين وما يتيقنه من عمل أئمة الإسلام، وما دُوِّن في العقائد الصحيحة؛ لأهل السنة والجماعة وأن يترك ما اشتبه عليه، لأنّ الله جل وعلا له حدود كما جاء في حديث النعمان بن بشير «**الْحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ**» يعني في نفسها مشتبهات علىٰ من يريدها أو علىٰ من ينظر فيها، وفي رواية أخرىٰ في البخاري «**وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشَبَّهَاتٌ**» يعني الله جل وعلا جعلها كذلك ليختبر العباد، مثل ما جعل بعض الكلام محكما وبعض كلامه متشابها، قال في المتشابهات عليه الصلاة والسلام: «**فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**» يعني طلب البراءة وهٰذا هو الواجب؛ لأنه ما كل أحد يأتي للمتشابه يقول: لا أنا أعرفه، الذي يشتبه عليك أتركه أسلم لدينك، وخاصة في مسائل الجماعة في مسائل الاعتقاد في مسائل الاختلاف لأنك لا تدري ما يؤول إليه الأمر.

تعرف أن الخوارج صار معهم بعض من وُجد في زمن النبي ﷺ؛ لكن لم يكن منهم لكنهم شبهوا عليهم محمد بن أبي بكر الصديق ولدته أمه أسماء بنت عميس في الحج يعني في حجة الوداع، نفست فولدت بمحمد بن أبي بكر؛ يعني ولد في زمن النبي ﷺ، وحصل أنه أتىٰ لعثمان لقوة الاشتباه أتىٰ لعثمان بعد أن تسلق عليه البيت وهو يتلو القرآن فشده من لحيته وقال له؛ يعني وعظه عثمان فبكىٰ محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فبكىٰ وترك ذلك، تركهم ثم قُتل عثمان وظن من قال أن الذي قتله أو شاع أن الذي قتله أنه محمد بن أبي بكر.

المقصود أن المسائل قد تشتبه علىٰ الخيار، فطالب العلم الذي يرغب في سلامة دينه يعتمد ما كانت عليه الجماعة لا يخالف ما كانت عليه جماعة المسلمين، وهٰذا من أعظم فوائد طلب العلم، أنّ المرء يعلم ما به السلامة له في دينه، ويكون مع الفرقة الناجية يوم القيامة، «**كلها في النار إلا واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**هي الجماعة**»، وهٰذا مما يرغّب كل واحد منكم في طلب علم العقيدة؛ لأن معه سلامة القلب ومعه سلامة العمل ومعه سلامة الخروج بيقين عن الفرق الضالة والالتزام بطريق الجماعة.

فهٰذه الكلمة كلمة عظيمة (وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ.) يعني في اعتقادهم ولا في أقوالهم، وكذلك لا نترك جماعة المسلمين في أبدانهم؛ لأن هٰذا من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة الذين تابعوا الكتاب والسنة ولم يخرجوا عن ذلك أعان الله الجميع علىٰ كل خير.

نكتفي بهٰذا القدر، ونقف عند قوله: (ولا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ).

[الأسئلة] نأخذ بعض الأسئلة.

سؤال (٢٩٢): زوجتي أسقطت في الشهر الثالث، والآن يخرج منها دم فهل هٰذا الدم يعتبر دم نفاس تمتنع من الصلاة أم أنها لا تعتبر به وتصلي؟

الجواب: المرأة إذا حملت ثم أسقطت وخرج منها الدم فهٰذا الدم له حالان:

إذا كان قبل الثمانين يوما؛ يعني قبل أن تبلغ مدة الحمل ثمانين يوما يعني بما تعرفه النساء ثقات النساء أو بما يقوله الأطباء، فما قبل ذلك يعتبر دم استحاضة وليس دم نفاس.

وما بعد الثمانين يوم التي هي الفترتين الأولىٰ يصير أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك، فبعد الثمانين إذا نفست خمس وثمانين يوما ثلاثة أشهر الذي تسعين يوما فإنها يكون الدم الذي يخرج منها دم نفاس لا تصلي.

وأما ما قبل ذلك فدم استحاضة لها حكم المرأة المستحاضة، تتطهر لكل صلاة، تتوضأ لكل صلاة وتصلي، ولا تمتنع من زوجها ولا تمنع زوجها منها؛ لكن يستحب لزوجها أن يتركها لأجل موضع الدم؛ يعني لأجل خروج الدم من جهة الاستحباب كراهة إتيانها والحال ذلك.

المقصود قول السائل هنا: (أسقطت زوجتي في الشهر الثالث) كلمة الشهر الثالث هٰذه تحتاج إلىٰ تفصيل إذا كان الشهر الثالث ثمانين يوما فأقل فإنها يعتبر دم استحاضة، إذا كان لها أكثر من ثمانين يوما فهٰذا دم نفاس.

والعلماء يقولون إنه بعد الثمانين يوم يبدأ التخطيط في الجنين؛ يعني يظهر بعض التصوير فيه، فإذا تميزت المرأة التصوير أيضا سقط منها شيء وأمكنها رؤيته فرأت فيه تخطيط، فيه عيون، فيه شيء، فهٰذا معناه أن المدة أكثر من الثمانين يوم، فيكون الدم دم نفاس.

سؤال (٢٩٣): ما حكم من أمذىٰ ثم توضأ، ثم نزل المذي في الصلاة مع العلم أنه في هٰذه الفترة لا ينقطع؟

الجواب:من أمذىٰ، المذي نجس لأمر النبي ﷺ بغسل الذكر والأنثيين منه، وهو أيضا خروج نجاسة وأيضا ينقض الوضوء بأمر النبي ﷺ بالتوضؤ منه لأن عليا أمر السائل أن يسأل النبي ﷺ لأنه كان -عليا- مذاء فقال: فيه الوضوء أو قال: يغسل ذكره ويتوضأ أو نحو ذلك علىٰ اختلاف الروايات.

المذي نجس في نفسه وخروجه ينقض الوضوء فقال: ما حكم من أمذىٰ ثم توضأ ثم نزل المذيء منه؟ هٰذا ناقض للوضوء يجب عليه أنه يغسل ذكره مرة أخرىٰ يعني الموضع الذي تلوّث بالمذيء، ويتوضأ من جديد.

في آخره يقول: (مع أنه لا ينقطع)، يعني إذا كان معه سلس في المذي دائما يسيل منه، فهٰذا قد يكون له

حكم من حدثه دائم، إذا كان حدثه دائم يتوضأ مرة واحدة ويروح إذا كان يعرف إذا كان إذا ذهب إلىٰ الصلاة يرىٰ المذيء يخرج منه دائما، فهٰذا حدثه دائم يتوضأ مرة واحدة ويكفي.

سؤال (٢٩٤): شخص تعود إلقاء السلام علىٰ الجالسين في المسجد في كل فريضة فأنكر عليه بعض الجالسين؛ لأن هٰذا الاستمرار علىٰ السلام بدعة فهل المنكر علىٰ حق؟

الجواب: السلام علىٰ الناس في المسجد اختلف فيه أهل العلم علىٰ قولين:

**الأول** أنه يشرع أو أنه لا بأس به، وذلك لأن ابن مسعود أتىٰ النبي ﷺ وهو يصلي فسلم عليه فرد عليه النبي ﷺ السلام بالإشارة بوضع اليد، وظاهره أنه في المسجد لقدوم ابن مسعود من الهجرة، واستدلوا له أيضا لعموم قوله عليه الصلاة والسلام: «**إذا أتيتم المجلس فسلموا ثم إذا قمتم فسلموا فليست الأولىٰ بأحق من الآخرة**» والمسجد يدخل في كونه مجلسا كما قال: «**ما جلس قوم مجلسا يذكرون فيه يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة**» إلىٰ آخره، فالمسجد مجلس فاستدلوا بعموم الحديث علىٰ مشروعية السلام في ذلك للعموم.

**القول الثاني**: أن السلام لا يشرع لكل ما دخل الإنسان المسجد وذلك –لا يشرع يعني لا يستحب– وليس مشروعا من هدي صحابة النبي ﷺ؛ لأنّ ذلك لم يفعل في زمنه عليه الصلاة والسلام حادثة ابن مسعود حادثة فردية، وعموم الحديث يعني «**إذا أتيتم المسجد فسلموا**» يحتاج إلىٰ عمل السلف عمل الصحابة لإدخال المسجد في اسم المجلس من جهة العمل.

وذلك أنّ العمومات –**كقاعدة**– إذا دخلت فيها صور وكان ممّا قام المقتضي علىٰ فعله زمن النبي ﷺ أو في زمن الصحابة ثم لم يُنقل فعله فيكون في حيز أو في جهة عدم المشروع أو البدعة.

السّلام لمن دخل المسجد لم ينقل علىٰ السلف عن الصحابة رضوان الله عليهم في زمنه عليه الصلاة والسلام، ولهٰذا قال أصحاب هٰذا القول: أنه لا يشرع، لكن من سلم مرة فإنه لا بأس بذلك، مثل ما حصل من ابن مسعود وقد يحصل من المسلِّمين.

ثم الإنسان قد يسلّم بعد ذلك أو إذا قال: السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله سلّم علىٰ كل الحاضرين، **وهٰذا القول هو الأظهر والأصح لأجل قوة دليله ثم لأنه موافق للأصل**.

فليس مشروعا إذا العبد دخل المسجد من الباب: السلام عليكم ورحمة الله، أو وقف في الصف يريد أن يصلي والتفت علىٰ الحاضرين وقال: السلام عليكم ورحمة الله هٰذا مما لم يفعل في زمن النبوة ولا زمن الصحابة رضوان الله عليهم، من فعل مرات يعني أحيانا أو فعله من لم يعلم فلا بأس لا ينكر عليه إلا إذا كرره والتزمه.

سؤال (٢٩٥): لماذا كفر أئمة الهدىٰ القائلين بخلق القرآن مع أنهم متأوّلون، ولم يكفروا القائلين بإنكار الأسماء والصفات أو بعضهم لأنهم متأولة؟

الجواب: هٰذه مسألة كبيرة في مسألة التكفير، تكفير الفِرَق يقال به من جهة الوعيد، من جهة الوعيد والتنفير من هٰذا القول؛ لكن تكفير المعين، يعني تكفير المعتزلة لا يعني أننا نكفر الأفراد تكفير من قال بخلق القرآن لا يعني نكفر كل من قال به، تكفير من أنكر الأسماء والصفات ليس معناه أنه كل فرد أنكر

يكفر، ليس كذلك.

ولذلك أهل السنة والجماعة أجمعوا على عدم تكفير من تأول الصفات لأن ثم شبهة، والتكفير إخراج من الدين والإخراج من الدين لابد أن يكون بأمر يقيني في قوة ما به دخل إلى الإسلام أو ما به صار مسلما صار مؤمنا، وهٰذه المسائل التي فيها تأويل اشتباه لو كفّر بعض الأمة بعضا فيها لصار هناك تكفير كبير، وهٰذا لم يعمله أحد من أئمة الإسلام، لذلك هناك تكفير بالنوع هٰذا وعيد ولأجل إطلاق النصوص حماية للشريعة.

فإذا جاء المعين لابد في حقه من إقامة الحجة ورد الشبهة والجواب عن شبهتهم، حتى قالوا في مسائل الأسماء والصفات: يشترط فيها الفهم؛ يعني في تأويل الأسماء والصفات لا يقول: أقمت الحجة، وهٰذه لا يشترط فيها الفهم، كما هو القول المعروف في الصحيح الذي يشترط إقامة الحجة في التكفير أو في التبديع أو في التفسيق إلى آخره، أما فهم الحجة فلا يشترط، قالوا: إلا في الأسماء والصفات لابد أن يفهم لأنّ الشبهة فيها قوية قال بها عدد من المنتسبين إلى الحديث والسنة، وفيها نوع اشتباه.

وهٰذه الكلمة وهي استثناء الأسماء والصفات قالها بعض أئمة الدعوة كما هو موجود في «الدرر السنية» وفي غيرها.

فينتبه لهٰذا الأصل.

سؤال (٢٩٦): يقول: الفرق كلها في النار إلا فرقة واحدة هل الدخول في النار تخليد أم تمحيص؟

الجواب: لا ليس تخليدا؛ لأن قوله عليه الصلاة والسلام: «**وستفترق هٰذه الأمة**» قال العلماء: المقصود بها أمة الإجابة لا أمة الدعوة، ولذلك أخرجوا منها الجهمية وأخرجوا منها الفرق التي لا تدخل في الإجابة أصلا؛ يعني الجهمية باتّفاق وقد تدخل بعض الفرق الأخرى على اختلاف بينهم، فهٰذه الفرق هي من فرق الإجابة؛ لأنها من فرق المسلمين، فقوله: «**كلها في النار**» ليس إخراجا لهم من الإسلام، وإنما هو وعيد لمخالفتهم لما كانت عليه الجماعة، من هٰذه الفرق الخوارج، من هٰذه الفرق المعتزلة، من هٰذه الفرق المرجئة، من هٰذه الفرق أشباه هؤلاء الذين خالفوا الجماعة.

لكن لا يشهد على معين منهم بأنه كافر أو أنه من أهل النار ونحو ذلك على أصل أنه لا يُشهد لمعين من أهل القبلة بجنة ولا نار.

سؤال (٢٩٧): تسمية جبريل عليه السلام بأنه روح أليس لأنه كالروح للبدن فيما جاء به من القرآن تحيى به القلوب كحياة البدن بالروح؟

الجواب: يعني هٰذا توجيه، يحتاج إلى تأمل.

سؤال (٢٩٨): نعمل في شركة دعاية وتصميم وأضطر لرسم أعضاء من جسم الإنسان، كذلك جسم الإنسان دون إظهار للوجه ما حكم الشرع في هٰذا العمل؟

الجواب: لا بأس به إذا كان رسم الرسام لما لا تقوم الحياة به وحده فإنه لا بأس برسمه؛ يعني يرسم يد يرسم عين وحدها، هٰذا ما تقوم الحياة به، واشتراط قيام الحياة بالشيء، هٰذا لأجل الحديث وهو قوله عليه الصلاة والسلام: إنه يقال لهم: «**فمن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة**» في

الرواية الأخرىٰ قال: «**يقال لهم يوم القيامة: أحيوا ما خلقتم**» يعني فيما تكون فيه الحياة، وأما ما لا تكون فيه الحياة بمجرده يعني ما نجد عين حيّة وحدها، ما نجد يد حيّة وحدها ما نجد رجل حية وحدها، ما نجد قدم حية وحدها ما نجد نصف الإنسان الأسفل حياً وحده، ما نجد رأسا أيضا حيّا وحده، فهٰذه الأشياء ما تدخل في النهي.

والرأس بخصوصه اختلف فيه العلماء:

ومنهم من قال -وهم الأكثر من علمائنا- فيما ذكرته لك آنفا: من أنه مما لا تقوم به الحياة فإنه لا بأس من التصوير من تصويره.

والقول الثاني أن الرأس والوجه بخصوصه لا يجوز لأنه هو الصورة كما جاء في الحديث «**الرأس هو الصورة**» فإذا قُطع الرأس فلا صورة؛ يعني أن الجسم تميز -جسم الإنسان- عن الشجرة تميز عن غيره بوجود الرأس بوجود الوجه.

فلهٰذا نقول: إن ترك الوجه هو الأولىٰ، لكنه من صور وجهه فقط أو صور ما لا تقوم الحياة إلا به فلا بأس، لكن الأعضاء الأخر مثل اليد أو العين أو الرجل أو أشباه ذلك جسم الإنسان كما ذكر وكذلك جسم الإنسان دون إظهار للوجه فهٰذا لا بأس به، قد جاء عن ابن عباس أنه قال في رجل صوّر كان يرسم: ارسم الشجر أو صور الشجر وما لا روح فيه، وجاء في الحديث أيضا حديث جبريل قال: مر بالرأس فليقطع حتىٰ يكون كهيئة الشجر. تصوير بدن الإنسان دون الرأس دون الوجه لا بأس به.

سؤال (٢٩٩): علما بأن رئيس العمل يحتج بأن له فتوىٰ برسم صور ذوات الأرواح إذا كان فيه مصلحة من هٰذا الرسم؟

الجواب: لا، الرسم تصوير، الرسم فيه مشاركة فيه تنميق، والرسام يظهر جهده ويصور لا يجوز رسم ما تقوم الحياة به، يرسم إنسان، يرسم حيوان، ونحو ذلك، الأشياء الحية التي حياتها بالروح لا يجوز رسمها لأن هٰذا من جملة التصوير، والتصوير -تصوير هٰذه الأشياء- جاءت في الأدلة بالنهي عنها.

طبعا المتفق عليه بين أهل العلم في التصوير، المتفق عليه يعني الإجماع منعقد علىٰ ما له ظل يعني التماثيل هٰذه تصويرها محرّم بالاتفاق.

وأما ما ليس له ظل يعني الذي هو رسم في ورقة رسم في سجادة هٰذا فيه خلاف بين أهل العلم والجمهور علىٰ عدم الجواز للأدلة الكثيرة لتحريم التصوير التي لم تفرق بين ما له ظل وما ليس له ظل لحديث ابن مسعود وغيره في ذلك.

«**أشد الناس يوم القيامة المصورون**» يقال لهم أيضا يوم القيامة: «**أحيوا ما خلقتم**»، «**من أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**» الخلق التقدير، التصوير، التصوير نوع من الخلق يخلق كخلقي يعني يصور كخلقي «**فليخلقوا حبة فليخلقوا شعيرة**» بهٰذا اللفظ استدل بعض العلماء؛ لكنه قول مهجور بأن حبة الحنطة والشعيرة لا يجوز تصويرها لأنها داخلة في الحديث «**فليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة**» لكن الصحيح أنها لا تدخل في ذلك وما جاء في الحديث إنما هو للتحذير والمبالغة في الابتعاد عن التصوير.

في هٰذا القدر كفاية، جمعني الله وإياكم علىٰ رضاه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

## الدرس الثاني والثلاثون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللّٰهمَّ صلِّ وسلم وبارك علىٰ عبدك ورسولك محمد وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداهم إلىٰ يوم الدين.

[الأسئلة]

سؤال (٣٠٠): كيف نجمع بين حديث أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «لا يقول أحدكم: اللّٰهمَّ اغفر لي إن شئت، اللّٰهمَّ ارحمني إن شئت، فليعزم مسألته إن الله يفعل ما يشاء لا مُكره له» وبين حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ دخل علىٰ أعرابي يعوده فقال: «له لا بأس عليك طهور إن شاء الله» قال الأعرابي: طهور؛ بل هي حمىٰ تفور علىٰ شيخ كبير تُزِيرُهُ القبور، قال النبي ﷺ: «فنعم إذًا»؟

الجواب: الحديثان المذكوران كلاهما في الصحيح، والعلماء جمعوا بينهما بأوجه من الجمع:

◆ من أحسنها أن قوله عليه الصلاة والسلام: «طهور إن شاء الله» هٰذا من باب الخبر لا من باب الدعاء، فهو قال للأعرابي: هٰذه الحمىٰ طهور لك؛ طهور لك في دينك وطهور لك أيضا في بدنك فتصبح بعدها سالما، فأخبره النبي ﷺ بذلك؛ لأن قوله: (طهورٌ) مرفوع، والرافع له مبتدأ محذوف أو الابتداء المحذوف بقوله: هي طهور إن شاء الله، وليس المراد الدعاء لأنه لو كان دعاء لصارت منصوبة: اللّٰهمَّ اجعلها طهورا، أو قال: طهورا إن شاء الله؛ يعني اجعلها اللّٰهمَّ طهورا فيكون دعاء.

فالظاهر من السياق من اللغة ومن القصة أن المراد الخبر، فإذا كان المراد الخبر فلا يعارض الدعاء بقول القائل: اللّٰهمَّ اغفر لي إن شئت اللّٰهمَّ ارحمني إن شئت؛ لأن النبي ﷺ علق الخبر بالمشيئة فقال: «طهور إن شاء الله»، كما قال جل وعلا: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[الفتح:٢٧]، وكقوله جل وعلا: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٩٩﴾[يوسف]، فقوله: اغفر لي إن شئت، هٰذا تعليق للدعاء بالمشيئة، والله جل وعلا لا مستكره له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد في خلقه جل جلاله.

◆ الوجه الثاني وهو وجه حسن أيضا أن قول الداعي: اللّٰهمَّ اغفر لي إن شئت. هٰذا علىٰ جهة المخاطبة اغفر لي إن شئت، وأما إذا كان علىٰ جهة الغيبة فإنه لا بأس به، فلو قال: غفر الله له إن شاء الله، هٰذا أخف من التعليق بالمواجهة، اللّٰهمَّ اغفر لي إن شئت اللّٰهمَّ ارحمني إن شئت؛ لأن المخاطبة تقتضي الذل والتقرب إلىٰ الله جل جلاله بما يحبه من نعوت جلاله وصفاته ومدحه سبحانه والثناء عليه، والتعليق بالمشيئة فيه نوع استغناء، فلهٰذا قال في آخره: «إن الله يفعل ما يشاء لا مُكره له» وقال: «إن الله لا مستكره له».

وهٰذا الوجه الثاني قال به بعض أهل العلم ولكنه ليس في القوة كالأول فالأول ظاهر، والثاني قيل به وليس هو المختار.

سؤال (٣٠١): هل تعدّد الجماعات مثل تعدد الآراء في المسألة الفقهية الواحدة؟

الجواب: إذا كان يقصد بالجماعات الجماعات الإسلامية التي ظهرت في هٰذا الزّمن فليس ذلك مثل تعدد الآراء في المسألة الفقهية الواحدة؛ لأن تعدد الآراء في المسألة الفقهية الواحدة هٰذا إذا كان مورده الاجتهاد، فإن كل واحد من القائلين بالمسألة الفقهية يؤجر علىٰ اجتهاده فيما اجتهد فيه؛ لأن المسألة

موردها الاجتهاد.

كذلك في المسائل التي ينزع فيها المجتهد إلىٰ دليل هو مأجور كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد**» يعني أجر علىٰ اجتهاده، والثاني له أجر علىٰ اجتهاده وأجر علىٰ إصابته للحق.

وأما الجماعات الإسلامية الموجودة الآن فهي تختلف في طريقتها وتختلف في أصولها وتختلف في مبادئها وأهدافها إلىٰ آخر ذلك، والأصل الواجب علىٰ كل مسلم أن يلزمه هو لزوم جماعة المسلمين قبل أن يَحدث الافتراق، فإن الافتراق الحادث في الأمة لا يجوز إقراره ومعالجته بإحداث جماعات جديدة، فالواجب علىٰ المسلمين جميعًا لزوم الجماعة قبل أن تفسد الجماعة.

والجماعة التي هي علىٰ الحق لم يتركها الله جل وعلا لم يبيّنها، ولم يتركها الرسول ﷺ لم يبينها؛ بل بينها الله جل وعلا بقوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[النساء]، المراد بالمؤمنين هنا الصحابة؛ لأنهم هم المقصودون بذلك في وقت تنزّل هٰذه الآية ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يعني صحابة رسول الله ﷺ، وبيّن ذلك الأمر نبينا عليه الصلاة والسلام بقوله: «**وستفترق هٰذه الأمة علىٰ ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**هي الجماعة**»، وفي رواية أخرىٰ قال: «**هم الغرباء**»، وفي رواية ثالثة قال: «**من كان علىٰ مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**» إلىٰ غير لك، وهٰذا يدلّ علىٰ أن الجماعة موجودة في زمن الصحابة، وهي موجودة في زمن التابعين، وموجودة يحملها أئمة السلف وأئمة الإسلام امتثالا لقول نبينا ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتىٰ يأتي أمر الله وهم علىٰ ذلك**» أو كما قال عليه الصّلاة والسّلام.

فالواجب علىٰ كل مسلم يريد سلامته في دينه وأن يكون ممن وعده النبي ﷺ بأن يكون من الفرقة الواحدة التي لم تأخذ سبيل الثنتين والسبعين فرقة أن يلزم أمر الجماعة قبل أن تفسد الجماعة، وهٰذا من أعظم مقاصد الدّين العظيمة التي يمتثلها العبد بامتثال قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[الأنعام:١٥٣]، فالعبد المؤمن يلزم هٰذه الطريقة.

وكيف يلزمها؟ بتعلُّم هٰذه العقيدة المباركة فإن دروس العقيدة والمحاضرات في التوحيد والعقيدة هي التي تنقلك إلىٰ الالتزام بطريقة الجماعة الأولىٰ قبل أن تفسد الجماعة.

ولهٰذا ففتّش أنت بنفسك وستجد أن من خالف أمر الجماعة الأولىٰ وأحدث شعارات جديدة وأهداف وآراء وكتبا غير كتب السلف في هٰذه المسائل، ستجد أنه خالف شيئا من أمور الاعتقاد ولا بد، فإذن خالف طريق الجماعة قبل أن تفسد الجماعة.

وهٰذه المسألة مهمة فتعدد الجماعات ليس مثل تعدد الفقهاء؛ بل الواجب علىٰ جميع أمة الإسلام أن يعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا امتثالا لقول الله جل جلاله: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا

﴿تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران:١٠٣]، يعني لا تتفرقوا في الأبدان ولا تتفرقوا أيضا في [الدين][1].

سؤال (٣٠٢):... مسألة وهي: أن كل من انتسب إلىٰ القبلة من أهل الأهواء والبدع وغيرهم ينتسبون إلىٰ الإسلام، ومن قال: إن المجتمعات مجتمعات جاهلية، فكيف يكون الإيضاح علىٰ هٰذا الأمر؟

**الجواب**: الأول ذكرناه وقررناه لكم فيما سبق أن من كان منتسبا إلىٰ القبلة بالصلاة إليها من أهل التوحيد فهو من أهل القبلة، وإذا عرض له هوىٰ أو بدعة فإن البدع درجات والأهواء أيضا درجات، فلا نخرجه من الإسلام لبدعة فيه -يعني لمجرد بدعة فيه أو بكل بدعة فيه-، ولا نخرجه من الإسلام لمجرد الهوىٰ الذي يكون في هٰذه الأمة؛ بل لابد أن يكون الهوىٰ مكفِّرا أو أن تكون البدعة مغلظة مكفرة.

أما من قال: (مجتمعات المسلمين اليوم مجتمعات جاهلية)، فهٰذا باطل؛ لأن الجاهلية في النصوص هي اسم لفترة زمنية مضت، قال جل وعلا: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ وقال سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾[المائدة]، وهٰذه الجاهلية تكون في العقيدة في العبادة تكون في الأحوال الاجتماعية وتكون في الأخلاق تكون في الآداب، فهي من جهة الزمان انقضت زمانها ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام.

وأما من جهة المكان فإن الجاهلية اسم يتبع صفة الجهل، والجهل يتنوع، والجهل العام ارتفع ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام، لهٰذا قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق**» ووجود هٰذه الطائفة علىٰ الحق حتىٰ قيام الساعة يمنع رجوع الجهل العام ورجوع الجاهلية العامة.

فإذن الجاهلية العامة في الأمكنة ذهبت، وجاهلية الزمان ذهبت، بقي نوع آخر من الجاهلية وهو جاهلية الصفات، فمن أشبه أهل الجاهلية في صفة فهو مشارِك لهم في هٰذه الصفة، كما قال عليه الصلاة والسلام لأبي ذر لما عيّر رجلا أسودا بأمه فقال له: يا ابن السوداء. قال له عليه الصلاة والسلام: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**» يعني فيك خصلة من خصال أهل الجاهلية، وخصال الجاهلية متنوعة كثيرة دل عليها القرآن والسنة يعني فيما خالف فيه رسول الله ﷺ أهل الجاهلية.

وألّف في هٰذا إمام هٰذه الدعوة الكتاب المشهور «**مسائل أهل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية**»، فتلك المسائل منها ما هو مكفّر كعبادة غير الله، منها ما هو في الاعتقادات، ومنها ما هو في المسائل العملية، ومنها ما هو في الاجتماعيات، ومنها ما هو في الأقوال إلىٰ آخره، فالجاهلية جاهلية الصفات هٰذه باقية، وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**لتسلكُنَّ مسلك الأمم من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع**» قالوا: يا رسول الله فارس والروم؟ قال: «**فمن الناس إلا أولئك**»، فارس والروم خصالهم من خصال الجاهلية؛ بل خصالهم خصال جاهلية في الاعتقاد وفي الأقوال وفي الأعمال، فدل علىٰ أن خصال الجاهلية تكون في هٰذه الأمة.

فإذن وصف الأرض بأنها صارت إلىٰ جاهلية هٰذا باطل، ومناقض لحكم النبي ﷺ؛ بل وحكم الله جل جلاله في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝٢٨﴾

---

(١) انتهىٰ الشريط الخامس والعشرون.

[الفتح]، فظهر دين محمد عليه الصلاة والسلام علىٰ كل دين وظهرت ملته علىٰ كل ملة وظهر هديه علىٰ كل هدي.

والحمد لله علىٰ ذلك كما قال جل جلاله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾[الشرح]، فرُفع ذكر محمد عليه الصلاة والسلام فوق ذكر غيره، فصار هو المقدم عليه الصلاة والسلام في الاتباع وفي الهدي في أكثر الأرض ولله الحمد.

كذلك جاهلية الزمان لا يوجد زمان يكون الزمان زمان جاهلية؛ لأن زمن الجاهلية انتهىٰ ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام، فلا يقال مثلا: هٰذا القرن قرن جاهلي، أهل هٰذا القرن في جاهلية ونحو ذلك؛ بل لا تزال في أمة محمد عليه الصلاة والسلام صنوف الخير ولله الحمد علىٰ منته وتوفيقه.

سؤال (٣٠٣): هل يجوز وضع ما يسمىٰ بالدَّفَّايات في المسجد وهي تشتعل نارا؟

الجواب: لا بأس من وضع ما يدفِّئ في المسجد؛ لكن قال بعض أهل العلم: يكره استقبال ما فيه نار أو ما عُبِد من دون الله؛ يعني لأن النار عُبدت عبدها المجوس، فكرهوها لأجل نوع المشابهة.

لكن هٰذه الكراهية وهو مذهب الحنابلة ليست بجيّدة؛ بل الصواب الجواز، استدلّ البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ الجواز بأن النبي ﷺ عُرضت له الجنة وهو يصلي وعرضت له النار فتراجع لما صارت النار أمامه عليه الصلاة والسلام، فيُستدل بذلك علىٰ أن هٰذا النهي أو هٰذه الكراهة التي ذهب إليها طائفة من أهل العلم أن الصواب الجواز، لعدم الدليل الواضح علىٰ الكراهة، ولورود الدليل من فعله عليه الصلاة والسلام.

نكتفي بهٰذا، اقرأ...

وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ.
وَلَا نَقُولُ: لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ.

الحمد لله، وبعد..

هٰذه الجملة من كلام العلامة الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ من الأصول العظيمة في معتقد أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفِّرون أحدًا من أهل القبلة بمجرد حصول الذنب منه إلا إذا استحلّه باعتقاد كونه حلالًا له أو حلالا مطلقا، وكذلك أنهم لا يخفّفون أمر الذنوب بحيث يجعلون الذَّنب غير مؤثّر في الإيمان، لهٰذا قال تقريرا لهٰذا الأصل العظيم: (وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ. وَلَا نَقُولُ: لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ.).

وهٰذه الجملة من كلامه أراد بها أنَّ حصول الذنب من أهل القبلة لا يعني تكفيره كما ذهبت إلىٰ ذلك الخوارج، وحصول الذنب من أهل القبلة لا يعني أنّ هٰذا المؤمن لم يتأثر بحصول الذنب منه كما تقوله المرجئة، فخالف في هٰذا القول الخوارج والمعتزلة وخالف أيضا المرجئة.

وهٰذه المسألة لاشك أنها من المسائل العظيمة جدا وهي مسألة التكفير تكفير المنتسب إلىٰ القبلة الذي ثبت إسلامه وإيمانه، إذا حصل منه ذنب فإن قاعدة أهل السنة والجماعة أن من دخل في الإسلام والإيمان بيقين لم يُخرجه منه مجرد ذنب حصل منه، ولا يُخرجه منه كل ذنب حرّمه الشارع؛ بل لابد في الذنوب العملية من الاستحلال بأن يعتقد أن هٰذا العمل منه حلال له وليس بذنب وأنه ليس بمحرّم، وهٰذا هو طريقة أهل السنة والجماعة بأنهم لا يكفّرون؛ بل يخطئون أو يضللون أو يفسقون، فنقول: مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته مسلم بما معه من التوحيد؛ ولكنه فاسق لما ارتكب من الكبيرة التي أظهرها ولم يتُب منها.

فهٰذه الجملة فيها تقرير لعقيدة أهل السنة ومخالفتهم للخوارج والمعتزلة وكذلك فيها مخالفة أهل السنة للمرجئة.

إذا تبيّن هٰذا فتحت هٰذه الجملة مسائل:

**المسألة الأولى**: في الدّليل؛ دليل أهل السنة والجماعة علىٰ أنّ من أصاب ذنبا من أهل القبلة فإنه لا يُكَفَّر دلّ علىٰ ذلك جملة أدلة من الكتاب والسنة:

منها قول الله جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ﴾[البقرة:١٧٨]، ومعلوم أن القاتل داخل في هٰذا الخطاب في النّداء بالإيمان، وقال جل وعلا بعدها: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾[البقرة:١٧٨]، فسمّاه أخا له فدل علىٰ أن حصول القتل علىٰ عظمه لم ينف اسم الإيمان.

وكذلك قوله جلّ وعلا: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ ﴾[الحجرات]، فسمّاهم مؤمنين وسماهم إخوة أيضا فوصفهم بالأخوة فدل علىٰ أن وقوع القتل منهم لم ينفِ اسم الإيمان، مع قوله جل وعلا: ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا

﴿مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾[النساء:٩٣]، فأثبت له جهنم وعيدا، وغضب الله جل وعلا عليه واللعنة، ومع ذلك لم ينف عنه اسم الإيمان، فدل علىٰ أن وقوع الكبيرة من المسلم لا يسلب عنه الإيمان، ووقوع الذنب ليس مبيحًا لإخراج هٰذا المذنب من أصل الإسلام إلىٰ الكفر.

ويدل علىٰ ذلك أيضا قول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه البخاري وغيره حينما أوتي برجل من الصحابة يقال له: حمار شرب الخمر فجلده، ثم شربها ثانية فأوتي به فجلده، ثم لما أوتي به الثالثة قال رجل: لعنه الله ما أكثر ما يؤتىٰ به. فقال نبيّنا عليه الصلاة والسلام: «**لا تقولوا ذلك فإنه يحبّ الله ورسوله**»، فدلّ علىٰ أن وجود المحبة الواجبة لله جل وعلا ولرسوله ﷺ مع حصول الكبيرة مانعٌ من لعْنه، وهٰذا يعني أنها مانعٌ من تكفيره ومن إخراجه من الدين من باب الأولىٰ.

كذلك قال الله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة:١]، فناداهم باسم الإيمان مع حصول الذنب منهم وهو الإلقاء بالمودة إلىٰ عدو الله جل وعلا وعدو رسوله ﷺ، فدلَّ علىٰ أن إلقاء المودة لأمر الدنيا ليس مخرجًا من اسم الإيمان؛ بل يجتمع معه قال تعالىٰ في آخر الآية: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾[الممتحنة].

وفي قصة حاطب بن أبي بلتعة في إسراره للكفار بخبر رسول الله ﷺ ما يدل علىٰ وقوع الذنب منه وعلىٰ مغفرة الذنب له؛ لأنه من أهل بدر، قال عليه الصلاة والسلام في حقه: «**لعل الله اطلع إلىٰ أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم**» في الرواية الثانية: «**إن الله اطلع إلىٰ أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**».

والأدلة علىٰ هٰذا الأصل عند أهل السنة والجماعة كثيرة.

ومما يدل عليه من جهة النظر: أن الكبائر كالسرقة والزنا وشرب الخمر والقتل ونحو ذلك شُرعت لها الحدود، كذلك القذف شرعت لها الحدود، والحدود مطهرة، والمرتد يقتل علىٰ كل حال، ووجود الحدود هٰذه دليل ظاهر علىٰ أنه ارتكب فعلا لم يخرجه من الملّة؛ لأن النبي ﷺ قال: «**من بدّل دينه فاقتلوه**»، وقال: «**والتارك لدينه المفارق للجماعة**» يعني ممن يحلّ دمه، فدل علىٰ أن وقوع هٰذه الذنوب من العبد تُطَهَّر بهٰذه الحدود وليست كفرًا؛ لأنها لو كانت كفرا لكان يقتل ردة لقوله «**من بدّل دينه فاقتلوه**».

ويدلّ عليه أيضا أنّ وليّ الدم في القتل يعفو، فإذا عفا -له السلطان- إن شاء عفا وإن شاء أخذ، قال جل وعلا: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ۝٣٣﴾[الإسراء]، قال: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ وهٰذا يدلّ علىٰ أن الحق هنا للمخلوق، وأما الرّدة فهي حق لله يعني أما الردة فجزاؤها حق لله جل وعلا ليس لولي المقتول.

فدلّت هٰذه الأدلة ودلّ غيرها علىٰ بطلان قول الخوارج، وعلىٰ ظهور قول أهل السنة والجماعة في هٰذه المسألة في أن صاحب الذنب من الكبائر العملية التي ذكرنا بعضًا منها أنه لا يخرج من الإسلام بحصول الذنب منه؛ يعني بحصول ذنب منه أو بحصول كل ذنب أو بحصول أي ذنب منه؛ يعني ليس كل ذنب مخرجا له من ذلك؛ بل الكبائر العملية ليست كذلك يعني مخرجة له من الإسلام خلافا لقول الخوارج والمعتزلة في التخليد في النار.

وأما الجملة الثانية وهي قوله: (وَلَا نَقُولُ: لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ.) فهٰذه أيضا فيها مخالفة للمرجئة الذين يقولون: لا يَضُرُّ مَعَ الإيمَانِ ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

والأدلة دلت علىٰ أن الذنوب تؤثر في الإيمان: قال جل وعلا في ذكر القاتل: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾[النساء:٩٣].

وقال جل وعلا في الربا: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥].

وقال جل وعلا في المرابين: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾[البقرة].

وشرع الله جل وعلا الحد في السرقة: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا ﴾[المائدة:٣٨].

وشرع الجلد في القذف وفي الزنا إلىٰ آخر ذلك.

وهٰذا يدل علىٰ أن هٰذه الأمور أثّرت في الإيمان، هٰذه الكبائر أثرت في الإيمان.

والأحاديث عن النبي عليه الصلاة والسلام في هٰذا الباب كثيرة «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ»، «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ» وهٰذا تأثيرٌ في الإيمان بسبب هٰذه الكبيرة.

**المسألة الثانية**: هٰذه الجملة اشتملت علىٰ معتقدٍ فيه النهي عن التكفير، والتكفير -تكفير أهل القبلة- بأي ذنب حرام، والخوض في مسائل التكفير بلا علم أيضا حرام، وقد يكون من كبائر الذنوب؛ بل هو من كبائر الذنوب وذلك لأوجه:

**الأول** أنّ الإسلام والإيمان ثبت في حق الشخص -في حق المعين- بدليل شرعي، فدخل في الإسلام بدليل، فإخراجه منه بغير حجة من الله جل وعلا أو من رسوله ﷺ من القول علىٰ الله بلا علم، ومن التعدي؛ من تعدي حدود الله، ومن التقدم بين يدي الله جل وعلا وبين يدي رسوله ﷺ.

وهٰذا فيه التحذير من هٰذا الأمر الجلل وهو مخالفة ما ثبت بدليل إلىٰ الهوىٰ أو إلىٰ غير دليل، لهٰذا يقول العلماء: من ثبت إيمانه بدليل أو بيقين لم يزُل عنه اسم الإيمان لمجرد شبهة عرضت أو تأويل تأوله؛ بل بد من حجة بينة لإخراجه من الإيمان، كما يقول ابن تيمية: ولابد من إقامة حجة تقطع عنه المعذرة.

**الثاني** من الأوجه في خبر التكفير وما تضمنته هٰذه الكلمة من معتقد أهل السنة والجماعة: أن التكفير خاض فيه الخوارج وهم أول الفئات التي خاضت في هٰذا الأمر، والصحابة رضوان الله عليهم أنكروا عليهم أبلغ الإنكار؛ بل عدوهم رأس أهل الأهواء، وأول مسألة خاض فيها الخوارج وسبَّبت التوسع في التكفير هي مسألة الحكم بغير ما أنزل الله؛ حيث احتجوا علىٰ علي ﷺ بأنه حكّم الرجال علىٰ كتاب الله كما حصلت واقعة في التحكيم بين أبي موسىٰ الأشعري وبين عمرو بن العاص ﷺ فقالوا: حكّم الرجال علىٰ كتاب الله فهو كافر، فكفَّروا عليا ﷺ وأرضاه، استدلالا بقوله جل وعلا: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[المائدة]، فذهب إليهم ابن عباس يناظرهم حتىٰ احتج عليهم بقول الله جل وعلا: ﴿فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾

[النساء:٣٥] الآية، فرجع ثلث الجيش، وبقي طائفة منهم علىٰ ضلالهم وظهرت فرق كثيرة من الخوارج.

فيدلُّك علىٰ قُبح الخوض في هٰذه المسألة بلا علم أنها شعار أهل الأهواء -أعني الخوارج- وهم أول فرقة خرجت في هٰذه الأمة وخالفت الجماعة، ولا شك أن التزام نهج أتقىٰ أهل الأرض بعد رسول الله ﷺ هو المتعين.

**الوجه الثالث** من أوجه بيان خطر التكفير والخوض فيه: أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما**» يعني إن كان كافرا فهو كما ادُّعي عليه وإلا عادت إلىٰ الآخر وهٰذا وعيد شديد.

**وقد** يكون التكفير مبعثه الهوىٰ.

**وقد** يكون مبعثه الجهل.

**وقد** يكون مبعثه الغيرة.

فهٰذه ثلاثة أسباب لمنشإ التكفير: قد يكون الهوىٰ يعني التكفير بلا علم الهوىٰ، وقد يكون منشؤه الجهل، وقد يكون منشؤه الغيرة.

أما الأول والثاني فواضح يعني الهوىٰ والجهل فواضح وأمثلة أهل الأهواء فيه كثيرة.

وأما الثالث وهو أن التكفير قد يحمل المرء عليه الغيرة علىٰ الدين قصة عمر ﷺ مع حاطب ابن أبي بلتعة حيث لما حصل من حاطب ما حصل قال عمر لنبينا عليه الصلاة والسلام: يا رسول الله دعني أضرب عنق هٰذا المنافق. والحكم عليه بالنفاق حكم عليه بإبطانه للكفر، والنبي عليه الصلاة والسلام لم يؤاخذ عمر ﷺ في ذلك لأنه من أهل بدر ولأنه قالها علىٰ جهة الغيرة وخطؤه مغفور له؛ لأنه من أهل الجنة؛ يعني لسبق كونه من أهل بدر.

فدل هٰذا علىٰ أن الغيرة غير حجة شرعية في التوسع أو في ابتداء القول في هٰذه المسائل بلا علم أو في التكلم فيها، الغيرة ليست عذرا لهٰذا النبي ﷺ ما عذر عمر بالغيرة، وإنما عذر عمر ﷺ لاشتباه المقام أولا في حق حاطب، ثم لأن النبي عليه الصلاة والسلام ما بيّن عذره يعني ما بين الرجل للنبي ﷺ عذره، فقال لعمر لما أخذ بتلابيب حاطب: «**أرسله يا عمر** -أو **دعه يا عمر**-، **يا حاطب: ما حملك علىٰ هٰذا؟**» فلما استفصل منه رجع الأمر إلىٰ الوضوح فيه.

**المسألة الثالثة**: افترقت هٰذه الأمة في هٰذه المسألة العظيمة -وهي مسألة التكفير- إلىٰ ثلاث طوائف، طائفتان ضلتا، وطائفة هي الوسط وهي التي علىٰ سبيل الجماعة، وهٰذه الطوائف الثلاث هي:

**الأولىٰ**: من كفّر بكل ذنب، وجعل الكبيرة مكفِّرة وموجبة للخلود في النار، وهؤلاء هم الخوارج والمعتزلة وطوائف من المتقدِّمين ومن أهل العصر أيضا ممن يشركهم في هٰذا الأصل والعياذ بالله.

**الطائفة الثانية**: من قالت: إن المؤمن لا يمكن أن يخرج من الإيمان إلا بانتزاع التصديق منه القلبي وحصول التكذيب، وهؤلاء هم المرجئة وهم درجات وطوائف أيضا، وهٰذا مبني علىٰ أصلهم في أنّ الإيمان هو تصديق القلب فلا ينتفي الإيمان عندهم إلا بزوال ذلك التَّصديق، وهٰذا أيضا غلط؛ لأن لأدلة ربما تأتي إن شاء الله تعالىٰ.

**والطائفة الثالثة**: وهم الوسط الذين نهجوا ما دلت عليه الأدلة وأخذوا طريقة الأئمة التي اقتفوا فيها هدي الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين، فقالوا: إن المِلِّيَّ والواحد من أهل القبلة قد يخرج من الدين بتبديله في الدين ومفارقته الجماعة بقولٍ أو عمل أو اعتقاد أو شك، وهٰذا هو الذي أورده الأئمة في باب حكم المرتد، وقالوا: إن هٰذا يدخل في تبديل الدّين الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام: «**من بدّل دينه فاقتلوه**»، ويدخل في قول الله جل وعلا: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة:٥٤] الآية آية البقرة ونحو ذلك، فدل ذلك علىٰ أن المؤمن المسلم قد يحصل منه ردة، وهٰذه الردة لها شروطها ولها موانعها بتفصيل لهم في كتب الفقه في باب حكم المرتد.

فعند أهل السنة والجماعة لا يُتساهل في أمر التكفير بل يُحذَّر منه ويُخوَّف منه وأيضا لا يمنعون تكفير المعين مطلقا؛ بل من أتىٰ بقول كفري يخرجه من الملة أو فعل كفري يخرجه من الملة أو اعتقاد كفري يخرجه من الملة أو شك وارتياب يخرجه من الملة، فإنه بعد اجتماع الشروط وانتفاء الموانع يحكم عليه العالم أو القاضي بما يجب من الردة ومن القتل بعد الاستتابة في أغلب الأحوال.

**المسألة الرابعة**: دلَّ القرآنُ والسنة علىٰ أن الناس ثلاثة أصناف لا رابع لهم، وهم:

- المؤمنون.
- الكفار.
- المنافقون.

**والمؤمن** المسلم هو من دخل في الإسلام وشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله وأتىٰ بلوازم ذلك.

**والكافر** الأصلي قد يكون كتابيا وقد يكون مشركا وثنيا، فأهل الكتاب مثل اليهود والنصارىٰ، قد يكون وثنيا مثل المجوس وعبدة الكواكب والأوثان ومشركي العرب وأشباه ذلك.

**والثالث** من الأنواع التي في القرآن المنافقون، فالمنافق هو من يُبطن الكفر ويُظهر الإسلام، فيُحكم بإسلامه ظاهرًا كما فعل النبي ﷺ مع المنافقين، حتىٰ إنه باعتبار الحكم الظاهر ورَّثهم وورث الصحابة من آبائهم المنافقين، وهم في الباطن كفّار أشد من اليهود والنّصارىٰ لقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[النساء:١٤٥].

فمن حصل منه ذنب ووقع في ذنب من الذنوب فإنه لا يخلو إما أن يكون من أهل الإيمان، وإما أن يكون من أهل الكفر، وإما أن يكون ممن أظهر الإسلام وأبطن الكفر، فمن كان من أهل الإيمان فإنه ليس كل ذنب يُخرجه من الإيمان، فلما شهد شهادة الحق بيقين وظهور فإنه لا يُخرجه منها إلا يقين مماثل لذلك مع إقامة الحجة ودرء الشُّبهة.

وهٰذا التَّفصيل تنتفع به في مسائل تدل علىٰ هٰذا أو ذاك؛ يعني علىٰ أحد الأقسام.

**المسألة الْخامسة**: من أصول أهل السنة والجماعة في هٰذا الباب وما خالفوا به الخوارج والمعتزلة والمرجئة في باب الإيمان والتكفير: أنهم فرّقوا بين التكفير المطلق وما بين التّكفير المعين، أو ما بين

تكفير المطلق من الناس دون تحديد وما بين تكفير المعيَّن.

فأهل السنة والجماعة أصلهم أنهم يكفرون من كفره الله جل وعلا وكفره رسوله ﷺ من الطوائف أو من الأفراد، فيكفّرون اليهود، ويكفرون النّصارىٰ، ويكفرون المجوس، ويكفرون أهل الأوثان من الكفار الأصليين؛ لأنّ الله جل وعلا شهد بكفرهم.

فنقول: اليهود كفار، والنصارىٰ كفار، وأهل الشرك كفار يعني أهل الأوثان عباد الكواكب عباد النار عباد فلان إلىٰ آخره هؤلاء كفار وهؤلاء كفار أصليون نزل القرآن بتكفيرهم.

كذلك نقول بإطلاق القول في تكفير من حكم الله جل وعلا بكفره في القرآن، ممن أنكر شيئا في القرآن فنقول: من أنكر آية من القرآن أو حرفا فإنه يكفر.

نقول: من استحلّ الربا المجمع علىٰ تحريمه فإنه يكفر، من استحل الخمر فإنه يكفر، من بدّل شرع الله جل وعلا فإنه يكفر، من دعا الناس إلىٰ عبادة نفسه فإنه يكفر وهكذا، فيطلقون القاعدة.

وأما إذا جاء التشخيص علىٰ معين فإنهم يعتبرون هٰذا من باب الحكم علىٰ المعين فيُرجعونه إلىٰ من يصلح للقضاء أو الفتيا.

فالأول وهو التكفير المطلق أو تكفير المطلق دون تحديد هٰذا مما يلزم المؤمن أن يتعلّمه ليسلم لأمر الله جل وعلا وأمر رسوله ﷺ، ويعتقد ما أمر الله جل وعلا به وما أخبر به، فإن تكفير من كفره الله جل وعلا بالنوع واجب والامتناع عن ذلك من الامتناع عن شرع الله جل وعلا.

وأما المعين فإنهم لا يكفرونه إلا إذا اجتمعت الشروط وانتفت الموانع، وعند من تجتمع الشروط وتنتفي الموانع؟ عند من يحسن إثبات البيّنات ويحسن إثبات الشرط وانتفاء المانع وهو العالم بشرع الله الذي يصلح للقضاء أو للفتيا، فيحكم علىٰ كل معين بما يستحقه.

**فإذن من أصولهم التفريق ما بين الحكم علىٰ المعين وما بين القول المطلق.**

وهٰذا الأصل دلت عليه أدلة من فعل أئمة السَّلف ومن أقوالهم، فإنَّ الإمام الشافعي مثلا حكم علىٰ قول حفص لما ناقشه بأنه كُفر ولم يحكم عليه بالردة.

وكذلك من حكموا علىٰ من قال بخلق القرآن أو أن الله لا يُرىٰ في الآخرة بأنه كافر لم يطبقوه في حق المعين، لهٰذا الإمام أحمد لما حكىٰ أو قال بتكفير من قال بخلق القرآن لم يكفر عينا أمير المؤمنين في زمانه الذي دعا إلىٰ ذلك؛ بل أمراء المؤمنين الثلاثة المأمون ثم المعتصم ثم الواثق حتىٰ جاء عهد المتوكل، فاستدل منه أئمة الإسلام كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية علىٰ أنّ إطلاق الكفر غير تعيين الكافر، ووجه ذلك ما ذكرته لك من أن التعيين يحتاج إلىٰ أمور؛ لأنّه إخراج من الدين والإخراج له شروطُه وله موانعه.

**المسألة السادسة**: نرجع إلىٰ قول الطحاوي هنا: (وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ) أُخذ عليه علىٰ الطحاوي أنه قال: (بِذَنْبٍ) وهٰذا يفيد أنه لا يكفر بأي ذنب، قال: (وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ) يعني أن أي ذنب لا يُكَفَّر به حتىٰ يستحله، وهٰذا ليس هو معتقد أهل السنة والجماعة علىٰ هٰذا الإطلاق وإنما يعبرون بتعبير آخر وهو مراد الطحاوي يقولون: **ولا نكفر أحدا من أهل القبلة**

**بمجرّد ذنب**، كما يقوله طائفة من أئمة الدعوة أو **لا نكفر أحدا من أهل القبلة بكلّ ذنب** كما يقوله أيضا طائفة من العلماء المتقدّمين ومنهم شارح الطحاوية تبعًا لغيره.

فإذن قول الطحاوي: (وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ) المقصود به الذنوب العملية من الكبائر كالخمر والزنا والسّرقة وقذف المحصنات والتولّي يوم الزحف ونحو ذلك من كبائر الذنوب العملية التي كفّر الخوارج بها.

ويدل علىٰ هٰذا أن العقيدة مصنفة لبيان ما يخالف فيه أهل السنة أهل البدع والخوارج وما تميزت به الجماعة، ومعلوم أن الخوارج خالفوا في تكفير مرتكب الكبيرة مثل القتل والزنا وشرب الخمر والسرقة وأشباه ذلك، فخالفهم بهٰذا القول؛ يعني لا نكفّر بهٰذه الذنوب (بِذَنْبٍ) يعني من الذنوب العملية التي كفّر بها الخوارج أو خلّد أصحابَها في النار المعتزلةُ ويدل عليه أنه قال بعدها: (مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ) والاستحلال غالبه في الذّنوب العملية.

**المسألة السابعة**: قوله: (مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ) الاستحلال معه يكون مرتكب الكبيرة كافرًا.

**والاستحلال هو اعتقاد كون هٰذا الفعل حلالا**، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول ﷺ»: **والاستحلال أن يعتقد أنَّ الله جعله حلالًا، أو أن الله لم يحرمه**. فإن اعتقد أن هٰذا الشيء حلالا، أو أن الله لم يحرم هٰذا سواء كان حلالا علىٰ الأمة جميعا أو حلالا عليه هو، وسواء كان عدم التحريم علىٰ الجميع أو عليه هو -لأنها صورتان- فإن هٰذا هو الاستحلال.

فإذن ضابط الاستحلال المكفر هو الاعتقاد وذلك أنّ[1]... الخمر حلال فإنه جحد تحريمها، ويأتي الصِّلة ما بين الجحد والتّكذيب والاستحلال في المسألة التي تليها إن شاء الله تعالىٰ.

فإذن ضابط الاستحلال المكفّر أن يعتقد كون هٰذا المحرم حلالا وله صورتان:

- أن يعتقد كونه حلالا له دون غيره، وهٰذه تسمَّىٰ الامتناع.
- والصورة الثانية أن يعتقد كونه حلالا مطلقا له ولغيره، وهٰذه تسمىٰ التكذيب أو الجحد المطلق.

فالاستحلال المكفِّر هو الاستحلال بالاعتقاد، قال بعضُ أهل العلم: وأمَّا ما جاء في حديث أبي عامر أو أبي مالك الأشعري الذي في البخاري معلقًا بل موصولا، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلُّون الحر** -يعني الزنا- **والحرير والخمر والمعازف**»، هل هٰذا الاستحلال من الاستحلال العملي أو الاستحلال المكفِّر؟ قال طائفة -كما ذكرتُ لك وهو ظاهر-: أن هٰذا الاستحلال عمليٌّ وليس باعتقاد كون هٰذه الأشياء حلالا، فلم يُخرجهم من الإيمان إلىٰ الكفر، ولم يخرجهم من كونهم من هٰذه الأمة لقوله: «**ليكونن من أمتي**» فجعلهم بعض هٰذه الأمة، وهٰذا يُلْمِعُ إليه كلام ابن تيمية وكذلك للحافظ ابن حجر ولجماعة، وهو ظاهر في أن المُدمن للذنوب يكون فعله فعل المستحل؛ لكن ليس اعتقادُه اعتقاد المستحل، فقال: «**يستحلُّون**» يعني يستحلون عملا لا اعتقادا لأجل ملازمتهم لها وإدمانهم لهٰذه الذنوب.

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط السادس والعشرين.

فضابط الكفر في الاستحلال الذي ذكره هنا: (مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ) يعني ما لم يعتقد أن الله لم يحرم هٰذا، أو أن الله أباح هٰذا، أو أن هٰذا الأمر حلال، أو ليس بحرام إلىٰ آخره، وهٰذا القدر له ضابط أصلي عام، وهو أنّ الذي ينفع فيه ضابط الاستحلال هي الذنوب المجمع علىٰ تحريمها، المعلومة من الدين بالضرورة، أما إذا كان الذنب مختلَفا فيه -إما في أصله أو في صورة من صوره- فإنه لا يكفّر من اعتقد حِلّ هٰذا الأصل المختلَف فيه -يعني في أصله- أو الصورة المختلف فيها.

يوضح ذلك النبيذ الذي أباحه طائفة من التابعين من أهل الكوفة وأباحه طائفة من الحنفية أو من أباح ما أسكر كثيره ولم يسكر قليله؛ فإن أهل العلم من أهل السنة لم يكفروا الحنفية الذين قالوا بهٰذا القول، وكذلك لم يكفروا من قال به من أهل الكوفة أو غيرهم.

وكذلك من لم يقل بتحريم ربا الفضل؛ لأنه فيه اختلاف، وكذلك بعض صور الربا، وكذلك بعض مسائل النظر إلىٰ المحرمات -يعني إلىٰ الأجنبيات- أو إلىٰ الغِلمان ونحو ذلك.

فإذا كان هناك أصل مجمع علىٰ تحريمه معلوم من الدين بالضرورة؛ يعني الضرورة ما لا يحتاج معه إلىٰ الاستدلال فإننا نقول: من اعتقد إباحة هٰذا أو حله فإنه يكفر، مثل الخمر المعروفة في زمن النبي ﷺ التي تُسكر من شربها؛ تخامر عقله، مثل السرقة، مثل الزنا والعياذ بالله، مثل نكاح ذوات المحارم إلىٰ آخر هٰذه الصّور.

**المسألة الثامنة**: مما له صلة بلفظ الاستحلال واشتبه علىٰ كثيرين أيضا **الجحد والتكذيب**، وطائفة من أهل العلم يجعلون التكذيب والجحد شيئا واحدًا، وهٰذا ليس بجيِّد؛ بل هما شيئان مختلفان، قد يجتمعان وقد يفترقان، ويدلُّ علىٰ ذلك قول الله جل وعلا في سورة الأنعام: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾، فنفىٰ عنهم التكذيب وأثبت لهم الجحد، فدل علىٰ أن التكذيب والجحد متغايران.

**فما صلتها بالاستحلال؟**

**الاستحلال** اعتقاد كون هٰذا الأمر حلالا؛ يعني هٰذا المحرم حلالا.

**والجحد** أن يرد الحكم بأنه حلالا أو أنه حرام، جحد وجوب الصلاة؛ يعني ردّ هٰذا الحكم، يعني قال: لا، الصلاة ليست واجبة، جحد حرمة الخمر قال: الخمر غير محرمة.

فإذن الاستحلال وهو اعتقاد كون الشيء حلالا؛ الشيء محرم معه جحد قلبي؛ ولكن ليس معه جحد لساني قد يكون معه وقد لا يكون؛ لأن ظاهر آية الأنعام ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ يعني في الباطن ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يعني في الظاهر.

فالجحد قد يكون في الظاهر وقد يكون في الباطن. والتكذيب قد يكون في الباطن وقد يكون في الظاهر.

**والتكذيب** هو عدم اعتقاد صدق الخبر أو الأمر أو النهي، ولهٰذا أرجع كثير من أهل العلم من أهل السنة أكثر مسائل التكفير إلىٰ التكذيب، وذلك لأن التكذيب في أصله مناقض للتصديق الذي هو أصل الإيمان.

والمرجئة ومن شابههم قصَروا الكفر علىٰ التكذيب فضلوا، وأهل السنة والجماعة جعلوا الخروج من

الإسلام والرّدة يكون بتكذيب ويكون بغيره كما ذكرتُ لك.

فإذن من الكلمات التي لها صلة بالاستحلال وتلازم الاستحلال أيضا الجحد والتكذيب.

ومن الكلمات أيضا التي لها صلة بالاستحلال **الالتزام والامتناع، التزم وامتنع**.

ومن الكلمات **القَبول والرد**.

وهٰذه تحتاج في بيانها إلىٰ مزيد ضبط وسبق أن أوضحنا لكم بعض هٰذه المسائل.

**التاسعة**: من أهل العلم من جعل التكفير في الاعتقادات أو جعله في المسائل العلمية، فقال: العملية لا نكفر فيها إلا بالاستحلال، وأما المسائل العلمية التي دخل فيها أهل الأهواء والبدع فإننا نكفّر المخالف فيها.

وهٰذا قال به بعض المنتسبين إلىٰ السنة؛ ولكنه مخالف لقول أئمة أهل الإسلام وما تقرر من اعتقاد أهل السنة والجماعة.

فإن الخطأ والاجتهاد والغلو ونحو ذلك يدخل في المسائل العلمية، فأهل البدع لا يكفَّرون بإطلاق، فليس كل من خالف الحق في المسائل العلمية يُعد كافرًا بل قد يكون **مذنبا**، وقد يكون **مخطئا** وقد يكون **متأولا**، وهٰذه الثلاث حكم أهل السنة وأئمة الإسلام بأن هٰذه بدعة:

قد تكون ذنبا يوصله إلىٰ الكفر.

وقد تكون ذنبا فيما دونه.

وقد يكون سلك البدعة عن جهة الغلط منه والخطأ أو الجهل.

وقد يكون تأول في ذلك.

ويستدلون علىٰ هٰذا بقصة الرجل الذي أوصىٰ إذا مات بأن يُحْرَقَ ثم يذر رفاته وقال: لئن قدر الله علي ليعذبني عذاب لم يعذبه أحدا من العالمين. فجمع الله جل وعلا رفاته وقال له: ما حملك علىٰ هٰذا؟ فقال: إنما فعلته خشية عذابك. أو كما جاء.

ففعل هٰذا الفعل الذي أنشأه عنده الجهل أو عدم اعتقاد الحق في صفة من صفات الله جل وعلا وهي صفة تعلّق القدرة برفاته هو وبقدرة الله جل وعلا علىٰ بعثه، وعفا عنه رب العالمين لأجل عظم حسناته الماحية أو لجهله؛ لأنه قال: فعلته من خشيتك أو خوفا من عذابك أو نحو ذلك، وهٰذا اعتقاد عظيم وهو حسنة عظيمة قابلت ذلك الاعتقاد السيئ، فدل علىٰ أن الاعتقادات البدعية والمخالفة للحق قد يعفىٰ عن صاحبها.

فإذن قول من قال: أن أهل البدع والضلالات المخالفين في التوحيد أو في الصفات أنهم يكفَّرون إذا خالفوا ما دل عليه الكتاب والسنة فهٰذا قول وليس بصواب عند أئمة أهل السنة والجماعة؛ بل الصواب تقسيمه:

- فمنهم من يكون كافرا إذا قامت عليه الحجة الرسالية ودفعت عنه الشبهة وبين له.
- ومنهم من يكون مذنبًا لأنه مقصر في البحث عن الحق.

- ومنهم من يكون متأوّلا.
- ومنهم يكون مخطئا ومنهم من له حسنات ماحية يمحو الله جل وعلا بها سيئاته.

المسألة التي بعدها:

**المسألة العاشرة**: أن التكفير يشترط في تكفير المعين إقامة الحجة، وإقامة الحجة شرط في أمرين:

**الأول**: في العذاب الأخروي؛ يعني في استحقاق العذاب الأخروي.

**والثاني**: في استحقاق الحكم الدنيوي.

والدليل علىٰ ذلك قول الله جل وعلا: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾[الإسراء].

وكذلك قوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ فشرط لتولية المشار ما تولىٰ وجعل جهنم له وساءت مصيرا أن يكون تبين له الهدىٰ واتبع غير سبيل المؤمنين ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[النساء].

وكذلك قوله جل وعلا: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة:١١٥].

وكذلك قوله جل وعلا: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ﴾ [الجاثية:٢٣].

وكذلك قوله جل وعلا: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ﴾[الأعراف].

هٰذه كلّها فيها اشتراط العلم وإقامة الحجة وكلّ رسول بعث لإقامة الحجة علىٰ العباد.

إذا تبين هٰذا فإنّ إقامة الحجة تحتاج:

- إلىٰ مقيم.
- وإلىٰ صفة.

أما **المقيم**: فهو العالم بمعنىٰ الحجة، العالم بحال الشخص واعتقاده.

وأما **صفة الحجة**: فهي أن تكون حجة رساليّة بيّنة، قال جل وعلا: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾[إبراهيم:٤]، اشترط أهل العلم أن تكون الحجة رسالية؛ يعني أن تكون قول الله جل وعلا وقول رسوله ﷺ؛ يعني أما إن كانت عقلية وليس المأخذ العقلي من النص فإنّه لا يُكتفىٰ به في إقامة الحجة؛ بل لابد أن تكون الحجة رسالية، لهٰذا يعبر ابن تيمية ويعبر ابن حزم وجمع بأن تكون الحجة رسالية؛ لأنها يرجع فيها من لم يأخذ بالحجة إلىٰ ردّ ما جاء من الله جل وعلا ومن رسوله ﷺ.

وأما **فهم الحجة** فإنه لا يُشترط في الأصل، ومعنىٰ عدم اشتراطه: أننا نقول: ليس كل من كفرْ كفرَ عن عناد بل ربما كفر بعد إبلاغه الحجة وإيضاحها له؛ لأنه عنده مانع من هوىٰ أو ضلال منعه من فهم

الحجة، قال جل وعلا: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾[1]، والآيات في هٰذا المعنىٰ متعددة.

**أما ما معنىٰ فهم الحجة؟** يعني أن يفهم وجه الاحتجاج بقوة هٰذه الحجة علىٰ شبهته، وعنده شبهة بعبادة غير الله، عنده شبهة في استحلاله لما حُرِّم مما أجمع علىٰ تحريمه؛ لكن يُبلَّغ بالحجة الواضحة بلسانه ليفهم معنىٰ هٰذه الحجة، فإن بقي أنه لم يفهم كون هٰذه الحجة راجحة علىٰ حجته فإن هٰذا لا يشترط-يعني في الأصل-؛ لكن في بعض المسائل جُعل عدم فهم الحجة يعني كون الحجة راجحة علىٰ ما عنده من الحجج جعل مانعا من التكفير كما في بعض مسائل الصفات.

يعني أن أهل السنة والجماعة من حيث التقسيم اشترطوا إقامة الحجة ولم يشترطوا فهم الحجة في الأصل؛ لكن في مسائل اشترطوا فيها فهم الحجة وهٰذا الذي يعلمه من يقيم الحجة وهو العالم الرّاسخ في علمه الذي يعلم حدود ما أنزل الله جل وعلا علىٰ رسوله ﷺ.

**المسألة الحادية عشرة**: قوله: (وَلَا نَقُولُ: لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ) هٰذا فيه مخالفة للمرجئة، والمرجئة جعلوا أصل الإيمان التصديق وجعلوا هٰذا التصديق لا يتأثر زيادة ولا نقصا، وإنما هو شيء واحد لذلك لم يجعلوا الإيمان يزيد وينقص، ولم يجعلوا التصديق أيضا واليقين يزيد وينقص بل جعلوه شيئا واحدا، لهٰذا لم يجعلوا ذنبا يضر مع الإيمان، والمرجئة في هٰذا علىٰ درجات مختلفة، يأتي بيانُها إن شاء الله تعالىٰ عند قول المؤلف: (وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ).

**المسألة الثانية عشرة والأخيرة**: أن هاتين المسألتين -وهما: ما خالف أهل السنة الخوارج، وما خالفوا فيه المرجئة- فرع لأصل ومثال لقاعدة؛ وهي قاعدة الوَسَطية لأهل السنة والجماعة بين فرق الضلال:

فهم وسط في باب الأسماء والأحكام؛ يعني في أبواب الإيمان والكفر ما بين الخوارج والمعتزلة الوعيدية وما بين المرجئة في قول أولئك وقول هؤلاء، فهم يحذِّرون من الذنوب ويتوعدون بها ويتوعدون بالكفر، ولكن لا يُخرجونه من الإيمان إلا بعد تمام الشروط وانتفاء الموانع.

فهم -أعني أهل السنة والجماعة ثبَّتني الله وإياكم علىٰ طريقتهم- لهم في ذلك الطريق الوسط في هٰذا الباب وفي باب الأسماء والصفات، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي جميع أبواب الدين؛ بل وجميع أبواب الشَّريعة -يعني في أصولها- لهٰذا فالطَّريقة المُثلىٰ هي أن يكون المرء بين طرفي الغلو والجفاء، فالغلو مذمومٌ بأنواعه والجفاء مذموم أيضا لأنه قصور عن أمر الله، والغلو أيضا مذموم لأنه زيادة علىٰ أمر الله جل وعلا، والحقُّ فيما بينهما.

أسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم من الهداة المهتدين، وأن يعلّمنا ما يفعنا، وأن يزيدنا من الفقه في الدين، ومن متابعة سنة سيد المرسلين، وأن يغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا، وأن يشفي قلوبنا من الأدواء والأهواء، وأن يشفي أبداننا من الأمراض نحن وجميع أحبابنا إنه سبحانه كريم جواد كثير النوال، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

---

(١) سورة: الأنعام؛ الآية (٢٥)، الإسراء؛ الآية (٤٦).

[الأسئلة] نجيب علىٰ سؤالين ما يتعلق بالدرس.

سؤال (٣٠٤): ما حكم (الحكم بغير ما أنزل الله) ؟

**الجواب**: مسألة الحكم بغير ما أنزل الله ذكرها الشّارح ضمن الكلام في المسألة علىٰ اعتبار أنها ذنب من الذنوب، والكلام فيه هل يكفر أو لا يكفر؟ نقل فيها كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، ولم أتطرق لها مع علمي بما ذكره الشارح؛ لأنها مسألة طويلة الذيول تحتاج إلىٰ بحث وتفصيل فيها، لعل لها مكانا آخر إن شاء الله تعالىٰ.

سؤال (٣٠٥): قول القائل: كان من المفترض أن يُحِلَّ الله هٰذا؟

**الجواب**: بعض الناس يستعمل هٰذه الكلمة وما يقصد ظاهر الكلام؛ لأن ظاهر الكلام شنيع بشع؛ لأنه يكون الشيء حرمه الله جل وعلا ويقول هو من المفترض أن يكون حلالا هٰذا اعتراض واعتقاد أو تثبيت أنه حلال.

لكن بعض الناس يستعمل هٰذه العبارة من جهة رأيه وما عنده يقول في المسائل إذا تجادل اثنان أو أكثر يقول: من المفترض أنه يصير هٰذا مباح لعدم علمه لا لأجل مثلا، ما يقولها مثلا في الخمر من المفترض أن يكون الخمر حلال أو الزنا، وإنما في المسائل المشتبهة التي لا يعرف وجهتها.

فإذن هٰذه الكلمة لابد فيها من التفصيل قالها في أي ذنب ولكنها من الكلمات الوخيمة.

سؤال (٣٠٦): هل هناك فرق بين عدم فهم الحجة وعدم الاقتناع بالحجة؟

**الجواب**: نعم فيه فرق.

سؤال (٣٠٧): هل يحكم علىٰ اليهودي المعين الذي مات علىٰ اليهودية أنه من أهل النار؟

**الجواب**: نعم يحكم علىٰ المعين الذي مات علىٰ اليهودية أو علىٰ النصرانية بأنه من أهل النار، وهٰذا لأنه كافر أصلي، والنبي ﷺ لما زار اليهودي الغلام اليهودي وقال له: «**قل لا إلٰه إلا الله**» أو «**قل أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله**»، فجعل الغلام ينظر إلىٰ أبيه ولم يقلها فقال له والده اليهودي: أطع أبا القاسم. فقال الغلام وكان يخدم النبي ﷺ: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله. فقال عليه الصلاة والسلام: «**الحمد لله الذي أنقذه الله بي من النار**».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**والله لا يسمع بي أحد من هٰذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا أكبه الله في النار**».

وقال أيضا كما في «صحيح مسلم»: «**حيث ما مررت بقبر كافر فبشره بالنار**».

وقال أيضا جل وعلا: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[المائدة].

وهٰذا لا يدخل في قول أهل السنة والجماعة: ولا نشهد لا معين من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله ﷺ. هٰذا في حق المعين من أهل القبلة، أما من مات علىٰ كفره من اليهود والنصارىٰ أو مات ونحن نعلم أنه يهودي أو نصراني فهٰذا كافر يشهد عليه بأنه من أهل النار: «**حيث ما مررت بقبر كافر فبشره بالنار**».

سؤال (٣٠٨): هل من كفَّر بغير علم يصبح مرتدا فيقتل، أو أن عمله هٰذا يقتل به؟

**الجواب**: من كفر بغير علم:

- يلحقه الوعيد «**من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما**» هٰذا واحد.
- ويلحقه الوعيد في مشابهة الخوارج؛ لأن الخوارج كفّروا بغير علم.
- ويلحقه الوعيد أيضا من جهة ثالثة وهو أنه تعدَّىٰ علىٰ الدَّليل من القرآن والسنة؛ لأنَّه كما ذكرتُ لك في الأسباب أن إثبات الإيمان جاء بدليل، فنفيُ الإيمان عن المعين لابد فيه من دليل، فمن حكم بكفر أحد لهوًىٰ أو لقصور أو لغلوّ أو لقصور عنده في العلم فإنه تعدىٰ ما أُذن له به إلىٰ أمر إنما هو لأهل العلم، فهو يؤاخَذ بذلك.

كما ذكرتُ لك في قصَّة عمر ﷺ وهي قصة تحتاج منك إلىٰ اعتبار في أنه قد يطلق المرء التكفير من جهة الغيرة وقد يؤاخذ وقد لا يؤاخذ، والواجبُ علىٰ العبد أن يحترز من فلتات لسانه، يخاف أشد الخوف، فرُبّ كلمة قالها العبد لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار سبعين خريفًا.

ومن منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم الذي قرّره أئمة أهل السنة أن أهل العلم من أهل السنة يخطِّئون أو يضلِّلون ولا يكفِّرون، يقول: هٰذا القول بدعة، هٰذا ضلال، هٰذا فسق، هٰذا خطأ، ونحو ذلك، وقد يحكمون علىٰ المعين إذا كان الحاكم من الأئمة ومن العلماء ولكن لا يكفرون إلا ببيِّنة ووضوح.

وهٰذه المسائل مع الأسف شاعت عند الشباب في هٰذا العصر، وصاروا يتداولونها حتىٰ في المجالس، وهو يعلم من نفسه أن مسائل الطهارة ما يعرفها، وكثير من مسائل الصلاة ما يعرفها، ومسائل يمكن معاشرة الزوجية يجيء فيها بحكم الطبيعة أو بحكم حياته أو ما آلفه وإلىٰ آخره، ما يعرف حدود ما أنزل الله علىٰ رسوله في هٰذه المسائل، ومع ذلك تجد أنه يقتحم هٰذه المسألة العظيمة وهي مسألة التكفير، وإنما هي لأهل العلم.

ذكرتُ لك أنّ لها قسمين:

**القسم الأول** اعتقاد المسائل؛ اعتقاد مسائل التكفير مثل ما ذكرتُ لك.

**والثاني التطبيق**: التطبيق ليس إليك، إنما هو لأهل العلم والقضاء والفتيا ونحو ذلك.

أما الاعتقاد، فهٰذا واجب أن تعتقد ما أمر الله جل وعلا به، أو ما أخبر به جل وعلا من إيمان المؤمن وكفر الكافر، وكذا ما أخبر به عليه الصلاة والسلام.

في هٰذا القدر كفاية، ونلتقي إن شاء الله بكم الأسبوع القادم.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

## الدرس الثالث والثلاثون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد..

[الأسئلة] نجيب علىٰ بعض الأسئلة: بودِّي لو الإخوة كتبوا الأسئلة في أوراق؛ لأنَّ بقاء الأسئلة أيضا مفيد، لأني أرىٰ قصاصات بهذا الشكل فالخط يكون صغيرا وأحيانا حواشي يمين وشمال، فيُعتنىٰ بالكتابة جزاكُم الله خيرًا.

سؤال (٣٠٩): هل عدمُ اشتراط فهم الحُجَّة أن لا يفهموا مقصود الشَّارع؟

الجواب: ذكرنا لكم مرارا أن العلماء الذين نصُّوا علىٰ أن فهم الحجة ليس بشرط في صحة قيام الحجة بَنَوا علىٰ الدَّليل، وهو قول الله جل وعلا: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾[1] فالله جل وعلا جعل علىٰ القلوب أكنة بأن لا يفهموه، فدلّ علىٰ أن الفهم والفقه -فقه الحُجَّة- ليس بشرط؛ لأن إقامة الحجة في القرآن تلاوة القرآن عليهم وهم أهل اللّسان كافٍ في قيامها.

فصار إذن الحال مشتمل علىٰ أنَّ إقامة الحجة شرط، ومعنىٰ إقامة الحجة أن تكون الحجة من الكتاب أو من السنة أو من الدَّليل العقلي الذي دل عليه القرآن أو السنة، وأن فهم اللِّسان العربي فهم معنىٰ الحجة بلسان من أقيمت عليه هٰذا لابد منه؛ لأن المقصود من إقامة الحجة أن يفهم معاني هٰذه الكلمات، أن يفهم معنىٰ الحديث، أن يفهم معنىٰ الآية.

وأما ما لا يُشترط وهو فهم الحجة، فيراد به أن تكون هٰذه الحجة أرجح من الشُّبه التي عنده؛ لأن ضلال الضالين ليس كله عن عناد، وإنما بعضُه ابتلاء من الله جل وعلا، وبعضه للإعراض، وبعضه لذنوب منهم ونحو ذلك.

لهٰذا فإن فهم الحجة علىٰ قسمين:

* يراد بـ(فهم الحجة) فهم معاني الأدلة، هٰذا لابد منه، فلا يكتفي في إقامة الحجة علىٰ أعجمي لا يفهم اللغة العربية أن تتلىٰ عليه آية باللغة العربية، وهو لا يفهم معناها، ويقال قد بلغه القرآن والله جل وعلا يقول: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[الأنعام:١٩]، هٰذا ليس بكافٍ لابد أن تكون الحجة بلسان من أقيمت عليه ليفهم المعنىٰ، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾[إبراهيم:٤].

* المعنىٰ الثاني لـ(فهم الحجة) أن يفهم كون هٰذه الحجة أرجح من شبهته التي عنده، المشركون -كما قررنا لكم في «شرح كشف الشبهات»- عندهم علم وعندهم كتب وعندهم حجج كما أخبر الله جل وعلا في كتابه، فهم حجة الرسول عليه الصلاة والسلام، فهم القرآن، فهم حجة النبي عليه الصلاة والسلام العقلية التي أدلىٰ بها عليهم بعد الوحي، هٰذه معناها أن يفهموا المعنىٰ، إذا كانوا هم فهموا

---

(١) سورة: الأنعام؛ الآية (٢٥)، الإسراء؛ الآية (٤٦).

المعنىٰ؛ لكن مثل ما يقول القائل ما اقتنع أن هٰذه الحجة أقوىٰ من الشبهة التي عنده، فهٰذا ليس بشرط.

فإذن ما يُشترط من فهم الحجة هو القسم الأول؛ وهو فهم المعنىٰ فهم دلالة الآية باللغة العربية ونحو ذلك، أما فهم الحجة بمعنىٰ كون هٰذه الحجة أرجح بالمقصود وأدلّ علىٰ بطلان عبادة غير الله أو علىٰ بطلان الباطل، هٰذا ليس بشرط المهم، يفهم معناها ودلالتها، ثم بعد ذلك الله جل وعلا يُضل من يشاء ويهدي من يشاء.

سؤال (٣١٠): يقول: إذا كان الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقام الحجة علىٰ أحمد بن أبي دؤاد والمعتصم، فلم لم يكفرا مع إصرارها علىٰ البدعة؟ فإن كان لم يقم عليهما الحجة فلماذا لم يقم عليهما الحجة مع أنه في موقف يجب عليه إقامة الحجة؟

الجواب: هٰذا السؤال يحتاج إلىٰ تفصيل، وتفصيله ينبني علىٰ فهم واقع فتنة خلق القرآن.

وفي الجملة منهج أهل السنة وأهل العلم أنهم يجعلون هٰذه الفتنة فيها شبهة، فلم يكفروا بحصول الفتنة لا من جهة الوالي ولا من جهة من أجاب من المسلمين؛ لكن من أهل العلم من كفَّر ابن أبي دؤاد وكفر أمثالَه العلماءَ.

لأن العالم يفهم حجة القرآن، وإذا كان بقيت عليه الشبهة في مثل هٰذا الأمر العظيم فإنه:

- إما أن يكون مقصِّرًا في البحث عن الحق.
- وإما أن لا يكون.

فإن كان مقصّرا في البحث عن الحق مع قربه منه فلا يلومن إلا نفسه، وهٰذا لا يمنع من الحكم عليه بالكفر عينًا.

وإذا كان غير مقصّر في البحث عن الحق؛ ولكن بقيت الشبهة عنده، فهٰذا لابد من أن تزال عنه الشبهة مع اختلاف المسائل في ذلك، لكن هٰذا الكلام بخصوص القول بخلق القرآن.

فمن أهل العلم من كفر ابن أبي دؤاد ومنهم من لم يكفره عينا لأجل الشبهة التي عنده.

كما ذكرنا لكم مسائل المعتزلة والخوارج في مثل مسألة خلق القرآن ونفي رؤية الله جل وعلا في الآخرة ونحو ذلك، فأئمة أهل السنة يكفرون بالنَّوع يكفرون بالمطلق يعني التكفير المطلق ولا يكفرون الأعيان إلا بعد اجتماع الشروط وانتفاء الموانع، وهٰذه كما ذكرنا يقيمها من يصلح لإقامتها من أهل القضاء أو الفتيا.

سؤال (٣١١): ذكرت أن منهج أهل السنة عدم الحكم علىٰ أحد بالتكفير إلا بعد إقامة الحجة وحكم العلماء عليه، كيف نجمع بينه وبين من يقول ويصف أن الأمة الإسلامية غائبة؟

الجواب: يعني كيف نجمع بين منهج أهل السنة ومنهج أهل البدع، ما يجمع بينهما كل له وجهة هو موليها ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[البقرة:١٤٨].

سؤال (٣١٢): هل من فعل الذنب من الكبائر وجهر به وأصبح يتاجر فيه كالغناء، نقول: إنهم لا يؤمنون بتحريمها واستخفوا بها ونحكم بردتهم عن الإسلام؟

**الجواب**: الكبائر لها حد -بمعنىٰ لها تعريف- وذكرنا تعريفها عدة مرات ويأتينا إن شاء الله تعالىٰ في موضعه من «شرح الطحاوية» بتفصيل.

فالحكم علىٰ الغناء بأنه من الكبائر هٰذا فيه نظر؛ لأن الغناء التّغني بالصوت، التغني بالصوت قد يكون مشتملا علىٰ كلام قبيح كفر أو نفاق أو دونه من التشويق بالنساء أو باستباحة المحرمات أو نحو ذلك، وقد يكون الكلام لا يشتمل علىٰ ذلك، ثم هو قد يكون مصاحبًا بمعازف وقد لا يكون مصاحبا بمعازف.

فقول القائل أصبح يتاجر فيه كالغناء أن هٰذا من الكبائر لا، يختلف الحال فيه.

لهٰذا من جهة إثبات الكبيرة لابد فيه من تفصيل، الغناء كله كبيرة ليس بصحيح يعني بهٰذا الإطلاق، طالب العلم لابد أن يدقق في ألفاظه، إذا قال أحد: الغناء من الكبائر، ليس صحيحا هٰذا الكلام، فلابد من التفصيل فيه وهٰذا يرتبط بتعريف الكبيرة.

المسألة الثانية: المعازف من حيث هي، والغناء المشتمل علىٰ المعازف لم يُجمع العلماء علىٰ تحريمه، فمن أهل العلم -وهم نوادر- من قالوا بإباحته، وجمهور أهل العلم كما دلت عليه الأدلة بالكتاب والسنة وهي كثيرة جدا قالوا بحرمة ذلك، وهٰذا هو الحق الواضح الذي لا يجوز العدول عنه؛ لكن معرفة خلاف طائفة من أهل العلم من فقهاء المدينة في زمن الإمام مالك ومن بعدهم مثل ابن حزم والسمعاني وطائفة من الناس من قالوا بإباحة السماع واستعمال المعازف فهو خلاف في المسألة ولا تكفير إلا بما أجمع العلماء علىٰ تحريمه.

والمسألة إذا أجمع العلماء علىٰ تحريمها من قال بخلافها فالقول بخلافها كفر، ثم تكفير المعين يحتاج أيضا إلىٰ بيان، المسائل التي أجمع العلماء علىٰ حرمتها المخالف فيها يختلف؛ لأن المسألة قد تكون من المسائل التي يُعلم بالاضطرار من دين الإسلام أنها محرمة، مثل الخمر، مثل الزنا، الربا المتفق علىٰ تحريمه ونحو ذلك، هٰذا ما يحتاج ينشأ الناشئ بين المسلمين وهو يعلم أن هٰذه الأمور محرّمة باتفاق أهل العلم.

لكن ثم مسائل خفية تحتاج إلىٰ استدلال، ومثلا لو قيل: إنّ المعازف مجمع علىٰ تحريمها فإن هٰذا الإجماع هم لم يجمع علىٰ تحريمها، لكن هٰذا الإجماع غير معروف لم يكن معروفا عند الناس، لو قال قائل ذلك أو يكون في بلد معروف نشأ الناشئ وأهل الفتوىٰ في بلده علىٰ أن الغناء محرم فهنا لا يقال بالتكفير لأن هٰذا من[1]...إلا بما أجمع عليه، ثم هنا ما أجمع أهل عليه علىٰ قسمين:

منه ما يُعلم بالاضطرار من دين الإسلام يعني لا يحتاج فيه العالم إلىٰ بيان الأدلة.

ومنه ما فيه خفاء يحتاج فيه إلىٰ بيان الأدلة.

حتىٰ غير المسائل هٰذه مثل مسائل السحر، السحر لاشك أنه من كبائر الذنوب؛ بل لا يكون السحر إلا بشرك بالله جل وعلا، لكن من أصناف السّحر ومن أحوال السّحرة ما قد يخفىٰ في بعض الأزمنة، فيحتاج إلىٰ بيان وإيضاح، فالمسألة في نفسها قد تكون في زمان مما يعلم بالاضطرار -يعني الدليل فيها لا يحتاج

---

(١) انتهىٰ الشريط السادس والعشرون.

إلىٰ إقامته-؛ لأن كل الناس يعلمون هٰذا، وقد يكون في زمان أو مكان يخفىٰ الدليل علىٰ طائفة فيُحتاج في الحكم علىٰ المعيَّن إلىٰ بيان، وإن كانت عند طائفة أخرىٰ مما يُعلم بالاضطرار.

العلماء يذكرون مثال ذلك مثلا من قال: الزنا غير محرم وهو من نشأ ببادية بعيدة عن دار الإسلام، ومثله يجهل، واحد أسلم وعايش مثل ما حصل في زماننا الحاضر في بعض من يسكنون في بعض الأماكن يفعل الفاعل الزنا وما يعلم أنه حرام مع أن حرمة الزنا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام.

المقصود من هٰذا أن المسائل التي يقال فيها هٰذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، نعني بها ما لا يحتاج معه إلىٰ إقامة دليل؛ يعني ينشأ الناشئ وهو يعرف هٰذا ولا يعرف غيره من دين الإسلام، هٰذه المسائل تختلف باختلاف الزمان والمكان، فلهٰذا يحتاج من يريد البحث في هٰذه المسائل إلىٰ استفصال.

آخر السؤال يقول: نقول: إنهم لا يؤمنون بتحريمها واستخفوا بها فنحكم بردتهم عن الإسلام.

ليس كذلك من فعل الكبيرة مستخِفًّا بها لا يعني ذلك أنه مرتد؛ بل الذين يفعلون الكبائر منهم من يفعل الكبيرة لشهوة غلبت عليه، شهوة طارئة، هو مؤمن صالح لكن غلب عليه أمر فأخذ مالا من غير حله، سرق لشهوة غلبت عليه ثم رجع، هٰذا نقول فيه: مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو رأىٰ امرأة أو خلا بامرأة ثم فعل معها الكبيرة عن غلبة شهوة، هٰذا لا يخرجه ما فعل عن كونه مؤمنا إذا تاب وأناب، فغلبة الشهوة تُبقي اسم الإيمان إذا تاب وأناب.

الحال الثانية فعل الكبيرة الذي يخرج معه المؤمن من الإيمان إلىٰ الإسلام وهو إذا استخف بالكبيرة يعني تهاون بها وهو يعلم أنها كبيرة ويعلم أنه عاصي، أقام عليها واستمر علىٰ فعل الكبيرة، فهٰذا يخرج من اسم الإيمان إلىٰ اسم الإسلام؛ لأن الإيمان الحق -الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر- الإيمان الحق بهٰذه الإيمان الكامل لا يجتمعُ مع صاحبه في مداومة الكبائر، وفي هٰذا يروىٰ الحديث الذي رواه الإمام أحمد في «المسند» أن العبد إذا فعل المعصية ارتفع عنه الإيمان فصار علىٰ رأسه كالظلة فإذا تركه عاد إليه، وهٰذا الحديث في إسناده ضعف؛ لكن يستدلُّ به أهل العلم علىٰ أصلهم من أن المؤمن حال مواقعته للكبيرة التي كانت عن غلبة شهوة لا استمرار ولا استخفاف فإنه يبقىٰ عليه اسم الإيمان؛ لكن ينتزع منه ما دام فاعلا لهٰذا المنكر، فإذا ترك هٰذه الكبيرة وأناب إلىٰ الله جل وعلا، رجع فيقال: مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته لكن المصر علىٰ الربا المصر علىٰ الزنا المصر علىٰ شرب الخمر لا يخرجه أهل السنة من اسم الإسلام ويجعلونه مرتدًّا، وكذلك أصحاب المعازف والغناء المحرم وبيع مثل هٰذه وآلات اللهو ونحو ذلك، إذا كان ممارسا لها وهو يعتقد حرمة ذلك فيما أجمع عليه فإنه يخرج من الإيمان إذا كان مداومًا عليها إلىٰ الإسلام؛ لأن الإسلام هو العمل الظاهر إذا كان جاء بأمور الإسلام.

وهٰذه فيها مزيد تفاصيل تأتي في وضعها إن شاء الله من شرح الطحاوية.

سؤال (٣١٣): كم النصاب الواجب في زكاة الريالات السعودية؟

الجواب: نصاب الزكاة في الذهب والفضة جاء في السنة واضحًا، وفي الذهب النّصاب عشرين مثقال من الذهب، والفضة مائتي درهم من الفضة، لما كان في الزمن المتأخر هنا مثلا في المملكة كان الناس

يستعملون ريالات فضة، ريالات الفضة هٰذه وجنيه الذهب، ريالات الفضة كم تقابل من الدراهم الفضة في عهد النبي عليه الصلاة والسلام؟ وكذلك الذهب كم يقابل من المثاقيل؟ فجعلوا الريال العربي الذي تجب فيه الزكاة طبعا بالوزن بالمقابلة جعلوه ستة وخمسين ريالا فضة عربي، وبالنسبة للجنيه جنيه الذهب المعروف جعلوه أحد عشرة جنيها وثلاثة أسباع الجنيه، طبعا هٰذا يختلف باختلاف الذهب أو الفضة من حيث الصفاء والغش؛ يعني أنّ مثقال الذهب هل هو صافي أو مغشوش الفضة هل هي صافية أو مغشوشة، فيختلف النصاب باختلاف الغش الذي فيه.

إذا قلنا مثلا أن النصاب الآن للخالص خمسة وثمانين غرام ذهب، الذهب الخالص النصاب الزكوي فيه خمسة وثمانين غرام، خمسة وثمانين غرام هٰذه للخالص؛ يعني الذي هو الحد للعشرين مثقال الخالص منها خمسة وثمانين غرام؛ لكن هو الآن جنيهات الذهب هٰذه ليست خالصة داخلها شيء، لذلك تجد أن المشايخ يعني أهل الإفتاء يقولون: النصاب اثنان وتسعين غرام، ليش بعضهم يقول خمسة وثمانين والآخر يقول اثنين وتسعين؟ من قال: خمسة وثمانين باعتبار الأصل يعني شيء نظري المطلق بدون الوجود، اثنين وتسعين علىٰ اعتبار واحد وعشرين غرام، إذا صار الذهب عيار ثمانية عشرة تزيد النسبة، يمكن خمسة وتسعين ستة وتسعين يمكن تدركها بالحساب، إذا كان الذهب أربعة عشرة عيار أربعة عشرة يزيد النصاب يصير مائة أو مائة وخمسة بالحساب يمكن تحسبها وهكذا.

لما جاء تحويل الريالات من الريالات عربي فضة إلىٰ الريال السعودي أول الأمر كان الريال السعودي الورق يقابل الريال فضة تماما هٰذا يقبل هٰذا، ولهٰذا كان يكتب عليه أول ما صدر أن مؤسسة النقد تتعهد لحامل هٰذا السند بدفع ريال عربي واحد يعني فضة، صار أول ما جاء النصاب ستة وخمسين ريال ورق مثل ستة وخمسين ريال فضة لأن هٰذا وهٰذا واحد.

بعد ذلك صارت التغطية وأمور المال مختلفة فصار هناك انفصال ما بين الريال الورقي وريال الفضة، هٰذا الانفصال جعل النصاب الزكوي يختلف فيصبح الأمر راجعا إلىٰ تقويم الريال العربي الفضة بما يعادله من الريالات، فيُبحث ستة وخمسين ريال فضة إيش يعادلها من الريالات الورق هٰذا يختلف باختلاف الوقت يعني مثلا في سنة قد يكون أقل قد يكون أكثر قد يكون ثلاثمائة ريال أربعة مائة ريال يعني الآن بحسب سعر الريال، الفضة.

نعم اقرأ...

نَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نُقَنِّطُهُمْ.

وَالْأَمْنُ وَالْإِيَاسُ يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَسَبِيلِ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ.

وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ.

---

قال العلامة الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ وأجزل له المثوبة: (نَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نُقَنِّطُهُمْ.) هٰذه الجملة فيها بيان لما يجب علىٰ المرء المؤمن أن يعامل به نفسه وأن يعامل به غيره من إخوانه المؤمنين، فمع النفس أهل السنة والجماعة يرجون للمحسن ويخافون علىٰ المسيء، هٰذا أصلهم مخالفين أهل التّقنيط وهم أهل الإفراط، وأهل الأمن وهم أهل التفريط.

وأصل هٰذا عندهم أن المؤمن وعدَهُ الله جل وعلا بموعدة لن يُخلفه إياها؛ لأنَّ وعد الله جل وعلا كان مفعولا ولأن وعد الله جل وعلا كان مسؤولًا ﷻ، الله جل وعلا وعد المؤمن الذي مات علىٰ الإخلاص بأن يعفو عنه وأن يُدخله الجنة برحمته: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[الأعراف]، وكذلك الله جل وعلا توعّد من عصاه وتوعد من خالف أمره واتّبع هواه، ووعيده قد ينفذ جل وعلا ويقع بمن توعّده ﷻ، فلذلك لأجل وعيد الله جل وعلا فإنّ من فعل ذنبًا ومعصية فإنه يُخاف عليه ولا يؤمن جانبه أن يكون ممن دخلوا في الوعيد وعاقبَهم الله جل وعلا.

فأهل الإيمان:

- منهم المُحسن.
- ومنهم المسيء.
- ومنهم من خلط عملا صالحا وآخر سيئا، هٰذا يغلبه تارة وهٰذا يغلبه تارة.

**فالمحسن** المسدّد نرجو أن يدخله الجنة ربُّه جل وعلا برحمته.

**والمسيء** نخافُ عليه أن يؤخذ بجريرته ونستغفر له ولا نقنّطه من رحمة الله لكن نفتح له باب التوبة وباب الرّجاء.

هٰذه الجملة مبنية علىٰ أصل خالف فيه أهل السنة والجماعة المعتزلة والخوارج وطائفة من غلاة الصُّوفية في هٰذه المسائل، حيث إن أهل السنة أصّلوا ما جاءت به الأدلة من أنّ وعد الله جل وعلا مسؤول ومفعول، وربنا جل وعلا لا يُخلف الميعاد، وأنَّ وعيدَه ﷻ قد يدرك العبد وقد يتخلف، وذلك لأسباب يأتي بيانها إن شاء الله تعالىٰ.

**فالمقصود من هٰذه الجملة** أن أهل السنة والجماعة يُعملون الوعد فيرجون للمحسن، ويعملون الوعيد بأنه قد يتحقق ويخافون علىٰ المسيء، ولا يفتحون باب الوعد دون نظر في الإساءة كحال المرجئة والصوفية وطوائف ولا يُعملون حال الوعيد ويقولون بإنفاذه قطعا وأنه لا يتخلف كحال الخوارج والمعتزلة.

إذا تبيَّن هٰذا من حيثُ الإجمال ففي المقام تفصيل نذكُره في مسائل:

**الأولى**: أن الرّجاء للمحسن للعفو وعدم الأمن والاستغفار للمسيء والخوف عليه، هٰذا عقيدة يتعاملُ بها المرء مع نفسه وكذلك مع المؤمنين، فمع نفسِه تصرُّه حسنتُه وتسوؤه سيِّئته، ويرجو لنفسه إذا أحسن، ويأمل ويطمع في أن يدخله الله الجنة برحمته لا بعمله، ولا يأمن علىٰ نفسه أن يقلب الله جل وعلا قلبه، وكذلك لا ينظر إلىٰ نفسه بعمل صالح عمله أنه استوجب به الجنة، فدائمًا ينظر إلىٰ نفسه ما بين إحسانها بان يطمع بثواب الله ورحمته وإذا أساءت فإنه يخاف ولا يقنط من رحمة الله جل وعلا، هٰذا مع نفسه.

وكذلك مع المؤمنين فإنه ينظر إليهم بهٰذا الأصل، فمن مات من أهل الإيمان فإنه يرجو أن يعفو الله جل وعلا عنهم وأن يدخلهم الله الجنة برحمته، ومن مات من أهل الإساءة فإنه يستغفر للمسيء ويخاف عليه ولا يُقَنِّط من أساء من الأحياء، وكذلك لا يقنّط نفسه في من أساء من أن يعفو عن من مات.

**المسألة الثّانية**: الرجاء للمحسن من المؤمنين بالعفو هٰذا يشمل كل أحد حتىٰ من لم يعرف لنفسه ذنبًا، وذلك لقول النبي عليه الصلاة والسلام للصديق أبي بكر ﷺ بأن يدعو في آخر صلاته: «**اللّٰهمَّ إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي فإنك أنت الغفور الرحيم**» فقول أبي بكر: «**اللّٰهمَّ إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا**» هٰذا تبع لهٰذا الأصل، وهو أن المحسن من المؤمنين حتىٰ صاحب المقامات العالية الصديق ﷺ يرجو أن يعفو الله عنه وأن يدخله الجنة برحمته ولا يأمن، كذلك من دونه من المؤمنين من أهل الاقتصاد وعدم السبق بالخيرات كذلك لابد أن يرجو لنفسه ولا يأمن، ويظن أنه محتاج إلىٰ العفو يعني يعتقد أنه محتاج إلىٰ عفو الله جل وعلا وإلىٰ رحمته.

**المسألة الثالثة**: الجمع ما بين الرجاء للمحسن والاستغفار للمسيء هٰذا تبع لأصل عظيم وهو الجمع في العبادة ما بين الخوف والرجاء، فالمأمور به شرعا أن يجمع العبد ما بين خوفه من الله جل وعلا وما بين رجائه في الله جل وعلا، والخوف عبادة والرجاء عبادة، والخوف المحمود هو الذي يحمل علىٰ طاعة الله جل وعلا بفعل أمره وترك المحرمات، هٰذا هو الخوف المحمود، وهو المذكور هنا في قوله: (نَخَافُ عَلَيْهِمْ)، والخوف المذموم هو الذي يصل إلىٰ القنوط من رحمة الله جل وعلا: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الحجر].

الخوف من الله جل وعلا عبادة مستقلَّة:

تحمل علىٰ فعل الأمر واجتناب النهي هٰذا أولا.

وثانيا تحمل علىٰ عدم رؤية العمل الصالح يعني رؤية أثره، وكذلك وعدم رؤية العمل السيئ في أنه موقع صاحبه وأنه مهلك له.

والله جل وعلا مدح عباده الذين يخافونه في كتابه في مواضع كثيرة، كقول الله جل وعلا في وصف الملائكة: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[النحل]، وأمر الله جل وعلا بالخوف في قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[آل عمران]، وقال جل وعلا: ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾[الزمر]، وذكر خاصة عباده بالخوف من المرسلين فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا

﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[الأنبياء:٩٠]، فأصل الخوف من الله جل وعلا عبادة عظيمة لا تستقيم العبادة إلا بها ولا يستقيم الإيمان إلا بالخوف، فمن لم يكن عنه خوف أصلا من الله جل وعلا فليس بمؤمن لأنه يكون آمنا والأمن ينقل عن ملة الإسلام يعني الأمن التام بعدم وجود الخوف أصلا من الله جل وعلا.

الثاني الرّجاء، والرجاء أمل يحدو الإنسان في أن يتحقق له ما يريد، قال طائفة من العلماء نقله الشارح عندكم: إن الرجاء لا يكون إلا باجتماع أشياء:

**الأول المحبة لما رجاه**، وهو يرجو أن يدخل الجنة فلابد أن يحب أن يدخل الجنة.

**الثاني الخوف** وهو أن يخاف مما يقطع عليه أمله، يخاف من الذنوب، يخاف من الكفر، يخاف من النفاق أن يقطع عليه أمله في دخول الجنة.

**والثالث أن يعمل الأعمال الصالحة التي تكون سببا فيما رجا**، فمن ترك تقديم الأسباب وفعل الأسباب فلا يكون راجيا.

قالوا: والفرق ما بين الرجاء والأماني أن الرجاء يكون معه خوف وعمل، والأماني إنما هي طمع ليس معها خوف ولا سعي في الأسباب.

والمطلوب شرعا من العبد المؤمن فيما يراه في نفسه ولإخوانه المؤمنين أن يكون راجيا، وليس بذي أماني، قال الله جل وعلا: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣].

فإذن دلّ هٰذا الكلام من الطحاوي علىٰ الأصل الشرعي وهو أن العبد ينظر إلىٰ نفسه في عبادته وفي أثر عبادته إلىٰ أنه يجمع ما بين الخوف والرجاء، وكذلك في نظره إلىٰ إخوانه المؤمنين.

**المسألة الرابعة**: اختلف العلماء في الخوف والرجاء هل يجب تساويهما أم يرجح أحدهما علىٰ الآخر علىٰ أقوال:

**القول الأول**: أن يُغلّب جانب الخوف مطلقًا.

**والقول الثاني**: أن يُغلَّب جانب الرجاء مطلقًا.

**والقول الثالث**: أن يستوي عند العبد الخوف والرجاء.

**والقول الرابع**: التفصيل، ومعنىٰ التفصيل أنّ الخوف قد يُغَلَّب في حال، وقد يُغلّب الرجاء في حال، وقد يطلب تساويهما في حال، فيغلب الخوف علىٰ الرجاء في حال أكثر المؤمنين؛ لأن أكثر أهل الإيمان عندهم ذنوب فيغلبون حال الخوف في حال الصِّحّة والسَّلامة؛ لأنهم لا يخلون من ذنب، والخوف يحملهم علىٰ ملازمة الطاعة وعلىٰ ترك الذنب، والرجاء يُغَلَّب في حال المرض لقوله عليه الصلاة والسلام «**لا يمت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه**» جل وعلا وللحديث أيضا الآخر الذي رواه البخاري وغيره «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**»، فدلَّ هٰذا علىٰ أن رجاء العبد مطلوب، وإذا كان في حال المرض المخوف أو في أي مرض كان فيه فإنه يغلِّب جانب الرَّجاء علىٰ الخوف، وفي حال يستوي فيه الرجاء والخوف، وهو في حال التعبّد إذا أراد العبادة ودخل في العبادة، فإنه يخاف الله جل وعلا يرجو ربَّه جل وعلا، يخاف الذنب يخاف العقاب ويرجو الثَّواب.

فهٰذا القول الأخير هو الصَّحيح وهو الذي عليه أهل التحقيق.

ومن قال من أهل العلم: إنه يغلّب جانب الخوف مطلقًا نظر إلىٰ أن حال أكثر المنتسبين حالهم علىٰ ذنب وعلىٰ قصور فتغليب جانب الخوف في حقِّهم يردهم إلىٰ الحق.

ومن قال يغلّب جانب الرجاء دائما عمم قوله عليه الصلاة والسلام: «**قال الله تعالىٰ: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**».

ومن قال بالاستواء دائما نظر إلىٰ قول الله جل وعلا: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[الأنبياء:٩٠]، وكذلك قوله جل وعلا: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾[الإسراء].

والتفصيل هو الصَّحيح؛ لأنَّ الأحوال تختلف باختلاف المقامات والناس.

**المسألة الخامسة**: قوله: (نَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ)، قوله: (لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) هٰذا علىٰ مورد التقسيم من أن أهل الإيمان منهم المحسن ومنهم المسيء، وليس شرطا في رجاء العفو أن يكون من أهل الإحسان، وإنما المؤمن إما أن يكون محسنا وإما أن يكون مسيئا، والمحسن هو من كان من المقتصدين أو من السابقين بالخيرات؛ لأنَّ أهل الإيمان ثلاث مراتب: الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات كما دلت عليهم آية فاطر: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[فاطر:٣٢].

والمحسن من المؤمنين أو المسيء من المؤمنين نرجو أن يعفو الله جل وعلا عنهم، ونخاف علىٰ المسيء منهم، والعفو عفو الرَّحمٰن جل وعلا عن العبد وعدم مؤاخذته بفعله هٰذا قد يكون منَّةً وتكرُّمًا منه جل وعلا في غير الشرك به ﷻ، وقد يكون بسبب، فأما ما كان منه منة وتكرما جل وعلا معنىٰ منة يمن علىٰ من يشاء يعني ابتداء منه ﷻ بدون أن يفعل العبد سببا يحصّل به ذلك، والله جل علا وعد بل توعَّد أن لا يغفر الشرك به فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[1] فما دون الشرك يغفره سبحانه لمن يشاء منة وتكرُّمًا منه جل وعلا، وأما ما كان بسبب فالعلماء نظروا فيما جاء فيه الدليل في الكتاب والسنة في الأسباب التي تكون رافعةً لأثر الذّنب؛ لأنَّ الذنب إذا وقع من العبد فلابد من حصول الجزاء عليه، قال جل وعلا: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾[النساء:١٢٣]، ولما نزلت هٰذه الآية شقَّ ذلك علىٰ المسلمين مشقة عظيمة، فعرف ذلك منهم عليه الصلاة والسلام فخرج عليهم وقال: «**سدِّدوا وقاربوا فما يصيب المسلم**» أو كما جاء في الحديث «**فما يصيب المسلم من مصيبة كانت كفارة له حتىٰ في النكبة ينكبها وحتىٰ الشوكة يشاكها**» رواه مسلم في «الصحيح»، فقوله عليه الصلاة والسلام «**من يعمل سوءا يجزىٰ به**» دل علىٰ أن هناك ما يكفر الله به هٰذا السوء الذي حصل من العبد وأنه لا يجازىٰ به بل ترفع يرفع الجزاء بسبب من الأسباب، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[الشورىٰ:٣٠]، يعني ما أصاب العبد من

---

(١) سورة: النساء؛ الآية (٣٨، ١١٦).

مصيبة في دنياه فهو بسبب ذنب عمله فتكون كفارة له ويعفو الله جل وعلا عن كثير من الذنوب التي حصلت من العبد.

**إذا تبين ذلك**، فالأسباب هٰذه التي يكفِّر الله جل وعلا بها الخطايا أو يمحو بها أثر السيئات ويرفع بها أثر الإساءة علىٰ ثلاثة أقسام:

**القسم الأول**: أسباب يفعلها العبد.

**والقسم الثاني**: أسباب من المؤمنين للواحد منهم.

**والثالث**: أسباب من الله جل وعلا ابتداء منه ﷻ.

**القسم الأول** وهو ما يمحو الله جل وعلا به أثر الذنوب والسيئات من فعل العبد هٰذا ثلاثة أنواع:

**النوع الأول**: التوبة والتوبة مأمور بها إجمالا وتفصيلا قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾[التحريم:٨]، هٰذا إجمالًا، كل مؤمن حتىٰ الصالح حتىٰ الأنبياء مأمورون بالتوبة، كان عليه الصلاة والسلام يقول: «**إني ليغان علىٰ قلبي وإني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة**» وكان يحسب له عليه الصلاة والسلام في المجلس الواحد يتوب إلىٰ جل وعلا مائة مرة، وقال سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾[النور]، فالتوبة مأمور بها سواء كان العبد مسددا أو كان دون ذلك.

فأعظم الأسباب التي يفعلها العبد لمحو السيئات عنه التوبة، فمن فعل سيئة مهما كانت حتىٰ الكفر والشرك فإن الله جل وعلا يمحو أثره بالتوبة إليه ﷻ، قال جل وعلا بعد أن ذكر أصناف الكبائر في سورة الفرقان: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ٧١﴾.

**ضابط التوبة** تاب بمعنىٰ رجع، هناك ثلاثة ألفاظ متقاربة لكن المعنىٰ يختلف بدقة: آب تاب ثاب، وتشترك في الأصل من أنها فيها رجوع آب يعني رجع آيبون تائبون تشمل هٰذه وهٰذه، فآب رجع، أو أواب كثير الرجوع، تواب أيضا كثير الرجوع؛ لكن تواب أو تاب من شيء سيئ فعله، وأما آب فهو رجوع مطلق سواء مما يسوء أو مما لا يسوء، وثاب مختص أيضا برجوع خاص.

إذن التوبة رجوع، رجوع إلىٰ الله جل وعلا بطلب محو تلك السيئات.

فإذن هي توبة **ورجوع إلىٰ الله جل وعلا بطلب محو السيئات**، هٰذا هو السبب الأول، وهي أعظم الأسباب قال جل وعلا: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[الزمر:٥٣]، أجمع العلماء علىٰ أن هٰذه الآية نزلت في التائبين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ يعني لمن تاب. طبعا التوبة تفصيل الكلام عليها وشروطها إلىٰ آخره يطلب من موضعه.

**السبب الثاني** مما يفعله العبد ويمحو الله جل وعلا به أثر الذنب الاستغفار، والاستغفار هو طلب المغفرة، والمغفرة معناها ستر أثر الذنب؛ لأن الذنب إذا وقع من العبد فلابد أن يوجد أثر ذلك الذنب، وهو إما أن يكون العقوبة عليه؛ يعني أن يعاقب العبد علىٰ ذنبه في الدنيا أو في القبر أو في الآخرة، وإما أن تقع عليه مصيبة يكفّر الله بها العبد ذنبه، وإما أن يخزىٰ بذنبه لهم في الدنيا خزي والعياذ بالله -اللّٰهمَّ إنا نعوذ بك من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة-، الخزي يقع بسبب الذنوب.

فإذن الذنب إذا وقع من العبد فله أثره الكوني وأثره الشرعي الذي يحصل ولا بد؛ إلا إن عفا الله جل وعلا منة منه وتكرما.

إذا استغفر العبد طلب غفر الذنب، طلب أن يُستر هٰذا الذنب، فلا يخزىٰ به وأن يستر أثر الذنب فلا يؤاخذ به، وهٰذا قرين التوبة، لهٰذا جاء في عدة آيات اقتران التوبة والاستغفار؛ لأن الاستغفار مثل التوبة في الأمر بها والحض عليها، قال جل وعلا: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾[نوح]، وقال جل وعلا: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾[هود]، الاستغفار صار قبل التوبة من جهة أنه طلب مباشرة طلب أن يمحىٰ الذنب؛ لأن أثر الذنب لو أخرت طلب المغفرة فقد يقع الأثر سريعا ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ يعني أن التوبة تكون بعد الاستغفار من الذنب، ولهٰذا النبي ﷺ كان يقدم طلب المغفرة علىٰ طلب التوبة فقال: «**ربي اغفر لي وتُبْ علي**»، «**أستغفر الله وأتوب إليه**».

التوبة والاستغفار نظر فيها بعض العلماء وذكرها الشارح عندكم تبعا لابن تيمية بأن التوبة والاستغفار من الألفاظ التي إذا اجتمعت تفرقت وإذا تفرقت اجتمعت، اجتمعت تفرقت أن التوبة علىٰ ما ذكرت لك من تعريفها والاستغفار علىٰ ما ذكرت لك من تعريفه علىٰ أن الاستغفار طلب ستر الذنب، والتوبة هي طلب محو الذنب رجوع في طلب محو الذنب، إذا تفرقت فالمستغفر تائب والتائب مستغفر.

**السبب الثالث** من العبد: الحسنات التي تمحو السيئات، والله جل وعلا قال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾[هود]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**» فالحسنة تمحو السيئة، ففعل الحسنات يمحو الله جل وعلا به السيئات؛ لكن هل كل حسنة يمحو الله جل وعلا بها كل سيئة؟

الجواب ليس كذلك؛ بل السيئة لها ما يقابلها من الحسنات التي تختص بها، والسيئات أيضا منها ما يبطل الحسنات التي تقابلها.

الأول مثل أن الأعمال السيئة الكبيرة مثل الإفساد في الأرض بالشرك بالله جل وعلا أو بقتل النفوس هٰذه ذنوب عظام يكفرها الجهاد في سبيل الله جل وعلا، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾[الصف] الآية.

الكبائر لها ما يقابلها، فإذا كانت الكبيرة بالسرقة وأخذ المال من غير حله وبالربا ونحو ذلك فيقابلها من الكفارات الصدقة، إذا كان كبائر الذنوب من جهة أعمال البدن فيقابلها الصيام والصلاة ونحو ذلك، إذا كانت من جهة المال يقابلها الزكاة والصدقات وأشباه ذلك.

فإذن الحسنات من حيث الجنس يمحو الله بها السيئات، والسيئات قد يفعل الله سيئة تبطل معها حسنة كان يعملها، ويُستدل لذلك لما رُوي بأن زيد بن أرقم تعامل بالعينة أو باع شيئا بأجل باع فرسا له بأجل بثمانمائة درهم ثم اشتراه ممن باعه عليه بست مائة فربح هٰذا الفرق، فلما بلغ عائشة ذلك قالت: أعلموا زيدا أنه أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ. وهٰذا اجتهاد من عائشة رضي الله عنها ، الحديث فيه ضعف معروف يعني إسناده لا يصح؛ لكن استدل به بعض أهل العلم مثل ابن تيمية ووجهه بأن هٰذا الفعل وهو حصول الربا

مقابل للجهاد، فوقوع التبايع بالعينة هٰذه قابلت بها عائشة فعل الجهاد.

ولهٰذا جاء في الحديث اقتران ترك الجهاد بالتبايع بالعينة، جاء فيما صح عنه عليه الصلاة والسلام الحديث الذي في السنن وفي غيرها «**إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر وتركتم الجهاد**» فقرن بين هٰذا وهٰذا، فهٰذا الأصل يدل علىٰ أن الحسنات مكفرات للسيئات، وعلىٰ أن بعض السيئات قد تبطل بعض الحسنات؛ يعني تكون في مقابلتها من جهة عظم السيئة حتىٰ أنها تبطل أو في معنىٰ تبطل يعني في الميزان تكون مقابلة لها في عظم الذنب تلك حسنة كبيرة وهٰذا ذنب عظيم فتكون هٰذه مقابلة لهٰذه إذا وضعت في الميزان.

الحسنات يكفِّر الله جل وعلا بها السيئات مثل ما ذكرنا في الآيات هٰذه أفعال العبد.

**القسم الثاني** ما يفعله العباد؛ يعني ما يفعله المؤمنون لإخوانهم يكفر الله جل وعلا به السيئات، وهٰذا يجامع الرجاء، فعقيدة أهل السنة والجماعة أن العبد يرجو لنفسه ويخاف علىٰ نفسه، فيعمل الأسباب التي لنفسه من الرجاء والخوف الذي ذكرنا الاستغفار والتوبة والحسنات، وكذلك يرجو لإخوانه ويخاف علىٰ إخوانه، فيعمل الأسباب التي تنفعهم فيما رجا لهم، ويعمل الأسباب التي تنفعهم فيما خاف عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ونحو ذلك.

ما يفعله العباد ثلاثة أنواع أيضا:

[السبب الأول] الاستغفار والدعاء للمؤمنين[1]... ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾[غافر] إلىٰ آخره هٰذا دعاء للملائكة.

وكذلك دعاء المؤمن للمؤمن في خارج الصلاة أو في الصلاة هٰذا نافع له ومن الأسباب التي يكفر الله جل وعلا بها خطايا المؤمن فتدعو لإخوانك المؤمنين، فتدعو لفلان المعين المذنب، هٰذا يمحو الله جل وعلا به السيئات.

السبب الثاني إهداء القرب وعمل العبادات عن المؤمن، وهٰذه تشمل الصدقة عن الغير، أو عمل العمل الصالح إهداء ثوابه للغير، أو أن يعمل العبادة التي تدخلها النيابة مما جاء في السنة، ويجعلها لغيره مثل الصيام والحج والصدقة ونحو ذلك، هٰذه يأتي مزيد تفصيل الكلام عليها عند قول الطحاوي: (**وفي دُعَاءِ الأَحْياءِ وَصَدَقَاتِهم مَنْفَعَةٌ لِلأَمْوَات**).

الثالث من هٰذه الأنواع الشفاعة إما في الدنيا أو في الآخرة، فشفاعة المؤمن لإخوانه المؤمنين نافعة له وأصل صلاة الجنازة لأجل دعاء المؤمن والشفاعة له، ولهٰذا جاء في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**ما من مسلم يصلي عليه أربعون من أهل الإيمان إلا شفَّعهم الله فيه**» وفي لفظ آخر قال: «**كلهم يشفعون له إلا شفّعهم الله فيه**» والشفاعة تحصل في الدنيا وتحصل أيضا في الآخرة، فشفاعة الأب لأبنائه والابن لوالده ونحو ذلك والعالم لأحبابه وأهل القرابة لقراباته أو للمؤمنين. ومن ذلك؛ بل أعظم شفاعة النبي عليه

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط السابع والعشرين.

الصلاة والسلام لطوائف من أمته.

**القسم الثالث** الأسباب التي من الله جل وعلا وهي أربعة:

**الأول** وهو أعظمُها وأجلها مغفرة الله جل وعلا لعبده ابتداءً منة منه وتكرّما، الله جل وعلا من علىٰ عبد بالإسلام وبالإيمان، فقد يمنّ عليه بمغفرة الآثام ابتداءً، وهٰذا خلْق الله جل وعلا وهو سبحانه يثيب من يشاء، ويغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء.

**الثاني** المصايب التي تحصُل للعبد في الدنيا، مصيبة يوقعها الله جل وعلا بالعبد، مرض فقد حبيب حَزَن هَم نقص مال يهمه ونحو ذلك مما يفنىٰ شيئا من ماله من بدنه يمرض يصاب بأشياء، هٰذه المصائب كفارات، يكفِّر الله جل وعلا بها من ذنب العبد.

قال العلماء: المصايب -مصايب بالياء ويجوز مصائب لكن الأصح مصايب أو يعني الأشهر المصايب- التي تحصل علىٰ العبد من الله جل وعلا هي في نفسها كفّارة؛ لأنها ليست من جهة العبد يعني العبد ما اختارها لنفسه الله جل وعلا ابتلىٰ به المؤمن، فابتلاه بها ليكفر الله جل وعلا بها من خطاياه، وهٰذا كما قال عليه الصلاة والسلام: «**ما يصيب المسلم من هم ولا حزن ولا وصب حتىٰ الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه**» فالهم يأتي للمؤمن هَم ضيق صدر ما يدري أيش سببها، أو يبتلىٰ بشيء يضايقه في صدره أو يهمه ويصبح في غم أو في هم، هٰذا سبب لأنه خروج عما يسعد العبد وابتلاء من الله جل وعلا العبد فهٰذا سبب من أسباب كفارة الذنوب، كذلك المصايب في النفس أو في الولد أو في المال أو نحو ذلك.

هٰذه المصايب كفارة هل يؤجر عليها؟ أو هي كفارة بشرط؟ المصايب كفارة بلا شرط بإطلاق، من وقعت عليه مصيبة فالدليل دل علىٰ أن الله يكفر بها من خطاياه، والحمد لله علىٰ فضله وتكرمه ومنته؛ ولكن قد يؤجر علىٰ المصيبة وقد يأثم علىٰ المصيبة، وذلك إذا صبر أو تسخط، فإن صبر أجر وإن تسخط أثم.

**فإذن المصيبة في نفسها كفارة فإن صار مع المصيبة صبر فهٰذا أجر، وإن صار مع المصيبة تسخط فهٰذا إثم.**

**الثالث** العذاب الذي يحصل علىٰ العبد في البرزخ؛ يعني في القبر يكون علىٰ العبد ذنب من الذنوب أو ذنوب كذا فيعذبه الله جل وعلا في القبر ثم يوم القيامة لا يدخله النار.

**الرابع** ما يكون في عرصات القيامة من المصايب والأمور العظام التي قد يبتلي بها الله بعض عباده فيكون في ذلك كفارة لهم.

فهٰذه عشرة أسباب فرّقها الشارح وقسمتها لك في ثلاثة من العبد، وثلاثة من المؤمنين لإخوانهم المؤمنين، وأربعة من الله جل جلاله وتقدست أسماؤه.

**المسألة السادسة**: قول الطحاوي: (وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ) يعني لا نشهد للمحسن بالجنة، وكذلك لا نشهد للمسيء بالنار، فلا نشهد لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله ﷺ، وهٰذه الجملة يأتي تفصيل الكلام عليها عند قول الطحاوي: (وَلاَ نُنَزِّلُ أَحَداً مِنْهُم جَنَّةً ولا نارًا).

**المسألة السابعة**: في قوله: (وَلَا نُقَنِّطُهُمْ) التقنيط هو كاليأس أو التأييس من رحمة الله جل وعلا، بمعنىٰ

أن يقول القائل هٰذا ذنب كيف يغفر الله جل وعلا لك أو يستعظم أن يعفو الله جل وعلا عن فلان، وهٰذا قد يكون في بعض من أحواله من كبائر الذنوب، والواجب علىٰ المؤمن تجاه نفسه وإخوانه المؤمنين أن يفتح عليهم باب الرجاء إذا أقبلوا تائبين، وأن يفتح عليهم باب الخوف إذا كانوا مفرِّطين، إذا كان مقيم علىٰ لهوه، مقيم علىٰ ذنوبه علىٰ كبائره علىٰ آثامه فتعظه بالخوف، ولا تقنطه ولا تفتح له الأمل لأن فتح باب الرجاء له في هٰذه الحال يزيد من فعله للذنوب، وهٰذه من المهمات لأهل الدعوة والخطباء وأئمة المساجد إلىٰ آخره في أن الناس إذا رآهم صالحين وعندهم تشدد يفتح لهم باب الرجاء وباب السهولة، كما قال عليه الصلاة والسلام لما أذن باللعب في المسجد قال: «**لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة**» لأن اليهود في شريعتهم ثَم تشديد وآصار وأغلال وُضعت عليهم أو وضعوها علىٰ أنفسهم.

وأما إذا رآه صاحب خوف وبكاء وكثرة بكاء من خوف الله جل وعلا وكثرة الخوف من أن الله لا يغفر ذنبه، ودائما يلاحظ ذنبه ويلاحظ كبيرته هٰذا يفتح له باب الرجاء.

فإذن الواجب هو ما قال أن **لا نأمن علىٰ المحسن وأن لا نقنّط المسيء** فهٰذه عقيدة وأيضا يتبعها عمل.

**المسألة الثامنة**: قوله: (نَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ) قوله: (بِرَحْمَتِهِ) هٰذا كما ذكرتُ لك في أوله بأنه لن يدخل أحد الجنة بعمله بل ثَم إلا عفو الله جل وعلا ورحمته. الله جل وعلا وعد من عمل صالحا بأن يدخله الجنة جزاء بما عمل، قال سبحانه جزاء بما كانوا يعملون: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾[الزخرف].

فالجنة يدخلها العبد بالعمل؛ لكن الباء هٰذه ليست باء المقابلة إنما هي باء السببية؛ يعني بسبب ما كنتم تعملون، فالعمل الصالح للعبد وأعلاه توحيد الله جل وعلا والبراءة من الشرك وأهله والكفر بالطاغوت هٰذا العمل الصالح هو أعظم الأسباب التي يدخل الله جل وعلا بها العبد للجنة.

أما المقابلة فإن الجنة وما فيها من النعيم وما أعطىٰ الله العبد من النعم في الدنيا؛ بل ما منّ عليه أصلا من الهداية لا يستحق الجنة بالمقابلة؛ لأن حصول الهداية للعبد منة من الله جل وعلا وتكرّم ولو ترك العبد ونفسه لما اهتدىٰ ولاحترزته ولاحتوشته الشياطين بهٰذا الجنة لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله جل وعلا كما قال هنا: (نَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ).

إذن أهل السنة والجماعة يقولون: إن دخول أهل الجنة للجنة بسبب الأعمال الصالحة، وإلا فإن الدخول برحمة الله جل وعلا لما دل عليه قوله عليه الصلاة والسلام: «**لن يُدخل أحدا منكم الجنة عملُه**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضلا**».

وأما المعتزلة وأهل إنفاذ الوعيد فيرون أن دخول الجنة يكون بالعمل مقابلة؛ لأن الله سماه أجر كما يقولون والأجر يقتضي المقابلة.

نكتفي بهٰذا، نقف عند هٰذا أسأل الله جل وعلا لنا ولكم التوفيق والرشد والسداد والعفو من السيئات والرحمة والرضوان.

**[الأسئلة]** نجيب علىٰ سؤالين في الدرس:

سؤال (٣١٤): هل جاء في الأثر أن الرجل إذا فعل معصية ولم يتب قبل ست ساعات فإنه يكتب عليه

ذنب وإن تاب بعدها فلا ذنب عليه؟

الجواب: جاء في تفسير قول الله جل وعلا: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[ق]، أن العبد المؤمن إذا فعل سيئة قال الملك الموكل بالكتابة: انتظروا فلعله يتوب أو يفعل حسنة لمحوها، هٰذا جاء في الأثر لكن ما أستحضر صحة ذلك.

بارك الله فيكم سؤال واحد وفيه الكفاية إن شاء الله.

سؤال (٣١٥): حديث «من فاتته العصر.. » هل هو صحيح، وما معناه؟....

**الجواب**: هو في صحيح مسلم، هٰذا اختلف العلماء فيه، الظَّاهر منه أنّ قوله: «**من فاتته العصر قد حبط عمله**» يعني خرجت عن وقتها؛ يعني أخرجها عن وقتها كلها، يعني بعد المغرب، «**حبط عمله**» يعني العمل الذي يقابل هٰذه الصلاة من الخير، مو مطلق العمل كل عمل صالح؛ لا.

من أهل العلم من قال: العمل الذي هو عمل الصلاة ولو صلاها لأنها حابطة.

لكن الظاهر أن المقصود يحبط منها بهٰذه السيئة ما يقابل هٰذا العمل، وش هو.. والله أعلم.

**السائل**: الحديث الآخر في الرواية الأخرىٰ «وتر أهله وماله» كيف يوجه؟

**الجواب**: يعني هٰذا الذنب الذي عمله من عظمه كأنه فقد أهله وماله، يعني لو فقد ماله واهله كان أهون. نسأل الله العافية.

سؤال (٣١٦): الفتوىٰ التي انتشرت في مسألة استحلال الربا، يعني بعض العلماء قالوا: الربا حلال، أو الفوائد البنكية؟

**الجواب**: من قال الربا حلال فهو كافر، الفوائد فيها خلاف الخلاف فيها قديم، وأوَّل من أباحها فيما أعلم الشيخ محمد عبده المصري، ولم يؤلِّف فيها لكن ألف فيها الشيخ محمد رشيد رضا رسالة معروفة مطبوعة بعنوان الربا والمعاملات المالية، ذكر في إباحة الفوائد وليس الفوائد فقط، حتىٰ القروض التي فيها فائدة إذا كان المسألة ما فيها ظلم، إذا كان ما فيها استغلال للضَّعيف، قالوا: لأن الله جل وعلا علل التحريم بالظلم فقال: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾[البقرة].

وربا الجاهلية كان فيه استغلال لحاجة الضعيف؛ لكن إذا كان ترك المال للبنك فيه قوَّة له، البنك ترك المال له فيه قوة، كون بنك يعطيه لا لاستغلال حاجتك، إنما فيه أنه أعطاك لقاء عمله بالمال، أو أقرض قروض ليست لاستغلال الحاجة إنما هي للإنتاج، للاستثمار، مصانع إلىٰ آخره.

محمد رشيد رضا كتب فيه كتاب «الربا والمعاملات المالية في الإسلام»، فيرىٰ أن هٰذه كلها ما فيها ظلم من الغني الذي هو صاحب البنك للمستثمر صاحب المال، وإنما هٰذه فيها إعطاء وإعانة له فليست محرمة.

وهٰذا قال مجموعة من المصريين ومجموعة من علماء سوريا كثير أخذوه.

لهٰذا نقول مسألة الفوائد البنكية هٰذه القول بإباحتها قولٌ ضعيف، والأدلة تشمل هٰذا وهٰذا، والتَّعليل بعدم الظلم والجواب عن هٰذا يطول، وقول الجمهور؛ جمهور أهل العلم وعامة أهل العلم من عدم إباحتها؛ لكن معرفتك للخلاف يفيدك في عدم الدخول في التكفير، لأن الذي يكفَّر ما هو؟ هو ما أُجمع

عليه وهو ربا الجاهلية؛ يعني يعطيك قرض مثل ما قال قتادة ومجاهد وجماعة، يعطيك قرض حسن، ثم إذا أتىٰ وقت السداد قال له: جاء وقت السداد إما أن تقضي وإما أن تُرْبِي، يكون هٰذا من الغني للفقير لاستغلال الحاجة هو يعرف أنه ما يستطيع، هٰذا فيه ظلم وفيه استغلال هٰذا المجمع عليه وهو ربا الجاهلية الذي جاء فيه النص. هٰذا من أباحه فهو كافر، يعني إباحة ذلك كفر.

أما المسائل الثانية ربا القروض وربا الاستثمار والفوائد فهٰذه ما فيها تكفير فيها صواب وغلط.

هٰذه مهمة، مثل شيخ الأزهر لما أباحها هو مسبوق، كلامه فيها أضعف من كلام رشيد رضا، رشيد رضا أصَّلها تأصيل يعني فيه شبهة.

«وكل قرض جر نفعا فهو ربا» حديث يقولون : لا يصح.

سؤال (٣١٧): من ذكر من العلماء لفظ (الحد) لله وما معناه؟

الجواب: الحد لله جل وعلا يريدون به أنَّ الله ﷻ غير مختلطٍ بخلقه، فاللهُ جلَّ وعلا قالوا بحد؛ يعني أنه غير مختلطٍ بالخلق يعني غير ممازج لخلقه؛ لأنه لو كان ممازجًا ما صار فيه حد؛ لكن بحد يعني ثم حد ينتهي إليه الخلق، الخلق ينتهُون فيه حد ينتهون إليه ويبقىٰ رب العالمين، هٰذا معنىٰ بحد.

هو أوضح المسائل تطبيقًا؛ يعني استوىٰ علىٰ عرشه قال: بحد؟ قال: نعم بحد، مثل ما قال سفيان وغيره وحماد بن سلمة، بحد يعني أنه مستوٍ علىٰ عرشه بذاته جل وعلا، غير ممازج لخلقه غير مخالط لخلقه، هٰذا معنىٰ بحد، قال: نعم، بحد؛ يعني غير مخالط منفصل، قالوا: نعم بحد؛ يعني فيه حد ينتهي الخلقُ إليه، فيكون ما بقىٰ إلا رب العالمين.

سؤال (٣١٨): ...

الجواب: ... المهم يكون عالما.

...

لا، ما يعرفه ما يصلح، لابد يكون عالما معروفا، موش عارفه شخصًا، هو يعرف أنه عالم، ليس جاهلًا، مثلا: اثنين تقابلا، واحد هٰذا أقام عليه، لا يكفي، لابد يكون عالما.

وهٰذه تختلف إقامة الحجة تختلف، فيه مسائل التي يمكن أي واحد -المعلوم من الدين بالضرورة- هذا أي واحد يقيمه، لكن المسائل الخفية التي فيها شبه.

أصول الاعتقاد؟

أصول الاعتقاد مختلفة.

سؤال (٣١٩): هل من درس اللغة العربية ينطبق عليهم حكم العجم؟

الشيخ: من اي ناحية.

من ناحية فهم الألفاظ والمعاني.

الجواب: العلماء لا ينطبق عليهم، العلماء الذين درسوا اللغة ودرسوا النحو وهو عالم يعرف العقيدة ودرس هٰذا القرآن كافي في حقه؛ لأنه مفرط كونه ما عرف، لكن العوام وما العوام هؤلاء يحتاجون إلىٰ بيان.

سؤال (٣٢٠): تكفير المعين، آحاد الناس ما يكفّرون أحدا؟ فقط التكفير يقتصر على العلماء والقضاة؟

**الجواب**: يعني في المسائل التي تحتاج إلىٰ إقامة الحجة، لكن المعلوم من الدين بالضرورة، يعني مثلا واحد قدامك قال: الخمر حلال هٰذا يكفّر؛ لأن هٰذا ما يحتاج إلىٰ استدلال، لكن تجيء المسائل الخفية أو المسائل التي تحتاج إلىٰ إقامة حجة، المسائل الخفية يعني النادرة أو التي تحتاج إلىٰ إقامة حجة، لابد من إزالة الشبهة من عالم أن يحكم؛ لكن المعلوم من الدين بالضرورة الذي ما يحتاج إلىٰ استدلال أصلا، وهٰذه فيها تفصيل تختلف باختلاف البلاد والأماكن، المسائل هٰذه تطبيقية...

بذكر شيخ الإسلام لما قال:...

شيخ الإسلام كلامه صحيح، حتىٰ هو يقول، أنا أقول للمخالفين لو قلت بما تقولون به لكفرتُ؛ لأنه عنده العلم الواضح، يقول للمخالفين لو قلت بما قلتم به لكفرت، فهٰذا أصل مهم.

...إيش معنىٰ تكفير الشافعي؟ ...

ما كفر عينا ، كفرتَ، يعني ما حكم عليه بالردة، كفرت يعني هٰذا من باب الوعيد، لكن ما حكم عليه بالردة في نفسه، يعني قال هٰذه التي قلتها كفرتَ بها، كفرتَ بقولك هٰذا، لا تعني أنك كفرت جعل هٰذا الكفر مستديمًا معه أنه خرج من الإسلام به هٰذه لابد من إقامة الحجة، لأنه إذا كان اكتفىٰ بذلك وأقام الحجة عليه خلص يصير مرتدا.

فإذن ظاهر كلام ابن تيمية الذي قلته الآن أنه يقول أن الشافعي ما حكم عليه بالردة، هو قال: كفرت من باب الوعيد. قال: مقالتك مقالة كفر؛ لكنه ما حكم عليه.

....

والله كلام ابن تيمية ما يساعد هٰذا، ما يساعد أنه يكفّر.

سؤال (٣٢١): ....

الجواب: لا، التسخط معروف، التسخط منافي للصبر: باللسان؛ تكلم باللسان، أو الجوارح يضرب، أو في قلبه يظن الظن السوء بالله جل وعلا.

التسخُّط له ثلاثة، الصبر له ثلاثة موارد، كذلك التسخط له ثلاثة موارد، تسخط بالقلب، تسخط باللسان، تسخط بالجوارح.

سؤال (٣٢٢): ...

**الجواب**: هو غلط كلامه، كلام الطحاوي ما هو صحيح، إذا كان أراد به: بأي ذنب، ما نكفره بأي ذنب حتىٰ يستحله، يدخل فيه الشرك بالله، يدخل فيه السجود للأوثان، مسبة النبي ﷺ، ومسبة الله، غير صحيح، وظاهر السياق هو أراد مخالفة الخوارج والمعتزلة الخوارج والمعتزلة كلامهم في أيش؟ في الكبائر العملية، لذلك بذنب يعني من الذنوب العملية أو بمجرد ذنب أو بكل ذنب.

سؤال (٣٢٣): في باب القدر، أحيانا من يصاب بمصيبة يقول قدر الله وما شاء فعل، وأحيانا تصيبه مصيبة بسبب فعل الإنسان، مثلا استعجل في بعض أسبابها مثلا باع شيئا واستعجل في بيعه، ثم اكتشف

أنه.. ثم جلس يقول يا ليتني ما فعلته يا ليتني ما سويته، هل هٰذا ....

**الجواب**: أولا الرضا له جهتان:

- الرضا بفعل الله جل وعلا؛ بتصرف الله في ملكوته هٰذا واجبٌ.
- والثاني الرِّضا بالمصيبة بالذنب، الرضا بفقد المال، الرضا بالمرض.. هٰذا مستحب، وليس كل أحد يقدر عليه.

فالرضا بقضاء الله جل وعلا الرضا بفعل الله ﷻ، تصرف الله في ملكوته يعني حيث هو من فعل الله جل وعلا ما نسخط تصرف الله في ملكوته؛ لكن يسخط المصيبة لكن هو جل وعلا ما شاء فعل، هٰذا ملكه وهو عبد من عباده؛ لكن إذا نظر إلىٰ المصيبة سخطها إذا نظر إلىٰ المرض سخطه، فهٰذا مستحب أنه يرضىٰ بالمصيبة.

ولهٰذا المسائل هٰذه ذكر جل وعلا يعني مسائل الرضا قال ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[الحديد]، قوله هنا في كتاب وقدر و﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ هٰذا تعليق عدم اليأس وعدم الفرح يعظم ويوجد بقوة إذا قوي إيمان العبد بفعل الله.

المقصود الواجب هو الرضا بفعل الله، أما الذي يسميه العلماء الرضا بالقضاء كون الله جل وعلا قضىٰ علىٰ الشيء، أما المقضي المصيبة المقضي ما هو واجب مستحب، يختلف فيها الناس، ناس رضاها دائم وناس يرضىٰ لها ساعة وساعة ما يرضىٰ، يختلف الناس، والله المستعان.

سؤال (٣٢٤): ...

الجواب: الرداء هٰذا ما فيه شيء، الرداء سنة لباسه، ويستر وفيه وقار، وهو لباس ليس بزينة، بعض الناس لو لبس البشت يعني مشخّص، ما له علاقة، فيه أنواع منه يكون ما تصلح في كل مكان.

لباس الشهرة الأصل فيه أنه اللباس الوضيع، هٰذا الأصل فيه، «**من لبس ثوب شُهرة ألبسه الله ثوب مذلة**» أصل تفسير العلماء له أنه الثوب الوضيع يلبسُه اللابس حتىٰ يُعتقد فيه، يعتقد فيه أنه زاهد ويترك الملذات إلىٰ آخره، ويُلحق به من جنسه من عموم اللفظ اللباس النَّفيس الذي يَشتهر به الإنسان.

يشتهر به كيف؟ يعني ما هو لباس طبقته، ما هو لباس مجتمعه، ليش تلبسه، لذلك أصل السنة في اللباس النبي ﷺ ما خالف العرب، لبس لباس العرب، ما أحدث له لباسا جديدا، كان العرب تلبس إزار ورداء فلبس إزارا ورداء، كانت العرب تلبس سراويل وقميص، لبس عليه الصلاة والسلام السراويل والقميص، السراويل الواحد يقال له: سراويل، والجمع سراويلات، وسروال غلط.

كانت العرب تلبس القميص وحده وعليه الرِّداء فلبس النبي ﷺ القميص وعليه الرداء، نحن لباسنا القميص وعليه الرداء، هٰذا الثوب يقال له القميص وعليه الرداء، هٰذه سنة.

النبي ﷺ كان له رداء للوفود، كان له بردة حمراء يلبسها للوفود؛ يعني يختلف، ليس في كل حال، يلبس اللبس دائما في نفس المستوىٰ دائما.

الشهرة تختلف باختلاف الأماكن وباختلاف الأشخاص.

سؤال (٣٢٥): توصي به الأئمة؟

الجواب: عند الصلاة، إذا جاء يصلي يلبسه والله طيب، لأن الإنسان في الصلاة قد يكون له هيئة قد يكون له شكل في جسمه، ما هو بطيب، ستر، الرداء والبشت ستر، ليس تجملا، منب اب الستر.

سؤال (٣٢٦): .....

الجواب: أنا قلت: أنه يكفر؟ من قال: ليس بالإمكان أبدع مما كان. أنه يكفر، قد يكفر به إذا عنىٰ شيئا إذا عنىٰ ليس بالإمكان أبدع مما كان أن الله جل وعلا لا يقدر أن يخلق أجمل من هٰذا الكون، هٰذا كفر؛ لأن هٰذه الكلمة قد يقولها القائل تحتمل شيئا صحيحا وقد يقولها تحتمل معنىٰ باطلا.

أما إذا قال: ليس في الإمكان أبدع مما كان يعني وجود هٰذه الطبيعة ما يمكن يكون فيه أحسن منها، ما يمكن الله أن يخلق أجمل من هٰذه. أعوذ بالله، الله تعالىٰ علىٰ كلّ شيء قدير.

سؤال (٣٢٧): «لا يدخل الجنة قاطع رحم» لا يدخلها مطلقا يعني؟

**الجواب**: يعني لا يدخلها أولا؛ بل هو متوعد بالعذاب علىٰ قطعه الرحم حتىٰ يُطهَّر هٰذا من أحاديث الوعيد.

سؤال (٣٢٨): الفخر بالأحساب هل يلحق بالطعن في الأنساب في الكفر؟

**الجواب**: لا، هٰذا فعل جاهلي، هو فقط من خصال الجاهلية وليس كفرا، هٰذا من خصال الجاهلية منها ما يصل إلىٰ أنها كفر؛ يعني من جهة أنها ذنب عظيم.. إلىٰ آخره، ومنها من الخصال التي تركها واجب التفاخر مثل التَّطاول.

ما دام أنَّه مسلم تحقق التوحيد عنده فليس جاهلي، هٰذه خصلة، قد يأتيه خصلة تكون من خصال الجاهلية مثل ما قال الرسول ﷺ لأبي ذر: «**أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية**»، لما قال له: يا ابن السوداء، فقد يكون في المسلم خصلة من خصال أهل الجاهلية، خصلة واحدة، خصلتين، ثلاثة، عشرة؛ لكن ما يقال: فلان جاهلي، جاهلي معناه أنك سلبت عنه الإسلام، فيك جاهلية فخر بالأحساب الطعن بالأنساب تقول فيك جاهلية هٰذا صحيح.

سبحانك اللّٰهمَّ وبحمدك[1].

---

(١) انتهىٰ الشريط السابع والعشرون.

## الدرس الرابع والثلاثون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

أسأل الله جل وعلا لي ولكم العفو العافية والمعافاة الدَّائمة في الدُّنيا والآخرة.

ربنا نعوذ بك من الضلال بعد الهدىٰ، اللّٰهمَّ فوفقنا إلىٰ ما فيه رضاك.

[الأسئلة] نجيب عن بعض الأسئلة:

هٰذه كلُّها في التكفير، هٰذه اجمعوها بعد ما يتم الكلام علىٰ مسائل الإيمان والكفر في الطَّحاوية، إذا أتممنا كل الكلام نعرضها.

سؤال (٣٢٩): هل يجوز قضاء الفوائت من السنن الراتبة كمن نسي راتبة الظهر أو المغرب مثلا، فهل له أن يصليها إذا ذكرها، استدلالًا بعموم قول النبي ﷺ: «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها» وهٰذه من الصلاة؟

**الجواب**: أن الرواتب اختلف العلماء في مشروعية قضائها علىٰ أقوال:

**القول الأول**: أنه يشرع قضاؤها مطلقا؛ يعني الفوائت من الرواتب تقضىٰ مطلقا، سواء أكان في وقت نهي أم كان في وقت غير نهي، وسواء كانت ركعتي الفجر أم كانت راتبة الظهر أم غير ذلك، وهٰذا قال به طائفة من السلف من المتقدمين.

**القول الثاني**: أن الرواتب يُشرع قضاؤها جميعا في غير وقت النهي، وأما وقت النهي فإنه لا يشرع قضاء راتبة فاتت، وذلك أن الأصل عندهم أن الراتبة تطوّع فات وقته، ولما كان كذلك فإن قضاءه يكون في وقت يؤذن فيه بالتطوع، وأوقات النهي -حتىٰ علىٰ القول بأن ذوات الأسباب يشرع فعلها أو يجوز فعلها في وقت النهي- فإنهم لا يُدخلون هٰذه الصورة في ذوات الأسباب أو أكثرهم لا يدخل هٰذه الصورة؛ وذلك لأنها محددة بوقت وقد فات الوقت، والقضاء فيه سعة، فمن فاته الوقت فقضاء صلاة تطوع فيه سعة فيقضيها في وقت لا نهي فيه، ومن دليلهم علىٰ ذلك أن النبي ﷺ كان إذا فاته وِرده من الليل قضاه ضُحًىٰ ولم يقضه بعد الفجر الذي هو وقت نهي، وإنما كان يقضيه عليه الصلاة والسلام ضحًىٰ، وكان هٰذا دليلا علىٰ أن المشروع أن يقضيه في وقت لا نهي فيه، وعُورض قولهم بأن النبي ﷺ لما فاتته راتبة الظهر البَعدية لشُغل شغله قضاها بعد العصر وداوم علىٰ ركعتين بعد العصر، قالوا: فهٰذا يدل علىٰ جواز القضاء في وقت النهي، والنبي ﷺ فِعله لا يحمل علىٰ التقصير إلا بدليل، وقولهم هٰذا أو هٰذا القول دليل قول الطائفة الأولىٰ.

وعمر رضي الله عنه لما رأىٰ جماعة يصلون بعد العصر حصبهم ونهرهم وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا صلاة بعد العصر حتىٰ تغرب الشمس**»، فقوله: «**لا صلاة**» هٰذا يدل علىٰ عموم النهي؛ لأن هٰذا نفي و(لا) دخلت علىٰ الجنس وتكون نافية للجنس والنفي هنا المراد به النهي، فأفاد قوله: «**لا صلاة بعد العصر حتىٰ تغرب الشمس**» أفاد أن عموم الصلوات لا تفعل بعد صلاة العصر حتىٰ تغرب الشمس؛ لأن نفي الجنس يفيد العموم فيه.

**والقول الثالث**: هو أن قضاء الصَّلوات الرواتب -كراتبة الفجر وبقية الرواتب- لا يشرع منه في القضاء إلا راتبة الفجر فقط فهي التي يشرع قضاؤها، وما عدىٰ ذلك فإنه ما فات وقته فإنه انتهىٰ، انتهىٰ وقت قضائه ووقت أدائه، ولا يشرع القضاء لتطوع إلا بما دلّ عليه الدليل، والدليل دل علىٰ قضاء ركعتي الفجر دونما سواه؛ لأن النبي ﷺ لما نام عن صلاة الفجر مع الجيش قام وركع ركعتي الفجر يعني الراتبة ثم أمر بلالًا فأقام فصلىٰ فريضة الفجر، فدل علىٰ أن راتبة الفجر تُقضىٰ.

وهٰذا القول الثالث قوي من حيث الدليل ومن حيث القواعد أيضا والتنظير؛ لأنّ الراتبة جعل منها ما هو قبل الصلاة ومنها ما هو بعد الصلاة المكتوبة، فما كان قبل الصلاة معناه أن وقت القبلية ما بين الأذان إلىٰ إقامة الصلاة، وما بعد الصلاة معناه أن وقت البَعدية ما بعد الفراغ من الصلاة إلىٰ خروج وقت تلك الصلاة؛ وقت الاختيار والاضطرار، وهٰذا هو الأصل في التوقيت؛ لأنه جاء أن الصلاة منها قبلية ومنها بعدية، والتفريق هٰذا يدل علىٰ أن ثمة توقيت؛ لأنه لو لم يكن ثمة توقيت لكانت الرَّواتب مطلقة دون تحديد؛ يعني عشر مثلا اثنا عشر بدون أن يقال قبل ولا بعد، فلمّا حدد القبلية والبعدية دلت علىٰ أن ذلك وقتٌ لها.

وهٰذا القول قواه ابن قدامة -فيما أذكر- في «المغني»، وقواه جماعة من أئمة أهل الحديث، ولكن المفتىٰ به أو الذي عليه جمهور أهل الفتوىٰ هو القول الثاني وهو أن القضاء مشروع في غير وقت النهي، قضاء الفوائت مشروع بغير وقت النهي؛ لأنها تطوّع وباب التطوع واسع.

أمّا قوله: (استدلالا بعموم قول النبي ﷺ: «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها») وهٰذه من الصلاة، فالعموم هنا، لأن الصلاة نكرة جاءت في سياق الشرط فتدل علىٰ العموم؛ لكن العموم هنا مراد به خصوص الفرائض لا مطلق الفرائض والنوافل، وذلك بأن سياق الحديث يدل عليه في قصة نوم النبي ﷺ عن صلاة الفجر.

سؤال (٣٣٠): أقضي حاجتي من البول، وبعد الوضوء أرىٰ أنه ينزل قطرات قليلة من البول وبعض الأحيان في الصلاة؟

**الجواب**: هٰذا له حالان:

- إما أن يكون نادرا.
- وإما أن يكون دائما معتادا له.

فإذا كان معتادا فهٰذا سلس بول، يتوضأ لكل وقت صلاة بعد دخول الوقت، ثم يتحفَّظ من أن يصيب البول ملابسه ثيابه بمناديل أو بقطن أو نحو ذلك، ويصلي، ويكون في حكم من حدثه دائم.

وأما إذا كان نادرا فإنه إذا خرج منه هٰذا البول فإنه يتوضأ؛ لأنه حدث.

ومن العلاج له أن المرء يتأنَّىٰ، بعض الناس إذا تبول يستعجل، وخاصة في الشباب يكون الدفع عندهم -دفع البول- قوي، فربما ما خرج كل البول، لهٰذا يتأنَّىٰ حتىٰ يخرج جميع البول براحة.

سؤال (٣٣١): هل هناك فرق بين فهم الحجة والاقتناع بالحجة؟

**الجواب**: هٰذا مرّ معنا الجواب عليه وهو أن فهم الحجة الذي لا يُشترط في إقامة الحجة هو الاقتناع،

كونه اقتنع أو لم يقتنع هٰذه ليس شرطا؛ لكن المهم أن تقام عليه الحجة بوضوح وبدليل؛ لأنه إذا قلنا بشرط الاقتناع معنىٰ ذلك أنه لا يكفر إلا المعاند، والأدلة دلَّت في القرآن والسنة علىٰ أن الكافر يكون معاندا ويكون غير معاند، يكون مقتنعا وأحيانا يكون غير مقتنع عنده شبهة لا زالت عنده ولكن لم يتخلص منها لأسباب راجعة إليه.

سؤال (٣٣٢): ما حكم استعمال الحقن التي تضخّم العضلات علما بأن استعمالها يؤدي إلىٰ العقم وموت الجهاز التناسلي أعزّكم الله، وهٰذا يفعله بعض أهل الرياضة؟

الجواب: هٰذه المسألة تحتاج إلىٰ تأمل ونظر فنبحثها إن شاء الله مع العلماء لعله يكون فيه فائدة.

سؤال (٣٣٣): ما الدليل علىٰ أخذ جبريل عليه السلام القرآن من الله تعالىٰ مباشرة، لا من اللوح المحفوظ وأن الله كلمه به؟

الجواب: الدليل علىٰ ذلك أن الله جل وعلا نسب القرآن وأضاف القرآن إلىٰ نفسه تكليما به قال جل وعلا: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٦]. ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ فسمَّاه كلاما له جل وعلا، وقال ﷻ في ذكر جبريل: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي في القرآن وجبريل ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء].

ودلّ علىٰ أن هٰذا التنزيل تنزيل سماع لا تنزيل كتابة قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح «**إذا قضىٰ الله الوحي في السماء سمع له كجر سلسلة علىٰ صفوان..**» إلىٰ آخر الحديث، فيكون جبريل أول من يفيق فيقولون: ماذا قال ربكم؟ لا، فتفيق الملائكة فينفث ذلك فيهم.(١)

«**إذا قضىٰ الله الوحي في السماء برزت الملائكة بأجنحتها في السماء خضعانا لقوله فينفذهم في ذلك**» يعني إلىٰ قوله «**فتقول الملائكة: ماذا قال ربكم؟ فيقول جبريل عليه السلام: الحق وهو العليّ الكبير**» فالوحي يسمعه جبريل عليه السلام ثم يبلغه النبي عليه الصلاة والسلام.

وأما قول من قال من الأشاعرة: إنه يأخذه من اللوح المحفوظ، فهٰذا ليس بصحيح، وليس من أقوال أهل السنة البتة؛ لأن ما في اللوح المحفوظ من القرآن هٰذا مجموع علىٰ جهة الكتابة، والقرآن له جهتان:

- جهة سماع.
- وجهة كتابة.

جهة كلام من الله جل وعلا يُسمع. وجهة كتابة.

وجهة الكتابة هي ما في اللوح المحفوظ من القرآن بأجمعه من أوله إلىٰ آخره، وجبريل عليه السلام لا ينتقي هٰذه الآية يأخذها وينزلها في الوقت المحدد، ثم يأخذ الآية الأخرىٰ وينزلها في الوقت المحدد، وإنما هو وحي الله جل وعلا.

---

(١) روىٰ أبو داود: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّماءِ لِلسَّماءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَىٰ الصَّفَا فَيُصْعَقُونَ فَلاَ يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عن قُلُوبِهِمْ، قال فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الْحَقَّ، فَيَقُولُونَ: الْحَقَّ الْحَقَّ».

قال سبحانه: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾[المجادلة:١]، قالت عائشة رضي الله عنها: سبحان الذي وسع سمعُه الأصوات، فقد جاءت المجادلة تجادل رسول الله ﷺ وأنا في حجرتي لا أسمعها. وهٰذا مصيرٌ من عائشة رضي الله عنها إلىٰ أن الله جل وعلا سمع ذلك منها فقال: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾.

المقصود من ذلك أن تنزيل القرآن تنزيل سماع، أما الكتابة فهي موجودة في ثلاثة أشياء:

١. موجودة في اللوح المحفوظ كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾[الواقعة]، وقال جل وعلا: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾ [البروج]، هٰذه **الأولىٰ**.

٢. **والثانية** في الكتابة ما هو موجود في بيت العزة في السماء الدنيا، وهٰذا علىٰ القول بصحة أثر ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك.

٣. **والثالث** المكتوب في المصاحف التي بين أيدي المسلمين.

هٰذه ثلاثة كتابات، والكتابة ليست تكليما وإنما هي كتابة، وحيثما وجد فاللوح المحفوظ أو في بيت العزة أو في المصاحف كله كلام الله جل وعلا ينسب إلىٰ الله جل وعلا أو يضاف إلىٰ الله جل وعلا إضافة صفة إلىٰ موصوف.

سؤال (٣٣٤): ما توجيه من قال من أهل العلم بكفر تارك الصلاة تكاسلا وتهاونا لحديث «فإن الله حرّم علىٰ النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» وحديث صاحب البطاقة؟

الجواب: الأحاديث التي فيها الاكتفاء بالتّوحيد أو بكلمة التوحيد في النجاة ودخول الجنة هي كغيرها من الأحاديث، المقصود مع اجتماع الشروط الأخرىٰ، مثل مثلا الصلاة «**لا صلاة إلا بطهارة**»، «**لا صلاة إلا بوضوء**» معنىٰ ذلك أنه إذا أتىٰ بالوضوء فصلىٰ فإن صلاته صحيحة؛ لكن هل معنىٰ ذلك أنه يتوضأ ويصلي دون بقية الشرائط؟ لا.

فالوضوء هو أعظم شروط الصلاة فلذلك نُصَّ عليه.

كذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «**الحج عرفة**»، «**من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة**» يعني أن هٰذه أعظم الأركان التي تكون بها صحة العبادة.

وهٰذا هو قول أهل السنة في هٰذه الأحاديث سواء حديث من قال: «**لا إلٰه إلا الله دخل الجنة**» أو «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» أو نحو ذلك؛ يعني مع اجتماع غيرها؛ لكن حديث البطاقة فيه تفصيل آخر ذكرناه في شرح كتاب التوحيد.

سؤال (٣٣٥): ما شاء الله هٰذا سؤال طويل، يقول: عندي سؤال مهم جدا السؤال هو: لقد كثر الكلام في موضوع التعزية لأهل الميت والجلوس لتقبل العزاء، وقد سألت أحد كبار العلماء في هٰذا البلد الطيب وقال: لا بأس أن يحدد يوم ويُجلس للتعزية، ودليله في ذلك أنه لما جاء خبر جعفر رضي الله عنه ظهر في

وجه الرسول ﷺ الحزن وجلس وتقبّل العزاء من الصحابة ولكن بدون صنع الطعام، ولكن قال: لا بأس بالشاي والقهوة والماء.

وقد عارض هٰذا الكلام أحد طلبة العلم، وقال: لا يجوز الجلوس للعزاء وهٰذا من البدعة والنياحة، ودليله الحديث الذي في البخاري[1]: (كنا نعدّ الجلوس بعد الدفن وصنع الطعام من النياحة).

فنرجو من فضيلتكم البيان والتفصيل في هٰذا الموضوع لأنه حصل مشاكل وخصومات بين طلبة العلم والعامة في ذلك؟

**الجواب**: النياحة علىٰ الميت من خصال الجاهلية، وقد صحَّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**ثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في الأنساب، والنياحة علىٰ الميت**»، والنِّياحة علىٰ الميت من خصال أهل الجاهلية؛ لكن المُهم ما هي صورة النِّياحة؟

**صورة النياحة** الذي عليه تفسير السلف لها -أعني الصحابة-: أن **النياحة لها صور ولكن من صورها في الاجتماع علىٰ العزاء أنها ما جمعت شيئين**:

**الأول**: أن يكون **هناك اجتماع للعزاء عند أهل الميت وجلوس طويل عندهم**.

**الثاني**: أن يكون هناك **صنع للطعام من أهل الميت** لإكرام هؤلاء، والتَّباهي بكثرة من يمكث إظهارا للمصيبة لهٰذا الميت.

وهٰذا هو الذي قاله أبو أيوب رضي الله عنه ورحمه قال: كنا نعد الجلوس إلىٰ أهل الميت وصنعهم الطعام من النياحة.

فالنياحة هي ما جمعت الأمرين معا: الجلوس وصنع الطعام.

أما الجلوس للتعزية فقط، فهٰذا ما أعلم أن أحدا من السلف قال: إنه من النياحة وحده، أو أنه نهىٰ عنه؛ بل جاء في «صحيح البخاري رحمه الله»[2] أنّ عائشة رضي الله عنها: كان إذا مات لها ميت اجتمع النساء عندها، فإذا أتىٰ وقت الطعام أمرت بالبرمة فأُصلحت فشربوا منها أو أكلوا منها. يعني العدد القليل أقارب عائشة رضي الله عنها وهٰذا يدلّ علىٰ أن الاجتماع والجلوس إذا لم يصحبه منكرات أُخر فإنه لا بأس به.

---

(١) بل هو في «مسند الإمام أحمد» بلفظ: حدّثنا عبد الله، حدّثني أبي، ثنا نصر بن باب، عن إسماعيل، عن قيس، عن جرير بن عبد الله البجلي، قال: كنا نعد الاجتماع إلىٰ أهل الميت، وصنيعة الطعام بعد دفنه، من النياحة.

وفي «سنن ابن ماجه» بلفظ: حدّثنا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ. قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ. حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ. ح وَحَدَّثَنَا شُجَاعُ بْنُ مَخْلَدٍ، أَبُو الْفَضْلِ. قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ قَالَ: كُنَّا نَرَىٰ الِاجْتِمَاعَ إِلَىٰ أَهْلِ الْمَيِّتِ، وَصَنْعَةَ الطَّعَامِ، مِنَ النِّيَاحَةِ.

قال الشيخ الألباني في «أحكام الجنائز»: إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين وصححه النووي [في المجموع] والبوصيري في الزوائد.

(٢) عن عائشةَ زوج النبيّ ﷺ «أنها كانت إذا مات المَيْتُ من أهلِها فاجتمعَ لذَلك النساءُ ثمّ تَفَرّقْن -إلا أهلَها وخاصّتَها- أمرَت ببُرْمَةٍ من تَلْبينةٍ فطُبِخَت، ثمّ صُنِعَ ثريدٌ فصُبّتِ التّلْبينَةُ عليها ثم قالت: كلنَ منها، فإنّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: التّلبينة مَجمّةٌ لفؤاد المريض، تَذهَبُ ببعضِ الحُزْن». وهو لفظ البخاري.

والعلماء من أئمة أهل السنة والحديث حينما نَهوا نهوا عن الأمرين مجتمعين، وقالوا: إنَّ السنَّة هو عدم الجلوس، عدم الجلوس للعزاء؛ لكن أن يكون الجلوس نياحةً دون صنع الطعام هٰذا لا ينبغي أن يقال به، ولا أن يُنسب إلىٰ أحد من الأئمة أو من الصحابة أو من التابعين.

**الجلوس أُختلف فيه وحده،** هل يجوزُ -يشرع- أو لا يشرع وحده؟ أما كونه من النياحة فهٰذا لا يكون من النياحة إلا إذا اجتمع معه صنع أهل الميت الطعام تفاخرا تكاثرا، وهؤلاء عندهم كل يوم الميت هٰذا ما أكثر الذين يحبونه، انظر كيف البيت الذي فيه، كل يوم ويذبحون وكذا والسُّفُر قائمة تظاهرا وتفاخرا، وهٰذا هو الذين كان عند أهل الجاهلية.

**أما الجلوس جلوس أهل الميت للعزاء هٰذا اختلف فيها أهل العلم:**

والجمهور علىٰ أن السنة أن لا تُخَصَّ بجلوس: لا لثلاثة أيام ولا لسبعة أو يوم، وهٰذا باعتبار الزّمن السابق؛ يعني باعتبار أزمانهم أو القرىٰ أو الأماكن التي يمكن حصول سنّة التعزية إذا لم يجلس المعزَّىٰ، ليش؟ لأنه في السابق في البلد إذا ما جلس في بيته هو بيجلس في السوق أو يجلس في المسجد؛ يعني البلد قريبة يمكن أن يجده في الضحىٰ، يجده في العصر؛ يعني معروف المكان وهو قريب، أما إذا كان عدم الجلوس، سيترتّب عليه فوات سنة التعزية فإن الوسائل لها أحكام المقاصد شرعا.

ولذلك الذين لا يجلسون ممن رأيناهم -أخذا بفتوىٰ بعض المشايخ في هٰذه المسألة-، الذين لا يجلسون يفوت علىٰ الناس أن يعزُّوهم وأن يواسوهم في مصيبتهم، هو في عمله، هو عند صديقه، هو في السوق، هو راح، ما يُعرف أين هو.

بل بعضهم يتعمد الخروج من البيت حتىٰ لا يجلس، وهٰذا كله مخالف للحق؛ لأن التعزية مشروعة والوسائل لها أحكام المقاصد؛ فإذا كان الجلوس للتعزية ليس معه منكر وليس معه نياحة أو صنع للطعام من أهل الميت، فإن هٰذا من باب الوسائل لها أحكام المقاصد.

وحديث البخاري الذي ذكرت لك من اجتماع النساء عند عائشة يدلّ علىٰ ذلك، والمرأة الأصل فيها ألا تخرج، الأصل في المرأة أن لا تخرج فيأتي المعزي يعزي عائشة وحدها، فكون النساء اجتمعن عند عائشة يدل علىٰ أن الاجتماع دون صنع الطعام للمعزِّين أنه لا بأس به.

هٰذه مسألة مهمة في هٰذا الأمر، فمن شدّد فيها من أهل العلم قوله يخالف الأصول التي ذكرتُ لك من السُّنة، ومن القواعد، ومن فهم معنىٰ النياحة عند أهل الجاهلية.

والذي رأيناه من علمائنا في هٰذا البلد وفي غيره حتىٰ علماء الدعوة من قبل أنهم كانوا يجلسون؛ لأنه لا تكون المصلحة إلا بذلك، إذا فات ذلك فاتت التعزية سنة التعزية لا يسوغ أن تفوت.

في الرياض مثلا -في المدن الكبار- كيف ستجد من تعزيه؟ لن تجده، يصيب الناس حرج، ستفوت التعزية، سنة التعزية ستفوت لأجل أن لا يحصل الجلوس.

الجلوس في نفسه مختلَفٌ فيه، ثم من قال بأن الجلوس لا يُشرع -يعني التعبد بالجلوس وهو أن يكون الجلوس سنة-، يقول: أجلس مع أن البلد صغير البلد مكانين ثلاثة، يجلس لأنه يخشىٰ أن يكون جلوسه وسيلة للنياحة.

فإذن هٰذه المسألة مهمة وهي راجعة إلىٰ: هل الجلوس له صفة النياحة صفة أهل الجاهلية أم لا؟ كيف تكون له صفة أهل الجاهلية؟ إذا كان الجلوس واضح فيه نَوْح، واضح فيه تفاخر، واضح فيه كثرة؛ مثل ما يفعل فيه بعض القبائل أو بعض البادية ونحو ذلك ليس جلوس للعزاء، وإنما هو جلوس لإظهار الفخر والخيلاء بكثرة أن يَقْدُم للتعزية بوفاة هٰذا الميت.

أما الجلوس بمجرده -يعني دون نياحة- فلا بأس به.

فإذن النياحة التي جاءت في السنة التي قالها الصحابة هي ما يجمع أمرين -هي التي كان عليها أهل الجاهلية- فيجتمعون يتفاخرون بكثرة الجمع، ثم يصنع أهل الميت الطعام، (كنا نعدّ الاجتماع إلىٰ أهل الميت وصنعهم الطعام من النياحة)، اجتمع النَّاس إليهم وصنعوا الطعام فصار نياحة؛ لأنه المقصود منه إظهار الفخر والنَّوح علىٰ فَقْد هٰذا الرّجل.

...السائل: لازم تجلس في منزلك أو في أي محل؟

في أي محل، المقصود يعرفونه الناس؛ لكن ما يكون في المقبرة؛ لأن المقبرة ليست مكان للتعزية، ليست مكان للجلوس.

السائل: ...

إذا كان أهل البيت لا بأس، لا يكون المعزين يجتمعون عشرين ثلاثين، خمسين، صار تفاخر بالكثرة، إذا كان أهل البيت، ما جرت به العادة فلا بأس.

سؤال (٣٣٦): الإعلان في الجرائد هل يعتبر نياحة؟.

الجواب: الإعلان في الجرائد هٰذا يسمىٰ نعي، ليس نياحة، النياحة غير النعي، النعي مكروه كراهة شديدة، وبعض العلماء حرّمه؛ لكن النعي المحرم هو التفاخر؛ يعني ذكر محاسن الميت علىٰ وجه التفاخر قبل دفنه أو بعد دفنه.

لكن من أعلم الناس بموت الميت للصّلاة عليه دون ذكر أمجاده أو ذكر فضائله أو نحو ذلك فهٰذا ليس نعيا منهيا عنه.

ويدل علىٰ ذلك ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ نعىٰ إلىٰ الصحابة النجاشيَّ في اليوم الذي مات فيه، وقال: «**صلوا علىٰ أخيكم أصحمة فإنه قد مات**» فصلىٰ بهم وكبّر عليه أربعا يعني صلاة الغائب.

فالصحابي عبّر بأنه نعىٰ، نعىٰ يعني أخبر بموته تأسُّفا، فإذا كان النعي وهو الإخبار بالموت تأسُّفا لأجل الصلاة عليه فلا بأس إخبار من يصلي عليه، أما التفاخر أو ذِكر لأجل الاجتماع للعزاء ونحو ذلك، والعزاء في بيت فلان فهٰذا من النعي المنهي عنه.

سؤال (٣٣٧): من المعلوم أن الدرس عزيز علينا ونحن حريصون عليه أشد الحرص، فلو كان هناك وقت آخر للدرس أي تكرار الدرس أكثر من مرة في الأسبوع، أو أن يكون إلقاء الأسئلة يكون له يوم مستقل وذلك حتىٰ نستفيد من أكثر وقت الدرس؟

الجواب: تكرار الدرس ما هو ممكن، الأسئلة أصلا نحن ما نلقي أسئلة يعني في الأصل في السنة الماضية والتي قبلها، كثير من الإخوة قالوا: نحن نصلي في مساجدنا وبعضهم إمام ومؤذن فأجعل أسئلة حتىٰ

نأتي، هٰذا أصل مشروعية الأسئلة، ثم اليوم نطوّلها لأجل الإجابة ونؤخر الدرس للأسبوع القادم، العلم بعضه متصل ببعض.

سؤال (٣٣٨): ما حكم الصّدىٰ المستخدم في المساجد هٰذه الأيام؟

الجواب: الصّدىٰ إذا كان فيه تكرار للحروف فإنه لا يجوز؛ لأنك تسمع القرآن بزيادة علىٰ حروفه، تسمع الحرف مرتين، تسمع الكلمة مرتين، هٰذا لا يجوز، وقد يكون من التحريف أو من الزّيادة في القرآن عن طريق الجهاز.

أما إذا كان الصدىٰ لتحسين الصوت دون مبالغة ودون سماع أحرف وكلمات، فهٰذا قد يدخل في عموم قوله عليه الصلاة والسلام: «**ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن**»، وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «**حسنوا القرآن بأصواتكم**»، وكذلك سماعه عليه الصلاة والسلام واستماعه لأبي موسىٰ الأشعري وأذنه له وهو يقرأ، قال أبو موسىٰ لما أعلمه النبي ﷺ بحسن قراءته: لو علمت بك يا رسول الله لحبَّرته لك تحبيرا. يعني لحسَّنته لك أكثر.

فإذن الوسائل هٰذه الجديدة إذا كانت لا تجعل القرآن مختلف إنما هي وسيلة للتأثير في القرآن، فأصل وضع المكرفون إنما هو لإسماع القرآن، وضع اللاقط هٰذا وضعه في المسجد، والإمام، اللاقط نفسه إذا الإمام أساء استخدامه فإنه ينهىٰ عنه وقد يكون بعضهم يأثم للرّياء، أو يأثم لما هو أكثر من ذلك؛ وهو أنه إذا كان عنده المقصود هو هٰذا اللاقط، بعضهم ينحرف عن القبلة إلىٰ اللاقط أو يميل جسمه إلىٰ اللاقط ثم بعد إذا أراد أن يركع تحرك حركة ليست من مصلحة الصلاة، هٰذا يُنهىٰ عنه.

فإذن هٰذه الوسائل إذا أخذت بقدرها وإسماع القرآن دون زيادة فهٰذا مشروع لا بأس به لعموم الأدلة، أما إذا كان فيه الصدىٰ في التكرير في الحروف تكرير الكلمات، فهٰذا يسمع الواحد القرآن وهو ليس القرآن، يسمع النون كذا مرة، في بعض الآيات يختلف المعنىٰ في بعض الآيات إذا تكرر الحرف اختلف المعنىٰ، تحوّل، فيسمع السامع الآخر الآية بخصوصها يسمعها والمعنىٰ مختلف.

سؤال (٣٣٩): ما حكم مسح الرأس أكثر من مرة واحدة؟

الجواب: يعني في الوضوء، لا يشرع مسح الرأس أكثر من مرة واحدة؛ لأن الذين نقلوا وضوء النبي عليه الصلاة والسلام كما في حديث عثمان رضي الله عنه وكذلك في حديث غيره، نقلوا أنه مسح برأسه، فذكروا التثليث في غسل الوجه والتثنية في بعض الروايات في غسل الوجه، وذكروا التثليث في غسل اليدين، وذكروا التثليث في غير ذلك في غسل الرجلين ولم يذكروا التثليث في مسح الرأس.

فدل علىٰ أن المشروع في مسح الرأس أنه واحدة؛ لكن روىٰ أبو داود في «السّنن» أن النبي ﷺ في حديث حُمران عن عثمان «**أنَّ النبي ﷺ مسح برأسه ثلاثا**»، وهٰذه في سنن أبي داود شاذة لمخالفتها للروايات الكثيرة في ذلك.

والحافظ ابن حجر قال: وإن صحت فإنه يُحمل علىٰ أنه قسم مسح رأسه ثلاث مرات؛ أي ما مسحه جميعا ثلاث مرات قال: هٰذه الرواية التي في أبي داود تُحمل علىٰ أنه قسم مسح رأسه ثلاث مرات؛ يعني قال هكذا واحدة وهكذا واحدة والجنبين لها واحدة يعني مثلا، هٰذا يعتبر واحدة وهي من جهة المسح

ثلاث؛ لكن ليست لعموم الرأس، جعل مسح واحدة فقسمه أثلاثا، هٰذا علىٰ القول بصحتها؛ لكن ليست بصحيحة.

سؤال (٣٤٠): قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء]، ما المقصود بالمعصية هل هي الصغائر أم الكبائر أم الشرك؟

**الجواب**: المعصية هٰذه توعّد الله جل وعلا عليها بدخول النار والخلود فيها والعذاب المهين هو الكفر بالله جل وعلا والشّرك الأكبر والرِّدَّة عن الإسلام والعياذ بالله، هٰذا الذي يترتب عليه ذلك.

والكبائر والصغائر داخلة في عموم المعصية ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ﴾ يدخل فيها الكبائر والصغائر؛ لكن قوله: ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾ هٰذا يدلُّ علىٰ أنَّ هٰذه المعصية هي المعاصي التي لا يدخلها التكفير، وهي الكبائر إن مات مصرًّا عليها ولم يتُب؛ يعني ولم يشأ الله جل وعلا أن يغفر له والكفر والشرك كما ذكرتُ لك.

إذن فالآية فيها الكبائر التي لم يتب منها مثل القتل مثل شرب الخمر ونحو ذلك، هٰذه إذا مات المسلم وهو يفعلها ولم يتُب منها فإنه تحت المشيئة إن شاء الله جل وعلا عفا عنه وإن شاء عذّبه، وهٰذا يدخل في العذاب.

﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾ الخلود في القرآن نوعان:

- خلود أبديٌّ.
- وخلود أمديٌّ.

خلود في اللغة واستعمال القرآن علىٰ ذلك أن **الخلود معناه المكث الطويل** إذا مكث طويلا قيل له خالد، لذلك العرب تسمي أولادها خالدا تفاؤلا بطول المكث، بطول العمر، سموه خالدا؛ لأنه سيعمر عمرا طويلا، وليس معنىٰ الخلود يعني أنه خلود ليس معه انقطاع، وإنما هٰذا يميز بالأبدية.

لهٰذا في الآيات ثم آيات فيها ﴿أبدًا﴾، وثم آيات ليس فيها الأبدية، فلما جاء في القتل قال: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾[النساء:٩٣]، أجمع أهل السنة علىٰ أن الخلود في هٰذه الآية ليس أبديًّا لأن مرتكب الكبيرة يخرج من النار بتوحيده.

والآيات التي فيها الخلود الأبدي واضحة كقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾[البينة]، لا، الآيات متعددة ما استحضرتها الآن(١)، فإذن الخلود نوعان في القرآن.

---

(١) وردت في ثلاث مواضع وهي: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾[النساء]. وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾[الأحزاب]. ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾[الجن:٢٣].

شيخ الإسلام ابن تيمية له بحث في هٰذا، لكن لا يسلّم له.[1]

سؤال (٣٤١): ...المصلي وهو يصلي فردّ عليهم إشارة؟

الجواب: لا، المصلي لا يشرع السلام عليه، السلام يشرع إلا في عشرة أحوال ذكرها العلماء، ومنها أن يكون المسلم يصلي، فإنه لا يشرع ابتداؤه بالسلام؛ لكن لو سلم أحد علىٰ المصلي فهل يرد عليه أو لا يرد إلا بعد الصلاة؟ اختلف العلماء علىٰ قولين:

القول الأول: أنه لا يرد إلا بعد الصلاة.

والثاني: أنه يرد في الصلاة إشارة لأن النبي ﷺ لما أتاه ابن مسعود وسلم عليه قال: فردّ عليه فأشار بيده جعل باطنها إلىٰ أرض وكفها إلىٰ أعلىٰ، والذين قالوا: لا يرد، حملوا فعل النبي ﷺ هٰذا علىٰ إسكات ابن مسعود وعلىٰ ألا يكرر ذلك.

فإذن الابتداء ما يشرع؛ لكن إذا سلم عليه فرد عليه إشارة، لا بأس. في الفرض والنفل ما فيه.

يعني هٰذا ما يجب الرد عليه لكن لو رد لا بأس، فلو أخّر الرد إلىٰ بعد الصلاة فهٰذا أحسن؛ لكن لو ردّ في الصلاة إشارة لا بأس؛ يعني إذا فهم ذاك الرد، أما إذا جاءك واحد ما يفهم أن الحركة هٰذه رد، المقصود من الرد إفهام المسلم أنه رُدّ عليه «**وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها**»، إذا كان لا يفهم أن هٰذه الحركة أن الإشارة باليد أنها رد فلا يشرع بالاتفاق.

سؤال (٣٤٢): هل من قواعد الاستدلال الصحيحة الاستدلال بالحكايات والقصص بعد الاستدلال بالكتاب والسنة؟

الجواب: لا، الحكايات والقصص ليست أدلة، ليست أدلة أبدا، وإنما قد يُستأنس بها تقوية للإيمان أو تقوية للدِّلالة لما دل عليه الكتاب والسنة كشواهد؛ لكنها أدلة؟ ليست أدلة بالاتفاق.

الأدلة المتّفق عليها ثلاثة الكتاب والسنة والإجماع، والقياس عند غير الظاهرية، والأدلة المختلف فيها كثيرة يبحثها الأصوليون.

أما القصص والحكايات فليست أدلة عند أحد من الأصوليين.

سؤال (٣٤٣): هل الفتح الذي ورد عن النبي ﷺ في القسطنطينية تحقق أم بعدُ، حيث اختلفت الآراء؟

الجواب: فتح القسطنطينية تحقق في نحو سنة أي بعد الثمانمائة للهجرة تحقق، والنبي ﷺ امتدح الجيش الذي يفتح القسطنطينية فقال: «**نِعْمَ الجيش ذلك الجيش ونعم الأمير أمير الجيش**» وهٰذا الحديث حسن علىٰ الصحيح، وحسنه جماعة منهم الحافظ ابن حجر وغيره، وضعفه الألباني وجماعة؛ لكن الصواب أنه حسن، فتحت بعد سنة ثمانمائة يعني مع دولة بني عثمان.

سؤال (٣٤٤): لو قال لي شخص: أنتم يا أهل السنة والجماعة متناقضون في تقسيماتكم؛ كيف تقولون: إن الله نثبت له صفة العلو بذاته وفي نفس الوقت تقولون: إنه ينزل في الثلث الأخير من الليل. والنزول من الصفات الفعلية، فهل هٰذا إلا جمع بين نقيضين؟

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الثامن والعشرين.

الجواب: ليس أهل السنة الذين قالوا بهٰذا، الذي قاله النبي ﷺ، هو الذي أثبت العلو لله جل وعلا بذاته، وهو الذي أخبر بنزول الرّب جل وعلا في آخر كل ليلة.

فإذا كان ثم تناقض فنعيذ أن ينسب التناقض للنبي ﷺ.

وقوله: (هل هٰذا إلا جمع بين النقيضين)، هٰذه مشكلة كل مؤوّل وكل محرف هٰذا السؤال يمثل مشكلته، يعني لو قاله قائل؛ وهو أن المؤول مشبّه، ما أوَّل إلا لأنه شبَّه، قام في ذهنه أن إثبات الصفة فيه مشابهة ومماثلة لما يعلمه من اتصاف المخلوق بالصفة، ثم شبه ثم نفىٰ، ما ينفي أحد في مجال الصفات والعقائد إلا أنه شبَّه قبل، وإلا كيف أنك تنفي؟ لا تقل: إن الكيفية تعلمها أصلا أو أن الكيفية لها مماثل بما ترىٰ أو فيما رأيت، كيفية اتصاف الرب جل وعلا لا يعلمها أحد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ]، لا يعلم حقيقة اتصافه بالصفة ولا كيفية اتصافه بالصفة.

فإذا قال قائل: هٰذا يمتنع إننا نقول: أنه جل وعلا عالٍ بذاته ﷻ وأنه ينزل، يقول هٰذا جمع بين النقيضين؛ معناه أنه شبه لأنه عدَّه جمعا بين النقيضين لماذا؟ لأنه جمع بين النقيضين في حق بعض المخلوقات، وليس كل المخلوقات؛ لأنه يمكن أن ينزل المخلوق ويبقىٰ عاليًا ينزل المخلوق ويبقىٰ عاليا؛ لكن النزول مع الاستواء علىٰ العرش هٰذا من خصائص الله جل وعلا، لكن المخلوق يمكن أن ينزل وأن يكون عاليا بذاته مثل الملائكة ينزلون وهم في العلو، أما الاستواء علىٰ العرش مع النزول هٰذا خاص بجلال الله جل وعلا.

فإذن إثبات الصفات إثبات معنىٰ لا إثبات كيفية، من قال هٰذه تجمع مع هٰذه هٰذا فيه تناقض، كيف؟ هٰذا معناه انه شبه استحضر من الصفة مماثلة اتصاف المخلوق بها ثم نفىٰ. هٰذه مشكلة كل المؤولة.

سؤال (٣٤٥): أيهما أعظم جرما وذنبا الحلف بغير الله أو الزنا؟

الجواب: الحلف بغير الله كفر والزنا ليس كفرا، ومعصية سماها الله جل وعلا كفرا هي أعظم من معصية لم يسمها الله جل وعلا كفرا، وهٰذا المقصود بها من حيث الجنس؛ يعني جنس الحلف بغير الله من جنس الزنا.

لكن تطبقه علىٰ شخص لا يسوغ التطبيق، هٰذا حلف بغير الله وهٰذا زنىٰ، معناه هٰذا أبشع من هٰذا، هٰذا لا يطبق في كل نواحي الموازنة هل هٰذا أعظم أو هٰذا أعظم.

المقصود النوع أما إذا أتيت إلىٰ الأفراد فهٰذا يختلف باختلاف الأحوال.

سؤال (٣٤٦): هل الذبح أمام أو عند قدوم الضيف شرك، حيث إن بعض من ينتسب إلىٰ أهل العلم يقول: إذا كان علىٰ وجه الإكرام، يجوز ذلك؟

الجواب: الذبح إراقة الدم من أعظم القربات لله جل وعلا؛ لأن الذي أجرىٰ الدم في هٰذا المخلوق هو رب العالمين، فالدم هو الحياة، جريان الدم هو الحياة، فإراقته إنما تكون تقربا لمن وهب هٰذه الحياة ووهب هٰذه الأنعام التي ينتفع بها الإنسان.

التقرب بإراقة الدم إذا كان لمخلوق فهو كفر بالاتفاق، تقرّب بإراقة الدم لمخلوق تقرُّبًا له تعظيمًا له هٰذا كفر بالاتفاق، هٰذا شرك من جهة العبادة، فإن سمىٰ غير الله جل وعلا عليه صار مما أُهِل لغير الله به

فرجع إلىٰ الشك في الربوبية والاستعانة.

الذي يحصل عند البادية في بعض البادية أنهم إذا أرادوا أن يكرموا ضيفًا -وليس كل ضيف- الضيف الذي يعظمونه أو سلطان أو أمير أو نحو ذلك، فإنهم يذبحون الذَّبيحة ليسيل الدم أمامه وهو يرىٰ، وهٰذا جرت عادتهم أنَّ هٰذا علىٰ جهة التعظيم للقادم لا علىٰ جهة الإكرام، يكرمون أضيافهم بالذبح وراء البيت بالذبح في أي مكان؛ لكن كونه ينحر الإبل والدم يضرب بقوة والضيف يأتي، هٰذا لا يفعلونه إلا لمعظم فيهم، وهٰذا نوع تقرُّب للمخلوق بهٰذا الدم، نوع تقرب ما نقول: تقرب، ولذلك حكم العلماء علىٰ أن هٰذه الذبيحة ليست مباحة بل هي ميتة، لا يجوز أكلها، ويجب الإنكار علىٰ من فعل ذلك، سواء فعله مع سلطان أو مع أمير أو فعله مع رئيس قبيلة أو فعله مع ضيف معتاد ممن يعظم؛ يعني ليس من هؤلاء، فإنه لا يجوز الأكل منها، إذا ذبحها أمامه ضابطها أن ينحر الإبل يضرب الدم وهٰذا يدخل أمامه وهو يرىٰ لدخوله.

لكن لا يدخل في ذلك وهو جالس في المكان أو في الخيمة أو في البر، جالس وثم دعوه علىٰ الكل فصاروا ذبحوا الذبيحة وهو ينظر إليها؛ لكن الضابط هو إراقة الدم وسيلانه وهٰذا يتحرك، وهٰذا يقدم، مثل ما حصل قريبا، نسأل الله جل وعلا العافية والسلامة.

هٰذا كله محرم وكبيرة من الكبائر وبعض حالاته يكون شركا في هٰذا؛ لكن علىٰ كل حال هٰذه الذبيحة محرَّمة ميتة لا يجوز الأكل منها.

سؤال (٣٤٧): ما القول الرَّاجح في الاستثناء الذي في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨﴾[هود]، وكذلك في أهل النار؟

**الجواب**: في الجنة أوضح، الاستثناء في هٰذه الآية التي في آخر سورة هود: السلف والعلماء في التفسير وفي غيره لهم فيها أقوال كثيرة.

قال جل وعلا: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨﴾ هنا ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ الاختلاف راجع إلىٰ المراد بـ﴿مَا﴾ هنا ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ هل ﴿مَا﴾ هنا بمعنىٰ الذي؟ يعني إلا الذين شاء ربك يكونون الملائكة أو يكون الشهداء أو نحو ذلك، أو إن المراد هنا ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ أنه راجع إلىٰ الزمان.

والصحيح وغيره غير معقول ولا مقبول أيضا من جهة النظر أن الاستثناء هنا راجع إلىٰ الزمان؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ يعني من مدة دوامها، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ من مدة دوامها؛ لأن الله جل وعلا حَكَمَ علىٰ الذين سعدوا ومنَّ عليهم بأنهم في الجنة خالدين فيها ما دامت السَّمٰوات والأرض؛ يعني أهل الجنة من يدخل الجنة أهل السعادة يخلد في الجنة ما دامت السَّمٰوات والأرض يعني مدة دوام السَّمٰوات والأرض، هل كل من يدخل الجنة يكون خالدا فيها مدة دوام السَّمٰوات والأرض؟ يعني من أول ما خلق الله السَّمٰوات والأرض فهٰذا الذي سعد يكون في الجنة من أول ما خلق الله السَّمٰوات والأرض إلىٰ أن يُفني الله السَّمٰوات والأرض ويبدلها، المدة هٰذه ليست

مشغولة أهل السعادة يكونون في الجنة طول هٰذه المدة، إنما كل أحد إذا مات دخل الجنة، فهو إذن يخلد في الجنة مدة من مدة دوام السَّمٰوات والأرض.

مثلا لنفرض مدة دوام السَّمٰوات والأرض لنفرض مثلا عشرة آلاف سنة، دخل هٰذا ممن كتب الله له السعادة مات يوما ما كان قبل ذلك اليوم بخمسة آلاف سنة لدوام السَّمٰوات والأرض، وبعد ذلك اليوم بخمسة آلاف سنة، فهنا لما سُعد ومات فأدخله الله الجنة فيخلد فيها ما دامت السَّمٰوات والأرض يعني يخلد فيها عشرة آلاف سنة هٰذا ظاهر الآية ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ يعني قال في الجنة: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ يعني هم في الجنة خالدين فيها ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ يعني عشرة آلاف سنة ؟ لا، إنما يخلدون فيها المدة التي بعد وفاتهم يعني خمسة آلاف سنة، فالمدة الباقية هٰذه المدة الماضية التي لم يكونوا فيها من الجنة لأنهم لم يكونوا من الأحياء ولم يموتوا إلىٰ آخره هٰذه المدة هي المستثناة في قوله: ﴿دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ يعني من الزمن الذي لم يكونوا هؤلاء فيه من الأموات الذين يدخلون الجنة.

كل واحد، الصحابة مدة دوامهم تختلف عن مدة دوام من دخل الجنة أمس، توفي من توفي أمس من المسلمين وكتب الله جل وعلا له الجنة فهو سُعد وفي الجنة خالدا فيها ما دامت السَّمٰوات والأرض إلا ما شاء ربك، هل هنا في مدته هي مدة الصحابة؟ تختلف، ذلك له مدة أطول في الدوام ومدة أقصر في عمر السَّمٰوات والأرض، واليوم الذي مات أمس مدته في الدوام أقل؛ يعني إلىٰ قيام الساعة، ومدته فيما مضىٰ أقل.

فهٰذا القول هو الظاهر الراجح وهو الذي رجحه المحققون، وأما الأقوال الأخر ففيها بعد.

سؤال (٣٤٨): لُوحظ في الآونة الأخيرة علىٰ الشباب الملتزم الأخذ من اللحية تخفيفًا، فما حكم هٰذا العمل وما حدود اللحية، وهل يصلىٰ وراء الإمام الرسمي، آمل التكرّم بتفصيل مسألة بدعية الأسابيع المتكررة المساجد الشجرة إلىٰ آخره؟

الجواب: أما حكم الأخذ من اللحية، فحلق اللحية حرام بالإجماع نص ابن حزم علىٰ تحريم حلق اللحية بالإجماع، وكذلك غيره، وعلماء المذاهب الأربعة يختلفون في هٰذه المسألة من حيث تحريم الحلق أصْلًا.

فالذي دلت عليه الأدلة الواضحة في السنة بألفاظ مختلفة أنّ إعفاء اللحية مأمورٌ به قال عليه الصلاة والسلام: «**خالفوا المجوس أعفوا اللحىٰ وحفوا الشوارب**» وفي رواية أخرىٰ قال: «**أرخوا اللحىٰ**»، وفي رواية ثالثة قال: «**وفّروا اللحىٰ**»، وقال: «**أكرموا اللحىٰ**»، وهٰذا يدل علىٰ أنَّ هٰذه الأمور مأمور بها، وأن حلق اللحية حرام، وقد روىٰ ابن سعد وغيره أن رجلا جاء إلىٰ النبي ﷺ من المجوس، وكان حالق اللحية وكان موفّر الشارب جدًّا فانصرف عنه عليه الصلاة والسلام فلما أقبل عليه قال له: «**من أمرك أن تفعل هٰذا؟**» فأجابه الرجل، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ولكن الله أمرني أن آخذ من هٰذا**» يعني شاربه «**وأعفي هٰذه**» يعني اللحية.

إذا تقرر هٰذا، فما هو حد الإعفاء لغة وشرعا الذي يحصل به الإعفاء، وهل معنىٰ الإعفاء أنه لا يجوز

أخذ شيء من اللحية، للعلماء في ذلك أقوال:

الإمام أحمد وأصحابه ذهبوا إلىٰ أن إعفاء اللحية بترْكِها علىٰ حالها سنّة، وأنّ الأخذ منها إذا لم يكن إلىٰ حد الحلق فإنه مكروه، وهٰذا هو الذي مدوّن في مذاهبهم، الإمام أحمد كان يأخذ من لحيته كما ذكره إسحاق ابن هانئ في مسائله.

والقول الثاني وهو المُفتَىٰ به عند علمائنا وذلك لظاهر الأدلة أن معنىٰ الإعفاء ألا يؤخذ منها شيء أصلا لدليل قوله: «**وفّروا اللحىٰ**»، «**أكرموا اللحىٰ**»، «**أرخوا اللحىٰ**» وهٰذه كلُّها مأمور بها.

لكن ما هو حد الإعفاء هٰذا؟ الذين قالوا بأن الأخذ من اللحية ليس مخالفًا للإعفاء، قالوا: هٰذا الأمر، أعفوا أرخوا، خالفه الصحابة بالأخذ بما زاد عن القبضة، فدل علىٰ أن حد الإعفاء ليس مطلقا؛ يعني بأن من أخذ فقد خالف الأمر بالإعفاء.

ولهٰذا ذهب جماعة من العلماء منهم الحنفية ونصره الشيخ ناصر الدين الألباني في هٰذا الوقت نصرا بالغا بأن حدّ اللحية إلىٰ القبضة، وما زاد علىٰ ذلك فلا يشرع، وهٰذا القول فيه ضعف ظاهر؛ لأن من الصحابة من كان كث اللحية جدا وعظيمها وكانت لحيته تبلغ إلىٰ صدره، كما ذُكر عن علي ﷺ، والنبي عليه الصلاة والسلام كان كثَّ اللحية جدا ونحو ذلك مما يدل علىٰ أن الحد حد الإعفاء بالقبضة وأنه لا يجوز أن يعفي أكثر من القبضة هٰذا قول يحتاج إلىٰ أدلة واضحة في ذلك.

ولو كان أن الزيادة علىٰ القبضة لا تجوز كما ذهب إليه الشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله لما خصّ الصحابة الأخذ من اللحية مما زاد من القبضة بالنُّسك ابن عمر كان إذا حج أو اعتمر قبض علىٰ لحيته فما زاد عن القبضة أخذه، لو كان أنه مطلق ما يعفي أكثر من القبضة فمعناه أنه لا يخص بالنسك؛ لأن تخصيصه بالنُّسك هٰذا يدل علىٰ معنىٰ آخر وليس علىٰ الإطلاق.

المقصود من ذلك أن العلماء لهم في ذلك أقوال:

**القول الأول** ما ذكرته لك من المفتىٰ به عند علمائنا وهو أن الإعفاء بأنه يتركه علىٰ حالها طبعا إلا في حالة التشويه وهٰذه حالات نادرة.

**والقول الثاني** أن الحلق يحرم وأن تركها علىٰ حالها مستحب، والأخذ منها مكروه؛ يعني ترك فيه الأفضل.

**والقول الثالث** هو أن الزيادة علىٰ القبضة لا يجوز؛ بل بدعة وهو قول الشيخ ناصر الدين الألباني، وهو قول ليس له حظ من الدليل.

سؤال (٣٤٩): يقوم بعض أئمة المساجد بوضع سجادة كبيرة في مكان يسمىٰ بالروضة فوق الفرش الأساسي للمسجد يصلىٰ عليها هو ومن خلفه من المأمومين، فما حكم هٰذا العمل؟

الجواب: هٰذا أمر راجع إلىٰ ما اعتاد الناس عليه؛ لكن ينبغي التنبه إلىٰ مسألة وهي أن الصلاة علىٰ الأرض مباشرة أفضل؛ يعني الصلاة علىٰ التراب أو علىٰ الرمل أو علىٰ الحصىٰ أفضل، وهو الذي كان في زمن النبي عليه الصلاة والسلام، النبي ﷺ ربما صلىٰ علىٰ حصير مثل ما دعته أم أنس فصلىٰ علىٰ حصير قد أسودّ من طول ما لبس؛ يعني من طول ما استعمل، فلا بأس أن يصلي علىٰ ذلك لكنه خلاف

الأفضل.

فإذا تعددت الحوائل بينه وبين الأرض ازدادت الكراهة، يجعل له فأصل سجادة سجادة ثانية سجادة ثالثة ثم بعدين يجعل بشته أو يجعل غترته، أو نحو ذلك، هٰذا خلاف الأصل.

فالمشروع أن يصلي علىٰ الأرض، ولا بأس أن يصلي علىٰ فِراش أو حصير أو فَرش أو سجادة لا بأس بذلك، ولكنّه لا يتعدّد الناس يتوسعون فيه يحط واحد ويحط ثاني يسجد عليه ثم يحط ثالث.

والعلماء ذكروا أن الفاصل إذا كان منفصلًا فإنه يكره، وإذا كان متَّصلا فإنه يجوز من غير كراهة؛ يعني إذا كان متَّصلا مثلا يحط عترته بينه وبين التراب يقولون: هٰذا إذا كان متصلا فلا بأس وبعضهم يقول بالكراهة؛ لأن الصحابة كانوا يتقون أو كان منهم من يتقي الحر بطرف ردائه يعني حرارة الأرض.

أما المنفصل فهو مكروه؛ يعني الأفضل عدمه؛ لكن الناس الآن ما يمكن أننا نحط رمل أو نحط تراب أو نحط حصىٰ، هٰذا ما هو ممكن، مثلا متىٰ تطبق هٰذا رحت إلىٰ البر أو رحت إلىٰ مكان تقول: أنا بصلي جيبوا السجادة أصلي عليها، هٰذا مكان ممكن أن تصلي فيه بدون هٰذا، المكان طيب وليس فيه حصىٰ يؤذي، وليس فيه ما لا يحصل الخشوع معه في الصلاة، ليش تستخدم سجادة؟

مثله مثل خلع النعال، الصلاة في النعال سنة، النبي ﷺ صلىٰ في نعليه علىٰ أرض، يعني أرض غير مفروشة في المسجد، فأتاه جبريل مرة أن بهما قذَرًا فخلعهما فخلع الصحابة نعالهم، يأتي الآن واحد يصلي في البر يصلي علىٰ شرّاب هٰذا خلاف السنة، تصلِّي بالنعال أو بالكنادر أو نحو ذلك في المكان الذي يمكن الصّلاة فيه بذلك.

سؤال (٣٥٠): يؤذن، ولا يأتي للمكوث في مكانه إلا عند الإقامة، ويحجز المكان بسجادة؟

الجواب: هو المؤذن الأصل فيه -في السُّنَّة- أنه ليس وراء الإمام، إنما يلي الإمام أولو الأحلام والنهىٰ، كما صحّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**ليليني منكم أولو الأحلام والنهىٰ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» وكان بلال ﷺ يُقيم عند باب المسجد، لا يقيم بين يدي النبي ﷺ، يقيم عند باب المسجد حتىٰ يسمع من في السوق ومن خارج المسجد، وعليه قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا سمعتم الإقامة فلا تأتوا الصلاة وأنتم تسعون وأتوها وأنتم تمشون فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا**» بلال كان يقيم وربما دخل النبي ﷺ في الصلاة قبل فراغ بلال من الإقامة، وربما تأخر حتىٰ يسوّي الصفوف بعد فراغه من الإقامة، بلال كان يقول فيما هو في الترمذي أظن وفي غيره: يا رسول الله لا تَفُتْني بآمين. لأنّه كان يؤذن خارجا ثم يأتي، لذلك السنة أن المؤذن ما يكون وراء الإمام، ليس مكان المؤذن وراء الإمام مباشرة.

لكن قال طائفة من العلماء -ومنهم فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين- وكذلك غيره هٰذه المسألة يُرجع فيها إلىٰ العرف، ما دام أن مكان الإقامة هو مكان الأذان بوجود المكروفون لإيصال الإقامة وهٰذا المكان إنما هو وراء الإمام لأجل أن الإمام يصلي الصلاة بذلك يعني بالمكروفون في داخل المسجد، فإن هٰذا يعني أن مكانه عرفا أن يكون وراء الإمام، إذا كان المؤذن يأتي فيؤذن ثم يذهب وراء الصفوف هٰذا كان في ذلك نوع انتقاص أو نوع عدم رعاية لحقه؛ لأنه يقيم في هٰذا المكان كيف يقيم ويرجع وراء الصفوف؟ فلذلك جعل مكان له وراء الإمام لا بأس به.

ونشكو من مشكلة أخرىٰ وهو أن الإمام يتأخر بعض الأحيان ما يأتي، وبعض الأئمة ربما نابه شيء وأراد أن يقدم المؤذن، فالمؤذن في كثير من الحالات ينوب عن الإمام، وهٰذا كونه يكون وراء الإمام أدعىٰ للاستخلاف.

المقصود أنه لا بأس بذلك رعاية للعُرف في هٰذا.

سؤال (٣٥١): أسمع منكم كثيرا قولكم كثيرا: هٰذه المسألة مبسوطة في المطولات. فما المقصود بالمطولات؟

الجواب: الكتب ثلاثة أقسام في أي فن، كتب متون، ومتوسطة، ومطولات، المتون معروفة لديكم التي تحفظ مع شروحها يعتني بها المبتدئون من الطلبة.

أما المتوسطة فهي التي تكون فيها زيادة تفصيل لكن ما فيها استيعاب للمسائل والأدلة والخلاف إلىٰ آخره.

والمطولات التي يكون فيها كل شيء.

مثاله مثلا في الفقه «زاد المستقنع» هٰذا متن أكبر منه أصله الذي هو المقنع، «المقنع» يعتبر متوسط، أكبر منه «الكافي» أيضا يدخل في المتوسط يعني من مؤلفات ابن قدامة، المطول «المغني».

مثلا شروح الأحاديث، عندك مثلا «شرح العمدة» هٰذا مبتدئ، شرح «سبل السلام» و«نيل الأوطار» وما شابهها هٰذا متوسط، المطولة مثل «فتح الباري» و«عمدة القاري» «التمهيد» «الاستذكار» ونحو ذلك من كتب أهل العلم.

كذلك في العقيدة تمشي حتىٰ تأتي للمطولات من كتب شيخ الإسلام الكبار و«لوامع الأنوار» ونحو ذلك من الكتب.

كل فن فيه مبتدئ ومتوسط ومطوَّل.

نكتفي بهٰذا القدر، تعذرونا علىٰ الإجابة علىٰ الأسئلة لكن لعل فيها فائدة إن شاء الله تعالىٰ.

...

الحرم؟ الحرم ما يدخله بالنعلين، لو دخل بنعليه أنكرنا عليه، لأنه لا يجوز أن يدخل الحرم بنعليه....

التراب له شأن آخر، التراب مطهِّر، التراب إذا قابل أسفل النَّعلين طهرها غيَّر الذي فيها، إذا كان فيها سجبه، إذا فيها أذىٰ غيّر طبيعته، أما الآن المساجد المفروشة يمشي الواحد في الشارع ويدخل بالتراب هٰذا الناس يتأذون من ذلك، يدخل الحرم بنعليه وهو كان ماشي في شوارع فيها من القذىٰ وطالع من المواضي متوضئ وكلها فيها ما الله أعلم، ويدخل بها، هٰذا لا يمنعه منه.

النبي عليه الصلاة والسلام صلىٰ علىٰ امرأة كانت تقم المسجد، كانت تخرج القذىٰ من المسجد وتقمه، تشوفه ما بين الرمل والحصىٰ وتأخذه، كانت تقم المسجد تُخرج الأذىٰ، فلما توفيت وكانت امرأة سوداء افتقدها النبي ﷺ وقالوا له: يا رسول الله إنها ماتت، قال: «هلاّ آذنتموني» يعني أعلمتموني «دلوني علىٰ قبرها» فدلوه فصلىٰ عليها عليه الصلاة والسلام، ومسألة الصلاة بالنَّعلين سنة، وترك الصَّلاة بالنَّعلين سنة أيضا سنة، النبي ﷺ صلىٰ بنعليه وصلىٰ بدون نعلين.

فإذن نجعل الصلاة بالنعلين فيما تكون فيه الصلاة بالنعلين موافقًا للسنة، أما الصلاة بالنعلين مطلقًا، هٰذا ليس جيد ليس صحيحا، وترك الصلاة بالنعلين مطلقا هٰذا من جنس فعل اليهود، يعني حتىٰ في التراب ما يصلي بنعليه يخلعهما، هٰذا من جنس فعل اليهود.

والصواب هو التوسط في هٰذا الصلاة في النعلين سنة لكن في مكانه، أما الدخول في المساجد وسائل لها أحكام المقاصد، المساجد النظيفة والحرم والناس ينكرون ذلك، مثل هٰذا ما يفعل...

رجل دخل المسجد الحرام بنعليه فأنكروا عليه، فقال لهم: أنتم جهال.

... صحيح هم جهّال بالإنكار مطلقا، وهو أيضا مخطئ بالفعل مطلقا، كل منهم عليه غلط، لو فهموه بالحكم أو قالوا له: إن العلماء قالوا كذا.

وأذكر الشيخ الألباني له كلام جيد في هٰذه المسألة سمعتها قديمًا في أحد الأشرطة له كلام طيب ذكر أنه ما يجوز أن أحدا أن يدخل في الفرش؛ لأن قواعد الشريعة تمنع ذلك.

...النعال السبتية لها صفة هي موصوفة في كتب الحديث، راجعها لذلك أعضاء السجود تبحثها بحثا آخر، هل يلزم مباشرة أعضاء السجود للأرض؟

العلماء يقولون: إذا كان عدم مباشرة أعضاء السجود للأرض بمتَّصل فلا بأس؛ يعني يجعل بينه وبين الأرض رداءه فيه حر أو فيه أذىٰ أو نحو ذلك يجعل رداء لا بأس؛ لأن هٰذا متصل.

مثله النعلان يصلي بنعليه قد لا تتصل الأصابع، مثل الآن بعض الكنادر يعني تكون لها مقدمة ما تكون لينة، ما يمكن أنّ الأصابع تصل إلىٰ الأرض، هل نقول: ما باشر موضع صلاته بأصابعه، نقول ما قاله العلماء: أن المتصل له حكم العضو. هٰذا متَّصل بالرأس له حكم العضو، ما دام متصل بالرجل له حكمه، اليد جعلت عليها شيئًا أو جعلت بينها وبين الأرض بشت أو نحو ذلك فلا بأس.

سؤال (٣٥٢): ضابط الرؤىٰ، كثير من الناس يتوسع فيها، يرىٰ تخيلات ...

الجواب: الحين الناس ستعشون لحين يقولون لس، ويعدين يجون الصبح يقولون: شفت كِدَا وشفت كدا.

الرؤىٰ: إما مبشِّرات، الواحد إذا رآها يحمد الله عليها.

وإما غير ذلك فينفث عن يساره ثلاثا، ويستعيذ بالله من شرّها، ثم ينقلب إلىٰ جهة ثانية.. هٰذا الوارد.

كثرة السُّؤال عن الرؤىٰ تراه ما شاع إلا في؛ يعني كثرة سؤال النَّاس عن الرؤىٰ في كل شيء بدون تفصيل، ما يشيع إلا في أزمنة فيها ركود.

... السؤال عن الرؤىٰ مشروع، قص الرؤىٰ مشروع، بأدلة كثيرة سنة، والنبي ﷺ كان لما روىٰ مسلم في الصحيح إذا صلىٰ الصبح مكث في مصلاه ثم قال: «**هل منكم من رأىٰ رؤيا الليلة؟**» هٰذا مشروع.

لٰكِن واحد شاف يأكل والآخر شاف يشرب، والآخر شاف طار، خاصة الحريم لا يفتح لهم المجال، رؤىٰ المؤمن لا يسأل عنها؛ يعني لا يشرع أن تبحث في الأصل، كل رؤيا تراها تقول وُش تعبيرها، إذا رأيت رؤيا تسره تحمد الله جل وعلا عليها، إذا رأيت رؤيا انزعجت منها تطبق السّنة فيها الواردة في الحديث الذي يرواه مسلم أنك تنفث عن يسارك ثلاثا وتستعيذ بالله من شرها، وتغير جهتك، والله جل

وعلا يكفيك.

...

راجعة إلىٰ كلمة (**إعفاء**) ما حدّه في اللغة؟ الأقرب من حيث النّظر وفعل الصحابة أنّ الإعفاء ما له حد؛ لكن المأمور به أن لا يكون المرء مشابها للذين يحلقونها أو يقصّونها شديدًا؛ لأن النووي رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر خصال اثنا عشر أو عشر خصال في اللحية مذمومة.

ومنها أشياء يوافق عليها، ومنها الأخذ منها شديدا، وهٰذا من فعل المجوس ومنها حلقها، وهو ما فيه شك من المعاصي؛ لكن ليست كبيرة، حلق اللحية ليس من الكبائر.[1]

(١) انتهىٰ الشريط الثامن والعشرون.

## الدَّرس الخامس والثلاثون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

اللّٰهمَّ علِّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، واغفر لنا ذنوبَنا وإسرافنا في أمرنا، وثبّت أقدامنا، وانصرنا علىٰ القوم الكافرين.

أما بعد..

[الأسئلة]

سؤال (٣٥٣): فيقول: إذا كان لفظ الحَنَفِي من ألفاظ الأضداد التي تطلق علىٰ الميل والاستقامة، فلماذا لا يقال من الأصل: إن إبراهيم عليه السلام كان مستقيمًا علىٰ التوحيد ولا يقال: مائلًا عن الشرك؟

**الجواب**: لفظ (الحنف) في اللغة هو الميل، والحنيف يعني المائل، والرجل به حنف إذا كان به ميل في ساقيه أو في إحدىٰ ساقيه.

والأمور التي قال فيها العرب ونطقت العرب فيها بالأضداد؛ يعني أن تطلق الكلمة وتُستعمل في الشيء وفي ضده، هٰذا شائع في لغة العرب، وهو في اللغة يعني في اللّسان علىٰ نوعين:

- منها ما يطلق علىٰ الشيء وعلىٰ ضده وينظر فيه إلىٰ التلازم؛ بمعنىٰ أن الشيء وضده متلازمان إذا وُجد أحدهما وُجد الآخر، ومن هٰذا الحنف، فيقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾[النحل:١٢٠]، فمن مال عن الشرك فإنه لا يميل عنه إلا إلىٰ التوحيد؛ لأنه ليس ثم إلا توحيد وشرك،﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات:٥٠]، إذا فررت من الكائنات فإنَّك تفر منها إلىٰ مكوِّن الكائنات؛ لأنه ليس ثم إلا هٰذا وهٰذا.
- النوع الثاني أن يطلق بلا إرادة التَّلازم؛ بل من باب التفاؤل تارة أو من باب آخر أو من أبواب أخر تارات أخر، مثل من يسمىٰ اللَّديغ سليم، اللديغ قد تقول له سليم من باب التفاؤل، فكلمة سليم تطلق علىٰ السالم وتطلق علىٰ المريض، أُطلقت علىٰ المريض من باب التفاؤل.

وهٰذه لها تأثير في فقه اللسان العربي، فالعرب تارة تطلق من باب التلازم أو تطلق من باب التفاؤل وتارة لا من هٰذا ولا من هٰذا، في فقهٍ لهم في هٰذه الألفاظ.

إذا كان كذلك فلفظ الحنيف الذي جرىٰ عليه السؤال لا يُتصوَّر أن يكون المرء حنيفا أو حنفيا أو حنيفيا إلا أن يكون موحّدًا؛ لأنه إذا مال عن الشرك فإنه يميل عنه إلىٰ الحقِّ وهو التوحيد، حنيفٌ عن أهل الشرك مائلا عن أهل الشرك فإنه لابد أن يميل عنهم إلىٰ أهل التَّوحيد، ولو كان مَن مال إليه إبراهيم وحده فإنه مع أمَّة، وليس مع واحدٍ، وهكذا.

فإذن الأصل في هٰذه أنها من باب التلازم، الحنف من باب التلازم.

ومنها كلمة -أيضا يُطلقها أهل نجد وربّما بعضكُم سمعها، وليسوا أهل نجد جميعا وإنما أهل الدعوة عامة في أول الأمر- يقولون نحن أهل العُوجَة، ما معنىٰ العوجاء؟ العوجاء هٰذا من أسماء كلمة التوحيد أهل العوجاء؛ يعني أهل التوحيد أهل ملة إبراهيم أهل الحنيفية؛ لأنها عوجاء عن طريق الشرك إلىٰ طريق

أهل التوحيد، هٰذا هو التفسير الصحيح الذي فيها، مثل ما جاء في حديث وصف النبي ﷺ في التوراة.

سؤال (٣٥٤): السؤال الثاني يقول: كم يساوي رُبع الدِّينار في نصاب السرقة الذي كان علىٰ عهد رسول الله ﷺ ثلاثة دراهم في هٰذه الأيام؟

الجواب: نحسبها من جهة أخرىٰ: نصاب الزَّكاة الذي جاء في الذهب أنّ النصاب عشرون دينارا، عشرون دينارا تبلغ من الجنيهات من الذهب السعودية التي ضربت في عهد الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ تبلغ أحد عشر جنيها وثلاثة أسباع الجنيه، عشرون دينارا تبلغ أحد عشر جنيها وثلاثة أسباع الجنيه.

إذن الدينار أقل من الجنيه، كم يبلغ؟ احسبها؛ أربعة أسباع الجنيه، أليس كذلك؛ لأن إحدىٰ عشر وثلاثة أسباع تطلع ثمانين علىٰ إحدىٰ عشر[1] تطلع أربعة أسباع الجنيه.

إذن فيكون الدينار أربعة أسباع الجنيه السعودي، ربع الدينار اقسمها عليه، المهم لأن الدينار هو كفارة في أشياء متعدِّدة، طالب العلم يَحسن به معرفة ذلك.

سؤال (٣٥٥): هل الشُّرطة تقوم مقام الحاكم أو القاضي في مسألة تحريم الشفاعة في الحدود إذا بلغته أم لا؟

**الجواب**: الشفاعة في الحدود.

أولا ما كان دون الحد، فإنه يستحب إقالة أهل الشارة، وأهل المكانة في المجتمع أن يُقالوا ما دون الحدود ابتداءً، وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام: «**أقِيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحُدود**» حتىٰ ولو بلغت السلطان فإنه يقيل من كان من ذوي الهيئات.

وذووا الهيئة في المجتمع من إذا أخذوا أو عزِّروا بما اقترفوا يكون ثم أثر علىٰ المجتمع؛ لأنهم قدوة أو لأنهم أهل ولاية أو لأنهم أهل شارة، والناس ينظرون إليهم، والشريعة جاءت لتحصيل المصالح وتكلميها ودرء المفاسد وتقليلها، فما كان كون الحد مما فيه تعزير فإنه يُستحب إقالة ذوي الهيئات عثراتهم.

وأمَّا الحدود فإنه لا يُجامل فيها أحد؛ لكن إذا كان ثم شفاعة في حد من حدود الله جل وعلا فإنه لا بأس به قبل أن يصل إلىٰ السُّلطان، فإذا بلغت الحدود السلطان «فلعن الله الشافع ولعن المشفَّع»، إذا بلغت الحدود السلطان؛ يعني الإمام أو من يُنيبه في الحكم؛ القاضي الذي ينفِّذ الأمر ويحكم عليه.

وما قبل ذلك فإن الشفاعة مطلوبة، لم؟ لأن الشفاعة مأذونٌ بها؛ لأن الشفاعة ترجع إلىٰ أصل السَّتر علىٰ المسلم، وقبل أن يصل إلىٰ السُّلطان أو إلىٰ القاضي فهو في مظِنّة الخفاء، حدّ في مظنة الخفاء، فإذا كان في مظنة الخفاء ولم يطَّلع عليه الناس فالستر فيه أولىٰ.

وهٰذا الدليل عليه أن النبي ﷺ لما سرقت المخزومية وأوتي بها شفع من شفع في ذلك فقال: «**هلا كان قبل أن تأتوني بها، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها**» استدلَّ أهل العلم بذلك علىٰ أن الشَّفاعة لا بأس بها إذا كان فيها مصلحة، إذا كانت قبل أن تصل المسألة أو الجُرم إلىٰ السُّلطان أو إلىٰ

---

(١) علىٰ عشرين تطلع ٤ علىٰ سبعة: $\frac{80}{7}=11+\frac{3}{7}$ ⇐ $\frac{4}{7}=\frac{80/7}{20}$.

القاضي الذي يحكُم بالأمر.

أما الشُّرَط فلا يدخلون في ذلك؛ لأن الشُّرط إنما هم لحفظ الأمر أو للإمساك علىٰ المجرم وليست جهة قضائية ولا جهة تنفيذية قبل حكم الإمام أو حكم نائبه. والله أعلم.

اقرأ...

وَالْأَمْنُ وَالْإِيَاسُ يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْأَمْنُ وَالْإِيَاسُ يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ.) يقرّر العلامة الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ بهٰذا وسطية أهل السنة والجماعة في هٰذا الأمر العظيم؛ وهو الأمن من مكر الله، واليأس من رَوْح الله جل جلاله، وأنّ اليأس هٰذا سبيلُ الكافرين، والأمن من مكر الله سبيل أهل الشّهوات الذين لا يرقبون الله جل وعلا ولا يرقبون صفات الرب جل جلاله.

والدَّليل علىٰ هٰذا الأصل قول الله جل وعلا في الكافرين في اليأس: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[يوسف]، في قول يعقوب عليه السلام لما قال لبنيه: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[يوسف]، فنهاهم عن اليأس من روح الله وعلَّل ذلك بأن هٰذا من خصال الكافرين.

وأما الأمن، فالأمن من مكر الله جل وعلا جاء النهي عنه في غير ما آية منها قوله تعالىٰ في سورة الأعراف: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

والأمن من مكر الله كُفر، واليأس من رَوْح الله كفر أيضا كما ذكر قال: (يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ) لأنَّ الله جل وعلا وصف الكافرين والخاسرين الذين استحقُّوا العقوبة منه والعذاب بأنهم يأمنون من مكر الله ويأسون من روح الله جل وعلا.

وأمَّا أهل السنة والجماعة فهم لا يَأْمنون بل يخافون ذنوبهم ويخافون عقوبة الله جل وعلا، ويعلمون أنَّ الله سبحانه خافته ملائكته وهم أقرب الأقربين وهم المقرَّبون إليه جل وعلا المطهرون من دنس الآثام ومن رجس الذُّنوب يخافون ربهم، كما قال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل]، كما قال: ﴿إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾[سبإ].

**واليأس أيضا من روح الله** هٰذا صفة أهل القنوط، فأهل السنة والجماعة بين هؤلاء وهؤلاء، لا يأمنون بل يخافون الله جل وعلا، ولا ييأسون بل يرجون. وهٰذه راجعة إلىٰ أنهم -يعني علىٰ الحق وأهل السنة- يرجون رحمة الله ويخافون عذابه، كما وصف الله جل وعلا أولياءهم المقربين بقوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾[الإسراء]، وهٰذه من صفات المتقين، كذلك في قوله في سورة الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[الأنبياء:٩٠]، فجمع لهم بين الرَّغب والرهب.

**إذا تبين ذلك** فإن الأمن والإياس رِدّة عن الدين كما قال: (يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ) بضابط، ومن المهم معرفة هٰذا الضابط؛ لأنه هو نكتة المسألة وعقدتُها، وهو أنّ **الأمن يكون كفرا إذا انعدم الخوف، واليأس يكون كفرا إذا انعدم الرجاء**، فمن لم يكن معه خوف من الله جل وعلا أصلا -يعني أصل الخوف غير موجود- فقد أمن فهو كافر، ومن لم يكن معه رجاء في الله جل وعلا أصلا فقد يئس من رَوْح الله فهو كافر.

إذن الأمن والإياس مرتبطان؛ بل معناهما الخوف والرجاء، الأمن لأجل عدم الخوف، واليأس لأجل

عدم الرّجاء، فمن كان عنده خوف قليل ويأمن كثيرا فإنه من أهل الذّنوب لا من أهل الكفر، فإن لم يكن معه خوف أصلا فإنه كافر بالله جل وعلا كما قال هنا: (يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ).

أما أهل التوحيد -أهل الذنوب من أهل القبلة- فإنهم بقدر ما عندهم من الذّنوب يكون عندهم أمن من مكر الله جل وعلا، فإذن الأمن من مكر الله يتبعّض، لا يوجد جميعا ويذهب جميعا؛ بل قد يكون في حق المعيّن أنه يخاف تارة ويأمن تارة، يصحو تارة ويغفل تارة، وكذلك اليأس من رَوح الله يغلب علىٰ المرء الموحّد تارة أنه ييأس إذا نظر إلىٰ ذنبه، أو نظر إلىٰ ما يحصل في مجتمعه أو ينظر إلىٰ ما قضىٰ الله جل وعلا في هٰذه الأرض علىٰ أهلها من الشرك مثلا أو من الذنوب أو من الكبائر أو من القتل أو من الفساد فيأته اليأس، فإن غلب عليه اليأس بحيث انعدم الرجاء لنفسه أو للناس فإنه يكفر بذلك.

أما إذا وُجد عنده اليأس ووُجد عنده رجاء فإنه لا يخرج من الملّة.

فإذن هنا ضابط الأمن والإياس الذي ينقل عن الملة هو ما ذكرته لك، وأما الموحّد المعيّن من أهل الإيمان فإنه يجتمع فيه بحسب قوة يقينه، يجتمع فيه أنّه قد يكون عنده أمن بحسب ذنوبه، ومن كمَّل الإيمان وحقق التوحيد فإنه يخاف ولا يأمن من عذاب الله جل وعلا ولا يأمن من مكر الله.

والأمن من مكر الله؛ يعني الأمن من استدراج الله جل وعلا للعباد، قد وصف الله جل وعلا بعض عباده بقوله: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (*) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[1]، هٰذا الاستدراج يُحدث الأمن، وما عُذبت أمة إلا وقد أمنت؛ لأن الله جل وعلا يبلوهم بالخيرات ويبلوهم بالسَّيِّئات ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥)﴾[الأنبياء]، فإذا وقع منهم الأمن وقعت عليهم العقوبة، نسأل الله جل وعلا لنا ولإخواننا العفو والعافية.

فهٰذا ضابط المسألة. (وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ).

إذا تبين ذلك، فالواجب علىٰ كل موحّد، كل مؤمن: أن يعظّم في قلبه جانب الخوف من الله جل وعلا، فلا يفلح أمن الله علىٰ نفسه طرفة عين، الله جل وعلا يقلب القلوب ويقلب الأبصار، وقال في وصف الأولين: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠)﴾[الأنعام] يرىٰ العبد أن الخيرات تنفتح عليه وهم مقيمٌ علىٰ الذنوب وهو مقيم علىٰ المعاصي وهو مقيم علىٰ الكبائر، سواء كان العبد فردا أم كان مجتمعًا، بنوا إسرائيل ادعوا أنهم أحباب الله جل وعلا وأنهم أبناؤه وأنه لا يعذِّبهم ولو حصل لهم تعذيب إنما تمسهم النار أياما معدودة، والله جل وعلا أخذ بني إسرائيل العقوبة العظيمة ولعنهم حيث قال سبحانه في سورة المائدة: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)﴾، الآيات.

الواجبُ -إذن- علىٰ الموحد أن يخاف ذنبه ولا ييأس من روح الله، كل أحد يُذنب ولكن إذا أذنب استغفر يخاف ذنبه ويخشىٰ أن الله جل وعلا لم يقبل توبته، لم يقبل حوبته، لم يقبل إنابته، يرجو رحمة

---

(١) سورة: الأعراف؛ الآية (١٨٢-١٨٣)، القلم؛ الآية (٤٤-٤٥).

الله جل وعلا ويخاف ذنوبه، فما اجتمع هٰذان في قلب أحد إلا ورجا وهو رجاء الرحمة وخوف الذنوب.

وهٰذا هو سبيل الحق الذي هو بين الأمن الإياس لأهل القبلة.

أسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم من الرّاغبين الرّاهبين الخاشعين، وأن يجنِّبنا الأمن كما أسأله أن يجنّبنا الإياس فإنه سبحانه علىٰ كل شيء قدير.

📖 وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ.

قال: (وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ) يُريد بذلك أنّ أهل السنة والجماعة خالفوا الخوارج والمعتزلة الَّذين يوجبون للعبد النّار والخوارج الذين يكفّرون بالذُّنوب، فقال: إن العبْدَ لا يَخْرُجُ مِنَ الإيمَانِ بعد أن دخل فيه وصار مؤمنا إلا بجُحُودِ ما أَدْخَلَهُ فيه. وهٰذا لأجل أنّ أعظم المسائل التي يتّضحُ فيها الخروج من الإيمان هو الجحد، وإلا فهٰذا الحصر غير مراد للمؤلف كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ.

فإذن هٰذه الجملة فيها بيان مخالفة المكفّرين بالذنوب من الخوارج وأشباههم أو الذين يحكمون علىٰ مرتكب الكبيرة بأنه خالدٌ مخلَّد في النار من الخوارج المعتزلة ومن شابههم.

إذا تبين هٰذا فهٰذه الجملة المهمّة فيها مسائل:

**المسألة الأولى**: دليل هٰذه الجملة.

دليلها الإجماع؛ إجماع أهل السّنة والجماعة علىٰ أنّ من دخل في الإيمان بيقين فإنه لا يخرج منه إلا بأمرٍ متيقَّن مماثل -يعني في اليقين- بما به دخل في الإيمان، وهٰذا الإجماع له أدلته من كتاب الله جل وعلا ومن سنة رسوله ﷺ.

**المسألة الثانية**: هٰذا الحصر في كلام المؤلف ليس مرادًا في أنه يكون لا يخرج أحد من الإيمان إلا بالجحد، فينفي التكفير والحكم بالردة بالاستحلال أو بالإعراض أو بالشك أو بغير ذلك مما يحكم علىٰ من أتىٰ به مع قيام الشروط وانتفاء الموانع بالرِّدَّة.

ودليل عدم إرادته للحصر أنه ذكر في المسألة الثالثة التي مضت أنّ المؤلِّف تبعا لأهل السنة لا يكفّر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله فقال في المسألة التي مرت علينا قريبا: (وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ) واستحلال الذَّنب غير الجحد، الاستحلال صورة والجحد صورة، فدلَّ علىٰ أن الطحاوي لا يريد بالجحد الحصر، ففيه ردّ علىٰ من حصر الرِّدةَ أو الكفر بالتكذيب أو بالجحد.

**المسألة الثالثة**: الجحد من الكلمات التي جاءت في القرآن، ولها دلالتها في لغة العرب.

**فدلالة الجحد في اللغة**: الجحد هو الرد والإنكار، جحد الشيء يعني رده أو أنكره، هٰذا من جهة اللغة، فيجتمع في اللغة مع التكذيب بالشيء ظاهرا أو مع التكذيب به باطنا.

وأما في القرآن فإن الله جل وعلا ذكر الجحد في عدة آيات، وبيّن أن الجحد يجتمع مع التكذيب؛ لأن الجحد قد يجتمع مع التكذيب وقد لا يجتمع مع التكذيب، قال جل وعلا في «سورة الأنعام» في وصف المشركين: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾، فدل علىٰ أنهم لم يكذبوا وجحدوا، ولهٰذا حقيقة الجحد عند أهل السنة والجماعة مرتبطة بالقول لأجل هٰذه الآية قال: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ يعني باطنا ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ يعني ظاهرًا، وهٰذا مرتبطٌ بالقول لأنهم ردّوا علىٰ النبي عليه الصلاة والسلام.

والخوارج ذهبوا إلىٰ أنّ الجحدَ يكون بالقول وبالفعل معًا، فعندهم أنّ الجحد يكون بالقول كقول

أهل السنة، ويكون أيضًا بالفعل فيدل الفعل علىٰ جحده، وهٰذا خلافُ ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة من أنّ الجحد ليس مورده الفعل؛ لأن الفعل محتمل؛ يدخله التأويل ويدخله الخطأ ويدخله أشياء كثيرة، وأما القول فإنه يقين وواضح؛ لأنّه دخل في الإيمان بالقول -بقول: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله-، فلا يخرج منه إلا بجحودِ ما أدخله فيه، وما أدخله فيه كان قولا أعلنه، وجَحْد ما أدخله ورده وتكذيبه وإنكاره لما دخل فيه.

وهٰذه الكلمة -كلمة الجحد- من الكلمات التي يَحصل فيها خلط وخلل، والواجب الرّجوع في فهمها إلىٰ دلالة الكتاب والسنة وإلىٰ ما أجمع عليه سلف الأمة.

**المسألة الرَّابعة والأخيرة**: أهلُ السُّنَّة والجماعة رحمهم الله تعالىٰ في تفصيل قولهم في الإيمان -الذي سيأتي في المسألة التي بعدها- خالفوا الخوارج والمرجئة، وفي إخراجهم الواحد من أهل القبلة من الإيمان أيضا خالفوا الخوارج والمرجئة، لهٰذا ثَم ارتباط ما بين الدخول والخروج من جهة اليقين، ولهٰذا المؤلف الطحاوي ذكر لك تنبيه علىٰ هٰذا بقوله: (وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ.)، ولم يقل إلا بالجحد أو إلا بالجحود فيكون مطلقا؛ بل قال: (إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ)، وذلك لأنه إذا ثبت الأمر بيقين لم يَزُل بالشك؛ بل لابد في زواله من يقين يماثل الأول، والمكفِّرات وما يُحكم علىٰ الواحد من أهل القبلة فيه بالردّة اختلف فيه الفقهاء والعلماء؛ لكن يجمع ذلك أنه لا يُخص عند أهل السنة لا يخص بالجحد.

ولهٰذا نقول: الذين قيَّدوا التكفير وإخراج العبد من الإيمان بالجحد فقط هؤلاء -دون الاستحلال ودون الشّك ودون الإعراض إلىٰ آخره- هؤلاء ذهبوا إلىٰ أنه لا يكفُر إلا المعاند المكذّب ظاهرا كحال الكفّار والمشركين، وهٰذا ليس بصحيح؛ لأن الله جل وعلا بيّن أن كفر من كفر من العرب:

- بعضُهم من جهة الإعراض.
- وبعضُهم من جهة الشك.
- وبعضُهم من جهة الجحد ظاهرا والاستيقان باطنا وهو العناد.

**ولهٰذا نقول**: إن المرجئة هم الذين قالوا: لا يخرج المرء من الدين إلا بالتكذيب فقط. لابد من التكذيب، والتكذيب قد يكون مع الجحد، وقد يكون الجحد بلا تكذيب كما نصَّت عليه الآية: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأنعام].

**إذا تبين هٰذا**: فأصل قول المرجئة في الإيمان -كما سيأتي- أنَّ الإيمان أصله الاعتقاد، فلذلك جعلوا المخرج منه التكذيب، ومن أضاف الاعتقاد والقول جعل المخرج التكذيب والجحد، مثل كلام الطحاوي هنا؛ لأنه يأتي أنَّ الإيمان عنده هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان، فيجعل التكذيب مخرجا ويجعل الجحد مخرجا لعلاقة التكذيب بالاعتقاد وعلاقة الجحد بالإقرار باللسان.

وأما أهل السنة الذين خالفوا المرجئة في هٰذه المسألة العظيمة؛ فقالوا: إنَّ الركن الثالث من أركان مسمىٰ الإيمان وهو العمل أيضًا يدخل في هٰذا، وهو أنه يخرج من الإيمان بعمل يعمله يكون من جهة

اليقين مخرجًا للمرء مما أدخله فيه من الإيمان، وهٰذا سيأتي مزيدُ تفصيل له.

فإذن أهل السنة عندهم المخرجات من الإيمان:

- ومنها التكذيب وهو أعظمها.
- ثم الجحد.
- ثم الإعراض وهو الذي جاء في قوله جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ [السجدة:٢٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾[الأحقاف]، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٤﴾[الأنبياء].
- ومنه الشّك، الرَّيب، يرتاب؛ ما عنده يقين، المؤمن هو لا يرتاب، أما إذا ارتاب فهو لا يدري محمد عليه الصلاة والسلام رسول أم لا؟ فإن هٰذا صفة المنافق وهو المعذب في قبره لقوله يقول: هاه هاه، لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته. وهٰذه جمل يأتينا مزيد بيان.

نعم...

وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ.
وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ.

قال الطحاوي في هٰذا الموضع: (وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ) يريد بالإيمان الإيمان الذي أمر الله جل وعلا به الناس والذي يصير به المرء معصوم الدم والمال، فعرّف الإيمان بأنه (الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ)، وهٰذا التعريف من جهة مورد الإيمان، وهو اللسان والجنان، فيتعلق باللسان عبادة الإقرار في الإيمان ويتعلق بالجنان عبادة التصديق في الإيمان.

وهٰذا التعريف من جهة المورد هو المشهور عن الطائفة التي يسميها العلماء مرجئة الفقهاء، وهم الإمام أبو حنيفة ومن تبعه من أصحابه، ومنهم أبو جعفر الطحاوي صاحب هٰذه العقيدة، وهٰذه الجملة مما وافق فيه المؤلف الطّحاوي ما وافق فيه المرجئة وقرّر فيها عقيدتهم.

وطريقة أهل السنة ومذهب أهل الحق خلاف هٰذا لأدلة كثيرة في هٰذا الموطن.

**إذا تبين ذلك** من جهة أن الطحاوي في هٰذا الموطن لم يقرر عقيدة أهل السنة والجماعة، وإنما ذكر معتقد طائفته وهم الحنفية في هٰذه المسألة، وهو قول المرجئة -مرجئة الفقهاء- فإننا نقول: لابد من بيان لهٰذا الأصل العظيم وذلك يرتّب علىٰ المطالب التالية:

**الأول من المطالب أو المسائل**: أن الإيمان لفظ مستعمل في اللغة قبل ورود الشرع، والألفاظ لها في استعمالها قبل ورود الشرع لها حالان:

الأول: الحال العرفي.

والثاني: الحال الأصلي.

والحال العرفي جعلناه الأول لقربه.

والحال الثاني الأصلي جعلناه الثاني لأنه بعيد؛ يعني من جهة العموم.

وهٰذا هو الذي يسميه طائفة من العلماء يسمونه الحقيقة اللغوية والحقيقة العرفية، فإن الألفاظ المستعملة لها حقائق لغوية حقيقة ليست مجاز، ولها حقائق عرفية يعني في استعمال أهل العرف لها.

مثال ذلك لفظ الدّابة، فإنه في اللغة الأصلية- في لغة العرب في الاستعمال العام- الدابة كل ما يدبّ علىٰ الأرض سواء ما يدب علىٰ بطنه أم يدب علىٰ رجلين أم يدب علىٰ أربع، ودلّ علىٰ هٰذا قول الله جل وعلا: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم﴾ يعني من الدواب ﴿مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[النور:٤٥].

ثم خصت بالاستعمال العرفي بأن الدابة هي ذات الأربع التي تركب في الاستعمال يعني يركبها الناس أو يحرثون عليها أو إلىٰ آخره، هٰذه تسمىٰ حقيقة عرفية.

والمعنىٰ الأول يسمىٰ حقيقة لغوية.

فإذن صارت الحقيقة اللغوية أخص من الحقيقة اللغوية، اللغة دائما تكون عامة، ثم الناس يقيدون هٰذا اللغوي ببعض ما يحتاجون إليه للاستعمال، فتكون الحقيقة العرفية دائما أضيق من الحقيقة اللغوية، ثم لما أتىٰ الشرع ظهرت ما سماه العلماء الحقائق الشرعية، الحقيقة الشرعية، أو ما سماه طائفة ممن ألف

في فقه اللغة بالأسباب الإسلامية؛ الأسباب الإسلامية يعني ألفاظ جُعِل لها معانٍ لأجل السبب مجيء الإسلام.(١)

من الأمثلة علىٰ ذلك لفظ السجود: لفظ السجود

في **اللغة** للخضوع والذل بحركة البدن.

ثم في **العرف** أن السجود يكون بالانحناء إما بركوع أو بما نسميه السجود؛ يعني وضع الجبهة علىٰ الأرض.

ثم في **الشرع** السجود هو من وضع جبهته وأنفه علىٰ الأرض قال جل وعلا لبني إسرائيل: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾[البقرة:٥٨] يعني راكعين؛ لأنّ السجود العرفي يدخل فيه الركوع.

أما في شريعة الإسلام ففي الحقيقة الشرعية للسجود هي وضع الجبهة علىٰ الأرض.

هٰذه المقدمة مهمة في تأصيل هٰذه الحقائق الثلاث علىٰ مسألة الإيمان.

الإيمان في أصل اللغة -اللغة مرتبطة بالاشتقاق، اللغة لها اشتقاق يجمع الكلام الذي شروطه واحدة- فالإيمان والأمن والأمان هٰذه كلماتها واحدة، أمن وأمان وإيمان، فاشتقاقها من حيث الأصل واحد، ولهٰذا الإيمان يرجع إلىٰ الأمن في اللغة، والأمان يرجع إلىٰ الأمن وإلىٰ الإيمان، فهٰذه الألفاظ في أصل اللغة اشتقاقها واحد وذلك من الأمن الذي هو المصدر.

ما علاقة الإيمان في اللغة بالأمن يعني في دلالة اللغة؟ لأنه من آمن فقد أمِنَ، آمن بالشَّيء أمن علىٰ نفسه، آمن؛ يعني صدّق، استسلم، أطاع إلىٰ آخره فإنه يعتبر مستسلما؛ يعني يعتبر أمن عدوه آمن بما قال عدوه صدَّقه فإنه يكون أمن غائلته.

إذا تبين هٰذا، فهٰذا الأصل اللغوي الذي هو مزيد الاشتقاق من كلمة واحدة يدلك علىٰ أن أصل كلمة الإيمان في اللغة من حيث الاشتقاق(٢)....

خصت ذلك المعنىٰ إلىٰ أن الإيمان هو التصديق؛ **التصديق الجازم الذي يكون معه عمل يأمن معه.**

وهٰذا جاء في القرآن يعني في استعمال المعنىٰ اللغوي للإيمان في مواضع:

كقوله جل وعلا في قصة يوسف مخبرا عن قول إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾[يوسف] لاحظ الأمن يعني بمصدِّق لنا التصديق الجازم الذي يتبعه عمل؛ أنك لا تؤاخذنا بما فعلنا، قال: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗا﴾[يوسف:١٨]، فما أعطاهم الأمن.

كذلك قال جل وعلا في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾[العنكبوت:٢٦] ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾ يعني صدقه تصديقا جازما تبعه عمل له بحيث يأمن من العذاب الذي توعد به إبراهيم قومَه.

كذلك في وصف النبي ﷺ في سورة براءة قال: ﴿وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[براءة:٦١] ﴿وَيُؤۡمِنُ﴾ أي

---

(١) لأجل مزيد من التفصيل في هذه المسألة استمع لشريط بعنوان: «المصطلحات وأثرها في العلم والثقافة والرأي العام» للشيخ صالح، وهو مفرّغ أيضا.

(٢)انتهىٰ الوجه الأول من الشريط التاسع والعشرين.

يصدقهم فيما يقولون فيَأْمنون معه عقوبة النبي عليه الصلاة والسلام.

إذن فالإيمان في اللغة استُعمل ويراد به التصديق الجازم الذي يكون معه عمل يأمن معه؛ لأنه فيه صلة دائما بين المعنىٰ العرفي الحقيقة العرفية والحقيقة اللغوية.

جاء الشرعُ فأمر الناس بالإيمان، أمر الله جل وعلا الناس بالإيمان، فهٰذا الإيمان فيه كما ذكرنا لك أن الحقيقة العرفية تخصيص للحقيقة اللُّغوية، والحقيقة الشرعية أسباب زائدة فيها زيادة عن الحقيقة العرفية، قد تكون تخصيصًا لها وقد تكون رجوع إلىٰ الأصل الأول فتكون أوسع منها.

فالإيمان في الشرع جاء بأنه متَّجه إلىٰ الإيمان بالله ملائكته وكتبه ورسله.. إلىٰ آخر أركان الإيمان الستة.

وهٰذا الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر عرفنا منه أنه لا يكون إلا بعمل ولا يكون إلا بإقرار ولا يكون إلا بتصديق.

قال جل وعلا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾[النساء].

﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[البقرة:١٧٧] الآية.

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾[الأنفال].

فإذن وصف اللهُ جل وعلا المظلوم من المؤمن بأن المؤمن مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وأيضا وأنه يعمل، وأيضا أنه يقول بلسانه.

ولهٰذا جعل الله جل وعلا الصلاة للدلالة علىٰ هٰذا الأصل جعل الصلاة هي الإيمان فقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾[البقرة:١٤٣]، نحن الآن نبحث هٰذا من جهة لغوية من الجهة التأصيلية للكلمة لا من جهة التعريف، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾ هٰذا استعمال، استعمال لكلمة الإيمان ويراد بها الصلاة، فهٰذا الصلاة هي الإيمان معنىٰ هٰذا أنه تخصيص لأنه تصديق، فهو ليس تصديقا فقط، الإيمان صار صلاة، إذن هٰذا من جهة الاستعمال اللغوي زاد علىٰ العرف ورجع إلىٰ سعة اللغة، وهو التخصيص الواقع للتصديق لبعض ما يشمله التصديق الذي يتبعه عمل.

**إذا تبين هٰذا** فيظهر لك أنّ الإيمان في الشرع نُقل عن الإيمان في العُرف، كما أن الإيمان في العرف نقل عن الإيمان في اللغة، فتأصيل الإيمان علىٰ أنه في اللغة هو إقرار وتصديق ليس صحيحًا؛ لأن الإيمان في اللغة أعم من ذلك، مثل ما ذكرنا لك، الإيمان ما يجلبُ الأمن من عمل، من إقرار، من تصديق، من تصرف، من موالاة، كل ما يجلب الأمن هو إيمان، في اللغة قُيِّد ذلك علىٰ نحو ما ذكرت لك الآيات، في الشرع جاء تسمية الإقرار إيمانا، وجاء تسمية الاعتقاد إيمانا، وجاء تسمية العمل إيمانا.

فإذن من حيث الدلالة اللغوية والدلالة العرفية والدلالة الشرعية تبيّن لك أن هناك اختلاف في مصير في معنىٰ الإيمان.

المرجئة مع أهل السنة في هٰذه المسألة اختلفوا، وهٰذا الاختلاف طويلُ الذيول كما هو معلوم؛ لكنهم اتفقوا من حيث الأصول -أصول الفقه- علىٰ أنّ الكلمة إذا اعتراها هٰذه الأمور الثلاثة الحقيقة اللغوية والشرعية والعرفية اتَّفق الجميع -الحنفية مع الشافعية والمالكية والحنابلة وغيرهم- اتفقوا علىٰ أن تقدم الشرعية لماذا؟ لأن الألفاظ الشرعية تخصيص، فلا يقول الحنفية -الذين قالوا في الإيمان بهٰذا التعريف- لا يقولون: إن السجود إذا أمر به فإنه يصلح بالركوع؛ يعني مثلا: لو كان قرأ القارئ القرآن وهو يمشي، ثم مرت آية سجدة، فهل يركع ويكتفىٰ بها؟ أم أنه يصير إلىٰ السجود؟ السنة أمرت بالسجود السجود الشرعي، لماذا؟ لأن السجود جاء بهٰذا اللفظ الشرعي وبينته السنة فيكون هو المراد لا السجود العرفي.

المسألة لها نظائر في الفقه، في العقيدة، في اللغة بعامة.

فإذن نقول: اجتمعوا علىٰ أن الحقيقة الشرعية مقدمة، ثم هل تقدم اللغوية أو العرفية؟ خلاف بينهم.

**لهٰذا نقول**: ما دام أن الجميع اتفقوا علىٰ تقديم الحقيقة الشرعية، فما هي أدلة الحقيقة الشرعية في الإيمان؟ الأدلة علىٰ ذلك يطول الكلام عليها، ونرجئها مع تفصيلها في الكلام والمذاهب للدرس القادم.

لكن نكمل المقدمات أنا أريدك تفهم مسألة الإيمان لأنها مسألة مشكلة، وكثير ممن خاض فيها في هٰذا العصر ما أدرك حقيقة الفرق ما بين قول أهل السنة وقول المرجئة في هٰذا الباب.

**المسألة الثانية**: الإيمان في اللغة هو التصديق الجازم -كما ذكرنا لك- الذي يتبعه عمل يأمن معه المؤمن الغائلة والعقوبة.. إلىٰ آخره.

وقولنا التصديق الذي معه عمل هٰذا تحصيل حاصل؛ لأنه إذا كان الشيء يلزم منه العمل فإنه لا يطلق في **اللغة علىٰ من صدق به مصدقا حتىٰ يعمل**، فمن قال: أنا مصدق بهٰذا الشيء، واحد جاء وقال: سيارتك هي الآن تسرق، قال: جزاك الله خيرا، قال: فيها فلوس فيها أشياء هي الآن تسرق، قال: جزاك الله خيرا، وجلس ما تحرك، فهل يعتبر في اللغة مصدقا؟ إذا كان قد صدّق الخبر فإنه لابد أن يتبعه بعمل يدل علىٰ صدقه؛ لأن الناس ما يفرطون بأموالهم ولا يفرّطون بما فيه قوام حياتهم، فإذا مكث وقال: أنا مصدق، وهو ما ذهب وما عمل، فلا يسمىٰ مصدقا في اللغة، ليس في الشرع، لا يسمىٰ مصدقا في اللغة، ودلّ علىٰ هٰذا الأصل قول الله جل وعلا في قصة إبراهيم الخليل مع ابنه إسماعيل في سورة الصافات قال: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾[الصافات]، لاحظ العمل ﴿فَلَمَّآ﴾ و﴿لَمَّا﴾ انتبه لكلمة ﴿لَمَّا﴾، ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾[الصافات]، رؤيا الأنبياء حق، الرؤيا إذا رآها النبي صدّق بأنها وحي من الله جل وعلا؛ لكن متىٰ صار مصدقا بالرؤيا؟ لما امتثل دلالتها ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ وهٰذا تصديق لغوي وهو أيضا تصديق

شرعي.

إذن فالإيمان في العرف -في الحقيقة العرفية- ولو أرجعناه إلىٰ التصديق فإن حقيقة التصديق أن يكون معه عمل، فلا يسمىٰ مصدقا من ليس يعمل أصلا فيما صدّق به.

**المسألة الثالثة**: يمكن أن يُضبط ما جاء في القرآن من استعمال الإيمان بالحقيقة اللغوية والعرفية والشرعية يمكن أن يضبط بضابط وهو أنه:

- إذا اقتُرن بالإيمان الأمن أو كانت الدلالة عليه فإن المراد به سعة المعنىٰ اللغوي.
- وإذا عُدي الإيمان باللام في القرآن أو في السنة فإن المراد به الإيمان العرفي؛ يعني اللغوي العرفي.
- وإذا عُدِّي الإيمان بالباء، فإنه يراد به الإيمان الشرعي.

وهٰذه كل واحدة لها طائفة من الأدلة تدل عليها.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام]، ﴿ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ هٰذا دلالة علىٰ عموم المعنىٰ اللغوي.

المعنىٰ العرفي ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾[يوسف:١٧]، لاحظ التعدية باللام ﴿بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾، ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾ [العنكبوت:٢٦]، ﴿وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[براءة:٦١] يعني النبي ﷺ ﴿وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ هٰذا المعنىٰ العرفي.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾[البقرة:٢٨٥]، لاحظ الباء عدي الباء للدلالة الشرعية.

لماذا اختلفت التعدية؟ لأن المطلوب اختلف، كيف؟

الإيمان اللغوي ما دام أنه تصديق فيقول: العرب صدق لفلان، تعديه باللام، صدق لفلان، وتقول: صدق بكذا أيضا فتعديه بالباء.

لكن الإيمان الشرعي آمن بكذا لاحظ التعدية مضمَّن أقر بكذا -أقرّ تتعدىٰ بالباء في اللغة أليس كذلك؟- أقر بكذا صحيحة، عمل بكذا صحيحة، صدق بكذا صحيحة.

ولهٰذا لما عدي الإيمان في اللغة بالباء علمنا أنه ضُمن المعنىٰ الأصلي في اللغة زيادة تصلح للتعدية بالباء، فالمعنىٰ اللغوي يتعدىٰ باللام، فلماذا عدي بالباء تفريقا ما بين الإيمان الشرعي والإيمان اللغوي؟ هو تضمين العمل للإيمان الذي هو زيادة علىٰ ما جاء في المعنىٰ العُرفي.

هٰذا كثير في القرآن وفي اللغة أنه يأتي الفعل ويراد منه معنىٰ، ثم تختلف التعدية بالحرف فيُضمّن الفعل معنىٰ فعل آخر.

سنضرب له مثالا حاضر عندكم جميعا وإن كان الأمثلة كثيرة لكن لقربه منكم، مثلا تعلمون قول ابن القيم وابن تيمية وعدد من مشايخنا حفظ الله الجميع ورحم الأموات في قوله تعالىٰ في المسجد الحرام: ﴿وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾[الحج]، قالوا هنا: معنىٰ الإرادة إيش؟ الهم يعني الهم الجازم لماذا؟ قالوا: لأن الإرادة بنفسها تتعدىٰ، الإرادة المعروفة تتعدىٰ بنفسها، تقول: أردت الذهاب، أردت المجيء، أردت القراءة، ما تقول:

أردت بالقراءة، فلما قال: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ ما قال: ومن يرد فيه إلحادا قال: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ علمنا أن كلمة ﴿يُرِدْ﴾ هٰذه فيها فعل يناسب التعدية بالباء وهو همّ، همّ بكذا همّ فلان بكذا هٰذا الذي يناسب، ولذلك فسره الأئمة بأن المراد بالإرادة هنا الهم الجازم فيؤاخذ عليه ولو لم يحقق الإرادة من كل وجه وإنما يصدق عليه الهم؛ همّ بالفعل، همّ به صار داخلا في الفعل.

نرجع هنا في اللغة ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾[العنكبوت:٢٦]، يعني صدق له، أقرّ له، تقول: أنا أقررت لك، إيش أقول أقررت إياك؟ لا، أقررت بكذا؛ لكن لفلان ، أقررت لفلان أو أقررت بفلان ما قال؟ أقررت لفلان ما قال، ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ يعني صدق له، أقر له، إلىٰ آخره.

لاحظ هٰذا التصديق والإقرار الذي هو المعنىٰ اللغوي.

لكن جاء المعنىٰ الشرعي في القرآن بزيادة علىٰ التعدية باللام إلىٰ التعدية بالباء قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾[النساء:١٣٦]. ما قال: آمنوا لله ولرسوله مع أنه قال في النبي ﷺ: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [براءة:٦١]، وقال في لوط: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ قال: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ إلىٰ آخره ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء:١٣٦].

فإذن دلنا علىٰ أن هٰذا المعنىٰ هو المعنىٰ اللغوي، وزيادة عليه ما دخل فيه مما يناسب التعدية بالباء، وهو العمل، تقول: عملت بكذا، يعني آمنت بكذا فعملت به، آمنت بأن الأمر واقع فعلمت به؛ يعني عملتَ بما آمنت، فلذلك دخلت الزيادة التعدية بالباء لتدلنا علىٰ أن العمل دخل في مسمىٰ الإيمان أصلا، وهٰذه يأتي لها مزيد تفصيل في الأدلة إن شاء الله تعالىٰ.

**إذا تبين هٰذا** فمن المهم في تفصيل هٰذه المسألة التي غلط فيها الكثيرون منذ نشأت المرجئة، أن يُعرف أن **الإيمان في اللغة في حقيقته تصديق وإقرار؛ لكن تصديق معه نوع عمل وليس لازما في حقيقته**؛ لكن لا يسمىٰ تصديقا حتىٰ يكون معه عمل يأمن به، لصلته بالمعنىٰ اللغوي العام.

أما في الشرع فهو إقرار وتصديق وعمل؛ لأن الشرع جاء بالزيادة علىٰ المعنىٰ اللغوي في هٰذه المسألة العظيمة.

**المسألة الرابعة**: تعريف الطحاوي لهٰذه المسألة وهي: (وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ)، هٰذا فيه إخراج العمل أن يكون موردا للإيمان، وقصْر الإيمان من حيث المورد علىٰ الإقرار والتصديق. وهٰذا كما ذكرت لك مذهب مرجئة الفقهاء.

والمرجئة في هٰذه المسألة لهم أقوال متعددة أشهرها قولان:

قول جمهور المرجئة، وهو أن الإيمان هو التصديق، ولا يلزم معه إقرار.

ثم مرجئة الفقهاء -وذهب إليه الماتريدية والأشاعرة وجماعة- أن الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان.

وسمُّوا مرجئة لأنهم أرجؤوا العمل عن مسمّىٰ الإيمان؛ يعني أخروه عن مسمىٰ الإيمان، فجعلوا الإيمان متحققا بلا عمل.

واستدلوا لمذهبهم بعدة أدلة من أشهرها قول الله جل وعلا في آيات كثيرة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فعطف العمل على الإيمان هٰذا من أقوى أدلتهم على هٰذه المسألة، قالوا: فهٰذا يدل على التغاير ما بين العمل وما بين الإيمان؛ لأنه لو كان عمل الصالحات في الإيمان لما قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ولما عطف العمل على الإيمان قالوا: دلنا على تأخير العمل وإرجاء العمل عن مسمى الإيمان.

**والجواب عن ذلك**؛ يعني عن هٰذا الاستدلال بجواب مختصر ونرجئ الجواب المطول، الجواب عن ذلك أن اللغة فيها العطف بالواو ويراد العطف بالواو التغاير، والتغاير تارة يكون تغاير ذوات وتارة يكون تغاير صفات، وتارة يكون العطف بالواو لا لأجل التغاير ولكن تغاير ما بين الجزء والكل، وما بين العام والخاص، ما معنى هٰذا؟

معناه أنك تقول مثلا في اللغة: دخل محمد وخالد، محمد ذاته غير ذات خالد، هٰذا له حقيقة ذات وهٰذا له حقيقة، هٰذا يسمى تغاير ذوات.

تغير الصفات تقول: عندي مهنّد وصارم وحسام، والذي عند العرب سف واحد لكن يقول مهند من جهة وصفه أنه صنع في الهند، وصارم من جهة شهرته، وحسام من جهة أنه وقع عليه حسمه وقتله.

منه في القرآن قال جل وعلا في تغاير الصفات: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١﴾[الحجر]، الكتاب هو القرآن، والقرآن هو الكتاب، عطف بالواو هل لتغاير الذوات الكتاب شيء والقرآن شيء؟ لا أحد يقول بهٰذا من المتقدمين، لا أحد يقول بهٰذا، فصار التعاطف هنا لتغاير الصفات ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ نظر فيه من جهة كونه مكتوبا باقيا، ﴿وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ يعني أنه يقرأ وينظر فيه للتلاوة والقراءة لتغاير الصفات.

الثالث أن يكون العطف بالواو للتغاير ما بين الجزئي والكلي، وما بين الكلي والجزئي، فيعطف الخاص على العام ويعطف العام على الخاص، مثاله قول الله جل وعلا في سورة البقرة: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ۝٩٨﴾، ﴿عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ لاشك الملائكة غير الله جل وعلا الملائكة مخلوقة والرب جل وعلا هو مالك الملك وخالق الخلق، ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ الرسل منهم رسل من الملائكة، ومنهم رسل من ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[الحج:٧٥]، فالرسل هنا أعم من الملائكة لأن منهم الرسل من الملائكة ومنهم الرسل من البشر.

فإذن هنا صار عطفا عطف الكلي على الجزئي، ثم قال: ﴿وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ جبريل وميكال من الرسل هؤلاء من الرسل، من الملائكة؟ نعم، فعطفهم ، هل حقيقة جبريل وميكال غير الملائكة؟ لا، هٰذا تغاير صحيح؛ ولكن تغاير بين حقيقة الجزء والكل والكل والجزء، وليس تغاير ذوات ولا تغاير صفات ولا تغاير حقيقة، ومن هٰذا عطف الخاص على العام لأجل التغاير ما بين الجزء والكل في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ﴾[الكهف:١٠٧]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ ﴾[مريم]، الآيات كثيرة آمنوا وعملوا الصالحات، عطف العمل علىٰ الإيمان لأجل هٰذا وإلا فهو داخل في حقيقته.

هنا لماذا تخصّ الخاص بالذكر بعد العام؟ لأجل التنبيه علىٰ شرفه.

العرب تعطف الخاص علىٰ العام وتغاير في هٰذا لأجل التنبيه علىٰ شرف ما ذكر؛ لأنك تقول مثلا: جاءني المشايخ وسماحة الشيخ عبد العزيز، هل هو ما هو من المشايخ؟ لكن هنا للتنبيه علىٰ شرفه جاءني المشايخ جميعا وزاد المقصود أو المقدم فيهم إلىٰ آخره تنبيها علىٰ شرفه ومنزلته إلىٰ آخره.

فإذن الاستدلال بهٰذا، هٰذا جواب مختصر ونذكر لكم بقية الأدلة والإجابة عليها فيما يأتي.

أنا أردت في هٰذا التطويل اللغوي تأصيل المسألة لكم؛ لأن مسألة الإيمان خاض فيها كثيرون في هٰذا العصر، كتبوا فيها كتابات سواء في الإيمان أو في التكفير، وهم لم يدركوا حقيقة مذهب أهل السنة والجماعة في هٰذه المسألة، فمنهم من أدخل مذاهب المرجئة في مذهب أهل السنة وقصر الكفر علىٰ التكذيب والإيمان علىٰ التصديق وإما قولا أو باللازم، ومنهم من ذهب إلىٰ أن الإيمان قول واعتقاد وأن العمل ليس من الإيمان أصلا كما هو قول المرجئة، والأقوال في هٰذا متعددة.

نسأل الله جل وعلا أن يثبتني وإياكم علىٰ طريقة أئمتنا، وأن يكف عنا الشر وأن لا يخذلنا وأن ينور بصائرنا وبصائر أحبابنا إنه جواد كريم.

نكتفي بهٰذا القدر ونكمل المرة القادمة.

# الدّرس السادس والثلاثون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد..

فأسأل الله جل جلاله أن يجمع لي ولك بين العلم والعمل، وبين الصِّدق في الاعتقاد والصدق في القول والصدق في الأعمال.

اللّٰهمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدا، واجعل دعاءنا مسموعا وقلبنا لك خاشعا خضوعا، يا أرحم الراحمين.

كنا نتكلم في الدرس الأخير قبل رمضان عن مسائل الإيمان، وأذكر أننا ذكرنا بعض المسائل التي هي توطئة لشرح كلام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، نبتدئ بسماع المتن.

اقرأ...

وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ.
وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ.
وَالْإِيمَانُ وَاحِدٌ وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ، وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالْخَشْيَةِ وَالتُّقَىٰ، وَمُخَالَفَةِ الْهَوَىٰ، وَمُلَازَمَةِ الْأَوْلَىٰ.
وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمٰنِ، وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ.
وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ.
وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَىٰ مَا جَاءُوا بِهِ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ.) هٰذه الجملة من كلامه في تعريف الإيمان المقصود بها التعريف الشّرعي للإيمان عند الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ.

والذي دلَّت عليه الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأئمة -أئمة أهل الحديث والسنة- أنَّ الإيمان قول وعمل، وبعض أهل العمل يعبّر بقوله: (الإيمان قول وعمل ونية) كما قالها الإمام أحمد في موضع؛ ويعني بالنية الإخلاص يعني الإخلاص في القول والعمل، وهٰذا الأصل وهو أن الإيمان قول وعمل وُضِّح بقول أهل العلم:

**الإيمان اعتقاد بالقلب يعني بالجنان، وقول باللسان وعمل بالجوارح الأركان، يزيد بطاعة الرَّحمٰن وينقص بطاعة الشيطان.**

فشمل الإيمان إذن فيما دلت عليه الأدلة هٰذه الأمور الخمسة، وهي: أنه اعتقاد، وأنه قول، وأنه عمل، وأنه يزيد، وأنه ينقص.

وتعريف الطحاوي للإيمان بقوله: (هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ.) هٰذا تعريف بالمقارنة مع ما سبق فيه قصور، وهو موافق لما عليه الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ وأصحابُه، فإنهم لم يجعلوا العمل من مسمىٰ الإيمان، وجعلوا الإيمان تصديق القلب وإقرار اللِّسان، وجعلوا الأعمال زائدة عن مسمىٰ الإيمان مع كونها لابد منها ولازمة للإيمان.

فقول الطَّحاوي هٰذا ليس مستقيما مع معتقد أهل السنة والجماعة كأتباع أهل الحديث والأثر، وفيه قصور لأنه أخرج العمل عن تعريف الإيمان.

وكون العمل من الإيمان له أدلة كثيرة من الكتاب والسنة أظن أني قدمت لكم بعضها قبل رمضان:

ومنها في هٰذا المقام قول الله جل وعلا ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[البقرة:١٤٣]، ويعني بالإيمان الصلاة، فسمىٰ الصلاة إيمانا والصلاة عمل.

وقال أيضا جل وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[1].

---

(١) سورة: البقرة؛ الآية (٢٥، ٨٢، ٢٧٧)، آل عمران؛ الآية (٥٧)، النساء؛ الآية (٥٧، ١٢٢، ١٧٣)، المائدة؛ الآية (٩، ٩٣)، الأعراف؛ الآية (٤٣)، يونس؛ الآية (٤، ٩)، هود؛ الآية (٢٣)، الرعد؛ الآية (٢٩)، إبراهيم؛ الآية (٢٣)، الكهف؛ الآية (٣٠، ١٠٧)، مريم؛ الآية (٩٦)، الحج؛ الآية (١٤، ٢٣)، الشعراء؛ الآية (٢٢٧)، العنكبوت؛ الآية (٧، ٩، ٥٨)، الروم؛ الآية (١٥، ٤٥)، لقمان؛ الآية (٨)، السجدة؛ الآية (١٩)، سبإ؛ الآية (٤)، فاطر؛ الآية (٧)، ص؛ الآية (٢٤، ٢٨)، غافر؛ الآية (٥٨)، فصلت؛ الآية (٨)، الشورىٰ؛ الآية (٢٢، ٢٣، ٢٦)، =

وقال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[البقرة:٢٨٥].

دلَّت الآية على أنّ الإيمان له حقيقةٌ هي الاعتقاد والإيمان بهٰذه الأركان الخمسة ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ فإذا كان العمل ناشئا عن هٰذه، فإنه لا يتصور الانفكاك ما بين العمل والإيمان، ولهٰذا في آية البقرة ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾ جعل العمل هو الإيمان؛ لأنّه منه، ولأنه ينشأ عنه، فنفهم إذن أن قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[1] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ونحو ذلك، لما فيه عطف العمل على الإيمان -كما قدّمنا آنفا- أن هٰذا عطف الخاص بعد العام وعطف الجزء بعد الكل، وهٰذا كثير في القرآن وفي اللغة كما قدمته لك.

ومن السنة قول النبي عليه الصلاة والسلام كما قال لوفد عبد القيس لما أتوه في المدينة: «**آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟**» ثم فسره بأركان الإيمان ثم قال: «**وأن تؤدوا الخمس من المغنم**» وهٰذا -أداء الخمس- عمل فجعله تفسيرا للإيمان.

وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**» فجعل الإيمان له قول مرتبط بالنطق وله عمل الذي هو إماطة الأذى عن الطريق؛ يعني الذي هو نوع العمل، وجعل له عمل القلب وهو الحياء، فلهٰذا الحديث مثل النبي عليه الصلاة والسلام شعب الإيمان بثلاثة أشياء منها القول ومنها الاعتقاد أو عمل القلب ومنها عمل الجوارح.

ويأتي مزيد بيان لهٰذا الأصل في المسائل إن شاء الله تعالى.

ثم زيادة الإيمان ونقصانُه دل على الزيادة قول الله جل وعلا: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [الأنفال:٢]، وكذلك قوله: ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾[الفتح:٤]، وكذلك قوله: ﴿وَزَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾﴾[محمد]، ونحو ذلك مما فيه زيادة، وإذا كان فيه الزيادة فإنه لابد أن يكون فيه النقص بمقابل ما تُرِك مما يُسبب الزيادة في الإيمان.

ولهٰذا قال بعض الصحابة لما ذكر زيادة الإيمان وذكر نقصانه، قال: إذا سبَّحنا الله وحمدناه وذكرناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا فذلك نقصانه.

فزيادة الإيمان ونقصانه دل عليها قول الله جل وعلا والسنة وقول الصحابة رضوان الله عليهم.

فمن هٰذا يتقرر أن قول الطحاوي: (**وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ.**) هٰذا يوافق قول مرجئة الفقهاء وهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت الإمام المعروف، وأصحابه ممن أخرجوا العمل عن كونه جزءا من الماهية؛ عن كونه ركنا في الإيمان.

إذا تقرّر هٰذا فإن في مسألة الإيمان مباحث كثيرة جدا، وذلك لكثرة الخلاف في هٰذه المسألة وطول

---

= الجاثية؛ الآية (٣٠)، محمد؛ الآية (٢، ١٢)، الفتح؛ الآية (٢٩)، الطلاق؛ الآية (١١)، الإنشقاق؛ الآية (٢٥)، البروج؛ الآية (١١)، التين؛ الآية (٦)، البينة؛ الآية (٧)، العصر؛ الآية (٣)...

(١) سورة: الشعراء؛ الآية (٢٢٧)، ص؛ الآية (٢٤)، الانشقاق؛ الآية (٢٥)، التين؛ الآية (٦)، العصر؛ الآية (٣).

الكلام عليها وكثرة التصانيف التي صنفها السلف ومن بعدهم في هٰذه المسألة؛ لكن يمكن تقريب هٰذه المسألة لطالب العلم في مسائل:

**الأولى**: الإيمان يجمع:

الاعتقاد بالقلب، وهو الذي يسميه المرجئة -مرجئة الفقهاء- أو يسميه العامة التصديق.

والثاني وقول اللسان.

والثالث عمل الجوارح والأركان.

والرابع الزيادة.

والخامس النقصان.

هٰذه خمسة أشياء فيها اختلف المنتسبون إلىٰ القبلة علىٰ أقوال.

**القول الأول**: هو أن الإيمان تصديق فقط، وهٰذا هو قول جمهور الأشاعرة، وهو قول أبي منصور الماتريدي والماتريدية بعامة، وهٰذا مبنيٌّ منهم علىٰ أن القول ينشأ عن التَّصديق، وعلىٰ أن العمل ينشأ عن التصديق، فنظروا إلىٰ أصله في اللغة بحسب ظنِّهم، وإلىٰ ما يترتّب عليه فجعلوه التَّصديق فقط، واستدلوا له بعدة أدلة مما فيه أنّ الإيمان تصديق كقوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥] ، وهٰذه أمور غيبية والإيمان بها يعني التصديق بها، وغير ذلك من الأدلة التي فيها حصر الإيمان بالغيبيات، والإيمان بالغيبيات يفهم علىٰ أنه التصديق. وهؤلاء يسمون المرجئة، وهم المشهورون بهٰذا الاسم.

**ومن المرجئة طائفة غالية جدًّا** وهم الذين جعلوا الإيمان ليس التصديق بالقلب ولكن هو المعرفة بالقلب، وهو القول المنسوب إلىٰ الجهمية وغلاة الصوفية كابن عربي ونحوه ممن صنفوا في إيمان فرعون.

**الفرقة الثانية**: هم من قال: إن الإيمان قول باللسان فقط، هؤلاء يسمون الكرّامية بالتشديد، الكرّامية ينسبون إلىٰ محمد بن كرّام، هٰذا يقول: الإيمان هو الإقرار باللسان.

لم؟ قال: لأنَّ الله جل وعلا جعل المنافقين مخاطبين باسم الإيمان في آيات القرآن، فإذا نودي المؤمنون في القرآن فيدخل في الخطاب أهل النّفاق، والمنافقون إنَّما أقرُّوا بلسانهم ولم يصدِّقوا بقلوبهم فدخلوا في اسم الإيمان لهٰذا الأمر.

**المذهب الثالث**: هو مذهب مرجئة الفقهاء الذين قالوا: إنَّ الإيمان قول باللِّسان وتصديق بالجَنان. وهو قول أبي حنيفة وأصحابه، إقرارٌ باللِّسان وتصديقٌ بالجنان، ويجعلون أنَّ الناس في التصديق -كما سيأتي- وفي أعمال القلوب أنهم واحد، فأعمال القلوب التي أصلها التَّصديق عندهم شيء واحد، والعمل ليس من الإيمان عندهم يعني من حقيقة الإيمان[1]...

والأشاعرة والكرامية فإنهم يقولون: أنه لو وافىٰ بلا عمل فإنه ناجٍ، لو لم يعمل قط فإنه ينجو.

---

(١)انتهىٰ الشريط التاسع والعشرون.

وأما مرجئة الفقهاء فيقولون: لابد له من العمل فإذا ترك العمل فهو فاسق لكن لا يدخلونه في مسمىٰ الإيمان، وأظن شبهتهم نصّ أبي حنيفة في هٰذه المسألة وهو بَنَاهُ علىٰ أن الذين خوطبوا بالإيمان هم المؤمنون والمنافقون، والمنافقون ليس لهم عمل، عملهم باطل وإنما أقرّوا باللسان فقط، والمؤمنون مصدّقون مقرّون، فجمع لهم ما بين يعني بين الطائفتين ما بين الإقرار باللسان والتصديق بالجنان؛ يعني في الخطاب الظَّاهر، وأما الأعمال فالحساب عليها آخر.

ومن أدلّتهم الأصل اللغوي الذي هو حسب ما قالوا: إن الإيمان هو التصديق، والإقرار أُخذ من زيادة في الشريعة لأنه لابد من قول لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله.

**الرابع**: هو قول الخوارج والمعتزلة وهو أنَّ الإيمان: اعتقاد بالجنان أو تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالجوارح. وهٰذا العمل عندهم لكل مأمورٍ به، والانتهاء عن كل منهيٍّ عنه، فما أمر به وجوبًا فيدخل في مسمىٰ الإيمان بمفرده، وما نُهي عنه تحريما فيدخل في مسمَّىٰ الإيمان بمفرده، يعني أن كل واجب يدخل في مسمىٰ الإيمان علىٰ حدا، فيكون جزءا وركنا في الإيمان، وكل محرم يدخل في الانتهاء عنه يدخل في مسمىٰ الإيمان بمفرده، وبناءً علىٰ ذلك قالوا: فإذا ترك واجبا فإنه يكفر، وإذا فعل محرَّمًا من الكبائر فإنه يكفر؛ لأن جزء الإيمان -ركن الإيمان- ذهب. فعندهم أن هٰذا العمل جزء واحد، إذا فُقِدَ بعضه فُقِد جميعُه.

وبينهم خلاف -يعني بين الخوارج والمعتزلة- فيمن استحقَّ النار بالآخرة ماذا يسمىٰ في الدنيا؟ علىٰ القول المعروف عندهم:

- وهو عندهم في الدنيا عند الخوارج يسمىٰ كافر.
- وعند المعتزلة هو في منزلة بين المنزلتين لا يقال: مؤمن ولا يقال: كافر.

مع اتفاقهم علىٰ أنه في النار مخلد فيها لانتفاء الإيمان في حقه.

**الخامس**: هو قول أهل الحديث والأثر وقول صحابة رسول الله ﷺ وهو أن الإيمان: اعتقاد -ومن الاعتقاد التصديق-، وقول باللسان وهو إعلان (لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله)، وعمل بالأركان وأنه يزيد وينقص.

ويعنون بالعمل جنس العمل؛ يعني أن يكون عنده جنس طاعة وعمل لله جل وعلا، فالعمل عندهم الذي هو ركن الإيمان ليس شيئا واحدا إذا ذهب بعضه ذهب جميعه أو إذا وُجد بعضه وُجد جميعه؛ بل هٰذا العمل مركّب من أشياء كثيرة لابد من وجود جنس العمل، وهل هٰذا العمل الصلاة؟ أو هو أي عمل من الأعمال الصالحة من امتثال واجب طاعةً وترك المحرم طاعةً؟ هٰذا ثَم خلافٌ بين علماء الملة في هٰذه المسألة المعروفة بتكفير تارك الصلاة تهاونًا أو كسلًا.

الفرق ما بين مذهب أهل السنة والجماعة وما بين مذهب الخوارج والمعتزلة أنّ أولئك جعلوا ترك أي عمل واجب أو فعل أي عمل محرّم فإنه ينتفي عنه اسم الإيمان، وأهل السنة قالوا: العمل ركن وجزء من الماهية؛ لكن هٰذا العمل أبعاض ويتفاوت وأجزاء، إذا فات بعضه أو ذهب جزء منه فإنه لا يذهب

كله. فيكون المراد من الاشتراط جنس العمل؛ يعني أن يوجد منه عمل صالح ظاهرًا بأركانه وجوارحه، يدل علىٰ أن تصديقه الباطن وعمل القلب الباطن علىٰ أنه استسلم به ظاهرًا، وهٰذا متصل بمسألة الإيمان والإسلام، فإنه لا يتصور بوجود إسلام ظاهر بلا إيمان، كما أنه لا يُتصور وجود إيمان باطن بلا نوع استسلام لله جل وعلا للانقياد له بنوع طاعة ظاهرا.

**المسألة الثانية**: الطحاوي هنا ترك العمل؛ يعني ما ذَكَرَ العمل في مسمىٰ الإيمان، وكما ذكرتُ لك أن العمل عند أهل السنة والجماعة داخل في مسمىٰ الإيمان وفي ماهيته وهو ركنٌ من أركانه.

والفرق بينهما يعني بين قول مرجئة الفقهاء وهو الذي قرره الطحاوي وبين قول أهل السنة والجماعة أتباع الحديث والأثر، الفرق بينهما:

- من العلماء من قال: إنه صوريٌّ لا حقيقة له؛ يعني لا يترتب عليه خلاف في الاعتقاد.
- ومنهم من قال: لا هو معنوي وحقيقي.

ولبيان ذلك؛ لأن الشارح ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ جلالة قدره وعلو كعبه ومتابعته للسنة لأهل السنة والحديث فإنه قرر أن الخلاف لفظي وصوري، وسبب ذلك أن جهة النظر إلىٰ الخلاف منفكّة:

- فمنهم من ينظر إلىٰ الخلاف بأثره في التكفير.
- ومنهم من ينظر إلىٰ الخلاف بأثره في الاعتقاد.

فمن نظر إلىٰ الخلاف بأثره في التكفير قال الخلاف صوري الخلاف لفظي؛ لأن الحنفية الذين يقولون هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان هم متّفقون مع أهل الحديث والسنة مع أحمد والشافعي علىٰ أن الكفر والردة عن الإيمان تكون بالقول وبالاعتقاد وبالعمل وبالشك، فهم متفقون معهم علىٰ أن من قال قولا يخالف ما به دخل إلىٰ الإيمان فإنه يكفر، ومن اعتقد اعتقادا يخالف ما به دخل في الإيمان فإنه يكفر، وإذا عمل عملا ينافي به ما دخل به في الإيمان فإنه يكفر، وإذا شك أو ارتاب فإنه يكفر؛ بل الحنفية في باب حكم المرتد في كتبهم الفقهية أشد في التكفير من بقية أهل السنة مثل الحنابلة والشافعية ونحوهم، فهم أشد منهم، حتىٰ إنهم كفروا بمسائل لا يكفر بها بقية الأئمة كقول القائل مثلا سورة صغيرة فإنهم يكفِّرون بها، أو مسيجد أو نحو ذلك أو إلقاء كتاب فيه آيات فإنهم يكفِّرون إلىٰ آخر ذلك.

فمن نظر -مثل ما نظر الشارح، ونظر جماعة من العلماء- من نظر إلىٰ المسألة من جهة الأحكام وهو حكم الخارج من الإيمان قال: الجميع متّفقون -سواء كان العمل داخلا في المسمىٰ أو خارج من المسمىٰ- فإنه يكفر بأعمال ويكفر بترك أعمال.

فإذن لا يترتّب عليه علىٰ هٰذا النحو دخول في قول المرجئة الذين يقولون بلا عمل ينفع ولا يخرج من الإيمان بأي عمل يعمله، ولا يدخلون مع الخوارج في أنهم يكفّرون بأي عمل أو بترك أي واجب أو فعل أي محرم.

فمن هٰذه الجهة إذا نُظِر إليها تُصُوِّر أن الخلاف ليس بحقيقي؛ بل هو لفظي وصوري.

الجهة الثانية التي يُنظر إليها وهي أن العمل -عمل الجوارح والأركان- هو مما أمر الله جل وعلا به في

أن يُعتقد وجوبُه أو يعتقد تحريمه من جهة الإجمال والتفصيل؛ يعني أن الأعمال التي يعملها العبد لها جهتان:

- جهة الإقرار بها.
- وجهة الامتثال لها.

وإذا كان كذلك فإن العمل بالجوارح والأركان فإنه إذا عمل:

فإمَّا أن نقول: إنَّ العمل داخل في التصديق الأول؛ التصديق بالجنان.

وإما أن نقول: إنه خارج عن التصديق بالجنان.

◆ فإذا قلنا: إنه داخل في التصديق بالجنان -يعني العمل بالجوارح باعتبار أنه إذا أقر به امتثل- فإنه يكون التصديق إذن ليس تصديقًا، وإنما يكون اعتقادا شاملا للتّصديق وللعزم علىٰ الامتثال، وهٰذا ما خرج عن قول وتعريف الحنفيَّة.

◆ والجهة الثانية أن العمل يُمتثل فعلا فإذا كان كذلك كان التنصيص علىٰ دخول العمل في مسمىٰ الإيمان هو مقتضىٰ الإيمان بالآيات وبالأحاديث؛ لأن حقيقة الإيمان فيما تؤمن به من القرآن في الأوامر والنواهي في الإجمال والتفصيل أنك تؤمن بأنْ تعمل، وتؤمن بأن تنتهي، وإلا فإن لم يدخل هٰذا في حقيقة الإيمان لم يحصل فرق ما بين الذي دخل في الإيمان بيقين والذي دخل في الإيمان بنفاق.

يبيّن لك ذلك أنّ الجهة هٰذه وهي جهة انفكاك العمل عن الاعتقاد، انفكاك العمل عن التصديق هٰذه حقيقةً داخلة فيما فرق الله جل وعلا به فيما بين الإسلام والإيمان، ومعلوم أنَّ الإيمان إذا قلنا: إنه إقرار وتصديق فإنه لابد له من إسلام وهو امتثال الأوامر والاستسلام لله بالطاعة.

**لهٰذا نقول**: إن مسألة الخلاف هل هو لفظي أو هو حقيقي راجعة إلىٰ النظر في العمل، هل العمل داخل امتثالا فيما أمر الله جل وعلا به أم لم يدخل امتثالا فيما أمر الله جل وعلا به؟

والنبي ﷺ بيّن أنه يأمر بالإيمان «**آمركم بالإيمان بالله وحده**»، والله جل وعلا أمر بالإيمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾[النساء:١٣٦]. فالإيمان مأمور به، وتفاصيل الإيمان بالاتفاق بين أهل السنة وبين مرجئة الفقهاء يدخل شعب الإيمان يدخل فيها الأعمال الصالحة؛ لكنها تدخل في المسمّىٰ من جهة كونها مأمورا بها، فمن امتثل الأمر علىٰ الإجمال والتفصيل فقد حقق الإيمان، وإذا لم يمتثل الأمر علىٰ الإجمال والتفصيل فإنه بعموم الأوامر لا يدخل في الإيمان.

وهٰذه يكون فيها النظر مشكلا من جهة هل يُتصور أن يوجد أحد يؤمن بالإيمان يؤمن بما أنزل الله جل وعلا ولا يفعل خيرا البتة، لا يفعل خيرا قط، لا يمتثل واجبا ولا ينتهي عن محرم مع اتساع الزمن وإمكانه:

في الحقيقة هٰذا لا يتصور أن يكون أحد يقول: أنا مؤمن يكون إيمانه صحيحا ولا يعمل صالحا مع إمكانه، لا يعمل أي جنس من الطاعات خوفا من الله جل وعلا، ولا ينتهي عن أي معصية خوفا من الله جل وعلا، هٰذا لا يُتصوّر.

ولهٰذا حقيقة المسألة ترجع إلىٰ الإيمان بالأمر، الأمر بالإيمان في القرآن وفي السنة كيف يؤمن به؟ كيف يحققه؟ يحقق الإيمان بعمل، بجنس العمل الذي يمتثل به.

فرجع إذن أن يكون الامتثال داخل في حقيقة الإيمان بأمره، وإلا فإنه حينئذ لا يكون فرقا بين من يعمل ومن لا يعمل.

**لهٰذا نقول**: إن الإيمان الحق بالنص بالدليل يعني بالكتاب والسنة بالله وبرسوله ﷺ وبكتابه لابد له من امتثال، وهٰذا الامتثال لا يُتَصَوّر، أن يكون غير موجود للمؤمن أن يكون مؤمن ممكن أن يعمل ولا يعمل البتة.

وإذا كان كذلك، كان إذن جزءا من الإيمان:

**أولا** لدخوله في تركيبه.

**والثاني** أنه لا يتصور في الامتثال للإيمان والإيمان بالأمر أن يؤمن ولا يعمل البتة.

**إذن فتحصَّل من هٰذه الجهة** أنّ الخلاف ليس صوريا من كل جهة؛ بل ثم جهة فيه تكون لفظية، وثم جهة فيه تكون معنوية.

والجهات المعنوية والخلاف المعنوي كثيرة متنوّعة.

لهٰذا قد ترىٰ من كلام بعض الأئمة من يقول أن الخلاف بين المرجئة وبين أهل السنة -مرجئة الفقهاء ليس كل المرجئة- أن الخلاف صوري؛ لأنهم يقولون: العمل شرط زائد لا يدخل في المسمىٰ وأهل السنة يقولون: لا هو داخل في المسمىٰ، فيكون إذن الخلاف صوري.

من قال الخلاف صوري فلا يظن لأنه يقول به في كل صور الخلاف، وإنما يقول به من جهة النظر إلىٰ التكفير وإلىٰ ترتب الأحكام علىٰ من لم يعمل.

أما من جهة الأمر من جهة الآيات والأحاديث والاعتقاد بها والإيقان بالامتثال فهٰذا لابد أن يكون الخلاف حينئذ حقيقيا.

**المسألة الثالثة**: في الزيادة والنقصان.

زيادة الإيمان ونقصانه اختلف فيها العلماء علىٰ أقوال:

**القول الأول**: وهو قول جمهور أهل العلم من أهل السنة ومن المرجئة ومن غيرهم قول الجمهور من جميع الطوائف أن الإيمان يزيد وينقص.

**القول الثاني**: أن الإيمان يزيد ولا ينقص، هٰذا منسوب إلىٰ بعض أئمة أهل السنة؛ لأن الدليل دلّ علىٰ زيادته وهٰذا أمر لا يدخله القياس، فلا نقول بنقصانه لعدم ورود الدليل في ذلك.

**الثالث**: من قال: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص وهو قول طائفة من المرجئة ومن غيرهم.

لا ارتباط ما بين الإرجاء والخلاف في الثلاث أركان الأولىٰ وبين القول بزيادة الإيمان ونقصانه، تارة تجد من ذهب إلىٰ أحد الأقوال يقول بزيادته ونقصانه ومن ذهب إليه لا يقول بزيادته ونقصانه.

يعني مثلا الأشاعرة الذي هم مرجئة والماتريدية منهم من يقول بزيادته ونقصانه ومنهم من لا يقول بذلك لعدم ترتبها علىٰ حقيقة الإيمان، هٰذا أمر زائد أدخلوه في البحث.

فإذن لا أثر في الخلاف مسألة زيادته أو نقصانه علىٰ كونه مرجئا، إذا قال أحد: الإيمان لا يزيد ولا ينقص لا يدل علىٰ كونه مثلا مرجئا؛ لكنه يدل علىٰ أنه ليس من أهل السنة، إذا قال: الإيمان نقول بزيادته ونقصانه لا يدل علىٰ أنه من أهل السنة والجماعة، فقد يكون مرجئا، لا ارتباط بين مسألة الزيادة والنقصان ومسائل التعريف السالفة للإيمان.

**المسألة الرابعة**: عرَّف الإيمان بقوله: (إقْرارٌ باللِّسانِ، وتصديقٌ بالجَنَانِ) وقلنا في التعريف (اعتقاد بالجنان)، والفرق ما بين التصديق والاعتقاد أن التصديق شيء واحد؛ بمعنىٰ أنه أمر واحد عبادة واحدة، وأما الاعتقاد فإنه يشمل أشياء كثيرة من أعمال القلوب، لهٰذا قالت طائفة من السّلف في تعريف الإيمان: الإيمان قول وعمل.

وهٰذا دقيق لأنه يشمل قول القلب وقول اللّسان، وقول القلب هو تصديقه وإخلاصه لله جل وعلا، وقول اللّسان هو إعلانه الشّهادة.

وعمل يشمل عمل القلب وعمل الجوارح، وعمل القلب من محبة الله جل وعلا والتوكل عليه والخوف منه جل جلاله ورجاؤه والإنابة إليه وخشية الرّب جل جلاله ونحو ذلك من أعمال القلوب.

فإذن ما يتَّصل بالقلب من أمور الإيمان ليست شيئا واحدًا ليس هو التصديق فقط، فثم أشياء كثيرة في القلب والتصديق هو أحدها.

ولهٰذا فإن التفاضل -الزيادة والنقصان- زيادة ونقصان باعتبار العمل الظاهر، وزيادة ونقصان باعتبار عمل القلب الباطن.

فالناس يتفاوتون في الإيمان من جهة زيادته ونقصانه في أعمالهم الظاهرة وهي أمور الإسلام من الصلاة والزكاة والصيام والحج والاستسلام لله جل وعلا في الأوامر والانقياد ونحو ذلك والانتهاء من المحرمات، وكذلك أعمال القلوب، وأعمال القلوب نوعان:

أعمال واجبة الفعل.

وأعمال محرمة العمل أو واجبة الترك.

أما واجبة الفعل، مثل محبة الله جل وعلا، والإنابة إليه، والتوكل عليه، وخشيته، والخوف منه، والطمأنينة له، ونحو ذلك من أعمال القلوب.

وما يجب تركُه من أعمال القلوب، محرمات أعمال القلوب التي هي الكبر والبَطَر وتزكية النَّفس وسوء الظن بالله جل وعلا ونحو ذلك، هٰذه كلها يجب تركها.

فإذن أعمال القلوب مشتملة علىٰ تصديق، ومشتملة علىٰ أمور واجبٌ أن يعملها القلب، وأمور واجب أن ينتهي عنها القلب، وهٰذه كلُّها في الحقيقة متصلة؛ فالتصديق متأثر زيادة ونقصانا بأعمال القلوب.

فأعمال القلوب تؤثر علىٰ تصديقه فأعمال القلوب الواجبة إذا زادت محبته لله جل وعلا زاد تصديقه، إذا زادت إنابته إلىٰ الله وزاد خشوعه وخضوعه بين يدي الله وزاد توكله علىٰ الله ﷻ زاد تصديقه وزاد يقينه.

وكذلك إذا انتهىٰ عن المحرمات، خضع لله جل وعلا، لم يكن متكبرا، ذليلا لله جل وعلا، غير مترفع

علىٰ الخلق، محبا لسلامته -سلامة قلبه-، مبتعدا عما يفسد القلب، هٰذه كلها مؤثرة في تصديقه.

فإذن رجع الأمر في زيادة الإيمان وفي نقصانه إلىٰ زيادة الإيمان في أركانه الثلاثة ونقصان الإيمان في أركانه الثلاثة.

فإذن زيادة الإيمان نقول يزيد بطاعة الرَّحمٰن يعني يزيد التصديق أو الاعتقاد بطاعة الرَّحمٰن، يزيد الإقرار باللسان بطاعة الرَّحمٰن، يزيد العمل بالأركان أيضا بطاعة الرَّحمٰن، فزيادة الإيمان راجعة للثلاثة جميعا.

لأن الزيادة: تارة تكون بالعمل الظاهر؛ زيادة صلاة، زيادة صدقة، زيادة بر، زيادة جهاد في سبيل الله، طلب علم ونحو ذلك، فيرجع هٰذا إلىٰ التصديق وإلىٰ الإقرار بزيادة فيكون تصديقه واعتقاده أكثر وأعظم وأمتن وأثبت وكذلك إقراره، وهٰذا الإنسان يحسه من نفسه فإنه إذا زاد إيمانه زاد لهجه بذكر به جل وعلا تهليلا وتسبيحا وتحميدا وتكبيرا وتمجيدا.

المسائل كثيرة لعلنا نرجئ البقية إلىٰ موضع آتي إن شاء الله.

قال بعدها: (وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ.) وهٰذا يعني به أن المؤمن لا يفرق بين كلام الله جل وعلا ولا بين السُّنن، فكل ما جاء في الكتاب أو صح عن رسول الله ﷺ في أمور العقيدة والشريعة هٰذا يجب التسليم له، وكله حق يجب الإيمان به.

وذلك كما قال جل وعلا في وصف اليهود: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ﴾[البقرة:٨٥] الآية.

وكذلك قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[البقرة:٢٨٥].

وكذلك قوله: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾ [النساء].

فالواجب هو الإيمان بجميع ما أنزل الله جل وعلا علىٰ رسوله في القرآن، وما صح عن رسول الله ﷺ في السنة، فالكل حق صدر عن مشكاة واحدة عن الرب جل جلاله وتقدست أسماؤه.

قال الطحاوي بعدها: (وَالْإِيمَانُ وَاحِدٌ وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ، وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالْخَشْيَةِ وَالتُّقَىٰ، وَمُخَالَفَةِ الْهَوَىٰ، وَمُلَازَمَةِ الْأَوْلَىٰ) هٰذه العبارة منه تقريرٌ لكلام أبي حنيفة وأصحابه الذين يسمّون مرجئة الفقهاء في أن الإيمان واحد؛ يعني أنه في أصل وجوده شيء واحد، إذا دخل في الإيمان دخل بشيء واحد، إذا وُجد سمي مؤمنا وإذا لم يوجد لم يسمّ مؤمنا.

وهٰذا القدر القليل الذي هو الأصل نظروا إليه بأنه شيء واحد وأن أهله في أصله سواء؛ يعني أن أصل الإيمان يتساوىٰ فيه المؤمنون، فجعلوا إيمان الناس كإيمان النبي عليه الصلاة والسلام، كإيمان أبي بكر، كإيمان محمد عليه الصلاة والسلام؛ بل كإيمان الرسل جميعا؛ بل جعلوه كإيمان الملائكة جميعا، جعلوا اصل الإيمان لما كان واحدا يعني ما يحصل به الإيمان أول الأمر فجعلوا أهله في أصله سواء، وهٰذا كما ذكرت لك راجع إلىٰ أن التصديق عندهم، وما يتصل به من أعمال القلب أنه شيء واحد، وقد نص علىٰ ذلك أبو حنيفة في كتابه الفقه الأكبر في أن: التصديق واحد وأن التوكل واحد والمحبة واحدة

وأن الخشية خشية القلب واحدة ونحو ذلك. فجعلوا ما في القلب مما يَحصل فيه الإيمان جعلوه شيئا واحدا.

والذي دلّت عليه الأدلة من الكتاب والسنة أنّ أهل الإيمان متفاضلون فيما بينهم، فالله جل وعلا فضل بعض الرسل علىٰ بعض فقال سبحانه: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾[البقرة:٢٥٣]. وتفضيل بعضهم علىٰ بعض نتيجة وسبب ونتيجة لسبب وهو تفاضلهم في الإيمان، فالرسل منهم أولوا العزم وهم أعظم الرسل مقاما وأرفع الرسل مكانةً ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[الأحقاف:٣٥]، فالرسل ليسوا في منزلة واحدة عند الله جل وعلا، والتّفاضل هنا يكون بالإيمان -بإيمان القلب- ويكون بإيمان الجوارح بفعلها، وهنا جعل الطحاوي التفاضل بالأمور الظاهرة قال: (بِالْخَشْيَةِ وَالتُّقَىٰ، وَمُخَالَفَةِ الْهَوَىٰ، وَمُلَازَمَةِ الْأَوْلَىٰ) ولكن هٰذا التفاضل هو بعض التفاضل؛ لكن القلب يكون بين هٰذا وهٰذا من التفاضل في أعمال القلوب وفي تصديق القلب ما ليس بمحدود.

ولهٰذا خصّ الله جل وعلا أبا بكر الصديق ﷺ خصه بأنه صدق من بين سائر الصحابة، فقال جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الزمر]، خصه بالتصديق لأن عنده تصديقا زائدا عن غيره، كذلك قوله جل وعلا في سورة اللّيل: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ فهٰذا الابتغاء الذي هو أصل الدخول في الدين الذي هو ابتغاء ما عند الله جل وعلا خص به أبو بكر؛ لأن له في ذلك مزيدا ليس لغيره، لهٰذا قال عليه الصلاة والسلام: «**لو وُزن إيمان الأمة بإيمان أبي بكر لرَجَح إيمانُ أبي بكر**» وقال أيضا التابعي الجليل أبو بكر شعبة القارئ المعروف: ما سبقهم أبو بكر لكثرة صدقة ولا صلاة؛ ولكن بشيء وقر في قلبه. هٰذا الشَّيء الذي وَقَر في القلب الذي هو التصديق الناس يعرفون أنّ فلانا وفلانا من جهة تصديقهم للخبر يختلفون -أي خبر-، يأتيك ثقة فيقول لك: هٰذا حاصل، فهٰذا مصدّق وهٰذا مصدّق؛ لكن تصديق فلان تصديق الأول يختلف عن تصديق الثاني من حيث قوته من حيث الجزم به بقوة وثبات ويقين، ولهٰذا أبو بكر ﷺ حصل له من المقامات كما هو معروف في السيرة ما ليس لغيره.

هٰذا التصديق أيضا فيه أشياء تؤثر فيه من جهة التفاضل كما سيأتي بيانه.

إذن كلام الطحاوي فيما سمعت جعل التفاضل لأمور خارجة عن تصديق القلب عن اعتقاد القلب، جعلها، الخشية الظاهرة والتقوىٰ الظاهرة ومخالفة الهوىٰ وملازمة الأَوْلىٰ من امتثال الأوامر واجتناب النواهي.

إذا تبيَّن هٰذا فنذكر علىٰ هٰذا عدة مسائل ربما ثلاث:

**الأولى**: أن قوله: (وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ) يُرَدُّ عليه بأن أصل الإيمان:

- إما أن يكون لغويًّا.
- وإما أن يكون شرعيًّا.

فإذا كان المراد الشرعي -يعني الإيمان الشرعي-، فإنّ الإيمان يصدق علىٰ ما به يدخل المرء فيه،

وأيضا يكون أصله فيما بعد ذلك من الزيادات، بمعنىٰ أنه يدخل في الإيمان بتصديق وبكلمة، ثم بعد ذلك يكون تصديقه غير تصديقه الأول، وتكون كلمته غير كلمته الأولىٰ، فلهٰذا أصله كلمة (أَصْله) فيها إجمال وعدم وضوح، هل المقصود بالأصل الأصل الشرعي حين دخل في الإسلام؟ أو المقصود الأصل الشرعي الذي يتابعه ويمشي معه؟ يعني يلازم الإنسان دائما وأنه أصل واحد لا يزيد دائما، هٰذا فيه إجمال، وأيضا لا يتّفق هٰذا وذاك، لا يتفق أصل إيمانه أول ما دخل وأصل إيمانه الذي يُصاحبه، وكل أحد يعرف من نفسه الفرق ما بين أصل الإيمان حين أسلم وأصل إيمانه حين رسخت قدمه وحَسُن إسلامه.

فإذن كلمة (أَصْله)، أصل الإيمان ما هو؟ هٰذه كلمة مجملة غير واضحة مرجعها غير واضح ولا دليل من الكتاب أو السنة علىٰ هٰذه الكلمة؛ يعني التعبير بأصل الإيمان وعدم التفريق فيما بين الإيمان اللغوي والشرعي.

**المسألة الثانية**: أنَّ أصل الإيمان إذا قلنا هو التصديق، فإنّ التصديق يتفاوت، التّصديق نفسه الذي هو حد الإيمان -لأنهم عرفوا الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان- هٰذا التّصديق الذي هو في تعريف الإيمان يتفاوت الناس فيه، وأيضا يزيد بالمعين وينقص.

وأسباب زيادة التصديق ونقصان التصديق أُمور:

**الأوَّل**: أنّ مسائل الشّرع مسائل الكتاب والسنة كثيرة، سواء في الأمور الاعتقادية أو في الأمور العملية، وهٰذه كلها يجب الإيمان بها علىٰ الإجمال والتفصيل، فإيمان وتصديق من كان مقتصرا علىٰ الإجماليات من جهّال المسلمين ليس كإيمان وتصديق ما صدّق بكل ما علمه؛ فالعالم تصديقُه مجمل وتصديقه مفصّل بكل ما علمه، وأمّا الجاهل فتصديقه مجمل وما علمه من الشريعة قليل صدّق به لكنه تصديق ببعض الأمور، فمن صدق بكل الفروع -سواء فروع العقيدة أو فروع الشريعة- من صدق بها جميعا فتصديقُه أعلىٰ ممن صدق تصديقا إجماليا لا تفصيل فيه.

فإذن نفس التصديق من جهة أوامر الشريعة والإيمان بالنصوص يختلف من جهة الإجمال والتفصيل.

**الثاني**: الأعمال الظاهرة أيضًا امتثالا للأوامر واجتنابا للنواهي تؤثّر في التصديق ويؤثر فيها التصديق، ويدل علىٰ ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نُهبة ذات شرف يرفع إليه فيها الناس فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن**» كما في الصحيح، وفي «مسند الإمام أحمد» قال: «**إذا زنىٰ العبد ارتفع الإيمان فكان علىٰ رأسه كالظلة فإذا ترك عاود**» فإذن هو حينما يفعل هٰذه الكبيرة كبيرة الزنا أو كبيرة شرب الخمر أو كبيرة السرقة أو ما شابهها، حين يفعل، قال: «**فلا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»؛ لكن هنا هل زال تصديقه بالكلية؟ لا، لكن التصديق القوي المستحضر بالله جل وعلا وبالدّار الآخرة وبعقابه والحساب والعذاب وما يكون بعد ذلك ومن العقوبات في الدنيا، هٰذا التصديق المتجزّئ الكبير هٰذا التصديق غاب عنه حين واقع المحظور، لذلك قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**».

فإذن الأعمال الظاهرة امتثالًا للواجب وانتهاء عن المحرم هٰذه تزيد في التصديق، قال جل وعلا:

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[الأنفال:٢]، وزيادة الإيمان ترجع إلىٰ أركان الإيمان، إذْ تخصيص بعض الأركان دون بعض ليس عليه دليل، زياد في التصديق وزياد في العمل وزاد في الإقرار، وكذلك قوله جل وعلا: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾[الفتح:٤]، ﴿إِيمَٰنًا﴾ هنا نكرة فتُفيد الإطلاق في هٰذا المقام يعني إيمانا من جهة العمل وإيمانا من جهة الإقرار وإيمانا من جهة التصديق والاعتقاد.

**الوجه الثالث** من أن التصديق يزيد: أعمال القلوب مختلفة، الإنابة إلىٰ الله جل وعلا ومحبة الرب سبحانه والخضوع له والتلذذ بمناجاته والأنس بتلاوة كتابه والتعرض لنفحاته في الأوقات الفاضلة، هٰذه أمور تزيد من اعتقاد القلب، وكلُّ أحد يعلم من نفسه أنّ حاله من وجود هٰذه الأمور ومجاهدة النفس فيها ليس كحاله بدونها، وإيقانه بالجنة والنار وبالنّعيم وبالعذاب والتوكل علىٰ الله جل وعلا ويقينه وقوّته في الإيمان تختلف فيما إذا تعاطىٰ هٰذه العبادات وفيما إذا تهاون بها.

فإذن إيقانه وتصديقه متّصل بعبادات القلوب، وعبادات القلوب تزيد في التصديق والتصديق زيادته يؤثر فيها، فعمل القلب واحد، وإذا قلنا: عمل القلب نسميه كذا ونسميه كذا، فباعتبار التَّجْزِيء باعتبار الإيضاح؛ لكن الحقيقة القلب شيء واحد، إذا جاءه التوكل قوي التصديق، إذا قوي التصديق قويت محبة الله جل وعلا، إذا قويت محبة الله ﷻ قويت الإنابة إليه وامتثال أوامره والرغبة فيما عنده، فالقلب -إذن- تفريق أعماله إنما هو للإيضاح والبيان، وإلا فكل عمل قلبي مؤثر علىٰ العمل الآخر صدقًا في الاعتقاد وإنابة وخضوع وامتثال ظاهر وامتثال باطن وإقرار وإيقان.

**ولهٰذا تجد** أنّ أعظم المؤمنين إيمانا أكثرهم خضوعا وذلا لله جل وعلا وعدم ترفُّع علىٰ الخلق؛ لأن هٰذا الذي في القلب بعضه يؤثر علىٰ بعض، الصلاة يؤثر علىٰ الثواب فيها وعلىٰ حُسنها تصديق القلب وخشية القلب وإنابته وحضوره إلىٰ آخره، وكذلك هي تؤثّر في هٰذه الأعمال.

إذن في التفريق ما بين أعمال القلوب هٰذا تصديق وهٰذا توكل وهٰذه خشية وهٰذه إنابة بأنه تفريق منطقي صحيح يعني يمكن أن ترىٰ هٰذه بلا هٰذه ولا صلة بينهما هٰذا بحث نظري لا حقيقة له، فالإيمان إيمان القلب وأعمال القلوب مترابطة بعضها آخذٌ ببعض فإذا زاد التوكل زاد التصديق، وإذا قوي التصديق واليقين بأسباب الأعمال الظاهرة قوي التوكل قويت الخشية قويت المحبة قوي الرجاء ونحو ذلك.

فإذن من أوجه زيادة التصديق وزيادة أصل الإيمان -إذا صح التعبير موافقة لأولئك- فإنه يُنظر فيه إلىٰ تفاوت الأعمال؛ أعمال القلوب.

هٰذه بعض أسباب تفاوت الناس في تصديق القلب، وهناك أوجه أخرىٰ ذكرها أهل العلم في مواطنها وخاصة ابن تيمية في «كتاب الإيمان»؛ فإنه ذكر سبعة أوجه أو أكثر في تفاوت الناس في أصل الإيمان أو في التصديق أو في الاعتقاد.(١)... يتعلّق باعتقاد الناس.

**المسألة الثالثة والأخيرة**: قوله: (وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالْخَشْيَةِ وَالتُّقَىٰ، وَمُخَالَفَةِ الْهَوَىٰ، وَمُلَازَمَةِ الْأَوْلَىٰ) هٰذا صحيح؛ لكنه وجه تفاضل وليس كل أوجه التفاضل.

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الثلاثين.



سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

◆ فالتفاضل قد يكون مِنّة من الله جل وعلا وتكرُّما أن يمنّ علىٰ أحد بأن يكون أفضل من أحد، والله جل وعلا يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

◆ ويكون التفاضل أيضا بأمور زمانية مثل صُحبة النبي عليه الصلاة والسلام، وهٰذه زائدة عن الأمور التي ذكرها وهي: (الْخَشْيَةِ وَالتُّقَىٰ، وَمُخَالَفَةِ الْهَوَىٰ، وَمُلَازَمَةِ الْأَوْلَىٰ)، وقد جاء في الحديث لمقام أحدهم ساعة مع رسول الله ﷺ خير من عبادة أحدكم ستين سنة أو كما جاء عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم، قد قال عليه الصلاة والسلام أيضا في الحديث الذي في الصحيحين: «**لا تسبوا أصحابي** -لما نِيلَ من عبد الرَّحمٰن بن عوف وهو من السابقين- **فوالذي نفس محمد بيده فلو أنفق أحكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**» يعني ولا نصف المد، وذلك فضل خاص زماني لأنهم اتّصلوا وصبحوا رسول الله ﷺ.

◆ الوجه الثالث: التفاضل يكون بأعمال القلوب دون الأعمال الظاهرة، فقد تكون الأعمال الظاهرة قليلة؛ لكن أعمال القلوب عظيمة، وأعمال القلوب يؤجر عليها العبد في الواجبات، ويؤجر علىٰ المنهيات -منهيات أعمال القلوب من الكبر والبطر ورؤية النفس ونحو ذلك وسوء الظن بالله أو سوء الظن بالخلق أي بالمسلمين-، ومنها أعمال يؤجر علىٰ فعلها ويأثم علىٰ فعلها؛ يعني يؤجر علىٰ فعل بعض الأعمال ويأثم علىٰ فعل بعض الأعمال.

فإذا كان كذلك كان فعل القلب ميدانا للتفاضل، عمل القلب ميدانا للتفاضل.

لهٰذا يروىٰ عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ أنه سئل: لماذا سبَق الصحابة وفُضِّلوا مع أنّ عبادة من بعدهم يعني التابعين أكثر من عبادتهم؟ فقال الحسن: كانوا يتعبدون -يعني الصحابة- والآخرة في قلوبهم، وهؤلاء يتعبدون والدنيا في قلوبهم. العمل الظاهر واحد؛ بل ربما يكون أكثر، لهٰذا صار الابتلاء بحسن العمل، وحسن العمل فيه الإخلاص وفيه المتابعة، وإذا اتّفق هٰذا وهٰذا في المتابعة، فهل يتّفقان في عمل القلب؟ وهل يتّفقان في الإخلاص؟ وهل يتّفقان في حسن العمل الباطن وفي الخشية والإنابة؟ لا يتفقوا هٰذا وهٰذا يصلون جنب بعض وهٰذا وهٰذا يختلفون تماما.

هٰذه بعض المسائل المتعلقة بذلك فتحصّل من هٰذا أن قوله: (أَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ) ليس صوابا بل هو غلط، وليس إيمان الرسل كإيمان عامة أتباعهم، وليس إيمان الناس كإيمان الصحابة، وليس إيمان الصالحين كإيمان الفاسقين، وليس إيمان المقرَّبين كإيمان سائر خلق الله من المكلَّفين، هٰذا فيه اختلاف، فهم يختلفون أعظم الاختلاف في إيمانهم بالله وأسمائه وصفاته وربوبيته وألوهيته وما في قلوبهم من العلم الإجمالي والعلم التفصيلي وما في قلوبهم من الأعمال الصّالحة وكذلك ما علموه ظاهرا من الأعمال الصّالحة وانتهوا عما نهاهم الله جل وعلا عنه، فهم يختلفون في ذلك أعظم الاختلاف.

أسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم من أهل المقامات العالية في الإيمان، وأن يغفر لنا ذنوبنا الكثيرة وزللنا وتقصيرنا، وأن يبارك لنا في قليل أعمالنا، وأن يُصلح لنا نياتنا وذريّاتنا وأهلينا، إنه سبحانه جواد كريم.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه.

## الدرس السابع والثلاثون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه، وبعد:

[الأسئلة]

سؤال (٣٥٦): إصلاح ذات البَيْن أمرٌ مهم في حياة طالب العلم؛ لأنه يحصل بين الإخوة الجفاء والإعراض والتدابر والشحناء، فما النصيحة...؟ الخط غير واضح.

**الجواب**: لاشك أن من سمات أهل السنة والجماعة أنهم يسْعَوْن لإصلاح ذات البَيْن بين المؤمنين ولقطع وسائل الشَّيطان في التفريق، فأعظم ما أمر الله جل وعلا به بيْن العباد أن يجتمعوا ويتآلفوا وأن يُصلحوا ذات بينهم؛ بل جعل الله جل وعلا ذلك عنوان التَّقوىٰ في قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾[الأنفال:١]، وجَعَل المؤمنين متعاونين فيما بينهم متوالين فيما بينهم في قوله: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾[التوبة:٧١].

وأعظم ما نَهىٰ الله جل وعلا عنه فيما بين العباد الفُرْقة؛ لأنَّ الاجتماع وسيلتُه التآلف، ولأن الفُرْقة وسيلتها التباغض والتدابر، وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه أمر بالاجتماع ونهىٰ عن الفُرْقة فقال: «**الجماعة رحمة والفُرْقة عذاب**»، وصحَّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه أمر عباده بالتوادد وعدم التباغض فقال: «**ولا تباغضوا ولا تدابروا**» الحديث.

فلهٰذا منْ أعظم أسباب التَّقوىٰ وآثار التقوىٰ في العبد أن يكون كلامه حسنا يؤلّف الله جل وعلا به بين القلوب، وأن يكون فعله حسنا يؤلف الله جل وعلا به بين القلوب، وأن تكون أقوالُه وأفعاله ليست وسيلة إلىٰ الفُرْقة بين المؤمنين وإلىٰ اختلافِهم وتدابرهم وتقاطعهم، وهٰذا من مُقْتضىٰ الوَلاية التي بينهم.

ولهٰذا الواجب علىٰ طالب العلم أن يكون ذا خوْفٍ ووجل من ربه جل وعلا، وأن يكون ساعيا في الائتلاف والاجتماع علىٰ الحق والهدىٰ، وإذا رأىٰ تقصيرا أو مخالفة أو سَيْرا في غير طريق أهل السنة فإنه يبذل النُّصح ويبذل الإرشاد؛ لكن بما لا يسبب نُفْرَةً وخلافا وقطيعة وبغضاء وشحناء؛ لأنَّ حصول البغضاء والشحناء يؤول في الغالب إلىٰ التَّقاطع والتدابر، ثم يؤول ذلك إلىٰ الاعتداء وإلىٰ النَّيْل من العرض ومن -ربما- النفس والاعتداء علىٰ الأموال أو علىٰ الأنفس.

ولهٰذا كانت وصيته عليه الصلاة والسلام في أعظم موطن تحريم العِرْض وتحريم النفس في موقفه عليه الصلاة والسلام في عرفة، كما ثبت في «الصحيحين» من حديث أبي بكرة ﷺ قال في خطبته عليه الصلاة والسلام قال: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هٰذا في شهركم هٰذا في بلدكم هٰذا**» **اليوم** يوم عرفة يوم محرم، **والشهر** شهر ذي الحجة من أشهر الله الحرم التي قال الله جل وعلا فيها: ﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡ﴾ [التوبة:٣٦]، **والبلد** مكة حرّمها الله جل وعلا لما خلق السَّموات والأرض، وحرّمها إبراهيم الخليل عليه السلام فصارت محرمة بتحريم الله وتحريم إبراهيم الخليل إعلانا لتحريم الله.

وهٰذا التشبيه فيه عظمة أن يُشَبَّه تحريم المال والدماء والأعراض بتحريم هٰذا اليوم وذاك الشهر وذاك المكان.

لهٰذا الواجب علىٰ المؤمنين أن يسْعَوا في وسيلة تحقيق التآلف وعدم التقاطع والتدابر، وأعظم وسائل تحقيق الائتلاف والاجتماع وقطع التَّدابر والتقاطع والاختلاف أن يتواصَوْا فيما بينهم بتقوىٰ الله جل جلاله وبخشيته والإنابة إليه، وأنْ يَسعوا في معرفة العلم النَّافع الذي ورّثه رسول الله ﷺ.

ولهٰذا تجد أنَّ أهل العلم وطلبة العلم لو اختلفوا لا يكون بينهم اعتداء، وإذا حصل ثَم اعتداء فهو من الجهل، فأهل السّنة يعاملون من خالفهم بتقوىٰ الله جل وعلا، ولا يُعاملون من خالفهم بمثل ما عاملهم به، فلا يكفِّرون من كفَّرهم، ولا يبدِّعون من بدعهم، ولا يفسقون من فسقهم؛ بل يخافون الله جل وعلا بكلامهم وفي أفعالهم.

فالعلم النافع وتقوىٰ الله وملازمة السنة وسيلة للاجتماع، وهو معنىٰ الجماعة التي قال فيها عليه الصلاة والسلام: «**الجماعة رحمة**» وقال فيها ربنا جل جلاله: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران:١٠٣].

ثم من وسائل تحقيق ذلك أن يقول العبد أحسن ما يجب حتىٰ في حال الاختلاف، قال سبحانه: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾[الإسراء:٥٣]. ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ يعني أحسن ما يجد، لماذا؟ ما العلة؟ قال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾، بعد ذلك يأتي الشيطان فيقلب المسألة من نصرة للحق إلىٰ انتصارا للنفس أو الفئة إلىٰ آخره أو للشخص أو للشيخ فتنقلب المسألة من كونها دينية إلىٰ كونها عصبيَّة جاهلية أو حزبيَّة ممقوتة.

وهٰذا لاشك أنه من أعظم الأسباب التي وجدناها نافعة لأن العبد يختار أحسن ما يجد، فإذا كان العبد حليما متصفا بصفة الحلم وعدم الغضب؛ ممتثلا وصية النبي ﷺ: «**لا تغضب**» متخلقا بأخلاق الأنبياء في الحلم والأناة التي يحبها الله جل وعلا ويحبها رسوله ﷺ، فإن عاقبة أمره إلىٰ خير.

لهٰذا بعض المتقدمين -أظنّه قد يكون الأكْثَم أو غيره- قال له أحد ممن يخالفونه: إن أسمعتني كلمة أسمعتك عشر كلمات، قال هٰذا الحليم: وإن أسمعتني عشر كلمات فلن أُسْمعك كلمة. لأن هٰذا حظ الشيطان؛ لأن الاعتداء بالألفاظ والتّنابز هٰذه كلها حظوظ الشيطان ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ [الحجرات:١١]، تنابز وجمع بعض الناس لبعض والطعن وهٰذا ليس أمرا شرعيا وإنما هي من حظوظ الشيطان.

الأمور الشرعية التي بها يحكم علىٰ المخالف هٰذه ليس منها الاعتداء، فليُحكم علىٰ كلامه أو يحكم عليه إن استحقَّ ذلك فيما دل الدليل عليه ووضح من منهج أهل السنة والجماعة، فإنَّ العبد لا يتجاوز؛ بل يقول ولا يتجاوز، لهٰذا غالب طريقة أهل السّنة أنهم يخطِّئون ولا يضللون؛ لأنَّ غالب من خالف إنما خالف عن جهل؛ بل قد قال الله جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾[النساء:١٧]، فالذي يعمل السوء بجهالة -كما قال جمع من الصحابة- هو الذي يعصي بأقواله أو أعماله، كلُّ من عصىٰ الله فهو جاهل، وكل من أطاع الله فهو عالم، وإذا عصىٰ الله جل وعلا في مقابلة

المخالف له فهو جاهل؛ له نسبة من الجهل، ولهٰذا قد يجتمع في المعيَّن من المختلفين علم بالشرع وجهل بالشّرع، جهل في كيف يعامل من اختلف معه، وعلم فيما يعلم، وهٰذه واضحة في الواقع بينة.

لهٰذا الوصية للجميع أنهم أقامهم الله جل وعلا لصلاة واحدة، وأقامهم الله جل وعلا بالاجتماع علىٰ كلمة التوحيد، وأقامهم الله جل وعلا -يعني أقام الشباب- في حب الخير وحب الطاعة وحب العلم والإقبال عليه، فنيل القليل منهم من بعض، ومثل هٰذا الكلام الذي قد يتردد، هٰذا ليس من المصلحة، وليس من حق المسلم علىٰ المسلم؛ بل الواجب السعي في كل وسيلة لإصلاح ذات البين، وتقوىٰ الله جل وعلا تقضي بذلك.

وأما إذا كان ثَم خصومة خاصة بين اثنين فواجبٌ عليهما أن يسعيا في الإصلاح وخيرهما الذي يبدأ بالسّلام، وثبت في الصحيح «صحيح مسلم» أنّ النبي ﷺ قال: «**إنّ الله يغفر لكل مؤمن يوم الاثنين، إلا عبدا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول الله جل وعلا: أنظروا هذين حتىٰ يصطلحا**».

الهجر والتّرك والمقاطعة إذا كانت للدنيا فهي مذمومة، ويتوقف عليها كثير من الأحكام.

وأما إذا كانت للدّين فهي جائزة بشروطها أو مشروعة بشروطها؛ ولكن ليس منها التقاطع والتدابر والبغضاء؛ بل هي للإصلاح.

وهٰذا موضوع مهم جدير بكم جميعًا أن تتأملوه وأن تمتثلوا التقوىٰ في الأقوال وفي الأعمال.

المؤمن طيِّب كلامه، الداعية، طالب العلم، يخشىٰ الله جل وعلا، طيب كلامه، طيبة أفعاله، يقول ما يصلح ويترك ما يفسد، وهٰذا هو الذي يُصلح الناس، وهو الذي ينفع الله جل وعلا به البلاد والعباد؛ بل المسلمين جميعًا، زادني الله وإياكم من أسباب ذلك وجنبنا وسائل الشيطان.

سؤال (٣٥٧): كيف نرد علىٰ من قال: إن أصل الإيمان شيء واحد يتساوىٰ فيه المؤمنون ولا فرق بينهم؟ نرجو التكرم بإعادة شرح هٰذه الجملة.

الجواب: بيانها مر معنا، ولعل الأخ يراجع التسجيل؛ لأن بينها قد يأخذ شيئا من الوقت والفائدة قد دوِّنت.

سؤال (٣٥٨): الخشية من الله جل جلاله أمرٌ كلنا نحتاجه، لا سيما وأن النية يخالطها شيء من العجب والكبر في طلب العلم، فكيف يكون ذلك؟

الجواب: أولا طالب العلم يجاهد نفسه علىٰ طلب العلم؛ لأن جادة طلب العلم طويلة ليست قصيرة؛ ليست سنة ولا سنتين ولا عشر ولا عشرين يمشي معك إلىٰ أن تموت.

فهو يطلب العلم ويجاهد نفسه فيه، وإصلاح النية في طلب العلم يأتي، كلما ازداد من العلم ازداد خوفا من الله جل وعلا ورغبة فيما عنده، ستأتي تأتي النية الحسنة.

لهٰذا قال جمع من متقدمين: طلبنا العلم وليس لنا فيه نية ثم جاءت النية بعد. وقال بعضهم: طلبنا العلم لغير الله فأبىٰ أن يكون إلا لله. يعني في أصل هٰذا التنافس والحضور هٰذا يحضر وهٰذا يجمع الحديث، ثم بعد ذلك علم من السنة؛ بل علم من الشرع أنه يجب عليه أن يصلح نفسه أن يخاف الله جل وعلا، فتحقق بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[فاطر:٢٨]، فخشية الله جل وعلا هي سبيل أهل

العلم، وكلما ازداد المرء علما ازداد خشية، وكفىٰ بالاغترار بالله جهلًا، كفىٰ بالاغترار بالله جهلا، كما أنه كفىٰ بذكر الموت واعظا وكفىٰ بمعرفة افتقار العبد إلىٰ ربه ذلا وخضوعا.

سؤال (٣٥٩):... التأمين علىٰ سورة الفاتحة في الجهرية؟

الجواب: المسبوق إذا كان السجود بعد السلام فهو مخيّر ما بين متابعته وما بين إكمال الصلاة؛ لأنّ الصلاة فرغت بالتسليم الأول وما بعده من السجود هٰذا خارج الصلاة، وهٰذا السجود واجب، فإذا كان المسبوق أدرك الإمام في سهوه؛ يعني كان مصليا معه في سهوه لم يكن قبل أن يدركه في الصلاة فإنه يجب عليه أن يسجد للسهو، فإن لم يسجد مع الإمام في موضعه -يعني في الأول- فإنه يسجد إذا كان في آخر صلاته.

والإمام إذا قرأ ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[الفاتحة]، يشرع له أن يقول: آمين، وذلك لما صحّ عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة أنه قال: «**إذا أمّن الإمام فأمّنوا**» وفي الرواية الأخرىٰ قال: «**وإذا قال الإمام**: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ **فقولوا: آمين**»، وهٰذا الاختلاف يعني «**وإذا قال الإمام**: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ **فقولوا: آمين**» و«**إذا أمن فأمنوا**» محمول علىٰ متىٰ يبدأ المأموم في التأمين؟ هل يبدأ المأموم في التأمين بعد قول الإمام: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ أو بعد سماعه التأمين؟ يعني مقتضىٰ إذا قال: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقولوا: آمين أن تأمينه يكون بعد قول الإمام ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ سواء أمن أو لم يؤمن، وقوله: «**إذا أمن فأمنوا**» يقتضي أنه إذا أمن شرع بالتأمين أو بعده.

جمع العلماء بينهما بأن المأموم إذا كان يعلم أن الإمام يؤمّن متصلا بالفاتحة ينتظر حتىٰ ينتهي من التأمين ثم بعده بقليل يعني إذا شرع في التأمين يؤمن المأموم، وأما إذا لم يكن يعلم حاله هل يؤمن أو لا يؤمن وهٰذا هو أغلب حال الناس فإنهم لا يعلمون أن الإمام هل يؤمن أو لا يؤمن، وأكثر الأئمة بل الغالب ليس لهم طريقة واضحة تارة يؤمنون وتارة لا يؤمنون فإنهم يبدؤون بعد قول الإمام: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ فإنه «**من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه**».

جعلني الله وإياكم من أهل هٰذا الفضل العظيم.

ابدأ...

وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحمٰن، وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ.

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحمٰن، وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ.)، يقرّر الطحاوي معتقد أهل السنة في أنّ وَلاية الرَّحمٰن متعلقة بكل مؤمن، فأولياء الرَّحمٰن هم المؤمنون، وكل مؤمن له نصيب من ولاية الله جل وعلا التي وَعَدَ بها عباده المؤمنين المتقين، وكذلك يقرر أن التفاضل فيما بينهم يعني فيما بين المؤمنين إنما هو باتباعهم للقرآن وتقواهم وكثرة طاعتهم لله جل وعلا، فمن كان أكثر طاعة لله جل وعلا وأحسن طاعة وأتبع للقرآن فإنه أحق بتفضيلٍ في ولاية الرَّحمٰن جل وعلا له.

وهٰذا الأصل الذي قرّره الأئمة في عقائدهم في أنّ كل مؤمن ولي للرحمن جل وعلا، ويتفاضلون في الوَلاية بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوىٰ. هٰذا الأصل مقرر في القرآن وفي السنة:

ففي كتاب الله جل وعلا قال ربنا ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[يونس].

قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾، قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الأظهر فيها أنها نعت للأولياء؛ يعني منصوبة علىٰ أنها نعت للأولياء، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾....المؤمنين المتقين، أو أنها بدل من والأمر قريب.

فأولياء الله هم المؤمنون المتقون.

وكذلك قال الله جل وعلا: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[البقرة:٢٥٧]، فبيّن الله جل وعلا في الآية هٰذه أن الله سبحانه هو ولي المؤمنين.

وكذلك قوله جل وعلا: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾[محمد].

وكذلك قوله جل وعلا: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾[المائدة]، قبلها قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾[المائدة].

ونحو ذلك من الآيات الكثيرة في هٰذا المعنىٰ، وهي أنّ ولاية الله جل وعلا للعبد إنما هي بسبب إيمانه، وكل مؤمن له نصيب من التقوىٰ بحسب إيمانه، فإنه ما آمن إلا طلبًا للأمن، والأمن تقوىٰ وخوف وخشية، يعني طلب الأمن وتقوىٰ وخوف وخشية.

**إذا تَبَيَّن هٰذا الأصل** وهو واضح في معتقدهم -يعني في معتقد أتباع السلف الصالح رضوان الله عليهم-، فهٰذه المسألة وهي: مسألة أولياء الرَّحمٰن، ومسألة الكرامة، ومن هو الأكرم عند الله جل وعلا، يمكن أن نبينَها في مسائل:

**المسألة الأولى**: تعريف الولي.

والولي في اللغة: هو الناصر والمعين ﴿إِنَّ وَلِىِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾[الأعراف]، يعني إن ناصري ومعيني الله جل وعلا.

والوَلاية في اللغة بالفتح المحبة والنُّصرة.

الوِلاية بالكسر الإمارة أو السلطة.

يعني في غالب استعمال العرب، ومنه قول الله جل وعلا: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾[الكهف:٤٤]، يعني المحبة والنصرة يستحقها الرب جل جلاله.

وفي تعريف أهل العلم بما فهموا من الأدلة قالوا:

**الولي** هو كل مؤمن تقي ليس بنبي. ويمكن أن تقول: كل مؤمن ليس بنبي؛ لأن كل مؤمن له نصيب من التقوىٰ. لكن في الاصطلاح الخاص لابد من تكميل الإيمان والتقوىٰ بحسب الاستطاعة، كما سيأتي بيانه فيما بعد إن شاء الله.

**المسألة الثانية**: في دليل هٰذا الأصل وهو قول الله جل وعلا: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[يونس]، فجعل الرب جل وعلا لمن أوحىٰ إليه اسما -وهو اسم النبي أو اسم الرّسول- ولمن أطاع وآمن واتقىٰ فإنه ولي، فصار اسم النبي غير اسم الولي، فهٰذا شيء وهٰذا شيء، وكل نبي له وَلاية بحسبه.

فإذن الولاية داخلة في النبوة لأن النبوة أعظم وأرفع، والإيمان والتقوىٰ هما سببا الوَلاية.

وإذا كان كذلك، فإنّ المتقرر عند أهل السنة والجماعة: أن الإيمان يتفاضل أهله فيه والتقوىٰ يتفاضل أهلها فيها، وإذا كان الإيمان متفاضلا والتقوىٰ متفاضلة فينتج من ذلك أنّ وَلاية الله لعبده متفاضلة، فيجتمع -إذن- في حق المؤمن المعين ما يوجب الولاية من الله جل وعلا بإيجابه علىٰ نفسه ووعده الحق، وما يسبِّب العداوة.

فمادة الإيمان والتقوىٰ أثرها وَلاية الله جل وعلا لعبده وهي محبته له ونصرته له.

ومادة الظلم والطغيان والذنب موجبة أو عليها وعيد -ليست موجبة، نقول عليها وعيد- من الله جل وعلا لسلب الولاية الكاملة فهٰذه تجتمع في حق المؤمن من جهة يكون وليا ومن جهة يكون ظالما لنفسه.

**المسألة الثالثة**: الله جل وعلا وليٌّ للعبد، والعبد أيضا وليٌّ لله جل وعلا، وهٰذا عند أهل السنة والجماعة له جهتان:

- جهة الوَلاية من الله.
- وجهة الوَلاية من العبد.

فالله جل وعلا ينصر عبده، والعبد ينصر ربه جل جلاله.

والله جل وعلا يحب عبده المؤمن التَّقي، والمؤمن التقي يحب ربه جل جلاله.

فهاتان جهتان تجمع الوَلاية من جهة المحبة والنصرة من العبد لربه -يعني محبته لله ولرسوله ولكتابه ولدينه-، وكذلك نصرته لله جل وعلا ولكتابه ولدينه ولنبيه ﷺ.

فمن العبد فعل ولاية، ومن الرب جل وعلا ولاية للعبد.

**المسألة الرابعة**: الأولياء قسمان فيما دلّت عليه الأدلة:

- مقتصدون.
- وسابقون مقرَّبون.

وذلك أن الله جل وعلا جمع في آية «سورة فاطر» أنواع الذين أورثوا القرآن جعلهم ثلاثة أصناف في قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ فجعلهم ثلاثة أصناف: الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات.

والظالم لنفسه لا يستحق اسم الإيمان المطلق ولا التقوىٰ المطلقة، فخرج من قوله: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ فبقي أن الأولياء المؤمنين المتقين صنفان: المقتصد، والسابق بالخيرات، والسابق بالخيرات أطوع وأتبع للقرآن من المقتصد، فنصيبه من الولاية وهي محبة الله جل وعلا له ونصرته له أعظم من نصيب المقتصد.

وهؤلاء هم الذين جاء فيهم الحديث المشهور المسمىٰ بحديث الولي وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «**قال الله تعالىٰ: من عادىٰ لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتىٰ أحبه فإذا أحببته**» -هٰذا سابق بالخيرات- «**كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له من ذلك**». رواه البخاري وغيره، وهو حديث صحيح لا مطعن فيه، ودل الحديث علىٰ أن السابق بالخيرات أحق وأعظم وَلاية لله جل وعلا من الذي يتقرب إلىٰ الله بالفرائض، قال: «**وما تقرّب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه**»، وما افترضه الله جل وعلا علىٰ العباد أوامر يمتثلها ونواهي يجتنبها، فيتقرب إلىٰ الله بفعل المأمور، ويتقرب إلىٰ الله جل وعلا بترك المنهي المحرم، وهٰذا هو حال المقتصد، ثم ذكر الفئة الثانية وهم السابقون بالخيرات.

**المسألة الخامسة**: ارتبطت مسألة الوَلاية -ولاية الله جل وعلا- للمؤمن؛ العبد بمسألة الكرامة، ولهٰذا أكثر من يتكلم عن الأولياء في صفاتهم وفي تقرير المعتقد فيهم لابد أن يتكلم علىٰ الكرامات، وهٰذه أشار إليها الطحاوي في قوله: (وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ).

والكرامة هٰذه عُرِّفت بأنها أمر خارقٌ للعادة جرىٰ علىٰ يدي ولي. وهي متّصلة بالآية والبرهان عند الأنبياء، وبالخوارق مطلقًا عند الأنبياء والأولياء والكهنة والسَّحرة وأشباههم.

ولهٰذا فتعريف الكرامة بأنها أمر خارق للعادة جرىٰ علىٰ يدي ولي متّصل بذلك:

**أولا** من كونها خارقة للعادة.

**وثانيا** هٰذه العادة عادة من؟

**والثالث** أنها جرت علىٰ يدي ولي.

فقولهم: (أمر خارق للعادة جرىٰ علىٰ يدي ولي) أخرج الخوارق التي تجري علىٰ أيدي الكهنة والسحرة، وأخرج الخوارق التي هي الآيات والبراهين والمعجزات التي تجري علىٰ أيدي الأنبياء.

لهٰذا يقرّرون في هٰذه المسألة أنواع الخوارق، وسيأتي في آخر هٰذه العَقيدة المباركة يأتي قول الطّحاوي (وَلاَ نُفَضِّلُ أَحَداً مِنَ الأَوْلِيَاءِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، ونقولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ. وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِم، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِم) فنرجئ الكلام المفصل عن الكرامات وما يتعلق بها إلىٰ موضعه.

لكن الذي يتصل بهٰذا البحث وهو أن المؤمن ولي الرَّحمٰن أنّ الكرامة هٰذه التي يفردونها بالبحث هي ما اشتهر عند الناس أنها أثر الوَلاية، والكرامة عندهم أمر خارق للعادة -مثل ما عرفناه لكم-.

**وهٰذا ليس بدقيق**؛ لأن الكرامة بعض أنواع البشرىٰ، والله جل وعلا ذكر أنّه جعل لأوليائه البشرىٰ فقال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[يونس]، و﴿ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ منها الإكرام بأمر خارق للعادة يجريه الله لهٰذا الولي، قد يشعر به وقد لا يشعر، وقد يتفطّن لأثره وقد لا يتفطن ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾[يوسف:١٠٠]، لكن البشرىٰ التي وعد الله جل وعلا بها أولياءه إكرامًا هٰذه كثيرة الأنواع وكثيرة الأسباب.

فالسلف اختلفوا في تفسير البشرىٰ واختلافهم من باب اختلاف التنوع؛ لأن كلا ذكر بِشارة:

* فمن البشارة وعد الله جل وعلا لنصرة المؤمن التقي ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾[غافر]، ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[محمد:٧].

* كذلك البشرىٰ في الدنيا بأنّ الله جل وعلا يثبته ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت].

* من البشرىٰ وعد الله جل وعلا[1] بمعيته لعبده؛ معية التوفيق والتأييد في كل موطن -في الحِجاج باللسان أو في المجاهدة بالبدن أو في ترك مشتهيات النفس والرغبة فيما عند الله جل وعلا-.

* من البشرىٰ التي ذكرت في الآية الرؤية الصالحة كما جاء في الصحيح «**لم يبقَ من النبوة إلا المبشِّرات الرؤية الصالحة يراها المؤمن أو ترىٰ له**» وقد رأىٰ عدد من أهل العلم لبعض العلماء الأئمة أنهم في الجنة وأنهم مع الأئمة أو مع النبي ﷺ أو مع الصحابة ونحو ذلك، وهٰذه من المبشِّرات.

* من البشرىٰ في الحياة الدنيا أن الله جل وعلا يجعل بعض الأعمال التي عملوها مكفِّرة لسيئاتهم -الكبائر والصغائر جميعا-، كما تفضَّل الله جل وعلا لأوليائه من الصحابة من أهل بدر فقال: «**اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**» قال: يقتضي مغفرة الكبائر والصغائر وهي التي غفرت لحاطب بن أبي بلتعة ﷺ ما فعل من إسراره بخبر رسول الله ﷺ ومسيره إلىٰ مكة إلىٰ الكفَرة من قريش.

البشرىٰ -إذن- أنواع عظيمة، وعد الله جل وعلا بالجنة لعبده، توفيقه لمحبته، محبته للإيمان، محبته

---

(١) انتهىٰ الشريط الثلاثون.

للعمل الصالح، محبته للقرآن، انشراح صدره بالصلاة لتلاوة كتابه، الأنس بالله جل جلاله والرغبة في ذلك والاشتياق إلىٰ العبادة عبادة الرب ﷻ والإسراع في ذلك، هٰذا كله من أنواع البشرىٰ التي يبشّر الله جل وعلا بها في ذلك.

فإذن كرامة الله جل وعلا لعبده بأن جعل له البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

* ومن البِشارة هٰذه ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ منها أنواع الكرامات؛ لكن أنواع الكرامات قد تحصل وقد لا تحصل، قد تكون للولي وقد لا تكون كما سيأتي بحثه من أن الكرامة بحسب حاجة العبد إليها لا بحسب إيمانه وتقواه؛ يعني بحسب رفعة مقامه كلما ارتفع مقامه أعطي كرامة؟ لا، ولكن بحسب حاجته، وهٰذا له تفصيل إن شاء الله يرجع إلىٰ موطنه، لكن هٰذه نوع من البشرىٰ وأنواع البشرىٰ التي للأولياء كثيرة متنوعة.

* منها التسديد تسديد في السمع والبصر وما يكتبه بيده وما يمشي برجله كما جاء في حديث الولي قال: «**كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به**» يعني أسدِّده وأوفِّقه في سمعه، فلا يأنس لسماع إلا ما يحبه الله، أسدده في بصره وأوفقه، فلا يأنس لبصر لنظر ولا إبصار إلا ما يحبه الله جل وعلا، أسدده في يده التي يبطش بها فلا يبطش ولا يعتدي إلا بما أذن الله جل وعلا به، أسدده وأوفقه في رجله لمن شاء فلا يمشي إلا ممشًىٰ يحبه الله جل وعلا ورسوله عليه الصلاة والسلام، قال هنا: «**ورجله التي يمشي بها**» يعني يكون فيما يحب الله جل وعلا، وهٰذا أمر عظيم أن يكون إلْف العبد ما يحب الله جل وعلا، ولا تنازعه نفسه بشر، لا تنازعه نفسه للمعصية، لا تنازعه نفسه لمخالفة الأمر وارتكاب المنهي، يكون إلفه الخير وإلفه ما يحبه الله جل وعلا، هٰذا من إعانةِ الله جل وعلا العبد علىٰ نفسه الأمارة بالسوء، وعلىٰ قرينه الذي يأمُرُه بالشر.

وهٰذا أيضا نوع من الإكرام وبشرىٰ يحسها العبد ويحمد الله جل وعلا عليها ويسأله ﷻ الثبات علىٰ ذلك.

**المسألة السَّادسَة**: والمؤمنون المتقون من أعظم مظاهر التقوىٰ فيهم عدمُ تزكية النَّفس؛ لأن الله جل وعلا قال: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾[النجم]، فجعل العِلْم بالتَّقوىٰ موكولًا أو من خصائصه سبحانه، جعله موكولا إلىٰ علمه ﷻ.

فإذن صفة المؤمن التَّقي الذي هو ولي لله جل وعلا أنه لا يزكِّي نفسه، فمن زكىٰ نفسه وقال: أنا تقي أو أنا من أولياء الله. ونحو ذلك، فهو حقيق بالبعد عن استحقاق هٰذا الوصف؛ لأن التواضع لله جل وعلا والذل له والخضوع له ﷻ والخوف منه والعلم من أنّ العبد مهما عمل أن يبلغ التقوىٰ هٰذا يُوجب أن لا يثني علىٰ نفسه بأنه ولي وأنه متَّقي ونحو ذلك.

فإذن ما شاع في العصور المتأخرة وهو موجود إلىٰ الآن من أنّ طائفة يذكرون لمُريديهم يذكرون لأتباعهم أنهم أولياء ويحدّثون بكراماتهم، هٰذا من أسباب الجرح في حقيقة التَّقوىٰ، ويعني ذلك أن أولياء الرَّحمٰن ليسوا علىٰ هٰذا الوصْف.

**السابعة**: لشيخ الإسلام ابن تيمية مصنّف مهم في الفرق ما بين أولياء الرَّحمٰن وأولياء الشيطان سماه:

«**الفرقان ما بين أولياء الرَّحمٰن وأولياء الشيطان**». يحسن مطالعته[1] في معرفة صفات الأولياء أولياء الرَّحمٰن، وصفات أولياء الشيطان لأنه بسط هٰذه الصفات بسطا شافيا كافيا كعادته رَحِمَهُ اللَّهُ وأجزل له المثوبة وجزاه عنا وعن أهل السنة خير الجزاء.

**المسألة الثامنة والأخيرة**: أولياء كلِّ أمة شاهدون لأنبيائها ولرُسلها، مؤيِّدون لما اتَّصفوا به لكون ما جاء به الرَّسول الذي اتبعوه حقًّا، فأولياء بني إسرائيل يشهدون بفعلهم واتِّباعهم علىٰ أن ما جاء به موسىٰ حق من عند الله جل وعلا.

وكذلك حواريو عيسىٰ وهم أولياء يشهدون بفعلهم ونصرتهم وولايتهم أنّ ما جاء به عيسىٰ حق.

وكذلك صحابة رسول الله ﷺ الذين هم أفضل أتباع الرسل يشهدون بما اتَّصفوا به من الإيمان والتقوىٰ والجهاد والعلم والبذل بأنَّ رسالة محمد عليه الصلاة والسلام حق.

ولهٰذا تتَّصل مباحث الأولياء والكرامات بمعجزات الأنبياء، فالكرامة والوَلاية -يعني أن يكون وليًّا وأن يكون له كرامة- لها اتصال بالمعجزات التي هي الآيات والبراهين، فكلُّ اتّباع شاهد لأصله، وكل كرامة دالَّة علىٰ المعجزة التي أعطيها النبي عليه السلام؛ يعني أيا كان ذلك النبي، وهٰذا أصل مهم يقضي بأنّ الولي لا يخرُج عن طاعة النبي الذي اتبعه، بخلاف ما زعمت طائفة من غلاة المتصوفة والرافضة من أنّ الولي قد يكون أفضل من النبي كما سيأتي بيانه في موضعه مفصَّلًا إن شاء الله، وصنف فيه الحكيم الترمذي **ختم الأولياء** كتاب معروف طبع، وصنف فيه أيضا ابن عربي الطائي وذكر فيه أن الولي يكون أفضل من النبي، وأيضا هٰذا معتقد الرافضة من أن الأولياء أفضل.

الأصل العام الذي ذكرناه لك في هٰذه المسألة تخالف كل هٰذا من أنّ الوليّ ناصرٌ وتَبَعٌ؛ بل كونه وليا يشهد لنبيه الذي اتّبعه، وبالتالي يكون تابعا دائما والتابع متأخر.

نكتفي بهٰذا القدر.

[الأسئلة]

سؤال (٣٦٠): ذكر أحد الباحثين أنَّ الإرجاء أثّر علىٰ بعض العلماء فلم يكفروا تارك الصلاة تهاونا وكسلا، فهل هٰذا الكلام علىٰ إطلاقه؟

الجواب: هٰذا الكلام غير صحيح، فليست مسألة تكفير تارك الصلاة تهاونا وكسلا لها صلة بالإرجاء.

فالنزاع جارٍ ما بين أهل السنة في تكفير تارك الصلاة تهاونا وكسلا، وليس في هٰذا فحسب؛ بل في تكفير من ترك ركنا من أركان الإسلام، تكفير تارك الصلاة وغيرها ترىٰ من ترك ركنا من أركان الإسلام الزكاة والصيام والحج، عن الإمام أحمد وعن غيره، حتىٰ الإمام أحمد ثم خلاف عنده -يعني في الروايات- في تكفير من ترك ركنا من أركان الإسلام.

ومن العجائب أن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ له في هٰذه المسألة خمس روايات في هل يكفر من ترك أركان

---

(١) وللشيخ صالح آل الشيخ شرحا لهذا المصنف في ٩ أشرطة وهي مفرغة تحت اسم: **التعليقات الحسان علىٰ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**.

الإسلام العملية يعني غير الشهادتين:

**الرواية الأولىٰ**: أنه يكفر بترك أي ركن من أركان الإسلام.

**الرواية الثانية**: أنه يكفر بترك الصلاة والزكاة.

**والثالثة**: يكفر بترك الصلاة والزكاة إذا قاتل عليها الإمام؛ يعني إذا قاتل في الزكاة الإمام ليس مطلقا.

**والرابعة**: يكفر بترك الصلاة فقط.

**الخامسة**: نسيت الخامسة.

المقصود أنّ الخلاف في تكفير من ترك ركنا من الأركان تهاونا وكسلا ليس له صلة بالإرجاء، وما ذكره الباحث محل نظر.

سؤال (٣٦١): ما هو ضابط الإعراض الذي هو من نواقض الإسلام؟

الجواب: الإعراض ذكره العلماء في باب حكم المرتد، وذكره إمام الدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ الناقض العاشر في رسالته «النواقض»، قال: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به.

والدليل علىٰ أن الإعراض ناقض من النواقض قول الله جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ في أول سورة الأحقاف ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾، كذلك قوله جل جلاله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنبياء]، ونحو ذلك ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾[فصلت]، ونحو ذلك من الأدلة.

والإعراض ضابطه أنه لا يتعلم الدِّين ولا يعمل به، ليس له همة في معرفة توحيدٍ ولا عبادة لا من جهة العلم ولا من جهة العمل؛ يعني جميعًا، لا من جهة العلم ولا من جهة العمل جميعا؛ بل لا يهمُّه الأمر وليس من شأنه هٰذا الأمر مع تمكُّنه من ذلك.

يعني مثل واحد في بلد مثلا نفرض في بلدنا عنده الوسائل كافية، الكتب موجودة، والدراسة موجودة، وأهل العلم موجودين، والخطب والجمع، ولا يهتم بهٰذا أبدًا، معرض تماما؛ مادي لا يهتم لا بصلاة ولا بسماع آية ولا بسماع خطبة ولا يتعلم، هٰذه أمور ما أعلم بها، هٰذا هو الذي يكفر بالإعراض ما يتعلم الدين وما يعمل به، لا يرفع به رأسا ولا يهمه لا من قريب ولا من بعيد، ولو احتاج خبزا لمعيشته لذهب وبحث حتىٰ يأتي به، ولو احتاج لأمر في بيته لذهب حتىٰ يأتي به، وأما الدين فهو معرضٌ عنه لا يتعلم ولا يعمل، فهٰذا هو ضابط الإعراض.

لا يبحث عن علم ولا يهتمّ به؛ يعني في توحيده توحيد الله جل وعلا وفي بيان الواجب ومعرفة ما أنزل الله جل وعلا، ولا يهتم بالعمل جميعا؛ يعني علم وعمل لا يهتم بهما.

أما إذا كان عنده علم ولم يعمل أو كان عنده عمل ولا يعلم هٰذا لا يسمىٰ معرضا.

تطبيقها علىٰ المعين صعب جدا، فلان معرض تماما، ربما لا يوجد أحد من أهل القبلة يعني من يصح ممن شهد أن لا إلٰه إلا الله يعني عنده انتساب أنه لا يهتم أصلا معرض تماما؛ لكن قد يكون أحيانا تأتي دعوة للتوحيد مثل ما حصل في وقت إمام الدعوة جهاد قائم ودعوة ومجادلة ومجاهدة باللسان

ومجاهدة بالسنان، وهو لا يهتم ولا عَلِم هٰذا الدين ولا...؛ يعني لنفسه؛ مادي.

يمكن أن تلخصها المعرض هو المادي البحت، لا يتعلَّمُه ولا يعمل.

سؤال (٣٦٢): قال بعضهم: إن جل السلف الصالح كانوا من الصوفية، فهل هٰذا صحيح؟

**الجواب**: الصوفية ما نشأت إلا في القرن الثاني الهجري؛ يعني بعد سنة مائة وخمسين (١٥٠) كنِحلة بدأت تتأصل في عزلة وأوراد وأشياء، والسلف الصالح القرون الثلاثة المفضلة الصحابة والتابعون وتبع التابعين.

هٰذا الكلام الرد عليه من جهات كثيرة؛ لكن ليس كلامًا ذا بال.

سؤال (٣٦٣): ما هو القزع؟ وهل التقصير باستخدام المقص في الشعر منه؟

الجواب: القزع الذي جاء النهي عنه في الحديث الذي رواه مسلم وغيره، وهو أيضا في البخاري بوب عليه البخاري باب ما جاء في القزع.

القزع أن يُحلق بعض الرأس وأن يترك بعضا، النبي ﷺ رأىٰ صبيًّا قد حلق بعض رأسه وترك بعض فقال: «**احلقوه كله أو دعوه كله**»، فكون بعض الرأس محلوق وبعضه غير محلوق هٰذا هو القزع، وهو مأخوذ من تقزّع السحاب وهو كون السحاب قطع هٰذه قطعة وهٰذه قطعة.

وله الصور ذكرها العلماء:

منها أن يأخذ أطراف الرأس ويُبقي الأعلىٰ.

منها وهي التي ينطبق عليها الوصف كونها مأخوذة من تقزُّع السحاب أن يأخذ من كل موطن قليلا؛ يعني يحلق ويترك يحلق ويترك من جميع الجهات.

فيها صور كثيرة.

والقزع منهيٌّ عنه، والعلماء يقولون مكروه كراهة تحريم، وعند طائفة كراهة تنزيه.

والعلة في النهي عن القزع فيما ذكره طائفة من العلماء أن فيه تشبُّهًا بمن كان يعمله من أهل الجاهلية، والدِّين جاء بالعدل قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾[النحل:٩٠]، والعدل الذي جاءت به الشريعة في تعامل الإنسان مع النّاس؛ بل قبل ذلك في تعامله مع ربه ومع الناس، وأيضا في تعامله مع نفسه.

وحلْق بعض الرأس وترك بعضه منافٍ للعدل في الشعر؛ لأن هٰذا فيه إضرار بالمحلوق أو بالشعر الباقي أو بالرأس الذي حواهما.

ومن هٰذا الأصل قولُ النبي ﷺ في لبس النعلين «**فليلبسهما جميعا أو ليخلعهما جميعا**» يعني ما ينتعل الواحد يلبس واحدة ويترك الأخرىٰ، يلبس الثنتين جميعا أو يترك الثنتين جميعا يمشي حافيا.

وله نظائر كثيرة لتعامل الإنسان في بدنه في قص الأظافر وفي الشعر وإزالة أشياء، وأيضا فعل أشياء للبدن، فإن العدل في الشريعة جاء للجميع والله جل وعلا يحب العدل ولذلك أمر به أمرا عاما، لهٰذا قال العلماء في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾[النحل:٩٠]، قالوا: جمعت هٰذه الآية الدين كله، وهٰذا صحيح:

فليس ثَمَّ مسألة في الدين من الأوامر إلاّ وأن تكون عدلا أو أن تكون إحسانا أو أن تكون إيتاء لذوي

القربىٰ.

ومن النواهي إما أن تكون فحشاء أو منكر أو بغي.

وهٰذا أصل مقرر في موضعه.

أما قص بعض الشعر -الذي جاء السؤال عنه-، قص بعض الشعر بدون استئصال فإن كان شبيها بالاستئصال تزاد الكراهة، وإن كان أقل وإنما يكون بعض الشعر أكثر من بعض بقليل فإن هٰذا مما يعفىٰ عنه؛ لأن هٰذا لا يشبه تقزع السَّحاب واختلاف شعر الرأس ما بين الحلق وما بين غيره.

سؤال (٣٦٤): ذكرتَ في الدرس السابق الخلاف في تعريف الإيمان وأن الخلاف صوري من وجه وحقيقي من وجه آخر، أرجو إعادة هٰذه النقطة وذلك لأهميته؟

الجواب: ذكرنا لكم أن عددا من أهل العلم قالوا: إن الخلاف صوري أو لفظي يعني غير معنوي وغير حقيقي. وذكرنا أن هٰذه المسألة لها جهتان:

**الجهة الأولىٰ**: جهة الحُكم.

**والجهة الثانية**: جهة امتثال الأوامر العلمية والعملية.

ومن جهة الحكم ومرتكب الكبيرة وخروجه من الإيمان، المرجئة -مرجئة الفقهاء- كحماد بن أبي سليمان والإمام أبي حنيفة ومن تبعهم ليس ثَم خلاف مع بقية أهل السنة في الحكم، فهم لا يكفرون مرتكب الكبيرة، وأيضا لا يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب؛ بل الحنفية من أشد الناس في التكفير وفي الحكم بالردة كما هو معروف من كتبهم.

ولهٰذا ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «الإيمان» لما ذكر الخلاف -وهٰذه احتج بها بعضهم في محل الاحتجاج- قال: وأغلب أو قال: أكثر الخلاف الذي بين أهل السنة في مسألة الإيمان لفظي. وهٰذا نستفيد منه فائدتين:

**الفائدة الأولىٰ**: أن مرجئة الفقهاء لا يُخرَجون من أهل السنة في هٰذه المسألة إخراجا مطلقا؛ بل يقيد يقال أنهم من أهل السنة إلا في مسألة الإيمان، فهم من جملة أهل السنة إلا في هٰذه المسألة، فشيخ الإسلام في كتابه «الإيمان» يدخل مرجئة الفقهاء خاصة في عموم أهل السنة؛ لأن الخلاف كما قال أكثره لفظي.

**الفائدة الثانية**: أن قوله: (أكثره لفظي) يدل علىٰ أن ثمة منه ما ليس كذلك، وهو الذي ذكرت لكم من جهة الأوامر واعتقاد ذلك، وامتثال جهة الأوامر العملية والعلمية.

وفي هٰذا كفاية إن شاء الله.

سؤال (٣٦٥): ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوىٰ» أن الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، فهل هٰذا التقسيم كان معروفا، مجمعا عليه عند السلف؛ لأن الأحناف فيما أعلم يدخلون العمل في مسمىٰ الإسلام؟

الجواب: الإسلام والإيمان هل هما شيء واحد؟ أم هما أمران مختلفان؟ وهل إذا اجتمعا افترقا أو لا؟ هٰذه المسألة فيها خلاف كبير بين السلف، مسألة الإيمان والإسلام، الخلاف فيها من قال: الإيمان

والإسلام واحد، أو قال: هما شيئان مختلفان، أو قال: إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، فالكل من أقوال أهل السنة، الخلاف في هٰذه المسألة لا يخرج القائل.

* فثَم جمع قالوا: الإسلام هو الإيمان، واستدلوا عليه بقوله تعالىٰ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾[الذاريات].

* ومنهم من قال لا، الإسلام شيء والإيمان شيء مختلف تماما، ويستدلون عليه بقوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾[الحجرات:١٤]، جعل الإيمان شيئا وجعل الإسلام شيئا آخر، وكذلك حديث جبريل قال: الإسلام كذا والإيمان كذا.

* والثالث الذي هو التحقيق أنّ الإسلام لابد له من إيمان حتىٰ يصح، والإيمان لابد له من إسلام حتىٰ يصح، فليس ثَم مسلم بلا أي قدْر من الإيمان وليس ثم مؤمن بلا أي قدْر من الإسلام؛ بل لابد هٰذا وهٰذا، والإسلام علىٰ كماله والإيمان علىٰ كماله، قد يطلق الإسلام مع الإيمان فيعني بالإيمان ما جاء في حديث جبريل الأعمال الباطنة؛ يعني الإيمان الباطن، والإسلام الظاهر مثل ما جاء في الحديث الذي رُوي في «مسند الإمام أحمد» قال: «**الإسلام علانية والإيمان في القلب**»:

فيجتمعان فتكون هٰذا دلالته علىٰ حديث جبريل تكون دلالته الشهادتين والأركان العملية الأربع، والإيمان: الإيمان التصديق الباطن مع العلم.

ويفترقان فيكون الإسلام يدل علىٰ الإيمان، ويكون الإيمان يدل علىٰ الإسلام.

المسألة الخلاف فيها سائغ يعني من خالف فيها، الخلاف منقول عن أئمة السنة؛ لكن التحقيق هو ما ذكرنا.

سؤال (٣٦٦): كثُر في الآونة الأخيرة المقدِّسون للعقل والسير علىٰ نهج المعتزلة؛ بل إن أحدهم لما قيل له إن قولك هٰذا قول المعتزلة قال: وهل المعتزلة إلا فرقة العلماء.

وما توجيهكم خصوصا وأننا نجلس مع بعض الناس أقارب؛ لكن درسوا في الغرب ورضعوا منه سموما بالشهوات والشبهات، ويناقشون ذلك في المجالس عند العامة، هل نقوم من المجلس أو نرد عليه؟

الجواب: الواجب الدعوة والمصابرة والبيان، الشرع هو الذي دل علىٰ العقل دل علىٰ اعتبار العقل، ودلنا علىٰ أن العقل يُعمل وأنه آلة يحاسَب عليها الإنسان، وكذلك العقل أيضا دلنا علىٰ الشرع، وعلىٰ أنه صواب وعلىٰ صحة ما جاء فيه.

فالعقل والشرع غير متعارضين، الشَّرع قاض والعقلُ شاهد، العقل يشهد لحسن الشرع، يشهد لصحَّته، والشرع قضاء الله جل وعلا بقضائه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام:١١٥]، وفي قراءة ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ آيات الأنعام فكلمات الله جل وعلا الشرعية قضت صدق وعدل انتهىٰ.

فإذن الذي يرفض العقل يرفض الشرع والذي يقدس العقل ويرفعه فوق الشرع هٰذا أيضا يرفض الشرع، لهٰذا ألّف ابن تيمية كتابه المشهور «العقل والنقل» يعني شو الصلة بينهما، أو المشهور باسم

«موافقة العقل الصريح للنقل الصحيح»، أو «درء تعارض العقل والنقل»، وهو الذي قال فيه ابن القيم في «نونيته»:

واقرأ «كتاب العقل والنقل» الذي ما في الوجود له مثيل ثاني

لأنّ أصل تقديس العقل وتقديمه علىٰ النقل جاء من الجهمية ثم المعتزلة ثم الأشاعرة، الأشاعرة أيضا من أصولهم أن العقل مقدّم علىٰ النقل في الغيبيات، أما السمعيات لهم بحث فيها. وهٰذا شيء مشهور معروف.

المقصود أن طالب العلم ةالداعية:

**أولا** يفهم ما صلة الشرع بالعقل.

ثم **ثانيا** يتأمل فيما يورد من الأشياء الشرعية التي يقول القائل: إنها تخالف العقل يتأمل ما يعجل، يقول لا هٰذا كيف هٰذا، لو أنه ما فهم مرادها عقلا، فينبغي إذا تأمل أنه يبين عدم تعارض الشرع مع العقل؛ لأن العقل لابد له من حدود يقف بعدها علىٰ شيء ما يعرفه، الأمور الغيبية إذا تجاسر العقل عليها وقال: لا ليست بصحيحة، هو الحقيقة ليس عاقلا لأن العجز عن الإدراك إدراك، هو لم يدركها لم يره فكون ينفي شيئا لا يراه.

مثلا لو جاء قال وقال الكهرباء التي أمامك إيش الكهرباء؟ ما فيه، سلك إيش الذي في السلك، هل فيه شيء يمشي فيه؟ هل السلك أنبوبة فيه شيء ماشي ويصل؟ لا، فإذن ثم أشياء كثيرة تُعرف بآثارها، ولا تُرىٰ أو تدرك حقائقها.

مثل النوم الآن، حقيقة النوم ما هي؟ الأطباء يقولون: ما أدركنا حقيقة النوم لكن تعرف أن النوم له أثره علىٰ الجسم وعلىٰ البدن، وإذا فقده الإنسان ما ذا يحصل وإذا نام ماذا يحصل إلىٰ آخره.

عندك الآن الهواء، الآن موجود هواء، هٰذا الفراغ، أين الهواء؟ فإذا أخبر مخبرٌ بوجود الهوىٰ، فإنه يخبر بوجود شيء دل العقل عليه، لا من جهة رؤيته ولكن من جهة إدراكه بآثاره.

كذلك النصوص الشرعية الكثيرة، إذا كان فيها تعلق بالأمور الغيبية، نقول: هٰذه ينفيها العقل فيكون هو متجنيا علىٰ عقله؛ لأن العقل لا ينفي شيئا لم يدركه.

مثلا يأتي حديث فقء موسىٰ لعين ملك الموت، ويقول: هٰذا العقل يرفضه مثل ما رفضه عدد من المعاصرين، العقل يرفُضه حتىٰ ولو كان في الصحيح، يقول كيف ملك الموت يأتي وله عين ويفقأها موسىٰ، هٰذا يرفُضه العقل، لماذا يرفضه العقل؟ لماذا؟ لأي شيء؟ تسأل عن الأسباب.

إذا قال لك:

السبب الأول هو مثلا أن الملك الموت كيف يكون له عينان؟

فيكون الجواب:

ما الذي يمنع في العقل أن الله جل وعلا بعث ملك الموت في صورة رجل لموسىٰ عليه السلام اختبارا له وإبقاء للعلم في الناس؟ ما يمنع.

ملك الموت علىٰ صورته الحقيقة ليس صورة رجل، هٰذا تصوير؛ يعني جاءه في صورة علىٰ هيئة رجل

ففقأه، هٰذا فيه اعتبار.

الأمر الثاني: إذا قال له: موسىٰ عليه السلام كيف يعتدي عليه.

تقول: علمنا العقل أنه ما عرفه أو أنه رآه ومعتد أو أنه متجنّ علىٰ مقام الملائكة، ملك الموت ما يأتي علىٰ صورة رجل يقبض الأرواح بإذن الله جل وعلا.

فإذن ما أُدعي فيه من الأمور الغيبية أنه معارض للعقل مما عارض به المعتزلة من قبل وكل من خالف الشرعيات، الجواب عنه سهل لكن أيضا يحتاج إلىٰ عقل.

فإذن طالب العلم والداعية إذا واجه مثل هٰذا:

◆ أولا يهدأ؛ لأنه إذا صار ذا هدوء أدرك وين يضرب الخصم، إذا أنت استعجلت هو يْصِيدِك، وأنت تقع في موضع ضعف كيف تدافع، وأنت الآن مبلغ عن الشرع، الحاضرين في المجلس يقولون: والله ما عرف يجاوب.

أولا تهدأ.

◆ ثم إن كان عندك علم وقوة إدراك في مناقشته فناقش، وإذا لم يكن عندك علم وقوة إدراك فترجع الأمر إلىٰ المجملات، ما هي المجملات؟

الله جل وعلا هو الذي قال ذلك، ويجب تصديق الرب جل وعلا، لا أحد أعلم بخلق الله من الله سبحانه، أخبر بها النبي ﷺ والحديث صحيح، ما طعن فيه أحد من العلماء يجب التسليم، كون أدركنا معناه أو لم ندرك هٰذه مسألة أخرىٰ، فتحيل علىٰ المجملات، والمجملات فيها قوة؛ لأنها أقوىٰ حجة إذا كان المجادَل مؤمنًا يعني عنده انتساب للإيمان، تقول: النبي ﷺ قال هٰذا، لو كان النبي ﷺ حاضرا وقال هٰذا الكلام تقول هٰذا يرفضه العقل أو هٰذا غير صحيح.

فإما أن يطعن في دلالة النص أو يطعن في ثبوت النص؛ فإن الطعن في الثبوت تبحث معه والطعن في الدلالة تبحث معه أو ترجعه إلىٰ المجملات.

◆ الخطوة الثالثة أن هؤلاء دائما يقفون بالعقليات، العقليات يعني إذا حاججتهم الفهم تقول مسألة عقلية تجعله يقف، من المسائل العقلية المهمة التناقض، إذا كان هو يقول العقل يعارض هٰذا، تكون أنت محضّر لأشياء عقله هو بما أقر به أيضا يتناقض فيها، يسلم بأشياء ما شافها، يسلم بأشياء العقل ربما لا يدله العقل إلا بخبر من أخبر بها.

فإذن تبحث هناك عن أشياء تجعله متناقضا، والتناقض من أقوىٰ الأشياء التي تضعف الخصم في أي مجادلة التناقض مرة تقول كذلك ومرة تقول كذا، معناه أنه لم يقم علىٰ عقل واضح واحد، ولا علىٰ دليل بيّن، تقول فإذن أنت تسأله مرة تقول ومرة تقول ما عندك قاعدة بينة.

لهٰذا الشرع من اعتمد عليه فإنه لا يتناقض ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء]، من يعتمد علىٰ الشرع ما يتناقض، الحجة واحدة والدلالة الشرعية في المسائل العقلية أيضا واحدة ما تختلف.

وهٰذه المناظرات والمجادلات ينبغي لطالب العلم أن يتحرَّز فيها ما يقبل عليها وبضاعته قاصرة؛ لأنه

يُخشىٰ أن يفتن من يخاطبه، يخشىٰ أن يفتنه، يقول: ما جاء بحجة، هٰذه الذي وقع فيها حتىٰ بعض المشهورين في المناظرات التي حصلت في بعض القنوات الفضائية الفضائية، ونحو ذلك مسائل عظيمة منها مسائل عقدية، ومنها مسائل الإيمان؛ بل في وجود الله جل وعلا، وربما ما كان عندهم حجة صار المتلقي هٰذا والله مسلَّم له، المتلقي شكّ في المسألة إذا كان هٰذا ما عرف الجواب الصحيح ما عرف له حجة، يؤول الأمر إلىٰ أن المجتمع يتشكَّك.

ولا يجوز لمؤمن أن يقدم علىٰ شيء يحصل بسببه فتنة لآخرين، إذا كان سؤال شيء لم يحرم في عهد النبوة -شيء لم يحرمه الله جل وعلا-، السؤال عنه ثم بعد ذلك حرم أنه من أعظم المسلمين جُرمًا، فكيف من يوقع الشبهة في أصل الدين، في العقيدة، في وجود الله جل وعلا في أشياء، ما يعرف يناقش، ما يعرف يحتج، يجعل الشرع ضعيفا أو ما يجد الحجة.، ما يلزمك أن ترد إلا إذا كنت قادرا، قادر من الناحية العلمية وقادر أيضا من الناحية النفسية.

بعض الناس إذا جاء النقاش يُحس من نفسه أنه خاف، تحس أن قلبه بدأ يضطرب وخايف، هٰذا معناه أن يسكت، مع هٰذا الاضطراب ما يقضي القاضي وهو غضبان، وهٰذا قضاء أيضا في مسائل شرعية، لهٰذا قال العلماء: لا يقضي القاضي وهو غضبان. يشمل المسائل والخصومات العملية والعلمية، أنت تبلغ عن الشرع، فما تدخل في شيء وأنت تعلم من نفسك عدم ثباته، كذلك المجادل الداعية، هٰذا نوع من الانتهاك يحتاج إلىٰ ثبات، يحتاج إلىٰ ثبات، ورباطة جأش، الواحد ما نزل عليه من جبال من الكلام السيئ ما ينفعل إلىٰ آخره.

وأنت تأمل مجادلة النبي ﷺ للمشركين في مكة ناقشوه في كل شيء في الله جل وعلا وصرف العبادة وفي الأسماء والصفات، وجادلوه في البعث بعد الموت وسبوه، وقالوا: أنت مجنون؛ لكن كل كلامه عليه الصلاة والسلام، وما أمر الله جل وعلا به رده أن يبلغ المشركين؟ كان كله علىٰ الغاية والرفعة في اللفظ وفي الحجة وفي الهدوء والطمأنينة، فلسنا بشاكِّين حتىٰ نضطرب، لهٰذا كل واحد يعرف نفسه، فلا يوقع غيره في شبهة فيأثم بذلك.

هٰذه مسائل عظيمة يحتاج طالب العلم إلىٰ أن يُدرِّج نفسه فيها، وسبيلها الهدوء والطمأنينة.

زادني الله وإياكم من كل خير ومن حمل الفقه في الدين، وغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ومن له حقٌّ علينا، ووفق ولاة أمورنا علماءنا لكل خير.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.[1]

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الحادي والثلاثين.

## الدرس الثامن والثلاثون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد..

فأسأل الله جل وعلا لي ولكم التوفيق والسداد في القول والعمل، وأن يجعلنا من أهل الإيمان الذين حققوه قولا وعملا واعتقادا، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يمنحنا الفقه في الدين والثبات علىٰ ذلك، والعلم بالله ومعرفة شريعته، إنه سبحانه جواد كريم.

[**الأسئلة**] نجيب علىٰ بعض الأسئلة بين يدي الدرس.

سؤال (٣٦٧): يقول: لماذا سُمِّي كتاب «الأدب المفرد» بهٰذا الاسم؟ وما أفضل كتاب في الأدب يمكن أن يُشرح للطلاب؟

**الجواب**: كتاب «الأدب المفرد» هو للإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ وهو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وهو مؤلف الصحيح، وفي كتابه «المسند الجامع الصحيح المختصر» فيه كتاب باسم كتب الأدب في أواخره، ثم صنّف كتابًا آخر ليس كشرطه في الصحيح جمع فيه جملا كثيرة مما جاء في السنة أو عن الصحابة رضوان الله عليهم في أبواب الأدب سمَّاه الأدب المفرد؛ يعني مفردًا عن الصحيح لئلا يشتبه بكتاب الأدب الذي هو من كتب «صحيح البخاري».

وهو في الأدب الشرعي؛ يعني مثلا ما يتعلق بأدب الاستئذان، رد السلام، حقوق المسلم كيف يتعامل مع نفسه، كيف يتعامل مع الحيوان، كيف يتعامل مع النّاس، أدبه في الأكل، أدبه في النوم، أدبه في الاجتماع، أدبه في الحقوق العامة، ونحو ذلك مما يُعرف من الإطلاع عليه، وهو كتاب نافع جدا، وله شرح متأخر لا بأس به سماه مؤلفه وهو أحد علماء الهند: «فضل الله الصمد بشرح كتاب الأدب المفرد»، وهو مطبوع في مجلدين.

سؤال (٣٦٨): ما الصواب في الجارّ والمجرور في أول سورة قريش؟ هل هو متعلِّق بسورة الفيل التي قبلها، أم هو كما قال ابن جرير: إنه لام التعجُّب يعني إعجبوا لإيلاف قريش؟ أفيدونا جزاكم الله خيرا.

الجواب: هٰذا سؤال جيد، وسورة الفيل وسورة قريش في ترتيب المصحف الذي رتّبه الصحابة رضوان الله عليهم جاءت سورة قريش بعد سورة الفيل، وسورة الفيل فيها ذكر منّة من الله جل وعلا علىٰ قريش كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾[الفيل]، هٰذا قبل أن يولد محمد عليه الصلاة والسلام، فالفضل في صدّ أبرهة ومن معه والفيل وذاك الجيش عن استباحة مكة، الفضل فيها لله جل وعلا، والمتفضَّل عليه قريش، ولهٰذا لما جاء [أبو طالب][1] إلىٰ أبرهة وقال له

---

(١) لعله: عبد المطلب.

سأله عن إبله قال له: ظننت أنك تدفع عن البيت، قال: للبيت رب يحميه وأنا رب هٰذه الإبل، فالفضل من الله جل جلاله والنعمة تمت علىٰ قريش أنْ منع هٰذا المعتدي من أن يستبيح مكة.

هٰذا الفضل الذي يُعرف من قراءة سورة الفيل والإنعام الخاص علىٰ قريش لصدِّ الفيل وعقوبة أهله، لماذا؟ يعني ما العلة فيه؟

هنا جاء من قال من أهل العلم أن اللام في ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١﴾[قريش]، أنها تعليلية لما تضمَّنته سورة الفيل، هٰذا الإنعام وهٰذا الفضل وهٰذا الصد وهٰذه الحماية لأي شيء؟ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١﴾ لأجل أن يألفوا ما أَلِفُوه من التجارة ومن النعمة ومن الراحة في هٰذا البيت ونحو ذلك، هٰذا توجُّه لطائفة من أهل العلم وهٰذا التوجه، وإن كان من حيث التعليل له حظٌّ من النظر؛ لكن الأصل في السور الانفصال، ثم إنَّ الترتيب ليس ترتيبا توقيفيا كما هو معلوم -ترتيب السور-، إنما هو اجتهادي علىٰ الصحيح، وسورة قريش نزلت بعد الفيل، ونزول السورة بعد السورة لا يقتضي تعلق الآخرة بالأولىٰ.

لهٰذا فالقاعدة أن كل سورة مستقلة عما قبلها من جهة تعلُّق الآي إعرابا وتركيبًا بالآي التي في السورة قبلها، وهٰذا يظهر به أن اللام في قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١﴾ أنها ليست متعلِّقة بما قبلها وليست تعليلية، وإنما يُقَدَّر فعل تعلق به الجارّ والمجرور؛ لأن الجار والمجرور في النحو يتعلق بفعل أو بمصدر أو ما أشبه ذلك.

لهٰذا قدّره ابن جرير وغيره من المحققين بفعل محذوف هٰذا الفعل المحذوف، يقدر بحسب اجتهاد المقدر، والعرب تعرف أنه إذا حُذف الفعل وبقي المتعلق فإنه يُعطِي سعة -هٰذا من جهة البلاغة- يعطي سعة في تقدير المحذوف بحيث يكون أعم من أن يذكر فعل واحد؛ يعني لو قال الله جل وعلا: تعجبوا لإيلاف قريش، اذكروا لإيلاف قريش أو إعجبوا لإيلافهم، أو اعتبروا لإيلافهم، لصار هناك حد من سعة تقدير المحذوف، فلمّا حُذف الفعل وأُبقي الجار والمجرور الذي هو متعلق بالفعل المحذوف كان في هٰذا سعة في التقدير وأبلغ في الاعتبار.

لهٰذا نقول: الصحيح أن قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١﴾ وأمثاله فيما يكون في السور أنه لا يتعلق بالسورة التي قبل، وإنما يقدر له محذوف يناسب المقام.

هٰذا يختلف عن بحث عند أهل التّفسير وعلوم القرآن، بحث آخر وهو أن تكون سورة لها صلة بالسورة التي قبلها من حيث المقاصِد؛ مقاصد السور والتناسب، وهٰذا فيه ألَّف طائفة من العلماء أنه تناسب السور؛ يعني مناسبة مجيء السورة بعد السورة، هل فيه مناسبة؟ هٰذه المناسبة تكون لأجل الترتيب، لا لأجل أنها أنزلت لأجل ذلك، فمثلا نقول في هٰذا المقام: جاءت سورة قريش بعد سورة الفيل لأنها أُنزلت بعدها ولمناسبة تذكر النعمة بدفع الفيل وبحصول إيلاف قريش وإلفهم وبحصول هٰذه الرحلة والمنة عليهم بذلك، ثم تحقُّق النعمتين دفع الفيل في الماضي وإلف قريش للتجارة دون معارض لهم في الشتاء وفي الصيف وما كانت عليه مكة من الغناة، لابد أن يعتبر به لأجل عبادة الله وحده: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤﴾[قريش]، ﴿أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ﴾ بالتجارة، ﴿وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ في الحاضر وفي الماضي بدفع الفيل والجيش الذي أراده. والله

أعلم.

سؤال (٣٦٩): هٰذا السُّؤال يحتاج إلىٰ بسط؛ لأنه يتعلق بأصول البدع والسنن، يقول: كثير ما أسمع من بعض علمائنا قولهم: لم يُعهد هٰذا عن السلف، فهل هٰذه العبارة دليل بحد ذاتها وحجة معتبرة؟ وهل تعتبر من الاستقراء؟

الجواب: هٰذا يحتاج إلىٰ بيان طويل يضيق المقام عنه؛ لأنه يحتاج إلىٰ تأصيل المسألة، والعبرة بالدليل وعمل السلف وصلته بالدليل، وهل هو مطلق في كل مسألة؟ أم أن الحجة في الدليل ولو لم يجر عليه عمل؟ تفصيل العلماء في ذلك، يحتاج إلىٰ بسط.

لكن في الجملة: العلماء يستدلُّون علىٰ عدم جواز الأفعال التي لها هيئات تضاهي المشروع بقولهم لم يُعهد هٰذا عن السلف، فإذا كان هناك مضاهاة للمشروع مثل احتفالات، اجتماعات علىٰ الأذكار علىٰ نحو معين، إعلان بشيء علىٰ المنابر، ومثل إضافة شيء للأذان ونحو ذلك، مثل هٰذه الأمور يحتج فيها بأنها لم تعهد علىٰ السلف ولو كان خيرا لكانوا هم أحرص عليه، هٰذا علىٰ وجه الإجمال لكن تحتاج إلىٰ تفصيل.

سؤال (٣٧٠): يقول: بالأمس ضاق علينا الوقت بصلاة الجمعة ونحن خارج المدينة فتوقفنا عند مسجد وخطب بنا أحدنا وصلينا الجمعة، وكان عددنا ثلاثة وأربعين رجلا مع العلم أن هٰذا المسجد لا تقام فيه صلاة الجمعة، فما الحكم؟

الجواب: الصلاة مجزئة، المسافر إذا صلىٰ الجمعة أجزأت، والصحيح أيضا من قولي العلماء أن الخطيب والإمام يجوز أن يكون مسافرًا، ويجوز أن يأمّ المسافر الحاضرين في الجمعة، وكذلك من كانوا مسافرين علىٰ مثل حاله.

والأفضل لهؤلاء أن لا يصلوا الجمعة في السفر؛ لأن النبي ﷺ سافر كثيرا ومرت عليه جمع كثيرة في السفر، سواء أكان في مدينة كمكة أو كان في غيرها ولم يصل الجمعة، ولذلك المسافر ليس في حقه جمعة؛ يعني لا تجب عليه الجمعة، وليس الأفضل له أن يصليها جمعة، الأفضل أن يصلي الظهر والعصر جمعا وقصرا بحسب الحال، إما في أول وقت الظهر أو أول وقت العصر.

هٰذا في حق المسافر الذي جدّ به السير مثل حالتهم مروا بمسجد يصلون الظهر والعصر، هٰذا هو الأفضل في حقهم، والصلاة مجزئة.

سؤال (٣٧١): ما المراد بالقرب في قوله تعالىٰ: ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[ق]؟

الجواب: التحقيق أن المراد هنا بالقرب قرب الملائكة، وذلك كما حقَّقه ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وابن القيم أن القرب هنا قرب عام، وهٰذا القرب إنما هو قرب الملائكة.

سؤال (٣٧٢): هل تجوز صلاة الغائب علىٰ من صُلي عليه في مكان آخر؟

الجواب: صلاة الغائب العلماء لهم فيها ثلاثة أقوال:

**القول الأول**: وهو قول أكثر أهل العلم، أنَّ الغائب إذا كان فَقْدُه علىٰ الجميع فإنه يصلَّىٰ عليه صلاة الغائب ولو كان صُلي عليه، إذا كان المسلمون يفقدونه، وهؤلاء استدلوا بحديث الصلاة علىٰ النجاشي

رَحِمَهُ اللَّهُ، والنبي ﷺ صلىٰ عليه صلاة الغائب.

ويعكّر عليه -يعني علىٰ هٰذا القول، مع أنه قول أكثر أهل العلم- أنّ النبي ﷺ لم يصل عليه إلا في حجرة عائشة لما قُبض صلىٰ عليه الناس أرسالا، تدخل جماعة تصلي، ثم تدخل جماعة تصلي، ثم تدخل جماعة تصلي، ولم يُصلَّ عليه في خارج المدينة صلاة الغائب، وكذلك فعل بأبي بكر رضي الله عنه، وكذلك فعل بعمر وهكذا.

ولهٰذا صار:

**القول الثاني**: وهو أن لا يصلىٰ إلا علىٰ من لم يصلّ عليه، إذا لم يصلَّ عليه أحد -يعني علىٰ مسلم فإنه مات في غربة أو عُرِف أنه لم يصل عليه- فإنه يصلىٰ عليه صلاة الغائب، وذلك كما فعل النبي ﷺ في حق النجاشي فإنه نعىٰ النجاشي إلىٰ أصحابه وتقدمهم وصفوا خلفه وصلىٰ علىٰ النجاشي وكبر عليه أربع تكبيرات؛ وذلك لأنه مات في بلد أو دار كفر وكان مسلما رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ.

وهٰذا هو الذي يَسعد بالدليل أولا.

وثانيا العمل عمل الخلفاء الراشدين عليه فيها هم عليه فيما هو ظاهرٌ من عملهم.

**القول الثالث**: وهو رواية عن الإمام أحمد الناس في ذلك تبع للإمام الإمام هو الذي يختار يصلي أو لا يصلي.

والقول الثاني هو الأظهر من جهة الاستدلال.

اقرأ...

وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَىٰ مَا جَاءُوا بِهِ.

وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي النَّارِ لَا يَخْلُدُونَ، إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ، بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ مُؤْمِنِينَ، وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ، وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ، كَمَا ذَكَرَ ﷻ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء]، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَدْلِهِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَىٰ جَنَّتِهِ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ تَوَلَّىٰ أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ، وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وَلَايَتِهِ.

اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ثَبِّتْنَا عَلَىٰ الْإِسْلَامِ حَتَّىٰ نَلْقَاكَ بِهِ.

---

قال رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ: (وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ) لَمّا ذكر الإيمان وأنَّه الإقرار باللسان والتصديق بالجنان، ومرّ معك أنَّه لابد فيه من العمل وهو جزء مسماه، عرّف الإيمان الذي يصدّق به والذي يُقرّ به.

ما هو الإيمان؟ (الْإِيمَانُ: هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ)، تصديق بالجنان بأي شيء؟ وإقرار باللسان بأي شيء؟ فذكر لك أركان الإيمان السِّتّة المعروفة التي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

وهٰذه الأركان الستة تسمّىٰ أركان الإيمان؛ لأنها جاءت حصرا في جواب سؤال وهو قول جبريل عليه السلام للنبي عليه الصلاة والسلام: أخبرني عن الإيمان؟ قال: «الإيمانُ أن تؤمن باللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكتبِهِ، وَرُسُلِهِ، واليوم الآخِر، وَالقَدَرِ: خَيْرِهِ وشَرِّهِ» قال: صدقت.

وسُمّيت أركان الإيمان هٰذه عند أهل السنة والجماعة وعند غيرهم أيضًا؛ لأنها جاءت جوابا علىٰ سؤال، فالأصل في الجواب أنه يقتضي الحصر والحد الأدنىٰ مما يصدُق عليه الجواب، وذِكرها للتَّنصيص عليها في القرآن والسنة:

أما في القرآن فجاءت في غير موضع كقول الله جل وعلا: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[البقرة:١٧٧]، و﴿ٱلْبِرَّ﴾ هنا المقصود به الإيمان.

وكذلك قوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[البقرة:٢٨٥].

وكذلك قوله جل جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[النساء].

وفي القدر قوله جل وعلا: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾[الفرقان]، وكذلك قوله جل جلاله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[القمر].

ومن السنة حديث عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي رواه مسلم في «الصحيح» -المعروف حديث جبريل- حيث جاء

أعرابي في الحديث المعروف لديكم إلىٰ النبي ﷺ لا يرىٰ عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد من الصحابة، إلىٰ أن سأله عن الإيمان فقال: أخبرني عن الإيمان فذكر هٰذه الستة.

وكذلك هو في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهٰذه الأصول الستة أركان الإيمان الستة هي التي يجب التصديق بها والإقرار بها لسانا؛ يعني يقر بلسانه أنه آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وكذلك يعتقد بقلبه مصدقا بهٰذه الأشياء الستة.

وقد مر معنا فيما قبل تفصيل الكلام علىٰ هٰذه الأركان الستة وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، ويأتي الكلام علىٰ الإيمان باليوم الآخر تفصيلا، وتتمة الكلام علىٰ الإيمان بالقدر.

وعلىٰ هٰذه الجملة نذكُر بعض المباحث والمسائل.

**الأولى**: أنَّ هٰذه السِّتّة يعبر عنها بالأركان، وكلمة الأركان سواء أركان الإسلام أو أركان الإيمان أو غير ذلك هي تسمية اصطلاحيَّة، لم يأتِ بها الدّليل أن هٰذا ركن، فالأدلة ليس فيها تفريقٌ في المباني ما بين الركن وما بين غيره من حيث التّسمية، وفي العبادات أيضًا ليس في الأدلة تسمية الأركان أركانا والواجبات واجبات، والعلماء من جهة الاصطلاح وما دلّ عليه الدليل جعلوا ما يقومُ عليه الشيء ويسقط بسقوطه رُكنا، وجعلوا ما يتمّ به الشيء علىٰ جهة اللُّزوم جعلوه واجبا، ولهٰذا سَمّوا أركان الإسلام الخمسة أركانًا وهي واجبات؛ لأن الركن أعظم من الواجب فيسمَّىٰ واجبا وهو ركن بسقوطه يسقط البناء.

فمما يدلّك علىٰ أن التسمية اصطلاحية أنهم مع اتفاقهم علىٰ أن أركان الإسلام خمسة فهم اختلفوا اختلافًا شديدا فيمن ترك ركنا من هٰذه الأركان الخمسة غير الشَّهادتين والصلاة والزكاة؛ يعني من ترك الصيام أو ترك الحج فهل يقال: انهدم إسلامُه، وكذلك في أركان الإيمان هل من ترك بعض أفراد هٰذه الأركان يعني شك أو ترك الإيمان ببعض ما يتَّصل باليوم الآخر لجهله أو لتأويله أو نحو ذلك هل يسقط الركن في حقه؟ أو ما تتصل به مسائل القدر هل يسقط الركن في حقه؟ ممَّا للعلماء فيه بحث.

هٰذا مهم لك لأجل أن تسمية الركن تسمية اصطلاحية، ولا يعني أن ترتِّب عليها أن لها ما تظن أنه الركن أو بعض أفراده أنه يعني عدم صحَّة الإيمان أو عدم صحة الإسلام أو الكفر.

وحقيقة الركن في الاصطلاح هو ما تقوم عليه ماهية الشيء ولا يُتصور بدونه، والإيمان بالله جل وعلا ركن فمن لم يؤمن بالله لم يصحّ إيمانه، كذلك الإيمان بالملائكة وأنهم موجودون وعلىٰ نحو ما فصلنا لك في القدر المجزئ من الإيمان هٰذا ركن، فلكلِّ ركن من هٰذه الأركان الستة قدر يصح به، وهناك شيء زائد قد يكون واجبًا؛ ولكن يأثم الإنسان علىٰ عدم الإيقان به ولكن ليس داخلا في حدِّ الركن؛ يعني بمعنىٰ إذا سقط أو لم يأت به فإنه لا يصحّ إيمانه.

فإذن الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، وما يتصل بأركان الإيمان الستة هٰذه تصديق بالجنان علىٰ نحو ما فصلنا لك سابقا في القدر المجزئ من كل مسألة وركن منها.

من تتمَّة البحث مسألة أركان الصلاة وواجبات الصلاة ثم خلاف كبير بين العلماء هل هٰذا ركن أو هٰذا

واجب؟ ولماذا سموا هٰذا ركنا وهٰذا واجبا؟ إلىٰ آخره مما له صلة بفهمك لمعنىٰ الركن ومعنىٰ الواجب.

**المسألة الثانية**: خلاصة الكلام علىٰ هٰذه الأركان السّتة بحيث يمكنك معه أن تقرر حقيقة الإيمان وعقيدة السلف فيما يتصل بهٰذه الأركان الستة.

☜ الإيمان بالله ثلاثة أقسام:

الأول: **إيمان بالربوبية**: يعني إيمان بأن الله واحدٌ في ربوبيته، في تدبيره لهٰذا الملكوت، وفي رُجوع كل شيء إليه.

الثاني: **الإيمان بالألوهية**: يعني بأن الله واحد في استحقاقه العبادة، ولا أحد معه يستحق شيئا من العبادة.

الثالث: **الإيمان بالله في أسمائه وصفاته**: يعني بأن الله واحد في أسمائه وصفاته ليس له مثيل ولا ند وليس له كُفُو وليس له سمي في أسمائه وصفاته من جهة الكيفية ومن جهة تمام المعنىٰ وشمول ما دلّ عليه الاسم والصفة من المعنىٰ.

☜ الثاني الإيمان بالملائكة: والإيمان بالملائكة إيمان بأنهم موجودون، وهٰذا الإيمان فيه إجمال وتفصيل، وكل من علم شيئا مما جاء في الدليل من كتاب الله جل جلاله أو في سنة المصطفىٰ ﷺ الصحيحة فإنه يجب إيمانه به، كما ذكرنا لك سابقا أن القدر المجزئ للإيمان بالملائكة الإيمان بوجود الملائكة، وأنهم عُبّاد لله جل وعلا لا يُعبدون.

☜ الثالث الإيمان بالكتب وهو بكل كتاب أنزله الله جل وعلا ما علمنا منه وما لم نعلم، إيمانا إجماليا في المجملات؛ يعني فيما لم نعلم، وتفصيليا فيما وقفنا علىٰ اسمه من كتب الله جل وعلا.

☜ الإيمان بالرسل أيضا علىٰ نفس المنوال؛ إيمان بأن الله جل وعلا أرسل رسلا وأيّدهم بالبراهين والآيات والمعجزات، وجعلهم هُداة إلىٰ الحق دالّين عليه، وهم كثير منهم من قُصّ علينا ومنهم من لم يقصَّ علينا، فنؤمن بهم إجمالا ونؤمن بهم تفصيلا فيما بلغنا تفصيله.

هٰذه كلها جمل سبق الكلام عليها مفصّلا -تذكرون- في مواضعها.

☜ الإيمان باليوم الآخر: القدر المجزئ منه أن يؤمن العبد ويوقن ويصدّق بأن هناك يوما يبعث الله فيه العباد فيجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ثم تَحته مباحث كثيرة من الحال في البرزخ، ثم ما بعد النَّفخة الأولىٰ، ثم ما بعد النفخة الثانية، ثم اجتماع الناس في العرصات -عرصات القيامة-، ثم الحوض، ثم الصحف، ثم الميزان والصراط والظُّلمة والنار والجنة والحساب والاقتصاص وانقسام الناس كل ما في القرآن من ذلك.

واليوم الآخر كثيرٌ تفاصيله في القرآن جدا، وكذلك في السنة كثير تفاصيله.

ويمكن أن يضبطه طالب العلم من جهة التفصيل بأن يرتِّب ما جاء فيه من الأدلة في القرآن وفي السنة، يرتبها في قلبه من حين نَفخة البعث إلىٰ دخول أهل الجَنة الجنة ودخول أهل النّار النار، ترتب ما يحدث علىٰ مراحل: النفخة، ما يحصل بعدها، مسير الناس، كيف يجتمعون، ما يحصل أثناء اجتماعهم بما جاءت الأدلة، ثم بعد ذلك أيش الأشياء التي تحصل تباعا شيئا فشيئا وتفاصيل ذلك إلىٰ دخول أهل

الجنة الجنةَ وأهل النار النارَ، وسيأتي تفصيلٌ للكلام علىٰ اليوم الآخر إن شاء الله تعالىٰ في آخر هٰذه العقيدة المباركة.

☜ والقدر هو الركن السادس، وذكرنا لك أن مراتب الإيمان بالقدر أربع، وأنه يجب علىٰ العبد والقدر المجزئ من الإيمان به أن يعلم أن كل شيء يحصل إنما هو بإذن الله وبمشيئته وبعلمه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنَّ الرب جل جلاله قدر كل شيء إجمالا وتفصيلا.

الإيمان بالقدر كما ذكر قال: (وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ) والخير والشر والحلو والمر في القدر المقصود بها ما يضاف للعبد من القدر -يعني المقدور- القدر له جهتان:

**جهة صفة الله جل وعلا وفعل الله جل وعلا**: وهٰذه مرتبطة بعدد من صفات الرب جل جلاله: أولها العلم، الثاني الكتابة والمشيئة والخلق والحكمة وهي وضع الأمور مواضعها اللائقة بها الموافقة للغايات المحمودة منها، والعدل في حكمه جل وعلا القدري وهو وضع الأمور والمقادير في مواضعها، هٰذه جهةٌ تتعلَّق بالله جل جلاله.

**والجهة الثانية تتعلق بالعبد** وهي المقدور، وقوع المقدور وقوع المقدَّر عليه، وقوع القدر عليه أو حصول القدر وهٰذه تسمىٰ المقدور، وتسمىٰ القضاء كما أسلفنا لكم في الفرق ما بين القدر والقضاء. هٰذا المقدَّر هو الذي ينقسم إلىٰ خير وشر وإلىٰ حلو ومُر.

أما الجهة الأولىٰ وهي صفة الله جل وعلا فليس فيها شر؛ بل كلها خير؛ لأن الله جل وعلا طيب ولأنه سبحانه ليس في أفعاله إلا الجميل والخير وما يؤول إليه فِعله وقدرُه والحكمة وما ينبغي أن تكون الأمور عليه.

لهٰذا صحّ عنه عليه الصلاة والسلام في دعائه في الليل أنه قال في ثنائه علىٰ ربه جل وعلا: «**والشر ليس إليك**»؛ يعني أنّ الشر ليس إلىٰ الله جل وعلا فعلا وليس إلىٰ الله جل وعلا إضافة، فلا ينسب الشر إلىٰ الله ﷻ لا من جهة الفعل ولا من جهة إضافة الشر إليه، وإنما هو شرٌّ بالنسبة إلىٰ العبد فيؤمن بما كان خيرا له بما كان حسنة في حقه، ويؤمن بما كان شرًّا في حقه أو كان سيئة إذ تسوؤه في حقه، وكذلك ما كان حلوا وما كان مرًّا.

وهٰذا له للعباد فيه أحوال عظيمة، وهو الذي يظهر من العبد الإيمان به؛ يعني الإيمان بالمقدور، يعني ما موقِفُه من المقدور هٰذا شر وخير بالنسبة إليه؛ لكن معظم الناس -حاشا أهل العلم والحكمة- معظم الناس لا ينظرون إلىٰ الجهة الأولىٰ وهي جهة فعل الله جل وعلا وعلمه ومشيئته وتقديره وخلقه ونحو ذلك في وقوع المقدّرات عليهم أو فيما يرون من تقدير الله جل وعلا في الناس، هٰذا حاله كذا وهٰذا حاله كذا، لا ينظرون إلىٰ الجهة الأولىٰ، في الغالب يكون نظرهم من جهة الإضافة إليه، هٰذا حلو بالنسبة له هٰذا شر، ينظر إلىٰ الناس هٰذا جاءه كذا وما جاءه كذا، هٰذا من صفته كذا وليس من صفته كذا، ولأجل هٰذا نُصّ علىٰ الخير والشر والحلو والمر هنا، وأصله -التنصيص عليه- في الحديث الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام قال: «**أن تؤمن بالقدر خيره وشره**» وفي الحديث الآخر أيضا قال: «**خيره وشره وحلوه ومره**»، وهٰذا هو الذي يحاسِب العبد نفسه عليه فيما يراه حاصلا من المقدّر.

ومن هٰذه الجهة جهة الإيمان بالقدر يأتي كثير من السّيئات التي يصاب العبد بها، وهي جهة سوء الظن بالله جل وعلا، ولهٰذا كان الإيمان بالقدر خيره وشره فيما يضاف إلىٰ العبد من وقوع المقدّرات كان الإيمان به عظيما؛ لأن أكثر الخلق يسيئون الظن بالله جل وعلا وهٰذه من سمة أهل الجاهلية ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾[آل عمران:١٥٤]، يأتيه الشيطان في خاطره فيما وقع عليه مما يسوؤه من الشر يقول: غيري كذا وأما لا أستحق هٰذا أو كيف يحصل هٰذا ونحو ذلك. ولقد أحسن ابن القيم حينما ذكر سوء الظن بالله جل وعلا وقال في أواخر بحثه ففتش نفسك:

فإن تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمة وإنـــي لا إخـــالُك ناجيـــا

وقلّ من يسلم من سوء الظن بالله جل وعلا ومن الاعتراض، فهو أعظم وأكثر من التطير؛ لأن التطير يحصل أحيانا؛ ولكن وقوع المقدّرات هٰذا كل لحظة، ولهٰذا ينبغي للعبد في إيمانه بالقدر خيره وشره؛ بل يجب عليه أن يحسّن الظن دائما بالله جل وعلا، وأن يسلّم لما أراده الله جل وعلا بعبده من الأمور الكونية.

**المسألة الثالثة**: الإيمان إقرارٌ وتصديق وعمل، وهٰذه الأركان أركان الإيمان الستة لا يظهر تعلّقها بنفسها بالعمل، فهي كلها أمور اعتقادية بحتة، فأين العمل في هٰذه الأركان الستة؟ الجواب عن هٰذا من جهتين:

**الجهة الأولىٰ**: أنّ العمل متضمَّنٌ في هٰذه الأركان الستة:

**فالإيمان بالله** إيمان بربوبيته وألوهيته وبالأسماء والصفات، والإيمان بتوحيده في العبادة يعني بأنه هو المستحق للعبادة وحده جل وعلا فيه التوجه إليه بالعبادة، كذلك الإيمان بالربوبية فيه الاعتراف له بالربوبية وهٰذا يلزم منه أن يُعبد أو أن يشكر أو نحو ذلك وهٰذا مدخل للعمل في الإيمان.

**الإيمان بالملائكة** يتصل به العمل من جهة المراقبة، باعتقاده أن الملائكة موجودون وأن منهم من يراقب العبد ويكتب ويحسب عليه ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[ق].

**الإيمان بالكتب** فيها الإيمان بأعظم الكتب وهو القرآن، والإيمان بالقرآن فيه العمل بما في القرآن من أوامر ونواهٍ والحكم به وهٰذا عمل.

**الإيمان بالرسل** فيه الإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام؛ بل هو أعظم أركان الإيمان بعد الإيمان بالله جل جلاله، والإيمان بالنبي ﷺ أنه رسول لابد فيه من العمل.

**الإيمان باليوم الآخر** وأن الله يحاسب العباد فيجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، هٰذا يبعث علىٰ العمل في أن يتقي السوء ويعمل بالخير.

**الإيمان بالقدر** كذلك من جهة أنه متضمّن إلىٰ أن العبد لا يعمل[1]... يستوجب الصبر، وهٰذه أعمال.

هٰذه هي الجهة الأولىٰ من التعلق.

**الجهة الثانية**: مِن تَعَلُّق العمل بهٰذه الأركان الستة أنه لا يُتصور في الشرع أن ثم إيمان بلا إسلام، كما أنه

---

(١) انتهىٰ الشريط الواحد والثلاثون.

لا يتصور أن ثمة إسلاما بلا إيمان، فكل إسلام لابد فيه من قدر من الإيمان يصح معه الإسلام الظاهر، كذلك كل إيمان بهٰذه الأركان السّتة الباطنة الاعتقادية لابد معه من عمل من إسلام يُصحِّح هٰذا الإيمان، ولهٰذا كان من الشرط في صحة الإسلام أن يكون ثَم إيمان، وفي صحة الإيمان أن يكون ثَم إسلام، فلا يتصور مسلم ليس معه من الإيمان شيء، ولا يُتصور مؤمن ليس معه من الإسلام شيء.

فإذن دخل العمل بدخول الإسلام -وهو أركان الإسلام- في صحَّة هٰذا الإيمان، فالإيمان المنجي إيمانٌ لابد معه من إسلام، وهٰذا ظاهر بيّن لأنّ الله لا يقبل عمل أحد حتىٰ يكون مؤمنا.

قال بعدها رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَىٰ مَا جَاءُوا بِهِ)، (نَحْنُ) يعني به أهل الإسلام -أهل القبلة- مؤمنون بذلك كله؛ يعني بأركان الإيمان الستة، وبالإيمان بالرسل للتنصيص علىٰ ذلك وكذلك الإيمان بالكتب، (لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ)؛ وذلك لأن الله جل وعلا أثنىٰ علىٰ عباده لعدم التفريق بين الرسل؛ لأن الرسل جميعا جاءوا بشيء واحد قال جل وعلا: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[البقرة:٢٨٥]، وهٰذا قول أهل الإيمان بثناء الله جل وعلا عليهم، وكذلك قول الله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[النساء:١٥٠]، هٰذا فيه الذم الشديد لهؤلاء اليهود.

(نُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَىٰ مَا جَاءُوا بِهِ) يعني أن الرسول الذي بُعث إلىٰ قومه برسالة فكل ما قاله عن الله جل وعلا حق ما علمنا منه وما لم نعلم، فلم يقل رسول من لدن نوح عليه السلام إلىٰ محمد ﷺ قولا ينسبه إلىٰ الله جل وعلا ويجعله من شريعته من دينه ولا يكون في ذلك مُحِقًّا؛ بل كل ما قالته الرسل فيما بلّغوا عن الله جل وعلا حق يجب التصديق به إجمالا فيما لم نعلم وتفصيلا فيما عَلِمْنا وعُلّمنا.

والرسل صلوات الله وسلامه عليهم دينهم واحد -كما سيأتي في المسألة التالية-.

يُريد الطحاوي بذلك أن نفس أهل السنة وأهل القبلة سليمة تجاه رسل الله جل وعلا فيؤمنون بالجميع ويسلّمون للجميع، خلافًا لأهل الملل الباطلة الزائغة الذي يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾[النساء].

علىٰ هٰذه الجُملة بعض المسائل:

**الأولى**: الرُّسل دينُهم واحد والله جل وعلا لم يبعث رسولًا إلا بدين الإسلام؛ ولكن الشّرائع تختلف كما قال جل وعلا: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة:٤٨]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩]، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[آل عمران:٨٥] يعني سواءٌ أكان من قبل محمد عليه الصلاة والسلام أم كان بعد محمد ﷺ لا يقبل الله من أحد إلا الإسلام، فالرّسل جميعًا دينهم واحد كما صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**الأنبياء إخوة لعلاّت الدين واحد والشرائع شتىٰ**».

وهٰذا يبيِّن لك أن أهل الإسلام وخاصة أهل السنة والجماعة لا يقولون ولا يعتقدون بأنّ الأديان التي جاءت من السَّماء متعددة، كما يقول الجاهل الأديان السماوية، فالسماء التي فيها الرب جل جلاله وتقدس في علاه ليس منها إلا دينٌ واحد، وهو الإسلام، جاء به آدم عليه السلام، وجاء به نوح وجاء به جميع المرسلين إلىٰ نبينا محمد ﷺ، فدين موسىٰ عليه السلام الإسلام، ودين عيسىٰ عليه السلام

الإسلام، ودين إبراهيم عليه السلام الإسلام، وهكذا، فجميع المرسلين جاؤوا بدين الإسلام الذي لا يقبل الله جل وعلا من أحد سواه ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ ومن الباطل قول القائل الأديان السّماوية، ففي هٰذا القول تفريقٌ بين الرسل؛ لأن الرسل دينهم واحد نصدّقهم كلهم علىٰ ما جاءوا به لم يأتوا بعقائد مختلفة ولا بأخبار مختلفة غيبية فكل الرسل يصدِّق بعضهم بعضا فيما أخبروا به عن غيب الله جل وعلا، ما يتعلق بأسماء الله جل وعلا وبصفاته بذاته العلية جل وعلا بالجنة بالنار، فالأخبار ليس فيها نسخ، الأخبار ليس فيها تغيير ما بين رسول ورسول، فالأمور الغيبية كل ما جاءت به الرسل فيها حق.

لهٰذا نصدِّق إجمالا بكل ما جاءت به الرسل، ونحبهم جميعا ونتولاهم جميعا، وننصرهم جميعا ننصر دينهم -دين الإسلام- الذي جاءت به الرُّسل جميعًا.

**المسألة الثانية**: شرائع الرسل تختلف وهي التي تُضاف إليها الملة، فيقال: اليهودية، يقال: النصرانية ونحو ذلك، هٰذا باعتبار الشرائع، باعتبار اختلاف الشرائع، والشريعة هي ما لا يختص بأمور الغيب مما يتعلق بالأمور العملية، الله جل وعلا يشرع ما يشاء بما يوافق حكمته البالغة تقدَّس ربنا وجل في علاه.

فإذن الفرق ما بين الدين العام والشريعة أنّ الدِّين العام هو ما يتصل بالغيب، والشريعة هي ما يختلف به من جهة العمل، ولهٰذا تجد بين بعض الرسالات ربما كان في الشرائع اختلاف في بعض الوسائل مثلا وسائل الشرك، ففي بعضها ما يباح وفي بعضها منعت مثلا اتخاذ التماثيل كان مباحا في شريعة سليمان ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾[سبإ:١٣]، كذلك بعض أنواع التوسل بعض أنواع الانحناء والتحية، هٰذه وسائل راجعة إلىٰ جهة العمل ليس علىٰ جهة الاعتقاد الغيبي وما يختص الله جل وعلا به، هٰذه منعها منع وسائل فهي راجعة إلىٰ الشرائع وما يشرعه الله جل وعلا لكل أمة.

أما العقيدة المتصلة بالغيب فهٰذا هو الدين العام دين الإسلام العام الذي بعث الله به جميع المرسلين.

محمد ﷺ له خصوص وهو أنّ رسالته جمعت دين الإسلام وشريعة الإسلام، فالاسم -اسم الإسلام الكامل- الأحق به محمد عليه الصلاة والسلام؛ لأن شريعته سماها الله الإسلام ولأن الدين الذي جاء به الإسلام، كما جاءت به جميع الرسل فجمع الله له ما بين شريعة الإسلام ودين الإسلام فصار مختصا بهٰذا الإسلام دون غيره.

**المسألة الثالثة**: (لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) خلافًا لكل أهل الملل والدِّيانات، ويجوز أن نقول: ديانات؛ لأن لكل أمة دين، لكن ما نضيفها إلىٰ السماء؛ يعني ما نقول: ديانات سماوية، الديانات اليهودية والنصرانية إلىٰ آخره باعتبار ما هي عليه، هنا هٰذه جميعا فرقت بين الرسل، ولهٰذا في الحقيقة من فرّق بين الرسل فليس له حظ في الإيمان بالرسل، حتّىٰ إن رسولهم الذي أرسل إليهم ما داموا أنهم فرقوا ليس لهم حظ في الإيمان به.

فإذن نقول: حقيقةً النصارىٰ لم يؤمنوا بعيسىٰ، حقيقةً اليهود -بعد تحريف الدين- لم يؤمنوا بموسىٰ عليه السلام، وإنما أحبّوا وآمنوا بشيءٍ وضعوه في أذهانهم سموه عيسىٰ وسمَّوه موسىٰ وسموه داود وسموه سليمان، وإلا فالرسل متبرِّئون ممَّن عبدهم أو ممن لم يؤمن بكل رسول، من الذي آمن؟

المسلمون آمنوا بكلِّ رسول.

لهٰذا الأحق بحماية ميراث الأنبياء جميعًا والرسل والدفاع عنهم وبأن يرث ما ورّثوه هم أهل الإسلام، ولهٰذا جعل اللهُ جل وعلا القرآن مهيمنا علىٰ كل كتاب.

قال بعدها: (وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي النَّارِ لَا يَخْلُدُونَ، إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ، بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ مُؤْمِنِينَ، وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ، وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ، كَمَا ذَكَرَ ﷻ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء]، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَدْلِهِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَىٰ جَنَّتِهِ) هٰذه الجملة يقرر فيها الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ عقيدة أهل الأثر وأهل السنة في أهل الكبائر، مخالفين في اعتقادهم ذلك لطوائف الضلال من الخوارج والمعتزلة والوعيدية بعامة، فأهل السنة في أهل الكبائر وسطٌ ما بين فرقتين غالية كالخوارج والمعتزلة وجافية كالمرجئة، وسط ما بين من يقول: يخرج من الإيمان بكل كبيرة وما بين من يقول: لا يضر مع الإيمان كبيرة.

فيعتقد أهل السنة والجماعة أن أهل الكبائر من هٰذه الأمة متوعَّدون بالنار؛ لكن إذا دخلوها وكانوا موحِّدين فإنهم لا يخلدون فيها، وقد يعذِّبهم الله جل وعلا وقد يغفر لهم.

وهٰذه مسألة واضحة من جهة الصّلة بمباحث الإيمان -كما سيأتي-، وسبق أن تكلَّمنا عن القول أو صلة البحث في الكبائر وأهل الكبائر مع الإيمان والمسألة المسمَّاة بمسائل الأسماء والأحكام.

ودليل الطحاوي علىٰ هٰذه الجملة من النصوص كثير لا يُحصىٰ، وذلك -كتقعيد- أن كل آية فيها ذكرٌ وعد لأهل الإيمان فإنه يدخل فيها أهل الكبائر؛ لأنهم يدخلون في أنهم مؤمنون، وكلُّ وعيد جاء لأهل الكفر بالخلود في النار فإنه يخرج منه أهل الكبائر من هٰذه الأمة إذا ماتوا موحّدين؛ لأنهم ليسوا من أهل الإشراك والكفر.

فنصوص الوعد تشمل أهل الكبائر، ونصوص الوعيد للكفَّار لا يدخلها أهل الكبائر، وإنما لأهل الكبائر من هٰذه الأمة وعيدٌ خاص في أنهم قد يعذَّبون وقد يُغفر لهم، وأنهم يؤول بهم الأمر بتوحيدهم إلىٰ الجنة.

ومن ذلك قول الله جلا وعل في وعد أهل الإيمان: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩﴾[المائدة]، وهٰذا في حق الصحابة رضوان الله عليهم، وكان منهم بالنَّص من عمل بعض الكبائر.

وكذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم:٩٦].

وكذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[النساء:٥٧، ١٢٢]، ونحو ذلك من آيات الوعد التي فيها وعد لأهل الإيمان بدخول الجنة تشمل أهل الكبائر لأنهم مؤمنون.

**ومن السّنة** ما صح عنه عليه الصلاة والسلام من دخول الموحِّد الجنة وإن زنىٰ وإن سرق إذا مات علىٰ التوحيد.

والمسألة مشهورة؛ يعني الأدلة فيها أنواع «**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**»، «**أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**»، «**من كان آخر كلامه لا إلٰه إلا الله دخل الجنة**»، «**من قال: لا إلٰه إلا الله**

مخلصا من قلبه أو نفسه دخل الجنة» كما رواه البخاري عن أبي هريرة؛ يعني أنواع النصوص بالوعد وعد المؤمنين بعامة، وكذلك في التَّنصيص علىٰ أنه يدخل الجنة وإن حصلت منه الكبيرة.

نذكر هنا مسائل:

**الأولى**: قال: (وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ) يسمىٰ من ارتكب الكبيرة أنه من أهل الكبائر، أو يوصف أنه من أهل الكبائر إذا اجتمع فيه وصفان:

**الأوّل**: العلم.

**والثّاني** : عدم التوبة.

فإذا علم أن هٰذا الفعل معصية واقتحمه وكان منصوصًا عليه أنه من الكبائر فيكون من أهل الكبائر.

والثاني أن لا يكون أحدث توبة فإذا أحدث توبة لا يوصف أنه من أهل الكبائر.

والكبائر جمع كبيرة، والكبيرة اختلف فيها العلماء خلافا كبيرا، علىٰ أقوال شتىٰ -ذكر لك عددا من الأقوال الشارح ابن أبي العز-:

فمن أهل العلم من قال: هي سبع مقتصرا علىٰ حديث «**اجتنبوا السبع الموبقات**».

ومنهم من قال: هي سبعون يعني من جهة العدد.

ومنهم من قال: كل معصية كبيرة.

وهٰذه الأقوال ليست جيدة؛ بل الجميع غلط، لا يحد العدد بحد لعدم النص عليه، وليست كل معصية كبيرة للفرق في القرآن -كما سيأتي-، وكذلك ليست هي سبعين؛ يعني لم يثبت في العدد ولا في أن كل معصية كبيرة شيء يمكن أن يُستدل به علىٰ ذلك.

لهٰذا صار أجود الأقوال في الكبيرة قولان:

**القول الأول**: أنّ الكبيرة ما فيه حدٌّ في الدنيا أو وعيد بنار أو غضب.

**والقول الثاني**: أنّ الكبيرة هي المعصية التي يؤثّر فعلها في أحد مقاصد الشّرع أو كلياته الخمس، مقاصد الشّرع العظيمة أو في أحد كلياته الخمس.

والقول الأول هو المعروف عن الإمام أحمد وعدد من أهل العلم من أهل السنة.

والقول الثاني اختاره جمْع من العلماء كالفقيه أبي محمد بن عبد السلام المشهور بالعز بن عبد السلام في «قواعده»، وقوّاه جمع ممن تبعه في ذلك، وذكره النووي أيضا في «شرحه علىٰ مسلم» من الأقوال القوية في المسألة.

هٰذان القولان قريبان.

والأول عرفت فيه الكبائر بما فيه حد من الدنيا أو وعيد، حد في الدنيا؛ يعني ما رتب عليه حد محدود مثل السرقة فيها حد كبيرة، الزنا فيه حد كبيرة، شرب الخمر فيه حد كبيرة، السحر فيه حد كبيرة، الشرك بالله جل وعلا هو رأس الكبائر، وكل ما رُتِّب فيه حد، فهٰذا ضابط لمعرفة أنه كبيرة.

الثاني ما توعد عليه بالنار فعل توعد الله جل وعلا عليه بالنار جاء في الكتاب أو السنة توعد عليه بالنار، قتل النفس هٰذا فيه حد وأيضا توعد بالنار، والخيانة وأكل المال بالباطل، أكل مال اليتامىٰ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

﴿يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾[النساء]، وأشباه ذلك، فما كان فيه حد أو كان توعد بنار فهٰذا ظاهر في أنه كبيرة.

ابن تيمية أضاف:

ما نُفي فيه الإيمان **(لا يؤمن)**؛ يعني أضاف علىٰ التعريف الأول ما نفي فيه الإيمان «**لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه**» عدم أمن الجار من البوائق والاعتداء عليه هٰذا صار من الكبائر؛ لأنه نفىٰ فيه الإيمان، ونفي الإيمان لا يطلق عند ابن تيمية إلا علىٰ نفي الكمال الواجب، ولا يُنقص الكمال الواجب عنده إلا ما كان كبيرة.

أو جاء فيه **(ليس منا)**، ليس منا فعل كذا، ليس منا من غشَّ، «**من غشنا فليس منا**»، «**ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوىٰ الجاهلية**» هٰذا يدلُّ علىٰ أن الفعل كبيرة عند ابن تيمية؛ لأن النفي هٰذا **(ليس منا)** يقول يتوجَّه إلىٰ أنه ليس من أهل الإيمان وهٰذا النفي يرجع إلىٰ الأول في أنه فعل كبيرة.

وذكرتُ لكم مرة أو أكثر أن ابن عبد القوي في منظومته في الآداب الطويلة ذكر التعريف بقوله:

فما فيه حد في الدُّنىٰ أو توعد ... بأخرىٰ فَسَمْ كبرىٰ علىٰ نص أحمد

وزاد حفيد المجد أو جا ... وعيدُه بنفي لإيمان وطرد لمبعد

يعني جمع قول الإمام أحمد واستدراك ابن تيمية عليه.

والتحقيق أن يقال: هٰذه الأقوال أعني هذين القولين قريبة، وهي صواب، وما كان فيه قدح في مقصد مقاصد الشارع أو ضروري من الضروريات الخمس وصار إحداثه أو فعله مضرّته وإفساده يرجع إلىٰ هٰذه وهو في الحقيقة يكون في الشرع مرتبا عليه حد أو يكون في الشرع مرتبا عليه لعن أو طرد أو وعيد.

يدخل في التعريف الأول يعني علىٰ كلام ابن تيمية اللَّعن، كل ما فيه لعن أيضا يدخل فيحد الكبير سبق أن ذكرنا لكم شيئا من ذلك.

هنا مسألة تعْرِض: هل الإصرار علىٰ الصغيرة يُصَيِّرها كبيرة أم لا؟

يعني من أصر علىٰ صغيرة قلنا: هو من أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ أم لا؟

للعلماء في ذلك قولان:

**الأول** أن الإصرار علىٰ الصغيرة يصيِّرها كبيرة، كما جاء عن بعض الصحبة رضوان الله عليهم كابت عباس وغيره.

**والثاني** أن الصغائر تختلف، وأنّ الإصرار علىٰ الصغائر لمن ترك الكبائر لا يبقىٰ معه صغيرة؛ لأن الله جل وعلا جعل الصلاة إلىٰ الصلاة مكفرات لما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر، وجعل رمضان إلىٰ رمضان مكفرا لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر، وهكذا العمرة إلىٰ العمرة، وهكذا الحج ليس له جزاء إلا الجنة، الحج المبرور «**ومن حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»، ونحو ذلك من الأذكار التي يمحو الله بها السّيئات، كذلك اتْباع السّيئة الحسنة، وهٰذا يدلُّ علىٰ أن الموحد الذي لم يفعل الكبائر أن هٰذه العبادات العظيمة بفضل الله جل وعلا تمحو عنه الصغائر التي وقعت منه، فلا يُتصور أن الصغائر تجتمع في حقه فتتحول إلىٰ كبيرة، وهٰذا النّظر ظاهر من حيث الاستدلال.

ومن قال: إن المداومة علىٰ الصغائر تحولها إلىٰ كبيرة. يحتاج إلىٰ دليل واضح من الكتاب أو السنة والأدلة كما ذكرت تدلّ علىٰ أن الصغيرة من الموحد تُكفَّر، فلا تجتمع عليه؛ ولكن هٰذا بشرط اجتناب الكبائر كما قال جل وعلا: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾[النساء].

لعلنا نقف هنا، ونكمل بقية المسائل علىٰ بحث الكبائر في الدرس القادم إن شاء الله تعالىٰ.

وفّقكم الله لما يحب ويرضىٰ، وجمعنا علىٰ الحق والهدىٰ. وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

## الدرس التاسع والثلاثون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد..

[الأسئلة] فنأخذ بعض الأسئلة.

سؤال (٣٧٣): ما توجيهكم لحديث البطاقة وحديث «يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطيئة ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة» رواه مسلم -ما رواه مسلم، هو خارج مسلم- مع العلم أن صاحب الكبيرة تحت المشيئة؟

**الجواب**: ما فهمت وجه الاستشكال؛ لكن لعله أنه فهم من العموم في حديث «**ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة**» فهم من العموم أن هٰذا يعارض كون صاحب الكبيرة تحت المشيئة إذا مات غير تائب، وهٰذا غير وارد لأن النصوص يصدق بعضها بعضا، والآيات يفسر بعضها بعضا، والأحاديث يفسر بعضها بعضا، وكذلك الوعد لا ينافي الوعيد.

فقوله «**أتيتك بقرابها مغفرة**» هٰذا وعد من الله جل وعلا لمن حقق التوحيد لا يشرك بالله شيئا، وكون صاحب الكبيرة تحت المشيئة لا يعارض هٰذا الأصل؛ لأن هٰذا وعيد والوعد والوعيد يطلقان ويكونان علىٰ إطلاقهما، وكذلك يجتمعان في حق المعين، فيجتمع في حق المعين الوعد والوعيد، وهٰذا في حق مرتكب الكبيرة، ويدخل في عموم أهل الإيمان الذين وعدهم الله جل وعلا بالجنة، كل مؤمن وعده الله جل وعلا بالجنة، يدخل في المسلمين الذين جعلهم الله جل وعلا لهم مغفرة وأجرا عظيما كما في آية الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[الأحزاب] ونحو ذلك، فأهل السنة والجماعة في مثل هٰذه الأدلة التي فيها الوعد وفيها الوعيد، يُعملون الوعد ويُعملون الوعيد والوعد بشرطه والوعيد أيضا لشرطه، فلا منافاة ما بين الأدلة بل الأدلة يُصدِّق بعضها بعضا.

سؤال (٣٧٤): ما الضابط في التفريق بين الفعل والصفة في صفات الله جل وعلا وأفعاله؟

**الجواب**: الصِّفة صفة الرب جل جلاله مشتملة علىٰ فعل له ﷻ ومشتملة علىٰ ما هو لازم من غير الفعل؛ يعني أنَّ صفات الرب جل جلاله منها ما هو صفة فعل ومنها ما هو صفة ذات، فليست كلها متعدية تعدي الأفعال.

فمثلا وجه الرّب جل جلاله صفة وليس بفعل، اليدان للرب جلا جلاله وصف له سبحانه وليستا باسم ولا فعل.

فإذن الفعل هو فعل يفعله الله جل وعلا له أثره، فالصِّفات منها ما هو صفة فعل مثل الرحمة وهي صفة ذات لكن لها أثرها، ومثل النزول وأشباه ذلك والغضب الرضا، وهٰذا يتعلق بالمخلوق فيفعله جل وعلا فيتصف به ﷻ.

وهناك القسم الآخر التي هي صفات الذات، صفات الذات كثيرة لا علاقة لها بالأفعال.

فإذن نقول: ليست كل صفة لله جل وعلا فعلًا، فقد تكون متعلِّقة بفعل أو لها فعل أو أثرُها فيه فعل، وقد لا يكون ذلك، ولهٰذا لا يُشتقُّ من الصفة فعل مطلقا، كما أنه لا يشتق من الفعل صفة مطلقًا، وذلك أنّ الأفعال أوسع في باب وصف الله جل وعلا من الصِّفات، فقد يكون ثَم فعل لله جل وعلا ولا نشتق منه صفة؛ يعني نشتق من الحدث المستكنّ في الفعل صفة لله جل وعلا.

مثلا الأفعال المنقسمة إلىٰ محمود ومذموم مثل المكر ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾[الأنفال:٣٠]، ومثل ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[النساء:١٤٢]، ومثل ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[البقرة]، ونحو ذلك من الأسماء [لا] نشتقُّ منها صفات مطلقًا، ونقول: الفعل أطلق علىٰ الله جل وعلا فنقول: له صفة الاستهزاء، له صفة المخادع، له صفة المكر، وهكذا بل تطلق هٰذه الصفات مقيدة لأن المكر والمخادعة والاستهزاء ليست كمالا في كل حال؛ بل قد تكون كمالا، وقد تكون نقصا، فتكون كمالا إذا كانت بحق، ومن آثار صفات الكمال الأخر، وتكون نقصا إذا كانت بباطل، وكانت من آثار صفات النقص في المخلوق.

فإذن باب الأفعال أوسع من باب الصفات، وليس كل فعل نشتق منه صفة لله جل وعلا، وليست كل صفة نشتق منها الفعل لله جل وعلا؛ لأن الصفات منها ما هو صفة ذات ومنها ما هو صفة فعل.

نكتفي بهٰذا، نعم، اقرأ...

وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي النَّارِ لَا يَخْلُدُونَ إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ، بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ مُؤْمِنِينَ، وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ، وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ، كَمَا ذَكَرَ ﷻ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء:٤٨، ١١٦]، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَدْلِهِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَىٰ جَنَّتِهِ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ تَوَلَّىٰ أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ، وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وَلَايَتِهِ.

اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ثَبِّتْنَا عَلَىٰ الْإِسْلَامِ حَتَّىٰ نَلْقَاكَ بِهِ.

---

الحمد لله، تقدّم معنا في الدرس الماضي تقرير بعض المسائل حول هٰذه الجملة.

قال: (وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي النَّارِ لَا يَخْلُدُونَ -أو يُخَلَّدُونَ-، إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ) إلىٰ آخر كلامه.

**المسألة الأولى**: مرّت معكم وهي في تعريف الكبيرة، والفرق ما بين الكبيرة والصغيرة، ومن هم أهل الكبائر الذين يصدق عليهم هٰذا الوصف.

**المسألة الثانية**: قوله: (مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ) هٰذه الجملة أو شبه الجملة لا مفهوم لها، فليس هٰذا الحكم خاصا بأمة محمد ﷺ بل هو عام بهٰذه الأمة ولغيرها؛ لأنه لم يدل دليل علىٰ تخصيص هٰذه الأمة بهٰذا الفضل، ولأن هٰذه ترجع إلىٰ قاعدة الوعد والوعيد، وهما مما تشترك فيه الأمم لأن أصلها واحد، قال: (وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ فِي النَّارِ لَا يَخْلُدُونَ -أو يُخَلَّدُونَ-) بشرط (إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ).

**المسألة الثالثة**: دخول أَهْلُ الكَبَائِرِ فِي النَّارِ، هٰذا وعيد، وهٰذا الوعيد يجوز إخلافه من الرب جل جلاله؛ وذلك أن مرتكب الكبيرة إذا تاب في الدنيا تاب الله عليه، وإذا طُهِّر بحد أو نحوه كتعزير فإنه تكون كفارة له.

فإذن يكون مرتكب الكبيرة من أهل الوعيد إلا في حالات:

**الحال الأولىٰ**: أن يكون تائبًا كما ذكرنا لك؛ لأن التوبة تجبُّ ما قبلها قال الله جل وعلا في آخر سورة الزمر: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[الزمر:٥٣] أجمع أهل التأويل -التفسير-: أنها نزلت في التّائبين فمن تَاب تاب الله جل وعلا عليه، فلا يلحق التائب وعيد لأنه قد مُحيت عنه زلته وخطيئته بالتّوبة.

**الحال الثانية**: أن يُطَهَّر من تلك الكبيرة إما بحد كمن شرب الخمر مثلا فأُقيم عليه الحد فهو طهارة وكفّارة له، وكذلك من قتل مسلمًا فقتل، أو من قتل مسلما خطأ فدفع الدِّية، فإن هٰذا كفارة كله، أو سرق فقُطعت يده فهو كفارة كله، أو قذف فأقيم عليه الحد حد القذف[1] فهو كفارة له أو زني إلىٰ آخره، أو كان تعزيرا أيضا فإنه طهارة؛ يعني أن ما يقام علىٰ المسلم من حد أو تعزير من عقوبة في الدنيا فإنها من جنس العقوبة في الآخرة تطهِّره من هٰذا الذنب.

**الحال الثالثة**: بعض الذنوب الكبائر تكون لها حسنات ماحية، مثل مثلا الصدقة في حق القاتل قال جل

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الثاني والثلاثين.

وعلا: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾[المائدة:٤٥]، ومثل الجهاد العظيم فإنه ينجي من العذاب الأليم قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ﴾[الصف]، والعذاب الأليم هو لمن فعل الكبيرة؛ لأنه وعيد شديد.

الحال الرابعة: أن يكون الله جل وعلا يغفر له ذلك لأسباب متعددة، ذكرنا لكم شيئا منها فيما مضىٰ في العشرة أسباب المشهورة وقد يدخل بعضها فيما ذكرنا لكم آنفا.

الحال الأخيرة: أن يغفر الله جل وعلا له بعد أن صار تحت المشيئة؛ يعني يوم القيامة، لا يكون عنده حسنات، ولا يكون أتىٰ بشيء؛ ولكن يغفر له الله جل وعلا منَّةً منه وتكرُّما، وهؤلاء هم الذين يقال عنهم: تحت المشيئة؛ يعني إذا لم يتوبوا ولم يُقَم عليهم الحد أو طُهِّروا ولم يأتوا بشيء من أسباب تكفير الذنب، فإنهم تحت المشيئة إن شاء الله جل وعلا غفر لهم وإن شاء عذّبهم في النار ثم يخرجون لا يخلدون.

وهنا شرط المؤلف -شرط الطحاوي -رَحِمَهُ اللَّهُ لهؤلاء الذين لا يَخلدون في النار إذا دخلوها -يعني لمن لم يغفر الله جل وعلا له؛ بل شاء أن يعذبه- شَرَط له شرطين وهي:

**المسألة الرابعة**: وهي أن من لم يُغفر له ممن لم يتب فإنه يُشترط لعدم خُلوده في النار شرطان:

الأول: أن يكون مات علىٰ التوحيد، وهٰذا كما هو شرط عام في دخول الجنة، كذلك هو شرط عام في الخروج من النار، كما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرّة من إيمان**»، فالتوحيد أساس لعدم الخلود في النار، فكل موحد لابد أن يخرج من النار.

الشرط الثاني: أنه لا يخلد في النار إذا لم يأتِ في ارتكابه لهٰذه الكبيرة بما يجعله مستحلًّا لها، فقد يكون من جهة موحِّدا في الأصل في نطقه بالشهادتين، ويكون من جهة أخرىٰ في هٰذه الكبيرة بعينها مستحلًّا لها، وهٰذا بقيد أن تكون الكبيرة مما أجمع علىٰ تحريمه، وكان المستحلُّ لها غير متأول.

وهٰذه قد تدخل مع شيء من النظر في الأول؛ لأن حقيقة الموحد هو أنه غير مستحل لشيء من محارم الله جل وعلا.

**المسألة الخامسة**: الخُلود في النار نوعان: خلود أمدي إلىٰ أجل، وخلود أبدي.

**والخلود الأمدي**: هو الذي توعّد اللهُ جل وعلا به أهل الكبائر.

**والخلود الأبدي**؛ المؤبد: هو الذي توعّد الله جل وعلا به أهل الكفر والشِّرك.

فمن الأول قول الله جل وعلا: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا﴾[النساء:٩٣]، فهٰذا خلود لكنه خلود أمدي؛ لأن حقيقة الخلود في لغة العرب هو المُكث الطويل، وقد يكون مكثا طويلا ثم ينقضي، وقد يكون مكثا طويلا مؤبَّدًا.

ومن الثاني وهو الخلود الأبدي في النار للكفار قول الله جل وعلا: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ٢٣﴾[الجن] وكذلك قوله جل وعلا في آخر سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾، هٰذا خلود أبدي.

ولذلك يُميَّز الخلود في القرآن بالأبدية في حقِّ الكفار، وأما في حق الموحدين فإنه لا يكون معه كلمة

أبدا وهٰذا الذي بسببه ضلت الخوارج والمعتزلة فإنهم رأوا (خالدين فيها) في حق المرابي وفي حق القاتل فظنوا أن الخلود نوع واحد، والخلود نوعان.

وممَّا يتصل بهٰذا أيضا لفظ التحريم في القرآن، ولفظ عدم الدُّخول للجنة في القرآن، وكذلك عدم الدخول إلىٰ النار، يعني لفظ التحريم: إن الله حرّم الجنة، أو حرّم الله عليه النار، أو لا يدخل الجنةَ قاطع رحم، أو لا يدخلون الجنةَ، ونحو ذلك.

فهٰذه ممَّا ينبغي تأمُّلها وهو أن التَّحريم في القرآن والسنة ونفي الدخول نوعان: تحريمٌ مؤبَّد وتحريم إلىٰ أمد. كما أنّ نفي الدخول: نفْيُ دخول مؤبَّد، ونفي دخول إلىٰ أمد.

وتحصل من هٰذا أن الخلود في النار نوعان: خلود إلىٰ أمد، وخلود أبدي.

وأن تحريم الجنة -كما جاء في بعض النصوص- أو تحريم النار وقد يكون تحريما إلىٰ أمد وقد يكون تحريما إلىٰ الأبد.

وكذلك نفي الدخول؛ لا يدخل الجنة، لا يدخل النار، هٰذا أيضا نفي دخول مؤبد أو نفي دخول مؤقت.

وهٰذا التَّفصيل هو الذي به يفترق أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح مع الخوارج والمعتزلة وأهل الضلال بجميع أصنافهم فإنهم جعلوا الخُلود واحدا وجعلوا التحريم واحدا وجعلوا نفي الدخول واحدا، والنصوص فيها هٰذا وهٰذا.

**المسألة السادسة**: قوله: (لَا يَخْلُدُونَ، إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ) هٰذه الجملة معروفة أصلا لأن التائب من الذَّنب كمن لا ذنب له، فهي من باب التأكيد ليست إشارة لخلاف ولا إشارة لشرط ونحو ذلك.

**المسألة السابعة**: قوله: (بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ مُؤْمِنِينَ) هنا توقَّف الشارح ابن أبي العز عند قوله: (بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ) وتعقّب الطحاوي في لفظ (عَارِفِينَ) وأن المعرفة ليست ممدوحة، فإنَّ بعض الكفار كانوا يعرفون، إبليس يعرف، وفرعون يعرف، وأنّ في هٰذا القول وهو (بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ) فيه نوعُ مشاركة للجهمية ولغلاة المرجئة.

وهٰذا التعقيب من الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في هٰذا الموطن فيه نظر؛ لأن لفظ العارف أو المعرفة هٰذه ربما جاءت في النص ويراد بها التوحيد والعلم بالشهادتين، فكأن الطحاوي يقول: بعد أن لقوا الله عالمين بالشهادتين مؤمنين. وهٰذا جاء في حديث معاذ المشهور أن النبي ﷺ لما بعثه إلىٰ اليمن قال له: «**إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن هم عرفوا ذلك فأعلمهم**» إلىٰ آخره، وهٰذا اللفظ رواه مسلم في «الصحيح»، فاستعمل لفظ المعرفة ويُعنىٰ به العلم بالشهادتين.

وتوجيه كلام الطحاوي إلىٰ هٰذا الأصل أولىٰ من تخطئته فيه؛ لأن الأصل في كلام العلماء الإتباع إلا ما دل الدليل علىٰ خلافه.

**المسألة التي بعدها**: في قوله: (وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ، وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ، كَمَا ذَكَرَ ﷻ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء:٤٨، ١١٦]، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَدْلِهِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ

وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَىٰ جَنَّتِهِ) هٰذه الجملة الطويلة تقريرٌ لأصل عند أهل السنة والجماعة خالفوا به الخوارج والمعتزلة: أنّ أهل الكبائر إذا ماتوا غير تائبين تحت المشيئة، وقول الله جل وعلا: ﴿وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ يعني في الكبائر لمن مات غير تائب منها.

والمحقِّقون من أهل العلم جمعوا بين هٰذه الآية وآية سورة الزمر: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾[الزمر:٥٣]، وهنا ﴿وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فأطلق في آية الزمر وهنا قال: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾، وذلك أن هٰذه الآية في حق غير التائبين، وأما آية الزمر ففي حق من تاب، فهو سبحانه لمن مات غير تاب إن شاء غفر وعفا وهٰذا فضل وإن شاء عذب وهٰذا عدل منه سبحانه لعباده.

ثم قوله: (ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ) هٰذا فيه ذكر سببين للخروج من النار في حقِّ أهل الكبائر، وهٰذان السّببان ضلّت فيها الفرق من المعتزلة والخوارج ومن شابههم:

◆ فإنَّ من دخل النار من أهل الكبائر يخرجُ منها برحمة الله جل وعلا، والرَّحمة قاعدة عامة في كل فضل يحصل للعبد في الدُّنيا وفي الآخرة، فالخروج من النار برحمة الله، التخفيف من الحساب برحمة الله، دخول من دخل الجنة برحمة الله جل وعلا، كما صحَّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**لن يُدخل أحدكم الجنة عملُه**» أو«**لن يَدخُل أحدكم الجنة لعمله**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمَّدني الله برحمة منه وفضلا**»، فهٰذا السبب عام فكل من خرج هو برحمة الله حتىٰ فيما شفَع وشُفِّع فإن العبد يخرج بعد الشفاعة شفاعة الشافعين ورحمة الله جل وعلا، وهٰذا يعني أن قوله: (بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ) أنها نفهم منها أنه أراد شيئا مستقلا وهو أنه محض تفضِّل منه جل وعلا؛ عذّب ثم أخرجهم برحمته.

وهٰذه الرَّحمة في هٰذا الموطن لها تفسيران:

**الأول**: أن جعل الكبيرة مع ما فيها من عِظم المبارزة لله جل وعلا والتَّهاون بأمره ومخالفته وارتكاب نهيه، أنّ هٰذه الكبيرة لم يحكم الله جل وعلا علىٰ من ارتكبها أنَّه يعذب أبدًا فكون العذاب إلىٰ أمد رحمة، ثم انقضاء العذاب رحمة، ثم بعثُهم إلىٰ الجنة أيضًا رحمة.

**الوجه الثاني**: أنّ الله جل وعلا يُخرج من النَّار أيضا أقوامًا صارُوا حِمَمًا؛ يعني صاروا علىٰ لون السَّواد من شدة العذاب -والعياذ بالله-، ثم يلقون في نهر الحياة فينبتون فيه من جديد كما تنبت الحِبَّة في جانب الوادي وحميل السَّيل، وهٰذا أيضا رحمة من الله جل وعلا في حق من ارتكب الكبيرة.

هٰذا السَّبب الأوَّل الذي ذكره.

◆ والسبب الثاني في خروج أهل الكبائر شفاعة الشافعين من أهل طاعته، وشفاعة الشافعين:

أعلاها شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر أن يخرجوا من النار.

ثم شفاعة الملائكة للمؤمنين الذين ارتكبوا الكبائر أن يخرجوا من النار.

ثم شفاعة الوالدين لأولادهما.

وهكذا شفاعة المحب لحبيبه من أهل الإيمان فيمن شاء الله جل وعلا أن يشفعه.

وهٰذان الأمران: الرَّحمة علىٰ ما ذكرت، وشفاعة الشافعين أيضا علىٰ هٰذا الوصف. وقد تقدَّم أيضا

بحث الشفاعة، وهٰذان خالف فيهما أهل الفرق وخاصة الخوارج والمعتزلة ومن شابههم.

**المسألة التَّاسعة**: قال بعدها: (وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ تَوَلَّىٰ أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ، وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وَلَايَتِهِ) هٰذه الجُملة يذكّر بها الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ كل من أنعم الله جل وعلا عليه بنعمة أن يتذكّر بأنه أُنعم عليه وتُفضِّل عليه وأُحسن إليه ومنّ الله جل وعلا عليه بهٰذه النعمة، فالذي عصىٰ الله جل وعلا وعفا الله عنه أو عذَّبه ثم أنجاه، هٰذا كله من آثار تولِّي الله جل وعلا لأهل الإيمان.

وهٰذا يدلُّ علىٰ أن وَلاية الله جل وعلا لعباده المؤمنين تتبعَّض ليست كاملة، فإنّ وَلاية الله جل وعلا - وهي محبته لعبده ومودته له ونصرتُه له وتوفيقه ونحو ذلك- لا يكون جملةً واحدة؛ إما أن يأتي في المعيّن وإما أن يزول كقول الوعيديَّة، بل يجتمع في حق المعين في الدنيا والآخرة أنَّه محبوب من جهة ومبغَض من جهة متولىٰ من جهة ومخذولٌ من جهة أخرىٰ.

وهٰذا هو الذي أراده في أن أهل الكبائر في اعتقاد أهل السنة والجماعة لا يَخْلُون من نوع ولاية لله جل وعلا لهم، فالله جل وعلا (تَوَلَّىٰ أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ) يعني أهل توحيده، (وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ) في الدنيا والآخرة (كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ)؛ يعني أهل الكفر الذين ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾[النحل:٨٣]؛ بل لهم نصيبٌ من ولاية الله جل وعلا، فولاية الله هي محبته ونصرته في حقِّ المعيَّن من أهل القبلة تتبعّض، يعني تكون في فلان أعظم منها في فلان فالمؤمن المسدَّد الذي كمّل إيمانه بحسب استطاعته له من ولاية الله جل وعلا الولاية الكاملة التي تناسب مقامه في الإيمان، والذي يخلِطُ عملا صالحا وآخر سيئا له نصيب من محبة الله جل وعلا وولايته ونصرته بحسب ما عنده من الإيمان.

فإذن في حقِّ المعين حتىٰ من أهل الكبائر يجتمع فيه وَلاية من جهة وخُذلان من جهة أخرىٰ، وهٰذا هو معتقد السلف وأهل السنة والجماعة في هٰذه المسألة العظيمة.

ثم دعا آخِرًا بقوله: (اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ثَبِّتْنَا عَلَىٰ الْإِسْلَامِ حَتَّىٰ نَلْقَاكَ بِهِ)، وهٰذه الجملة رُويت في حديث لكن لا يصح، وهي دعاء طيب، ومعنىٰ (وَلِيَّ الْإِسْلَامِ) يعني ناصر الإسلام؛ لأنَّ الولي هو الناصر، والله جل وعلا وعد بنصر دينه ﷻ قال جل وعلا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الفتح]. وقال أيضا جل وعلا: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾[غافر]، ونحو ذلك كقوله في آخر «الصّافات» ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾، فقوله: (اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ) اللّٰهمَّ يا ناصر الإسلام وأهله، الله جل وعلا وعد بنُصرة دينه ونصرة أهل الإسلام ووعده حق.

فنسأل الله جل وعلا الذي وعد بنصر الإسلام ونصر أهل الإسلام أن يثبِّتنا علىٰ هٰذا الدين حتىٰ نلقاه، وأن يرينا نصر دينه وإعجاز كلمته وإعلاء رايته إنه سبحانه علىٰ كل شيء قدير.

اقرأ الذي بعدها

وَنَرَىٰ الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وعَلَىٰ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ.

وَلَا نُنَزِّلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا، وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشِرْكٍ وَلَا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَنَرَىٰ الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وعَلَىٰ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ.) هٰذه الجملة يريد بها تقرير ما دلت عليه الأدلة العامة والخاصة في أنّ الصلاة عند أهل الأثر أتباع الصحابة رضوان الله عليهم تُقام خلف كلِّ إمام؛ إمام عام وهو ولي الأمر أو إمام خاص وهو إمام المسجد -سواء أكان برا أو كان فاجرا- إذا كان من أهل التوحيد؛ يعني من أهل القبلة.

وهٰذا يُريد به مخالفة من ضلُّوا عن سبيل السلف فيمن لم يصلُّوا إلا خلف من يماثلهم في العقيدة أو يماثلهم في العمل أو يكون سليمًا من الفجور؛ أي لا يصلُّون إلا خلف من يعلمون برّه وتقواه ونحو ذلك، وهٰذا صنيع الخوارج وكل أنواع المتعصِّبة من الضلاّل من أهل الفرق جميعا، وكلُّ فرقة من الفرق تكفِّر الفرقة الأخرىٰ أو تضلّلها فلا يرون الصَّلاة خلف الآخرين، ولو كانوا مبتدعة أو كانوا فُجَّارا، فإنهم يقولون: لا نصلي إلا خلف من نعلم دينه أو خلف من هو مثلنا في الاعتقاد.

بل زاد الأمر حتىٰ صار أصحاب المذاهب المتبوعة الشَّافعية والحنفية المالكية لا يصلِّي أحد منهم إلا خلف من كان علىٰ مثل مذهبه الفقهي، وهٰذا مخالفٌ لهدي السلف الصالح في أعظم مخالفة في مسائل البدع والاعتقاد، ومسائل الفقه كذلك مخالفتُها شنيعةٌ جدًّا.

وكذلك يرون الصلاة علىٰ كل ميت من أهل القبلة ما دام أنه مات علىٰ التوحيد ولم يُعرف بكفر أو نفاق.

وتحت هٰذه الجملة مباحث:

**الأول**: الصّلاة خلف الإمام الأعظم أو الأمير الخاص هٰذه سنة ماضية دل عليها كتاب الله جل وعلا، ودل عليها سنة النبي ﷺ، ودلَّ عليها عمل السلف الصالح.

أمَّا السُّنة وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام كما في البخاري وغيره أنه ذكر الأئمة والأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فقال: «**يصلُّون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطؤوا فلكُم وعليهم**».

وكان السَّلف إذا صلّوا خلف من يعلمون فُجُوره فإنه لا يفارقونه لأجل فجوره، كما صحَّ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه صلَّىٰ خلف أمير الكوفة الفجر وصلاها أربعًا فقال ذاك الأمير: أزيدكم؟ يعني هل أنا نقصت من الصلاة وكان في سُكره، فقال له ابن مسعود: ما زلنا معك في زيادة. فلم يحمله فعل الكبيرة شرب الخمر وما ظهر من أماراتها من تغيير عدد الركعات من ألا يصلي خلفه؛ لأنَّ مصلحة الاجتماع وعدم التفرق عن الأمير أعظم من هٰذه المصلحة الخاصة.

كذلك لما أُمّر الحجاج بن يوسف الثقفي علىٰ الحج في سنة من السنوات من قِبَل خلفاء بني أمية وحجَّ بالناس، فجاء يوم عرفة وكان ابن عمر وهو مفتي الحج بأمر ولي الأمر، فجاء ابن عمر للحجاج وقال له: اخرج إلىٰ الصلاة. لما قرب الزَّوال؛ لأن عليه السنة أن يصلي الظهر والعصر جمعًا وقصرا في أول وقت الظهر، فقال: أخرج إلىٰ الصلاة. فقال: أفي هٰذه الساعة يا أبا عبد الرَّحمٰن؟ يقوله الحجاج بن يوسف

الثقفي لعبد الله بن عمر قال: نعم أترغب عن السنة؟ فخرج فصلىٰ الحجاج وصلىٰ خلفه ابن عمر وصلىٰ وراءه المسلمون.

وهٰذه أيضًا ثبتت عن أنس بصلاته خلف الحجاج، وعدد من الصحابة رضوان الله عليهم وجمع كثير من التابعين صلوا خلف من يعلمون فُجوره ويعلمون إسرافه بقتل أو معاصي كبائر أو نحو ذلك.

فالصلاة خلف هؤلاء سنَّة ماضية وعمل للسلف، لذلك صار من المتقرِّر في قواعد أهل السنة والجماعة أن يصلي المرء خلف الإمام علىٰ أيِّ حال كان ما دام أنه مسلم، ويصلي خلف الأمير -الأمير العام أمير البلد-، ويصلِّي خلف الأمير المقيد أيضا أمير السفر أو أمير الحج أو المسؤول أو نحو ذلك؛ لأنَّ مصلحة الاجتماع مطلوبة والخلاف شرّ وهٰذه صارت سنة ماضية لأهل السنة والجماعة.

**المسألة الثانية**: ممَّا نصَّ عليه السَّلفُ أيضًا في هٰذا الأصل أن الصلاة نراها ونفعلها خلف كل إمام برٍّ أو فاجر أو أيضا ممن نجهل عقيدته.

وقد بدَّع الأئمة الأربعة وأئمة السلف من قال: لا أصلي خلف أحد إلا بعد أن أعلم عقيدته؛ بل يصلىٰ خلف مستور الحال، ومن لا يعلم حاله ولا نبحثه ولا نمتحن الناس في عقيدتهم قبل الصلاة، ونرىٰ هل هو موافق أم ليس بموافق هل هو مبتدع أو ليس بمبتدع، لنا ظاهر الأمر، وما دام أن ظاهر الأمر السلامة فإننا نصلي خلفه دون بحث.

فإذن علىٰ هٰذا الأصل لا يجوز امتحان الناس في عقيدتهم عند إرادة الصلاة، ولا بحث أمر الباطن وإثارة الباطن؛ لأنَّ الأصل الظاهر وهٰذا هو الذي نصّ عليه الأئمة الأربعة وجماعة كثيرون من أئمة السلف، وقرّره المحقِّقون كشيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة.

**المسألة الثالثة**: قوله: (خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ) هٰذا إذا كان إماما مرتّبا، ولم يكن بوسع المرء أن يختار الأمثل، أما إذا كان في سعة في أن يختار من هو أمثل لصلاته وإمامته، فإنه يتعين عليه أن يصلي خلف الأقرأ، «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله»، هٰذا في حال الاختيار يعني جماعة موجودون من يقدموا، تقدم رجل يعرف عنه فجور فيقال له: تأخر؛ لأنه ليس بإمام للمسلمين وليس أميرا وليس إماما راتبا في هٰذا المسجد أو في هٰذا المكان، فلم يتقدم؟ فتقديمه والرضا بذلك هٰذا نوع قصور؟ بل مخالفة لأمر النبي ﷺ، وهٰذه المسائل ما فيها حياء، ولا فيها مجاملات يعني إذا كان الأمر في الاختيار لا تجعل أحد يتقدم لمن هو معروف بفجور أو بدعة أو مخالفات أو كبائر أو نحو ذلك من المسائل؛ يعني أن هٰذا الإمام هو بين يدي الله جل وعلا، وهو مقدّم الوفد بين يدي الله ﷻ، وهو الذي يدعو لهم ويؤمهم فلا يجامَل في هٰذه المسائل.

ومما يتصل بذلك أيضا إذا كانت صلاة الجماعة، وإذا ترك هٰذا المسجد فإنه يجد مسجدًا آخر فيه إمام أسلم له في دينه وأتبع، فإنه يذهب يصلي خلف الأسلم؛ لأن هٰذا مما فيه السَّعة؛ يعني لم يتعين عليه أو ليس ثم مفسدة أن يصلي خلف هٰذا، بخلاف ما إذا كان هٰذا الإمام أمير البلد أو ولي الأمر أو نحو ذلك فإن التخلُّف عنه يثير مفسدة، والأصل الجواز.

**المسألة الرابعة**: علىٰ قوله: (نَرَىٰ الصَّلَاةَ...عَلَىٰ مَنْ مَاتَ مِنْهُم) يعني علىٰ من مات من أهل القبلة.

أهل القبلة هم من يوصف بالإسلام، والذين يوصفون بالإسلام أنواع:

**الأول**: المؤمنون الصَّالحون.

**والثاني**: مسلم له فجور بمعاصٍ مختلفة.

**والثالث**: مسلم له فجور بمعاصٍ خاصة يأتي بيانها.

**والرابع**: المنافق.

أما **القسم الأول**: فالصلاة علىٰ من مات منهم قربة وحق، لأنه إذا مات المسلم المسدد أن يصلّىٰ عليه وأن تُشهد الصلاة عليه وأن تُشهد جنازته؛ لأن هٰذا من حق المسلم علىٰ المسلم.

**والقسم الثاني**: أن تكون الصلاة علىٰ من له فجور عام؛ يعني المعاصي المختلفة، هو ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا وعُرف بذلك في معاصٍ مشهورة عنه، فهٰذا يُصلىٰ أيضا عليه بإطلاق، ولا يُشرع التخلُّف عن الصلاة عليه إذا كان غير داعٍ ومُعلن لهٰذا الفجور بدعوة غيره إليه.

**والقسم الثالث** من أهل الإسلام هو من له فجور بكبائر خاصَّة وهي التي جاء الدليل بأن يترك طائفة الصلاة عليه، مثل الغارم، ومثل من قتل نفسه، وأشباه هٰذه الذُّنوب ومن أقيم عليه الحد حد القتل وأشباه ذلك، فهٰذا يصلِّي عليه بعض المسلمين ويترك الصلاة عليه أهل الشَّارة والعلم، كما جاء في ذلك السنة علىٰ النبي ﷺ.

**والقسم الرابع**: أهل النفاق، والنفاق قسمان:

- نفاق يعلمه كل أحد، وهٰذا لا يكون في المسلمين لأنه يكون زنديقا؛ يعني معلن للاستهزاء بالله جل وعلا في كتبه أو في قصائده أو نحو ذلك، مُعلن عدم الإيمان بالقرآن ولا بالمعاد وأشباه ذلك فهٰذه زندقة ظاهرة.
- والقسم الثاني نفاق خفيّ يعلمه البعض ولا يعلمه البعض.

أما القسم الأول وهو الظاهر فإنه لا يجوز الصلاة علىٰ من كان زنديقا أو منافقا وذلك لقول الله جل وعلا: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ -في المنافقين- ﴿أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة:٨٠]، إلىٰ آخر الآية، وقال جل وعلا أيضا لنبيه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ [التوبة:٨٤]، فمن كان معلوما ظاهرا النفاق منه -الزندقة، محاربة الدين والزندقة الظاهرة، الكفر الظاهر مما يكون معه المرء منافقا خالص النفاق- فهٰذا لا يصلىٰ عليه، فيجب علىٰ المسلمين أن لا يصلوا عليه؛ لأنه حينئذ لا يكون من أهل القبلة بالوصف العام.

والقسم الثاني مَنْ نِفاقه ملتبس هل هو منافق أم ليس بمنافق؟ فهٰذا من علم نفاقه بيقين له أن لا يصلِّيَ عليه، إذا حضر في المسجد أو نحو ذلك، فإنه إذا علم نفاقه بيقين فإنه لا يصلِّي عليه، ويترك البقية يصلُّون لأنَّ الصلاة عليه هي باعتبار الإسلام الظاهر، ولم يظهر منه ما يخالف هٰذا الأصل، ويدلُّ علىٰ ذلك أنَّ عمر رضي الله عنه كان لا يصلِّي علىٰ من لا يعلم حاله إلَّا إذا صلىٰ عليه حُذيفة؛ لأنَّ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أخبره النبي ﷺ بأسماء المنافقين، فكان عمر بن الخطَّاب الخليفة الرَّاشد ينظر هل يصلِّي عليه حذيفة أم لا

يصلِّي عليه، فإن صلَّىٰ عليه حذيفة أو توجَّه للصَّلاة عليه أو لم يحكم عليه فإنه يصلِّي عليه، وهٰذا يدلُّ علىٰ التفريق في هٰذه المسائل ما بين ما يُعلم وما لا يعلم، ما يعلم من حال المنافق وما لا يعلم.

فمن علِم حاله لم يصلَّ عليه ومن لم يعلم فإنَّه يصلِّي عليه، ولا يلزم من علم أن يُعلن وينهىٰ الآخرين عن الصلاة عليه؛ لأنَّ الأصل هو ظاهر الإسلام.

قد قرَّر الأئمةُ من أهل السنة أنَّ المنافق له أحكام المسلمين؛ لأنَّ له حكم الإسلام الظَّاهر، فيَرث ويورث ويصلِّي عليه من لا يعلمُ حالَه ونحو ذلك مما هو من آثار الإسلام الظَّاهر[1].

نقف عند هٰذا، ونُكمل إن شاء الله تعالىٰ الأسبوع القادم، وفَّقكُم اللهُ لما فيه رضاه.

[الأسئلة]

سؤال (٣٧٥): عفا الله عنك، فيه إشكال: قلتم: فإذن يكون مرتكب الكبيرة من أهل الوعيد، إلا في حالات ذكرتم منها بعض الذنوب ... ذكرتم منها القذف، وقال الله جل وعلا: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾[المائدة:٤٥]، وما وجه ذلك؟

الجواب: وجهها الإطلاق؛ يعني من تصدّق بقتل القاتل فهو كفارة له، والقتل كبيرة وكفارته قلنا تكفر الصغائر غير مناسب، وتكفر ما يقابلها من كبيرة، لهٰذا قال العلماء في تفسير ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ يعني فيما يناسب عِظم العمل، وذاك قتل، والآن يستحق أن يقتل فهو تصدق به، تصدق بتلك النفس يعني باستحقاقه القتل ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾[الإسراء]، واضح، كفارة لمن قتل وكفارة للمتصدِّق، الكفارة هنا هل هي للصَّغائر، الصغائر تكفِّرها الصلاة إلىٰ الصلاة، لكن كفارة لما يناسب؛ لأن عظم الذنب يقابله عظم التَّكفير.

سؤال (٣٧٦): ....؟

**الجواب**: القصاص حقٌّ يورث؛ يرثه الورثة، وهو حق طبعا القتل فلان قتل فلانا، الحق في قتل القاتل لمن؟ للمقتول، وهٰذا الحق يُورث كسائر الحقوق؛ يرثه الورثة، يتّضح لك هٰذا في صورة، وهي ما إذا قُتل؛ لكنه ما زَهقت نفسه -يعني في تلك اللحظة مكث مثلا ثلاث ساعات-، ثم قال: أقتلوه أنا ما أعفو عنه، فهنا مات، فهل الورثة لهم حق العفو؟ هنا ما وُرِّثوا الحق، يعني ما ورثوا الحق كاملًا، وإنما هٰذا الحق له.

فالقتل يجتمع فيه حقُّ الله جل وعلا، حقّ المقتول وحق الورثة لأنه حق من جنس الحقوق الأخرىٰ التي تورث.

وهٰذا يُحمل عليه عند طائفة من العلماء قتل الحسن بن عليّ رضي الله عنهما عبد الرَّحمٰن بن ملجم، عبد الرَّحمٰن بن ملجم قتل عليًّا رضي الله عنه وباء بإثمه، ثُم قُتل، وكان في أولاد علي ورثة صغار، والأصل أن الحق يورث فيكون لجميع الورثة، فلابد أن يُنتظر بهم، ينظر حتىٰ يبلغوا هل يعفون أو لا يعفون؛ لأنّ الحق تقسّم بين الجميع، فهنا الحسن رضي الله عنه قتل عبد الرَّحمٰن بن ملجم وفي الورثة صغار ما انتظر بهم، لماذا قتل

---

(١) انتهىٰ الشريط الثاني والثلاثون.

عبد الرَّحمٰن بن ملجم؟ للعلماء فيه توجيهان:

**أحدهما**: أن عليّا ﷺ ما أسقط حقه؛ بل أمر بقتله قبل وفاته ﷺ وأرضاه.

**والقول الثاني**: أن الحسن صار إماما وله أن يعزر بالقتل ولو بإسقاط حقِّ الورثة.

سؤال (٣٧٧): الصلوات الخمس والجمعة ورمضان هل يكفِّر الله سبحانه بها الكبائر والصغائر أم لا يكفر إلا الصغائر، أما الكبائر فلا بد لها من توبة؛ لأنَّ من أهل العلم من يقول بذلك؟

**الجواب**: الحديث نصَّ علىٰ أن الصلوات الخمس والجمعة ورمضان إلىٰ رمضان أنها مكفرات لما بينهما ما اجتُنبت الكبائر، فتكفِّر الصَّغائر، الصلاة في الجماعة إلىٰ الصلاة في الجماعة تكفِّر ما بينهما من الصغائر؛ لكنَّ الكبائر لابد فيها من توبة.

وأما من قال: أنَّ هٰذه الحسنات تكفِّر الصغائر والكبائر كابن حزم وغيره، فهٰذا قول باطل ورَدّ عليه ابن عبد البر في «التمهيد» ردا جيّدا مطولا.

لو كانت الكبيرة تكفَّر بغير التوبة ما يبقىٰ أحد من أهل القبلة يلحقُه وعيد، ولهٰذا قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض كلام له: ومن قال: إن الكبائر تكفَّر بمثل هٰذه الأمور، فهٰذا أشبه بقول المرجئة؛ لأنَّ المؤمن يصلي ويصوم ويحج ويعتمر إلىٰ آخره، معناه أنَّ هٰذه الأفعال تكفر الكبائر يعني أن أهل الإسلام سيموتون ولا عذاب؛ بمعنىٰ لا يلحق مسلم وعيد، الوعيد ما يلحق مسلم. وهٰذا أشبه بقول أهل الإرجاء.

فالصحيح أنَّ الأحاديث التي فيها تكفير السيئات بفعل الطاعات أن هٰذا للصغائر.

في بعض الأعمال خلافٌ، بعض الأعمال مثل الحج قال: «**من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه**» يعني هٰذا التمثيل يدخل فيه الصغائر والكبائر فيه طائفة من أهل العلم خصُّوا الحج، قالوا: الحج غير العمرة إلىٰ العمرة «**حج فلم يرفث ولم يفسق**» هٰذا يكفر الكبائر والصغائر.

ولهٰذا شبه النبي ﷺ الحج بالجهاد، والجهاد يمحو الله جل وعلا به السيئات لأنها حسنة عظيمة، وهٰذه فيها خلاف.

لكن القاعدة أن الحسنات من الصلاة والصيام والجمعة والعمرة إلىٰ العمرة أنها مكفِّرة للصغائر دون الكبائر بشرط اجتناب الكبائر؛ لقوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء:٣١]. فجعل شرط التكفير اجتناب الكبائر.

ثم هنا اختلف العلماء هل ترك الكبيرة وحده تكفَّر به السيئات أم لابد أنه يترك الكبيرة مع عمل صالح؛ يعني ترك مع فعل، أم الترك وحده مكفر؟ علىٰ قولين، والظاهر من قول المحقّقين أن ترك الكبيرة لا تكفر به السيئات وحده بل لابد من فعل؛ يعني ترك الكبيرة مع الصلاة إلىٰ الصلاة، ترك الكبيرة مع عمرة إلىٰ عمرة، ترك الكبيرة مع رمضان إلىٰ رمضان وهكذا، فهٰذا هو الذي تجتمع به الأدلة. والله أعلم. وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

سؤال (٣٧٨): قول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في قوله: والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفيّة وشفاعة مثبَتة، ما المقصود؟

الجواب: يعني أن الله جل وعلا أثبت شفاعة ونفىٰ شفاعة، نفىٰ شفاعة فقال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[المدثر]، ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾[الأنعام:٥١]، هٰذه شفاعة منفية.

وهناك شفاعة مثبتة، وهي في قوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[الأنبياء:٢٨]، ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[النجم:٢٦]، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة:٢٥٥]، فأثبت شفاعة ونفىٰ شفاعة.

فإذن الشفاعة المنفية هي عن أهل الكفر والشرك.

والشفاعة المثبتة بشرطين الإذن والرضا، هٰذا مراد الشيخ.

## الدرس الأربعون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

[**الأسئلة**] فهٰذه بعض الأسئلة بين يدي الدرس.

سؤال (٣٧٩): قال: كيف نجيب علىٰ الإشكال في الأحاديث النبوية التي تذكر دخول الجنة والنار بالفعل الماضي، مثل حديث «عُذبت امرأة في هرة سجنتها حتىٰ ماتت فدخلت بها النار»، هل المقصود عذاب القبر أم ماذا؟

الجواب: ما ذُكر من العذاب لمن أخبر الله جل وعلا أنه يعذب في النار أو أنه يعذب مطلقا أو أنه عُذِّب، هٰذا محمول عند أهل السنة والجماعة علىٰ حقيقته، فإن الجنة والنار مخلوقتان الآن لا تفنيان ولا تبيدان.

فمن شاء الله جل وعلا أن يعذبه في النار من أهل القبلة أو من استحق النار من أهل الشرك والضلال فهو إذا مات في النار وهو في قبره يكون معذبا في النار، والقبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار، وقد قال جل وعلا في «سورة غافر» لما ذكر عذاب آل فرعون قال: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾، فدلت الآية أن عذاب أولئك في النار حاصل في زمنين: الآن وبعد قيام الساعة.

وكلها علىٰ حقيقتها يعذبون في النار؛ لأن الواجب الأخذ بالظاهر، وهٰذه أمور غيبية، والنار مخلوقة والجنة مخلوقة والنعيم في الجنة حاصل الآن والعذاب في النار حاصل الآن.

لكن ينبغي أن يفهم أن العذاب في البرزخ يختلف عن العذاب في الآخرة:

وهو أن العذاب في البرزخ يقع علىٰ الروح والبدن تبع، كما أن النعيم في البرزخ للروح والبدن تبع.

وأما بعد قيام الساعة فإن النعيم والعذاب للإنسان بروحه وبدنه جميعا في أكمل تعلق بينهما.

ويوضِّح ذلك أنَّ الأحاديث جاء فيها ذكر نسمة المؤمن وروح المؤمن أنها في الجنة، وأن روح الكافر يؤخذ بها في النار، فالعذاب والنعيم في البرزخ يقعان علىٰ الروح ليس الروح فقط ولكن الروح والبدن تبع، بعكس الحياة الدنيا، الحياة الدنيا التنعم أو التعذب يكون علىٰ البدن والروح أيضا تتنعم وتتعذب لكن بالتّبع، وبعد الموت عكس حالة الحياة الدنيا هي علىٰ الروح والبدن تبع لها، وهٰذا هو ما قرّره أئمة أهل الإسلام.

وهٰذا خلاف من يقول: أن النعيم يكون للروح والعذاب علىٰ الروح فقط، وأن البدن في البرزخ لا يعذب، هٰذا غلط كبير ولا ينبغي أن ينسب هٰذا إلىٰ أحد من أئمة الإسلام؛ بل هو علىٰ الروح والبدن جميعا؛ وذلك أنَّ الأدلة جاء فيها أن الميت يعذب، وأن الإنسان يعذّب، والميت والإنسان اسم لبدنه وروحه معا، فمن ادَّعىٰ الانفصال فلابد له من إقامة دليل علىٰ ذلك، هٰذا من جهة في جواب السؤال.

**والجهة الأخرىٰ** هو أنَّ ما جاء في الكتاب أو السنة من التعبير عن الشيء بالفعل الماضي له أنحاء:

**الأولىٰ**: أن يعبَّر أو يوصف الشيء الذي لم يتحقق لم يأتِ بعد بالفعل الماضي، أو الذي يكون دائم التحقق بالفعل الماضي.

مثال الأول ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ ﴿أَتَىٰٓ﴾ هٰذا فعل ماضٍ ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ يعني بقيام الساعة ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾؛ يعني كأنه من شدة التَّأكيد علىٰ حصوله وأنه يقينا حاصل لا محالة، ووقوعه لا شك فيه ولا ريب، كأنه قد وقع وانقضىٰ، والناس يرون ما وقع وانقضىٰ يقينًا؛ لأنهم شاهدوه، حصل أمس وشاهده الناس وانتهىٰ، فيعبر عما يستقبل بالماضي إذا كان وجوده وتحصيله يقينا بلا ريب ولا شك، وكأنه قد وقع وانقضىٰ في حصول اليقين لمن علم به.

**والوُجهة الثانية**: أو الحال الثانية أن يكون الشيء منه ما وقع ومنه ما يقع الآن ومنه ما يقع في المستقبل، وهٰذا وصفُه بالفعل الماضي، التعبير عنه بالفعل الماضي لتحقق الاتصاف به وللتأكيد علىٰ الاتصاف به، وهٰذا ما يُحمل عليه مثل قول الله جل وعلا: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ١٣٤﴾[النساء]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ هٰذا فعل ماضي الله جل وعلا سميع بصير صفة ذاتية في الماضي والحال والاستقبال، هٰذا للتأكيد علىٰ تحقق هٰذا الاتصاف وتحقق آثاره، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥﴾[الكهف:٤٥]، ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ٤٧﴾[1]، وهكذا في أمثالها مما يدل علىٰ هٰذا المعنىٰ.

سؤال (٣٨٠): هل الكتب السَّماوية التي نزلت قبل القرآن جميعها من كلام الله وكتبت مثل ما كتب القرآن الكريم؟ أم أنها لم تكتب حتىٰ توفّي الرسل الذين نزلت عليهم وكتبها من بعدهم؟

الجواب: لا أعلم شيئا يدلُّ علىٰ تعميم أن الكتب السماوية جميعا كُتبت، أو أنها نُقلت بعد ذلك؛ لكن الكتب السماوية بمعنىٰ الكتب التي أنزلها الله جل وعلا هي كلام الرب جل جلاله أوحاه إلىٰ الرسول البشري بواسطة جبريل عليه السلام، ومنها ما اختصَّه الله جل وعلا بأن كتبه بيده كصحف موسىٰ عليه السلام قال جل وعلا: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾[الأعراف:١٤٥]، فالله جل وعلا كتبها بيده الكريمة العظيمة تبارك ربنا وتعالىٰ وتقدس.

فالأصل أن الكتب السَّماوية كلام الله جل وعلا، وأنها كُتبت، وهل هٰذا يعمُّ كل كتاب أم يستثنىٰ منه بعضها تحتاج المسألة إلىٰ بحث وتحقيق. والله أعلم.

اقرأ...

---

(١) سورة: النساء؛ الآية (٤٧)، الأحزاب؛ الآية (٣٧).

وَنَرَىٰ الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وعَلَىٰ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ.

وَلَا نُنَزِّلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا، وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشِرْكٍ وَلَا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا نُنَزِّلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا، وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشِرْكٍ وَلَا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ) يريد العلامة الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ أنّ أهل السنة والجماعة يتّبعون في الأمور الغيبية ما دلَّ عليه الدليل من كتاب الله جل وعلا ومن سنَّةِ رسوله ﷺ فلا يَقْفُون ما ليس لهم به علم ولا يقولون علىٰ الله جل وعلا ما لا يعلمون:

امتثالًا لقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء].

وامتثالا لقوله جل وعلا: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

فحرّم الله جل وعلا القول عليه بلا علم، ومن القول عليه بلا علم أن يُشهد في أمر غيبي أن الله جل وعلا لا يغفر لفلان، أو أن فلانا من أهل الجنة؛ يعني قد غُفر له، أو أنه من أهل النار المعيّن لأنه لم يشأ الله أن يغفر له.

فأصلُ هٰذه المسألة وهو ما قرره من إننا لا ننزل أحدا من أهل القبلة جنة ولا نارا، هٰذه لأجل أن هٰذا الأمر غيبيٌّ والله جل وعلا حكمه في أهل القبلة قد يعذِّب وقد يغفر؛ يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، فمن نزَّل جنة أو نارا أحدا من أهل القبلة ممن لم يدلَّ الدليل علىٰ أنه من أهل الجنة أو أهل النار فقد قال علىٰ الله بلا علم وتجرَّأ علىٰ الرب جل جلاله.

فالواجب -إذن- اتِّباع النص وتقديس الرب جل وعلا وتعظيم صفات الرب جل جلاله، وأن لا يُشهد علىٰ معين من أهل القبلة بأنه من أهل الجنة جزمًا أو من أهل النار جزما إلا من أخبر الوحي بأنه في هٰذا الفريق أو في هٰذا الفريق.

وهٰذا نصَّ عليه خلافا لأهل الضَّلال في مسائل الأسماء والأحكام من المعتزلة والخوارج قبلهم ومن يرون السيف ونحو ذلك ممن يشهدون لمن شاءوا بالجنة ولمن شاءوا بالنار؛ بل قد شهدوا علىٰ بعض الصحابة بأنهم من أهل النار وعلىٰ بعضهم من أنهم من أهل الجنة بمحض أهوائهم وآرائهم، وأهل السنة يخالفون الفِرق الضَّالة في هٰذا الباب ويتّبعون ما دلّ عليه الدليل ويعظمون الله جل وعلا، ولا يتجاسرون علىٰ الغيب، ويعظمون صفة الرب سبحانه بأنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

وتحت هٰذه الجملة مباحث:

**الأوَّل**: أن هٰذا الحكم ذَكَر أنَّه مختصٌّ بأهل القبلة فقال: (وَلَا نُنَزِّلُ أَحَدًا مِنْهُمْ) يعني من أهل القبلة (جَنَّةً وَلَا نَارًا)؛ لأنَّ أهل القبلة ظاهرهم الإسلام والله جل وعلا قد وعد المسلم بالجنَّة، وقد توعّد من عصاه من أهل الإسلام بالنار.

فهٰذا الحُكم مختص بأهل القبلة، فمن مات من أهل الإسلام لا يُشهد عليه بأنه من أهل النار ولا يشهد

له بالجنة، إلاّ من شهد له رسول الله ﷺ كما سيأتي.

وإذا تبيَّن هٰذا فلا يدخل في كلامه من مات علىٰ الكفر فقد كان في حياته كافرًا؛ كان طول حياته نصرانيا، أو كان طول حياته يهوديًّا، أو كان طول حياته وثنيًّا أو مشركا الشرك الأكبر المعروف؛ يعني من أهل عبادة الأوثان أو ممن لا دين له، فهؤلاء لا يدخلون في هٰذه العقيدة؛ بل يُشهد علىٰ من مات منهم بأنه من أهل النار؛ لأنه مات علىٰ الكفر وهو الأصل.

فقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**حيثُما مررت بقبر كافر فبشِّره بالنار**» يعني في الحديث الصحيح «**حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار**» وهٰذا عموم وهو موافق للأصل، وهو أن من مات علىٰ الكفر نحكم عليه بالظاهر، ولا نقول قد يكون مات علىٰ الإسلام؛ لأن هٰذا خلاف الأصل.

والقواعد المقررة تقضي باتباع واستصحاب الأصل، لهٰذا المسلم نستصحب أصلَه -كما سيأتي- فلا نشهد عليه بشرك ولا كفر ولا نفاق إذا مات، كذلك نستصحب الأصل في من مات علىٰ الكفر من النصارىٰ واليهود والوثنيين وأشباه هؤلاء.

ومن أهل العلم من أدخل الحكم علىٰ المعيّن الذي ورد في هٰذه الجملة، أدخل الحكم علىٰ المعين الكفار بأنواعهم فقال: حتىٰ الكافر لا نشهد عليه إذا مات لأننا لا ندري لعله أسلم قبل ذلك. وهٰذا خلاف الصَّواب وخلاف ما قرره أهل التوحيد وأئمة الإسلام في عقائدهم، فإن كلامهم كان مقيدا بمن مات من أهل القبلة، أما من لم يكن من أهل القبلة فلا يدخل في هٰذا الكلام.

**المسألة الثانية** أو المبحث الثاني: ذكرنا لك أنَّ أصل هٰذه العقيدة تعظيم صفات الله جل وعلا وعدم الخوض في الأمور الغيبية.

والعلماء في إعمال هٰذا الأصل في هٰذه المسألة لهم أقوال:

**القول الأول**: من قال: لا أشهد لأحد ولا علىٰ أحد مطلقا، وإنما نشهد للوصف للجنس دون المعيَّن، فنقول: المؤمن في الجنة، والظالم في النار، والمؤمن المسدد في الجنة، ومرتكب الكبيرة متوعد بالنار، ونحو ذلك من ذكر الجنس والنوع دون ذِكر المعين، إعمالًا منهم للأصل الذي ذكرنا؛ وأن الحكم للخاتمة أمر غيبي لا ندري هل حصل الختام بالتوحيد أم لا.

**والقول الثاني**: وهو قول جمهور أهل العلم وأئمة أهل الحديث والسنة والأثر أنَّ هٰذه المسألة غيبيَّة فمجالها ومدارُها علىٰ قاعدة الأمور الغيبية أنّه يُقتفىٰ فيها الدليل دون تجاوز للقرآن والحديث، فلا ينزّل أحدٌ جنة ولا نار إلا من أنزله الله جل وعلا جنة أو أنزله النار بدليل من الكتاب أو من السنة، وسواء في هٰذا النَّوع الوصف الجنس أو المعيَّن.

فجاءت الشهادة لأبي بكر ﷺ بأنه من أهل الجنة في القرآن، وجاءت الشَّهادة لأهل البيت بأنهم مطهرون أيضا بالقرآن منهم علي ﷺ وفاطمة وزوجات النبي عليه الصلاة والسلام الذين قال الله جل وعلا فيهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[الأحزاب] ونحو ذلك، وجاء في السنة الشهادة علىٰ معينين من الصحابة بأنهم في الجنة كما في العشرة المبشرين بالجنة: الخلفاء الأربعة، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وسعد بن أبي وقاس، وسعيد بن زيد

إلىٰ آخره، وكذلك الشهادة لبلال ﷺ، ونحو ذلك ممن جاء في الحديث أنه من أهل الجنة، وكذلك من شُهد عليه بالنار ممن هو منتسب إلىٰ القبلة لِما جاء في السنة فإننا نشهد عليه بالنار.

وهٰذا القول هو المراد بكلام الطحاوي هٰذا وهو قول جمهور أهل الحديث والسنة.

أما **القول الثالث**: فهو مثل القول الثاني؛ لكنه زاد عليه بأنّ الشهادة المستفيضة للإنسان من أهل القبلة بأنه من أهل الجنة أو أنه من أهل الوعيد فإنه يُشهد للمعين أو يشهد عليه بالشهادة المستفيضة، وهٰذا جاء رواية عن الإمام أحمد وعن غيره من الأئمة واختارَها الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية رحمهم الله تعالىٰ، وقال: دلت السنة علىٰ هٰذا الأصل فإن النبي ﷺ مُرّ عليه بجنازة فأثني عليها خيرا فقال: «**وجبت**»، ثم مُرّ بجنازة أخرىٰ فأثنىٰ الصحابة عليها شرا، فقال: «**وجبت**»، قالوا: يا رسول الله ما وجبت؟ قال: «**تلك أثنيتم عليها خيرا فوجبت لها الجنة، وهٰذه أثنيتم عليها شرا فوجبت لها النار، أنتم شهداء الله في أرضه**»، وأيضا جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**يُوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار**» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله قال: «**بالثناء الحسن وبالثناء السيئ**»، فيدخل في هٰذا القول المعروفون الذين شُهد لهم بقدم الصدق من صحابة رسول الله ﷺ، وكذلك من شُهد له من أئمة الإسلام بهٰذا المقام كالإمام مالك مثلا والشَّافعي وأحمد والبخاري ومسلم ونحوهم من أئمَّة الإسلام.

والأظهر هو القول الثاني وهو قول الجمهور؛ لأنّ الشَّهادة بالاستفاضة هٰذه الدَّليل يتقاصر علىٰ أن يُشهد له مطلقا، لكن يكون الرجاء فيه أعظم، ولهٰذا في الحديث الأول قال: «**وجبت**»، فدل علىٰ أن شهادتهم له في مقام الشفاعة له بأنه قال: «**أثنيتم عليها خيرا فوجبت**» فدلَّ علىٰ أن الوجوب له بالجنة مترتب علىٰ الثناء عليه بالخير، وليس الثناء عليه بالخير نتيجة وإنما هو سبب لوجوب الجنة، فكأنه في مقام الشفاعة له والدعاء له، وليس هٰذا مطلقا. والحديث الثاني أيضا يُحمل علىٰ هٰذا بأنه في مقام الشفاعة والدُّعاء له، بالإضافة إلىٰ أنّ القول الأول هو قول الأكثر من أئمة أهل الإسلام.

**المبحث الثالث**: أننا إذا لم نشهد لأحد أو علىٰ أحد فإن المقصود المعين، أما الجنس والنوع فنشهد للجنس والنوع، فنشهد علىٰ الظَّالم بالنار دون تنزيله علىٰ معين، ونشهد للمطيع بالجنة دون تنزيله علىٰ معين، والمقصود إذا مات علىٰ ذلك، إذا مات المطيعُ علىٰ الطَّاعة، وإذا مات الظالم علىٰ الظلم؛ لأن المسألة مبنية علىٰ ما يُختم للعبد، وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام في الصحيح أنه قال: «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتىٰ ما يكونَ بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»، وهٰذا يدل علىٰ أن الأعمال بالسوابق -سوابق الكتاب- وبالخواتيم، وهٰذا يمنع من الشَّهادة المعيَّنة لأن الأعمال بالسوابق والخواتيم، والله جل وعلا خلق الجنة وخلق لها أهلا وهٰذا غيبي، وخلق النار وخلق لها أهلا وهٰذا أمر غيبي.

فإذن الشهادة علىٰ الجنس أو للجنس بالجنة أو علىٰ النوع بالنار هٰذا المقصود من مات علىٰ ذلك، من مات علىٰ الطاعة فإننا نشهد لجنس الميِّتين علىٰ الطاعة، ولجنس من مات علىٰ الكبيرة بأنه متوعد بالعذاب قد يغفر الله جل وعلا له وقد يؤاخذه بذنوبه.

**المبحث الرابع والأخير**: أننا مع ذلك كله فإننا نرجو للمحسن ونخاف علىٰ المسيء، أهل السنة أهل رحمة؛ لأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام كان رحيمًا بهٰذه الأمة، فيرث أهل السنة الرحمة من صفاته عليه الصلاة والسلام، فيرحمُون هٰذه الأمة، ومن رحمتهم لها أنهم يرجون لأهل الإحسان ويخافون علىٰ أهل الإساءة، ورجاؤهم لأهل الإحسان يحملهم علىٰ أن يدعو لهم وأن يصلوا عليهم إذا ماتوا؛ لأنَّ حق المسلم علىٰ مسلم ست ومنها أنه إذا مات يصلي عليه ويدعو له، وتَحملُهم الرَّحمة للمسيء أنه إذا مات علىٰ الإساءة أنه يُخاف عليه الإساءة، فيُسأل الرب جل وعلا أن يغفر له ذنبه وأن يتجاوز عن خطيئته وأن يبارك له في قليل عمله، ونحو ذلك من آثار الرَّحمة، ولهٰذا يدعو المسلم لجميع المسلمين لمن كان منهم صالحا ومن كان منهم غير صالح؛ بل من الدُّعاء الذي تداوله أهل السنة والعلماء أن يُسأل الرب جل وعلا أن يشفِّع المحسن في المسيء، وأن يُوهَبَ المسيء للمحسن، مثل ما في دعاء القنوت الذي يتداوله الأكثرون: **وهب المسيئين مما للمحسنين**. (**هب المسيئين**) يعني من كان مسيئا عاصيا عنده ذنوب هبْهُ للمحسن فشفِّع المحسن فيه في هٰذا المقام بالدعاء.

وهٰذا كله من آثار الرحمة التي كان عليها ﷺ، فإنه كان بهٰذه الأمة كان رحيما؛ بل كان رحمة للعالمين عليه الصلاة والسلام.

فإذن نرجو للمحسن ونخاف علىٰ المسيء، ولرجائنا للمحسن آثار، ولخوفنا علىٰ المسيء آثار، فرجاؤنا للمحسن يحملنا علىٰ تولِّيه وكثرة الدعاء له ونصرته واقتفاء أثره، وخوفُنا علىٰ المسيء يحملنا علىٰ الدعاء له والاستغفار ونحو ذلك، فكان أسيرًا للشيطان، ونسأل الله جل وعلا له المغفرة الرضوان.

نسأل الله سبحانه لنا جميعا أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وأن يجزل لنا الأجر علىٰ قليل عملِنا، وأن يغفر لنا كثرة الذنب والخطايا فإنه سبحانه جواد كريم، اللّٰهمَّ فأجب واغفر جمًّا إنك علىٰ كل شيء قدير.

الجملة الثانية قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشِرْكٍ وَلَا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ**.) هٰذه الجُملة مثل الأولىٰ في تقرير هٰذه العقيدة المباركة وهي أنّ الأمر ما دام تبع للخاتمة والخاتمة مغيّبة وهٰذا أمر غيبي فلا نَقْفُ ما ليس لنا به علم، ولا نتجرَّأ علىٰ الله جل وعلا في وصف شيء والحُكم يتعلق به والحكم علىٰ عباده بدون دليل، لهٰذا نعتبر الظَّاهر من كل أحد، فمن كان ظاهرُه السلامة في الدنيا ومات علىٰ ذلك، فإنَّا نحكم بالظاهر، والله يتولىٰ السَّرائر، ومن كان ظاهره الكفر أو ظاهره الشرك أو ظاهره النفاق فإننا نحكم بالظاهر؛ ولأنه ظهر منه ذلك وأمره إلىٰ الله جل وعلا.

وفيه بعض المسائل[1]:

**الأولى**: قوله: (**وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشِرْكٍ وَلَا بِنِفَاقٍ**) يعني علىٰ المعيَّن من أهل القبلة، وهٰذا يدلُّ علىٰ أن المعين من أهل القبلة قد يجتمع فيه إيمان وكفر، ويجتمع فيه إسلامٌ وشرك، ويجتمع فيه طاعة

---

(١)انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الثالث والثلاثين.

وإسلام وإيمان ونفاق، وهٰذا هو المتقرِّر عند الأئمة تبعًا لما دل عليه الدليل، فإن المعين قد يجتمع فيه الإيمان فيكون مؤمنًا ويكون عنده بعض خصال الكفر؛ يعني من الكبائر ممَّا لا يُخرجه من الإيمان، فمثلا قتال المسلم كفر وسبابه فسوق كما ثبت في الحديث الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»، فسباب المسلم فسوق وقتاله كفر فيجتمع في المسلم فسوق وطاعة وكفر وإيمان.

كذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**ثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة علىٰ الميت**» ونحو ذلك من خصال الكافرين، فلا يعني وجود بعض خصال الكفر في المعيَّن أن يحكم عليه بالكفر، الحكم بغير ما أنزل الله في حق القاضي أو في حق المعين إذا حكم بغير ما أنزل الله وهو لا يَعتقد جواز ذلك أو يعلم أن بحكمه عاص يعني حكم وهو يعلم أنه بحكمه عاص ومخطئ فإنه اجتمع فيه كفر وطاعة.

فلا يُخرج أحد من الإيمان بخصلة من خصال الكفر وُجدت فيه، أو خصلة من خصال الشرك وجدت فيه، أو خصلة من خصال النفاق وجدت فيه، فإنَّ المؤمن يجتمع فيه هٰذا وهٰذا، ولهٰذا قال: (وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشِرْكٍ وَلَا بِنِفَاقٍ) إذا كان متستراً بذلك (مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ)، فإن ظهر تشهد عليه بقدر ما ظهر، فالشَّهادة عليه جوازا لا وجوبا كما سيأتي في المسألة التي بعدها.

كذلك الشِّرك يكون مؤمنا ويكون عنده شركا أصغرا، يكون عنده حلف بغير الله مما هو من الشرك الأصغر، أو تعليق التمائم واعتقاد أنها أسباب، أو نسبة النعم إلىٰ غير الله جل وعلا أو نحو ذلك من أمور الشِّرك الأصغر أو الشرك الخفي من يسير الرياء ونحوه، فيجتمع في المؤمن هٰذا وهٰذا.

وكذلك بعض خصال النفاق يكون المؤمن مطيعًا مسلمًا؛ لكن عنده خصال النفاق إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا أؤتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، ونحو ذلك من خصال النفاق.

**المبحث الثاني**: أن قوله: (وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ... مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ) يعني إذا ظهر منهم فإنما قد نشهد عليهم يعني يجوز لنا الشهادة إذا ظهر منهم شيء من ذلك، وجواز الشهادة عليهم منوط بالمصلحة؛ لأنها من باب التعزير فقد يجوز أن يُشهد علىٰ معيَّن ببعض خصاله؛ خصال الكبائر التي فيه أو الشرك الأصغر الذي فيه أو بعض خصال النِّفاق الذي فيه إذا كانت الشهادة عليه بذلك علنا فيها مصلحة متعدِّية، أما إذا لم يكن فيها مصلحة، فإن الأصل علىٰ المسلم أنه لا يشهد عليه بل يُستر عليه.

وهٰذا يدلُّ علىٰ أن الأصل في المؤمن ما دام اسم الإيمان باقيًا عليه الأصل فيه أن يكون علىٰ اسم الإسلام وعلىٰ اسم الإيمان وعلىٰ اسم الطَّاعة، فلا يُنتقل عن الأصل في الثناء عليه وفي الشهادة له بالإسلام والإيمان والتَّسديد إلاّ إذا كان فيه مصلحة.

فإذن ليس الأصل الشَّهادة علىٰ المخالف أو علىٰ من فيه كفر وخصلة من كفر أو شرك نشهد عليه بهٰذه الأشياء؛ بل هٰذه منوطة بالمصلحة المتوخَّاة؛ لأنها من باب التَّعزير.

ويدل علىٰ ذلك أنّ النبي عليه الصلاة والسلام ما شهد علىٰ هؤلاء الذين فعلوا هٰذه الأشياء إلا علىٰ معينين قلّة، وأما الأكثر فإنه عليه الصلاة والسلام حملهم علىٰ الظَّاهر، وأهل النفاق الذين باطنه نفاق ما أعلن أسماءهم عليه الصلاة والسلام ولا شهد عليهم لكل أحد لأن المصلحة بخلاف ذلك.

**المبحث الثالث والأخير**: هٰذا كله في أهل القبلة، أما من خرج من الإسلام بكفر أكبر أو بشرك أكبر أو بردة وقامت عليه الحجة في ذلك فإنه يُشهد عليه بعينه لأنه ظهر منه ذلك واستبان.

اقرأ اللِّي بعدها...

وَلَا نَرَىٰ السَّيْفَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ.

وَلَا نَرَىٰ الْخُرُوجَ عَلَىٰ أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا، وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَىٰ طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ ﷻ فَرِيضَةً، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاةِ.

قال رَحِمَهُ اللهُ أيضا: (وَلَا نَرَىٰ السَّيْفَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ.) يريد بهٰذه الجملة أنَّ أهل الحديث والأثر والسنة والجماعة لا يعتقدون جواز الخروج علىٰ هٰذه الأمة وتفريق الجماعة بالسيف، وأيضا لا يرون جواز قتل أحد من هٰذه الأمة لغير الإمام الذي بيده الأمر، وهٰذا منهم اتِّباعا لما دلت عليه الأدلة من حرمة دم المسلم وعدم جواز إراقته وأنَّ كل المسلم علىٰ المسلم حرام دمه وماله وعرضه ونحو ذلك من الأصول، والأدلة التي سيأتي ذكر بعضها إن شاء الله.

وأرادوا بذلك أيضا مخالفة الطوائف التي استباحت دم المسلمين رأت الخروج علىٰ جماعة المسلمين بعامة والخروج علىٰ الإمام ولي الأمر أو بجواز قتل من حكموا هم بردته أو بكفره، وهم طوائف الخوارج والمعتزلة، وطائفة ممن ينسب إلىٰ الفقه من أتباع المذاهب فإن طائفة من أتباع المذاهب أيضا - الجملة منسوبون إلىٰ السنة- تأثروا بمذهب الخوارج في هٰذا والمعتزلة ونحو ذلك فرأوا جواز الخروج -كما سيأتي- ورأوا جواز قتل المعين للعامة ولا يُخص بذلك ولي الأمر.

فيريد من ذلك تقرير القول الحق والمنهج العام لأهل السنة الذي صاحوا به وأعلنوه وصاحوا بالمخالف فيه من أنه لا يجوز لأحد أن يخرج علىٰ أحد من هٰذه الأمة بالسيف ولا أن تستباح الدماء ولا دم إلا ببرهان من الله جل وعلا.

..... مسائل:

**الأولى**: قوله: (وَلَا نَرَىٰ السَّيْفَ) هٰذه الكلمة مصطلح شائع عند العلماء والناس في القرون الثاني والثالث والرابع، فكان يميَّز بين من يحبذ الخروج ولو لم يدخل فيه بفعله وإنما يستحسِنُه لفظا ويؤيد من يفعله كان يوصف عند الأئمة بأنه كان يرىٰ السَّيف، ويوصف من خالفهم ثناء عليه بأنه كان لا يرىٰ السيف، وقد ضعَّف الأئمة جمعًا من الرواة وقدحوا فيهم بقولهم: كان يرىٰ السيف، والإمام أحمد حذر من عدد وكذلك سفيان وغيرهما ووكيع وجماعة كانوا يحذِّرون من فلان؛ لأنه كان يرىٰ السيف.

فإذن مصطلح (وَلَا نَرَىٰ السَّيْفَ) هٰذا يراد به أحد فئتين:

**الفئة الأولىٰ**: من يرىٰ الخروج علىٰ الوُلاة بعامة، سواء أدخل في الخروج بلسانه ويده أم كان يراه عقيدة.

**الثاني**: من رأىٰ جواز قتل المعيّن إذا ثبت عِنده كفر منه أو ردة، ولا يكل ذلك إلىٰ الإمام.

والسَّلف كانوا يسمون من كان علىٰ أحد من هذين الوصفين يقولون كان يرىٰ السيف، وفي «تهذيب التهذيب» عدة تراجم كثير من التراجم ممن طُعن فيهم طعن فيهم الأئمة بهٰذا القول فهٰذا يرىٰ السيف ونحو ذلك.

**المسألة الثانية**: هٰذه الجملة دلَّ عليها القرآن والسنة في مواضع كثيرة منها:

قوله جل وعلا: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾[التوبة:٥].

وقوله: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾[التوبة:١١].

ومنها قوله جل وعلا: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗا﴾[النساء:٩٢]، يعني لا يكون مؤمن يتجرأ ليسفك دم مؤمن واحد إلا خطأ، أما يتعمد فهٰذا معه لا يستحق وصف الإيمان؛ لأنه ارتكب هٰذه الكبيرة العظيمة التي قال الله جل وعلا فيها بعد ذلك: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا﴾[النساء:٩٣].

ودل أيضا عليها قول الله جل وعلا: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ -يعني بالقتل- ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾[الحجرات:٩]، فدل على أن من تجرأ على المقاتلة أنه ليس من أمر الله في شيء؛ بل خرج عن أمر الله وهو شريعته ودينه الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام.

ومنها أيضا في السنة قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث**»، وفي اللفظ الآخر «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس الثيب الزاني والتارك لدينه المفارق للجماعة**»، فهٰذا يدل على أن الأصل لا أحد يتجرأ ويسفك الدم أو يراه، فلا يحل ذلك فعله، وكذلك لا يحل أن يعتقد جواز قتل المسلم باق على اسم الإسلام وهو ليس من هٰذه الأصناف الثلاثة.

**المسألة الثالثة**: قوله: (إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ.) يعني من الأمة، ووجوب السَّيف (وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ) هٰذا لمن بيده السيف وهو ولي الأمر المسلم، فولي الأمر هو الذي بيده أن يسفك الدم تحقيقًا للشرع لا بمحض الهوى، فيقتل تحقيقا للشرع لا بمحض الهوى، ويحكم ويأمر بالقتال أو يأمر بقتل معين أو بقتال طائفة ونحو ذلك، فهو الذي بيده السَّيف وهو الذي له هٰذا الحكم، وليس لآحاد الناس من العلماء أو من العامة ليس لهم هٰذا الأمر أو أن يقتلوا؛ لأن السيف ليس بيدهم وإنما السيف بيد ولي الأمر الذي بيده الحل والأمر والنهي، وبيده الأمور كالقتال وإقامة الحدود وأشباه ذلك.

هٰذا يبيِّن أن المسألة التي تظهر في بعض الأمكنة وهي مسألة الاغتيالات؛ أن يُغتال من ظاهره الإسلام، أو من لم يحكم عليه ولاة الأمر -من العلماء في الأمر الديني والحكام والأمراء في الأمر العام- من لم يحكموا عليه بأنه يُقتل، فلا يحل لأحد أن يتجرَّأ على قتله أو على اغتياله، والنبي عليه الصلاة والسلام إنما أباح اغتيال كعب بن الأشرف في القصة المعروفة لمصلحة عامة ولأنه هو الإمام، وإلا فالأصل الأصل العام في الشريعة أن هٰذا الأمر للإمام أولا ثم أنه لا يؤاخذ أحد إلا بظهور ذلك منه وحكم شرعي عليه.

فمن ظهرت منه زندقة أو كفر أو ردة ولم يحكم عليه وليُّ الأمر بذلك فلا يحل لأحد أن ينتهك دمه وأن يسفك دمه؛ لأنه حينئذ له حكم الزنادقة وله حكم المنافقين، والنبي عليه الصلاة والسلام سيرته مع المنافقين ظاهرة، والصحابة ربَّما علموا أنّ فلانا منافق ولم يتجرؤوا على قتله حتى يستأذنوا رسول الله ﷺ، واستأذنوه بقتل عدد فلم يأذن لهم، قال لهم مرة: «**لا، لا يتحدَّث الناس أن محمدا يقتل أصحابه**» وأولئك النَّفر الذي استهزؤوا ونزل بهم قول الله: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾[التوبة]، والقصة المعروفة بسبب نزولها ولم يَرِد أن محمدا عليه الصلاة والسلام

قتلهم، ولما حصلت القصة المعروفة قالوا له: يا رسول الله؛ أنقتل هؤلاء؟ قال: «**لا، لا يُتحدث أن محمدا يقتل أصحابه**»، وكانوا يستأذنونه، فقال عمر لما حصل من حاطب ﷺ ما حصل: يا رسول الله دعني أضرب عنق هٰذا المنافق؟ وهٰذا استئذان من النبي عليه الصلاة والسلام.

فإذن القاعدة الماضية التي دلت عليها الأدلة وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام وسيرة الصحابة، وكذلك ما قرره الأئمة من أن الحكم بقتل أحد أو تنفيذ ذلك ليس إلا لولي الأمر، وهٰذا فيه من المصالح العظيمة وتحقيق المقاصد الشرعية ما يجب معه الاعتناء بهٰذا الأصل، وأن لا يدخل أحد من المسلمين في هٰذه التبعة العظيمة بقول أو بفعل.

ولهٰذا جاء في الحديث وفي إسناده بحث لكن حسنه عدد من أهل العلم رواه ابن ماجه وغيره «**من أعان علىٰ قتل مسلم ولو بشطر كلمة لم يرح رائحة الجنة أو كان من أهل النار**» وهٰذا فيه الإعانة علىٰ قتل مسلم بشطر كلمة، فكيف من يتكلم بلسانه ويعين علىٰ قتل مسلم أو يفتي بذلك، وهو ليس من ولاة الأمر من العلماء أو القضاة أو ممن جُعل لهم ذلك.

فالواجب في هٰذا الأمر رعاية هٰذا الأصل العظيم، والسلامة في هٰذا الأصل، ولا يتجرأ أحد علىٰ هٰذا المقام؛ لأن الأصل حرمة دم من أظهر الإسلام، ومن حصل منه ردة أو عُلمت منه زندقة أو نفاق فيوكل إلىٰ ولي الأمر، فلا يجوز للناس لآحاد منهم أن يفتئتوا علىٰ ولي الأمر وأن يقتلوا، ولو جاز ذلك لتسابق الصحابة رضوان الله عليهم علىٰ قتل المنافقين الذين علموا نفاقهم؛ بل لقتلهم الرسول ﷺ.

والمسألة منوطة بالمصلحة وبإذن الإمام سواء من القتل الابتدائي ممن علم نفاقه أو ردته أو زندقته، أو بالاغتيال الذي فيه قتل دون رجوع إلىٰ الإمام.

نكتفي بهٰذا القدر، ونقف عند قوله: (**وَلَا نَرَىٰ الْخُرُوجَ عَلَىٰ أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا**).

[**الأسئلة**] نجيب علىٰ سؤالين ثم ننتهي إن شاء الله تعالىٰ.

سؤال (٣٨١): إذا مات رجل في أرض المعركة هل نشهد له بأنه شهيد ومن أهل الجنة أم لا يجوز؟ وهناك طائفة من الناس يقولون: إن من مات في المعركة شهيد فيحتفلون بذلك، ويعمل عرس للشهيد الذي مات في المعركة، ويزفون الشهيد للحور العين في الجنة، ويوزعون المشروبات الباردة في ذلك ويهنئون أهل الميت بدخول ميتهم الجنة، ما هو الحكم الشرعي في ذلك؟

الجواب: هٰذا مما يدخل في هٰذا الأصل الذي ذكرنا، وهو أن الناس من أهل القبلة علىٰ إحسان نرجو له وعلىٰ إساءة نخاف عليه، **ولا نشهد لأحد بجنة نصًّا ولا بأسبابها.**

**هٰذه كان ينبغي أن نذكرها في الشرح فتضاف عليه.**

وهي مسألة الشهادة بما يدل علىٰ الشهادة بالجنة مثل أن يقال: فلان شهيد، إذا كان شهيدا الله جل وعلا ذكر ونص علىٰ أن الشهداء بالجنة.

وكذلك الشهادة له بالمغفرة المغفور له، المرحوم، النفس المطمئنة، ونحو ذلك، مما هو من أسباب دخول الجنة.

فإذا شُهد له بهٰذه الأوصاف بأنه غفر له وقد شُهد له بأمر غيبي، فإذا شُهد له بأنه مغفور فقد شهد له بأمر

غيبي، فإذا شهد له بأن نفسه مطمئنة ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر]، فقد شُهد له بالجنة.

فإذن الشهادة للمعين بالجنة ممنوعة، وكذلك بما يدل علىٰ أنه يُشهد له بالجنة، مثل الأسباب هٰذه ونحوها.

من ذلك الشهادة له بأنه شهيد وقد جاء في «صحيح البخاري» بحث هٰذه المسألة، وبوَّب عليها هل يقال: فلان شهيد؟ وذكر أثر عمر: إنكم تقولون لمن مات في معاركم: فلان شهيد فلان شهيد، والله أعلم بمن يُكْلَمُ في سبيله، والله أعلم بمن يقتل في سبيله. لأنه هل كان يقاتل يريد أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلىٰ، هٰذا أمر غيبي فلذلك لا تجوز الشهادة لمعين؛ لكن نرجوا له، من مات في أرض المعركة نرجوا له الشهادة، نقول نرجوا له أن يكون شهيدا وهٰذا تبع للأصل أننا نرجو للمحسن ونخاف علىٰ المسيء.

سؤال (٣٨٢): قلتم أن النصارىٰ كفار يجوز الجزم بدخولهم النار فما موقفنا أمام الآيات التي تستثني بعضهم؟

الجواب: ما جاء في استثناء بعضهم هو استثناء لمن مات مؤمنًا، لمن أسلم، من أسلم منهم فله حكم أهل الإسلام هٰذا ما مات علىٰ الكفر.

كقوله جل وعلا: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة]، هٰذا في فئة آمنت أسلمت، ولهٰذا قال جل وعلا بعدها: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [المائدة] ونحو ذلك، فهؤلاء فيمن أسلم، وأما من يسلم فإنه باق علىٰ كفره.

سؤال (٣٨٣): إذا لم يكن للمسلمين إمام مسلم يقيم الشرع مثل الأقليات المسلمة، فهل لرئيسهم المسلم أو لإمام المسجد أن يقيم الحدود عليهم؟

الجواب: هٰذه المسألة تحتاج إلىٰ تفصيل وبحث، وهٰذه كل صورة لها حكمُها وكل بلد لها حكمها، فيلزم أولئك أن يستفتوا أهل العلم ويأخذوا الفتوىٰ، ليس ثم قاعدة؛ لأن كل بلد لها حكمها، وكل أقلية لها حكمها وقد يدخلون في أشياء بمحض اجتهادهم، تكون عليهم ضرر، تكون تلك الأشياء عليهم ضررا في عاقبة أمرهم، فلابد من استفتاء أهل العلم الراسخين فيه، وتنزل كل مسألة منزلتها.

سؤال (٣٨٤): كيف قتلت حفصة أم المؤمنين الساحرة التي سحرتها وكيف قتل جندب الساحر الذي كان عند الوليد بن عبد الملك وليس لهما من الأمر شيء.

الجواب: آخر السؤال: ليس لهما من الأمر شيء، هٰذا يحتاج إلىٰ دليل؛ لأنه فيه نوع تأصيل وهو ليس بظاهر.

ظاهر العلماء لما ذكروا هاتين الصورتين وأمثالها قالوا: إنه خول لهما ذلك.

وما جاء في الأحاديث قد يكون ثَم فيه اختصار، فكيف بأفعال الصحابة رضوان الله عليهم الأصل أنه لا تعارض الأصول الشرعية والأدلة من الكتاب والسنة بفعل بعض الصحابة، فإذا فعل أحد من الصحابة فعلا يخالف الأصول، فإنما نرجعه إلىٰ الأصول ونحمله علىٰ المحكمات؛ بل بعض أفعال النبي ﷺ بل بعض آيات القرآن إذا كان فيها اشتباه ولم يتضح لنا وجهها وكونها مخالفة للقواعد والأصول أو للآيات الأخرىٰ فنرجعها إليها، فيكون من باب حمل المتشابه علىٰ المحكم وفهم المتشابه بالمحكم.

أفعال الصحابة رضوان الله عليهم ليست حجة بمجردها فنفهمها علىٰ وفق الأدلة فالعبرة بالدليل الكتاب والسنة وفعل النبي ﷺ سنته، أما فعل الصحابة، الصحابة حصل منهم أو بعض التابعين حصل منهم أصلا خروج علىٰ الأئمة، فهٰذا اجتهاد اجتهدوه في بعض المسائل؛ لكن لا يوافق الأدلة من الكتاب والسنة ولا يوافق ما قرره الأئمة من الصحابة وأئمة الإسلام في أصل الاعتقاد وفي الاتباع.

لهٰذا كتأصيل لا تعارض الأدلة بفعل قد يكون لم يُنقل جميع أسبابه، قد يكون أُختصر إلىٰ آخره.

فإذن ليس لهما من الأمر شيء، هٰذه محل نظر وتحتاج إلىٰ تأمُّل يعني في وجه هٰذه المقولة.

وهٰذا ذكرتُه لكم مرة في محاضرة بعنوان «**قواعد القواعد**» في كيف تفهم الأدلة؟ كيف تفهم أفعال السلف؟ الآن كل واحد يجيء يقول السلف فعلوا كذا؛ لكن فعل السلف أقل درجة من نطق القرآن، والله جل وعلا جعل منطوق الوحي منها محكم ومنها متشابه، وما ضلت الفرق إلا بأخذ المتشابه من كلام الله وأخذ المتشابه من كلام النبي ﷺ، وعدم الرجوع به إلىٰ الكلام من الصحابة والرجوع فيه إلىٰ المحكم فكيف من نزل بمراحل واستدل بالمتشابه من أفعال السلف، فلابد أن يكون عنده فهم كيف تعامل الأئمة والسلف في هٰذا، ويكون قاعدة لك لحمل المتشابه من أفعالهم علىٰ المحكم من النصوص؛ لأن الأصل أنهم لا يخالفون وإذا لم يكن ثم مجال للحمل فيكون اجتهاد منهم خالفوا فيه الدليل وأمرهم إلىٰ الله جل وعلا.

ولهٰذا جاء في كلام علي ﷺ لمقابلته لبعض الفرق قال: إذا سمعتم بالحديث عن النبي ﷺ فظُنُّوا به الذي هو أهناه وأفقاه. الحديث عن النبي ﷺ قد يكون فيه أيضا مجال شبهة.

مثلا الحديث المشهور أن رجلا جاء إلىٰ النبي ﷺ فقال له: يا رسول الله؛ إن امرأتي لا تردّ يد لامس. فقال له النبي ﷺ: «**غرّبها**» وفي رواية «**فارقها**»، قال: يا رسول الله أخاف أن تتبعها نفسي. وفي الرواية الأخرىٰ قال: إني أحبها. قال: «**فاستمتع بها**»، قال الإمام أحمد: لم يكن النبي ﷺ ليأمره أن يبقيها مع فجورها، ولهٰذا صار تفسير (إن امرأتي لا ترد يد لامس) ليس معناه أنها تمشي في الفاحشة كل من جاء يريدها في نفسها وافقت فإنه معناه القول الثاني قول جمهور العلماء أنها تتصرف في مالي ومن أراد من قرابتها ومن أراد تأخذ من مالي في البيت تأخذ تعطيه، الذي يريد شيء تعطيه؛ يعني تصرفت وأرهقته في التصرفات المالية إلىٰ آخره، هٰذه لا ترد يد لامس، يد لامس لها أو يد لامس لمالي؟ وهنا نظن بالنبي ﷺ مثل ما قال علي الذي هو أهناه وأتقاه، وهكذا أفعال السلف الصالح نظن بهم الذي هو موافق للدليل، هٰذا الأصل أن تحملها علىٰ موافقة أهل السنة موافقة أفعالهم للدليل، إذا خالفوا الأدلة فإنهم اجتهاد، هم بشر يجتهدون ويؤجرون علىٰ اجتهادهم وقد يصيبون وقد يخطئون.

أسأل الله جل وعلا أن يبارك لي ولكم في العلم والعمل، وأن يقينا العِثار وصلىٰ والله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

سؤال (٣٨٥): سؤال من النساء: ما هي علامة الطّهر لامرأة حائض؟

الجواب: المرأة الحائض الأكثر؛ أكثر النساء تكون علامة الطهر بخروج سائل أبيض يسمىٰ عند العلماء والفقهاء بالقصّة البيضاء، وجاءت في الحديث أن النبي ﷺ سئل عن هٰذا فقال: «**لاَ تَعْجَلْنَ حَتَّىٰ تَرَيْنَ الْقَصَّةَ الْبَيْضَاءَ**» وهي السائل الأبيض الذي يخرج تنظيفا لمجرىٰ الرحم من آثار الحيض، هٰذا في غالب النساء.

ومن النساء من لا ترىٰ هٰذه القصة البيضاء -السائل الأبيض- وإنما ترىٰ الجفاف تعرف طهرها بالجفاف، المرأة الحائض بحسب ما ترىٰ من نفسها، إذا كان تعرف أنها في آخر الأمر يخرج منها البياض، فطُهرها بخروج البياض، قبل البياض قد يكون فيه أخلاط يعني بياض وحمرة، بياض وخيوط من دم ونحو ذلك، هٰذه لا تستعجل حتىٰ ترىٰ البياض صافيًا.

ومن هن -وهنَّ قليل- لا يكون خروج للبياض هٰذا وإنما يكون عندها جفاف سواء بعد النفاس أو بعد الحيض تجف فقط ولا ترىٰ من نفسها البياض.

سؤال (٣٨٦): تقول وإذا رأت الصفرة في آخر أيام الحيض، هل يعتبر هٰذا طهارة أم لا بد من البياض؟

الجواب: الصفرة إذا كانت قبل رؤية الطهر في أثناء الحيض هي حيضا لها حكمه، وأما إذا كانت بعد رؤية الطهر، رأت البياض بعد يومين رأت صفرة هٰذه لا اعتبار لها قالت أم عطية رضي الله عنها: **كُنّا لاَ نَرَىٰ الصّفْرَةَ وَالْكُدْرَةَ شَيْئًا**. رواه البخاري، وفي رواية أبي داود زيادة: **كُنّا لاَ نَرَىٰ الصّفْرَةَ وَالْكُدْرَةَ بَعْدَ الطُّهْرِ شَيْئًا**. وإذا كانت الصفرة والكدرة في زمن الحيض فهي حيض حتىٰ ترىٰ البياض، فإذا رأت البياض والطهر تاما ثم بعد يومين أو ثلاث رأت صفرة أو كدرة فلا تلتفت لها حتىٰ ترىٰ الدم الواضح.

بارك الله في الجميع نلتقي إن شاء الله في الأسبوع القادم.

سؤال (٣٨٧): القول الثالث: الشهادة المستفيضة، كيف مقام الشهادة المستفيضة، ...

الجواب: الناس، أنتم شهود الله في الأرض. أثنىٰ عليه الجميع،

سؤال (٣٨٨): شو الدليل؟

الجواب: أنتم، وجبت له الجنة، قال: «**يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار**». قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «**بالثناء الحسن والثناء السيئ**»، هٰذه شهادة، يعني مثلا نقول: ابن تيمية الذين يثنون عليه، الإمام أحمد، الأئمة الكبار، ماذا نقول فيهم؟ الإمام محمد بن عبد الوهاب، أولئك شهد لهم المسلمون جمع غفير في كل بلد، هٰذا عند شيخ الإسلام وهو رواية عن أحمد وعن غيره أن هؤلاء يجوز الشهادة لهم، لكن القول الصحيح أننا نرجو للمحسن ونخاف علىٰ المسيء.

... الاستفاضة العامة، أنتم شهود الله في الأرض، يعني عموم الأمة، استفاضة شهادة الأمة.

سؤال (٣٨٩):...

الجواب: أولاد المسلمين في الجنة، وأولاد المشركين موقوفون أو تبع لآبائهم أو الله أعلم بما هم

عاملون، والصحيح أنهم موقوفون، موقوفون لا نشهد لهم، أما أطفال المسلمين إذا مات وهو صغير فللجنس في الجنة، أما المعين فلا يشهد له، المعين لا يشهد له.

سؤال (٣٩٠):.... ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾[الحج:٢٥].

الجواب: القول الراجح أنه يجوز بيعها وتجوز إجارتها، هٰذا القول الراجح، وأن ما كان منها عاما ما اختص فهٰذا الناس فيه سواء، مثل الحرم، المسجد الخاص مسجد الكعبة ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ السواسية الناس فيه سواسية لا من جهة السكن فيما بني إنما السكن في الأرض التي لم تبن، أما ما تملك منها فهو حق لمالكه، ولهٰذا عمر رضي الله عنه اشترىٰ أرض والنبي ﷺ قال وهل ترك لنا عقيل من دار، في جواز بيعها وإجارتها والعلماء لهم فيها ثلاثة أقوال :

القول الأول لا تجوز بيعها ولا إجارتها.

والثاني بضده يجوز بيعها وإجارتها، وهو المفتي به.

والثالث: أنه يجوز بيعها ولا تجوز إجارتها. وهو الذي اختاره بعض المشايخ وقول شيخ الإسلام.

سؤال (٣٩١): شرك الكواكب؟

الجواب: الذين يعبدون الكواكب يضعون لها تماثيل، وطلاسم، مثل شرك قوم إبراهيم كان بالكواكب، شرك الكواكب يعني الشرك بالكواكب، «من قال: مطرنا بنوء بكذا؛ فهو كافر بي، مؤمن بالكوكب».[1]

(١) انتهىٰ الشريط الثالث والثلاثون.

## الدرس الحادي والأربعون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

اللّٰهمَّ علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا.

نعوذ بك -اللّٰهمَّ- من فتنة القول، كما نعوذ بك -اللّٰهمَّ- من فتنة العمل.

ربنا لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رءوف رحيم.

[الأسئلة]

سؤال (٣٩٢): ورد في «فتح المجيد» حديث زينب زوج عبد الله بن مسعود أنها كانت تختلف إلىٰ يهودي فيرقي لها عينها فتهدأ، إلىٰ آخره، ما صحة الحديث وما توجيهه؟

**الجواب**: الحديث هٰذا معروف، وهو سبب قول ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الرقىٰ والتمائم والتولة شرك**» وهو حديث صحيح رواه الإمام أحمد وأبو داود وجماعة.

أما قراءة اليهودي وكون اليهودي يرقي حمله العلماء علىٰ أحد وجهين:

**الأول**: أنه كان يرقيها بذكر الله بالدُّعاء العام، والرقية تكون بكتاب الله جل وعلا وبسنة رسوله ﷺ وبالدعاء الذي ينفع المشتمل علىٰ خير واستعانة واستغاثة وتوسل إلىٰ الله جل وعلا ونحو ذلك، فيُحمل علىٰ أنه كان يدعو ورقيته كانت دعاء.

**والثاني**: حمله طائفة من أهل العلم علىٰ أنه كان يرقي بالتوراة، بما يعلمه من التوراة مناسبا للرقية، وهٰذا هو الذي رُجح لقول ابن مسعود ﷺ إنما ذلك الشيطان كان ينخسها بيده، فإذا رقىٰ اليهودي سكنت، وهٰذا يدل علىٰ أن الرقية عنده لم تكن مشروعة علىٰ هٰذا النحو فلا تشمل علىٰ الرقية بذكر الله مطلقا.

سؤال (٣٩٣): يقول: أنا ممن يعتنون بالتوحيد والعقيدة السلفية؛ ولكن أنا مبتدئ في الحقيقة، لا أدري كيف أبدأ وبأي كتاب أبدأ، لذا أرجو التوجيه والإرشاد في ذلك؟

الجواب: ذكرنا لكم عدة مرات أن طلب العلم يكون بالتؤدة، ويكون شيئا فشيئا، ويعتني المرء بمراحل طلب العلم ويأخذ الأول فالأول لا يرهق نفسه بأشياء لا يستوعبها أو تكون من المطولات التي ربما يأخذ ويفهم بعضها ولا يفهم البعض الآخر ونحو ذلك، بل يبتدئ بالكتب التي اعتنىٰ بها العلماء.

وعلم التوحيد والعقيدة علىٰ قسمين:

**التوحيد**: ويعنىٰ به توحيد العبادة.

وهٰذا يبدأ فيه برسالة «ثلاثة الأصول» لإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم بالنبذ المعروفة كـ«القواعد الأربع» و«كشف الشبهات» ونحو ذلك.

ثم يقرأ «كتاب التوحيد» مع شرحه يعني علىٰ أحد العلماء، فإنه مرتبة وسطىٰ في معرفة توحيد العبادة وأدلته.

ثم إذا أراد أن يتوسع فيقرأ الشروح المطولة له كـ«تيسير العزيز الحميد» ونحو ذلك من الحواشي والشروح.

ثم بعد ذلك في الأخير يعتني بـ«كشف الشبهات» مرة أخرىٰ، وبفتاوىٰ أهل العلم في مسائل التوحيد؛ توحيد العبادة لأنها تُنَزِّل ما درس علىٰ الواقع فيستفيد من ذلك.

**القسم الثاني العقيدة السلفية**: وهي المعروفة بكتب العقيدة التي فيها بيان أركان الإيمان، وما يتصل بذلك من منهج السلف رحمهم الله تعالىٰ.

وهٰذه نبدأ فيها بما ينفع بكتاب «لمعة الاعتقاد» لابن قدامة صاحب «المغني» عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثم ينتقل بعدها إلىٰ «الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية مع أحد شروحها.

ثم مع «العقيدة الطحاوية» مع شرحها لأبي العز الحنفي.

وثَم كتب كثيرة في العقيدة في «شرح لمعة الاعتقاد» أو في «شرح الواسطية» أو «شرح الطحاوية» أو غير ذلك وكلها نافعة، ولكن كمراتب يعتني بهٰذه المراتب وسيحصّل شيئا كثيرا بإذن الله تعالىٰ.

سؤال (٣٩٤): هل الجماعة الواجبة جماعة المسجد أو أنه يجوز أن نقيم الجماعة في المنزل ولا أذهب إلىٰ المسجد وليس علي إثم في ذلك؟

الجواب: هٰذه المسألة من المسائل التي اختلف فيها أهل العلم، والخلاف فيها قديم وأكثر الأقوال فيها ثلاثة:

القول الأول: أن الجماعة سنة وليست بواجبة، فله أن يصلي منفردا ولو من غير عذر، وهٰذا مذهب عدد من أهل العلم، ويقولون: الجماعة في المساجد فرض علىٰ الكفاية.

والقول الثاني: يقول الجماعة واجبة ولا تتعين أن تكون في المسجد فلا يحل له أن يصلي منفردا، وذلك للأدلة التي دلت علىٰ هٰذا مما هي مشهورة ومعروفة لديكم.

القول الثالث: وهو أن الجماعة واجبة في المسجد لمن سمع النداء، وكل من سمع النداء ليس له أن يتخلف عن الصلاة في المسجد بغير عذر. وهٰذا القول يدلّ عليه كثير من الأدلة من القرآن ومن السنة من أن الجماعة فرض عين، وإذا كانت فرض عين فإنها تؤدَّىٰ في المكان الذي ينادىٰ فيها.

ومن الأدلة لهٰذا القول في السنة قول النبي عليه الصلاة والسلام للرجل الأعمىٰ الذي قال له: يا رسول الله إن داري بعيدة وإن بيني وبين المسجد كذا وكذا وليس لي قائد يلائمني -يعني يسير بي إلىٰ المسجد- فهل تجد لي رخصة ألا أصلي في المسجد. فرخّص له رسول الله ﷺ ثم لما انصرف الرجل ناداه وقال: «**هل تسمع النداء**» قال: نعم. قال: «**فأجب**».

ويدل عليه أيضا الحديث الذي في السنن عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**من سمع النداء ثم لم يجب فلا صلاة له إلا من عذر**».

فدل هٰذا أن الصلاة في المسجد واجبة؛ بل ذهب الإمام أحمد في رواية وشيخ الإسلام ابن تيمية ويُنسب إلىٰ ابن حزم وإلىٰ جماعة أنّ صلاة الجماعة في المسجد شرط لصحة الصلاة، وليس فقط أنها واجب عيني؛ بل إنها شرط لصحة الصلاة فيستدلون بهٰذا الحديث «**فلا صلاة له إلا من عذر**»، وكونها شرط لصحة الصلاة فيه نظر؛ لأن النفي قد يتوجه إلىٰ نفي الصحة وقد يتوجه إلىٰ ما دون ذلك، وهٰذا الحديث

نفهمه مع الأحاديث الأخرىٰ في أنها واجبة؛ ولكنها ليست بشرط.

والمسألة بحثها في جميع كتب الفقه والحديث.

سؤال (٣٩٥): ما جواب من قال بكفر تارك الصلاة تهاونا عن حديث «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان» وما أشبهه من الأدلة؟

الجواب: مثقال ذرّة من الإيمان لا يعني أنه أقل من أداء الصلاة، والإيمان إذا وجد فلا بد معه من إسلام يصححه، فمن قال: إن تارك الصلاة تهاونا أو كسلا يكفر، فإن الأحاديث التي فيها خروج من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان خروجه من النار هٰذا واضح التّوجيه من أن ذرة من الإيمان فيها صحة إيمان، ولا يصح إيمانه حتىٰ يكون معه قدر من الإسلام، وهٰذا القدر من الإسلام هو أداء الصلاة، فالإيمان باطن والإسلام ظاهر، والحديث إذا ذُكر فيه الإيمان فلا يدل علىٰ انعدام الاستسلام بالعمل.

سؤال (٣٩٦): هل هناك شيء اسمه العلم الظاهر والباطن، وهل للنصوص الشرعية ظاهر وباطن؟

الجواب: علم الظاهر والباطن هٰذا ليس من علوم أهل السنة، وإنما هو علم يعتني به طائفتان:

الباطنية وهم الإسماعيلية ومن شابههم.

والطائفة الثانية غلاة الصوفية هم الذين يعتنون بعلم الظاهر والباطن ولهم فيه تعريفات وتفصيلات.

أما النصوص الشرعية فلها ظاهر ولها باطن باعتبار أن الظاهر ما دل عليه منطوق اللفظ وأن الباطن ما دل عليه المفهوم، وهٰذا ربما استعمله بعض الأصوليين، وربما استعمل هٰذه اللفظة بعض أهل العلم، وربما جاء في بعض كتب التفسير عن بعض السلف.

فيعنون بها الظاهر ما يفهمه الإنسان ظاهر الألفاظ، والباطن ولا يقتضي التركيب وفهم يعني مفهوم وما يكون مع وجه تأمل وتدبُّر.

سؤال (٣٩٧): من هم الأقارب الذين يأثم العبد إذا لم يَصِلْهُم؟ وهل الأخت من الرضاع يأثم العبد إذا لم يَصِلْها؟

**الجواب**: الواجب هو صلة الرحم، واسم الرَّحم الذي تجب صلته وتحرم قطيعته يشمل كل من بينك وبينه نسب من جهة الأب؛ يعني الأب، الجد، الأعمام، الأبناء، الإخوان، ونحو ذلك، وكذلك من جهة الأم أيضا وذلك كالخالات لأن الخالة بمنزلة الأم، ومثل أقارب الأم خال الأم أو عم الأم ونحو ذلك، هٰذا من صلة الرحم.

وكذلك من الجهة الثانية جهة الرضاعة فإن الأب من الرضاع والأم من الرضاع توصل، وقد الأخت من الرضاع توصل، وهكذا.

لكن الصلة تختلف بحسب مرتبة الموصول، فليست كلها بمرتبة واحدة، فصلة الوالدين -من أي جهة كانت- الوالد القريب والوالدة القريبة هٰذا أعظم من له الحق جعل الله جل وعلا حقهما قرينا بحقه، ثم الجد والجدة وهما في مرتبة بعد الوالد والوالدة قريبين، ثم جهة الأب الأم، ثم بعد ذلك يأتي الأب من الرضاع أو الأم من الرضاع ونحو ذلك، كذلك الإخوان والأخوات القريبين، ثم الأبعد، ومَن كان بمنزلة الأم وهي الخالة.

المقصود أنهم مراتب فالمرء يؤدي الصلة الواجبة بما يناسب هٰذه المراتب بحسب الوسع والطاقة.

والصلة الواجبة لا يعني أنها الزيارة بالذات أو بالنفس ونحو ذلك، فيكفي في الصلة الواجبة ما عده الناس وَصْلا؛ لأنَّ الحق لهم، هٰذه حقوق مشتركة، فما عده الناس صلة للرحم صار صلة، فالأب مثلا بعض الآباء لو ما أتيته كل أسبوع أو كل أسبوعين عدّك واصلا أو إذا احتاجك في شيء هٰذه صلة كافية شرعا.

المقصود أنه لا يصبح هناك قطيعة؛ لأن الله جل وعلا حرم القطيعة بقوله جل جلاله: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [محمد]، وثبت في الحديث الصحيح أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام حث علىٰ صلة الأرحام وقال: «**صلوا الأرحام وأفشوا السلام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام**»، وأيضا صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**قال الله تعالىٰ: أنا الرَّحمٰن خلقتُ الرحم وشققت لها اسما من اسمه من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته**»، وأيضا ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أن رجلا سأله قال: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنّ لِي قَرَابَةً. أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي. وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيّ. قال: «**إن كُنْتَ كَمَا تقول فَكَأَنّمَا تُسِفّهُمُ الْمَلّ سفّا**»، وأيضا صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**لَيْسَ الْوَاصِلُ بالْمُكَافِىءِ وَلَكِنّ الْوَاصِلَ منْ إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**»؛ لأنه يعمل الصلة لله جل وعلا أما المكافئ عمل معك إحسان تعمل معه سأل عني أسأل عنه، وفزع لي أفزع له، وعمل معي معروف أعمل معه هٰذه مكافأة هٰذه تعملها مع القريب وتعملها مع البعيد، مع ذي الرحم ومع الآخرين، وأما الواصل من إذا قُطعت رحمه وصلها؛ يعني لو قطعت الرحم وصار بينهم وبينه كراهة أو ما يريدونه، هٰذا يفعل الصلة لله جل وعلا.

**المقصود من هٰذا؛ يعني تلخيص الجواب:**

**أولا**: أن الأقارب مراتب، أن ذوي الرحم مراتب، وكلّ يعطىٰ ما يستحق من الصلة - صلة الرحم-، وليسوا سواء في استحقاق هٰذه الصلة، ولا في مقدارها.

**الثاني**: أن هٰذه الصلة ضابطها العرف، فما عده الناس صلة صار صلة، وهٰذا راجع إلىٰ الحقوق التي يتبادلها الناس، فالمقصود أن يكون المرء واصلا بما عُهِد، بالهاتف يتصل يسأل، إذا احتيج إليه قام بالواجب، يتفقد أحوالهم المادية بين الحين والآخر، يزورهم بنفسه إذا أمكن، هٰذا يختلف باختلاف البلاد باختلاف الزمان والمكان إلىٰ آخره.

**والمسألة الثالثة والأخيرة**: أن الصلة ليست بالمكافأة؛ بل الصلة لله جل وعلا، يصل لله ولو كان فيها غضاضة عليه، ولكن تكون صلته صلة لطلب امتثال الأمر والواجب الشرعي.

اقرأ...

وَلَا نَرَىٰ الْخُرُوجَ عَلَىٰ أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا، وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَىٰ طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ ﷻ فَرِيضَةً، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاةِ.

وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ.

وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانَةِ، وَنُبْغِضُ أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ.

وَنَقُولُ: اللهُ أَعْلَمُ فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ.

---

ننبه إلىٰ أن هٰذا الدرس هو آخر الدّروس لما قبل الحج يعني السبت القادم ليس عندنا شيء إلىٰ ما بعد الحج إن شاء الله تعالىٰ.

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ: (وَلَا نَرَىٰ الْخُرُوجَ عَلَىٰ أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا) هٰذه الجملة يذكر فيها العقيدة التي أجمع عليها أئمة السلف الصالح ودوّنوها في عقائدهم وجعلوا من خالفها مُخالفا للسّنة وللجماعة بأنّا (لَا نَرَىٰ الْخُرُوجَ عَلَىٰ أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا)؛ يعني الخروج بالسيف بالبغي عليهم أو بتفكيك الاجتماع وتفريق الكلمة، أو باعتقاد -كما سيأتي- باعتقاد الخروج أو باعتقاد جوازه أو ذهاب مذهب من أجازه.

فقوله: (وَلَا نَرَىٰ الْخُرُوجَ)، (وَلَا نَرَىٰ) يعني أهل السنة والجماعة المتبعين للأثر ولهدي السلف ولما كان عليه الصحابة ولِما دلت عليه الأدلة، هؤلاء لا يَرَوْن الخروج علىٰ الأئمة وولاة الأمر حتىٰ ولو كان عندهم جور وطغيان وظلم، فإنه يجب أن يطاعوا؛ لأن طاعتهم فريضة، هاهنا مسائل:

**الأولى**: لفظ الأئمة وولاة الأمور مما جاء به الكتاب والسنة.

فولي الأمر العام يعني ولي الأمر للأمة للناس يطلق عليه ولي الأمر، ويطلق عليه إمام.

أما ولي الأمر فقد جاء في الكتاب قال الله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[النساء:٥٩]، وسُمُّوا ولاة الأمر؛ لأن ما ينفذ من الأمور الشرعية والأمور الاجتهادية في الناس إنما يكون عن أمرهم، فالأمر راجع إليهم.

فإذن ولي الأمر هو من بيده الأمر والنهي أو بالعُرف المعاصر القرار الذي ينفذ في الناس، كما قال جل وعلا: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾.

وهٰذا جاء في السنة في عدد من الأحاديث كما جاء في الآية بتسمية الحكام بولاة الأمور.

أما لفظ الأئمة وولي الأمر هو الإمام، ومن ولاه الله أمر الناس وابتلاه بذلك يسمىٰ إماما؛ لأنه يؤتم بأمره ونهيه وقراره وما يختاره اجتهادا للأمة.

ولفظ الأمام وولي الأمر جاء في السنة في قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم**» الحديث، وهٰذا ظاهر في تسمية ولي الأمر إمامًا.

**المسألة الثانية**: الأصل أنّ ولي الأمر يجمع ما بين:

حسن التدبير في أمور الناس العامة في أمور دنياهم، وما يُصلحهم وما يحفظ بيضتهم ويدفع عنهم الأعداء.

وأيضا يجمع إلىٰ ذلك العلم بأحكام الشريعة بما يناسب، ولا يشترط فيه أن يكون الأعلم كما هو مبسوط في مكانه في كتب الفقه.

واجتمعت الصفتان في الخلفاء الراشدين الأربعة وفي معاوية ﷺ وفي عدد من الأئمة وولاة الأمور في التاريخ إلىٰ الآن؛ ولكن ربما لم يجتمع في وليّ الأمر الصفتان فحينئذ يكون ما يشكل علىٰ الناس في أمر دينهم ومرجعهم فيه إلىٰ أهل العلم بالدين، وما يكون من قبيل الأمر العام للناس فإنه يكون لولي الأمر العام، وولي الأمر العام يستشير ويأخذ بقول أهل العلم فيما يرىٰ أن يستشيرهم فيه.

وهٰذا المأخذ هو وجه قول من قال: إن ولاة الأمر هم الأمراء والعلماء؛ يعني كلاً فيما يخصه:

**الأمراء** في الأمر العام الأمر الدنيوي وما يصلح الناس وما به تكون حياتهم.

**والعلماء** فيما يكون من أمر الدين فيما يأتون وما يذرون.

وهٰذا ليس هو الأصل، وإنما الأصل أن ولي الأمر هو من يعلم، وهو الذي جاءت فيه الآيات ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[النساء:٥٩]، وكذلك ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣]، لأن الأصل اجتماع الصفتين في ولي الأمر.

فإذا لم تجتمع الصفتان أعطِي ولي الأمر الذي بيده الأمر والنهي حق الإمام، وفي المسائل الدينية يستفتىٰ ويسأل أهل العلم.

ولهٰذا اجتنب كثير من العلماء؛ بل أكثر العلماء والأئمة أن يطلقوا علىٰ العالم ولي الأمر؛ لأجل أن يكون هناك افتئات وخروج ولأجل أن لا يكون هناك مأخذ لمن يريد الخروج علىٰ الإمام أو ولي الأمر، ومنهم من استعمل هٰذا وهٰذا؛ يعني أن الأمور الدينية يُرجع فيها إلىٰ من يلي الأمر الديني، وهم العلماء في أمور الفتوىٰ وفيما يأتي المرء ويذر فيما بينه وبين ربه جل وعلا، وفي الأمور العامة فتكون لولاة الأمور.

**المسألة الثالثة**: الخروج علىٰ ولاة الأمور وعلىٰ من انعقدت له بيعة هو مذهب طوائف من المنتسبين إلىٰ القبلة، منهم الخوارج والمعتزلة، وبعض شواذ قليلين من التابعين وتبع التابعين، وبعض الفقهاء المتأخرين ممن تأثروا بمذهب المعتزلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والذي عليه الصحابة جميعًا وعامة التابعين وهكذا أئمة الإسلام من أنّ الخروج علىٰ ولي الأمر محرّم وكبيرة من الكبائر، من خرج علىٰ ولي الأمر فليس من الله في شيء.

والأدلة علىٰ هٰذا الأصل من الكتاب والسنة متعدّدة، احتجّ بها الأئمة ورأوا أنّ من خالفها ممن تأول من السلف أنهم خالفوا فيه الدليل الواضح البيّن المتواتر تواترا معنويًا، كما سيأتي ذكر بعض الأدلة إن شاء الله.

فإذن أهل السنة والجماعة لما رَأَوْا ما أحدثته اجتهادات بعض الناس ممن اتُّبِعُوا فخرجوا علىٰ ولاة الأمر من بيني أمية، أو خرجوا علىٰ ولي الأمر علىٰ بعض ولاة الأمر من بني العباس، أو قبل ذلك ممن خرجوا علىٰ علي ﷺ؛ بل قبل ذلك علىٰ عثمان وإن لم يكونوا من المنتسبين إلىٰ السنة في الجملة، ذكروا هٰذا في عقائدهم ودوّنوه، وجعلوا أنّ الخروج بدعة لمخالفته للأدلة، وتلخيص ذلك أنّ اجتهاد من اجتهد

في مسألة الخروج علىٰ ولي الأمر المسلم كان اجتهادا في مقابلة الأدلة الكثيرة المتواترة تواترا معنويا من أنّ ولي الأمر والأمير تجب طاعته وتحرم مخالفته إلا إذا أمر بمعصية فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله.

ومن أهل العلم من قال توسُّعا في اللفظ كما قاله الحافظ ابن حجر الخروج علىٰ الولاة كان مذهبا لبعض السلف قديما، ثم لما رئي أنه ما أتىٰ للأمة إلا بالشر والفساد فأجمع أئمة الإسلام علىٰ تحريمه وعلىٰ الإنكار علىٰ من فعله.

وهٰذا فيه توسّع بأنه لا يقال بمثل هٰذا الأمر أنه مذهب لبعض السلف، وإنما يقال: إن بعض السلف اجتهدوا في هٰذه المسائل من التابعين كما أنه يوجد من التابعين من ذهب إلىٰ القدر والقول المنافي للسّنة في القدر، ومن ذهب إلىٰ الإرجاء، ومن ذهب إلىٰ إثبات أشياء لم تثبت في النصوص، فكذلك في مسألة طاعة ولاة الأمور فربما وُجد منهم الشيء الذي الدليل بخلافه، والعبرة بما دلت عليه الأدلة لا باجتهاد من اجتهد وأخطأ في ذلك.

**المسألة الرّابعة**: هٰذا الأصل الذي قرره الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة:

أمّا القرآن:

فمنه قول الله جل وعلا: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾[النساء:٨٠] ووجه الدلالة منه أنّ النّبي عليه الصلاة والسلام قال: «**من يُطع الأمير فقد أطاعني ومن يعصِ الأمير فقد عصاني**».

وقال الله جل وعلا أيضا في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩] قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ وقاله غيره أيضا: لفظ ﴿أَطِيعُواْ﴾ جاء في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ؛ يعني الأمر بالفعل ﴿أَطِيعُواْ﴾ ثم لما ذكر ولاة الأمور لم يكرر الفعل ﴿أَطِيعُواْ﴾، فقال: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ قالوا: وفي هٰذا مناسبة أن طاعة ولي الأمر المسلم لا تكون إلا في غير مخالفة طاعة الله وطاعة رسوله، أما إذا كانت طاعته فيها مخالفة لطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ؛ يعني أمر بمعصية فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فلم يُكرّر الفعل لأن طاعة الله تجب استقلالا؛ ولأن طاعة رسوله ﷺ تجب استقلالا، وأما طاعة ولي الأمر فإنها تجب تبعًا لا استقلالا.

لهٰذا الرجل الذي أمَّره النبي علىٰ سرية وقال لهم: «أطيعوه» فأجّج نارا وأمر الناس أن يقتحموها، فأبوا وقالوا: إنما فررنا من النار. يعني بالإيمان والإسلام، فأخبروا رسول الله ﷺ بذلك، فقال: «**أَمَا لو أنهم أطاعوه لم يخرجوا منها**»؛ لأنهم أطاعوه في معصية الله جل وعلا، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ومن الأدلة قول الله جل وعلا: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾[ص:٢٦] الآية، ووجه الدّلالة من الآية أنّ الله جل وعلا أمر داود، وفي أمره أمر للأنبياء وأمر لمن ولي الأمر أن يحكم بين الناس بالحق وأن لا يتّبع الهوىٰ.

وهٰذا مقصد والوسائل لها أحكام المقاصد، فطاعة ولي الأمر فيما فيه تحقيق الحق وتكثير الخير وتقليل الشر وإبعاد الهوىٰ، هٰذه لها حكم المقصد فتكون واجبة وجوب المقاصد؛ لأنها وسيلة والوسائل لها أحكام المقاصد.

ومن السنة:

قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**من أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصىٰ الأمير فقد عصاني**».

وأيضا ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**علىٰ المرء السمع والطاعة فيما أحب وفيما كره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**».

وصح عنه عليه الصلاة والسلام أيضا أنه قال: «**إنما الطاعة في المعروف**» يعني طاعة ولي الأمر في المعروف.

وأيضا ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**من رأىٰ من أميره شيئا يكرهه فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة**».

وأيضا صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**».

وأيضا في الباب الحديث الذي ذكرت لكم أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم وتصلون عليهم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم**»، ثم سئل عليه الصلاة والسلام فقيل له: أفلا نقاتلهم؟ يعني هؤلاء الذين نبغضهم ويبغضوننا ونلعنهم ويلعنوننا، قال: «**لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئا من معصية فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعنّ يدا من طاعة**».

وأيضا صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**من رأىٰ من أميره شيئا يكرهه فليصبر**».

والأدلة علىٰ هٰذا الأصل في السنة كثيرة جدا وأفردت بالتأليف، وحري بطالب العلم أن يتتبعها لهٰذا الموضوع المهم الذي تكثر فيه الأهواء، وأصل الاتباع أن يتخلص المرء من هواه، فقد كثر التأويل من القديم من عهد الصحابة، التأويل والتبرير في هٰذه المسائل، والواجب علىٰ المرء أن يموت علىٰ الطريقة الأولىٰ بغير تغيير ولا تبديل.

وهٰذه المسائل من المسائل التي كثر فيها التغيير والتبديل إما عملا وإما اعتقادا -ولا حول ولا قوة إلا بالله- والسنة عزيزة واتباع طريقة السلف مطلوبة، والواجب علىٰ المرء أن يخلّص نفسه من هواها، وأن يمتثل ما دلت عليه السنة دون مخالفة.

**المسألة الخامسة**: الخروج علىٰ ولي الأمر يكون بشيئين:

الأول: عدم البيعة واعتقاد وجوب الخروج عليه أو تسويغ الخروج عليه.

وهٰذا هو الذي كان السلف يطعنون فيمن ذهب إليه بقولهم: كان يرىٰ السيف؛ يعني اعتقادا ولم يبايع.

الصورة الثانية: وهي المقصودة بالأصالة أنهم هم الذين يخرجون علىٰ الإمام بسيوفهم، يخرج علىٰ الإمام ويجتمعون في مكان ويريدون خلع الإمام وتبديله، وإحداث فتنة بها يقتل ولي الأمر أو يُزال أو نحو ذلك؛ يعني الخروج بالعمل عليه سعيا في قتله أو إزالته.

فهاتان الصورتان للخروج، والخروج علىٰ هٰذا يكون بالاعتقاد ويكون بالعمل.

أما الصورة الثالثة التي أدخلها بعض أهل العلم فيها وهي الخروج بالقول؛ لأنّ ولي الأمر يكون الخروج عليه بالقول، فهٰذه لا تنضبط؛ لأن الخروج بالقول قد يكون خروجا وقد لا يكون خروجا، يعني

أنه قد يقول كلاما يؤدي إلىٰ الخروج فيكون سعيا في الخروج، وقد يكون كلاما هم من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يوصل إلىٰ الخروج ولا يحدث فتنة في الناس، فهٰذا لا يدخل فيه.

ولهٰذا من أدخل من أهل العلم الخروج بالقول في صور الخروج، فإن الخروج بالقول فيه تفصيل، لا يطلق القول بأنه ليس بخروج ولا أنه خروج.

ومعاوية ﷺ قتل بعض الصحابة لما خرجوا علىٰ أميرهم بالقول[1]...

أن يقول للناس شيئا أو أن الناس كذبوك فاجتمع حجر بن علي أو علي بن حجر مع بعض أصحابه فحطبوه حطبوا الأمير وقالوا: لا نسمع ما تقول فأرسل إلىٰ معاوية فأمر معاوية بأن يؤخذوا وأن يسيروا إليه، وكانوا سبعة عشرة رجلا منهم الصحابي هٰذا فقبل أن يصلوا إلىٰ دمشق أمر بهم فقتلوا، هٰذا استدل به علىٰ أن فعل معاوية ﷺ مصير منه إلىٰ أن الخروج يكون بالقول، وتنزل علىٰ هٰذا الأحاديث، وهٰذا الاستدلال محل نظر وليس بجيد؛ بل معاوية ﷺ فعل ذلك تعزيرا وله اجتهاده في هٰذا الأمر.

فإذن نقول الذي عليه أهل العلم في تقرير العقائد أن الخروج يكون في صورتين:

**الصورة الأولىٰ**: عدم البيعة واعتقاد جواز الخروج أو تسويغه أو وجوبه؛ يعني علىٰ ولي الأمر المسلم.

**والصورة الثانية**: السعي باليد بالسيف بالسلاح علىٰ ولي الأمر.

أما بالقول هٰذه فيها تفصيل قد تكون وقد لا تكون.

**المسألة السادسة**: الخروج علىٰ الولاة والأئمة له أسباب:

◆ لم يخرج أحد إلا وله في خروجه تأويل، فالخروج علىٰ عثمان ﷺ الذي أدىٰ إلىٰ مقتله ﷺ وأرضاه كان بسبب التصرفات المالية لعثمان ﷺ وتوليته قرابتَه، فتجمّع الخوارج ممن يدينون بالخروج منكرين هٰذا الأمر متأولين، فخرجوا عليه حتىٰ قتلوه ﷺ وأرضاه، في قصة مبكية حتىٰ إنه ﷺ لم يدفن إلا ليلا وتبعه ثلاثة أو أربعة صُلِّي عليه سرا، ثم أُخذ ليلا علىٰ النعش بسرعة ولم يدفن في البقيع وإنما في حائط في بستان قريب من البقيع، حتىٰ لا يعرف أنه دفن، حتىٰ جاء في الرّواية أنهم كانوا بسرعة مسيرهم به قالوا: نسمع رأسه يضرب في نعشه من شدة السير خشية أن تصل أيدي الخوارج إليه، وهٰذا بسبب التأويل، التأويل في المال يعني عندهم تأولوا الخروج بالرغبة في الصلاح في الأمور المالية، وكذلك في مسائل التولية ونحو ذلك.

وأجمع الصحابة رضوان الله عليهم علىٰ تصويب عثمان وعلىٰ معاداة هؤلاء، رضي الله عن الصحابة أجمعين وخذل من خالف سبيلهم إلىٰ يوم الدين.

◆ والسبب الثاني رؤية المرء ما يكره في نفسه أو في بلده أو في مجتمعه بعامة، ما يكرهه دينا أو ما يكرهه دنيا، وهٰذا السّبب في رؤية المرء ما يكرهه قد يكون معه عدم صبر فيؤديه إلىٰ الانتصار متأوّلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيكون آخذا بالخروج أو خارجا فعلا.

وهٰذه المسألة يعني مسألة رؤية ما يكره المرء في الدين أو في الدنيا أعظمها ما حصل في عهد الإمام

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الرابع والثلاثين.

أحمد ﷺ حيث رأىٰ ورأىٰ أئمة الحديث ما يكرهون بأعظم مسألة وهي مسألة خلق القرآن؛ حيث دُعي الناس إلىٰ القول بخلق القرآن الذي هو الكفر، وأُلزموا بذلك حتىٰ وقع بعض الأئمة الكبار في الإجابة خشية من بعض مسائل الدنيا، والإمام أحمد لما قيل له بالخروج نفض يديه قال: إياكم والدماء. وأخذ بقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**من رأىٰ من أميره شيئا يكرهه فليصبر**»، (شيئا يكرهه) لأنها جاءت بسياق الشرط وهٰذه تعمّ الكراهة الدينية والكراهة الدنيوية، فأمر بالصبر، والصبر معناه لزوم الطاعة وعدم الخروج.

وكذلك ما دل عليه الحديث الآخر: «**ألا من رأىٰ أميره يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة**»،

علىٰ هٰذا كان هدي الصحابة، فابن مسعود ﷺ صلىٰ خلف أمير الكوفة من قبل عثمان ﷺ، وصلىٰ وهو يشرب الخمر وصلوا معه حتىٰ صلىٰ بهم الفجر أربعا، ثم لما سلم قال: أزيدكم؟ قال: هل أنا نقصت من الصلاة؟ قالوا: لازلنا معك ما دمت في زيادة.

والنصوص الدالة علىٰ وجوب الطاعة بالمعروف وتحريم نكث البيعة ونحو ذلك تدلّ علىٰ عدم اعتبار هٰذا السبب سببا للخروج، وهو أن يرىٰ ما يكرهه دينا أو ما يكرهه دنيا، إلا أن يرىٰ كفرا بواحا عندنا فيه من الله برهانا، كما جاء في الحديث قال: أفلا ننابذهم؟ أو قال: أفلا نخرج عليهم؟ قال: «**لا إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان**».

والعلماء في هٰذا الحديث والعلماء في هٰذا الحديث بهم قولان:

القول الأول: أنه عند رؤية الكفر البواح فإنه يجب الخروج، وإذا قالوا: يجب؛ فمعناه أن أخذ العدة والوسيلة فإنها تجب وجوب وسائل للمقاصد.

وهٰذا قول طائفة من أهل العلم متفرقين في شروحهم للحديث.

القول الثاني: أن هٰذا يجوز ولا يجب؛ بل الصبر أولىٰ إلا إذا كان تغيير هٰذا الولي الذي كفر ليس فيه مفسدة من سفك الدماء.

**المسألة السابعة**: الأئمة وولاة الأمور طاعتُهم من طاعة الله جل وعلا ومن طاعة رسوله ﷺ، فطاعة المؤمن لهم في المعروف عبادة وقُربة؛ لأن النبي ﷺ جعل طاعتهم من طاعته حفظًا لبيضة هٰذه الأمة وجمعا للكلمة وقوَّةً لها علىٰ أعدائها.

والعلماء ذكروا أن تصرفات ولاة الأمور من حيث التنظير تكون علىٰ أحد أنحاء:

الأول: أن يأمروا بالطاعة، أن يأمروا بشيء فيه طاعة، يأمروا الناس بإقامة الصلاة، يأمروا الناس بإيتاء الزكاة، يأمروا الناس بأداء الحقِّ الشرعي بعامة، ينهون الناس عن المحرمات، يقيمون الحدود، يأمرون بالمعروف ينهون عن المنكر ونحو ذلك، مما هو معلومٌ الأمر به أمر إيجاب أو أمر استحباب أو معلوم النهي عنه نهي تحريم أو كراهة في الشَّريعة.

والحال الثانية: أن يأمروا بأمر اجتهادي لهم فيه اجتهاد، وهٰذا الاجتهاد إما أن يكون عن خلاف شرعي واختاروا أحد الأقوال أو أحد الرأيين أو أحد الوجهتين، أو اجتهادهم كان مبنيًّا في مسائل حادثة لا يعلم

الناس لها حكم، أو لم يُرَ أن تبحث مثل المسائل الدنيوية والمسائل العامة التي تجري في الناس.

**الحال الثالثة**: أن يأمروا بمعصية الله جلَّ وعلا.

أما **الأول**: فإنَّ طاعتهم في ذلك واجبة بالإجماع وطاعتهم في ذلك من طاعة الله جل وعلا وطاعة رسوله ﷺ.

وأمَّا **الثانية**: فهي المسائل الاجتهادية فإن ولي الأمر إذا ذهب إلىٰ أحد الأقوال في المسألة واجتهد، أو اجتهد في المسألة اجتهادًا له لا يخالف مجمعا عليه، فإن طاعته في ذلك متعيِّنة أيضا إذا كان متعلقا بالأمة بعامة، فالمسائل الاجتهادية داخلة في عموم الأحاديث التي فيها الطاعة في المعروف؛ لأن طاعة الأمير في المعروف التي جاء فيها الدليل، إنما الطاعة في المعروف تشمل الصورتين الصورة الأولىٰ والصورة الثانية لأن الاجتهاد معتبر شرعا.

**والثالثة**: هي أن يأمر بمعصية الله جل وعلا، الأمر بالمعصية قد يكون عاما وقد يكون خاصا، وعلىٰ كلٍّ فلا تجوز طاعته فيما فيه معصية لله جل وعلا؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق لقوله عليه الصلاة والسلام: «**علىٰ المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبّ وكره إلا أن يؤمر بمعصية**».

فإذن الأدلة التي فيها الأمر بطاعة ولي الأمر، أو التي فيها بين الطاعة إنما الطاعة بالمعروف، تُفهم معا ولا يضرب بعضها ببعض؛ يعني أنَّ ولي الأمر يطاع إلا في المعصية، يطاع ما فيه طاعة يطاع في المسائل الاجتهادية ولا يطاع بما فيه معصية لله جل وعلا.

**المسألة الأخيرة الثامنة**: قوله في آخر الكلام: (وَإِنْ جَارُوا) هٰذا فيه تبيين لأصل المسألة أن الطاعة لا تتقيد بأنها لولي الأمر العدل؛ يعني للعادل من الأئمة أو للتقي من الأئمة أو لمن يسير في كل الشرع من ولاة الأمر؛ بل وإن كان منه جور فإنه يطاع.

والجور يكون في صورتين:

**الصورة الأولىٰ**: جور في الدين.

**والثانية**: جور في الدنيا.

والجور في الدين ضابطه أن لا يصل فيه إلىٰ الكفر.

والجور في الدنيا يطاع فيه حتىٰ ولو أخذ مالك وضرب ظهرك، كما صح عنه عليه الصلاة والسلام قال: «**أطع وإن أخذ مالك وضرب ظهرك**».

ومن أهل العلم من فرق بين ولاة العدل وولاة الجور في الطاعة، فقال: ولي الأمر ذو العدل يطاع مطلقا إلا في المعصية، وأما ولي الأمر بالجور فإنه لا يطاع إلا فيما يعلم أنه طاعة، أما إذا لم نعلم أنه طاعة قال: فلا يطاع.

وهٰذا الكلام وإن كان منسوبا إلىٰ بعض كبار أهل العلم المتقدمين؛ لكنه في مقابلة النصوص، ومخالف لإطلاق الأئمة في هٰذه المسائل.

والتفريق بين إمام العدل وإمام الجور له أصله من كلام الأئمة؛ لكن في غير هٰذه الصورة، فهم فرقوا ما بين إمام العدل وإمام الجور في صورة الأمر بالقتل أو بالاعتداء، فإنه إذا كان يعلم أن جوره في قتل من لا

يستحق القتل فإنه إذا أمر أحدا أن يقتل فلانا، قالوا: لا تتعين عليه الطاعة؛ لأنه قد يكون قتله ظلما إذا لم يستبن له أنه مستحقٌّ للقتل، وهٰذا يكون في أزمنة الفتن ونحو ذلك والعداءات يقول: اقتل فلانا، ولا يسأل.

فهنا فرق طائفة من الأئمة المتقدمين ما بين إمام العدل وإمام الجور، قالوا: إمام العدل لا يسأل، أما إمام العدل فيتحرىٰ حتىٰ لا يكون إذا كان يعرف أو يسفك الدماء فإنه لا يقتل أحدا إلا إذا استبان له أنه مستحق للقتل.

والذي يظهر في هٰذه المسألة ويتعيّن الأخذ به أن يُعمل بمطلقات الأدلة؛ لأنّ المسائل إذا اشتبهت وجب الرجوع -خاصة في مسائل العقيدة- وجب الرجوع إلىٰ ظاهر الدليل، ولا يسوغ لأحد مخالفة ظاهر الدليل فيما أجمع العلماء علىٰ جعله عقيدة، وهي مسألة الخروج علىٰ الولاة وطاعة ولاة الأمر، فحينئذ دلّت الأدلة علىٰ ما ذكرنا من أنّ ولي الأمر يُطاع في الطاعة ويطاع في المسائل الاجتهادية، ولا يطاع في صورة -صورة واحدة-؛ وهي أن يأمر بمعصية الله جل وعلا فلا سَمْع ولا طاعة.

فيكون إذن الجور ليس سببا في الخروج -سواء كان جورا في الدين أو كان جورا في الدنيا-؛ بل أكثر ما يكون خروج بسبب الجور في الدنيا، كما ذكر ذلك ابن تيمية في منهاج أهل السنة قال: أكثر تأويل من خرج بسبب جور بعض الولاة في أمور الدنيا.

فإذن قوله هنا: (وَلَا نَرَىٰ الْخُرُوجَ عَلَىٰ أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا) يعني به أنّ عقيدة السلف الصالح أن يُسمع ويطاع ولي الأمر، ويحافظ علىٰ البيعة، ولا يخرج المرء ولا يلقىٰ الله وليس له حجة بنزع اليد من الطاعة، ومهما كان الذي رآه إذا لم يَرَ الكفر البواح الذي فيه من الله برهان.

قال الطّحاوي بعدها رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ) يريد أن هدي السّلف الصالح وأئمة الإسلام أنهم لا يدعون علىٰ ولي الأمر والأئمة؛ لأنّ الدعاء عليهم سيما أهل الخروج وسِيمَا الذين يرون السيف إما اعتقادا أو عملا، هدي السلف الصالح أنهم يدعون لهم ولا يدعون عليهم؛ لأن بالدعاء لهم بالصلاح والمعافاة كما سيأتي، وفي الدعاء عليهم توطين القلوب علىٰ بغضهم وهو سبب من أسباب اعتقاد الخروج عليهم والوسائل لها أحكام المقاصد، كما أن المقصد وهو الخروج واعتقاد الخروج ممنوع عند الأئمة في عقائدهم، فكذلك وسيلته بالقلوب بالدعاء عليهم لأنه يحدث البغض لهم والبغض يؤدي إلىٰ الخروج عليهم.

وهٰذه تضمّها إلىٰ قوله في آخر الجملة: (وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاةِ) يعني أن الهدي -هدي السلف وأئمة الإسلام في عقيدتهم- أنه كما أنّا لا ندعو عليهم فإننا لا نسكت؛ بل ندعو لهم بالصلاح والمعافاة، والدعاء لولي الأمر بالصلاح دعاء للأمة في الواقع؛ لأنَّ صلاحه صلاح للناس، (وَالْمُعَافَاةِ) يعني أن يعافيه الله جل وعلا مما ابتلاه به أو مما أجراه في رعيته من الأمور المخالفة للدين.

قد كان بعض الصحابة رضوان الله عليهم أظنُّه أبا ذر كان يتكلَّم في معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بعض تصرُّفاته السلوكية أو المالية أو التولية، فأتىٰ به وقال له: يا فلان أليس لك ذنوب؟ قال: بلىٰ. قال: فما ترجو في ذنوبك؟ قال: أرجو العفو والمعافاة من الله جل وعلا. قال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أفلا رجوتَ لي ما رجوتَ

لنفسك. قال: فسكت.

وهٰذا يدل علىٰ أن الدعاء بالصلاح والمعافاة والتوفيق من ولاة الأمر أنه هو الهدي الماضي وهو الذي يوافق الأصول الشرعية.

قد قال جمع من الأئمة منهم الفضيل بن عياض ومنهم الإمام أحمد وجماعة: لو كان لنا دعوة مستجابة لجعلتها للسُّلطان. وقد نصّ البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «شرح أصول السنة» علىٰ أن: من سيما أهل البدع الدعاء علىٰ ولاة الأمور ومن سيما أهل السنة الدعاء لولاة الأمور.

فهٰذه المسألة التي ذكرها الطحاوي هنا مقررة في كتب الأئمة تقريرًا مستفيضًا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَىٰ طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ ﷻ فَرِيضَةً) يُريد أنّ أهل السنة لا ينزعون اليد من طاعة وليِّ الأمر، وذكر اليد لأنها وسيلة البيعة؛ لأنَّ البيعة تكون بصفقة اليد، وهٰذه هي بيعة أهل الحل والعقد وهي أن يبايع يدا بيد، وبيعة الناس تكون بمبايعة أهل الحل والعقد أو بمبايعة بعض المؤمنين لولي الأمر، فلا ننزع يدا من الطاعة؛ يعني بعد البيعة باليد؛ لأن هٰذا سيما الخوارج ونرىٰ طاعتهم من طاعة ولي الأمر بغير المعصية من طاعة الله ﷻ فريضة واجب ما لم يأمروا بمعصية، وهٰذه الجملة مقررة فيما سلف وواضحة في دلالتها.

نقف عند قوله: (وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ) جعلنا الله وإياكم من المتبعين للسنة والجماعة المهيَّئين لذلك إنه سبحانه جواد كريم.

**ونلتقي بكم إن شاء الله تعالىٰ بخير حال علىٰ سنة ورضوان بعد الحج إن شاء الله تعالىٰ.**

وفقكم الله لما فيه رضاه.

[الأسئلة]

سؤال (٣٩٨): ...

الجواب: لا، ما يخرج عليه يُنكر، أقول: ينكر الشرك، ينكر، قد يكون يوجد عنده منكرات كبيرة ولا يستطيع، وجود الشرك في بلده، وهو باقي ما يعتقد الشرك وما يدعو إليه ونحو ذلك، هٰذا لا يعني أنه يخرج عليه.

سؤال (٣٩٩): ...

الجواب: الطاعة في المعروف أن تطيع ما تعلم من الشرع أنه طاعة.

سؤال (٤٠٠): ...

الجواب: الشيء الذي فيه نفع عام يأتيه المسلم رعايةً للنفع العام، سواء كان الآمر به كافر، مثل تنظيمات المرور هٰذه فيها مصلحة للجميع، وأنت مأمور بأنك تحمي دمك وتحمي دم الناس وعدم الاعتداء علىٰ أموالهم، هٰذه طاعة من المعروف.

سؤال (٤٠١): ...

الجواب: قصدك يعني إذا تأكد، والله شوف الشيخ محمد بن عثيمين يقول: لا حتىٰ وما تلقىٰ أحد. لأنه قد يجيء واحد، والعالم يخشىٰ أنه يقول: لا بأس يأثم من جهة أنه يقطع الإشارة ويجيء واحد

[يذبحه] ويكون هو الذي أفتاه، يعني يجيء واحد يصدمه ويموت، يصير من الذي جوز له يقطع؟ يكون العالم هو الذي جوز له، صار سفك دمه بسبب تلك الفتوىٰ، لذلك تجد أنهم يحتاطون ولا يجيزونها .

سؤال (٤٠٢): ...

الجواب: الكفر البواح الذي عندنا فيه من الله برهان، الذي عليه دليل، يعني واضح بيّن، وبعض أهل العلم قال: أنه ترك الصلاة، أنه ما يأمر بالصلاة، وينهىٰ عنها، مثل ما جاء في الحديث قال: «**ما أقاموا فيكم الصلاة**» ففهموا حديث الكفر البواح بإقامة الصلاة، وآخرون قالوا: لا، ما يشترط إقام الصلاة، الكفر البواح هو إذا حصل منه كفر عندنا من الله فيه برهان وليس له شبهة فيه ولا تأويل.

نخرج منه صورة المأمون وأمثاله في عهد الإمام أحمد؛ لأنه كانت عندهم بنوع تأويل، أطاعوا بعض العلماء في هٰذه المسألة.

واضح في الحديث قال: «**عندكم فيه من الله برهان**» يعني شيء مجمع عليه واضح.

سؤال (٤٠٣): ...

الجواب: قولهم لعمر لو رأينا ذلك لقومناك بسيوفنا، كل هٰذه ما تصح. هي في كتب التاريخ ما لها أسانيد.

سؤال (٤٠٤): ...

الجواب: لا، هو ما دخل في البيعة أصلا، ثبتت لعلي من أهل المدينة، أهل الشام قالوا: ما نبايعك حتىٰ تسلم لنا قتلة عثمان؛ لأن قتلة عثمان صاروا جيش علي، لأن الخوارج الذين قتلوا عثمان أجبروا علي أنه يخرج وخرج، علي ﷺ اجتهد وصارت البيعة له وأهل الحل والعقد في المدينة، فمعاوية ﷺ قال: لا، ما نبايع حتىٰ تسلم لنا قتلة عثمان، يرىٰ معاوية أنه هو ولي الدّم: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الإسراء:٣٣]، يقول: أنا وليه، أنا ولي دمه أنا أقرب الناس إليه سلم لي القتلة عشان أقتلهم، فعلي ﷺ خشي إن سلمهم تصير فتنة أعظم، فأراد أن يجتمع هو وإياه وسار إليه علىٰ أساس يجتمع معه ويبحث معه إلىٰ آخره، فاجتمع معاوية نقلوا له طبعا الخوارج أن هٰذا علي سار بجيشه فذاك سار يخشىٰ أنه يباغته، ثم لما اجتمعوا هٰذا في جهة وهٰذا في جهة، وقصد معاوية خير أنه يبحث مع علي وقصد علي ﷺ خير أنه يبحث مع معاوية، حرّك الخوارج الحرب بين الجهتين ووقعت وقعة صفّين، هم الذين حركوها من تحت، لا الصحابة يريدون هم، وقعت بغير اختيارهم.

سؤال (٤٠٥): ...

الجواب: الله جل وعلا قال: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾[البقرة:١٩٦]، فأثبت له عمرة، وأثبت له حجّا، سار بتمتع من العمرة إلىٰ الحج معناه أن هناك أداء للعمرة، وهناك أداء للحج، العمرة لها طواف وسعي، والحج له طواف وسعي، وأما حديث جابر فيُحمل علىٰ القارن، لم يطف رسول الله ولا أصحابه بين الصفا والمروىٰ إلا طوافا واحدا طوافهم الأول، هٰذا لأن النبي ﷺ كان قارنا وأكثر الصحابة كانوا قارنين.

ابن تيمية هو الذي رأىٰ أنه يُكتفىٰ بسعي واحد؛ لكن جمهور العلماء وأئمة الدعوة والمتقدمون قالوا: الله جل وعلا سماها عمرة وذاك سماه حج ،كيف تكون واحد، وهو ليس مثل القارن ما حل، وهٰذا حل،

كيف هٰذا حل ودخل في نسك جديد، كيف تجعل نسك ماضي انتهىٰ منه مقرون بالنسك الجديد؟!

سبحانك اللّٰهمَّ وبحمدك أشهد أن لا إلٰه إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.



# الدّرس الثاني والأربعون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا.

أمّا بعد..

فأسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم من أهل القَبول لديه، وممن غُفر لهم الذنب والتقصير.

اللّٰهمَّ من أحسن منا فتقبل منه إحسانه، ومن أساء منا فاعفُ عنه وتجاوز عن إساءته.

ثم إن الدروس الباقية في هٰذا الفصل قليلة، وبودي أن لو تمكنا من ختم هٰذا المتن المختصر الطحاوية، ولهٰذا فإنه قد يكون من المناسب أن نجعل الأسبوع القادم الدُّروس فيه يومية؛ يعني كل يوم بعد المغرب من السبت -فقط الأسبوع القادم - حتىٰ نأخذ خمسة أو ستة دروس في الأسبوع يمكن معه إن شاء الله تعالىٰ أن نختم الكتاب بإذنه تعالىٰ.

وتكون إذن بعد المغرب من يوم السبت القادم إن شاء الله السبت الأحد الاثنين الثلاثاء الأربعاء والخميس إن احتجنا إليه.

أسأل الله للجميع الإعانة والتوفيق، وتُنبِّهون الإخوان الذين ما حضروا؛ لأن الدرس سيصير بعد المغرب يوم السبت، ونسير علىٰ ذلك الأسبوع القادم، ثم نرىٰ إن كان من المناسب أن نكمل علىٰ هٰذه الطريقة حتىٰ نختم؛ لأن هناك قرب اختبارات وأشياء قد ما نتمكن من الختم إلا بهٰذه الطريقة.

ثم إنه بين يدي هٰذا الدَّرس نذكر أشياء تهم طالب العلم في سيره لطلب العلم والتلقي عن الأشياخ والحرص علىٰ ما ينفعه، وهي تذكرة وربما يكون بعضها قد سبق لكم سماعه منّي أو من غيري.

**الأمر الأول**: الذي ينبغي لك أيها الطالب أن تعتني به أتم عناية أن تذكّر نفسك دائما بأنّ العلم عبادة تتقرَّب بها إلىٰ الله جل وعلا، وأنّ العلماء ذكروا أن أفضل التطوّع أفضل الأعمال بعد الفرائض طلب العلم، وكثير منا طلبه للعلم يكون واجبا؛ لأنه لم يأخذ القدر الكافي فيما ينفعه في دينه؛ في التوحيد، في إصلاح العقيدة، وفي إصلاح العمل بمعرفة الأحكام الشرعية، وهٰذا يحثّك ويجعلك لا تمل ولا تَكِل، وهما الدعّان اللذان يصيبان طالب العلم الملل والتعب والكلل من الحفظ ومن المدارسة ومن الكتابة ومن اقتناء الكتب ومن المطالعة إلىٰ آخر ذلك.

فإذا علمت عظم المقصود وعظم الفضل للعلم وفي طلبه، وأنه أفضل الأعمال، حتىٰ إنّ أهل العلم فضَّلوه علىٰ الجهاد -جهاد النفل جهاد التطوع يعني جهاد الأعداء-؛ لأنَّ طلب العلم متعدٍ، لأن طلب العلم متعدي النفع، والقاعدة الشرعية أن الأعمال المتعدِّية في النفع هي أفضل من الأعمال القاصرة، وكلما كان التعدي تعدي النفع أكثر، كلما كان أفضل مما هو أقل منه في تعدِّي النفع، ولهٰذا كان مذهب كثير من أهل العلم أنَّ طلب العلم أفضل من الجهاد التطوع؛ يعني لأن نفعه أكثر تعديا في الغالب.

**المسألة الثانية**: هي طريقة طلب العلم، وألحظ الإخوة الذين أمامي الآن أن أكثرهم ربما يكون قد سار بتوّه في طريق طلب العلم أو توسّط.



سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

طريقة طلب العلم مهمة، طلب العلم منكم من يحرص علىٰ الحضور عند المشايخ وطلاّب العلم والمعلّمين، فيحضر ويسمع ويكتب، أو يحرص علىٰ التسجيلات؛ لكن هٰذا وحده لا يكفي لابد من الدَّرس والمراجعة، لابد أن تدرس كأنه غدا لديك اختبار، تختبر في هٰذه المواد؛ لابد تدرس وتدقّق في الألفاظ وفي الأدلة وتحفظ وترتِّب وتكتب حتىٰ يكون عندك التلقِّي علىٰ أقوىٰ ما يمكن أن تعمله، وإلا فالسَّماع والكتابة وحدها لا تنفع، تسمع فقط وإلا تسمع وتكتب ثم تنسىٰ هٰذه الفوائد إلىٰ بعد سنة، ترجع إليها تثقل عليك؛ لكن إذا كان لك مراجعة فيما سمعت، مراجعة أسبوعية تدرس فيها الفوائد، تدرس فيها المتن أولا، وتراجع الكلمات ثم الشرح والفوائد، وتحفظ الأدلة، وتنظر كيف تعامل المعلم أو الشيخ كيف تعامل مع النصوص الشرعية، كيف تعامل مع المتن، كيف تعامل مع المسائل، كيف شرح، أوضح، هٰذا هو بالدُّربة احفظ المسائل ويكون عندك قدرة ودُرْبة علىٰ نقل هٰذا العلم.

فإذن كيف تتعلم؟ هٰذا مهم أن تسأل نفسك دائما كيف تتلقىٰ العلم؟ وكيف تأخذ بذلك؟ ومن المهم هنا أن تحرص علىٰ ثلاثة أمور:

**الأوَّل**: أن يكون ما تقيِّده من الفوائد عن المعلم أو عن الشيخ أو عن طالب العلم أن يكون مرتَّبا بخطٍّ واضح، البعض يكتب بخط صغير متقارب الكلمات ويحشر الصفحة، هٰذه لا تنشِّطه للقراءة، إذا أراد أن يُراجع، فتكتب سطر وتترك سطر بخط واضح والصفحات -ولله الحمد- والورق كثير.

**الأمر الثَّاني**: أن يكون هناك تلخيص لما قرأت؛ يعني بعد أن تسمع أنت ستنتخب أحسن ما سمعت، ثم بعد ذلك اختر أيضا الفوائد ممَّا كتبت؛ لأن بعض ما كتبت ربما يكون فيه تَكرار، ربما يكون فيه زيادة ونحو ذلك.

المرحلة الثانية أن تنتخب أحسن ما كتبت، الفوائد التي تراها أكثر فائدة لك وتردّدها وتحفظها.

**الأمر الثالث**: أنه بعد حين لابد أن ترجع إلىٰ ما كتبت عن الشيخ وتراجعه مرة أخرىٰ حفظًا ودراسة؛ لأنّ العلم يذهب بالغفلة ويبقىٰ مع التَّرداد، فيه كتب كثيرة ومختصرات إذا قرأناها مرة ثانية وقد قرأناها عشرة وعشرين مرة تخرج لنا منها فوائد، والمرء لا[1] يَقُل: هٰذا الكتاب قرأناه، هٰذا المتن قرأناه. لا، إذا صار عندك فرصة تراجع ما كتبت، تراجع ما قرأت، وكلما كان الأمر أثبت كلما كان أقوىٰ لك في المستقبل؛ لأنه كلما ثبتت عندك العلوم كلما كان التصور أسهل لديك وحفظ المعلومات الجديدة أسهل؛ لأن ما بني علىٰ صحيح فهو صحيح، وما بني علىٰ مختل فهو مختل، وما بني علىٰ غلط فهو غلط، لهٰذا صارت البِنْيَة الأساسية واضحة وصحيحة فيكون ذلك له أثره فيما بعده.

**الثالثة**: مما ينبغي لطالب العلم أن يعتني به كثيرا أن يمايز بين الزوائد في شرح الكتاب الواحد أو شرح الكتب المتماثلة المتقاربة، مثلا شرحنا «لمعة الاعتقاد»، شرحنا «الواسطية»، وشرحنا «الحموية»، الآن «الطحاوية» لا شك في كل شرح فيه زيادات علىٰ الشرح الآخر، ربما يكون شرح «الواسطية» أطول من غيره؛ لكن تجد في شرح «الطحاوية» مسائل جديدة ليست هناك، وأيضا في المسألة ربما فيه فوائد

---

(١) انتهىٰ الشريط الرابع والثلاثون.

وتفصيلات ليس فيما مر، هٰذه أيضا مع بقائها في «شرح الطحاوية» تأخذها زيادة، وتضعها مع شرح الواسطية، هٰذا بالنسبة إلىٰ شرح الشخص الواحد.[١]

لكن إذا كنت تحضر عند أكثر من عالم وأكثر من طالب علم أو سمعت عددا من الأشرطة، والشّروح سمعت من هٰذا، وسمعت من هٰذا، وسمعت من هٰذا، كيف تستفيد من هٰذه الكتب جميعا؟ كل معلم له طريقة له طريقة في التعامل مع الفن أصلا له طريقة في التعامل مع الكتاب في شرح المسائل في تقريب العلم؛ لكن هناك قدر مشترك من المعلومات يكون عند الجميع، وهناك فوائد يتميز بها فلان عن فلان؛ لأنه وفوق كل ذي علم عليم، لابد، لابد أن يكون هٰذا له ما ليس عند ذاك من الفوائد، لن يتطابق الجميع علىٰ شرح واحد.

لهٰذا كيف تعمل في مثل هٰذه الحالة؟

تنظر إلىٰ أكثر الشروح تفصيلًا وإفادة، ثم تنشر الزوائد من الكتب التي سمعت شرحها، أو مما دونت من الفوائد تدوِّنها علىٰ هٰذا حتىٰ يكون أصلا.

يعني تأخذ مثلا شرح سماحة الشيخ[٢] علىٰ «كتاب التوحيد» مثلا وتجعله أصلا ثم تأتي في الفوائد الأخرىٰ وتدونها علىٰ هٰذا الشرح، فيكون عند الشرح لهٰذا الكتاب قد جمعته من شروح عدد أهل العلم ودونت فيه أكثر الفوائد التي حرصت عليها.

إذن هٰذه الطريقة مهمَّة في التلقي من معلم واحد أو من شيخ واحد، وكذلك في التَّلقِّي من عدد من المعلمين أو عدد من طلبة العلم والأشياخ.

تختار أحد الشروح التي هي أكثر فوائد، ثم بعد ذلك تأتي بالفوائد الزائدة وتدوِّنها عليه.

**المسألة الرابعة**: فيما ينفعُك في طلب العلم أن تنتبه دائما إلىٰ أن كثرة التَّفصيلات ليست دليل صحة، وقلَّة التفصيلات ليست أيضا دليل صحة.

وهٰذه مهمة لطالب العلم؛ لأنه سيتعامل مع شروح المشايخ، سيتعامل مع شروح الكتب، ويتعامل مع فوائد ينتقيها من هنا وهناك.

فإذن متىٰ تحرص علىٰ التفصيلات؟ ومتىٰ لا تحرص عليها؟ التفصيلات التي هي طول شرح للمسائل تارة تكون تابعةً لأصل المسألة، فهٰذه احرص عليها، وتارة تكون استطرادات يُستغنىٰ عنها في فهم أصل المسألة وما يتصل بها، فهٰذه يمكنك أن تستغني عنها في الدرس والمراجعة إلىٰ آخره.

وأنت تقرأ مثلا لابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أو لابن القيم يورد المسألة ثم بعد ذلك يستطرد، هٰذه الاستطرادات تارة تكون تخدم أصل المسألة وتارة تكون لا، هي تنظير للمسألة من مسألة إلىٰ أخرىٰ.

وهنا لابد من الانتباه كثيرًا إلىٰ كثرة المعلومات، ونحن الآن في وقت كثرة المعلومات، تسمع من الفتاوىٰ الكثير، تسمع من الشروح الكثير، وتقرأ من الكتب الكثير، وهٰذا الشرح مطول وهٰذا مفصل،

---

(١) ولعل تفريغ هذه الشروح وغيرها يسهّل هذه الطريقة أكثر.

(٢) الشيخ إذا قال: سماحة الشيخ فهو يقصد الشيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.



سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

ترجع إلىٰ فتح الباري تجد فيه، وترجع شرح الطحاوية تجد فيه، ترجع إلىٰ فتاوىٰ ابن تيمية.

فكيف تتعامل مع هٰذا الطول؟ تتعامل معه بأنه ما يخدم فهمك للفن اجعله الأساس، ثم هٰذه التفصيلات إذا كانت تخدم المسألة فانقلها علىٰ نحو ما ذكرنا سابقا، وكثّر الفوائد والتفصيلات التي تخدم أصل المسألة، وإلا فإن المسألة الواحدة يمكن أن نمكث في شرح حديث أسبوعا كامل، شرح حديث واحد، إذا كان سنتكلم علىٰ التحليلات اللغوية، ثم أولا قبل كل شيء التخريج مثلا، وتراجم الرواة والتصحيح والتضعيف، ومن قال بصحته والاستطراد في ذلك، ثم نتكلم علىٰ اللغويات والتراكيب والفوائد اللغوية في الحديث، ثم بعد ذلك المسائل الأصولية والأحكام الفقهية واختلاف العلماء والفوائد، هٰذه ستطول جدا المسائل.

ثم لا غرابة أن وجدنا أن الحافظ بن دقيق العبد رَحِمَهُ اللَّهُ شرح في مجلدين كبيرين إذا طبعا فستكون أربعة كبار، شرح في هذين المجلدين نحوًا من أحد عشر حديثا من كتابه «الإلمام»، وهٰذا المسمىٰ بشرح الإلمام لابن دقيق العيد الموجود منه مجلدين، لم يؤلف منه إلا مجلدين شرح فيه بضعة عشر حديثا أو اثنا عشر أو ثلاثة عشر؛ يعني أنه لا زال في أوله، حتىٰ أنه ذكر عند حديث «لولا أن أشق علىٰ أمتي لأمرتهم بالسواك» عند كل صلاة أكثر من ثلاثمائة مسألة، هٰذا لو أردنا أن نتعرض لمثل هٰذه التفاصيل في الشروح.

إذن سيكون الطالب يجلب له كل شيء من الكتب وكل المسائل تعرض عليه، هٰذا ليس هو العلم، العلم أن تخدم المتن الذي تحفظه أو تدرسه مما يكون موافقًا للمنهجية أن تخدمه بالشروح والتفصيلات حتىٰ تضبطه.

ثم بعد ذلك إذا جاءت التفصيلات تأتي التفصيلات وأنت بالخيار تأخذ منها ما تشاء وتدع منها ما تشاء؛ لكن الطول لا يخدم.

لهٰذا تهتم كثيرا بما ينفعك من التفصيلات، التفصيلات هٰذه لا تتساهل في أن تسمع الكثير وتقول هٰذا أفضل، لا، قد يكون ذلك ويشتّت ذهنك في العلم.

فإذن الطريقة المثلىٰ لهٰذا ما ذكرته لك من أن هٰذه التفصيلات تميِّزها، هل تخدم أصل الكتاب؟ هل تخدم أصل المسألة أم أنها استطرادية في مسائل لا صلة لها بأصل المسألة.

مع الزمن ستجد أنك ترقّيت في العلم، تفصيلات استغنيت عنها في سنتك الثالثة في طلبك للعلم أو الرابعة؛ لكنك تجد ..... في أول السن صار واضحا بحيث تقول: كيف استفدت هٰذه الفوائد؟ كيف أجعلها فوائد أصلا، فتجد أنك تحتاج إلىٰ تفصيلات أخر ومزيد من العلم وتدقيقات، وهكذا ينبني بناء العلم لك شيئا فشيئا.

**المسألة الخامسة**: وقد ذكرتها لكم مرارًا الاهتمام بالكتب التي تقرأ فيها، والطبعات، والآن المطابع ترمي بآلاف من المطبوعات المختلفة، لابد أن تنتقي الكتاب الذي تأخذ منه، تجعله مرجعا لك في مكتبتك، ليس كل كتاب يصلح، ليس كل طبعة أعني تصلح، يعني مثلا «فتح الباري» متقاربة الطبعات؛ لكن مثال كم له من طبعة؟ له أكثر من عشر طبعات، بداية من طبعة الهند إلىٰ الطبعات الأخيرة هٰذه

الملونة التي فيها أحمروأسود الصغيرة طيب، عندك «شرح مسلم» للنووي أيضا طبعات كثيرة، «المغني» كم هناك من طبعة له الكثير، كتب الفقه، كتب الحديث، كتب الرجال كم لها من طبعة؟ تأخذ لابد تنتقي الطبعة وتحفظها بحيث أنه تكون عندك في المراجعة.

هٰذه المعلومات سبق أن سمعها الأكثر مني؛ لكن وجود كثير من الأخوة ممن ربما لم يسمعوا القديم يجعلنا نكرر ليتّضح الأمر.

**المسألة السادسة**: أهمية البحث، وهٰذه ألقينا فيها كلمة مستقلة مطوّلة، وجاءتني رسالة من بعض الإخوة يقول فيها أنه سمع هٰذه المحاضرة أو الكلمة في منهجية البحث، وهي ألقيناها هنا في بداية الدروس في أحد الفصول-: وهٰذا تعقيد للعلم الذي ذكرت ويثبط الهمة وو إلىٰ آخره من الكلام، قال في آخره: وأظنك أنت -يعنيني- أظنك لا تطبق ما ذكرت أصلا.

وهٰذا الكلام وإن كان انفعاليا؛ لكنه دليل صحة؛ لأنه كون المرء استمع للكلام وتأثر وأحس أن هٰذا صعب هٰذا دليل خير، لماذا؟ لأنه يدل علىٰ أنه وجد أن طريقته التي كان يسير عليها في البحث ليست هي الطريقة السليمة، هٰذا الذي كان يهمنا أن نوصله للإخوة، أن يكون هناك سعي في أن يكون البحث موافقا للطريقة السليمة، والعلوم إنما تثبت بالبحث، لا يمكن أن تتقدم في العلم إلا بالبحث، والبحث إذا كان سليمًا كانت النتائج سليمة، وإذا كان البحث قاصرًا أو غير ممنهج كذلك ستكون النتائج علىٰ غرار قوة البحث وضعفه.

لهٰذا نقول: كيف تبحث؟ هٰذه مهمَّة جدًّا، فينبغي أن تراجع الكلمة التي قلناها سابقا وتهتم بالبحث يعني أن يكون عندك تقسيم لوقتك، تدرس علىٰ المشايخ جزءا، تقرأ المتون الأساسية وتحفظ وتؤسس نفسك في جزء، تقرأ المطولات والشروحات هٰذه والأشياء التي ترغب فيها في بحث المسائل هٰذا جزء، وأيضا تبحث في مسائل بحثا مكتوبًا، هٰذا مهم لأن الذي لا يبحث لا تتأصل عنده المسائل، الذي لا يبحث ويطالع المسألة، ينظر ماذا قال هنا وماذا قال هنا أوش قال في الكتاب الفلاني، لا تتأصل عنده المسائل.

في مسألة من المسائل كنت أنا أظن أنه مجمع عليها، وإذا بي في حج هٰذا العام عرفت أن فيها خلاف، وخلاف قديم للسلف وقوي، وهناك من نسبها من نسب المسألة إلىٰ الإجماع أن العلماء أجمعوا عليها.

فإذن العلم لا يكون إلا بالبحث؛ لكن البحث هنا لا يكون بحثا مقروءًا؛ يعني تقرأ فقط، بل لابد أن تكتب؛ لأنه إذا لم تكتب ستلحظ أنه أن بحثك بعد شهرين أو ثلاثة أربعة خمسة انتهىٰ، لا تذكر منه شيئا، لهٰذا إذا بحثت في ساعتين أو ثلاث أو خمس تكتب ما بحثت يبقىٰ، وإلا فستبقىٰ المعلومة معك لمدة أسبوع أسبوعين ثم تذهب.

وهٰذا واقع ومجرّب، لهٰذا أؤكّد علىٰ أهمية أن تبحث وأن يكون بحثك مكتوبًا تارة أو تارات، ومقروءا تارة.

في تفسير آية لا تحرص علىٰ أن تسأل أيش معنىٰ الآية الفلانية؟ ابحث قبل، ثم بعد ذلك اسأل المشايخ والعلماء عن معناها.

المسألة الفقهية، ما حكم كذا وكذا؟ ابحث قبل، ثم بعد ذلك سل.

ومرة كتب أحد القضاة إلىٰ سماحة جدّي الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ، كتب إليه يسأله عن حكم مسألة عرضت له في القضاء، فأجابه الشيخ بسطرين قال: المسألة معروفة في جميع كتب أهل العلم؛ لكنك كسلان لا تبحث. والسلام.

وهٰذا واقع؛ لأن طالب العلم إذا تعود علىٰ أن يسأل ولا يبحث، فإنه سيصاب؛ لأن السؤال لن يأتي دائما، السؤال لا ينشط الإنسان.

ومرة كان الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللَّهُ في الحج، ذكرت لكم القصة وكان واحد جنبه يسأله ويسأله ويسأله، قال: العلم لا ينال بهٰذه الطريقة، اقرأ المسائل اقرأ العلم اقرأ الكتب بعد ذلك أشكل شيء تسأل عنه، أما كل مسألة تسأل عنها، ما حكم كذا ما حكم كذا، لو عمل كذا لو لم يعمل لا تحصّل العلم بذلك.

فإذن البحث مهم وبعد البحث تسأل، بعد البحث تعرض علىٰ أهل العلم ما بحثت، والله هٰذه طريقتي في بحث مسألة فقهية هل هي سليمة أم ليست بسليمة؟ هٰذا تخريج حديث أحاديث خرجتها بهٰذه الطريقة، مثلا تكون متأثرا في تخريج الأحاديث بمدرسة من المدارس الموجودة في تخريج الأحاديث، وتكون المدرسة عليها ملاحظات أو ليست المدرسة الصحيحة في التخريج، فإذا عرضتها علىٰ من يبحث معك أو يناقشك أو يعلّمك فإنك ستستفيد.

فإذن من المهم أن يكون لطالب العلم بحث مقروء يقرؤه هو، يبحث المسائل، وبحث مكتوب يعرضه علىٰ من هو أعلم منه.

**المسألة السابعة**: كثيرًا ما أُورد مثلا أو يورد غيري ممن يدرّسون -خاصة العقيدة- خلاف المذاهب الضالة، مثلا قول الخوارج، قول المعتزلة، قول الأشاعرة، قول الماتريدية قول كذا، وربما يأتي بعض طلبة العلم منكم يحرص علىٰ مراجعة كتب القوم، وهٰذا لا يُنصح به، ولا ينبغي لطالب العلم في طلبه للعلم أن يسلك هٰذا السبيل؛ لأن الأصل أن مذاهب هؤلاء من مذاهب أهل الأهواء، وأهل الأهواء لا يقرأ كلامهم؛ لأنه لا يؤمن علىٰ طالب العلم أن يتأثر، أو أن يجد فيما قرأ شبهة لم يردّها شيخه، فتبقىٰ الشبهة ويحتار في رده عليها إلىٰ آخر ذلك.

لهٰذا يعني عدد من الأخوة طلبوا أسماء مراجع المذاهب المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة من كتب المعتزلة والخوارج والأشاعرة، وطبعا الجواب أنه لا يرشد أحد إلىٰ هٰذه المذاهب من طلاب العلم إلىٰ كتب القوم حتىٰ يقرأها، لا؛ بل الذي نقل له هٰذه المذاهب وبينها له ثقة فيأخذها علىٰ هٰذا النحو.

وقد كان مشايخنا رحمهم الله -رحم الله الأموات وأطال في عمر الأحياء وبارك في الجميع-، كانوا يعتمدون في نقل المذاهب المخالفة علىٰ أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ونحوهما ممن يعتنون بنقل المذاهب هٰذه فقط، ولا يرجعون إلىٰ أصل الكتب؛ لأنهم ثقات وحديث النبي ﷺ إذا نقله عدل ثقة قبلناه واعتمدناه وصار حجة لنقل العدل الضابط عن مثله، فكيف بمذاهب الآخرين التي هي مذاهب

ردية.

ربما يأتي وقت يكون طالب العلم بَحّاثة في تحقيق مسألة ما، هنا قد يرخص له إذا كان يريد الرد ويريد المناقشة ونحو ذلك، قد يرخَّص له في حد محدود؛ لكن طلاب العلم من أمثالكم يقرؤون في كتب القوم وفي تفاسير الأشاعرة وتفاسير المعتزلة أو نحو ذلك، لا، ولا يعرّض المرء دينه للخطر.

هٰذه بعض كلمات تناسب البداية، ونجيب بعدها علىٰ بعض الأسئلة.

[**الأسئلة**]

سؤال (٤٠٦): لا يخفىٰ عليكم ما يحصل من مخالفات في التعزية في هٰذا الزمن، وأقلها اجتماع أهل الميت القريبين والبعيدين في بيت أحدهم أو في بيت الميت، وتلقي العزاء لمدة أيام، وقد اختلفت آراء العلماء في هٰذا.

فالسؤال: إذا حصل لي ذلك هل أترك المنزل ولا أستسلم، مع أن أقاربي يحملون الإنسان علىٰ ذلك؟ إلىٰ آخره.

الجواب: مسائل التعزية واجتماع أقارب الميت الذين يُقصد تعزيتهم أو مواساتُهم في موت قريب لهم؛ يعني الاجتماع المعروف الذي يسمىٰ اجتماع العزاء، هٰذا حصل الكلام؛ كلام الشباب فيه وبعض الناس في هٰذا الوقت من جرّاء فتوىٰ لفضيلة الشيخ محمد بن عثيمين في أنّ الاجتماع لا يشرع، أصل الاجتماع؛ بل الذي يشرع هو التفرّق.

**وبقية علمائنا وعلىٰ رأسهم سماحة الشيخ عبد العزيز وبقية المشايخ يقولون: لا بأس بالاجتماع**، وهٰذا القول هو الأولىٰ والرّاجح؛ لأن الاجتماع إلىٰ أهل الميت في هٰذا الزمن يحصل به التَّعزية، والتعزية سنة وعملٌ مشروع قد قال عليه الصلاة والسلام: «**من عزىٰ مصابا فله مثل أجره**»، والمواساة مشروعة، وإذا تفرق الناس فلن تحصل المواساة والتعزية إلا بكَلَفة؛ يعني أين تلقاه هل في العمل الفلاني ستجده أو في بيته أو خرج، وسيكون هناك مشقة في التتبع وفوت للتعزية.

ولهٰذا قال من أفتىٰ بمشروعية الاجتماع قال: إنه يدخل تحت قاعدة الوسيلة للمشروع مشروعة، وأنّ الوسائل لها أحكام المقاصد، فلما كان المقصَد وهو السعي مشروعا فوسيلته **الآن** وهي الاجتماع مشروعة، في مثل هٰذه المدن الكبار مثل تفرّق الناس ونحو ذلك، لا يحصل إلا بهٰذا، إلا فيما ندر إذا كانت القرية صغيرة أو الإنسان معروف أنه طول الوقت في هٰذا أو كان المعزىٰ واحد فقط؛ يعني واحد فقط إما أن يكون في بيته أو في عمله، فهٰذه المسألة تختلف؛ لكن إذا تعدّدوا وصارت التعزية لا تحصل إلا بالاجتماع اجتماع من يُعزىٰ أولىٰ من تفرقهم؛ لأنّ التعزية التي فيها تسلية ومواساة وتحصيل للأجر لا تحصل إلا بذلك.

هنا هل الاجتماع يُعد من النياحة؟ الاجتماع لا يعدّ من النياحة إلا إذا انظمّ إليه أن يصنع أهل الميت الطعام للحاضرين جميعًا ليظهر الفخر ويظهر كثرة من يحضر الوليمة ونحو ذلك، وهٰذا موجود، كان في الجاهلية، ولهٰذا جاء في حديث أبي أيوب: كنا نعدُّ الاجتماع إلىٰ أهل الميت وصنعهم الطعام من النياحة.

فالنياحة تشمل شيئين صنع الطعام مع الاجتماع، لماذا؟ لأن أهل الميت هم الذين يصنعون الطعام ويدعون الناس ليقال: هٰذا عزاء فلان أنه أكبر عزاء، أو أنهم اجتمعوا لأجل فلان، فلان ما يموت ويروح هكذا، مثل ما يقول بعض البادية، فيعملون سرادقات ضخمة وكذا، وهم الذين يتكلفون بصنع الطعام وبنحر الإبل وبذبح الذبائح؛ ليكثر من يجتمع عليها، هٰذه النياحة المنهي عنها بالاتفاق.

أما الاجتماع اجتماع المواساة والعزاء دون صنع الطعام ودون تكلف، فإن هٰذا لا يدخل في النياحة، وقد جاء في «صحيح البخاري» أنّ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كان إذا مات لها ميت اجتمع النساء من قرابتها إليها، اجتمعوا إليها، فقالت: فربما حضر وقت الطعام فقامت امرأة إلىٰ برمتها أو كذا فصنعت شيئا يأكلونه. يعني هؤلاء القرابة القليلين.

أُستدل بهٰذا الحديث علىٰ أن أصل الاجتماع للنساء لأجل المواساة تجتمع المرأة بقريبتها أختها فلانة كذا أن هٰذا له أصل من هدي السلف.

أيضا الاجتماع اجتماع الرجال ليس ثم ما يمنع منه.

ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره تكلموا عن مسألة الاجتماع، وقالوا: إن هدي السلف هو التفرق، والنبي ﷺ ما أُثر عنه أنه جلس في مكان ليقبل العزاء أو نحو ذلك. وهٰذا صحيح؛ لكنه ليس الحال هو الحال، وليس الوقت هو الوقت، وليست الصورة هي الصورة الموجودة في هٰذا الزمن، فكلام ابن القيم علىٰ بابه في قرية؛ واحد معروف إذا ما لقيته في بيته تلقاه في المسجد أو في السوق أو نحو ذلك، في شيء محدود هٰذا صحيح.

أما في مثل بلد لا يمكن أن يلتقي فيه الناس إلا باجتماع، أو إذا تفرّقوا عسر علىٰ الناس تحقيق سنة العزاء فإن الاجتماع للعزاء لا بأس به.

أما تحديد مدة فلا أصل له، تحديد مدة ثلاثة أيام سبعة أيام اختلف فيها الفقهاء لكن لا أصل له من السنة، السنة ليس فيها دليل يدلُّ علىٰ أن مدة العزاء محدودة بأيام؛ بل مدة العزاء تكون بحسَب من يأتي، إذا كان الناس يأتون يوم فينتهي، يومين وانتهىٰ، خمسة أيام وانتهىٰ وهكذا، وإن كان غالب أحوال الناس أنهم في ثلاثة أيام الأول ينتهون؛ لكن لا أصل لتحديد المدة في الشرع.

سؤال (٤٠٧): ما هو رأيكم في قراءة طلاب العلم للجرائد؟

الجواب: الجرائد هٰذه فيها ما ينفع وفيها ما يضر، فهي بحسب الحال، إذا كان يطلع علىٰ أشياء تنفعه في دينه أو في الأخبار أو فيما حوله ليكون علىٰ بينة، هٰذا طيب لا بأس به، أما إذا كانت ستشغله علىٰ طلب العلم أو يقرأ جريدة يبقىٰ فيها ساعة، والكتاب ما يصبر عليه ساعة، هٰذه ليست من سيما أهل العلم.

سؤال (٤٠٨): لو رأيتم جعل الدروس بعد صلاة العشاء نظرا لأحوال بعض الطلبة؟

الجواب: بعد العشاء الوقت ضيق وصعب أننا نستمر بعد العشاء الأسبوع القادم نستمر الأسبوع كاملا؛ يعني كل يوم بعد العشاء؛ لأن بعد العشاء تعترضه ارتباطات ومناسبات وإلىٰ آخره، بعد المغرب يمكن أن نستمر في الأسبوع كله، ونسأل الله الإعانة للجميع.

سؤال (٤٠٩): نحن مجموعة شباب نريد أن نقرأ العلم علىٰ المشايخ؛ ولكن لم نجد أحدا من المشايخ نقرأ عليه، كما هو المعتاد في التدرج لطلب العلم.

الجواب: ستجد إن شاء الله تعالىٰ، المشايخ ولله الحمد كثير خاصة في الحواضر الكبيرة مثل الرياض والقصيم ومكة والمدينة وأشباه ذلك هاهنا طلبة العلم والمشايخ كثير؛ لكن لا تشترط خذ من يفيدك من يكون نافعا للطلاب وصابرا عليهم، ولا تشترط أن يكون الذي تقرأ عليه فلان. بعض الناس: فلان.

مرة أذكر أحد الطلاب كان من القصيم، ولقيني في مكان نسيت الآن أين هو، قال: أنا جاي من القصيم وأريد أن أقرأ عليك، أمر عليك متن من المتون نسيت ماهو، أظن «ثلاثة الأصول» أو غيره، قلت له: خير إن شاء الله ذاك الوقت كان عندي بعض الفراغ، قلت غدا إن شاء الله بعد العصر أو بعد غد، قال: لا أنا أريد الليلة. لماذا الليلة؟ قال: لأني بعد الفجر راجع إلىٰ القصيم، طيب الليلة الآن فيه دعوة قد ننتهي عشرة ونصف أو إحدىٰ عشر، قال: استرحلك ساعة وبعد الثانية عشر أنا مستعد أسهر إلىٰ الفجر حتىٰ نتمّه، هٰذا شيء مو معقول، قال: والله المستعان الأولين جاهدوا في طلب العلم وفي التعليم، طيب أنت جاهد اجلس للظهر.....

الشاهد بعض الإخوة يتشدد في اختيار المشايخ والمتون الأولىٰ لا تحتاج إلىٰ تشدد تأخذ من تقرأ عليه؛ لأن التصور الأول والإمرار الأول لعلم يكون ممن ينفع، لا تشترط، لا تتشدد فيه، وبعد ذلك يمكن أن تجد من هو أمكن في تدريس العلم.

سؤال (٤١٠): نريد منهجا جيدا في قراءة الكتب، هل يكتفىٰ بقراءة مرة واحدة أم لابد من تكرار الكتب، وكيف يمكن هٰذا مع الكم الكبير للكتب؟

الجواب: قراءة الكتب تختلف، بعض الكتب يكون كتاب علم مؤصل، هٰذا ممكن تقرأ مرتين ثلاث، وبعض الكتب لا يكون للمرجع فقط تقرأ مرة عند الحاجة، يعني مثلا «تيسير العزيز الحميد»، «فتح المجيد»، هٰذه تقرأها عدة مرات لأنها كتب أصول، و«شرح الواسطية» للشيخ ابن رشيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مثل «شرح الطحاوية» ونحو ذلك هٰذه مهمة لو قرأتها كذا مرة لا بأس، مثل شرح شروح البلوغ، مثل الشروح علىٰ الزاد أو الحواشي ما يضر هٰذا بل هو أفضل إذا كررتها؛ لكن مثل «فتح الباري» تمر عليه مثل المغني الكافي إلىٰ آخره تمر عليه كذا مرة ليس هٰذا الكتاب أو ذاك مما يقرأ كثيرا.

فإذن بعض الكتب إذا كررتها أمكن لك وبعضها إذا مررت عليها وقت الحاجة وعند المراجعة فهٰذا هو المقصود.

سؤال (٤١١): كتاب «مدارج السالكين» نرجو أن تكون هناك كلمة قصيرة حوله؟

الجواب: «مدارج السالكين» من الكتب الكبيرة المهمة للعلامة شمس الدين بن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرح به كتابا مختصرا لشيخ الإسلام الهروي كتاب اسمه «منازل السائرين إلىٰ الله»، وهي مراتب في المقامات والأحوال عند أهل التصوف، شيخ الإسلام الهروي كان حنبليا؛ ولكنه ربما تأثر بالطرق الصوفية وشارك القشيري والحُلَيمي وجماعة ومثل هؤلاء الكلاباذي في المقامات والأحوال والتعاريف لها.

هٰذا الكتاب الذي هو منازل السائرين اعتنىٰ به الصوفية وحولوه إلىٰ أشياء من وحدة الوجود وأشياء

تخالف هدي السلف، فأراد ابن القيم، وقد كان في فترة من حياته متأثرا بالقوم بعض التأثر، أراد ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن يكتب كتابا سلفيًّا في السلوك يهدي به المتصوِّفة ويكون أيضا سبيلًا لأهل السنة في إطلاع علىٰ السلوك السلفي ..... «منازل السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين».

الكتاب في أكثره يمكن أن يفهم ويوجه علىٰ منهج السلف، وفي بعضه أشياء لا توافق منهج السلف ولا تربية السلف إلا علىٰ ضرب من التأويل يصعب، مثل الكلام علىٰ منزلة البرق ومنزلة الصعق ومنزلة كذا وكذا، ومثل الكلام علىٰ الفناء وأشباه ذلك مما لا يفهمه كل أحد.

حتىٰ إنه في أثنائه ذكر أشياء ربما اعترض عليها بعض العلماء؛ لكن ابن القيم له وجهته في ذلك ووجهته صحيحة، وأراد به هداية الطائفتين يعني الصوفية يهتدوا إلىٰ منهج السلف، ويريد ممن يكونوا علىٰ منهاج السلف أن يكون عنده سلوك شرعي؛ يعني عنده زهد عنده عبادة، عنده رعاية لمقامات القلوب وأحوال القلوب والإيمان والعمل الصالح وما أمر الله جل وعلا به من منازل العبادة.

سؤال (٤١٢): هل يمكن أن يخرج الشرح للطحاوية مطبوعًا كما فعل بعض المشايخ الآن؟ نأمل ذلك.

الجواب: وأرجو أنا أيضا أن يكون ذلك متحقِّقًا.

سؤال (٤١٣): كيف يكون الإخلاص في طلب العلم، هل يكون طلب العلم للعمل أو للدعوة، آمل الإجابة والتوضيح الشافي؟

الجواب: ذكرنا لكم مرارا أن الإخلاص في طلب العلم والنية فيه يكون بشيئين:

**الأول** أن يكون متقربا به إلىٰ الله جل وعلا وحده، لا يريد بطلب العلم نيل جاه في الدنيا ولا سمعة ولا أن يصرف وجوه الناس إليه، أن يكون مخلصًا لله، يرجو الله والدار الآخرة، والقصد وجه الله بالأعمال والأقوال والنيات.

**والثاني** في تحقيق الإخلاص والنية الصَّحيحة في طلب العلم أن ينوي بطلبه للعلم رفع الجهل عن نفسه، حين يطلب، لماذا تطلب العلم؟ تنوي رفع الجهل عن نفسك، والجهل ذمه الله جل وعلا وامتدح أهل العلم وبين أنه رفعهم علىٰ المؤمنين درجات.

فإذن يطلب العلم ليرفع الجهل عن نفسه، لهٰذا سئل الإمام أحمد: كيف تكون النية صالحة في العلم؟ قال: أن ينوي رفع الجهل عن نفسه؛ يعني مع نية الإخلاص لله جل جلاله.

ثم بعد ذلك يترقىٰ وجد في نفسه انشراحا أن يعلم غيره، هنا يكون معه نية أخرىٰ أيضا أن ينوي بطلبه للعلم رفع الجهل عن الناس، يكون لا ينوي أن يتصدر، أن يقال: هٰذا فلان بل ينوي أن يرفع الجهل عن الناس، وهٰذه النية الصالحة لها علامة ولها دلالة؛ وهو أن يكون في تعلُّمه لنفسه أو تعليمه أن يعلِّم ما يحتاجه الناس، أما أن يعلم ما لا يحتاجه الناس، فهٰذه ربما تكون لشهوة في النفس، وربما تكون لغرض آخر.

لهٰذا ابن تيمية لما بحث مسألة الأعمال -ذكرتها لكم عدة مرات- لما ذكر الأعمال التي يفعلُها المؤمن لرغبة وشهوة له فيها، مثلا يحب يُكرم الناس لأجل رغبة هو في داخله، إذا أكرم الناس يرتاح،

يحب يعطي فلان ويعطي فلان ويسعىٰ ويكون عنده نخوة شيء يجده في صدره، إذا كان هٰذه ارتاح ونحو ذلك.

طلب العلم يطلب العلم لأنه ينشرح لطلب العلم، تقول له أدرس العقيدة، يقول أنا منشرح في مصطلح الحديث وللرجال هٰذا الأمر، منشرح الصدر في هٰذا الأمر منشرح الصدر في طلب الصدر، يبحث معك في الحلال والحرام لا يعرف أحكام كثيرة لا في الصلاة ولا في الحج ولا في البيوع أو في معاملته مع أهله أو نحو ذلك من الأحكام.

فهنا سئل شيخ الإسلام: هل من عمل عملا مما يتعبد به للذة تحصل له في هٰذا العمل هل هو مأجور أم يكون مرائيا؟ وأجاب عنها في رسالة مطبوعة بتحقيق الدكتور رشاد سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

وملخص الجواب أنه إن كان في أصله مخلصًا لله جل وعلا فيكون ما حصل له من لذة الطاعة يكون تبعًا لأصله؛ لكن ينبغي أن ينتبه إلىٰ التفريق ما بين اللذة التي هي للدنيا واللذة التابعة؛ يعني شيء تبع شيئا أو هو مستقل في اللَّذات هو يريده بلذة له.

واستدل له -الجواب طويل- استدل له بما ثبت في السنن أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لبلال: «**يا بلال أقم[1] الصلاة أرحنا بها**»، فقوله: «**أرحنا بها**» دل علىٰ أن حصول الراحة للإنسان بالتعبُّد لا يمنع صحة العبادة والإخلاص فيها.

كذلك السِّياحة، المرء يذهب لشيء يجده في نفسه من السياحة، وقد أثنىٰ الله جل وعلا علىٰ بعض عباده بأنهم سائحون، والسَّائحون إما أن يكونوا الصائمين كما في تفسير، أو أن يكونوا المجاهدين في سبيل الله في تفسير، فحصول هٰذه اللَّذّة لهم لم تمنع الأجر.

المقصود من ذلك أن تحصيل النية في العلم وفي الانتباه لهٰذا الأصل مهم لأجل الإقبال علىٰ الخير والمداومة علىٰ ذلك.

نكتفي بهٰذا القدر.

سؤال (٤١٤): لو تكرمت وجعلت الدرس في أول الأسبوع بعد العشاء وباقي الأيام بين المغرب والعشاء لأن الغياب كثير وبعض الإخوان قد يتأخر عن الحضور.

الجواب: رأي مبارك، يعني قصده فيه ناس ما جاءوا اليوم يجيون الأسبوع القادم بعد العشاء علىٰ العادة يكون قد فاتهم الدرس، نجعله الدرس القادم بعد العشاء، أيش رأيكم؟ مناسب وننبهم علىٰ أن باقي الأسبوع يكون بعد المغرب، خير إن شاء الله.

نكتفي بهٰذا، ونلتقي بكم إن شاء الله تعالىٰ. وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الخامس والثلاثين.

## الدرس الثالث والأربعون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

اقرأ...

وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ.

وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانَةِ، وَنُبْغِضُ أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ.

وَنَقُولُ: اللهُ أَعْلَمُ فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ.

وَنَرَىٰ الْمَسْحَ عَلَىٰ الْخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ.

وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلَا يَنْقُضُهُمَا.

---

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا.

اللّٰهمَّ نسألك علما نافعا وعملا صالحا.

نسألك -اللّٰهمَّ- العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة.

اللّٰهمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدا، واكتب لنا الخير ومن علينا بالتوفيق في أمرنا كله، إنك علىٰ كل شيء قدير.

أما بعد..

فقد قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هنا: (وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ.) فهٰذه الجملة ذكرها بعد الكلام علىٰ الخروج علىٰ الولاة أو قتل أحد من أمة محمد ﷺ لظهور معنىٰ الجماعة في ذلك.

وكلّ ما ذَكَره من أول العقيدة إلىٰ آخرها داخل -يعني فيما أجمع عليه أهل السنة والجماعة- داخل في هٰذه الجملة، وكلّ مسائل العقائد التي قرّرها أئمة الإسلام فإنها اتّباع للسنة وللجماعة، وكل مخالفة لهٰذه العقائد التي دلّ عليها الكتاب والسنة وقرّرها الأئمة فهي شذوذ وخلاف وفُرْقة.

ولهٰذا هٰذه الجملة قاعدة عظيمة من قواعد العقائد بجميع تفاصيلها، كما سيأتي في بيان السنة والجماعة وبيان ما يضاد ذلك إن شاء الله.

وهٰذا الاتباع الذي ذكره -اتّباع السنة والجماعة، واجتناب الشذوذ والخلاف والفرقة- هو منشأ السّير علىٰ ما كانت عليه الجماعة الأولىٰ؛ لأن النبي ﷺ أورث الجماعة الأولىٰ وهي جماعة الصحابة رِضوان الله عليهم أورثهم العلم النافع والعمل والهدىٰ في أمور الدين كلِّه، في الأمور العلمية والأمور العملية، فأجمعوا علىٰ مسائل العلم والعقيدة والتوحيد، وعلىٰ كثير من مسائل العمل واختلفوا في بعض مسائل العمليات والفروع، ثم صار سبيل المؤمنين -الذي هو سبيل الجماعة الأولىٰ- عَلَمًا علىٰ اتباع النبي

عليه الصلاة والسلام وترك الأهواء، ثم تبعهم التابعون، ثم هكذا إلىٰ زمانا؛ بل إلىٰ أن يموت آخر المؤمنين.

وهٰذا الأصل من أهم الأصول التي يقررها أئمة الإسلام؛ لأنه أصل وما بعده فرع.

فالخلاف في توحيد العبادة، أو في طريقة إثبات الربوبية، أو في الأسماء والصفات، أو في الإيمان، أو في القدر، أو في الصحابة، أو في التعامل مع ولاة الأمور، أو في أي مسألة من المسائل التي تُذْكر الخلاف في ذلك خلاف للجماعة الأولىٰ، ولهٰذا قال من قال من أئمة الصحابة: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد. ويعني بقوله: (إذا فسدت الجماعة) يعني إذا صارت الجماعة في اختلاف، فإن المصيب منهم من وافق الجماعة التي كانت مجتمعة غير مختلفة.

ولهٰذا صار هٰذا الأصل علمًا علىٰ أهل السنة والجماعة أتباع الصحابة والسلف الصالح، فسمُّوا أهل السنة والجماعة بهٰذا الأصل لأن يتَّبعون السنة والجماعة، ويأتي تفسير السنة وتفسير الجماعة، وهٰذا الذي ذكروه هنا أخذوه من النصوص التي لا تحصىٰ في الكتاب والسنة في الأمر بالاجتماع نصا أو معنىٰ، وفي النهي عن الفرقة نصا أو معنىٰ.

فمن ذلك قول الله جل وعلا: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران:١٠٣].

ومنه قوله جل جلاله: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾[الشورىٰ:١٣].

ومنه أيضًا قول الله جل وعلا: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[النساء].

ومنه وقوله أيضًا جل جلاله: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ [النور:٥٤]؛ يعني علىٰ الرسول ما حمل من بيان السنة وبيان الشريعة وتبليغ ذلك، ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ﴾ من اتباع السنة والجماعة واتباع هدي النبي عليه الصلاة والسلام، فحُمّل الرسول عليه الصلاة والسلام البلاغ وحملت الأمة الاتباع والمتابعة.

ومنه أيضا قول الله جل وعلا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران:٣١]، ونحو ذلك من الآيات الصريحة في اتِّباع الجماعة والنهي عن الافتراق.

والسنة فيها من ذلك شيء كثير:

كقوله عليه الصلاة والسلام: «**وستفترق هٰذه الأمة علىٰ ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**هي الجماعة**»، وفي رواية قال: «**هي ما كان علىٰ مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**».

ومنه أيضا الأحاديث التي في خروج الخوارج وخلاف الخوارج للصحابة، وأمر النبي ﷺ بقتلهم، فقال في وصفهم: «**يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم**» وذلك لمخالفتهم للسنة والجماعة.

كذلك قوله عليه الصلاة والسلام في أهل الأهواء: «**يتجارىٰ بهم الهوىٰ كما يتجارىٰ الكلَب بصاحبه لا يبقىٰ منه مفصل أو عرق إلا دخله**».

ومنه أيضا ما صحّ عنه عليه الصلاة والسلام بقوله: «**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**».

ومنه أيضا قوله: «من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يشق عصاكم فاقتلوه كائنا من كان».

ومنه أيضًا دعاء النبي عليه الصلاة والسلام ألا يجعل بأس هٰذه الأمة بعضِها ببعض قال: «فمنعنيها».

ونحو ذلك من الأدلة التي تدل علىٰ هٰذا الأصل العظيم.

فإذن هٰذا الأصل الأدلة عليه في منزلة التواتر لكثرة ما دل عليه؛ بل هو أظهر أصول الشريعة، فإن الخلاف والفرقة عما كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام والجماعة الأولىٰ هو حقيقةً هو خلاف لرب العالمين واتّباع غير السبيل الذي يرضىٰ عنه جل جلاله.

فإذن هٰذا الأصل -كما ذكرنا في أول الكلام- ذكره الطحاوي؛ لأن كل مسائل العقيدة تتفرع عنه.

**فإذا تبين ذلك فنقول**: إن مسائل الاعتقاد التي يذكرها أهل السنة والجماعة:

- منها ما هو من سبيل المقاصد.
- ومنها ما هو من سبيل الوسائل إلىٰ المقاصد.
- ومنها -وهو القسم الثالث- ما هو من سبيل المحافظة علىٰ المقاصد.

فأما **الأول** وهو المقاصد هي أركان الإيمان الستة.

وأما **الثاني** وهو الوسائل إلىٰ تحقيق المقاصد فهي القواعد العامة في التلقي والأخذ لأنها لا يحفظ أصل إلا بدليل كقاعدة، ولهٰذا صار هٰذا الكلام هنا وهو قوله: (وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ.) هٰذا له حكم المقاصد من جهة وله حكم الوسائل من جهة أخرىٰ؛ لأن اتباع السنة والجماعة مقصد تعبدي مطلوب ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[النور:٥٤]، والثاني وهو اجتناب الشذوذ والخلاف والفرقة هٰذا من وسائل المحافظة علىٰ أصول الاعتقاد.

وفي هٰذه الجملة مسائل:

**المسألة الأولى**: معنىٰ الاتِّباع في قوله: (وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ) معنىٰ الاتِّباع؛ الاتباع هو أن تقفُوَ أثر الشيء، تبعه أي قفا أثره، اتباع الحق أن تقفو الأثر، والأثر سواءٌ أكان أثر دليل أو كان أثر مسير -يعني أثر قول أو أثر مسير- كلٌّ منهما دليل، ولهٰذا صار الاتباع موسومًا عند أهل العلم بأنَّه أخذُ القول بدليله.

ويقابل هٰذا التَّقليد، يقابل الاتباع التقليد، والتقليد قَبول القول والتزامه دون حجة واضحة؛ لأنه إن كان عنده حجة فهو متّبع ولو كان متأولا أو مخطئا، وإن كان ليست عنده حجة وإنما يتعصب أو يقبل القول هكذا لأنه قاله فقط مع ظهور الحجَّة في خلافه، فهٰذا يسمىٰ مقلدا لأنه جعل القول قِلادة له دون بيانٍ.

**والتقليد في الاعتقاد** فيه تفصيل:

فما كان ممَّا يشترط لصحة الإسلام والإيمان فلا ينفع فيه التَّقليد؛ بل لابد فيه من أخذ القول بدليله وجوبًا؛ لأنّ هٰذا هو العلم الذي أمر الله جل وعلا به في قوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩].

أما التَّقليد في الاستدلال فلا بأس به؛ يعني أنْ يعلم وجه الدَّليل من الحجة ويقلد العالم في الاقتناع بهٰذا الدليل يعني بوجه الاستدلال، فهٰذا لا بأس به لأنَّ المجتهد في فهم الدليل هٰذا قليلٌ في الأمة.

فإذن الواجب في الاتباع وما يحرم من التقليد في العقيدة هو ما كان من أصول الإسلام؛ يعني ما لا يصح الإسلام إلا به، مثل العلم بالشَّهادتين، وأركان الإيمان الستة، وفرض أركان الإسلام الخمسة.

إذا كان التقليد كذلك فهل يشترط استدامة العلم واستصحاب العلم والاتباع أم لا يُشترط؟

الذي عليه العلماء المحقِّقون وقرّروه أنّ الاستدامة ليست شرطًا، وإنما يكفي أن يعلم الحق في هٰذه المسائل في عمره مرّة بدليله، ويأخذ ذلك ويقتنع به، يأخذ ذلك عن دليل وبيّنة، ثم يعمل بما دل عليه، فمن تعلم مسألة، تعلم معنىٰ الشهادتين في عمره، ثم بعد ذلك نسي المعنىٰ، أو تعلَّم أدلة أركان الإيمان ثم نسي، أو تعلم فرضية الأركان الخمسة أركان الإسلام أو الأربع العملية ثم جاءه فترة ونسي، فإن هٰذا لا يؤثر ولا يأثم بذلك، المهم أن يكون أصل استسلامه عن دليل فيما لا يصح الإيمان والإسلام إلا به.

وهٰذا هو حكم التّقليد عند أهل السنة والجماعة ووجوب الاتِّباع.

وأما المخالفون من أهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة وجماعات فإنَّهم جعلوا العلم الواجب هو النَّظر أو القصد إلىٰ النظر أو إلىٰ آخره من أقوالهم، ويعنون بذلك النَّظر في الكونيات.

وأهل السنة يقولون: الاتباع النظر في الأدلة الشَّرعية، يعني النظر في الشرعيات.

وأولئك عندهم النظر في الكونيات؛ لأنهم جعلوا أصل الإسلام والإيمان إنما يصح إذا نظر في برهان وجود الله جل جلاله.

وأما أهل السنة والجماعة فقالوا: وُجود الله جل وعلا مركوز في الفطر، وإنما يتعلم ما يجب عليه أن يعتقده وما يجب عليه أن يعلمه مما أمر الله جل وعلا به، وجعله فارقا بين المؤمن والكافر.

وبالمقابل التقليد عندهم في الكونيات.

وعندنا التقليد في الأقوال والشّرعيات.

وثَم تفاصيل لمسألة الاتّباع والتقليد في مناهج التلقِّي ما بين أهل السنة والمخالفين.

**المسألة الثانية**: معنىٰ (السُّنَّة) هنا.

السنة يُراد بها العلم الموروث عن النبي عليه الصلاة والسلام في مسائل الاعتقاد؛ في المسائل الغيبية وما يتّصل بذلك من الوسائل وما يُحافَظ به علىٰ الأصول، فما دلَّت عليه الأدلة من كلام النبي ﷺ وكان عليه هديه فإنه السنة الماضية التي يجب اتِّباعها وترك ما خالفها؛ لأن المسائل العلمية في الغيبيات البيان فيها واضح وليست مجالًا للاختلاف وتنوع الآراء والأقوال.

ولهٰذا سمَّىٰ طائفة من العلماء من صنفوا في التوحيد سموا كتبهم السنة، وهي كثيرة جدا كالسنة لعبد الله بن الإمام أحمد، والسنة للخلال، والسنة لابن أبي عاصم، والسنة للطبراني، وكذلك السنة في كتب الحديث -يعني في أثناء الكتاب- قد يبوّب بعضهم بكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، أو السنة، أو ما أشبه ذلك.

فإذن يجمع السنة أنه هدي النبي ﷺ في العلم في هٰذا الموطن؛ في العلميات يعني فيما يعلم وما يعتقد فإن منهجنا اتِّباع السنة في ذلك وأن لا نخوض فيه بالعقليات.

**المسألة الثالثة**: (الْجَمَاعَة).

الجماعة تطلق إطلاقين:

تطلق الجماعة ويراد بها الجماعة في الدِّين، الجماعة في العلم بما أمر الله جل وعلا به أن يُعتقد، أو بتصديق الأخبار في الكتاب والسنة، وهٰذه الجماعة تكون في الدِّين، الجماعة في الدين؛ يعني الاجتماع علىٰ الدين الواحد.

والمعنىٰ الثاني للجماعة الجماعة في الأبدان أنْ يجتمعوا في أبدانهم وأنْ لا يكون بأسهم بينهم، وأن لا يتفرَّقوا في أبدانهم بأنواع التفرق.

مسائل الاعتقاد تجمع هذين الأصلين:

- تجمع الاجتماع في الدين.
- والاجتماع في الأبدان.

وكل المسائل التي تُذكر في مسائل العقيدة منها ما يرجع إلىٰ هٰذا، ومنها ما يرجع إلىٰ الثاني.

ثُم هٰذا اللفظ (السُّنَّة وَالْجَمَاعَة) صار عَلَمًا علىٰ ما كانت عليه الجماعة الأولىٰ وهم الصحابة رضوان الله عليهم، والذي عليه أئمة أهل الحديث والمحقِّقون من أهل الإسلام أن هٰذا اللفظ (أهل السنة والجماعة) إنما يدخل فيه أهل الحديث والأثر الذين لم ينحرفوا في مسائل الاعتقاد، وقد ذهب بعض الحنابلة من المتأخرين وبعض الأشاعرة وجماعات من الفقهاء إلىٰ أن لفظ (أهل السنة والجماعة) يشمل ثلاث طوائف:

- يشمل أهل الحديث والأثر.
- والأشاعرة.
- والماتريدية.

وممن صرَّح بذلك السَّفَّاريني في كتابه «لوامع الأنوار» وجماعة آخرون.

وهٰذا ليس بصحيح؛ لأن الأشاعرة والماتريدية خالفوا السنة والجماعة في مسائل كثيرة معلومة:

فهم في إثبات وجود الله جل وعلا خالفوا طريقة القرآن والسنة.

وفي تفسير (لا إلٰه إلا الله) خالفوا ما دلَّ عليه القرآن والسنة كما عليه السلف.

وفي إثبات الصفات خالفوا وقالوا: طريقة السلف أسلم وطريقتنا أعلم وأحكم. وجعلوا الصواب بين التأويل والتفويض:

وكـــل نـــص أوهـــم التشـــبيهَ أولـــه أو فـــوض ورم تنزيهَـــا

فالتأويل عندهم حق والتفويض حق وأما الإثبات فليس بحق.

وفي مسائل الإيمان خالفوا، وقالوا بالإرجاء، وعندهم الإيمان هو التصديق فقط دون الإقرار والعمل، وفي مسائل القدر هم جبرية متوسِّطة، وفي مسائل أخر خالفوا أيضا مما يضيق المقام عن ذكره.

فإذن من خالف في هٰذه الأصول العظيمة في الغيبيات والعقائد فإنَّ إدراجه في أهل السنة والجماعة وفي

الفرقة الناجية هٰذا ليس بواضح من جهة الدَّليل والاتباع.

ولهٰذا يدخلونهم في الفرق المخالفة للسنة والجماعة؛ لكن ينبغي أن يُعلم أن إطلاق السُّنّة قد يراد به ما يقابل الرَّافضة والشيعة والخوارج، فيدخل في إطلاق أهل السُّنَّة الأشعرية والماتريدية والمرجئة وجماعات لأجل مقابلهم بالفرق التي ضلالها عظيم.

في هٰذا من الأفضل؛ بل من المتعيَّن عند إطلاق (أهل السنة والجماعة) أن يُنتبه أن لا يكون شعارا يدخل فيه من ليس من أهل السنة والجماعة حتىٰ لا يضل الناس، ويكون مقتصرًا علىٰ من اعتقد الاعتقاد الحق، والباقون يمكن أن يقال عنهم أهل السنة؛ ولكن لا يوصفون بأهل السنة والجماعة؛ لأنهم فرَّقوا دينهم وكانوا شيعًا، ولم يقيموا الدين كما أمر الله جل وعلا؛ بل فرقوا في ذلك وأخذوا ببعض الكتاب وتركوا بعضًا، كما هو معلوم من تفاصيل أقوالهم.

**المسألة الرابعة**: قوله: (وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ).

**الاجتناب** هو الترك، ويريد بالتَّرك أن يتركه دينا وتعبُّدًا وتقرُّبًا إلىٰ الله جل وعلا لملازمته للسنة والجماعة.

**والشذوذ** هو الانفراد وقد جاء في حديث وفي إسناده ضعف «**ومن شذّ شذ في النار**» يعني من انفرد عن الجماعة التي وعدها الله جل وعلا بالجنة فإنه سينفرد عنهم أيضا في الآخرة في النار، هٰذا من جهة الوعيد، فمعنىٰ الشُّذوذ في العلم والعقيدة الإنفراد بأشياء ليس عليها الدَّليل ولم تكن عليها الجماعة الأولىٰ.

لهٰذا كان الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ وجماعة من أئمة السلف يقولون في مسائل العقائد: لا نتجاوز القرآن والحديث؛ لأنَّه إذا تجاوز المرء القرآن والحديث بمسائل الغيبيات والعقائد فإنه لا يؤمَن عليه الخلاف ولا يؤمن عليه أن ينفرد بآراء ليست مدلَّلًا عليها.

الشذوذ -يعني الانفراد-:

- قد يكون في أصل من الأصول.
- وقد يكون في فرع لأصل من أصول الاعتقاد.

فالشذوذ مرتبتان:

المرتبة الأولىٰ: أن ينفرد ويشذ في أصل من الأصول؛ يعني في الصفات، في الإيمان، في القدر، فهٰذا بانفراده في الأصل يخرج من الاسم العام المطلق لأهل السنة والجماعة.

المرتبة الثانية: أن يوافق في الأصول؛ لكن يخالف في فرع لأصل أو في فرد من أفراد ذلك الأصل؛ مثلا يؤمن بإثبات الصفات وإثبات استواء الرب جل جلاله علىٰ عرشه وبعلوّ الرب جل جلاله وبصفات الرَّحمٰن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لكن يقول بعض الصفات: أنا لا أثبتها، لا أثبت صفة السّاق لله جل وعلا، أو لا أثبت صفة الصورة لله جل وعلا، أو أثبت لله جل وعلا أعينا، أو أثبت لله جل وعلا كذا وكذا مما خالف به ما عليه الجماعة.

فهٰذا لا يكون تاركا لأهل السنة والجماعة؛ بل يكون غلط في ذلك وأخطأ ولا يُتَّبع علىٰ ما زل فيه بل يعرف علىٰ أنه أخطأ، والغالب أن هؤلاء متأوِّلون في الاتباع، وهٰذا كثير في المنتسبين للسنة والجماعة كالحافظ ابن خزيمة فيما ذكر في حديث الصُّورة، وكبعض الحنابلة حينما ذكروا أن العرش يخلو من الرَّحمٰن جل جلاله حين النزول، وكمن أثبت صفة الأضراس لله وأثبت صفة العضُد أو نحو ذلك مما لم يقرِّره أئمة الإسلام.

فإذن من شذّ في ذلك في هٰذه المرتبة، يقال: غلِطَ وخالف الصواب؛ ولكن لم يخالف أهل السنة والجماعة في أصولهم؛ بل في بعض أفراد أصل وهو متأوِّلٌ فيه، وهٰذا هو الذي عليه أئمة الإسلام فيما عاملوا به من خالف في أصل من الأصول في هٰذه المسائل، وكُتُب ابن تيمية بالذات طافحة لتقرير هٰذا لمن خالف في أصل أو خالف في مسألة فرعية ليست بأصل.

**المسألة الخامسة**: (الْخِلَاف) قال: (وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ)، والخلاف شرٌّ ومذموم في الشريعة، والخلاف يُطلق ويراد به الاختلاف أيضا كما قال جل وعلا: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾[هود]، فمدَحَ من لم يختلف وذمَّ من كان في اختلاف.

وأهل الاصطلاح يفرّقون بين الخلاف والاختلاف، وهٰذا ليس هٰذا مورده فإنّما في هٰذا الموضع هٰذا اختلاف والخلاف بمعنًىٰ واحد وهما شر، كما قال ابن مسعود: الخلاف شر. ﷺ وأرضاه.

والخلاف له صورتان:

- خلاف في العلميّات في العلم والعقيدة، وهٰذا البحث فيه كالبحث في الشذوذ والفرقة الآتي.
- والثاني الخلاف في العمليات؛ يعني ما يسمىٰ بالفروع.

والخلاف هٰذا الثاني في الفروع ليس مباحا أو مأذونا به دائما؛ بل قد يكون الخلاف مذموما ولو كان في الفروع، وذلك إذا كان سيترتّب عليه مفسدة في الناس أو افتراق أو إساءة ظن أو مخالفة لأئمة المسلمين.

ولهٰذا ابن مسعود ﷺ في قصته مع عثمان كان يقرّر ويذكر أن السنة أن يصلي أهل منىٰ في منىٰ ركعتين للرباعية وعثمان ﷺ صلىٰ الرباعية أربعًا وكان ابن مسعود يصلِّي معه أربعا، فقيل له: تقول السنة ركعتان وتصلي مع عثمان أربعًا؟ فقال: الخلاف شر.

هٰذا من عظيم فقهه ﷺ، مع أنه كان بينه وبين عثمان ﷺ خصومة، أو نوع خلاف واختلاف في مسألة عطائه، فكان يطلبه وعثمان لم يعطه عطاءه الذي كان يرىٰ ابن مسعود أنه له؛ لأن ابن مسعود بدري، وكان له في ذلك قول يجادل به عثمان معروف؛ لكن مع ذلك تخلّص من هوىٰ نفسه وقال: الخلاف شر.

فالخلاف -إذن- في الفروع في العمليات ليس دائما مأذونًا به أو لا يعاب صاحبه؛ بل قد يعاب إذا في الخلاف مفسدة وفرقة، أو الخلاف يساء به الظن أو يسدُّ أبوابًا من الخير ونحو ذلك.

والطحاوي هنا لا يريد تقرير هٰذا البحث الثاني، وإنما يريد أن الخلاف الذي هو بمعنىٰ الشذوذ والفرقة يجتنب ويحذر منه.

**المسألة الأخيرة السادسة**: الفُرقة هنا بمعنىٰ الافتراق، والفرقة أكثر النصوص في النهي عنها، والأمر

بالجماعة معه النهي علىٰ الفرقة وأنه لا يجتمع الناس إلا إذا انتهوا عن الافتراق والفرقة.

ولهٰذا كما قدمت لك بعض الآيات نهىٰ الله جل وعلا عن الافتراق فقال: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[آل عمران:١٠٣]، دلَّت هٰذه الجملة من الآية علىٰ أن النهي عن الفرقة هنا المقصود بها الفرقة في الأبدان.

ثم قال جل وعلا: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾[آل عمران:١٠٣]، وهٰذه الفُرْقَة في الدين، وهٰذا كما في قوله مثلا في سورة الشورىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾[الشورىٰ:١٣]، يعني في الدين.

فتحصل من هٰذا أن الأدلة دلت علىٰ أن الفُرقة قسمان:

- فُرقة في الأبدان
- وفُرقة في الدين

مقابلة للجماعة التي هي:

- جماعة في الدين.
- وجماعة في الأبدان.

وكذلك الفرقة فرقة في الدين وفرقة في الأبدان.

أما فرقة الدين: فتكون بانتحال الأهواء والأخذ بطريقة أهل الهوىٰ من الخوارج فمن بعدهم، وأعظم أهل الأهواء الخوارج يعني ممن خرج علىٰ الصحابة، ثم بعد ذلك إذا أن أتت الأقوال الكفرية عند الجهمية والحلولية إلىٰ آخره، هٰذا أعظم افتراق في الدّين، فإنّ الله جل وعلا جعل الدين واضحا لا لبْس فيها في أصوله وعقائده وفي قواعده العلمية لا لبس فيه، لهٰذا قال جل وعلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ (١) بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[الأنعام].

فإذن كل أنواع الافتراق التي حدثت إنما كانت لأجل الهوىٰ، ولذلك سمّوا أهل الأهواء.

هل وجود المتشابه في القرآن والسنة يعتبر سببًا في خروج أهل الأهواء؟

**الجواب** ليس كذلك؛ لأن الله جل وعلا بين أن أهل الأهواء في قلوبهم زيغ قبل أن ينظروا إلىٰ الأدلة، فقال جل وعلا: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾[آل عمران:٧]، قال سبحانه في أول الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ...﴾ فبين جل جلاله أن القرآن منه محكم ومنه متشابه، يعني يشتبه علىٰ المرء العلم به، ما الذي حصل؟ أن الذين في قلوبهم زيغ ابتدعوا قال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ﴾ فأثبت الزيغ في قلوبهم ثم وصفهم باتباع المتشابه.

فإذن المتشابه في الكتاب والسنة ابتلاء ليظهر أهل الأهواء من أهل السنة والجماعة، فحصول الهوىٰ

---

(١) انتهىٰ الشريط الخامس والثلاثون.

والزيغ في القلب ينتج عنه أن يبحث عمّا يؤيد به هواه ويؤيد به زيغه، وهٰذا ما نصت عليه الآية قال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ﴾ بالفاء الترتيبية.

ولهٰذا قال الأئمة: إنَّ أعظم ما أمر الله جل وعلا به الاجتماع، وأعظم ما نهىٰ الله جل وعلا عنه الافتراق؛ لأن حقيقة الاجتماع: اجتماع في الدين وفي الأبدان وبهما صلاح العباد، وأعظم المصائب الافتراق وبهما يحصل البلاء كله.

فالشرك فُرقة، والتوحيد جماعة.

والبدعة فُرقة، والسنة جماعة.

والعقائد الصحيحة جماعة، والعقائد الفاسدة فُرقة.

الاستدلال بالكتاب والسنة وصحة منهج التلقي جماعة، والاستدلال بالأهواء والعقول وما ألف المرء آباءه وأقوامه عليه فُرقة؛ لأنّه خالف المنهج الصحيح في الاستدلال.

الاجتماع مع جماعة المسلمين وأئمتهم جماعة، والافتراق وترك أئمة المسلمين وجماعتهم فُرقة.

وهكذا، فكل خير في الجماعة والسنة، وكل شر في الشذوذ والخلاف والفُرقة.

قال بعدها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: (وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانَةِ، وَنُبْغِضُ أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ) الحب والبغض من مسائل النفس التي يدخلها الهوىٰ، وقاعدة الشريعة والقرآن والسنة والصحابة أن العبد لا يكون حقيقة مستسلما حتىٰ يتخلّص من هواه، ومن الهوىٰ الذي يتخلص منه الهوىٰ في محبته والهوىٰ في بغضه ونستغفر الله ونتوب إليه، فمن أحب ما يحب الله جل وعلا ويحب رسوله ومن يحب الله جل وعلا ورسوله فقد تخلّص من هواه، ومن أبغض ما يحب الله جل وعلا ورسوله من الحق أو أبغض من يحبه الله ورسوله فلم يتخلّص من هواه؛ بل هواه هو الذي قاده إلىٰ ذلك، ولهٰذا كان من أعظم ما يتميز به أهل السنة والجماعة أئمة الحديث والأثر الذين تخلّصوا من أهوائهم أنهم أهل عدل في أقوالهم حتىٰ مع مخالفيهم، فيحبون أهل العدل؛ لأن الله يحبهم وكذلك رسوله ﷺ ويحبون أهل الأمانة؛ لأن الله جل وعلا يحبهم ورسوله ﷺ، ويبغضون أهل الجور والخيانة لأن الله جل وعلا ورسوله ﷺ يبغضهم؛ لأن الله يبغضهم ورسوله ﷺ يبغضهم.

فإذن أصل هٰذه الجملة أساسها أنَّ محبة المؤمن المتبع لعقيدة السلف وبُغضه يكون تبعا لنص الكتاب والسنة فيما يحبّ وفيما يبغض، كما قال جل وعلا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[النساء]، وفي الحديث «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعا لما جئت به» وهٰذا الإيمان الكامل هو الذي يتخلص فيه صاحبه من الهوىٰ.

وهاهنا مسائل قليلة:

**المسألة الأولى**: أهل العدل وأهل الجَوْر متقابلان، كما أنَّ أهل الأمانة وأهل الخيانة متقابلان؛ يعني هؤلاء يقابلون هؤلاء، هؤلاء ضد هؤلاء، هٰذا صنف وهٰذا صنف، ولا أعني بالتقابل والتضاد المصطلح الكلامي أو المنطقي فيه.

فمن هم أهل العدل؟ ومن هم أهل الجَوْر؟

العدل أمر الله جل وعلا به أمرًا مطلقًا فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[النحل:٩٠]، وقامت السَّمٰوات والأرض علىٰ العدل، ودينُه وأحكامه كلها عدل وخير للعباد في مآلهم وفي حاضرهم.

العدل الذي أمر الله جل وعلا به أن يُعطىٰ كل ذي حق حقه، أن تعطي الله جل وعلا حقه الذي أمرك به، وأن تعطي رسوله ﷺ حقه الذي أُمرت به، وأن تعطي الصحابة حقهم الذي أُمرت به، وأن تعطي المؤمنين حقهم الذي أمرت به، وهكذا في سائر أحكام في الشريعة، ولهٰذا قال بعض التابعين علىٰ هٰذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾، قال: أتت هٰذه الآية علىٰ جميع المأمورات؛ يعني في العلميات وفي العمليات؛ لأنَّ المأمور:

- إما أن يكون عدلًا في العلم والعمل.
- وإما أن يكون فضلًا في العمليات والعبادات وأنواع التعامل.

يقابله أهل الجوْر وهم أهل الظلم، والجوْر هو الحيْف وهو بمعنىٰ الظلم.

وأهل الظلم:

تارة يكون ظلمهم في حق الله جل وعلا.

وتارة يكون ظلمهم في حق النبي ﷺ.

وتارة يكون ظلمهم في حق العباد أو في حق أنفسهم.

فإذن هٰذه المحاب؛ محبة أهل العدل والأمانة وبغض أهل الجور والخيانة هٰذه تبع لمحبة الله جل وعلا ولبغضه، وأهل العدل يقابلون أهل الجور بهٰذا المعنىٰ.

إذا تبين هٰذا فإن المتقرر عند أهل السنة أن الله جل وعلا يحب ويبغض، وهما صفتان حقيقيتان علىٰ ما يليق بجلال الرب جل وعلا، لا يماثل في محبته وبغضه محبة العباد وبغضهم، تعالىٰ ربنا عن ذلك وتقدّس، والله جل وعلا يحبُّ العبد لما فيه من الصفات الحسنة -صفات الإيمان والعدل والطاعة-، ويُبغض العبد لما فيه من صفات الظلم والطغيان أو المعصية والمخالفة ونحو ذلك.

فإذن قرَّروا أنه يجتمع في حق المعين في صفات الله جل وعلا أنّ الله يحب العبد من جهة ويُبغضه من جهة، وهٰذا يخالف قول المبتدعة الذين قالوا: المحبَّة والبغض شيء واحد، الله جل وعلا يحب العبد الكافر حال كُفره إذا كان سيوافيه علىٰ الإيمان، ويُبغض العبد المؤمن الصالح حال إيمانه إذا كان سيوافيه حال الكفر.

وهٰذا هو المسألة الموسومة بمسألة الموفاة عندهم، وهي مسألة المحبة والبغض عندهم أزلي، فالله يحب من يحب مطلقا ويبغض من يبغض مطلقا، والمحبة عندهم مؤولة بإرادة الخير، والبغض عندهم مؤول بإرادة الخذلان.

إذا تبيَّن ذلك فإنَّ المؤمن فيما يحب من إخوانه المؤمنين يحبُّهم بقدر ما معهم من الإيمان والعدل والأمانة، ويبغض فيهم بقدر ما معهم من الجَوْر والظلم والخيانة، فالمؤمن تبع لمحبة الله جل وعلا ليس

عنده حب كامل أو بغض كامل؛ بل يحب بقدر الطاعة ويبغض بقدر المعصية، هٰذا من العدل حتىٰ في رغبات النَّفس وفي نوازع القلب.

فإذن يجتمع في المسلم العاصي الحب من جهة والبغض من جهة، ترىٰ حسناته فتسرُّك وتحبه، وترىٰ سيئاته فتسوؤك فتبغضه من هٰذه الجهة.

فإذن الحبُّ الكامل لأهل الكمال والبغض الكامل لأهل الكفر، والمؤمن الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا فإنه يُحَب من جهة ويبغَض من جهة.

وهٰذا أهل السنة والجماعة فيه تبع لما دلَّت عليه النصوص التي أوجبت موالاة المؤمن ما دام اسم الإيمان باقيًا عليه، والبراءة من الكافر ما دام اسم الكفر عَلَمًا عليه.

**المسألة الثَّانية**: الأمانة والخيانة متقابلان أيضًا، ويُعنىٰ بالأمانة هنا الوفاء بأمانة التكاليف التي عقد الله جل وعلا العهد من آدم عليها في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[الأحزاب]، وأصحُّ الأقوال في تفسير الأمانة هنا أنها أمانة التكاليف؛ يعني أن يقبل أنه يخاطَب بالأمر والنَّهي، وبعد ذلك الثواب والعقاب، والخيانة ضد الأمانة وهي عدم رعاية التَّكاليف، رجع الأمر إلىٰ أنّ حقيقة الأمانة في معناها الواسع يرجع إلىٰ التكاليف العقدية وإلىٰ التكاليف العملية، والخيانة ترجع إلىٰ التكاليف العقدية خان فيها وإلىٰ التكاليف العملية.

فالأمر -إذن- فيه نوع ترابط بمعناه الواسع مع العدل والجور، فأهل العدل والأمانة بالمعنىٰ الواسع يقبلون كطائفة أهل الجور والخيانة، هؤلاء يُحَبُّون وهؤلاء يُبغضون، ومن كان فيه عدل وأمانة وفيه جور وخيانة فإنه يحب من جهة ويبغض من جهة.

قال بعد ذلك رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (وَنَقُولُ: اللهُ أَعْلَمُ فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ.) نقول: يريدُ به أتباع الأئمة الأربعة وأتباع أهل الحديث والأثر فإنهم يمتثلون ما أمر الله جل وعلا به في أنهم لا يقولون علىٰ الله ما لا يعلمون، وأنهم لا يأتون ما لا يعلمون:

امتثالا لقوله جل جلاله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء].

وقال جل وعلا في بيان المحرّمات: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

فالقول علىٰ الله جل وعلا بلا علم محرم وهو قرين للكفر والشرك؛ لأنه ما حصل الشرك والكفر وعبادة غير الله جل وعلا إلا بالقول علىٰ الله بلا علم، ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام:١٤٨].

فإذن كل ضلال حصل إنما هو بالقول علىٰ الله جل وعلا بلا علم، فأهل السنة والجماعة أتباع الحديث والأثر فيهم تَخَلِّي عن أهوائهم وغلبة لأنفسهم وامتثال لأمر الله جل وعلا وأمر رسوله ﷺ، فيقولون: اللهُ أعلم فيما لا يعلمون، ولهٰذا جبريل عليه السَّلام في حديث جبريل سؤاله للنبي ﷺ الحديث المعروف السؤال عن الإسلام والإيمان إلىٰ آخره قال عمر رضي الله عنه في آخره لما سأله النبي ﷺ: «يا عمر أتدري

من السائل؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «هٰذا جبريل جاءكم يعلمكم أمر دينكم»، فالصحابة رضوان الله عليهم استعملوا هٰذا الأصل في عهده عليه الصلاة والسلام واستعمله العلماء والأئمة إلىٰ وقتنا الحاضر.

ونذكر مسألتين:

**المسألة الأُولى**: قول: (اللهُ أَعْلَمُ) أفعل التفضيل، هنا (أَعْلَمُ):

إما أن ترجع إلىٰ المتكلِّم يعني نقول: الله أعلم منا -أو مني- فيما اشتبه علينا علمه.

أو الله أعلم بحكم هٰذه المسألة من خلقِه.

فالأُولىٰ: فيها إرجاعٌ للمتكلم.

والثانية: فيها إرجاع إلىٰ الجميع.

وأفعل التفضيل هنا (أَعْلَمُ) ليس معناها اشتراك الجميع في العلم في هٰذه المسألة؛ لأن العبد إذا لم يعلم شيئا قال: الله أعلم، ولو أراد (مني) فلا يعني أن عنده علم قليل، ولهٰذا صار معنىٰ (الله أعلم) أي الله هو العالم بحكم هٰذه المسألة فأنا لا أعلم.

فقول: (الله ورسوله أعلم)، لم يذكرها هنا لأنه لا يقال الله ورسوله أعلم إلا في حياته عليه الصلاة والسلام، وأما بعد وفاته فلا يقال: إلا الله أعلم؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام انقطع عن دار التكليف ودار الوحي الذي هو العلم الذي ينزل به جبريل عليه السلام عليه.

**المسألة الثانية**: قوله: (فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ) الاشتباه يعني به ورود ما لا أعلم مطلقا أو فيما تعلم واشتبه عليك هل هو الصواب أم لا.

لهٰذا قال العلماء الاشتباه والمتشابهات المراد منها فيما جاء في النصوص ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[آل عمران:٧]، وهنا قال: (فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ) المراد بما اشتبه والمتشابهات المتشابه الإضافي النّسبي لمن قال هٰذه الكلمة.

وأما المتشابه المطلق فيما فيه تكليف علما أو عملا فإنه لا يوجد في الكتاب والسنة، فكل ما فيه تكليف من الكتاب أو السنة -تكليف بالأوامر والنواهي- في العلم أو في العمل فلا يكون مشتبها علىٰ الأمة كلها؛ بل قد يشتبه علىٰ البعض ويعلمه آخرون؛ لأنَّ الاشتباه الموجود نسبي إضافي بحسب علم العبد، لهٰذا قد يرد علىٰ العالم أو علىٰ من هو أقل علمًا أو علىٰ الإمام مسائل يشتبه عليه فيها العلم أو لا يعلمها أصلًا.

ترد عليه آية لا يعلم معناها أو مخرجها، فيسأل عنها، عمر ﷺ سأل عن آيات، أبو بكر ﷺ جاء عنه أنه قال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم. وعمر رُوي عنه نحو هٰذه الكلمة وسأل عن تفسير آيات وسئل، والصحابة لم يزل بينهم إرجاع في المسائل إلىٰ بعضهم بعضا، بعضهم يرجع إلىٰ بعض المسائل.

فإذن هٰذا أصل في أنّ المرء إذا لم يعلم يقول الله أعلم، ويحيل إلىٰ غيره ممن يعلم.

الاشتباه هنا كما ذكرتُ لك قد يكون اشتباها في الدليل، وقد يكون اشتباها في المدلول، في الدَّليل ما عرفت وجه الدليل أو المسألة لا تعرف دليلها أصلًا، ليس معنىٰ ذلك أنها ليست بحق؛ لأن علماء الأمة

يعلمون دليلها، أو يكون الدليل معك؛ لكن وجه الاستدلال يشتبه عليك، فلا تخض في كتاب الله تفسيرًا ببيان وجه استدلال وأنت ليس عندك علم به، وتقول الله أعلم هٰذا الدليل؛ لكن إيش وجه الاستدلال الله أعلم.

وهٰذا الإمام مالك يذكر عنه أنه سئل عن أربعين مسألة أو عن ثلاث وثلاثين مسألة فأجاب عن أربع والبقية قال: الله أعلم لا أدري. وهٰذا من عظيم تعظيمهم لله جل وعلا وأن يقولوا في دين الله ما لا يعلمون.

وهٰذا في الحقيقة القاعدة هٰذه أو هٰذا الأصل تحتاجه كثيرا في النقاش؛ لأن المرء إذا ناقش غيره قد يأتيه الشيطان، ويقول: أنت تعلم كل شيء، فيترك لا أعلم ويترك الله أعلم ويترك لا أدري فيقع ويأثم.

وهدي أهل السنة والجماعة التواضع في العلم كما أنه التواضع لله جل وعلا في العلم والعمل.

لهٰذا قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: إن للعلم طغيانا كطغيان المال. والله جل وعلا وصف أهل المال بقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾[العلق]، كذلك المرء قد يزداد عنده العلم حتىٰ تكسبه تلك الزيادة طغيانا فيتعدىٰ علىٰ غيره، ولا يسلك مع الناس سبيل الشّرع في العدل في اللفظ وحمل أقوالهم ونحو ذلك مما يجب علىٰ المرء أن يعدل فيه؛ لأن من أراد أن يقيّم الأقوال فهو قاض، والقاضي يجب عليه أن يحكم بالعدل لا أن يحكم بالهوىٰ ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦].

والمرء إذا أخطأ الله أعلم جاءه كل غلط تأتيه الآراء الخطأ يقتنع بها ويؤيدها ويتعصّب لها، ثم يحصل فساد من أقواله؛ لكن إذا عوّد نفسه أن يمتثل هٰذا الأصل وهو ما يعلم ويقول: الله أعلم، فتحت لقلبه أنوار من العلم، ثم إذا علم العلم ثبت عنده بإذن الله تعالىٰ، تواضع لله جل وعلا، ومن تواضع لله جل علا رفعه.

هٰذه بعض الكلمات علىٰ هٰذا الأصل.

أسأل الله جل وعلا أن يوفقني وإياكم لما فيه رضاه، وأن يغفر لأئمتنا الذين ورثونا هٰذا العلم النافع، وأن يجمعنا بهم في دار كرامته وأن يوردنا حوض نبيه، إنه سبحانه أكرم مسؤول جواد غفور رحيم.

اللّٰهمَّ فجد علينا واغفر جما. وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

نبهنا الإخوة قبل نرغب أن تكون الدروس يومية هٰذا الأسبوع كل يوم بعد صلاة المغرب، يكون الدرس حتىٰ نكمل أو نمضي في هٰذا الكتاب إن شاء الله تعالىٰ قبل نهاية هٰذا الفصل، غدا بعد المغرب بعد غد الثلاثاء والأربعاء إن شاء الله.

[الأسئلة]

سؤال (٤١٥): يقول ذكرت أن لفظ (أهل السنة والجماعة) صار عَلَمًا علىٰ من اقتدىٰ بالصحابة، وذكرت أن هٰذا اللفظ يراد به أهل الحديث والأثر، ألا ترىٰ أن هٰذه الألفاظ محدثة ليست علىٰ نهج الله، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[الحج:٧٨]، فلماذا لا نلتزم بهٰذا المصطلح القرآني حتىٰ وإن صار علما علىٰ طائفة معينة؟ فلماذا لا نلتزم به ونترك غيرها من المصطلحات الحادثة؟ وجزاكم الله

خيرا.

**الجواب**: أولا قبل الدخول في الجواب استعمال لفظ (المصطلح القرآني) هٰذا استعمال حادث، والأخ عنده يعني رغبة في الاتباع، لفظ المصطلح القرآني أو المصطلحات القرآنية هٰذه من الألفاظ الحادثة التي مرت قرون الإسلام ولا تعرف هٰذا اللفظ، وهٰذا لأن كلمة (المصطلح) تعني اصطلاح، والاصطلاح هو أن يكون هناك من اصطلح مع غيره علىٰ هٰذه التسمية.

والله جل وعلا أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فإذن العلماء يقولون: الدِّلالات القرآنية الألفاظ القرآنية المعاني الآيات، ونحو ذلك مما هو مستعمل عند السلف.

أما ما جرىٰ السؤال عليه، فالتأصيل الذي ذكره صحيح، والتطبيق قاصر.

أما التأصيل فهو صواب؛ لأنه لا يُحدَث ألفاظ وأسماء يجمع الناس عليها ويتعصبون لها، وهي ليست من الألفاظ الشّرعية؛ لأن هٰذا نوع من الفُرقة والخلاف والافتراق.

ولهٰذا قال العلماء: الله جل وعلا سمّىٰ أتباع محمد عليه الصلاة والسلام مسلمين ومؤمنين، وسمىٰ منهم المهاجرين، وسمىٰ منهم الأنصار، وسمىٰ منهم الأعراب، وسمىٰ منهم إلىٰ آخره، وهٰذه التسميات لأجل مجيئها في القرآن فهي شرعية، وهٰذه التسميات الشرعية إذا تُعُصِّب لها مع أنها شرعية صارت مذمومة حاشا اسم الإيمان والإسلام.

لهٰذا لما قام رجل من المهاجرين لأجل خلاف وقال: يا للمهاجرين. ينتخي بهم، وقام غلام من الأنصار وقال: يا للأنصار. ينتخي بهم وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**أبدعوىٰ الجاهلية وأنا بين أظهركم**» لم؟ لأن النخوة هنا والتعصُّب صار لطائفة من المؤمنين وللفظ ليس هو لفظ الإسلام والإيمان أو المسلمين والمؤمنين، صار هٰذا محدِثًا للتفرق، ولهٰذا قال: (أبدعوىٰ الجاهلية)؛ لأن الجاهلية هم الذين ينتخون ويتعصبون للأسماء دون بينة.

فكذلك الأسماء المحدثة في الأمة إذا تُعُصِّب لها دون غيرها فإنه يكون ذلك مردودًا علىٰ أصحابه، مثلا اسم الحنابلة، اسم الشافعية، اسم المالكية، اسم السعوديين، اسم المصريين، اسم الشرقيين، المغاربة، الشُّوام.. إلىٰ آخره، هٰذه أسماء إذا كانت في الأمة لأجل التعريف فإن هٰذا الأمر فيه واسع؛ لكن إن كان ثم تعصب عليها وذم لما خالفها لأجل الاسم هل يمدح الشافعية لأجل أنهم شافعية، أو يذم الحنابلة لأنهم ليسوا بشافعية، أو العكس فإنّ هٰذا من التعصُّب المذموم، وهو من التفرق والأخذ بالشِّعارات أو الأسماء التي لم يدلَّ عليها الدليل.

إذا تبيَّن هٰذا الأصل وهو ما ذكره السائل جزاه الله خيرا في سؤاله، فإن لفظ السنة والجماعة لفظان شرعيان قد ثبتا عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**عليكم بسنَّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»، وسنته هي سنته، وسنة الخلفاء الراشدين هي ما كان عليه الجماعة في وقت الخلفاء الرَّاشدين، وفي الجماعة قال عليه الصلاة والسلام في الفرق: «**كلها في النار إلا واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**هي الجماعة**»، الله جل وعلا أمر باتِّباع نبيه عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر:٧]، مطلقا في كل مسألة ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر:٧]، مطلقا في كل مسألة يعني الأخذ بالسنة.

فإذن الأصل في اتباع السنة واتباع الجماعة والتميز والثناء علىٰ اتباع السنة والثناء علىٰ الالتزام بالجماعة، هٰذا الأصل موجود في النُّصوص.

جاء في زمن الصحابة في أواخره في عهد عثمان، في عهد علي ﷺ بدأ خروج أهل الأهواء، وأهل الأهواء وهم الخوارج مثلا في أول الأمر ثم الشيعة ثم المرجئة ثم القدرية، هؤلاء أهل الأهواء صارت لهم هٰذه الأسماء وهم مسلمون لا نكفرهم؛ لكن ليسوا آخذين بكل الحق فصار الاسم الذي سُمّوا به عَلَمًا لهم علىٰ ترك بعض الحق والافتراق.

فإذن تبقىٰ الطائفة الأولىٰ التي كانت مواصلة للمأمور به من السنة والجماعة يبقون يقابَلون، إن قلنا هؤلاء -أعني من مشىٰ علىٰ الطريق ولزم السنة والجماعة- هؤلاء هم المسلمون، فماذا نسمي الآخرين؟ نقول: هؤلاء هم المسلمين أيضا، إذن لم يصرْ فرقا بين السنة والبدعة وما بين الاتباع والمخالفة ولا بين الخارجي والصحابي.

فإذن لزم الفرق، واسم الإسلام من ورع الصحابة ﷺ وعدلهم أنَّ الذين قاتلوهم وضللوهم لم يخرجوهم من الإسلام؛ بل أبقوا عليهم اسم الإسلام واسم الإيمان؛ لكن من كان علىٰ وفق ما كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين تميَّزوا بالاسم الذي هو الاسم الأصلي وهو أنهم أهل السنة وأهل الجماعة، ولا يصح أن يقال: إنهم مسلمون فقط؛ لأنه إن قيل: إنهم مسلمون فغيرهم أيضا مسلمون، وهٰذا التخصيص لهم هو في الأصل مطابقٌ لقولهم مسلم، وفي عهد النبي ﷺ المسلم يقابل المنافق، المؤمن يقابل المنافق، والمسلم هم أهل السنة والجماعة، فلم يكن ثَم فرق في عهده عليه الصلاة والسلام، ولا في عهد أبي بكر ولا في عهد عمر ما بين المسلم وما بين أهل السنة والجماعة؛ الدلالة واحدة، مسلم مؤمن أهل السنة والجماعة الكل واحد لا فرق.

متىٰ ظهر الاعتناء بأهل السنة والجماعة؟ لما ظهر الاختلاف.

والاعتناء بالاسم تمييزًا ليس ثناء فقط لمن اتَّبع للسنة والجماعة؛ ولكن هو أيضا عدل مع من خالف؛ لأن الذي خالف لو قلنا: هؤلاء مسلمون لقلنا هؤلاء كفار، كيف تخصُّون أنفسكم بالمسلمين والآخرون؟

فإذن صار عند السلف من كان علىٰ الطريقة الأولىٰ أهل السنة والجماعة ومن كان مخالفا يقال له: أهل الأهواء المرجئة الخوارج إلىٰ آخر ذلك.

ولهٰذا أجمع أئمة الإسلام علىٰ صحة هٰذه التسمية من أهل الحديث؛ بل ومن غيرهم من الأشاعرة والماتريدية علىٰ أن تسمية أهل السنة والجماعة صحيحة، وهٰذا اتِّفاق منهم علىٰ ذلك، والتسمية صحيحة مجمع عليها؛ لكن دلالتها مختلفٌ فيها، والاختلاف في الدلالة لم يرد له ذكر في السؤال، إنما كان السؤال في إحداث الاسم فإيضاحه بما مر. والله الموفق.

سؤال (٤١٦): منهم النُّزّاع من القبائل هل هو الرجل الذي يخرج من قبيلة إلىٰ قبيلة أخرىٰ؟

الجواب: لا، يعني القليل، النزاع من القبائل يعني القليل منهم.

سؤال (٤١٧): هل لصلاة المغرب سنة قبلية ثُم هل تقضىٰ إذا فاتت؟

الجواب: صلاة المغرب ليس له سنة قبلية بمعنىٰ سنة راتبة؛ لكن من أتىٰ وصلىٰ قبل المغرب، فالصلاة قبل المغرب سنة ومستحب لكن ليست راتبة، النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن يلازم ركعتين قبل المغرب، والصحابة رضوان الله عليهم حثهم عليها عليه الصلاة والسلام بقوله «صَلّوا قَبْلَ المَغْرِبِ، صَلّوا قَبْلَ المَغْرِبِ، صَلّوا قَبْلَ المَغْرِبِ لِمَنْ شَاء» رواه البخاري وغيره، فالسنة قبل المغرب الركعتين من أتىٰ مبكرا يعني قبل الإقامة هٰذه مستحبة في حقه وكان الصحابة رضوان الله عليهم يبتدرون السواري؛ يعني قبل الإقامة لأجل ضيق الوقت ما بين الأذان والإقامة في المغرب لأجل صلاة تلك الركعتين؛ لكن ليست راتبة فالرواتب عشر أو ثنتا عشرة ركعة.

سؤال (٤١٨): ما يجده المسلم من ميل ومحبة للكافر إذا أحسن إليه كالطبيب الدكتور فهل يؤثر علىٰ الولاء والبراء، وكذلك محبة الزوج المسلم لزوجته الكتابية، فهل يؤثر علىٰ الولاء والبراء علما أنه لو أبغضها لما تزوجها؟

الجواب: الحب هنا ليس مطلقا، ما أحب الكافر مطلقا ولا أحب الكتابية مطلقا، وإنما أحب ذاك لأجل النفع الذي وصل إليه منه، وهٰذا محبة في الواقع لنفسه لأمر دنيوي، ولهٰذا ذكر العلماء أن محبة الرجل لزوجه الكتابية لا بأس به؛ لأنه كما ذكر لو لم يحبها أو يكون لها مودة في قلبه لما أبقاها معه.

لكن المحبة التي هي الولاء والبراء في الحقيقة الولاء والبراء هي المحبة والبغض:

المحبة لدينه ومن أحب الكافر لدينه فإنه يكفر.

أو المحبة لدنياه مطلقا وهٰذه مُوادة له لا تجوز ونوع موالاة.

والثالث محبة مقيدة لأجل النفع المقيد الحاصل له منه فهٰذه فيها سعة لأجل أنّ النفوس جبلت علىٰ حب من أحسن إليهم.

والذي ينبغي من صفات الكمال أن يكون تعامل المرء مع الكفار تعاملا ظاهريا بالعدل ولا يكون في قلبه ميل لهم ولا مودة لهم، وإنما إذا أحسنوا إليه فإنه يحسن إليهم.

استدل أهل العلم[1] علىٰ هٰذه الصورة الثالثة أظنه حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما وكانت أمها مشركة وقدمت عليهم في المدينة، فسألت النبي ﷺ عن أمها قالت: أَأَصِلُ أمي؟ قال: «نعم صِلِي أمك» والصلة المراد بها في هٰذا الحديث أنها تقيمها إكرام الولد لوالده إذا قدم عليه، وهٰذا الإكرام لا يخلو؛ بل لابد فيه من مودة.

والاستدلال الثاني -وهو استدلال ضمني- بأن الله جل وعلا نهىٰ عن الإحسان إلىٰ المحاربين وأذن بالصلة والإحسان لمن لم يحارب من الكفار فقال جل وعلا: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾[الممتحنة].

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط السادس والثلاثين.

## الدرس الرابع والثلاثون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

وَنَرَىٰ الْمَسْحَ عَلَىٰ الْخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ.

وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلَا يَنْقُضُهُمَا.

وَنُؤْمِنُ بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ.

وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ، الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ.

---

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

اللّٰهمَّ نسألك العلم النافع والعمل الصالح والمغفرة للذنوب والقَبول للعمل.

اللّٰهمَّ لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين، ووفقنا إلىٰ ما تحب وترضىٰ، إنك جواد كريم.

أما بعد..

فيقول العلامة الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَنَرَىٰ الْمَسْحَ عَلَىٰ الْخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ.) يريد بذلك أنّ أهل السنة والجماعة المتَّبعين للآثار لا يعارضون الآثار الثابتة عن رسول الله ﷺ وعن صحابته الكرام بالأقيسة أو بالدِّلالات العقلية، وإنما يجعلونها مقدَّمة علىٰ ما هو دونها من القياس والدلالة العقلية ونحو ذلك؛ لأن منهج الاستدلال عندهم أنْ يؤخذ بما جاء في الكتاب والحديث عن النبي ﷺ، وما جاء به القرآن حق وما جاءت به السنة حق والحق يعضد الحق ولا يعارضه أو يناقضه؛ بل هٰذا يدل علىٰ هٰذا كما السنة تدل علىٰ القرآن وتبينه.

وهٰذه المسألة كما هو ظاهر مسألة المسح علىٰ الخفين هي من مسائل الفقه لا من مسائل العقيدة؛ ولكن أُدخلت في مسائل الاعتقاد لأجل أن أهل السنة تميَّزوا عن عدد من الفرق بأنهم يرون المسح علىٰ الخفين، والمخالف في ذلك هم الخوارج -أعني طائفة منهم- والرافضة وعدد من الناس مختلفون في أماكنهم لا ينسبون إلىٰ فرقة من الفرق.

ولأجل مخالفة تلك الفرق صارت المسألة من المسائل العقدية؛ لأنها تميّز أهل العقيدة الحقة من الفرق الباطلة، فصارت هٰذه المسألة -وهي المسح علىٰ الخفين- علما يُفَرَّق به ما بين السني وما بين الرافضي والخارجي ونحوهما.

ولهٰذا فإنَّ مسائل الاعتقاد أعني المسائل التي تُذكر في العقيدة في مصنفات أهل السنة في الماضي وفي الحاضر علىٰ أقسام منها:

- ما هو في بيان الأركان الستة.
- والقسم الثاني: ما تميَّز به أهل السُّنّة عن غيرهم في مسائل المعاملة؛ معاملة ولاة الأمر أو معاملة المبتدع أو معاملة العصاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو التعامل مع صحابة رسول الله ﷺ

وزوجاته عليه الصلاة والسلام وهكذا.

◆ القسم الثالث: ما هو من المسائل الفُروعية لكن القول بها صار علما لأهل السنة في مقابلة بعض فرق الضلال، وتذكر في العقائد؛ لأنها ميزة لهم في مقابلة الفرق التي خالفت في ذلك.

◆ والقسم الرابع: أخلاق أهل السنة وصفاتهم التي تحلّوا بها من العبادة واحتقار النفس والعمل الصالح والأمر والجهاد والدعوة والإحسان إلىٰ الخلق والتواضع ونحو ذلك من المسائل التي ربما ذكرها بعض الأئمة في مصنفات الاعتقاد.

وهٰذه المسألة التي ذكرها الطحاوي هنا من القسم الثالث وهي المسائل الفروعية التي صارت عَلَما علىٰ أهل السنة في مقابلة بعض الفرق الضالة.

وهاهنا مسائل:

**المسألة الأولى**: قوله: (وَنَرَىٰ الْمَسْحَ عَلَىٰ الْخُفَّيْنِ)، كلمة أرىٰ ونَرَىٰ إذا قالها العلم فيعني بها ما رآه علمًا وما رآه شرعا، ليست رأيه المجرَّد عن الدليل بأنواع الأدلة، وهٰذا هو الموافق لهٰذه المسألة ولغيرها، فإذا قال الإمام: أرىٰ أن يكون كذا فيكون معتمدًا علىٰ أحد الأدلة، وأنواع الأدلة عند **الأصوليِّين ثلاثة عشر دليلا منها** وهو أولها النص من القرآن، والنص من السنة، ثم الإجماع ثم القياس إلىٰ آخر الأدلة المعروفة.

والذي يرىٰ هنا المقصود بهم أهل السنة، وهؤلاء منهم أهل الأثر، ومنهم بعض الفِرَق التي تخالف في الصفات، هٰذه المسألة -كما ذكرتُ لك- خالف فيها الرَّوافض والخوارج وعدد من العلماء أو من الناس مختلفين في فرقهم.

**المسألة الثانية**: (الْمَسْح عَلَىٰ الْخُفَّيْنِ) جاء في الأثر عن النبيِّ ﷺ، وهو متواتر لأنه منقولٌ عن نحو ثمانين من الصحابة رضوان الله عليهم، فنقْله من حيث الدّليل والسنة متواتر، وكذلك نقلَه فئام من الأمّة؛ بل نقلته الأمة جيلًا بعد جيل بالرؤية وبالعمل، فهو متواترٌ نقلا ومتواتر عملا.

وأما المسح علىٰ **الجوارب** فليس كذلك؛ لأنه نقل علىٰ نحو سبعة أو ثمانية من الصحابة أو أكثر بقليل، ولهٰذا المسح علىٰ الجوربين فيه خلاف عند أهل السنة بالخلاف الفقهي المعروف.

أما المسح علىٰ الخفين فهو أصل من الأصول العظيمة في العمل؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام تواتر عنه المسح وفعله صحابته وتواتر عنه ونقلوه نقلا قوليا وعمليا.

والآثار فيها مسحه عليه الصلاة والسلام علىٰ الخفين في أسفاره وفي الحضر أيضا، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**يمسح المقيم يوما وليلة، ويمسح المسافر ثلاثة أيام بلياليهن**»، فهٰذا معنىٰ قوله في السفر والحضر؛ لأن السنة ماضية في هٰذا وفي هٰذا.

**الثالثة**: مما أُسْتُدِلَّ به علىٰ المسح علىٰ الخفين من القرآن قوله جل وعلا في آية الوضوء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾[المائدة:٦]، أُستدل به علىٰ أن المسح هنا -مسح الأرجل- يراد به المسح علىٰ الخفين، والقراءة هكذا بالجر هي أحد القراءتين السبعيتين، هاهنا قراءتان:

- القراءة الأولىٰ ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بنصب الأرجل عطفا علىٰ المغسولات.
- والثانية ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾ عطفا علىٰ الرأس عند أصحاب هٰذا القول؛ يعني تكون مجرورة.

وهٰذا الاستدلال فيه نظر، وإن كان محلّه كتب الفقه؛ لكن من باب الاستطراد نذكره، فيه نظر لأن المسح علىٰ الخفين لا يكون إلىٰ الكعبين، وإنما يمسح ظاهر الخف علىٰ ظاهر القدم، وليست السنة أن تستوعب الرجل مسحا إلىٰ الكعبين، ولهٰذا صار القول الظاهر في الآية علىٰ قراءة الجر أن لها توجيهين:

الأول: أن يكون هٰذا الجر لأجل المجاورة، والجر بالمجاورة أسلوب عربي معروف كثير الاستعمال، ومنه قول الله جل وعلا: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦﴾[هود]، مع أن الألم وصف للعذاب، وأما اليوم فهو ظرف ولا يوصف اليوم بأنه مؤلم أو ليس بمؤلم، ولهٰذا صار الظاهر هنا في هٰذه الآية أن معناها إني أخاف عليكم عذاب يوم أليما..... لأجل المجاورة فهي أسهل في اللفظ ولأجل الختام قال: ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦﴾ وأما في.....معروف ومنه قول الشاعر:

فظلّ طُهاة اللحم ما بين منضج ... خفيفَ شواء أو قديرٍ معجل

(ما بين منضج خفيف شواء)؛ لأنه مفعول لاسم الفاعل (خفيف شواء) فجر شواء لأنه مضاف إليه ثم قال: (أو قدير) مع أن حقها أن يقول: (أو قديرا) لأنها معطوفة علىٰ ما ينضج لكنه جرها للمجاورة.

الوجه الثاني: أن قراءة الجر إذا كانت معطوفة علىٰ الرأس فإنه يكون المسح هنا بأن العطف في مقام تسليط الفعل الأول علىٰ الجملة الثانية أو علىٰ الاسم الثاني، فكأنه قال: وامسحوا برؤوسكم وامسحوا بأرجلكم إلىٰ الكعبين، والمسح هنا لما جَعل له غاية وهي أنه إلىٰ الكعبين دل علىٰ دخول الكعبين في المسح، وهٰذا يدل علىٰ أن المسح المراد به هنا الغسل الخفيف؛ لأن العرب تطلق علىٰ الغسل مسحا لأنه إمرار خفيف وهو موجود في اللغة، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾[ص:٣٣] يعني مر عليها قتلا علىٰ خفة، فالمسح يكون بمرور علىٰ خفة في المسح الذي هو من الغسل هو غسل خفيف وهو مستعملٌ عندهم حيث يقولون مثلا تَمَسَّحْتُ للصلاة إذا أراد أن يكون وضوؤه خفيفا.

**المسألة الرابعة**: قراءة الجر هٰذه أبعد أن تكون دليلًا علىٰ المسح علىٰ الخفين؛ قيل: إنها دليل علىٰ إبطال المسح علىٰ الخفين، وهٰذا هو الذي يتوجّه إليه من يتكلم علىٰ الآية وذكره عندكم الشارح والرّد بأوجه أن يكون للوجهين السالفين.

قال بعدها: (وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلَا يَنْقُضُهُمَا) يريد بذلك رَحِمَهُ اللَّهُ تقرير مسألة من المسائل الفقهية التي صار القول بها عَلَما علىٰ أهل السنة مخالفة للروافض والخوارج أيضا، وهي أنّ الإمارة والوِلاية يُمضىٰ مع أهلها -يعني مع الأمير أو ولي الأمر- في الطاعة والمعروف والحج والجهاد والعبادات جميعا، سواءٌ أكان برا أو فاجرا، وسواء أكان مطيعا أم عاصيا، وسواء أكان كاملا كالخلفاء الراشدين أم كان يخلط عملا صالحا وآخر سيئا كغيرهم.

وذلك لأن الحج عبادة عظيمة يجتمع فيها الخلق الكثير فلابد أن تقام عبادة لله جل وعلا، ثم لابد أن يكون فيها ولها أمير يسيّر الناس وإلا لكانوا فوضىٰ فيما يرون؛ لأن أهواء الناس لا حد لها ولا غاية لها.

والجهاد فيه مقابلة الأعداء والنكاية بهم وإذلال العدو، وهٰذا لا يكون إلا بولاية، والولاية هي التي تسيّر هٰذا الأصل، وبر ولي الأمر أو عدم بره صلاحه أم فساده هٰذا يرجع إلىٰ نفسه، وهٰذه الأمور أمور العبادات من المعروف التي يجب علىٰ المسلم أن يطيع فيه، ومن البر والتقوىٰ التي يجب أن يتعاون مع ولاة الأمر فيه، كما قال جل وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[المائدة:٢]، خطاب لجميع المؤمنين بجميع طبقاتهم.

ونذكر بعض المسائل:

**الأولىٰ**: أنّ المخالف في هٰذا الأصل هم الروافض والخوارج أو من شابه الخوارج.

أما **الروافض** فامتنعوا من الحج والجهاد مطلقا حتىٰ يخرج المعصوم؛ وهو الإمام الثاني عشر من أئمتهم وهو المدعو محمد بن عبد الله العسكري الذي يزعمون أنه دخل السرداب وكان صغيرا دخلت به أمه وهم ينتظرون خروجه، فلم يحجوا، أو رأوا أن الحج غير قائم لا يرونه إلا مع معصوم، وكذلك الجهاد لا يرونه إلا مع معصوم.

وليتهم أخذوا بهٰذا وانتظروا خروجه ولم يُشغلوا المسلمين ببدعهم وفتنتهم.

أما **الخوارج** فعندهم أن هٰذه الأعمال إنما هي تبع للوِلاية، والوِلاية عندهم لا تصلح في من لم يكن برا فلا بد أن يكون الإمام برا صالحا تقيا كاملا حتىٰ يجاهد معه وحتىٰ يحج معه، وإلا نصّبوا لهم أميرا وصاروا يجاهدون معه ويحجون معه ولا يدينون بدين الجماعة، وهٰذا ظهر منهم في خلافهم لعثمان ﷺ ثم وفي خلافهم لعلي ﷺ ثم في قتالهم لخلفاء بني أمية إلىٰ آخره.

وممن يشبه الخوراج في ذلك من لم ير الطاعة -الطاعة في الحج والجهاد وما فيه مصلحة عامة للمسلمين وما هو من البر والتقوىٰ والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- إلا مع الإمام الصالح الذي ليس عنده فساد أو ليس عنده محرمات، وهٰذا قول يُلحق بأقوال الخوارج؛ لأن الحج والجهاد وكل أنواع المعروف أوجب النبي ﷺ الطاعة فيها فقال: «**إنما الطاعة في المعروف**» والمعروف هو ما عرف في الشرع أنه ليس بمعصية وأعلاه الطاعة التي يتقرب بها إلىٰ الله جل وعلا.

**المسألة الثانية**: قوله: (إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ) هٰذا المقصود منه إلىٰ قرب قيام الساعة؛ يعني إذا كان يوجد ولي أمر مسلم وجماعة وإمام وأناس يحجون ويجاهدون، الذي دلت عليه الأحاديث أنه يترك ذلك قبل قيام الساعة ولا يبقىٰ في الأرض من يقول الله الله؛ يعني أطع الله أطع الله أو اتق الله اتق الله، وهٰذا كثير عند أهل العلم حتىٰ في العقائد يذكرون إلىٰ قيام الساعة، ويريدون به ما يقرب منها وهو زمن وجود المؤمنين.

**المسألة الثالثة والأخيرة**: قوله: (لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلَا يَنْقُضُهُمَا) يعني لا يبطل الحج شيء من معصية الولاة ولا ينقض الحج والجهاد مع ولاة الأمر شيء من فجورهم أو نقصهم؛ لأن هٰذه من العبادات العظيمة فلا تبطل بمخالفة المرء علىٰ نفسه؛ بل يجب القيام بها الحج مع المسلمين والجهاد مع المؤمنين بأمر عام.

وهٰذا الأصل الذي ذُكِر -تذكرونها في أول الكلام- هٰذا مضىٰ عليه هدي الصحابة رضوان الله عليهم،

فقد حجّ عدد من الصحابة أو حج الصحابة مع عهد بعض ولاة بني أمية وكان فيهم من النقص ما فيهم؛ بل أُمِّر الحجاج بن يوسف الثقفي علىٰ الحجيج من قبل والي بني أمية -والحجاج معروف بسفكه للدماء وظلمه وعدوانه وعدم رعايته للعلماء ولا لنفوس المؤمنين- مع ذلك أُمِّر علىٰ الحج، وكان عالم الحج ابن عمر ﷺ؛ لأنه كان هدي السلف أن يكون ثَم أمير وثَم عالم يفتي الناس، فكان ابن عمر هو الذي يُفتي الناس، وكان قيل للحجاج لا تعمل شيئا من أمور الحج إلا بأمر ابن عمر؛ يعني في مناسك الحج، فحجّ معه ابن عمر وصلىٰ وراءه في يوم عرفة أتاه عند زوال الشمس وقال: أُخرج، قال: أفي هٰذه الساعة يا أبا عبد الرَّحمٰن؟ قال: نعم سنة أبو القاسم عليه الصلاة والسلام، فخرج فخطب الناس ثم صلىٰ بهم الظهر والعصر، وكان ممن صلىٰ خلفه ابن عمر وطوائف من الصحابة وسادات التابعين.

فهٰذا الأصل كثير عند السلف كانوا يفعلونه، وتلقَّوه جيلا بعد جيل في مُضِيِّ الحج والجهاد مع ولاة الأمر مهما كانت مرتبتهم؛ لأنّ ذلك فيه إعلام للدين وإعانة علىٰ الحق والهدىٰ.

قال بعدها: (وَنُؤْمِنُ بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ.) نؤمن أي نصدّق ونعتقد وجود الكرام الكاتبين كما أخبرنا ربنا جل وعلا بذلك وهم الملائكة الذين كرّمهم الله جل وعلا بأنواع التكريم، وجعلهم موكَّلين بابن آدم يكتبون عمله؛ ما يصدر منه من قول أو عمل.

فهؤلاء الذين يقارنوننا من الكتبة نؤمن بهم؛ لأن الله جل وعلا أخبرنا عنهم وأخبرنا نبينا محمد ﷺ.

وهٰذا فرع للإيمان بموجود الملائكة أصلا، فهٰذا تبع لركن من أركان الإيمان وهو الإيمان بالملائكة، وقد مرّ معنا أن الإيمان بالملائكة له درجتان:

الدرجة الأولىٰ: إيمان واجب وفرض إجمالي وتفصيلي.

والثانية: إيمان بما أخبر الله جل وعلا مطلقا ما علمنا وما لم نعلم، وما جاء بالسنة ما علمنا وما لم نعلم، وكل من بلغه شيء وجب عليه الإيمان به.

فالإيمان بالكرام الكاتبين ليس شرطا في صحة الإيمان، ليس ركنا في صحة الإيمان بحيث إن من قال: ليس ثم من يكتب من الملائكة، فيقال: إنه لم يصح إيمانه بل هو كافر، إلا إذا عُرِّف بالآيات والأحاديث فأنكر؛ فهنا له حكم أمثاله من المنكرين ما في الكتاب أو السنة، فإنما الإيمان الذي يتحقق به ركن الإيمان بالملائكة كما ذكرنا لكم، هو أن يؤمن بوجودهم وأنَّهم يعبدون الله لا يُعبدون.

ثم الإيمان التَّفصيلي كلٌّ من سمع آية أو حديثًا صحيحًا واضحا في الخبر بالغيبيات وجب عليه التصديق بذلك واعتقاد ما دلَّ عليه.

والطحاوي فرّق الكلام علىٰ أركان الإيمان، وكثير من العلماء الذين صنّفوا في العقيدة ما رتَّبوا الكلام علىٰ مسائل الاعتقاد بترتيب منهجي؛ يعني ما جعلوا الكلام علىٰ الإيمان بالله وما يتّصل به أولا ثم بالملائكة ثم بالكتب ثم بالرسل ثم بالقدر ثم باليوم الآخر ثم بالقدر، ثم انتقلوا إلىٰ القسم الثاني إلىٰ آخره؛ بل فرقوا ذلك.

وهٰذا راجع إلىٰ ما درجوا عليه أن المرء يكتب عقيدته بحسب ما يحضره من المسائل، ولم يقصدوا فيها الترتيب المنهجي، وإلا فمسائل الكتبة الكرام الإيمان بالملائكة الكاتبين أو بملك الموت هٰذا

متصل بإيمان بالملائكة.

وهاهنا مسائل:

**الأولى**: قوله: (وَنُؤْمِنُ بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ...) إلىٰ آخره، أخذه من قول الله جل وعلا: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾[الانفطار]، فوصفهم الله جل وعلا بأنهم حفظة علينا وبأنهم كرام وبأنهم كتبة، والآيات التي تدل لهٰذا الأصل متعددة -يأتي بيان بعضها إن شاء الله تعالىٰ-.

ولكن هاهنا علىٰ هٰذه الآية وعلىٰ لفظ الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وصف الله جل وعلا الملائكة هؤلاء:

- بأنهم حفظة علىٰ ابن آدم.
- وبأنهم كتبة وهٰذا الوصف الثاني.
- وبأنهم يعلمون ما تفعلون وهو الوصف الثالث.

أما **الوصف الأول**: وهو أنهم حفظة علىٰ ابن آدم ففرق ما بين أن يكون حافظا علىٰ ابن آدم وما بين أن يكون حافظا لابن آدم -وسيأتي بيان الفرق في المسائل التي بعدها-، ففي هٰذه الآية أنهم حفظة علىٰ ابن آدم؛ يعني يحفظون علىٰ ابن آدم ما يصدر منه.

ثم وصفهم **بوصف ثانٍ**: أنهم إذا حفظوا علىٰ ابن آدم ما صدر منه فإنهم يكتبونه، وهٰذه الكتابة يكتبونه في صُحف عندهم بأيدي الملائكة، والملك موكّل بكتابة الحسنات والملك الآخر موكّل بكتابة السيئات.

فإذن الكتابة منقسمة إلىٰ:

- كتابة للحسنات في صحف.
- والكتابة للسيئات في صحف.

**الوصف الثالث**: أنه قال: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾، والفعل الذي يفعله ابن آدم:

يكون بقلبه فيشمل أعمال القلوب.

ويكون بلسانه ويشمل ما يمكث فيه بلسانه ما يحرك به لسانه ولو لم ينطق به.

والثالث ما يعمله بجوارحه المختلفة من الأيدي والأرجل والفرْج واللسان إلىٰ آخره، فكل ما يعمله بجوارحه أيضا يعلمه الملائكة.

هٰذه دلالة الآية.

هل يكتب هٰذا كله؟ ظاهر الآية أن هٰذا بأجمعه يكتب.

وآية «سورة ق» فيها قوله جل وعلا: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[ق]، يعني ﴿رَقِيبٌ﴾ يراقبه، ﴿عَتِيدٌ﴾ يعني معدّ للحفظ عليه ولمراقبته، وكل شيء يعمله يعني مما يلفظه يُعلم فيكتب.

ودلالة آية «الانفطار» هٰذه تشمل الأصناف الثلاثة، وهٰذا هو الصحيح أنّ الملائكة تكتب أعمال القلوب؛ لأنها أفعال، وتكتب عمل اللسان ونطق اللسان، وتكتب عمل الجوارح؛ وذلك لأن عمل القلب منه ما هو واجب وهو إخلاصه ونيته وتوكله علىٰ الله وخوفه ورجاؤه ونحو ذلك من أعمال

القلوب، وهي أعظم العبادات التي يتعبد بها المرء ربَّه؛ هٰذه العبادات الجليلة، ثم من أعمال القلوب ما يكون من باب إتيان السيئات من الهم، أو إرادة السيئة والعزم عليها، أو من المنهيات من سوء الظن بالمسلم، أو سوء الظن بالله جل وعلا، أو نحو ذلك من الكِبر إلىٰ آخره من المنهيات.

والملائكة يعلمون هٰذا كله وعلمهم به، هل هو لقدرتهم عليه ذاتا؟ أو لأن الله جل وعلا أقدرهم عليه لأنهم موكَّلون بهٰذا الأمر؟ الظاهر هو الثاني؛ لأن الملائكة ليس لهم سلطان علىٰ ابن آدم ولا علم بالغيب، وإنما الله جل وعلا أقدر هٰذا الصنف من الملائكة بخصوصه علىٰ الإطلاع لأنهم موكلون بالكتابة، والقلب يحاسب عليه الإنسان واللسان يحاسب عليه وكذلك الجوارح يحاسب عليها.

فإذن كلُّ هٰذه تكتب، حتىٰ ما يكون من قبيل الهم الذي يهم به الإنسان فإنه يُعلم ويُحفظ، ثم هل يكتب عليه أو يكتب له؟ هٰذا فيه البحث المعروف لديكم في أنّ «**الله تجاوز لهٰذه الأمة ما حدّثت به أنفسها ما لم تعلم أو تتكلم**» والمقصود بـ(**ما حدّثت به أنفسها**) ما هو من قبيل الهم أو من قبيل الوسوسة أو من قبيل حديث النفس؛ لكن إذا انتقل الهم أو حديث النفس إلىٰ العزم والإرادة علىٰ الشرّ صار مؤاخذًا عليه، إذا انتقل حديث النفس أو الهم هٰذا إلىٰ شرف المكان وهو مكَّة فإنه يؤاخذ عليه في قول بعض أهل العلم وهكذا.

فإذن ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ هٰذه عامة يمكن أن يستثنىٰ منها ما تجاوز الله جل وعلا لهٰذه الأمة عنه والباقي علىٰ عمومه.

وهٰذا مما يعظم الخوف من حركات العبد وفي قلبه ولسانه وجوارحه، ويُعظم عند العبد المؤمن شأن الاستغفار فإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام يُحسب له في المجلس الواحد أنه يستغفر ويتوب إلىٰ الله مائة مرة؛ لأجل عظم ما يفعله وما تعلمه الملائكة، فإن أشباهنا أعظم وأعظم وأعظم حاجة إلىٰ كثرة الاستغفار والتوبة والإنابة إلىٰ الله جل وعلا.

**المسألة الثانية**: كثيرٌ من العلماء عند هٰذه المسألة عند ذكر الكرام الكاتبين وعند الآية يجعلون الكتبة والحفظة شيئًا واحدًا، ويجعلون الجميع أربعة ملائكة:

- منهم اثنان للكتابة.
- اثنان للحفظ.

وهٰذا درج عليه كثير من العلماء في شروحهم حتىٰ شارح الطحاوية عندكم نهج علىٰ هٰذا المنوال.

وهٰذا الأمر يحتاج إلىٰ نظر وجمع للنصوص والأحاديث حتىٰ تُنظر في دلالتها، والذي يظهر لي بنوع من التأمل وليس ببحث مستفيض: أن الملائكة الكتبة غير الحفظة.

فالحفظة يحفظون الإنسان، وأما الكتبة فإنهم يحفظون عليه:

فالحفظة هم المعقبات الذين ذكرهم الله جل وعلا في قوله في «سورة الرعد»: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[الرعد:١١]، أوجه التفاسير فيها معنىٰ ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ يعني يحفظونه بأمر الله؛ يعني يحفظونه وحِفظهم له بأمر الله لهم أن يحفظوه، وفيه -يعني في الحفظة- قوله

عليه الصلاة والسلام: «**يتعاقبون فيكم ملائكة أربعة بالليل وأربعة بالنهار ويجتمعون**» إلىٰ آخر الحديث «**فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: آتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون**»(١) وهٰذا الحديث يدل علىٰ أن الحفظة هؤلاء يتعاقبون، منهم من يحفظ بالليل ومنهم من يحفظ بالنهار، وأنّ هؤلاء يلتقون في وقت الصلاة يعني في هٰذا الوقت من اليوم ثم يفارقون العبد.

وهٰذا خلاف ما دلت عليه الآية الأخرىٰ والأحاديث في وصف الملائكة الكتبة في أنهم لا يغادرون ابن آدم ولا يفارقونه علىٰ أيّ حال كان فيها حاشا الجنابة.

فإذن نقول: الذي يظهر من الأدلة في التفريق في الحفظ ما بين الحفظ لابن آدم والحفظ عليه:

فحفظ ابن آدم هٰذا عمل الملائكة الذين يتعاقبون؛ المعقبات.

وأما الحفظ عليه فهٰذا عمل الكتبة والكتبة اثنان أحدهما يكتب الحسنات والآخر يكتب السيئات.

وأما الحفظة فكما قال النبي عليه الصلاة والسلام: إنهم أربعة يتعاقبون في الليل والنهار.

**المسألة الأخيرة؛ الثالثة**: الإيمان بالكتبة يقتضي الإيمان بأنهم يكتبون؛ لأن أصل المسألة الإيمان بالملائكة الكتبة، ويقتضي ذلك الإيمان بأنَّهم يكتبون في صحف، وقد جاءت الأدلة في السنة أن منهم من يكتب الحسنات ومنهم من يكتب السيئات.

فربما تنازعوا في كتابة بعض الأشياء فيحكم الله جل وعلا بينهم.

والكتابة هٰذه في صحف الملائكة هٰذه هي التي تجمع علىٰ العبد، وهي كتابه الذي يجمع معه في عنقه إذا أُدخل القبر، وهو الذي جاء فيه قول الله جل وعلا أهل السنة والجماعة: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾[الإسراء]، وهي الصّحف التي يحاسب الله جل وعلا العبد بها فيقرّره ما فيها من أعمال، وفيه أنه يسألهم ربنا جل وعلا: هل ظلمكم ملائكتي؟ فيقولون: لا يا رب. يعني بعد أن يحاسبهم الرب جل جلاله.

وإذا كان كذلك فإنّ مقتضىٰ الإيمان بالكتابة وأنّ الإنسان علىٰ ما في قلبه يُكتب له أو عليه، وحركة لسانه يكتب له أو عليه، وحركة جوارحه يكتب له أو عليه، فإنّ عظم الإيمان بهٰذا الأصل يطلب العبد إلىٰ أن يَجعل صحائفه ليس فيها إلا الخير، وإذا عمل شيئا من السوء فليعظم الحسنات الماحية وليعظم الاستغفار الذي يمحو الله جل وعلا به السيئات.

ولهٰذا صار من مسائل الاعتقاد الصحيح أن العبد يكون أذل ما يكون لله جل وعلا، أصحاب العقيدة الحقة يذلون لله جل وعلا حتىٰ ولو عصوا أو صار عندهم ما صار فإنهم أكثر ذلا لله جل وعلا؛ لأن عندهم من الإيمان بالغيبيات واليوم الآخر وبالكتابة وبمعرفة الله جل وعلا والعلم به وبصفاته وما هو عليه جل جلاله من نعوت الجلال والكمال ما يوجب عليهم قصرا أن لا يكون في قلوبهم إعراض أو كِبر أو طاعة للشيطان في البعد عن ربهم جل جلاله.

لهٰذا الوصية للجميع أنّهم إذا علّموا العقيدة فإنهم يعلمونها لأن صلاح القلب به تصلح الأعمال، وهٰذا

---

(١)انتهىٰ الشريط السادس والثلاثون.

واقع.

وأما أهل الكلام وأهل البدع فإنهم يعلّمون مسائل الاعتقاد كمسائل عقلية، مسائل عقلية ينظرون إليها نظرا عقليا برهانيا عقليا أو نقليا دون نظر في آثار ذلك، وهٰذا تجده لأجله فيهم من قسوة القلوب ومن قلة العبادة، وترك التواضع، والكبر إلىٰ آخره من الصفات المذمومة ما فيهم.

بخلاف أهل الحق من أهل السنة والحديث والعبادة، فإنهم ألين قلوبا لأجل ما معهم من العلم بالله جل وعلا، وأكثر تواضعًا للخلق، ونفع للعباد وخوف من الله جل وعلا لأنهم؛ لأجل صحة العقيدة فأثمرت في قلوبهم وفي أعمالهم.

زادني الله جل وعلا وإياكم من الهدىٰ وغفر لنا ما كان منا من نقص أو ضعف أو ذنب أو خطيئة إنّه سبحانه غفور رحيم.

اللّٰهمَّ فاغفر وارحم وتجاوز أنت أكرم الأكرمين.

قال بعدها: (وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ، الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ) ملك الموت الذي يقبض الأرواح ذكره الله جل وعلا في القرآن في قوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة]، فالإيمان به إيمان بالملائكة وإيمان بما ذكر الله جل وعلا وأخبر به من ملك الموت بخصوصه ومن الرسل التي تتوفىٰ نفس المؤمن.

فالإيمان بذلك فرض، والذين يُنكرون الغيبيات ربما أنكروا حقيقة الملك الذي يقبض الأرواح، ومنهم من يقول: الروح إذا ذهبت فإنها تذهب إلىٰ جسد آخر فتحل فيه ونحو ذلك من أقوال الحلولية أو التناسخية أو ما أشبه ذلك، ممن يرون التجسد يعني العودة إلىٰ التجسّد كما يزعمون من أهل القديم والحديث من المنتسبين إلىٰ الإسلام أو ملل الكفر والضلال.

يريد الطحاوي بهٰذه الكلمة أن يقول: إن أهل السنة والجماعة مسلّمون للنص فيؤمنون بملك الموت وأنه يقبض الأرواح وأنه موكّل بها ففوّض أمر الأرواح بقبضها إليه وهٰذا ظاهر في دلالة الآية علىٰ ما ذكرنا.

ونذكر عدة مباحث ومسائل:

**الأولى**: ملك الموت جاء ذكره مرة مفردا وجاء ذكره في موضع آخر في القرآن مجموعا بأنهم رسل في سورة الأنعام في قوله: ﴿إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾[الأنعام]، وهؤلاء الرسل هم أعوان ملك الموت وجنود ملك الموت، وهو لهم كالملك أو كالأمير الذي يأمرهم ويطيعونه، هٰذا منهم من يقبض نفس فلان ومنهم من يقبض نفس فلان إلىٰ آخره، فقوله جل وعلا: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ هو في معنىٰ قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾[الأنعام:٦١]؛ لأن ملك الموت ومن معه يمتثلون أمر الله جل جلاله.

**المسألة الثانية**: متىٰ يقبضون الروح هل هو بأمر مجدد من الله جل وعلا؟ أو إذا انتهىٰ الأجل بما معهم من صحف بأنّ أجل فلان ينتهي بالوقت الفلاني؟ خلاف بين أهل العلم في هٰذه المسألة.

والذي يظهر هو الأول لأنهم وُكِّلُوا والموكل يقبض بأمر الموكل وهو الله جل جلاله.

**المسألة الثالثة**: قوله: (الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ) جاء فيه الآية نصا أنهم موكلون وهٰذا لا يعني أن

الموكل غائب أو أن الموكل قاصر؛ ولكن الله جل وعلا خلق الملائكة وجعل لهم هٰذه المهمة وغيرها من المهام للتعبد لا لنقص في ملكوت الله جل وعلا أو في صفاته جل جلاله؛ بل هو الكامل وله الصفات الكاملة سبحانه ولكن لأجل التعبد بذلك، وهٰذا فيه من الاعتقاد بتصرف الله جل وعلا في ملكوته بجميع الخلائق ما يطول وصفه، إذا نُظِر إلىٰ سعة ملك الله وسعة التصرفات في الملكوت وكثرة الملائكة وأنهم موكلون هٰذا بكذا وهٰذا بكذا إلىٰ آخره.

التي بعدها وهي:

**الرابعة**: ذكر لك هنا الشارح ابن أبي العز كلاما طويلا في الكلام علىٰ الأرواح والروح وحقيقتها والنفس والفرق بينها وبين الروح، وهل الروح مخلوقة الآن، الأرواح مخلوقة وغير ذلك من البحوث التي هي استطراد، لأجل ذكر الطحاوي لفظ (أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ).

وتبع في ذلك؛ بل نقل نصا كما فتاوي ابن تيمية في الجزء الرابع من البحث في مسألة الروح والنفخ والبحث في الآية ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[الإسراء]، بما يطالع ويستفاد من كلامه إن شاء الله تعالىٰ، يعني مباحث الروح ليست من المباحث المهمة في فهم كلام الطحاوي في هٰذا الموضع.

**الأخيرة**: قوله: (أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ) لفظ (الْعَالَمِينَ) يريد به هنا من له روح من المكلَّفين، (بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ) يعني من له روح من المكلفين دون غيرهم، وذلك لدلالة ظاهر الآية علىٰ ذلك بقوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ ﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾ الخطاب للمكلَّفين من الجن والإنس.

ولفظ (الْعَالَمِينَ) المعروف أنه اسم لكل ما سوىٰ الله جل وعلا، وهٰذا هو الذي يذكر عند قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾.(١)

يقول العلماء: العالمون اسم لكل ما سوىٰ الله جل وعلا، فكل ما سوىٰ الله عالم وأنا واحد من هٰذا العالم؛ لكن هٰذا الاستدلال أو هٰذا التفسير ليس تفسيرا وحيدا؛ يعني ليس إطلاق لفظ (الْعَالَمِينَ) علىٰ هٰذا المعنىٰ فقط، فإن العالمين كلفظ في الكتاب والسنة يطلق علىٰ هٰذا المعنىٰ ويطلق إطلاقات أخر.

فالإطلاق الثاني له في القرآن أنه يراد بـ(الْعَالَمِينَ) الناس الذين تشاهدهم، كما في قوله جل وعلا: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ ومعلوم أن ﴿ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ لا يشمل الملائكة لأنهم ليسوا بإناث ولا يشمل الجن لأنهم لا يدخلون في هٰذا اللفظ، فقوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ يعني به جل وعلا أو معنىٰ الآية يعني الناس الذين يأتونهم ويرونهم.

الإطلاق الثالث يأتي لفظ (الْعَالَمِينَ) ويراد به أهل الزمان الواحد من الإنس والجن، أهل الزمان الواحد يقال لهم: العالمون، وهٰذا يستدل عليه بقول الله جل وعلا: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الدخان]؛ يعني بهم بني إسرائيل اختيروا علىٰ العالمين المراد بهم أهل الأرض في ذلك الوقت أهل ذلك الزمان من الجن والإنس، وقد اختار الله جل وعلا بني إسرائيل علىٰ علم لأن أصلح ذلك الزمان.

---

(١) سورة: غافر؛ الآية (٦٥)، الزمر؛ الآية (٧٥)، يونس؛ الآية (١٠)، الفاتحة؛ الآية (٢).

وهٰذه الإطلاقات الثلاث موجودة أيضا في السنة ومن أهل العلم من يقسم هٰذا التقسيم ومنهم من يقول إن المراد هو الأول فقط.

وهٰذا العالم الأول وهو كل ما سوىٰ الله جل وعلا عالم وأنا واحد من هٰذا العالم، عام يراد به الخصوص في مواضع، وهٰذا هو قول واضح؛ يعني أن السياق يدل علىٰ إخراج بعض ما دلَّ عليه العموم، فقول الله جل وعلا: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ معلوم أنه لا يدخل فيهم الجن ولا يدخل فيهم من ليس مشاهدا لهم إلىٰ آخره، فلم يأتوا كل ذكر وإنما أتوا بعض الذكور الذين رأوهم، فيكون هٰذا من العام الذي أريد به الخصوص كذلك قوله: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ يراد به العالمون الذين في زمانهم فهٰذا من العام المخصوص؛ لأنهم لم يفضّلوا علىٰ أمة محمد عليه الصلاة والسلام ولم يفضلوا علىٰ الملائكة فيكون هٰذا من العام المراد به الخصوص.

المقصود من ذلك أن قوله هنا: (الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ) يراد به العالمون الذين لهم روح ومن المكلّفين.

نقف عند هٰذا إن شاء الله تعالىٰ، ونكمل غدا بإذن الله، ونستمع للأذان.

[الأسئلة]

سؤال (٤١٩): شخص يبحث بحثا أصوليا -أصول الفقه- إذا لم يذكر أقوال الأصوليين من المعتزلة أو الأشاعرة أو بعض من كفرهم أهل السنة يكون البحث ناقص، لكن إذا أردت أن تبحث مسألة فقهية واستدللت بقول الخوارج أو قول بعض المبتدعة يكون البحث فيه خلل أن تذكر هٰذه الأقوال، ما توجيهك يا شيخ؟

الجواب: هٰذه واضحة، أني أعطيك تبحث البحوث الفقهية نبدأ بعلماء السنة، أما الأصول؛ أصول العلم فيه مآخذ كثيرة من جهة الأقوال، لهٰذا توسع علم الأصول ليس بأقوال أئمة الفقه هو بأقوال العقلانيين، ما هو بأقوال أئمة الفقه، من هنا بدأ الخلل في الأصول حينما تناوله من لا يحسن الفقه فجعلوه صنعة مجرّدة.

مثل النحو أخذوه كقواعد، أشياء في القرآن يقولون للضرورة أو يوجهونها أو إلىٰ آخره.

عندك البلاغة قننوها -مثلما بحثنا مرة- قننوها تقنينا وانحرفت عن أصلها، البلاغة أصلها ذوق، علم المعاني هٰذا البلاغة، علم المعاني والتشبيه والكناية إلىٰ آخره والبديع، ثم تخّلوا في البلاغة المجازات بأنواعها ودخّلوا أنواع البديع ثم وضعوا لها قوانين ذهب الذوق إلىٰ آخره.

أصول الفقه أصله هو استنباط لغوي؛ يعني أصول الفقه أصل مأخذها إيش؟ لغوي شرعي، لغة قبل، شرعي يعني الدلالات المختلفة، ثم عقلي.

هنا الذي حصل من الأصوليين أنهم في الدِّلالة اللغوية والشرعية هٰذه يعلمها أئمة العلم يعلمها الفقهاء أئمة الحديث أئمة الفتوىٰ، هؤلاء الذين يعرفونها، دخلوا في البحث العقلي فألغوا كثير من الدلالات اللغوية والشرعية لأجل عدم علمهم بها.

لهٰذا الآن الأصوليون يذكرون أقوال الكفار وبعض المرتدين ويذكرون أقوال الناس الذين ذكرتم

غيرهم الذين هم أشد منهم، يذكرونها ويعتبرون خلافهم خلافا في المسألة. وهو مو صحيح.

يعني ليس المقصود الصنعة، يعني إذا بغيت الصنعة هٰذا بحث آخر، لدينا أصل العلوم الشرعية المساندة مثل النحو والبلاغة والأصول ومصطلح الحديث جاءتها فترات ضعف شديدة في القرون المتأخرة هٰذه، صارت كلها أقوال وحواشي وتعريفات واحترازات راح روح العلم، روح العلم نفسه الذي تستفيد منه، يعني ما المقصود من علوم الآلة هٰذه؟ فقه الكتاب والسنة فقه الدليل هٰذا المقصود منها.

فإذا ذهبت عن هٰذا إلىٰ شيء آخر ليس المقصود منه فقه الدليل صار عندنا خلل، نعم قد يكون واحد اثنين ثلاثة من العلماء لابد أن يعتنوا بأقوال المخالفين، تخصصهم فيه، لكن كل طالب علم تقول له: ابحث عن كل الأقوال، واحد يحضر رسالة في أصول الفقه جيبها ورد عليها لأنه من فرض الكفاية أنك أنت تعرف أقوال القوم ثم ترد عليها، لابد أن يوجد في الأمة من يحسن هٰذا الرد؛ لأنه موجود أقوال الأصوليين عند الرافضة، الرافضة يعتنون بالأصول كثيرا لهم مؤلفات فيه شبيهة بأقوال المعتزلة، كذلك الزيدية في اليمن لهم كتب في الأصول من ضمنها «نهاية العقول» كتاب ضخم وفيه من التفصيلات ما فيه وهو مطبوع، لا أدري شفته أو لا، فيه أجزاء كثيرة جدا، لكن كل هٰذه يعرفها المتخصص، لكن طلاب العلم يجب أن يفهموا دلالات النصوص تعطيهم من الأصول الشيء الذي يطبقونه، أما أن تقول: الأمر أختلف فيه علىٰ أحد عشر قولا الأولين قالوا كذا والثانيين قالوا كذا، ما لهم علاقة؛ بل العقل يكسل عن أن يفهم المقصود.

لهٰذا الأصول بالذات أنا عندي أنه ما دُرِّسَ إلىٰ الآن علىٰ ما ينفع طالب العلم في فهم الكتاب والسنة ويؤخذ الأشياء الثانية يعني الكلامية هٰذه وتتوسع فيها.

... يمكن أنتم عندكم تخصص أو شيء؛ لكن أنت تلخص لازم أن تهتم بالذي ينفعك التي فيها تطبيق وأحيانا ما تدري هٰذه المسألة فيها تطبيق أو لا، يكون فيها تطبيقات من الذي يعرفها؟ المعلم الذي يعرف خلاف العلماء والاستدلالات والمسائل يعني في بعض مسائل التفسير تجدها هٰذا الخلاف فيها مبني علىٰ خلاف أصولي، دلالة الآية هٰذا خلاف أصولي.

... ابن حزم ينكر القياس؟! ما هو صحيح، هو ينكر بعض القياس، بعض أنواعه؛ يعني قياس الأَوْلىٰ لا ينكره، قياس الأَوْلىٰ يعمل به وقياس المعنىٰ، أما قياس العلة فهٰذا ينفيه؛ لأنه عنده أصلا الشريعة غير معلّلة، وهٰذه نصّ عليها في «الإحكام»، عنده شيء هٰذا أولىٰ وأحرىٰ هٰذه يطبقها، هٰذا مثل هٰذا، المثليات التي داخلة في القواعد هٰذه يطبقها، حتىٰ أحيانا يجيء ويقول: إن قلت هٰذا من قياس العلة قلنا لا هٰذا من باب المثليات، والشريعة جاءت للمساواة بين المثليات إلىٰ آخره.

أما قياس العلة فهو صحيح.

... لا أحسنه إلىٰ الآن يريد التفرغ عشان يحسنه الواحد، تعرف التعليم عشان الواحد يعلم فن لابد أن يمسكه أن يكون قوي فيه، الأصول له مخارج كثيرة ولابد له من دُربة.

... لو الواحد منكم يأخذ فيه عدد من الكتب الأصولية تأخذ منها القواعد الأصولية اجتمع عندك

معلومات أصولية كافية.

... لا، هو المقصود المخالفة فيه مسائل كثيرة ثابتة بالتواتر والإجماع ما دخلّوها في العقيدة.

... فيه مسائل صارت شعارا؛ يعني واحد تشوفه ما يمسح علىٰ الخفين، يعني يقول لا أنا ما أمسح علىٰ الخفين، يؤخر الصلاة، يجمع الصلاة حتىٰ ما يتعب، يؤخر صلاة يوم كامل عشان، المقصود منه الشعار لا خصوص المسألة؛ يعني مثل الآن الذي يصلي وقدامه حصىٰ يسجد عليها هٰذا شعار، خلاص.

أهل السنة يرون الصلاة علىٰ الأرض أو علىٰ ما بُسِط عليها مو شرط أن يأخذوا من تراب مكة أو تراب المدينة.

فإذن المسألة من مسائل الشعار الذي يتميزون به، وطبعا المراعىٰ فيه ليس وقتنا الحاضر المراعىٰ فيه وقت التميز؛ القرون الثلاثة الأولىٰ هي التي كان فيها هٰذه المسائل.

... إذا كانت شعارا وأجمع أهل السنة عليها تُذكر، يعتبر مما تميزوا به.

... أوش معنىٰ الأركان؟ الذي ما يوجد الشيء إلا بوجوده، الآن إذا عرفنا القياس بأنه إلحاق حكم مسكوت عنه بحكم منصوص عليه بعلة جامعة بينهما، اقتضىٰ أن يكون عندنا علة وأصل وفرع وحكم، يعني هٰذا لا يمكن أن يوجد إلا بالأركان، فالأركان هي التي لا يوجد الشيء إلا بها، يعني مثلا أنت أوش أركانك؟ جسد وروح، يمكن روح بلا جسد أو جسد بلا روح؟ لا، يعني يمكن أن أتصور مشلول، واحد مغمىٰ عليه، واحد في غيبوبة؛ لكن فيه جسد وروح، نقول: إنسان لكن جسد بلا روح أو روح بلا جسد ما فيه إنسان، يعني المشاهد، إذن الأركان ما تقوم عليه حقيقة الشيء، فالقائلون بالقياس متفقون علىٰ الأركان؛ لكن عندك ما هو الأصل وما هو الفرع وما هي العلة التعريفات هٰذه هي التي يجيء فيها الخلافات.

سبحانك اللّٰهمَّ وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك.

# الدرس الخامس والأربعون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ، الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ.

وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا، وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ، عَلَىٰ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ.

وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ.

وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ

وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَىٰ مَا خُلِقَ لَهُ.

---

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

اللّٰهمَّ علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما وعملا وصلاحا وهدىٰ.

نعوذ بك -اللّٰهمَّ- من الضلال بعد الهدىٰ ومن الحور بعد الكور، إنك علىٰ كل شيء قدير.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ هنا: (وَنُؤْمِنُ... بِعَذَابِ الْقَبْرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا، وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ، عَلَىٰ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ.) هٰذه الجملة تقرير لما يجب الإيمان به بما دلّ عليه النص من الكتاب والسنة من أنّ القبر يعذّب أهلُه فيه وينعم أهله فيه.

فما بين معذّب ومنعم، وما بين معذّب دائما وما بين منعم دائما.

وهٰذا الأصل في الإيمان بعذاب القبر وفي سؤال منكر ونكير وفتنة القبر، قد دل عليه القرآن والسنة وتظاهرت الأدلة وتواترت من سنة النبي ﷺ في الدلالة علىٰ أن القبر والبرزخ يكون فيه عذاب ويكون فيه نعيم للإنسان المكلَّف علىٰ ما يحكم الله جل وعلا به علىٰ الميت.

وأصل هٰذه المسألة في إيرادها في العقائد لأجل أنّ طائفة من المعتزلة والجهمية والفلاسفة وأهل الكلام يُنكرون عذاب القبر وينكرون السؤال والفتنة، وذلك لعدم إيمانهم بدلالة السنة والحديث علىٰ ذلك، ويتأوَّلون ما جاء في القرآن مما يدلّ علىٰ عذاب القبر، فمن جنس المسائل السَّابقة فإنّ تقرير هٰذه المسألة في العقائد له أوجه:

الوجه الأول: أنّ عذاب القبر وفتنة القبر أمر غيبي، والأمور الغيبية مجالها الاعتقاد؛ لأنها لا تُدرَك بالنظائر ولا تُدرِكها العقول؛ بل تحار فيها العقول، فيجب الإيمان بها والتسليم علىٰ نحو ما جاء في الخبر الصَّادق في الوحي.

والثاني: أنَّ الأدلة من الكتاب والسنة دلَّت علىٰ حصول العذاب في القبر والنعيم فيه، وعلىٰ السؤال والفتنة في القبر، وهٰذه في كثرتها معنًىٰ تدل علىٰ تواتر الدليل لثبوت العذاب وأن دار البرزخ محل للنعيم

وللعذاب علىٰ الإنسان.

وإذا كان كذلك فيجب التسليم لما دلّ عليه الدليل، فكيف إذا كان متواترا معنًىٰ أو متواترا لفظا وهو أعلاه.

والوجه الثالث: أنَّ المخالفين خالفوا في هٰذا ممن يحكِّمون العقل ويردون عالَم الغيب إلىٰ عالَم الشهادة، ويقيسون الأمور الغيبية علىٰ الأمور المشاهدَة، ويحكمون العقل فيما جاء به النصوص في أن هٰذا يعقل وأن هٰذا لا يعقل فيحملونه علىٰ العقول، فلأجل مخالفة الضالين ممن ذكرنا من الطوائف من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة وأهل الكلام وبعض فقهاء السنة إما في كل المسألة أو في بعضها نصّ عليها وصارت من مسائل العقائد التي يُعلن أهل السنة الإيمان بها وتقرير ما دلت عليه.

وكما ذكر لك الطحاوي هنا أنّ هٰذا الإيمان سمة لأهل السنة والجماعة المسَلِّمين للنصوص، وأنه تبع لما جاء في الأخبار عن رسول الله ﷺ، ونصّ علىٰ الأخبار ولم يذكر الآيات؛ لأن الأخبار متواترة معنىً في الدلالة عليه، وأما الآيات فإنها قليلة وهي مجال للأخذ والتأويل عند من تأوّل، والحجة هنا ظاهرة فيما تواترت بها السنة.

فيجب أن يكون علىٰ ما أورده هنا يجب أن يكون الاستدلال قائمًا علىٰ الكتاب والسنة؛ لكن إن كان المعارض يتأوَّل أحد الأدلة فإنه يُستدل عليه بما لا يكون مجالا لتأوُّله فيه، وهٰذا هو الذي صنعه الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا.

والأدلة التي دلت علىٰ هٰذا الأصل من كتاب الله جل وعلا ومن السنة كثيرة، يُمكن أن تُراجَع في كتاب «الروح» للعلامة ابن القيم أو في «شرح ابن أبي العز» لهٰذا المتن، ونذكر:

منها قول الله جل وعلا لما ذكر آل فرعون قال: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾[غافر].

وقال أيضا جل وعلا: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ١٠١﴾[التوبة].

وقال جل وعلا أيضا: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٥٠ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾[الأنفال].

في آية الأنعام: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٩٣﴾؛ فقوله جل وعلا هنا: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾ هٰذا متعلق بإخراج الروح من بدن الكافر، و﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ دلالة علىٰ بداية العذاب وهو بداية الحياة البرزخية.

وكذلك من الأدلة في القرآن قول الله جل وعلا: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[الطور:٤٧]، ويعني بالعذاب دون ذلك يعني دون العذاب الأكبر يوم القيامة، وهو ما يكون في البرزخ.

وهكذا في أنواع من الأدلة، وهٰذه كما ذكرنا لك ربما تأولها المعارض من الفرق الضالة؛ لكن كثرتها وظهور كلام السلف فيها يدلّ علىٰ أنها في عذاب القبر والبرزخ.

وأما السنة فهي كثيرة جدا منها قوله عليه الصلاة والسلام: «**القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر**

النار».

ومنها أنّ المسؤول في القبر إذا أجاب بالإجابة الصائبة فيُفتح له باب إلىٰ الجنة فيأتيه من نعيمها ونسيمها، إلىٰ آخره، وأما الذي لم يُحسن الجواب أو الكافر أو الفاجر أو المنافق فيُفتح له باب إلىٰ النار فيأتيه من حرها وسمومها إلىٰ آخره.

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لما مر علىٰ قبرين: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير بلىٰ إنه كبير**» إلىٰ آخره فأثبت أنهما يعذبان.

وذكر عليه الصلاة والسلام أن المسؤول يضرب إذا لم يحسن الجواب بمطرقة أو بمرزبّة من حديد يسمعها من يليه إلا الجن والإنس.

وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «**لولا ألا تدافنوا لسألت الله أن يسمعكم عذاب القبر**».

والأدلة في السنة علىٰ هٰذا كثيرة جدا كما ذكرنا تبلغ مبلغ التواتر المعنوي المختلف.

ومنه أيضا سؤال النبي عليه الصلاة والسلام في صلاة الجنازة بأنواع الأدعية للميت أن يقيه الله جل وعلا عذاب القبر، وربما دعا لصغير لم يبلغ الحلم أن يقيه الله عذاب القبر.

فإذن الأدلة علىٰ ذلك من الكتاب متنوعة، ومن السنة متواترة، وهٰذا يُثبت هٰذا الأصل العظيم، ويكون فيه أعظم رد علىٰ المخالفين من الفرق الضالة.

إذا تبين ما قرره هنا الماتن نذكر هاهنا عدة مسائل وفوائد:

**الأولى**: قوله: (نُؤْمِنُ... بِعَذَابِ الْقَبْرِ) عذاب القبر اسم[1] لما بعد الموت، وقيل عنه عذاب القبر تغليبا، وقد يكون عذابا في القبر وقد يكون عذابا لغير القبر؛ يعني أن من فارقت روحه جسده فإنه إما أن ينعم وإما أن يعذّب، وغالب الناس من جميع الملل والنحل والديانات يُقْبَرون، فلذلك صارت سمة للمسألة اسم نعيم القبر أو عذاب القبر، وإلا فحقيقتها عذاب البرزخ ونعيم البرزخ؛ لأن الحياة المقصود بالتنعم والعذاب فيها هي الحياة الثانية وهي الحياة البرزخية.

فالحياة ثلاث: الحياة الدنيا والحياة البرزخية والآخرة.

والمقصود هنا الحياة البرزخية، ولذلك من دفن أو لم يدفن وأُحرق وذُرّ أو أُكِل فتفرقت أجزاؤه أو من رمي في البحر ولم يقبر أو إلىٰ آخره، أو من رفع إلىٰ مكان ولم يجعل تحت الأرض في قبر، فالجميع صاروا إلىٰ حياة برزخية.

فإذن قول العلماء: عذاب القبر أو ما جاء في الدليل في بعض النصوص من تسميته عذاب القبر هٰذا من باب التغليب؛ لأن غالب الناس يدفنون.

وقوله هنا: (لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا) يعني بحسب علم الله جل وعلا فيه، فمن هو أهل للعذاب عذب ومن هو أهل للنعيم صار في نعيم.

**المسألة الثانية**: عذاب القبر مسلّط علىٰ الإنسان المكلَّف، والإنسان المكلَّف اسم لروحه وجسده،

---

(١)انتهىٰ الوجه الأول من الشريط السابع والثلاثين.

ولذلك فالأدلة التي دلت علىٰ حصول عذاب القبر تتناول الروح والجسد معًا، فالعذاب والنعيم يقع علىٰ الروح ويقع علىٰ الجسد، يقع علىٰ الروح متصلة بالجسد بنوع من الاتصال الذي يصلح للحياة البرزخية، ويقع علىٰ الروح مجردة، وربما علىٰ البدن مجردًا؛ يعني علىٰ البدن وحده ونحو ذلك، ذكر هٰذا طائفة من العلماء لأجل دلالة النصوص علىٰ هٰذا وهٰذا.

والظاهر أنَّ العذاب والنعيم وما يحصل في البرزخ يقع علىٰ الإنسان بروحه وجسده؛ لكن تعلّق الروح بالجسد هنا يختلف، لهٰذا صار قول أهل السنة والجماعة أنَّ العذاب يقع علىٰ الروح وعلىٰ الجسد، وأن النعيم أيضا في المقابل للروح وللجسد.

**المسألة الثالثة**: المخالف في تعلُّق الروح بالبدن هنا ربما كان من المنتسبين للسنة، فمن المنتسبين للسنة من العلماء من يقول: العذاب علىٰ الروح والنعيم للروح وأما البدن فإنه لا يعذب ولا وينعم، كما ذكرنا، ولهٰذا صارت القوال في هٰذه المسألة في أهل السنة؛ يعني في المنتسبين للسنة ثلاثة أقوال:

☜ قول أهل السنة الذي دوَّنوه في عقائدهم وقرَّره أئمتنا أن العذاب -كما ذكرنا- والنعيم يقع علىٰ الروح والجسد معا، علىٰ هٰذا وهٰذا.

☜ والقول الثاني أنه علىٰ الروح فقط دون الجسد، وهٰذا قول طائفة منهم ابن حزم، وطائفة من المعتزلة والأشاعرة وجماعة، **هٰذه إضافة المعتزلة والأشاعرة، أقوال أهل السنة يدخل فيها ابن حزم.**

☜ والقول الثالث أن العذاب والنعيم يكون للروح ما دام باقيا، وأما إذا تحلل فإنه يكون العذاب والنعيم للروح فقط.

وظاهر الأدلة كما ذكرنا هو الأول وهو الذي قرره الأئمة وللمسألة تفصيل وردود علىٰ ابن حزم وعلىٰ غيره تطلب من المطولات.

**المسألة الرابعة**: الروح والبدن ذكر العلماء أن لها أربعة [1] أنواع من التعلق وهو:

◆ أن الروح تتعلق بالبدن قبل الولادة وبعد نفخ الروح، وهٰذا التعلق ناقص ليس للروح فيه إدراكات ولا إحساس، ولهٰذا الجنين في بطن أمه لا يحصل له بكاء ولا ضحك، إلىٰ آخره من الأشياء التي يستدل

---

(١) قال الشارح في شرحه للطحاوية بتحقيق أحمد شاكر صفحة ٣٩٥: فالروح لها خمسة أنواع من التعلق، متغايرة الأحكام:

**أحدها**: تعلقها به في بطن الأم جنينا.

**الثاني**: تعلقها به بعد خروجه إلىٰ وجه الأرض.

**الثالث**: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه.

**الرابع**: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لا يبقىٰ لها إليه إلتفات البتة، فإنه ورد ردها إليه وقت سلام المسلم، وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه وهذا الرد إعادة خاصة، لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيمة.

**الخامس**: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتا ولا نوما ولا فسادا، فالنوم أخو الموت.

فتأمل هذا يزح عنك إشكالات كثيرة.

بها علىٰ حصول الإحساس عنده في روحه حيث تعلَّقت ببدنه.

◆ **والثاني**: هو حصول تعلق الروح بالبدن بعد الولادة، والروح تتنمىٰ معلوماتها وإدراكاتها مع الزمن، وتوحيدها وضده والشرك مع الزمن، **فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه**، إذا صُرف عن الفطرة فإنه يكون بالتعليم يتنمىٰ هٰذا في الروح، والبدن يتبع الروح في ذلك، فعنده من الاستعداد ما عند الروح فهو كالآلة وبينهما تعلُّق كبير؛ لكن الحياة المحسوسة للبدن من جهة النماء والاستعدادات إلىٰ آخره والرّوح هنا تبع له.

◆ **والحال الثالثة**: البرزخ الحياة البرزخية بعكس الحياة الدنيا؛ لأن الروح هنا اكتملت، والبدن في انتهاء، وأمّا الروح فقد اكتملت، فالحياة للروح والبدن تبع؛ يتبع الروح فيما يختص بالروح، فإذا تنعّمت الروح وصل إلىٰ البدن من النعيم، وإذا تنعّم البدن يحصل ويصل إلىٰ الروح النعيم أو العذاب، ولك أن تقيس ذلك بالحياة الدنيا فإنه في الدنيا يحصل العذاب والنعيم للروح والبدن لا يصيبه ظاهرًا عذاب أو نعيم؛ لكن يصل إليه لأجل تعلق الروح به والحياة في البرزخ للروح والبدن تبع؛ لأجل أن النماء لا يكون للبدن بل يكون إلىٰ زوال والروح مستقرُّها عند رب العالمين.

◆ **الرابع**: الحياة الأخرىٰ وهي أن الحياة للروح والبدن جميعا في أكمل تعلق بحيث إنّ الروح كاملة للبقاء والبدن كامل للبقاء، لا يعطب البدن بحيث يفنىٰ، ولا تعطب الروح فالحياة بينهما كاملة، والتعلق أكمل ما يكون، ولهٰذا في الحياة الآخرة النعيم والعذاب يقع علىٰ هٰذا وهٰذا في أكمل حال.

وقد جاء عن بعض السلف في ذكر العذاب أن الروح والجسد اختصما يوم القيامة عند الحساب.

فقال الجسد للروح: أنت أمرتني بالشر، ونهيتني عن الخير.

وقالت الروح للجسد: لو لم تفعل لما صار عليك العذاب.

فاختصما إلىٰ الملَك، فقال: الملك إنما مثلكما مثل رجلين أعمىٰ لا يرىٰ، ومُقعد لا يستطيع القيام، أتيا علىٰ بستان فيه من الثمار، فقال: المقعد إني أرىٰ كذا وكذا من الثمار ولكني لا أستطيع الوصول إليه. وقال الأعمىٰ: إني لا أرىٰ شيئا ولكني أستطيع الوصول إليه إنْ أرشدتني. قال له المقعد احملني: وأنا أتناول لي ولك. فالعمل صار بينهما جميعا. قال الملك: فكذلك أنتما فلوما حالكما.

وهٰذا واقع؛ لأن حقيقة الروح والبدن في تعلقهما لا يعلم مداه إلا رب العالمين؛ لهٰذا وجب التسليم لما دلت عليه النصوص في حال الروح وفي حال البدن في تعلق هٰذا وهٰذا دون أخذ بما يدل عليه العقل المخطئ.

**المسألة الخامسة**: عذاب القبر هل هو عام لجميع فئات الأمة أم هو لبعض الفئات؟ يعني هل يشمل غير المكلفين أم إن عذاب القبر ونعيم القبر للمكلفين؟ يعني من مات وهو صغير لم يبلغ سن التكليف أو مات وهو مجنون أو إلىٰ آخره، ممن ليسوا محل التكليف، هل يحصل لهم في القبر نعيم أو عذاب؟

**والجواب**: أنّ المتقرِّر عند أئمة الإسلام أن نعيم هؤلاء إذا لم يجر عليهم التكليف أنهم في ذلك تبع لحال آبائهم، فآباؤهم لما كانوا مسلمين فإن هؤلاء من أهل الجنة، فأطفال المسلمين الذين يموتون هم من أهل الجنة ومن أهل النعيم؛ لأنهم علىٰ الفطرة ولم يجر عليهم التكليف.

والصغير تكتب له الحسنات لأنها فضل من الله جل وعلا ونعمة، ولا تكتب عليه السيئات لأنه لم يجر عليه القلم، فإذا عمل بحسنة تُكتب له ويثاب عليها، وإذا عمل بسيئة فإنه لا يؤاخذ عليها لأنه لم يجر عليه التكليف، فيكون تنعُّمه في القبر هو الأصل؛ لكن قد يعذب كما ثبت في السنة في «الموطأ» وغيره أن النبي ﷺ دعا لصبي أن يقيه الله عذاب القبر، فهل يكون معنىٰ عذاب القبر هنا العذاب الذي يصيب المكلفين أو هو معنًىٰ آخر؟

اختلف العلماء في ذلك -يعني علماء السنة-:

فمنهم من قال: إنه يصيبه العذاب كما يصيبه النعيم، والله جل وعلا أعلم بما كان سيعمل لو كَبُر، وهٰذا قول طائفة من أهل السنة.

والقول الثاني وهو الصحيح الذي عليه أهل التحقيق أن العذاب هنا ليس المراد منه العذاب الذي يصيب الكبار هو العذاب علىٰ السيئات؛ لأن الصَّغير ومن مات وهو مجنون لم يكلف -يعني جُنّ وهو صغير ثم كَبُر كبر ولم يكلف وأشباه هؤلاء- فإنهم ليس عليهم سيئات حتىٰ يعذَّبوا عليها؛ لأن هٰذا الأصل واضح أن القلم لا يجري إلا مع البلوغ.

فإذن تُفهم أحاديث الدعاء للصِّغار أن يقيهم الله عذاب القبر كما دعا النبي ﷺ لصغير بقوله: «**اللّٰهمَّ قِهِ عذاب القبر**» أن العذاب هنا هو الألم الذي يحصل للمدفون والألم ليس دائمًا في مقابلة سيئات عملها فقد يكون من أنواع الآلام التي الله أعلم بها مما يحصل في القبر كضمَّته أو أشباه ذلك مما يكون فيه من الموجعات؛ لكن الألم لا يعني العذاب والقبر والبرزخ عالم الله أعلم به.

لذلك نقول: الصحيح أن يُحمل قول النبي في دعائه لمن لم يجر عليه التكليف «**اللّٰهمَّ قِهِ عذاب القبر**» علىٰ أن المراد الألم والسوء وليس المراد العذاب الذي هو في مقابلة السيئات لأنّ الصغير لم يجر عليه التكليف.

قال بعدها: (**وَنُؤْمِنُ بِسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ**) منكر ونكير ملكان يأتيان الميت ويسألانه عن ربه وعن دينه ونبيه، وقد جاء في ذكر الملكين عدة أحاديث وهي حسنة أو صحيحة للتنصيص علىٰ اسميهما أنهما منكر ونكير، أو الأول المنكَر والثاني النكير.

قد قال بعض العلماء: إن الأول اسمه المنكِر علىٰ اسم الفاعل والثاني النَّكير وهٰذا ليس بصحيح، بل هو منكَر ونكير يعني أيضا منكور منكر في شكله وهيئته، ونكير أيضا في شكله وهيئته وذلك لأنهما من صفتهما كما جاء في الحديث أنهما شديدان أزرقان يأتيان في صورة لم يألفها الميت.

الإيمان بسؤال منكر ونكير جاءت بها الأدلة في ذكر هٰذا السؤال فتنة القبر بأنواع من الذكر في الأخبار والإيمان بذلك فرض وواجب علىٰ ما جاء في السنة، وطوائف من المعتزلة وأهل الكلام والفلاسفة يُنكرون فتنة القبر، ويقولون: إنّ هٰذه ليست بصحيحة وينفون دِلالة الدليل عليها وربما تأولها بعضهم وربما ردها بعضهم لأنها أخبار آحاد.

وأهل السنة والجماعة قرروا ذلك للأسباب التي ذكرت لك سالفا في أنها أمور غيبية، ثم الثاني أنه دلت عليها النصوص، ثم لمخالفة الفرق أو بعض الفرق الضالة في ذلك.

الأدلة علىٰ مجيء المنكر والنكير والسؤال كثيرة في السنة معلومة لا نطيل الكلام عليها أو إيرادها.

**ونذكر بعض المسائل هنا:**

**الأولى**: أنّ سؤال الملكين يقع عن ثلاثة أشياء: عن ربه، ثانيا عن دينه، ثالثا عن نبيه؛ فيقولون: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟

فأما المؤمن المسدد الصالح يثبته الله جل وعلا بالقول الثابت ويقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد عليه الصلاة والسلام.

وأما الفاجر المنافق فإنه يقول: هاه هاه، هاه هاه؛ يعني لا أعلم أو لا يحسن الجواب، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته؛ يعني لا يلهمه الله جل وعلا حسن الجواب ولا يثبته عند السؤال.

والرب المسؤول عنه هنا (من ربك؟) المقصود به المعبود، (من ربك؟) يعني من تعبد؟ فالربوبية هنا بمعنىٰ العبادة؛ لأنّ الربوبية في النصوص تطلق ويراد بها الألوهية في مواضع إذا دل عليها السياق، وهنا الحال يقتضي أنّ السؤال ليس هو عن الخالق الرازق المحيي المميت الذي يجير ولا يجار عليه؛ لأن هٰذه يقر بها الجميع، والسؤال عن العبادة لأنها هي محل الابتلاء فمعنىٰ (من ربك؟) يعني من تعبد؟

ثم السؤال الثاني (ما دينك؟) يعني الذي يدين به، فإن كان يدين بعبادة الله وحده لا شريك له الإسلام أخبر بذلك، وإن كان يدين بعبادة الأوثان أخبر عن نفسه ويكون إقرارا علىٰ نفسه بعبادة غير الله جل وعلا، وهكذا في السؤال الثالث.

**المسألة الثانية**: هٰذا السؤال هل هو مختص بهٰذه الأمة أم هو لجميع الأمم؟ هٰذه بحثها العلماء، ولهم أقوال.

والقول الظاهر الصحيح منها أن هٰذا السؤال لهٰذه الأمة ولجميع الأمم، فالجميع يُسأل إذا أُدخل القبر لأجل عدم ورود التخصيص.

وأما ما جاء في بعض الأدلة من بعض الأحاديث «**إنه أوحي إلي أن هٰذه الأمة تبتلىٰ في قبورها**» هٰذا لا يقتضي التخصيص؛ لأن هٰذا ليس له مفهوم مخالفة، فإثباته لهٰذه الأمة لا يعني أنها مخصوصة بذلك.

**المسألة الثالثة**: سؤال منكر ونكير، هل يكون للكافر أم لمن أجاب النبي ﷺ ظاهرا، أيضا اختلف فيها علماء السنة علىٰ أقوال.

والصَّحيح منها أن السؤال -لا نطيل الكلام فيها تجدونها في الكتب المطولة- والصحيح أن السؤال يكون لكل مكلف -من المسلمين المؤمنين، ومن المنافقين، ومن الكفار-، وهٰذا يدل له ورود لفظ الكافر في بعض روايات حديث البراء فيقول: «**وأما الكافر أو الفاجر**»، فيها «**أما المنافق أو الفاجر**» فذُكر في الروايات المنافق والفاجر والكافر، وهٰذه سواء حملناها علىٰ ورودها بالمعنىٰ أو أن الجميع محفوظ؛ لكن التخصيص ليس له وجه، فالجميع يُسأل عن هٰذه المسائل؛ لأنها هي فاتحة ما سيكون بعدها في الحياة البرزخية.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذلك: (**وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ**) يريد بذلك التصديق والإيمان لما دلت عليه الأحاديث والآي من أن المقبور يكون في نعيم أو في عذاب وأن قبره إما أن يكون روضة

من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار كما جاء في الحديث.

وسبب إيراده أن العقلانيين في مسائل عذاب البرزخ والفلاسفة وطائفة من أهل الكلام ينفون أن يكون القبر جنة أو نار، ويقولون بعقولهم إننا نفتح القبر فلا نجد فيه أثرا لخضرة ولا أثرا لكذا وكذا من النعيم، ونفتح القبر فلا نجد فيه أثرا لنار، ونلمس الأرض من الخارج ولا نجد أثرا لنار، وهٰذا من جراء قاعدتهم أن عالم الغيب يقاس علىٰ عالم الشهادة وأن الجميع يمكن إدراك العقول، يقولون: إن خلق الله واحد وهٰذا وهٰذا مداره من حيث القياس واحد.

وهٰذا الأصل الذي أصّلوه خلاف ما دلت عليه الأدلة من أن عالم الغيب غير عالم الشهادة، وعالم الملائكة وعالم الجن غير عالم ما نراه، وهكذا في ما لا نراه من المخلوقات فإن قوانينه وسنة الله جل وعلا فيه تختلف عما نراه.

والحياة البرزخية والعذاب والنعيم والجنة والنار لا يعرف كيف يكون إيصال ذلك إلىٰ الإنسان وإلىٰ الأرض إلا رب العالمين جل وعلا، ولهٰذا الواجب أنّ المسائل الغيبية لا تُحكَّم عليها العقول؛ لأن الله جل وعلا أخبر بها فيؤخذ بها علىٰ ظاهرها، وكما ذكر شيخ الإسلام وابن القيم وشارح الطحاوية وجماعة: **بأنّ الشريعة تأتي بما تحار فيه العقول ولا تأتي بما تُحيله العقول**، وهٰذه قاعدة مهمة في نظرك فيما يلتبس عليك، فإن الشريعة تأتي بأخبار غيبية وبأشياء يحار فيها عقل الناظر؛ لكن العقل الصريح الواضح الدليل من الأهواء والآفات الذي يطبق القواعد الصحيحة تطبيقا صحيحا يخرج بأن العقل لا يحيل هٰذه الأشياء؛ لكن يحار العقل في حقيقتها نعم، لأن العقل إنما نما لما شاهد، العقل تنوعت إدراكاته ونما فيه أشياء بما شاهد ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾[النحل:٧٨]، هٰذه وسائل الإدراك فعقل الطفل لم يكن شيئا فنمت فيه الإدراكات لِما شاهد من القوانين، وأما ما لم يشاهد فإنه لم يدركْهُ عقله لأنه لم يشاهده ولم يعرف حقيقته، فلهٰذا لا يسوغ له أن يحكم علىٰ ما لم ير بما رأىٰ وبما حصّله من معلومات نشأت معه من صغره إلىٰ أن وصل إلىٰ ما وصل إليه.

وعالم الغيب ليست قوانين كعالم الشهادة خذ مثلا السَّمٰوات وما فيها وبُعْدَها، وخذ مثلا الشمس وبُعْدها وكيف تنير الأرض إلىٰ آخره والقمر وحاله والخسوف والكسوف وأنواع ما يحصل، فإن هٰذه عند من لا يعرف فإنه لا يدرك حقيقتها، وربما أدرك بعض الناس حقيقتها فأدركوا قوانين الرب جل وعلا وسنة الرب جل وعلا في بعض خلقه.

فإذن نقول:..... لهٰذا بنىٰ ابن تيمية كتابه «العقل والنقل» الذي هو موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول أو درء تعارض العقل والنقل علىٰ هٰذه المسألة، وهي المسألة التي خالف فيها العقلانيون من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة إلىٰ آخره وهٰذه من المسائل التي يذكرونها ويشنعون أو يؤكدون عليها.

لكن لاشك أن كون القبر روضة أو حفرة هٰذا من عالم الغيب الذي لا يدرك والإنسان تراه نائما بجنبك وهو إما في نعيم أو في تألق وأنت لا تدري؛ بل ربما استغاث وهو نائم بالذي حوله ويسمع كلامه؛

لكنه لا يجاب لأن عالمه ليس فيه إيصال الصوت إلىٰ الآخر، وهكذا في أنواع مما يدل علىٰ هٰذا الأصل.

فإذن الواجب في هٰذه المسائل التسليم بالغيبيات بما دلت عليه الأدلة، وأن لا يقاس عالم الغيب علىٰ عالم الشهادة، وأن لا يعترض المرء بعقلياته علىٰ الشريعة؛ بل يعلم ويسلم بأن العجز عن الإدراك إدراك؛ لأن الله جل وعلا علىٰ كل شيء قدير.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعدها: (وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ).

قوله: (وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ) هٰذا ركن من أركان الإيمان، فَرْضٌ الإيمان به، ولا يصح إيمان أحد ولا إسلامه حتىٰ يؤمن باليوم الآخر، فمن أنكر البعث أو اليوم الآخر فإنه كافر بالله جل جلاله، فالإيمان بالبعث ركن من الأركان؛ وهو أن الناس لهم يوم يعودون فيه إلىٰ الله جل جلاله.

وهٰذا الإيمان باليوم الآخر له تفاصيل هي التي ذكر بعضها هنا بأنه إيمان ببعث الناس؛ يعني بقيامهم من قبورهم وإرجاعهم أرواحهم إليهم، وإيمان بجزاء الأعمال، وإيمان بالعرض، وإيمان بالحساب، وإيمان بقراءة الكتاب، وإيمان بالثّواب، وإيمان بالعقاب، وإيمان بالصِّراط، وإيمان بالميزان، وإيمان بالجنة، وإيمان بالنار.. إلىٰ آخره.

فحقيقة الإيمان باليوم الآخر أنه إيمان بحصول ذلك اليوم ورجوع الناس إلىٰ ربهم، ثم إيمان تفصيلي بكل ما يجري في ذلك اليوم.

وهٰذا واجب الإيمان به لمن سمع النص والدليل في كل مسألة من مسائل ذلك اليوم، وهٰذه التي ذكر كلّها دلت عليها الأدلة، فجزاء الأعمال يوم القيامة الأدلة كثيرة فيه في القرآن ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1]، ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾[الجاثية]، ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية]، والآيات تعلمونها كثيرة جدا في هٰذا الباب؛ بل بعد ذكر توحيد الله جل وعلا والإيمان برسوله ﷺ أكثر ما في القرآن من التقرير: تقرير الإيمان بالبعث ورجوع الأجساد؛ لأنّ أكثر مخالفة المخالفين في هٰذا الأصل العظيم؛ يعني من المشركين يخالفون في البعث وما يجري مجراه.

ونذكر هنا مسائل فيها تفصيل لهٰذه الجمل:

**الأولى**: قوله: (نُؤْمِنُ بِالبَعْثِ وَجَزَاءِ الأَعْمَالِ) لما عطف دل علىٰ أنه يريد بالبعث بعض ما يكون في اليوم الآخر، وهو بعث الناس من قبورهم، والذي دلّت عليه الأدلة أن الله جل وعلا يأمر الملك فينفخ في الصور نفخة الصعق فيصعق الناس وتموت الخلائق، ثم تمضي أربعون بعد النفخة الأولىٰ ثم يأمر الملك فينفخ نفخة ثانية -وقبلها يأمر الله جل وعلا الأرواح فتجتمع في الصور الذي ينفخ فيه الملك-، فينفخ فتذهب الأرواح جميعا من هٰذا القرن العظيم، والذي ينفخ فيه إسرافيل، فتذهب الأرواح إلىٰ الأجساد روح كل إنسان إلىٰ جسده.

قبل هٰذا فيما بين النفخة الأولىٰ والنفخة الثانية تحصل أشياء حتىٰ تحصل حياة الإنسان من جديد

---

(١) سورة: السجدة؛ الآية (١٧)، الأحقاف؛ الآية (١٤)، الواقعة؛ الآية (٢٤).

وهي أن الله جل وعلا يغيّر الأرض ويغيّر معالمها، وتسيّر الجبال وتدك، والأرض تكون مستوية وتعد لمسير الناس إلىٰ أرض محشرهم، ويمطر الله جل وعلا مطرا تنبت منه الأجساد شيئا فشيئا حتىٰ تتكامل، وتُخرج الأرض أثقالها من المدفونين، ثم بعد ذلك تكون الأجسام كالأشجار بلا أرواح.

فينفخ إسرافيل فتعود الأرواح فتهتزّ تلك الأجسام فإذا هم قيام ينظرون.

هنا يعني هو الظاهر من مراده بالبعث يعني قيام الأجساد؛ قيام الأجساد من القبور، وهٰذا الأدلة عليه في الكتاب والسنة كثيرة:

كقوله جل وعلا مثلا في القرآن: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[الزمر].

وكقوله جل وعلا: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾[يس] إلىٰ آخره.

وكقوله: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴿٨٦﴾﴾[مريم]، ونحو ذلك من الأدلة.

ثم بعد البعث يسير الناس إلىٰ محشرهم.

**المسألة الثانية**: (جَزَاء الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، الجزاء المراد به المجازاة؛ يعني أنهم يُجزون علىٰ أعمالهم الصالحة ويجزون علىٰ أعمالهم السيئة، علىٰ هٰذا وهٰذا، والجزاء لا يكون بعد البعث مباشرة؛ بل يكون متأخِّرا لهٰذا الطحاوي هنا لم يرتب ما يحصل يوم القيامة الشيء بعد الشيء مما يكون في ذلك اليوم العظيم، وإنما قدم وأخر بحسب أغراضٍ له في ذلك.

الجزاء يأتينا الترتيب إن شاء الله في مسألة لاحقة، الجزاء بمعنىٰ المجازاة ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة] يعني بعد أن يقرر علىٰ أعماله ويحاسب والوزن إلىٰ آخره يجزىٰ المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

**المسألة الثالثة**: (الْعَرْض).

والعرض جاءت الأدلة ذكره نصا ومعنىٰ كقوله جل وعلا: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾[الحاقة] الآيات ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ﴾ هٰذا العرض.

كذلك ما جاء في السنة من قوله عليه الصلاة والسلام: «عرضتان جدال ومعاذير»، فالعرض علىٰ الرب جل وعلا كثير في القرآن وفي السنة، وعرضوا علىٰ ربك صفا ونحو ذلك.

العرض معناه أنْ يعرض المكلف وأن يعرض عمل المكلف، فهناك عرْضٌ للمكلفين علىٰ رب العالمين، ثم رب العالمين يعرض الأعمال، أعمال كل مكلف عليه.

ومعنىٰ العرض أنه يقال له: عملت كذا، وعملت كذا في يوم كذا يعني يعرض عليه أنه عملت وعملت وعملت إلىٰ آخره، فيعرض الإنسان ويعرض عمله بحيث يراه، وقد يجادل وقد يعتذر إلىٰ آخره، ثم يكون بعد ذلك الكتاب والحساب إلىٰ آخره.

**المسألة التي بعدها[الرابعة]**: (الْحِسَاب).

و(الْحِسَاب) المقصود منه المحاسبة يعني بعد أن يقرأ الكتاب فإنه يحاسَب هٰذا خير فستجزىٰ عليه وهٰذا شر ستجزىٰ عليه، يحاسب الله جل وعلا المؤمن حسابا يسيرا، ويحاسب الكافر والمنافق حسابا عسيرا.

والحساب من حيث هو تقرير للعمل مع الجزاء والعقاب هٰذا يكون بعد أخذ الكتاب وقبل أخذ الكتاب؛ لأن حقيقة المحاسبة أنَّ الله جل وعلا يحاسبهم علىٰ ما عملوا بعرض ما عملوا من خير أو شر، وهٰذا يكون بالشهادة عليهم من جسده ومن الكتاب، ويكون قبل ذلك بذكر الله جل وعلا له وهٰذا كله يحصل في سرعة خاطفة، كما قال جل وعلا: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾[الأنعام] قال علماء التفسير: يحاسب الخلائق في ساعة. جميع الخلائق في ساعة ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾؛ يعني تكون المحاسبة بسرعة لهٰذا وهٰذا جميع الخلائق.

**المسألة التي بعدها [الخامسة]**: قال: (وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ) ويعني بالكتاب الصحف التي كتبت فيها أعماله وهو الكتاب الذي يلقاه العبد يوم القيامة منشورا ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾[الإسراء][1] وهٰذا الكتاب هو الصحف، الصحف هٰذه تنشر للإنسان وتوزع علىٰ الناس في الموقف؛ يعني أنّ الناس في ذلك الموقف تنشر لهم السجلات والكتب، ويؤمرون بأخذها وتتطاير أيضًا إليهم؛ يعني علىٰ اختلاف الصفات فمن آخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله وراء ظهره.

فقراءة الكتاب، العبد يقرأ والله جل وعلا يقرر العبد علىٰ ما عمل حتىٰ يكون عليه شاهدًا.

**المسألة التي بعدها [السادسة]**: (وَالثَّوَاب وَالْعِقَاب) يعني بعد الوزن؛ لكن هنا أراد الإيمان بأن هٰذه الأشياء حاصلة لأجل ورود الدليل بها؛ بل معنىٰ البعث إنما هو حصول الثواب والعقاب، حقيقة معنىٰ يوم البعث واليوم الآخر أن يثاب المطيع وأن يعاقب الكافر.

**المسألة [السابعة]**: (الصِّرَاط).

الصراط هو الطريق، والصراط طريق موضوع علىٰ ظهر جهنم؛ يعني فوقها -فوق جهنم-، وهو طريق يوصل من العرصات من أرض المحشر إلىٰ ساحات الجنة؛ يعني ما قبل دخول الجنة، وهٰذا العبور علىٰ الصراط هو المذكور في قوله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾[مريم].

والصراط جاءت صفته في السّنّة، وجاء ذكره مجملًا في القرآن.

أما صفته في السنة فإنه دقيق جدا وطويل، وأن علىٰ جنباته كلاليب تخطَف من قضىٰ الله جل وعلا أن يكون من أهل النار، وأنَّ الناس في العبور عليه يخافون خوفًا شديدًا، فالأنبياء يقولون قبل العبور اللّهمَّ سلِّم سلِّم.

---

(١) انتهىٰ الشريط السابع والثلاثون.

ودون هٰذا الصراط ظلمة لا يتبين أحد ممن يريد أن يعبر طريق الصراط إلا المؤمنين بما فيهم العصاة، وأما الكافرون والمنافقون فإنهم يجتمعون في الظُّلمة ويتهافتون في النار تهافت الجراد، وغير ذلك ممَّا جاء في وصفه وأنه أدق من الشعرة وأحد من السيف، إلىٰ آخره.

وهٰذه الصِّفات أنكرها المعتزلة وأنكرها العقلانيون والفلاسفة، وقالوا: هٰذه لا يعقل أن يكون الطريق من صفته كذا وكذا.

وإذا كان هٰذا الأمر جاء عن المصطفىٰ ﷺ وثبتت به السنة فالإيمان به واجب علىٰ نحو ما ورد علىٰ ما ذكرنا لكم من أنَّ عالم الغيب لا يقاس علىٰ عالم الشهادة.

**المسألة الأخيرة** -يعني في ذكر هٰذه الجمل- **الثامنة**: (الْمِيزَان).

والميزان ذكره الله جل وعلا في كتابه وجاء في السنة وصفه وذكره، فالإيمان به واجب، فالميزان حقيقة ليس هو العدل كما تقوله المعتزلة؛ لأنَّ المعتزلة أنكروا حقيقة الميزان -كما سيأتي-، وقالوا: الميزان هو العدل مطلقا الله يحاسبهم بالعدل، والله جل وعلا بيّن أن الميزان يوزن فيه العمل ولو كان مثقال ذرة.

قال جل وعلا: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الأنبياء].

وقال جل وعلا: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾[المؤمنون] الآية.

وقال جل وعلا: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾[الأعراف:٨]، الآية التي ذكرت لكم في الأعراف ونحو ذلك من الآيات التي فيها ذكر الوزن والموازين.

والميزان هنا أفرده قال (وَالْمِيزَانِ) وهو قول لكثير من العلماء بأنه يوم القيامة ليس ثم إلا ميزان واحد، وأن الجمع هنا في بعض الآيات في قوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[الأنبياء:٤٧] أن هٰذا علىٰ تعدد الموزونات وليس علىٰ تعدد الموازين.

والصحيح أن الموازين متعددة؛ لأن الله جل وعلا جمعها فقال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ وهٰذا ظاهر في إرادة الموازين حقيقة وليست الموزونات؛ لأنَّ الموزونات لا يقال عنها: إنها توضع، قال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ والموزونات لا تُوصف بأنها توضع ولا توصف بأنها قسط أيضا.

فإذن ﴿ٱلْقِسْطَ﴾ يعني العادلة التي لا تظلم في الوزن هٰذه متعدِّدة علىٰ ظاهر الآية.

وجاء في السنة أن الميزان له كِفَّتان كفة توضع فيها السيئات وكفة توضع فيها الحسنات، فمن ثقلت كفة حسناته أفلح وأنجح ودخل الجنة، ومن ثقلت كفة سيئاته فهو معرض لوعيد الله جل وعلا.

قال بعض العلماء من السنة في عقائدهم: إنَّ الميزان له كفتان وله لسان.

وكون الميزان له لسان كما ذكره ابن قدامة في «اللمعة» وذكره غيره، هٰذا لا أحفظ فيه دليلا واضحا وما اطلعت فيه علىٰ دليل واضح؛ لكن أخذوه من أن ظاهر الوزن في الرجحان يتبين باللسان، فأعملوا ظاهر اللفظ وجعلوا ذلك مثبتًا لوجود اللسان، **فينبغي أن تكون محل بحث**.

الذي يوزن في الميزان ثلاثة أشياء:

**يوزن** الإنسان نفسه كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال لما ضحكوا من دقة ساقي عبد الله بن مسعود: «**أتضحكون من دقة ساقيه، والذي نفسي بيده لهما في الميزان يوم القيامة أثقل من أحد**».

**ويوزن** أيضًا العمل، فالعمل الصَّالح يوضع في كفة، والعمل السَّيِّئ يوضع في كفة.

**ويوزن** أيضا صحائف العمل، الصحائف التي تكتب فيها الأعمال توزن.

وهٰذا من عِظم عدل الله جل وعلا وعِظم إرادته أن يقطع علىٰ العبد العُذر، وأن يكون حجة العبد عليه من نفسه وعمله وصحائف عمله.

**المسألة الأخيرة** لأنَّ الوقت ضاق: في ترتيب هٰذه الأشياء يوم القيامة وهي مسألة مهمة، فإن ما يحصل يوم القيامة وما يكون فيه الذي جاء في الكتاب والسنة أشياء كثيرة، مثل ما ذكر قيام الناس، الحوض، الميزان، الصحف، الحساب، العرض، القراءة، تطاير الصُّحف، الكتاب، الصِّراط، الظلمة، أشياء متنوعة، فكيف ترتيبها؟

الظاهر والذي قرّره المحقِّقون من أهل العلم أن ترتيبها كالتالي:

إذا بُعث الناس فقاموا من قبورهم ذهبوا إلىٰ أرض المحشر، ثم يقومون في أرض المحشر قيامًا طويلًا، تشتد معه حالهم وظمؤهم، ويخافون في ذلك خوفًا شديدًا؛ لأجل طول المقام ويقينهم بالحساب وما سيُجري الله جل وعلا عليهم.

فإذا طال المُقام رفع الله جل وعلا لنبيِّه عليه الصلاة والسلام أولًا حوضه المورود، فيكون حوض النبي ﷺ في عرصات القيامة إذا اشتدَّ قيامهم لرب العالمين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فمن مات علىٰ سنّته غير مغيّر ولا محدث ولا مبدِّل، ورد عليه الحوض وسُقي منه فيكون أول الأمان له أن يكون مسقيا من حوض نبيِّنا عليه الصلاة والسلام، ثم بعدها يُرفع لكل نبي حوضه، فيُسقىٰ منه صالحو أمته، ثم يقوم الناس مُقاما طويلا، ثم تكون الشفاعة العظمىٰ -شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام- بأن يعجّل الله جل وعلا حساب الخلائق في الحديث الطويل المعروف أنهم يسألونها آدم ثم نوحا ثم إبراهيم إلىٰ آخره، فيأتون إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام ويقولون له: يا محمد. ويصفون له الحال وأن يقي الناس الشدة بسرعة الحساب، فيقول عليه الصلاة والسلام بعد طلبهم اشفع لنا عند ربه، يقول: «**أنا لها، أنا لها**»، فيأتي عند العرش فيخرُّ فيحمد الله جل وعلا بمحامد يفتحها الله جل وعلا له، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع. فتكون شفاعته العُظمىٰ في تعجيل الحساب.

بعد ذلك يكون العرض عرض الأعمال، ثم بعد العرض يكون حساب، وبعد الحساب الأوَّل تتطاير الصحف، والحساب الأول من ضمن العرض؛ لأنه فيه جدالٌ ومعاذير.

ثم بعد ذلك تتطاير الصُّحف ويؤتىٰ أهل اليمين كتابهم باليمين وأهل الشمال كتابهم بشمالهم فيكون قراءة الكتاب.

ثم بعد قراءة الكتاب يكون هناك حسابٌ أيضا لقطع المعذرة وقيام الحجة بقراءة ما في الكتب.

ثم بعدها يكونُ الوزن، الميزان، فتُوزن الأشياء التي ذكرنا.

ثم بعد الميزان ينقسم الناس إلىٰ طوائف وأزواج؛ يعني بالأزواج بمعنىٰ كل شكل إلىٰ شكله، وتقام الألوية ألوية الأنبياء؛ لواء محمد عليه الصلاة والسلام، ولواء إبراهيم، ولواء موسىٰ إلىٰ آخره، ويتنوع الناس تحت اللواء بحسب أصنافهم، كل شكل إلىٰ شكله، والظالمون والكفرة أيضا يحشرون أزواجًا يعني متشابهين كما قال: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[الصافات]؛ يعني بأزواجهم يعني أشكالهم ونظراءهم، فيُحشر علماء المشركين مع علماء المشركين، ويحشر الظلمة مع الظلمة، ويحشر منكري البعث مع منكري البعث، ويحشر منكري الرسالة وهكذا في أصناف.

ثم بعد هٰذا يَضرب الله جل وعلا الظُّلمة قبل جهنم والعياذ بالله، فيسير الناس بما يُعطون من الأنوار فتسير هٰذه الأمة وفيهم المنافقون، ثم إذا ساروا علىٰ أنوارهم ضُرب السُّور المعروف ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[الحديد] الآيات، فيعطي الله جل وعلا المؤمنين النور فيبصرون طريق الصراط، وأمَّا المنافقون فلا يعطون النور فيكونون مع الكافرين يتهافتون في النار، يمشون وأمامهم جهنَّم والعياذ بالله.

ثم يأتي النبي عليه الصلاة والسلام أولا ويكون علىٰ الصِّراط، ويسأل الله جل وعلا له ولأمته فيقول: «**اللّٰهمَّ سلّم سلِّم، اللّٰهمَّ سلِّم سلم**». فيمر عليه الصلاة والسلام وتمر أمته علىٰ الصراط كل يمر بقدر عمله ومعه أيضا نورٌ بقدر عمله، فيمضي من غفر الله جل وعلا له، ويبقىٰ في النار يسقط في النار في طبقة الموحّدين من شاء الله جل وعلا أن يعذِّبه.

ثم إذا انتهوا من النار اجتمعوا في عرصات الجنَّة يعني في السّاحات التي أعدها الله جل وعلا؛ لأن يُقتص أهل الإيمان بعضهم من بعض ويُنقىٰ الغل حتىٰ يدخلوا الجنة وليس في قلوبهم غِل.

فيدخل الجنة أول الأمر بعد النبي عليه الصلاة والسلام فقراء المهاجرين، فقراء الأنصار إلىٰ آخره ثم فقراء الأمة، ويؤخَّر الأغنياء لأجل الحساب الذي بينهم وبين الخلق ولأجل محاسبتهم علىٰ ذلك.

إلىٰ آخر ما يحصل في ذلك ممَّا جاء في القرآن العظيم.

أسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإيَّاكم من أهل الجنة، وأن يعيذنا من سخطه والنار.

اللّٰهمَّ لقِّنَّا حجتنا في القبور واجعلنا ممن يأخذه كتابه باليمين وتحاسبه حسابا يسيرا يا أكرم الأكرمين.

أسأل الله جل جلاله لي ولكم ولأحبابنا جميعا ولمن له حقٌّ علينا المغفرة والرضوان، وأن لا يؤاخذنا بسيئات أعمالنا وأن يغفر لنا ذنوبنا فإنه سبحانه أهل للجود والكرم والمغفرة والرَّحمة.

سبحانك اللّٰهمَّ وبحمدك اشهد أن لا إلٰه إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. وصلىٰ الله وسلم بارك علىٰ نبينا محمد.

## الدرس السادس والأربعون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَىٰ النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَىٰ مَا خُلِقَ لَهُ.

وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَىٰ الْعِبَادِ.

وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ الْمَخْلُوقُ بِهِ، فَهِيَ مَعَ الْفِعْلِ، وَأَمَّا الِاسْتِطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ وَالْوُسْعِ وَالتَّمَكُّنِ وَسَلَامَةِ الْآلَاتِ فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة:٢٨٦].

وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ خَلْقُ اللهِ، وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ.

---

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسلام علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

اللَّهمَّ نسألك العلم النافع والعمل الصالح.

اللَّهمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدا، ومُنَّ علينا بحسن الختام، وقنا الشر وأسبابه، إنك علىٰ كل شيء قدير.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ هنا: (وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ) يريدُ بذلك أن يقرِّر ما دلّ عليه كتاب الله جل وعلا وسنة رسوله ﷺ من أنَّ الجنة موجودة اليوم، وأنّ النار موجودة وأنَّ الجنة مخلوقة قبل خلق آدم والنار موجودة خلقها الله جل وعلا كما خلق الجنَّة وخلق لها أهلا كما قال: (وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا).

وهٰذا الأصل قُرِّر في العقائد لأجل ما ذكرتُ لكم من الأسباب فيما قبله مِن أن هٰذه المسألة غيبية والدليل جاء بإثباتها، وطائفة من الفِرق الضالة خالفت في هٰذا الأصل.

وأهل السنة يذكرون في عقائدهم -كما سبق أن بينتُ لكم- الأمور الغيبية وما يجب أن يُعتقد فيها، ويذكرون ما دلَّت عليه النصوص ممَّا يجب التسليم له، ويذكرون أيضًا في عقائدهم ما يتميزون به عن الفرق الضالة أو عن بعض تلك الفرق.

وهٰذه المسألة هي مسألة خلق الجنة والنار، وأن الجنة باقية أبدا والنار باقية أبدا، لا تفنىٰ الجنة والنار ولا تبيدان، كانت من المسائل التي جرىٰ فيها الكلام بعد ظُهور الجهمية.

وأصل هٰذه المسألة -كما سيأتي- مرتبطٌ بأصلين كلاميَّين زعمهما الجهمية ومن وافقهم: في القدر، وفي تسلسل الأفعال والمخلوقات والمؤثِّرات.

فاللهُ جل جلاله لم يجر عالم الغيب علىٰ قياس عالم الشهادة، هٰذا أصلٌ مهم في بيان ضلال من ضل في المسائل الغيبية، حيث جعلوا عالَم الغيب مَقِيسا علىٰ عالم الشهادة ما يصلح لعام الشهادة يصلح لعالَم الغيب، والقوانين والسُّنن التي تحكم عالم الشهادة يجعلونها صالحة لعالَم الغيب، والله جل وعلا خلق كل شيء فقدره تقديرا، كلٌّ له تقديره الخاص.

ووجود الجنة والنار عقيدة ماضية دلَّ عليها القرآن والسنة، والأدلة في ذلك كثيرة جدا:

نذكر منها قول الله جل وعلا: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾[الأعراف:١٩]، والجنة هٰذه هي جنة الخلد، التي فيها الخلود الذي لا يزول عنه المرء ولا يحول.

ووصف الله جل وعلا حين عُرج بنبيّه أن عنده جنَّة المأوىٰ فقال جل وعلا: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦﴾[النجم]، فأثبت جل وعلا أنه حين عُرج لرسول الله ﷺ كانت الجنة هناك.

والنبي عليه الصلاة والسلام أُري في ذلك المقام الشجرة الملعونة قال جل وعلا: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ٦٠﴾[الإسراء]، لهٰذا لما وصف لهم حال النار وحال تلك الشجرة قالوا ما قالوا في أن الزقوم والتزقم إنما هو خلط الثمر بالزُّبد ونحو ذلك فقال جل وعلا: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ٤٤ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ٤٥ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٦﴾[الدخان]. والآيات في هٰذا المعنىٰ كثيرة.

وفي السنة أيضا في بيان هٰذا الأصل، وأن نسمة المؤمن في الجنة كقوله «**نسمة المؤمن طائر يعلق من ثمار الجنة**»

وكقوله في أرواح الشهداء: «**أرواح الشهداء في جوف طير خضر تهوي إلىٰ قناديل معلقة تحت العرش في الجنة**».

وكذلك قوله جل وعلا في الشهداء: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠﴾[آل عمران].

ونحو ذلك مما فيه تقرير علىٰ أن الجنة موجودة والنار موجودة، وأنّ هٰذه سيدخلها من يدخلها وهٰذه سيدخلها من شاء الله أن يدخلها.

فإذن أهل السنة قرَّروا هٰذا في العقائد تبعا للدليل، وهٰذا أمر واضح بيّن فيما دل عليه القرآن والسنة.

ونذكر المسائل المتعلقة بهٰذا:

**المسألة الأولى**: قوله: (**الْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ**) يعني به أن خَلْقَهما قد تم، ليس موقوفا علىٰ قيام الساعة، وليس حال في الجنة والنار كحال السَّمٰوات والأرض ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم:٤٨]، فذاك شان والجنة والنار شأنهما آخر، فهما مخلوقتان يعني الآن حين قال وحين بعث الله نبيه وقبل ذلك، فهما مخلوقتان لا يُعلم متىٰ خلقهما الله جل جلاله، وإنما خلقهما الله جل وعلا قبل خلق الخلق؛ يعني قبل خلق آدم قبل خلق المكلّفين، وهٰذا يدلّ عليه قوله: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾[1] والألف واللام في ﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾ للعهد يعني الجنة المعهودة التي هي دار النعيم.

**المسألة الثانية**: قوله: (**لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ**) يعني أن الجنة خُلقت للبقاء والنار خُلقت للبقاء، وهٰذا هو الذي دلّ عليه القرآن والسنة؛ بأن أهل الجنة خالدين فيها أبدا، وأن أهل النار خالدين فيها أبدا، قال جل وعلا في ذكر النار: ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣﴾

---

(١) سورة: البقرة؛ الآية (٣٥)، الأعراف؛ الآية (١٩).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾[الأحزاب]، وفي الجنة آيات كثيرة جدا فيها ذكر الأبدية، وأن من دخلها فهو خالد فيها أبدا.

وهٰذه الأبدية في الجنة والنار معا مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة؛ لأن الجنة والنار مخلوقتان للبقاء أبدا.

والمقصود بالنار هنا بالإجماع جنس النار، فإن الإجماع منعقد علىٰ أن جنس النار باقٍ أبدا.

والفِرق المخالفة لهم عدة أقوال في هٰذه المسألة تبلغ ستة أقوال أو أكثر.

* وأهمها قول من يقول: إن الجنة والنار تفنيان في وقت ويبقىٰ نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار بالاستصحاب، لا بتجدد النعيم؛ يعني يحصل لهم نعيم تتنعم به أبدانهم ثم يقف، وتفنىٰ الجنة. وذلك لأصل أصلوه وهو أنّ العقل اقتضىٰ أن الحركة التي تبدأ فإنها ستنتهي وكل متحرّك بدأ بحركة فلابد أن ينتهي بلا حركة، لهٰذا قالوا: أهل النار أيضا لا يستمرّون في العذاب؛ بل تفنىٰ النار ويبقىٰ أهل النار ليسوا في نعيم وبذلك يصح أن يقال عنهم: إنهم في عذاب دائم.

وهٰذا منسوب إلىٰ الفرق الضالة الكافرة كالجهمية وطائفة أيضا من غيرهم.

* والقول الثاني من الأقوال الضالة من يقول إن الجنة تبقىٰ والنار تبقىٰ لكن النعيم ينقضي والعذاب ينقطع، ويكون الجنة يفعل الله جل وعلا بها ما يشاء والنار يفعل الله بها ما يشاء.

وهٰذا لأجل الأصل السابق ولأجل النظر في القدر؛ حيث إن استدامة النعيم عندهم علىٰ عمل صالح قليل لا يوافق العدل، واستدامة العذاب علىٰ عمل سيئ قليل الزمن لا يوافق العدل، لهٰذا نفوا هٰذا الأصل.

وثَم أقوال أخر ليس مناسبا أن تذكر في مثل هٰذا المكان.

أما قول أهل السنة المعروف هو ما ذكرته لك من أن الجنة والنار مخلوقتان لا تبيدان ولا تفنيان أبد الآبدين، ينعّم أهل الجنة في الجنة أبد الآبدين، ويعذب الكفار في النار أبد الآبدين.

قد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**يؤتىٰ يوم القيامة بموت علىٰ هيئة كبش فيذبح بين الجنة والنار ثم ينادي المنادي يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت**»، والتنصيص علىٰ الأبدية في نعيم أهل الجنة وخلودهم فيها يدل علىٰ أنّ المكان الذي يخلدون فيه يبقىٰ، حيث قال جل وعلا في الجنة: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[1]، وقال في النار: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[2] فهم في المكان فيقتضي أن المكان أيضا يبقىٰ أبد الآبدين.

ومن أهل السنة من قال: إن النار منها ما يفنىٰ وينتهي بإنهاء رب العالمين له وهو طبقة أو درك الموحّدين من النار، وهي الطبقة العليا من النار؛ لأن الموحدين موعودون بأن يخرجوا من النار، فلا

---

(١) سورة: النساء؛ الآية (٥٧، ١٢٢)، المائدة؛ الآية (١١٩)، التوبة؛ الآية (٢٢، ١٠٠)، التغابن؛ الآية (٩)، الطلاق؛ الآية (١١)، البينة؛ الآية (٨).

(٢)سورة: النساء؛ الآية (١٦٩)، الأحزاب؛ الآية (٦٥)، الجن؛ الآية (٢٣).

يخلد في النار من كان في قلبه ذرة من الإيمان، لابد له من يوم يخرجون منها؛ لأن معهم التوحيد ولو طالت مدتهم، ثم تبقىٰ تلك الطبقة لا أحد فيها فيُفنيها الله جل وعلا.

وهٰذا منسوب إلىٰ بعض السلف، وجاء في الأثر عن عمر وفي إسناده مقال وضعف: أن أهل النار لو لبثوا فيها كقدر رمل عالج -موضع فيه رمل كثير-، لكان لهم يوم يخرجون منها، وليأتين عليها يوم تصطفق أبوابها ليس فيها أحد.

ومما يُنسب أيضا إلىٰ بعض أهل السنة من أئمة أهل السنة أن فناء النار ممكن وأن فناءها لا يمتنع، وهو القول المشهور عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعن غيره كابن القيم وجماعة من المتقدمين أيضا ومن الحاضرين.

وهٰذا القول منشؤه -مع علم هؤلاء بالدليل وبالنصوص- علىٰ وجه الاختصار النظر في صفات الله جل وعلا، وذلك أن من المتقرر في النصوص أن صفة الرحمة ذاتية ملازمة للرب جل وعلا، والجنة من آثار رحمة الله جل وعلا «**أنت رحمتي أرحم بك من أشاء**» والنار أثر غضب الله جل وعلا والغضب صفة فعلية اختيارية لا تنقلب إلىٰ أن تكون صفة ذاتية كالرحمة، ولو بقي أثر الغضب لبقي الأصل وهو الغضب، لو بقيت النار وهو أثر الغضب لبقي الغضب أبد الآبدين، وهٰذا يعني أنه أصبح صفة ملازمة، وهٰذا هو مأخذ هؤلاء الأئمة في هٰذه المسألة.

وهٰذا فيه بحث ونظر معروف في تقرير هٰذه المسألة؛ لكن من بحثها وكثير من الناس كتبوا فيها لم يلحظوا علاقة المسألة بقول هؤلاء بصفات الله جل وعلا، وهي أصل منشأ هٰذه المسألة.

قد قال ابن القيم سألت ابن تيمية عنها فقال: هٰذه مسألة عظيمة، وذكر في موضع بعد أن ذكر أدلة الجمهور أهل السنة وأدلة هؤلاء، فقال في آخره: فإن قلت إلىٰ أي شيء انتهت أقدامكم في هٰذه المسالة العظيمة؟ قلنا انتهت أقدامنا إلىٰ قول الله جل وعلا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾[هود].

ومما لا ينبغي أن يخاض في هٰذه المسألة؛ لكن لما أوردها الشارح وهي مسألة مشهورة عند طلبة العلم أوردت عليها هٰذا التقرير الموجز وهي معروفة بتفاصيل من التعليل لقول ابن تيمية وابن القيم.

ولم يصب من زعم أنه لا يصح نسبة هٰذا القول إلىٰ الشيخين ابن تيمية وابن القيم.

**المسألة الثالثة**: قال في ذكر خلق الجنة والنار: (خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ) هٰذا مأخذه قول الله جل وعلا: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[الأعراف:١٩]، وهٰذه الجنة معناه أنها موجودة بعد أن نُفخ الروح في آدم، وهٰذا يعني أنها تقدمت قبل خلق آدم.

وهٰذه الجنة التي سكنها آدم للعلماء فيها أقوال أشهرها:

- أنها جنة مخلوقة في الأرض وليست بجنة الخلد.
- والثاني بأنها الجنة المعروفة دار الكرامة عند رب العالمين.

ويرجح جماعة منهم ابن القيم وكثير من المفسرين من المعتزلة ومن أهل السنة أن الجنة هٰذه ليست هي جنة الخلد، ولهم في ذلك أدلة طوّل عليها ابن القيم في أول «مفتاح دار السعادة» بأكثر من أربعين

صحيفة في ذكر هٰذه المسألة.

والصحيح أنّ الجنة هي الجنة المعهودة لأسباب كثيرة وأدلة من القرآن ومن السنة:

من أعظمها قوله جل وعلا في وصف الجنة: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾[طه] إلىٰ آخر الآيات وهٰذه الصفات (**إن لك... فيها..**) إلىٰ آخره هٰذه ليست مناسبة للأرض، فالأرض وإن كان فيها مكان مرتفع جنة إلىٰ آخره مختلف عن بقية الأرض فلا يوصف من فيه بهٰذه الصفات بأنه لا يضمأ ولا يضحىٰ يعني ما يأتيه الشمس فيها ولا يجوع ولا يعرىٰ ونحو ذلك من الصفات، فهٰذه صفات تدل علىٰ أن المكان مغاير للأرض.

ومن الأدلة أن الله جل وعلا قال في ذكرها لما عصىٰ آدم ﴿اهْبِطَا مِنْهَا﴾[طه:١٢٣]، وهٰذا الإهباط والخروج يقتضي أن يكون من جهة عالية، والمكان الذي هو من جنسه فإنه وإن هبط منه فإنه ليس خارجا إلىٰ غيره؛ بل هو منه إلىٰ جنسه ولا تحصل العقوبة بالإهباط وإنما العقوبة بالإخراج، والله جل وعلا جعل في القرآن هٰذا وهٰذا الإخراج والإهباط إلىٰ أدلة أخرىٰ معروفة.

المقصود أن قوله: (**خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ**) الجنة واحدة هي المعروفة وكل الأدلة التي فيها ذكر الجنة الغيبية فهي دار الكرامة التي أعدّها الله لعباده.

قال: (**وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا**) يعني به قبل خلق السَّمٰوات والأرض، فإن الله جل وعلا كتب أنه سيخلق هؤلاء وهؤلاء وأن الجنة لها أهلها وأن النار لها أهلها، ولما خلق آدم أيضا نشر ذريته من ظهره ثم قبض قبضة فقال: هؤلاء إلىٰ الجنة، وقبض أخرىٰ وقال: هؤلاء إلىٰ النار.

فالله جل وعلا خلق الجنة وجعل لها أهلا سيدخلونها فضلا منه وتكرما، وخلق النار وجعل لها من يملؤها عدلا منه وحكمة، لهٰذا قال بعدها: (**فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَىٰ النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ**)، وهنا مسألتان:

**الأولى**: الفضل هو الإكرام، والله جل وعلا علّق دخول الجنة بالعمل الصالح ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾[النحل]، وعلّق دخول النار بالعمل السيئ وبالكسب السيئ ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [فصلت]، ونحو ذلك من الآيات، وهٰذه الباء في المقامين هي باء السبب فإن الله جل وعلا جعل الأعمال الصالحة وأعظمها التوحيد سببا في دخول الجنة، وجعل الأعمال السيئة وأعظمها الشرك بالله سببا لدخول النار؛ ولكن هٰذا السبب ليس كافيا في تحقيق المراد؛ بل لا أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله جل وعلا، لهٰذا صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**لن يُدخل أحدكم عملُه الجنة**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضلا**»، فدلّ علىٰ أن أصل دخول الجنة برحمة الله وفضله، وذلك لأن الفضل هنا هو الامتنان، الفضل هنا هو الإعطاء والإكرام، والأعمال وإن كان للعبد فيها أجور فإن قوبلت بالنعم فصارت القسمة أو لصار الشأن واضحا في أن العبد قوبلت أعماله بالنعم التي كرّمه الله جل وعلا بها، وأيضا لو نظرت إلىٰ أن العمل الصالح أصلا ما كان من العبد إلا بإعانة وتوفيق من الله جل وعلا فأصلا نشوء العمل الصالح هو بفضل من الله وهدىٰ من الله وإعانة وتوفيق فما يكون نتيجة فلابد

أنه فضل أيضا من الله جل وعلا .

**والمسألة الثانية**: العدل، العدل معناه أن يعامَل المرء بما يستحقه دون تفضُّل عليه، يعني أن يُنظر ويناقش الحساب ويعطىٰ ما يستحق، وأهل النار دخلوا النار بما يستحقون عدلا من الله جل وعلا؛ لأنه سبحانه لما علم بما في صدورهم لم يعنهم إعانة خاصة ولم يوفقهم للعمل الصالح؛ بل خذلهم يعني لم يوفقهم، ترك إعانتهم علىٰ أنفسهم، فوكلوا إلىٰ أنفسهم وهٰذا عدل أن تعمل بما لديك، وبما عندك من الاستعدادات والآلات إلىٰ آخره، ولهٰذا قال الله جل وعلا في بيان منته لأهل الإيمان: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾[الحجرات]، فدلّ علىٰ أن الله جل وعلا منّ علىٰ هؤلاء بشيء، ولم يتفضّل علىٰ أولئك بل عاملهم بالعدل، وذلك لسبب أن هؤلاء في قلوبهم الخير وهم يريدون وأقبلوا عليه، وأولئك لا يريدون الخير ولا يحبون سماعه ولم يريدوا الإهتداء أصلا، فعاملهم الله جل وعلا بعدله، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[البقرة]، الآية فقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني أن الكفر وُجد منهم الكفر أصلا في قلوبهم ولهٰذا قال في آية النساء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ۝١٣٧﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[النساء] الآية، فدل هٰذا علىٰ أن المعاملة بالعدل أن يوكل إلىٰ نفسه، وهو أصلا لم يُعن ويتفضل عليه لأنه لم يسعىٰ إلىٰ الخير، لم يوفق لأنه لم يسعَ، وفي قلبه حب للشر ونوع بغض للخير، فلذلك لم يعنه الله جل وعلا علىٰ نفسه.

قال بعدها: (وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَىٰ مَا خُلِقَ لَهُ.) يعني أن من خلقهم الله جل وعلا كل يعمل لما كُتِب في الكتاب أنه سيكون إليه لأن الله جل وعلا عالمٌ لم العباد يفعلون، إذا خلقهم هٰذا سيفعل الخير علىٰ تفاصيله فكتب عليه ذلك وهٰذا سيعمل الشر علىٰ تفاصيله فكتب عليه ذلك، فقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام: «**اعملوا فكل ميسر لما قد خلق له**» يعني أن الله جل وعلا خلق الجنة وخلق لها أهلا وهٰذا سيعمل حتىٰ يصل إلىٰ ما خلقه الله جل وعلا له، وخلق النار إلىٰ آخره، وهٰذا سيأتي مزيد بيان له في القدر في المسائل القريبة إن شاء الله تعالىٰ.

قال: (وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَىٰ الْعِبَادِ) يعني أنَّ ما يفعلُه العبد من الخير أو يفعله من السوء فهو لم يحصل ابتداء منه دون قدر سابق؛ بل الله جل وعلا قدّر عليه ذلك ومعنىٰ قدر عليه ذلك أي أنه سبحانه علم ذلك منه وكتبه عليه، وأنه أعانه بالأدوات والقدرة والإرادة، بحيث فعل الخير وفعل الشّر، ما شاء الله كان، وقع الخير ووقع الشر بمشيئته، وهو سبحانه خالقُ كل شيء.

وذكره هنا بأن (الْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ):

لأجل قوله عليه الصلاة والسلام في جواب جبريل: «**وأن تؤمن بالقدر خيره وشره**».

والثَّاني لأن الفرق في مسألة القدر والخير والشر وأفعال العباد ونحو ذلك طرفان الفرق المخالفة:

الطرف الأول: الجبرية.

والطرف الثاني: القدرية.

والجبرية يقولون: العبد مجبر علىٰ كل شيء وهو كالريشة في مهب الريح وكحركة الأمعاء في داخل البطن ليس له فيها اختيار؛ بل هو يجري كما يشاء الله جل وعلا، دون أن يكون العبد مختارا للخير أو مختارا للشر.

ويقابلهم القدرية بقولهم: الخير والشر ليسا مقدرين؛ بل العبد يعملهما وهما عمل العبد وخلْق العبد لفعله، والله جل وعلا يحاسب الناس علىٰ ما فعلوا، ليس الخير خلقا له في فعل العبد، وليس الشر خلقا له في فعل العبد، ولم يقدرهما علىٰ العباد فعلا وتركا، وذلك لأنّه عندهم ينافي العدل الواجب فيما قاسوا به أفعال العباد علىٰ أفعال الله جل وعلا.

**نذكر عدة مسائل هنا:**

**الأولى**:أن الخير والشر المقدّرين علىٰ العباد؛ يُعنىٰ بهما من يصيب العبد من خير له ومن شر عليه، أما في فعل الله جل وعلا فليس في أفعاله سبحانه إلا الخير، كما قال عليه الصلاة والسلام في دعائه في صلاته: «**والشر ليس إليك**» يعني أن أفعال الله جل وعلا لا توصف بالشر؛ بل كلها عدل أو فضل وخير لما فيها من الغايات المحمودة؛ لكن ما يضاف للعبد يكون شرًّا بالنسبة له؛ لكن بالنسبة للقدر فهو خير، يعني مثلا أصيب فلان بفقد والده أصيب بفقد ماله هو بالنسبة له سوء وشر؛ لكن بالنسبة إلىٰ القدر وفعل الله جل وعلا فهو خير؛ لأنه لا ينظر إلىٰ المسألة بمجردها؛ بل هي الغاية المحمودة من ورائها، أن يبتلي العباد لذلك يبتلي الحي يبتلي الميت ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾[الملك:٢].

فإذن أفعال الله جل وعلا كلها خير، وأما ما يضاف إلىٰ العبد فينقسم إلىٰ الخير والشر، فقوله: (**وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَىٰ الْعِبَادِ**) يعني الخير والشر الذي يحصل للعبد مقدرٌ.

**المسألة الثانية**: القدر هنا في قوله: (**مُقَدَّرَانِ عَلَىٰ الْعِبَادِ**) يعني أنهما لم يقعا استئنافا؛ بل الله جل وعلا يعلم ما سيحصل علىٰ العبد وكتب ذلك. وذكرتُ لك أنَّ الفرق المخالفة في هٰذه المسألة -في القدر- ترىٰ أنها طرفان:

**الجبرية**: والجبرية صنفان:

**جبرية غلاة**: وهم الجهمية الذين يقولون الله جل وعلا يُجبر العبد علىٰ كل شيء علىٰ الخير وعلىٰ الشر، وإنما هو كالريشة في مهب الريح إلىٰ آخره، ويستدلُّون علىٰ ذلك بقوله جل وعلا: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[الأنفال:١٧]، يقولون: إن الذي رمىٰ في الحقيقة هو الله جل وعلا ولكن النبي ﷺ ما رمىٰ، وهٰذا قول الغلاة منهم غلاة الجبرية، ويُرَدّ عليهم في هٰذا الاستدلال علىٰ وجه الاختصار بجوابين:

**الأول**: أن الله جل وعلا قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ يعني حين رميت فإن الله جل وعلا هو الذي رمىٰ، وظاهر الآية كما هو واضح أنه أثبت للنبيِّ ﷺ رمية فقال: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾، ونفىٰ عنه رميًا بقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾، والنظر الصحيح يدلّ علىٰ أنه لا بد من الجمع ما بين الرمي المنفي والرمي المثبت، وهٰذا يتضح بأن العبد إذا فعل الفعل فإن الفعل الذي يفعله سبب في حدوث المسبَّب، ولا يحصل المسبب لا تحصل النتيجة بفعل العبد وحده في أكثر أو في جل المسائل؛ بل لابد من إعانة من الله جل وعلا، وهٰذا

ظاهر في الرمي بخصوصه؛ لأن الرمي عن بعد له ابتداء وله انتهاء، فابتداء الرمي من النبي عليه الصلاة والسلام لكن الانتهاء بأن يصيب رمي النبل أو رمي الحصاة أن يصيب فلانا المشرك فيموت منه هٰذا من الله جل وعلا؛ لأن العبد ما يملك أن تكون رميته ماضية فتصيب، ولهٰذا فيكون العبد هنا متخلِّصًا مِن رؤيته لنفسه ومِن حَوْلِه وقوته مع فعله، فأراد جل وعلا أن يعلم نبيّه والمؤمنين أن يتخلَّصوا من إعجابهم ورؤيتهم لأفعالهم وأنفسهم، فقال: افعلوا ولكن الذي يمكن عليكم ويسدِّد رميكم هو الله جل جلاله.

فيكون إذن معناه أصاب فيما أعان علىٰ التسديد.

**الجواب الثاني**: أنه لو قيل علىٰ قول الجبرية: إن الله هو الذي يفعل الأشياء. لكان تقدير الآية كما قاله جماعة أن يقال في كل فعل فعله العبد: ما فعله ولكن الله فعله. كأن تقول: ما صليت إذ صليت ولكن الله صلىٰ، وما زكيت إذ زكيت ولكن الله زكىٰ، وما مشيت إذ مشيت ولكن الله مشىٰ. وهكذا في الأعمال القبيحة المشينة التي يُنزه الله جل وعلا عنها بالإجماع قول القائل -أعوذ بالله - وما سرقت إذ سرقت ولكن الله سرق، وما زنيت إذ زنيت ولكن الله... إلىٰ آخره، تعالىٰ الله عما يقولون علوا كبيرا.

والقول إذا كان يلزم منه اللازم الباطل يدل علىٰ فساده وعدم اعتباره؛ لأن القول الحقيق القول الصحيح القول الحق لا يلزم منه لوازم باطلة، والقول الباطل هو الذي ينشأ عنه لوازم باطلة ما الفرق بين هٰذه وهٰذه.

**الفرقة الثانية من الجبرية هم الجبرية المتوسطة**: والجبرية المتوسطة أو يعني الذين هم ليسوا بالغلاة، هم الذين يتوسطون، فيقولون: العبد مجبور باطنا لكنه في الظاهر مختار؛ يعني ظاهرا هو يختار يمشي ويروح ويأتي للمسجد ويذهب إلىٰ المكان الثاني باختياره؛ لكنه في الباطن مجبر، وهٰذا قول كثير من أهل الكلام والأشاعرة والماتريدية وجماعة ممن ينحون هٰذا المنحىٰ بأن الإنسان مجبور لكنه في الظاهر ليس بمجبور.

فإذا كان كذلك فإنهم يجعلون أفعال الإنسان له ولكنها عديمة الفائدة، لا معنىٰ لها، هؤلاء هم الذين يقال عنهم: نفاة الأسباب؛ يعني يقولون: إن الإنسان جامع زوجته فحملت، يقولون: لم يحدث الحمل بالجماع، إذن كيف حدث الحمل؟ يقولون: أحدث الله الحمل عند التقاء الرجل بالمرأة؛ لكن ماء الرجل يلتقي بماء المرأة أو ببويضة المرأة ويحدث منهما حمل بما أجرىٰ الله الأسباب عليه فينفون ذلك، ويطردون هٰذا في كل شيء فيقولون فعل الإنسان فيما يفعله كحركة السّكين في قطعها للورق أو قطعها للخبز أو قطعها لما تقطع، فيقولون بالتمثيل إن الله هو الذي كأنه يحمل السكين والسكين تتحرك هي التي تقطع؛ لكن في الواقع هي مجبورة علىٰ القطع وإن كانت ظاهرا تتحرك وقطعت.

وهٰذا القول -وهو قول هؤلاء- مع زعمهم أنهم عقلاء أنهم متكلمون وأنهم فلاسفة إلىٰ آخره، هؤلاء قولهم هٰذا ينفيه العقل البسيط، فضلا عن العقل الرصين، وأحدثوا قولا علىٰ هٰذا يسمىٰ الكسب سيأتي بيانه في موضعه.

فالماء عندهم لم يُنبت الأرض الله جل وعلا يقول: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ۝٩﴾[ق] ﴿فَأَنۢبَتۡنَا﴾ بأيش؟ بالماء ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ يعني أن النبات خرج بأيش؟ بالماء الماء

سبب والتراب سبب لكن هل هٰذا يعني أن الله لم يفعل لم يخلق لم ينْمَ؟ لا، الجماع سبب، هل معناه أن الله لم يفعل؟ لا.

فإذن إثبات الأسباب هو سبيل العقلاء في أن السبب ينتج عنه المسبب، وأنّ الشيء ينتج عنه نتيجته، بالفعل ينتج عنه نتيجته، الأثر يقتضي أن يوجد مؤثِّر، وهكذا فإذا صار هنا هوىٰ بارد لابد أن فيه مصدر لهٰذا الهوىٰ البارد الذي يأتينا، يقول هؤلاء الأشاعرة ونحوهم -نفاة الأسباب-: لا، الهوىٰ أرسله الله جل وعلا عند تشغيل الجهاز، وهٰذا مما يقتضي العقل أن ينفيه لأنه غير مطابق للعقل أصلا، وهؤلاء تجد ذكرهم في كثير من كتب أهل العلم بعنوان نفاة الأسباب، إذا قيل لك: نفاة الأسباب؛ يعني الجبرية المتوسطة من الأشاعرة ونحوهم.

عمل العبد بين فعل الله جل وعلا -لأنهم يقولون بخلق الله للأفعال- وبين فعل العبد الحاصل يسمونه كسبًا ويأتي عند قوله: (وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ خَلْقُ اللهِ، وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ).

**الفرقة الثانية هم القدرية** والقدرية أيضا صنفان:

**قدرية غلاة**: وهم الذين يُنكرون علم الله السابق، ويقولون الأمر مستأنف جديد، والخير والشر مقدر؟ لا، إنما هو مستأنَف جديد، لا يعلم الله الخير حتىٰ يقع، ولا يعلم الشر حتىٰ يقع، تعالىٰ الله عن قولهم علوا كبيرا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ٤٠﴾[الأحزاب] ﷻ، هؤلاء هم الذين صاح بهم السلف وكفروهم فقال فيهم الشافعي: ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن أنكروا العلم -يعني علم الله جل وعلا- كفروا. هؤلاء فرقة كانت موجودة وانتهت.

**الفرقة الثانية المعتزلة وأشباه المعتزلة**: وهم الذين يسمون القدرية، وهم الذين يقولون: إن الإنسان يخلق فعل نفسه، وأن الله جل وعلا لا يضاف إليه خلقا كل ما هو سيئ، لا يضاف إليه خلقا الشر ولا القتل ولا إلىٰ آخره، ويقولون أيضا: إن فعل العبد واستطاعة العبد وقدرة العبد، هٰذه ليس لله جل وعلا فيها مأخذ؛ بل قدرة المطيع وقدرة العاصي وقدرة المؤمن وقدرة الكافر، إرادة المؤمن إرادة الكافر للعمل واحدة، وهٰذا الأصل الذي قالوه وذهبوا إليه لأجل شبهة عندهم وضلال عندهم، وهو أنهم قالوا: إن العدل يوجب علىٰ الله جل وعلا أن يساوي بين العباد، والظلم بالتفريق ما بين هٰذا وهٰذا، ما بين المؤمن والكافر والمطيع والعاصي هٰذا ظلم، فحكّموا عقولهم وآراءهم في فعل الله جل وعلا وفي تصرّفه وصفاته جل وعلا، والله ﷻ يقول: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[1] ويقول جل وعلا: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾[الأنبياء] وقوله: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ﴾ للجهتين:

**الأولىٰ**: أن الله جل وعلا له التصرف في ملكه كيف يشاء.

**والجهة الثانية**: أن الله جل وعلا له الحكمة البالغة فيما يفعل، وفيما يجريه في ملكوته ويشاؤه، والعباد قاصرون عن معرفة الحكم بأنفسهم، فكيف بالحكم في أفعال الله جل وعلا وصفاته وتصرفه في ملكوته، وهؤلاء المعتزلة هم الذين يكثر رد الأشاعرة عليهم في مسائل القدر وهم كالأشاعرة في المخالفة لما

---

(١) سورة: هود؛ الآية (١٠٧)، البروج؛ الآية (١٦).

دلت عليه الأدلة.

**الخلاصة**: أن هؤلاء وهؤلاء كل نزع بأدلة مختلفة، فهدىٰ الله جل وعلا أهل السنة ومَنَّ عليهم بأنهم لم يفرّقوا بين الكلم، ولم يفرّقوا بين الكتاب؛ بل أخذوا بكل الأدلة فقالوا بخلق الله جل وعلا لفعل العبد، وأنّ العبد يفعل حقيقة، وقالوا أيضا بأن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فأعملوا كل النصوص والأدلة، وقالوا: إن ربك فعال لما يريد ﷻ، لا معقِّب لحكمه ولا رادَّ لقضائه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، جرىٰ الأمر علىٰ ما يريده الرب جل جلاله وتقدست أسماؤه.

ثم أعملوا العقل الصحيح في أنّ الإنسان يحسُّ من نفسه أنه مختار، يحس من نفسه أنه يذهب إلىٰ الخير ويذهب إلىٰ الشر، يذهب إلىٰ الخير فينشرح صدره له، ويذهب إلىٰ الشر فيقتل ثم يندم وتعاقبه نفسُه وتؤنِّبه نفسه علىٰ ذلك، ففي الإنسان ما يحس به أنه يختار ويختار؛ يختار الشر ويختار الخير، وهٰذه ضرورة في قلب كل أحد لا مفرّ منها، فالإنسان مختار لهٰذا ومختار لهٰذا.

ثم ثالثا يقال: أهل السنة نظروا إلىٰ المسألة في قولهم في القدر بأن الخير والشر مقدران علىٰ العباد بأن من احتج علىٰ القدر فإنه يناقض نفسه، لماذا؟ لأنه كل من قال في القدر قولا؛ يقول مثلا: إن الله جل وعلا كتب علي السيئات وجعلني أفعل الشر وكذا ثم يعذبني بالنار؛ لكنهم لا يتجاسرون أن يحكموا القضية المقابلة لذلك وهي أن يقول القائل كذلك: إذا جعلني أصلي جعلني أطيع الله جل وعلا وجعلني أفعل من الخيرات، فلماذا يثيبني؟ والمسألة هٰذه في مقابل هٰذا، فإذا كان قال القائل: كتب علي السيئات فلماذا يعذب؟ كذلك لابد أن يقول وكتب علي الخير فلماذا يثيب؟

والإنسان بطبيعته يهرب مما هو عليه، فلا يقرّ علىٰ نفسه بما فيه مصلحته بأن الخير الذي هو مصلحة له فيذهب ويسكت عنه؛ لأن فيه مصلحة له، لكن يأتي بما فيه مضرّة عليه أو بما فيه تبرير لفعله ليهرب من الواقع.

والحقيقة أن العقل الصحيح وإدراك الإنسان لنفسه وفطرته وضرورياته يجد أنه يفعل الخير اختيارًا ويفعل الشر اختيارا، يفعل الخير فتنشرح نفسه له، ويفعل الشر فتنكره نفسه عليه؛ لأنه مفطور علىٰ حب الخير وعلىٰ كراهة الشَّر.

فإذن اختياره دليل فطري في كل إنسان، مثل إحساس الإنسان تحس بالشيء، الأعمىٰ يحس ويقول هٰذا كذا ويستدل له ويكون متيقنا؛ لأن دليله صار ضروريا، وكذلك يحس بالأمر الآخر فيكرهه لنفسه لأن دليله صار ضروريًّا.

نكتفي بهٰذا القدر. نلتقي إن شاء الله يوم السبت، غدا ما فيه جلسة، يوم السبت بعد صلاة العشاء كالعادة إن شاء الله تعالىٰ.

الخميس علىٰ وقته الفجر إن شاء الله، وفقكم الله لما فيه رضاه وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

# الدرس السابع والأربعون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَىٰ الْعِبَادِ.

وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ الْمَخْلُوقُ بِهِ، فَهِيَ مَعَ الْفِعْلِ، وَأَمَّا الِاسْتِطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ وَالْوُسْعِ وَالتَّمَكُّنِ وَسَلَامَةِ الْآلَاتِ فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة:٢٨٦].

وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ خَلْقُ اللهِ، وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ.

وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَّا مَا يُطِيقُونَ، وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ، وَهُوَ تَفْسِيرُ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ». نَقُولُ: لَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا تَحَوُّلَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللهِ، وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَىٰ إِقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ.

وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيَلَ كُلَّهَا، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الأنبياء].

---

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلّم تسليما.

أما بعد..

مضىٰ معنا طائفة من الكلام علىٰ الإيمان بقدر الله جل وعلا خيره وشره، وأنّ الخير والشر مقدران من الله جل وعلا فما يصيب العبد من خير فهو من الله جل وعلا تقديرا وتدبيرا، وما يصيب العبد من شر وسوء فإنه من الله جل وعلا تقديرا وتدبيرا.

ومر معنا مراتب الإيمان بالقدر وما يتصل بهٰذا المبحث مما فيه تقرير لعقيدة أهل السنة والجماعة في هٰذه المسألة العظيمة، التي أمر الله جل وعلا بالإيمان بها والتسليم لما جاء به رسوله ﷺ فيها.

ومر معنا أيضا أنَّ القدر سر الله جل وعلا في خلقه، لم يُعطِ حقيقته لملك مقرب ولا لنبي مرسل، وإنما هو ﷻ الذي يعلم كل شيء، وهو جلّ وعلا الخالق لكل شيء، وهو سبحانه ذو الحكمة البالغة لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.

ونحو ذلك من المباحث والموضوعات التي سبق الحديثُ عنها، وسبق تقريرها علىٰ ما جاء في كتاب الله جل وعلا وفي سنة نبيِّه عليه الصلاة والسلام.

ومبحث القدر من المباحث العظيمة في الملَّة، ولأجل كونه سرا من أسرار الله جل وعلا، وإدراك كنهه وحكمة الله جل وعلا في عباده غير متحقِّقة من كل وجه، فلذلك صار الخائض في القدر بلا دليل عرضةً لمزلة القدم؛ بل لم يخض في القدر أحد بغير حجة وبرهان إلا وزلَّت قدمه وتنكب سواء الصراط.

ولهٰذا ينبغي أن يُتكلم في القدر بما جاء في النص دون زيادة لأنه أمرٌ غيبي، ولا يمكن للعبد أن يخوض

في الأمور الغيبية إلا مع الدَّليل، ودون الدليل فهو كالذي يسير في الظلمات ليس بخارج منها.

والمخالفون في القدر كثيرون، ولهٰذا الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ لم يرتّب الكلام علىٰ مسائل القدر في موضع واحد حتىٰ يمكن الناظر أن يبسُط الكلام فيه بتقرير قول أهل السنة وقول المخالفين، وما يترتّب علىٰ ذلك؛ بل فرّقه فأتىٰ في آخر رسالته هٰذه بشيء من الكلام علىٰ القدر؛ لكن من جهة النَّظر إلىٰ خلاف المخالفين.

لهٰذا هٰذه الجمل التي معنا من قوله: (وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَىٰ الْعِبَادِ) إلىٰ قوله: (وفي دُعَاءِ الأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِم مَنْفَعَةٌ لِلأَمْوَات) هٰذه كلُّها لأجل خلاف المخالفين من الجبرية والقدرية.

وقبل أن نخوض في بيان كلامه وما فيه من المسائل نلخّص شيئًا من أسباب الضَّلال في القدر، والذي به خرج القدرية سواء الغلاة أو المعتزلة أو الجبرية أو من ضلّ في مسألة أو في مسائل في هٰذا الباب.

**السَّببُ الأول**: هو ترك الاقتصار علىٰ ما جاء في الكتاب أو السنة من الواضحات المحكمات التي تبيِّن حقيقة القدر، والأخذ لما فيهما من المتشابهات وجعل ذلك أصلًا.

ومعلوم أنَّ الواجب علىٰ العبد أن يأخذ بالمُحكم وأن يردّ المتشابه إلىٰ المحكم؛ فقد أمر اللهُ جل وعلا بذلك، وقد خرج النبيُّ ﷺ مرة علىٰ الصحابة وهم يتنازعون في القدر، كلٌّ ينزع إلىٰ قوله بآية، فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان عليه الصلاة والسلام، يعني أحمر وجهه عليه الصلاة والسلام، وهٰذا لأجل أنَّ الواجب علىٰ العباد أن يسلموا للمحكمات والأصول العامة وأن يردُّوا المتشابه إلىٰ المحكم علىٰ ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم.

وبالتَّالي فإن كل تفسير لآيات القدر لم يكن معروفًا في زمن الصحابة رضوان الله عليهم فإنه باطل وضلال؛ لأنَّه من الأخذ بالمتشابه وترك المحكم.

**السبب الثاني** والمنشأ الثاني للضلال في القدر: أنَّ العباد لم يعرفوا حكمة الله جل وعلا في الأشياء ولا حكمته فيما يُقَدِّر ويخلق من الخير ومن الشر أو من المخلوقات بعامة، ولمَّا لم يدركوا الحكمة فعارضوا فعل الله جل وعلا في ملكوته بما يرون من ظاهر رأيهم، فعارض الجاهلُ العالمَ واقتنع بجهله فصار علىٰ شعبة ضلالة.

ومعلومٌ أنّ حكمة الله جل وعلا في خلقه منها ما هو مدلَّلٌ عليه، ومنها ما ليس بمعروف، ولذلك إذا جُهلت الحكمة فإن المرء يسلم ولا يعترض،(١) وقد ذكر جماعة من أهل العلم أن سبب الضلال في القدر هو الجهل بحكمة الله فيما يخلق ويقدر، ثم الخوض في ذلك وقد لخصها شيخ الإسلام بقوله الذي ذكرته لكم مرارا في «تائيته» حيث يقول:

وأصلُ ضلالِ الخلْقِ مِنْ كُلِّ فِرقَةٍ ... هو الخوضُ في فعْلِ الإلهِ بعلَّةِ

فإنَّهمُ لم يَفْهَمُوا حِكْمَةً لَهُ ... فصاروا علىٰ نَوْعٍ مِنَ الجاهليَّةِ

وهٰذا حق لأنَّ حكمة الله غير معلومة؛ بل جعل الله جل وعلا مثالا لمن جهل حكمته في أنه حُرِم العلم،

---

(١) انتهىٰ الشريط الثامن والثلاثون.

كقصة موسىٰ مع الخضِر عليه السلام، وهٰذا ظاهر بيِّن لمن يتأمل سورة الكهف، فإن موسىٰ عليه السلام عارض الخضر لظاهر رأيه، والخضر يعمل علىٰ ما أمر الله جل وعلا بما يوافق حكمته، وهي الغاية المحمودة من وراء الأفعال، فلمَّا عارض كان ممن لم يستطع صبراً فحرم العلم، قال: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾[الكهف].

**والسبب الثالث** للضلال في القدر: هو قياس أفعال الله جل وعلا علىٰ أفعال العباد فيما هو من قبيل العدل والظلم، فنظروا إلىٰ أفعال الرب جل وعلا فجعلوا ما هو عدل في تصرفات البشر واجبا وعدلا في تصرفات الرب جل جلاله، وجعلوا ما هو ظلم من تصرفات البشر محرّما أو منفيا وظلما في تصرف الرب جل جلاله.

وهٰذا هو ضلال القدرية المعروف حيث جعلوا العدل والظلم في تفسيرها في حقِّ الله جل وعلا كتفسيرها في حق المخلوق، فقاسوا هٰذا علىٰ هٰذا وضلُّوا في هٰذا الباب؛ لأن الخالق جل وعلا لا يقاس علىٰ المخلوق في أفعاله وفي تدبيراته في ملكوتِه.

**السبب الرابع**: إحداثُ ألفاظٍ ومصطلحات جُعلت أصلا في هٰذا الباب، ثم حُمِل الكتاب والسنة عليها، مثل لفظ (الاستطاعة) بتفسيرهم، والطاقة، وما لا يطاق، والتكاليف وأشباه ذلك، ومنها أيضا عند الجبرية (الكسب) ونحوه.

ومن المعلوم أنّ هٰذه الأمور الغيبية كالقدر الاصطلاح عليها بألفاظ وأسماء لمسميات لم يأتِ عليها برهان أنه يجعل المرء يؤصل ويقعّد لشيء لا أساس له، ولهٰذا لَمّا فهموا وظنوا من الشريعة أنه يقال كذا، مثلا الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل، أو قالوا: الاستطاعة لا تكون إلا قبل الفعل -كما سيأتي-، أو قالوا: الكسب هو الاقتران، أو قالوا كذا وكذا في تكليف ما لا يطاق -كما سيأتي الآن في هٰذه المواضع-، فسروها بتفسيرات تخصُّهم، ولهٰذا ضلوا في أصل يجب الرجوع فيه إلىٰ الدليل؛ لأن إحداث لفظ وإحداث مصطلح لا شك أنه سيترتب عليه أشياء كثيرة.

وسيأتي الكلام علىٰ الكسب مثلا وهو أن الكسب مع وروده في الدّليل في قوله مثلا: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾[البقرة:٢٨٦]، ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[التوبة:٨٢، ٩٥]، ونحو ذلك مع ورود لفظ كسب، يكسب، والكسب فإن تفسيرات تنوعت فيه وأحدثوا له فهما جديدا غير المراد بالكتاب والسنة، فصار ثَم كسب عند الجبرية، وصار ثَم كسب عند القدرية، وصار ثَم كسب عند أهل السنة ولأجل أنّ هٰذا اللفظ في أصله وإن كان واردا لكن جُعل مصطلحا علىٰ فكرة جديدة توافق ما هم عليه.

فإذن مسائل القدر المصطلحات الجديدة فيها هي سبب الافتراق فيه والضلال فيه، ولو أُلغيت هٰذه المصطلحات وبَقي الناس علىٰ ما دل عليه الدليل، فإنّ كثير من الخلاف فيه سيذهب، ولهٰذا عند النقاش والحوار مع المخالف في هٰذه المسائل سيبحث معه أصلا في اللفظ وفي نشأته، ومن أين أتوا بهٰذه الألفاظ والتعريفات.

ولهٰذا العلم بالقرآن والسنة حجة علىٰ كل مخالف أحدث المصطلحات؛ لأن إحداث المصطلحات عقلي واتباع الكتاب والسنة نقلي، ولهٰذا يغلب النقل العقل الحادث والمصطلح عليه في هٰذه المسائل.

**السبب الخامس**: من الأسباب التي أنشأت الخلاف والفرقة في أبواب القدر، ما يصلح أن يُقرَّر بأن نقول: إنَّ التساوي بين العباد في فعل الله جل وعلا وادِّعاء أنهم سواء في كل شيء؛ يعني فيما يفعل الله جل وعلا بهم هٰذا مع كونه مخالَفةٌ للدليل؛ لكنه نشأ عنه تفريعات وأقوال جعلت الأقوال المخالفة في القدر كثيرة.

أعيد صياغة هٰذا السَّبب بأن نقول: من أسباب ومنشأ الضلال في القدر الحُكم علىٰ أفعال الله جل وعلا بأحكام من جهة النَّظر إلىٰ الخلق، فجعلوا فعلا لله جل وعلا واجبًا عليه بالنسبة للجميع، وجعلوا فعلا لله جل وعلا ممتنعًا عليه بالنسبة للجميع.

وسيأتي فيما سنذكر اليوم إن شاء الله أن خلاف القدرية في مسألة الاستطاعة ناتج عن أنهم قالوا: الواجب علىٰ الله جل وعلا أن يجعل الناس سواسية فيما يُعطيهم، فكون هٰذا يوفق وهٰذا يخذل هٰذا غير سائغ؛ لأنه تفريق، فإذا جعلنا الأصل هو أن يكون الناس سواسية، فإن هٰذا قاعدة نبني عليها غيرها من مسائل القدر، وهٰذا التقعيد أو هٰذه المقدمة نشأ عنها كثير من الخلاف، خاصة عند المعتزلة، ولهٰذا نشأت أقوال كثيرة محدَثة في القدر، وخلاف متنوع في المسائل العقلية، وما يجب علىٰ الرب جل وعلا وما لا يجوز عليه، وهٰذه تتَّضح أكثر ببحثنا في الاستطاعة إن شاء الله.

إذا تبين هٰذا فالواجب -إذن- في مسائل الغيب بعامة أن لا يُتجاوز القرآن والحديث، وأن يسلم للدلالة، وإذا أشكل علىٰ المرء شيء فواجبٌ عليه أن يقول آمنا به كل من عند ربنا كما يقول الراسخون في العلم، مع أنهم يعلمون التَّأويل في كثير؛ لكن قد لا يعلمون التأويل في بعضه؛ يعني طائفة من الراسخين قد لا يعلمون وقد يعلمه غيرهم، فيقولون آمنا به كلٌّ من عند ربنا.

أما ضرب النصوص بعضها ببعض أو الأخذ بالمتشابه وترك المحكمات أو قياس أفعال الله جل وعلا علىٰ أفعال خلقه، ونحو ذلك من المسائل التي ذكرنا، أو الخوض في الحكم والمصطلحات، فإن هٰذا يُنشئ الافتراق والضلال في هٰذا الباب لأنه أمر غيبي بحت.

لهٰذا ما أحسن قول من قال -قول عليّ ﷺ وقول غيره-: القدر سر الله فلا تكشفه. يعني لا تحاول كشفه فإن من حاول كشفه لا شك أنه سيضل؛ لأنه سر من الأسرار اختصَّ الله جل علا به.

هٰذه مقدمة للمسائل التي سيأتي بيانها إن شاء الله.

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ الْمَخْلُوقُ بِهِ، فَهِيَ) يعني الاستطاعة (مَعَ الْفِعْلِ، وَأَمَّا الِاسْتِطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ وَالْوُسْعِ وَالتَّمَكُّنِ وَسَلَامَةِ الْآلَاتِ فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة:٢٨٦].) يريد رَحِمَهُ اللَّهُ أن يقرر أن مسألة الاستطاعة وهي القدرة والطاقة اختلف فيها الناس ما بين الجبرية إلىٰ القدرية، والقول الوسط فيها هو قول أهل السنة المتابعين لظاهر القرآن والحديث في أنّ الاستطاعة منقسمة إلىٰ قسمين:

- استطاعة قبل الفعل.
- واستطاعة مع الفعل.

يعني استطاعة يُتكلم عنها قدرة وطاقة يوصف العبد بها قبل أن يفعل الفعل، وتستمر معه إلىٰ أن يفعل.

وقدرة أخرىٰ -استطاعة أخرىٰ- هٰذه تكون مع الفعل، ولا يجوز أن ينفكَّ الفاعلُ عنها.

وهٰذا الذي ذكر هو الذي دلت عليه الآيات ودلت عليه السنة من أنَّ الإنسان المكلف يوصف بأنه مستطيعٌ ويوصف بأنه غير مستطيع، فقال جل وعلا في الوصف بالاستطاعة: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[آل عمران:٩٧]، وقال جل وعلا: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، يعني ما تستطيع الوسع، الاستطاعة هي الوسع والطاقة والقدرة، وقال جل وعلا أيضا في هٰذا الباب: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟﴾[التغابن:١٦].

وفيما يقابل في الاستطاعة المنفية قال جل وعلا في سورة هود: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾، وقال جل وعلا: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾[الكهف]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**صلِّ قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلىٰ جنب**» ونحو ذلك.

فإذن الشريعة فيها استطاعة مثبتة، وفيها استطاعة منفية، فواجب إذن أن يُنظر إلىٰ هٰذه النصوص للفهم وهي أن المثبت غير المنفي.

فإذن لابد أن تكون الاستطاعة علىٰ قسمين، وهٰذا هو الذي أراده هنا وهو الذي عليه عامة أهل السنة والجماعة، وسيأتي لها مزيد تقرير -إن شاء الله- في المسائل.

وقوله هنا: (**وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ**) يعني يجب بها حصول الفعل وإيقاع الفعل ووجود الفعل؛ يعني العمل، الاستطاعة قدرة إذا وجدت وجد الفعل، لهٰذا قال هنا: (**مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ الْمَخْلُوقُ بِهِ**)، وذلك أنّ الله جل وعلا هو الخالق لأفعال العباد، فقولُه هنا: (**مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ**) هٰذه جملة اعتراضية وسبك الكلام (**وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ فَهِيَ مَعَ الْفِعْلِ**)، وقوله: (**مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ**) هٰذا ليدلل علىٰ أن الاستطاعة هٰذه التي يجب معها حصول الفعل هٰذه فيها أمر غيبي زائد، فيها إعانة فيه شيء زائد عن الظاهر، ولهٰذا قال: (**وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ فَهِيَ مَعَ الْفِعْلِ**)؛ لأنه لا يمكن أن يحدث الفعل إلا بقدرة، وهٰذه القدرة لا يمكن أن تكون قبله ثم تنعدم وقت الفعل، فكيف يمكن أن يحصل فعل بلا قدرة للفاعل علىٰ فعله؛ لكن هل يستقل بهٰذه القدرة أم ثم أمر زائد؟ لابد هناك أمر زائد يأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ.

وقوله في: (**الِاسْتِطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ وَالْوُسْعِ وَالتَّمَكُّنِ وَسَلَامَةِ الْآلَاتِ فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ**)، وهٰذه الاستطاعة هي الاستطاعة المثبتة، وهي التي يتعلَّق بها الحساب والعقاب والخطاب والأمر والنهي؛ لأن الله جل وعلا جعل للمكلَّفين من المشركين، جعل لهم أسماعا وأبصارا وأفئدة، وجعل لهم قدرة علىٰ أن يصلوا، وقدرة علىٰ أن يتأملوا، وقدرة علىٰ تبين ما أيَّد به عليه الصلاة والسلام من المعجزات والآيات والبراهين؛ لكنهم لا يريدوا أن يسمعوا مع وجود الآلات، ووجود الصحة ووجود القدرة.

إذن فالمنفي ليس هو الآلة المنفي في عدم الاستطاعة هو ما يكون مع الفعل من التوجه إلىٰ الخير

والهدىٰ والسماع النافع لما معهم مما يصده ويأتيه من الهوىٰ واتباع الشهوات.

إذا تبيَّن هٰذا فإيضاح هٰذه الجمل في مسائل:

**الأولى**: هٰذه المسألة متَّصلةٌ بالقدر والإيمان به، وأصل بحثها من المعتزلة، وذلك أنَّهم قعّدوا قاعدة وهي أنَّ النَّاس في فعل الله جل وعلا سواء، وهو أنَّ العاصي والمؤمن الكافر والمؤمن العاصي والمطيع كلهم أُعطوا شيئًا واحدا، فهٰذا فعل هٰذا فعل الخير، وهٰذا فعل الشر بمحض قدرته، فهٰذه التسوية بين الجميع جعلتهم ينفون أنْ يكون هناك أمرًا زائدا خصَّ به هٰذا ومنع ذاك، فجعلوها جميعًا قبل الفعل، وأمَّا مع الفعل في أثناء الفعل فعندهم العبد هو الذي يخلق فعل نفسه.

وبالتالي فمن جُعل هٰذا مستطيعًا للفعل وهٰذا غير مستطيع للفعل لكان الناس ليسوا سواسية فيما أعطاهم الله جل وعلا، وبالتالي يترتَّب علىٰ هٰذا أن هٰذا ظلم وهٰذا أعطي ما لم يُعط غيره.

فإذن أصل بحث المسألة هي عند المعتزلة، ولماذا بحثوها؟ للقاعدة التي قعَّدوها هي أن الجميع يجب أن يكونوا في فعل الله واحد، حتىٰ لا يظلم هٰذا ويترك ذاك، إذا فهمت هٰذا الأساس تفهم لماذا افترق الناس في هٰذه المسألة، فلما قالوا: الاستطاعة لا تكون إلا علىٰ هٰذا النحو؛ وهي أن تكون قبل، أما المقارِنة فالعبد هو الذي يخلق فعل نفسه هو الذي يقدر ويفعل، الله جل وعلا لا يجعل هٰذا مستطيعا وذاك غير مستطيع؛ لأن هٰذا ظلم.

وإذا كانوا كذلك فقابلهم من يثبت الاستطاعة المقارنة وهم الجبرية ونفوا أصلا أن يكون للإنسان قدرة علىٰ فعل أي شيء، لهٰذا قالوا: ليس هناك استطاعة سابقة، وإنما الاستطاعة هي أنَّه يقدر علىٰ الفعل والقدرة في الواقع من الله جل وعلا، لهٰذا الإنسان أصلا لا يستطيع لأنّ الله جل وعلا نفىٰ قال: ﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾[الكهف]، وقال: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [هود]، ونفىٰ أيضا عنهم الرمي فقال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾[الأنفال:١٧].

إذن لا يمكن أن يفعلوا شيئا فقابلوا القدرية في مسألة الاستطاعة لا في مسألة القدر والجبر، القدر والجبر أصلا الجبرية سبقوا القدرية في مسألة الجبر المعيّن، أما القدر الذي هو نفي العلم فهو الذي كان أولا؛ يعني الجهمية الذين هم الجبرية سابقين المعتزلة الذين هم القدرية يعني كفرقة، الجهمية هم الذين أظهروا الجبر ونصروه، من جهة وجود الجهمية قبل وجود المعتزلة الذين هم القدرية.

فإذن نقول: إن الجبرية قبل لأن الذي مثلهم الجهمية، وأولئك مثلهم المعتزلة فصاروا متأخرون عنها.

أما من جهة القدر والجبر كقول القدرية سابقون لأن نفاة العلم ظهروا في زمن الصحابة، وأما الجبرية فجاؤوا بعد ذلك؛ لكن تفاصيل أقوال الجبرية والقدرية ما نشأت إلا مع ترسخ المذهبين في الجهمية وفي القدرية المعتزلة.

**المسألة الثانية**: قرر الطحاوي هنا أن الاستطاعة علىٰ قسمين:

- استطاعة مقارنة يجب بها الفعل؛ يعني إذا وُجدت الاستطاعة حصل الفعل دون تأخر.
- واستطاعة متقدِّمة، وهٰذه لا يجب أن تكون مع الفعل؛ بل تتقدَّم وهي المتعلق بها الأمر والنهي.

«صل قائما فإن لم تستطع فقاعدًا» عدم الاستطاعة هنا هل هي خاضعة إلىٰ أن يجرِّب إذا أراد أن يصلي، أو لعدم تمكن آلته من القيام، معروف قبل أن يدخل أصلا في الصلاة.

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[آل عمران:٩٧]، يبدأ يحج ثم يشوف هو مستطيع أو لا، وإلا فالاستطاعة هي الزاد والراحلة وغير هذين أيضا، هٰذه تكون قبله؟ تكون قبله.

إذن هٰذه معلومة قبل، فإذن التكليف الأمر والنهي والعذر إلىٰ آخره، هٰذه متقدِّمة، استطاعة؛ قدرة، وُسع، آلات، سلامة، صحة، إلىٰ آخره متقدِّمة.

أيضا -وهٰذا أوضحت لكم أن الدليل دل عليه- أيضا ليست الاستطاعة المرادة في الشرع هي الاستطاعة الكونية؛ بل المراد الاستطاعة الشَّرعية، والاستطاعة الكونية هٰذه أخصّ من الاستطاعة الشَّرعية، فإنه قد يكون المرء مستطيعًا كونا ولكنه ليس بمستطيع شرعًا، مثاله يمكن له أن يسيل الماء علىٰ جُرحه الذي لم يندلم يمكن أن يغتسل يسيل الماء عليه هٰذا يمكنه كونا ويستطيع، يمكنه أن يصلي الصلوات قائما لأنه غير مشلول؛ لكنه شرعًا لا يسمىٰ مستطيعا لأن الأول يورثه زيادة في المرض والشريعة متشوِّفة للتيسير، والثاني يورثه أيضا عدم الخشوع في الصلاة والتعب إلىٰ آخره ومجاهدة النفس وربما أورثه زيادة المرض، والشريعة متشوفة في الصلاة إلىٰ خشوعه وحضور قلبه وإلىٰ أن لا يزيد مرضه إلىٰ آخره.

فإذن مما لم ينظروا إليه في البحث أيضا أن الاستطاعة التي هي سلامة الآلات المرادة في القدر والمرادة في تحقيق المسألة هي الاستطاعة الشَّرعية لا الاستطاعة الكونية.

أما كونه يقدر سليم الآلات إلىٰ آخره، هٰذا قد يدخلنا في تكليفه ما هو فوق طاقته أو فوق ما فيه مصلحته شرعًا، ولهٰذا نقول: الاستطاعة التي هي قبل الفعل نقسمها إلىٰ قسمين:

- استطاعة كونية.
- واستطاعة شرعية، والاستطاعة الشرعية هي المرادة؛ لأنها هي التي تعلَّق بها التكليف والأمر والنهي.

فحصل -إذن- من هٰذه المسألة أن الاستطاعة قبل الفعل ومع الفعل، والتي قبل الفعل تنقسم إلىٰ قسمين، يعني من حيث النظر إليها.

أما الاستطاعة التي مع الفعل وهي المهمة في هٰذا الباب، فالفعل لا يكون ولا يحصل لأي إنسان إلا -ما يمكن أن يفعل الشيء ولا أن يحدث هٰذا الشيء- إلا بوجود ثلاثة أشياء، إذا تخلَّف واحد منها ما حصل هٰذا الشيء أبدًا:

**الأوَّل**: القدرة التامة علىٰ إيجاد الفعل؛ يعني هٰذا من غير نظر إلىٰ مسألة القدر، مع وجود الشيء مطلقا يأتينا بعد ذلك بحث القدر، هٰذه المسألة عرضها في الكتب غير واضح، يدخلون بعض البحث في بعض أنا أرتبها لك، وكن حاضر القلب معي حتىٰ تستوعب الخطوات.

لا يكون إلا بثلاثة أشياء:

**القدرة التامة**: القدرة التامة ما معناها؟ معناه أنه إذا لم يكن عنده قدرة علىٰ الفعل فإنه لا يمكن أن يحصل الفعل، الأعمىٰ إذا أراد أن يقرأ كتابا فهل يمكنه؟ يأخذ هٰذا الكتاب الذي معي ويقرأه، والحروف هي التي يقرأها المبصر غير الحروف الثانية التي باللمس، لو وضعه أمام عينيه فإنه لا يمكنه، لو أخذ المصحف ووضعه أمام عينيه فإنه لا يمكن أن يقرأ شيئا، واضح، لماذا؟ لأنه ليس عنده القدرة.

الذي لم يتعلم الكتابة لو أخذ القلم بيده بين أنامله وأراد أن يخط جملة لم يستطع، لماذا ؟ لأنه لم يتعلم.

المتعلم للكتابة في لغة اللغة العربية لا يمكن أن يكتب باللغة الصينية؛ لأنه وإن كان يعرف الحروف باللغة العربية يعرف كيف يخطط؛ لكنه لا يعرف لا يقدر علىٰ هٰذا بخصوصه.

فإذن القدرة التامة هي التي يحصل بها الفعل.

**الثاني الإرادة الجازمة**: ونعني بالجازمة غير المترددة، فإذا وجدت الإرادة الجازمة مع بقية الشروط وجد الفعل؛ لكن لو وجدت الإرادة فقط ولم توجد بقية الشروط -ونذكر مثالا الآن الذي ذكرنا القدرة- لا يمكن أن يحصل الفعل لا يمكن أن يحصل الفعل.

يريد أن يذهب إلىٰ مكة لكن ما عنده قدرة مالية، يمكن يذهب؟ ما يمكن.

يريد أن يكون حافظا لكتاب الله لكن ليس له القدرة علىٰ الحفظ هل يمكن؟ ولو كانت إرادته جازمة ويتمنىٰ إلىٰ آخره، لا يمكن.

فإذن الإرادة الجازمة غير المتردّدة فرق في حصول الفعل لا يمكن أن يحصل الفعل بإرادة مترددة...

**[الثالث: الإعانة]** ..... وهو أن يشاء الله جل وعلا حصول هٰذا الفعل، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ومشيئته الكونية في هٰذا إذا شاء أن يكون الفعل ممن عنده قدرة وإرادة فإنه يعين العبد علىٰ حصول هٰذا الفعل، كيف يعين العبد؟ يعينه بأشياء:

**الأول**: التوفيق.

**الثاني**: أن يُعْدِمَ المعارض مثل هو يريد أن يذهب إلىٰ مكة وعنده القدرة المالية وعنده الإرادة الجازمة مات، يريد أن يحج هٰذا العام المعارض الذي يعارض أن يكون هٰذا من حصول خلل ما في بدنه، من حصول خلل في الطائرة، من عدم تمكنه، من سرقة المال، من أسباب كثيرة لا تحصىٰ من المعارضات، هل هٰذه بقدرة العبد؟ ليست بقدرة العبد، إذن هٰذا يدخل في الأمر الغيبي الذي لا يدخل العبد فيه.

إذا اجتمعت هٰذه الثلاثة حصل الفعل، إذا تخلف واحد منها لم يحصل الفعل.

فإذن الاستطاعة التي يجب بها الفعل، وهي القدرة التي يجب بها الفعل بأن يحصل معها الفعل المراد بوجوب حصول الفعل مع وجود الإرادة الجازمة، ووجود إعانة الله جل وعلا ومشيئته وتوفيقه ودفع المعارض إلىٰ آخر ذلك من الأسباب الذي هو الأمر الغيبي المختص بالرب جل جلاله.

القدرة في نفسها -قدرة العبد علىٰ الفعل- هل هو الذي أوجدها في نفسه أم الله الذي خلقها فيه؟ الله جل وعلا الذي خلقها فيه.

الإرادة الجازمة للفعل، توجه العبد للفعل هٰذا اختيار منه أم هو مفروض عليه؟ هو اختيار منه.

ولذلك جاءت الجبرية وقالت: القدرة منفية لا قدرة له. والإرادة هو مرغم علىٰ أن يريد. والمشيئة العبد خضع للمشيئة فعمل ما يريده الرب.

فإذن الفعل كله فعل الرب جل وعلا بلا اختيار فصار فعل العبد بعد أن حدث كحركات الأشجار والورقة في الماء والريشة في مهب الريح إلىٰ آخره.

جاءت القدرية في المقابل وقالت: القدرة في يد العبد. والإرادة عنده هو. ولا علاقة لفعل الله جل وعلا؛ بل العبد هو الذي يقدر، فالقدرة خلقُه هو الذي خلق الفعل بقدرته، والإرادة توجَّهت إليه، والقدرة والإرادة يستوي الناس فيها.

فهٰذا خلق أفعال الطاعات وهٰذا خلق أفعال المعاصي، فنفوا الجزء الثاني.

أمَّا أهل السنة والجماعة فنظروا إلىٰ الأدلة فوجدوا فيها الثلاثة جميعا فأثبتُوها.

فإذن حقيقة بحث القدر وبحث الاستطاعة وبحث تكليف ما لا يطاق إلىٰ آخره من المباحث، مبنية علىٰ الفعل إذا وُجد كيف وجد؟ فبحثوا الفعل إذا وجد كيف وجد؟

منهم من بحث في أوائله فتكلَّم في الاستطاعة المقارنة والاستطاعة السابقة إلىٰ آخره في الكلام الذي بحثنا.

ومنهم من نظر إلىٰ نتائجه وهو أن هٰذا طاعة فينتج عنه الجنة وهٰذا فعل كفر فينتج عنه النار، فلما نظر إلىٰ نتائجه الظلم والعدل إلىٰ آخره حكم علىٰ المسألة بالنَّتائج.

والذي ذهب إلىٰ أهل الوسط ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[البقرة:١٤٣]، وسط في الملل ووسط في المذاهب وهم أهل السنة والجماعة قالوا: الفعل لا يوجد إلا بهٰذه الثلاثة أشياء.

لهٰذا الطحاوي هنا أشار إلىٰ هٰذا بإدخال التَّوفيق بقوله: (مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ الْمَخْلُوقُ بِهِ) وهٰذه الجملة في الواقع ليس لها علاقة بالكلام، والشَّارح عندكم شارح الطحاوية ما تكلم علىٰ هٰذه الجملة لماذا أدخلها الطحاوي؟ وإلا الكلام يستقيم بدونها أن يقول: (وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ فهي مَعَ الفِعْلِ) هو يريد الطحاوي أن يقول: إن الفعل لا يمكن أن يكون إلا بالقدرة والإرادة وفعل الله جل وعلا الذي فيه المشيئة وفيه التوفيق والإعانة وفيه دفع المعارض.. إلىٰ آخره من المسائل.

[دفع المعارض]، هٰذا أمر خارج هٰذا فعل الله جل وعلا، تنظر الآن فيه شيء ظاهر أن العبد يملكه وهو قدرته وإرادته؛ لكن فيه شيء ما يملكه، وهو دفع المعارض، واحد ركب طيارة جديدة من أحسن الطائرات جديدة سليمة ما طار عليها وكل أجهزتها سليمة وإلىٰ آخره وهي طَايْرة جاءتها زوبعة واحترقت أو ضربت في الأرض إلىٰ آخره فتحطمت أو جاءتها طيارة ثانية وهو ما يدري جاءت طيارة وضربتها هٰذا من جهة من؟ ليس من جهة العبد.

الآن سيارة استعملتها جديدة إلىٰ آخره من جميع الآلات سليمة احتطت بجميع الاحتياطات وأخذت بوسائل السلامة فهل ستنتج السلامة بهٰذه الأشياء التي عملتها؟ لا، الآن يجيء جمل في الطريق تصدمه أنت ما تدري أيضا سيارة، وأنت ماشي ما دريت إلا وجاءت قدامك وضربتك إلىٰ آخره.

ولهٰذا من أعظم النظر في الأسباب أن تنظر في هجرة النبي عليه الصلاة والسلام، النظر في الهجرة يعطيك ما يجب علىٰ العبد أن يفعله، وما ليس للعبد أن يحققه من أسباب السلامة، النبي عليه الصلاة والسلام لما هاجر، أراد الهجرة إلىٰ المدينة عمل جميع الاحتياطات شاف الطريق البعيد الذي ما يمكن يظن المشركون أن النبي ﷺ يسير فيه واستأجر رجلا هاديا خريتا يقال له: ابن أريقط ليدل علىٰ هٰذا الطريق البعيد، ثم بعد ذلك أيضا مع هٰذا الطريق أمر راعي الغنم أن يمشي علىٰ أثره هو وأبو بكر والذي معهم حتىٰ ما ينظروا إلىٰ الأقدام، واختبؤوا في غار الغار يختبأ فيه ما أحد ينظر إليه.

هٰذه الأشياء التي فعلها النبي عليه الصلاة والسلام وواجب عليه أن يفعلها؛ لأن الله أمر باتخاذ الأسباب، وقف المشركون علىٰ رأس الغار، يقول أبو بكر رضي الله عنه: لو أبصر أحدهم إلىٰ موضع قدميه لرآنا، هٰذا الآن إبصار للأشياء التي فعلها النبي ﷺ ويتحقق بها قدر السلامة، فعلها أو لم يفعلها؟ فعلها؛ لكن نفعت ما نفعت، وقفوا علىٰ رأس الغار أقرب شيء؛ لكن بقي لو أبصر أحدهم موضع قدمه لرآنا، ما فيه أحد أجبره أن ينزل عينيه إلىٰ أسفل هٰذا ليس من جهة فعل العبد.

ولهٰذا المعتزلة في ضلالهم لما جعلوا العبد يخلق فعل نفسه فقط يخلق فعل نفسه، وهو الذي يتصرّف في نفسه في مثل هٰذا لا يستطيعون تفسيره، كيف هو لم يستطع أن ينزل رقبته تحت؟ كأن في رقبته غُلاّ يمنعه من أنهم ينظرون هم عدد ما فيهم واحد ينظر تحت ولو بالغلط.

إذن هٰذا فعل هٰذا شيء لا يملكه العبد، لهٰذا المؤمن ينظر في باب الاستطاعة وباب الأفعال إلىٰ ما يفعله هو وما يكرمه الله جل وعلا به، ولهٰذا من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا.

**المسألة الثالثة والأخيرة**: -أهم المسائل هنا- الاستطاعة التي هي قبل الفعل كما ذكر في مناط التكليف الأمر والنهي، والاستطاعة التي مع الفعل ولم يذكر هي مناط الثواب والعقاب.(١)

والاستطاعة التي قبل الفعل من جهة السلامة ومن جهة البلوغ مثلا واليقظة إلىٰ آخره من جميع الأسباب، هٰذه تتعلق بها الأوامر والنواهي وهي التي يتكلم عليها الفقهاء.

أما التي مع الفعل وهي المنوط بها الثواب والعقاب، فمعلوم أن فعل العبد -كما ذكرنا- لم يستقل بتحصيل النتيجة، وبالتالي فالثواب -إذن- لم يستقل العبد بتحصيل أسبابه، ولهٰذا فتقول إذن: إن إثابة الله جل وعلا لعبده هو منة من الله علىٰ عبده، لم؟ لأن أصل تحقيق الفعل لم يكن مجردا باختيار العبد؛ بل هناك أمر زائد وهو منة الله وفضله علىٰ العبد وإعانته عليه.

لهٰذا سألني أحد الإخوان الأسبوع الماضي سؤالا متعلق بهٰذا المبحث وهو أن رضا الله جل وعلا عن العبد وإثابته للعبد هو نتيجة لشيء فعله الله جل وعلا وهو هداية العبد لأن يفعل، ولهٰذا المؤمن الصالح كلما زاد علما علم أنه ليس منه شيء وليس إليه شيء، مثل ما كان يقول ابن تيمية: اللّٰهمَّ ليس مني شيء ولا في شيء ولا إلي شيء؛ لكن مع ذلك ليس مجبورا وهو ينظر إلىٰ أنه يختار وعنده قدرة ويعرف أنه

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط التاسع والثلاثين.

محاسب؛ لكن إن أعانه الله جل وعلا ووفقه علىٰ الفعل وصار من أهل الطاعة، فإنه يعلم أنه بسبب أحدثه الله جل وعلا له وهداه إليه، وهٰذا معنىٰ نصوص الهداية في القرآن، ليس معنىٰ نصوص الهداية ونصوص القدر السابق، أنها إجبار علىٰ العبد وإنما معناها أن الله هيأ لهٰذا العبد الأسباب التي تعينه علىٰ تحصيل المراد، وأعانَه عليها، وهٰذا هو تفسير أهل السنة للتوفيق.

في المقابل من جهة العاصي فإن الله جل وعلا منعه أسباب الهدىٰ لماذا منعه؟ لأمر يرجع إلىٰ نفسه وفعله؛ لأنه كما أعطىٰ ذاك بسبب فإنه منع هٰذا بسبب وهو أنه رغب في هواه وترك التخلي من هواه ومن شهوته، ولهٰذا قال جل وعلا في وصف الكفار: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾[الفرقان]، وقال جل وعلا في الآية الأخرىٰ في سورة الجاثية: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾[الجاثية:٢٣]، أضله الله علىٰ علم.

إذن فالذي أعطي أعين، والذي حرم عومل بسبب فعله هو ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[الشورىٰ:٣٠].

فإذن نظر المعتزلة في المسألة وهي أن الذي أعطي والذي منع إنما من أنفسهم لم يعط الله هٰذا ولم يمنع هٰذا، هٰذا في الواقع نظر منهم إلىٰ الظلم والعدل فيما يحكّمون فيه فعل العبد، مثل أن هٰذا يعطي ولده هٰذا ويمنع هٰذا ويقول لهٰذا تزوج وهٰذا ما تزوج، هٰذا فيه تفريق لأنه أعطي هٰذا ومنع هٰذا؛ لكن هنا الإعطاء صار للجميع، أين الإعطاء الذي صار للجميع؟ هو ما قبل الفعل وهو الاستطاعة المثبتة، لم يكلف الله جل وعلا المجنون الكافر ورفع التكليف عن المجنون المؤمن، الجميع سواء هٰذا تكليف واستطاعة قبل الفعل؛ لكن الاستطاعة التي مع الفعل التي مع الفعل ينتج عنها الفعل، فأُعين هٰذا بسبب وحرم ذاك بسبب، ولو أنَّ الكافر أو الذي قد ضل لو أنه سلك سبيل الهدىٰ ورغب بإرادته لأعانه الله جل وعلا ووفَّقه؛ لكن كما قال جل وعلا في وصفهم: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ ويمثِّل هٰذا قول أبي جهل قال: حتىٰ إذا تنازعنا نحن وبنو هاشم الشَّرف وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء وليس منكم نبي، والله لا نؤمن به أبدا. هنا دخل الهوىٰ ، دخل الشهوة، ودخلت الدنيا فصدَّت.

فإذن تحقيق القول في المسألة هنا أن سبب ضلال المعتزلة في باب الاستطاعة وباب القدر في هٰذه أنهم جعلوا الظلم واحدا واضح؟ جعلوا هٰذا وهٰذا متساويين في القدرة في الآلات، فلهٰذا نفوا خلق الله جل وعلا للأفعال، وقالوا: العبد يخلق فعل نفسه لأجل أن لا ينتج عنها أن الله ظلم فأدخل الجنة هٰذا وأدخل النار ذلك.

ونظر أهل السنة أن الله جل وعلا ساوىٰ بين الناس في التكليف، في الآلات، في الاستطاعة التي هي قبل الفعل، أما الاستطاعة التي مع الفعل لا يحدث الفعل إلا بأشياء الله ﷻ أعان هٰذا بأسباب، ومنع هٰذا بأسباب، وهو ﷻ الحكم العدل في هٰذا كله.

الجملة التي بعدها قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ خَلْقُ اللهِ، وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ) يريدُ أنَّ فعل العبد ليس مخلوقًا له بل الله جل وعلا هو الذي خلق فعل العبد، وهٰذا يعني أن العبد يفعل ولا ينفىٰ عنه الفعل؛ بل هو يفعل

ويعمل، وأفعاله منه صدرت، وهو الذي فعلها وهو الذي اختارها، وهو الذي أنتجها بإرادته وقُدرته، وأما نتيجة الفعل؛ يعني مع اجتماع الأسباب والقدرة والإرادة إلىٰ آخره، فاللهُ جل وعلا هو الذي خلق الفعل، وهٰذا يخالف مذهب القدريَّة الذين يقولون إن العبد يخلق فعل نفسه.

وقوله: (خَلْقُ اللهِ، وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ) يعني فعل وعمل من العباد، فالعبد يُنسب إليه الفعل ولا ينسب إليه خلق الفعل، وهو يفعل حقيقة، والله جل وعلا هو الخالق لفعله، ودليل ذلك لأهل السنة والجماعة:

قول الله جل وعلا: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾[الزمر].

وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾[البقرة:٢٨٦].

وقال جل وعلا: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة].

فإذن إثبات عمل العبد وكسب العبد وأنه هو الذي حصّل الفعل هٰذا واضح، وكذلك إثبات أن الله جل وعلا خلق كل شيء، هٰذا دليل هٰذه المسألة.

ونذكر عدة مسائل تفصيلية:

**المسألة الأولى**: خَلْق الله جل وعلا لأفعال العباد اختلف الناس فيه علىٰ أقوال ثلاثة:

**القول الأول**: هو قول أهل الحق والهدىٰ هو أن الله جل وعلا خلق العبد وخلق عمله أيضًا، أعمال العبد من الخير والشر من الحسنات والسيئات هي خلْقٌ من الله جل وعلا؛ لأنه لا يحدث في ملك الله شيء إلا وهو خالقه ﷻ.

**القول الثاني**: قول المعتزلة بأن الله جل وعلا لا يخلق فعل المكلفين، أما غير المكلف فهو خالق كل شيء، أما فعل المكلف فلا يخلقه ﷻ؛ بل العبد هو الذي يخلق فعل نفسه، ويستدلون لذلك بأدلة عقلية واضحة علىٰ مذهبهم، وأدلة نقلية محتملة، أما الأدلة العقلية فهم يقولون: إن الله لا يوصف بأن الله يخلق فعل العبد لسببين:

**الأول**: أن فعل العبد فيه الأشياء المشينة فيه الكفر وفيه الزنا وفيه السرقة وفيه القتل وفيه إلىٰ آخره، ولو قيل: إن أهل هو الذي يخلق هٰذه الأشياء لصار نسبة للأشياء السيئة إلىٰ الله وهو منزه عنها.

**والسبب الثاني**: أن خلق الفعل من الله يقتضي التفريق بين المكلفين، هٰذا خلق فعل طاعته فأدخله الجنة، وهٰذا خلق فعل معصيته فأدخله النار، وهٰذا ظلم لأنه لم يساوي بينهم في خلقه وفعله.

**والمذهب الثالث**: قول الجبرية بأن العبد لا يخلق فعل نفسه، بل الله يخلق فعله وهو ليس له فعل حقيقة، وليس له تصرف حقيقة، ولا كسب حقيقة، وإنما هٰذه أمور مجازية، وهو فعل العبد وفي الحقيقة فعل الله جل وعلا لكن أضيف للعبد اقترانًا ولم يضف إليه حقيقة، وأخرجوا لفظ الكسب كما سيأتي وعللوا به.

**المسألة الثانية**: قول أهل السنة إن العبد فعله مخلوق لله جل وعلا استدلوا له بأدلة نقلية وبأدلة عقلية:

أما **الأدلة النقلية** فقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[1] وهٰذا عموم؛ لأن كلمة ﴿كُلِّ﴾ في الأصول من الألفاظ الظاهرة في العموم، وهي في عموم كل شيء بحسبه، فهنا لم يدخل في ذلك صفات الرب ﷻ، يعني الله جل وعلا وذاته وصفاته لن تدخل لأنه سبحانه ليس بمخلوق بذاته وصفاته وأفعاله جل جلاله؛ لأن المخلوق حادث والله جل وعلا متنزه عن أن يكون حادثا بل هو جل وعلا هو الأول والآخر والظاهر والباطن.

**ويستدل أيضا** له بقوله تعالىٰ بقصة إبراهيم: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾[الصافات]، والعلماء يبحثون كلمة ﴿مَا﴾ هنا ﴿وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ هل ﴿مَا﴾ هنا مصدرية أو موصولة بمعنىٰ الذي؟

فقالت طائفة: ﴿مَا﴾هنا مصدرية فيكون المعنىٰ: والله خلقكم وعملكم. فعند هؤلاء واضح الاستدلال بأنّ العمل مخلوق لله جل وعلا.

وقال آخرون وهم أحظىٰ بالتحقيق: أن ﴿مَا﴾ هنا ليست مصدرية بل بمعنىٰ الذي فتقرير الآية: والله خلقكم والذي تعملون.

فمن قال: إنها مصدرية وليست موصولة ففيه ضعف من جهة أنه احتج عليهم في عبادتهم لما نُحِت فقال جل وعلا في قول إبراهيم في سورة الصافات عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾، فإذا كانت مصدرية صار المعنىٰ: والله خلقكم وعملكم، وعملهم إيش؟ النحت فيصير معنىٰ الكلام والله خلقكم ونحتكم وهم لم يعبدوا النحت إنما عبدوا المنحوت.

والقول الثاني إنها موصولة أوضح في الاستدلال وموافق لقصة إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ يعني والذي تعملون، والاستدلال علىٰ هٰذا واضح وهو موافق للسياق.

وتقدير ﴿مَا﴾ بمعنىٰ الذي أفاد فائدتين:

**الفائدة الأولىٰ**: أنه موافقٌ لقوله: ﴿أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ﴾ والذي يعملون هو ما ينحتون وهي الأصنام؛ يعني يقول: إن الله خلقكم وخلق الأصنام التي تعلمونها. واضح؟

**الثاني**: أنه في إثبات هٰذا إثبات أن الأصنام هٰذه التي عملوها أنها مخلوقة أيضًا؛ لأنهم مخلوقون قال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ﴾ وخلقكهم يشمل خلق ذواتهم وخلق تصرفاتهم، فرجع الأمر إلىٰ أنَّ هٰذه الأصنام التي تعملونها مخلوقة لله، وأيضا هي عملُكم الذي هو مخلوق لأنكم مخلوقون، فتحصّل من هٰذا القول أنه مناسبٌ للسياق، ويشمل خلق الأصنام والاحتجاج عليهم بعبادتها؛ يعني في عدم عبادتها، وكذلك فعلهم لذلك.

أما الدليل العقلي فهو أنَّ الفعل لا يكون مثل ما ذكرنا إلا بقدرة وإرادة، وقدرة العبد لم يخلقها هو وإنما خلقها الله، والإرادة نفسها وجودها في العبد لم يخلقها هو وإنما خلقها الله، ثم الثالث وهو مشيئة الله، هٰذه الثلاث يحصل بها الفعل والأول والثاني مخلوقة لله جل وعلا والثالث هو فعل الله جل وعلا مشيئته صفته ﷻ.

---

(١) سورة: الرعد؛ الآية (١٦)، الزمر؛ الآية (٦٢).

فإذن ما ينتج عنها فإذن يكون مخلوقًا، فإذا كان عمل حصل بقدرة وإرادة، القدرة مخلوقة والإرادة مخلوقة فإذن العمل مخلوق، وهٰذا استدلال عقلي صحيح وهو موافق للأدلة.

أما كلام المعتزلة والرد عليهم فله مكان آخر لأن المقام يضيق عن بسطه.

آخر جملة (وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ)، قوله: (وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ) الكسب هٰذا.

**المسألة الثالثة**: قوله: (كَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ) الكسب من الألفاظ التي جاءت في الكتاب والسنة.

فأضيف الكسب إلىٰ القلب فقال جل وعلا: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[البقرة:٢٢٥].

وأضيف الكسب إلىٰ العبد فقال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾[البقرة:٢٦٧].

وأضيف للتكليف أيضا في قوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[البقرة:٢٨٦]، ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[التوبة:٨٢، ٩٥]، ونحو ذلك.

وتفسيره في الآيات أن يقال: كسب القلب هو عمله وهو قصده وإرادته، إذن عمل القلب هو قصده وإرادته وتوجّهه وعزمه إلىٰ آخره، في اليمين ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ يعني بما قصدتم أن توقعوه يمينا، ولهٰذا في الآية الأخرىٰ في المائدة قال: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾ [المائدة:٨٩] الآية.

أما كسب العمل ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يعني من طيّبات ما تموّلتم من الأموال ومن التجارات وما أُخرج لكم من الأرض نتيجة لعملكم.

أما الكسب الذي هو نتيجة التكليف ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ الكسب هنا بمعنىٰ العمل، ولهٰذا في الآية قال: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1] وفي الآية الأخرىٰ قال: ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾[النحل].

فإذن كسبت وعمِلت تنوع في القرآن، فالكسب الذي هو نتيجة التكليف هو العمل؛ لكن قيل عنه: كسب تفريقا ما بينه وما بين الاكتساب؛ لأن الله جل وعلا لما ذكر التكليف في آية البقرة قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ ليبيّن جل وعلا أن عمل العمل الصالح كسب سهل يمكن أن يعمله بدون كُلفة منه ومشقة عليه، أما عمل السيئات التي عليه فيعملها بكُلفة منه ومخالفة وزيادة اعتمال وتصرّف في مخالفة ما تأمره به فطرته، لهٰذا قالوا: زاد المبنىٰ في اكتسبت لأنه يحتاج إلىٰ جهد منه ومشقة بخلاف العمل الصالح فإنه يُقبل عليه بنفسه.

فإذن العمل هو الكسب، وهٰذا هو تفسير أهل السنة والجماعة للكسب علىٰ ما دلّت عليه الآيات.

وأما الآخرون من الفرق الجبرية والقدرية ففسروا الكسب بتفسيرات أخر.

القدرية فإنهم قالوا: الكسب هو خلق العبد لفعله؛ لأنه يوافق لمعتقدهم في ذلك.

والجبرية الذين هم الأشاعرة في هٰذا الباب فأخرجوا للكسب مصطلحا جديدا غير ما دل عليه الكتاب

---

(١) سورة: البقرة؛ الآية (٢٨١)، آل عمران؛ الآية (١٦١).

والسنة، وقد ذكرته لكم عدة مرات في أن **الكسب عندهم هو اقتران الفعل لفعل الله جل وعلا**، اقتران ما يحدثه العبد بفعل الله جل وعلا، فعندهم أن الفعل حقيقة هو فعل الله، والعبد حصل له العمل؛ لكن النتيجة هي الكسب، فالعبد في الظاهر مختار، فالعبد في الظاهر يعمل، العبد في الظاهر يحصل ما يريد؛ لكنه في الباطن مفعول به.

والكسب هٰذا عندهم مما اختلفوا فيه علىٰ أقوال كثيرة جدا، وليس تحتها حاصل، المقصود من الكلام أن الكسب عندهم عند الجبرية عند الأشاعرة ما يفسَّر بتفسير صحيح، وهو من الألفاظ المبتدعة التي ضلوا بسببها في باب القدر أحدثه الأشعري ولم يفسّره بتفسير صحيح، وأصحابه أيضا لم يفسروه بتفسير صحيح إلا بدعوىٰ الاقتران.

إذا تبين هٰذا، فإذن حقيقة الكسب الذي أثبته الطحاوي هنا بقوله: (خَلْقُ اللهِ، وَكَسْبٌ مِنَ العِبَادِ) نحمله علىٰ قول أهل السنة والجماعة، مع أنه يمكن أن يحمل علىٰ قول الأشاعرة والماتريدية في ذلك، والأولىٰ أن يحمل علىٰ الأصل وهو ما يوافق القرآن والسنة؛ لأنه هو في جل عقيدته يوافق طريقة أهل السنة والحديث.

كان بودي أن أذكر تفصيل أكثر؛ لكن علىٰ كل حال لها إن شاء الله موضع آخر، أو مناسبة أخرىٰ.

نكتفي بهٰذا القدر، فالجملة هٰذه ما أعطيناها حقها (خَلْقُ اللهِ) المفروض أن نتكلم علىٰ الردود علىٰ المعتزلة في قولهم بأن العبد يخلق فعل نفسه ونبطل مسألة الظلم والعدل والقياس في الأفعال، ونتكلم عن الكسب عند الأشعرية بتفصيل أكثر؛ لأني سبق أن أوضحته لكم أكثر من هٰذا في «الواسطية»؛ لكن علىٰ كل حال، بعض العلم يخدم بعضا.

نكتفي بهٰذا القدر، وهٰذا الدرس يكون آخر الدروس في هٰذا الفصل، ونلتقي بكم إن شاء الله فيما نستقبل من الأيام.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

والسلام عليكم ورحمة الله[1]



ويليها المجموعة الثالثة والأخيرة إن شاء الله تعالىٰ.

(١) انتهىٰ الشريط التاسع والثلاثون.

الدروس (٥/ ٤٠-٥٣)

سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

# شرح العقيدة الطحاوية

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

**حفظه الله تعالى**

**المجموعة الثالثة (١٣ ) مجلسا**

**[(١٤) شريطا مفرّغا]**

يحوي ١٦٠ سؤالا

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

**الشيخ لم يراجع التفريغ**

بسم الله الرحمن الرحيم

## الدرس الثامن والأربعون

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلىٰ يوم الدين.

أسأل الله جل وعلا لي ولكم العلم النافع والعمل الصالح وأن يجعلنا ممن اختارهم لطاعته وثبتهم علىٰ ذلك إنه جواد كريم.

اللّٰهمَّ إنا نعوذ بك أن نَضل أو نُضل، أو نَزل أو نُزل، أو نَجهل أو يُجهل علينا، أو نظلم أن نُظلم.

اللّٰهمَّ فأجب يا كريم.

ثم إننا سبق الكلام فيما مضىٰ علىٰ مسائل جليلة من مسائل الإيمان بقضاء الله جل وعلا وبقدره؛ لأنَّ الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالىٰ ركن من أركان الإيمان، وقد جاء في القرآن وفي الأحاديث الصحيحة عن النّبي ﷺ ما يبيّن هٰذا الأصل العظيم وهٰذا الركن الجليل في ما يجب الإيمان به ويكون حدًّا لركن الإيمان، وفيما يجب الإيمان به لمن بلغته الحجة في ذلك.

وأما ما جاء عن رسول الله ﷺ في قوله: «**وإذا ذُكر القدر فأمسكوا**» فمعناه: أمسكوا عما لم تُوقَفوا وتُوَقِّفُوا فيه علىٰ علم، يعني أن يخوض المرء بعقله أو باستحسانه أو باستنتاجه، أما إذا بحث المسائل الشرعية والتي من أجلّها القدر علىٰ نحو ما جاء في النصوص دون اعتراض ودون خوض في العقليات؛ لأنه أمرٌ غيبي وهو سر الله جل وعلا في خلقه، فإن هٰذا من العلم الواجب أو المستحب.

ولهٰذا يذكر أكثر العلماء في كتبهم في السنة والعقيدة تفاصيل تتعلق بالإيمان بقدر الله جل وعلا.

وهٰذه التفاصيل التي يذكرونها علىٰ قسمين:

**القسم الأول**: ما يتصل بما جاء في النصوص الشرعية من ذكر معنىٰ الإيمان بالقدر والقضاء من الله جل وعلا، وفي مراتب القدر، ومعنىٰ الهداية، ومعنىٰ التوفيق، ونحو ذلك مما جاءت به النصوص.

**والثاني**: أنَّهم يذكرون مسائل خالفت فيها الفرق الضالة من الخوارج والمرجئة والجبرية والقدرية، سواءً أكانوا قدرية النفاة أو القدرية المعتزلة أو الجبرية الأوائل أو الجبرية المتوسطة، ونحو ذلك من المسائل، يذكرون بعض المباحث المتعلّقة بالأصول التي خالفوا فيها، وأيضًا الألفاظ الشرعية التي تناولوها علىٰ غير ما هو معلوم من معناها في نصوص الكتاب والسنة.

وذلك أنَّ القدر مسلك شائك فواجب علىٰ ومن تكلَّم فيه أو درسه أن يستحضر جميع ما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة، وأنْ يلتزم بما جاء فيها وأن يرد المتشابه إلىٰ المحكم من ذلك؛ لأنَّه أمر غيبي عظيم ومسلكه وَعْرٌ شديد إلا لمن وفَّقه الله جل وعلا.

ولا غرابة أن النبي ﷺ خرج مرةً علىٰ أصحابه وهم يتنازعون في القدر وكأنما فقئ في وجهه حبّ الرّمّان عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ؛ لأن وجهه كان أبيضا مشربًا بحمرة، وزادت هٰذه الحمرة وعلت من الفزع والغضب عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ؛ وذلك أنَّ هٰذه المسائل لا يُخاض فيها إلا بعلم.

وقد مر معنا في الدروس السابقة مسائل جليلة من مسائل القدر شرحًا لما أورده العلاّمة أبو جعفر الطحاوي في عقيدته المختصرة التي نشرحها، وبقي بعض المسائل نعرضها هٰذه الليلة إن شاء الله تعالىٰ.

لكن تنتبهون إلىٰ أنّ الأصل في هٰذا اتباع النصوص أولا والفقه فيما دل عليه الكتاب والسنة مما ذكره الله جل وعلا أو ذكره رسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في مسائل القدر، ثم معرفة ما قرره أئمة الإسلام الذين استقرؤوا النصوص من أولها إلىٰ آخرها وقرروا ما جاء في الكتاب والسنة ملتزمين في ذلك بهدي الصحابة في هٰذه المسائل العظيمة التي يجب فيها الاقتصاد وعدم التجاوز لما دلّ عليه الدليل لا بخوض في العقليات ولا بتجاوز للنقليات. اقرأ...

📖 وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَّا مَا يُطِيقُونَ، وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ، وَهُوَ تَفْسِيرُ: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ). نَقُولُ: لَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا تَحَوُّلَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللهِ، وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَىٰ إِقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ.

وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيَلَ كُلَّهَا، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الأنبياء].

---

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَّا مَا يُطِيقُونَ، وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ) يعني العباد المكلفين؛ لأنه لما ذكر أفعال العباد وأنها خلق الله وكسب من العباد ذكر هٰذه المسألة وهي أنّه جل وعلا لم يكلفهم إلا ما يطيقونن قال: (وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ، وَهُوَ تَفْسِيرُ: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ)..) إلىٰ آخره، يريد بهٰذا الكلام أن يردّ علىٰ طائفة ممن يقولون: إنّ الله جل وعلا كلّف العباد بما فوق طاقتهم، وأن بعض الأوامر أو النواهي فوق طاقة العبد. ويردّ علىٰ طائفة أخرىٰ يقولون: إن العباد لم يكونوا ليقدروا علىٰ أكثر مما أمرهم الله جل وعلا به. وهٰذا معنىٰ كلامه هنا، وسيأتي ما فيه من الصواب والخلل في المسائل إن شاء الله تعالىٰ.

والذي دلت عليه النصوص أنّ الرب جل جلاله رحيم بعباده، يسّر لهم، وما جعل عليهم في الدين من حرج، ولم يكلِّفهم فوق ما يستطيعون، والآيات في هٰذا الباب كثيرة:

كقوله جل وعلا: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة:٢٨٦].

وكقوله جل وعلا: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾[البقرة:٢٨٦].

وكقوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن:١٦].

وكقوله جل وعلا: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨].

وكقوله جل وعلا: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة:١٨٥].

وكقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «**أحب الدين إلىٰ الله الحنيفية السَّمحة**».

وكقوله: «**لن يشاد الدين أحد إلا غلبه**».

وكقوله في الحديث الحسن: «**إن هٰذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن الْمُنْبَتَّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقىٰ**» ونحو ذلك من الأحاديث التي فيها صفة الله جل وعلا في تحريمه الظلم علىٰ نفسه وإقامته للعدل في ملكوته وفي أمره ونهيه.

**وفي هٰذه الجملة مسائل:**

**المسألة الأولى**: قوله: (وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ) التكليف جاء في نصوص الكتاب والسنة كقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، ويصحّ أن يقال علىٰ هٰذا عن العبادات الشرعية أنها تكليف لأجل هٰذه الآية، فالأوامر والنواهي فيما يجب الإيمان به وفيما يجب عمله ويجب تركه ونحو ذلك، هٰذا تكليف، ومعنىٰ التكليف أنّ الامتثال له يحتاج إلىٰ كلفة لمضادّته أصل الطبع في استرسال النفس مع هواها، لهٰذا كان المؤمنون قليلين ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾[سبإ]، فالتكليف سائغ أن يقال عن التكاليف الشرعية

يعني عن الأوامر الشرعية: إنها تكاليف لا بمعنىٰ أنّها فوق الطاقة أو أنها غير مرغوب فيها؛ لكن تمشيا مع قول الله جل وعلا: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يعني أن ما تسعه النفوس وما يمكنها أن تعمله فإنّ الله جل وعلا كلّفها به.

**المسألة الثانية**: قوله: (إِلَّا مَا يُطِيقُونَ) الطاقة هنا بمعنىٰ الوسع والتمكن؛ يعني ما يمكن أن يفعله وما يسعه أن يفعله من جهة قدرته علىٰ ذلك، فيكون معنىٰ الكلام أنَّ الرب جل وعلا لا يطلب من الإنسان، -لا يطلب من الناس؛ بل من الجن والإنس؛ من المكلفين- لا يطلب منهم شيئا فوق وسعهم؛ بل إن بعض الأوامر والنواهي قد تكون في حق البعض خارجة عن الوسع فتسقط في حقهم لقوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن:١٦]، وقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾[النور:٦١] فبعض التكاليف -بعض الأوامر- تكون في حق بعض في الوسع والطاقة وفي حق بعض خارجة عن الوسع والطاقة فتسقط عن بعض وتجب علىٰ بعض.

فيكون إذن عدم تكليف ما لا يُطاق فيه تفصيل: بأنه جل وعلا لا يكِّف الفرد المؤمن فوق طاقته، وهٰذا يعني أن إطلاق الكلمة (لا يكلف الله جل وعلا بما لا يُطاق) يعني في جهتين:

**الجهة الأولىٰ**: في أصل التشريع فهو جل وعلا الأعلم بخلقه.

**والجهة الثانية**: في التَّشريع المتوجه إلىٰ الفرد يعينه، فإنه جل وعلا لا يكلِّف المسلم المعيَّن بما لا يطيق، وقد يكون ما لا يطيقه فلان يطيقه الآخر.

**المسألة الثالثة**: قوله: (وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ) هٰذه العبارة أدخلها هنا لأجل تتمَّة الكلام السّابق في أنّ العبد لا يطيق أكثر مما أُمر به، وهو أراد بذلك أنّ الأصل في الإنسان التّعبُّد وأنه عبد لله جل وعلا، وأن الملائكة لما كانت تُطيق كذا وكذا من الأعمال والعبادات جعلهم الله جل وعلا يقومون بذلك أمرًا لا اختيارا، والإنسان بحُكم أنه عبد لله جل وعلا، ومربوبٌ ومكلف، فإنه يجب عليه أن يمضي عمره وجميع وقته في طاعة الله جل وعلا.

* فنظَرَ إلىٰ هٰذا -يعني نظر إلىٰ جانب العبودية- وقال: إن العباد لا يطيقون إلا ما كلَّفهم. ويعني به أصل التشريع وجملة الشريعة، في أن الناس لا يطيقون أكثر من هٰذا التعبد.

* وكأنه نظر إلىٰ قصة فرض الصلاة أيضا وما جاء من التردُّد أو الحديث بيت موسىٰ عليه السلام وبين النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ حتىٰ خُففت إلىٰ خمس صلوات.

* وكأنه نظر أيضا إلىٰ جهة ثالثة وهي أن (لَا يُطِيقُونَ) هنا لمعنىٰ أنه سبحانه لم يجعل عليهم شيئا في فعله بالنسبة لهم تكليف فوق ما كُلِّفوا به؛ يعني أن نفس التشريع هو موافق لما كُلّفوا به من جهة الأصل العام فيتسق جهة الفرد مع جهة التشريع ويدخل في ذلك حينئذ معنىٰ التوفيق.

وهٰذا التوجيه الذي ذكرته لك من باب حمل كلام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ موافقة كلام أهل السنة والقُرب من كلامهم، وإلا ففي الحقيقة فإن الكلام هٰذا مشكل، وقد ردّ عليه جمع من العلماء ومن الشّراح.

ولهٰذا نقول: إن هٰذا التخريج الذي ذكرنه وهٰذا التوجيه من باب إحسان الظن وتوجيه كلام العلماء بما

يتَّفق مع الأصول لا بما يخالفها ما وجد إلىٰ ذلك سبيل، وإلا فإن العبارة ليست بصحيحة وهي موافقة لبعض كلام أهل البدع من القدريَّة ونحوهم؛ في أن العبد لا يسعه ولا يقدِرُ إلا علىٰ ما كُلِّف به أكثر من ذلك لا يستطيع، وأنه لا يطيق إلا ما كُلِّف ولو كلف بأكثر لما استطاع، وهٰذا بالنظر منهم إلا أن الاستطاعة تكون مع الفعل، ولا يُدخلون سلامة الآلات وما يكون قبل الفعل في ذلك كما فصلنا لكم فيما سبق.

ولهٰذا نقول: إن الأولىٰ؛ بل الصواب أن لا تُستعمل هٰذه الكلمة؛ لأنها مخالفة لما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة في أن الله جل وعلا خفّف عن العباد، فانظر مثلا إلىٰ الصيام في السّفر فإنه لو كلّف به العباد لأطاقوه؛ لكن فيه مشقة شديدة يسّر الله جل وعلا وخفف فقال جل وعلا: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة:١٨٥]، وكذلك مسألة التيمم والتخفيفات الشرعية من قصر الصلاة ونحو ذلك، قد قال جل وعلا: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾[النساء:١٠١]، والنبي ﷺ قصر في الخوف وقصر في الأمن، ومعلوم أنّ قصر الصلاة في الأمن كونه يصلي ركعتين لو كُلّف فرضا بأن يصلي أربع ركعات كل صلاة في وقتها كما في الحضر لكان في وسعه أن يعمل وفي طاقته أن يعمل؛ لكنه فيه مشقة عليه، لهٰذا خفِّف عنه، وهو يطيق أكثر من قصر الصلاة، يطيق لو صلىٰ كل صلاة في وقتها أربع ركعات؛ لكن فيه مشقة.

لهٰذا النصوص الكثيرة التي في تخفيف العبادة وفي الرخص وفي التيسير كلها تردّ هٰذه الجملة من كلامه؛ بل العبد في بعض الأحكام يطيق أكثر مما كلّفه، صلّ قائما فإن لم تستطع فقاعدا، عدم الاستطاعة هنا لا تعني أنه إذا قام يسقط وإلا يكون مستطيعا؛ بل إذا كان يخشىٰ عليه أن يزداد في مرضه أو يتعب أو قيامه يُذهب بخشوعه فإنه من لأجل ما معه من مرض وعدم الاستطاعة النسبية فإنه يجلس، وهكذا.

فإذن هٰذه الجملة (**وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ**) ظاهرها غير صحيح، وإن كان إحسان الظن بالمؤلف بمكن معها أن تُحمل بتكلُّف علىٰ محمل صحيح.

قال بعدها: (**وَهُوَ تَفْسِيرُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**) وفي هٰذه الجملة إلىٰ آخرها يعني في تفسير الكلمة مسائل:

**المسألة الأولى**: كلمة (**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**) من أعظم الأذكار التي فيها الإقرار بربوبية الله جل وعلا وإلهيته وبأسمائه وصفاته، وفيها الإقرار بتخلّي العبد عن كل حول له وقوة ورؤية لما عنده من الآلات والقُدَر إلىٰ ما عند الله جل وعلا وحده، ففيها الفرار من الله جل وعلا إليه وحده ﷻ، وفيها التخلّي من رؤية النفس التي أوجبت الهلكة في الدُّنيا والآخرة علىٰ طائفة من الخلق.

فمعنىٰ (**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ**)، (**لَا**) هنا نافية للجنس؛ يعني جنس الحول، وهو إن كان التحوُّل من حال إلىٰ حال وحتىٰ رَفع الكأس إلىٰ فيك، وحتىٰ حركة ثوبك وحركة عمامتك، وحتىٰ حركة عينيك، فإن هٰذا التحوّل من حال إلىٰ حال في أي شيء تفعله فإنك تنفي جنسه، وتنفي القدرة علىٰ هٰذا التحوُّل، إلا أن يكون بالله جل جلاله، وهٰذا فيه التبرؤ من الحول والقوة، وأنه لا يمكنك أن تتخلّىٰ عن الله جل وعلا طرفة عين، حتىٰ في طرفة عينك وفي حركة لسانك وفي حركة أنفاسك فإنه لا تغير من حال إلىٰ حال ولا

قدرة لك إلىٰ تحول شأن من شؤونك مهما قلّ إلا بالله جل وعلا.

(وَلَا قُوَّةَ) يعني أيضًا، (لَا) نافية للجنس؛ يعني أنك تنفي جنس القوة التي بها توجَد الأشياء والتي بها تُحصِّل الأمور، تنفي جنسها أن تكون حاصلة لك استقلالا، أو حاصلة لك في إحداث الأشياء، وهٰذا منفي إلا أن تكون بالله جل وعلا، وهٰذا حقيقة توحيد الربوبية لله جل وعلا، فإن الإيقان بأن الله جل وعلا المدبر للأمر، يدبر الأمر من السماء إلىٰ الأرض، وأنه جل وعلا: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[الأنعام] وأنه جل وعلا ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾[المؤمنون:٨٨]، وأنه ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[فاطر:٢]، وأنه ما تسقط من ورقة، وأنه ما من شجرة، ولا هبوب ريح، ولا تحرك في وليد ولا في جنين ولا في دم في العروق، ولا في حركة حيوان صغر أم كبر، وأن ذلك كلَّه بتدبير الله جل وعلا، وأن كلماته الكونية جل وعلا وسعت كل شيء، كما قال جل وعلا في آخر سورة الكهف: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾، يعني الكلمات الكونية لكثرة أوامره جل وعلا الكونية فيما يحدث في أحوال العباد.

فتنظر إلىٰ توحيد الربوبية وتعلم أنك لا فعل لك ولا حول في أي شيء ولا قوة إلا بالكريم جل جلاله، ومن أعظم ذلك أن تتبرأ فيه من الحول والقوة الهداية وصلاح النفس وصلاح الظاهر وصلاح الباطن، فإنه لا يمكن لعبد يرىٰ نفسه أنه يفعل ويفعل وأنه يقدر وأن يوفَّق أبدا؛ بل لا يوفَّق إلا من تبرأ من الحول والقوة في شأن التكليف وفي شأن الهداية ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾[الإسراء:٩٧] ﷻ.

وفيها توحيد الإلهية أيضا في أنه إذا كان لا حول ولا قوة إلا بالله وأنّ المرء والمخلوق لا يمكن له أن يفعل بالله وحده دون ما سواه، فلماذا يتعلق قلبه إذن بغير الله من الآلهة والأنداد والأموات والأولياء والقوىٰ المختلفة في حال البشرية القوة المادية أو غيرها؟ لماذا يتعلق قلبه بهٰذه الأشياء؟ فإنما يكون إذن تعلق القلب لمن يملك الانتقال والنقلة من حال إلىٰ حال ويملك القوة.

فإذن تتوجه القلوب بالدعاء ويتوجه المرء في عباداته إلىٰ الله جل وعلا وحده، ويعلم أن من توجّه إليه الخلق بالعبادة وألّهوه من دون الله جل وعلا هم كما وصفهم الله جل وعلا بقوله: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ [وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾][1]﴾[الأعراف]، وقال جل وعلا في وصفهم يعني في وصف الآلهة: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾[الأحقاف]، وفي قوله جل وعلا: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾[الإسراء]، فالآلهة المختلفة محتاجة ذليلة إلىٰ الرب جل جلاله، لا تملك لأنفسها شيئا من الضر ولا النفع، فإذن وجب التوجه إلىٰ الله جل وعلا.

---

(١) الشيخ حفظه الله تعالىٰ قال: وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا. التي في الآية ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾[الفرقان].



سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

الثالث في هٰذه الكلمة العظيمة فيها توحيد الأسماء والصفات عن طريق التّضمّن واللزوم؛ لأنّ وصف الله جل وعلا هنا بأنه القوي القدير جل جلاله يتضمَّن إثبات صفات الكمال التي تقتضي أنّه لا انتقال من حال إلىٰ حال إلا به، فهل ينتقل المرء من حال إلىٰ حال إلا برحمته، هل يستقيم في حياته إلا بهدايته؟ هل يستقيم في أموره إلا بقُدرته جل وعلا وبرحته وبعفوه وبمغفرته وبعدله إلىٰ آخر الصفات.

فإذن هٰذه الكلمة متضمنة ويلزم أيضًا من إثباتها إثبات أنواع من الأسماء والصفات للرب جل جلاله، فهي كلمة عظيمة جليلة لذلك كانت من أعظم الكلمات التي هي غِراسُ الجنة ووسيلة إلىٰ الرب جل جلاله.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيرها: (نَقُولُ: لا حِيلَةَ لِأَحَدٍ، وَلا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ، وَلا تَحَوُّلَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللهِ، وَلا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَىٰ إِقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ.) فتلحظ هنا أن هٰذا التفسير أنه خصّ من معنىٰ هٰذه الكلمة الانتقال من المعصية إلىٰ الطاعة والتوفيق للطاعات، وهٰذا هو الذي يناسب المقام في ذكر القدر؛ لأن المخالفين في القدر -أعني بهم القدرية- ظنوا أن المرء هو الذي يحصّل الطاعة بنفسه وأن الله جل وعلا أعطاه الأسباب إلىٰ آخره فهو القادر علىٰ تحصيل الطاعة والهداية لكنه لم يفعل ذلك، وهٰذا خلاف ما دلّت عليه هٰذه الكلمة فضلا عن مخالفته لأصول كثيرة.

**وتحت هٰذا التفسير مسائل:**

**الأولى**: أن تحوّل المرء عن المعصية إلىٰ الطاعة والقوة علىٰ الطاعة لا يكون إلا بتوفيق الله جل وعلا، والتوفيق لفظ شرعي جاء في النصوص كما في قوله جل وعلا: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾[هود]، ويقابله الخذلان.

والتَّوفيق والخذلان متصلان بالقدر اتصالا وثيقا، ولأجل ذلك فسَّرت كل فرقة من الفرق الضالة التوفيق والخذلان بما عندها من الاعتقاد في القدر، فالمعتزلة والقدرية يفسِّرون التوفيق بما يوافق عقيدتهم؛ والجبرية والأشاعرة والماتريدية ومن شابههم يفسرون التوفيق والخذلان بما يناسب عقيدتهم، وأهل السنة يفسرونه بما يوافق ما دلّ عليه القرآن والسنة ويوافق العقيدة السلفية التي كان عليها هدي السلف الصالح.

**المسألة الثانية**: معنىٰ التوفيق والخذلان عند أهل السنة، التوفيق الذي ذكره هنا يقول: (وَلا تَحَوُّلَ لِأَحَدٍ [عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ] إِلَّا بِمَعُونَةِ اللهِ، وَلا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَىٰ إِقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ.) **التوفيق هو إعانة خاصة من الله جل وعلا للعبد بها يضعف أثر النفس والشيطان وتقوىٰ الرغبة في الطاعة**، وإلا فالعبد لو وكل إلىٰ نفسه لغلبته نفسه الأمّارة بالسوء والشيطان، وهٰذا يحس به المرء من نفسه فإنه يرىٰ أن هناك قدرا زائدا من الإعانة علىٰ الخير زائد علىٰ اختياره، فهو يختار ويتوجه لكن يحس أن هناك مددا مدّه الله جل وعلا يقويه علىٰ الخير فيما يتّجه إليه من الخير.

وهٰذا لنفسه وليس من قدرته وقوته ولكن هٰذه إعانة خاصة، لهٰذا إن العبد المؤمن يرىٰ أنّه لا شيء من الطاعات حصّلها إلا والله جل وعلا وفّقه إليها يعني منحه إعانة علىٰ تحصيلها وعدم الاستسلام للنّفس وللشيطان.

فالتوفيق فيه معنىٰ الهداية والإعانة الخاصة.

ويقابله **الخذلان وهو سلب العبد الإعانة التي تقويه علىٰ نفسه والشيطان**، نعوذ بالله من الخذلان؛ يعني نعوذ بالله من أن نُسلب الإعانة علىٰ أنفسنا وعلىٰ كيد الشيطان.

وأما تفسير التوفيق والخذلان عند الأشاعرة، ويحسن التنبيه عليه لأنه أكثر ما تجد في كتب التفسير وكتب شروح الأحاديث، وخاصة «تفسير القرطبي» و«تفسير أبي السعود» و«الرازي» وأشباه هٰذه التفاسير، وشروح الأحاديث كشروح النووي والقاضي عياض وابن العربي ونحو ذلك من شروح الأحاديث، فإن أكثر ما تجد تفسير التوفيق والخذلان هو تفسيره عند الأشاعرة، ولهٰذا ينبغي العناية بهٰذا الموضع لصلته بالقدر.

**عندهم التوفيق خلق القدرة علىٰ الطاعة**؛ يعني جعلوا التوفيق هو القدرة. **والخذلان هو عدم خلق القدرة علىٰ الطاعة**.

يعني إقدار الله جل وعلا العبد علىٰ الطاعة هٰذا توفيق، وعدم إقدار الله جل وعلا العبد علىٰ الطاعة هٰذا خذلان، وهٰذا كما هو ظاهر لك في خلل كبير لأنه جعل التوفيق إقدارًا، وجعل الخذلان سلبا للقدرة، وهٰذا فيه نوع قوة لاحتجاج المعتزلة علىٰ الجبرية في معنىٰ التوفيق والخذلان.

تفسير أهل السنة وسط في أن التوفيق زائد علىٰ الإقْدار، فالله جل وعلا أقدر العبد علىٰ الطاعة بمعنىٰ جعل له سبيلا إلىٰ فعلها وأعطاه الآلات وأعطاه القوة ليفعل؛ ولكن لن يفعل هو إلا بإعانة خاصة؛ لأن نفسه الأمارة بالسوء تحضه علىٰ عدم الفعل عدم العبادة، وهٰذا يلحظه كل مسلم من نفسه فإنه يريد أن يتوجه إلىٰ الصلاة ويأتيه نوع تثاقل يريد أن يقوم بنوع من العلم والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويصيب نفسه نوع من التثاقل، وهٰذا من الشيطان ومن النفس الأمارة بالسوء، فإذا منحه الله التوفيق وأعانه علىٰ أن يتعبّد أعانه علىٰ أن يقول ما يقول بموافقة للشرع هٰذا توفيق وإعانة خاصة يمنحها الله جل وعلا من يشاء من عباده.

**المسألة الثالثة والأخيرة**: أن معرفة العبد المؤمن بحقيقة هٰذه الكلمة ومعنىٰ توفيق الله جل وعلا ومعنىٰ الخذلان **يُوجب** له أن ينطرح دائما بين يدي ربه جل وعلا متبرئا من نفسه ومن حولها وقوتها ومن أن لا يكله الله إلىٰ نفسه طرفة عين، لهٰذا قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**ربي لا تكلني لنفسي طرفة عين**» يعني حتىٰ في تحريك العين وفي طرفها لا تكلني إلىٰ نفسي، وهٰذا من عِظم معرفته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لربه فهو أعلم الخلق بالرب جل جلاله وأخشاهم له جل وعلا وأتقاهم عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ إلىٰ يوم الدين.

فلهٰذا إذا علمت لا حول ولا قوة إلا بالله ومعنىٰ التوفيق ومعنىٰ الخذلان فإنه يجب عليك أن تستحضر ذلك في كل حال، فاستحضار ذلك ومجاهدة نفسك علىٰ طلب التوفيق من الله جل وعلا وعدم رؤية النفس وقوة النفس والرأي وما عندك من الأدوات والمال وما عندك من الأسباب، فإن هٰذا من أسباب التوفيق، فلا يُطلب التوفيق من الله جل وعلا بمثل الانطراح بين يدي الله جل وعلا في الحاجة إلىٰ توفيقه جل جلاله، وإذا ظهر في العبد استغناء عن توفيق الله جل وعلا ورؤية ما عنده فإنه يخذل.

ألم تر إلىٰ يوسف عليه السلام وهو الكريم ابن الكريم وهو نبي الله ورسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ حين كان في السجن وظهر له من السّبب ما ظهر في تفسيره للرؤية ونجاة السّجين من السجن بسبب تفسيره للرؤيا، ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ قال جل وعلا: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾[يوسف]، وهٰذا علىٰ أحد التفسيرين أن الشيطان أنسىٰ يوسفَ عليه السلام ذكر الله جل وعلا في هٰذا الموطن والتعلق به جل وعلا وحده لا نقصا في مقام يوسف عليه السلام ولكنه بيانٌ لنوع من الرسالة التي تؤدىٰ لأقوال الأنبياء وبأفعالهم عليهم الصلاة والسلام.

فالعبد إذا التفت إلىٰ غير الله جل وعلا طرفة عين فإنه يوكل إلىٰ نفسه ويخرج متضررا.

وهٰذا نبي الله جل وعلا محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لما أراد الهجرة أخذ بالأسباب التي تُعين علىٰ تحقيق المراد، الأسباب المشروعة التي تعين تحقيق المراد ولم ير عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ تلك الأسباب ولم تقم في قلبه بأنه يتّكل عليها عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ وإنما فعلها لأنها مقتضية لحدوث مسبّباتها في العادة، فأتىٰ برجل من المشركين هادٍ خرِّيت يعرف الطرق ليسير به عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ بطريق آخر في الهجرة حتىٰ لا يعلم المشركون طريقه، وأيضا أمر أسماء وأمر راعي الغنم أن يمرّ بالغنم علىٰ مسيرهم حتىٰ لا يروا الأقدام، فكل الأسباب بُذِلت؛ ولكنها لم تنفع حتىٰ قام مشركون علىٰ رأس الغار علىٰ ظهر الجبل والنبي ﷺ في الغار[1]... المشرك من أن يرىٰ، هم كانوا يرون ما أمامهم من جهة الساحل، حركة العين إلىٰ أن ترىٰ الأسفل ترىٰ موقع القدم، فيبصرون النبي ﷺ وصاحبه هٰذه لا حيلة للنبي ﷺ ولا حيلة لأبي بكر بها ولا تنفع بها الأسباب التي فعلت؛ لكن بقي توفيق الله وعونه وحقيقة التوكل عليه جل وعلا.

لهٰذا أَعْظِم في كل شأن من شؤونك وخاصة الهداية والتوفيق للصالحات وطلب العلم النافع والتوفيق للسنة والالتزام بها وملازمة هدي السلف الصالح ومجانبة طريق المخالفين للسنة والمخالفين لهدي السلف وهدي العلماء، دائما إلجأ إلىٰ ربك في تحصيله، فما طُلب شيء وبوسيلة أعظم من مسيلة التبرؤ من الحول والقوة.

أسأل الله جل وعلا أن يُفيض علينا من معرفته والعلم به وما به نزدلف إلىٰ رضاه ونبتعد عمّا يسخط ويأبىٰ إنه سبحانه جواد كريم.

قال بعد ذلك: (**وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيَلَ كُلَّهَا، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾**[الأنبياء].) يريد رَحِمَهُ اللَّهُ بهٰذا أن يقرّر معتقد أهل السنة والجماعة أنّه ما من شيء يحدث إلا وهو بمشيئة الله وعلمه وقضائه جل وعلا وقدَرِه، وأن الأمور لا تستأنف لا يعلمها الله جل وعلا إلا بعد وقوعها، كلا وحاشا، وإنما تقع علىٰ وفق تقدير الله جل وعلا لها في الأزل؛ يعني علمه جل وعلا بها، وكتابتُه لها في اللوح المحفوظ قبل خلق السَّمٰوات

---

(١) نهاية الوجه الأول من الشريط الأربعين.

والأرض بخمسين ألف سنة وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وفي هٰذه الجملة ذكر مراتب الإيمان بالقدر المعروفة.

المرتبة الأولىٰ ذكرها في قوله: العلم.

والمرتبة الثانية ذكرها في قوله: القدر، وهو الكتابة.

والمرتبة الثالثة ذكرها بقوله: (بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا).

المرتبة الأخيرة ذكرها في قوله فيما سبق: (وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ خلْقُ اللهِ، وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ).

فهو لم ينصَّ علىٰ مراتب القدر المعروفة وهي مفرقة في هٰذا الكلام.

وها هنا مسائل:

**المسألة الأولى**: تفصيل الكلام علىٰ مراتب القدر، هنا لم ينصَّ عليه، والشارح أيضا لم يتعرض له في هٰذا الموطن وتفصيله أن الإيمان بالقدر يشمل الإيمان بمرتبتين:

**المرتبة الأولىٰ**: سابقة لوقوع الواقعة أو لوقوع المقدَّر، وهٰذا الإيمان السابق:

يشمل الإيمان بعلم الله جل وعلا بالأشياء قبل وقوعها عِلْمًا كليا وعلما جزئيا؛ يعني علما منه جل وعلا بالكليات وبالجزئيات، وعلمه ﷻ بهٰذه الأشياء أوّل كصفاته جل وعلا.

ويشمل أيضا الدرجة الثانية وهو الإيمان بكتابة الله جل وعلا لأشياء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة كما جاء في الحديث الذي في الصحيح: «**قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه علىٰ الماء**» (قدر الله مقادير الخلائق) يعني كتبها في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة. أما مرتبة العلم فهي سابقة فعلمه جل وعلا بالأشياء أوّل لا حدود له.

**المرتبة الثانية**: إيمان بالقدر إذا وقع المقدر وهٰذا يشمل درجتين أيضا:

**الأولىٰ**: أن يعلم العبد أن مشيئته في إحداث الأشياء تبع لمشيئة الله جل وعلا، وأن مشيئة الله نافذة ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن كما قال جل وعلا: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[التكوير]، وقال جل وعلا: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾[الأنعام]، وقال جل وعلا: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان].

ووقوع المقدر أيضا ثَم فيه درجة ثانية وهو أنه لا يقع شيء مما يقع إلا والله جل وعلا هو الذي قضاه، وهو الذي خلق هٰذا الفعل، فالله جل وعلا هو الخالق لكل شيء، وفي ضمن ذلك حركات العبد وأفعال العباد كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[الصافات]، علىٰ نحو ما فصلنا في دلالة الآية.

والقضاء والقدر لفظان أتيا في الكتاب والسنة، والعلماء تكلّموا في معنىٰ القضاء والقدر والصلة بين هٰذا وهٰذا.

والتحقيق في ذلك أن القدر هو ما يسبق وقوع المقدَّر، فإذا وقع المقدر صار قضاء، قضي؛ يعني انتهىٰ. ومادة قضىٰ في اللغة تدور حول هٰذا.

فيقال: قضىٰ القاضي بكذا. إذا أنفذ حكمه وانتهىٰ. وقال جل وعلا: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾ [فصلت:١٢]؛ يعني أنهاهن بخلقهن سبه سماوات. وقال جل وعلا: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٖ﴾[طه:٧٢] يعين احكم بما تحكم به حتىٰ يكون قضاء. وقال: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ﴾[سبإ:١٤]. فالقضاء يطلق بمعنىٰ إنفاذ المقَدر، فإذا وقع المقدر سمي قضاء، وهٰذا نعني به القضاء الكوني؛ لأن القضاء في النصوص يكون قضاء كونيا ويكون قضاء شرعيًّا.

أما القضاء الكوني فهو علىٰ نحو ما مر.

وأما القضاء الشرعي فمعناه أمر الله ووصىٰ كقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[الإسراء:٢٣]، يعني أمر ربك ووصىٰ أن لا تعبدوا إلا إياه.

ويأتي القضاء في معنىٰ ثالث إذا عدي بحرف (إلىٰ) بمعنىٰ أوحينا وأعلمنا تقول قضيت غليه أن يفعل كذا يعني أخبرته أعلمته ولا يعني معنىٰ الإنفاذ كما قال جل وعلا: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ﴾[الإسراء:٤] وكما في قوله جل وعلا في آخر سورة الحِجر: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ٦٦﴾، ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ﴾ يعني أوحينا ذلك الأمر، فهٰذا باب آخر غير الباب الذي نتكلم عنه.

**المسألة الثانية**: ذكر هنا الظلم فقال: (يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا) ولفظ الظلم من الألفاظ التي أدخلها هنا لأن الفِرَق الضالة تكلمت فيها، فالمعتزلة لهم كلام في الظلم، والجبرية لهم كلام في الظلم، وأهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح وسط بين الفئتين.

فالظلم عند المعتزلة في حق الله جل وعلا هو الظلم في حق الإنسان، فما يفعله الإنسان ويكون ظلما منه إذا نُسب إلىٰ الله جل وعلا فإنه ظلم، فقاسوا الظلم الذي يضاف إلىٰ الله جل وعلا بالظلم الذي يقع من الإنسان، فعندهم الظلم واحد، سواء أكان في المخلوق أم في الخالق، ضابطه واحد، وتعريفه واحد، وما ينزه الله جل وعلا عنه من الظلم، هو ما لا يليق بالإنسان أن يفعله.

وأما المتكلمون والأشاعرة ونحو هؤلاء فإن الظلم عندهم هو الامتناع عن القدرة، وعندهم قدرة الرّب جل وعلا متعلقة بما لا يشاؤه سبحانه في تعلُّقها الأزلي وفي تعلقها الصُّلُوحي -علىٰ حد كلماتهم لا ينشغل ذهنك بها-، فعندهم القدرة متعلقة بما يشاؤه سبحانه، فما لا يشاؤه غير مقدور، فمعنىٰ ذلك: الممتنع عن القدرة بتفسير الظلم هو الممتنع في حق الله جل وعلا عما لم يشأه جل وعلا، فعند المتكلمين -والأحسن طائفة من المتكلمين لأنها ليست موضع اتفاق بين المتكلمين والأشاعرة ثم خلاف بينهم وإن كان قليلا- عندهم الظلم هو الامتناع أو ما يمتنع أو ما هو ممتنع من القدرة، فما هو ممنوع ممتنع في قدرة الرب جل وعلا هو الذي لو فعله لكان ظلما.

لكن هٰذا كما ترىٰ تحصيل حاصل، فإنه الله جل وعلا إن كان لم يفعل فيكون عدم ظلمه في أنه جل وعلا لا يفعل الأشياء؛ لأنه لا يظلم أحدا، فلو فعل شيئا لا يدخل في قدرته -بحسب كلامهم- يكون ظلما، وهٰذا تفسير لا حاصل تحته لأن القدرة شيء والظلم شيء آخر.

فالظلم إذن في تفسيرهم تفسير طائفة من المتكلمين والأشاعرة ومن نحا نحوهم يرجع إلىٰ الممتنع في

صفة القدرة في الله جل وعلا، فرجع إلىٰ أن الممتنع في مشيئة الله جل وعلا لو فعله لكان ظلمًا؛ لأنه عندهم الأفعال غير معللة، وحكمة الله جل وعلا غير مرتبطة بالعلل والأسباب في بحث يطول ذكره هنا.

وأما تفسير أهل السنة والجماعة والأئمة الذي دلّت عليه النصوص فهو أنّ **الظلم هو وضع الأشياء في غير موضعها اللائق بها، الموافق للحكمة منه جل وعلا**، والظلم بالتالي يكون غير مرتبط بالقدرة وغير مقيص علىٰ أفعال الإنسان؛ بل هو سبحانه متنزه عن الظلم وقد حرّمه علىٰ نفسه.

مما يتصل أيضا بكلام المتكلمين والأشاعرة أن الظلم عندهم لا يكون؛ بل عند المعتزلة لا يكون إلا من مأمور ومنهي؛ يعني أن حقيقة الظلم تكون فقط ممن يؤمر ويُنهىٰ ويوردون الآيات في ذلك، ويقولون: إن الآيات كلها دالة علىٰ أن الظلم إنما يكون في حق من أمر فلم يفعل ونهي ففعل وهم المكلفون، ولذلك ينفون عن الله جل وعلا حقيقة الظّلم لأجل أنه غير مأمور وغير منهي، ويردّون الأحاديث التي فيها تحريم الظلم علىٰ الله جل وعلا ونحو ذلك.

نقول: نضرب مثالا علىٰ ذلك بحديثين:

أما الحديث الأول فقوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ فيما رواه مسلم في «الصحيح» حديث أبي ذر المعروف: «**يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا**» وهٰذا يدل علىٰ أن الله حرم الظلم علىٰ نفسه، فلو كان الظلم علىٰ تفسير أولئك لا يقع إلا من مأمور ومنهي، فكيف يكون تحريمه علىٰ الله جل وعلا؟ يكون تحريمه تحصيل حاصل لا معنىٰ له، ولو كان الظلم هو الامتناع عن القدرة عن القدرة لكان أيضا إضافته إلىٰ الله تحريم الظلم ليس له معنىٰ.

فإذن تحريم الظلم «**حرّمت الظلم علىٰ نفسي**» يعني جعلت وضع الأشياء في غير موضعها الموافق للحكمة جعلته محرما علىٰ نفسي، وحرمت عليكم أن تظالموا.

والحديث الثاني وقوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ فيما رواه أبو داود وغيره وصححه بعض العلماء قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم**» الحديث.

يعني أن أهل السَّمٰوات والأرض لو عذبهم الله جل وعلا لعذبهم وهو غير ظالم لهم، المعتزلة يردُّون هٰذه الأحاديث أصلا، والأشاعرة يجوزون أن يعذب الله جل وعلا الناس من غير سبب؛ لأنهم لا حكمة عندهم ولا تعليل لأفعال الله، يفعل ما يشاء بدون علة وبدون سبب، ومنها أخذ صاحب السفارينية في قوله في منظومته السَّفاريني:

وجـــائز أن يعـــذب الـــورىٰ  من غير ما ظلم ولا ذنب جرىٰ [1]

يعني البيت، المهم يقول جائز أن يعذب الورىٰ يعني الله جل وعلا من غير ما ذنب ولا جرم جرىٰ.

هٰذا الحديث أهل السنة لا يفسّرونه لا بهٰذا ولا بهٰذا؛ بل يفسرونه بعِظم معرفتهم لربهم جل جلاله وخشيتهم له ومعرفتهم بحقوقه، فيقول أئمة أهل السنة: بأن أهل السَّمٰوات وأهل الأرض إنما قاموا برحمة الله جل وعلا، فما فيهم حركة ولا حياة ولا شأن إلا وفي كلٍّ منها فضل من الله جل وعلا ورحمة

---

(١) وجَازَ للمولىٰ يعذب الورىٰ  من غير ما ذنبٍ ولا جرمٍ جرىٰ

ونعمة أفاضها عليهم بها قامت حياتهم وبها استقاموا، كما قال جل وعلا: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل:٥٣]، فمن حقه جل وعلا علىٰ هٰذا العبد المكلف الذي لا ترمش عينه إلا بنعمة، ولا يأكل إلا بنعمة، ولا يتنفس إلا بنعمة، ولا يتعلم إلا بنعمة، ولا يخطو خطوة إلا بنعمة، ولا ينظر إلا بنعمة، ولا يسمع إلا نعمة، ولا يتكلم إلا بنعمة، ولا يفرح إلا بنعمة، إلىٰ آخر نِعم الله جل وعلا التي تحصىٰ ولا تعد، من حقه جل وعلا أن يقابَل مع كل نعمة بشكر يقابل تلك النعمة.

فإذن يمضي حياته في شكر الله جل وعلا علىٰ الصغير والكبير، هل تسع حياته ذلك؟ بل هل تسع حياة المكلفين ذلك؟ لا تسع ذلك.

ولهٰذا تأمل مع هٰذا قول الله جل وعلا لنبيه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[الفتح].

وتأمل قول النبي ﷺ لعائشة لما قام حتىٰ ورمت قدماه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**أفلا أكون عبدا شكورا**» ولن يبلغ جميع ما يستحق الله جل وعلا من الشكر بالعمل؛ بل لابد من الاستغفار والإنابة حتىٰ يكمل شكر العبد لربه جل وعلا.

وتأمل أيضا ما علمه ﷺ الصديق الذي هو أفضل هٰذه الأمة أن يقول في آخر صلاته: «**اللَّهمَّ إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك**» فكيف عبر هنا بالظلم، «**ظلمت نفسي ظلما كثيرا**» لم؟ هل ظلم أبو بكر بارتكاب الكبائر؟ حاشا وكلا، هل ظلم بظلم العباد؟ حاشا وكلا، هل ظلم أبو بكر ﷺ للتقصير في حق رسول الله ﷺ وفي الاستجابة لله ولرسوله الظلم الكثير، حاشا وكلا؛ ولكن ينظر العبد إلىٰ ما يفاض عليه من النعم في كل لحظة، فيشعر أنه مقصر والله جل وعلا وصف القليل من الإعراض في حق العبد أنه من الظلم، ووصف الكثير أنه من الظلم، فلهٰذا يشعر المؤمن بأنه ظلم نفسه ظلما كثيرا؛ لأنه لا يمكن أن يشكر حقيقة الشكر.

فلو جل وعلا حاسب العباد، حاسب أهل السَّمٰوات وأهل الأرض وأهل الأرض علىٰ حقيقة الشكر ما أنعم الله به عليهم وأعظم ذلك أن جعلهم متصلين منه بسبب ومرفوعين إليه جل وعلا وأنهم من المنيبين وأنهم من المهتدين لما قامت حيلة العبد ولما قام إيمانه ولما قام له شيء؛ ولكن ما ثَم إلا رحمة الله جل وعلا: «**لن يدخل أحدا منكم عمله الجنة**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضلا**».

فإذن ننظر إلىٰ قوله: «**لو عذب الله أهل سمواته وأهل أرضه لعذبه وهو غير ظالم لهم**» لأن الشُّكر لن يكون في تمامه، فإذن هم لن يُعدموا؛ بل لن يكونوا إلا مقصرين، لن يكونوا إلا لم يوفوا مقام الشكر حقه؛ بل حتىٰ التوبة والإنابة إذا العبد كمّل الشكر بتوبته وإنابته دائما واستغفاره فإن قَبول التوبة وحصول المغفرة وقبول الإنابة من العبد أليست هٰذه نعمة تستحق شكرا مجددا، فإذن لو عذب الله أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، فلا يبرح العبد أن يرىٰ نعمة الله جل وعلا تفيض عليه في أمر دينه وفي أمر دنياه وليس ثَم أمامه سبيل إلا أن يشعر بالتقصير، وهٰذا المؤمن الحق دائما يقول محقِّرا نفسه عسىٰ الله أن يتغمدنا برحمة منه وفضلا ولو كان يصول النهار ويقوم الليل، وانظر إلىٰ كلام أبي بكر ﷺ

في دعائه.

فكيف حال المغرورين الجهلة والمذنبين من هٰذه الأمة الذين لا يرون أثرًا لذنوبهم ولا لإعراضهم؛ بل إذا فعلوا القليل منوا وأدلوا علىٰ الله جل وعلا به وهٰذه حال من لم يوفق.

أسأل الله جل وعلا أن يوفقنا جميعا إلىٰ ما يحب ويرضىٰ.

هٰذا تفسير الظلم عند الطوائف المشهورة القدرية وهم المعتزلة، والجبرية وهم أصناف والمتكلمين وقول أهل السنة فيما بين هؤلاء وهؤلاء.

تختم بهٰذا، وهٰذه المسائل التي ذكرت مختصرة جدا، وإلا فبحوث القدر كثيرة، ولا نريد منكم أن تتوسعوا أكثر إلا في ما شملته العقيدة الواسطية وشملته العقيدة الطحاوية، ففيهما بركة؛ لأن كثرة الخوض في القدر ملبسة إلا بعلم راسخ في الكتاب والسنة.

في الختام أسأل الله جل وعلا لي ولكم التوفيق للصالحات وأن يرحمنا برحمته وأن يوفقنا إلىٰ طاعته.

اللّٰهمَّ وفقنا إلىٰ دعاء تستجيبه لنا، وتقبل دعوة من دعا لنا بظهر الغيب إنك جواد كريم.

اللّٰهمَّ اشرح صدورنا لتمام الإيمان ولكمال الإسلام والإيمان إنك علىٰ كل شيء قدير.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

وفي هٰذا القدر كفاية، ونؤجل الأسئلة إن شاء الله إلىٰ أول الدرس القادم بإذنه تعالىٰ. وفقكم الله دائما.

## الدرس التاسع والأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنعم بالصالحات ويسّر لسبل الخيرات، هو المحمود علىٰ كل حال، وهو المحمود علىٰ نعمه التي لا ينفكّ منها العبد في صباح ولا مساء، له الحمد كلّه كثيرا كما ينعم كثيرا، وله الشكر جل وعلا كثيرا كما أنه يشفي ويتفضّل كثيرا.

اللّٰهمَّ عاملنا بعفوك إنك سميع قريب، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما مزيدا.

أما بعد:

[الأسئلة]

فنذكر بعض الأسئلة مع الجواب عنها في فاتحة هٰذا الدرس.

وأنبه علىٰ أن حسن السؤال سبب من أسباب حسن الجواب، فإنّ من المسائل التي ترد والأسئلة ما يكون قد كُتب علىٰ عجل وبعبارة غير جيدة، فيتعامل معه المجيب علىٰ ظاهره أو علىٰ مقصد السائل، وهٰذا يفوت الجواب المرضي.

ولهٰذا كلما كان السؤال جيدا ومتأنًىٰ فيه وسؤال عما يهم العبد وعما يهم طالب العلم أو يهم المسلم بعامة وحرر السؤال وأجاد السؤال كان ذلك من أنفع الأسباب في إحكام الجواب.

وقد مرت علينا أسئلة كثيرة وأسمع أيضا الأسئلة التي ترد علىٰ العلماء والمشايخ ما لا يكون محررا أو واضحا، وهٰذا مما يفوت نشاط المجيب للجواب علىٰ السؤال بتفصيل أو بما ينفع النفع الأكبر.

سؤال (٤٢٠): قال سائل: منَّ الله عليَّ بالهداية اسأل الله المزيد، كما من علي بحب العلم وأهله، فبدأت أطلب العلم منذ ثلاث سنوات تقريبا فحفظت قرابة خمسة وعشرين جزءا من القرآن وبعضا من المتون، ولكني سريع الحفظ سريع النسيان فأرجو منكم إرشاد إلىٰ طريق رسوخ الحفظ وتثبيت العلم.

وما هي أفضل طريقة لطلب العلم وهل العبرة لكثرة حضور الدروس العلمية أو قلتها مع التفرغ للحفظ والقراءة؟ إلىٰ آخره

الجواب: أولا أحمد الله جل وعلا علىٰ ما منّ به من هدايتنا جميعا إلىٰ صراطه المستقيم وسبيله القويم، فهٰذه نعمة عظيمة تحتاج إلىٰ حمد وسؤال للثبات دائما، قد كان نبينا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ وهو أعظم الخلق معرفة بربه وأتقاهم له جل جلاله كان كثيرا ما يدعو «**اللّٰهمَّ يا مقلب القلوب ثبت قلبي علىٰ دينك، اللّٰهمَّ يا مصرف القلوب والأبصار صرف قلوبنا إلىٰ طاعتك**» ونحو ذلك من الأدعية، وأعظم النعم بعد الهداية أن يُمنّ علىٰ العبد بأن يتهم نفسه دائما بالتقصير وأنه محتاج أكمل الحاجة إلىٰ ربه جل وعلا وإلىٰ هدايته، هٰذا من أعظم النعم الدينية التي يمنُّ الله بها علىٰ عبده.

من أعظم الأسباب في الثبات علىٰ الطاعة والثبات علىٰ الهداية العناية بالعلم النافع من كتاب الله جل وعلا وسنة رسوله ﷺ، وأعظم العلوم علم التوحيد والعقيدة، ثم علم الفقه الحلال والحرام، والجميع العقيدة والفقه يُستقىٰ من النصوص التي يُحتج بها وهي كتاب الله جل جلاله وما ثبت للنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ

والسَّلاَمُ أو الإجماع السابق المنقول علىٰ الصحابة رضوان الله عليهم أو نحو ذلك من الحجج المعروفة في بابها.

فطلب العلم من أنفع الوسائل وهو من المجاهدة، فيدخل في عموم قوله والذين جاهدوا فيهنا لنهدينهم سبلنا، والله جل وعلا قرن شهادة أولي العلم بشهادته جل وعلا وشهادة ملائكته له بالوحدانية بقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران]، فهٰذه تبيّن لك عظم معرفة أهل العلم لربهم جل وعلا وشهادتهم له بالوحدانية، كذلك أهل العلم مرفوعون درجات ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المجادلة:١١]، وإذا ارتفع أهل العلم درجات هٰذا أعظم من الثبات علىٰ الهداية، فهٰذا ثبات وزيادة فتح أبواب متنوعة من أنواع الطاعة والهداية إلىٰ ما يحب الله جل علا ويرضىٰ.

أيضا ما طلب من النبي ﷺ أن يزداد في شيء إلا مما أمره ربه جل وعلا وهو أن يزداد من العلم فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾[طه]، وازدياد العلم هو زيادة الإيمان؛ زيادة حب الله جل وعلا ورسوله وهكذا.

فإذن العلم النافع هو هٰذا الذي ذكرنا، وهو الذي يندرج تحت كل ما بعث الله جل وعلا به رسوله ﷺ، كما جاء في حديث أبي الدرداء «**مثل ما بعثني الله به من العلم والهدىٰ كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا**» إلىٰ آخره.

فإذا تحصل العبد علىٰ هٰذا وأقبل علىٰ العلم فإن الناس استعداداتهم للعلم مختلفون:

منهم من استعداده قوي في الحفظ والمدارسة والغربة.

منهم من عنده الوقت كي يطلب العلم.

ومنهم من هو مشغول.

لكن ينبغي علىٰ الجميع أن يعتنوا بالعلم الذي لا يسعهم جهله؛ لأن العلم درجات العلم أبوابه واسعة كثيرة لا يمكن لأحد أن يحصّل جميع أطراف العلم؛ لكن يدخل فيه برفق ويأخذ ما يحتاجه في دينه.

فمن الناس من يحتاج الأصول العظيمة في التوحيد وهٰذه لكل الناس وهٰذا واجب وهو مما لا يسع جهله بتوحيد الله جل وعلا ومعنىٰ الشهادتين وتحقيق أنواع التوحيد له ﷻ، ومعرفة معنىٰ السنة والبدعة ونحو ذلك من الأصول العامة، وهي المبينة في مثل كتاب «ثلاثة الأصول» لإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونحو هٰذه الرسالة من الرسائل المشابهة.

ثم يأخذ من الفقه ما لا يسعه جهله، مثل كيف يتطهر، كيف يصلي، كيف يتوضأ، الصلاة صلاة الحضر صلاة السفر يعرف ذلك بما يفتح الله عليه من معرفة أدلة ذلك، وهٰذا من أنفع ما ييسر له العبد، وكذلك أحكام الزكاة والصيام ونحو ذلك.

فإذا هدي إلىٰ ذلك فقد أتىٰ بالعلم الذي يجب علىٰ كل مسلم أن يتعلّمه بمعرفة دينه فيما يحتاجه في صحة قلبه في العقيدة الصحيحة وفي صحة عباداته فيما يتعلّم، وإذا أشكل عليه شيء من ذلك، فإنه يسأل

أهل العلم كما قال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1].

ثم الناس بعد ذلك درجات إذا فُتح له أن يحفظ القرآن كانوا أو يحفظ أكثر القرآن كما ذكر السائل، ويحضر دروس أهل العلم ويحفظ فيها المتون، فهٰذه الناس فيها درجات.

لكن الحفظ من المهمَّات حفظ القرآن، ثم يليه حفظ المتون التي تثبت؛ لأن الفهم عرض يطرأ ويزول، يأتي ويذهب؛ لكن إذا حفظت صاحب الحفظ فهم لما حفظ، فإن هٰذا من أسباب ثبات الفهم لأنه يبقىٰ معك المحفوظ، ولو ذهب بعضه مع مرور الزمن لكن يبقىٰ كثير منه أو يبقىٰ أكثره بحسب استعدادات الناس.

وقد جرب طائفة ذلك بحفظ القرآن حفظوه وأنعم الله جل وعلا به عليهم لكنهم أساؤوا فنسوا كثيرا من القرآن؛ لكن بقيت معهم الأدلة وبقيت معهم الاستدلالات، ثم بما دون ذلك منهم من حفظ الأربعين النووية وحفظ البلوغ في عمره وحفظ «كتاب التوحيد» وحفظ ما حفظ، ثم مع الزمن أتته المشاغل فربما نسي؛ لكن يبقىٰ معه من ذلك ما يكون حجة له وحجة معه فيما يحتاج إليه من المسائل.

فلا يُشترط في طالب العلم أنه إذا حفظ لا ينسىٰ هٰذا لا يمكن.

والناس في الحفظ استعدادات ومواهب منهم من يحفظ سريعا ويثبت حفظه وهم النُّدرة من الناس، ومنهم من يحفظ سريعا ينسىٰ، ومنهم من يعسر عليه الحفظ ولكنه في المراجعة والتثبيت يسهل عليه حتىٰ يكون قويًّا في ذلك وهكذا.

فإذن المهم أن طالب العلم لا ييأس، فإذا كانت عنده موهبة بالحفظ فيحفظ ويكرر ولو كان ينسىٰ بادئ ذي بدئ، والحفظ سريع إذا لم يكن مع التكرار -تكرار كثير-، فإنه ربما يكون مُذهبا لما حفظ.

لهٰذا نقول إجابة علىٰ آخر ما جاء في السؤال: إنَّ من أعظم الوسائل لتثبيت المحفوظ:

**أولا**: أن يكون متَّقيًا لله جل وعلا غير مفرِّط في أوامره ونواهيه؛ لأن العلم نور والمحفوظ في القلب من النصوص من الكتاب أو السنة هٰذا من النور؛ لأن الرسول نور والكتاب نور، ولهٰذا نور الله جل وعلا لا يثبت مع غفلة القلب، لا يثبت مع انشغال القلب بمعصية الله جل وعلا وعدم تعظيمه لأوامره.

ولهٰذا أعظم وسائل الحفظ أن يُتَّقىٰ الله جل وعلا بفعل أوامره واجتناب نواهيه بحسب الاستطاعة وأن يكثر المرء بما فرط من الاستغفار، قال جل وعلا: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦﴾[النساء] قال بعض العلماء هنا ﴿وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا﴾ تثبيتًا لهم في العلم وتثبيتا لهم في العمل، في العلم يثبت بما توعظ به والاستجابة لله جل وعلا ولرسوله ﷺ، وكذلك العمل يؤتاه العبد إذا عمل، وقد قال بعض أهل العلم: من عمل بالسنة أورثه الله عملا بسنة أخرىٰ. وكذلك من عمل سوءا فإنه يحجب عنه أو قد يحجب عنه بعض العلم، والسنة في القلب والبدعة وهو العمل الصالح يتدافعان كما هو معلوم.

وفي ذلك يقول وكيع للشافعي، والشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ الإمام محمد بن إدريس الشافعي المعروف المولود

---

(١) سورة: النحل؛ الآية (٤٣)، الأنبياء؛ الآية (٧).

سنة خمسين ومائة (١٥٠هـ) والمتوفى سنة أربع ومائتين للهجرة (٢٠٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة من الأئمة المشهورين كان يعالج نفسه بالحفظ كثيرًا، فشكا إلىٰ شيخه وكيع بن الجراح العالم والإمام المعروف سوء حفظه، فأرشده إلىٰ ترك الذنوب، وقال في ذلك الشافعي شعرا:

شكوت إلىٰ وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلىٰ ترك المعاصي

وقال: اعلم بأن العلم نور ... ونور الله لا يؤتاه عاص

ولذلك كلما زاد النور في القلب كلما ذهبت الظلمة، والمعصية ظلمة فإذا استقبل العبد الظلمة ورضي بها، فإنه يذهب من التنور بقدر ذلك، وهكذا حتىٰ تتنوع القلوب في هٰذا.

الأمر الثاني من أسباب الثبات علىٰ الحفظ وتيسير سبيل الحفظ أن لا يقتصر المرء علىٰ الحفظ الأول؛ بل يجعل له في كل ما يحفظ ختمة.

القرآن يجعل له ختمة إذا حفظ له عشرة أجزاء يبدأ من أول ما حفظ إلىٰ نهاية العشرة أجزاء، فإذا انتهىٰ منها يبدأ من جديد.

إذا حفظ «الأربعين النووية» يبدأ من أولها إلىٰ أن يختمها ثم يعيد من جديد.

حفظ «كتاب التوحيد» يبدأ. يكون ختمة في شهر في شهرين لكن لابد أن يتعاهد ما حفظ، حفظ «ألفية ابن مالك» حفظ «ألفية العراقي»، لابد أن يكرر الزمن، حفظ أي متن من المتون لابد له من قراءة فيه وختمة بين الحين والآخر لأن هٰذا به المذاكرة.

الأمر الثالث أن طالب العلم إذا كان مع نفسه لا يستطيع، فإنه يتخذ صاحبا له يعينه علىٰ ذلك ممن يشركه ويشترك معه في الرغبة في الحفظ والرغبة في المدارسة هٰذا من أنفع الأسباب.

وهناك مسائل أخرىٰ تتعلق بذلك تراجع في كتب آداب طلب العلم.

سؤال (٤٢١): هل الملائكة الموكلة بالإنسان سواء الكتبة أو الحافظون تكون ملازمة للإنسان؟ أم أنهم ينفكون عنه عند دخوله الخلاء؟

وما معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق]؟[1]

**الجواب**: أما معنىٰ الآية فقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ فهٰذا قرب الملائكة لا قرب الرب جل وعلا بذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن القرب كما هو معلوم نوعان:

- قرب عام.
- وقرب خاص.

والقرب العام لا يثبت لله جل وعلا قرب عام من جمع خلقه وإنما يثبت القرب الخاص، وما جاء في النصوص من القرب العام مثل هٰذه الآية ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ فإنما هو قرب الملائكة كما

(١) نهاية الشريط الأربعين.

حققه ابن تيمية وابن القيم وجماعة آخرون.

والملائكة أنواع منها ملائكة ملازمة للعبد لا تنفك عنه البتة، ومنها ملائكة تنفك عنه وتفارقه في بعض المواضع أو لبعض الأسباب.

فدخول الخلاء، وجماع الإنسان لأهله، وكون الإنسان يكون جُنبا، وأشباه ذلك مما جاء في الأحاديث، هٰذا من أسباب أن بعض الملائكة لا يرافقونه ينفكون عنه.

ثم هل الملائكة هٰذه هي ملائكة الرحمة أم ملائكة الرحمة والكتبة التي تلازم الإنسان؟ خلاف بين أهل العلم، وهل أنهم الحفظة أو الكتبة أو هما معا؟ والصحيح أن الحفظة بخصوصهم هؤلاء ينفكون عن ملازمته وأما الكتبة فإنهم لا ينفكون.

والحفظة يحفظ الله جل وعلا العبد بهم كما قال: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:١١]؛ يعني يحفظونه بأمر الله، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه، الله جل وعلا ييسر لهم أسباب الحفظ ما ييسر.

هٰذا وجه الجمع بين الأحاديث، وثَم تفصيل آخر نكتفي بهٰذا، نعم

ننبه الإخوة أن السبت القادم أكون في مكة إن شاء الله فقط السبت القادم، السبت الذي بعده نواصل إن شاء الله.

📖 وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلْأَمْوَاتِ.
وَاللهُ تَعَالَىٰ يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ.
وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ، وَلَا غِنَىٰ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَىٰ عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَقَدْ كَفَرَ، وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ.
وَاللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَىٰ، لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَىٰ.

قال رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ: (وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلْأَمْوَاتِ.) يقرّر العلامة الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ مذهب أهل السنة والجماعة في أن الميت ينتفع بعمل يعمله الحي، وأن الميت إذا مات لا ينقطع من الانتفاع البتة؛ بل ربما انتفع ببعض الأعمال.

فذكر أن الدعاء من الحي الميت ينفع، وأن الصدقة تنفع بمعناها العام وبمعناها الخاص أيضا.

وهٰذا يريد منه تقرير أهل السنة والجماعة في مضادة مذاهب المعتزلة ونحوهم من العقلانيين الذين يردّون النصوص أو يتأولونها علىٰ غير وجهها.

وهٰذه المسألة كانت شائعة في ذلك الزّمان وأنّ الحي لا ينفع الميت، وإنما الميت إذا مات انتهىٰ وانقطع من أن ينفعه الحي، وإنما الحي ينفع نفسه، وثَم مجادلات في هٰذا.

وأهل السنة والجماعة صاحوا علىٰ من خالف النّصوص في ذلك من كل جانب وقرروا ما جاءت به الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح بهٰذه المسألة.

وفي الظاهر أن هٰذه المسألة لا علاقة لها بالعقيدة؛ لأنها في الدعاء والانتفاع، وهٰذه المسألة يبحثها الفقهاء في آخر كتاب الجنائز كما هو معروف، وأما وجودها في كتب الاعتقاد فليست لأنها مسألة عقدية داخلة في أحد أركان الإيمان الستة؛ ولكن لأجل أن المبتدعة ضلوا فيها عن تحكيم القرآن والسنة، وأهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح لهم فيها إجماع واتفاق، فصارت من جملة مسائل الاعتقاد لمخالفة أهل السنة فيها لأهل البدع ثم تقريرا لما جاء فيها للنصوص والأدلة.

**ثم هاهنا مسائل:**

**الأولى**: أن الانتفاع انتفاع الميت بسعي الحي هٰذا اتفق عليه علماء أهل السنة من الأئمة من أهل الحديث ومن الفقهاء ومن أهل التفسير اتفقوا فيه علىٰ نوعين دون خلاف بينهم:

**الأول**: الدعاء وهو أن الدعاء نافع الدعاء يجيبه الله جل وعلا من الحي للحي ومن الحي للميت، ولهٰذا شرعت صلاة الجنازة وهي صلاة بلا ركوع ولا سجود، وإنما هي ثناء علىٰ الله جل وعلا وحمد له سبحانه وصلاة علىٰ نبيه ﷺ ثم دعاء للميت، فهي كلها دعاء وأدبها أدب الدعاء، ولذلك هي تفتتح بالفاتحة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، قال العلماء: لا يسنّ هنا أن يستفتح بقوله: سبحانك الله وبحمدك. لأنه داع وليست من جنس الصلاة الأخرىٰ، ولم يأت في السنة ما يدل علىٰ الاستفتاح، ثم بعد الفاتحة وهي حمد لله جل وعلا وثناء تأتي الصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد التكبير الثاني، ثم إذا صلىٰ فهو يدعو.

وهٰذا هو أدب الدعاء فإن العبد إذا دعا ربه جل وعلا في أي دعاء فإنه يحمد الله جل وعلا ثم يصلي

علىٰ نبيه ﷺ ثم يدعو الله بما شاء من المسائل.

فصلاة الجنازة دعاء، وهي بالاتفاق مشروعة وبالإجماع مشروعة، ودعاء الحي للميت هٰذا جار عليه الاتفاق، وكذلك ما جرىٰ عليه الاتفاق أن الحي يتصدّق عن الميت بصدقة مالية يبذلها لأجل الميت؛ يعني لينفع الميت بها تبرعا منه، هٰذا اتفق عليه علماء السنة من علماء الحديث والتفسير والفقه -كما هو معلوم- علىٰ خلاف بينهم في بعض تفصيلات ذلك.

**النوع الثاني** مما أجمع عليه علماء السنة أن كل عمل صالح تسبّب فيه الميت في حياته فإنه ينفعه ذلك بعد وفاته، وذلك لقوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**من دعا إلىٰ هدىٰ كان له من الأجور مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا**» وكما جاء في الحديث الثاني أيضا في «صحيح مسلم» «**من سنّ في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من علم بها إلىٰ يوم القيامة**»، وهٰذا يعني أن ما تسبب فيه في حياته فإنه ينفعه بعد وفاته، وكذلك الولد -الولد الصالح- فإنه تسبب فيه العبد، فإنه إذا دعا لأبيه فهو يدخل في أجمع عليه أولا وما يدخل في السبب ثانيا.

فإذن ثَم صور أجمع عليها، والأدلة علىٰ ما أجمع عليه كثيرة متنوعة من الكتاب والسنة، يأتي بعضها إن شاء الله تعالىٰ.

**المسألة الثانية**: اختلف العلماء في مسائل العبادات التي لا تدخل في معنىٰ الصدقة المالية، وهي العبادات البدنية، مثل تلاوة القرآن، ومثل الصلاة، ومثل الصيام والحج فيما فيه من البدن، ونحو ذلك؛ يعني فيما يصل فيه من الثواب هل هو الكل أو البعض، وإن كان الخلاف فيه يعني في الحج ضعيفا.

هٰذه المسائل التي اختلف فيها وهي العبادات البدنية من أهل العلم من قال: تصل، ومنهم من قال: لا تصل.

☜ فذهب جمهور السلف كما عزاه إليهم ابن تيمية ابن القيم وغير ذلك وعبّروا بالجمهور وذهب الإمام أبو حنيفة والإمام أحمد وجماعات من أهل الحديث والأثر بعدهم، ذهبوا إلىٰ أن الميت ينتفع بما تقرب الحي به إلىٰ ربه وأهدىٰ ثوابه إلىٰ الميت؛ يعني أهدىٰ الحي الثواب إلىٰ الميت.

ويقول في هٰذا طائفة من العلماء: وأيّ قربة فعلها المسلم وأهدىٰ ثوابها لمسلم حي أو ميت نفعه ذلك.

☜ والقول الثاني وهو ما ذهب إليه مالك والشافعي وطائفة من العلماء أن الميت لا ينتفع من سعي الحي بالعبادات البدينة المحضة؛ العبادات التي فيها صلاة مثلا، قراءة القرآن، الصيام وأشباه ذلك، وإنما ينتفع بما كانت عبادة مالية أو دخل فيها المال، وأما غير ذلك فإنه لم تدلَّ الأدلة عن انتفاعه فيبقىٰ الباب علىٰ عدم الانتفاع.

**المسألة الثالثة**: في دليل أهل السنة والجماعة علىٰ أصل الانتفاع من أدلتهم في ذلك:

قول الله جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾[الحشر].

ومنه قوله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا وممن ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**».

وفي الصحيح أيضا أن النبي ﷺ جاءه رجل وقال: إن أمي أُفتلتت نفسها -يعني ماتت فجأة- وإنها لو تكلمت لأوصت أو لتصدقت أفينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: «**نعم**».

وجاء أيضا في صدقات الصحابة عن الأموات الشيء الكثير.

كذلك قد جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ وطلب منه أن يحج عن ميت له فأذن له بالحج.

وفيه أيضا أن امرأة قالت: إن أمي ماتت ولم تحج أفأحج عنها؟ قال: «**أرأيت إن كانت علىٰ أمك دين أكنت قاضيته؟**» قالت: نعم. قال: «**فاقض عنها، فإن الله أحق بالقضاء**».

ونحو ذلك في هٰذا الباب.

أيضا مما يدخل فيه مع تنوع الأعمال أصل الوقوف؛ يعني أصل الأوقاف فإن الصحابة ما كان منهم أحد له فضل مال إلا وحبَّس يعني أوقف -أوقف علىٰ نفسه- وهٰذا مما ينفعه ويدخل في قوله: «**صدقة جارية**».

وأما الذين قالوا: إنه لا ينتفع إلا بالعبادة المالية قالوا: إنَّ هٰذه المسائل منها ما هو مُجمع عليه، وهٰذه اتفقنا عليها وهي الصُّورتان الأوليان، ومنها ما هو مختلف فيه وهي العبادات البدنية وهٰذه لم يأت دليل فيها؛ بل جاء الأثر عن ابن عباس بأنه قال: لا يصل أحد عن أحد ولا يصوم أحد عن أحد. هٰذا يدل عن امتناع أن يكون أحد يصلّي عن أحد أو يصوم أحد عن أحد.

وأجاب الأولون عن ذلك بأن الصيام جاء فيه أن الحي يصوم عن الميت إذا كان عليه صيام، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري وغيره «**من مات وعليه صوم صام عليه وليه**» يعني صوم واجب، وهل الصوم الواجب هو صوم النذر كما في الرواية الأخرىٰ؟ أو كل صيام واجب سواء أكان صيام رمضان الواجب الذي لم يقضه مع إمكانه القضاء، أو صيام الكفارات أو نحو ذلك، خلاف بين أهل العلم؛ ولكنهم قالوا: إن الحي يصوم عن الميت صيام الواجب بدلالة السنة علىٰ ذلك.

وأيضا قالوا: إن ما جاءت السنة من الأحوال هٰذه جاءت جوابا عن أسئلة، النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ سئل عن الصدقة فأوصىٰ بها، سئل عن الحج فقال: «**حُج**» أو قال: «**حُجي**» ونحو ذلك.

وهٰذه الأسئلة لا تفيد العموم فلا يفهم من جواب السؤال أنه لا يجوز إلا فيما جاء السؤال والجواب عنه؛ لأن السائل ليس هو المشرع، وإنما جواب النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ كان بقدر السؤال.

ولهٰذا كان الأقرب أن يعم ذلك وأن يقال: إنما جاء الإذن فيه ما جاء الإذن فيه دلّ علىٰ وصول الثواب دون تفريق لأن التفريق ما بين نوع ونوع يحتاج إلىٰ دليل، وهٰذه المسائل لم يبتدئها الشارع وأذن بكذا وكذا أصلا يعني ابتداء وإنما كان استجابة بأسئلة.

وبين هٰذا الاستدلال وهٰذا الاستدلال ذهب المفتون من العلماء إلىٰ أحد هذين القولين من المتقدمين والمتأخرين:

فمنهم من يقول بالتعميم كما قال ابن القيم وجمهور السلف والإمام أحمد وأصحابه وابن تيمية وابن القيم وطائفة من أئمة الدعوة رحمهم الله تعالىٰ.

ومنهم من يقول بقول مالك والشافعي لأنه يقتصر علىٰ ما ورد دون غيره.

وهٰذا تجد من يفتي به وهٰذا تجد من يفتي به.

**والأقرب في ذلك هو التفصيل**: وهو أن إهداء الثواب غير ابتداء العبادة، ابتداء العبادة هٰذا عبادة يحتاج إلىٰ دليل يدل علىٰ أن المرء ينوب عن غيره عن حي أو ميت في العبادة، فيبتدئ العبادة عن فلان، وهٰذا لابد فيه من التوفيق لأن الأصل عدمه، وجاء في الإذن في العبادات المالية فينبغي أن يكون مقتصرا عليه بل يجب أن يقتصر عليه كما جاء في الأدلة؛ لأنها ابتداء عبادة وابتداء العبادة هٰذا لابد فيه من دليل؛ لأن الأصل أن أحدا لا يعمل عن أحد، لا ينوب أحد عن أحد، وكل إنسان يعمل.

لهٰذا الصحابة سألوا؛ لأن الأصل متقرر عندهم، سألوا أأحج؟ أنصدق عنها؟ هٰذا يدل علىٰ أن الأصل المستقر هو أن لا ينوب أحد عن أحد في ذلك.

هٰذه صور وهو أن يبتدئ العبادة يحج لبيك حجا عن فلان عن فلانة هٰذا ابتدأ العبادة عن فلان أو فلانة، أو اللّٰهمَّ إن هٰذه الصدقة عن فلان أو عن والدي أو عن والدتي فلانة، فهٰذا ابتدأ العبادة، فهٰذه جاءت الأدلة بجوازه.

لكن ابتداء الصلاة يقول: اللّٰهمَّ إن هٰذه الصلاة عن والدي أو عن والدتي، اللّٰهمَّ إن هٰذا الصيام عن والدي أو عن والدتي، فهٰذا لم يأتِ به دليل لأنه ابتداء به عبادة، وهٰذا يدل عليه أثر ابن عباس قال: لا يصلي أحد عن أحد، ولا يصوم أحد عن أحد إلا من مات وعليه صيام صام عنه وليّه. فدل علىٰ أن الأصل عدم النيابة في هٰذه العبادات؛ بمعنىٰ أن لا يبتدئها فيجعل العبادة من أوليها معمولة لفلان أو فلانة.

أما الصورة الثانية وهي مختلفة عن الصورة الأولىٰ وهي أن يبتدئ العبادة لنفسه، أن يعمل العمل لنفسه، العمل يصلي لنفسه، يقرأ القرآن لنفسه، يعتمر لنفسه، يصوم عن نفسه، وهكذا في أي عمل، يذكر الله جل وعلا عن نفسه، ثم إذا فرغ من العبادة قال: اللّٰهمَّ اجعل ثواب قراءتي هٰذه لوالدي لوالدتي، لمن له حق علي، لفلان إلىٰ آخره. فهٰذا ليس الأصل المنع؛ لأن العبادة وقعت صحيحة، وهو يقول: إنّ الأجر إن تقبله الله وثبت الأجر، فإن هٰذا الثواب إذا استقر لي فإنه مهدًىٰ إلىٰ غيري؛ يعني دعا الله جل وعلا أن يتقبل منه وأن يجعل فلانا أو فلانة شريكين في الثواب.

وهٰذا التفريق لا ردّ له لا من جهة السنة ولا من جهة كلام السلف الصالح، فإنهم إنما نَهوا عن الابتداء ولم ينهوا أو ينهىٰ الأئمة ولا المعروفين من السلف لم ينهوا عن إهداء الثواب للميت.

وهٰذا يقتضي أن التفريق أن الابتداء وإهداء الثواب متعين في هٰذه المسألة، وأنَّ إهداء الثواب بعد الفراغ من العبادة ليس تعبدا وإنما هو محض تفضّل وإحسان، ولهٰذا أئمة السنة المتحققون بالسنة وردّ البدعة ذهبوا إلىٰ جواز إهداء الثواب كالإمام أحمد وابن تيمية وابن القيم وطائفة من أئمة الدعوة كالشيخ محمد بن عبد الوهاب وجماعة.

ومن نهىٰ من أئمة الدعوة فإنه لم يلحظ هٰذا التفريق في كلام الأئمة لأنهم رأوا إهداء الثواب ولم يرعوا النيابة في أصل العبادة، فقالوا: وأي قربة فعلها المسلم وأهدىٰ ثوابها. فالقربة فعلت وانتهىٰ وأهدىٰ ثوابها لمسلم حي... والأجر يتصرف فيه من حازه علىٰ ما يرغب، فإذا أعطىٰ بعض أجره غيره، فإن هٰذا له ولا

أصل يدلّ علىٰ المنع من ذلك.

**المسألة الرابعة**: المبتدعة احتجوا أعني المعتزلة من شابههم احتجوا بحجتين:

أما **الأول** قالوا يقول الله تعالىٰ: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾[النجم]، وهٰذا يدل علىٰ أن سعي الإنسان لنفسه، وهٰذا الاحتجاج كذلك بعض أهل السنة احتج به علىٰ هٰذا الشوكاني وبعض المعاصرين بأنه لا ينتفع البتة إلا بما سعىٰ به، فالولد من سعيه والصدقة الجارية والعمل الصالح من سعيه والعلم النافع من سعيه، أما غير ذلك فلا يعد من سعيه فلا ينتفع إلا بما سعىٰ.

فإذن احتج المبتدعة وطائفة من أهل السنة علىٰ مذهبهم بقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ قالوا: فلو كان ينفتح لكان سعيه لغيره وهٰذا يخالف ظاهر الآية.

والجواب عن ذلك أن الله جل وعلا في الآية قال: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ ﴾ اللام هنا كما هو معروف لام المِلك؛ يعني الإنسان لا يملك إلا سعيه، أما غيره فلا يملك سعي فلان، أحمد لا يملك سعي خالد؛ بل إذا تقرّب خالد إلىٰ ربه بقربة فإن سعيه له، ثواب السعي له هو وليس للآخر، اللام هٰذه لام الملك.

و المسألة التي ذكروا أن الآية ردّ عليها أو حجة فيها هي أن الآخر ينتفع من سعي الأول، هٰذا لا تناقض بينها وبين هٰذه؛ لأن اللام إذا كانت في الملك فالأجر للأول؛ ولكن هو ينفع الثاني بما يتصدق به عليه أو ما ينفعه به.

الثاني أن قوله: ﴿إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ السعي هنا لابد من ضبطه لمفهوم واحد، وهو أن أعظم الأسباب في السعي في أن ينتفع الميت من سعي الحي أعظم الأسباب هي دخوله في الإيمان، فإن الإيمان والإسلام إذا تحقق به العبد يوجب ولاية بين المسلم والمسلم، ويوجب محبة بين المؤمن والمؤمن، وهٰذا أعظم أسباب العلاقة بين الناس، فجميع العلائق تقطعت إلا سبب الإيمان والإسلام، قال جل وعلا: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[التوبة:٧١]، فإذا دخلت في اسم الإيمان فقد أتىٰ بأعظم سبب من أجله ينفع إخوانه، وأيضا من أجله ينفعه إخوانه.

فإذا كانت الولادة سبب بأن ينتفع الأب بسعي ولده، والعلم سبب فإن أعظم الأسباب هو ما له ومن الإيمان بالرب جل جلاله، فبالله جل وعلا انعقدت الأواسط، وبالله جل وعلا قامت الوسائط والوسائل، وبالله جل وعلا تقاربت القلوب وهٰذا يعني أن أعظم الأسباب في الانتفاع في السعي ما تعاهد المرء نفسه وهو سبب الإيمان.

فإذن الإيمان سعي له، فقوله: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾[النجم]، إذا قلنا: إن العمل له لا لغيره -كما قلنا سابقا- ويكون سعيه إذن لغيره سعي في شيء تسبّب ذلك الغير فيه، وانعقاد السبب في شيء تسبّب فيه هٰذا شيء عمله العبد وتسبّب فيه وهو الإيمان.

ولهٰذا صلاة الجنازة دعاء للميت وإذا أتىٰ العبد المقابر دعا للأموات، واستغفر لهم، هٰذا سببه الإيمان، فالمؤمن يصلي علىٰ المؤمن لأجل ما بينهما من وسيطة الإيمان ومن الحب في الله وما بينهما من الحقوق.

إذن فالاستدلال بالآية ليس بظاهر كما هو بين فيما ذكرنا.



سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

[الثاني] أما ما احتجوا به من السنة فقالوا النبي ﷺ قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث**»، فدلَّ علىٰ أن العمل ينقطع، وإذا انقطع العمل هٰذا يعني أنه لا ينتفع بشيء.

والجواب عن ذلك: أن النبي ﷺ قال: «**انقطع عمله**» ولم يقل: انقطع انتفاعه. كما هو صورة المسألة التي نبحثها، ولم يقل أيضا: انقطع عمل غيره له. وإنما قال: «**انقطع عمله**» فعمل الإنسان في دار التكليف انتهت عمله انقطع كما جاء في الحديث، أما عمل غيره وانتفاع هٰذا بغيره فإنه لم ينقطع.

ويدل علىٰ ذلك أن الثلاثة التي ذكرت وهي الصدقة الجارية والعلم والولد الصالح لم يذكر فيها الدعاء -دعاء الحي للميت في صلاة الجنازة-، وهي بالاتفاق نافعة للميت وهي لم تدخل في هٰذه الثلاث، وهي ليست بعمل للميت ولكنها عمل للحي وهو ينفع للميت.

**المسألة الخامسة هنا**: هاهنا مسائل تكلّم العلماء في هٰذا الموضع فيها وهي المتعلقة بقراءة القرآن وإهداء الثواب أو استئجار من يقرأ القرآن علىٰ الأموات في المقابر ونحو ذلك، وهٰذه المسائل واضح أنّ التقرب فيها إلىٰ الله جل وعلا لنفع الميت بالاستئجار أنّ هٰذا بدعة ولم يأتِ دليل من السنة ولا من فعل السلف علىٰ عمله.

ثم الاستئجار وهو دفع المال لفلان ليتعبد لفلان هٰذا مبطل للعمل في أصله، لم؟ لأن العلم لا يصلح ولا يتقبله الله جل وعلا إلا بالإخلاص، والإخلاص شرط في قَبول العمل، فإذا لم يعمل العمل الصالح لم يصلِّ إلا بمال ولم يصم إلا بمال ولم يقرأ القرآن إلا بأجرة يستأجر عليه، أنا أقرأ لكم السورة بمائة ريال، أقرأ الجزء بألف ريال، ونحو ذلك، فهٰذا لاشك أنه لم يخلص لله جل وعلا في هٰذه العبادة، فكيف ينتفع الميت من عبادة لم يخلص لله جل وعلا فيها، وإنما عُملت لأجل عرض من الدنيا.

ولهٰذا من البدع الوخيمة استئجار قوم عند المقابر يتلون، أو في المآتم يعقد سرادق كبير ويأتون بمن يقرأ القرآن ويقولون ننفع الميت، وهم يستأجرون هٰذا التالي للقرآن بأموال باهضة وعظيمة، وهٰذا فيه هلكة للفاعل؛ يعني للقارئ لأنه عمل عملا لغير الله، وفيه أيضا إفساد للمال في غير طاعة الله جل وعلا وهٰذا لا ينفع الميت لأنه عمل لم يخلَص فيه لله جل وعلا.

أما لو تبرع أحد وقرأ القرآن لنفسه وبعد القراءة قال: اللّٰهمَّ اجعل ثواب قراءتي لفلان فإن هٰذا جائز علىٰ الصحيح كما ذكرنا لك.

وقد ذكر الجد الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة في تقرير له موجود في الفتاوىٰ ذكر أنّ رجلا -لما عرض لهٰذه المسألة- ذكر -نسيت رجل أو امرأة- لكنه توفي، نعم أن امرأة توفيت، وكان أحد قرابتها أظنه زوجها كان يقرأ القرآن، وبعد أن فرغ من الختمة أهدىٰ ثوابها لنفسه ولزوجته، فلما فرغ وجاء وقت الصلاة أقبل رجل، وقال: أنا رأيت فلانة في المنام، وقالت لي أنا الآن ختمت القرآن، وهٰذه وإن لم تكن حجة هي للاستئناس ونقلها ثقات وذكرها علماء وأئمة، فهي ماشية مع الأصل وليس فيها ما يعارض ذلك.

**فإذن الانتفاع في إهداء الثواب لا يكون بالطرق البدعية التي يعملها المآتم، والذين يستأجرون للقراءة علىٰ القبور.**

**المسألة الأخيرة السادسة**: قوله: (وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ) صدقات هنا يُعنىٰ بها الصدقات المالية خاصة، وعلىٰ القول الصحيح الذي ذكرنا أنها كل شيء فيه صدقة؛ بالمفهوم العام للصدقة، فأمر الإنسان بالمعروف ونهيه عن المنكر والعلم والذكر وقراءة القرآن ونحو ذلك مما يدخل في اسم الصدقة العام وهي النوافل والطاعات التطوعية العامة فإنها تنفع الميت إذا أهدىٰ الثواب لا إذا ابتدأ العبادة كما ذكرنا.

فإذن نقول: إن الصحيح أن قول: (وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ) هٰذا يشمل جميع أنواع العبادات كما ذكرنا.

نكتفي بهٰذا القدر. المسألة التي بعدها تحتاج إلىٰ تفصيل.

[**الأسئلة**] نجيب عن سؤالين فقط.

سؤال (٤٢٢): يقول: إذا حج رجل عن رجل ميت هل الرجل الحي يأخذ الأجر علىٰ هٰذا الحج، علما أن هٰذه الحجة للميت؟

الجواب: ما فهمت سؤالك بدقة: إذا حج رجل عند رجل ميت هل الرجل الحي يأخذ الأجر علىٰ هٰذا الحج، يعني قصده إذا أخذ مال.

هٰذا الميت إذا مات وعليه حج واجب فإن أولىٰ الناس بالحج عنه ولده أو أقرباؤه أو وليه، هٰذا هو أولىٰ الناس بالحج عنه؛ لأنه نوع بر له البراءة بذمته وقضاء للدين الذي عليه.

أما إذا لم يوجد أو كان فيه كلفة أو نحو ذلك أو كان يريدون السرعة بالحج عن الميت، وجاء من يرغب في الحج؛ ولكنه ليس عنده من النفقة ما يكفيه لأداء الحج فإنه لا بأس أن يُعطىٰ ليحج عن الميت لما قام في قلبه من الرغبة من شهود المشاعر ورؤية الكعبة والذكر هناك وشهود دعوة المسلمين في ذلك.

فإذا كان الرجل يريد الحج أو كان المسلم يريد الحج؛ لكن لم يجد نفقة، فإنه لا بأس أن يأخذ نفقة ليحج عن غيره؛ ولكن لا يجوز أن يحج ليأخذ؛ يعني لا يقوم في قلبه الحج ولا الرغبة في الآخرة وإنما إذا أتاه مال حج وإذا ما أتىٰ مال أوش تعبي ليش أروح أنا، هٰذا لا يجوز لأنه استئجار علىٰ عبادة، وكما قال ابن تيمية: إنما يجوز أن يأخذ ليحج، لا أن يحج ليأخذ، فالأشبه أن هٰذا ليس له في الآخرة من خلاق. وهو كما قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ.

فإذن إذا أتىٰ من يريد الحج وهٰذا الحج يريد أن يدفع من مال أبيه؛ يعني من التركة مال يحج عنه مكانه فهٰذا لا بأس به.

سؤال (٤٢٣): يقول: كيف يُجاب عن الحصر في قوله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث**»؟

الجواب: الحصر علىٰ بابه؛ لكن عمل غيره لا يدخل في كلمة عمل. فعمله ينقطع عباداته تنقطع إلا هٰذه الثلاث، وهي الصّدقة الجارية، علم ينتفع به، وولد صالح يدعو له.

الصدقة الجارية الوقف المحبّس الذي يبقىٰ كبناء المسجد وحفر الآبار وتيسير سبل الماء، أو طباعة كتب أهل العلم النافعة أو المصحف طباعة المصاحف ونحو ذلك، هٰذه الصدقات الجارية الباقية.

والولد الصالح معروف الولد يدعو له ويستغفر لأبيه.

والعلم الذي ينتفع به هٰذا يشمل العلم الذي علّمه أو ما أمر به بالمعروف ونهىٰ عن المنكر وسنّ سنة حسنة ودعا إلىٰ هدىٰ الدعوة بأنواعها هٰذه تدخل في العلم الذي ينتفع به؛ لأن الأنبياء دعاة والنبي ﷺ داعية ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾[يوسف:١٠٨]، فإنما ورث العلم، فإذن العلم يدخل فيه كل أبواب الدعوة وتوريث العلم والتأليف وأشباه ذلك.

فإذن الحصر علىٰ بابه والحصر في هٰذه الأنواع في العمل عمل الميت، أما عمل غيره فلا يدخل في ذلك كما ذكرنا.

نكتفي بهٰذا القدر وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

## الدرس الخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

[الأسئلة]

سائل: هنا تعليق لبعض الإخوان.

الشيخ: تعليق، اقرأ التعليق.

السائل: بسم الله الرَّحمٰن الرحيم، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين: اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافا كثيرا، فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه، وسائر أهل الحديث، وأهل المدينة رحمهم الله، وأهل الظاهر، وجماعة من التابعين إلىٰ أنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان.(١)

قال: وهو قول المعتزلة أيضا، فإنهم قالوا: الإيمان هو العمل والنطق والاعتقاد. والفارق بينهم وبين السلف أنهم جعلوا الأعمال شرطا في صحته والسلف جعلوها شرطا في كماله. وانظر شرح السنة إلىٰ آخره.(٢)

الجواب: هٰذا غلط، التعليق هٰذا غلط:

أولا ليس هو قول المعتزلة.(٣)

ثم أيضا ليس الفرق بين أهل السنة والمعتزلة، أهل السنة لا يرون العمل شرط يرونه ركن لأن ما أدخل في المسمىٰ فهو ركن.

هٰذا تعليق شعيب؟ نعم، هٰذا الكلام غلط، هٰذه أي طبعة، رقم ثلاثة عشر؟ ما هو صحيح؛ تعليقه غلط.

كل تعليقه غلط هو جعل أن قول أهل السنة أن الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان جعله قولا للمعتزلة، وهٰذا ليس بصحيح، ثم جعل أيضا الأعمال عند السلف شرطا في الكمال، وجعله عند المعتزلة شرطا في صحة الإيمان، هٰذا أيضا ليس بصحيح، كل تعليقه مبني علىٰ فهم الماتريدية في الغالب؛ يعني ينحو منحىٰ الماتريدية في هٰذه المسألة.

سؤال (٤٢٤): هنا أسئلة فقهية، فيه: امرأة ذهبت إلىٰ المستشفىٰ لأجل تركيب لولب مانع للحمل، وعندما ذهبت قال لها الأطباء: لابد من إعطائها حبوبا لأجل إخراج الدم من الرّحم، ومن ثم تركيب اللولب.

السؤال: ما حكم هٰذا الدم هل يعتبر دم حيض أم يعتبر دم إستحاضة؟

---

(١) هذا تعليق شارح الطحاوية.

(٢) هذا التعليق عليه: انظر الصفحة ٤٥٩ الجزء الثاني من شرح العقيدة الطحاوية للقاضي أبي العز الحنفي تحقيق وتعليق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط طبع مؤسسة الرسالة الطبعة ١٣ سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

(٣) قارن هذا بالقول الرابع في المسألة الأولىٰ علىٰ شرحه لـ: (وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ.) من الدرس السادس والثلاثين.

الجواب: هٰذا يُسأل عنه الطبيب، هٰذا الدم دم حيض أم دم إستحاضة، فالطبيب يفرِّق بين هٰذا وهٰذا، والأصل أن دم الحيض دم طبيعة وجِبِلَّة يخرج في وقت معين، وما يخرج بالأدوية وما أشبه ذلك، هٰذا يُعتبر دم إستحاضة، وهٰذا ييسر العمل بأشياء كثيرة وفي أحكام للنساء.

لهٰذا فالأقرب أنه هنا أن يسأل الطبيب، والطبيب إذا كان ثقة هو يحدد نوع الخارج، ثمّ يفهم أنّ الأصل أنه دم إستحاضة، إذا لم يكن عند الطبيب يقين أو قال: أنا ما أعرف هٰذا الدم أو ما أشبه ذلك فيعتبر دم إستحاضة؛ لأنه يعني بساعات ينفذ.

سؤال (٤٢٥): هل لشارب خمرٍ أن يقيم علىٰ نفسه الحد في السر خوفًا من الفضيحة أم تكفيه التوبة؟

الجواب: تكفيه التوبة، لم يقل أحد من أهل العلم أن المذنب الذي ارتكب ما يوجب حدًّا أن عليه أن يسلم نفسه أو أن يُقيم الحد علىٰ نفسه أو أن يذهب إلىٰ من يقيم عليه الحد.

بل الصحيح هنا أن الطهارة الكاملة له تكون بالتوبة؛ لأن هٰذا ليس فيه تعدٍ، أما ما كان فيه تعدٍ علىٰ غيره من مثل القتل أو السرقة أو القذف أو ما أشبه ذلك فهٰذا له بحث آخر، أما شرب الخمر بنفسه فيما فعله وأوجب حدًّا فإنه تكفيه التوبة ومن تاب، تاب الله عليه، «**التوبة تجبّ ما قبلها**»، والله جلّ وعلا يقول: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[طه]، وقال جل وعلا أيضًا: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾[الزمر:٥٣]، أجمع أهل العلم من المفسرين والمحدثين وغيرهم علىٰ أن هٰذه الآية نزلت في التائبين، فمن تاب، تاب الله عليه.

سؤال (٤٢٦): يقول: ما يقول الأئمة الأعلام في مخالفي أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات من المعطلة والمشبهة وغيرهم، هل هم كفار أم لا؟ وأي نوعي الكفر وقعوا فيه وما سبب ذلك؟ هل لقولهم علىٰ الله بغير علم أم لإنكارهم بعض نصوص الوحي أم ماذا؟

وما تأويل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما قال: الواقفة أو المفوّضة أشد ضلالًا من غيرهم أو كما قال؟

الجواب: شُوف بعض الأسئلة كأنها أسئلة اختبارات، يعني هل هم كذا وهل..، هل هم كفار أم لا وأي نوعي الكفر وقعوا فيه؟ وما سبب ذلك هل لقولهم علىٰ الله بغير علم... علىٰ كل حال الإفادة مطلوبة.

الضالون في باب الأسماء والصفات درجات وأقسام، منهم الجهمية ومن شابههم ممن ينفون جميع الأسماء والصفات، إلا صفة الوجود المطلق، وهؤلاء هم الذين اشتد عليهم صوت السلف والأئمة؛ لأنهم ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة وإنما هم خارجون أصلا.

فجهم ومن معه لا يعتبرون أصلا في الإسلام، يعني الجهمية الأصليين الذين ينفون جميع صفات الرَّحمٰن جلّ وعلا وجميع أسماء الرحمان جلّ وعلا إلا صفة الوجود المطلق، وهؤلاء لا وجود لهم اليوم بادوا في ذلك الوقت، هؤلاء ليسوا من المسلمين.

والفئة الثانية التي أيضًا يُحكم بكفرهم: المشبهة الذين يقولون وجه الله كوجه الإنسان، أو يده كأيدينا، أو عيناه جلّ وعلا كأعيننا أو سمعه كسمعنا، يجعل المماثلة في ذلك في تمام الاتصاف بالصفة، هؤلاء أيضًا المجسمة علىٰ هٰذا النحو والممثلة فإنهم أيضا ليسوا من أهل الإسلام؛ لأنهم شبّهوا الخالق

بالمخلوق أو شبهوا المخلوق بالخالق جلّ وعلا.

أما من ليسوا كذلك وإنما هم مبتدعة على درجات في الصفات، منهم المعتزلة ومنهم الأشاعرة والكلابية والماتريدية ومن على هٰذا النحو، فإن هؤلاء منهم من يُثبت بعض الصفات، منهم من يُثبت سبع صفات أو ثمان أو أكثر أو أقل على خلاف بينهم، فلا يُطلق القول بتكفير الطائفة، ولا يُطلق القول بعدم التكفير أيضًا، وإنما يُقال هؤلاء أهل بدع، وبحسب ما نفى يكون الحكم عليه، ليسوا على باب واحد، لكن الأصل أن من أثبت بعض الصفات وتأوّل في الباقي ونفى أو أوّل فإنه لا يُحكم بكفره، وإنما يُقال: هٰذا من أهل البدع.

لهٰذا أهل السنة والجماعة لما تكلّموا في المعتزلة وحكموا بكفرهم، يعني بكفر أهل الاعتزال، ذكروا أن ذلك متعلق بالقول بخلق القرآن أو ببعض المسائل الأخرى، أما نفي الصفات أصلا فهو مردود وكفر كما هو عليه الجهمية، أما تأويل الصفات في إثبات بعض أو نفي بعض فلا يُطلق القول بتكفير هٰذه الفئة.

ومن أهل العلم -من أهل السنة والجماعة- من خصّ مسألة علو الرَّحمٰن جلّ وعلا لأجل ظهور دليلها (علو الذات لرّب جل وعلا)، لأجل ظهور دليلها وقوّة برهانها وعدم وجود مجال للتأويل فيها خصّها بأن من أنكر علو الذات للرب جلّ وعلا فإنه يكفر، لكن الأصل الذي عليه أئمة أهل السنة والجماعة أنهم يستعملون في هٰذا الباب عبارات الابتداع، البدعة والضلالة والمخالفة وطريقة الخلف وأشباه ذلك.

وليس كل من نفى صفة أو تأولها يعتبر كافرًا خارجًا من الدّين، وإنما ذلك الاتفاق مخصوص بالجهمية والمجسمة، وأما المعتزلة ففيهم تفصيل بحسب المسألة التي تُتناول، أما الأشاعرة والماتُريدية والكلابية فلا أعلم أحدًا من أهل السنة أطلق عليهم الكفر.

سؤال (٤٢٧): هل الصحيح أن إزار المسلم إلى نصف الساق أم إلى الكعبين؛ لأني سمعت من يقول أنه إلى نصف الساق، لكن... فسّر لي هل هٰذا صحيح؟ (ما فهمت لأن الخط غير جيّد)

الجواب: المقصود أنّ النبي عليه الصلاة والسلام صحّ عنه أنّه قال: « **إِزْرَة المسلم إلى نصف ساقه، ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين**»، وأيضًا في الحديث الصحيح الذي في الصّحيحين: «**ما تحت الكعبين من الإزار في النار**»، وصحّ عنه عليه الصلاة والسلام أيضًا أنه قال: «**من جرّ إزاره خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**».

وهٰذا يدلّ على أنّ المسلم ليس له أن يجعل ثوبه أو إزاره أو ما يلبس أدنى من الرّداء ونحوه أن يجعله تحت الكعبين، يعني أن يكون مستديمًا تحت الكعبين، أما إذا كان في حالة يكون تحت الكعبين ثمّ إذا لبسه **مستويًا** لا يكون تحت الكعبين فهٰذا لا حرج عليه فيه كما هو ظاهر من حديث أبي بكر الصديق ﷺ، أنه قال يا رسول الله، إنّ إزاري يسترخي إلاّ أن أتعاهده، قال: «**يا أبا بكر لست ممن يفعله خيلاء**».

فدلّ هٰذا على أنّ الاستدامة هي المنهي عنها وأنّ أشد الأمر في ذلك أن يكون جرّه لإزاره أو إسبالُه لثوبه أو ردائه أو نحو ذلك على جهة الخيلاء، فهٰذا أشدُّه.

و إذا جعل إزاره إلى ما وفق الكعبين بقليل، ولم يجعله تحت الكعبين، فلا حرج عليه، لأن هٰذا مأذون

فيه وفيه سعة لقول النبي عليه الصلاة والسلام.

أما جعل الإزار إلىٰ أنصاف الساقين فهل هو عامّ في الإزار وفي غيره من الثياب، أم هو خاصّ بالإزار؟ اختلف أهل العلم في ذلك:

فمنهم من خصّه بالإزار لظاهر قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي في السنن: «**إزْرَةُ المسلم إلىٰ نصف ساقه**»، وأمّا الثوب -يعني القميص وأشباه ذلك- فإنه لا تكون السنة فيه كذلكَ، وهٰذا وجه لطائفة من أهل العلم.

وآخرون قالوا: إن الأصل يعمّ الجميع فالإزار ليس له مزية علىٰ غيره في هٰذا الحكم؛ بل الثوب والإزار علىٰ هٰذا الباب في أن يكون له أن يجعله إلىٰ نصف الساق، بل يكون هٰذا الأفضل في حقه إلا إذا كان يرجو مصلحة شرعية في عدم فعله هٰذا، فإنه لا حرج عليه، فمثلًا أن يكون رياءً، أو أن يكون فعله ذاك لا يُسَهّل له أمر الدّعوة والإرشاد وينفر الناس منه ونحو ذلك، فإن هٰذا أذن فيه طائفة من العلماء بهٰذا المعنىٰ وهو في المرخص فيه فيما بينه وبين الكعبين.

**المهم أنّ الواجب علىٰ كل مسلم أن لا يُسدل إزاره لما تحت الكعبين ولا ثوبه ولا رداءه؛ بل هٰذا يحرم عليه وهو من كبائر الذنوب إذا استدام، وأعظم منه أن يفعل ذلك خيلاء، يعني تكبّرًا وطلبًا للرِّفعة فإن هٰذا أعظم.**

وأهل العلم اختلفوا، هل يُحمل حديث «**ما تحت الكعبين من الإزار في النار**» علىٰ حديث «**من جرّ إزاره خيلاء**» أم أن يكون هٰذا له باب وهٰذا له باب؟ علىٰ قولين:

**والمعروف عند** جمهور العلماء أن حديث «**من جرّ إزاره خيلاء**» هو الأصل، و«**ما تحت الكعبين من الإزار ففي النار**» محمولا علىٰ من فعله خيلاء ليجمعوا بين الحديثين، وهٰذا قول الجمهور ومنهم الحنابلة.

وقد كان أيوب السختياني فيما رواه عنه عبد الرزاق بإسناد صحيح، كان يُسدل إزاره، والإمام مالك أيضًا ربما فعله، وقد قيل لأيوب أليس هٰذا من الخيلاء؟ فقال كانت الخيلاء في جرّ الإزار، والخيلاء اليوم في التشمير.

وهٰذا ليس بصحيح، ولكنه فعل لبعضهم، لهٰذا كان الإمام أحمد وعدد من الأئمة وهو الذي عليه أصحاب المذاهب أنّ الجر لغير خيلاء أو إسبال الإزار أو الرداء لغير خيلاء مكروه فالأفضل تركه، وأما جرّه للخيلاء فهو المحرم حملا للحديثين بعضهما علىٰ الآخر، لأنّ الأحاديث يفسّر بعضها بعضا.

**والقول الثاني** أن الإزار أو الرداء في الإسبال أو الجر محرّم مطلقا، فإن كان لغير خيلاء فهو في النار، وإذا كان لخيلاء فالإثم أعظم لما رُتّب عليه في قوله: «**من جرّ إزاره خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»، وهٰذا له باب، يعني هٰذا له باب والحديث الآخر له باب، ولا يندرج عليه حمل المطلق هنا علىٰ المقيد لعدم إتحاد الأثر فيهما أو السبب فيهما.

المقصود من هٰذا أنه يجب علىٰ المسلم أن يتعاهد ذلك ويُخشىٰ عليه أن يكون مرتكبًا لكبيرة، وإذا كان مرتكبًا لكبيرة في جرّ الإزار أو الإسبال فإنه لا يُرجىٰ له تكفير الصغائر ولا يُرجىٰ له أن تكون الصلاة

إلىٰ الصلاة مكفرات لما بينهما لأن فيه «**ما اجتنبت الكبائر**» فينبغي، بل يجب عليه أن يحذر أشدّ الحذر من هٰذا.

أعان الله الجميع علىٰ ترك ما يُغضب الرّب جلّ وعلا، نكتفي بهٰذا.

اقرأ...

📖 واللهُ تَعالَىٰ يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الحَاجَاتِ.

وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلاَ يَمْلِكُهُ شَيْءٌ، وَلاَ غِنًى عَنِ اللهِ تَعَالىٰ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَىٰ عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ.

واللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَىٰ، لاَ كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَىٰ.

---

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

فيقول الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (واللهُ تَعالَىٰ يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الحَاجَاتِ) يريد بذلك بيان بعض آثار ربوبية الله جلّ وعلا علىٰ خلقه وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلَق الخلْق، وهو ربهم مالكهم وسيدهم والمتصرّف فيهم، وهو الذي يُفيض عليهم من خيراته جلّ وعلا وينزّل عليهم من رحماته، فإذا احتاجوا فإليه الملجأ، فكما أنه جلّ وعلا يبتدئهم بالعطايا وينعم عليه من أنواع النعم، فإنهم إذا سألوه ودعوه فأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُجيبهم؛ لأن ربوبيته لهم وخلْقه لهم يقتضي أن يُيسّر ما يحتاجون إليه. وخصّ هنا إجابة الدَّعوات وقضاء الحاجات لأجل خلاف طائفة من الفلاسفة وغلاة الصوفية ومن شابههم، لأجل خلافهم في هٰذا الأصل وهو أنه لا حاجة للدعاء ولا حاجة للسؤال ولا طَلَب الحاجات لأن كل شيء إما أن يكون مقدرًا من عند الله كقول الصوفية فلا يؤثِّر فيه شيء، وإما أن يكون أثرًا لمؤثر ومنفعلا لفعل كقول الفلاسفة أو غلاة الفلاسفة.

**وها هنا مسائل:**

**فالأولى**: الله جلّ وعلا في القرآن ذكر كثيرًا إجابته للدعاء ولسؤال وإعطاءه:

كقوله جلّ وعلا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر].

وأثنىٰ الله جلّ وعلا علىٰ الأنبياء لأنهم يدعون الله جلّ وعلا خوفًا وطمعا، وبيّن جلّ وعلا أنه يُجيب دعوة المضطر فقال سبحانه: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [النمل:٦٢].

بل بيّن جلّ وعلا أنه أجاب دعاء إبليس، إذ قال سبحانه: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الحجر].

وبيّن الله جلّ وعلا أنه ربما أجاب دعاء أولياء الشيطان والكفرة فقال سبحانه: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ [إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ][1] ﴾[العنكبوت].

ونحو ذلك من الآيات كقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[الإسراء].

وهٰذا منوع في القرآن كثيرًا لأن الله سبحانه خلق الخلق جميعا، فهو رب المؤمن ورب الكافر، وربوبيته للكافر تقتضي إعطاءه، وربوبيته للمؤمن تقتضي إعطاءه، وهكذا، ربما أعطىٰ المؤمن فكان في حقه نعمة

---

(١) الشيخ حفظه الله قال: فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ. ولعله يريد أن يقول: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[لقمان].

وربما أعطىٰ الكافر فكان في حقه عذابًا ونقمة، فهم يسألون والله جلّ وعلا يجيب الداعي ويجيب المضطرّ إذا دعاه.

وقضاء الحاجات أيضا يبتدئه الرب جل وعلا ويعطي عبده إذا سأله قضاء حاجة، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾[فاطر].

وصحّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال في حديث سلمان: «**إن الله حييٌّ [ستِّير][1] يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا خائبتين**» رواه أبو داوود، والإمام أحمد وجماعة بإسناد صحيح.

وأيضا جاء في سنن ابن ماجه وعند غيره: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**»، وفي إسناده نظر.

وأيضًا صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**إنّ الله ينزل آخر كلّ ليلة إلىٰ السماء الدنيا فيُنادي هل من داع فأستجيبَ له، هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له**»، وهٰذا يدلّ علىٰ أن الرّب جلّ جلاله يقضي حاجات العباد ويُفيض عليهم من الخيرات وهو سبحانه الذي دعا إلىٰ دعائه وهو الذي يُجيب، وهٰذا يدل -كما سيأتي- علىٰ أن الدعاء سبب من الأسباب العظيمة النّافعة التي جعلها الله جلّ وعلا سببًا.

**المسألة الثانية:** مخالفة من خالف -ولأجلها أورد الطحاوي هٰذه الجملة- من غلاة المتصوّفة وطائفة من الفلاسفة، هؤلاء يقولون: الدعاء لا حاجة إليه وسؤال الرب جلّ وعلا قضاءَ حاجة العبد لا حاجة إليه، وعلّلوا ذلك بأمرين:

**الأول**: أنه سبحانه قدّر الأشياء فجعل لكل أمر سيحصل قدَرا مقدورا، فإذا كان مقدّرا فسيقع، وإن لم يكن مقدرا قالوا: فلن يقع، فإذًا لا حاجة إلىٰ الدعاء ولا فائدة منه.

**والثاني**: أنهم قالوا: إن الله جلّ وعلا عوّد خلقه وسنة الله فيهم علىٰ أنه يعطيهم ما يحتاجون، ولم يجعل قلوبهم معلقة بـ: هل يأتي الأمر أم لا يأتي، فتمام إخلاص القلوب عندهم أن ترضىٰ بما هي عليه من الحال وأن تنتظر إصابة الله جلّ وعلا بما يريده ولما يعطيه.

وهٰذا عندهم هو مقام الصديقين والعارفين والأولياء، وهٰذا الذي ذكروه لا شك أن أهله انقرضوا إلا ما ندر بحيث أنه لا توجد الآن فئة تُنسب إليهم هٰذه المقالة.

وسبب ذلك أنّ الرّد عليهم وبيان بطلان ما قالوا واضح بيّن، لأن التعليل الأول الذي ذكروه وهو أنه لا حاجة إلىٰ الدعاء لأنه إما أن يكون مقدرًا أو غير مقدرٍ، فيُجاب عليهم ويُرد علىٰ ما قالوا بأن الله جلّ وعلا أناط أشياء كثيرة جدًا، بل أناط أكثر ما يُوجده في خلقه بالأسباب المقتضية لمسبباتها، فأناط إخراج الولد وانعقاد الحمل بأن يتزوج الرجل علىٰ المرأة: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾ [الشورىٰ]، لكن لا يهب إلا بسبب، وكذلك قدّر جلّ وعلا أن فلانًا يمرض} لكنه لم يقدر هٰذا المرض إلا -غالبا- بسبب، وكذلك هو جلّ وعلا جعل فلانًا عالمًا وقدّر ذلك لكن لا يكون إلا بسبب وهو أن

---

(١) الصواب: كريم. والله أعلم.

يتعلم، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما العلم بالتعلم**».

فإذًا قول غلاة الصوفية هو مصير منهم إلىٰ نفي الأسباب ونفي النظر إليها وأن أمور بجبر وليست منوطة بأسباب؛ بل الله جلّ وعلا يُجبر الأشياء علىٰ أن تكون علىٰ وفق ما يراد دون أن يرتبط شيء بسببه، وهٰذا لا شك قدحٌ في العقل لأنه إلغاء لما يُدركه كل عقل من أن الشيء منوط بسببه.

**من جملة الأسباب** التي أناط الله جلّ وعلا بها إيقاع ما قدّر: **الدعاء**، فكون العبد يدعو الله جلّ وعلا يكون الدعاء سببًا في حصول ما قدّر الله جلّ وعلا، فيكون ما قدّره الله جلّ وعلا لا يقع إلا بعد وجود السبب، كما أن الحمل لا ينعقد إلا بعد وجود السبب؛ بل الدعاء في الحقيقة أعظم أنواع الأسباب لأن به يحصل إمداد الله جلّ وعلا لكلّ شيء ونفع الرب جلّ وعلا بكل سبب يعمله العبد، **فالدعاء أعظم أنواع الأسباب**.

أما الثاني: فإن ذاك مبني علىٰ أنّ حالة النبي عليه الصلاة والسلام وحالة الصحابة رضوان الله عليهم ليست هي الحال الكاملة؛ بل كيف ينظرون إلىٰ فعل النبي عليه الصلاة والسلام في أحواله كلها وأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يترك الدعاء لنفسه ولأهله ولأمته عليه الصلاة والسلام، بل أرشد الصديق وعمر إلىٰ أن يُعظموا الرّجاء والدعاء وهٰذا يدل علىٰ أن حال الكاملين بأن يتعرضوا لدعاء الله جلّ وعلا، فكم دعا النبي عليه الصلاة والسلام من دعاء في صلاته في آخر الليل وفي أوقات الإجابة عليه الصلاة والسلام، وهٰذا لأنه أعرف الناس وأعلم الناس بربّه جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه.

أما قول الفلاسفة، فالفلاسفة أنواع:

**منهم** من يوقن بنفع الدعاء؛ لكنهم يقولون: إن الدعاء ينفع لأنه يؤثّر فيما عقدته الأفلاك. لأن عندهم الأثر للفلك الثامن الذي يؤثر في مجموعة الأفلاك، فينقل فيها التأثيرات التي تؤثر علىٰ سلوك أهل الأرض وما يكون في الأرض.

**ومنهم** من يقول: الدعاء أصلًا لا ينفع لأن الأمور بنظام، وكل شيء يقع علىٰ مقتضىٰ الطبيعة، والدعاء ليس سببًا طبيعيا، وهٰذا قول الملاحدة منهم، وظاهر فيه أنهم لا يؤمنون بحال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

**المسألة الثالثة**: دعاء العبد لله جلّ وعلا وتضرع العبد عند الله جلّ وعلا فيه أمور:

**الأول**: أنه تعرضٌ لرحمة الله جلّ وعلا ولآثار ربوبيته، فهو ﷻ يعطي من سأله ويجيب من دعاه جلّ وعلا، لأنه هو الرب، ولهٰذا قد يعطي الله جلّ وعلا الكافر كما أجاب دعاء إبليس، قد يمرض الكافر فيسأل الله جلّ وعلا فيُشفىٰ، وقد يتعرّض الكافر لمصيبة فيسأل الله جلّ وعلا أن يكفيه شرها فيُجاب.

بل يأتي المشرك والخرافي والمشرك المتعلق بالأموات فيأتي عند القبر بقلب مضطرّ فيسأل الله جلّ وعلا بصاحب هٰذا القبر أو يسأل الله جلّ وعلا ثمّ يسأل صاحب القبر، فيُجاب الدعاء لما في قلبه من الاضطرار لله جلّ وعلا، ويكون في حقه ابتلاء ويكون أيضا فتنة للآخرين.

**فإذن العطاء لا يقتضي الرضا عن المُعطَىٰ، وإجابة الدعاء لا تقتضي الرضا عن من أجيب دعاؤه** فهٰذا إبليس أجيب دعاؤه وقد دعا بأعظم دعوة عنده وهي أن يطول عمره حتىٰ يكون إلىٰ يوم القيامة، ﴿ قَالَ

رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ ﴾ يعني أمد في عمري ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الحجر]، إلىٰ أن ينتهي تكليف آدم وأبناءه، فأعطاه الله جلّ وعلا هٰذا السؤال الذي لم يعطه نبيًا من الأنبياء في إطالة العمر إلىٰ هٰذا الحد، وهٰذا كما أعطىٰ الكفار بعض ما سألوا، كما يُعطي بعض من يعبدون المسيح أو يعبدون عزيرًا أو يعبدون غير الله، فيُعطيهم لأمر لا لأجل كفرهم، ولكن لحكمة يعلمها الله أو لأجل اضطرارهم أو لأن هٰذا الإعطاء أصلًا من مقتضيات ربوبيته جلّ وعلا لهم، وهم بحاجة إليه، والله هو الذي خلقهم وجعل لهم قدَرًا مقدورا.

**الأمر الثاني**: أنّ الدعاء فيه إثبات لصفات كثيرة من صفات الرب جلّ وعلا، فمن دعا الله جلّ وعلا بحق فإنه يستحضر إذ دعا، ولو لم يستحضر فإن هٰذا متضمن لدعائه:

فإنه موقن بوجود الرب جلّ وعلا، هٰذه صفة.

والثانية بأنه ﷻ يسمع دعاءه مع أنه في عليائه جلّ وعلا، وهو يهمس همسًا لا يجهر، وهو يعتقد أنّ الرب جلّ وعلا سميعٌ لدعائه.

ويوقن أنّه جلّ وعلا -وهي الصفة الثالثة- أنه قدير علىٰ إجابة دعائه.

ويوقن أيضًا -وهي الصفة الرابعة- أنّه ﷻ غني يعطي بغير حساب.

ويوقن أيضا -وهي الصفة الخامسة- أنه جلّ وعلا رحيم بعباده، فإن سؤال الرب جلّ وعلا تعرض لآثار لرحمته ﷻ.

وكذلك يوقن -وهي الصفة التي بعدها- بأنه ﷻ حي.

وهكذا فمن تأمل دعاء العبد، نظر في أن في دعاء العبد أنواعا من إثبات الكمالات للرب جلّ وعلا، ولذلك يضعف التوحيد إذا ترك العبد دعاء ربه جلّ وعلا، وكلّما قلّ الدعاء، قلّ تعلّق العبد بالله جلّ وعلا، لأنّ آثار التوحيد علىٰ النفس والنور الذي يُقذف في القلب من آثار التعلق بالله جلّ وعلا يضعف شيئا فشيئا.

**الثالث** مما يتعلق بالدعاء: الله جلّ وعلا في إجابة الدعاء، وفي إعطاء الحاجة التي سُئِلَت، جعل لذلك شروطًا وجعل لذلك موانعَ، فإنّ العبد قد يسأل ولا يُعطىٰ وقد يدعو دعاء سؤال ولا يُستجاب له في عين ما سأل؛ لأنه لم تكتمل الشروط في حقه أو قام مانع من الموانع، وهٰذا يتضح بمسألة تأتي.

**الرابع** من المسألة الثالثة: أنّ إجابة الدعوات وقضاء الحاجات ليس دليلًا علىٰ شيء، وإنما هو من جنس مطلق الإعطاء فكما أن الله جلّ وعلا جعل هٰذا علىٰ صفة، وهٰذا علىٰ صفة، وهٰذا علىٰ صفة؛ فإنه سبحانه، يعطي هٰذا، ويعطي هٰذا، ويعطي هٰذا. وقد -كما ذكرتُ لك- يعطي فاسق ويعطي المبتدع ويعطي الفاسق، ويجيب دعاء هٰذا وهٰذا وربما هٰذا بأكثر وهٰذا بأكثر.

لكن يمتاز المؤمن والعبد الصالح وولي الله جلّ وعلا أن يكون جواب الله جلّ وعلا له وإعطاؤه لسؤاله -يعني إعطائه لما سأل-، عن محبة ورضا فيكون في حقه نعمة ولا يكون في حقه نقمة أو ابتلاء، وهٰذا هو الذي جاء في حديث الولي، حيث قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**قال الله تعالىٰ**[1]: **وما يزال**

---

(١) نهاية الشريط الحادي والأربعين.

**عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتىٰ أحبه فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه»** هٰذا عطاء محبة، **«ولئن استعاذني لأعيذنه»** هٰذا إعاذة محبّة ورضا.

**المسألة الرابعة:** قال بعضهم: إنّ الله جل وعلا ربما لم يُعط العبد سؤالًا، فيدعو العبد ولا يُعطىٰ، وهٰذا الكلام صحيح، لكن له أسباب:

**الأول:** أنّ الله ﷻ قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠]، وقال: **«من يدعوني فأستجيبَ له، من يسألني فأعطيَه، من يستغفرني فأغفرَ له»**، وإجابة الدُّعاء عام يشمل إجابة دعاء العبادة وإجابة دعاء المسألة.

- أمَّا إجابة دعاء **العبادة**: فهو **بالإثابة**.
- وأمَّا إجابة دعاء **المسألة**: فهو **بالإعطاء**.

ولهٰذا في آية سورة غافر قال جلّ وعلا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾، ورجّح طائفة من أهل العلم أنها في الدعاء الذي هو العبادة، ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، يعني أعبدوني أُثبكم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

**والنوع الثاني:** الذي هو دعاء المسألة فيكون استجابة الدعاء لمسألة بإعطاء العبد ما سأل، وهٰذا يعمُّ، إجابة الدُّعاء يعمّ إعطاء العبد ما سأل أو ما هو في مقام إعطائه ما سأل من صرف السوء عنه.

ولهٰذا قال العلماء: إنّ العبد إذا دعا الله جلّ وعلا ولم يُعطَ ما سأل فإنّ لهٰذا عدة تعليلات:

**الأول منها:** أنه يُصرف عنه من الشَّر بمثل ما سأل، فإنَّ النبي ﷺ كما روىٰ [مسلم][1] في الصحيح قال: **«ما من عبد مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدىٰ ثلاثة خصال: إما أن تُعجَّل له دعوته، وإما أن يُصرف عنه من الشر مثلُها، وإما أن تُدخَّر له يوم القيامة»**. وهٰذا يعني أنّ دعاء العبد المؤمن لا يضيع؛ بل يُستجاب، لكن ربما أُستجيب بثوابٍ يوم القيامة، وربما أُستجيب بعطاء، وربما أُستجيب بصرف الشر عنه، والله جلّ وعلا أعلم بما يُصلح العبد في دنياه وفي آخرته، قد تكون حاجته، حاجة العبد المؤمن للحسنات في الآخرة أعظم من حاجته لما سأل في هٰذه الدنيا، فيُدّخر له ما سأل يوم القيامة، وهٰذا من أعظم لطف الله جلّ وعلا ورحمته بعبده وعنايته بعبده جلّ جلاله وتَقَدَّست أسماؤه، سبحان ربنا لا نُحصي ثناءً عليه.

**التعليل الثاني:** أنه كما ذكرنا أنّ الدعاء يكون له شروط وله موانع، فقد يكون العبد في دعائه أتىٰ بمانع من الموانع من إجابة الدعاء كما قال عليه الصلاة والسلام: **«ما من عبد مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم»**، قطيعة الرحم معروفة، والإثم قد يكون منه الاعتداء في الدعاء؛ لأنّ الله جلّ وعلا

---

(١) الحديث صحيح؛ ولكن لم أجده في صحيح مسلم والله أعلم.

نهىٰ عن الاعتداء في الدعاء فقال سبحانه: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ [الأعراف]، يعني المعتدين في الدعاء و أيضًا المعتدين في غيره، فالاعتداء لا يُحبه الله جلّ وعلىٰ.

فالاعتداء في الدعاء إثم، وله صور كثيرة، فقد يدعو العبد ويعتدي في الدعاء فيزيد في أدعيته، أو يأتي بأشياء ليست من الأدب مع الرب جلّ جلاله، فيكون مانعًا من إجابة الدعاء لإثم وقع فيه في الدعاء، أو لإثمٍ وقع فيه في سلوكه، فإنه صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**إنّ الرجل ليُحرَمُ الرِّزق بالذنب يصيبُه**». وهٰذا يكون مانعا، أيضا هناك شروط للدعاء من الآداب فيه، فلا بدّ من توفرها.

**التعليل الثالث**: أنّ حديث النبي عليه الصلاة والسلام في نزول الرب جلّ وعلا آخر الليل أو في النصف الأخير من الليل أو في الثالث الأخير من الليل علىٰ اختلاف الروايات، رتّب مسألة الدعاء علىٰ ثلاث درجات، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إنّ الله يُنادي هل من داع فأستجيبَ له، هل من سائل فأُعطيه، هل من مستغفر فأغفر له**».

ومغفرةُ الذنب أخص من إعطاء السؤال، وإعطاء السؤال أخص من إجابة الدعاء، ولهٰذا رتّبها عليه الصلاة والسلام علىٰ هٰذه الثلاث درجات -يعني في الحديث-، الله جلّ وعلا جعلها ثلاث مراتب؛ ينادي من يدعو، والدُّعاء يعمّ السؤال ويعمّ غيره كما أوضحت لك، أو من يسأل، ثمّ من يستغفر فهٰذه مراتب ثلاث.

فإذن ليس كل سؤال استغفار، وليس كل دعاء سؤال. وهٰذا يعني أنّ إجابة الدعاء التي وعد الله جلّ وعلا بها عباده: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[البقرة ]، هٰذا يعمّ كل ما يحتاجه العبد في عبادته وفي دنياه، وأيضا ما يحتاجه ثوابًا علىٰ العبادة وإعطاءً للسّؤال.

**المسألة الخامسة والأخيرة**: إذا كان اللهُ جلّ وعلا يستجيب الدّعاء ويقضي الحاجة ويُعطي السّائل، فإنّ مما ينبغي علىٰ العبد أن يتعدّد به أن يُعِدّ للدّعاء عُدّته وأن يجتهد في حُسْن المسألة، ولهٰذا أحسن أمير المؤمنين عمر ﷺ أيّما إحسان إذْ أرشد الأمة إلىٰ قوله: **إني لا أحمل همّ الإجابة ولكن أحمل همّ الدعاء، فإذا وُفقتُ للدعاء جاءت الإجابة**. وهٰذا من أعظم الكلام الذي قاله عمر ﷺ ومن أحسنه لأنّه لا يُدلّ عليه في بيانه ولا في تصويره لهٰذه المسألة من كلام الصحابة بمثله.

لهٰذا ينبغي علىٰ العبد إذا أراد أن يدعو أن يعلم أنه إنما يدعو مالك الملك الذي خلق، الذي ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾[الزمر:٦٧]، الذي ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾[الأنعام ]، الذي ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل:٦٢]، الذي ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧﴾[طه]، الذي يطّلع علىٰ خائنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخفِي الصُّدُورُ.

لهٰذا ينبغي علىٰ العبد المؤمن أن يعدّ لدعاء عدّته كما قال عمر ﷺ: **إني لا أحمل همّ الإجابة ولكن أحمل همّ الدعاء، فإذا وُفِّقت للدعاء جاءت الإجابة**. لهٰذا يحسن بالداعي أن يجتهد في دعائه وأن يحضّر له، أن يستعدّ في تحسينه لأنه سيدعو ويرفع يديه لله جلّ وعلا، وخاصة إذا كان الدعاء في موقع من مواقع

العبادة العظيمة كحال السجود، إذا لم يدعُ بما أثر عن النبي ﷺ الذي هو جوامع الكلم في الدعاء فإنّه لا بدّ أن يستعد، ولا يدعو بإثم أو يجتهد فيتساهل في هٰذا الأمر، كذلك في موقع خطبة الجمعة، فإنّه ينبغي له أن يعدّ العُدّة فيما يدعو فيه إذا دعا بشيء لم يؤثر، وكذلك في صلاته، في قنوته كل ليلة أو في سجوده أو في صلاة التراويح من الأئمة الذين يقنتون بالناس فإنّهم ينبغي لهم أن يعلموا أنّ إجابة الدعاء منوطة بحسن الدعاء، فمن أحسن الدعاء رُجِيَ له الإجابة.

أما أنه يدعو بما خطر علىٰ باله ويتعدىٰ في ذلك وهو ليس بمحسن ويأتي بكلام كثير ربما يكون فيه اعتداءً في الدعاء وهو لا يشعر فيأثم، ويأثم من خلفه وربما لم تُستجب دعواتهم بعموم أنواع الاستجابة التي ذكرنا، فهٰذا ممَّا ينبغي التنكب عنه والبعد عنه.

لهٰذا هٰذه المسألة عظيمة، فالدعاء أثر من أثار الإيمان وبه تستمطر الرحمات من الرب جلّ جلاله، ولهٰذا أعدُّوا له عدته ولا يكن المرء مستغنيا عن فضل الله جلّ وعلا، لابد من الإلحاح في الدعاء والاضطرار في أوقات الإجابة، كلّ أحد له حاجة، فإذا أحسن السؤال جاءت الإجابة.

أسأل الله جلّ وعلا أن يجعلني وإياكم ممن تُجاب دعواتهم وتغفر زلاتهم، إنه سبحانه جواد كريم.

قال بعد ذلك: (**وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلاَ يَمْلِكُهُ شَيْءٌ**) يريد بذلك أنَّه ﷻ هو المتفرِّد في أنه يملك كل شيء، فما من شيء إلا والله جلّ وعلىٰ ربّه، وهو مالكه وهو سيّده المتصرّف في شؤونه، وكذلك هو ﷻ لا يملكه شيء ولا يؤثّر في ملكه شيء ﷻ إلا بإذنه فهو الواحد الأحد في ملكه، الرّب وحده، والعباد محتاجون إليه في ذلك.

فهٰذه الجملة واضحة في تقرير بعض أفراد الربوبية التي تجعل العبد يُقبل علىٰ ربه في الدعاء، فهو سبحانه يقضي الحاجات؛ لأنه يملك كلّ شيء ولا يملكه شيء ﷻ، والعبد يدعو ربّه لأنه يعلم أنّ الله يملك كلّ شيء ولا يملكه شيء ﷻ، وهٰذا يدلّك علىٰ عظم شأن الرّب جلّ جلاله وعلىٰ أنه هو المتفرِّد بتصريف الأحوال علىٰ التفصيل والإجمال.

قال بعدها: (**وَلاَ غِنَىٰ عَنِ اللهِ تَعَالىٰ طَرْفَةَ عَيْنٍ وَمَنِ اسْتَغْنَىٰ عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ**).

(**لاَ غِنَىٰ عَنِ اللهِ تَعَالىٰ طَرْفَةَ عَيْنٍ**)، يعني أن العبد في طرْف عينه وحركة عينه لا يستغني فيها عن الله جلا وعلا؛ لأنه إنما حرّك عينه برحمة الله، وبفضله وبإمداده وبإعطائه ﷻ. فلا يستغني عن الله طرفة عين، هٰذا مأخوذ من قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**اللّٰهمَّ لا تكلني إلىٰ نفسي طَرفة عين**»، وهٰذا إذا وكّله إلىٰ نفسه طرفة عين فمعناه أنه استغنىٰ.

قال: (**وَمَنِ اسْتَغْنَىٰ**) هٰذا حكم (**عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ**). لأنه استغنىٰ عن الله جل وعلا ورأىٰ أنه يقتدر وأنه ليس بحاجة إلىٰ الله جلّ وعلا، وهٰذا كما صنع إبليس اللّعين فإنه استغنىٰ فكفر، وتكبّر فاستحقّ الكفر والخلود في النار.

(**اسْتَغْنَىٰ عَنِ اللهِ**)، (**اسْتَغْنَىٰ**) معناها كان في غنىٰ وليس استغنىٰ طلب الغنىٰ، فاستغنىٰ يعني ومن كان في غنًىٰ عن الله طرفة عين فقد كفر، لأن كلمة استغنىٰ ليس فيها الطلب.

الأصل في السين والتاء الطلب إلا في مسائل، ومن أهل العلم من يقول: إنه لا قاعدة في السين والتاء أنّها للطلب، لكن يُقال: أن الأكثر في مجيئها أنه للطلب، وقد تأتي لبيان تمكّن الصفة من الموصوف، كقول الله جلّ وعلا في سورة التغابن: ﴿وَٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٦﴾، ﴿وَٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ يعني غنيَ الله فصارت صفة الغنىٰ له صفة كمال، له الغنىٰ الكامل الذي لا نقص فيه من وجه من الوجوه، لأن زيادة المبنىٰ تدل علىٰ زيادة المعنىٰ.

وهنا في قوله: (وَمَنِ اسْتَغْنَىٰ) يعني ليس معناه من طلب الغنىٰ، معناه كان في غنىٰ، (مَنِ اسْتَغْنَىٰ عَنِ الله)، يعني كان في غنىٰ عن الله طرفة عين (فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ)، و (الحَيْنِ) هنا بمعنىٰ الهلاك لأنه صار متوعدا بل صار من أهل العذاب لأنه كفر والعياذ بالله.

هٰذه كلها يريد منها الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيان آثر ربوبية الله جلّ وعلا وتعلق العقل بالله ﷻ.

نقف عند هٰذا، والجملة القادمة تحتاج إلىٰ تفصيل طويل (واللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَىٰ لاَ كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَىٰ) لأن لها تعلّق بالصفات الاختيارية وبمسائل كثيرة فيما ذهب إليه أهل البدع في الصفات الاختيارية صفات الأفعال وسيأتي بيانها إن شاء الله تعالىٰ.

[الأسئلة] نجيب علىٰ بعض الأسئلة، سؤالين أو ثلاثة

سؤال (٤٢٨): يقول: ما الفرق بين قيام الحجة و بين فهم الحجة؟ وهل من لم يفهم الحجة يُعاقب علىٰ ما لم يفهمه؟ أفدني.

**الجواب**: ذكرنا الفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة في أجوبة أسئلة وكذلك فصّلناه في «كشف الشبهات»، فأنا أريد الأخ السائل أنه يرجع إلىٰ «شرح كشف الشبهات» ليستفيد أولًا ثمّ ينظر إلىٰ هٰذا الموضوع.

وخلاصة الكلام أن فهم الحجة ليس بشرط، وأما قيام الحجة فهو شرط في التكفير ووقوع العذاب.

و فهم الحجة يُراد منها -يعني الذي ليس بشرط-، يراد منه أن يفهم أنّ هٰذه الحجة أرجح مما عنده من الحجج، المهم أن يفهم الحجة ودِلالة الحجة من كلام الله جلّ وعلا وكلام رسوله ﷺ وأن تُزال أو يُبيَّن له بطلان الشبهة تلك التي عنده.

وليس من شرط قيام الحجة أن يفهم الحجة كفهم أبي بكر وعمر والصحابة الذين نوّر الله قلوبهم، ولا من نوّر الله قلبه ممن تبعهم بإحسان؛ لأنه لو قيل بفهم الحجة هنا، صار لا يكفر إلا من عاند، يعلم أن هٰذه الحجة وعليه يفهم الحجة ويفهم أنها صحيحة ويفهم أنها راجحة ومع ذلك لا يستجيب، فهٰذا يعني أنه معاند، والله جلّ وعلا بيّن في القرآن أن منهم من لم يفقه أصلا قوله كقوله جلّ وعلا: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾[1] يعني أن يفهموه فهم الحجة كما فهمها من أراد الله جلّ وعلا هدايته.

وهناك قسم آخر من فهم الحجة، الذي هو فهم اللسان، فهم اللسان هٰذا لا بد منه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن

(١) سورة: الأنعام؛ الآية (٢٤)، الإسراء؛ الآية (٤٦).

رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[إبراهيم:٤]، فلا بدّ أن يفهم وجه الحجة باللّسان الذي يتكلم به، لكن يفهم أن حجته هٰذه أرجح من الحجة التي عنده، أو أنها أقوىٰ من الشبهة التي عنده ونحو ذلك فهٰذا ليس بلازم، المهم أن توضح بشروطها الكاملة.

وهٰذه يقوم بها العلماء، فتختلف مسألة قيام الحجة وفهم الحجة بحسب نوع الشبهة التي تَعرِض، فمثلا الاستغاثة بالله جلّ وعلا ليست في قيام الحجة كالاستغاثة بالله جلّ وعلا وحده وأن الاستغاثة بغيره شرك أكبر، ليست في قيام الحجة وفي مسألة فهمها، مثل مسألة طلب الشفاعة من النبي عليه الصلاة والسلام، فهٰذه مسألة ربما حصل فيها نوع اشتباه عند من لم يعلم، وتلك واضحة بيّنة.

فإذن مسألة قيام الحجة تختلف باختلاف نوع قيام الحجة وكيف تقام الحجة وبما تقام وتختلف بما يُبيّن المسألة إلىٰ آخره.

سؤال (٤٢٩): هل يُستدل بفعل العالم لفعل معيّن في مسألة ما علىٰ أنّ ذلك الفعل هو مذهبه الذي يقول به؟

الجواب: لا يدل علىٰ ذلك، فالفعل له احتمالات كثيرة، وأيضًا الفعل قد يكون عن غفلة، لكن إذا لازم الفعل، إذا لازمه، فإن هٰذا يدل علىٰ أنه مذهب له. لكنه إذا فعله أحيانًا فربما -العَالِمُ بَشَرٌ- يأتيه من الشواغل ما يجعله ما يلتزم بالسنة في بعض المواضع أو يعمل شيئًا وهو لا يستحضر الحكم فيه تمامًا، يعني وهو يفعل جاهل ونحو ذلك فهٰذا يحدث لكل أحد.

فالعالم فِعْلُه ليس بحجة إلا إذا التزمه، إذا التزمه يدلّ -لا نقول ليس بحجة لكن ليس بمذهب له- إلا إذا التزمه، فإذا التزمه دلّ علىٰ أنه يذهب إلىٰ هٰذا القول.

سؤال (٤٣٠): هل يجوز أن يُدعىٰ بقول القائل: يا مجيب دعوة نوح أجب دعائي.

الجواب: هو سأل الله جلّ وعلا وتعرّض لذلك، فلا بأس.

سؤال (٤٣١): وهل يجوز نحو ذلك بقول القائل: يا مجيب دعوة إبليس أجب دعائي.

**الجواب**: هٰذا خلاف الأدب، فكونه ما يدعو إلا بهٰذا، هٰذا يدل علىٰ سوء أو علىٰ جهل؛ لأنه يتعرض بما يناسب أنه يجيبه في الدعاء، ودعوة إبليس أجيبت امتحان وبلاء له وضلالة ليعظم إثمه وإضلاله للخلق يكون أعظم في عذابه هٰذا من الاعتداء في الدعاء ومن عدم الأدب مع الله جلّ وعلا.

سؤال (٤٣٢): هل القول أن العمل شرط في صحة الإيمان صحيح؟ وإذا كان غير صحيح نرجو ذكر السبب. وكذلك قول: إن العمل شرط في كمال الإيمان.

**الجواب**: ينبغي إيضاح مسألة وأنا أوضحتها لكم عدة مرّات وفي «شرح الطحاوية» أيضا فصلنا الكلام فيها، في الواسطية.

كلمة (شرط) لا يُدخلها أهل السنة في الكلام علىٰ مسمىٰ الإيمان، الإيمان له حقيقة، وحقيقته التي يقوم عليها هي أركانه وليست شروط، الشرط يسبق المشروط، الشرط يسبق، أما الأركان فهي ما تقوم عليه حقيقة الشيء، إذا ما قامت الأركان ما قامت حقيقة الإيمان.

فالإيمان قول وعمل: قول اللسان، تصديق الجنان، عمل الأركان. هٰذه أركان، أركان للإيمان (القول

والعمل والاعتقاد) وليست شروطًا؛ لأن الشروط خارجة عن المسمىٰ والسلف أجمعوا علىٰ أن مسمىٰ الإيمان: الاعتقاد والقول والعمل. وبه تميزوا عن باقي الفرق الأخرىٰ.

لهٰذا إدخال كلمة شرط تدل علىٰ عدم فهم حقيقة معنىٰ الركن وحقيقة معنىٰ الشرط. قبل أن يُبحث هل هو شرط كمال أو شرط صحة، هٰذا ليس بحثًا صحيحا لأنه عندنا أن العمل ركن في الإيمان.

عند الخوارج العمل شرط في صحة الإيمان، عند المعتزلة أن الشرط في الصحة.

عندنا ليست كذلك؛ بل العمل ركن من الأركان.

إذا نظرت إلىٰ أنواع القسم التكليفي الحكم الوضعي وماهية المسميات التي تدل علىٰ الأسماء بَانَ لك أن الركن هو ما يقوم عليه الشيء؛ يعني لا يمكن أن يتصوّر الشيء إلا به، والشرط هو مصحِّح للأركان.كيف؟

خذ مثلا البيع، البيع ما أركان البيع؟ هل تحفظها أركانه كذا وكذا حفظا؟ لا، هي متصورة.

متصور لأن الركن هو ما تقوم عليه حقيقة الشيء بدونه لا يمكن أن يقوم هٰذا الشيء يعني يقوم مسمىٰ كالبيع مثلا إذا قيل لك: ما أركان البيع؟ ماذا تقول، أركان البيع أيش؟:

لابد من بائع، -ولا كيف من اللي يبيع؟-، ولا بد من مشتري، صحيح، ولا بد من مُثمَن -شيء يقع عليه البيع-، ولا بد من صيغة تبادل -بعت، اشتريت، الخ..-. لكن الأخ قال: الثمن. هل الثمن من الأركان، يمكن أن يقع البيع؛ يعني صورة البيع تقع بلا ثمن موجود، يكون غير موجود أو يكون الخ...

فالثمن من مقتضيات البيع لكن ليس ركنًا، المهم المُثمَن الذي يقع عليه البيع، السلعة التي تبايعوها.

إذا أتينا للشرط، شروط البيع، شروط البيع أيش؟ هي مصححات هٰذه الأركان، يعني مثلًا تقول البائع إذا قلنا الشرط، الشرط ما معناه عند أهل العلم؟ شرط يصحّح أن يكون هٰذا الرّكن شرعيًا، فالبائع ما شرطه ليكون تصرّفه شرعيًا؟ أن يكون من أهل التصرّف الخ...

طيب، المُثمَن -السلعة- ما شرط هٰذا الركن ليكون هٰذا مالًا يقع عليه المعاملة، يقول لك اشترطوا أيش له؟ أن يكون أيش؟ أن يكون معلومًا، أن يكون له مالية، ما يكون محرّم إلخ... أن يكون مباح النفع ... إلخ.

إذن فالشروط خارجة عن حقيقة الشيء وإنما هي لتصحيح الشيء.

خذ مثالًا آخر، الصلاة الآن، حقيقة الصلاة تقع بالأركان، أركان الصلاة هل هي خارجة عنها أو فيها؟ هل فيه ركن للصلاة خارج عنها؟ كلّ الأركان في داخله ابتداء من تكبيرة الإحرام وانتهاء بالتسليمة، كلها في داخل مسمىٰ الصلاة، لكن الشروط؟ نأتي لاستقبال القبلة قبْل، نأتي للطهارة قبْل، نأتي للبقعة، يعني فيه أشياء قبل، وهناك النية تكون مستصحبة إلىٰ آخره.

فإذًا في مسألة الإيمان -وأنا أوضحت لكم هٰذا في ما سبق لكن تأكيدًا عليه-، الذي يتكلم في الإيمان وإذا تكلم عن العمل أتىٰ بكلمة (شرط) فإنه لم يفهم مذهب السلف لأن الشرط، لا يمكن أن تقول الإيمان قول وعمل وتقول العمل شرط. كيف يكون الإيمان قول وعمل، ويكون العمل شرط؟ الشرط خارج عن الحقيقة.

فإذا كانت حقيقة الإيمان قول وعمل، باتفاق السلف، بالإجماع، بإجماع السلف حتىٰ أن البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ ذكروا عنه أنه لم يرْوِ في كتابه لمن لم يقل الإيمان قول وعمل، إذا كان الإيمان قول وعمل معناه هٰذه حقيقة الإيمان، فكيف يُجعل العمل شرط؟ فإذا جعلنا العمل شرطًا معناه أخرجناه من كونه ركنًا وجعلناه شرطًا للقول أو شرطًا للاعتقاد، فإما أن ندخل في مذهب المرجئة أو ندخل في مذهب الخوارج والمعتزلة.

وهٰذه مسائل مهمة تبيّن لك ضرورة الاتصال بعلم الأصول -أصول الفقه-، وتعريفات الأشياء حتىٰ يفهم معنىٰ اللفظ ودلالته، وهٰذا كتفصيل للإجمال الذي به غلّطنا المحشي للطحاوية علىٰ حاشيته.[1]

سؤال (٤٣٣): بينوا لنا الفرق بين المشيئة والإرادة وهل تعلقهما واحد أم ثم تفريق بين الكوني والشرعي؟

الجواب: هٰذا سؤال جيد ويدل علىٰ إدراك العلم إن شاء الله تعالىٰ.

المشيئة، مشيئة الله جلّ وعلا غير الإرادة من جهة أن الإرادة تنقسم إلىٰ قسمين والمشيئة نوع واحد.

فمشيئة الله جلّ وعلا في النصوص واحدة، وتُفَسَّر بما يشاؤه كونا، يعني بما يريده كونا، بما يأذن به جلّ وعلا أن يحدث في ملكوته كونا.

أما الإرادة فلها قسمان في ألفاظ أخر جاءت في الشريعة مثل الإذن، والكتابة، والقضاء، والأمر.. إلخ.

فالإرادة منها **إرادة كونية**، ومنها **إرادة شرعية**:

الإرادة الكونية لا تعلق لها -وهي المشيئة-، لا تعلّق لها بمحبة الله جلّ وعلا وبرضاه، يعني يريد كونًا ويشاء كونًا مما شاءه أشياء يحبها جلّ وعلا ويرضاها، ومما شاءه أيضا وأراده كونًا أشياء يكرهها الله جلّ وعلا، لكن أذن بها في ملكه لحكمة. أما الإرادة الشرعية فهو جلّ وعلا لا يريد شرعًا، لا يأذن شرعًا إلا بما يُحبه ويرضاه، فالله ﷻ لا يرضىٰ لعباده الكفر، ولذلك لا يريد الكفر شرعًا وإن أراده وشاءه كونًا، وهكذا.

يقول: هل تعلقهما واحد، أم ثَم تفريق بين الكوني والشرعي؟

تعلق مختلف؛ لأن الإرادة الكونية تعلقها بما يكون، يعني تعلقها بالحكم، بالخلق.

والإرادة [الشرعية][2] تعلقها بالأمر وبما شرع.

والله ﷻ فرّق بين الخلق والأمر فقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[الأعراف:٥٤]، فالخلق هٰذا التعلق بالمشيئة الكونية والإرادة به، والأمر تعلق الإرادة الشرعية به لهٰذا يختلف هٰذا عن ذاك.

نكتفي بهٰذا القدر وأسأل الله جلّ وعلا لكم العلم والعمل والتوفيق لكل خير ولأحبابنا جميعًا، إنه جواد [كريم].

سؤال (٤٣٤): هٰذا سؤال يقول: ما الفرق بين الدعاء والمسألة؟

---

(١) يقصد الشيخ شعيب.

(٢) قال الشيخ حفظه الله: الكونية.

الجواب: الدعاء قسمان: دعاء عبادة ودعاء مسألة.

معنىٰ **دعاء العبادة** أنه يتعبد الله جلّ وعلا ليرجوَ ثوابه، سمِّيت العبادة دعاءً لأن كل متعبد يطلب بعبادته الثواب، فهو طالب ضمنًا، من صلىٰ فهو في عبادة، كل مصلي سائل لأنه يسأل الثواب ورضا الله جلّ وعلا عنه إلخ... وإن لم يقل اللّٰهمَّ إرضَ عني، اللّٰهمَّ أثبني إلخ...

أما **دعاء المسألة**، وهو السؤال: فهو أن يرفع يديه ويقول اللّٰهمَّ أعطني كذا، اللّٰهمَّ أسألك كذا، هٰذا يُسمىٰ دعاء المسألة.

والدعاء في القرآن، في ما ورد في النصوص في القرآن والسنة تارة يأتي بمعنىٰ دعاء العبادة وتارة يأتي بمعنىٰ دعاء المسألة وتارة يكون بما يحتمل هٰذا وذاك.

فمما يحتمل هٰذا وهٰذا أو يشتمل الأمرين معًا كقوله في الآية التي ذكرتها لكم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠]، وكذلك قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

ودعاء المسألة كقوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾[العنكبوت:٦٥] دعوا هنا يعني إيش؟ مو عبدوا، معنىٰ سألوا الله مخلصين في سؤالهم والسؤال من الدين.

وما خصّ به العبادة كقوله جلّ وعلا: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾[مريم]، فقوله هنا في الأولىٰ ﴿تَدْعُونَ﴾ وفي الثانية ﴿يَعْبُدُونَ﴾ دلّ علىٰ أن معنىٰ الدعاء هنا هو العبادة.

فإذن في النصوص الدعاء ينقسم إلىٰ قسمين: دعاء العبادة ودعاء المسألة بمعنىٰ دعاء العبادة، يعني العبادات بأنواعها، ودعاء المسألة يعني السؤال. ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[الجن]، هٰذا يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة، وهكذا.

وفقكم الله.

## الدرس الحادي والخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ صحبه وعلىٰ من اهتدىٰ بهداه.

[الأسئلة] نجيب عن بعض الأسئلة التي تأتي:

سؤال (٤٣٥): يقول: سمعت حديثًا أنه «ليس يتحسّر أهل الجنة علىٰ شيء إلا علىٰ ساعة لم يذكروا الله تعالىٰ فيها»، فهل هٰذا التحسّر مما ينافي النعيم أو غير ذلك؟

**الجواب**: لا يحضرني الحديث في تخريجه، وعلىٰ القول أو علىٰ فرض ثبوته، فإن التحسّر في فوات المراتب العالية نقص؛ ولكنه ليس عذابًا؛ لأن الذي مُنِعَ أهل الجنة من أن يكون عليهم هو العذاب، أما النَّقص في النعيم بأنواعه، هٰذا حاصل، فإنّ نعيم أهل الجنة ليس بمرتبة واحدة ولا بمنزلة واحدة، يتفاوتون في النعيم البدني وفي النعيم البصري والسمعي وكذلك النعيم النفسي، يتفاوتون في ذلك بحسب مراتبهم، فإذا وُجد تحسّر فهٰذا نقص؛ يعني بمعني فوت بعض النعيم، يعني يقولون: ليتنا ذكرنا الله جلّ وعلا في كل ساعة حتىٰ تزيد أو ترتفع درجتنا.

سؤال (٤٣٦): يقول: عندما يتكلم العلماء علىٰ مسألة الزيادة والنقص في الإيمان يأتون بعبارات مثل: إنه متبعّض، وإنه متفاضل، وإنه يذهب بعضه ولا يذهب أصله، وإنه يذهب بعضه ولا يذهب كله. فهل هٰذه العبارات مقصودة أم أنها تدلّ علىٰ مسألة الزيادة والنقص؟ أم أنها تدل علىٰ معنىٰ زائد عن الزيادة والنقص؟

الجواب: الذي ينبغي علىٰ طالب العلم إذا درس مسألة من مسائل العلم أن يبتدئ بأصول المسألة ويستوعبَها جيّدًا؛ لأنَّ الأصول والمسائل الأولىٰ في العلم أو في أي مسألة من المسائل قبل الدخول في التفصيلات هي التي عليها بناء هٰذا الباب أو بناء هٰذه المسألة.

لذلك قد يُكثر طالب العلم من القراءة فدخل عليه مسائل في مسائل، خاصة في العقيدة ويشتبه عليه التأصيل بالتفريق ويشتبه عليه المسائل التي هي عقد ويُبنىٰ عليها العلم من المسائل التي هي من الإيضاح أو من اللوازم أو من الاستطرادات وأشباه ذلك.

الإيمان عند جمهور أهل السنة والجماعة يزيد وينقص، وزيادته دلّ عليها القرآن كما هو معلوم في قوله: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾[الأنفال]، وفي قوله: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾[آل عمران:١٧٣]، وفي قوله: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾[المدثر:٣١]، ونحو ذلك.

وهٰذه الزيادة قال بها جميع أهل السنة؛ بأن الإيمان يزيد هٰذا إجماع من أهل السنة.

لكن هل ينقص أم أنه يزيد ويقف ثمّ يزيد مرة أخرىٰ؟

عامة أهل السنة، جمهور أهل السنة إلا ما ندر يقولون: ما زاد فإنه ينقص؛ وذلك لأن سبب الزيادة وعلة الزيادة هي الإيمان، فدلّ علىٰ أنّ النّقص علته وسببه هو ضد شعب الإيمان التي هي المعاصي، فإذا عصىٰ الله جلّ وعلا نقص إيمانه، وإذا عبد الله جلّ وعلا وتقرّب إليه زاد إيمانه.

وهٰذا يدل عليه أيضا جمع من الأحاديث الصحيحة منها قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا يزني الزاني**

**حين يزني وهو مؤمن»**، وفي لفظ عند الإمام أحمد «**إذا زنىٰ الزاني خرج منه الإيمان فكان علىٰ رأسه كالظلّة، فإذا ترك ونزع عاد إليه**»، وهٰذا يدلُّ علىٰ أن فعل المعاصي سبب في زوال بعض الإيمان، وهٰذا هو معنىٰ النّقص.(١)

فإذن الإيمان يزيد وينقص، هٰذا هو قول أهل السنة، يعني عامة أهل السُّنة، أكثر أهل السنة أو تقول: كل أهل السنة إلا من ندر.

أما مسألة التبعض فهٰذه متصلة -تذكرون الإيمان متبعض- هٰذه متصلة بمسائل الزيادة والنقصان ومسائل الأسماء والأحكام، يعني أن الإيمان ليس شيئًا واحدا، إما أن يأتي ويثبت كله، وإما أن يذهب ويزول كلُّه، لأن هٰذا هو قول الخوارج ومن شابههم؛ بأن الإيمان شيء واحد إما أن يوجد وإما أن يزول، هو شيء واحد لا يقبل التفاضل، وكذلك المعين، هٰذا من جهة الحكم، ومن جهة الأسماء فإن من ارتكب المعصية فليس بمؤمن عندهم لأنه ارتكب ما يذهب معه أصل الإيمان فليس بمؤمن.

فإذن مسألة التبعض وأن الإيمان يزيد وينقص ويتبعض، يذهب بعضه لا يذهب أصله، هٰذه المسائل متعلقة بمذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان، ثم التبعُّض له علاقة بالأحكام والتكفير والأسماء التي تُطلق علىٰ مرتكب المعصية والكبيرة.

فإذن قولُك في الأخيرة: هل تدل علىٰ مسألة الزيادة والنقص أم تدل علىٰ معنىٰ زائدًا عن الزيادة والنقص؟

لا هي تدل علىٰ معنىٰ زائد علىٰ الزيادة والنقص، لكن لها صلة بالزيادة والنقص، لأن منبع الزيادة والنقص ومنبع التبعض واحد وهو أن الإيمان ليس شيئا واحدا، وإنما الإيمان قد يأتي وقد يذهب قد يزيد وقد ينقص بحسب الحال.

سؤال (٤٣٧): يقول: قرأت كتابًا لأحد العلماء المعاصرين يقول فيه: إنّ الوجه - وجه الرَّحمٰن- صفة ذاتية زائدة. فما المقصود بقوله ذلك؟

الجواب: أنا لا أعلم، لكن أحيانًا تُستعمل، المقصود بها زائدة علىٰ الذات يعني لذهاب عن قول من يقول الوجه هو الذات، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[الرَّحمٰن:٢٧] يعني وتبقىٰ ذات ربك، فقد يكون مراده أنه زائدة يعني عن الذات ليست هي الذات، صفة الذات، توجد ذات ويوجد وجه للرب جلّ جلاله، لكنها ليست من العبارات المستعملة عند السلف.

سؤال (٤٣٨): لما مُيِّزت نصوص الوعيد بأنها تمرّ كما جاءت؟ وهل تُلحق بها نصوص الرحمة في هٰذا الوصف؟

الجواب: الوعيد الذي هو توعّد من الله جلّ وعلا للكافر أو للفاسق بالعذاب، هٰذا حق والله جلّ وعلا خبره صدق لكن وعيده جلّ وعلا مع كونه حقًّا وصدقًا كما أخبر جلّ جلاله فإنه في حق المسلم الموحّد علىٰ رجاء الغفران، وعلىٰ رجاء العفو، ولذلك أن لا يطبّق الوعيد في حقِّ المعين؛ بل نقول: هٰذا الوعيد

---

(١) نهاية الوجه الأول من الشريط الثاني والأربعين.

يُمرّ كما جاء ولا ندخل في تفصيلاته من حيث إن هٰذا وعيد لمن فعل كذا بالنار في تفصيلات هٰذا الوعيد، أو في تفصيلات المعيّن الذي ارتكب شيئا مما ينطبق عليه هٰذا الوعيد، الأصل أن نُمِرَّ ذلك كما جاء ونُبقيه وعيدًا للتخويف والجزاء عند رب العالمين.

ولهٰذا يقول العلماء: **إخلاف الوعيد فضل وكرم، وأما إخلاف الوعد فكذب.**

ولهٰذا فإنّ الله جلّ وعلا لا يُخلف وعده، ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾[الروم:٦] وَعْد الله مفعول لا بدّ منه، ما وعد به عباده فلا بدّ منه.

أما وعيده ﷻ، فإنه قد يتخلَّىٰ في حقِّ المعين بفضل منه وكرم. وكما جاء في الحديث الذي في الصحيحين: أنه يوم القيامة يكون آخر من يُخرَج من النار أقوام «**يخرجون من النار وقد امتحشوا، فيُلقون في نهر يقال له: نهر الحياء، فينبتون كما تنبت الحِبة أو الحبة في جانب الشيء**»، هٰذا بفضله جلّ وعلا فيخرج من النار أقوام لم يعملوا خيرًا قط، ويغفر الله جلّ وعلا لمن يشاء ﷻ.

فإذن الوعيد يبقىٰ كما هو بدون تفصيل يُمر كما جاء من جهة المعنىٰ ومن جهة من يتعلق به، ثمّ وعيد الله جلّ وعلا بالعذاب في الدنيا أو العقوبة في الدنيا، هٰذا متعلق بحكمته ﷻ، وحكمة الله جلّ وعلا غالبة، لهٰذا يُثبَت الوعيد في حقّ الكافر من جهة الجنس لا من جهة المعيّن حتىٰ يموت علىٰ الكفر، فإذا مات علىٰ الكفر فإنّه يُقال فيه ما أوْعده الله جلّ وعلا، لأنه قد جاء في الحديث الصحيح «**حيث ما مررت بقبر كافر فبشّره بالنّار**»، وهو في بعض السنن بإسناد جيّد.

وهناك قسم ثاني من الوعيد وهو وعيد الحكم وليس وعيد العذاب وهو مثل: «**من أتىٰ كاهنا لم تُقبل له صلاة**»، «**من أتىٰ كاهنا فصدقه فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمّد**»، «**من أتىٰ حائضًا أو امرأة في دبرها فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمّد**»، «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**»، «**لا يدخل الجنة قتّات**»، ونحو ذلك، هٰذا وعيد في الاسم والحكم وليس وعيدًا في نوع العذاب وأشباه ذلك.

وهٰذا الوعيد هو الذي يكثر كلام السلف فيه، لأنه يُمرّ كما جاء، لماذا؟ لأنّ الدخول في نوعي حكمه، يعني هل هو كافر كفر أكبر أو أصغر؟ هل هو لا يدخل الجنة؟ يعني نقول له: لأن الغرض من الوعيد تخويف من هٰذه الأفعال حتىٰ يرتدع العباد، فإذا دخل الناس في تفصيلاتها ولم يمروها كما جاءت كأنه يضعف جانب الوعيد فيها.

لكن لها تفصيل، مع كونه يُمَر كما جاء فإنه له تفصيل بحسب ما عند أهل العلم من الأدلة، فمثلًا نقول في «**لا يدخل الجنة قتّات**»: نفرّق بين الدخول الأول والدخول المتأخر، مثلًا «**من أتىٰ كاهنا فصدقه فقد كفر**» نقول مثلًا هٰذا كفر أصغر وليس بكفر أكبر، وأشباه ذلك من الأدلة التي فيها وعيد بالحكم.

وهٰذا يحتاج إلىٰ أدلة أخرىٰ لبيان معنىٰ هٰذا الحديث أو معنىٰ هٰذه الآية، وإلا فالأصل أن يُمر؛ بمعنىٰ لا يُسأل العالم أو طالب العلم في تفصيله أو تفسيره لأن الغرض منه التخويف.

لهٰذا مثلًا في حديث: «**من أتىٰ كاهنا فصدقه فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمّد**»، سُئل عنه الإمام أحمد هل هو كفر أكبر أو أصغر فتوقَّف عن ذلك وقال -كما هي الرواية الثالثة أو القول الثالث- توقَّف وقال: أقول كُفْر وبَسْ؛ يعني وسكت. وهٰذا لأجل أن النص أطلق والمقصود منه التخويف.

والقول الأول أنه كفر أكبر، كما ينحو إليه قلة من أهل العلم، والقول الثاني أنه كفر أصغر مع أن النص نص وعيد لكن دخل العلماء في تفسيره لأجل ورود الأدلة الأخرىٰ، كما جاء في «مسند الإمام أحمد» بإسناد صحيح ثابت أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**من أتىٰ كاهنا أو عرّافًا فسأله عن شيء فصدقه لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة**»، فدلّ، هٰذا من رواية الإمام أحمد وهي زيادة مقبولة قوية زائدة علىٰ ما في صحيح مسلم «**من أتىٰ كاهنا أو عرّافًا فسأله عن شيء فصدقه لم تُقبل له صلاة**»، بدون زيادة «**فصدقه**»، فقد جاءت بإسناد ثابت صحيح بل هي أرجح في الزيادة من رواية مسلم ولذلك اعتمدها إمام الدعوة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في «كتاب التوحيد».

المقصود أنه قال: «**فصدقه لم تُقبل له صلاة**»، فكونه عليه الصلاة والسلام حدّ عدم قبول الصلاة بأربعين ليلة دلّ علىٰ بقاء الإسلام، لأن الكافر إذا كفر من بعد إيمانه فإنه لا تُقبل له صلاة مطلقًا، أما عدم قبول الصلاة أربعين ليلة، فهٰذا يدل علىٰ أنه مسلم؛ لكن عدم القبول لأجل عظم ما فعله، ثمّ لأجل الشبهة في حقه، الشبهة في حق من يسأل الكاهن فإنه قد يقول: أنا لا أقول أنه يعلم الغيب ولا أعتقد أنه يعلم الغيب ولكن قد يُخبر بالشيء الذي تُخبره به الشياطين أو من يسترق السمع فتوجد شبهة تمنع من مأخذ التكفير.

أما الساحر فيختلف عن الكاهن، الساحر هٰذا شيء آخر؛ لأنه لا يسحر إلا بالاستعاذة والاستغاثة بشياطين الجن.

سؤال (٤٣٩): هل دعاء: (اللّٰهمَّ انصر جميع المسلمين من المستضعفين) أو (دعاء ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) من باب التعدي في الدعاء بحيث إن الأول قد كتبه الله في الأرض والثاني قال الله سبحانه كما في الحديث قد فعلت؟

والسؤال الثاني: هل اعتقاد القبوريين والصوفية في الأولياء وأنهم يملكون الشفاعة ونحوها ناشئ من الغلو في الدعاء أم ما هو سبب هٰذا الاعتقاد لديهم؟

الجواب: مسألة الاعتداء في الدعاء بحثنا فيها باختصار في الدرس الماضي، وهي مسألة مهمة جدًّا ينبغي لطلاّب العلم أن يعتنوا بها لأن الداعي إذا اعتدىٰ في الدعاء فإنه يأثم، والاعتداء في الدعاء سبب لردّه؛ بل من أعظم أسباب ردّ الدعاء أن يدعو العبد ربّه الجليل العظيم ويعتدي ولا يتأدّب وهو يدعو.

وبعض البشر وهم من هم في ضعف شأنهم وقلة حيلتهم؛ لكنهم إذا رأوا من يسألهم ويعتدي في السؤال فإنهم لا يغفرون وربما عاقبوا وربما نفروا؛ لأن من حسن أو من أسباب الإجابة حسن السؤال حتىٰ في حق المخلوق، والله جلّ وعلا هو المستحقّ لكل أدب من عبده وتذلّل من عبده وحسن سؤال وحسن الدعاء؛ لهٰذا مبحث الاعتداء في الدعاء مما ينبغي علىٰ كل طالب علم أن يعتني به وخاصة خطباء المساجد والأئمة الذين يدعون لأنفسهم وللمسلمين في القنوت وفي غيره.

لهٰذا جاء مثل هٰذا السؤال لأجل الاهتمام بهٰذا الموضوع.

قول القائل: (اللّٰهمَّ انصر جميع المسلمين من المستضعفين) هل هٰذا فيه اعتداء في الدعاء أم لا؟

هٰذا فيه حسن رجاء وظن بالله جلّ وعلا، وليس فيه اعتداء والنبي عليه الصلاة والسلام دعا بنجاة

المستضعفين فقال: «**اللّهمَّ أنجِ المستضعفين، اللّهمَّ أنجِ فلانا وفلانا**»، والدعاء بنجاة جميع المستضعفين من المسلمين أو بنصر المسلمين جميعًا، هٰذا طلب والطلب قد يُجاب بنحوه؛ يعني قد يُجاب بنفس المطلوب وقد يجاب بصورة أخرىٰ كما أوضحنا في الدرس الماضي، «**ما من عبد يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدىٰ ثلاث خصال، إما أن يُعجل له دعوته، وإما أن يختبئها له يوم القيامة، وإما أن يصرف عنه من الشر مثلها**» وهٰذا يدل علىٰ أن العبد إذا أعظم في الطلب فإنه... هٰذا مع عظم الرجاء.

الاعتداء في الدعاء لا يدخل في هٰذه اللفظة؛ لأنه لم يسأل سؤال فيه إثم، ولم يسأل سؤال ولم يدعو بدعاء فيه قطيعة رحم، ولا بشيء مضاد لأمر الله جلّ وعلا في القرآن والسنة، ولم يدعُ بدعاء فيه مناقضة لحكمة الله جلّ وعلا، مثاله.

مثال ما يناقض الحكمة- مثلًا يقول القائل: اللّهمَّ دمِّر اليهود والنصارىٰ أجمعين، اللّهمَّ اجعلهم كذا واجعل...إلخ، وهٰذا تدميرهم بأجمعهم هٰذا ينافي الحكمة التي أخبرنا الله جلّ وعلا بها أنه يؤخر هؤلاء حتىٰ ينزل المسيح عليه السلام، فيُسلم النصارىٰ ويُقتل اليهود، فمثل هٰذا الدعاء العام هٰذا فيه مناقضة لما أُخبرنا منا الحكمة، وفيه -مثل ما ذكرت- اعتداء في الدعاء.

ولهٰذا كان من دعاء عمر ﷺ وهو الخليفة الراشد والفقيه الأعلم في دعائه، أنه لم يكن يدع علىٰ جميع الكفار بأصنافهم من اليهود والنصارىٰ وغيرهم، وإنما كان يدعو دعاءً مقيد فيقول ﷺ في دعاء القنوت: اللّهمَّ عليك بكفرة أهل الكتاب الذين يصدون عن دينك ويقاتلون أولياءك. وهٰذا مما يوافق قوله جلّ وعلا في سورة الممتحنة: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾. ومن البرّ في حقهم عدم الدعاء عليهم، ومن البر في حقهم الدعاء لهم بالهداية ونحو ذلك، ثمّ قال جلّ وعلا: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾[الممتحنة:٩]، هؤلاء هم الذين يدعىٰ عليهم و هم الذين يُنتصر عليهم... إلخ

أما الشِّق الثاني في (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) هل من باب الاعتداء في الدعاء؟

عدّه بعض العلماء من الاعتداء في الدعاء كالقرافي في «الفروق» وغيره، وسبب ذلك أنه الله جلّ وعلا قال قد فعلت، الله جلّ وعلا أجرىٰ هٰذا حُكْمًا في أنه من نسي أو أخطأ فإنه لا يؤاخذه ولا يجعل عليه وزرًا جلّ جلاله، فإذا دعوت وأنت عالم بأن الله أعطىٰ هٰذا فيقول هٰذا اعتداء لأنه أنت تدعو بشيء قد تكفل الله به فكأنك تقول: إن الله لم يتكفل به أو تشك في تكفل الله به، هٰذه وجهة القرافي ومن معه، وربما مال إليه بعض أهل العلم الآخرين.

والقول الثاني وهو الصحيح أن هٰذا ليس من الاعتداء في الدعاء؛ لأنّ الذي عفا الله جلّ وعلا عنه أن يؤاخذه بالنسيان والخطأ هو المؤمن الموحّد فهٰذا السائل لا يسأل بما يتعلّق بإعطاء الله جلّ وعلا ولا بفعل الله جلّ وعلا، وإنما يسأل أن يكون هو ممن أكرمه الله جلّ وعلا بالدّخول في زمرة المؤمنين الذين أعطاهم هٰذا الفضل والإحسان، فكأنه قال: اللّهمَّ ثبتني علىٰ الإيمان، اللّهمَّ لا تُزغ قلبي حتىٰ لا يُؤاخذ بنسيانه أو بخطئه، وهٰذا هو المعتمد في مثل هٰذه المسألة..

اقرأ...

قبل ما تبدأ حتىٰ لا أنسىٰ الخميس قلت لكم: ما فيه درس إن شاء الله يْصير فيه درس، ونؤجل عدم الدرس للأسبوع الذي بعده، الخميس القادم يعني موجود. نعم



📖 واللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَىٰ لاَ كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَىٰ.

وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رسُولِ الله ﷺ، وَلاَ نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُم؛ وَلاَ نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُم، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُم، وَبِغَيْرِ الخيْرِ يَذْكُرُهُم، ولا نُذْكُرُهُم إِلاَّ بِخيْرٍ، وَحُبُّهُم دِينٌ وإِيمَانٌ وإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفَاقٌ وطُغْيَانٌ.

الحمد لله وبعد:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ وعجّل له المثوبة علىٰ ما قرّب لنا من عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم، قال: (واللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَىٰ لاَ كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَىٰ) يريد الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ بهٰذه الكلمة إثبات صفات الله جلّ وعلا الفعلية الاختيارية المتعلقة بمشيئته وقدرته جلّ جلاله، وهٰذا هو الذي تميّز به أهل الحديث والأثر مخالفين في ذلك كل الفرق الأخرىٰ التي لم تُثبت صفات الذَّات أو لم تُثبت صفات الأفعال الاختيارية التي تقوم بذات الرَّب جلّ وعلا إذا شاء الله جلّ وعلا ذلك، يعني منوطة بإرادته وقدرته كما سيأتي، وذلك أنّ الجهمية والمعتزلة والكلّابية والأشعرية والماتريدية، كل هؤلاء ينفون الصفات الفعلية الاختيارية علىٰ اختلاف بينهم في هٰذا النفي.

فأراد الطَّحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ أن يقرّر أنّ منهج السلف الصالح وأنّ عقيدة الصحابة وأئمة الإسلام أنهم يُثبتون صفة الغضب والرِّضا علىٰ حدّ قوله جلّ وعلا: ﴿كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ].

فكما أنّه جلّ وعلا يتكلم لا كأحد من الورىٰ، ويسمع لا كأحد من الورىٰ، ويُبصر لا كأحد من الورىٰ، وهو جلّ وعلا له الحياة كاملة لا كأحد من الورىٰ، و له الإرادة جلّ وعلا وله القدرة لا كأحد من الورىٰ، فكذلك هو جلّ وعلا يوصف بأن له وجها لا كأحد من الورىٰ، وأن له يدين لا كأحد من الورىٰ، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مستوٍ علىٰ عرشه لا كأحد من الورىٰ، وأنه جلّ وعلا يغضب لا كأحد من الورىٰ، ويريد لا كأحد من الورىٰ، ويرضىٰ لا كأحد من الورىٰ، ويحب لا كأحد من الورىٰ، ويسخط لا كأحد من الورىٰ. وهكذا في كل الصفات، فباب الصفات باب واحد كما سيأتي بيانه.

إذن فالطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ يريد بذلك أن يقرّر هٰذه العقيدة، وأنّ منهج السلف فيها كقولهم في غيرها من الصفات لا يفرّقون بين صفة وصفة.

ثمّ هاهنا مسائل:

**المسألة الأولى:** أنّ صفة الغضب وصفة الرضىٰ من الصفات التي ذكرت في القرآن والسنة في آي وفي أحاديث كثيرة:

أما القرآن:

فكقوله جلّ وعلا في الرضا: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح:١٨].

وقال جلّ وعلا أيضًا في الرضا: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[1] في غير ما آية.

وقال جلّ وعلا في الغضب: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ

(١) سورة: المائدة؛ الآية (١١٩)، التوبة؛ الآية (١٠٠)، المجادلة؛ الاية (٢٢)، البينة؛ الاية (٨).

﴿ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾[المائدة].

وقال جلّ وعلا: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾[النساء:٩٣]، وقال جلّ وعلا: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[1]، وقال: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾[البقرة:٩٠]. ونحو ذلك من الآيات.

أما السنة:

فقد قال عليه الصلاة والسلام في الرضا، في الحديث الذي فيه ذكر نعيم أهل الجنة، قال في آخره: **لمّا سألهم قال: «هل أعطيتكم؟ قالوا: نعم، قال فإني أُحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا»**، إحلال الرضوان، إحلال الرضا من الله جلّ وعلا.

ونحوه في قوله «**من لم يسأل الله يغضب عليه**»، والأحاديث في هٰذا الباب معروفة.

**المسألة الثانية:** في قوله: (يَغْضَبُ وَيَرْضَىٰ لاَ كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَىٰ)، الغضب والرضا من الصفات التي يتّصف بها الرب جلّ وعلا إذا شاء، فغضبه سبحانه ورضاه متعلّق بمشيئته وقدرته. الغضب يحِلّ ثمّ يزول، والرضا يحِل ثمّ يزول، وهكذا يعني أن الغضب ليس دائمًا والرضا ليس دائما وإنما هٰذا مرتبط بجنسه في الصفات الفعلية بمشيئة الله وبقدرته، وهٰذا هو الذي قرّره أهل الحديث والأثر وأئمة أهل السنة واستدلوا لذلك بقول الله جلّ وعلا: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ في سورة طه: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾، فدلّ علىٰ أنّ الغضب يحِلّ بعد أن لم يكن حالًّا وحلوله يدلّ علىٰ أنّه متعلق بمشيئة الله جلّ وعلا لأنه ما شاء الله جلّ وعلا كان، فإذا شاء الله أن يغضب فإنه سبحانه يغضب وإذا شاء أن يرضىٰ فإنه جلّ وعلا يرضىٰ.

وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث: «**أُحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط بعده أبدا**»، دلّ علىٰ أنّ أهل الجنّة مَنّ عليهم جلّ وعلا بأنه أحلّ عليهم رضاه فلا يسخط بعده عليهم أبدًا، هٰذا يدل علىٰ أن الرضا متعلق بمشيئة الله جلّ وعلا وإرادته وقدرته ﷻ.

هٰذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في أنّ الغضب والرضا صفات فعلية اختيارية للرّب جلّ وعلا ومن جنسها صفة المحبة والسَّخط والوَلاية والعداوة وأشباه ذلك فإنها تختلف ومتعلقة بمشيئة الله وقدرته.

أما مذاهب المخالفين في هاتين الصفتين بخصوصهما فإنّ الجهمية ومن شابههم ممن ينفون الصفات أصلا، يجعلون الآيات والأحاديث التي فيها ذكر الغضب أو فيها ذكر الرضا أنها أسماء للشيء الذي سُمِّي غضبا، يعني العقوبة هي الغضب والنعيم هو الرضا، فعندهم أن هٰذه الأشياء مخلوقات منفصلة متعلقة بمن قيل عنه: إنه غُضِبَ عليه أو رَضِيَ عنه ﷺ، فإذا نُعّم فهٰذا رضاه، يعني نفس النعيم هو رضا الله جلّ وعلا ونفس العقوبة هي الغضب، وهٰذا مذهب الجهمية ومن شابههم.

أما الكلابية وهم أول من نفىٰ هٰذه الصفات لأجل نفي تعلّقها بمشيئة الله وقدرته وتعليلهم لذلك بأن

---

(١) سورة: البقرة؛ الآية (٦١)، آل عمران؛ الآية (١١٢).



سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

إثباتها يقتضي أنّه جلّ وعلا محلّ للحوادث، ولهٰذا ذهبوا إلىٰ أنّ غضب الله جلّ وعلا واحد وأنّ رضاه واحد، فغضبه عندهم قديم، من غضب عليه فإنه لا يرضىٰ عليه أبدًا، ومن رضي عنه فإنه لا يغضب عليه أبدًا، فعندهم أنّ غضب الله جلّ وعلا ليس له تعلق بعمل العبد أو بعمل العبيد وأنّ رضاه ليس متعلقًا بعمل العبد أو بعمل العباد، وإنما هو شيء واحد، ولهٰذا يقولون: إنه من كان من أهل الجنة في العاقبة فإنه مرضي عنه ولو كان حال عبادته للوثن، ولو كان حال زناه، شربه للخمر -يعني قبل أن يُسلم-.

ومن غضب الله عليه وكانت خاتمته النار والعذاب فإنه مغضوب عليه ولو في حال صلاته وخشوعه وبكائه بين يدي الله في حال إسلامه.

وهٰذا يعني أنه إبطال لصفة أولًا، ثمّ أنه لا معنىٰ حينئذ عندهم لكتابة الحسنات للمسلم ولكتابة السيئات علىٰ الكافر في حال إيمان الأول وكفر الثاني؛ لأن الإنسان إذا أسلم فإنّ الإسلام يجبّ ما قبله، فكيف يكون مرضيًّا عنه والملائكة تكتب عليه السيئات، ثمّ هٰذا المسلم يكون خاشعًا تكتب له الحسنات، ثمّ تأتي الردّة فيحبط عمله فيكون عندهم دائما في حال الغضب وأشباه ذلك.

وهٰذا خلاف ما دلّت عليه الأدلة كما ذكرت لك في قوله: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾، «**أُحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا**»، وأشباه هٰذه الأدلة.

إذن فعندهم -عند الكلابية- وهو الذي ذهب إليه الأشعرية والماتريدية أن صفة الغضب والرضا ونحوها من الصفات أنها صفات قديمة ذاتية، يعني أنها لا تتعلق بمشيئة ولا إرادة ولا قدرة بل هي قديمة، غضب وانتهىٰ ورضي وانتهىٰ وليس ثمّ شيء يتجدّد بتعلقه بالآحاد.

**المسألة الثالثة:** نقول: الذين تأوّلوا كابن كلاب ونحوه، علىٰ النحو الذي ذكرنا لك سالفًا، هم أول من أحدث هٰذا المصطلح وهو الصفات الذاتية والصفات الفعلية، وجعلوا الباب عندهم أن إثبات صفات الفعل يعني حلول الحوادث بالرّب جلّ جلاله، وأهل السنة والجماعة استعملوا هٰذا التقسيم: الصفات الذاتية والصفات الفعلية علىٰ ما دلت عليه النصوص.

فعُرف الصفات الذاتية في أكثر من تعريف وهو اجتهاد من العلماء، لكن لعله يكون من أقربها أن **الصفات الذاتية هي الملازمة للموصوف، والصفات الفعلية هي الصفات غير الملازمة للمتصف بها، غير الملازمة للذات**، فيُعنىٰ بالملازمة التي لا تنفك عن الذات الموصوفة بهٰذه الصفة، ففي حق الله جلّ وعلا نقول الوجه صفة ذات لأنه لا ينفك، الله جلّ وعلا متصف بهٰذه الصفة دائما وأبدًا وأنه سبحانه متصف بالعظمة والكبرياء والجلال والنور وأشباه ذلك، هٰذه صفات ذاتية.

والقسم الثاني الصفات الفعلية، وهٰذه الصفات الفعلية هي غير الملازمة، يعني التي تتعلق بمشيئة الله جلّ وعلا وقدرته واختياره ﷻ، فليست ملازمة فإنها تكون في حال دون حال، وهٰذه منها ما يكون دائما صفة فعلية ومنها ما يكون آحاده صفةَ فعل واختيار وأصله صفةَ ذات ملازِمة.

مثالُ الثاني الكلام لله جلّ وعلا، فإنه سبحانه كلامه كما أنه قديم فإنه متجدد الآحاد.

ومثالُ الأول مثل صفة الغضب والرضا فإنها متعلقة بمن يغضب عليه وبمن يرضىٰ عنه، والشبهة التي

أوقعت الكلابية....[1].

لما ترك الاعتزال الذي كان عليه في أوّل أمره، ذهب يبحث عن جواب لأسئلة عنده قبل تركه للاعتزال، فوجد في جامع في بغداد أصحاب ابن كلّاب يتباحثون ومنهم من يُعَلِّم فجلس فأعجبَه كلامهم لأنهم كانوا يردُّون علىٰ المعتزلة، فأخذ مذهب الكلابية وهو المذهب الذي دَرَج عليه أصحابه -أصحاب الأشعري-، ثمّ مرّ عليه زمن في ذلك وصنّف في مذهبهم مصنفات ثم....[2]. ثمّ في قول أهل الحديث فرجع إليه فصار آخر أمره علىٰ أنّه من أهل الحديث كما هو مقرّر في كتبه كـ«الإبانة» و«مقالات الإسلاميين» ورسالة أهل الثغر أو رسائل أهل الثغر وغيرها.

المقصود من هٰذا أن هٰذه المدرسة الكلابية الأشعرية الماتريدية في هٰذه المباحث، مباحث الصفات رأيهم واحد وشبهتهم في نفي الغضب والرضا والحب والبغض والعداوة وأشباه ذلك والولاية، أنه إذا أُثبتت متعلقة بالمعيَّن فإنه يعني ذلك أن يكون الله جلّ وعلا محلًا للحوادث محلًا للمتغيرات، كيف؟ قال ابن كلّاب ومن معه إنه إذا قلنا إنها متغيرة متجددة، يغضب ثمّ يتغيّر فيرضىٰ علىٰ هٰذا ثمّ يغضب علىٰ هٰذا ثمّ..إلخ، فمعناه أنّ ذاته جلّ وعلا تتغيّر.

وهٰذا منهم لأنهم قعّدوا قاعدة، هٰذا الكلام بناءً عل تلك القاعدة لا يستقيم، ولهٰذا وجب مناقشتهم في الأصل الذي بنوا عليه هٰذا النفي -هل الله محل الحوادث أو لا؟-

فيُقال لهم: أولًا هٰذه الكلمة محلّ للحوادث أو غير محل للحوادث، هٰذه لماذا أتيتم بها؟ ولماذا قلتم هٰذا الكلام؟

فيقولون: إنا قلناه لأننا قد أثبتنا وجود الرّب جلّ وعلا، وأنه سبحانه موجود ورب وخالق للأشياء عن طريق ما أسموه حلول الأعراض أو نظرية أو قاعدة حلول الأعراض في الأجسام.

ما معنىٰ هٰذه النظرية؟

وهي التي أتىٰ بها جهم بن صفوان رأس الجهميّة الضالّة -وقد سبق أن أوضحتها لكم مفصلة، نختصرها في هٰذا المقام-، لما تفكّر في الدليل علىٰ وجود الله جلّ وعلا وعلىٰ أنّ هٰذه الأجسام مخلوقة، قال: الجسم المعين فيه صفات تتغيّر والجسم لم يختر هٰذه التغيرات.

ما هٰذه الصفات التي تتغيّر؟

قال: الصفة؛ صفة البرودة، الحرارة، صفة كثافة الجسم، امتداده وضآلته، نوعية الجسم، ارتفاعه، انخفاضه إلخ... فهٰذه أشياء لا يختارها الجسم بنفسه؛ بل هي حالّة فيه، فكونها حلّت فيه دلّ علىٰ أنه هناك مؤثِّر جعلها تَحُلُّ في هٰذا الجسم، وهٰذا يعني أنّ الجسم محتاج إلىٰ غيره، لأجل حلول هٰذه الأشياء فيه، فإذا كان محتاجًا، فإنه إنما احتاج لمن لا يحتاج، وهو الرّب جلّ جلاله.

فثبت عندهم أنّ الجسم مخلوق من جهة هٰذه الأشياء التي أسموها حلول الأعراض في الأجسام أو

---

(١) انقطاع في الصوت.

(٢)انقطاع في الصوت.



سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

حلول الحوادث في الأجسام.

فثبت عندهم وجود الله جلّ وعلا، وأنّه خالق الأجسام، وأنّه هو المستغني، وأنّ هٰذه الأجسام محتاجة محدثة بهٰذا الدليل الذي هو في أصله غلط ومخالف للكتاب والسنّة والتفكير فيه وأنّه هو دليل وجود الله جلّ وعلا، تفكير فيما لم يدل عليه نص لا من القرآن ولا من السنّة.

وإثبات وجود الله جلّ وعلا موجود في القرآن والسنة، فهم ذهبوا عن الكتاب والسنة إلىٰ العقل فهداهم عقلهم الخاطئ إلىٰ برهان غلط من أصله، وإن ثبتت به نتيجة مؤقتة؛ لكنها فيما يترتب عليها غلط فادح.

لهٰذا في القرآن، الدليل علىٰ وجود الله مختلف عن هٰذا: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾[الطور].

هنا فيه عندنا احتمالان، هل خلقت من غير شيء؟ هٰذا احتمال.

هل أنت الخالق لنفسك؟ هٰذا احتمال.

هل الإنسان هو الذي خلق السَّمٰوات والأرض؟[1]، أو يكون أنه هٰذه الأشياء كلها مخلوقة، والسبر والتقسيم يعطيك النتيجة الصحيحة لأنه برهان العقل.

كذلك التفكير في الآحاد ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾[الواقعة]. هٰذه أدلّة خلق الله جلّ وعلا الذي خلق فهو القادر علىٰ البعث ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ ما دليل صدق أنّ الله جلّ وعلا هو الذي خلق؟ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾[الواقعة]، ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقعة]، ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾﴾[الواقعة]، ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الواقعة]، إذًا فتفكير الإنسان في ضعفه وأنّ الأشياء مسخَّرة له، وأنه لم يخلق نفسه ولم يخلق ولده، وإنما جعل الله جلّ وعلا الخلق في أتفه الأسباب وهو هٰذه النُّطفة المحتقرة التي تُماط كالأذىٰ؛ ولكن جعل الله جلّ وعلا فيها سرّ الخلق لبيّن للإنسان أنه أعجز ما يكون عن الخلق؛ لأن الله أودع في هٰذا الشيء المحتقر أو في هٰذا الشيء الذي هو كالأذىٰ، أودع فيه أسرار الخلق.

فإذن البرهان علىٰ وجود الله جلّ وعلا في كل شيء:

وفي كل شيء له آية تدلّ علىٰ أنّه الواحد.

أولئك الجهمية ذهبوا إلىٰ برهان آخر فأبصَلوا ذلك، لما أتوا إلىٰ إثبات الصفات وافق جهم المعتزلة ووافقه علىٰ هٰذا البرهان الكلابية ووافقه عليه الأشاعرة والماتريديّة، فجاءوا في الصفات، مثلا الكلابية في صفة الغضب والرضا -ولا نطيل في البحث-، لمّا أتوا إليها قالوا: لو أثبتنا صفة الغضب والرضا لكان محلًا للحوادث، طيب، إذا كان محلًا للحوادث -هٰذه اللفظة لم تأت في الكتب ولا في السنة-، إذا كان محلًا للحوادث فما النتيجة؟ النتيجة أنه يبطل الدليل علىٰ وجود الله جلّ وعلا، والدليل العقلي علىٰ

---

(١) نهاية الشريط الثاني والأربعين.

وجود الله جلّ وعلا هو الأصل الأصيل الذي لا يجوز أن يُتَعَرَّض له بشيء، وإذا كان شيء يُضْعِف أو يبطل ذاك الدليل الذي هو دليل الأعراض، فإنه يجب إبطال ما يُضعفه أو يُضاده، لا أن يُبطل أصل الدليل، لهٰذا أتوا إلىٰ هٰذه المسألة في الغضب والرضا وقالوا: هٰذا معناه أنه محل للحوادث إذا كانت الأشياء بمشيئته واختياره فنفوا هٰذه الصفة.

طيب، أنتم أثبتم صفة الحياة، صفة القدرة، وصفة الإرادة، وصفة السمع وصفة البصر... وإلخ، فكيف أثبتموها؟ قالوا: تُثبت بالدليل العقلي إما بمطابقته أو بلزومه كما هو معروف في أدلتهم للصفات التي أثبتوها.

إذا في الحقيقة، أنّ الذين عناهم الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: (**وَاللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَىٰ لاَ كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَىٰ**)، أننا نُثبت الصفة ونَنفي مماثلة الرّب جلّ وعلا لأحد من خلقه في اتصافه بهٰذه الصفة، ففيها رد علىٰ الكلابية والأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم من الفرق المختلفة.

أنا اختصرتُ لكم الكلام السابق، لكن تفصيله في عدد من الشروح التي شرحتها لكم، في «الحموية» ممكن و«الواسطية»، وفي عدد فصّلنا هٰذه المسألة لأنها مهمّة في مسألة نفي الصفات.

**المسألة الرابعة**: أن الذين لا يثبتون صفة الغضب والرضا كصفة فعلية اختيارية، يتأولونها بإرادة الانتقام والعذاب بالغضب، وإرادة الإنعام والإحسان بالرضىٰ. فيقولون: إن الغضب هو إرادة الانتقام والعذاب، فجعلوها صفة الإرادة. الرضا هو إرادة الإحسان والإنعام.

لماذا أولتموها إلىٰ صفة الإرادة؟ قالوا: لأن صفة الإرادة صفة ثابتة بالعقل، فوجب رد هٰذه الصفة التي لا يصلح أن يوصف الله جلّ وعلا بها إلىٰ ما دلّ عليه الدليل العقلي، فصفة الإرادة نعم دلّ عليها الدليل العقلي، هٰذا صحيح، كما دل عليها الدليل السمعي؛ ولكن تسميتكم لهٰذا تأويلا هو في الحقيقة نفي للصفة؛ لأن صفة الإرادة دلّ عليها العقل ودل عليها السمع كما عندهم، فكونكم تقولون: لا يتصف بالغضب، لا يتصف بالرضا وإنما يتصف بالإرادة، الإرادة أقسام: إرادة غضب، إرادة انتقام، إرادة إحسان، إرادة خلق... إلخ، لكن هي تبقىٰ صفة إرادة.

فإذن لما أولوا الغضب والرضا بالإرادة، فإنهم يعني ينفون صفة الغضب والرضا.

ولهٰذا في الحقيقة الذي يتأول الصفة بصفة أخرىٰ فإنه ينفي الصفة، فكل متأوّل نافٍ للصفة التي يقول: إنَّها لا تصلح في حق الله جلّ وعلا.

ولهٰذا يدخل في نُفَاة الصفات عند السلف -مسمىٰ نُفاة الصفات-، يدخل فيه الجهمية الذين ينفون جميع الصفات، والمعتزلة الذين ينفون جميع الصفات إلا ثلاث صفات، ويدخل فيه الكلابية الذين ينفون جميع الصفات إلا صفات سبع ومعهم الأشاعرة، ويدخل فيهم الماتريدية الذين ينفون جميع الصفات إلا صفات ثمان، وهكذا فمسمىٰ نُفاة الصفاة يدخل فيه كل هٰذه الفرق في بعض الأحيان.

وهٰذا في الحقيقة تعدٍّ علىٰ الشريعة وعلىٰ النص لأنهم ينفون -وحاشانا من ذلك- ما أثبته الله لنفسه وأثبته له الرسول ﷺ، فهل يتجاسر مسلم؟ هل يتجاسر علىٰ أن ينفي شيئًا وصفه الله جلّ وعلا؟ وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ؟

فتقول لهم: الله يغضب، يقولون: الله لا يغضب، ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾[النساء:٩٣]، يقولون: لم يغضب عليه وإنما أراد به الانتقام وهكذا، ولكن لأجل الشبهة عندهم فإنهم يكونون من أهل البدع لعدم متابعتهم للسلف في هٰذه المسائل وإحداثهم لبدعة التأويل في هٰذه النصوص الغيبية ولا يُكَفَّرُون في تأويلهم لأجل الشبهة التي عندهم.

**المسألة الخامسة والأخيرة:** قوله هنا: (لاَ كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَىٰ)، يعني لا كأحد من الخلق، فإن غضب الإنسان يناسبه ورضا الإنسان يناسبه، وغضب الرب جلّ وعلا ورضاه ومحبة الرب جلّ وعلا وبغضه ﷻ وهكذا جميع الصفات هٰذا بما يليق بجلاله جلّ وعلا وعظمته، فالصّفات تناسب الذات، صفات الإنسان تناسب ذاته الحقيرة الوضيعة -وحقيرة يعني لا باعتبار أنه مكرّم، وحقيرة بإعتبار ضآلته وضعفه وحاجته، وإلا فهو مكرّم-، صفة الإنسان تناسب ذاته الضعيفة الفقيرة المحتاجة، وصفة الرب جلّ وعلا تناسب ذاته الكاملة العلية الجليلة الجميلة جلّ جلاله وتقدست أسماؤه.

فإذًا بين الصفة والصفة كما بين الذات والذات، فذات الرب جلّ وعلا لا يمكن أن تُقارن ذات المخلوق بها بأي شكل من الأشكال فكذلك صفاته جلّ وعلا لا يمكن أن تقارن صفات المخلوق بها.

إذا تبين ذلك فإنه إذا أُطلق اللفظ؛ لفظ الصفة: غضب، رضا، محبة، إلخ... فإن بعض الناس يأتي في ذهنه معنىٰ للغضب، يأتي في ذهنه معنىٰ للرضا، وذلك لأن الإنسان لم يستقبل المعاني إلا لما رأىٰ المسمّيات؛ يعني لم يفهم الشيء إلا لما رأىٰ صورة أمامه جعلت المعنىٰ يرتبط في ذهنه بهٰذه الصورة، وإلا في الحقيقة فإنّ هناك **ثلاثة أشياء** في أبواب الصفات:

**الشيء الأول**: المعنىٰ الكلي للصفة، ما معنىٰ المعنىٰ الكلي؟ يعني غير المتعلق لا بالرب جلّ وعلا وغير المتعلق بالإنسان بالمخلوق، معنىً كلي. هل في الحقيقة في الحياة، هل في الوجود هناك معنىً كلي تراه يمشي أمامك؟ إنما المعاني الكلية من اللغة ودلالات الألفاظ من حيث المعنىٰ هٰذه إنما موجودة في الذهن للتّصوّر، هٰذا التصور لا يُدركه كل أحد؛ لأن جمهور الخلق إنما يتصوّرون من المعاني بعد رؤية الصّور التي تدلهم عليها، فلا يتصور شيئا لم يره، لا يتصور شيئا؛ لأنه لا يمكن أن يتصور شيء قدرته ما تستوعبه، لهٰذا نأتي هنا إلىٰ:

**الشيء الثاني** وهو الصفة، أو هٰذا المعنىٰ الكلي المضاف إلىٰ الله جلّ جلاله.

**الحالة الثالثة**: المعنىٰ الكلي المضاف إلىٰ المخلوق المعيَّن.

فإذا أُضيف المعنىٰ الكلي إلىٰ المخلوق فإنه في الحقيقة لا ينطبق كليا وإنما لابد أن يتخصص بشيء، يدلّ عليه أنك ترىٰ في السمع مثلًا فإن البعوضة لها سمع وبصر، والإنسان له سمع وبصر، هل نقول هنا: السمع والبصر هو كلي في الإنسان وفي البعوضة؟، لا، وإنما هو كلي من جهة فهمك ما معنىٰ السمع، ما معنىٰ البصر، فإذا كان عندك قدرة لاستيعاب المعاني الكلية دون تأثير لما ترىٰ وما تسمع للمعاني والقواعد التي في ذهنك، فإنه يمكن أن تتصور المعاني الكلية، وإلا فإنه في الخارج، في الواقع، في الحياة، لا يوجد إلا مخصصا، تقول: سمع الإنسان وبصر الإنسان، سمع المخلوق، سمع البعوض وبصر البعوض، سمع الفيل وبصر الفيل، سمع الوطواط وبصر الوطواط، وهكذا...

الغضب والرضا، المولود الذي وُلد أليس عنده أساس من الرضا والغضب؟ يرضىٰ عن والديه فيفرح ويبتسم ويغضب فيعبر بطريقة أخرىٰ، هل تعبير الطفل في غضبه ورضاه هو كتعبير أبيه في غضبه ورضاه؟ لا.

بل الإنسان في نفسه لما كان طفلا فإنه يعبّر عن غضبه ورضاه بشيء، وإذا صار شابًّا يعبر عن غضبه ورضاه بشيء، وإذا صار كهلا وشيخا فإنه يعبّر عن رضاه وغضبه بشيء.

وهٰذا يدلّك علىٰ أن هٰذه المعاني لا يمكن أن تُنفىٰ عن الله جلّ وعلا وهٰذه الصفات باعتبار النظر للمخلوق، لأن أصلا المخلوقات تختلف في حياتها وتختلف في آثار الغضب والرضا، وكيف يغضب ومتىٰ يغضب وإلخ...

فإذا كان المخلوق يختلف فالله جلّ وعلا له المثل الأعلىٰ والصفات العليا.

وهٰذه قاعدة مهمة فاستمسك بها في الرد علىٰ المتأولين في الصفات والخائضين في عموم الغيبيات، فاستمسك بها وادرسها شيئا فشيئا فإنها مهمة، لهٰذا نقول: إن الذين يقولون: الغضب والرضا هو الإرادة نفوا الصفة ونفيهم لهٰذه الصفة لأجل اتصاف المخلوق بها، فإن هٰذا تعدّ علىٰ النص، وأيضًا جهل في العقليات علىٰ الحقيقة.

نستمر أو نقف؟ بقي صفحتان فقط إن شاء الله تعالىٰ وكلها سهلة، إن شاء الله ننتهي بإذن الله تعالىٰ قريبًا.

[الأسئلة]

بالمناسبة بعض الإخوة الذين يحضرون بارك الله في الجميع ربما أول مرة يحضر أو ما سبق أنه درس الكتب الأولية، هٰذا يأخذ من الكلام ما يستوعبه، ويهتم بدراسة الكتب التي قبل «الطحاوية» وقبل هٰذا التفصيل، مثل «لمعة الاعتقاد» و«الحموية» و«الواسطية» إلىٰ آخره حتىٰ يصل إلىٰ هٰذا؛ يعني شيئا فشيئا، الدرس المستويات فيه مختلفة لكن جعلناها للمتوسطين في الغالب.

سؤال (٤٤٠): هل المعتزلة والكلابية في تأويل في الصفات مجتهدين عند تأويلها، وإذا كانوا مجتهدين هل ينكر عليهم وهل يحصل لهم ثواب علىٰ اجتهادهم لقوله عليه السلام: «**من اجتهد فأصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر**»؟

الجواب: أولا هم مجتهدون نعم؛ لكن لم يؤذن لهم في الاجتهاد، لأنهم اجتهدوا بدون أن يأذن لهم الشرع بالاجتهاد.

فالاجتهاد يكون في المسائل التي له فيها أن يجتهد، أما مسائل الغيب والصفات والجنة والنار والشيء الذي لا يُدركه الإنسان باجتهاده فإنه إذا اجتهد فيه فيكون تعدىٰ ما أذن له فيه، والمتعدي مؤاخذ، ولهٰذا لاشك أنهم ما بين مبتدع بدعته كفرية وما بين مبتدع بدعته صغرىٰ يعني بدعة معصية.

والواجب علىٰ كل أحد أن يعلم أن اجتهاده إنما يكون فيما له الاجتهاد فيه، وهٰذا يختلف باختلاف الناس فيها، العلماء علماء الشريعة يجتهدون الأحكام الشرعية الأحكام الدنيوية التي فيها مجال الاجتهاد، أما الغيب فلا مجال فيه للاجتهاد ولم يؤذن لأحد أن يجتهد فيه بعقله.

لكن إذا اجتهد في فهم النصوص؛ في حمل بعض النصوص علىٰ بعض، في ترجيح بعض الدلالات علىٰ بعض، هٰذا من الاجتهاد المأذون به سواء في الأمور الغيبية أم في غيرها.

لكن أن يجتهد بنفي شيء لدلالة أخرىٰ ليست دلالة مصدر التشريع الذي هو الوحي من الكتاب والسنة، في الأمور الغيبية، مصدر التشريع الكتاب والسنة، فإنه ليس له ذلك.

فلذلك لا يدخل هؤلاء -من المعتزلة والكلابية ونفاة الصفات أو الذين يخالفون في الأمور الغيبية- لا يدخلون في مسألة الاجتهاد وأنه إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطا فله أجر، وإنما هم مأزورون لأنهم اجتهدوا في غير ما لهم الاجتهاد فيه، والواجب أن يسلّموا لطريقة السلف وأن يُمروا نصوص الغيب كما جاءت وأن يؤمنوا كما دلت عليه.

**لهٰذا نقول**: قد يكون لهٰذا المبتدع أو لهٰذا الموافق لمبتدعة أو لهٰذا المتأول أو لهٰذا المتكلّم في الغيب برأيه وعقله مع وزره وإثمه وبدعته، قد يكون لهم من الحسنات ما يمحو تلك السيئات؛ لأن البدعة والتأويل وأشباه ذلك بدعة صغرىٰ معصية وكبيرة من جنس غيرها من الذنوب؛ ولكنها هي -يعني من جنس غيرها بأنه يأثم فيها- لكنها هي أعظم لأن جنس البدع أعظم من جنس الكبائر والذنوب، قد يكون له حسنات عظيمة مثل مقام عظيم من الجهاد في سبيل الله، أو نصرة للشريعة في مسائل كثيرة ونحو ذلك، ما يكفّر الله جل وعلا به خطيئته أو تكون حسناته راجحة علىٰ سيئاته، ولكن من حيث الأصل ليس له أن يجتهد، وهو آثم بذلك؛ ولكن ربما يكون عفو الله جل وعلا يدركه.

ولهٰذا لما ذكر ابن تيمية في أول «الواسطية» -وهٰذه مهمة- في أول الواسطية لما ذكر قال: هٰذا اعتقاد الفرقة الناجية الطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة.

وعقدوا له المحاكمة علىٰ هٰذه العقيدة قالوا: ما تعني بقولك الفرقة الناجية؟ قال: يعني الناجية من النار.

قال: هل يعني هٰذا أنك تقول إن من لم يؤمن بهٰذه العقيدة يقول بها جميع ما أوردت أنه من أهل النار؟ قال: لم أقل هٰذا ولا يلزم من كلامي. لأن هٰذه العقيدة هي عقيدة الفرقة الناجية الطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة فمن اعتقدها فهو موعود بالنجاة وبالنصر موعود بالنجاة من النار، «**كلها في النار إلا واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**من كان علىٰ مثل ما أنا عليه وأصحابي**» ومعلوم قطعًا..... فهو علىٰ ذنب وقد يغفر الله له فلا يُدخله النار لا يعذبه بالنار ابتداء يغفر له الله؛ لأن هٰذا دون الشرك؛ وقد يغفر الله له بحسنات ماحية، وقد يغفر الله جل وعلا له بمقام صدق في الإسلام كجهاد ونحوه إلىٰ آخره؛ لكنه متوعد لأنه أتىٰ أو قال بغير دليل، لهٰذا ليس لأحد أن يجتهد في الغيبيات بما لم يوقف فيه علىٰ دليل.

سؤال (٤٤١): أليس الغضب والرضا متعلِّق حصوله بمسبَّبات، ليس كما قررنا أنه متعلق بالمشيئة والقدرة، فإذا حصل سبب الرضا حصل رضا الله جل وعلا، ومثله يقال في الغضب، فيقال: رضا الله أو غضبه متعلق بمشيئته إذا حصل السبب، وضح لي ما اشتبه عليَّ.

الجواب: هٰذا غير خاص الذي تفضل به أو ذكره السائل غير خاص بالغضب والرضا، كلها يعني المغرفة متعلقة بالسبب، الرحمة متعلقة بسبب، إجابة الدعاء متعلقة بسبب، كلام الله جل وعلا تنزيله

القرآن متعلق بسبب ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[المجادلة:١]، متىٰ صار؟ بعد أن تكلمت وجادلت، ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾[الأحزاب:١٨]، هٰذا بعد سبب.

فإذن فتعليقه بالسّبب الذي من العبد ليس هو بحث في الصفات بحث المراد، إنما المراد إنما يتّصف الله جل وعلا بهٰذه الصفة إذا شاء ﷻ، إذا شاء ﷻ فإنه يتصف بها؛ يعني إذا أراد الله جل وعلا أن يغضب غضب، فقد لا يغضب فلا يلزم من وقوع الشرك الذي يغضب الله جل وعلا أن يغضب ﷻ؛ بل قد يغضب وقد لا يغضب وإذا وقع ما يرضىٰ عنه جل وعلا فإن رضاه ﷻ متعلق بمشيئته وقدرته.

أما الأسباب من العبد فهٰذه في الجميع.

سؤال (٤٤٢): هٰذا يقول: صفة الغضب والرضا كصفة الكلام قديمة الأصل متجددة الآحاد، هل يقال بهٰذا؟

**الجواب**: الكلام يختلف عن صفة الغضب والرضا، كلام الله جل وعلا منه الكلام الكوني الذي به تكون المخلوقات، فالله جل وعلا خلق الماء بكلامه الكوني، وخلق العرش بكلامه الكوني جل وعلا، وخلق الهواء بكلامه الكوني، وخلق القلم بكلامه الكوني، وخلق اللوح المحفوظ بكلامه الكوني، خلق السَّمٰوات والأرض ومن فيها من المكلفين وما فيها من المخلوقات ومن يغضب عليه ويرضىٰ عليه بكلامه الكوني.

الغضب والرضا صفة فعلية تقوم بمشيئته جل وعلا وبقدرته، أما أنها كالكلام في هٰذا فلا أعلم هٰذا ممن قرره أهل العلم بأنها قديمة النوع حادثة الآحاد، أنا لا أعلمه يمكن نبحثها زيادة أو يبحثها أحد الإخوان ويفيدنا بها.

شيخ الإسلام رسالة مستقلة في المسألة ممكن أراجعها، له رسالة في الصفات الاختيار تعرفونها؟ موش في الفتاوىٰ، مستقلة في مجموعة الرسائل الدكتور محمد رشاد سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أول رسالة في الصفات الاختيارية، بحث كل هٰذا، يمكن مراجعتها ونجدد المعلومة في الدرس القادم.

سؤال (٤٤٣): هل لكم دروس غير درس السبت والخميس، وهل سيكون دروس بعد الطحاوية؟

**الجواب**: إن شاء الله تفاءل بالخير، يعني خلاص الطحاوية ثم نقف! أنا عندي في الغالب السبت والخميس هٰذه ثابتة وفي باقي الأسبوع يكون عندي يوم الثلاثاء والخميس أو الثلاثاء أو الخميس والجمعة إما محاضرات أو أشياء تتعلق بمدارس تحفيظ القرآن أو زيارات فيها إرشاد ونحو ذلك.

سؤال (٤٤٤): هل دعاء الأئمة في قنوت الوتر بالمكروفون الخارجي علىٰ المنـ...؟

**الجواب**:... كونه يطلع بَرَّ أو ما يطلع هو نظر إلىٰ أنه [جفاء] يعني فيه رفع الصوت قال: «**أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فناديه**» قال: «**الذي تدعون أقرب إلىٰ أحدكم من عنق راحلته**» هٰذا كونه يدعو بصوت خافت ويسمع في الخارج ليس هٰذا من الاعتداء في الدعاء.

سؤال (٤٤٥): يقول: نرجو من فضيلتكم تقرأه علىٰ ما هو عليه، التعليق علىٰ هٰذه الكلمة، إلىٰ آخره.

الجواب: الكلمة أعرفها، وأعرف من قالها وهٰذه طريقة الأسئلة أنا ما أحبها من قديم، الواحد ما يجيي؛ يعني يأخذ المتكلم أو يأخذ الشيخ أو المعلم يسأله عن كلمة هو ربما ما يعرف من قالها، ثم يقال

أنه فلان يقول الشيخ الفلاني كذا وكذا، هٰذه كلمة معروفة أُثيرت هٰذه الأيام ولهٰذا السؤال يكون واضحا ليكون الجواب واضحا.

المقصود أن كون الأشاعرة من أهل السنة والجماعة أم لا، فبعض علماء الحنابلة المتأخرين أو أكثر المتأخرين ممن صنفوا في عقيدة السلف وهم لم يحققوا هٰذا الأمر عَدّوا أهل السنة والجماعة ثلاثة فئات:

أهل الحديث والأثر. والأشاعرة. والماتريدية.

مثل ما فعلها السفاريني وفعله أيضا غيره، وهٰذه مشت علىٰ كثيرين وتبناها أخيرا تبناها بعض الجماعات الإسلامية ووسعوا الكلام فيها كما هو معلوم.

ولكن في الحقيقة كلمة أهل السنة الجميع من أهل السنة ولاشك؛ لأن السنة لأنهم جميعا يحتجون بالسنة ويؤمنون بها إلىٰ آخره؛ لكن الجماعة كلمة الجماعة كل يدعيها، الأشاعرة يقولون: نحن أهل السنة والجماعة، الماتريدية يقولون: نحن أهل السنة والجماعة، وربما ما يفرق بينهما، فالجميع يقولون أهل السنة والجماعة يعنون الأشاعرة والماتريدية. أهل الحديث والأثر يقولون: نحن أهل السنة والجماعة.

وإذا نظرت للحقيقة كل يدعي وصلا بالجماعة؛ لكن هل يصح ادعاؤه أو لا يصح؟

كلمة (الجماعة) هنا معناه الذي لم يفرّق في الدين، ما كانت عليه الجماعة الأولىٰ وهم الصحابة والتابعون، فهل أقوال هؤلاء فرّقت في الدين؟ وهل هي علىٰ ما كان عليه الأوائل أم لا؟

فإذا أتىٰ الجواب جاءت النتيجة، فإذا كان فعلا هم علىٰ ما كان عليه الأوائل؛ يعني الأشاعرة ونحوهم وبعض الفرق الموجودة الآن والجماعات الإسلامية وغيرها، إذا كانوا علىٰ ما كان عليه السلف فحافظوا علىٰ الجماعة الأولىٰ ممن لم يفرقوا بين دليل ودليل خاصة في الأمور الغيبية في مسائل العقيدة، ولم ينفوا شيئا بل أثبتوا كما أثبت الله جل وعلا، فإن هؤلاء من الجماعة، لكن إذا كانوا يفرطون ويتأولون ويتعرضون للغيبيات؛ بل يخالفون في معنىٰ كلمة التوحيد في أول واجب وفي الإيمان يخالفون، وفي القدر يخالفون، وفي الصفات يخالفون، وفي مسائل أُخر أيضا في العقيدة يخالفون ما كان عليه السلف كيف نقول إنهم متمسكون بالجماعة.

التمسك بأهل السنة والجماعة ليست دعوة وليست منحة يُمنحها الإنسان باختياره، نقول فلان من أهل السنة والجماعة أو لا، ليست مزاجا وليست عقلا وليست هبات توزع علىٰ الناس، هٰذا وصف جاء في الكتاب والسنة بأن الذي فرق دينه ليس من الجماعة، ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾[الشورىٰ:١٣]، نقول: إن الله جل وعلا وصف بالسمع والبصر ما نتأوله؛ لكن الغضب والرضا نتأوله يعني نقول هي الإرادة. يعني ما يغضب؟ نقول: نعم ما يغضب.

فالذي يعبده صنم نقول مثلا: خالد بن الوليد لما علا جبل أحد وأصبح يرمي النبل علىٰ النبي ﷺ والسهام علىٰ النبي ﷺ وعلىٰ الصحابة وقُتل من قتل من شهداء أحد، في تلك الحال كان مغضوبا عليه أو

مرضيا عنه؟ عندهم أنه مرضي عنه لأنه أسلم بعد خمس سنين أو ست سنين.

إذن ثم مخالفة ودخول في صفات الله بالعقليات هٰذا خطا كبير.

الأصل الأصيل عندهم أن الشرع تبع العقل لهٰذا يقول قائلهم: العقل هو القاضي والشرع هو الشاهد. يعني القاضي الذي يقضي في الخصومات هو العقل الشرع شاهد نجد الدليل من الكتاب والسنة شاهد لكن يرجع إلىٰ عقله، صح ما الشاهد؟ ما صح ما احتج به، قال لا لازم نشوف لنا طريقة، هٰذه لاشك أنها ليست طريقة الجماعة.

الجماعة هم الذين لم يفرقوا في الدين، أخذوا ما جاء من الله جل وعلا وما جاء من الرسول ﷺ أخذا واحدا.

نفرق!! نأخذ بآية هٰذه نسلم نمر بها نثبتها وآية أخرىٰ لا، ما نثبت، ليش ما تفرق بين هٰذا وهٰذا؟ ما الفرق بين مسائل الصفات بعضها مع بعض؟ ليش تقول هٰذا يرىٰ الله في الآخرة أن تقول لكن إلىٰ غير جهة، ترد علىٰ المعتزلة بخلق القرآن وأنت تقول أن الذي بين أيدينا مخلوق لكن القديم غير مخلوق؛ يعني إذن فيه أشياء كثيرة عند الأشاعرة والماتريدية وأشباههم خالفوا فيها الجماعة قبل أن تتغير الجماعة.

الجماعة ما هي؟ قبل أن تحدث هٰذه الأقوال، نرىٰ، يعني قبل أن تحدث القول في الصفات، ما الذي كان عليه المسلمون قبل ذلك، مائة سنة الناس ما يعرفون التأويل يكونون علىٰ ضلال، أو يكون غيرهم أدرك الصواب وما هم ما يدركوه، فيهم الصحابة، حدث الخوارج قول الخوارج بعده ننظر إلىٰ ما كان عليه الناس قبل ظهور الخوارج؛ قبل الصحابة ما الذي كانوا عليه في مسائل الإيمان مسائل الأسماء والأحكام التكفير إلىٰ غير ذلك ما الذي كانوا عليه، لاشك أنه هو الجماعة في مسألة الإيمان ومسألة الأحكام والأسماء، ما قبل ظهور الخوارج، ظهر بعد ذلك القدرية غيلان الدمشقي ومعبد الجهني إلىٰ آخره، في مسائل القدر الجماعة ما قبل خروجه، تبحث عما قبل، هل ما قبل يدل علىٰ شيء ما فيه شك.

ولهٰذا عندك الذين ذكروا أنهم من الأشاعرة إلىٰ آخره، أن الأشاعرة من أهل السنة والجماعة، نقول: أهل السنة نعم؛ لكن الجماعة نحن نود ونرغب ونتمنىٰ أنهم من أهل السنة والجماعة حقيقة وليست منحة ولا هوىٰ؛ لكن هل كانوا علىٰ الجماعة لاشك أن أهل العلم أمناء في الأوصاف التي علّقها الله جل وعلا بمن وعده بالنجاة، أمناء لا يجوز لهم أن يوزّعوا الأوصاف بمحض اجتهادهم هٰذا كذا وهٰذا كذا، لا هم أمناء علىٰ الشريعة، فلابد أن يؤدوا الشريعة علىٰ ما أؤتمنوا عليه، يطاعون ما يطاعون، لايد يكون ما عنده؛ لكن يأتي أسلوب ما يقول به، أن يقول بالتي هي أحسن؛ لكن الكلمة في نفسها لابد أن تكون حقا واضحة، لا مداهنة فيها ولا مجاملة.

الجماعة وصف شرعي، من تحقق به وُصف به، ومن لم يتحقق به فإنه لا يوصف، ولاشك أن هٰذا مما الناس فيه خاصّة المنتسبين للعلم والبحث والناس فيه متنوعون، فممن يغلو إلىٰ أحد الطرفين وممن يتساهل فيجعل الأمور تمشي ودون أمانة في الحكم، ومنهم من توسط، وهم الذين تمسكوا بهدي السلف الصالح وبطريقة الجماعة لأنهم لم يقولوا علىٰ الله جل وعلا بلا علم.

أسأل الله جل وعلا أن يوفّقكم جميعا لما فيه صلاحكم في دنياكم وفي آخرتكم، وأن يقينا وإياكم العثار وأن يبارك لنا في الأعمار إنه سبحانه رحيم جواد، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

## الدرس الثاني والخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد..

[**الأسئلة**] بين يدي الدرس نجيب علىٰ بعض الأسئلة.

سؤال (٤٤٦): أليس البحث والتدقيق في بعض الأمور الغيبية والمستقبلية وكثرة المباحثات والمطارحات فيها، يعتبر من فضول العلم وإشغال النفس فيه إشغال بالمفضول عن الفاضل، وذلك كبحث هل الحوض قبل الصراط أو بعده، وكبحث كِفَّتي الميزان، وهل هما حقيقتان أم لا، ونحو ذلك من المسائل؟

الجواب: هٰذا السؤال مفيد؛ لأنه ينبئ عن رغبة في طريقة السلف في بحث المسائل العلمية العقدية، سواء كانت من مسائل الغيب خالصة أم من المسائل التي جرىٰ فيها البحث.

والأصل لكل مؤمن أن يكون طالبا للحق الذي ذكره الله جل وعلا في كتابه أو ذكره النبي ﷺ في حديثه، وطلب الحق في هٰذه المسائل أو طلب العلم في معنىٰ آي القرآن أو حديث النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ هٰذا هو طلب العلم النافع، والآي والأحاديث التي فيها ذكر المسائل الغيبية، تارة يكون بحث أهل العلم فيها فيما دل عليه النص، وتارة يكون البحث فيها من جهة الرد علىٰ الذي خالف النص.

أما الأول كبحث الميزان مثلا، هل له كفتان أم لا؟ فقد جاء في القرآن أن الميزان يوضع ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾[الأنبياء:٤٧]، وقال أيضا: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾[المؤمنون]الآية، وكذلك قوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾[الزلزلة].

وهٰذا فيه إثبات الميزان والموازين، وأنها توزن بها الأعمال، وأنه يعلم الناس؛ يعلم المؤمن إذا ثقل الميزان وإذا خفّ، وهٰذه الإيمان بها واجب لأن الله جل وعلا أخبر بها، هٰذه المسائل الغيبية.

والسنة دلت علىٰ أن الميزان له كفتان كما في أحاديث كثيرة، وأن مقتضىٰ الوزن مقتضىٰ الوزن أن يكون له كفتان.

لهٰذا من دار حول دلالة الكتاب والسنة فهٰذا عقيدة، وليست من فضول العلم بل هٰذا من العلم النافع الذي يؤمر طالب العلم بتتبعه والإيمان به؛ لأنه ما أخبر الله جل وعلا به إلا ليؤمَن به ويعتقد، وما أخبر النبي ﷺ بذلك إلا لأنه من العلم النافع.

أما المسألة الثانية أو الشق الثاني فإنهم يبحثون في مسائل لم يدلَّ الدليل علىٰ عين المسألة ولكن لابد من الخوض فيها ردًّا علىٰ المخالفين، الأصل في هدي الصحابة رضوان الله عليهم هو إمرار النصوص التي جاء بالكتاب والسنة والإيمان بها والعلم بذلك الحرص عليه وتتبع العلم في هٰذه المسائل، هٰذا ظاهر.

لكن تفصيل الكلام في المسائل لم يأتِ الدليل بها ومن جهة التعريفات ومن جهة الدلائل ومن جهة

بعض الألفاظ الإيضاحية أو ذكر بعض المسائل الخلافية، مثل هل الحوض قبل أو الصراط قبل، وهٰذه المسائل ليس فيها نص عن الصحابة ليس فيها قول واضح عنهم، ونشأ كثير من المسائل نشأ القول فيها لأجل المخالفين، فكثير من مسائل الأسماء والأحكام التي يتكلم فيها الخوارج والمعتزلة لم يتكلم فيها الصحابة بالتفصيل، تكلم فيها من بعدهم ردا علىٰ هٰذه الفئات لما قويت ولم يندحر شرها.

كذلك في مسائل القدر فإن الصحابة تكلموا في الرد علىٰ القدرية النفاة الذين أنكروا العلم، واشتد إنكارهم علىٰ ذلك وأتوا بالأدلة التي فيها إثبات أن من قدر الله جل وعلا وعلمه ﷻ بالأشياء قبل حدوثها العلم السابق الأزلي وأن الأمر[1]... السنة وإبقاء دلالة القرآن والسنة وتوجيه الناس إلىٰ الإيمان بهما وعدم البعد عنهما، فإذا جاء من يشكّك في الدلالة دلالة الآية عن العقيدة أو دلالة السنة عن العقيدة بأقوال وتعريفات وجب الدخول معه بقدر ما يدفع به شره والصائل يجب دفعه بحسب القدرة، والصِّيال العلم علىٰ أصول الشريعة علىٰ الكتاب والسنة هٰذا أعظم من الصِّيال علىٰ الأبدان لأن أصل....ولهٰذا صار أعظم الجهاد: الجهاد بالعلم أعظم من جهاد العدو الذي هو الجهاد غير المتعين، الجهاد العلمي أعظم؛ لأنه به الحفظ حفظ الشريعة وليس حفظ الثغور أو حفظ بيضة الإسلام بها حفظ الشريعة وبقاء هٰذه الشريعة للناس حتىٰ يتحقق قول الله جل وعلا: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾[الفرقان] وأعظم ما يوغر العدو المحافظة علىٰ العلم والبقاء عليه، والآن بل قبل ذلك بأزمان إلىٰ الآن الشهوات والحروب علىٰ الأبدان هٰذه فيها مد وجزر؛ يعني تارة يقوىٰ أمر المؤمنين وتارة يضعف، والله جل وعلا يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران:١٤٠] لكن الصِّيال علىٰ العلم وعلىٰ الكتاب والسنة وعلىٰ دلائل ذلك وإلقاء الناس بالشبه وبعدهم علىٰ دلائل الشرع هٰذا هو الذي يزيل الإيمان والذي به تحصل الشبه ويقوىٰ جانب الشيطان في البعد عن الديانة.

لهٰذا ما يتكلم فيه أهل العلم وخاصةً المحققين ليس من فضول العلم في مسائل الاعتقاد لأن هٰذا بحسب الحال.

نعم قد يأتي زمان يكون فيه بحث بعض المسائل من الفضول؛ لأنه ليس ثم حافز إليها في ذلك الزمن، فيكون بقاؤها عند طائفة قليلة من أهل العلم كفرض كفاية؛ لكن بحثها -وليس ثم حاجة إليها- ليس هٰذا من صنيع أهل العلم.

لذلك العلماء يذكرون للناس في كل زمان ما يحتاجون إليه، وليس كل ما يعلمون وليس كل ما في الكتاب ينقلون إليهم؟ لا، ما يحتاجون إليه بحسب ما يعلمون من الزمن وما فيه من مضادة للأدلة ونحو ذلك.

لهٰذا مثلا تجد أنه عندنا في الدروس نفصّل في أقوال الأشاعرة والماتريدية والرَّد عليها أكثر من أقوال المعتزلة؛ لأن المعتزلة أقوالهم الباقية الآن أقوال قليلة مثل يعني بعض المسائل المشهورة، أما الآن أكثر التآليف وأكثر المضادة والذين ينسبون إلىٰ السلف التأويل، إنما هي من جهة الأشعرية والماتريدية

---

(١) نهاية الوجه الأول من الشريط الثالث والأربعين.

ونحو ذلك، ففهم مذهبهم الآن لطلاب العلم لأجل كثرة الاختلاط وكثرة الكتب المؤلفة في التشكيك في حقيقة مذهب السلف، هٰذا هو المتعيِّن لهٰذا يختلف هٰذا باختلاف البلد وباختلاف الزمان والمكان.

قد يذهب الذاهب إلة بلد ويرىٰ الحاجة فيها إلىٰ تفصيل أقوال لا يحتاجها بلد آخر في بعض المسائل، يكون في بلد الناس لا يعلمون، فذكرها والتفصيل فيها ليس من المناسب، فطالب العلم يكون ربانيا يعلّم الناس ما يحتاجون إليه في فهمهم للشريعة وفي جاهدهم ضدّ الذين عقدوا ألوية البدعة.

سؤال (٤٤٧): من قسم الدعاء إلىٰ دعاء عبادة ودعاء المسألة، أين دعاء الثناء؟

الجواب: دعاء الثناء هو دعاء العبادة، لأن الثناء علىٰ الله جل وعلا عبادة، فإذا أثنىٰ علىٰ الله جل وعلا في دعائه فدعا دعاء عبادة.

من أثنىٰ علىٰ الله جلّ وعلا في دعائه فقد دعا دعاء العبادة.

سؤال (٤٤٨): ذكرتم في كتابكم «المنظار» أن الخوف من الجن يدخل في خوف السر الذي عدّه العلماء من الشرك الأكبر، فهل هٰذا علىٰ إطلاقه؟ وهل ينطبق ذلك الذي يخاف الجن في المناطق الموحشة كالصحاري والبيوت المهجورة؟

الجواب: لا، هو معنىٰ خوف السر، خوف السر ضبطه العلماء في شرح «كتاب التوحيد» في مسألة الخوف، خوف السر أن يخاف المرء من غير الله جل وعلا في إيصال الأذىٰ إليه بدون سبب، هٰذا هو الذي يختص الله جل وعلا به، الله جل وعلا يقدّر علىٰ العبد مرض بدون سبب يعلمه يقدّر الموت بدون سبب بدون ما يعلم، أما إذا كان الشيء له سبب ظاهر أو كان له سبب؛ لكنه يخشىٰ أن يكون الجني يتسبب فيه فيما يكون سببا طبيعيا مثل الخوف من الدخول في الأماكن المهجورة أو في الظلام أو نحو ذلك يخاف من الشياطين أو الجن هٰذه أسباب.

لكن خوف السر أن يخاف أن يناله الولي أو أن يناله الجني أو نحو ذلك بغير سبب؛ يعني أن يعتقد أن عنده قوة وتصرف حيث يؤذيه بدون سبب، هٰذا ليس بحق ما ممكن للجني أن يؤذي العباد بدون سبب، الجني هو مثل الإنسي لا يؤذي بدون سبب.

فإذا خاف أن يوصله الإيذاء بدون أسباب يعني لا اعتداء من الإنسي ولا فعل أو شيء يدل عليه من الجني، هٰذا لا يجوز.

وإذا كان الخوف -خوف الطبيعي- ليس خوف اعتقاد إنما ناتج عن ضعف الإنسان، وليس خوف اعتقاد في الجن وإنما يخاف من إيذائهم واعتدائهم في مثل البيوت، فهٰذا قد يدخل في الخوف الطبيعي الذي يخشاه الإنسان ولا يدخل في الخوف المحرم ولا في الخوف الشركي.

فإذن المسألة ليس علىٰ إطلاقها ولكن يوضحها لك ضابط خوف السر الذي وصفته لك.

... بدون سبب يمكنهم أن يعملوه، ليس بدون سبب ظاهر، قد يكون هو سبب خفي قد يعمل وسيقول: للجني سبب خفي ما أدري عنه، يعني يكون هو بدون سبب يمكنهم أن يعملوه مثل مثلا أن يتسلط الجني يخاف مثلا أن يؤذيه دائما، يخاف الجني أن يتسلط علىٰ أولاده، لماذا يخاف؟ يخاف لاعتقاد ليس خوفا طبيعيا، خوف اعتقاد، يعتقد الجن يتسلطون.

مثل الكفار الذين نزلوا واديا قالوا: نعوذ من سيد هٰذا الوادي من سفهاء قومه. يظنون كل وادي له جني يمسكونه وأنهم يعتدون علىٰ الناس، وهٰذا هو الذي نزل في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾[الجن] لأنه سببه الخوف خوف من شيء لا يملكونه، فهٰذا خوف اعتقاد، خوف السر خوف اعتقاد بأن يعتقد بأن هٰذا الذي خاف منه يوصل الأذىٰ إليه بدون سبب بدون سبب يعلمه بدون سبب معقول؛ ولكنه هو عنده قدرة، فإذا اعتقد هٰذا الاعتقاد في الولي أو في الجني أو نحو ذلك فهٰذا هو خوف السر.

أما خاف من مكان مظلم أو خاف من جن هٰذا قد يدخل في الخوف الطبيعي من بعض الحالات ليس خوف اعتقاد.

سؤال (٤٤٩): هل يقام علىٰ ساب الصحابة شيء من العقاب؟

الجواب: اليوم عندنا بحث عن الصحابة.

سؤال (٤٥٠): هل يجوز قراءة كتب الأدب عن الصحابة وما جرىٰ بينهم من الردود؟

الجواب: يجوز لمن يقوىٰ علىٰ فهم العقيدة أو عنده أصل شرعي يرجع إليه.

سؤال (٤٥١): ما يحل بالمسلمين هٰذه الأيام في الشيشان فهل يجوز القنوت لهم في الفرائض.

الجواب: القنوت قنوت النوازل هٰذا مربوط بإذن الإمام، فإذن ولي الأمر، ليس لآحاد الناس أن يقنتوا لمن شاءوا، ونزلت في الصحابة رضوان الله عليهم نوازل كثيرة فما قنتوا إلا إذا أذن ولي الأمر فإنه يقنط.

والذي جرىٰ عليه الأمر في هٰذه البلاد أنه إذا جرت الفتوىٰ علىٰ القنوت فإنه يرفع بذلك إلىٰ ولي الأمر فيأذن بالقنوت فإذا جاءت الفتوىٰ، وهنا لابد من فتوىٰ ليس لأحد من الناس في مسجده أن يقنت دون إذنٍ، الناس في هٰذا تبع للإمام.

مع أن القول الصحيح في هٰذا أنه لا تقنت كل المساجد؛ لأنه لما حصل القنوت في عهد النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ إنما قنت هو في مسجده الأعظم عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، أما المساجد الأخرىٰ مسجد قباء مسجد العالية، ومسجد بني زُريق، المساجد الأخرىٰ لم تقنت في المدينة إنما قنت المسجد الأعظم.

لهٰذا الرواية الثالثة عن الإمام أحمد في المسألة أن الناس تبع للإمام إذا قنت، ليس إذا أذن، يقصدون بالإمام يعني في المسجد الأعظم فليس كل مسجد يقنت وهٰذا في الحقيقة هو أقوىٰ الأقوال أحظاها بالدليل ليس كل المساجد تقنت؛ لأن هٰذا دعاء وإذا قام به بعضُ المؤمنين كفىٰ علىٰ الآخرين.

كذلك إذا جاء الإذن بوقته ليس له أن يجعله في وقت آخر؛ يعني جاء الإذن مثلا أن يُقنت في الفجر فيقتصر علىٰ الفجر، ليس له أن يقنت في المغرب أو يقنت في العشاء لأن هٰذا تبع للفتوىٰ وليس لآحاد الناس في المساجد أن يجتهدوا.

نكتفي بهٰذا القدر اقرأ..

📖 وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رسُولِ الله ﷺ، وَلاَ نُفْرِطُ[1] فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُم؛ وَلاَ نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُم، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُم، وَبِغَيْرِ الخيْرِ يَذْكُرُهُم، ولا نُذْكُرُهُم إِلاَّ بِخيْرٍ، وَحُبُّهُم دِينٌ وإيمَانٌ وإحْسَانٌ، وَبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفَاقٌ وطُغْيَانٌ.

الحمد لله، وبعد..

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رسُولِ الله ﷺ، وَلاَ نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُم؛ وَلاَ نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُم، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُم، وَبِغَيْرِ الخيْرِ يَذْكُرُهُم، ولا نُذْكُرُهُم إِلاَّ بِخيْرٍ، وَحُبُّهُم دِينٌ وإيمَانٌ وإحْسَانٌ، وَبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفَاقٌ وطُغْيَانٌ.) هٰذه الجملة من المسائل العظيمة لتعلُّقها بخير الخلق من هٰذه الأمة وهم صحابة رسول الله ﷺ.

والكلام في الصحابة صار عقيدةً في حبّهم وبغض من يبغضهم لقيام طوائف من أهل البدع والضلال في شأن الصحابة بما يخالف الدلائل من القرآن والسنة التي أوجبت حبَّهم ونصرتهم والذب عنهم رضي الله عنهم أجمعين، وذكَرتْ عدالتهم وفضلهم وسابقتهم، فخالف في ذلك من خالف من الخوارج والصابئة والرافضة من الخوارج والناصبة والرافضة وطوائف في شأن الصحابة جميعًا أو في شأن بعض الصحابة، فكان منهج أهل السنة والجماعة وعقيدتهم أن يُثنىٰ علىٰ جميع الصحابة وأن نحب أصحاب رسول الله ﷺ جميعا؛ الحب الشرعي الذي ليس فيه إفراط بالتجاوز عن الحد المأذون به والغلو، وليس فيه تفريط بذم بعضهم أو سب بعضهم، أو أن يكون ثم تبرؤ من بعضهم أو أن لا تثبت العدالة لهم فلابد في حبّهم من الاعتدال، فلا غلو ولا تفريط في الحب بسلب بعض ما يجب لهم مما يُحَبُّونَ فيه، إذ الواجب أن يحب جميع الصحابة علىٰ مجموع أعمالهم وهم خيرة هٰذه الأمة وهم خير الناس بعد رسول الله ﷺ.

وفي الأصل كما هو معلوم أن هٰذا ليس من مسائل الاعتقاد فمسائل الاعتقاد هو ما يجب علىٰ المرء أن يعتقده في أمور الغيب، وصارت من مسائل الاعتقاد لأنها مما تميز به أهل السنة والجماعة الفرقة الناجية لما خالفوا فيه الفرق الأخرىٰ، فكان المسلمون علىٰ جماعة لاعتقادهم وفيما يقولون به، ثم خالفت الفرق المختلفة والخوارج والرافضة والناصبة وأشباه هؤلاء سمة، فصار أهل السنة في هٰذه المسائل التي خالف فيها أهل البدع والضلال والفرق التي خالفت الجماعة صار القول من الاعتقاد؛ لأنهم خالفوا الفرق التي خالفت في الاعتقاد.

وهٰذا من جنس مسائل أخرىٰ في مسائل التعامل والحب، أو في مسائل المنهج والسُّلوك وأشباه ذلك مما سبق أن مر معنا، قد مر معنا مثلا مسألة المسح علىٰ الخفين مسألة المسح علىٰ الخفين لاشك أنها مسألة من الفقه ولا تدخل في الاعتقاد دخولا واضحا؛ لكن لما خالف فيها من خالف دخلت فيه مسائل الاعتقاد وحب الصحابة رضوان الله عليهم والموقف من الصحابة وعقيدة المسلم في صحابة رسول الله ﷺ صارت عقيدة لمخالفتها اعتقاد الضالين في هٰذا الباب.

---

(١) قال الشيخ صالح: نُفْرِطُ يعني نتجاوز الحد أما نفرِّط لا، وَلاَ نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُم.

ويمكن أن نفرّع الكلام علىٰ مسائل.

**أما المسألة الأولى**: الصحابة -صحابة رسول الله ﷺ- هم من صحب رسول الله ﷺ بلُقيِّه ولو ساعة مؤمنا به ومات علىٰ ذلك، أو يقال الصاحب والصحابي من لقي النبي ﷺ ولو ساعة مؤمنا به ومات علىٰ ذلك.

والصحابة هم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وهٰذا اللُّقي الذي سمعته في التعريف يختلف منهم من صحبه والتقىٰ به مدة طويلة، ومنهم من قل ذلك، ومنهم من تقدّم، ومنهم من تأخر، وهٰذا يبين لك أن نوع الصحبة وقدر الصحبة يختلف فيه الناس ويختلف فيه الصحابة فليسوا علىٰ مرتبة واحدة كما سيأتي.

والصحابة كلهم أثنىٰ الله جل وعلا عليهم بدون استثناء وأثنىٰ عليهم رسوله ﷺ:

فقال جل وعلا: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ إلىٰ أن قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾[الفتح].

وقال جل وعلا: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[التوبة:١٠٠].

وكذلك قوله جل وعلا: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]، حتىٰ سميت هٰذه البيعة بيعة الرضوان؛ لأن الله رضي ما علموه رضي بيعتهم فسميت بيعة الرضوان.

ومنها أيضا قول النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**».

كذلك قوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ كما في الصحيحين: «**لا تسبوا أصحابي والذي نفس محمد بيده فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدكم ولا نصيفه**».

وقال أيضا جل وعلا: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد:١٠].

والآيات في فضل الصحابة بمجملهم في أنواع من الدلالات والأحاديث كثيرة جدًّا وصُنِّفت مصنَّفات في ذلك.

وهٰذه الآيات والأحاديث تفيد في شأن الصَّحابة أمورًا:

**الأول**: أنَّ الصحابي إذا مات علىٰ الإيمان فإنه موعود بالمغفرة والرضوان.

**والثاني**: أن الصحابة كلهم عدول لتعديل الله جل وعلا لهم وثنائه عليهم، ومعنىٰ العدالة هنا أنهم عدول في دينهم وفيما يروون وينقلون من الشريعة، وأنَّ ما حصل من بعضهم من اجتهاد، فإنه لا يقدح عدالتهم ولا يُنقصها، لِمُضِيِّ ثناء الله جل وعلا عليهم مطلقًا.

**الثالث**: أنّ سبَّ الصحابة ينافي ما دلَّت عليه الأدلة من الثناء عليهم، وهو منهي عنه بالنّص، فلذلك أفادت هٰذه الآيات حرمة سبّ الصحابة كما سيأتي تفصيل الكلام علىٰ ذلك إن شاء الله.

**الرابع**: أن الآيات دلت علىٰ أن الصحابة يتفاوتون في المنزلة وفي المرتبة وأنهم ليسوا علىٰ درجة واحدة.

**المسألة الثانية**: قال الطَّحاوي: (**وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ الله ﷺ، وَلاَ نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُم؛ وَلاَ**

نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُم) حبُّ الصحابة فرض وواجب وهو من الموالاة الواجبة للصحابة، وهٰذا الحب يقتضي أشياء:

**الأول**: قيام المودّة في القلب لهم.

**والثاني**: الثناء عليهم في كلِّ موضع يُذكرون فيه والترضِّي عنهم.

**والثالث**: أن لا يحمِل أفعالهم إلا علىٰ الخير، فكلّهم يريد وجه الله جل وعلا.

**والرابع**: أن يذبَّ عنهم؛ لأنَّ من مقتضىٰ المحبة والولاية؛ بل من معنىٰ المحبة والولاية النصرة؛ أن ينصرهم لذا ذُكروا بغير الخير أو انتقص منهم منتقص، أو شكَّك في صدقهم أو عدالتهم أحدٌ، فإنه واجب أن يُنتصر لهم ﷺ.

وهٰذا الحبّ توسَّط فيه أهل السنة والجماعة بين طرفين، بين طرفِ المُفْرِطين وطرف المتبرّئين.

أما الغلاة والمفرطون في الحب فهم الذين جعلوا بعض الصحابة لهم خصائص الإلهية كما فعل طائفة مع علي ﷺ، وكما فعل طائفة مع أبي بكر، أو غلوا بما هو دون الإلهية بأن يجعلون هٰذا الحب يقتضي انتقاص غيره، فيحبّ أبا بكر وينتقص عليا، أو يحبّ عليا ﷺ وينتقص أبا بكر هٰذا إفراط وغلو، فالوسط هو طريقة الصحابة وأهل السنة، فإن الحب يقتضي موالاة الجميع وأن يغلو المسلم في أي صحابي؛ بل يحبهم ويودّهم ويذكرهم بالخير ولا يجعل لهم شيئا من خصائص الإلهية؛ بل أجمع أهل العلم أن من ادَّعىٰ في صحابي أن له شيئا من خصائص الإله، أو أنه يُدعىٰ ويُسأل كما يُعتقد في عليٍّ ﷺ ونحوه أنّه كافر بالله العظيم.

وهٰذا الغلو وقع فيه كثير في الأمة بعد ذلك فأُقيمت المزارات والمشاهد والقبور والقباب علىٰ قبور الصحابة، كقبر أبي أيوب الأنصاري في قرب استنبول، وكقبر أبي عبيدة بن الجراح في الأردن، وكقبر عدد من الصحابة كالحسين والحسن وعليّ إلىٰ آخره في أمصار مختلفة. فجعلوا قبورهم من فَرْط المحبة أوثانا يأتون فيسألون ويدعون ويستغيثون ويتقربون بالصحابة، وهٰذا إفراط وليس هو الحب المأذون به؛ بل هٰذا حبٌّ معه الشرك المحقق إذا وصل إلىٰ سؤال الميت ودعائه والتقرب إليه.

وفي المقابل يكون فعل طائفة ضالة أخرىٰ تتبرأ من الصحابة جميعا كفعل الزنادقة، أو تتبرَّأ من أكثر الصحابة كفعل الرافضة والخوارج، أو تتبرَّأ من طائفة من الصحابة كفعل النواصب ومن شابههم، هؤلاء تبرؤوا، ومنهم من يعتقد أنه لا حُبّ ولا ولاء إلا ببراء؛ يعني لا يصلح سب صحابي وولاء صحابي إلا بالتبرؤ ممن ضاده، فيجعلون في ذلك أن حبَّ علي ﷺ والولاء لعلي والحسن والحسين يقتضي بُغض أبي بكر وبغض عمر وبغض عثمان ومن سلب هؤلاء حقهم كفعل الرافضة عليهم من الله ما يستحقُّون.

لهٰذا كان معتقد أهل السنة والجماعة في هٰذا أن التبرؤ من الصحابة واعتقاد أنه لا موالاة إلا بالبراءة أن هٰذا ضلال فقد يوصل إلىٰ الكفر، كما سيأتي في المسألة إن شاء الله.

قال بعدها: (وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُم، وَبِغَيْرِ الخيْرِ يَذْكُرُهُم) فهٰذا من مقتضىٰ المحبة الوسط ودين الله وسط بين الغالي والجافي، فإنّنا من ذكرهم بخير أحببناه ومن ذكرهم بغير الخير أبغضناه؛ لأنَّ من مقتضىٰ المحبة والولاية أن يُحب من يحبهم وأن يُبغض من يُبغضهم.

**المسألة الثالثة** أصحاب رسول الله ﷺ علىٰ مراتب، يختلفون في منزلتهم.

فأعظم الصحابة وأرفع الصحابة العشرة الذين بُشِّروا بالجنة في مكان واحدٍ، وهم الذين يشتهر عند الناس وهم العشرة المبشَّرون بالجنة، والذين بشرهم النبي ﷺ أكثرهم عشرة، عددهم كثير من الصحابة؛ ولكن خُصَّ هؤلاء بفضل لأنهم بشرهم عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ يالجنة في مكان واحد، وفي حديثٍ واحد ساقهم عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الحنة، وسعد في الجنة**» إلىٰ آخر العشرة، فهؤلاء هم أفضل الصحابة، وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الذكر؛ لأنَّ النبي ﷺ رتبهم كترتيبهم في الفضل، فأبو بكر أفضل ويليه عمر وثم بليه عثمان ثم يليه علي إلىٰ آخره.

يلي هؤلاء المهاجرون -أعني جنس المهاجرين- الذين أسلموا في مكة وتقدَّم إسلامهم وصبروا مع رسول الله ﷺ وصابروا حتىٰ هاجروا.

ثم الذين شهدوا بدرًا من المهاجرين والأنصار فهم يلونَهم في الفضل.

ثم جنس الأنصار الذين سبقوا وأثنىٰ الله عليهم بقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة:١٠٠] والمراد بالسّبق هنا السبق إلىٰ الإيمان به عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ وتصديق رسالته والجهاد معه، هٰذا هو السَّبق الذي له الفضل العظيم.

ثم بعد ذلك يليه من أسلم قبل الفتح، ويُقصد بالفتح هنا الصلح صلح الحديبية أو فتح مكة وهو الذي جاء فيه قول الله جل وعلا: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾[الحديد:١٠] فالذي أسلم وآمن وأنفق وجاهد من قبل الصلح صلح الحديبية أو من قبل فتح مكة فإنه أفضل ممن بعدهم.

ولهٰذا يقال لكثير من الصحابة: (مسلمة الفتح) يعني الذين أسلموا من بعد فتح مكة. وهؤلاء وهم الفئة الأخيرة من أسلم من بعد الفتح إلىٰ عام الوفود.

ثم بعد ذلك دخل الناس في دين الله أفواجا يعني من السنة التاسعة والعاشرة حتىٰ حجّ النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ هؤلاء هم أقل الصحابة منزلة.

وهٰذا ترتيب لِما دلَّت عليه الأدلة من التفضيل.

إنّ المراد من هٰذا التفضيل الجنس؛ يعني جنس هٰذه الطائفة علىٰ جنس هٰذه الطائفة، يعني التفضيل في الظاهر باعتبار الجنس، فقد يكون في بعض الطبقات من هو أفضل ممَّن قبله، وهٰذا من حيث التَّنظير لا من حيث التطبيق؛ لأننا لا نعلم دليلا يدلُّ علىٰ أن فلانا من المتأخرين أفضل من فلان من المتقدمين، أو أن فلانًا من الأنصار أفضل من فلان من المهاجرين؛ لكنه من حيث الجنس فُضِّل ما فضَّلته الأدلة أو ما دلت الأدلة علىٰ تفضيله جنسًا؛ لكن حديث النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في المفاضلة بين عبد الرَّحمٰن بن عوف وخالد بن الوليد ظاهر، وعبد الرَّحمٰن بن عوف من العشرة المبشرين بالجنة، هؤلاء هم أفضل الصحابة، هؤلاء فضلهم بأعيانهم ظاهر، وأهل بدر أيضا قد يدخلون في أن فضلهم بأعيانهم؛ لكن الكلام علىٰ الجنس مع الجنس.

ولما وقع خالد في مسبة عبد الرَّحمٰن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**لا تسبوا أصحابي**» إلىٰ آخر الحديث، فخصَّ المتقدم باسم الصحبة، فكأن الذي أسلم من بعد الفتح وقاتل لِقِصَر إسلامه وقصر صحبته للنبي ﷺ وقلة نصرته بالنسبة لمن قبله، كأنه صار تحقيق اسم الصحبة عليه ليس كتحقيق من كان قبله؛ بل هٰذا هو الواقع، لهٰذا خص النبي ﷺ السابقين بالصحبة دون غيرهم مع اشتراك من أسلم بعد ذلك باسم الأصحاب؛ ولكن لأجل طول الصحبة صار عبد الرَّحمٰن بن عوف وسُلب الاسم عن خالد بن الوليد؛ لأجل هٰذه الحيثية، وإلا فالكل صاحب للنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وهٰذا... مزيد الفضل وتحقق الصِّفة اللازمة في مقتضىٰ الصحبة.

**المسألة الرابعة**: الصحابة رضوان الله عليهم بشر يصيبون ويخطئون ويجتهدون فيما يجتهدون فيه، وربَّما وافق بعضهم الصواب، وربما لم يوافق الصواب.

لهٰذا الواجب علىٰ المؤمن بمقتضىٰ المحبة والنّصرة أن يحمل جميع أعمال الصحابة علىٰ إرادة الخير والدين وحب الله جل وعلا وحب رسوله ﷺ، وأنّ ما اجتهدوا فيه:

- إما أن يكون لهم فيه الأجران إذ أصابوا.
- وإما أن يكون لهم فيه الأجر الواحد إذ أخطؤوا.

وكل عمل لهم مما اجتهدوا فيه حتىٰ القتال فإنه معفوٌّ عنهم فيه؛ لأنهم مجتهدون، فلا نحمل أحدا من الصحابة علىٰ إرادة الدنيا المحضة -يعني فيما اجتهدوا فيه من القتال- وإنما نحملهم علىٰ أنهم أرادوا الحق واجتهدوا فيه فمن مصيبٍ ومن مخطئ.

ولهٰذا كان الصحابة وهم يتقاتلون يحب بعضهم بعضا، ولا يتباغضون كما أبغض طائفة منهم من جاء بعد ذلك من أهل البدع، فلم يكن أحدُهم يذم الآخر ذما يقدح في دينه، أو يقدح في عدالته، وإنَّما بين من يصوّب نفسه ويخطِّئ غيره وبين من يعتزل أو يُثني علىٰ الجميع وأشباه ذلك.

وهٰذا هو الواجب في أننا نحمل أفعالهم علىٰ الحق والهدىٰ، وإن كان بعضهم يكون أصوبَ من بعض، أو يعضهم يكون مصيبا والآخر مخطئا.

وما جرىٰ من الصحابة من الشِّجار فيما اجتهدوا فيه والقتال أو ما اجتهد فيه الصحابة في المسائل العملية في علاقتهما بعض الصحابة الآخرين، هٰذا لا يُبحث فيه وإنَّما يُذكرون بالخير، ونعتمد علىٰ الأصل الأصيل وهو أن الله جل وعلا أثنىٰ عليهم، وخاصَّة أهل بيعة الرضوان الذين أنزل اللهُ جل وعلا فيهم قوله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح:١٨]، وكانوا إذ ذاك بين ألف وأربعمائة وألف خمسمائة قد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.

**المسألة الخامسة**: سب الصحابة تبرؤٌ منهم، وإذا سبَّ بعضا فهو تبرؤ منهم، تبرؤ ممن سب أو بعض تبرؤ ممن سب؛ لأنَّ **حقيقة السبّ عدم الرضا عمن سب وكره ما فعل**، وإلا فإن الراضي يحمد ويثني، والمبغض هو الذي يسب ويتبرأ.

لهٰذا نهىٰ النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ عن سب الصحابة فقال: «**لا تسبّوا أصحابي**» وهٰذا يقتضي

التحريم، فكل سبٍّ للصحابة محرم وأكد ذلك عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ بقوله: «**من سبَّ أصحابي فقد آذاني**»، وأذيته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ محرمة كبيرة وكذلك إيذاء الصحابة فقد قال جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾[الأحزاب]، وإيذاء الصحابي احتمال للإثم المبين، وهٰذا دخولٌ في المحرّمات الشَّديدة.

ومعنىٰ السّب أن: **يَشتم بلعن، أو يتنقّص، أو يطعن في عدالتهم، أو في دينهم، أو يتنقصهم بنوع من أنواع التنقص عما وصفهم الله جل وعلا به**، وهٰذا يختلف في أنواع:

قد يشتم بعض الصحابة، هٰذا سب.

قد يتنقص من جهة دينية، وقد يتنقص من جهة دنيوية أو ما تنقص من عدالته.

مثلا في الجهة الدينية أن يقول: إنه لم يكن مؤمنا مصدقا، كان فيه نفاق. أو أن يقول عن الصحابة: كان فيهم قلة علم، أو بعضهم فيه قلة ديانة، أو كان فيهم شره علىٰ المال أو حب للمناصب، أو كان في بعضهم رغبة في النساء؛ جاهدوا لأجل النِّساء، أكثروا من النساء تلذُّذًا في الدنيا هم طلاب دنيا، إما في وصفهم جميعا أو في وقت بعضهم. هٰذه أمثلة لأنواع السب والقدح الذي قد يصل إلىٰ قدح في دينهم، وقد يرجع إلىٰ تنقُّص لهم في عدالتهم وما أشبه ذلك.(١)

وسبّ الصحابة رضوان الله عليهم كما أنّه محرَّمٌ قد اختلف العلماء في هل يكون كفرًا أم لا يصل إلىٰ الكفر؟ وكما ذكرتُ لك فإنَّ السبَّ مورده البغض؛ لأنه إذا أبغض مطلقا أو أبغض في جزئية فإنه يسب، فإن السب مورده البغض، ينشأ البغض والكراهة ثم ينطلق اللسان -والعياذ بالله- بالسب، ولهٰذا الطحاوي هنا قال في آخر الكلام: (**وَبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفَاقٌ وطُغْيَانٌ**) يقصد بالكفر هنا الكفر الأصغر ليس الكفر الأكبر، أو ما يشمل -وهو الذي حمله عليه «شارح الطحاوية»- أو ما يشمل القسمين قد يكون كفرا أكبر وقد يكون اصغر والنفاق قد يكون نفاقا أكبر وقد يكون نفاقا أصغر ويأتي تفصيل الكلام علىٰ ذلك.

والإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ وعلماء السلف لهم في تكفير من سبّ الصحابة روايتان:

**الرّواية الأولىٰ**: يكفر وسبب تكفيره أن سبه طعنٌ في دينه وفي عدالة الصحابي، وهٰذا ردّ لثناء الله جل وعلا عليهم في القرآن، فرجع إذن تكفير الساب إلىٰ أنه رد ثناء الله جل وعلا في القرآن والثناء من النبي عليهم في السنة.

**والرواية الثانية** أنه لا يكفر الكفر الأكبر، وذلك لأنَّ مسبّة من سب الصحابة من الفرق دخله التأويل ودخله أمرُ الدنيا والاعتقادات المختلفة.

والقول الأول هو المنقول عن السلف بكثرة، فإن جمعًا من السلف من الأئمة نصّوا علىٰ أن من سب وشتم أبا بكر وعمر فهو كافر، وعلىٰ أن من شتم الصحابة وشتمهم فهو زنديق، فيقل للإمام أحمد كما في رواية صالح ابنه: قيل فلان يشتم عثمان. قال: ذاك زنديق. وأشباه هٰذا، وهٰذا هو الأكثر عن السلف

---

(١) نهاية الشريط الثالث والأربعين.

لأن كفر لأن شتم الصاحب تكذيب للثناء أو رد للثناء، سواء كان شتمه لتأويل عقدي أو لأجل دنيا.

وقد فصّل في بحث السّب ابن تيمية في آخر كتابه «الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول»، وذكر الروايات والأقوال في ذلك ثم عقد فصلا في تفصيل القول في الساب. وما فصّل به حسن، وما يدور كلامه عليه رَحِمَهُ اللَّهُ وأجزل له المثوبة أنه يُرجع السّبّ إلىٰ أحوال:

- فتارة يكون كفرا أكبر.
- وتارة يكون محرما ونفاقا.

ولا يتفق الحال؛ يعني ليس السب علىٰ حال واحدة.

**فيكون للسّاب مراتب أو أحوال:**

**الحال الأولىٰ**: أن يسب جميع الصحابة بدون استثناء ولا يتولىٰ أحدا منهم، فهٰذا كفر بالإجماع يسبّ جميع الصحابة، هٰذا فعل الزنادقة والماديين والملاحدة الذين يقدحون في كل الصحابة، يقول: هؤلاء الصحابة جميعا لا يفهمون، هؤلاء طلاب دنيا بدون تفصيل، كل الصحابة ولا يستثني أحدا، فمن سب جميع الصحابة أو تنقّص جميع الصحابة بدون استثناء، تقول له: تستثني أحدا؟ فلا يستثني أحدا، فلا شك أنها زندقة، ولا تصدر من قلب يحب الله جل وعلا ويحب رسوله ويحب الكتاب والسنة ومن نقل السنة وجاهد في الله حق جهاده.

**الحال الثانية**: أن يسب أكثر الصحابة تغيُّضًا من فعلهم، كالغيض الذي أصاب من عد نفسه من الشيعة وهو من الرافضة، أو نحوهم ممن سبُّوا أكثر الصحابة الذين خالفوا -كما يزعمون- خالفوا عليًّا أولم ينتصروا لعلي وأثبتوا الولاية لأبي بكر وعمر ثم عثمان، وأشباه ذلك فيسبُّونهم تغيُّضًا وحَنَقا عليهم واعتقادا فيهم.

فهؤلاء أكثر السلف علىٰ تكفيرهم ونصّ الإمام مالك علىٰ أن من سبّ طائفة من الصحابة تغيضا؛ يعني غيضا من موقفهم في الدين، فإنهم كفار لقول الله جل وعلا في آية سورة الفتح: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩]، فالذي يكون في قلبه غيض فيغتاض من الصحابة ألحقه الله جل وعلا بالكفار، واستدلّ بها مالك رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ إمام دار الهجرة علىٰ أن من سبّهم أو سب طائفة منهم تغيضا فهو كافر، وهٰذا صحيح ظاهر.

**الثالثة**: أن يسب بعض الصحابة لا تغيضا؛ ولكن لأجل عدم ظهور حُسْن أفعالهم، مثلا يقول: هؤلاء بعض الصحابة فيهم قلة علم أو فيهم جفاء، أو هٰذا ما يفهم أو فيه حب للدنيا، أو نحو ذلك، فهٰذا ليس بكفر، وإنما هٰذا محرّم وهو مسبة وهو مخالف لمقتضىٰ الولاية.

وهٰذا هو الذي يُحمل عليه كلام من قال من السلف: إن سابّ الصحابة أو من سب بعض الصحابة لا يكفر. فيحمل علىٰ أن نوع السب هو أنه انتقص فيما لا يظهر وجهه: إما في مثل ما ذكرت في بعض نقص علم، أو في رغبة في دنيا أو نحو ذلك، ولا يعمم وإنما قد يتناول أو اثنين أو أكثر بمثل هٰذا.

وهٰذه المسائل، كونه يقل علمه أو يقول: يحب الدنيا، هٰذا ليس طعنا في عدالته لأن قلة العلم ليست

طعنا في العدالة، وحب الدنيا بما لا يؤثر في الدين ليس طعنا في العدالة -العدالة يعني الثقة والدين والأمانة-، وإنما هٰذا انتقاص وتجرؤ عليهم بما لا يجوز فعله، ويخالف مقتضىٰ المحبة.

هٰذا هو الذي يصدق عليه أنه لا يدخل في الكفر فهو محرم؛ لأنه ليس فيه رد لقول الله جل وعلا ولكن فيه سوء أدب وانتقاص ودخول في المسبة.

والواجب في أمثال هؤلاء أن يعزروا؛ وذلك لدرء شرِّهم والمحافظة علىٰ مقتضىٰ الثناء من الله جل وعلا علىٰ صحابة نبيه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

**الحال الرابعة**: أن ينتقص الصَّحابي أو أن يسبَّه لاعتقادٍ يعتقده في أنّ فعله الذي فعل ليس بصواب، وهٰذا في مثل ما وقع في مقتل عثمان وفعل علي ﷺ وفعل معاوية ونحو ذلك، فقد يأتي وينتقِص البعض؛ لأنه يرىٰ أنه في هٰذا الموقف بذاته أنه كان يجب عليه كذا لماذا لم يفعل كذا وهٰذا يدل علىٰ أنه فعل كذا، وهٰذا أيضا أخص من الذي قبله لأنه متعلق بفرد وبحالة.

وهٰذا محرم أيضا، وهل يعزر في مثل هٰذه الحال أو لا يعزر؟ هٰذا فيه اختلاف، ولاشك أنّ قوله وفعله فيما فعل دخول في المسبّة والانتقاص، وهٰذا محرم ودون الدخول في ردِّ ثناء الله جل وعلا أو في انتقاص عام، إنما هٰذا يجب في شأنه التوبة يجب في حقه التوبة علىٰ الله جل وعلا والإنكار عليه، وهل يعزر أو لا؟ اختلف العلماء في مقتضىٰ التعزير، التعزير المقصود به التعزير بالجلد أو بالقتل، أما التعزير بالقول والرد عليه وانتقاصه هٰذا واجب.

**الخامسة والأخيرة**: ربَّما تشتبه عليَّ، ولكن تراجعونها، نتركها راجعونا أنتم.

**المسألة التي بعدها السادسة**: قول الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَحُبُّهُم دِينٌ وإيمَانٌ وإحْسَانٌ، وَبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفَاقٌ وطُغْيَانٌ**).

**حب الصحابة دين**؛ لأن الله جل وعلا أثنىٰ عليهم وتصديق خبر الله جل وعلا وانعقاد الوَلاية لا تجتمع هٰذا دين؛ بل من أعظم الدين، والصحابة اجتمعت في حقهم في ذلك اجتمع في حقهم نوعان:

**الأول**: أن الله عقد الولاية بين المؤمنين قال: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[التوبة:٧١].

ومعنىٰ الولاية المحبة والنصرة، وأعظم المؤمنين إيمانا هم صحابة رسول الله ﷺ فلهم من الولاية والمحبة والنصرة أعلاها، كذلك قال الله جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[الحشر]، فأثنىٰ علىٰ هؤلاء لأجل اختصاصهم بالدين، ولاشك أنَّ حُبَّ الصحابة من هٰذه الجهة دين.

**الناحية الثانية** أن تصديق خبر الله جل وعلا فيما أثنىٰ الله به عليهم في آيات كثيرة، سواء ما أثنىٰ به علىٰ المهاجرين والأنصار كجنس، أو ما أثنىٰ به علىٰ أهل بيعة الرضوان، أو ما أثنىٰ به علىٰ السابقين، أو ما أثنىٰ به علىٰ جميع من مع النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ هٰذا يشمل الجميع، ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ هؤلاء حبّهم لثناء الله جل وعلا وتصديق خبر الله، هٰذا لاشك أنه دين، وقال الله جل وعلا في آخر سورة الفتح: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ وحرف الجر هنا ﴿مِنْهُم ﴾ (من) هٰذه، أهل السنة والجماعة؛ بل أهل السنة الذين يخالفون

الرافضة والخوارج يجعلون (من) هنا بيانية؛ لبيان الجنس، والآخرون من الرافضة يجعلونها تبعيضية، وهي لبيان الجنس، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ لو لم يقل: ﴿مِنْهُم﴾ لصارت تشمل كل مؤمن عمل الصالحات، وهٰذا يدخل فيه أجناس التابعين وتبع التابعين ومن وليهم إلىٰ يوم القيامة، فأراد تخصيص جنس الصحابة بهٰذا الفضل وهو الوعد بالمغفرة والأجر العظيم، فقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ليس علىٰ الإطلاق ﴿مِنْهُم﴾ يعني من الصحابة من الذين مع محمد ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، وليست (من) هاهنا تبعيضية لأنها لا تنطبق عليها شروط التبعيض في هٰذا الموطن وإنما فسرها بأنها تبعيضية الرافضة ومن شابههم، وهو الموجود في تفاسيرهم يريدون أن يكون هٰذا الوعد لبعض الصحابة لا لكل الصحابة.

و(من) هنا لبيان الجنس، وليست للتبعيض كقولك: الكتاب من ورق، هٰذا لبيان جنسه أو ما شابه ذلك.

أما التبعيض فهٰذا لا يكون في الوصف؛ يكون الثاني بعض الأول، وهنا جاء وعدا بالوصف فقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فلا يكون التبعيض في مثل هٰذا السياق، لهٰذا كان عامة بل كان كل مفسري السلف والأئمة علىٰ أن (من) هنا لبيان الجنس لاتفاق آخر الآية مع أول الآية.

**الثانية أن حبهم إيمان**؛ إيمان لأنه واجب أوجبه الله جل وعلا، وما أوجبه الله جل وعلا فهو من شعب الإيمان، فحبُّ الصحابة إيمان، والنبي ﷺ نصّ في بعض الصحابة علىٰ أنه إيمان بقوله: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**».

**ثم قال**: (**وإِحْسَانٌ**) لأنه يدل علىٰ أن المحب لهم محسنٌ في دينه وأتىٰ بما يجب عليه وما يتقرب به إلىٰ ربِّه من أنواع إحسانه وصدقه في دينه.

طبعًا (**وَحُبُّهُم دِينٌ وإِيمَانٌ وإِحْسَانٌ**) كل هٰذه تتبعض ليست شيئا واحدًا، فالناس في حب الصحابة يختلفون، وأجرهم علىٰ قدرة محبتهم ونصرتهم وفقههم لفضائلهم.

كذلك قال: (**وَبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفَاقٌ وطُغْيَانٌ**) والبغض -بغض الصحابة- كفر فإذا كان البغض للدين أو للغير كما فصّلنا فيكون الكفر هنا كفرا أكبر، وإذا كان البغض لأجل الدنيا كما قد تتناول النفوس الكراهة والبغض لأجل الدنيا، فهٰذا كفر أصغر ولا يصل إلىٰ الكفر الأكبر، لهٰذا قال النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**لا ترجعوا بعدي كفرا يضرب بعضكم أعناق بعض**»، وكون بعض الصحابة قاتل بعضا آخر، هٰذا فيه دخول في خصال الكفار، لهٰذا قال: «**لا ترجعوا بعدي كفارا**» ولاشك أن يكون الباعث علىٰ ذلك البغض والكره؛ لأن القتال يكون معه ما في النفس؛ لكن مع تقاتل الصحابة فإن بعضهم لم يسب بعضا يعني بلسانه والنفس قد يوجد فيها ما لا يسلم منه البشر.

فإذن الكفر هنا قد يكون كفرا أصغر وقد يكون كفرا أكبر بحسب نوع البغض.

(**ونِفَاقٌ**) لأنّ آية النفاق أن يُبغض من نقل هٰذا الدين وحفظ الإسلام في الناس وجاهد في الله حق الجهاد وهم صحابة رسول الله ﷺ، والمنافقون في عهده عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ كانوا يُبغضون الصحابة ويتولّون الكفار، ووصفهم الله بقوله: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾[التوبة:٦٧].



سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

والنفاق هنا قد يكون نفاق أكبر اعتقادي بحسب حال البغض وقد يكون نفاق عملي بحسب نوع السب وعدم أو نوع البغض وعدم المحبة.

(**وطُغْيَانٌ**) يعني أن بغضهم طغيان، طغىٰ فيه صاحبه وجاوز الأمر، فالله جل وعلا أمر بحبهم أو أمر بموالاتهم، وهٰذا معناه أنه أمر بحبهم وأثنىٰ علىٰ من ترضّىٰ عنهم استغفر لهم ولم يكن في قلبه غلّ لهم، وهٰذا معناه أن الذي خالف ذلك فهو قد طغىٰ وتجاوز الحد في ذلك.

**المسألة الأخيرة وهي السّابعة**: العلماء صنّفوا في الصحابة مصنفات في بيان ما يجب لهم وفي الثناء عليهم وذكر أخبارهم وسيرتهم، ولاشك أن الدّفاع عن الصحابة والتأليف في ذلك من الجهاد، وخاصة في الأزمنة التي يكثر فيها أو يوجد فيها من يقدح في الصحابة أو بعضهم، فإن من مقتضىٰ الوَلاية أن ينصر الصحابة بالتآليف وبالرّد وبالذب عنهم وببغض من يبغضهم، وهٰذا يقتضي أنّ من الجهاد في سبيل الله ومن المحافظة علىٰ الدّين أن ينال وأن يُرد وأن يجاهد من يقدح في الصحابة أو يطعن في عدالتهم أو يشكك في صدقهم بعضهم وفي حفظه ونحو ذلك.

ولهٰذا هو الذي صنع أئمة الحديث فإنهم رحمهم الله لم يصنفوا المصنفات لحب التصنيف في الغالب؛ ولكن لأجل نصرة الدين وأفراد ما أوجب الله جل وعلا البيان فيه، التأليف في الصحابة إما التآليف المستقلة أو ما في كتب أهل الحديث، مناقب الصحابة، مناقب المهاجرين، مناقب أبو بكر، مناقب عمر، كما في كتاب المناقب في البخاري، أو كتاب فضائل الصحابة في مسلم، أو غير ذلك كما هو معروف هٰذا من الجهاد في سبيل الله ومن البيان للأمة.

فالذي ينبغي لطلاب العلم خاصة في هٰذا الزمن أن ينتبهوا لهٰذه الأصول، وأن يعلموا ما فيها، وأن تكون عدّتُهم دائمة في هٰذا البحث للجهاد إذا جاء ما يستوجبه في المواطن التي تنتقص فيها مكانة الصحابة من المبغضين لهم أو لبعضهم قبّحهم الله.

نكتفي بهٰذا القدر.

[**الأسئلة**] نجيب عن سؤالين.

سؤال (٤٥٢): أشرتم أن مسائل الصحابة ليست في الأصل من مسائل الاعتقاد، وفي الحديث «**حب الأنصار إيمان وبغضهم نفاق**» هل ثم فرق بين كونهم من الإيمان وكونها أنها ليست مسائل الاعتقاد؟

الجواب: الإيمان شعبه كثيرة «**الإيمان بضع وستون شعبة أو بضع وسبعون شعبة**» فمنها ما يدخل في مسائل الاعتقاد ومنها ما لا يدخل.

فأصل حب الصحابة هي مسألة حب موالاة، هٰذه ليست من العقيدة لأن أصل العقيدة ما يتعلق بمسائل الغيب ثم دخل فيها ما يتميز به أهل السنة من غيره، أصل العقيدة الذي يدخل في أركان الإيمان الستة الاعتقاد في الله ربوبيته إلهيته الأسماء والصفات الكتب والرسل اليوم الآخر والقدر هٰذه العقيدة، مسائل الإيمان في نفسها، أما المسائل الأخرىٰ الملحقة هٰذه لأجل المخالفة، وصارت من العقيدة وكونها من الإيمان هٰذا حق الإيمان ليست كل مسائله مسائل اعتقاد.

سؤال (٤٥٣): أراني أجد شيئا في نفسي علىٰ معاوية ﷺ من حيث موقفه، لا سيما رسول الله ﷺ يقول

لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» فهل علي في هٰذا إثم، مع العلم أني لا أتكلم بذلك ولا أتحدث به؟

الجواب: نعم عليك إثم في ذلك إذا كان العلم سهلا عليك أن تتحصل عليه وأن تجلو هٰذه الشبهة وتبقىٰ وأنت لا تجلو هٰذه الشبهة عندك، كون الشيء يكون في نفس الإنسان وليس عنده وسيلة لكشفه ولا وسيلة لتعلم ما يدفع عنه هٰذه الشبهة وتسويل الشيطان، هٰذه قد يُعذر معه؛ لكن إذا كان العلم قريبا والكتب موجودة وأهل العلم الذين يكشفون الشبه موجودون، فهٰذا يأثم العبد بالتقصير ويأثم علىٰ بقاء هٰذا الشيء في نفسه.

ومعاوية ﷺ فيما فعل أداء لواجب شرعي يراه هو أنه متقدِّم علىٰ مسألة البيعة، وهو أن دم عثمان فقد ﷺ سفك، وهو وليه هو ولي الدم هو ذو القرابة من عثمان وولي الدم لا بد أن يسلم من قتل، تحقيقا لقول الله جل وعلا: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾[الإسراء:٣٣]، وكذلك الآيات التي فيها القصاص وأن الولي ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾[البقرة:١٧٨]، فمعاوية ﷺ أراد أخذ الحق الذي جعله الله له والانتصار من قتلة عمان، وسفك دم عثمان لاشك أن دم عثمان إذ ذاك هو أطهر دم لإنسان سُفك، فالانتصار لعثمان ﷺ واجب، وعلي ﷺ أخَّر بحث دم عثمان حتىٰ لا تذهب بيضة الإسلام وبيضة أهل الإسلام لأن هؤلاء الخوارج والذين جاؤوا أرادوا الفتنة العظيمة، فأراد أن يستقر الأمر ثم يسلم القتلة لمعاوية؛ لكنه لم يفهم هٰذا؛ يعني اختلف الاجتهاد فلم يفهم هٰذا مع سعي الخوارج في الإعلام الفاسد، فسعوا في التفريق ينقلون لهؤلاء أخبار لمعاوية أخبار عن علي ولعلي أخبار عن معاوية، والحقيقة الصحابة كلهم هدفهم في ذلك وهو حفظ بيضة الإسلام والانتصار من قتلة عثمان، لكن حصل ما حصل.

فمعاوية ﷺ مجتهد يريد أن يأخذ بحقِّه الشرعي؛ لكن الصواب مع علي؛ لأن بيعة علي واستقامة أمر الناس في الخلافة وعدم حصول القتال هٰذا هو الواجب والحق مع علي في ذلك، ومعاوية ﷺ مجتهد مأجور علىٰ اجتهاده ولكنه مخطئ في ما اجتهد فيه في ذلك ولٰكِن هو مأجور.

والإنسان لا يبغض من اجتهد أو يجد في نفسه شيئا علىٰ من اجتهد في الحق، وإن كان أخطأ، فإنه إذا اجتهد في الحق وتحراه، فإن هٰذا هو الذي يجب عليه فمعاوية ﷺ به استقام المسلمون وحُفظت البيضة بعد علي ﷺ، فالناس في زمن علي كانوا متفرقين ولم يستقم الأمر لعلي بالخلافة ولم يجتمع الناس عليه.

ثم لما حصل تنازل الحسن ابن علي في الولاية لمعاوية ﷺ أجمعين وحصل في هٰذا الاجتماع العظيم في سنة إحدىٰ والأربعين في العام الذي سمي عام الجماعة؛ يعني عام اجتماع الناس حصل غيض العدو، حتىٰ الخوارج هربوا حتىٰ كانت لهم الصولة وكانوا يفرقون وسفكت من دماء الصحابة ودماء التابعين ما سفك؛ ولكنهم لما اجتمع الناس كان أول من اندحر هؤلاء الخوارج أخزاهم الله.

فمعاوية ﷺ له من الفضائل ما له، هو كاتب الوحي للنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وهو من الصحابة الذين كانت لهم مواقف عظيمة في الجهاد، وجهاد الروم وجهاد الأعداء كما هو معلوم، وولي الشام وكانت في سيرته لولايته لعثمان كان طيب السيرة، والاجتهاد في المال أو في بعض الأمور هٰذا إنما لا

يمشي علىٰ وفق منهج الخوارج، أما الصحابة فكانوا يرون أن ما اجتهدوا فيه أن ما بين مصيب وما بين مخطئ، والمخطئ لا يُعاب علىٰ ما اجتهد فيه إذا لم يكن مخالفا للأصول، ومعاوية ﷺ وحبه من الإيمان، ولا يجوز لمسلم أن يبقي في نفسه شيئا علىٰ صحابي من صحابة رسول الله ﷺ.

سؤال (٤٥٤): هل يُفرّق بين سب الصحابة بعضهم لبعض وسب غيرهم لهم؟

الجواب: ما سبّ صحابي صحابيا مطلقا، وإنما قد يتسابون كما يحصل بين البشر يترادون في موقف، لكن لا يسبهم مطلقا أو يذم صحابيا مطلقا؛ لكن يكون بينهم تراد في مجلس لأجل ما يحصل بين البشر مقاتلة مؤقتة؛ لكن سب مطلق وانتقاص قدر فلان من الصحابة مطلقا هٰذا لم يحصل عند الصحابة.

سؤال (٤٥٥): ما حكم تقديم بعض الصحابة علىٰ بعض مثل تقديم علي علىٰ أبي بكر وعمر وعثمان؟

الجواب: الصحابة أفضلهم كما ذكرت لكم العشرة، وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الذِّكر، ومعتقد أهل السنة والجماعة والذي دلت عليه النصوص ولا يجوز عليه خلافه أن أفضل هٰذه الأمة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، هؤلاء هم أفضل الصحابة وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الذكر وكترتيبهم في الخلافة.

أما تقديم علي علىٰ أبي بكر وعمر فكما قال السختياني: من فضّل عليا علىٰ أبي بكر عمر فقد أزرىٰ بالمهاجرين والأنصار. كيف يكون أفضل ويقدمون غيره عليه معناه أنهم خونة كما يدعي الرافضة، أو أن لهم كذا وكذا.

والصحابة من المهاجرين والأنصار قدموا من هو الأفضل لهم في دينهم وفي أيضا الولاية، تقديم علي علىٰ جميلة الثلاثة هٰذا صنيع الرافضة.

سؤال (٤٥٦): ما المقصود بالفطرة -أو القطرة!!- الواردة في الآيات والأحاديث؟

الجواب: الفطرة المقصود بها التوحيد وهو في تفصيلها بحث آخر.

نكتفي بهٰذا وفقكم الله لما فيه رضاه وبارك فيكم.

## الدرس الثالث والخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد:

[الأسئلة] فهٰذه بعض الأسئلة.

سؤال (٤٥٧): هل المضمضة والاستنشاق واجبان في الغسل المجزئ من الجنابة؟

الجواب: المضمضة والاستنشاق الصحيح أنها واجبة، في كل طهارة، سواء كانت طهارة صغرىٰ أو كانت طهارة كبرىٰ، سواء ما كانت طهارة مستحبة أم كانت طهارة واجبة، الغسل يجب علىٰ الصحيح المضمضة والاستنشاق.

سؤال (٤٥٨): وهل يرفع غسل الجمعة الحدث الأصغر، ولو رفع هل لابد من المضمضة والاستنشاق؟

الجواب: التعبير غير صحيح السؤال: هل يرفع غسل الجمعة الحدث الأصغر؟

ما أدري أوش يعني (هل يرفع غسل الجمعة الحدث الأصغر؟) يعني أنه الغسل المستحب غسل الجمعة الذي لا يكون واجبا -يعني عن حدث أكبر- إذا اغتسل هل يكفي عن الوضوء؟ هٰذا السؤال.

طبعا الذي يجزئ عن الوضوء هو الغسل الواجب؛ لأن الحدث الأكبر يرفعه الغسل، والغسل يرفع الحدث الأكبر ويرفع أيضا الحدث الأصغر معه بالنية، والنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ كان إذا اغتسل من الجنابة يبدأ فيتوضّأ ثم يفيض الماء علىٰ رأسه وبدنه دل هٰذا علىٰ أن غسل الجنابة يرفع الحدث الأكبر والأصغر.

وغُسل الجمعة تارة يكون عن حدث أكبر وتارة يكون لا عن حدث وإنما هو لأجل غُسل الجمعة المتأكد ولم يكن معه حدث أكبر، وهٰذا الغسل لابد بعده من الوضوء أو قبله ولم يُحدث، يعني أنه إذا راجع غسل الجمعة ما يكفي الغسل عن الوضوء لابد أن يتوضأ، وهكذا في كل غسل مستحب أو في كل غسل تنظف أو تبرّد فلابد في الوضوء من الترتيب والموالاة ولابد من النية فيه.

فإذن الغسل إذا كان غسلا واجبا بالنسبة للرجل عن جنابة وبالنسبة للمرأة أيضا عن حيض أو نفاس فإنّ حينئذ يدخل الحدث الأصغر في الأكبر، وإذا رفع الحدث الأكبر بالغسل الواجب أجزأ عن الوضوء بالنية، أما إذا كان غسلا مستحبا أو كان غسل الجمعة ولم يكن هو محدثا حدثا أكبر فإنه لا يكفي عن الوضوء بل لابد من الوضوء.

وغسل الجمعة اختلف العلماء فيه هل هو واجب أم مستحب والصحيح فيه أنه سنة مؤكدة، وأنه ليس بواجب وللأحاديث التي فيها لفظ الوجوب وحق لا تدل علىٰ الوجوب الذي يأثم من تركه لأدلة معروفة في بابه.

سؤال (٤٥٩): هل يجوز للمرأة أن تلبس القصير و[العارية] أمام زوجها وخصوصا أن مثل هٰذه الألبسة مما تحبب الزوج لزوجته؟

الجواب: المرأة بالنسبة لزوجها يجوز لها أن تلبس ما شاءت وما شاء زوجها، والنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ صحّ عنه أنه قال: «**احفظ عورتك إلا عن زوجك أو ما ملكت يمينك**»، الرجل أيضا يلبس ما شاء أمام زوجته؛ ولكن يكره ولا يستحب أن يكونوا عراة لأن ذلك من قبيل الحياء والله أحق أن يستحيىٰ منه؛ ولكن الألبسة التي تحبّب المرأة إلىٰ زوجها أو تحبب الزوج إلىٰ زوجه؛ يعني إلىٰ زوجته فهٰذا لا بأس به.

وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: إنني لأتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي. وهٰذا ذكره عند قوله تعالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[النساء:١٩]، وهٰذا من أداء الحقوق العامة وهٰذا لا يجب، إذا فعلته المرأة فهٰذا من العشرة الحسنة.

سؤال (٤٦٠): هل شخصية عبد الله بن سبأ شخصية وهمية؟

الجواب: هٰذا قيل: إن عبد الله بن سبأ شخصية وهمية.

والشيعة يؤكدون علىٰ هٰذا، ولهم في هٰذا عدة مؤلفات ويؤكدون علىٰ أن عبد الله بن سبأ شخصية متوهمة وليست بالحقيقة.

والذي عليه أهل السنة والجماعة ممن ألف في العقائد أو في التاريخ أو في الفرق أن عبد الله بن سبأ شخصية حقيقية، وأنه كان باليمن ثم أتىٰ إلىٰ المدينة ثم ذهب إلىٰ مصر والشام وأنه هو السبب التفرقة بين المؤمنين في عهد عثمان، وكان يكتب كما روي ذلك بأسانيد مختلفة وشهرة اسمه عند أهل السنة وتناقل ما ذكر عنه في تفصيل معروف في موضعه هٰذا يغني عن تتبع الأسانيد في هٰذا الباب.

فشخصيته مشهورة وهو سبب إحداث الفرقة في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث كان يكتب لكل والٍ في مصر من الأنصار بما أخذه هو علىٰ الوالي الآخر، ويكتب للناس بذلك لإيغار الصدور بعضها علىٰ بعض.

ومن الفرق المشهورة المعروفة المدونة في كتب التاريخ وكتب العقائد والفرق الفرقة السبئية الذين كانوا يقولون بألوهية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهم الذين يتبعون عبد الله بن سبأ الذي نفي إلىٰ فارس وبسبب نفيه هناك ظهرت هناك فرقة الشيعة والرافضة أكثر من غيرها.

سؤال (٤٦١): كثير من الإخوان -جزاهم الله خيرا- إذا ما وقع بينهم خلاف في مسألة ما إما فقهية أو غيرها وأنكر عليهم شدة الخلاف بينهم، قالوا: الصحابة اختلفوا فما بالك بحالنا؟

الجواب: أولا هٰذا ليس مما يسوغ أن يُذكر هٰذا عن الصحابة ويجعل الخلاف خلاف الصحابة حجة مطلقا لاختلاف غيرهم.

الصحابة رضوان الله عليهم أولا لم يختلفوا ولله الحمد في باب من أبواب العقيدة والتوحيد والأصول، وإنما اختلفوا في بعض المسائل الاجتهادية كالمسائل الفقهية وبعض مسائل الإمامة التي كانت في زمنهم لهم تأويلها.

ثم من القواعد المقررة عند أهل السنة كما كتبوا في عقائدهم أننا نحمل جميع أعمال الصحابة وأقوال الصحابة وأفعال الصحابة علىٰ إرادة خير علىٰ أنهم لم يقصدوا إحداث الخلاف والانتصار للنفس، ولم يذهبوا إلىٰ النزعة القبلية أو نزعة علو الشأن أو نزعات الدنيا وإنما كان لهم في ذلك تأويلات، وربما

دخل بعض هٰذه المطالب كشيء من الدنيا دخل في تأويل الدين، ولم يقصد أساسا فلم يكن في الصحابة ولله الحمد ممن يشار إليهم وحصل منهم الخلاف أن يكن منهم من يقصد الدنيا فقط محضة، وإنما يريدون الدين وربما يدخل في شيء من ذلك بعض استمساك بأمور الدنيا التي لهم فيها تأويل سائغ.

ولهٰذا لا يسوغ أن يحتج[1] أحد إذا اختلف مع غيره أن يحتج بخلاف الصحابة مطلقا، وإنما في بعض الوسائل إذا اختلف فيها الصحابة فالخلاف يسع من بعضهم إذا كانت من المسائل التي ليس فيها دليل واضح، أما إذا كانت المسالة فيها نص أو فيها دليل ظاهر من الكتاب أو من السنة فأقوال الصحابة بين راجح ومرجوح إذا اختلفوا.

فالله جل وعلا أمرنا أننا عند التنازع والاختلاف أن نرد إلىٰ الله جل وعلا وإلىٰ الرسول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾[النساء]، وهٰذا الذي يجب أن يرد للدليل، فإذا لم تظهر دلالة الدليل في المسائل فإن في اختلاف الصحابة سعة إذا اختلفوا، وهم لم يختلفوا ولله الحمد في التوحيد ولم يختلفوا في العقيدة ولم يختلفوا في أصول الدين، وإنما اختلفوا في بعض مسائل اجتهادية معروفة، ولهم فيها تأويل وكل يقوم بحجته وأقوال ما بين راجح ومرجوح ﷺ وأرضاهم.

---

(١) نهاية الوجه الأول من الشريط الرابع والأربعين.

وَنُثْبِتُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوَّلًا لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ تَفْضِيلًا لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَىٰ جَمِيعِ الْأُمَّةِ، ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخطَّابِ ﷺ، ثُمَّ لِعُثْمَانَ ﷺ، ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، وَهُمُ الْخلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّونَ.

وَإِنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَبَشَّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ، نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ عَلَىٰ مَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ، وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَهُوَ أَمِينُ هٰذه الْأُمَّةِ ﷺ أَجْمَعِينَ.

وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ؛ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ.

---

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله.

قال الطَّحاوي رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ: (وَنُثْبِتُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوَّلًا لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ تَفْضِيلًا لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَىٰ جَمِيعِ الْأُمَّةِ)، بعد أن ذكر محبة رسول الله ﷺ، وأننا نتولاهم جميعًا، ولا نتبرأُ من أحدٍ منهم، أتىٰ إلىٰ مسألة عظيمة فارق فيها جمعُ أهل السنة من عَدَاهم من الخوارج والرافضة وأشباههم في مسألة الخلافة، ومن الأحق بالخلافة، ومن الأفضل، وترتيب هؤلاء علىٰ ما جاء في النصوص وعلىٰ ما قرّره الصحابة والأئمة من بعدهم.

فقال: (وَنُثْبِتُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ) ويعني بذلك أنّ الخلافة يُثبتها أهل السنة لأبي بكر دون غيره استحقاقًا للخلافة أو تقديمًا أو تفضيلًا، كما عليه الرافضة وبعض الفئات الأخرىٰ.

وهٰذا في الأصل كما ذكرت لكم قبل ذلك، هٰذا صار من العقيدة؛ لأنه في أمر الخلافة التي بسببها وبسبب البحث في الخلافة افترقت الأمة إلىٰ فرقٍ كثيرة، فأول خلاف وقع في الأمة بعد رسول الله ﷺ هو من الذي يلي المسلمين بعده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ؟ فوقع الخلافُ بين المهاجرين والأنصار، وأجمع المسلمون في وقت قصير علىٰ استحقاق أبي بكر للخلافة كما سيأتي بيانه.

ويمكن أن نتحدَّث عن هٰذا في عدة مسائل.

**الأولى**: أنّ خلافة أبي بكر الصديق ﷺ أجمع عليها أهل السنة والجماعة؛ بل وغيرهم من الخوارج والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية والمتكلمين وسائر الفرق عدا الرّافضة ومن نحا نحوهم، فخلافة أبي بكر الصديق وأنه هو المستحق للخلافة بعد رسول الله ﷺ أمر أجمع عليه هؤلاء، واختلفوا في مأخذ الخلافة وأحقِّية أبي بكر بالخلافة:

هل لأن خلافته ثبتت في النص الجليّ؟

أو أنها ثبتت في النص الخفيّ؟

أو أنها ثبتت بالاختيار واتفاق واختيار الصحابة؟

علىٰ ثلاثة أقوال:

**القول الأول**: أنّ أبا بكر الصديق ﷺ ثبتت خلافته بالنَّص الجلي، ويعنون بالنص الجلي أن النبي ﷺ

أرشد إلىٰ خلافته وأوضح أنَّه الأحق بعبارات مختلفة وأدلة متنوعة لدلالاتٍ قولية وفعلية يحصل من مجموعها التنصيص علىٰ أنّ الذي يلي الناس بعده عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ هو أبو بكر.

وهٰذا القول هو الذي عليه جماعة كبيرة أهل الحديث، وهو قول الإمام أبي عبد الله أحمد ابن حنبل أصحابه الحنابلة وطائفة كبيرة من الشافعية، وهو اختيار أيضا ابن حزم وجماعة من الظاهرية.

وهو الذي حرّره المحققون أيضا كشيخ الإسلام ابن تيمية وكغيره فإنه قال: والتحقيق أن النبي ﷺ دلّ علىٰ خلافة أبي بكر الصديق بدلالات كثيرة من قوله وفعله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ. سيأتي ذكر بعضها إن شاء الله.

**القول الثاني**: أن خلافة أبي بكر ثبتت بالنص الخفي بالدليل الخفي والإشارة، فهٰذا هو الذي ذهب إليه الحسن البصري، فقال حينما سئل: هل كانت ولاية أبي بكر بالنص عليه؟ فقال: لقد كان أبو بكر الصديق أتقىٰ لله من أن يتوسّد عليها. يعني الخلافة.

وذهب إلىٰ هٰذا أيضا جماعة من أهل الحديث بأنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة والدليل، ويعنون بذلك ما أرشد إليه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ من تقديم أبي بكر في أمر الدين الصلاة وفي صحبته له وفي بيان فضله وعدم تقديم غيره عليه؛ يعني في الفضل.

**القول الثالث**: أنها ثبتت بالاختيار ويعنىٰ بذلك اختيار المسلمين له ﷺ في سقيفة بني ساعدة، وإلا عند هؤلاء ليس ثم نص وإلا لاحتجوا به عند الخلاف.

وهٰذا ذهب إليه أيضا كثير من أهل الحديث وطائفة من الحنابلة وهو رواية عن الإمام أحمد.

وهو مذهب المعتزلة الأشاعرة والماتريدية وأهل الكلام فإنهم يرون أنها إنما ثبتت بالاختيار.

**والصحيح من هٰذه الأقوال** هو القول الأول، وهو أنها ثبتت بالنص الجلي الذي لا يحتمل غيره، ويدلّ علىٰ هٰذا عدد من الأدلة.

**الأول**: هو أن أبا بكر ﷺ هو أفضل الأمة حين مات رسول الله ﷺ، والصحابة جميعًا لم يكن أحد منهم يقدِّم أحدا من الصحابة علىٰ أبي بكر في الفضل، معلوم أن فضله ﷺ كان بنص القرآن ونص السنة علىٰ تقديمه علىٰ غيره في الفضل وأنه اختُصّ بالنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في القرآن في قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة:٤٠]، وفي قوله: «**هل أنتم تاركي لي صاحبي**» وفي قوله: «**لو اتخذت خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا**» وفي قوله: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**» -هو دليل لمسألة تأتي- ونحو ذلك من الأدلة التي فيها بيان فضلِه.

والمسلمون لما مات النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لم يكن أحد منهم يقدم أحدا في الفضل في أبي بكر، ومعلوم أن الإمامة تكون للأفضل، والفضل له شُعب منها الفضل في الدين، والفضل في العلم، والفضل في التَّقوىٰ، ونحو ذلك، وكذلك أن يكون قرشيا في إمامة الاختيار، وهٰذه كلها كانت موجودة في أبي بكر الصديق.

فالتَّنصيص علىٰ أن أبا بكر هو أفضل هٰذه الأمة بمجموع أدلة كثيرة بالتنصيص علىٰ فضله وأنه أفضل وعلىٰ اختصاصه بالنبي ﷺ يدل علىٰ أن الأفضل هو الأحق بالخلافة، هٰذا تنصيص علىٰ أنّ أبا بكر الذي

توجد فيه شروط الخلافة.

**الثاني**: أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لما مرض مرضه الأخير أمر الناس أن يقدِّموا أبا بكر فقال: «**مروا أبا بكر فليصلي بالناس**» قد قال بعض الصحابة: إذا ارتضاه رسول الله لديننا أفلا نرتضيه لدنيانا. يعني أن تقديمه في الإمامة الصُّغرىٰ وهي إمامة الصلاة دليل؛ بل هي نصٌّ علىٰ أنه هو الأحق بالتقدم في الإمامة العظمىٰ.

**الثالث**: أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أمر الصحابة أن يأتوا بكتاب ليكتب لهم، فقال: «**يأبىٰ والمسلمون إلا أبا بكر**» ثم إنه لما دعا بذلك الكتاب قال: «**ايتوني بكتاب أعهد بينكم عهدًا لا تختلفوا بعدي**» قال عمر ﷺ: عندنا كتاب ربنا وما أظن رسول الله ﷺ إلا غلب عليه الوجع. وهٰذا اجتهاد منه ﷺ - يعني من عمر- حمله عليه أن ظن أن النبي ﷺ سيذكر غير أمر الخلافة غير أمر الوِلاية؛ لأن أمر الولاية الدليل عليه قائم بأدلة كثيرة أخرىٰ، فلا تحتاج إلىٰ عهد مكتوب خاص يعهدُ إليهم به، فخشي أن يقول شيئا آخر ويكون ذلك فتنة للناس؛ لأنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في تلك الحال بشر، والناس قد لا يدركون كل شيء.

ولهٰذا النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أراد الكتابة بالعهد لأبي بكر، وعمر ﷺ منع أو رأىٰ -كما قال بعض أهل العلم- أنه لا يُجلب كتاب لأنه إن كان تنصيصًا بالولاية هٰذا مدلولٌ عليه بغيره.

قال بعض العلماء: ولا يحمل قول عمر ﷺ علىٰ أنه ظن أنّ النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ سيكتب شيئا آخر، ولكن نظر في أنَّ الأمر لم يكن علىٰ الإيجاب وإنما كان علىٰ باب الشَّفقة والرحمة لهم، وباب الشفقة الرحمة لهم قال هؤلاء لا تلزم فيه الاستجابة وخاصة في مثل مرضه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

والأول هو الأظهر في تحليل قول عمر ﷺ.

ومما يدل علىٰ تنصيص عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أنه قال: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**».

ومما يدل أيضا عليه أن امرأة أتت إلىٰ النبي ﷺ في حاجة لها فوعدها موعدة أخرىٰ فقالت كأنها تشير: إن لم أجدك. يعني بالموت قال: «**إن لم تجديني فأْتي أبا بكر**».

والأدلة علىٰ هٰذا كثيرة متنوعة في أن أبا بكر ﷺ كان منصوصًا علىٰ استحقاقه للخلافة لعدة أدلة يؤخذ منها أنه نص جليّ لا يحتمل التأويل.

أما القول الثاني وهو من قال أنها ثبتت بالإشارة، فهٰذا فيه نظر؛ لأن الإشارة بشيء خفي وهٰذه الأدلة ظاهرة في الدلالة.

وأما الذي قال بالاختيار فلاشك أن أبا بكر الصديق ﷺ اختاره المسلمون لاشك؛ بل أجمع عليه السلمون وقد نقل الحاكم في «المستدرك» وصححه أن علي بن أبا طالب ذكر إجماع المسلمين علىٰ خلافة وولاية أبا بكر، ونقل ذلك أيضا عن طلحة بن عبيد الله وعن الشافعي وعن جماعة حكوا الإجماع عن اختيار المسلمين لأبي بكر الصديق ﷺ.

وثبوتها بالاختيار هٰذا لاشك فيه؛ لكنه ليس ثبوتا مستقلا بل هو تبع لتنصيص النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ علىٰ أبي بكر لبيان فضله ومنزلته وأنه هو الحق للتقدم في أمر الدين وفي الإمامة العظمىٰ.

**المسألة الثانية** خلافة أبي بكر الصديق ﷺ وبيعة أبي بكر الصديق تمت في سقيفة بني ساعدة في القصة المعروفة حيث اختلف المهاجرون والأنصار، ثم آل الأمر إلىٰ أن يكون الخليفة من قريش لقوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**الأئمة من قريش، الخلافة فيكم**» يعني في قريش، ثم قدم أبو بكر للأدلة التي ذكرت، واجتمع المسلمون علىٰ بيعة لأبي بكر.

ومنهم من المسلمين من الصحابة من حصلت منه البيعة التي هي التزامٌ لهٰذا الإمام ولهٰذا الخليفة بالمبايعة اللفظية دون المبايعة بصفحة اليد، وهٰذا كما حصل من علي ﷺ ومن طلحة بن عبيد الله، فإنهما -وهناك معهم آخرون- لم يبايعوا مباشرة بصفحة اليد فإنما بايعوا لما بايعوا لما بايع أهل الحل والعقد.

ومعلوم أن المبايعة قسمان:

- بيعة لأهل الحل والعقد ومن استطاع من المسلمين أن يبايع بصفقة اليد والعهد.
- والبقية يبايعون بيعة شرعية باللسان أو باعتقاد القلب بالتزام طاعة هٰذا الخليفة وهٰذا الإمام.

وعلي ﷺ ومن معه قال طائفة: إنهم لم يبايعوا إلا بعد ستة أشهر أو بعد بضعة أشهر أو ثلاثة أشهر أو أكثر أو أقل، وأنهم لم يكونوا يرتضون ذلك تلك البيعة الأولىٰ.

وهٰذا غلط كبير؛ بل علي ﷺ قد بايع ولكنه لم يقدم علىٰ أبي بكر حتىٰ توفيت فاطمة، وكذلك طلحة بن عبيد الله تأخر في إعطاء أبي بكر الصديق ثمرة القلب وصفقة اليد في البيعة.

وهٰذا التأخر له أسباب من أهمها:

☜ أن عليا وطلحة من العشرة ومن المقدمين وقد أخروا أو لم يدعوا أو لم يأتوا إلىٰ الشورىٰ -السقيفة- وفي اجتماع فرأوا أنهم لم لكن لهم الأمر في الشورىٰ أنهم حينئذ أنهم ليسوا من أهل الحل والعقد فلا يلزم أن يستعجلوا في إعطاء البيعة بصفحة اليد.

☜ السبب الثاني أن عليا ﷺ راعىٰ فاطمة فيما كان في شأنها -**إن صحت الحكاية**- فيما كان في نفسها في تعطيل بعض الميراث وأبو بكر ﷺ أخذ بقول النبي ﷺ: «**إنا لا نورَث ما تركناه صدقة**»، وكان عليٌّ ﷺ يُراعي حال فاطمة لأنها بنت رسول الله ﷺ وكان عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ يقول في شأنها: «**إنما أنت بَضعةٌ مني يؤذيني ما يؤذيك**» فتأخَّر علي لسبب ليس براجع إلىٰ أحقِّيّة أبي بكر بالخلافة ولا إلىٰ أحقيته بالبيعة؛ بل إلىٰ مسألة يرىٰ أنها الأفضل في مراعاته لفاطمة أو لأنه لم يكن من أهل الشُّورىٰ فلا تلزمه المبادرة مع حصول بيعته لأبي بكر، حيث ذَكَرَ هو أن المسلمين والصحابةُ أجمعوا علىٰ علىٰ خلافة أبي بكر.

☜ السبب الثالث أنّ التأخر قد يحصل والتأخر أو التقدم ليس أمرا قادحا في استحقاق أبي بكر للخلافة، ولا إلىٰ إجماع الناس عليه؛ لأنَّ التأخر -كما ذكرتُ لك- مردُّه إلىٰ ترك الأفضل من البيعتيْن وهو بيعة اليد، فإذا حصَلت البيعة الواجبة؛ وهي بيعة الاعتقاد بيعة الالتزام ثم مبايعة المسلمين حصل القصد الشرعي، والأمر الثاني يُمكن أن يكون له أكثر من سببٍ فلا يُجعل قادحًا لا من جهةٍ علمية ولا من جهة أيضا عملية.

لهٰذا من نقل أنّ عليًّا ﷺ أو طلحة أو نحو ذلك لم يكونوا يرتضون خلافة أبي بكر أو أنهم جاملوا لما رأوا الأمر استقر، وأن عليًّا كان الأحق ونحو ذلك، وهٰذه كلها أقوال من أقوال أهل الرِّفض والبدع

الوخيمة.

ولا يصحُّ في هٰذا شيء عن صحابيٍّ أصلًا في أنه يقدم نفسه لا في الفضل ولا في الخلافة علىٰ أبي بكر ﷺ؛ بل المسلمون تبعٌ لأبي بكر ﷺ وأرضاه.

**المسألة الثالثة:** خلافة أبو بكر الصديق طعَنَ فيها الرّافضة، فلم يقتصروا علىٰ ذلك بل طعنوا في أبي بكر الصديق.

وطعنُهم في الخلافة يريدون منها أن أبا بكر وعمر اغتصبا الخلافة واغتصبا الولاية، وكان الأحق بها علي ﷺ، ويستدلّون لذلك بقول النبي ﷺ لعلي في حديث غدير خم المعروف أنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال لعلي: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلا أنه لا نبي بعدي**» ومنزلة هارون من موسىٰ أنه قال: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[الأعراف]، وهٰذا الحديث وقد رواه مسلم في الصحيح حديث غدير خم المعروف حديث صحيح «**أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ**» لا تدل علىٰ استحقاقه للخلافة مطلقا، وإنّما علىٰ استحقاقه للولاية في تلك السَّفرة التي سافرها النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، فهو لما ذهب فإن عليا صار منه بتلك المثابة وطمأن خاطره وشرح صدره بهٰذه المنزلة إذ لم يرافقه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وهٰذا شيء مؤقت لا يدل علىٰ تقديم في كل حال...

لما حج أبو بكر بالناس عام تسع من الهجرة كان هو الأمير أمير الحج، وعلي ﷺ كان معه ليقرأ علىٰ الناس أول سورة براءة ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ الآيات، وسبب إرسال علي ﷺ مع أبي بكر أنه كان من عادة العرب أنها لا تقبل الأمر الجلل إلا من الرجل نفسه أو من ذي قرابة منه يقولوا بقوله، فرغب عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في أن لا يحدث اختلاف في هٰذا الأمر وأن يعلن البراءة من المشركين بأن لا يحجّ بعد العام مشرك، أن يعلنها أقرب الناس من رسول الله ﷺ وهو علي بن أبي طالب ابن عمه وزوج بنته ﷺ، وهٰذا يدل علىٰ أنه كان مع أبي بكر تابعا، وكان أبو بكر ﷺ هو الأمير، وما ذكروه من قوله: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ**» فإن هٰذا شيء مؤقت لا يدل علىٰ منزلة عامة.

ولهٰذا علي ﷺ كان في ستة نفر الذين ولذلك كان علي في ستة نفر الذين عهد إليهم عمر ﷺ باختيار الخليفة، فكان من اختيارهم أن يختاروا عثمان ﷺ خليفة للمسلمين، ولهم في ذلك -يعني للرافضة- في ذلك أقوال في القدح في أبي بكر وفي القدح من عمر وعثمان معروفة، عاملهم الله بما يستحقون.

**المسالة الأخيرة الرابعة**: قال: (**تَفْضِيلًا لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَىٰ جَمِيعِ الْأُمَّةِ**) وهٰذا هو الذي ذكرتُ لك في أول الكلام من أن تقديم أبي بكر لأجل تفضيله، فهو الأفضل وهو المقدَّم، كذلك عمر هو الأفضل وهو المقدَّم، كذلك عثمان هو الأفضل وهو المقدَّم، ثم علي هو الأفضل وهو المقدَّم، ﷺ أجمعين.

فإثبات الخلافة فيها إثبات الفضيلة، وأيضا المسألة تنعكس إثبات فضل أبي بكر علىٰ جميع الأمة فيه إثبات الخلافة له ﷺ وتقديمُ أبي بكر علىٰ جميعه الأمة في الفضل هو تقديم لأبي بكر علىٰ جميع الأمة في استحقاقه في الولاية والخلافة.

قال بعدها: (**ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخطَّابِ** ﷺ) عمر بن الخطاب هو في الأفضل بعد أبي بكر الصديق، وهو في

الخلافة أيضا هو الخليفة الثاني بعد رسول الله ﷺ، وخلافته بالإجماع ثبتت بالعهد من أبي بكر حيث إنّ أبا بكر الصديق ﷺ نص علىٰ عمر بالخلافة بعده، لهٰذا لم يختلف المسلمون في أن يكون بعد أبي بكر عمر بن الخطاب ﷺ.

وفضائل عمر أكثر من أن تحصر، ومناقبه كثيرة مبثوثة، وفي عهده ﷺ -عهد عمر- اتسعت بلاد الإسلام وانتشر لواؤه وكثر الداخلون في الدين، وأُغمت أنوف الكفرة والمشركين وسار الصحابة والمسلمون إلىٰ أمكنة بعيدة، وكان في عهده يأخذ نفسه بالحزم والشدة علىٰ نفسه وعلىٰ قرابته، حتىٰ إنه قبل له في آخر أمره: ألا تعهد لعبد الله بن عمر بن الخطاب فقال: يكفي أن يشقىٰ بهٰذا الأمر واحد من آل الخطاب.

وكان ﷺ وهو عمر كان من أحزم الناس في أمر الولاية؛ بل كان أحزم هٰذه الأمة بعد أبي بكر الصديق في أمر الوِلاية، ومع أنه كان متَّصفًا بالقوة والبأس والهيبة، وكان أبو بكر ﷺ متصفا بالرفقة والرّحمة والسعي في الحاجات عن قلب رحيم، فإن أبا بكر كان في الولاية أفضل منه وفي مقامه مقام أبي بكر في الوَلاية كان أفضل وأرفع من عمر ﷺ في مقامه، فأبو بكر الصديق ﷺ هو الذي وقف في الردة ذلك الموقف العظيم الذي لم يثبت له عمر ولم يثبت له كثير من الصحابة ﷺ أجمعين.

فولاية عمر بالاتفاق والإجماع من أهل السنة أنها ثبتت بالنص ثبتت بالعهد من أبي بكر، وأنه هو المستحقّ لها إلا خلاف الرافضة المعروف.

قال بعدها: (ثُمَّ لِعُثْمَانَ ﷺ) وعثمان ﷺ ولي الخلافة بالاختيار، فعمر لما ولي الخلافة وليها بعهد، ثم استمر فلما قربت وفاته شهادته ﷺ قال: إن اعهد فقد عهد أبو بكر، وإن أترك فقد ترك النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وجعل الأمر شورىٰ في ستة نفر فآل إليهم الأمر فاختاروا أفضلهم وأعظمهم صحبة للنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ومقام صدق في الإسلام وهو عثمان بن عفان ﷺ وأرضاه، فخلافة عثمان ثبتت بالاتفاق ثبتت بالاختيار؛ اختيار أهل الشورىٰ الخاصين وهم الستة من العشرة ﷺ.

(ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ) ونثبت الخلافة بعد عثمان لعلي ﷺ، وعلي بن أبي طالب لم يجمع عليه المسلمون في عهده لأنه -مع أنه الحق من كل وجه من غيره- لأنه كان بعد مقتل عثمان، ومقتل عثمان سعىٰ فيه المفسدون من الخوارج ونحوهم وأوغروا الصدور في هٰذا الشأن، حتىٰ وقع قتل عثمان، ثم وقع الخلاف بين الصحابة بسبب ذلك، فمعاوية ﷺ في جهة وعلي ﷺ في جهة، وطلحة والزبير وعائشة في جهة، وحدث من ذلك ما حدث.

فعلي ﷺ خلافته ثابتة باختيار أهل الحل والعقد له في المدينة، خلافته بالاختيار؛ ولأنه هو الأفضل من هٰذه الأمة بعد عثمان، وإذا كان هو الأفضل فهو الأحق بالولاية وهو الأحق بالخلافة.

ولهٰذا كان الواجب علىٰ الجميع المسلمين في وقته يعني من الصحابة والتابعين أن يعقدوا البيعة لعلي ﷺ؛ لكن لم يجتمع الناس عليه وقضىٰ في الخلافة ﷺ سنين لم يكن السلك فيها منتظما ولا حبل الولاية فيها مستقيما؛ بل كان زمن قتال وخلاف.

وعلي ﷺ لقي من الناس فيها الأمرّين، لهٰذا خلافة عليّ -وإن لم تكن مجمعًا عليها- فهي ثابتة بيعة

أهل الحل والعقد له في المدينة، وأهل الحل والعقد هم الذين يُصار إليهم في مسائل البيعة، وبعدهم لا يجوز لأحد أن يتخلف لأن انتظام تلك واجتماع الأمة هٰذا فرضٌ من الفرائض، إضافة إلىٰ أن علي هو الأفضل، وهو ﷺ في مكانته من رسول الله ﷺ بالمكان الذي لا يخفىٰ.

قال بعدها: (**وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّونَ.**) هم الخلفاء الراشدون، كلمة (**الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ**) مأخوذة من حديث النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في وصفهم بالرّاشدين في قوله مثلا في حديث العرباض بن سارية: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعظوا عليها بالنواجذ**» ووصف الخلافة ووصف الرّشد ليس مختصا بهؤلاء، فقد يكون بعدهم من يكون خليفة، ويكون بعدهم من يكون راشدا.

لكنهم اتصفوا بوصف زائد علىٰ الخلافة الراشدة بأنهم علىٰ خلافة راشدة علىٰ منهاج النبوة كما صحّ عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أنه قال: «**الخلافة ثلاثون سنة علىٰ منهاج النبوة ثم يكون ملكا**» إلىٰ آخره.

فهم الأربعة الخلفاء الأربعة الذين شَهِد لهم النبي ﷺ بالخلافة وبالرشد.

وهاهنا مسائل:

**المسألة الأولى**: أنّ وصف الخليفة استمر بعدهم في وُلاة بني أمية؛ لكنه مع تغير الاسم إلىٰ أمير المؤمنين، وهٰذا ابتدأ من عهد عمر ﷺ لما قيل له: أنت[1] خليفة خليفة رسول الله ﷺ. فقال: أنتم المؤمنون وأنا أميركم. أو كما جاء عنه ﷺ، وإلا فهم خلفاء الخليفة عمر الخليفة عثمان والخليفة الراشد علي وهكذا؛ لكنه اقتُصر علىٰ أمير المؤمنين عمر وأمير المؤمنين عثمان وأمير المؤمنين علي، ثم بعدها أمير المؤمنين معاوية إلىٰ آخره فهؤلاء خلفاء لقول النبي ﷺ: «**لا يزال هٰذا الدين عزيزًا إلىٰ اثنتي عشر خليفة**» وهٰذا يدلّ علىٰ دخول ملوك بني أمية مع اتصافهم بالملك باسم الخليفة؛ لأن لفظ الخليفة ليس فيه مزيد فضل؛ ولكن معناه الذي يخلف من قبله، وقد يكون يخلف بحسن، وقد يكون يخلف لغير ذلك، لكن قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**لا يزال هٰذا الدين عزيزا إلىٰ اثنتي عشر خليفة**» وهٰذا يدل أيضا علىٰ أن ما بعد الاثني عشر خليفة يصح أن يسموا خلفاء؛ لكن لم يختصُّوا بهٰذا الاسم ولكن اختصوا بألقاب أخرىٰ، وربما أطلق هٰذا اللقب.

**المسألة الثانية**: لو كان ثَم خليفة خامس بعد الخلفاء الأربعة الذين اختصوا باسم الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، لو كان ثم من يستحق الخليفة الخامس فالذي يستحقه الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وهٰذا هو الذي عليه أهل السنة بخلاف قول طائفة من أهل البدع في عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ إنه خامس الخلفاء الراشدين أو الخليفة الخامس أو الخليفة الراشد الخامس ونحو ذلك، هٰذا ليس من أقوال أئمة أهل السنة؛ بل لو كان ثم خامس فالأحق به معاوية بن أبي سفيان فهو أفضل من عمر بن عبد العزيز بلا شك؛ لأنه اجتمع عليه الناس وصار في مدته إغاضة للكافرين؛ ولأنه هو صاحب رسول الله ﷺ وكاتب الوحي، وقد قال ابن مسعود: لَمُقام أحدهم ساعة مع رسول الله

---

(١) نهاية الشريط الرابع والأربعين.

ﷺ خير من عبادة أحدكم كذا وكذا سنة. والنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»، وقد قال جل وعلا أيضا: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد:١٠] عمر بن عبد العزيز لاشك أنه دون معاوية ولم يحصل له في ولايته الانتصار، وإنما أراد أشياء في نشر السنة، وفي الجهاد وفي إحقاق الحق والعدل بين الناس، وإزالة المظالم؛ لكن لم يستقم له الأمر فما عاش في ولايته إلا أقل من السنتين أو نحو السنتين، ثم بعدها قبض ولهٰذا فلا يقدم أحد من التابعين علىٰ أحد من الصحابة ﷺ.

**المسألة الثالثة:** الحسن بن علي ﷺ ابن بنت رسول الله ﷺ ريحانة النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لما قُتل عليّ بايعوه بالخلافة، فما استقام الأمر له، فأراد ﷺ وأرضاه أن يحقن الدماء وأن يجمع كلمة المسلمين فتنازل بالخلافة والولاية إلىٰ معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وسمي عام تنازله بعام الجماعة حيث اتفق المسلمون واجتمعوا، وهٰذا لشدّة ورعه وتقواه -أعني الحسن- فإنه هو أحق بالأمر؛ لكن رأىٰ أن مصلحة العظمىٰ للإسلام والمسلمين تقضي بأن يترك الأمر لمعاوية الصحابي وفي اختيار الحسن الخير والبركة وهكذا كان، فعاش المسلمون نحوا من عشرين سنة وهم في أمن وأمان وقوة علىٰ الأعداء ومكنة في أمر دينهم وفي أمر دنياهم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ بعدها: (**وَإِنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَبَشَّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ، نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ عَلَىٰ مَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ**) هٰذا فيه تخصيص هؤلاء العشرة بالفضل وبالسعادة لهم بالجنة، ودخل هٰذا في العقائد مخالفة للرافضة وبعض الخوارج الذين يتبرؤون من أكثر هؤلاء العشرة، ويرون أن لفظ العشرة لفظ مشؤوم، وأنه لا يصح الشهادة لهؤلاء بالجنة، ولا أن يُتولوا صار من عقيدة أهل السنة مع توليهم لجميع الصحابة أن يُشهد لهؤلاء العشرة بالجنة وأن يُتولوا بخصوصهم لمزيد فضلهم وسابقتهم وحبهم لرسول الله ﷺ وجهادهم معه، فأدخلت في العقيدة لأجل خلاف الرافضة في هٰذه المسألة لتبرئهم من أكثر العشرة ومن لفظ العشرة.

[**المسألة الأولى**] وهؤلاء العشرة سماهم هنا أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ﷺ، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الرَّحمٰن بن عوف ﷺ.

وذكرت لكم مسألة قبل ذلك وهي أن هؤلاء العشرة قيل عنهم المبشرون بالجنة لا لأجل اختصاصهم بهٰذه الشهادة والبشارة؛ بل النبي ﷺ بشر عددا كبيرا من الصحابة بالجنة فبشر بلال بالجنة، وبشر خديجة بالجنة، وبشر عائشة بالجنة، وبشر عكاشة بن محصن بالجنة، وبشر آخرين بالجنة، وإنما خصّ هؤلاء وإنما أفضل هٰذه الأمة؛ ولأنهم بُشِّروا بالجنة في مكان واحد في حديث واحد، فقد صح عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أنه قال: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة في الجنة، وعبد الرَّحمٰن بن عوف في الجنة**» أو كما جاء عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وجاء أيضا في حديث آخر أنه

بشرهم واحدا تلوىٰ الآخر في دخولهم عليه في بستان فقال: «**أدخله وبشره بالجنة**» فأدخل أبا بكر، فدخل عمر فقال «**أدخله وبشره بالجنة**»، ثم لما أتىٰ عثمان قال: «**أدخله وبشره بالجنة علىٰ بلوىٰ تصيبه**» ثم هكذا إلىٰ آخره.

المقصود من ذلك أن هؤلاء أنه نص عليهم لمزيد فضلهم ولاختصاصهم بالنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ وكلّهم من المهاجرين.

بمكن أن تجعل هٰذه المسألة الأولىٰ.

**المسألة الثانية**: الرافضة -خذلهم الله- ومن شابههم يتبرؤون من أفضل هٰذه الأمة وهم هؤلاء العشرة ما عدا بعض المذكورين، ويرون أن لفظ العشرة من الألفاظ المنكرة التي ينبغي التبرؤ منها، فيكرهون لفظ العشرة لأجل وروده في العشرة المبشرين، ولأجل مقتل الحسين في اليوم العاشر من محرم ونحو ذلك مما يعتقدونه.

والواجب أنّ المسلم يتولىٰ من تولاه النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، فإذا كان النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ هو الذي تولىٰ هؤلاء، وهو الذي أشار إلىٰ فضلهم وهو الذي بشرهم بالجنة، فأي خيبة بعد ذلك علىٰ من عاداهم ولم يتولهم، فبحب رسول الله ﷺ ونصرهم له أحببناهم ونصرناهم ودافعنا عنهم الذين يبغضون من أحب النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ومن شهد له بالجنة هم الحقيقون بأن يبغضوا.

وأهل السنة لكمال عدهم وأنهم هم الوسط الذين شهد لهم بذلك وفي قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[البقرة:١٤٣]، وأهل السنة هم الوسط فهم يتولون من تولاه النبي ﷺ، والفرق علىٰ اختلافها الخوارج والنّواصب والشيعة والرافضة يتولون بعضا ويكرهون بعضا؛ بل ربما كفروا بعضا وحكموا بالإيمان علىٰ بعض، وهٰذا كله من الاعتداء والحكم علىٰ ما ليس لهم الحكم فيه.

لهٰذا الواجب علىٰ كل مسلم في أي مكان كان من الأرض أن يُعلن موالاته لهؤلاء العشرة لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرَّحمٰن بن عوف وأبو عبيدة، يعلن موالاته لهؤلاء؛ لأن موالاتهم من الدين، ومن موالاتهم أيضا الشهادة لهم بالجنة، ومن موالاتهم أن ينصروا في موضع يُنال منهم، ومن موالاتهم ومحبتهم أن يجاهد المسلم في سبيل دفع الشُّبه عنهم، الشبه التي ربما يكون مردّها إلىٰ الإثارات العلمية.

فطالب العلم يحسن به؛ بل هٰذا من الجهاد أن يكون عالما بما أثير علىٰ أبي بكر الصديق وكيف أجاب أهل العلم عن ذلك لأنه قد يحتاج، ثم علىٰ عمر، ثم علىٰ عثمان، ثم علىٰ البقية كأبي عبيدة بن الجراح الذي يزعم الرافضة أنه كان متفقا مع أبي بكر وعمر أن يلي الأمر بعدهما ولكنه مات قبل ذلك، وهٰذا دعوىٰ يكذبون بها.

فالواجب إذن أن يكون مقتضىٰ المحبة والولاية أن يكون المؤمن عالما بفضائلهم وأن يكون مدافعا عنهم لأن هؤلاء هم الصفوة.

والله جل وعلا يقول: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[التوبة:٧١]، وقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**» وقال: «**المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يحقره**»

يخذله متىٰ؟ في موضع يحتاج فيه إلىٰ نصرته، فإذا وقع الناس في عرض خير الناس بعد رسول الله ﷺ، أو في عرض عائشة الصديقة بنت الصديق، أو في عرض عمر أو في عثمان أو أبي عبيدة أو نحوهم، فإن الواجب أن ينتصر لهم، والانتصار لهم من الانتصار للدين لأنه انتصار لمن شهد الله جل وعلا له وشهد له رسول الله ﷺ.

**المسألة الثالثة والأخيرة** حول هٰذا: أن قوله: (**نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ عَلَىٰ مَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ**) فيه إشارة إلىٰ المسالة التي مرت معنا سالفا وهي أننا أهل السنة والجماعة لا نشهد لمعين من أهل القبلة لا بجنة ولا بنار إلا من شهد له رسول الله ﷺ، فنشهد لهم بالجنة لا لأجل أن لهم الفضائل السائرة وأن لهم المنزلة بل لأن النبي ﷺ شهد لهم بالجنة، فنشهد لشهادة رسول الله ﷺ.

وقد ذكرت لكم أن أهل العلم بالشهادة بالجنة للمعين اختلفوا فيها علىٰ ثلاثة أقوال ذكرتها لكم سالفا، ومنها أن يُشهد لمن استفاض عند الأمة الشهادة له بالخير والصلاح والتقوىٰ؛ لأن الله جل وعلا وعد أهل الصلاح والخير والتقوىٰ وعدهم بالجنة، ووعده الحق، والأمة شهود الله جل وعلا في الأرض كما جاء في الحديث الصحيح أنه لما مر بجنازة شهدوا لها بالخير قال: «**وجبت**» ثم مر بأخرىٰ فأثنوا عليها شرا فقال: «**وجبت**»، قالوا: يا رسول الله، ما وجبت؟ قال: «**تلك أثنيتم عليها خيرا فوجبت لها الجنة، وهٰذه أثنيتم عليها شرا فوجبت لها النار أنتم شهداء الله في الأرض**»، لهٰذا كان رواية عن الإمام أحمد واختيار ابن تيمية وجماعة أنه بالاستفاضة يشهد، وهؤلاء العشرة مع شهادة رسول الله ﷺ لهم بالجنة فإن الأمة أجمعت عليهم، فليس ثم في الأمة إلىٰ وقت خروج الخوارج ليس ثَم في الأمة إلا من يحب هؤلاء العشرة ويتولّاهم وينصرهم؛ لأنهم الذين نصروا الدين وكلهم ماتوا والأمة تشهد لهم بالخير والحق والصلاح ونصرة النبي ﷺ والجهاد معه.

قال بعدها: (**وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ؛ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ.**) يريد بذلك أيضا الرد علىٰ الروافض والزيدية والخوارج ومن شابههم في عدم تولّيهم لجميع الصحابة ولجميع أزواج النبي ﷺ، وإنّ من علامات الإيمان محبة الصحابة وزوجات النبي ﷺ جميعا، ومن علامات النفاق بغض بعض الصحابة وبغض بعض زوجات النبي ﷺ، أو الوقيعة في بعض زوجاته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، تميز أهل السنة وفارقوا طوائف من الفرق الضالة بأنهم يحسنون القول في الصحابة وفي الزوجات الطاهرات وفي ذرية النبي ﷺ أعني ذرية الحسن والحسين وبقية أولاد علي ﷺ وأرضاهم.

ويندرج الكلام في مسائل:

**الأولى**: قوله: (**وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**) يعني بإحسان القول هنا ما يشمل إحسان القول القلبي بما يحدّث به المرء نفسه، وإحسان القول الكلامي وهو ما يتكلم به المرء، فمن لم يكن في نفسه شيء علىٰ الصحابة والزّوجات الطاهرات قد برئ من النفاق، ويُفهم من ذلك أن من كان في نفسه شيء علىٰ بعض الصحابة أو لم يحسن الظن أو لم يحسن القول فيهم ظاهرا أو باطنا فإنه يخشىٰ عليه من النفاق بقدر ما فيه من الإساءة، وهٰذا يدل علىٰ أن الواجب علىٰ كل مسلم ومسلمة أن يكون

اعتقادهم في صحابة رسول الله ﷺ أحسن الاعتقاد وأن يُثنوا عليهم بالجميل وأن يكِلُوا أمرهم إلىٰ الله فيما اختلفوا فيه وأن يعلموا أنهم إنما اختلفوا في أمر لهم فيه اجتهاد وتأويل لأجل الدين.

**المسألة الثانية**: أزواج النبي ﷺ الطاهرات [تسع]، ووصفهم هنا بأنهن طاهرات ويعني بطاهرات ما وعد الله جل وعلا به أو ما وصفهم الله جل وعلا به في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[الأحزاب]، وتطهير هنا وإذهاب الرجس بعنب أن مع بقية أهل البيت أنهن طاهرات مطهَّرات، فمن وصفهن بغير الطهر وقذف بعض نساء النبي ﷺ فإنه منافق وربما يكفر بقذفه أو بعدم تطهيره لهنّ.

الله جل وعلا يقول: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾[الأحزاب:٣٢]، وهٰذا في التفسير معناه أنهن رضي الله عنهن لسن مثل بقية نساء المؤمنين؛ لأنهن زوجات النبي ﷺ في الدنيا وزوجاته في الآخرة؛ ولأنهن أيضا أمهات المؤمنين وقال: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[الأحزاب:٦] فأزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين، وهٰذا يدلّ علىٰ فضلهن علىٰ كل مؤمن وعلىٰ تطهيرهن كما في آية الأحزاب السابقة، وعلىٰ أن الواجب نحوهن الموالاة التامة وأنه لا يجوز أن يعتقد في واحدة منهن بغير الكمال في أمر دينها بحسب ما وسعه.

ومعنىٰ أزواج النبي ﷺ ومعنىٰ كون أزواج النبي ﷺ أمهات للمؤمنين أنهن بمنزلة الأمهات كما جاء في القراءة الأخرىٰ أو في الحرف الآخر ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَهُوَ أَبٌ لَّهُمْ﴾ فهن أمهات المؤمنين في المنزلة وفي واجب المحبة تقدير وفي واجب النصرة وما يجب من الموالاة ونحو ذلك.

أما في المحرمية فليس أفراد المؤمنين محارم لزوجات النبي ﷺ؛ بل كان زوجات النبي ﷺ تحتجبن عن بقية المؤمنين، فهن أمهات المؤمنين في المكانة والمنزلة والفضل وليسوا أمهات في المحرمية؛ لأن المحرمية أقسام ثلاثة:

هٰذا القسم أحدها.

**المسألة الثالثة**: قوله: (وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ)يعني بها يعني بكلمة (الْمُقَدَّسِينَ) المطهرين لأن التقديس معناه التطهير، الأرض المقدسة يعني الأرض المطهرة.

وهنا نوع العبارة مع أنه لم يأت في الكتاب ولا في السنة وصف ذرية النبي ﷺ بالقُدْسية أو أنهم مقدسون وإنما استعمل ذلك في المعنىٰ لثبوت المعنىٰ وهو التطهير في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾، لهٰذا قال بعدها: (وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ) المعنىٰ للآية وأنه يريد بالتقديس هنا التطهير من كل رجس الذي هو الإثم والعيب.

وذريات النبي ﷺ منهم من انقطع النّسل وهم أولاده عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ وأولاد بناته الذين انقطع نسلهم ومنهم من بقي نسله إلىٰ اليوم وهم الذين يسمون بآل البيت، وآل البيت الغالب الآن الموجود من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب، ومنهم القليل من ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب، ومن ينتسب إلىٰ الحسين أو إلىٰ الحسن، فإنه في الغالب عندهم صكوك نسبة يسردون فيها النسب إلىٰ الحسن أو الحسين يعني إلىٰ علي بن أبي طالب إلىٰ فاطمة الزهراء.

وهٰذه النسب سواء اطّلع عليها المسلم أو لم يطّلع عليها فإن اعتقاده في جنس الذرية الذين طهّرهم الله

جل وعلا من الرجس، ولا ينسب لمعين من الذرية بأنه مطهّر من كل رجس؛ يعني أنّ المسلم يحسن القول في ذرية النبي ﷺ الذين شُهد لهم بالتطهير من الأرجاس في الآية، وهٰذه شهادة عامة وهي خاصة بأهل ذاك الزمان، وما تسلسل الزمان ما بقوا علىٰ سنة النبي ﷺ، وإلا فإن من المعلوم أن القرابة وحدها ليست بسبب كاف في نزع الآثام أو ثبوت التولي، فقد يرتد القريب وقد يفسق وقد يكون كذا وكذا.

لكن من كان منهم صالحا فله حق التقديم وله حق التبجيل وله حق الاحترام لمكان يعني أعظم من غيره لمكانه من رسول الله ﷺ، ولا يُبحث في مثل هٰذه المسائل في الأنساب؛ لأنه كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: الناس مؤتمنون علىٰ أنسابهم. ولا يبحث عن النسب وإنما من كان صالحا فيصدق بظاهره، ومعيار صدقه المحافظة علىٰ سنة نبيه ﷺ في أصل الأصول وهو التوحيد والعقيدة ثم في البراءة من البدع ونحو ذلك.

قد صحّ عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ أيضا أنه قال: «**ثنتان في أمتي من أمر الجاهلية لا يدعونهن: الطعن في الأنساب والنياحة علىٰ الميت**». وهٰذا يحصل كثيرا الحقيقة ممن ينتسب إلىٰ أهل البيت فإنه قد يأتي آت ويطعن في النسب، هٰذا لا يجوز شرعا أن يخاض في مسألة النسب إلا من شاع وانتشر وظهر أنه مقدوح في نسبه فهٰذا أمر آخر؛ لكن يشكك في النسب هٰذا أمر لا [ينبغي]، المقصود الاستقامة والناس مؤتمنون علىٰ أنسابهم ومن لم يكن مستقيما فيُدعىٰ له الحق أكثر من غير فيدعىٰ له بالاستقامة والهداية ومغفرة الذّنب لأجل منزلته من رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ.

**المسألة الرابعة**: قوله في آخر الجملة: (فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ) يعني به ما يشمل به النفاق العملي والنفاق الاعتقادي لأن ضد إحسان القول في الصحابة والزوجات والذرية هو الإساءة في القول ظاهرا أو باطنا وهٰذه الإساءة قد تكون من النفاق العملي وقد تكون من النفاق الاعتقادي بحسب الحال، ومن طعن مثلا في عائشة رضي الله عنها فيما برأها الله منه فإنه نفاق حينئذ نفاق اعتقادي كما جل وعلا في سورة المنافق: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾[النور].

وقد يكون نفاقا عمليا بحسب إساءة الظن؛ لأن آية الإيمان حب الصحابة، وآية النفاق بغض الصحابة، وإذا كان النبي ﷺ قال في الأنصار: «**آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار**» فإن المهاجرين أفضل من حيث الجنس من الأنصار، فلهم الحق أعظم، كذلك زوجات النبي ﷺ وعامة الصحابة لهم في ذلك المقام الأعظم.

لهٰذا نقول: إن النفاق العملي قد يدخل في القلب في الإساءة في القول في الظن في صحابة رسول الله ﷺ أو زوجاته أو ذرياته...

أظن نستطع إن شاء الله أن ننتهي قبل رمضان؟ إن شاء الله،

[الأسئلة] نجيب عن سؤالين أو ثلاثة

سؤال (٤٦٢): بعض أهل العلم يذكر في تعريف الصحابي من آمن بالرسول ورآه ومات علىٰ ذلك وإن تخللته ردة، وذكر وإن تخللته صحبته ردة.

الجواب: هٰذه المسألة معروفة في تعريف الصحابي في مصطلح الحديث؛ يعني هٰذا القيد وإن تخللته

ردة، لا داعي له لأن آمن بالرسول ﷺ ورآه ومات علىٰ ذلك. فقوله: (وإن تخللته ردة) هٰذا لأجل خلاف من خالف في هٰذه المسألة؛ لكن قوله ومات علىٰ ذلك وإن تخللته ردة لا تصلح للتعاريف علىٰ ما هو معروف في موطنه.

سؤال (٤٦٣): هل يصح أن يقال إن حسان بن ثابت ﷺ جبان أو نحو ذلك كما ذكر ذلك ابن حجر في الإصابة، علما أن وصف الجبان وصف ليس عامًّا وإنما هو لحادثة أو نحوه؟

الجواب: ليس كذلك، ليس كذلك؛ بل حسان بن ثابت ﷺ من الشّجعان لأنه كان يهجو المشركين، قد قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لحسان: «**أهجهم حسان وروح القدس معك**» وقال أيضا له في وصفه هجائه للمشركين: «**لهو أشد عليهم من وقع النبل**»، والعرب كانت من تثأر ممن يهجو وتكيد له بالسوء، فحسان ﷺ كان مقدامًا لكنه كان كبير السن جدًّا، فكان تقدم قبل النبوة قبل أن يسلم عليه ستون سنة، فأسلم وهو ابن ستين سنة، ولما جاءت المغازي كان كبيرا فربما تأخر لضعفه لا لأجل شيء في نفسه.

فوصفه بهٰذا أولا لا يجوز؛ لأنه تأخر في بعض الوقعات لا لأجل ما ذكره هنا؛ ولكن لأسباب أخر، وله له في ذلك مقام الصدق ﷺ وأرضاه.

سؤال (٤٦٤): ما رأيك، أيش.

الجواب: ما أدري المهم يقول: في الرد علىٰ أهل الرِّفض ودحض ما يبثون علىٰ جهاز الإنترنت من تشكيك في القرآن وأنه ناقص وغير ذلك من الشبه؟

أنا ما وقفت أنهم يعلنون نقص القرآن؛ لأنهم يقولون: نحن لا نقول بنقص القرآن ولا يصح إنما هو قول شذاذ منا ولا يصح أن ينسب إلينا. ويتبرؤون من هٰذه المقالة فإذا كان نشروه علىٰ صفحات الإنترنت تحتاج إلىٰ تثبت، ولابد من الرد عليهم وهو من أعظم الجهاد العلمي.

سؤال (٤٦٥): لم تشيروا حفظكم الله إلىٰ خلافة الحسن بن علي؟

الجواب: أنا ما أشرت إليها؟ أشرت، قال: أشرت، صحيح ما فصلت أما الإشارة أشرت.

سؤال (٤٦٦): ما رأيكم في ولاية عبد الله بن الزبير وهل هي ولاية شرعية وفي عام ألفين... وإلىٰ آخره.

الجواب: أول القرن يبدأ من سنة الصفر أو من سنة الواحد، بداية القرن يعني سنة واحد أو من سنة صفر؟ يعني الآن لما أقول عشرة هٰذه تتمة إيش؟ تتمة العاشرة أو هو هي تبدأ من عندما السنة تبدأ تتناقص.

علىٰ كل حال هٰذا هروب من السؤال يعني.

فيه شيء إن شاء الله سيصدر قريبا عن هٰذه الاحتفالات يعني تنبيه عام إن شاء الله يصدر قريبا.

سؤال (٤٦٧): هل لمن يدّعي أنه من الأشراف حق علي وإذا كان من الفسقة هل يجب عليّ شيء تجاهه؟

الجواب: لا، له حق المحبة لأنه من الأشراف أما من جهة الحقوق الأخرىٰ الحقوق الأخرىٰ فهي متبادلة كغيرهم من المسلمين، لكن له حق المحبة له حق التقديم، له حق المزيد من النصيحة.

والأشراف، الشرف المقصود به شرف النسبة يعني أنه منتسب إلىٰ الآل، وفيه اصطلاح خاص يعني كل واحد منتسب إلىٰ علىٰ ﷺ يقال له من الأشراف.

لكن فيه اصطلاح خاص آخر وهو أن يفرق بين الأشراف والسّادة، يقال هٰذا من الأشراف وهٰذا من السادة؛ يعنىٰ بالسّادة من لم يكن من بيت الأشراف الذين ولوا الإمارة في وقت من الأوقات والحكم في مكة يقال هؤلاء السادة، وسلسلة النسب الأخرىٰ يقال هؤلاء الأشراف الذين ولوا الولاية والإمارة والملك.

هٰذا اصطلاح خاص يقال: هٰذا سيد وهٰذا شريف؛ لكنهم المقصود أن لفظ الشرف الأشراف مقصود به من الآل ولا يعني به هٰذا المعنىٰ الخاص أنه من بيت الحكم السابق فهٰذا لا يخصون بشيء إنما هم مثل كال من انتسب إلىٰ النبي يعني إلىٰ علي ﷺ ولهم حق، ويقدمون إذا كان هم فضل وعلم مزية وصلاح، أما إذا لم يكن لهم ذلك لهم حقوق أخرىٰ تؤدىٰ ويدعىٰ لهم وينصحون ولهم في ذلك أكثر من غيرهم.

سؤال (٤٦٨): يقولون في الأذان: وأشهد أن عليا ولي الله، ما المقصود بهٰذه العبارة، وهل من سمع هٰذا الأذان يردد ما يقول المؤذن؟

الجواب: هٰذه العبارة عند الشيعة والزيدية هٰذه باطلة؛ لأن الأحاديث التي فيها تعليم النبي ﷺ للأذان لبلال في قصة الرؤيا ولابن أم مكتوم ولغيرهما، ليس فيه هٰذه اللفظة، ومضىٰ المسلمون في عهد أبي بكر وهم مجمعون وليس في ألفاظ الأذان وأشهد أن عليا ولي الله ثم في عهد أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وفي عهد الصحابة.

حتىٰ حدثت بعد ذلك من الشيعة والزيدية مراغمة في ظنهم لبعض النواصب وأهل البدع وهٰذا باطل لأن الأذان عبادة ولا يجوز أن يضاف إليه ما لم يأتِ دليل عليه.

وهٰذه العبارة حتىٰ بعض الشيعة والزيدية أنكرها والشوكاني له بحث فيها أيضا طويل والصنعاني وهما كانا من الزيدية، وكذلك لبعض الشيعة وكذلك الرافضة لهما بحوث مثل الموسوي في رد هٰذه الكلمة بأنها زائدة وأدخلت لغرض سياسي، ثم بقيت في ذلك.

فهٰذه العبارة بدعة والذي يسمع هٰذه العبارة يجب لا أن يردد ويتابع؛ بل يجب عليه أن ينكر في قلبه وأن ينكر البدع وأن يرد علىٰ من قالها، وإن استطاع أن يؤذن هو الأذان الشرعي الأذان الذي في السنة فهٰذا هو الذي يجب عليه.

سؤال (٤٦٩): ما رأيك بمن يقول: لو أن خلافة أبي بكر منصوصا عليها لما اختلف الصحابة ﷺ في سقيفة بني ساعدة ؟

الجواب: أولا دائما في الأسئلة لا تقول: (رأيك فيمن) تقول رأيك في قول كذا أحسن، يكون السؤال عن القول لا عن القائل، هٰذا أمر.

الأمر الآخر العلم يختلف الناس فيه، يختلف الناس في استحضاره ويختلف الناس أيضا في العلم به، وقد يكون عند فلان من الناس علما ولكنه في الموضع الفلاني ما استحضره ثم بعد ساعة قد يستحضر

أكثر مما قال في الوقت ذلك، ثم قد يكون في وقت الخصومة ما فيه من ذهاب بعض ما يستحضر لكن الأمر صار إليهم وأجمعوا لما ذكّرهم بقوله الأمة من قريش.

وهٰذا من حسن سياسة أبي بكر ﷺ ومن حسن معالجته للأمور؛ لأنه لم يذكر هو ولا من معه ولا المهاجرين لم يذكروا التنصيص علىٰ أبي بكر وإنما ذكروا التنصيص علىٰ قريش ليقطعوا بذلك دابر تمسك الأنصار بالخلافة، وقال فيهم أبو بكر الكلمة الشهيرة: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. لم يَختلفوا كثيرا إنما كانت بعض الأيام.

سؤال (٤٧٠): يدعي بعض الشباب أن الجهاد في الشيشان فرض عين علىٰ كل مسلم قادر، فما القول[1] الصحيح؟

الجواب: ما أحد من أهل العلم قال حتىٰ يكون هناك قول صحيح وقول ضعيف، ما أحد يقول: إن الجهاد في الشيشان فرض واجب علىٰ كل مسلم قادر، ما أحد يقول.

الجهاد يجب علىٰ من في البلد من في البلد ممن دهموا وجب عليهم الجهاد بحسب القدرة، فإذا بم يستطيعوا أو لم يكفوا فإنه يجب علىٰ من يقربهم من البلدان المسلمين؛ يعني الأقرب فالأقرب لأن الله جل وعلا يقول: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ﴾[التوبة:١٢٣] قال: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ لهٰذا أهل العلم متفقون علىٰ أنهم إذا دهم عدو بلدا فإن الجهاد يجب علىٰ الجميع في رد هٰذا العدو ممن هم في البلد، فإذا لم يستطيعوا الكفاية فإنه يجب علىٰ من قرب منهم، وهكذا ففي تدرج.

**وأنا دائما مثل ما حصل من قبل في أمثلتها الشباب نوصيهم دائما بأن لا يذهبوا إلىٰ الجهاد في أي بلد من تلك البلاد**؛ بل إن كان لهم رغبة فيمدونهم بالمال ويدعون لهم بظهر الغيب ونحو ذلك، وجهادهم في بلدهم بالعلم والعمل الصالح والاستعداد في الدعوة ونشر العلم في المستقبل هٰذا أولىٰ، ويذهب أناس هناك ولا يعلمون حال تلك البلاد ولا ما فيها من العقائد ولا ما فيها من الأفكار ولا الاتجاهات المختلفة فيذهب من رغبته في الجهاد ورغبته في الشهادة جعلنا الله جل وعلا ممن يطلبها بحق، يرغب في ذلك ثم هناك يُصطاد وهو عنده نية طيبة وحسنة ثم يُصطاد من يرغونه بأفكار وآراء ربما لم تكن موافقة لطريقة أهل السنة ولا المنهج السلفي لهٰذا لا ينصح أحد.

بل من استطاع أن يمنع أحدا أن يذهب وهو الأولىٰ فمن كان يرغب في الجهاد أن يجاهد بالمال الجهاد العيني لا يجب الجهاد الكفائي عليهم هم هناك وعلىٰ من يقرب منهم، وأما الناس هنا فيرشدون إلىٰ الجهاد بالمال ويتبرعون إليهم، والجهاد بالعلم والجهاد بالعلم يلازمون العلم وهٰذا فيه النفع العظيم المستقبلي، جعلنا الله وإياكم ممن وُفّق للحق.

نكتفي بهٰذا القدر، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

---

(١) نهاية الوجه الأول من الشريط الخامس والأربعين.

## الدرس الرابع والخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد:

فأسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم ممن خلصت أقوالهم وصلحت أعمالهم ومن عليهم ربهم بالفقه في الدين وبالعلم في التأويل، كما نسأله لنا ولإخواننا ولأحبابنا الثبات علىٰ دينه، وقول كلمة الحق في الغضب والرضا إنه سبحانه يمنّ علىٰ من يشاء وهو الغفور الرحيم.

[الأسئلة] نجيب عن بعض الأسئلة بين يدي هٰذا الدرس.

سؤال (٤٧١): لقد أشكل السؤال الذي طرح في الدرس السابق وهو إذا اغتسل للجمعة هل يجزئ عن الوضوء؟ فأجبتم بعدم الجواز، فهل المنع إذا لم يَنْوِ الوضوء وهو تحت الدش أو حتىٰ ولو نوىٰ الوضوء مع الاغتسال للجمعة إلىٰ آخر الكلام.

الجواب: هو الكلام كان واضحا لكن يمكن أن يختصر في نقطتين:

**النقطة الأولىٰ** أن الحدث الأصغر لا يرفعه الغسل إلا إذا كان الغسل عن حدث أكبر، الحدث الأصغر لا يرفعُه الغسل؛ يعني ليس كل غسل يرفع الحدث الأصغر، ومعنىٰ قولنا كل غسل، غسل العبادة مثل الجمعة أو غسل التبرد أو للتنظف، هٰذا ليس الغسل رافعا للحدث الأكبر وبالتالي فلا يرفع الحدث الأكبر بل يلزم المغتسل غسل استحباب أو غسل نظافة أو غسل لا يرفع الحدث الأكبر، يلزمه أن يتوضأ لأن هٰذا الغسل لا يرفع الحدث.

وإنما الذي يرفع الحدث بالنية إذا اغتسل لرفع الحدث الأكبر، الرجل إذا كان عليه جنابة فاغتسل من الجنابة وهو ينوي رفع الحدث الأكبر والحدث الأصغر، أو ينوي رفع الحدث مطلقا فإنه يغتسل ويكون هٰذا من الصور التي يدخل فيها، تدخل فيها الطهارة الصغرىٰ في الكبرىٰ أو يدخل فيها الأصغر في الأكبر.

أما إذا لم يكن يرفع الحدث الأكبر فإنه لا يدخل في ذلك؛ بل يجب عليه الوضوء فإن حدثه باطن والغسل لا يرفع الحدث الأصغر إلا إذا كان الغسل لرفع الحدث الأكبر.

**النقطة الثانية** التي توضح المقام أن قول بعض أهل العلم إن غسل الجمعة واجب علىٰ ما جاء في بعض الأحاديث «**غسل الجمعة واجب علىٰ كل محتلم**» ونحو ذلك، كون الغسل واجبا هٰذا وجوبه للتعبد لا لرفع الحدث، ولهٰذا لا يدخل في الصورة الأولىٰ ولو كان الغسل واجبا عند من قال به، فتعليق رفع الحدث الأصغر إنما هو بالغسل الذي يرفع الحدث الأكبر، وليس بالغسل الواجب؛ لأنه هناك صور فيها غسل واجب أيضا، مثلا عند من قال: إن غسل الإسلام واجب هٰذا لا يرفع الحدث الأصغر إلا، إذا كان عن حدث أكبر، كذلك المرأة إذا اغتسلت عن الحيض؛ يعني اغتسلت بعد الحيض اغتسلت بعد التنافس فإن هٰذا الغسل بالنية يرفع الحدث الأصغر لأنه غسل لرفع الحدث الأكبر.

أما إذا كان غسلا غير ذلك فإنه لا يرفع الحدث هٰذا إيضاح المقام حتىٰ لا يكون ثم إشكال.

سؤال (٤٧٢): يقول: كيف يناظر ويجادل الروافض وهم لا يؤمنون بكتاب إلا بتحريف ولا بسنة إلا

بتصحيف، فعلىٰ أي شيء نجادلهم وبأي شيء نفحمهم؟

الجواب: ينبغي للمجادل أن ينظر أي طالب العلم ينظر في الكتب التي صُنِّفت في الرد علىٰ الشيعة والزيدية والروافض؛ لأن فيها من العلم ما يهيِّئ لطالب العلم تصوُّر المسائل التي يختلف فيها أهل السنة مع تلك الطوائف وكيفية الرَّد.

وخلاصة الخلاف مع الشِّيعة أو مع الرَّافضة بالخصوص:

يرجع إلىٰ خلاف في توحيد العبادة؛ لأنهم يرون أن لأئمتهم مقامًا يصلح معه أن يسألوا وأن يدعوا وأن يستغاث بهم؛ بل بناء القباب علىٰ القبور والحج إلىٰ المشاهد -التي يسمونها مشاهد يعني قبور الأولياء وما أشبه ذلك-، هٰذا راجع إلىٰ الشيعة الرافضة فهم أول من أحدث فتنة البناء علىٰ القبور وتعظيم ذلك وشد الرحال إليها.

توحيد العبادة ثَم فرق بيننا وبينهم كبير؛ بل هم لا يقرون بتوحيد العبادة إلا علىٰ طريقتهم، فعندهم دعوة الأولياء ودعوة الأئمة الاثني عشر أو دعوة النبي ﷺ وتعظيم القبور والمقابر وشد الرحل بها والتوسل بها والاستغاثة بأصحابها لتفريج الكرب وفي طلب الخيرات، هٰذا كله عندهم مشروع ومطلوب؛ بل هو الحج أو من الحج عندهم.

وأئمتهم -سيأتي بيان في هٰذا الدرس إن شاء الله- عندهم هم أبلغ وارفع من الأنبياء مثل ما قال الخميني في كتابه «الدولة الإسلامية» يقول: ومن ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل وأنهم كانوا قبل خلق هٰذا العالم أنوارا وجعلهم الله بعرشه محدثين وجعل لهم من المنزلة والقربىٰ ما لم يجعله لأحد من العالمين. وهٰذا يعني أن فيهم من صفة الملائكة أو من نور الله أو ما أشبه ذلك أو أنهم أرفع من الأنبياء، فإذن دعوة أولئك والاستغاثة بهم هٰذه مطلوبة، هٰذا في توحيد العبادة.

كذلك النبوة والوَلاية هناك فرق.

كذلك في مصدر التلقي الكتاب والسنة وما هو الكتاب وما هي السنة، في ذلك أيضا هناك فرق.

كذلك النظرة في مسائل العقيدة بعامة في الغيبيات والأسماء والصفات والقدر والإيمان ثم فروق كثيرة بين أهل السنة وبينهم.

وهٰذه تتطلبها من كتب أهل العلم التي صنفوها في بيان هٰذه المسائل مثل كتاب ابن تيمية «منهاج السنة» ومثل «المنتقىٰ» للذهبي، ومثل «جواب أهل السنة» للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب وثم كتب كثيرة في هٰذا الباب.

سؤال (٤٧٣): من الذين يمثلون النّواصب وهل هم فقط الخوارج؟

الجواب: النواصب هم الذين يناصبون العِداء للصحابة عقيدة، وهؤلاء هم ضد الشيعة؛ يعني من مدحه الشيعة فهم يناصبونه، مدحوا عليا فهم يناصبون عليا العداء ويتولون معاوية ويتولون يزيد بن معاوية ضد الحسين، وهكذا، وهؤلاء ثم فرق ينتسبون إلىٰ هٰذه المقالة مثل فرقة اليزيدية في العراق في سوريا ونحو ذلك من الفرق.

سؤال (٤٧٤): يدعو بعض الأئمة هٰذه الأيام يقول: يا غياث المستغيثين. هل اسم غياث من أسماء

الله تعالىٰ؟

الجواب: هٰذا الدعاء صححه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، وصوبه ابن تيمية في «الفتاوىٰ» أيضا وذلك لأن الله جل وعلا هو الذي يغيث ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[الأنفال:٩]، من استغاث بالله أغاثه، والاستغاثة نوع من الدعاء لأنها طلب الغوث الذي هو دعاء خاص ونداء خاص، الله جل وعلا يجيب المضطر إذا دعاه كما قال في سورة النمل: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾[النمل:٦٢]، فهٰذا الدعاء مما صحح، ومسألة النداء فيه يا غياث المستغيثين لا يلزم منه أن يكون اسم غياث من الأسماء الحسنىٰ لأن معناه ثابت بطريقة أخرىٰ وهٰذه يمكن الرجوع فيها كلام ابن تيمية.

سؤال (٤٧٥): من المعلوم أن الاجتماع ونبذ الفرقة من أهم المقاصد الشرعية فما صفة الذين يجب علينا مراعاة هٰذا المقصد معهم وذلك أن كثيرا من المبتدعة كالأشاعرة والرافضة وغيرهم لو أنكر عليهم مذهبهم حصلت الفرقة فهل يسكت عليهم مراعاة لذلك المقصد الكبير ؟

الجواب: هٰذه مسألة كبيرة يضيق عنها المقام؛ لكن المقصود الاجتماع: الاجتماع علىٰ الدين، والدعوة تكون إلىٰ الدين الذي أمرنا الله جل وعلا بالاجتماع عليه، وهو ما نزل به القرآن وصح عن النبي ﷺ وكان عليه السلف الصالح، هٰذا هو الدين كما قال جل وعلا: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورىٰ:١٣] الآية، وكذلك قوله جل وعلا: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[آل عمران:١٠٣]، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[آل عمران:١٠٥]، والآيات في هٰذا المعنىٰ كثيرة، وأوضحت لكم هٰذا مرارا.

فالدين الذي يجب الاجتماع عليه هو الذين الذي كان عليه النبي ﷺ وكان عليه صحابته وكان عليه السلف الصالح، وأما ما أحدثته الأمة من البدع في الاعتقاد أو البدع في العمليات وفي العبادات، وهٰذا لاشك أنه ليس الدين الأول وهو شيء جديد، ولذلك صار فرقة وافتراقا عما كانت عليه الجماعة الأولىٰ، لهٰذا يجب أن يحافظ علىٰ ما كانت عليه الجماعة الأولىٰ قبل أن تفسد وتحدث الفرقة والاختلاف، وهٰذا مما يجب الدعوة إليه بتثبته، بتثبيت العقيدة في النفوس والدعوة إلىٰ التوحيد والالتزام بالعمل الصالح، ونبذ الخلاف في هٰذه المسائل لتحصيل الأصول الشرعية في ملازمة الدليل وعدم الذهاب إلىٰ العقليات.

من جهة ثانية الاجتماع الائتلاف يكون بالاجتماع علىٰ من ولاه الله جل وعلا أمر المسلمين، هٰذا الاجتماع مقصود في الشريعة أمر الله جل وعلا وأمر به النبي ﷺ وحض عليه وأبدىٰ فيه وأعاد كنا يقول إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب في «مسائل الجاهلية» حتىٰ غدا عند كثيرين هٰذا الأصل كأنه لم يكن شيء من حديث النبي ﷺ، فالاجتماع نوعان: اجتماع في الدين علىٰ ولي الأمر وعدم مخالفته في غير وعدم مخالفته ولزوم طاعته في المعروف، إذا أمر بالمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

سؤال (٤٧٦): ما حكم أكل التمساح؟

الجواب: التمساح من ذوات الناب فلا يؤكل، وإن كان بحريا فهو أيضا بري.

سؤال (٤٧٧): هل المذهب الظاهري من المذاهب المعتبرة ولماذا يندر ذكر أقوالهم في المسائل الفقهية؟

الجواب: المذهب الظاهري مذهب موسوم بالقول بالظاهر؛ لكنه لم يتأصل في متون للكتب وفي قول إمام منهم يمكن أن يصار إليه في أن هٰذا مذهب أهل الظاهر.

ولهٰذا في كتب الخلاف العالي يختلف القول هل هٰذا فعلا مذهب الظاهرية أو ليس بمذهب الظاهرية، والظاهرية نسبوا إلىٰ قولهم بالظاهر ونفي القياس وعدم الدخول في التعليلات.

ولهم قواعد في الأصول مثل أن يكون كل أمر للوجوب ونفي التعليل، وعدم الأخذ بخلاف ما دل عليه الظاهر حتىٰ ولو فارق المعنىٰ الذي يراد من الدليل.

تارة ينسب إلىٰ داود الظاهري في مسائل، وتارة وينسب إلىٰ أبي محمد بن حزم الأندلسي في مسائل، وتارة ينسب إلىٰ غيرهما.

وأكثر ما يقال الآن مذهب الظاهرية يعني به مذهب ابن حزم وهو الذي قعد للقول بالظاهر لهٰذا ابن حزم إنما ينسب القول إليه، ولا يعدىٰ إلىٰ قول الفرقة أن هٰذا قول الظاهرية بعامة وقد يتجاوز فيقال: إن الظاهرية قالوا كذا.

لكن الظاهرية كمذهب لا يوجد له تأصيل من حيث المتون ومن حيث المسائل التي قالوا بها مثل مذهب الحنابلة المالكية الشافعية الحنفية هٰذه يعرف المذهب، ولم يخدم أيضا بعد ابن حزم وإن كان جاء بعض العلماء يقولون بقول أهل الظاهر ابن عربي الصوفي ومثل ابن سيد الناس ونحوهما، مثل ابن أبي حيان صاحب «البحر المحيط» وجماعة ممن كانوا يميلون إلىٰ هٰذا لكن ليسوا بمترسخين في الفقه، ولا ألفوا لهٰذا لا تجد أن أقوالهم تذكر في باب الخلاف دائما.

سؤال (٤٧٨): يوجد علىٰ كثير من السيارات تعليقات وخرق في مقدمتها ومؤخرتها، وأكثر هٰذه السيارات تخص باكستانيين وأفغان، وتوضع هٰذه الخرق لدفع العين ولدفع الحوادث. فما توجيهكم للعمل علىٰ إزالتها وبالأخص أنها في بلد التوحيد؟

الجواب: هٰذه الأشياء التي تعلق ربما تكون من التمائم، وربما لا تكون.

ولهٰذا ينبغي أن يُتثبت من ذلك فإذا ثبت أنها تميمة علقت مثل خيوط حمر أو أرنب علىٰ الزجاجة أو علىٰ خلف المقعد الخلفي يوضع حيوان، أو وضع مصحف في الخلف خلف الناس قد أكلته الشمس من كثر ما أصابه منها وأشباه ذلك هٰذا ظاهر أنها من التمائم.

فإذا كانت من التمائم وجب مناصحة من هي معه، وإزالتها إن أمكن إزالتها بدون مفسدة.

ووجب أيضا أن يقوم أهل الحسبة الأمر بالمعروف والنهي في هٰذه المسائل؛ لأن الشرك هو أخبث ما يكون هو التعلق بغير الله واعتقاد النفع والضر في هٰذه الخرق والأشرطة والحيوانات، وأنها تدفع العين أو تجلب الخير أو نحو ذلك، هٰذه من الاعتقادات الفاسدة، والنبي ﷺ صح عنه أنه قال: «**إن الرقىٰ والتمائم**

**والتولة شرك**» وقال أيضا: «**من تعلق تميمة فقد أشرك**» و(**تعلّق**) تشمل شيئين: تشمل التعليق وتعلق القلب، تشمل التعليق في نفسه وتعلق القلب.

فمن علق شيئا وتعلق قلبه به فقد أشرك.

والقرآن علىٰ الصحيح لا يجوز أن يستخدم تميمة لا من جهة وضعه في السيارات للحفظ أو لدفع العين، ولا من جهة لبسه كتمثال مثل ما يباع أحيانا لبعض النساء ويلبس، هٰذا كله من جهة التمائم، أو يجعل القرآن في خرقة وتربط أو يعلق هٰذا كله من جهة التمائم ويجب أن ينهىٰ عن ذلك، وأن لا يتخذ القرآن تميمة لأنه داخل في العموم وصيانة لهم من استعماله في غير ما شرع الله جل وعلا. نكتفي بهٰذا.

وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ -أَهْلُ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلُ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ-، لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَىٰ غَيْرِ السَّبِيلِ.

وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَام، وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ.

وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ.

---

الحمد لله، وبعد..

قال العلامة الطحاوي الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ - أَهْلُ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلُ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ-، لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَىٰ غَيْرِ السَّبِيلِ.) هٰذه الجملة من هٰذه العقيدة المباركة قرر فيها الطحاوي منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع أهل العلم من أهل الأثر وأهل الفقه فإنهم كما قال: (لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ) لأنهم نقلة الشريعة؛ ولأنهم المفتون في مسائل الشريعة، ولأنهم المبينون للناس معنىٰ كلام الله جل وعلا في كتابه ومعنىٰ حديث النبي ﷺ، وهم الذين يدفعون عن الدين ويذبُّون عنه بتثبت العقيدة الصحيحة وتثبت سنة النبي ﷺ ورد الموضوعات والأحاديث المنكرة والباطلة التي أضيفت للنبي ﷺ.

فهم إذن حماة الشريعة الحماية العلمية، ولهٰذا كان العلماء ورثة الأنبياء؛ لأن الأنبياء لم يورّثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم، والذين حموا العلم هم الصحابة رضوان الله عليهم، وهم التابعون من علماء السلف وعلماء تابعي التابعين من أهل الحديث ومن أهل الفقه.

فهؤلاء منهج أهل السنة والجماعة أن يذكر الجميع بالجميل، وأن لا نقع في عالم من العلماء لا من أهل الحديث ولا من أهل الفقه بل يذكرون بالجميل ولا يذكرون بسوء، وإنما يرجىٰ لهم فيما أخطؤوا فيه أنهم إنما اجتهدوا ورجوا الأجر والثواب والخطأ لا يتابع عليه صاحبه.

وهٰذا الأصل ذكره الطحاوي في هٰذا المقام لأجل أنّ طائفة من غلاة أهل الحديث في ذاك الزمن كانوا يقعون في أهل الفقه، وطائفة من غلاة أهل الفقه كانوا يقعون في أهل الحديث ويصفونهم بالجمود.

وأهل السنة الذين تحققوا بسنة النبي ﷺ وبهدي الصحابة يعلمون أن الجميع محسن، وأن هؤلاء وهؤلاء ما أرادوا إلا نصرة الشريعة والحفاظ علىٰ العلم والفقه، نعم هم درجات في مقامهم وفي علمهم، لكنهم لا يُذكرون إلا بالجميل، والله جل وعلا سخر هؤلاء لشيء وسخر هؤلاء لشيء، والوسط هو سمة أهل الاعتدال وسمة أهل السنة والجماعة كما كان عليه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والشافعي ومالك وأبي حنيفة وجماعات أهل العلم فإنهم كانوا علىٰ هٰذا السبيل.

ونذكر هاهنا مسائل:

**الأولى**: أن ذِكر العلماء بالجميل وعدم ذكرهم بأي سوء أو قدح هٰذا امتثال لشيئين:

**الأول**: امتثال لقول الله جل وعلا: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[التوبة:٧١].

ولقوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[المجادلة:١١]، ولقوله جل وعلا: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[النساء:٨٣].

فبين الله جل وعلا منزلة أهل العلم وبين فضل العلم وفضل أهله وأنهم مرفوعون عن سائل المؤمنون درجات لما عندهم من العلم بالله جل وعلا.

وبيّن أن المؤمن للمؤمن موالي أن المؤمن يوالي المؤمن، ومعنىٰ أن هٰذه الموالاة في قوله: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[التوبة:٧١]، هي من الولاية وهي المحبة والنصرة وهٰذه المحبة والنصرة عند أهل السنة والجماعة تتفاضل بتفاضل تحقق وصف الإيمان، فالمؤمن يحب ويوالي المؤمن الآخر إذا كان كامل الإيمان أكثر من نصرته ولمحبته لمن كان دونه.

ومعلوم أن العلماء هم الذين أثنىٰ الله جل وعلا عليهم وأثنىٰ عليهم رسوله ﷺ، فواجب إذن بنص الآية أن يوالوا وأن يذكروا بالجميل وأن يحبوا وان ينصروا وأن لا يذكروا بغير الحسن والجميل.

**الأصل الثاني** أو الشيء الثاني لما قاله هنا: أن القدح في أهل العلم فيما أخطؤوا فيه -وسيأتي مسألة مستقلة لذلك إن شاء الله- أن القدح فيهم يرجع في الحقيقة عند العامة إلىٰ قدح في حملة الشريعة ونقلة الشريعة وبالتالي فيضعف في النفوس محبة الشّرع؛ لأن أهل العلم حينئذ في النفوس ليسوا علىٰ مقام رفيع وليسوا علىٰ منزلة رفيعة في النفوس، فحينئذ يُشك فيما ينقلونه من الدين وفيما يحفظونه في الشريعة فتؤول الأمور حينئذ إلىٰ الأهواء والآراء فلا يكون ثم مرجعية إلىٰ أهل العلم فيما أشكل علىٰ الناس فتتفطم عرىٰ الإيمان وتتناثر نجوم اليقين.

لهٰذا كان ذكر العلماء بسوء هو من جنس ذكر الصحابة بسوء، ولهٰذا أتبع الطحاوي ذكر الصحابة بذكر العلماء يعني لما فرغ من ذكر الصحابة ذكر العلماء؛ لأن القدح في الصحابة والقدح في العلماء منشؤه واحد ونهايته واحدة، فإن القدح في الصحابة طعن في الدين، والقدح في العلماء المستقيمين العلماء الربانيين فيما أخطؤوا فيه أو فيما اجتهدوا فيه هٰذا أيضا يرجع إلىٰ القدح في الدين، فالباب باب واحد.

**المسألة الثانية**: لا يشترط في العالم أن لا يخطئ فعلماء الحديث والأثر وأهل الفقه والنظر ربما حصل منهم أغلاط لأنهم غير معصومين، وهٰذه الأغلاط التي قد تحصل منهم أصولها من نعم الله جل وعلا، ولما سُئل بعض الأئمة عن غلط العالم؛ كيف يغلط العالم، كيف يخالف السنة، كيف يكون في سلوكه مقصر، كيف يغيب عن ذهبنه في مسألة التدقيق ويتساهل؟ فقال: لئلا يتابع العلماء الأنبياء لأن النبي هو الذي لا نطق عن الهوىٰ هو الذي يصيب في كل شيء وهو الذي يتبع في كل شيء، فإذا كان العالم علىٰ صواب كثير، وربما وقع في اجتهاد هو عليه مأجور وربما وقع في اجتهاد هو عليه مأجور؛ ولكنه أخطأ في ذلك لم يكن عند الناس رفع لعالم في منزلة النبي فيتبع علىٰ كل شيء، فيحصل في النفوس التوحيد والبحث عن الحق من الكتاب والسنة والنظر فيما يبرّئ الذمة في ذلك، وهٰذه عبوديات في القلب يسلكها الناس مع وجود هٰذا الخلاف بين أهل العلم ولهٰذا إذا نظرت في هؤلاء الذين عناهم الطحاوي أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر هو عنىٰ بهم أوليًّا عنىٰ بهم الأئمة الأربعة:

أبو حنيفة وهو من أهل الفقه والنظر ليس هو من أهل الحديث والنظر.

والإمام مالك والشافعي وأحمد وهؤلاء هم أئمة أهل الحديث كما أنهم أئمة أهل الفقه في المذاهب المتبوعة المعروفة.

هؤلاء بينهم خلاف في مذاهبهم، أبو حنيفة يذهب إلىٰ قول، مالك يذهب إلىٰ قول، الشافعي يذهب إلىٰ قول، الإمام أحمد يذهب إلىٰ قول، هؤلاء منهم من يكون قوله هو الصواب، ومنهم من يكون قوله خلاف الأولىٰ، أو يكون قوله مرجوحا وهكذا، فالعلام يدقق ويتحرىٰ في الأقوال ولا يقلد عالما في كل ما قال؛ لأن المسائل كثيرة جدا وهو بشر فقد يتهيأ له في المسألة يدقق وفي مسألة أخرىٰ لا يدقق، ولهٰذا وجب علىٰ أهل الإيمان أن يتولوا جميع العلماء وأن يذكروهم بخير وأن لا يذكروهم بسوء وخلافهم فيما اختلفوا فيه راجع إلىٰ أسباب يأتي ذكرها إن شاء الله.

فليس منهم أحد أراد المخالفة وإنما كلهم أراد المتابعة وتحري الحق ولكن ربما أصاب وربما لم يصب.

**المسألة الثالثة**: قوله في أول الكلام: (**وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ**) فهو رحمه الله توفي أول القرن الرابع الهجري وعاش أكثر حياته في القرن الثالث، ويعني بعلماء السلف السابقين من كان سلفا له؛ يعني من سبقه من أهل العلم وهٰذا يصح أن يعتبر سلفا باعتبار.

فكلمة السلف أو (علماء السلف) أطلقت وأُريد بها من سلك العالم وسبقه، وهٰذا الإطلاق فيه سعة، ولهٰذا استعملها أناس في القرن الرابع وفي القرن الخامس ويعنون بالسلف من سبقهم؛ يعني أنهم كانوا سلفا لهم يعني كانوا سابقين لهم.

والاصطلاح الثاني وهو المعتمد عند المحققين أن كلمة (علماء السلف) يعنىٰ بها علماء القرون الثلاثة المفضلة من الصحابة والتابعين وتبع التابعين، ومن كان من الأئمة علىٰ هٰذا النحو وإن لم يكن من تبع التابعين، هؤلاء هم الذين شهد لهم النبي ﷺ بالخيرية «**خير الناس قرني ثم الذي يلونهم ثم الذين يلونهم**» قال الراوي: فلا أدري أذكر بعد قرنه ثلاثة قرون أو أربعة قرون.

والقرن هنا المراد به الجيل من الناس وليس القرن الزمني...، قرني يعني الذين اقترن زمانهم بي، وهم الجيل من الناس، انقضىٰ الصحابة أتىٰ التابعون، انقضىٰ التابعون فأتىٰ تبع التابعين، وهؤلاء هم الذين قلّت فيهم البدع وقلّ فيهم الخلاف للسنة، وكثر فيهم الخير بشهادة النبي ﷺ وبشهادة الواقع أيضا.

فإذن كلمة السلف علماء السلف يعنىٰ بها وقد تطلق من.....

**المسألة الرابعة**:... الطحاوي في هٰذه الجملة قسم العلماء إلىٰ قسمين فقال: (**أَهْلُ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلُ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ**) فجعل العلماء علىٰ فئتين:

الفئة الأولىٰ: أهل الأثر.

والفئة الثانية: أهل الفقه والنظر.

وأهل الأثر هم الذين اعتنوا بالحديث رواية ودراية، ويدخل فيه الدراية؛ يعني بها الفقه، ويدخل فيهم الإمام مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وابن جرير وجماعات علىٰ هٰذا النحو.

ويقصد بأهل الفقه والنظر الذين غلّبوا القواعد المستنبطة الكلية علىٰ السنن المروية، وهم أصحاب الرأي والنظر في مدرستيه الكبيرتين:

في المدينة التي كان يتزعمها الإمام ربيعة المشهور بربيعة الرأي.

وفي الكوفة التي كان يتزعمها الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رحمهم الله تعالىٰ أجمعين.

أهل الفقه والنظر يعتنون بالسنة؛ ولكن عنايتهم بالسنة قليلة، وأهل الحديث والأثر يعتنون بالنظر لكن عنايتهم بالأقيسة وبالتقعيد قليلة، ولهٰذا صار هناك في الأمة في الاجتهاد صارت هناك مدرستان:

- مدرسة أهل الحديث والأثر.
- ومدرسة أهل النظر.

ولا تقابل بأن أهل الحديث وأهل الفقه؛ لأن هٰذه المقابلة لا حقيقة لها.

وإنما المقابلة بين أهل الحديث والأثر وبين أهل الفقه والنظر، وكلمة (النظر) أرادها الطحاوي لأن الجميع موصوفون بالفقه وبالعناية به يعني استنباط الأحكام من الأدلة؛ لكن من جهة النظر والقياس والعقليات والقواعد هٰذه اعتنىٰ بها الحنفية وأهل الرأي ولم يعتنِ بها أهل الحديث والأثر إنما اعتنوا باستخراج الفقه من الأدلة دون تحكيم للأقيسة علىٰ الدليل.

مثاله عند الحنفية مثلا عند أهل النظر الحديث المرسل أقوىٰ من المسند، فإذا اجتمع حديثان مرسل ومسند حُكم في الفقه بالمرسل ولم يحكم بالمسند، لماذا؟ لدليل عقلي عندهم، وهو أن المرسل من التابعين لا ينسب إلىٰ النبي ﷺ شيئا إلا وهو متحقق به لأنه من أهل الفقه، وأما الروايات المجردة فإنما يدخلها الغلط ويدخلها ما يدخلها، ولاشك تن هٰذا تعليل عقلي وليس بمنطقي.

أيضا ينظرون إلىٰ القواعد أنها قطعية والأدلة غير المتواترة أنها ظنية ويقولون: إذا صار هناك قاعدة أو قياس كلي فإنه يكون قطعيا في الدلالة علىٰ محتواه وأما الدليل فتكون ظنيا إما ظنيّ الرواية إما -إذا كان من السنة- وإما أن يكون ظنيّ الدلالة أيضا غير قطعي الدلالة من الكتاب أو السنة فيحكم بالقاعدة ويطرح ظاهر الدليل لأجل أنه يحتمل الظن والقاعدة قطعية، ونحو ذلك من الخلاف المؤسس علىٰ مشارب شتىٰ.

لهٰذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية وذكر شارح الطحاوية وجماعة: إن العلماء فينا اختلفوا من عدم الأخذ بالدليل من الكتاب والسنة يمكن أن رجع إلىٰ عدة أسباب، من أهم هٰذه الأسباب.

**أولا**: أن لا يثبت عند الإمام صحة الدليل.

**الثاني**: أن يكون منسوخا أو مؤولا.

**الثالث**: أن يكون معارَضا بما هو أقوىٰ عند الإمام من ذلك الدليل إما معارض بدليل آخر وإما معارض بقاعدة كما عند الحنفية.

**الرابع**: أن يكون للإمام هٰذا شرط في الرواية ليس هو شرط الإمام الآخر في الحديث، مثلا عندك الإمام الشافعي يقول: حدثني الثقة ويعني به إبراهيم بن أبي يحيىٰ فإذا عرف الإمام أحمد أن هٰذه الرواية عن إبراهيم بن أبي يحيىٰ هو عندهم ليس بثقة بل هو بضعيف بل ربما أدنىٰ من ذلك مما أتهم به من الكذب ونحو ذلك، فهو عند إمام ثقة فيما يرويه يأخذ بروايته وعند آخر ليس بشيء فلا يأخذ بروايته.

وهٰذا يبين لم أن اختلاف الأئمة أهل الفقه والنظر وأهل الحديث والفقه والأثر أن اختلاف الأئمة في



سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

ذلك اختلاف ليس راجعا إلىٰ عدم الأخذ بالدليل؛ ولكنه راجع إلىٰ فهم الدليل، وما هو الدليل الذي يستدل به وكون الدليل راجحا غير مرجوح.

ولهٰذا لا يوجد في مسألة أن يقال: ليس للعالم هٰذا دليل.(١) أنا لا أعلم مسألة يقال: ليس للإمام أبي حنيفة فيها دليل أو ليس للإمام أحمد فيها دليل أو ليس للإمام مالك فيها دليل، كل ومنهم لا يقول قولا ولا يذهب إلىٰ مذهب إلا بدليل، والأدلة أعم من النصوص والأدلة أعم من النص الكتاب والسنة لأن جماع الأدلة عند أهل الأصول ثلاثة عشر دليلا، وتصير بالتفريق كما ذكره القرافي في الفروع إلىٰ عشرين دليلا، وهٰذه الأدلة منها ما هو متفق علىٰ الاستدلال به ومنها ما هو مختلف في الاستدلال به، فقد يكون الدليل دليلا عند الإمام مالك وليس دليلا عند الإمام أحمد مثل عمل أهل المدينة، وقد يكون الدليل مرعيا عند أبي حنيفة وهو قاعدة ولا يكون مرعيا عند الشافعي بورود دليل من السنة في خلاف ذلك وهكذا.

فإذن مأخذ العلماء اجتهادي، وواجب حينئذ إذا كانت هٰذه مآخذهم واجب حينئذ أن لا يذكروا إلا بالجميل، وأن لا يذكر العالم حتىٰ فيما أخطأ فيه ابتعد في الخطأ حتىٰ إباحة المالكية لأكل لحم الكلب وحتىٰ في إباحة الحنفية لشرب النبيذ يعني غير المسكر لا يشنّع عليهم في ذلك لأنها اجتهادات فيما اجتهدوا فيه.

**المسألة الخامسة الأخيرة** هنا: الواجب علىٰ طلبة العلم الذين يريدون أن يسلكوا هٰذا السبيل أن يلزموا أنفسهم مع أهل العلم السابقين والأئمة الذين أشادوا بالدين بنيانا وللعلم أركانا، واجب عليهم أن يدفعوا عنهم وأن يثنوا عليهم وأن ينشروا في الناس سيرتهم حتىٰ يقتدىٰ بهم وحتىٰ يقوىٰ ركن علماء الشريعة، وهكذا واجب علىٰ طلاب العلم أن لا يقعوا في أحد من العلماء بسوء، فمن أصاب من أهل العلم من أهل الحديث والأثر أو من أهل الفقه والنظر فقد أحسن ويُثنىٰ عليه ويتابع فيما أصاب فيه، ومن أخطا فأيضا قد أحسن إذ اجتهد؛ لكن الصواب من الله تعالىٰ.

وهٰذا لا يدخل في العلماء الذين نشروا الشّرك والبدع والخرافات ولم يكن لهم حظ لا من الحديث والأثر ولا من الفقه والنظر، وإنما سخروا جهدهم في مخالفة السنة بالبدع فأرادوا نشر البدعة ونشر الخرافة ودافعوا عن الشرك وتعلقوا بالموتىٰ وعلقوا الناس بالبدع والاحتفالات وأشباه ذلك، فهؤلاء لا يدخلون في هٰذا الكلام الذي ذكره؛ لأنهم أرادوا ما خالفوا به إجماع الأئمة الأربعة، هؤلاء يرد عليهم وربما يُحتاج من باب التعزير إلىٰ ذكرهم بما فيهم حتىٰ يحذرهم الناس.

تنبيه أخير: إلىٰ أن قول الطحاوي في أول الكلام: (وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ) قال بعدها: (وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ)، كلمة (وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ) فيما أفهم أنه لا يريد بها التابعين أهل الاصطلاح؛ يعني التابعين الذين صحبوا الصحابة، وإنما يريد بهم من تبع علماء السلف علىٰ اصطلاحه؛ لأن التابعين ما فيهم هٰذا التقسيم أهل الحديث والأثر وأهل النظر، التابعون والصحابة ما فيهم هٰذا التقسيم أهل

---

(١) نهاية الشريط الخامس والأربعين.

الحديث وأهل النظر إنما هٰذا التقسيم فيمن بعدهم.

قال بعدها رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَام، وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ**) يريد العلاّمة الطحاوي بهٰذا أن يقرر عقيدة عظيمة وهي أنّ أفضل الناس هم الأنبياء، وأن النبي أفضل من جميع الأولياء، وأن أهل السنة والأثر والجماعة هؤلاء لا يفضلون وليا علىٰ نبي؛ بل كل نبي أفضل من جميع الأولياء، وأدخلها في العقيدة مع أنها مسألة تفضيل لصلتها بالنبوة وبالوَلاية؛ ولأنه ظهر في عصره طائفة ممن زعموا أنّ الولي قد يبلغ مرتبة أعظم من مرتبة النبي، وهٰذه الطائفة أو هٰذه الطائفة تشمل فئتين كبيرتين:

**الفئة الأولىٰ**: الباطنية في زمنه من إخوان الصفا والإسماعيلية ومن شايعهم، وكذلك ربما دخل فيها طائفة من أهل الرفض والتشيع، فإنهم يفضلون بعض الأولياء علىٰ بعض الأنبياء.

**الفئة الثانية** من الطائفة التي تفضل الأولياء علىٰ الأنبياء هم غلاة المتصوفة في ذلك الزمن الذين تزعّمهم الحكيم الترمذي محمد بن علي بن حسن الترمذي في كتاب سماه «ختم الولاية» كما سيأتي بيانه.

فأراد أن يبين مباينة لهٰذه الطائفة ولهٰذه الفئات جميعا وأننا نعتقد أن الولي أنه مهما بلغ من الصلاح والطاعة فإنه حسنة من حسنات النبي الذي تبعه، فإنما علا مقداره وظهر شأنه في متابعته للنبي لا باستقلاله، علىٰ الأنبياء جميعا صلوات الله وسلامه.

نذكر هنا مسائل:

**المسألة الأولى**: التفضيل، تفضيل الأولياء علىٰ الأنبياء هٰذا نشأ مع عقيدة عند المتصوّفة ومن شابههم يعني غلاة المتصوفة وهي ما أسموه بختم الوَلاية، ويعنون بختم الولاية أنه كما أن للأنبياء نبيا خاتما لهم، فكذلك لأولياء ولي خاتم لهم، وكما أن خاتم الأنبياء أفضل من جميع الأنبياء، فكذلك خاتم الأولياء هو أفضل من جميع الأولياء.

وعقيدة ختم الولاية ذكرها الحكيم الترمذي في كتابٍ سماه «ختم الولاية» قد طبعت منتخبات منه قديما، وأسس فيها القول بأن الأولياء يختمون، وأن الولي في باطنه قد يبلغ مقاما يتلقَّىٰ فيه من الله جل وعلا مباشرة، وأنّ الولي قد يكون أفضل من النبي، وهٰذه لم ينصَّ عليها ولكنها تفهم من فحوىٰ كلامه.

ولاشك أنه غلط في ذلك غلطا فاحشا، وإن كان هو من أهل العناية بالحديث كرواية، ومن أهل الخير والصلاح كما وصفه بذلك ابن تيمية؛ لكنه غلط في هٰذه البدعة الكبرىٰ التي ابتدعها في الأمة والشرور التي حدثت من القول بوحدة الوجود وتفضيل الولي علىٰ النبي والاستقاء من الله مباشرة إنما حدثت بعد هٰذا الكتاب وهٰذه النظرية الباطلة التي تُبطل شريعة محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ علىٰ الحقيقة.

وهٰذا لم يختص به الحكيم الترمذي؛ بل تبعه عليه أناس منهم ابن عربي في كتابه «الفصوص» وفي كتابه «الفتوحات المكية»، ومنهم محمد بن عثمان المرغني السوداني الذي له طريقة معروفة عند أهل السودان طريقة الختمية، ومنهم التيجاني، هؤلاء كانوا في القرن في الثالث عشر، والمرغني في كتابه «تاج التفاسير» صرح بهٰذه العقيدة، ومنهم التيجاني عند أهل المغرب فيما يعتقدون فيه ووصف به.



سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

هؤلاء يعتقدون أن الولاية تختم؛ لكن ادّعىٰ ابن عربي الذي هو الذي ختم الأولياء، وادعىٰ المرغني أنه هو الذي ختم الأولياء وادّعىٰ أيضا أنه هو الذي ختم الأولياء.

**المسألة الثانية**: عقيدة ختم الوَلاية أو ختم الأولياء مبنية علىٰ ثلاثة أشياء:

**الأول**: أن النبي إنما أتىٰ بشريعة ظاهرة، والولي خاتم الأولياء جاء بشريعة باطنة، فخاتم الأولياء في الظاهر مع النبي وفي الباطن مستقل عن النبي، لهٰذا يقولون: إن الأنبياء راعوا الظاهر واهتموا بالعبادات الظاهرة، وخاتم الأولياء وصفوة الأولياء اهتموا بالأخذ عن الله جل وعلا، ولهٰذا ذكر ابن عربي في كتابه «الفصوص» لما جاء إلىٰ حديث النبي ﷺ الذي في الصحيح أن بنيان الأنبياء تَم ولم يبق فيه إلا موضع لبنة قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال: «**مثلي ومثل الأنبياء من بنىٰ بنيانا فكمله وأحسنه حتىٰ لم يبق منه إلا موضع لبنة فجعل الناس يطوفون به ويقولون لم كملت هٰذه اللبنة**- فقال:- **فكنت هٰذه اللبنة وأنا خاتم النبيين**».

قال ابن عربي قبحه الله في هٰذا الموطن: وخاتم الأولياء يرىٰ نفسه في قصر الولاية في موضع لبنتين لبنة فضة في الظاهر ولبنة ذهب في الباطن، فهو يفضل النبي في الحاجة إليه؛ لأن البنيان احتاج إلىٰ لبنتين وذاك احتاج إلىٰ لبنة واحدة، ولبنته الظاهرة من الفضة في متابعة النبي ظاهرا، ولبنته الذهبية في الباطن بها يأخذ من المشكاة التي تنزل الوحي علىٰ خاتم الأنبياء، يعني يأخذوا عن الله مباشرة أو كما جاء في كلامه، وقد قرر هٰذا في مواضع في «الفصوص» وخاصة في فص واحد يعني كرر الكلام وعبر عنه.

هٰذا ليس حاصل بهٰذا الرجل بل كذلك من عده ممن شرحوا أو المرغني أو التيجاني أو من شابههم كان كل منهم يعتقد في نفسه كل منهم أنه خاتم الأولياء.

**الثاني** من الثلاث نقاط التي بنوا عليها مذهبهم: أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء؛ لأن خاتم الأنبياء يأخذ عن الله بواسطة وخاتم الأولياء يأخذ مباشرة؛ ولأن خاتم الأنبياء يأخذ الناس بما يُصلح ظاهرهم وخاتم الأولياء يصلح باطنهم.

ولهٰذا يقول: مثلا المرغني في بعض كلامه يقول: من رآني، ومن رأىٰ من رآني إلىٰ خمسة أجيال فإنهم محرّمون عن النار، لما في خاتم الأولياء من النّور الذي قذفه الله جل وعلا فيه، فينبعث هٰذا النور فيمن رآه ومن رأىٰ من رآه إلىٰ آخره. أو كما قال، وهٰذا العقيدة بها جعلوا أن للولي ما يفضل به النبي والعياذ بالله.

**الثالثة** في كلامهم: أن الولي والنبي بينهما فرق من جهة أن النبي جاءه الوحي اختيارًا من الله جل وعلا، وأما الولي خاتم الأولياء ففاض عليه الوحي؛ لأنه استعد لذلك بتصفية باطنه، فعنده القبول والاستعداد لأن يفاض عليه، وبهٰذا صار خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء.

هٰذه ثلاث مجملات في تلخيص كلامهم.

**المسألة الثالثة**: عند كثيرين من الفئات التي تعتقد في الأولياء، أهل السنة يعتقدون بكرامات الأولياء كما سيأتي لكن باعتقاد صحيح؛ لكن في فئات كثيرة كمثل الباطنية والرافضة وغلاة الصوفية يعتقدون أن أفضل المقامات مقام الولي، ويليه الدرجة الثانية مقام النبي، ويليه مقام الرسول، وفيها يقول قائلهم:

مقـــــام النبـــــوة في بـــــرزخ فويـــــق الرســـــول ودون الـــــولي

(مقام النبوة في برزخ) يعني هو الوسط (فويق الرسول) الرسول تحت النبي مع أن الرسول أفضل من النبي، النبي تحته بقليل يعني بقليل يقول: (فويق) يعني بينهما شيء يسير يعني قال (ودون الولي) يعني بينه وبين الولي مراتب، فالأعلىٰ عندهم الولي ثم بعده النبي ثم الرسول.

وهٰذا الترتيب قال به غلاة الصوفية وكما ذكرت لك النقل عنهم، وقال به أيضا أئمة مذهب الاثني عشرية مثل ما ذكرت لك في أول الكلام عن قول الخميني حيث قال: من ضروريات مذهبنا، ضروريات معناه السير الذي لا يحتاج إلىٰ استدلال الذي يحس بأحد الخواص الخمس ما يحتاج إلىٰ دليل وبرهان، الشيء الضروري ما يحتاج إلىٰ دليل وبرهان لأنه شيء محسوس، قال: من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل. يعني أن مقام الأولياء الأئمة الاثني عشر أنهم أعلىٰ من مقام الأنبياء.

وهٰذا بلا شك طعن في القرآن وطعن في السنة وطعن في الصحابة، وهكذا يبلغ الأمر عند من قاله؛ لأن أفضل هٰذه الأمة وأحق الناس بأن يكون من الأولياء أبو بكر الصديق ﷺ وأرضاه ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم العشرة المبشرون بالجنة، وهكذا، هؤلاء هم الأولياء وهم سادة الأولياء والأصفياء وخير الصحابة رضوان الله عليهم.

وإذا كان النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ فضّل قرنه فقد فضل أبا بكر وفضل عمر.

فكيف يكون واحد من هٰذه الأمة يأتي ويزعم أنه أفضل من الصحابة، ثم يزعم أنه أفضل الأولياء وخاتم الأولياء، ثم يزعم أنه أفضل من الأنبياء.

لاشك أن هٰذا القول من صاحبه قد يحكم بكفر صاحبه؛ بل حكم كثير من العلماء بكفر من قال هٰذه المقالة؛ لأنها قدح في القرآن وقدح في السنة، ورفع لمقام الولي وتهجين مقام النبي والرسول ورفع خاتم الأولياء عن خام الأنبياء.

مع اختصار في المقام، لهٰذا ذكر الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ هٰذه الجملة وركز عليها؛ يعني في هٰذه العقيدة لأنها بدأت في زمانه وهي سبب افتراق الناس مع طرق الصوفية إلىٰ هٰذا الزمان، وقال: (**وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَام**) ما فيه ولي يمكن أن يكون أفضل من نبي؛ بل أفضل الناس هم الأنبياء ثم يليهم الأولياء صحابة رسول الله ﷺ وصحابة كل نبي إلىٰ آخره، قال: (**وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ**) الله أعلم حيث يجعل رسالته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال بعدها: (**وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ**) نتكلم عنه نقسم الكلام عليه بين الدرس هٰذا -إن شاء الله- والدرس القادم لأنه يطول الكلام علىٰ كرامات الأولياء.

قال: (**وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ**) يريد رَحِمَهُ اللَّهُ أن أهل السنة الجماعة وأهل الحديث والأثر والمتابعين للسلف الصالح يؤمنون بما جاء في الكتاب والسنة ما صحت به الرواية من كرامات الأولياء وهم يصدقون بكرامات الأولياء ولا ينفونها، وما صح عن الثقات من الروايات من بيانات كراماتهم فإنهم يصدقون بذلك ويعتقدونه ويؤمنون به؛ لأن هٰذا من فضل الله جل وعلا عليهم لأن

في التصديق بهم تصديقا بما أخبر الله جل وعلا به في القرآن وأخبر به النبي ﷺ في السنة.

ويريد بذلك مخالفة طوائف من العقلانيين الذي أنكروا الكرامات كرامات الأولياء، ويُخص بالذكر منهم المعتزلة، فإنهم أنكروا كرامة الأولياء وقالوا: ليس لولي كرامة لأنه لو صح أن يكون لولي كرامة لاشتبهت كرامات الأولياء بمعجزات الأنبياء، فحينئذ تشتبه الكرامة في النبوة ويشتبه الولي بالنبي، وهٰذا قدح في النبوة وقدح في الشريعة.

ونذكر هنا مسائل:

**الأولى**: كرامات الأولياء جمع كرامة.

والكرامة في اللغة إكرام من الإكرام وهو ما يؤتىٰ المكرَم من هبة وعطية وهي في باب الكرامة من الله جل وعلا.

وفي الاصطلاح عرفت الكرامة كرامة الولي بأنها أمر خارق للعادة جرىٰ علىٰ يدي ولي.

وكونه خارقا للعادة يخرج به ما ينعم الله جل وعلا به من النعم علىٰ عباده مما لا يدخل في كونه خارقًا للعادة، فأهل الإيمان ينعم عليهم بنعم كثيرة وهي إكرام من الله جل وعلا؛ لكن لا تدخل في حد الكرامة، فالكرامة ضابطُها أنها أمر خارق للعادة، والعادة هنا خارقٌ للعادة أي عادة؟ عادة أهل ذلك الزمان.

فقد يكون خارقًا لعادة أناس في القرن الثاني وهو ليس بخارق لعادتنا في هٰذا الزمن، مثلا أن ينتقل من بلد إلىٰ بلد في ساعة من الشام إلىٰ مكة أو إلىٰ القدس في ساعة، ويصلي هنا إلىٰ آخره أو أن يُحجب عن بعض المكروه أو أن يكون عنده علم بحال أناس بالتفصيل يسمع كلامهم ويرىٰ صورتهم في بلد بعيد عنهم، هو في الجزيرة ويرىٰ حالهم في الشام أو في مصر أو في خُراسان أو ما أشبه ذلك، هٰذه في زمن مضىٰ كانت خوارق لعادة أهل ذلك الزمان لكنها بالنسبة لعادة أهل هٰذا الزمان ليست بخارق مطلقا، لهٰذا تضبط العادة في تعريف الكرامة خارق للعادة بأنها عادة أهل ذلك الزمن.

والمعجزة أيضا أو الآية والبرهان للنبي وخوارق السحرة والكهنة كما سيأتي فيها خرق للعادة لكن مع اختلاف الخارق واختلاف العادة كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ.

في التعريف (جرىٰ علىٰ يدي ولي) وقوله: جرىٰ يعني إنه أكرم به الولي فجرىٰ علىٰ يديه، وقد يكون أُعطي القدرة وقد يكون الولي أحس بالشيء وجرىٰ علىٰ يديه دون قدرة منه إما من الملائكة أو بسبب شاءه الله جل وعلا.

وآخر جملة (علىٰ يدي ولي) يخرج منها ما جرىٰ علىٰ يدي الأنبياء فهي أمر خارق للعادة لكنه ليس علىٰ يدي ولي، وإنما علىٰ يدي نبي، كذلك خوارق السحرة والكهنة والمشعوذين فهي شيطانية ليست إيمانية، ولذلك لا تدخل في التعريف.

**المسألة الثانية**: الأصل في كرامات الأولياء من القرآن قول الله جل وعلا: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[يونس].

وقوله جل وعلا أيضا: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾[الكهف:٨٢].

وقوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتىٰ أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع له، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه**».

ومن الواقع فإنه تواتر النقل عن الصحابة وعن التابعين ومن تبعهم وعن الأمم السالفة تواتر النقل بما لا يكون معه مجال للتكذيب ولا للرد لنقل عدد كبير يختلفون في أماكنهم ويختلفون في دراتهم بحصول هٰذه الكرامات، فيكون معه النقل متواترا ويكون دليلا من الأدلة في هٰذه المسألة.

فإذن حصول الكرامات دلّ عليه القرآن والسنة ودلّ عليه التواتر في النقل عن الأمم السالفة وعن هٰذه الأمة.

**المسألة الثالثة**: الكرامة تبع للوَلاية، والأولياء جعلهم الله جل وعلا هم أهل الإيمان والتقوىٰ قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس]، فالولي الذي يعطىٰ الكرامة هو الموصوف بهذين الوصفين الإيمان والتقوىٰ، فلو جرىٰ الخارق علىٰ يدي من لم يوصف بالإيمان والتقوىٰ فليس هو من الكرامة؛ لأن الله جل وعلا جعل الوَلاية في أهل الإيمان والتقوىٰ، وهم الذين يعطون الكرامة.

وهاهنا سؤال: **هل المبتدع أو الضال أو العاصي يعطىٰ كرامة؟**

والجواب عن ذلك: أن الأولياء -كما قرر أهل العلم- علىٰ فئتين:

الفئة الأولىٰ: السابقون.

والفئة الثانية: المقتصدون.

فليس الظالم لنفسه المقيم علىٰ المعصية حظ في الكرامة؛ لكن قد تجري الكرامة علىٰ يدي من عنده بدعة أو ظلم لنفسه، وذلك راجع لأسباب:

**الأول**: أن يكون ليس هو المراد بها وإنما يكون هٰذا المبتدع أو هٰذا الظالم لنفسه في جهاد مع الكافر في جهاد مع العدو الكافر فيعطيه الله جل وعلا الكرامة لا لذاته ولكن لما يجاهد عليه، وهو الإسلام والإيمان ورد الكفر، فيكون إعطاؤه الكرامة لا يغتر بها لأنها ليست لشخصه وإنما هي للدليل علىٰ ظهور الإيمان والإسلام علىٰ الكفر والإلحاد والشرك ونحو ذلك.

**السبب الثاني**: أن يكون إعطاؤه الكرامة لحاجته إليها في إيمانه أو في دنياه، فتكون سببا له في استقامة أو في خير.

ولهٰذا من جرىٰ علىٰ يديه شيء في ذلك ينظر في نفسه، إن كان من أهل الإيمان والتقوىٰ فيحمد الله جل وعلا ويثني عليه ويلازم الاستقامة علىٰ ما أكرمه الله جل وعلا به، وإن كان من أهل البدعة أو المعصية أو الظلم للنفس، فيعلم أن في ذلك إشارة له أن يلازم سنة النبي ﷺ والإيمان والتقوىٰ حتىٰ تكون البُشرىٰ له في الدنيا والأخرىٰ، وأن لا يكون قد قامت عليه حجة ونعمة من الله رآها ثم أنكرها.

**المسألة الرابعة والأخيرة في هذا الدرس**: الكرامة -كرامة الأولياء- هي أمر خارق للعادة، وتشترك مع مخاريق السحرة والكهنة في أنها أمر خارق للعادة، وكذلك معجزات الأنبياء والآيات والبراهين هي

أمر خارق للعادة، فخرق العادة في نفسه ليس مثنًى عليه فقد تُخرق العادة لمبطل، وقد تخرق العادة لصالح يعني لرجل صالح، وقد تخرق العادة لكاهن ساحر، وقد تخرق العادة لولي صالح.

ولهٰذا وجب أن يكون ثم فُرقانا في خرق العادة عند من حصلت له وعند الناس، هل خرقت العادة لمؤمن تقي أو لمبطل غير متابع للسنة من السحرة والكهنة وأشباههم، فنعلم حينئذٍ الفرقان البين بين كرامة الوليوخرق العادة له وأنها خرق إيماني خرق من الله جل علا لإكرامه وكرامته، وبين خرق العادة للساحر والكاهن والمشعوذ وأنها خارقٌ شيطاني؛ لأن الشياطين لها قدرة في خرق عادة.

لكن ثم فرق بين خارق العادة للشياطين وخارق العادة للأولياء.

والفارق بينهما:

أن خارق العادة للأولياء هٰذا:

- من الله جل وعلا أولا.
- وأثر للمتابعة الرسول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ثانيا.
- والثالث أنه خرق لعادة أهل الزمان، فهو في جنسه أعظم وأرفع من جنس خوارق السحرة.

وأما خوارق السحرة فهي:

- أولا من الشيطان مخاريق شيطانية.
- والثاني هي نتجت من التقرب للشياطين والتعاون معهم حتىٰ خدمتهم الشياطين، كما قال جل وعلا في سورة الأنعام لما ذكر حشر الجن والإنس يوم القيامة قال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام:١٢٨]، فاستمتع الإنسي بالشيطان الجني واستمتع الشيطان الجني بالإنسي، فهٰذا تقرب وهٰذا خدم، لهٰذا منشؤها من جهة الشيطان.

الثاني أنها متابعة للمعصية والبدعة والشرك إلىٰ آخره التي هي مخاريق السحرة.

- الثالث أنها محدودة وفي الغالب أنها تخييل وليست حقيقة، والشيطان هو الذي يتمثّل وليس من أُعطي الخارق أو من جرىٰ الخارق علىٰ يديه في ظاهر أعين الناس أنه هو الذين انتقل.

مثلا وجد في الشام ووجد في مكة في نفس الوقت ووجد في مصر في القرية الفلانية ووجد في القرية الفلانية هٰذا لا يمكن أن يكون إذن من الشيطان.

قال بعضهم مثلا مثل ما قال عبد الوهاب الشعراني في أحد من ادعىٰ أنهم مجاذيب ومجانين وأولياء قال في ترجمته: وكان رجمه الله يخطب الجمعة في سبع قرىٰ في مصر. وهٰذا خارق عند الناس، كيف في القرية هٰذه وفي القرية هٰذه كلها يخطب فيها هٰذا وكان الشيطان تمثل به خدمه حتىٰ يغوي الناس

وبالإضافة إلىٰ ذلك هو مجنون ومجذوب وما أشبه ذلك.

فإذن الشياطين تخدم الساحر والكاهن لكنها أكثر ذلك تخييل كما قال جل وعلا: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾[طه]، فثم تفصيل للكلام علىٰ هٰذه المسائل المهمة في مسائل نأتي إليها إن شاء الله تعالىٰ في الدّرس القادم.

نكتفي بهٰذا القدر.

[الأسئلة]

سؤال (٤٧٩): عنده سؤال عن الهاتف الجوال والرد عليه في أثناء الدرس وترك الهاتف الجوال علىٰ النغمة المزعجة وكذلك النداء العالي؟

الجواب: الذي ينبغي في الدروس أن يترك هٰذا، إلا لمن كان ينتظر شيئا مهما وليس فيه إزعاج، يمكن يرتب نفسه؛ لكن الأصل هو إعانة نفسه والآخرين علىٰ الإنصات، ولاشك أنه من تمام الأدب عدم إشغال الآخرين بذلك.

سؤال (٤٨٠): ألا يقصد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بأهل الحديث والأثر خير القرون قرني؟

الجواب: هٰذا قد يرد ولكن لا يسمىٰ الصحابة أهل الأثر، لأن التفصيل أهل الأثر وأهل النظر إنما أتىٰ بعد ذلك لا نقول أن الصحابة أنهم أهل أثر وأهل نظر إنما هٰذا نشأ في أوائل القرن الثاني من مدرسة المدينة أهل الرأي والكوفة الرأي، فانقسم أهل العلم إلىٰ مدرستين مدرسة النظر والفقه ومدرسة الفقه والأثر.

سؤال (٤٨١): تكثر المراثي والأشعار فيمن يموت من العلماء وغير ذلك، ويحصل من المبالغة في ذكر المحاسن والثبات عليه وثم سؤالان:

الأول: هل هٰذا من النياحة.

الثاني: يرد في كثير منها بعض الألفاظ الشركية وقريب منها والمبالغة الشديدة إلىٰ آخره. وذكر أمثلة من ذلك.

وأظنه يقول القصائد في كانت رثاء عبد العزيز ابن باز وثم مدخل لأهل البدع.

الجواب: لاشك أن ما رثي به سماحة الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ فيه قسم منه حق وطيّب وجزىٰ الله الراثين خيرا.

والعلماء يرثون العلماء والشعراء يرثون أهل العلم ومن في صفهم علىٰ الإسلام والمسلمين.

لكن القسم الثاني من تلك المراثي كما ذكر فيها من الغلو ووسائل الشرك ونداء الميت ما فيها، وهٰذا مما يبين لك غربة التوحيد، وأن الناس لا يصح أن يقولوا: التوحيد علمناه والحمد لله الناس الحمد لله الناس علىٰ الفطرة ولا يحتاجون للعقيدة والتوحيد.

هٰذا في موت سماحة الشيخ لما سير بجنازته من الناس من تمسح به وألقىٰ عليه سترة من الجهلة ولما

جاء القصائد فيه من يشار إليهم من ناداه يا أبا عبد الله وغوث الملاهيف[1]... ونحوه من المبالغات.

وهٰذا يدلك علىٰ أن رسالة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ والدعوة التي أقامها في ملازمة السنة وترك البدع ورد وسائل الشرك ووسائل البدع فيمن هو أفضل من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هو النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أبو بكر وعمر عثمان وعلي إلىٰ آخره، الشيخ أقام حياته لتقرير السنة ووسائل الشرك ويأتي من يغلو فيه إما لغرض صالح أو لغرض غير صالح أيضا هٰذا لاشك أنه ذنب وإثم علىٰ من قاله يجب عليه التوبة وسحب هٰذه القصائد وأن يراجعها أهل العلم إذا كان فيها شيء منكر يجب عليه أن..، وهٰذه نتبرأ منها نتبرأ ممن غَلَا في مدح الصحابة وفي مدح النبي ﷺ غَلَا فيه الغلو الذي أوصله إلىٰ مقام لم يجعله الله جل وعلا له، فكيف بمن هو دون النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ودون الصحابة من العلماء والأولياء ومثل سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ؟ لاشك أن الواجب الإنكار ولا نقر شيئا من ذلك ونبرأ منه.

وليس لأهل البدعة حجة في ذلك؛ لأن أهل التوحيد فيهم جهلة أيضا، مثل ما في أهل البدع جهلة، فمن أهل البدع يبالغون في المدح ويطرون، كذلك في المنتسبين إلىٰ التوحيد وإلىٰ أهل التوحيد وإلىٰ أهل العقيدة فيهم من يجهل كثيرا فيخطئ ويتجاوز.

وذكرني هذا حينما رأيت بعض الأشياء ذكرني هٰذا بشيخ الإسلام ابن تيمية الذي عاش حياته للعقيدة وللتوحيد ولنصرة السنة ولرد البدع ووسائل الشرك والغلو في الأموات ثم بعد ذلك جنازته صلي عليها الظهر وظلت تمشي إلىٰ المقبرة والناس يلقون عمائمهم ويلقون أرديتهم علىٰ جثمان شيخ الإسلام تبركا به، فما حياته إذن؟ هؤلاء الجهلة الكثيرون حتىٰ ولو انتسبوا إلىٰ الثقافة وإلىٰ العلم بحاجة إلىٰ أن يدرسوا العقيدة ويعلمون ما يقبح وما يحسن، هو يريد أن يرثي إماما وعالما مثل سماحة الشيخ ويقع في الإثم ويجعل الإثم أيضا ينتشر في الأمة والبدعة ووسائل الشرك فبدل أن نسير في دعوته وما عاش في حياته له نخالفه بعد وفاته وهٰذا لاشك أنه مما يسر الشيطان ويأنس له.

والغلو شرٌّ الغلو شر، وهدي الصحابة في ذلك هو الهدي الكامل، كم المراثي في أبي بكر وكم المراثي في عمر وعثمان وكم المراثي ابن عمر وابن عباس، اجمعوها أليس في زمانهم من الشعراء من فيه، لكنها قليلة محافظة لا لأنهم لا يستحقون؛ لكن خشية من الغلو، وأحيانا بعض المسائل يعامل فيها الإنسان الناس بنقيض القصد حتىٰ يتوسعوا في الشرك والبدع.

ولهٰذا ينبغي عليكم جميعا أن تستدلوا بما حصل في هٰذه التجاوزات علىٰ غربة التوحيد ويعطيكم دليلا علىٰ أنه في هٰذا البلد والذين هم قريبون من الشيخ ويعلمون دعوته ويعلمون الكتب التي شرحها ودرسها وفتاويه التي يرد فيها علىٰ أقل البدع وعلىٰ أقل وسائل الشرك كيف أن الناس يخالفونه وهم عاشوا معه سنين عددا، فما أشد الغربة وما أشد حاجة الناس إلىٰ التوحيد والعقيدة العلم الصحيح والالتزام بالسنة.

أسال الله جل وعلا أن يرفع درجة شيخنا في عليين وأن يجزيه عنا خير الجزاء وأن يجعله مع الأئمة

---

(١) نهاية الوجه الأول من الشريط السادس والأربعين.

السابقين ممن أحبهم واقتفىٰ أثرهم إنه سبحانه علىٰ كل شيء قدير.

سؤال (٤٨٢): ما رأيكم ما جاء في كتاب عبد الله بن الإمام أحمد من اتهام لأبي حنيفة بالقول بخلق القرآن إلىٰ آخره؟

الجواب: هٰذا سؤال جيد هٰذا موجود في كتاب «السنة» لعبد الله بن الإمام أحمد وعبد الله بن الإمام أحمد في وقته كانت الفتنة في خلق القرآن كبيرة، وكانوا يستدلون فيها بأشياء تنسب لأبي حنيفة وهو منها براء خلق القرآن، وكانت تنسب إليه أشياء ينقلها المعتزلة من تأويل الصفات إلىٰ آخره مما هو منها براء، وبعضها انتشر في الناس ونقل لبعض العلماء فحكموا بظاهر القول، وهٰذا قبل أن يكون لأبي حنيفة مدرسة ومذهب؛ لأنه كان العهد قريبا عهد أبو حنيفة وكانت القوال تنقل قول سفيان قول وكيع قول سفيان الثوري سفيان بن عيينة قول فلان وفلان من أهل العلم في الإمام أبي حنيفة، وكانت الحاجة في ذلك الوقت باجتهاد عبد الله بن الإمام أحمد كانت الحاجة قائمة في أن ينقل أقوال العلماء فيما نقل.

ولكن بعد ذلك الزمان كما ذكر الطحاوي أجمع أهل العلم علىٰ أن لا ينقلوا ذلك، وعلىٰ أن لا يذكروا الإمام أبا حنيفة إلا بالخير والجميل، هٰذا فيما بعد زمن الخطيب البغدادي يعني في عهد الإمام أحمد ربما تكلموا وفي عهد الخطيب البغدادي نقل مقولات في تاريخه معروفة، وحصل ردود عليه بعد حتىٰ وصلنا إلىٰ استقراء منهج السلف في القرن السادس والسابع هجري وكتب في ذلك رسالة ابن تيمية الرسالة المشهورة «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، وفي كتبه جميعا يذكر الإمام أبا حنيفة بالخير وبالجميع ويترحم عليه وينسبه إلىٰ شيء واحد وهو القول بالإرجاء إرجاء الفقهاء دون سلسلة الأقوال التي نسبت إليه فإنه يوجد كتاب أبي حنيفة «الفقه الأكبر» وتوجد رسائل له تدل علىٰ أنه في الجملة يتابع السلف الصالح إلا في هٰذه المسألة مسألة دخول الأعمال في مسمىٰ الإيمان.

وهكذا درج العلماء علىٰ ذلك كما قال الإمام الطحاوي إلا -كما ذكرت لك- بعض من جاء علىٰ الجانبين إما إلا من أهل النظر في الواقعة في أهل الحديث وسماهم حشوية وسماهم جهلة ومن إلا أيضا من المنتسبين من أهل الحديث والأثر فوقع في أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ أو وقع في الحنفية كمدرسة فقهية أو في العلماء.

والمدرسة الوسط هو الذي ذكرها الطحاوي وهو الذي عليه أئمة السنة.

لما جاء الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب أصّل هٰذا المنهج في الناس وان لا يذكر أحد إلا بالجميل وأن ينظر في أقوالهم وما رجحه الدليل فيؤخذ به وأن لا يتابع عالم فيما أخطأ فيه وفيما زل؛ بل نقول: هٰذا كلام العالم وهٰذا اجتهاده والقول الثاني هو الراجح.

ولهٰذا ظهر بكثرة في المدرسة مدرسة الدعوة ظهر القول الراجح والمرجوح وربي عليه أهل العلم في هٰذه المسائل تحقيقا لهٰذا الأمر، حتىٰ أتينا إلىٰ أول عهد الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ لما دخل مكة، وأراد العلماء طباعة كتابة «السنة» لعبد الله بن الإمام أحمد وكان المشرف علىٰ ذلك والمراجع له الشيخ العلامة عبد الله بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ رئيس القضاة إذ ذاك في مكة، فنزع هٰذا الفصل بكامله من الطباعة، فلم يُطبع لأنه من جهة الحكمة الشرعية كان له وقته وانتهىٰ، ثم هو اجتهاد والسياسة الشرعية

ورعاية مصالح الناس أن ينزع وأن لا يبقىٰ وليس هٰذا فيه خيانة للأمانة؛ بل الأمانة أن لا يجعل الناس يصدون عن ما ذكر عبد الله بن الإمام في كتابه من السنة والعقيدة الصحيحة لأجل نقول نقلت في ذلك وطبع الكتاب بدون هٰذا الفصل وانتشر في الناس وفي العلماء علىٰ أن هٰذا كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد.

حتىٰ طبعت مؤخرا في رسالة علمية أو في بحث علمي وأُدخل هٰذا الفصل وهو موجود في المخطوطات معروف أدخل هٰذا الفصل من جديد يعني أرجع إليه وقالوا إن الأمانة تقتضي إثباته إلىٰ آخره وهٰذا لاشك أنه ليس بصحيح؛ بل صنيع العلماء علماء الدعوة فيما سبق من السياسة الشرعية ومن معرفة مقاصد العلماء في تآليفهم واختلاف الزمان والمكان والحال وما استقرت عليه العقيدة وكلام أهل العلم في ذلك.

ولما طبع كنا في دعوة عند فضيلة الشيخ الجليل الشيخ صالح الفوزان في بيته كان داعيا لسماحة الشيخ عبد العزيز رحمه وطرحت عليه أول ما طبع الكتاب كتاب السنة الطبعة الأخيرة التي في مجلدين إدخال هٰذا الباب فيما ذُكر في أبي حنيفة وأما الطبعة الأولىٰ كانت خالية من هٰذا لصنيع المشايخ فقال رحمه في مجلس الشيخ صالح قال لي: الذي صنعه المشايخ هو المتعين ومن السياسة الشرعية أن يحذف وإيراده ليس مناسبا. وهٰذا هو الذي عليه نهج العلماء.

زاد الأمر حتىٰ صار هناك تآليف يطعن في أبي حنيفة وصار يقال أبو جيفة ونحو ذلك وهٰذا لاشك ليس من منهجنا وليس من طريقة علماء الدعوة، ولا علماء السلف لأننا لا نذكر العلماء إلا بالجميل، إذا أخطؤوا فلا نتابعهم في أخطائهم خاصة الأئمة هؤلاء الأربعة؛ لأن لهم شأنا ومقاما لا ينكر.

نكتفي لهٰذا القدر أسأل لكم التوفيق والسداد، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

## الدرس الخامس والخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

[الأسئلة] ثَم بعض الأسئلة بين يدينا.

سؤال (٤٨٣): أحيانا يكون الشخص علىٰ طريق طويل وتكون الأرض يابسة فإذا بال الشخص تطاير الرذاذ أسفل ملابسه فهل هٰذا مما يعفىٰ عنه لأنه يشق التحرز منه؟

الجواب: لا يعفىٰ عن ذلك لأن الأرض إذا كانت يابسة يعني صلبة فإنه يُسنّ أن يحركها حتىٰ تكون رخوة.

ولهٰذا يقول الفقهاء في آداب التخلي يقولون: ويرتاد لبوله مكانا رِخوا؛ يعني أن من أراد البول فلابد أن يبحث عن ما يأمن معه تطاير الرشاش والنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ مرة أتىٰ سباطة قوم فبال قائما، قال العلماء: لأنها تكون تشرب البول ومعها يؤمن تطاير الرشاش.

ومن الكبائر ألا يستبرئ المرء من البول كما جاء في الحديث المتفق علىٰ صحته: مر النبي ﷺ بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير بلىٰ إنه كير فأما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستنزه من البول**» وفي لفظ آخر «**كان لا يستبرئ من البول**» وهٰذا يعني كان يتساهل فإذا كانت الأرض يابسة فإذا بال عليها واندفع البول بقوة تطاير الرشاش عليك فهو يمكن أن يحركها حتىٰ تثور وتشرب البول وتصير رخوة فهو مؤثر لاشك.

وهٰذا يظهر إذا كان يستديم هٰذا الأمر يعني دائما يفعل ذلك ولا يبالي وهٰذا والعياذ بالله، فواجب التنبه لهٰذا ومثل هٰذه المسألة ليست مما يشق التحرز منه ولا تدخل في القاعدة مما يشق التحرز منه.

سؤال (٤٨٤): البنت الصغيرة أو الولد الصغير؛ الشباب إذا خرج فيهم الشيب أو ولدوا هكذا فهل يجوز تغيير هٰذا الشيب بالسواد ؟

الجواب: الجواب أن تغيير الشيب بالسواد الصحيح من أقوال أهل العلم أنه لا يجوز، سواء أكان المغير شابا أم كهلا يعني المغير شعره شابا أو كهلا أم كان طاعنا في السن كحال والد أبي بكر، فإنه كان طاعنا في السن وقال النبي ﷺ في حقه «**غيروا هٰذا الشيب وجنبوه السواد**».

من أهل العلم من قال هٰذا يحمل علىٰ من لا يناسبه التغيير بالسواد وهو الشخص الذي طعن في السن وتجعد جلده بحيث لا يناسبه بالسّواد فيكون مُثلة.

والقول الصحيح كما ذكرنا أنه لا يجوز التغيير بالسواد لآحاد الناس لعامة الناس لا يجوز التغيير سواء أكانوا شباب أو غير ذلك لما روىٰ الإمام أحمد ومالك في الموطأ وجماعة أن النبي ﷺ قال: «**يكون من أمتي أقوام يسبغون بالسواد كحواصل الطير لا يريحون ريح الجنة**» أو كما جاء عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، الحديث اختلف في صحته والصواب أنه صحيح.

والمقصود من ذلك أن تغيير الشيب بسواد خالص لا يكون.

بعض أهل العلم استثنىٰ حالتين في جواز التغيير بالسواد والقول قريب ولهم ما يدل له من الأصول:

الحال الأولىٰ: لإمام لولي الأمر.

والثانية: في الحرب حتىٰ يكون أهيب للعدو.

وإلا فالقاعدة والأصل إذا دلت عليه الأدلة أن التغيير بالسواد لا يجوز.

فإذا كان كذلك ففي هٰذه الحالة الشاب والبنت الذين فيهم شيء يغيرون بغير السواد وما هو دون السواد بالحنة بلون يناسب حنة خفيفة أو الحنة الكثيفة أو يخلط الحنة بالكتم يكون قريبا من السواد لكن لا يكون سوادا خالصا.

سؤال (٤٨٥): هل في هٰذه الكلمة محذور شرعي وهي: سورة لقطعة من الذرة ومكتوب عليها هٰذه من خيرات الطبيعة حيث أنها تنتشر دعاية في مثل هٰذه الشوارع؟

الجواب: هٰذا صحيح رأيناه في الشوارع هٰذه الكلمة كلمة فيها سوء؛ لأن الخير من الله جل وعلا، والطبيعة مطبوعة ليست طابعة للأشياء فعيلة يعني مفعولة، هي مطبوعة طبعها الله جل وعلا وجعلها علىٰ هٰذا النحو من سننه، فالله جل وعلا هو الذي جعل من سنته أن الماء ينزل وأن الأرض تتنوع، ما ينتج منها. ولهٰذا هٰذه الكلمة فيها مخالفة فينبغي؛ بل يجب تجنبها حفظا لنعم الله جل وعلا علىٰ عباده.

سؤال (٤٨٦): استمعنا إلىٰ شرح فضيلتكم علىٰ «بلوغ المرام» في باب الغسل وأشكل علينا لعدم الموالاة قولكم أنه يجوز غسل الرأس ثم يجوز له النوم بعد الاستيقاظ غسل بقية البدن أرجو تفصيل ذلك؟

الجواب: الموالاة هٰذه في الوضوء، الموالاة واجبة في الوضوء، الترتيب والموالاة في الوضوء لدلالة الدليل عليه، أما الغسل فلا يجب فيه ترتيب ولا يجب فيه موالاة ومعنىٰ الموالاة أن لا يؤخر غسل عضو حتىٰ ينشف الذي قبله بل يوالي بين هٰذا وهٰذا.

والغسل إذ لم تجب فيه الموالاة ولم يجبب فيه التتابع فله أن يفرقه، فإذا مثل ما ذكر السائل إذا كان عليه مشقة أن يغتسل مثلا الفجر أن يغسل رأسه إما لبرد او لعارض او لما يختاره فله أن يغسل رأسه قبل أن ينام ويغسل بقية البدن وهٰذا نص عليه أهل العلم وموجود في كتبهم كما هو معروف.

المقصود أن الأصل أن الله الأدلة دلت علىٰ أن الموالاة واجبة وأنه لا يجوز تأخير غسل عضو حتىٰ ينشف الذي قبله بل يجب عليه أن يوالي بين الأعضاء في الوضوء، أما الغسل فهو باق علىٰ الأصل وهو أنه يجوز فيه التفريق ولا تجب فيه الموالاة.

سؤال (٤٨٧): في قوله تعالىٰ: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾[الأعلىٰ] هل إذا غلب علىٰ الظن عدم الانتفاع يجوز السكوت عن المنكر؟

الجواب: هٰذه المسألة اختلف فيها العلماء قد ذكرت لكم الخلاف أظن في شرح الواسطية أظن في بعض المواضع، والآية استدل بها جماعة من العلماء منهم الشيخ تقي الدين ابن تيمية شيخ الإسلام ومنهم ابن عبد السلام في «القواعد» وجماعة، وذكر هٰذا أيضا ابن رجب عن بعض أهل العلم في شرحه علىٰ الأربعين.

والآية فيها دليل علىٰ أنّ الذكرىٰ مأمور بها إذا كانت ستنفع؛ لأن الله قال: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾ أمر بالتذكير إذا كانت الذكرىٰ ستنفع، هل يدخل هٰذا في النهي عن المنكر، أم هٰذا في التذكير بما ينفع الناس، ظاهر لكلمة ﴿ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أنها تشمل الأمر بالمعروف وتشمل النهي عن المنكر؛ لأن التذكير يشمل هٰذا وهٰذا في القرآن والسنة.

لهٰذا قال طائفة من العلماء ممن سمينا ومن غيرهم: إنه للمرء أن يترك الإنكار إذا غلب علىٰ الظن عدم الانتفاع، كذلك يجوز له أن لا يذكر إذا غلب علىٰ الظن عدم الانتفاع، أما إذا غلب علىٰ الظن الانتفاع بالإنكار أو الانتفاع بالذكرىٰ فهنا يجب عليه أن ينكر ويجب عليه أن يأمر بالمعروف بحسب الحال، هٰذا قول.

الجمهور علىٰ خلاف ذلك وهو أن الأحاديث دلت علىٰ أن المنكر إذا رُئي وجب تغييره، لهٰذا قالوا: سواء غلب علىٰ الظن أو لم يغلب علىٰ الظن فلابد منه حفاظا علىٰ ما أجب الله جل وعلا.

ولهٰذا قال ﷻ لما ذكر حال أهل القرية: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝١٦٤﴾[الأعراف]، فدل علىٰ هٰذا أن المعذرة مطلوبة وأن لا يسكت علىٰ المنكر؛ لكن هٰذا لا يدل علىٰ الوجوب، وحال الصحابة بكثير من أحوالهم وخاصة لما دخلوا علىٰ الولاة -ولاة بني أمية والأمراء- فيما سكتوا عنه وفيما لم ينكروه قال ابن عبد السلام وكذلك كلام ابن تيمية أنهم أخذوا بأنهم غلب علىٰ ظنهم أنهم لا ينتفعون بذلك لعلم الواقع في المنكر لعلمه ولجل أنه يعلم أنه لو أنكر عليه فإنه لن يستجيب.

المقصود من ذلك أن العلماء لهم في ذلك ثلاثة أقوال:

**القول الأول**: أنه يجب الإنكار مطلقا كما أمر النبي ﷺ.

**القول الثاني**: أنه يجب مع غلبة الظن، وإذا لم يغلب علىٰ الظن فإنه يجوز له أن ينكر.

**والقول الثالث**: وهو المتوسط بينهما أنه لا يجب ولكن يستحب إذا غلب علىٰ الظن عدم الانتفاع، وهٰذا معناه أن الإنسان لا يؤثم نفسه فيما غلب علىٰ الظن عدم الانتفاع، وهٰذا يحصل الذي يغلب في المسائل التي يغلب فيها الظن عدم الانتفاع مثل المنكرات المنتشرة، مثل مثلا حلق اللحىٰ، ومثل الإسبال، ومثل كشف المرآة لوجهها، ومثل لرؤية المجلات رؤية النساء في المجلات المحرمة، أو مثل هٰذه يغلب علىٰ الظن من الناس عدم الانتفاع مطلقا أو عدم الانتفاع في وقتها؛ يعني بحسب الحال؛ لكن إذا غلب علىٰ الظن أنه إذا وعظه أمره أنه ينتهي ولو في الوقت نفسه، فهٰذا يتعين عليه؛ يعني دخل في المسألة مثل غيرها مع القدرة؛ لكن يظن انه إذا قال له لا تحلق لحيتك أو هٰذا حرام لم ينتفع فهو لا يجب عليه حينئذ ويسلم من الإثم المقصود السلامة من الإثم في مثل هٰذه الحال، والله المستعان كل في هٰذا الباب مقصر، ونسأل الله جل وعلا أن يعفو عنا وعنكم.

سؤال (٤٨٨): هٰذا يسأل عن نشرة بها اسم لبعض الشركات، يقول: هل في هٰذا ما ينكر.

الجواب: هو أعرف بما كتب لكن هٰذا فيه تكلف يعني إنكاره مثل هٰذا فيه تكلف؛ لأن الكلمة لا تقرأ علىٰ النحو الذي ذكر.

نكتفي بهٰذا...

❁❁◊❁❁

📖 وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَام، وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ.

وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ.

ذكرنا أربع مسائل.

**المسألة الخامسة**: كرامات الأولياء ترجع إلىٰ نوعين:

- ترجع إلىٰ القدرة.
- وترجع إلىٰ التأثير.

والقدرة والتأثير قد يكونان في الأمور الكونية، وقد يكونان في الأمور الشرعية.

**مثال قدرة في الأمور الكونية** أن يُقدره الله جل وعلا علىٰ ما لم يُقدر عليه غيره من الناس؛ بأن يسمع ما لم يسمعوا، أو أن يقدر من حيث المشي أو القدرة البدنية ما لم يقدروا، أو أنه يغلب لما لم يقدروا عليه الواحد في العادة، يعني أنه راجع إلىٰ قدرة -يعني في الكونيات- إلىٰ قُدَر في السماع بالآلات في السمع أو في البصر أو في القوىٰ..

هٰذا له مثال أو له أمثلة... سماع سارية كلام عمر ﷺ وهو في المدينة حيث كان يخطب، فقال: يا سارية الجبل الجبل. يعني الزم الجبل وسارية كان في بلاد فارس وسمع الكلام، وهٰذا لاشك قدرة للسماع خارقة للعادة أوتيها، وكذلك هي من جهة عمر ﷺ قدرة في الإبصار حيث إنه أبصر ما لم يبصره غيره، فقال: يا سارية الجبل الجبل. فنظر إلىٰ سارية ونظر إلىٰ الجبل ونظر إلىٰ العدو وكأن الجميع أمامه، ولهٰذا قال: الزم الجبل هٰذه قدرة في الآلات سمع وفي البصر.

كذلك قد تكون القدرة في القوىٰ يعني هٰذه الكونيات قد تكون القدرة في القوىٰ بأن يغلب ما لم يغلبه مثله، وبأن يمشي مثلا علىٰ الماء مثل ما حصل لسعد ومن معه يعد بن أبي وقاص، مثل أن ينوم نومة طويلة كأصحاب الكهف لا يتغير فيها البدن ولا يتأثر فيها أكثر ثلاثمائة وتسع سنين وهكذا.

ومثل إحياء الفرس يعطىٰ قوة بأن يمس علىٰ الفرس أو يأمرها بأن يحيىٰ فيحيىٰ له فرسه.

ومثل أن يدخل في النار فلا تؤثر فيه أو فلا تأكله النار.

المقصود هٰذه القدرة راجعة إلىٰ قُدَر في الكونيات يكرم الله جل وعلا بها العبد بحيث تكون فيما يحصل له في ملكوت الله جل وعلا.

النوع الثاني من القدرة قدرة في الشرعيات ونقصد بالشرعيات المسائل الدينية، فيكون عنده قدرة بأن يستقبل من العلم والدين ما لا يستقبله غيره من جهة الحفظ -حفظ الشريعة- أو الفهم الذي يأتيه الله جل وعلا من خصه من أوليائه أو ما شابه ذلك، فعنده قدرة في فهم الشرعيات وفي فهم مراد الله وفي الحفظ أعطي بمزيد عن عادة أمثاله، هٰذا يكون بالإكرام إذا خرج عن مقتضىٰ العادة صار خارقا للعادة في

حال بعض الناس.

**أما القسم الثاني فهو في التأثير**: التأثير أيضا قد يكون في الكونيات وقد يكون التأثير في الشرعيات.

يعني تأثير يرجع إلىٰ تأثير في الكون بأن يؤثّر في المكان الذي هو فيه، أو في أبصار الناس بأن لا يروه، مثل ما حصل مثلا للحسن البصري رحمه الله تعالىٰ حيث دخل عليه بعض الشرط لطلبه فلم يروه، دخلوا وداروا في المكان وهو جالس في وسط الدار فلم يروه، وأشباه ذلك مما فيه تأثير في قدر الآخرين.

الأول قدرة في نفسه، والثاني والتأثير يكون في قدر الآخرين ففيه في خصائص الأشياء خاصية الهواء خاصية الماء ونحو ذلك هٰذا قد يؤتيه الله جل وعلا لبعض أوليائه لحاجتهم إليه كما ذكرنا.

وفيه قدرة التأثير في الشرعيات يعني أن يؤثر في ما هو مطلوب شرعا، إذا علّم فإنه يقع تعليمه موقع النفع أكثر من غيره؛ يعني بشيء لا يقع عادة يكون فيه الأمر زائد عن العادة له قبول والكلام يقع موقعه أكثر مما اعتداده الناس، في أمثال أهل العلم، كذلك تأثير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا أمر ونهىٰ فإنه يؤثر التأثير البالغ بحيث لا يعارَض، ومثل أن يؤثر في الناس في هدايتهم، إذا وعظ إذا قال لفلان من الناس: افعل كذا أطاعه، إذا وعظ إذا أمر بالتوبة يطيع ونحو ذلك مما هو خارق للعادة إلا أن الناس من عادتهم أن يطيعوا ولا يطيعوا.

هٰذا التقسيم ذكره شارح الطحاوية في هٰذا الموقع، وشيخ الإسلام قسمه في الواسطية -كما تعلمون- إلىٰ أن الخوارق التي تجري علىٰ يدي الولي تسمىٰ كرامة:

- تارة تكون في العلوم والمكاشفات.
- وتارة تكون في القدرة والتأثيرا.

فجعل القدرة والتأثير بابا واحدا وجعل العلم والمكاشفات جعله بابا آخر. وهٰذا أيضا تقسيم ظاهر، وهي تقاسيم باعتبارات مختلفة.

**المسألة السادسة**: ذكرنا لكم أن الخوارق ثلاثة أقسام:

خارق للعادة جرىٰ علىٰ يدي نبي ورسول، وهٰذا يسمىٰ آية وبرهان ومعجزة.

وخارق للعادة جرىٰ علىٰ يدي ولي، وهٰذا يسمىٰ كرامة.

وخارق للعادة جرىٰ علىٰ يدي شيطان أو عاصي أو مبتدع أو من ليس مطيعا لله ومتقيا له، فهٰذا يسمىٰ حالا شيطانيا.

فالفرق بين هٰذه الثلاثة أشياء واضح:

**أولا**: أن الأمر الخارق للعادة بحسب من يضاف إليه، فإذا أضيف إلىٰ النبي صار اسمه آية وبرهانا ومعجزا، وإذا أضيف إلىٰ الولي فإنه يسمىٰ كرامة، وإذا أضيف إلىٰ أصحاب الكهانة والسحر والشعوذة فيسمىٰ حالا شيطانيًا.

**الثاني**: أن خرق العادة الذي يجري للولي لا يكون مصحوبا بدعوىٰ النبوة، فقد يجري أحوالا عظيمة للأولياء لكنها مع عدم دعوة النبوة، فإذا ادعىٰ مع تلك الأحوال النبوة صار شيطانا صار ما يساعد به من

جهة الشياطين والسحرة وأشباه ذلك.

**الثالث**: أن ما تخرق به العادة للنبي أوسع بكثير وأعظم مما تخرق به العادة للولي، فخرق العادة للولي محدود بالنسبة لخرق العادة للنبي، وخرق العادة للسَّحرة والكهنة الشَّياطين وأهل الشعوذة وأهل العصيان الذين يدَّعون الأحوال، هٰذه ليست خرقًا للعادة في الحقيقة ولكنها قدرة مما أعطىٰ الله الشيطان أن يوهم به الناس وأن يضل الناس به، من جهة التخييل تارة، ومن جهة تصوُّره وتشكله في صور وأشكال تارة أخرىٰ.

أمَّا الأول فهو خرق العادة بالنسبة للأنبياء، فالأنبياء يخرق الله جل وعلا لهم العادة، أي: عادة الجن والإنس في زمانهم، حتىٰ يكون ما يعطوه آية وبرهانًا؛ لأن الساحر والكاهن قد يُعارض النبي بما أعطي من خارق للعادة بما يمكن للشياطين أن تمد به هٰذا الساحر والكاهن إلىٰ آخره؛ لكن جعل الله جل وعلا الخارق للعادة بما لا يمكن للإنسي ولا للجني لو اجتمعت أن يعطوا ذلك، كما قال جل وعلا: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء]، فالقرآن آية، برهان، وهكذا آية موسىٰ عليه السلام، الآيات التي أوليتها موسىٰ لا تستطيعها السحرة ولا الكهنة، وكذلك ما أتىٰ الله جل وعلا عيسىٰ من الآيات، وكذلك كل نبي ورسول لا يستطيعه أهل زمانهم من الإنس والجن لو اجتمعوا، فإنهم لا يستطيعون ذلك.

ولهٰذا صار مثلا الشيء الكبير العظيم من بلد إلىٰ بلد لا يدخل ضمن معجزات الأنبياء كما حصل في قصّة سليمان عليه السلام ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾[النمل:٣٩]، هٰذا حمل لمدة، مدة أن يقوم بالمقام، ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[النمل:٤٠]، فصار جلْب هٰذا الشيء من مكان إلىٰ مكان، من اليمن إلىٰ أرض سليمان عليه السلام في فلسطين، صار جلبُه ليس من آيات الأنبياء ولا من براهين الأنبياء، فصار في حق الذي أُوتي علمًا من الكتاب: كرامة،(١) وما قال فيه الجن هٰذا مما يقدرون عليه، فخرق الجن للعادة بما لا يستطيع البشر قُصارىٰ ما عندهم أن يأتوا به قبل أن يقوم من هٰذا المقام، يعني ذلك الجني الذي قال تلك الكلمة، وهٰذا الذي أُكرِم، أُكرِم بأن يدعو فيُؤْتىٰ بالعرش إلىٰ سليمان عليه السلام، وهٰذا من جهة هو كرامة لمن أُعطي، ومن جهة أخرىٰ هو أيضًا آية لسليمان عليه السلام بالنظر إلىٰ تسخير هٰذا الإنس والجن له مما لا يسخَّر معه الإنس والجن والطير لغير نبّي من الأنبياء.

المقصود من ذلك أنّ خارق النبي آية وبرهان؛ لأنه يَخرِق عادة الجن والإنس في ذلك الزمان، أما خارق الولي فهو محدود بالنسبة إلىٰ خارق النبي؛ لأنه تُخرق له العادة التي لا يستطيعها الإنس ولا بعض الجن؛ لأن اجتماع الإنس والجن، هٰذا خاص -يعني لو أرادوا أن يحدث شيء- هٰذا لا يمكن لأن معجزة النبي أكبر وأعظم، وأما الولي فإنه بحسب من هو فيهم لأنها كرامة وليست آيةً ولا برهانا علىٰ رسالةٍ ولا نبوة؛ بل هو خاص بما يكرم به هو.

---

(١) نهاية الشريط السادس والأربعين.

**أما الثالث**: فهو خوارق الشياطين والسحرة بما يولون به أولياء الشياطين من الإنس فهٰذه محدودة، قد تكون تخييلًا يعني تصوير للعين، وقد تكون تَشَكُّلا لكن تشكل من الجني في صورة إنسي أو في صور حيوان أو ما أشبه ذلك.

لهٰذا قد يظهر الجني في صورة إنسان في صورة العبد الصالح ويكون في مكان آخر، مثل ما قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان يقول: في موضع كان وقع بأصحابي شدة قال: فرأوا صورتي عندهم فاستغاثوا بي ثم أخبروني فأعلمتهم أني لم أبرح مكاني يعني في دمشق، هم كانوا خارج دمشق، وإنما هٰذا جني تصور بي، وهٰذا مما أقدر الله عليه الجن، لكن لا يقلبون الحال؛ لكن يتشكلون في صورة ينظر إليها الإنسي أن هٰذا هو صورة فلان، من قبيل التشكُّل، لكن ليس ثم مادة وقلب حقيقة؛ لكن قد يدخلون في جسد حيوان، قد يدخلون في جسد إنسان. يدخلون.. هٰذه مسألة التلبس مسألة أخرىٰ؛ لكن من حيث التشكيل والتصوير هٰذا من جهة التخييل، أو من جهة إظهار الشيء بدون حقيقة مادية؛ لأنهم هم ليس لهم مادة يعني مثل مادة الإنسان.

لهٰذا صار صاحب الخوارق الشيطانية، هٰذا ليس بكرامة وإنما هو من جهة الشيطان، ولا يُعطيه الله جلّ وعلا علىٰ ذنبه ومعصيته واستعانته بالشياطين، فيستعين بالشياطين علىٰ ذلك.

**الفرق الرابع**: بين هٰذه الثلاث، أن كرامة الولي لا تبلغ جنس آية النبي، هٰذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة؛ يعني أهل الحديث في أنها لا تبلغ جنسها وإن شركتها، يعني اشتركت معها في الصورة فلا تبلغ جنسها، يعني قد يكون يدخل نارًا فلا يحترق وإبراهيم عليه السلام دخل نارًا فلم تضره أو صارت بردًا وسلامًا عليه؛ لكن لا يشتركان في الجنس، وإن اشتركوا في النوع يعني إن اشتركوا في..، لكن أن هٰذه قدْرها ليس كقدْر هٰذه، صفة النار هٰذه ليست النار كصفة هٰذه، وصفة ما يحصل للولي ليس كصفة ما يعطاه النبي.

وأما الأشاعرة وطائفة فإنهم قالوا تتساوىٰ، تتساوىٰ الكرامة بآية وبرهان النبي والمعجزة من حيث الجنس، لكن الفرق بينهما أن النبي يقول: أنا نبي، وأما الولي فيقول: أنا تابع للنبي.

والأول مثل ما ذكرت لك هو المتعين؛ لأن الله جلّ وعلا فرّق بين ما يعطيه النبي من خرق العادة وما يعطيه غيره فقد قال فيما يعطيه للنبي: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾[الإسراء:٨٨]، وأما ما يعطيه الإنسي فقد يكون محدودًا، مثلًا أصحاب الكهف ناموا تلك النومة، ولم يتأثروا ثلاثمائة وتسع سنين، فيه من يعيش ذلك وهٰذا أقل مما يحصل للأنبياء في جنس ما يُعطَوْن.

**المسألة السابعة**: أنكرت المعتزلة وجماعات كرامات الأولياء وقالوا: إن إثبات كرامات الأولياء يعود علىٰ معجزات الأنبياء بالإبطال؛ لأن الجميع خرقٌ للعادة، وما عاد علىٰ معجزات الأنبياء بالإبطال فهو باطل.

فالجواب عن ذلك أن الله جلّ وعلا أثبت هٰذه الأنواع الثلاث:

- أثبت الآيات والبراهين التي يعطيها للأنبياء.
- وأثبت جلّ جلاله كرامات الأولياء.

- وأثبت جلّ وعلا مخاريق السحرة وتخييلات السحرة.

فكل هٰذه في القرآن وفي السنة، وكلها تشترك أنها أمور خارقة للعادة، فعدم الإيمان بها هو رد للقرآن فيما دل عليه، وقد لا تكون الدِّلالة عندهم قطعية وبذلك لا تدخل المسألة في الكفر؛ لكن ظاهر أن القرآن أن فيه هٰذا وهٰذا.

فمثلًا مريم عليها السلام، مريم عليها السلام أم عيسىٰ أُعطيت أشياء وليست بنبية لأنه ليس في النساء نبية كما هو معلوم، وأيضًا امرأة عمران، ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾[آل عمران]، وكذلك قصة أصحاب الكهف، هؤلاء جميعًا ليسوا بأنبياء.

المقصود من ذلك أن جنس الكرامة هٰذا ثابت في القرآن والسنة وقصّه الله جلّ وعلا، فنفي الكرامة بأنها خارق للعادة هٰذا رد لما أثبته الله جلّ وعلا، والله جلّ وعلا فرّق بين هٰذا وهٰذا.

وأما أنها تشتبه مع خارق الأنبياء فهٰذا ليس بصحيح كما ذكرنا لك من الفروق السّابقة؛ لأنه ثمة فروق ما بين كرامات الأولياء وما بين معجزات الأنبياء.

وطرد المعتزلة هٰذا الباب فقالوا: كل الخوارق الشيطانية وكل الخوارق التي تجري للعقل والسحر والأشياء هٰذه كل هٰذه مما يدخل في باب خرق العادة، لا نؤمن به ويُرَد.

وكله جريًا منهم علىٰ هٰذا الأصل، وهو أنه يعود علىٰ آيات الأنبياء بالإبطال.

**المسألة الثامنة:** مما يشتبه بالكرامة: الإعانة الخاصة من الله جلّ وعلا لبعض عباده فقد يُعين الله جلّ وعلا بعض العباد بأشياء يفرّج بها عنهم الهم والكرب والضيق لكن لا تدخل في باب الكرامة؛ لأنها ليست أمورا خارقة للعادة، فثَم فرق بين نعم الله تعالىٰ المتجددة مما ينجي الله به مثلًا عبده من حادث أو من مرض أو نحو ذلك ولا يكون هٰذا الانجاء من الخوارق للعادة.

فلذلك يُفرَّق ما بين جنس النعم التي يُعطيها الله جلّ وعلا وما بين الكرامات، فليس كل ما يُنعم الله جلّ وعلا به علىٰ العبد من الأمور العظيمة كرامة؛ بل الكرامة ضابطها أنها أمر خارق للعادة جرىٰ علىٰ يدي ولي، ولهٰذا أصحاب الطرق والذين يريدون صرف وجوه الناس إليهم قد يعظّمون ذكر بعض الإنعام حتىٰ يجعلوه كرامة، فيُغرون الناس بأنهم أولياء وبأنهم أكرموا بكذا وكذا إلخ.

والله جلّ وعلا يُنعم علىٰ عباده بأنواع النعم الدينية، والشرعية والكونية، وهٰذه الأنواع من الإنعام هٰذه ليست دائمًا مما تُخرق به العادة، لهٰذا نقول: الكرامة مما تُخرق به العادة.

**المسألة التاسعة:** الكرامة إذا أعطاها الله جلّ وعلا الولي فإنه ليس معنىٰ ذلك أنه مُفَضَّل وأعلىٰ منزلة علىٰ من لم يُعطَ الكرامة، فالكرامة إكرام وإنعام من الله جلّ وعلا للعبد لأجل حاجته إليها، وقد تكون حاجته إليها دينية وقد تكون حاجته إليها كونية دنيوية، لهٰذا قلَّت الكرامات عند الصحابة فالمدون من الكرامات بالأسانيد الثابتة عن الصحابة أقل بكثير مما يُروىٰ عن التابعين، وهكذا فيمن بعدهم؛ لأن المرء إذا قوي إيمانه قوي يقينه فإنه قد يُترَك للابتلاء لا للتكريم كما قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي في «الصحيحين»: «**يُبتلىٰ الرجل علىٰ قدر دينه، أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم**

**الأمثل فالأمثل»**، «**يُبتلىٰ الرجل علىٰ قدر دينه**»، وهٰذا يدل علىٰ أن الله جلّ وعلا قد يختار للولي الصالح وللعبد الصالح الذي تعظم منزلته في وَلاية الله جلّ وعلا وإكرامه ومحبته له في أن يتركه للابتلاء وأن يتركه لغير هٰذه الأمور الخارقة للعادة، فتكون إذًا هٰذه الخوارق للعادة وهٰذه الكرامات لحاجته إليها؛ ولأنه قد يصيبه ضعف في الإيمان لو لم يُعطَ، فبعض الناس قد يكون عنده عبادات عظيمة وقيام وصلاة وصيام ثم إذا أصابته شدة ولم يُفَرَّج عنه فإنه قد يعود في قلبه بالضعف في الإيمان، فيُكرمه الله جلّ وعلا لأجل ضعفه لا لأجل كماله.

ولهٰذا فإن باب الكرامة ليس معناه تفضيل من جرت له، فقد يكون مفضّلًا وقد لا يكون، فليست الكرامة بمجردها دليلًا عند السلف من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام؛ بل الإيمان بالكرامات - كرامات الأولياء- لأجل وجودها وأن الله جلّ وعلا يُكرم بها عباده وأن الأدلة دلت علىٰ ذلك وليس من أجل تفضيل من حصلت له الكرامة فقد يكون أقل درجة بكثير ممن من لم تحصل له الكرامة.

إذا كان كذلك، فإنه حينئذ من دونت عنه الكرامات لا يلزم أن يكون أعلم ولا أفضل ولا أن يُقتدىٰ به ولا أن تُؤخذ أقواله لأجل أنه حصلت منه الكرامة؛ بل لم يزل الصَّالحون إذا حصلت لهم مثل هٰذه الأنواع من الكرامات لم يزالوا يكتمونها ولا يشيعونها لأنها قد تكون في حقّهم من الفتنة، وهم لعلمهم بالله جلّ وعلا وما يستحقه جلّ جلاله من الطاعة والإنابة والإقبال عليه أن لا يَفتنوا الناس بذلك.

وهٰذا من أسباب أنَّ المنقول عن الصحابة من الكرامات قليل جدًّا، وعند التابعين أكثر، ثم هكذا، كلما ضعُفَ الناس كلما أحبُّوا إذا حصل لهم أي شيء أن ينشروه وأن لا يكتموه.

لهٰذا نقول: الواجب علىٰ الناس أن لا يعتقدوا فيمن حصل له إكرام أو كرامة، أن لا يعتقدوا فيه؛ بل يقولون: هٰذا دليل علىٰ إيمانه وتقواه إذا كان متحقِّقا بالإيمان والتقوىٰ، وهٰذا دليل علىٰ محبة الله جلّ وعلا له. وهو يسأل لنفسه الثبات ويحرص علىٰ ذلك، وهم أيضًا لا يأمنون عليه الفتنة، وإذا مات علىٰ هٰذه الحال أيضًا من الصّلاح والطاعة فإنه يُرجىٰ له الخير ولا تتعلق القلوب به، أو يُستغاث به أو يُؤتىٰ لقبره و يُستنجد به أو يُطلب منه تفريج الكربات أو يراعىٰ وهو في غيبته في حال الحياة ونحو ذلك كما يفعله ضلال أصحاب الطرق الصوفية ومن يعتقدون فيه ممن ينتسبون للأولياء وربما لم يكونوا منهم.

لهٰذا فالواجب علىٰ المؤمن أن لا يتحدث بهٰذه إلا إذا رأىٰ تم حاجة دينية لذلك، أما إذا كانت لأجل إظهار منزلته أو لإظهار إكرام الله جلّ وعلا له ونحو ذلك، فهٰذا الأفضل كتمانها سيما إذا كان مع إظهارها والتحدث بها فتنة قد تصيب البعض، وإذا كان في مثل هٰذه الأزمنة التي يظهر فيها الجهل ويتعلق الناس بمن ظهر عليهم الصلاح لأجل الاعتقاد فيهم فإنه يجب علىٰ المؤمن أن يصد وسائل الشر وأن يسد ذرائع الشرك والغلو التي منها ذكر الكرامات وتداول ذلك.

**المسألة العاشرة:** مما يتصل بالكرامة من المباحث مبحث الفِراسة؛ لأنَّ الفراسة الإيمانية بها يعلم صاحب الفراسة ما في نفس الآخرين، والفِراسة لفظ جاء في السنة: «**اتَّقوا فِراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**»، والحديث حسَّنه جماعة من أهل العلم، وهو في الترمذي وفي غيره.

هٰذه الفِراسة عُرِّفت **بأنها شيء من العلم يُلقَىٰ في رُوع المؤمن به يعلم حال من أمامه**، إمّا حاله

الإيماني، وإما حاله في الصِّدق والكذب، وإما بمعرفة ما في نفسه ويجول في خاطره.

ولهٰذا عُرِّفت الفراسة أيضًا بأنها نور يقذفه الله في قلب بعض عباده، بها يعلم مخبَّآت ما في صدور بعض الناس.

والعلماء قسموا الفراسة إلىٰ أقسام أشهرها ثلاثة:

**الأول الفراسة الإيمانية**: وهي التي قد يُدخلها بعضهم في باب الكرامة وليست منها.

**والقسم الثاني فراسة رياضية**: يعني تحصل بالترويض وبالتعود وبتخفيف ما في النفس من العلائق، وهي التي يحصل قيها دُربة عند بعض أصحاب الطرق.

**والثالث فراسة خَلْقية**: وهٰذه ليست راجعة إلىٰ استبطان ما في النفوس ولكن باعتبار الظهر، يُنظر إلىٰ الخلق فيستدل بشكل الوجه علىٰ الخلُق، يستدل بشكل العينين علىٰ مزاج صاحبها، يستدل بشكل البدن أو شكل اليد أو تقاطيع الوجه علىٰ حاله من جهة الأخلاق، فهٰذه اعتنىٰ بها كثير من الناس، وصُنفت فيها مصنفات عند جميع الأمم، من الأمم السابقة لأمة الإسلام، وفي أمة الإسلام أيضًا لأنها فراسة خلقية، ويقولون: إنه تم ترابط ما بين الخلق والخلُق. ومن الأئمة الذين اعتنوا بهٰذا الباب وتعلموه الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وصنّف طائفة من أصحاب الشافعي في الفِراسة مصنفات الفراسة الخلقية.

المقصود من ذلك أن الفراسة -وهي النوع الأول الفراسة الإيمانية-، ليست من الكرامة؛ لأنها أقرب ما تكون إلىٰ الإلهام، والإلهام قد يكون خارقًا للعادة وقد لا يكون، فجنس الفراسة الإيمانية ليست من جنس الكرامات، وقد يكون من أنواع الفراسة ما يكون فيه خرق للعادة فيكون كالعلوم والمكاشفات التي يُجريها الله جلّ وعلا علىٰ يد أوليائه.

**الحادي عشر**: كرامات الأولياء -ما أدري ذكرتها أو لا!![1] لكن علىٰ كل حال نؤكد عليها إن كانت ذُكرت-، كرامات الأولياء قد تجري للمجموع لا للأفراد، وهٰذا في حال الجهاد سواء أكان جهاد علميًا أم كان جهادًا بدنيًا، فقد يُكرم الله جلّ وعلا الأمة المجاهدة، جماعة المجاهدين من أهل العلم، يعني من الجهاد باللسان بقوة في التأثيرات الشّرعية وبالنصر علىٰ من عاداهم بالملكة والحُجَّة وبما يعلمون به مواقع الحجج وما في نفوسهم بما يكون أقوىٰ من قدرهم في العادة.

قد يُكرمهم الله جلّ وعلا بذلك وإن لم يكونوا من الملتزمين بالسنة، فقد يكون كما ذكر بعض أهل البدع يُعطىٰ قوّة وينتصر علىٰ عدوّه من النصارىٰ مثلًا أو من اليهود أو من الملاحدة في أبواب المناظرات ويُكشف له من مخبآت صدر الآخر ما لا يكون لأفراد الناس، ويُكشف له من القوة والحجة في التأثير علىٰ الناس ما يدخل في باب التأثير في الكونيات والشرعيات كما ذكرت لك سابقًا.

وكذلك في أبواب الجهاد بالسيف، جهاد الأعداء فقد يُؤتىٰ طائفة من المسلمين من أهل البدع والذنوب والمعاصي قد يُعطون بعض الكرامات إذا جاهدوا الأعداء، وهٰذا يُنظر فيه إلىٰ المجموع لا إلىٰ الفرد، والمجموع أراد نُصرة القرآن والسنة ودين الله جلّ وعلا ضد من هو كافر بالله جلّ جلاله،

---

(١) ذكرها الشيخ حفظه الله تعالىٰ تحت المسألة الثالثة عند الإجابة علىٰ السؤال: هل المبتدع أو الضال أو العاصي يعطىٰ كرامة؟

وضد من هو معارض لرسالة الرسل أو من يريد إذلال الإسلام وأهل الإسلام، فيُعطىٰ هؤلاء بعض الكرامات وهي لا تدل علىٰ أنهم صالحون وعلىٰ أنهم معتقد الأفراد أنهم معتقد صالح صحيح؛ بل تدل علىٰ أن ما معهم من أصل الدين والاستجابة لله والرسول في الجملة أنهم أحقّ بنصر الله وإكرامه في هٰذا الموطن لأنهم يجاهدون أعداء الله جلّ وعلا وأعداء رسوله ﷺ.

ولهٰذا لا يُغتر بما يُذكر عن بعض المجاهدين أنهم حصلت لهم كرامات وكرامات وكرامات، وهٰذه الناس فيها لهم أنحاء:

منهم من يكذب ويقول هؤلاء عندهم وعندهم من البدع والخرافات... وإلخ، وبالتالي الكرامة لا تكون لهم، فينفي وجود هٰذه الكرامات.

ومن الناس من يصدق بها ويجعل هٰذا التصديق دليلًا علىٰ أنهم صالحون وأنه لا أثر للبدعة وأن الناس يتشددون في مسائل السنة والبدعة.

وأما أهل العلم المتبعون للسلف كما قرر ذلك ابن تيمية بالتفصيل في كتابه النبوات فإنهم يعلمون أنّ المجاهد قد يُعطىٰ كرامة ولو كان مبتدعًا، لا لذاته ولكن لما جاهد له، فهو جاهد لرفع راية الله جلّ وعلا ضد ملاحدة، ضد كفرة، ضد نصارىٰ ضد يهود ضد وثنيين، وهٰذا يستحق الإكرام لأنه بذل نفسه في سبيل الله جل وعلا.

والبدع ذنوب، والجهاد طاعة، الجهاد طاعة، من أعظم الأعمال قربة، ومعلوم أن الحسنات تُذهب ما يقابلها من السيئات، فقد تكون في حق بعض حسنة الجهاد أعظم من سيئة بعض البدع والذنوب؛ بل الجهاد سبب في تكفير الذنوب والآثام كما قال جلّ وعلا: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾[الصف] الآية. فمن أعظم أسباب مغفرة الذنوب الجهاد، ومن أعظم أسباب تحقيق ولاية الله ومحبته أن يجاهد العبد، لكن هٰذا يكون في موازنة الحسنات والسيئات والله جلّ وعلا أعلم بنتيجة هٰذه الموازنة.

المقصود من ذلك أن أهل السنة والجماعة يقرّرون أن الكرامة هي للولي الصالح كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾[يونس]، وقد يعطي الله جلّ وعلا الكرامة لجمع من المسلمين، أو لفرد في جمع من المسلمين لأجل ما ذكرتُ لك من الحال إذا كان علىٰ غير التقوىٰ والإيمان ومتابعة السّنة أو الأخذ ببعض البدع، ولهٰذا لا يغتر مغتر بما يحدث من ذلك فيزن الأمور بموازينها فمن نفىٰ مطلقًا فهو متجنّي لأنه لا علم له بذلك، ومن قبل مطلقًا وجعلها دليلًا علىٰ صلاح وطاعة وأنه لا أثر للعقائد ولا أثر للسنة في مثل هٰذه المسائل هٰذا أيضًا تجنَّىٰ علىٰ الشرع وتجنىٰ نفسه، والعلم يقضي بما ذكره لك في ذلك.

**المسألة الأخيرة وهي الثانية عشر:** الواجب علىٰ المؤمنين أن يسعوا في الإيمان[1] وفي شعبه امتثالًا للأوامر واجتنابًا للنواهي طلبًا لمرضاة الله جلّ وعلا وأن يبذلوا أنفسهم في الجهاد بأنواعه: الجهاد

(١) نهاية الوجه الأول من الشريط السابع والأربعين.

في العلم والجهاد في العمل والدعوة، أو الجهاد بالسيف والسنان إذا جاء وقتُه، أو إذا حضره المؤمن، أن يسعوا فيه طلبًا لرضا ربهم جل وعلا، وأن لا يلتفت العبد مهما بذل إلىٰ حصول الكرامة أو عدم حصول الكرامة.

فمن الناس من تعلّقت قلوبهم بالكرامات؛ بل بما هو دونها من الرؤىٰ وربما الأحلام ومن القصص والحكايات والأخبار وأثّر ذلك علىٰ إيمانهم سلبًا أو إيجابًا، ضعفا أم زيادة.

وهٰذه الأمور نؤمن بها -يعني مسائل الكرامات-، نؤمن بها لأنها جاءت في النصوص؛ لكن العبد لا يتطلبها، لا يبحث عنها، كما ذكرت لك ربما كان الأكمل في حقه أن لا تحصل له الكرامة، وربما كان الأكمل في حقه أن يبتلىٰ، ربما كان الأكمل في حقه أن يذل ولا يُعرض ما يقضي الله جلّ وعلا به في هٰذه المسائل.

ومن نظر لسيرة من نعتقد فيهم أنهم من أفضل أهل زمانهم إيمانا وتقوىٰ ومتابعة للسنة وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر ومجاهدةً لأعداء الله، حصل لهم من الابتلاء والفتنة ما حصل، كما حصل لإمام أهل السنة والجماعة إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد ابن حنبل، كذلك ما حصل لشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، فالجميع حصل لهم من البلاء والسجن والفتنة، يعني والصد والإيذاء ما حصل لهم، ومع ذلك هم أكمل ممن هم دونهم ممن حصل لبعضهم من الكرامات فيما نُقل بأسانيد ثابتة؛ بل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ طِيف به في دمشق وهو العالم الإمام علىٰ حمار ظهره إلىٰ السماء ووجهه إلىٰ الأرض تنكيلًا به، ومع ذلك ما ضره لا في وقته ولا فيما بعده فالتراجم طافحة بالثناء عليه، لأن هٰذه مسائل من الابتلاء التي يبتلي الله بها جلّ وعلا بعض عباده كيف شاء.

فالمقصود من هٰذا أن الميزان وهو متابعة السنة، تحقيق الإيمان والتقوىٰ، متابعة طريق السلف الصالح قد يحصل معه إكرام وقد لا يحصل معه، يحصل معه ضد ذلك من الابتلاء والإيذاء، وقد يكون المبتَلَىٰ أكمل ممن لم يُبتَلَ، فالعبرة بلزوم منهج السلف الصالح وطريقة السلف الصالح، فقد يُبتلىٰ من هو من أهل البدع، وقد يُبتلىٰ من هو من أهل السنة، وقد يُبتلىٰ العاصي المذنب، وقد يُبتلىٰ التقي الناصح، وهكذا.

فإذن الميزان هو كتاب الله جلّ وعلا وسنة رسوله ﷺ وملازمة طريقة السلف الصالح في ذلك.

أسأل الله جلّ وعلا أن يجعلنا من أوليائه وأن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وأن يكفِّر عنا الخطايا والآثام، وأن يمنّ علينا بالسداد في الأقوال والأعمال إنه سبحانه علىٰ كل شيء قدير، وهو بالعفو جدير جلّ جلاله وتقدست أسماؤه، لا إلٰه لنا سواه ولا رب لا غيره، لا إله إلا الله الحليم العظيم، وصلىٰ الله وسلّم وبارك علىٰ نبينا محمد.

ننبه علىٰ أنه هٰذا الدرس هو آخر الدروس؛ لانشغالنا ببعض الأمور الأخرىٰ خارج الرّياض، يعني نلتقي إن شاء الله بعد رمضان إن شاء الله. يعني اليوم آخر يوم، لا الخميس القادم ولا...

[الأسئلة]

سؤال (٤٨٩): يقول أشكل عند قول الطحاوي: (**حب الصحابة دين وإيمان**)[١]، وذلك من جهة تسمية حب الصحابة إيمان، والحب عمل القلب وليس هو التصديق، فيكون العمل داخلًا في مسمىٰ الإيمان.

**الجواب:** هٰذا مشكل وقد ذكر الشارح أنه مشكل علىٰ أصل الشيخ، وهٰذا ظاهر أنه مشكل، وما من أحد يخالف السّنة إلا ويقع في التناقض، لأنّ الميزان الذي لا يختلف هو الكتاب والسنة، أما الرأي فيختلف، الإنسان يرىٰ رأيًا اليوم وغدًا يبدو له شيء آخر، ما يلتزمه في كل كلمة، يلتزمه إذا جاء في التعريف، يلتزمه إذا جاء في الوصف ثم يخالفه في سَنَن كلامه وهكذا.

ولهٰذا بعض أهل البدع حتىٰ في مسائل الصفات، إذا جاؤوا يتكلمون مثلًا عن الاستواء علىٰ العرش، لو تحقق هو من نفسه لوجد أن نفسه تغلبه إلىٰ أن الله جلّ وعلا مستوىٰ علىٰ عرشه بذاته بائن من خلقه حتىٰ وهو يتكلم فيها.

لكن إذا أراد أن يقرّر المسألة ذهب إلىٰ ما تعلمه، فثم فرق مابين الشيء الفطري وهو التسليم لكلام الله جلّ وعلا وكلام رسوله وما يأتي في باب التعليم تارة.

ولهٰذا نبهناكم مرارًا إلىٰ غلط قول من يقول إن أكثر المسلمين أشاعرة أو أكثر المسلمين ليسوا من أهل السنة والجماعة، وإنما أكثر المسلمين أشاعرة، أو أكثر المسلمين ماتريدية أو نحو ذلك، والقليل هم من يتبعون منهج السلف الصالح، هٰذا غلط غلط كبير.

بل أكثر المسلمين في المسائل الغيبية علىٰ الطريقة المرضية، لكن ليس أكثر العلماء؛ لأن العلماء هم الذين عندهم ما يخالف ظاهر الكتاب والسنة، وما يُخالف ظاهر الفطرة، أما لو تسأل أي عامي في البلاد التي هي بلاد لنصرة المذاهب المخالفة لطريقة السلف، إما للأشعرية والماتريدية بحسب اختلاف البلدان وتأخذ عامي وتسأله عن الاستواء علىٰ العرش، ما يستحضر إلا ما يدل عليه الظاهر وما يؤمن به، إلا إذا أتىٰ أحد من العلماء وعلمه أن هٰذه تأويلها كذا وكذا، فيذهب إلىٰ كلام العالم.

والإيمان بالظاهر بالصفات ما يستحضر أن الرحمة، الله لا يوصف بالرحمة، ما يستحضر أن الله ما يوصف بالرضا، لو تسأل عامي الله يرضىٰ؟ يقول نعم الله يرضىٰ في القرآن. الله يغضب؟ يقول: نعم يغضب.

فلذلك عامة الناس حتىٰ في مسائل الإيمان، العمل، لو تسأل عامة الناس: هل العمل من الإيمان؟ أكثر المسلمين يقول لك: نعم العمل من الإيمان. كذلك مسائل القدر ما عندهم مبحث الجبر ولا يعرفون الجبر الداخلي لا الظاهري الذي هو الكسب عند الأشاعرة، هٰذه مسائل مخالفة للفطرة ومخالفة لظاهر النصوص، والناس لا يستوعبونها إلا بالدرس والتعليم.

ولهٰذا ميزة هدي السلف الصالح وميزة طريقة أئمة الحديث أنهم علىٰ ظاهر القرآن والحديث، وهٰذا

---

(١) قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَحُبُّهُم دِينٌ وإيمَانٌ.

هو الذي يسع الذكي والبليد والعامي وغير العامي والعالم وغير العالم، يسع الجميع لأنها سهلة ميسورة، وإنما فصّلنا في المسائل وكثُرَ الكلام لأجل كثرة المخالفين وحماية للشريعة.

مثل الإعداد بالسلاح، عندنا مال كثير نحتاج فيه إلىٰ بناء مساجد فنذهب نبني المساجد؛ لكن إن داهمنا عدو وجّهناه في العدو، أخرنا بناء المساجد لأن لا يقضي ما هو موجود من الدين والمساجد.

فلهٰذا النفوس، نفوس المسلمين هي علىٰ ظاهر الكتاب والسنة ما عندهم التأويل والعقلانيات إلخ... فأكثر المسلمين علىٰ طريقة السلف في الاعتقاد.

لكن، أما العلماء فهٰذه هي المصيبة هم الذين تعلموا، منذ نشؤوا دخلوا في مدارس تعلمهم الأشعرية بقوانينها، دخلوا في مدارس تعلمهم دين الخوارج أو دين الرافضة أو... إلخ، فأخذوا منها شيئا فشيئا بالتعليم وبالقصد، لهٰذا كما جاء في الحديث: «**كل مولود يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصِّرانه**».

المقصود من ذلك أن المعلم قد يكون أعظم من الأبوين أعظم في التأثير أو المربي أو الذي تخالط، ولهٰذا احرص تمام الحرص علىٰ أن يسلم القلب من مخالفة الكتاب والسنة في الاعتقاد، الأعمال والذنوب فهي علىٰ باب الغفران كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «النونية»:

فَوَاللهِ مَا خَوْفِي الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا ... لَعَلَىٰ سَبِيلِ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ

لَكِنَمَا أَخشَىٰ انْسِلاَخَ الْقَلْبِ مِنْ ... تَحْكِيمِ هٰذا الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

تحكيم مو معناه الدولة اللّي تحكم فقط لا أنت أيضا تحكم الوحي والقرآن في المسائل، تعتقد ما في القرآن وتعتقد ما في السنة.

فالمقصود من ذلك أن الإشكال الذي وقع فيه الطحاوي يبين لك أن بعض العلماء حتىٰ من الذين ربما أصلوا شيئًا مخالفًا للسنة، مثل ما أصل في مسألة الإيمان شيئًا بينا عدم صحت ذلك هو يُخالفه، نحن نقول: إشكال، لكن هو في الواقع مخالف وهو الصحيح. أن حب الصحابة إيمان وحب الصحابة عمل القلب وأدخله في الإيمان، حب الصحابة إيمان، خلاص واضح أن هٰذا العمل إيمان، ولهٰذا قال الشارح: وهٰذه الكلمة مشكلة علىٰ أصل الشيخ. كما ذكره السائل.

سؤال (٤٩٠): هل تُقاس الرؤية الصالحة علىٰ الكرامة؟ أي هل هي من الكرامة أم لا؟

**الجواب:** الرؤية الصالحة ليست أمرًا خارقًا للعادة، الرؤية الصالحة تحصل لأحد الناس ليست خارقة لعادة البشر ولا لعادة بعض الجن، فهي رؤية يضربها الملك، فهي رؤية صالحة وليس لها دخل في الكرامات.

[تابع للسؤال]: وهل هي مما قد يحتاج إليه المؤمن أو لا؟

لا، المؤمن لا يتعلق قلبه بالرؤىٰ، إذا رأىٰ رؤية صالحة حمد الله جلّ وعلا ولازم الطاعة حتىٰ لا يفتتن، وإذا رأىٰ رؤية هو لا تسره أو فيها سوء بالنسبة له فيعمل ما أوصىٰ به النبي ﷺ، أنه ينفث عن يساره ثلاثًا، يستعيذ بالله جلّ وعلا من شرها وينقلب علىٰ جنبه الآخر، فإنها لا تضره.

سؤال (٤٩١): امرأة عليها قضاء من رمضان الماضي وفرّطت، ثم ولدت قبل شهرين وهي الآن لا

تستطيع القضاء بسبب خوفها علىٰ ولدها الرضيع، فما الواجب عليها؟

**الجواب:** الواجب عليها أن تصوم، أن تقضي الآن فإذا كانت لا تستطيع لأجل خوفها فإنها يجب عليها الكفارة لأجل التأخير لأنها مفرّطة، هي تعرف أنها حامل وتعرف أنها ستولد فهي مفرّطة في هٰذا الباب، عليها الكفارة، تطعم عن كل يوم مسكين.

سؤال (٤٩٢): هل العاصي يعطىٰ كتابه بيمينه أم بشماله؟

**الجواب:** العاصي يعطىٰ كتابه بيمينه، أما الذي يعطىٰ كتابه يوم القيامة بشماله فهو الكافر، يعطىٰ كتابه بشماله وراء ظهره، أما المؤمن فيعطىٰ كتابه باليمين سواء أكان من السابقين أم من المقتصدين أم ممن ظلم نفسه، ثم يأتي بعد ذلك الحساب والوزن ثم تأتي الْمُجازاة.

سؤال (٤٩٣): الإمام إذا التفت إلىٰ المصلين، هل يخص جهة اليمين دون جهة الشمال، أم لا؟

**الجواب:** إذا كان المقصود في السلام، السلام إذا سلم في الصلاة فإنه يسلم عن يمينه ثم عن شماله، ويكون تسليمه عن الشمال أبلغ في الإلتفات، كما جاء في السنة، عن الشمال يكون أبلغ في الإلتفات، ثم إذا انفتل إليهم فالأفضل أن يقابلهم، يعني يجعل وجهه تلقاء الناس، وإذا جعل الناس عن شماله وقابل من هو علىٰ يمين الصف فهٰذا أيضًا سائغ لورود الأثر به.

سؤال (٤٩٤): تريد إحدىٰ الأخوات طلب العلم عند أحد المشايخ؛ لكن ليس عندها محرم، فقيل لها عليك بالرضاعة من إحدىٰ زوجات الشيخ لتحرمي عليه مع العلم أن عمرها كان ٢٢ عامًا، أفتونا مأجورين.

**الجواب:** المسائل هنا مسائل بحث، مَاهِي مسائل فتوىٰ، هٰذه مسائل تعليم، ما نفتي، يعني ما تسمع مني ليس فتوىٰ إنما هنا مجالس تعليم للبحث، بحث المسائل وما في المسائل من أقوال إلىٰ آخره، لتنمية كيف يبحث طالب العلم، ما هو مجال فتوىٰ، ليس هٰذا الدرس أو الأسئلة هٰذه مقام فتوىٰ، إنما هي مقام بحث وتعليم.

أما هٰذه المرأة التي تريد أن ترضع وهي كبيرة، فالرضاع الذي ينشر الحرمة هو ما كان في الحولين وكان خمس رضعات مشبعات فأكثر، أما رضاع الكبير فإنه لا ينشر الحرمة فقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**إنما الرضاع ما أنبت اللحم وأنشز العظم**»، والرضاع ما كان في الحولين خمس رضاعات محرّمات، كان فيما أنزل عشر رضاعات محرمات ثم نُسخت إلىٰ خمس رضاعات محرمات، وقد قال أيضًا عليه الصلاة والسلام كما في الصحيح: «**لا تُحَرِّم المصّة ولا المصّتان ولا الإملاجة ولا الإملاجتان**».

فالمقصود أن عامة أهل العلم علىٰ أن الرضاع الذي ينشر الحرمة هو ما كان في الحولين، ثم أن يكون خمس رضاعات فأكثر، والرضعة أن تكون مشبعة يأخذ ثدي المرأة التي فيها اللبن الذي ثاب عن حمل، يأخذ ويلتقمه فيمتصه حتىٰ يشبع، ثم يتركه ثم ثانية، حتىٰ يتركه، يعني خمس رضاعات مختلفات، أما رضاع الكبير فلا ينشر الحرمة.

وما جاء في الصحيح من قصة سالم مولىٰ أبىٰ حذيفة فإنها عند جمهور أهل العلم خاصة به لأجل

حاله، وثم رواية عن الإمام أحمد واختارها أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية أن قصة سالم ليست خاصة به بل هي خاصة بكل من كانت حاله مثل حال سالم، وحال سالم أنه كان نشأ في ذلك البيت، فزوجة الرجل تعتبر أمه؛ يعني أو هو يعتبرها أمه لأنها ربته ونشأ فيها ومنذ نشأته حتىٰ كبر، والبنات أيضًا عنده هو نشأ في البيت كأنهن أخوات يعني هو ما يحس هو بالأجنبية، ما يحس بأن النساء أجنبيات عنه، فقال: أرضعنه عليه الصلاة والسلام تحرمن عليه، وذلك لأجل طول الملازمة.

شيخ الإسلام ابن تيمية يرىٰ أيضًا علىٰ ما جاء في الدليل أظنه أيضًا أنه مذهب ابن حزم، أنه إذا كانت في مثل هٰذه الحال فإنه الرضاع للكبير ينشر الحرمة، واحد عاش في بيت من صغره إلىٰ أن كبر وكبر ثم لما كبر احتيج إلىٰ أنه يبقىٰ في البيت، فيكون رضاع الكبير في هٰذه الحالة محرّم، لكن هٰذا ليس بالقول الراجح، القول الراجح أن الرضاع المحرِّم هو ما أنبت اللحم وأنشز العظم، وهو ما كان في السنتين، وأما رضاع الكبير فلا يحرِّم مطلقا.

سؤال (٤٩٥): لقد رأيت في محلات بيع أمام المسجد الحرام والمسجد النبوي أناس يبيعون عطورات سميت «جنة الفردوس» و«جنة النعيم»، ما حكم هٰذه التسميات؟

**الجواب:** علىٰ العموم سواء كانت عطورات أم لا، هٰذه التسميات فيها مغالطة، هي ليست جنة الفردوس وليست جنة النعيم، واستخدام هٰذه الأسماء الشرعية في مثل الدعايات التجارية أو في البضائع، هٰذا من امتهان الأسماء الشرعية فلا يجوز.

سؤال (٤٩٦):صاحب الجيمس سوبر باللون الأسود -أنا أقرأ المكتوب-، اللون الأسود والأزرق، أرجو أن يحرك سيارته لأتمكن من الخروج.

**الجواب:** ذكرنا لكم عدة مرات، ما يجوز الواحد أنه يسد علىٰ غيره، نجيب الهيئة، مو أحس!! لأنه منكر، لأنه من المنكر نجيب الهيئة.

سؤال (٤٩٧): أنا أنظر إلىٰ النساء في صور ومجلات وغيرها فما كفارة ذلك؟

**الجواب:** النظر إلىٰ النساء وإلىٰ الصور المستحسنة من أعظم أسباب قسوة القلب، وعدم حصول حلاوة الإيمان ولا لذة الطاعة؛ بل هو وسيلة وخطوة من خطوات الشيطان ليضل المسلم حتىٰ يقع في الفاحشة، وهٰذا مشاهد ومن وقع في بعض الفواحش ممن ينتسب إلىٰ الخير، يعني وقع وزلت به القدم ثم تاب واستغفر وسيلتها التساهل، التساهل في رؤيتها في المجلات أو في رؤيتها في الأجهزة، والواجب علىٰ العبد أن يمتثل قول الله جلّ وعلا: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾[النور]، فالعبد إذا لم يغض بصره فإنه يُسلب حلاوة الإيمان.

إذا وقع في النظرة الأولىٰ، النظرة الأولىٰ ليس فيها شيء.

أما إذا تعمد تكرار النظر وتعمد العورات، وتعمد التلذذ بالنظر، هٰذا إذا أصابه في قلبه زيغ أو أصابه في قلبه قسوة فهو الحسيب علىٰ نفسه.

لهٰذا الواجب علىٰ كل مؤمن أن يحذر من هٰذا البلاء وهو تكرار النظر و الاسترسال مع ما في المجلات أو مع ما في التلفزيون أو ما في الأجهزة والفضائيات والفيديو.. إلخ.

ومن أحسن الكلام الذي يحضرني في هٰذا الباب ما ذكره ابن القيم في سرّ قول النبي ﷺ في خطبة الكسوف لما كسفت الشمس فإنه عليه الصلاة والسلام قال: «**إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم شيئًا من ذلك فصلوا**»، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله يغار أن يزني عبده أو أن تزني أمته**»، إلىٰ آخر خطبته عليه الصلاة والسلام.

قال ابن القيم: ذكر موقع الزنا في خطبة كسوف الشمس لعظم المشابهة بينهما، فكما أن انكساف الشمس سببه ذهاب الضياء، فإن انكساف القلب وذهاب الضياء والنور فيه سببه الزنا.

وهٰذه مناسبة صحيحة وعظيمة، فإن وقوع هٰذه الفواحش كما أنه يؤثر علىٰ الفرد بانكساف قلبه والنور الذي فيه، فإنه أيضًا يؤثر علىٰ المجتمع بالذنوب والمعاصي التي يكون معها البلاء من الله جلّ وعلا.

لهٰذا الواجب علىٰ كل واحد أن يترك النّظر طلبًا لمرضاة الله جلّ وعلا، النظر المحرم، ومن ترك النظر وجد في قلبه الحلاوة، حلاوة الإيمان، وخاصة أهل العلم وطلبة العلم فإن أعظم ما يؤثر علىٰ فهم الكتاب والسنة وفقه الكتاب والسنة هو أن ينشغل القلب بالصّور علىٰ أنواعها، وعشق الصور والتطلع إلىٰ الصور والتساهل في ذلك هٰذا مرتع وخيم، وقد يكون خطوة من خطوات الشيطان ليوقع العبد في الفاحشة.

فالواجب علىٰ من وقع في ذلك التوبة إلىٰ الله جلّ وعلا وأن لا يسترسل مع نفسه في هواها، وأن يعلم أن حلاوة الإيمان أعظم من لذة سريعة تذهب، والإيمان إذا ذهبت فحلاوته فكيف يبنيها؟ لا الصلاة تكون خاشعة ولا القلب يكون ملتذًا بذكر الله جلّ وعلا فيعيش بجسده لا بقلبه وبروحه، وكثرة الاستغفار والتوبة والعزم علىٰ عدم العود، هٰذا من الأسباب التي يطهّر الله جلّ وعلا بها القلب مما علق به، والله المستعان.

سؤال (٤٩٨): هل تصح هٰذه العبارة: كرامات الأولياء معجزات الأنبياء، ومعجزات الأنبياء كرامات الأولياء؟

**الجواب**: يعني ما أدري من اللي قالها، ولكنها عبارة حلوة: كرامات الأولياء معجزات الأنبياء. لو قال كرامات الأولياء معجزات للأنبياء أو كرامة الولي معجزة للنبي، يعني من حيث الجنس فربما صحت، يعني باعتبار جميع الأولياء، كرامات جميع الأولياء ما حصلت لهم إلا باتباعهم لهٰذا النبي، فكل أنواع الخوارق التي حصلت للولي الأول والولي الثاني والعاشر والمائة، كل أنواع هٰذه الخوارق والكرامات في مجموعها هي معجزة للنبي؛ لأنها ما حصلت لهم إلا بالإتباع، قال: ومعجزات الأنبياء كرامات الأولياء. هٰذا عكس الكلمة السابقة، فهي إيضاحها علىٰ ما ذكرت لك، إذا كان المقصود كرامات جميع الأولياء هي معجزة وآية وبرهان للنبي الذي تابعوه، فهٰذا صحيح.

سؤال (٤٩٩): أنا أقرأ هٰذا للفائدة، للفائدة لا للإقرار لما فيه، يقول: تبيّن في هٰذه الليلة أن هناك أحد الناس هداهم الله يقوم بسرقة أجهزة التسجيل أثناء الصلاة، فنرجو التنبيه علىٰ الإخوة بعدم ترك مسجلاتهم بعد اليوم حتىٰ لا تتعرض للسرقة.

الجواب: هٰذا له شقان:

المعلومة جاءتكم، أنا ما أدري عن صحتها من عدمه، لكن إن شاء الله هو متثبت.

لكن الثاني كفائدة لا يُقال: إن هٰذا سرقة، السرقة لها شروطها الشرعية، ما أُخذ من حرز وعلىٰ وجه الخفاء، أما إذا كان الشيء موضوع، وأُخذ أمام الناس موضوع وأُخذ، هٰذا لا يسمىٰ سرقة، ولا يسمىٰ من أخذه سارقا وليس عليه حد السرقة كما هو معلوم. قد يكون اختلاسًا قد يكون غصبًا يعني بحسب الحالة. لكنه سرقة لا، هٰذه تساهل فيها هنا، يقول: سرق كذا وسرق كذا!؟، حتىٰ لو أنه في جيبه، قال فلان سرق من جيبي كذا، وميش سرقة.

السرقة لها حدودها الشرعية ولها شروطها وليس كل غصب سرقة، وليس كل اختلاس سرقة، وليس كل نهب أيضًا سرقة، فالسرقة شيء والنهب شيء والاختلاس شيء، ويعني فرّقوا بين الألفاظ الشرعية.

سؤال (٥٠٠): يقول بأنه يجوز أكل الجزء المقطوع من المصيد الهارب كالغزال مثلًا وهو هارب، فهل يجوز أن نقيس الضب عليه إذا كان هاربًا ثم دخل جحره فتُمكن من قطع عِفرة الضب إلىٰ آخره.

**الجواب**: أما المسألة الأولىٰ فهي مسألة علمية وهي أن ما **أبين من حي فهو كميتته**، ما أبين من حي فهو كميتته **إلا الطريدة**.

ما أبين من حي؛ يعني واحد يقطع شيء من خروف وهو قائم، يقطع بعضه ويأكله، ما أبين منه فهو كميتته، هٰذا ميتته تحل؟ لا تحل، فإذًا ما أبين منه لا يحل، قالوا إلا الطريدة، الطريدة مثل ما ذكرت، يُطرد فلا يُتَمَكن منه إلا بقطع شيء منه، فهٰذا يُستثنىٰ من ذلك، **أما مسألة الضَّب فلا أدري**.

نكتفي بهٰذا القدر ونراكم إن شاء الله علىٰ خير حال، أستغفر الله لي ولكم، وصلىٰ الله وسلّم علىٰ نبيِّنَا محمَّد. [1]

---

(١) نهاية الشريط السابع والأربعين.

## الدرس السادس والخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لمجده، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، نشهد أنه بلغ الرسالة وأدّىٰ الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرا.

أما بعد..

فأسأل الله جلّ جلاله أن يجعلنا دائمًا وإياكم ممن وُفّق في قوله وعمله، وزاده العلم بصيرة في دينه، وكان حجة له لا حجة عليه، كما نسأله سبحانه الثّبات علىٰ الدين وعلىٰ العلم النافع وأن يوفقنا إلىٰ ما فيه رضاه، وأن يجنبنا ما يسخطه ويأباه، إنه سبحانه جوادٌ كريم.

[**الأسئلة**] نجيب عن بعض الأسئلة:

سؤال (٥٠١): قال: شخصٌ انتهت مدة مسحه بعد صلاة العصر، ثم لما جاء المغرب شكَّ هل خلع خُفَّيه وتوضأ أم مسح علىٰ المسح السابق فماذا يعمل؟

**الجواب**: من القواعد المقرّرة أنه عند طروء الشك يُبنىٰ علىٰ اليقين، والبناء علىٰ اليقين أصل من أصول الشّريعة فيما اشتبه علىٰ الإنسان علمُه فيرجع إذا شك إلىٰ ما شك فيه، وهٰذا داخل تحت عدة أحاديث عن النبي ﷺ، منها قوله: «**فليطرح الشك في الصلاة وليبنِ علىٰ ما استيقن**»، ومنها أيضا قوله عليه الصلاة والسلام: «**دع ما يَريبك إلىٰ ما لا يَريبك**».

والقاعدة الفقهية: **اليقين لا يزول بالشك**. فهنا إذا تيقن خروج مدة المسح، وشكّ هل تطهّر أم لم يتطهّر فالأصل ما تيقن وهو أنه خرجت المدة ولم يتوضأ؛ لأنه علىٰ الصحيح إذا انتهت المدة فإن الذي مسح يجب عليه أن يخلع الخفين أو الجوربين وأن يتوضأ من جديد.

فإذن في حالة هٰذا السائل فإنه يجب عليه أن يعيد إذا كان صلىٰ المغرب علىٰ هٰذه الحالة، فإنه يجب عليه أن يعيد لأنه يبني علىٰ اليقين.

سؤال (٥٠٢): هل ثبت علىٰ الرسول ﷺ قرأ في صلاة العيد: بالجمعة، وهل أتاك حديث الغاشية؟

**الجواب**: لا أعلم هٰذا أنه جاء في العيد، الجمعة وهل أتاك حديث الغاشية، وإنما سنة النبي ﷺ في صلاة العيد في القراءة والجمعة يعني في أغلب الأمر أن يقرأ سبح والغاشية وقرأ بغيرها في صلاة العيد وفي صلاة الجمعة.

لكن هٰذا قراءة الجمعة في الركعة الأولىٰ وقراءة هل أتاك حديث الغاشية في الركعة الثانية، رواها مسلم في «الصحيح» في أواخر أحاديث القراءة في الجمعة، وهي سنة في صلاة الجمعة.

أما صلاة العيد فلعلّ من قرأ إن كان أحد قرأ بها بناها علىٰ القياس؛ لكن الذي جاء هو قراءة سبح والغاشية وربما اجتمعا يعني الجمعة والعيد في يوم واحد فقرأ رسول الله ﷺ بهما، يعني بسبح والغاشية، أما الجمعة في الأولىٰ وهل أتاك حديث الغاشية في الثانية، فهٰذه إنما هي في صلاة الجمعة؛ لأن الذي ثبت عن رسول الله ﷺ في سنته في القراءة في صلاة الجمعة ثلاث سنن:

**الأولىٰ**: سبح والغاشية.

**الثانية**: الجمعة والمنافقون، وهاتان أكثر، وسبح أكثر والغاشية ثم يليها الجمعة والمنافقون.

**ثم أنه قرأ أيضًا**: الجمعة وهل أتاك حديث الغاشية، فهٰذه ثلاث سنن عنه عليه الصلاة والسلام في قراءة الجمعة.

سؤال (٥٠٣): ما معنىٰ قوله: (منه بدأ وإليه يعود)؟

**الجواب**: قول طائفة من السلف في القرآن الكريم الذي هو كلام الله جلّ جلاله: (**منه بدأ وإليه يعود**)، يعني منه جلّ جلاله بدأ قولًا وكلامًا وتنزيلًا، فلما تكلم به سمعه منه جبريل عليه السلام فبلَّغه جبريل نبينا محمدا ﷺ كما سمعه، وقولهم: (**وإليه يعود**) يعني في آخر الزمان حين لا يُعمل بالقرآن فيكرِّم الله جلّ وعلا كلامه أن يبقىٰ في الأرض ولا ثَمّ من يعمل به فيسرىٰ علىٰ القرآن في ليلة، من الأوراق من الصحف ومن الصدور فلا يبقىٰ منه في الأرض آية. هٰذا معنىٰ قولهم: (**منه بدأ وإليه يعود**).

سؤال (٥٠٤): هل ورد نهيٌ عن حلق العلم يوم الجمعة؟

**الجواب**: نعم، هٰذا جاء في حديث رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: **أن النبي ﷺ نهىٰ عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة**. وهٰذا عند أكثر أهل العلم علىٰ الكراهة ومحله أن يكون الناس يستعدون لسماع الخطبة قبل الصلاة ثم هم يتحلقون وهٰذا التحلق النهي عنه لعدّة تعليلات:

**الأول**: أنّ التحلق والناس ينتظرون الخطيب سبب لقطع الصفوف.

**والتعليل الثاني**: أن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة سبب للحديث من المتحلقين في غير قراءة القرآن والذكر وتفريغ القلب والنفس لسماع الموعظة وسماع الخطبة التي هي فرض في صلاة الجمعة.

وليس النهي مطلقًا عن التحلّق في كل أجزاء يوم الجمعة. فلو كان ثَم حلقة علم بعد الفجر فلا بأس، بحيث لا تطول حتىٰ تُشغل الناس عن صلاة الجمعة أو كانت حلقة بعد صلاة الجمعة أو كانت حلقة بعد العصر فهٰذا لا بأس به، لأن المقصود من الحديث الحسن الذي رواه أبو داود وغيره، السابق، هو التحلق كما هو لفظ الحديث قبل الصلاة يوم الجمعة.

ولهٰذا كان من عمل شيخ الإسلام ابن تيمية الذي ذكره عنه من ترجم له أنه كانت له حلقة عظيمة في التفسير يلقيها بعد صلاة الجمعة، يعني بعد أن يفرغ الناس من راتبة الجمعة وينتهون، فيبدأ التدريس في التفسير يوم الجمعة، قالوا: وفسر سورة نوح مدة سنة يعني كل يوم بعد صلاة الجمعة.

فالمقصود علىٰ هٰذا يحمل النهي، فلو كان هناك في مسجد إقبال علىٰ الطاعة وناس يأتون إلىٰ المسجد من الصباح الباكر أو من بعد الفجر أو من طلوع الشمس فهنا يكون النهي واردًا يعني عن التحلق لأنه يشغل الناس عما أتوا له.

سائل من المستمعين: بعضهم يستغرب كيف أن شيخ الإسلام كان يتحدث بعد أن يخطب خطبة الجمعة ويصليها الناس يقوم في الناس..

الشيخ: لا الموعظة ليست كذلك، العلم غير الموعظة، لأن خطبة الجمعة المقصود منها الموعظة كما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ كان يخطب الجمعة يَعِظُ الناس.

ولهٰذا قال جمع من أهل العلم: أن الموعظة واجبة أو ركن في صلاة الجمعة، في خطبة الجمعة؛ لأنها هي المقصودة أنه ﷺ كان يعض الناس، ومثلها الوصية بالتقوىٰ وأشباه ذلك.

فإذا كان الحديث بعد الفراغ من الصلاة للموعظة والتذكير فهٰذا ليس بجيّد، إذا كان يُعتاد، أما إذا كان لمناسبة أو لحضور عالم يُستفاد من علمه وكان الأمر لماما، فهٰذا ربما فعله بعض أهل العلم لكن الأصل النبي ﷺ لا يعض الناس بعد الجمعة ولا صحابته أيضًا يعظون، أما العلم فالعلم في كل زمن في كل وقت، العلم ليس موعظة بالمعنىٰ الخاص وإن كان موعظة بالمعنىٰ العام.

مثلًا قراءة بعض الأشياء بعد صلاة الجمعة، في الزمن الأول كان يُقرأ أخبار الفتوح وكان يقرأ أخبار أو أوامر ولي الأمر ونحو ذلك كان يقرؤها الأئمة، يعني في القرن الثاني والقرن الثلاث يقرؤونها بعد صلاة الجمعة لحضور الناس.

نكتفي بهٰذا القدر...

وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ: مِنْ خرُوجِ الدَّجَّال، ونُزُولِ عِيسَىٰ ابنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ السَّماءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخرُوجِ دَابَّةِ الأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا.
وَلاَ نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلاَ عَرَّافًا، وَلاَ مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخالِفُ الكِتَابَ والسُّنَّةَ وإِجْمَاعَ الأُمَّةِ.

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وبعد..

قال العلامة الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ وأجزل له الثواب: (وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ: مِنْ خرُوجِ الدَّجَّال، ونُزُولِ عِيسَىٰ ابنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ السَّماءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخرُوجِ دَابَّةِ الأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا.).

يريد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ أنّ ما جاء في القرآن الكريم وفي سنة النبي ﷺ من ذكر أمور غيبية تكون قريبًا من السّاعة، أو تكون من أشراطها فإنها داخلة في الإيمان، في أركان الإيمان ويجب الإيمان بها ودخولها في أركان الإيمان من جهتين:

**الجهة الأولىٰ**: أنها غيب والإيمان كله إيمان بالغيب الذي أخبر به الله جلّ جلاله أو أخبر به نبيُّه الله ﷺ.

**والجهة الثانية**: أن من أركان الإيمان: الإيمان باليوم الآخر.

ومقدمات اليوم الآخر وأشراط الساعة التي ثبتت في كتاب الله وفي سنة محمد الله ﷺ فإنّ الإيمان بها واجب، إذا بلغ المسلم الخبر في ذلك فيجب عليه التصديق بالغيب والإيمان به وقد خصّ الله جلّ وعلا أهل الإيمان بصفة الإيمان بالغيب، فهي أَوْلَىٰ وأُولَىٰ صفاة المؤمنين كما قال جلّ جلاله: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[البقرة]. فالإيمان بالغيب يدخل فيه جميع أركان الإيمان لأن الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشرّه، هٰذا كله إيمان بالغيب.

ويريد أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ بإيراد هٰذه الجملة مخالفة عدد من الطوائف الضّالة الذين لا يؤمنون بما يخالف ما دلهم عليه عقلهم، فإن طوائف أنكرت وجود الدجال، وطوائف أنكرت نزول عسىٰ بن مريم عليه السلام، وطوائف أنكرت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ونحو ذلك مما ليس مألوفًا لهم ولا يدخل في السنن فنفوه لأجل ذلك، وأهل السنة باب الغيب عنده باب واحد فما صح عن رسول الله ﷺ فإنه يجب الإيمان به، وهٰذه الجملة تحتها مباحث ومسائل:

**المسألة الأولى**: في تعريف الأشراط، الأشراط جمع شرط، والشّرط هو العلامة التي تفرّق الشيء وتميّزه عن غيره، والأشراط -أشراط الساعة- المقصود به الآيات والعلامات التي تدل علىٰ قرب قيام الساعة، إما دُنُوًا فتكون أشراطًا كبرىٰ، وإما دلالة علىٰ القرب فتكون من جملة الأشراط الصغرىٰ.

قد جاء ذكر كلمة الأشراط في القرآن الكريم في سورة محمد، قال جلّ وعلا: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ﴾[محمد:١٨]، وأفادت الآية فائدتين:

**الأولىٰ**: أن الساعة لها أشراط وعلامات.

**والفائدة الثانية**: أن أشراط الساعة قد وقعت في وقت تنزُّل القرآن علىٰ محمد عليه الصلاة والسلام.

وهٰذا يعني أن من الأشراط ما يكون بعيدًا عن وقوع الساعة، ومنها ما يكون قريبًا من وقوع الساعة.

ومن الأحاديث في ذلك: أن النبي ﷺ لما تذاكروا عنده الساعة قال: «**إنها لن تكون حتىٰ تروا قبلها عشر آيات**»، فدلّ ذلك علىٰ أن ثمَّت أشراط قريبة منها سماها النبي ﷺ آيات، والآيات جمع آية وهي ما يدلّ دلالة واضحةً ظاهرة علىٰ المراد وعلىٰ الشيء حيث لا يكون فيه لَبْس.

**المسألة الثانية:** أشراط الساعة قسمها العلماء إلىٰ قسمين: إلىٰ أشراط كبرىٰ وإلىٰ أشراط صغرىٰ.

ومن أهل العلم من قسمها إلىٰ ثلاثة أقسام: أشراط صغرىٰ ووسطىٰ وكبرىٰ.

والأول هو المعتمد، والثاني اصطلاح تفسيري؛ ولكن ليس ثَم ما يدل عليه من وجود الوسطىٰ وإن كانت موجودة وداخلة في الصغرىٰ.

أما تعريف الأشراط الصغرىٰ: فهي ما دل الدليل علىٰ أنه من علامات قرب الساعة وليس من العشر آيات التي جاءت في الحديث أنها تكون بين يدي الساعة.

فحصلت الأشراط الصغرىٰ في زمن النبي ﷺ ولا تزال تحصل وتحصل إلىٰ بدء الأشراط الكبرىٰ، وسيأتي تفصيل الأشراط الصغرىٰ والكبرىٰ إن شاء الله.

فمن أهل العلم من جعل الأشراط الصغرىٰ كما ذكرت لك ما قَرُب من عهد النبي ﷺ فهي صغرىٰ، وما بَعُد من عهده فهي وسطىٰ إلىٰ حدوث الأشراط الكبرىٰ، والأول هو المعتمد في ذلك.

**المسألة الثالثة:** الأشراط الصغرىٰ كثيرة جدا ومتنوعة، ولا يدلّ كون الحدث من أشراط الساعة علىٰ مدحه أو ذمه، بل هي آيات ودلائل علىٰ القرب:

فتارة تكون ممدوحة غاية المد منها بعثة محمد ﷺ وانشقاق القمر باعتباره آية لمحمد عليه الصلاة والسلام، ومنها فتح بيت المقدس.

وقد تكون مذمومة محرمة أو مكروهة، أو تكون واقعة كونية فيها ابتلاء أو عقوبة للعباد.

والمقصود من ذلك أن ما جاء في الدليل أنه من آيات أو أشراط الساعة فلا يدلّ كونه من أشراط الساعة علىٰ أنه ممدوحٌ أو مذموم إلا بدليل آخر أو بحقيقة الأمر.

وأشراط الساعة الصغرىٰ كثيرة جدًّا جدًّا، ومما يُشار إليه فيها ما جاء في الحديث الذي رواه البخاري وغيره، حديث عوف بن مالك أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**أعدد ستًّا بين يدي الساعة، موتي ثم فتح بيت المقدس، ثم مُوتَانٌ يَأْخذُ فيكم كقُعَاصِ الغنم، ثم استفاضة المال**»... إلىٰ آخر الحديث.

ومنها مما حدث، هٰذه حدثت قريبا من عهده عليه الصلاة والسلام، ومنها مما حدث بعيدًا عن عهده عليه الصلاة والسلام، النار التي خرجت من المدينة في القرن السابع الهجرىٰ، في نحو سنة أربع وخمسين وستمائة، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تقوم الساعة حتىٰ تخرج نار من الحجاز**» أو «**من المدينة تُضيئ لها أعناق الإبل ببُصرىٰ**». ومنها ما يكون قريبًا من الأشراط الكبرىٰ.

وأشراط الساعة الصغرىٰ والكبرىٰ أُلِّفت فيها مؤلفات كثيرة في يجمعها وجمع الأحاديث التي جاءت في ذكر أشراط الساعة، وهي من العلم النافع الذي يدل علىٰ صدق النبي ﷺ فيما أخبر به، لأنه هو لا شك أخبر عن أمر غيبي لم يحدث، وكان خبره صدقًا ويقينًا، فهٰذه الأخبار التي فيها أنه بين يدي يكون كذا، أو

لا تقوم الساعة حتىٰ يكون كذا، أو من أشراط الساعة كذا، أو أعدد بين يدي الساعة كذا. هٰذه كلها تدلّ علىٰ صدقه عليه الصلاة والسلام، ثم أيضًا تدلّ علىٰ أن الساعة آتية لا ريب فيها؛ لأن النبي ﷺ أخبر بحدوث هٰذه الأمور وحدوثها حصل وكان حقًا كما أخبر به عليه الصلاة والسلام، لهٰذا كان التّحديث بأشراط الساعة الصغرىٰ والكبرىٰ وذكرها مما يقوّي اليقين ويقوي الإيمان وهو من دلائل نبوة محمد عليه الصلاة والسلام.

**المسألة الرابعة:** الأشراط الكبرىٰ.

**الأشراط الكبرىٰ يُعنىٰ بها العلامات والآيات التي تكون قريبة من الساعة**، بحيث إذا حدثت فإن يوم القيامة قريبٌ جدًّا جدًّا، وسميت كبرىٰ لأنها آيات عظيمة تحدث ليس في حسبان العباد أن تحدث ولم يكن لها دليل قبلها أو لها ما يشابهها.

وهٰذه الأشراط الكبرىٰ عشر كما جاءت في الأحاديث؛ ولكنها جاء في عدة أحاديث غير مرتبة، يعني من جهة الوقوع، وهنا ذكر الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في هٰذه الجملة أربعة من أشراط الساعة، ذكر خروج الدجال ونزول عيسىٰ ابن مريم وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة، وهٰذه أربعة من عشرة أشراط، وهو إنما ذكر هنا الأشراط الكبرىٰ لأنها هي العظيمة وهي الآيات الكبيرة التي يجب الإيمان بها

وهٰذه العشرة وهي مرتبة في الحدوث كما أسوقها:

أول ما يحدث **خروج الدجال**.

ثم **نزول عيسىٰ ابن مريم عليه السلام من السماء**.

ثم **خروج يأجوج ومأجوج**.

ثم ثلاثة خسوف: **خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب**.

ثم **طلوع الشمس من مغربها**.

ثم **خروج الدابة علىٰ الناس ضحىٰ**.

ثم **الدُّخان**.

ثم **خروج النار التي تحشر الناس إلىٰ أرض المحشر**.

وفي ترتيب الدخان هل هو قبل طلوع الشمس من مغربها أو هو بعد طلوع الشمس فيه خلاف بين أهل العلم، والأظهر هو ما ذكرت لك من الترتيب.

أما الآية الأولىٰ الكبرىٰ وهي التي نص عليها هنا وهي خروج الدجال: فالدجال جاءت النصوص الكثيرة بخروجه وأنه سيخرج من محبس هو فيه، إذا أذن الله جلّ وعلا بخروجه، وأنه بشر من جنس البشر؛ لكنه أعور العين كأن عينه عنبة طافية أو عنبة طافئة، مكتوب بين عينه كاف فاء راء، ثلاثة حرف يقرؤها كل مؤمن يعني كافر، يعطيه الله جلّ وعلا من القدرة ما تحار معه الألباب، فيقول للناس: إني ربكم. فيكون معه جنة ومعه نار وتكون فتنته تستمر في الأرض أربعين، وتكون فتنته أعظم فتنة حدثت في الأرض؛ لأنه يدّعي أنه رب العالمين وأن معه جنة وأن معه نار وأنه يحيي الموتىٰ.

فيأتي في ذلك وتُحرَّم عليه مكة والمدينة والملائكة تحرسها، ويخرج إليه شاب فيقول: له أنا ربك.

فيقول له: أنت الدجال الذي أخبرنا به رسول الله ﷺ. فيقول للناس: أنا أقتل هٰذا ثم أحييه. فيقتله ثم يحييه، فيقول: قد ازددت الآن بك علما، يعني أنك الدجال، وهٰذا من خيرة الناس علىٰ وجه الأرض، أو خير الناس علىٰ وجه الأرض في زمانه.

والدجال لا يخرج حتىٰ لا يُذكر في الأرض، وما من نبي إلا حذر أمته فتنة المسيح الدجال، ولهٰذا كان من المتأكدات علىٰ المؤمن في كل صلاة قبل السّلام أن يستعيذ بالله من أربع ومنها فتنة المسيح الدجال.

وأخبار المسيح الدجال والأحاديث التي جاءت فيه كثيرة متنوعة معروفة في كتب السنة وفي كتب من ألّف في أشراط الساعة، لكن ننبه في هٰذا علىٰ عدة أمور:

**الأول** أن المسيح الدجال لم يكن حيًا في عهده عليه الصلاة والسلام، والأحاديث التي جاء فيها أنه حي وأنه رئي إما في المدينة كقصة ابن صائد أو ابن صيّاد، أو في حبسه في جزيرة خرج إليها بعض الصحابة فرأوه فقصوا ذلك علىٰ رسول الله ﷺ، كل هٰذا لا يدل أنه كان في ذلك الزمن، وأنه يبقىٰ إلىٰ وقت خروجه.

وإنما في قصة الجزيرة في قصة الرجل المحبوس وسؤاله عن النبي ﷺ، الحديث الذي رواه مسلم المعروف، من العلماء من حكم عليه بالشذوذ، ومنهم من قال: خرج آية جعله الله آية للدلالة علىٰ صدق رسول الله ﷺ وليس مستمر الحياة.

والمقصود من هٰذا أن الدجال بشر يخلقه الله جلّ وعلا في وقت من الأوقات ثم يأذن بخروجه من مكان هو فيه علىٰ ما يشاء ربنا جلّ جلاله.

خروج الدجال يكون بعد خروج المهدي، والمهدي ليس من أشراط الساعة الكبرىٰ، وإنما يكون قريبًا من خروج الدجال والمهدي سمي مهديًّا لأن الله جل وعلا يهديه ويُصلحه في ليلة كما جاء في الحديث الصحيح أنه يذهب إلىٰ مكة في حين اختلاف من الناس؛ يعني أن الناس لا أمير لهم ولا إمام ولا جماعة، فيعود بالبيت فيخرج إلىٰ الحرم يعني إلىٰ مكة فيلوذ بالكعبة، ثم يأتيه الناس فيأمرونه بالخروج ويبايعونه، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**يصلحه الله في ليلة**»، اختلف العلماء فيه هل معناه أنه يصلحه في أمر دينه ولم يكن صالحًا أو أنه يصلحه لأمر الوَلاية وإمارة الناس، والأظهر هو الثاني أنه يصلحه الله في ليلة لإمارة الناس ولقيادتهم، وهو من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب واسمه كاسم محمد عليه الصلاة والسلام، محمد بن عبد الله، وجاء في الأحاديث صفاته وبلغت الأحاديث التي فيها ذكر المهدي بأسانيد صحيحة وحسان وضعاف أكثر من أربعين حديث.

ولهٰذا قال طائفة من أهل العلم: إن أحاديث المهدي تبلغ مبلغ التواتر المعنوي، يعني الذي في جملته لا في أفراده يدل علىٰ أن المهدي سيخرج في آخر الزمان قرب خروج الدجال.

وفي قصة المهدي أنه حين يحكم، يصيح صائح إن الدجال خلفكم في أهليكم وأولادكم أو أموالكم، فينقسم الناس في القصة المعروف التي لا مجال لسردها، أنه في أثناء ولاية المهدي وغزوه وجهاده وانتشار الخيرات في وقته يخرج الدجال فتعضم فتنته، ثم ينزل عيسىٰ عليه السلام وهو حيّ الآن، ينزل من السّماء في دمشق عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، والنبي عليه الصلاة والسلام كما رواه ابن ماجه

وغيره أنه ينزل عند المنارة البيضاء في شرقي دمشق ثم يدرك الدجال بباب لدّ فيقتله هناك وأصله في مسلم، هٰذا قبل وجود المنارة وقبل بناء المسجد الأموي، والمنارة البيضاء الآن معروفة في دمشق، فما أصدق رسول الله ﷺ وما أعظم ما بينه لأمته عليه الصلاة والسلام.

إذا نزل عيسىٰ بن مريم، ثاني الآيات، ثاني أشراط الساعة نزول عيسىٰ بن مريم والله جل وعلا دل علىٰ نزوله في القرآن بقوله جلّ وعلا: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾[النساء].

وقد جاء في الصحيح أن أبا هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك أن ينزل فيكم عيسىٰ ابن مريم حَكمًا عدلًا مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال في عهده** -أو في وقته- **حتىٰ لا يقبله أحد ويؤمن به أهل الكتاب**».

قال أبو هريرة ﷺ واقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾، وقوله هنا: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾، المقصود به قبل موت الكتابي أو قبل موت عسىٰ ابن مريم؟ من أهل العلم من قال بالأول أنه قبل موت الكتابي فيؤمن بعيسىٰ ابن مريم، وأكثر أهل العلم وأهل التفسير علىٰ أن المقصود به قبل موت عيسىٰ ابن مريم لأن سياق الآية والآيات قبلها يدل علىٰ ذلك، وظاهرها أيضا وهو قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾، يعني بعيسىٰ ابن مريم عليه السلام، ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾، يعني موت عيسىٰ أيضا ابن مريم عليه السلام. وهٰذا في معنىٰ الآية التي في سورة الزخرف وهي قوله جلّ جلاله في ذكر عيسىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾[الزخرف:٦١]، وفي القراءة الأخرىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ والعَلَمْ هو العلامة والشرط، عَلَمٌ للساعة يعني شرط من أشراط الساعة وهو الذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة واتفق عليه...، حتىٰ أن أبا هريرة ﷺ إذا ساق ذلك قال لمن يروي له هٰذا الحديث: فإذا رأيت عيسىٰ ابن مريم فأقرضه منّي السلام، ويرويها من بعده لمن بعده، فإذا رأيت عيسىٰ ابن مريم فأقرضه مني السلام، وهٰذا لشدة إيمانهم وتصديقهم بنبينا ﷺ الذي لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ، عيسىٰ عليه السلام يمكث ما شاء الله في الأرض أن يمكث ثم يموت ثم يُصلىٰ عليه.

**ويخرج في عهده عليه السلام، في عهد عيسىٰ يأجوج ومأجوج** وقد جاء ذكرهم في القرآن في سورتين، في سورة الكهف وفي سورة الأنبياء:

قال جلّ وعلا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾[الأنبياء]، يعني الساعة.

وفي سورة الكهف: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ الآيات، فدلت الآيتان علىٰ مسألتين:

**الأولىٰ**: أن يأجوج ومأجوج موجودان اليوم وموجودان قبل ذلك فهما قبيلان أو قبيلتان أو شعبان كبيران يعظم أمرهما عند قيام الساعة.

**والفائدة الثانية**: أنهم يأتون من كل حَدَب، قال في آية الأنبياء: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾،

والحدب هو الجهة، وينسلون هٰذا من النَسَلاَن وهو السير ليلا فهم يأتون من كل جهة، فربما مروا علىٰ البحيرة العظيمة فشربوا ماءها.. إلخ.

فخروج يأجوج ومأجوج في عهد عيسىٰ عليه السلام، هٰذا من آيات الساعة الكبرىٰ ثم يدعو عليهم عيسىٰ عليه السلام فيموتون ثم تنتن الأرض التي هم فيها بنتن أجسادهم فيأمر الله جلّ وعلا ريحًا أو طيورًا بحملهم في البحر.

**الرابع من الآيات والخامس والسادس ثلاثة خسوف**: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وهٰذه الخسوف الثلاثة، خسوف عظيمة لم يسبق أن حدث مثلها، الزلازل وخسوف الأرض تحدث في الأرض وهي من آيات الله جلّ جلاله يبتلي بها ويعذّب بها ولكنها آيات عند قرب قيام الساعة لم يحدث لها مثيل فهي غير مألوفة، خسوف عظيمة كبيرة تكون في الشرق وفي الغرب وفي جزيرة العرب، والخسف معروف أنه ذهاب الأرض إلىٰ أسفلها، يعني ذهاب علو الأرض إلىٰ أسفلها.

**طلوع الشمس من مغربها**، وطلوع الشمس من مغربها جاء ذكره في القرآن كذلك في السنة الصحيحة، كما في قوله جلّ وعلا: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[الأنعام:١٥٨]، والتوبة[1] لا تزال مقبولة من العبد ما لم تطلع الشمس من مغربها، وطلوع الشمس من مغربها حق وصدق وهي آية غير مألوفة؛ لأن المألوف أن الشمس تطلع من الشرق ثم تغرب في الغرب، فكونها تعود من حيث جاءت أو من حيث غربت، تعود من الغرب إلىٰ الشرق هٰذه آية عظيمة غير مألوفة تجعل الناس جميعًا يؤمنون، ولهٰذا إذا طلعت الشمس من مغربها فإن الناس يؤمنون لكن: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾، فيبقىٰ بعد طلوع الشمس من مغربها الناس فيهم المؤمنون الذين آمنوا قبل ذلك، قبل طلوع الشمس من مغربها، وفيهم المنافقون والكافرون والمشركون.

ثم **تخرج الدابة**، والدابة حيوان عظيم الخلقة يعطيه الله جلّ وعلا القدرة علىٰ وسم الناس، كما قال جلّ وعلا في آخر سورة النمل: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾، ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني بطلوع الشمس من مغربها ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾، قال جل وعلا: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ وفي قراءة أخرىٰ: ﴿تَكْلِمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾، وأيضًا: ﴿ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾، يعني بفتح الهمزة من ﴿أَنَّ﴾ وكسرها، وقوله: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ و﴿تَكْلِمُهُمْ﴾ قراءتان صحيحتان تدلاّن علىٰ معنيين مختلفين:

أما المعنىٰ الأول فإنها تُكَلِّمْ وتحدِّث الناس وهي آية، والعادة في الحيوان أنه لا يكلم الناس فهي تكلم الناس بلغاتهم وبما يفهمون عنها.

والعلامة الثانية فيها أنها تَكْلِمْ الناس بمعنىٰ أنها تسم الناس، والوسم سماه الله جلّ وعلا هنا كَلْمًا لأنه يكون معه كَلْم الجلد والتأثير في الجلد كما يحصل في وسم الدواب، فإنه لا بد فيه من جرح فيها أو من

---

(١) نهاية الوجه الأول من الشريط الثامن والأربعين.

أثر فيها، فتسم الناس هٰذا مؤمن وهٰذا كافر، وهٰذه هي الآية الثامنة.

ثم بعد ذلك تأتي وليست من الآيات تأتي ريح، ريح يرسلها الله جل وعلا خفيفة في ليلة فتقبض أرواح أهل الإيمان أو يموت معها أهل الإيمان فيبقىٰ أهل الكفر والنفاق والشرك يتهارجون في الأرض كتهارج الحُمُرْ فلا يقال في الأرض الله الله كما جاء في الصحيح يعني لا يُقال في الأرض: اتق الله اتق الله، أو اذكر الله اذكر الله.

ثم يكون **الدخان**، والدخان حصل مرةً كما في سورة الدخان؛ ولكنه ليس بالآية العظيمة كالدخان الذي يحصل قرب قيام الساعة، فذاك دخان يغشىٰ الناس من أولهم إلىٰ آخرهم في الأرض كلها ويشتد معه الخطب والأمر.

ومن أهل العلم من قال: إن الآية في سورة الدخان المقصود بها ما هو في قرب قيام الساعة، وفي الأحاديث والسنة أنّ الدخان حصل في المسلمين يعني قد رآه المسلمون والمشركون في مكة، وهٰذا غير هٰذا.

**وآخرها نار تخرج من جنوب الجزيرة من قعر عدن**؛ يعني يبدأ خروجها من هٰذا الموطن، ثم تنتشر في الأرض فتحيط بالناس تحشرهم إلىٰ أرض المحشر تبيت معهم وتقيل معهم، وهٰذا أيضًا آية عظيمة أن نارًا تتحرك تمشي تقف مع الناس حتىٰ تحشر الناس إلىٰ أرض المحشر.

ثم بعد ذلك يحصل النفخ في الصور، النفخة الأولىٰ، نفخة الفزع والصّعق ثم تكون أربعون وتكون نفخة البعث أعاننا الله جلّ وعلا علىٰ كربات يوم القيامة وغفر الله لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا.

**المسألة الخامسة**: الناسُ فيما كتبوا من أهل العلم في أشراط الساعة ما بين مصيب مدقّق وما بين متساهل، ولهٰذا المؤلَّفات في هٰذا الباب كثيرة جدًّا، يعني وما بين كتب مؤلفة مستقلة وما بين شروح في كتب مطوَّلة، لكن ينبغي لطالب العلم أن يتحرَّز في هٰذا الأمر وذلك لأن أشراط الساعة أمر غيبي، والأمور الغيبية يجب أن يُسَلَّم لها إذا صحَّ فيها دليل، إذا كان الدليل من كتاب الله جلّ جلاله أو كان الدّليل مما صح من كلام النبي ﷺ، وفيها ما في جنس أخبار الغيْب بأنه لا يُتَعَرَض لها بمجاز ولا بما ينفي حقيقتها ولا بالتأويل الذي يصرفها عن ظواهرها.

فباب التأويل والمجاز مرفوض في مسائل الغيب جميعها أو رد هٰذه الآيات بالعقلانيات وأن العقل يُحيل مثل هٰذا، ولهٰذا تجد في الكتب المؤلفة والشروح، ربَّما ما يصرف الأحاديث عن ظاهرها والواجب هو التَّسليم لها، وهٰذا يدخل في مقتضىٰ الشَّهادة بالنبي ﷺ لأنه من مقتضىٰ الشهادة معناها تصديقه عليه الصلاة والسلام فيما أخبر، كلُّ ما أخبر به من أمور الغيب ومن قصص السالفين ومما لم تدركه فيجب التصديق به والإيمان بذلك لأنه عليه الصلاة والسلام يبلغ عن ربه جلّ جلاله وتقدست أسماؤه.

والناس في مسائل أشراط الساعة -كما ذكرت لك في أول الكلام-:

منهم من يتأولها وينفي ما لا يدل عليه العقل، ويأخذ بما دل عليه العقل.

ومنهم من يتأول بعضًا.

ومنهم من يؤمن بها علىٰ ظاهرها كما جاءت لأنها أمور غيبية وهٰذا هو الذي ينبغي.

ولهٰذا تجد مثلًا أن في نزول عيسىٰ عليه السلام والمهدي إذا جاء أنه يكون مثلًا يكون بالسيف وبالخيل، والسيف والخيل قال فيها عليه الصلاة والسلام: «**إني لأعرف** -أو **لأعلم**- **أسماء خيولهم وألوانها**»، أو كما جاء عنه عليه الصلاة والسلام، هٰذا تأكيد للحقيقة، وكذلك أشاط الساعة الأخرىٰ مثل خروج الدجال وأن يسمع به الناس، فمن الناس من قال: إن الدجال مثلًا يركب الطائرة، مما أُلّف في هٰذا الباب، يركب الطائرة، وأنه يسمع الناس بخبره عن طريق كذا وكذا من الآلات التي هي موجودة الآن وهٰذا مما لا يصلح أن يُثبت ولا أن ينفىٰ.

بل الواجب في مثل هٰذا التسليم للخبر لأنه إثباته فيه إثبات أن هٰذه الأشياء ستبقىٰ إلىٰ خروجه، وهٰذا مما ليس لنا به علم، والنفي أيضًا نفي بما لم ندرك علمًا.

والواجب في هٰذا التسليم وأن لا يخوض الناس في عقليات تنفي ظاهر الأدلة. فنؤمن بها كما جاءت، ولا ندخل فيها كما ذكرت بتأويل أو بمجاز يصرفها عن ظواهرها.

**المسألة السادسة:** عيسىٰ ابن مريم عليه السلام إذا نزل فإنه ينزل تابعًا لشريعة محمد عليه الصلاة والسلام، لأنه ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام وجب علىٰ من يكون حيًّا أن يؤمن به، ولهٰذا عيسىٰ عليه السلام إذا نزل وكان الإمام يصلّي بالناس أو يريد الصلاة، فيأتي يتأخر ليتقدَّم عيسىٰ عليه السلام، فيقول عيسىٰ عليه السلام: لا، إمامكم منكم تكرمة الله لهٰذه الأمة.

وهٰذا فيه الدِّلالة من أول وهلة من أول لحظة علىٰ أنه تابعٌ لمحمد عليه الصلاة والسلام، وليس رسولًا متجدِّدًا يعني كما كان قبل بعثة محمد عليه الصلاة والسلام، ولهٰذا إذا نزل عليه السلام فإنه يكون حاكمًا بكتاب الله جلّ وعلا وبسنة رسوله ﷺ.

وينطبق في حدِّه عليه السلام، ينطبق في حده أنه صحابي أيضًا رأىٰ النبي ﷺ ليلة المعراج حيًّا، وينزل بعد ذلك متَّبعًا له ويموت علىٰ اتباعه لمحمد عليه الصلاة والسلام، وهٰذا ينطبق عليه حد الصحابي أنه من لقي النبي ﷺ ساعة مؤمنًا به ومات علىٰ ذلك.

ولهٰذا بعض أهل العلم ربما ألغز فقال: من رجل من أمة محمد عليه الصلاة والسلام هو أفضل من أبي بكر بالإجماع. ربما ألغز بعض أهل العلم وليس من الألغاز السائرة -يعني المشهورة- مَن رجل مِن أمة ﷺ هو أفضل من أبي بكر بالإجماع، والجواب أنه عيسىٰ عليه السلام لأن تفضيله، لأنه رسول ومن أولي العزم من الرسل وهو من أتباع محمد عليه الصلاة والسلام بعد نزوله، فبعد أن ينزل هو يخاطب ويحكم في الأرض بشريعة الإسلام؛ لأن شريعة الإسلام ناسخة لما قبلها من الشرائع.

**المسألة السابعة:** أشراط الساعة ربما حَلاَ لبعض الناس أن ينزلها علىٰ الواقع الذي يعيش فيه، دون تحقيق في انطباقها علىٰ ما ذكر، ولهٰذا ألف من ألف من المعاصرين في أن هٰذه العلامة أو هٰذا الشرط هو كذا بعينه، وهٰذا مما لا يتجاسر العلماء فيه؛ بل يتحرون فيه أتم التحري فإن تطبيق الواقع علىٰ أنه هو ما أخبر به النبي ﷺ هٰذا يحتاج إلىٰ علم؛ لأنه إخبار لما تؤول إليه أحاديثه عليه الصلاة والسلام، وهٰذا يحتاج إلىٰ علم، والله جلّ وعلا يقول: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾[الأعراف:٥٣]، يعني ما تؤول إليه حقائق

أخباره، وهٰذا ربما لم يظهر لكل أحد؛ يعني الآية في يوم القيامة؛ لكن انتظار التأويل يعني ما تؤول إليه حقائق الأخبار.

بعضها ظاهر مثل بعثة النبي ﷺ، انشقاق القمر، موت النبي ﷺ، الموتان يعني الطاعون الذي حصل في سنة ١٨ من الهجرة ونحو ذلك، مثل النار التي خرجت من المدينة.

لكن في بعضها يكون ثَم اشتباه، هل هو مُنطبق أو ليس بمنطبق، هل هو تمت، يعني هل الصفات منطبقة أو ليست كذلك.

لهٰذا كما ذكرت لك في أول الكلام أن أشراط الساعة إيرادها من الشارع إنما هو لأمرين، لأجل الإيمان بها، ثم لتكون دلالة من دلائل نبوة محمد ﷺ.

فوجود الأحاديث أو ذكر الشيء من أشراط الساعة لا يقتضي مدحًا ولا ذمًّا ولا نستفيد منه حكمًا شرعيا، مثلًا حديث: «**لا تقوم الساعة حتىٰ يتباهىٰ الناس بالمساجد**»، وكما في حديث عمر المشهور قصة جبريل، قال: أخبرني عن السَّاعة، قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»، قال: أخبرني عن أشراطها، قال: «**أن تلد الأمة ربتها وأن ترىٰ الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**»، منهم من طبق أن تلد الأمة ربتها علىٰ عصر من العصور أو علىٰ وضع من الأوضاع، ومنهم من طبق الحفاة العراة العالة رعاء الشاء علىٰ وقت من الأوقات، ومثل ما جاء من نطق الحديد، مثلا: وأن تحدث المرأة عذبة صوته، ومثل الحديث الذي في السنن: «**لا تقوم الساعة حتىٰ يتباهىٰ الناس بالمساجد**»، هل هٰذا يقتضي ذمّ هٰذا الفعل أو لا يقتضي ذمًّا ولا مدحا؟ يعني هل يُحكم عليه بالكراهة لأجل هٰذا الحديث؟ المعتمد عند أهل العلم أن مثل هٰذه الأحاديث لم ترد للأحكام الشرعية وإنما وردت للإخبار بها لتكون دليلًا علىٰ نبوَّته عليه الصلاة والسلام ولابتلاء الناس بالإيمان بخبره عليه الصلاة والسلام حتىٰ يظهر المسلّم له عليه الصلاة والسلام من غير المسلّم.

لهٰذا احذر من التطبيق، تطبيقها، وخاصة في ما يشتبه، قد مرت أزمات ومرت فتن ومرت أشياء، من الناس من طبّق فأخطأ في ذلك وهو ربما بنىٰ علىٰ تطبيق أشياء من التصرفات أو الآراء أو الأحوال فأخطأ في ذلك خطأً بليغًا، وظهر بيان خطئه.

لهٰذا ما المقصود من إيراد أهل السنة والجماعة الإيمان بأشراط الساعة؟ وذكر أشراط الساعة وتقسيمات ذلك؟ ليس المقصود منه التطبيق، وإنما المقصود منه ما ذكرت لك من الأمرين العظيمين:

**الأول**: دلالة من دلالات نبوة النبي ﷺ كي يدخل ذكر أشراط الساعة في دلائل النبوة.

**والأمر الثاني**: أن يُبتلىٰ الناس بالإيمان بها كما أخبر بذلك النبي عليه الصلاة والسلام.

نكتفي بهٰذا القدر، وعلىٰ العموم مباحث أشراط الساعة كثيرة وأُلف فيها عدة مؤلفات فيمكن أن ترجعوا إليها للمزيد، حتىٰ الشارح ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ اقتضب جدًّا في شرحه واقتصر علىٰ إيراد الأحاديث الواردة في هٰذا الباب.

.. من أفضلها كتاب «النهاية» للحافظ ابن كثير لأنه محرر، ومن الكتب المعاصرة كتاب «أشراط الساعة» ليوسف الوابل، وكذلك كتاب: «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة»

للشيخ العلامة حمود بن عبد الله التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، ونحو هٰذه الكتب.

[الأسئلة] نجيب علىٰ بعض الأسئلة:

سؤال (٥٠٥): هل إيمان أهل الكتاب بعيسىٰ عليه السلام إيمان ينفعهم أو إيمان إقرار لا ينفع؟

**الجواب:** إذا نزل كسر الصليب وقتل الخنزير ووضع الجزية فآمن به أهل الكتاب واتبعوه، يعني اتبعوا ما أمر به من شريعة الإسلام فإنه ينفعهم؛ أما إذا آمنوا به يعني إيمانًا بنزوله لا بما جاء به وإلىٰ ما دعا إليه فهٰذا لا ينفع. المسألة ترجع إلىٰ الأصول العامة.

...[1]

هل هٰذا في زمن عيسىٰ أم في غيره؟ الحديث هٰذا صحيح كما هو معلوم، لكن هل هٰذا في زمن عيسىٰ أم في غيره؟ أنا ما اتحدث وربما يكون قبل ذلك ثم تحدث فتنة وربما المقصود منه بعض البيوت لا كل بيوت الأرض.

سؤال (٥٠٦): ما رأيكم في القول بأنه قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَآ﴾[محمد:١٨]، علىٰ نحو قول تعالىٰ: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[النحل:١]؟

**الجواب:** إذا كان المراد بقوله: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَآ﴾، الأشراط الكبرىٰ فهو علىٰ نحو قوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، يعني قرب المجيء ودنا، ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ يعني بقيام الساعة، ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ يعني قرب جدًّا، و﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَآ﴾، المقصود الأشراط بالأشراط الكبرىٰ يعني فسرت الأشراط بالأشراط الكبرىٰ، يكون ﴿جَآءَ﴾، بمعنىٰ قرب ودنا مجيؤها مثل ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ هٰذا صحيح، لكن التخصيص بأن الأشراط هنا هي الأشراط الكبرىٰ دون الصغرىٰ يحتاج إلىٰ دليل، والنبي ﷺ في حديث جبريل جاء ذكر أشراط الساعة وفسّرها بالأشراط الصغرىٰ، قال: أخبرني عن الساعة، ثم قال له: أخبرني عن أشراطها، قال: «**أن تلد الأمة ربتها**»... إلخ، كما ذكرت لك آنفًا وهٰذه من الأشراط الصغرىٰ.

إذن حمل آية محمد عليه السلام علىٰ الأشراط الكبرىٰ دون الصغرىٰ يحتاج إلىٰ دليل، والأمران وشمول الآية للأمرين أولىٰ.

سؤال (٥٠٧): أنا كم مرة نبهت عليكم، السيارة يقول رقم كذا لون أبيض مغلقة لباب منزلي، يا إخوان طلبة علم طبقوا العلم، لا ضرر ولا ضرار، تجيء تحضر ساعة تتقرب إلىٰ الله جلّ وعلا وتضر ناس عنده موعد، معاه مريض، حق له أمام المنزل ليس حقًا لك، الطريق عام لكن ما هو أمام الباب، الخروج والدخول ليس حقًا لك لا في إيقاف السيارة ولا في النظر ولا حتىٰ في الوقوف للحديث، ما لك حق تقف أنت وواحد أمام باب الغير وتتحدثان، ليس لك حق وتأثم علىٰ ذلك إلا إذا أذن صاحب المنزل، فالوقوف، وقوف السيارة وسد الباب هٰذا أعظم، انتبهوا بارك الله فيكم، يعني هٰذا من التفريط في الحقوق.

سؤال (٥٠٨): إن المسيح الدجال لم يكن حيًا في زمن النبي ﷺ ألا يُعارض هٰذا شك النبي ﷺ في ابن

---

(١) سائل يستفسر الصوت غير واضح.

صياد هل هو المسيح الدجال أم لا؟ وكذلك إقسام بعض الصحابة.

**الجواب:** المسألة معروفة من جهة البحث لكن فيه في قصة ابن صائد أنه لما ذهب إليه النبي عليه الصلاة والسلام، قال: «ما ترىٰ؟» ثم قال له: إني أرىٰ الدخ ولم يكمل، فقال له عليه الصلاة والسلام «**اخسأ فلن تعدو قدرك**»، لأنه علم أنه كاذب، لهٰذا الأظهر فيه أنه كاهن صفته كانت مقاربة للصفة؛ لكن الدجال أمره يختلف، وابن صائد مات ودفن بإجماع الناس في ذلك الزمان.

سؤال (٥٠٩): أين يوجد يأجوج ومأجوج؟

**الجواب:** لا أعلم.

سؤال (٥١٠): ما علاقة ابن الصيّاد بالدجال، وهل رأىٰ الصحابة ابن صائد؟

**الجواب:** نعم ابن صيّاد أو ابن صائد كان موجودًا في المدينة، وظهر عليه بعض العلامات وخشي أن يكون الدجال، لكن من المعلوم أن الدجال لا يخرج من المدينة، الدجال يخرج من مكان هو فيها محبوس وهٰذا الرجل مات ودُفن... إلخ، فالقول أنه هو، أن الدجال هو ابن صائد ليس [صحيح]، الصحابة شكوا ثم تبين لهم هٰذا الأمر، ومن أقسم علىٰ أن ابن صياد هو الدجال هٰذا بحسب ظنه أو أن المقصود أنه دجال من الدجاجلة.

سؤال (٥١١): ما رأيكم في من قال: أن يأجوج ومأجوج هم شعوب الصين؟

**الجواب:** هٰذا محتمل؛ لكن ما فيه ما يدل علىٰ الجزم به، لأن بعض الصفات التي وردت منطبقة عليهم، في أشكالهم لكن بعض الصفات لأنهم قصيرو القامة جدًا وبعض الصفات قد ما تنطبق من كل جهة، والتحديد ما الذي يفيد فيه؟ يعني كانوا شعوب الصين أو شعوب أخرىٰ أو ناس يكثرون بقرب زمن خروج عيسىٰ عليه السلام، يكثرون جدًّا، يتناسلون ثم يذهبون للناس، يعني ما الذي يختلف من ذلك؟ ويأجوج ومأجوج مثل ما ذكرنا لك سابقا هم موجودون من زمن الأنبياء: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[الكهف:٩٤]، وأنهم يخرجون في زمن، فهم شَعْبان أو قبيلان أو قبيلتان كبيرتان موجودة، لكن ما المقصود بها؟ قد يكون الصين وقد يكون غير ذلك، أنا ما أعلم لأن ما عندي ما يحدد ذلك بالدليل.

سؤال (٥١٢): ورد حديث فيه التردد بين خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها، أيهما أول خروجًا فما الجواب عنه؟

**الجواب:** يعني الحديث الذي في «صحيح مسلم» أنها إذا خرجت إحداهما كانت الأخرىٰ تليها، وهٰذا الحديث إذا كان فيه التردد، فإن الأحاديث الأخرىٰ دلت علىٰ أن خروج الدابة تكون علىٰ الناس ضحىٰ، ضحىٰ، طلوع الشمس، الطلوع ما يكون بعد الضحىٰ، الطلوع يكون في وقت الطلوع، يعني في أول إدبار الليل وإقبال الصباح، والصحيح أن طلوع الشمس من مغربها أول ثم بعد ذلك خروج الدابة، وهٰذا يقتضيه أيضًا المعنىٰ، لأن طلوع الشمس من مغربها، هٰذا خلاص فاصلة الإيمان، يعني من لم يؤمن من قبل لم ينفعه إيمانه، ثمّ الدابة لتسم الناس تَكْلِمَهم.

سؤال (٥١٣): ألا يكون مفرد أشراط هو شَرَط؟ أما شَرْط فجمعه شروط؟

**الجواب:** هٰذا صحيح لكن هو يصح شَرْطْ، شَرْطٌ وشَرَطْ وهٰذا كثير، أعني شَرْطْ وشَرَطْ في المفرد

يتبادلان، يعني من حيث القياس ومن حيث النقل، مثل نَهْرْ ونَهَرْ، سَمْعْ وسَمَعْ، وفي القرآن في القراءات في كثير تناويع بين فَعْل وفَعَلْ في المفرد الذي جمعه أفعال، والنهر: ﴿[وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا ][1] نَهْرًا﴾ [الكهف]، وفي القراءة الأخرى: ﴿[وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا ][2] نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾، اللي هو قراءتنا، وجمع نَهْرْ، أنهار وأنْهُر، فالمسألة صحيح شَرْطٌ وشَرَط، ولا يعني استعمال الشَرْطْ فيما ذُكر أنه، المقصود أنها صحيح شَرْطٌ وشَرَطْ كلها...

يعني الأسئلة اللي البحث فيها معروف فلا داعي لسؤالها، فهٰذه المسألة عن كفر التكذيب والجحود، وأنه نسبت إلىٰ بعض العلماء... إلخ، هٰذه البحث فيها معروف.

سؤال (٥١٤): كيف تكون أطوار حياة الدجال الأولىٰ؟

**الجواب:** الله أعلم، الله يعيذنا من الفتنة.

هم حذروا من الفتنة، خوفوا الناس من الفتنة، من فتنة المسيح الدجال.

**وبالمناسبة ما ذكرت** في المسيح الدجال والمسيح عيسىٰ ابن مريم، اشتركا في اسم (المسيح) والمعنىٰ مختلف.

المسيح الدجال فعيل بمعنىٰ مفعول، يعني لأنه ممسوح، ممسوح العين اليسرىٰ وعينه الأخرىٰ كأنها عِنبة طافية، يعني بارزة، فمسيح بمعنىٰ ممسوح يعني إحدىٰ العينين غير موجودة، أعور.

وأما المسيح عيسىٰ ابن مريم عليه السلام فهو مسيح بمعنىٰ ماسح فاعل لأنه كان إذا مسح علىٰ مريض أو من يشتكي أبرَأَهُ الله جلّ وعلا كما جاء في القرآن في سورة آل عمران والمائدة: ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى﴾[المائدة:١١٠].

في بعض الكتب يقولون: المسيخ، أو لا؟ هٰذه أنا ما أعرف أيش أصلها، المسيخ يعني بمعنىٰ ممسوخ! هل هو ممسوخ هو؟ هل جاء في الأحاديث ممسوخ أو مسيخ؟ أنا ما أعلم فيها، ولكن الأحاديث كلها التي في السنن التي في الصحيح، التي في السنن كلها المسيح بالحاء لا بالخاء.

سؤال (٥١٥): حبذا لو أبنت لي معنىٰ -هٰذا آخر سؤال-، قول بعض العلماء إن القدرة لا تتعلق بالمستحيل، بل لا تتعلق القدرة إلا بالممكن بخلاف العلم، وهل هٰذا القول صحيح؟

**الجواب:** يحتاج تأمل، ما أستحضر يعني...، لكن كأنها من كلمات الأشاعرة، القدرة لا تتعلق بالمستحيل بل تتعلق القدرة بالممكن، القدرة؛ قدرة الله جلّ وعلا تتعلق بكل شيء كما هو نص القرآن: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾[3].

---

(١) الشيخ حفظه الله: وكان بينهما.

(٢) الشيخ حفظه الله: وكان بينهما.

(٣) سورة: الأحزاب؛ الآية (٢٧)، الفتح؛ الآية (٢١)، الشيخ حفظه الله: إن الله كان علىٰ كل شيء قديرا.



سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[2].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥﴾[الكهف]، ونحو ذلك، فالقدرة متعلقة بكل شيء، وكل شيء هٰذه تشمل ما أذن الله جل وعلا بوقوعه وما لم يأذن بوقوعه.

أما تعلقها بالممكن، من قال: تتعلق بالممكن، فالممكن وقوعًا أو الممكن إذنًا؟ فهٰذا الكلام فيه صلة بكلام الأشاعرة والماتريدية ونحوهم ممن يعلقون القدرة بما يشاؤه الله جل وعلا وما يأذن به.

والقرآن فيه الرد علىٰ هٰذا القول من جهتين:

**الأولىٰ**: في عموم كل شيء في الآيات التي ذكرت لك.

**والثانية**: في آية سورة الأنعام، في قوله: ﴿هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾[الأنعام:٦٥]، قال جلّ وعلا: ﴿هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾، هل حصل هٰذا العذاب من فوق؟ قال عليه الصلاة والسلام لما قرأها: «**أعوذ بوجهك**»، ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ قال: «**أعوذ بوجهك**»، ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾ قال: «**هٰذه أهون**». وهٰذه وقعت كما في الحديث الثاني أن النبي ﷺ سأل ربه ثلاثًا فأعطاه اثنين ومنعه واحدة.

فهناك أشياء كما في نص الآية، الله قادر عليها ولم يأذن بوقوعها فهي من جهة الوقوع ما دام أنه لم يأذن الله جلّ وعلا بها ولم تقع لكن تعلّقت بها قدرته، فإن دلت الآية علىٰ أن قدرته جلّ وعلا متعلقة بكل شيء بما يشاء أن يقع وبما لم يشأ أن يقع، وهٰذا هو قول أهل السنة خلافًا لقول الآخرين.

ننبه علىٰ أن آخر الأسبوع القادم، فيوم الخميس غير موجود، أجيء مساء الخميس إن شاء الله، فجر الجمعة، يكون درس الخميس فجر الجمعة، أما درس السبت فأيضًا نرجع مرة أخرىٰ للمدينة، فالسبت القادم اعذرونا إن شاء الله ونلتقي في السبت الذي بعده. وفقكم الله لما فيه رضاه. الجمعة بعد الفجر إن شاء الله.

---

(١) سورة: البقرة؛ الآية (٢٨٤)، آل عمران؛ الآية (٢٩، ١٨٩)، المائدة؛ الآية (١٧، ١٩، ٤٠)، الأنفال؛ الآية (٤١)، التوبة؛ الآية (٣٩)، الحشر؛ الآية (٦).

(٢) سورة: البقرة؛ الآية (٢٠، ١٠٩، ١٤٩)، آل عمران؛ الآية (١٦٥)، النحل؛ الآية (٧٧)، النور؛ الآية (٤٥)، العنكبوت؛ الآية (٢٠)، فاطر؛ الآية (١).

## الدرس السابع والخمسون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد..

فأسأل الله جل وعلا أن يصلني وإياكم برحمته، وأن يتقبل منا قليل طاعته، وأن يبارك لنا في أعمالنا وأقوالنا وأعمارنا إنه جواد كريم.

[**الأسئلة**] نجيب عن بعض الأسئلة في فاتحة هٰذا الدرس:

سؤال (٥١٦): آمل التكرم بإعادة «شرح الواسطية» بعد الانتهاء من الطحاوية لأن غالب الطلبة لم يحضروا شرحكم، كثيرة وكثيرة إحالتكم للواسطية، إذا رأيتم إعادتها فهو خير.

**الجواب**: يحتاج إلىٰ يعني تأمل؛ لكن ما أظن النية ذلك لأنه مشينا علىٰ عدد من الكتب، والرغبة أن تبقىٰ الجلسات في الأشرطة ينتفع منها الناس، فالابتداء بكتب جديدة أولىٰ لتبقىٰ محفوظة في الأشرطة، ويمكن طالب العلم أن يرجع إلىٰ الشرح موجود يستفيد منه، هو موجود إن شاء الله.

فيه كتاب «مسائل الجاهلية» لإمام الدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ما أكملناه، وعدد من الإخوة اختاروا إكماله، أو نأخذ عدد من الكتب اثنين ثلاثة معه، فيصير الدرس متنوع لا بأس قررنا إن شاء الله يكون خير.

سؤال (٥١٧): تعلمون كثرة الكلام حول استعمال الرجال للدفوف وتسرّع البعض بالتحريم، نرجوا منكم تبيين الحكم.

**الجواب**: استعمال الدف للرجال العلماء اختلفوا فيه علىٰ عدة أقوال:

* فمنهم من رأىٰ المنع والنهي عن ذلك لأنه إنما أبيح للنساء في العرس وليالي الفرح، وأما الرجال فهم باقون علىٰ أصل المنع، وهٰذا ذهب إليه جمع من أهل العلم في ذلك، واستدلوا له بأن امرأة كانت تضرب الدف عند رسول الله ﷺ فلما دخل عمر ألقت الدف تحتها وجلست عليه فقال عليه الصلاة والسلام له: «**يا عمر إن الشيطان يفرق منك**»، استدلوا بقوله: «**إن الشيطان يفرق منك**» بأن هٰذا من عمل الشيطان والأصل في أعمال الشيطان أنها محرّمة.

* والقول الثاني أنه يباح الدف للرجال ويستدل أهل هٰذا القول بعدة أدلة منها أنّ النبي ﷺ أقر الضرب بالدف بين يديه وأتته امرأة فقالت: يا رسول الله: إني نذرت إن رجعت سالمًا أن أضرب علىٰ رأسك بالدف، فقال: «**أوفِ بنذرك**». فدل علىٰ أن الضرب بالدف واستماع الرجل له ليس بمحرم، لأنه قال: «**أوف بنذرك**»، ولا نذر في معصية الله جل وعلا، هٰذا الحديث رواه أبو داود وغيره بإسناد جيد. واستُدِلَ له أيضًا ببعض... السلف.

والكلام في المسألة راجع إلىٰ بعض الأحوال كالفرح بعرس أو بعيد أو في حرب أو في افتخار ونحوهما هل يُباح مطلقًا أم في هٰذه الصور التي جاء في الدليل ما هو من جنسها؟ العلماء مختلفون في ذلك، والمسألة تحتاج إلىٰ تحرير، مزيد تحرير، وكثير من علمائنا يمنعون منها لسد الذريعة في ذلك.

سؤال (٥١٨): يقول ﷺ لعمار: «**تقتلك الفئة الباغية**»، هل هٰذا معناه أن فرقة معاوية فرقة باغية؟

**الجواب:** قول النبي عليه الصلاة والسلام لعمار بن ياسر: «**تقتلك الفئة الباغية**» هٰذا حديث صحيح، وأهل العلم يستدلون به علىٰ أن الحق مع علي ﷺ وأصحابه، وأن معاوية ﷺ ومن معه أنهم كانوا متأوِّلون وبغوا علىٰ علي ﷺ، وإنما فعلوا ذلك باجتهاد كما هو معلوم، ولهٰذا لما قيل لمعاوية هٰذا الحديث: (إن عمارًا تقتله الفئة الباغية)، قال: (إنما قتله الذين أخرجوه)، يعني ما قتلناه، قتله الذين أخرجوه في أمر ليس بحق، فتأول حتىٰ الحديث وجعل عليًا ﷺ ومن معه الذين بغوا علىٰ أولياء بني عثمان ﷺ.

والصواب في ذلك هو ما عليه مُعتَقَد أهل السنة والجماعة من الترضي عن الجميع، واعتقاد أن الصواب والحق مع عليّ ﷺ وأصحابه، وأنّ معاوية ﷺ بغىٰ علىٰ عليّ في ما ذهب إليه، وأنه لم يكن أيضًا هٰذا كل ما حصل بإختيار معاوية ﷺ، بل كان ثَم من يفسد بين الفئتين وهم الخوارج قاتلهم الله.

المقصود من ذلك أن محبة الجميع فرض، ومعاوية ﷺ كاتب وحي النبي ﷺ، ولا يجوز التنقص منه، وولايته كانت من خير الولايات، يعني هو خير مِلك ملَك؛ لأنه صحابي وأقام الجهاد واجتمعت عليه الأمة في وقته، وعليّ ﷺ من هٰذه الجهة لم تجتمع عليه الأمة، فلذلك حصل من الخير ومراغمة الأعداء وقتال أعداء الله وجهاد المشركين وسعة انتشار الإسلام في وقت معاوية ما لم يحصل في خلافة علي ﷺ.

فلهٰذا الله أعلم بمواقع حكمته وقدَره؛ ولكن علي ﷺ هو المصيب، وهو [علىٰ حق]، وهو الخليفة الراشد، وهو رابع الخلفاء ورابع المبشرين بالجنة وهو أفضل وأعلىٰ مقامًا من معاوية ﷺ جميعًا بلا شك، ولكن معاوية كان في ذلك متأولًا وكان في عهده من الخير ما يُحمد له.

سؤال (٥١٩): ما رأيكم بموسىٰ الموسوي؟ قرأت له ردودًا علىٰ الإمامية وقيل إنه شيعي.

**الجواب:** موسىٰ الموسوي أحد الإمامية الرافضة نقم ما علىٰ الخميني دعوته في ولاية الفقيه وفي بعض أمور السياسة، فرحل إلىٰ أمريكا وأنشأ له هناك دارًا ومركزًا، وألف بعض الكتب باللغة الإنجليزية والبعض باللغة العربية، وبعض كتبه كـ: «الشيعة والتصحيح» و«التشيع والتشيع»، و«يا شيعة العالم استيقضوا» ونحو هٰذه الكتب مفيدة في الرّد علىٰ الشيعة، وبيان أن منهم من يردّ عليهم من كتبهم، وأنهم متناقضون، وأن الحقّ ليس معهم، وأنّ عندهم من التناقض وعندهم من مخالفة ما عليه أكابرهم المتقدمون ما يدل علىٰ فساد ما ذهبوا إليه، فكتبه مفيدة في باب.

**لكنه هو يذهب إلىٰ شيء يجب أن تنتبه إليه**، وهو أن الشيعة حق وأن التشيع حق وأن الجعفرية حق، وأنه لا يجوز أن يُتعدىٰ علىٰ التشيع من حيث هو، وأن السنة والشيعة فرقتان من فرق الإسلام لا ينبغي أن يكون بينهما كبير فرق.

ومع هٰذا فهو رد علىٰ الشيعة في مواضع كثيرة، مثلا أذكر له في كتابه «الشيعة والتصحيح» ذكر عدة مسائل منها مسألة العصمة، مسألة ترك الجمعة وزواج المتعة. وأيضًا ذكر -وهي مسألة مهمة- عقد لها بابًا سماه (الشيعة ومراقد الأئمة)، وذكر في هٰذا نقدًا واضحًا وتضليلًا للذين يقدسون الأئمة ويتجهون

إلىٰ مراقدهم بالحج يعني إلىٰ قبورهم، وقال حتىٰ في صدر هٰذا الباب إن صح حفظي يقول في أول أسطر منه: (**يحلو لبعض الفئات أن تجعل معظّمهم مقدّسًا ويجعلون عليه خِلَعًا من صفات الإله، كما فعل الناس من المسلمين بمعظَّميهم فلدىٰ السنة معظمون خلعوا عليهم من صفات الإله وجعلوا يذهبون إليهم بالذبائح والنذور والطلبات والاستغاثات، وللشيعة أيضًا مقدَّسون ومعظمون خلعوا عليهم من صفات الإله ولم ينجُ** -هٰذه عبارته- **من هٰذا التخريف إلا الطائفة الموسومة بالسَّلفية**).

فعلىٰ العموم عنده ما عنده، وكتبه تستفيد منها، يستفيد منها طالب العلم في بعض الأمور وخاصة[1] في مسألة متىٰ بدأ القول بالعصمة، ومتىٰ بدأ الانحراف، انحراف الشيعة عن أقوال الأوائل، أرخها في كتبه تأريخًا جيدا، وبين أن بداية الانحراف كانت في أوائل المائة الرابعة بدأ القول بالعصمة وبدأ الانحراف عن طريقة أئمتهم الأولين، فيُرَدّ عليهم من كلام بعضهم.

- فيه بعض الأسئلة خاصة، يعني فتاوىٰ خاصة يمكن أن يسألني بعدها.

سؤال (٥٢٠): اختلف العلماء والمفسرون في قول حقيقة تأويل كذبات إبراهيم عليه السلام فما الأقوال المرجحة في ذلك ؟

الجواب: ما أدري إيش معنىٰ تأويل كذبات إبراهيم؟ يقول اختلف المفسرون تأويل الكذبات في الحديث، ماذا يعني بها؟ علىٰ كل حال الكذبات التي تذكر في الحديث هي معروفة كلها كذبت في ذات الله قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾[الصافات]، ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾[الأنعام:٧٦] وقوله في زوجه سارة هٰذه أختي وكان متأولا في ذلك وصادقا وفيها مصلحة فهو خشي أن تجعل من الكذب باعتبار الظاهر لا باعتبار الباطن.

سؤال (٥٢١): الأرض متىٰ تزكىٰ، هل يكون ذلك متىٰ عرضها للبيع كلفظ الحديث؟ أم إذا نوىٰ تكون هٰذه الأرض استثمارا تجاريا؟

الجواب: الأرض فإذا ملكها المسلم بفعله بنية التجارة ثم أعدّها للبيع فإنه حينئذٍ فيها الزكاة وتزكىٰ زكاة عروض تجارة تقوَّم بعد حول من ملكها ملك تجارة وإعدادها للبيع تقوَّم وتزكَّىٰ قيمتها إذا كانت عندهم، وإذا لم تكن القيمة الزكاة عنده يخرج مما عنده فإنه ينتظر حتىٰ يبيعها ثم يُخرج زكاتها.

والأصل في ذلك عند العلماء حديث سَمُرة الذي رواه أبو داود وغيره أنه قال: كنا نؤمر أن نخرج الصدقة مما نعده للبيع. هٰذا الحديث رواه أبو داود وإسناده فيه مجاهيل ولكن قال بعض أهل العلم إن إسناده مقارَب أو مقارِب -بفتح الراء أو بكسرها- وهٰذا لأجل أنها نسخة وهي رُوي بها عدد من الأحاديث وليس حديثا واحدا، والنسخ ربما اغتفر فيها العلماء علىٰ اعتبار أنها وجادة وتناقل بالإسناد ما لا يغتفر في التحديث.

والصحيح أن إسناده ضعيف، ولكنه مأخوذ به لدلالة عدد من الأحاديث علىٰ زكاة التجارة منها ما رواه الحاكم بإسناد جيد أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال: «**وفي البز صدقته**» والبز هو القماش الذي

---

(١) نهاية الشريط الثامن والأربعين.

يبيعه التاجر، ومنها ما واه البخاري في «صحيحه» وغيره لما منع ابن جميل وخالد والعباس الزكاة قال ابن عباس قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «أما **ابن جميل فما نقم إلا أن كان فقيرا ثم أغناه الله من فضله، أما خالد فإنكم تظلمون خالدًا فإنه احتبس أسيافه وأدرُعه في سبيل الله، وأما العباس فهي عليَّ ومثلها**» لأنه تقدم بصدقة سنتين، والشاهد منه علىٰ زكاة عروض التجارة قوله في شأن خالد ﷺ: «**إنه احتبس أسيافه وأدرعه**» فهم نقموا علىٰ خالد أنه لم يخرج الصدقة من الأسياف والأذرع والنبي ﷺ اعتذر له لا بأن زكاة عروض التجارة ليست بواجبة لكنه أوقفها، وإذا كان أوقفها فقد خرجت من ملحه فحينئذ تكون تكون ملكا للمسلمين أو للمجاهدين فحينئذ لا زكاة فيها.

فالصحيح الذي عليه جمهور العلماء للأدلة التي ذكرت وللأصول العامة وأن عروض التجارة فيها الزكاة بشرطين:

الشرط الأول: أن يملكها بفعله.

والثاني: أن ينوي بها التجارة من حين ملكه إياها.

ولعلماء الفقه تفاصيل في إذا حولها يعني من نية التجارة إلىٰ نية السكنىٰ وما شابه ذلك؛ لكن في ما ذكرنا ما هو كاف في هٰذا المقصود.

أما إذا فيه أرض ملكها ليبني عليها عمارة أو مسكنا، العمارة التأجير أو ليسكن فيها أو بنىٰ له بيتا ليسكن أو ليؤجره، فهٰذه لا زكاة فيها، الزكاة أن ينوي بها التجارة يعني عروض التجارة، أوش معنىٰ التجارة معناه الربح يعني أنه يشتريها ليطلب بها الزيادة، هٰذا داخل في أصل المال أنه مال قابل للنماء إلىٰ آخره.

ومن أهل العلم ممن يقولون بزكاة عروض التجارة من يقول: لا تجب زكاة العروض إلا في الأموال المدارة. وهو قول الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ وهو مذهب المالكية، يجعلون الأموال الجامدة غير المتحركة لا زكاة فيها، وأما الزكاة في حق من يملك الأموال المدارة، بمعنىٰ تاجر عقار يبيع ويشت يبيع ويشتري، تاجر أسهم يبيع ويشتري، واحد عنده محل دائما يغير يدير المال فهٰذا هو الذي يقدره في وقت من السنة ويزكيه لأنه مُدير وليس كل أحد يعتبر مديرا عندهم.

لكن ظاهر الأدلة أن عروض التجارة تجب إذا كانت للتجارة سواء أكان مديرا أم لم يكن مديرا، وهٰذا له ارتباط بأساس المال؛ لأن هٰذا المال الذي اشترىٰ به هٰذا الأرض هو قابل للنماء فشراؤه للأرض هٰذه للتجارة أو عمارة للتجارة أو شيء للتجارة هٰذه هو يطلب فيها النماء، وما كان كذلك فهو داخل تحت الأصل في وجوب الزكاة في الأموال التي تقبل النماء وخرج من نحو قوله: «**ليس علىٰ المسلم وفي فرسه ولا عبده ولا داره صدقة**» لأنه ليس معدّا للنماء.

والله تعالىٰ أعلم. نكتفي بهٰذا القدر.

سؤال (٥٢٢): ثبت أن الله تعالىٰ خط التوراة لموسىٰ بيده فهل ثبت أن الله تعالىٰ ناوله التوراة بيده؟

الجواب: ما أعلم ذلك، وظاهر القرآن لا يدل عليه.

سؤال (٥٢٣): أدرس في إحدىٰ الثانويات، وعندنا مدرس ينصح باستماع أشرطة طارق السويدان

لجميع الطلاب، والتي يأتي بها إلىٰ المدرسة لبيعها بأسعار مخفضة ما رأيكم في هٰذا، نرجو الإجابة بأهميته والاختلاف فيه؟

الجواب: لا يطلق القول في الأشرطة -أشرطة الأخ المذكور- يطلق القول بردها جميعا أو قبولها جميعا، منها ما هو حسن ومنها ما عليه فيه ملاحظات، فهو ليس بطالب العلم يحسن مواضع الخلاف ومواضع العقيدة، وإنما أراد أن يبسط قصص الأنبياء ويبسط السير بأسلوب ينفع الناس فيها، فاجتهد في ذلك فما أخطأ فيه فيجب الانتباه لذلك وحذفه من الشريط أو بيان ذلك له ليصحح ذلك، ولا يطلق القول بأنها كلها نافعة أو كلها غير نافعة؛ بل ينبغي النظر فيما اشتملت عليه.

وبعض الإخوة ذكر لي أنه فيما مضىٰ جاء هنا لسماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأنه نبهه علىٰ بعض الأشياء وأنه صححها في الأشرطة الجديدة، ما أدري عن صدق هٰذا الكلام ...

المقصود أن بعض هؤلاء كانت نافعة فيراجع قبل ثم بعد ذلك لا بأس، وإذا كان فيها خطأ أو غلط في العقيدة أو تساهل مع أهل الفرق الضالة أو نحو ذلك فهٰذا لا يجوز التساهل فيه.

اقرأ...

📖 وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا، وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في أواخر هٰذه العقيدة المباركة العقيدة الطحاوية: (وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا، وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ.) وهٰذه الجملة منه في عقيدته يريد بها تقرير أصل من أصول أهل السنة والجماعة؛ وهو أنهم لا يصدّقون من يدّعي شيئا من علم الغيب أو يدّعي حالًا مخالفة لما دل عليه القرآن وسنة النبي ﷺ وما أجمعت عليه الأمة في صدرها الأول.

وسبب إيرادها في العقيدة أن زمنه كَثُر فيه من ينتسب إلىٰ الأولياء ويكون له أحوال شيطانية، ويكون له هدي يخالف به ما يجب علىٰ الأولياء من طاعة الله ورسوله ومعاداة الشياطين، وربما كان منهم من يدّعي بعض علم الغيب فيكون كاهنًا، أو يُخبر ببعض المغيبات فيكون عرّافا، أو يكون علىٰ حال لم يكن عليها السلف ولا ما أجمعت عليه الأمة فيكون مدَّعيا لشيء يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

وهٰذا كان أنه كان في الدجالين كذلك كان في السحرة والكهنة حقيقة، وكذلك في بعض من ينتسب إلىٰ الصلاح والطاعة ظاهرا وهو في الباطن من إخوان الشياطين ومواليهم.

وما ذكره ظاهر الدليل من كتاب الله جل وعلا ومن سنة رسوله ﷺ.

ونذكر تحت هٰذه الجملة مسائل:

**المسألة الأولى**: الله جل جلاله هو المختص بعلم الغيب فلا يعلمه أحد الغيب بل الله جل وعلا هو الواحد الأحد وهو العالم بغيب السماوات والأرض وما فيهن ومن فيهن.

قال جل وعلا: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام:٥٩].

وقال جل علا في سورة النمل: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[النمل:٦٥].

وقال جل وعلا: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾[الجن]، الآية.

وكذلك في قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[لقمان:٣٤].

فدلت هٰذه الآيات أن علم الغيب مختص بالله جل وعلا، والمقصود به علم الغيب المستقبل؛ يعني ما سيكون في الأرض أو في السماء هٰذا لا يعلمه علىٰ اليقين وعلىٰ الحقيقة إلا الله جل وعلا، إنما الناس يخرسون في ذلك وواجب اعتقاد أن الله جل وعلا يعلم الغيب وحده جل جلاله وتقدست أسماؤه.

ومن ادّعىٰ شيئا من علم الغيب فإنما هو من الشياطين أو من إخوان الشياطين كما قال جل وعلا: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ﴾[الأنعام:١٢٨]، فذكر أنّ الجني يستمتع بالإنسي بعبادته له وتقرّبه له، وأن الإنس يستمتع بالجني بما يخبره من المغيبات وما يكون.

وهٰذا دلت عليه أيضا عدد من الأحاديث عن النبي ﷺ، وكانت الكهانة وهي ادعاء ما يُستقبل من الأمور من الغيبيات، أو العرافة -سيأتي تفسيرها- كانت من الأمور الشائعة في زمنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ

وقبل ذلك من أمور الجاهلية قد روىٰ مسلم في «الصحيح» أن معاوية بن الحكم السّلمي أتىٰ النبي ﷺ وقال له: إنّ رجالا يتكهّنون فنهاه النبي ﷺ عن ذلك، وقد جاء أيضا في الحديث «ليس منا من تكهن أو تكهن له»، وسيأتي باقي الأحاديث في الكهانة.

وسبب ادّعاء علم الغيب في الناس من قبيل الكهان أو العرافين أو المنجمين أو من شابههم وأن الشياطين تمدّهم بالمعلومات والشياطين قد تمدهم بمعلومات كاذبة، وقد تمدهم بمعلومات فيها صدق، وقد يكذب الكاهن أو العراف أو المنجم مع ما أتاه من المعلومات مائة كذبة أو أكثر، وهٰذا سببه يعني ما يصدقون فيه من الإخبار بالمعلومات سببه أن الله جل وعلا إذا أوحىٰ بالأمر في السماء وأمر ملائكته به مما يُنفذه في خلقه لأن الملائكة منفّذون لأوامر الله جل وعلا لن الشياطين أعطاهم الله جل وعلا القدرة وعلىٰ الاستماع وعلىٰ الصعود وأن يعلو بعضهم بعضا فيما أقدرهم الله عليه، فربما استمع بعض ما يوحيه الله جل وعلا لملائكته وما يلقيه الملائكة بعضهم إلىٰ بعض، ولأجل هٰذا مُلئت السماء بالشهب وحرست بالنجوم التي تقتل من يسترق السمع، كما قال جل وعلا: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾[الحجر]، وقال جل وعلا: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾[الصافات]، وقال: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾[النجم] في بعض التفاسير فجعل الله جل وعلا في السماء رجوما للشياطين وهي هٰذه الشهب، وإذا كان كذلك فإن ملء السماء بالشهب واسترق السمع له تفصيل سيأتي إن شاء الله تعالىٰ في مسألة لاحقة.

**المسألة الثانية:** قال: (**وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا**) العلماء اختلفوا في معنىٰ الكاهن والعراف، تفسير هٰذا وهٰذا، علىٰ عدة أقوال، وظاهر صنيع المؤلف الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يفرق بين العراف وبين الكاهن، وسبب التفريق أن الأحاديث جاء فيها ذكر الكاهن وجاء فيها ذكر العراف ذكر الكاهن مفردا والعراف مفردا، وجاء فيها ذكر الكاهن والعراف مجموعين مما يدل علىٰ الفرق بينهما.

لهٰذا إذا نظرت إلىٰ أصل اللغة فإن كلمة تكهَّن وكاهن غير كلمة تعرّف وعارف صيغة المبالغة عرّاف.

لأن تكهّن هو رجم الإنسان للغيب فيما لا يعلم؛ يعني أنه يستقبل ما سيأتي بما لا علم له به، ويدخل في ذلك عموم الظَّن؛ لكن الظن ليس معه افتئات لعلم الغيب، وأما التكهن فصار فيه ظن هو في الأصل هو في اللغة، وظن فيما سيحصل مستقبلا، لهٰذا يجوز لغة أن يقول القائل: تكهنت أنه سيكون كذا وكذا علىٰ اعتبار في المستقبل أنه يظن أنه يكون كذا وكذا.

ثم شاع هٰذا الاسم فيمن يدّعون علم الغيب بواسطة الشياطين، فصار لقبا واسما علىٰ طائفة مخصوصة وهم الذين يُخبرون الناس، يتولون هٰذه الصنعة ويخبرون الناس عمّا سيكون من أحوالهم فيما يستقبلون من الزّمان.

فإذن صار الكاهن كما عرّفه بعض العلماء علىٰ هٰذا الاعتبار هو من يقضي ويخبر بالمغيَّبات.

وأما لفظ العراف فهو في اللغة أصله من عرف أو تعرف يتعرف فهو متعرف أو عراف فهو الذي يعرف بأمور غيبية يعرفها فيخبر بها، وهٰذا يشمل الأمور الغيبية في الزمان الماضي مما حدث أو مما سيكون؛ لأن المعرفة والتعرّف تشمل الماضي والمستقبل؛ لكن خُصّ في بعض الاستعمالات بأنه من يخبر عن

الأمور التي حصلت وانتهت مما خفي من الناس كالإخبار عن المكان المسروق أو الضالة أو يبحث عن شيء أضاعه الإنسان أو شيء حصل وخفي عن الناس ونحو ذلك من المسائل.

إذا نظرت إلىٰ هٰذا الأصل اللغوي وارتباط ذلك بحال أهل الجاهلية، فالعلماء اختلفوا في ذلك علىٰ عدة أقوال:

**القول الأول**:

أن **الكاهن**: هو القاضي بالغيب، وهو الذي يخبر عن أمور مستقبلة من الغيب مستعينا في ذلك بالشياطين.

**والعراف**: هو الذي يُخبر عما خفي مما حدث وغاب عن الناس بالاستعانة أيضا بالشياطين.

**القول الثاني**:

أن الكاهن يعم الجميع، فالعراف أخص والكاهن يدخل فيه من يخبر بالأمور المستقبلة أو ماضية غابت عن الناس، أو التنجيم أو نحو ذلك، فيجعلون:

**الكاهن** اسما عاما لكل من يدعي شيئا من علم الغيب فيدخل فيصور كثير من الضرب بالرمل ومن الودع ومن الخشب والاستقسام بالأزلام خشبة (أ ب ج د) والضرب بالحصىٰ ونشر السُّبَح، والخط في الرمل ونحو ذلك ما هو شائع عندهم، وأدخل فيها طائفة من المعاصرين -كما سيأتي بيانه- التنويم المغناطيسي وما يجري مجراه.

**والعراف** أخص من هٰذا فيكون مخصوصا باسم، والاسم العام الكاهن.

هٰذا القول الثاني هو المشهور عند أهل العلم والأكثر عليه.

**القول الثالث**: أن العراف أشمل والكاهن أخص منه.

لأن **الكاهن** مخصوص بالعلم المستقبل بحسب قولهم.

**والعراف** بكل من يبحث شيئا من علم الغيب.

وهٰذا هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية كما نقله عنه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد.

والراجح من هٰذه الثلاثة أنّ الكاهن اسم غير اسم العرّاف فالكهانة لها صفتها وأحكامها، والعراف له صفته وأحكامه علىٰ نحو ما ذكرنا في القول الأول.

**المسألة الثالثة**: دلت الأدلة في سنة النبي ﷺ علىٰ أن تطبيق الكاهن أو العراف أنه محرم بل كل وعلىٰ إتيان الكهنة والعرافين لها إثم كبير.

فمن ذلك ما رواه الإمام مسلم في «صحيحه» من حديث حفصة -ولم يسمها مسلم-؛ بل قال علىٰ بعض أزواج النبي ﷺ وهي حفصة أم المؤمنين أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال: «**من أتىٰ عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**».

وجاء في «سنن أبي داود» حديث أبي هريرة أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال: «**من أتىٰ كاهنا فصدقه فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ**».

وفي «مسند الإمام أحمد» أيضا من حديث أبي هريرة أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال: «**من أتىٰ كاهنا أو عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**». وإسناده صحيح.

فدلَّت هٰذه الأحاديث علىٰ أن إتيان الكاهن أو العراف منهي عنه وأن سؤاله كبيرة من كبائر الذنوب إثمها عظيم ترتب عليه أن لا تقبل المرء الصلاة أربعين ليلة من عظم الإثم، وأنه إن سأله فصدق فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

إذا تبين ذلك فقوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**من أتىٰ عرافا فسأله عن شيء**» هٰذا فيه عموم سأله عن شيء يعني عن أي شيء سواء أكان فيما مضىٰ عن ضالة أو عن شيء مفقود أو عن شيء في المستقبل فإنه لا تقبل له صلاة أربعين ليلة، وسبب ذلك أن العراف لا يستدل علىٰ ما غاب بأمور ظاهرة أو بتجربة أو بأسباب معلومة، وإنما يستعين بالجن والاستعانة بالجن شرك؛ لأن الجن لا يُعينون الإنسان إلا إذا تقرّب إليهم وأعطىٰ بعض العبادة لهم ومكّنهم ليستمتعوا به، كما قال جل وعلا: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾[الجن]، يعني زاد الجنيُّ الإنسيَّ رهقا وإثما وبلاء.

«**لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**» اختلف العلماء هنا هل عدم القبول يعني الإجزاء ولكنه لا يثاب؟ أم أنها لا تقبل بمعنىٰ أنها لا تجزئ لو صلىٰ ولكن يجب عليه أن يفعلها يعني أن يقيمها، وأنه لا يثاب عليها لأنها لن تقبل منه وهٰذا في نظائره في تفسيره (عدم القبول) يعني عدم الإجزاء أو عدم الثواب.

والظاهر هنا أن عدم القبول بمعنىٰ عدم الثواب؛ لكنه إذا أداها سقط عنه الفرض، بإجماع الأمة أنه لا يجب عليه أن يعيدها بعد اقتضاء الأربعين ليلة.

وأما تصديق الكاهن أو العراف يعني إذا سأل سائل فصدقه، فما في الحديث ظاهر وهو أنه قال: «**فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد**» هٰذا في حال السائل المصدق، فكيف بحال الكاهن نفسه وعد السائل الذي يأتي أنه فقد كفر، فكيف بالكاهن أو بالعراف؟

لهٰذا هنا مسألتان:

⇦ **المسألة الأولىٰ**: في حكم الكاهن أو العراف والصحيح أنهم إذا استعانوا بالشياطين في ذلك، يعني لم يكونوا دجالين وإنما فعلا يخبرون عن استعانة بالشياطين فإن هٰذا كفر، ويجب استتابتهم إن تابوا وإلا قتلوا عند كثير من أهل العلم، علىٰ تفصيل مر معنا في حكم الزنديق وأمثاله.

⇦ **الثاني**: هو في حال السائل قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد**» الكفر هل هو كفر أكبر مخرج من الملة؟ أم كفر أصغر دون كفر؟ أم يتوقف فيه فلا يقال: كفر أكبر ولا كفر أصغر لعدم الدليل علىٰ ذلك. ثلاثة أقوال لأهل العلم:

⬅ ومن أهل العلم من المعاصرين وممن قبلهم من قال: أنه كفر أكبر بظاهر قوله: «**فقد كفر**»، ويفتي به عدد من المشايخ هنا.

⬅ ومن أهل العلم من يقول: هو كفر دون كفر، وهٰذا أظهر من حيث الدليل لأمرين:

☜ **الأمر الأول**: أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ كما في رواية أحمد قال: «**من أتىٰ كاهنا أو عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**» فرتب عدم قبول الصلاة علىٰ السؤال والتصديق

معا، ولو كان السائل الذي صدق كافرا فإنه لا تقبل صلاة حتىٰ يتوب دون تحديد لمدة معلومة.

☜ **السبب الثاني** في ترجيح هٰذا القول: أن الناس يصدّقون العراف والكاهن لا علىٰ اعتبار أنهم يدّعون علم الغيب وأنهم ينفذون علىٰ علم الغيب بأنفسهم؛ ولكن يقولون: هٰذا -يعني ربما قالوا- هٰذا ممن اخترقته الشياطين. فيكون لهم شبهة في ما يصدقون به وهٰذه الشبهة تمنع من أن يعتقدوا فيهم أنهم يعلمون علم الغيب مطلقا، وهٰذا يكثر في حال من يصدّق من ينتسبون إلىٰ الصلاح أو يظهر عليهم الولاية والصلاح ويخبرون بالمغيبات، والناس يصدقونهم علىٰ اعتبار أنهم يحدَّثون به ولهم في ذلك -كما ذكرنا- من شبهة، وهٰذه تمنع من إخراجهم من الملة والكفر الأكبر.

ولهٰذا صار الصحيح هو القول بأن تصديق الكاهن يعني في الخبر المغيب بخصوصه يعني من أتىٰ فسأل فصدق بالخبر بعينه أن هٰذا كفر دون كفر لا يخرج من الملة؛ لكن يجب معه التعزير البليغ والردع حتىٰ ينته عما سماه النبي ﷺ كفرا.

☚ القول الثالث وهو رواية عن الإمام أحمد فلا يقال: هو كفر أكبر ولا أصغر؛ لأن الحديث أطلق ثم لبقاء الردع في الناس والتخويف في هٰذا الباب.

**المسألة الرابعة:** الشبهة التي ذكرنا من استراق السمع هي التي جاءت فيها الآيات أن الشهاب يرسل علىٰ الشيطان أو علىٰ الشياطين الذين يسترقون السمع.

واستراق السمع له ثلاثة أزمنة:

**الزمن الأول**: ما كان قبل البعثة قبل أن يوحىٰ إلىٰ محمد ﷺ، يعني في حال أهل الجاهلية، وهٰذا كان كثير لحكمة الله جل وعلا في ذلك، كان استراق السمع كثيرا، ولذلك كان ما يُخبر به الكهان ويصدقهم الناس به كان كثيرا.

**المرحلة الزمنية الثانية**: بعد أن أوحي إلىٰ النبي ﷺ فإن السماء ملأها الله جل وعلا حرسا شديدا وشهبا، كما قال جل وعلا في سورة الجن مخبرا عن قول الجن في صدر السورة ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١﴾[الجن] إلىٰ أن قال: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨﴾[الجن] فدلّ علىٰ أنها ملئت، ولم يعهدوا ذلك من قبل؛ يعني أن الله جل وعلا جعلها محروسة لأجل وقت تنزّل وحيه علىٰ رسوله محمد ﷺ حكمةً منه، وإلا فالله سبحانه قادر لئلا يأذن بشيء منه من اختراق السمع لكن لله جل وعلا الحكمة والابتلاء لعباده.

فمُنعوا من الاستماع، ومنعوا من استراق السمع وبقي ما ينفذ القليل جدا بالنسبة إلىٰ ما سبق.

**المرحلة الثالثة**: هي ما بعد عهد النبي ﷺ، فإن ظاهر الأدلة يدل علىٰ أنها لم تخلُ بعد ذلك من الشهب ومن حراستها في ذلك لئلا يدَّعي أحد أن النبوة وتكثر الشبهة معه فيما يخبر بالمغيبات ممن يدّعي النبوة.

وإذا كان الأمر كذلك في هٰذه الأحوال الثلاثة؛ فإن ادّعاء علم الغيب كفر، إذا كان ادعاء علم الغيب كفر إما لتهجمه علىٰ ما يختص الله جل وعلا به، أو لأنه لا يدّعي علم الغيب إلا من يستعين بالجن ويتقرب إليهم، وأما الذي يصدّق من يدعي علم الغيب في بعض الأحوال مثل ما ذكرنا هٰذه لها تفاصيل ذلك.

والواجب أن يُعتقد أن الغيب كما قدمت لك في أول المسائل أن الغيب مختص بالله جل وعلا: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦﴾ هٰذا يعمّ لأن أحدا نكرة في سياق النفي، فتعم كل أحد، ثم استثنىٰ الله جل وعلا فقال: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧﴾[الجن] فاستثنىٰ الله جل وعلا الرسول الملكي والرسول البشري فيما يطلعهم عليه من علم الغيب لدليل صدقهم أو لحكمة لله جل وعلا في ذلك.

**المسألة الخامسة:** الكِهانة والعِرافة متنوعة الصور، ففي الزمن الأول كان لها صور متعددة مثل الضرب بالحصىٰ، ومثل الخط، هٰذه لو كان هنا فيه لوحة بينت لكم كيف يضربون بالحصىٰ وكيف يخطون ويَصِلُون إلىٰ النتيجة بزعمهم ويتّضح لك أنه دجل؛ لأنه لا دليل منطقي ولا سبب كوني ولا شرعي يدلّ علىٰ النتيجة التي يدّعونها؛ لكن يدجل علىٰ الناس بأن يجعل شيئا لا يفهمه الناس يدّعي الكاهن أو العرّاف أو الضارب بالحصىٰ والرمل إلىٰ آخره يدّعي أنها تدله علىٰ المعلومة، وهو في الحقيقة لا يستدل عليها بالخط لا يستدل عليها بالخشبة التي يكتب عليها، لا يستدل عليها بالحصىٰ وإنما هي من الشياطين، وهٰذه الأشياء الصور المختلفة منها ما هو قديم ومنها ما هو حديث في أنحاء شتىٰ لكن كلها يظهر أنها سبب وليست بسبب.

وبخصوص الخط فإنهم يدعون دجلا وكذبا أن هٰذا من علم الله لبعض أنبيائه علم الله لبعض أنبيائه، وهٰذا قد يذكر بعضهم عليه قول النبي ﷺ لما سئل عن الخط كما رواه مسلم في الصحيح قال: «**كان نبي يخط كان نبي يخط فمن وافق خطه فذاك**» يعني أن أصل الخط أنه آية لنبي من الأنبياء علمه الله جل وعلا نبيا من الأنبياء يخط دلالة علىٰ ما يعلمه الله جل وعلا، وبقية الناس لكن لا يوافقون آية النبي؛ لأن آية النبي لا يستطيع أحد أن يفعلها؛ لأنها آية مختصة به، ولو كانت آية نبي تكون لكل أحد لما خصّ النبي بالآية لهٰذا كان قال «**كان نبي يخط**» ثم قال: «**فمن وافق خطه فذاك**» قوله: «**فمن وافق خطه فذاك**» هٰذا من الإحالة علىٰ مستحيل؛ يعني أن أحدا من هؤلاء الذين يخطون والكهنة والعرافين ومن نحا نحوهم لا يمكن لأحد أن يقول: هكذا خط ذاك النبي أو أن هٰذه آية من جنس آية ذاك النبي... الكهنة والذين يخطون ويدعون علم الغيب واخط كان عند الأنبياء فيرد عليهم بهاتين الجهتين:

الأول: انه آية وآية النبي لا يمكن لأحد أن يدركها.

والثاني: أن النبي ﷺ أحال علىٰ مستحيل قال: «**فمن وافق خطه فذاك**»، وهٰذا لا يمكن لأحد أن يدركه.

لهٰذا الخط في الرمل والضرب بالحصىٰ والخشب وأنواع ذلك هٰذه من الصور القديمة وهي موجودة الآن في بعض البلاد وهي كلها من وسائل الكهان ومن نحا نحوهم.

ومن الصور الحديثة التي اختلف فيها العلماء هل تدخل من الكهانة أو لا تدخل، وهل هي من استخدم الجن وعلم الغيب ما يسمىٰ بالتنويم المغناطيسي، وهٰذا له صفته وثم كتب كثيرة مؤلفة في ذلك من مختصين في هٰذا في أوربا وفي مصر وفي لبنان فيه معاهد تعلم هٰذا الذي يدعون أنه فن وأنه علم من العلوم.

وقد أثبتت اللّجنة الدائمة عندنا أفتت اللجنة الدائمة في فتوىٰ مطولة بأن التنويم المغناطيسي ضرب

من ضروب الكهانة واستخدام الجن ليتسلَّط -بحسب ما عبّروا- الجني علىٰ الإنسي فيحمله ويرفعه عن الأرض ويخبر بأمور مغيبة ويتسلط علىٰ نفسه وعلىٰ روحه فيكون له عليها سلطانا.

وثَم صور كثيرة، واليوم في عدد من البلاد -والعياذ بالله- ثم معاهد لتعليم عدد من هٰذه الأمور المنكرة، والواجب علىٰ المسلمين جميعا أن ينكروا هٰذا أشد الإنكار، لأنه:

تهجّم علىٰ ما يختص الله جل وعلا به أولا.

ثم إنه لا يكون إلا بالإشراك بالله جل وعلا إذا صدق استخدامهم للجن.

ثم ثالثا إنه فتح لباب الدجل والكذب علىٰ الناس وأخذ أموال الناس بالباطل.

وما يأخذه المتكهّن من المال وهو حرام عليه وخبيث كما جاء في الحديث الصحيح «**حلوان الكاهن خبيث**» يعني أنه كسب محرم خبيث، وقد جاء غلام عند أبو بكر الصديق ﷺ فأعطاه طعاما فأكله أبو بكر ﷺ ثم قال الغلام أتدري من أين هٰذا؟ قال: لا. قال: كنت تكهّنت -يقول غلام أبي بكر لبي بكر ﷺ- يقول: كنت تكهنت لرجل في الجاهلية فأعطاني هٰذا الحلوان. فجعل أبو بكر الصديق ﷺ يدخل أصبعه في فيه حتىٰ قاء كل ما في بطنه، فهٰذا من حيث الكسب حرام، ومن حيث السؤال حرام، وذلك لعظم هٰذا الذنب، فإنه لا يجوز إقراره ويجب علىٰ من يقدر علىٰ إنكاره أن ينكر، وعلىٰ أهل الحسبة ومن يلي هٰذا الأمر بخصوصه أن لا يتساهلوا في ذلك، وكذلك علىٰ الدعاة وأهل العلم أن يبينوا ذلك لأنه من مسائل التوحيد.

نكتفي بهٰذا القدر، وثَم مسائل أخرىٰ متعلقة بالجملة الأخرىٰ هي قوله: (**وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ**.) نرجئها إن شاء الله تعالىٰ إلىٰ الدرس القادم.

وأظن أنه بقي عندنا أربعة دروس إن شاء الله، وننتهي من هٰذا الكتاب العظيم، ألحقني الله وإياكم خيرا، وجعلنا ممن تعلم العلم له، إنه سبحانه جواد كريم، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

[**الأسئلة**] نجيب عن ثلاثة أسئلة ونمشي إن شاء الله.

سؤال (٥٢٤): قال بعض أهل العلم أنه لا يستعان بالجن لا مسلمهم ولا كافرهم، وذكر أن الجن يخبرون أنهم مسلمون هٰذا لا يصدق؛ لأنه من علم الغيب فنؤمن أن من الجن أن منهم المسلم والكافر إلىٰ آخره؟

الجواب: الاستعانة بالجن حرام سواء كانت استعانة بالجني الكافر الشيطان أو بالجني المسلم، وذلك لعدة أدلة:

منها أن استمتاع الجني بالإنسي والإنسي بالجني محرم في نصوص الكتاب والسنة وأنه لا يستثنىٰ من ذلك لم يرد الدليل بالاستثناء ولا بالتخصيص، فبقاء الأمر عمومه بما يشمل الجميع هٰذا هو الأصل وهو المتعيِّن.

الأمر الثاني أن الجن لهم قُدَر كما هو معلوم وانه في زمن النبي ﷺ كان منهم مسلمون كثير أسلموا قال جل وعلا: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١﴾[الجن] إلىٰ أن قالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[الجن:١١]، وكذلك قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾[الجن:١٤]،

وكذلك في آخر سورة الأحقاف: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ فالجن في زمن النبوة كان منهم من صحب النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ وأسلم بين يديه، وعندهم من القُدَر ما ليس عند غيرهم، وقد مضىٰ زمن النبوة بأزمان ولم يستعن النبي ﷺ بالجن، ولم يستعن الصحابة بهم وقد واجهتهم أشياء، فهٰذا الدليل وهٰذا الإجماع أعظم وأبلغ مما يُستدل به علىٰ أن هٰذا الأمر من البدع لأنه لم يكن في زمن السلف، هٰذه المسألة أظهر وابلغ لأنهم لم يستخدموا ذلك ولم يستعينوا بهم لا بسلمهم ولا بكافرهم.

وهٰذا له سبب، وهو أن الجني إذا زعم أنه مسلم فإن إثبات إسلامهم وإثبات صلاحه متوقف علىٰ أمر باطن لا يطّلع عليه الإنسان فأنت في الظاهر تحكم علىٰ الرجل إذا قابلك والجن منهم رجال ومنهم نساء ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾[الجن]، تحكم عليه بالظاهر من هيئته وشكله علىٰ أنه مسلم، والجن لا تعلم صدقهم ولا تعلم حقيقة ما ادعوا، فبقي الأمر علىٰ الأمر المغيب، ولهٰذا قال أهل العلم: إنّ رواية الجن للأحاديث ضعيفة، فلو أتىٰ الجني وروىٰ بالإسناد وقال قال رسول الله ﷺ كذا وهٰذا يقول أنا مسلم وأنا يقول أنا مسلم في الإسناد فعند أهل الاصطلاح بحثوا رواية الجن وقالوا: إنها ضعيفة لأن الجن ضعيف حتىٰ ولو قال أنا مسلم فلا يصدق في خبره.

المسألة الثانية التي تدل علىٰ المنع من الاستعانة بمسلمهم وكافرهم والمسالة علىٰ الاستعانة بالمسلمين أن فتح باب الاستعانة هٰذا هو فتح باب الشرك بالله جل وعلا، فيجب سده فهو أولىٰ من سدّ أنواع ذرائع الشرك، فالشريعة حرمت البناء علىٰ القبور لئلا يكون وسيلة لتعظيم أصحابها، وجاء تحريم بعض الوسائل وسائل الشرك لئلا يكون وسيلة، بعض وسائل البيوع المحرمة لئلا يكون وسيلة إلىٰ الربا وهكذا، والاستعانة بالجن الذين يُجهلون ولا يعلم حقيقة الحال، الاستعانة بهم لاشك أنه ذريعة بأن يأمر الجني الإنسي إذا فُتح الباب أن يأمره بالتقرّب أو ببعض الأشياء.

وقد بلغني بيقين عن بعض من يتعاطىٰ القراءة وهو من الجهلة ليس من أهل العلم ولا من طلبة العلم ممن فتح هٰذا الباب فسيطر عليه الجن وهو لا يسلم في هٰذا، وأصبح يأمرونه بأشياء وينهونه عن أشياء، وربما أذلوه في بعض الأمور، فسد الذريعة في هٰذا واجب ولا يجوز التساهل به.

الأمر الثالث والأخير استدل بعض من قال بجوازه ببعض التعبير، بعض العبارات عن شيخ الإسلام ابن تيمية في آخر كتاب «النبوات» وفي «الفتاوىٰ» معلومة كلام ابن تيمية في الموضوع؛ لكن شيخ الإسلام لا يريد بما قال إباحة الاستعانة، وإنما بحث حال المسلم مع الجني، فقال في أوله: وأولياء الله لا يعاملون الجن إلا بأمرهم الشرع ونهيهم عن ضده، كما كان حال النبي ﷺ وأصحابه، ثم ذكر الحال الثالثة: أنه قد يعرض الجني للإنسي في أمر يُعينه فيه هٰذا لا بأس به.

فيُحمل كلامه علىٰ أنه في حالة -لأن بعض السلف فعلها- في حالة أنه بعرض لها مثلا يأتيه ويقول أنا آتيك ويقول أنا أصحبك لصلاة الفجر أو يهديه للطريق مثل ما حصل للإمام أحمد قد يكون من الملائكة وقد يكون من الجن الله أعلم؛ لكن يقول الطريق من هاهنا فيتبعه هٰذا ليس استعانة ليس طلبا للعون، وإنما هو إرشاد وهٰذا الإرشاد متوقِّف علىٰ صدق المرشد وعلىٰ كذبه ليس هو استعانة طلب

للعون، ويقول له مثلا هو كذا أو الطريق من هنا أو هٰذا الشيء في الفلاني من دون أن يطلب وهٰذا خبر قد يكون صادقا وقد يكون كاذبا واختبار الخبر لا ما نع منه يختبر هل هو صادق أم كاذب.

المقصود أن هٰذه مسألة لا تتساهلوا فيها في هٰذا الوقت ولا فيما بعده؛ لأني أخشىٰ أن ينفتح علينا ذرائع الشرك ووسائل البدع من جرّاء القراء الجهلة الذين فتحوا باب الاستعانة بالجن في هٰذا الباب.

لأجل طول الجواب نكتفي بهٰذا القدر، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

سائل: الصحابة سألوا عنه فقالوا: إن امرأة معها قرين، فأخبرته فأخبرهم أن عمر خرج... ثم أخبر الجني ذكره بعض علماء الأثر.

الشيخ: لا أدري أوش المقصود.

المتدخل: يعني الصحابة استعانوا بهٰذا القرين في البحث عن عمر ﷺ أخبره أنه كان... الصدقة. ذكره الشيخ محمد في القول المفيد. ووش رأيك هل هو طلب أو خبر.

الشيخ: ما أعرف، هٰذا يحتاج إلىٰ إثبات أولا ثم هٰذا قد يحمل علىٰ أنه خبر لكن ما نعارض فيه شبه أكثر من هٰذا ما نعارض الأصول الشرعية، فيه مسائل في التوحيد لو نأخذ بعض المسائل هي أيضا تؤثر علىٰ كثير، ما نأخذ ما لا يُعرف، يجب في المشتبهات هٰذه أن تحمل علىٰ المحكم، المحكم هو الأصل، كون حادثة حدثت ما تدري عن تأويلها لأن حكايات الأفعال لها عدة توجيهات وعدة أحوال هٰذه توجها بكذا وهٰذه توجها بكذا، من قال أنه توجه إلىٰ الاستعانة فقط يحتاج إلىٰ استدلال؛ هل هم طلبوا العون أو أخبروا أو أوش الحال في الحقيقة، فما نحكم علىٰ فعل الصحابة لمناقضة حال النبي ﷺ، هٰذا في ما لو كان يعني فعلهم حجة في هٰذا، معلوم أن أقوال الصحابة فيه نظر في الاحتجاج، فكيف بأفعالهم إذا خالفت... ما أعرفها والله.

## الدرس الثامن والخمسون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

اللّٰهمَّ نسألك علما نافعا وعملا صالحا وقلبا خاشعا ودعاء مسموعا، اللّٰهمَّ لا تكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين فإنه لا حول لنا ولا قوة إلا بك، أما بعد..

[الأسئلة] فنجيب عن بعض الأسئلة.

سؤال (٥٢٥): ما حكم الصلاة مع وجود الدّفّاية أو المبخرة أمام المصلي؟

الجواب: الدّفاية والمبخرة ونحوهما مما هو نار اختلف أهل العلم في استقبال المصلي للنار ولكل ما كان من جنسها علىٰ قولين أو أكثر لكن الأشهر أنهما قولان:

**الأول**: الكراهة وهٰذا الذي ذهب إليه الإمام أحمد وأصحابه وهو المدون في كتب فقهاء الحنابلة رحمهم الله، وتوجيه ذلك أنّ جنس النار عُبِد من دون الله جل وعلا، فعبد المجوس النار إما لأنّها نار أو لما فيها من النور الذي يقابل الظلمة والظلمة والنور إلهان عندهم فلأجل هٰذا الاشتباه ولأجل أن المشركين ربما عبدوا النار فإن المشابهة في هٰذه تكون مكروهة.

**والقول الثاني**: أنه لا باس باستقبالها، وهٰذا هو الذي ذهب إليه جمع من أهل العلم ومنهم البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، كما ألمع إليه في ذكره لحديث صلاة النبي ﷺ واستقباله أو رؤيته بين يديه الجنة ورؤيته بين يديه النار، قال: «**عرضت علي الجنة وعرضت علي النار في مقامكم هٰذا**» فاستدل به علىٰ أن الاستقبال لا يكره لأن النبي ﷺ لم يحول وجهته أو لم يُشعر بلفظه أو بفعله أن هٰذا مكروه.

وتوسّع بعض أهل العلم فأدخل فيه في الكراهة يعني في القول الأول كل ما كان فيه النور إذا استقبله المصلي ولكن هٰذا توسّع ليس بجيد، والصواب أنه لا بأس بذلك لظهور دلالة الحديث عليه، وإذا تركها المسلم من باب الاحتياط فهو أولىٰ.

ثَم قليل أو نوادر قالوا بالحرمة؛ لكن لا وجه لهم؛ لأن القياس علىٰ عبادة المشركين للنار ليس هٰذا بمحله.

سؤال (٥٢٦): ما حكم قتل الحشرات بالكهرباء ؟

الجواب: إذا كان الكهرباء هٰذه لحقت الحشرات لتقتلها فإن هٰذا منهي عنه؛ لأن قتل أمة من الأمم أو طلب ذلك -يعني في غير مضرة كما سيأتي- فإنه ليس بمأذون به في الشرع وليس بسائغ، والعلماء يتكلمون في هٰذه المسألة في موضعين:

الأول: قتل الحشرات من حيث الأصل.

والثاني: قتل الحشرات بالنار أو بالكهرباء أو ما شابهها من الأجهزة الحديثة.

أما النوع الأول فقتل الحشرات جائز إذا كانت مضرة بالاتفاق واستدلوا بذلك بقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «**خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم**» فالحشرة إذا كانت ضارة مضرة بالإنسان سواء أكانت واحدة أو أكثر فإن قتلها جائز؛ بل مطلوب؛ لأن هٰذا يدخل في باب رد المعتدي أو رد الصائل أو رد

الأذىٰ عن ما يؤذي الإنسان.

وأما ما لا يؤذي مثل أن يأتي الإنسان في البر أو مكان لا يسكنه ولا يضره وجود الحشرات فيه فيسلط علىٰ النمل نارا، أو يسلط عليها أو علىٰ بعض الهوام من المواد الكيمياوية ونحو ذلك ولا يستفيد وهي ليست مضرة له، فهٰذا منهي عنه لأنه من قتل ما لم يؤذن بقتله.

أما المسألة الثانية فهي قتلها بالكهرباء أو بالنار أو بنحوها، فهٰذا إذا كانت مضرة دخلت في الباب الأول، وإذا كانت مضرة فإنه إذا طُلبت فإنه ينهىٰ عنه ويحرم، أما إذا وضعت النار والكهرباء وهي التي جاءت، فهٰذا لا يدخل في ما يُنهىٰ عنه لأن الحشرات من طبيعتها خاصة ما يطير منها أنها تطلب النار وثم تحترق فيها.

فالمقصود إذا طلبت النار فلا شيء علىٰ الإنسان، وإذا طلبها هو بالنار أتبعها ليحرقها بالنار فهٰذا منهيٌّ عنه.

سؤال (٥٢٧): الإخوان في الشيشان يسألون الإخوان الدعاء، فلماذا توقف الأئمة عن الدعاء لهم، وهل لهم من دعاء الآن وهل من دعا لهم الآن يعتبر مخالفا؟

الجواب: هٰذه المسألة كثر السؤال عنها وهي تحتاج إلىٰ تفصيل، ذلك أنّ النوازل التي تنزل بالمسلمين سواء أكانت نازلة عامة أو نازلة خاصة فإن الدعاء دعاء المسلم في النوازل طلبا من الله جل وعلا لكشفها ورفع كربة المسلمين في كل مكان هٰذا من ولاية المسلم للمسلم ومن محبة المسلم للمسلم، ومن النصرة التي أمر الله جل وعلا بها بنحو قوله: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد:٧]، وفي نحو قوله جل وعلا: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾[التوبة:٧١]، وفي نحو قوله جل جلاله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[المائدة:٥٥]، فوَلاية المسلم للمسلم تقتضي نصرته بما يستطيع، ومن ذلك الدعاء له، الدعاء في أوقات الإجابة وفي خطب الجمعة ودعاء الفرد أو دعاء الخطيب أو الدعاء في الدرب أو نحو ذلك هٰذا من الأمور المطلوبة شرعا لأنها من مقتضىٰ الوَلاية.

المسألة الثانية إدخال هٰذا الدعاء في الصلاة؛ يعني ما يسميه الناس القنوت -قنوت النوازل- وهو الذي جاء في الحديث أن النبي ﷺ قنت شهرا يدعو علىٰ قبائل من العرب ذكوان و.. ونحو ذلك من القبائل لما استحر القتل في القراء في ذات الرقاع كما هو معلوم.

وسنة النبي ﷺ كما هو معلوم التي يجب اتباعها لا أهواء الناس ولا عواطف الشباب ولا الرغبات المختلفة.

والسنة في قنوت النوازل حتىٰ ولو استنكر بعض من لا يعرف، ورأيت بعض الأوراق التي كُتبت، وهٰذا مما يؤكد علىٰ طلبة العلم حاجة الناس إلىٰ العلم، إذا كان الناس ألفوا الدعاء في بعض ما حصل للمسلمين في الماضي فيظنون أن تغييره تغيير للسنة وترك للنصرة، أو رد، أو عدم استجابة لحاجة المسلمين ونحو ذلك، هٰذا يؤكد أنه يجب علىٰ طالب العلم وعلىٰ من له ولاية خاصة أو عامة أن ننبه الناس، حتىٰ لا يتسارعوا في أمر وتغيب السنة في ذلك وتصبح المسألة بعد ذلك إذا غُيرت غيرت السنة تصبح محدثة عامة تتكرر.

والذي دلت عليه السنة في قنوت النوازل أشياء:

**الأول** أن النبي ﷺ قنت مرة ولم يقنت في كل نازلة قنت في ذات الرقاع لما استحر القتل بالقراء، ولم يقنت لما حصل قتل المسلمين في مؤتة، وكان من قُتل فيها جعفر وقتل فيها عدد ورجع المسلمون بعد أن حصل لهم ما حصل، وكذلك لم يقنت الصحابة ﷺ في كثير من النوازل التي مرت بهم، فالنبي ﷺ قنت مرة في نازلة عظيمة استحر القتل فيها بالقرّاء قتل منهم سبعون وكانوا هم حفظة القرآن وهم الذين يحفظون عن الناس كتاب الله جل وعلا.

**المسألة الثانية** مما دلت عليه السنة أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قنت هو فقط، في مسجده، ولم يأمر مساجد المدينة أن تقنت، فلم ينقل أحد من أهل الحديث ولا من الرواة ولا في كتاب لا سنن ولا صحيح ولا مسند ولا أجزاء حديثية فيما بلغني أن النبيﷺ يعني بإسناد صحيح أمر أحدا من المساجد أن يقنت.

فالقنوت ليست السنة فيه أن يقنت الجميع وغنما فإنما هو عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَم.

ُ ولهٰذا اصح أقوال أهل العلم في المسالة أنه لا يقنت إلا الإمام ويقنت المسجد الأعظم في البلد، وليس كلا مسجد جماعة وليس كل مسجد جمعة يقنت، وإنما يقنت الإمام وفي المسجد الأعظم إقتداءً بالسنة، وهكذا كان هدي الصحابة رضوان الله عليهم فلم يكتم في النوازل التي حصلت في عهد عمر في عهد علي أنه قيل لكل المساجد اقنتوا للنوازل.

فإذا كانت المسألة فيها خلاف وجب كما هو منهج أهل الحديث -وهو المنهج الحق- وجب فيها أن ترد إلىٰ السنة حتىٰ تستديم والعلماء لهم في المسألة أربعة أقوال:

**القول الأول**: أنه لا يقنت إلا الإمام فقط.

**الثاني**: أن يقنت الإمام الأعظم أو من ينيبه في المسجد الأعظم.

**الثالث**: أن تقنت كل جماعة سواء كانوا في مسجد أو لم يكونوا في مسجد فإنه تقنت كل جماعة.

**والرابع**: أنه يقنت حتىٰ المصلي وحده.

الأقوال الثلاثة الأولىٰ مختلفة عن أهل العلم يعني في المذاهب الأربعة وفي غيرها، وفيه ثلاث روايات عن الإمام أحمد، والأخير يقنت كل مصلي يعني إذا أراد هٰذا ذكر عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

والسنة تدل علىٰ القول الثاني، وهو أنه يقنت الإمام الأعظم أو من ينيبه في المسجد الأعظم في البلد يعني إئتمام في المسلمين أو من ينيبه الأعظم في البلد فقط دون سائر المساجد وهٰذا هو السنة في هٰذا الأمر فقط دون ما سواه.

**المسألة الثالثة** المتعلقة بهٰذا أن فهم معنىٰ النازلة والفرق بينها وبين المصيبة والقتل، والفرق بين النازلة الخاصة والنازلة العامة هٰذا مما يتعين أن يفرق بينهما؛ لأن السنة دلت علىٰ أن النبي ﷺ قنت وترك القنوت، قنت بعد ذات الرقاع ولم يقنت فيما نزل من مصائب في غيرها، فدلّ علىٰ التفريق بين هٰذا وهٰذا.

إذا تبين هٰذا التفصيل المختصر، فالواجب علىٰ طلبة العلم أن يكونوا متنبهين لهٰذه الأصول، ومن

تتبع سيرة أئمة الدعوة فيما مضىٰ، وجد أنهم لم يقنتوا علىٰ مدىٰ مائتين سنة الماضية إلا في ما ندر جدا في المصيبة التي يصابون بها هم؛ لأن هٰذا لا يخاطب به المسلمين -كما هو معلوم- وهٰذا هو الأوفق والقرب إلىٰ السنة في هٰذا الباب، والمسألة كما ترىٰ فيها خلاف والعالم إذا اجتهد في ذلك واختار أحد الأقوال فلا يعتب عليه أنه لم يأخذ بالقول الآخر؛ لأن الدليل هو محل الاعتبار في هٰذه المسائل المهمة.

تحصل من ذلك أن الدعاء مطلوب، وأن إدخال الدعاء في الصلاة هو محل البحث في القنوت.

ثم إذا صار قنوت النازلة فالواقع الآن يدل علىٰ أن كثير من أئمة المساجد لا يستحسنون قنوت النوازل ويدعو بما خطر له، وقد نص الفقهاء في كتبهم يدعو بما ينتسب النازلة ولا يدعو بما خطر له. لأن هٰذا الدعاء شُرِع لأجل النازلة فإذا دعا بما خطر له في غير موضوع النازلة قد أخرج هٰذا الدعاء عن موضوعه، وعما شُرع له فدخل فيما نهي عنه وقد يصل إلىٰ بدعة تبطل الصلاة وهو لا يشعر، وفيما حصل من قنوت في نوازل السابقة التي حصلت بها فتوىٰ من الإفتاء وأذن بها ولي الأمر فيما حصل في الماضي سمعنا وصلينا مع كثير من الأئمة لا يحسنون دعاء النوازل لو قيل حتىٰ كل مسجد جماعة، فإذا رأىٰ رؤيا أنه لا يحسنون دعاء النوازل ولا قنوت النوازل، فينبغي أن لا يؤذن لهم به لأنهم يحرفون الصلاة عن موضوعها وعن ما يشرع فيها.

ولا يتساهل الناس في بعض المسائل يحققون مصلحة من جهة -مصلحة الدعاء والقنوت-، ثم يحدث مفسدة من جهة أخرىٰ في أنهم لا يحسنون الدعاء، ويدخلون في مسائل ليست مما يدعىٰ له.

تحصّل من هٰذا البحث الذي ذكرت لكم علىٰ اختصاره أن الصحيح دلت عليه السنة أنه لا يقنت إلا الإمام الأعظم أو من ينيبه، وفي المسجد الأعظم فقط في النازلة التي تؤثر علىٰ أهل البلد.

أما قنوت المسلمين عامة لنازلة وقعت في بعضهم فهٰذا لا أصل له في السنة والله أعلم.

سؤال (٥٢٨): أيهما أولىٰ التصدق بالملابس أو إهدائها لأحد الوالدين مع عدم حاجتهما ؟

الجواب: هٰذا حسب أثر إهداء الملابس للوالدين، إذا كان أثر ذلك فيه البر بهما وإدخال السرور عليهما فبر الوالدين أرفع درجة من التصدّق، أما إذا كان مجرد إهداء ولا يشعر الوالدان أنه بر ولا أنه إحسان إليهما، فإنه تصدق علىٰ المحتاج أولىٰ.

سؤال (٥٢٩): إذا تعجّل الحاج فهل يرمي في اليوم الثاني عن ذلك اليوم وما بعده، أم يكتفي برميه لذلك اليوم ؟

الجواب: الله جل وعلا قال: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة:٢٠٣]، ومعنىٰ الآية أن من اتقىٰ الله جل وعلا وعظم حرماته وعظم شعائره، فإنه لا إثم عليه إذا تقدّم تعجل ولا إثم عليه إذا تأخر، وليس قوله: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ متعلقا بالمتأخر دون المتقدم يعني المتأخر دون المتعجل وقوله: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ هٰذه تمت الجملة، قال: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ يشمل الحالين؛ يعني لا إثم علىٰ المتعجل ولا إثم علىٰ المتأخر إذا كان الجميع قد اتقوا الله في تعجلهم واتقوا الله في تأخرهم.

وإذا تعجل الحاج في يومين؛ يعني مكث الحادي عشر والثاني عشر فإنه إذا رمىٰ الجمار بعد الزوال

يعني إلىٰ المغرب وخرج فإن هٰذا يكفيه ولا يجب عليه رمي اليوم الثالث عشر إلا إذا بات في مِنىٰ قاصدا؛ يعني إذا أتاه الليل في منىٰ قاصدا البيتوتة.

سؤال (٥٣٠): ذكرت حفظك الله كلاما حول طارق السويدان أشكل علىٰ كثير من أهل -كذا- الذين يكرهون أهل البدع ويناصرهم نرجو أن يوفقكم الله إلىٰ تفصيل الكلام في ذلك؟

الجواب: هٰذا الأسبوع الماضي كان الكلام؟

حصل إشكال في الأسبوع الماضي حول أشرطة طارق السويدان إلىٰ آخره؟

أنا بينت الكلام أن هٰذا سؤال الذي جاء من أستاذ مدرس يريد أن يعطي أشرطة طارق السويدان لمن يستفيد منها، فإذا كان الذي سيعطي للأستاذ طالب علم يميز الأشرطة الحسنة من غير الحسنة، يميز الأشرطة النافعة من غير النافعة فإن له أن ينتقي ويعطي ما لا ضرر فيه، أما من لا يحسن، مثل ما ذكرت لكم أشرطته فيها ما هو جيد يعني لبعض الناس وفيها ما هو غلط سواء كان في المنهج أو في التساهل مع بعض أهل البدع، ذكرت لكم أن سماحة الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ سبق أنه قابله وأنه رجع في عدد من المسائل وما أشبه ذلك في نقل بعض الثقات لي.

المقصود من هٰذا أنّ أشرطته إذا كانت الذي سينتقي ويُعطيها يعطيها من ينتفع بها طالب علم يحسن الفرق بين السنة والبدعة، وبين الصواب والغلط فلا بأس أن ينتقي ويعطي لأنّ منها أشياء لا بدعة فيها.

وأما التزكية المطلقة لأشرطته فلا؛ لأنها كما ذكرت لكم مشتملة علىٰ صواب، فمن عثر علىٰ ما غلط فيه الواجب المناصحة؛ لأن المرء لا يكتفي بأن هٰذا بحسن وهٰذا فيه أغلاط وهٰذا عنده كذا؛ بل ينبغي له أن تجمع ويناصح الذي أخطأ أو الذي توسع وكما هو معلوم المذكور ليس بطالب علم ولا من العلماء، وإنما أراد أن يقرب قصص الأنبياء والسيرة وبعض المسائل، فأصاب في كثير وربما غلط في بعض المسائل فتصحيح ذلك للفائدة العامة ينبغي.

إذن فلا ننصح كل أحد أن يأخذ ما لا يعرف، وإذا كان طالب العلم يهدي لمن ينتفع بها، مستواه يناسب هٰذه الأشرطة فينتقي ما لا غلط فيه ولا بدعة ويعطيها، هٰذا الذي يظهر لي في ذلك.

سؤال (٥٣١): ما هو الإجماع المعتبر؟

الجواب: الإجماع المعتبر هو إجماع أهل عصر من العصور.

سؤال (٥٣٢): هٰذا سؤال طويل لكن سأقرأه: لو لبس المحرم وقت البرد مشلح وألقاه علىٰ عاتقيه دون أن يدخل يديه فيهما كذلك إذا لبس الكنادر وهي دون الكعبين فما حكم ذلك ؟

الجواب: المحرم أوجب عليه النبي ﷺ وأمره أن يلبس أو أن يحرم في ثوبين وأن لا يلبس السراويل ولا الخمص ولا العمامة إلىٰ آخر ذلك...

وهو أن لا يلبس الخفين إلا ألا يجد غيرهما أو يقطعهما دون الكعبين.

من بعض المصطلحات التي أثرت في مسائل الشرع، مصطلح المخيط، السلف عبروا عن هٰذا الحديث بأنه يُنهىٰ عن لبس المخيط؛ **المحرم يتجرّد من المخيط**، وفُهم منه أن كل ما فيه خياطة فإنه يُنهىٰ عنه.

وهٰذا الفهم ليس بصحيح ولم يريدوه، لأن كلمة المخيط عند السلف يعني بها ما يخاط ويلبس عادة، ما يقاس علىٰ قدر البدن الثوب القميص سراويل، ما يخاط علىٰ قدر اليد هو القفازين، ما يخاط علىٰ قدر الرجل هو الجوارب؛ لأن لكل جزء من البدن له شيء يناسبه يخاط له.

إذا كان كذلك فليس المقصود من النهي من لبس المخيط إلا ما دل عليه الحديث، ما دلت عليه الأدلة في أنه لا يلبس شيئا من الملابس التي تصنع علىٰ قدر البدن أو علىٰ قدر عضو من أعضائه، وهٰذا يعني أن المشلة أو الكور أو ما هو أدفئ أو فروة إذا لم يجعلها كاللباس المعتاد فإنها لا تدخل في النهي؛ لأن النبي ﷺ لم يأمر بلس رداء وإزار، إذا جاء البرد كيف يتدفئ الإنسان يأتي ببطانية ويلقيها عليه، يستخدم ما يدفيه لكن بشرط أن يترك اللبس المعتاد، إذا كان المشلح هٰذا يلبسه بإدخال يديه فإلقاؤه علىٰ كتفيه للتدفية هٰذا بأس به ولا يدخل في لبس المخيط أو لبس ما نهي عنه، كذلك لبس النعال التي فيها خياطة مثلا النعال، يلبسون البلاستيك هٰذا ونحوها لأن ما فيها خياطة، هٰذا ليس قصدا، لو اعتقد أيضا يلبس هٰذه النعال البلاستيك أنها هي السنة هٰذا أيضا يحتاج إلىٰ تنبيه؛ لأن السنة أن لا تلبس ما خيط علىٰ قدر البدن وألا تلبس الخفين أما النعال فلم يأت نهي فيهما.

فالإحرام يكون في نعليه، فالحاج ليس عنده نعلين أو اشتد عليه البرد فله أن يلبس الكنادر هٰذه لأنها خف مقطوع، لكن لا يلبسها ابتداءً ولكن يلبس النعلين إذا لم يجد إلا الكنابل هٰذه التي لا تبلغ إلا إلىٰ الكعبين فلا بأس[1].

إذا ما وجد إلا خف فهل يلزمه قطعه؟ خف طويل – بوت – يعني الذي يسمونه أو الذي يسميه الجنود – أيش – بسطار أو نحو ذلك، فهل يلزمه قطعه؟ اختلف العلماء في ذلك، والصحيح: أنه لا يلزمه قطعه وأن إلزام القطع منسوخ، لأن النبي ﷺ قال ذلك في المدينة ولما أتىٰ في عرفة لم يأمر بقطعهما إذا احتاج إلىٰ ذلك.

**ومن المناسب التنبيه** أن طالب العلم دائمًا إذا أتت المواسم: رمضان، وقت الحج، جاء وقت عاشوراء، أي موسم فيه تعلق بأحكام شرعية، فإنه يراجع كل سنة؛ لأن هٰذا أدعىٰ إلىٰ تثبيت العلم، وأدعىٰ إلىٰ أن يكون غير هاجر للحق أو غير هاجر لما في الكتاب والسنة من الدلائل في ذلك.

فإذا أقبل رمضان تراجع أحكام الصيام في كتب الفقه والحديث وفتاوىٰ أهل العلم، وأحكام الزكاة وأحكام القيام، وتراجع أحكام العيدين، إذا أقبل الحج قبله بشهر من الآن تقرأ في أحكام الحج، تثبتها سنة سنتين ثلاث، تلحظ أن هٰذه المسائل تتضح لك شيئًا فشيئًا، وتستزيد كل سنة بما لم يكن عندك في السنة الماضية.

وهٰذا طبيعي في طالب العلم، طبيعي في الإنسان، تقرأ أول مرة يفوتك تأخذ عشرين ثلاثين في المائة، وكثير منه – لأنك مركز علىٰ البعض – يفوت، تحتاج فيه إلىٰ سؤال، السنة القادمة تقرأ، فتجد أن عددًا من المسائل واضحة، مثلا تعريف الحج واضح، شروط وجوب الحج واضحة، أركان الحج واضحة،

---

(١) نهاية الشريط التاسع والأربعين.

أنواع الإحرام واضحة، تزيد في مسائل لم تكن واضحة، تزيد حصيلتك ثم بعد ذلك السنة المقبلة وهكذا، طالب العلم لا يمكن أن يتعلم في سنة العلم جادته طويلة ما ينتهي الإنسان منه إلا بالموت.

وتذكرون كلمة الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ لما قيل له: إنك تكتب وأنت في هٰذا السن، يعني بعد أن علا شأنه رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: مع المحبرة إلىٰ المقبرة، طالب العلم ما ينفك من طلب العلم بحسب ما أعطاه الله جل وعلا، وخذ من فراغك لشغلك؛ يعني استغل وقت الفراغ، استغل وقت الشباب، استغل قبل أن تسود إما بعيال تكون مسؤولًا عنه أو بمشاغل، طالب العلم إذا وجد والصحة والفراغ يقبل علىٰ طلب العلم ويستفيد، لأنه النور في القلوب وفي الصدور، والبينة فيما يتعبد به الإنسان ويراه في أحوال الناس. نكتفي بهٰذا القدر.

نعم اقرأ..

[وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا، وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ.]
وَنَرَىٰ الجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، والفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا.
وَدِينُ الله في الأرضِ وَالسَّماءِ وَاحِدٌ، وهُو دينُ الإسْلَامِ، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.
أما بعد..
قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا، وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ.)، مرّت معنا عدة مسائل تتعلق بالجملة الأولىٰ وهي قوله: (وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا).
وفي قوله: (وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ) مسائل أيضًا:
**المسألة الأولى**: أن في مخالفة الكتاب والسنة وإجماع الأمة، هٰذه مذمومة وضلال، وقد تصل بصاحبها إلىٰ الكفر في باب الاعتقاد أو في باب العمليات أو في أبواب السلوك.
والواقع يدلّ علىٰ أنّ طائفة ممن ادّعوا الصلاح والسّلوك والزّهد والعبادة ادّعوا أشياء تحصل لهم، إما بالإلهام أو بخبر الغيب أو بأحوال لم يدلّ عليها الكتاب والسنة وأجمعت الأمة علىٰ خلافها.
وهٰذا كثيرٌ فيمن يدعون التصوف ممن كانوا في زمن الطحاوي وما قبله.
والطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ قرَنَ –فيما ترىٰ– ما بين تصديق الكهان والعرافين وما بين ادعاء أشياء تخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة؛ لأنَّ الناس قد يظهر لهم في موضوع الغيب عدم تصديق الكاهن والعرّاف من الكاهن والعراف، والناس يحذرون من الكاهن والعراف، لأن حالهما معروف والناس يحذرون من أهل الكهانة سيما في الأوقات القريبة من السنة أو التي تظهر فيها ألوية السنة، فيكرهون الكهانة والعرافة ويكرهون الكاهن والعراف لأنهم من أولياء وإخوان الشياطين.
لكن مسألة الصالحين والأولياء ومن يظهر الصلاح فإن هٰذه قد تشتبه كما هو الواقع في كثير من أحوال المسلمين الماضية والحاضرة، لهٰذا قرن بينهما؛ لأنَّ مسألة الكاهن والعراف ظاهرة؛ لكن أيضًا لا نصدق من يدّعي شيئًا يخالف الكتاب والسنة وإجماع ممن ظاهره الصلاح ويدّعي أحوالًا أو العلم بأمور الغيب.
**المسألة الثانية**: الذين نُسِبوا إلىٰ الوَلاية –بفتح الواو– وعُدُّوا من الأولياء وأهل الزهادة فئات مختلفة متنوعة:
* منهم الغُلاة الذين زعموا أنهم يوحىٰ إليهم.
* ومنهم من هم دونهم ممن يزعمون أنهم يُلهَمون ويُخبَرون بالغيب.
* ومنهم وهم دونهم من يزعمون أنهم علىٰ قدرة في تغيير الأحوال والعلم بالضمائر، وأنهم يُحدَّثون بما أحدثه الناس بعدهم؛ يعني فيما مضىٰ والذين قبلهم فيما سيأتي.
ولا شك أن طريقة السلف في الزهد والعبادة هي التي أجمعت عليها الأمة، وهي أنهم يتعبَّدون ويتزهدون، ويرجون الله جل وعلا ولا يدعون شيئًا من أحوال الكُهَّان والعرافين ولا إخبار بالغيب ولا

الأحوال الشيطانية المختلفة التي تسمىٰ الكرامات عند بعضهم.

**المسألة الثالثة**: الواجب علىٰ كل مسلم أن يعتقد أن علم الغيب مختص بالله جل وعلا، وأنه يعطي بعض علم الغيب قد يعطي بعض علم الغيب لرسول، والرسول هو الذي جاء في قوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الجن]، فالذي اسْتُثني هو الرسول، والرسول نوعان:

- رسول ملكي، نسبة إلىٰ الملائكة.
- ورسول بشري.

وهؤلاء يُستثنون فيما أراد الله جل وعلا أن يعلمهم إياه من أمور الغيب، لحكمته جل وعلا ولكمال علمه وقدرته.

ما من ليس برسول فلا يُكشف له الغيب، لكن قد يكون لبعضهم كرامة، ليست من باب كشف الغيب المستقبلي، ولكن هي من باب الكشف العلمي الذي سبق أن ذكرناه لكم في نحو قصة عمر رضي الله عنه مع سارية حيث قال له: يا سارية الجبل الجبل، يعني الزم الجبل، فصار بالنسبة إلىٰ عمر كشف علمي ليس علمًا للغيب المستقبلي، كشف علمي أو بصري، فرأىٰ الجبل ورأىٰ سارية، وبالنسبة إلىٰ سارية أيضًا سمع كلام عمر فصار بالنسبة له كشف سمعي، وهٰذا من جهة الكرامة، وقد أوضحنا لك ذلك في قوله: (وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ) فيما مضىٰ.

**المسألة الرابعة**: ذكر لك الشارح هنا ابن أبي العز رحمه الله أحوالًا متنوِّعة فيمن ادعىٰ أشياء مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الأمة ترجع إليه فيها.

وننبه زيادة علىٰ ذلك من أن طائفة – أظنه ذكرها في هٰذا الموضع – أسمت نفسها بـ:(الطائفة الملامكية) أو (الملامية) وهٰذه الطائفة من الصُّوفية نشأت في أواخر القرن الثاني الهجري تزَّعمها طائفة من الزهاد والعباد الذين أرادوا تصفية النفوس وتحقيق الإخلاص، فصاروا يُظهرون حالًا خلاف ما هم عليه، يُظهرون المعصية، يظهرون خلاف الطاعة، يظهرون التفريق في الواجبات، لأجل أن يذمَّهم الناس وهم في الحقيقة في داخلهم ليسوا علىٰ هٰذا الأمر ويكرهونه وهم من أهل العبادة والزهد، فأرادوا الإخلاص عن هٰذا الطريق، وهٰذه ولا شك حال تخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة في أنّ العبد المكلف يجب عليه أن يستقيم علىٰ الطاعة وأن يحقّق الإخلاص كما أمره الله جل وعلا في حاله ظاهرًا وباطنًا.

فإذن هٰذه الجملة: (وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ) تدل علىٰ عدم تصديق كل من ادّعىٰ الوَلاية وهو يدعي شيئًا من علم الغيب أو يدعي شيئًا من المقامات العلية أو من الوحي أو من الإلهام مما يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

قال رحمه الله بعد ذلك: (وَنَرَىٰ الجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، والفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا.) يريد العلامة الطحاوي رحمه الله وأجزل له المثوبة بهٰذه الجملة من هٰذه العقيدة النافعة بأنّ أهل السنة والجماعة أهل الحديث والأثر أتباع

السلف الصالح يرون الجماعة حقًّا أحقه الله جل وعلا وأحقه رسوله ﷺ ثابت خلافُه باطل، وأنهم يرون الجماعة صوابًا في الالتزام بها وفي التمسُّك بها وفي الحال والمآل وفي الدنيا والآخرة، وأن خلاف الجماعة والتمسك بها أنه باطل وغلطٌ وضلال.

وقابلها بقوله: (**والفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا**)، يعني يرىٰ أهل السنة والجماعة أهل الحديث والأثر أتباع السلف الصالح يرون الفرقة بأنواعها (**زيغًا**) عن الصراط وزيغًا وبُعدًا عما أمر الله جل وعلا به من الاعتصام بحبله والإتباع لرسوله ﷺ، ويرونها أيضًا (**عذابًا**) يعني عقوبةً تعاقب بها الأمة -كما سيأتي بيانه إن شاء الله-، وسبب إيراد هٰذه الجملة في العقائد أمران:

**الأول**: أن أعظم ما حصل به الزيغ والدم في الأمة وإضعاف الأمة والبدع والمحدثات والشرك وجميع الموبقات بأنواعها إنما حصل من جرّاء ترك الجماعة والأخذ بالفرقة أو استحسان الفُرقة.

**والثاني**: أن الفرق الضالة رأت الفُرقة خيرًا وطلبتها ورأت الجماعة ضعفًا فنبذتها.

ومخالفتهم وترك سبيلهم هو سِمَة الفرقة الناجية الذين قال فيهم النبي ﷺ -في حديث الافتراق-: «**كلها في النار إلا واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله ؟ قال: «**هي الجماعة**».

إذا تبيّن ذلك فهاهنا مسائل:

**المسألة الأولى**: في قوله: (**نَرَىٰ**)، كلمة (**نَرَىٰ**) في هٰذا الموطن يراد بها الاعتقاد يعني: ونعتقدُ، وليست مذكورة لأجل أن المسألة اجتهادية، كما يعبر الفقهاء: أرىٰ كذا، وأرىٰ أن الأظهر كذا. فيما سبيله الاجتهاد.

فكلمة: (**نَرَىٰ**) في كتب أهل السنة في كتب العقائد إذا جاءت بصيغة الجمع فإنه يراد بها ما قرره أئمة أهل السنة والجماعة في عقائدهم دون خلافٍ بينهم.

**المسألة الثانية**: (**الجماعة**) جاء ذكرها في حديث الافتراق، وفي أحاديث أخر:

كقوله عليه الصلاة والسلام: «**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**».

وكقوله: «**من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يشق عصاكم فاقتلوه كائنًا من كان**».

وكذلك قوله في حديث الافتراق: «**إن اليهود افترقت علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة، وإن النصارىٰ افترقت علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، وإن هٰذه الأمة ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين فرقة كلُّها في النار إلا واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله ؟ قال: «**هي الجماعة**»، وفي رواية قال: «**هي ما كان علىٰ مثل ما أنا عليه وأصحابي**».

فكلمة (**الجَمَاعَة**) جاءت في عدد من الأحاديث نصًا، وجاءت في القرآن معنىٰ:

في قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[آل عمران:١٠٣].

وفي قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾يعني جميعًا دون تفريق، و﴿ ٱلسِّلْمِ ﴾ في الآية يعني الإسلام، ﴿ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ يعني ادخلوا في الإسلام كافة، ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾[البقرة:٢٠٨]، بأن تُفَرِّقوا بين أمر وأمر من أمور الإسلام، فيجب الدخول فيه كافة، وألا يقول المسلم إذا أسلم: أنا أدخل في بعض الإسلام ولا أدخل في بعض، أو ألتزم ببعض ولا ألتزم ببعض أو أقر ببعض ولا أقر ببعض، ونحو ذلك.

و (**الجَمَاعَةَ**) في هٰذا الموطن اختلف السلف في تفسيرها علىٰ عدة أقوال؛ يعني الآية والحديث وفي غيرهما من كلام السلف، والذي يجمع كلام السلف كما أوضحتُه لكم في غير موضع: أن الجماعة نوعان:

- جماعة في الدين.
- وجماعة في الأبدان والدنيا.

وأن النصوص تشمل هٰذا وهٰذا، وأن من فسر من السلف (**الجَمَاعَةَ**) بجماعة الدين فإنه –يعني من الصحابة والتابعين – تفسير للشيء ببعض أفراده، كما هو عادة السلف، ومن فسرها بأنها جماعة الأبدان والاجتماع علىٰ الإمام وولي الأمر فإنه يعني بها فردًا أو بعض أفراد الجماعة.

الجماعة نوعان:

**جماعة في الدين**: وهي الأساس الأعظم لما أنزل الله جل وعلا به كتبه وأرسل به رسله، فإن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب لأجل أن يجتمع الناس في دينهم، وهو توحيد الله جل وعلا، عبادته وحده دون ما سواه والبراءة من الشرك وأهله، وطاعة رسوله الذي أرسله علىٰ الرسل صلوات الله وسلامه.

وهٰذا هو الذي جاء في نحو قوله جلّ جلاله في سورة الشورىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾[الشورىٰ:١٣] يعني واجتمعوا عليه، وهو المذكور في قوله: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران:١٠٣].

وهٰذا الاجتماع في الدين هو أعظم أمر لأجله بعثت الرسل وأنزلت الكتب، وهو الذي من أجله يجاهد المجاهد ويدعو الداعي، وهو الذي من أجله آتىٰ الله جل وعلا الرسل الآيات والبينات، أن يجتمعوا لأجل تحقيق الدين، لأجل ألا يفْترق الناس في الالتزام بما يرضي الله جل وعلا فيما يستحقه في العبادة والطاعة له ولرسوله ﷺ.

فيدخل هنا في الاجتماع: الاجتماع في ملازمة الإسلام والالتزام به وألا نؤمن ببعض ونكفر ببعض، وأن يُدخل في الإسلام كافة دون تفريق بين مسألة ومسألة؛ يعني من حيث الاعتقاد والإقرار والإذعان والالتزام.

والنوع الثاني من الجماعة هو **جماعة الأبدان** يعني اجتماع الأبدان والدنيا بملازمة طاعة من ولاة الله جل وعلا الأمر، والسمع والطاعة في غير معصية الله جل وعلا، وهٰذا النوع وسيلة لتحقيق الأوّل، فالأمر به والنهي عن الخروج عن الولاة، والأمر بالاجتماع فيما أحب الإنسان وكره، كما جاء في الحديث: «**علىٰ المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره**»، هٰذا به يتحقَّق الاجتماع في الدين.

والتفريط في الأول أو في بعضه يعاقب الله جل وعلا به بالفرقة في الثاني أو بعضه -كما سيأتي بالبحث في الفرقة-، وكذلك التفريط في الثاني وهو: السمع والطاعة لولاة الأمور في غير المعصية والاجتماع وعدم الخروج، التفريط في الثاني ينتج التفريط في الأول أو في بعضه، ولهٰذا ما من فرقة في الأبدان حصلت في الأمة إلا وكان معها وبعدها من الافتراق في العقائد ونفوذ البدع والمحدثات ما لا يدخل في حسبان.

فالأمران مترابطان، والجماعة مطلوبة في هٰذا وهٰذا ومأمور بها، وجماعة الدِّين واجتماع الناس في دينهم حق وصواب، وإحداث المحدثات باطل وغلط وضلال، وكذلك الاجتماع في الأبدان والدنيا حق وصواب وخلافُه بالفرقة والخروج باطل وزيغ وضلال.

**المسألة الثالثة**: الجماعة جماعة الدين حصل فيها الافتراق أو حصل فيها الخلل ووقعت الفرقة قبل الافتراق في الأبدان أو قبل اختلال جماعة الأبدان، وذلك حين نشأت الخوارج في عهد عثمان ﷺ، وحدث منهم ما حدث حتىٰ آل الأمر إلىٰ قتل عثمان، ثم بعد ذلك وقعت الفرقة واختلت الجماعة.

وهٰذا يؤخذ منه أن من دعا إلىٰ الدين والاجتماع عليه وتحقيق التوحيد ونبذ البدع ووسائل الشّرك والبدع وإحلال الحلال وتحريم الحرام والأمر بما أوجب الله جل وعلا والنهي عن ضد ذلك أنّ هٰذا في الحقيقة يدعو إلىٰ الاجتماع في الأبدان، لأنّه إذا اجتمع الناس في دينهم آل الأمر إلىٰ اجتماعهم في أبدانهم، والمسائل مرتبطٌ بعضها ببعض.

لهٰذا كان من اللوازم علىٰ كل من يطلب معرفة منهج السلف والأئمة وأهل الحديث أن ينظر إلىٰ التلازم العظيم ما بين الجماعة الأولىٰ والجماعة الثانية أو الاجتماع الأول والاجتماع الثاني، والتوازن فيما بينهما هو سبيل أهل العلم، فإنّ الناس في هذين الأمرين علىٰ ثلاثة أنحاء:

١ – منهم من قدم تحقيق المطالب الدينية ورعاه حتىٰ ولو حصل خلل في الاجتماع بالأبدان، وهٰذا هو طريقة – يعني بحسب اعتقادهم – وهٰذا طريقة من ضلّ في هٰذا الباب وغَلَا من الخوارج والمعتزلة، ومن رأىٰ رأيًا يشابه ما قال الخوارج والمعتزلة ونحوهما.

٢ – والفئة الثانية: من تساهلت فرأت المحافظة علىٰ الجماعة في الأبدان والدنيا سبيلًا لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة الواجبة وإعلان الحق بضوابطه الشرعية في أمر الجماعة، فتركوا إنكار المنكر من الشرك والبدع تساهلًا وضعْفًا.

٣ – والفئة الثالثة: هم الراسخون في العلم ومن تولاّه الله جل وعلا بتوفيقه، فإنهم أخذوا بهٰذا وهٰذا، فدعوا إلىٰ الاجتماع في الدين وتحقيق ذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبنشر العلم النافع والدعوة علىٰ ذلك وبالنصيحة بطرقها الشرعية، ولم يروا ذلك مخالفًا لما أوجب الله جل وعلا من الاجتماع في الأبدان والدنيا، فوازنوا بين هٰذا وهٰذا وأجروا الحكمة في هٰذا وهٰذا.

ولا شك أنّ أحوال الناس تختلف في مثل هٰذه المقامات ما بين مقام الأمن ومقام الخوف، ومقام الفتنة ومقام الاستقرار، والراسخون في العلم ومن تبعهم يضعون لكل شيء موضعه، فلا يتركون الأمر والنهي والدعوة والنصيحة لأجل توهُّم أن هٰذا يفرّق، ولا يأمرون مع مظِنّة وجود الفُرقة.

ولهٰذا يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالته في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»: أن الآمر والناهي إذا ظنّ أنه ستحدث مفسدة لأمره ونهيه أكبر مما أمر به ونهىٰ، فإنه لا ينكر، وقال: يأثم إذا أنكر، لأن الشريعة جاءت لتكميل المصالح وتكميلها ودرء المفاسد وتقليلها، وهٰذا بخلاف التوهم، لأن التوهّم غير الظن الراجح، غير ما يعلمه أهل العلم مما ستحدثه الأمور، التوهّم هٰذا راجع للخوف، فيه إنسان يخاف أنه يقول لفلان: اتق الله في كذا وكذا أو صلّ الصلاة، يتوهم أن كل شيء سيؤثر علىٰ النفوس وأن كل شيء

سيغير... الخ، وهٰذه حيلة وطريقة من ترك ما أوجب الله جل وعلا، وهي طريقة بني إسرائيل، التي ذم الله جل وعلا الناس عليها.

لهٰذا يجب في هٰذه المسائل أن يؤخذ بطريقة أئمة الإسلام الراسخين في العلم ممن رعوا هٰذا وهٰذا، وأنّ الاجتماع في الدين هو الأصل الذي يجب أن يُدعىٰ إليه، وأن الاجتماع في الأبدان والدنيا أن هٰذا أصل عظيم يجب المحافظة عليه، والموازنة بين هٰذا وهٰذا إنما يدركه أهل العلم الراسخون.

وما ضلت الخوارج – يعني في أصلها– إلا لأجل أنهم رأوا أن تحقيق ما يظنّون من الشريعة يحصل بقتل عثمان وبجمع الناس علىٰ ما يرون، ثم حصل من المعتزلة ما حصل... إلخ، فحصل الفساد والشرّ بسبب التفريط في الموازنة والوسط في هاتين المسألتين العظيمتين.

**المسألة الرابعة**: في قوله: (وَنَرَىٰ الجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا): معنىٰ (حَقّ) يعني أنه واجب وثابت، والحق إما أن يَنصّ الله جل وعلا علىٰ أنه الحق أو يُعلم بما نص الله جل وعلا عليه، و(الجَمَاعَةَ) علمنا ذلك بدلالة ما نص الله جل وعلا عليه، (وَصَوَابًا): يعني أن من سلك غير طريقها فهو علىٰ غير السبيل، وأن من أراد الصراط المستقيم فهٰذا هو الصَّواب وهو ملازمة الجماعة.

وقوله: (والفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا): فيها أيضًا مسائل:

**الأولى**: (الفُرْقَةَ) تقابل (الجَمَاعَةَ)، وكما أن (الجَمَاعَةَ) تكون في شيئين فـ (الفُرْقَةَ) أيضًا تكون في الأمرين نفسهما:

**الأول**: الفرقة في الدين.

**والثاني**: الفرقة في الأبدان.

وعلىٰ هٰذا تفاسير السلف لآي القرآن في نصوص الافتراق وما بينوا من دلالة بعض الأحاديث، فقوله جل وعلا: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ دلت علىٰ أن الاعتصام بالقرآن جميعًا يعني بأجمعه وهو الجماعة في الدين، وقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ دلت علىٰ النهي عن فرقة الأبدان، لهٰذا قال بعدها: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[آل عمران:١٠٣]، فذكر الاجتماع في الأبدان ونهىٰ عن الفرقة في الأبدان.

وقوله جل وعلا في الآية الأخرىٰ مثل التي ذكرناها لكم: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾[الشورىٰ:١٣] يعني في الدين؛ يعني الفرقة في دين الله جل وعلا، فما ذُكر هناك من الاجتماع علىٰ الدين والاجتماع في الأبدان يُذكر هنا بضده، لأن (الفُرْقَةَ) تقابل وتضاد (الجَمَاعَةَ).

**المسألة الثانية**: الفرقة في الدين التي حصلت في الأمة علىٰ مراتب:

**أعظمها**: مخالفة أصل الدين بحدوث البدع المختلفة الشركية الكفرية، كإنكار صفات الله جل وعلا وكعبادة غير الله وإقامة المشاهد والحج إليها وتقريب القرابين لها ودعاء الأموات أو التقرب للكواكب أو نحو ذلك، كما حصل من الفرق الباطنية أو فرق الرافضة ومن شابههم.

**ويليها**: الافتراق البدعي غير الكفري الذي حصل من الخوارج والمرجئة والقدرية ومن نحا نحوهم.

هٰذان النوعان مذمومان متفق علىٰ ذمهما.



سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

والنوع الثالث من الافتراق: الافتراق في المسائل العملية، في مسائل الفقه في أحكام الطهارة والآنية أحكام الصلاة الصيام... الخ البيوع الجنايات، ما حصل من الاختلاف في هٰذه المسائل.

والاختلاف في هٰذه المسائل، الاختلاف والفرقة التي حصلت:

**أولًا**: هي مذمومة من حيث الأصل، وإن كان الذي قال قولًا باجتهاده معذور ويؤجر؛ لكن في جملة الافتراق مذموم، لقوله جل وعلا: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[هود].

**الثاني**: أن الفرقة في المسائل الفقهية، والاختلاف الذي وقع بين الصحابة وبين الأئمة المجتهدين، اختلافٌ لأصحابه فيه إما أجران وإما أجر واحد، فإذا اجتهد وتحرىٰ الحق وأصاب فله أجران، وإذا اجتهد وتحرىٰ الحق وأخطأ فله أجر واحد علىٰ اجتهاده وتحريه الحق.

وأما من قال قولًا ليس فيه بمتحرٍ للحق، وإنما هو نتيجة عن هوىٰ ونتيجة عن شهوة، فهٰذا يأثم ولا يؤجر، فإنّ الذي يؤجر هو المجتهد الذي يبحث عن الحق، يجتهد يتحرىٰ الحق، كما هو صنيع السلف، أما إذا كان ميدانُه الهوىٰ والشهوة فإن هٰذا مذموم علىٰ كل حال.

**المسألة الثالثة**: نفصل الكلام في مسألة الخلاف الفقهي أكثر.

وهو أن الاختلاف – اختلاف العلماء في المسائل– هو اختلاف في مسائل من الدين في الفقهيات، والعلماء إذا اختلفوا في الفقهيات فالواجب أن يُرعىٰ معه ألَّا يكون افتراق في الأبدان ولا افتراق في القلوب؛ لأن هٰذا الخلاف الذي يوجد ابتلاء من الله جل وعلا ابتلىٰ به الناس أن يختلف العلماء؛ وهٰذا يقول بقول وهٰذا يقول بقول، ويكون لهم فيه سعة في بعض البلاد ونحو ذلك، لكن هو ابتلاء يُبتلىٰ به الناس.

فالواجب علىٰ أنه إذا وقع هٰذا الاختلاف في الأقوال الفقهية أن ينظر إليه الناس أن المختلفين إذا اجتهدوا وتحرّوا الحق وخاصة من الأئمة الذين شُهِدَ لهم بتحري الحق وطلبه أنهم ما بين أجر وأجرين، وأن من وثق بإمام فاتّبعه علىٰ ذلك ولم يستبن له الحق أنه معذور في اتّباعه له، وأنّ الله جل وعلا إذا أراد بالعباد عقوبة فإنه يجعل هٰذا الخلاف سببًا للتفريط في الجماعة الثانية وهي جماعة الأبدان، إذا وقعت الفرقة –الاختلاف في الفقهيات– فإذا آل الأمر إلىٰ اختلاف القلوب واختلاف الأبدان والفرقة فيها فيكون هٰذا من العقوبة ومن الزّيغ الذي حصل، ولهٰذا قال هنا: (**والفُرْقَةَ زَيْغًا**) عما يجب (**وَعَذَابًا**) يعاقب الله جل وعلا به الناس.

ودليل ذلك قوله جل وعلا لما ذكر أهل الكتاب قال: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾[المائدة:١٣]، ﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا﴾ يعني تركوا نصيبًا ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ يعني مما جاءهم في كتاب الله، ما النتيجة؟ قال: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾[المائدة:١٤]، ومما أمر الله جل وعلا به وذكرنا به أن نحرص علىٰ الاجتماع، الاجتماع في النفوس والاجتماع أيضًا في الأبدان.

فإذا صار اختلاف أهل العلم سببًا لوقوع الفرقة ولوقوع التلاعن والتباغض والسبّ والشتم وطعن كل فئة في أتباع العالم الذي اجتهد وتحرىٰ الحق فلا شك فإنّ هٰذا لا شك أنه بغيٌ وظلم يعاقب عليه

الإنسان، وهٰذا مما نهىٰ الله جل وعلا عنه.

وهٰذا هو الذي حصل، وهو الذي يحصل عند من لم يعلم حدود ما أنزل الله علىٰ رسوله، فإنّه قلّ أن يحصل اختلاف إلا ويبغي بعض الناس علىٰ بعض، إما بتجهيل أو بسب أو بوقوع فيه أو نحو ذلك من الأقوال، والواجب أن يُنصر الحق وأن يُعذر من خالف في الفقهيات، ويُعلم أنّه إذا اجتهد وتحرّىٰ الحق فإنه له أجر لكن لا يُتابع علىٰ ذلك، ولا شك أن زلة العالِم زلة العالَم، ولكن هٰذا قضاء الله جل وعلا وحكمته، فكم من مسائل ثَم من الأئمة المشهورين من خالفوا فيها السنة، خالفوا فيها الدليل باجتهادهم فهم معذورون، ومن اتبعهم بلا معرفة للحق وإنما ثقةً بذلك الإمام معذور.

ولكن الواجب[1] هو تحري الحق بإتباع ما دل عليه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله أو وافق القواعد والأصول العامة للشريعة التي يعلمها أهل العلم.

وهٰذا في الحقيقة هو أعظم ما حصل في كل زمان إلىٰ زماننا الحاضر؛ بل وإلىٰ يومنا هٰذا، فقلّ من يعذر في المسائل المختلف فيها في الفقهيات؛ يعني التي فيها بحث، فينظر هٰذا فيه يجتهد في كذا وهٰذا يجتهد في كذا، حتىٰ رمىٰ بعضهم بعضًا بالضلال ورمىٰ بعضهم بعضًا بمخالفة ما أمر الله جل وعلا به؛ بل حُكِمَ علىٰ بعضهم بالبدع والمحدثات لأجل بعض المسائل الفقهية التي اختلف فيها الناس، وهٰذا مما ينبغي أن يُعلم كعقيدة أنه إذا كانت الفُرقة في الفقهيات والعمليات والاختلاف في ذلك، إذا كانت سببًا للفُرقة في الأبدان فقد بغىٰ العباد بعضهم علىٰ بعض، ووقعت الفتنة ووقع البلاء فيهم.

والواجب أن لا يقع فيهم البغضاء والشّحناء لأجل ذلك، كيف إذا زاد الأمر ؟! إذا حصل القتال؟! وحصل التكفير؟! ونحو ذلك كما حصل من بعضٍ في بعض الأزمان حيث كفر بعض الشافعية بعض الحنفية في مسائل، وكفر بعضهم بعض الحنابلة في مسائل ونحو ذلك مما وقع فيه طائفة من أعلىٰ درجات الظلم والبغي والعدوان من الناس بعضهم علىٰ بعض، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهٰذا لا يزال يوجد إلىٰ يومنا هٰذا، فكلما زاد العلم زادت البصيرة بأمور:

**الأول**: أن يحرص طالب العلم علىٰ تحري الحق.

**والثاني**: ألا يجعل تحريه للحق سببًا لفُرقة العباد ولا سببًا في وقوع الشحناء والبغضاء بينهم؛ بل يتودد في ذلك كثيرًا ولا يجادل في ذلك مجادلة الذي يريد الانتصار والقوة؛ بل يتكلم في ذلك بسكينة وهدوء.

وما أجمل قول الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في نحو هٰذا لما قيل له: الرجل تكون عنده السنة أيجادل عنها؟ قال: لا، يعني يرىٰ من يخالف السنة ويذهب إلىٰ قولٍ آخر، تعرفون المدينة كان فيها مدرسة الرأي ربيعة الرأي ومن معه، مدرسة قريبة من مدرسة الكوفة في الأخذ بالرأي وعدم العلم بتفاصيل السنة، فقيل له: الرجل تكون عنده السنة أيجادل عنها؟ قال: لا، يخبر بالسنة، فإن قُبِلَتْ منه وإلا سكت.

لماذا؟ لأن الشيطان يأتي فيجعل الإنسان ينتصر لنفسه لا للسنة، وهٰذا مسلكٌ شائك في النفوس، وينافي الإخلاص وينافي ما يجب، فيبحث فإذا هو يريد ينتصر للحق ثم تنقلب المسألة في النقاش أو في

---

(١) نهاية الوجه الأول من الشريط الخمسين.

المجادلة أو في الإخبار بالصواب إلىٰ انتصارٍ للنفس دون انتصارٍ للحق وهٰذا مما ينبغي تداركه.

ومما يدخل أيضًا في مثل هٰذا أن اختلاف الفقهاء في المسائل العملية اختلافٌ كبير جدًّا، حتىٰ إن المسائل المجمع عليها قليلة، وليس كل قولٍ من الأقوال المختلفة يصح أن يكون في الخلاف المعتبر، كما قال أحد مشايخ السيوطي:

**ولـيس كـل خـلافٍ جـاء معتبـرًا إلا خـلافٌ لـه حـظٌّ مـن النظـر**

في قصيدةٍ في بعض علوم القرآن.

والخلاف الذي وقع، أو إذا وقع الخلاف فإن الخلاف علىٰ نوعين:

- خلافٌ قوي.
- وخلافٌ ضعيف.

والخلاف القوي ضابطُه: ما كان الخلاف فيه في فهم الدّليل ولا مرجّح.

والخلاف الضعيف: ما كان الخلاف فيه بمخالفة الدّليل أو بالغلط في فهم الدليل.

والخلاف القوي لا إنكار فيه، إذا كانت المسألة فيها خلافٌ قوي فلا عتْب من الأصل لمن أخذ بأحد القولين، أخذ بهٰذا وأخذ بهٰذا، وهٰذا يرىٰ كذا وهٰذا يرىٰ كذا، المسألة فيها سعة.

وأما الخلاف الضعيف فإنه فيه الإنكار.

وقول العلماء: لا إنكار في مسائل الخلاف، يعنون به الخلاف القوي علىٰ الصواب دون الخلاف الضعيف، لأن الخلاف الضعيف خلافٌ بلا دليل أو غلطٌ في فهم الدليل، ويشتبه هٰذا -يعني الخلاف- يشتبه بمسألةٍ مهمة وهي: مسائل الاجتهاد، والصواب: التفريق ما بين مسائل الخلاف ومسائل الاجتهاد.

فمسائل الخلاف التي مرجعها الخلاف في فهم الأدلة، وهٰذه هي التي فيها التفصيل الذي ذكرت لك: في أنّ الخلاف القوي لا إشكال فيه، وأنّ الخلاف الضعيف يلزم فيه البيان والإيضاح بدون أن يُحدث الفرقة وتنافر القلوب.

أما المسألة الثانية وهي مسائل الاجتهاد: فهي الاجتهاد في النوازل، إذا نزلت نازلة واجتهد العلماء فيها، هل هٰذه تلحق بكذا وهٰذه تلحق بكذا فإنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد.

وشيخ الإسلام ابن تيمية قال في بعض كلامه: لا إنكار في مسائل الخلاف يُعنىٰ بها مسائل الاجتهاد، أو نحو كلامه مع صوغه بفهمي؛ لأن مسائل الاجتهاد ليست هي مسائل الخلاف، ولا إنكار في مسائل الخلاف يعنون بها لا إنكار في مسائل الاجتهاد.

وهٰذا يحتاج إلىٰ زيادة وهي أنه: (لا إنكار في مسائل الخلاف)، يعنون بها الخلاف القوي، أما مسائل الاجتهاد التي تحدث في الناس هٰذه لا إنكار فيها من باب أولىٰ؛ لأن المجتهد له اجتهاده ونصيبه في إلحاق النازلة في بعض الأصول والقواعد التي تدل عليها.

**نختم هٰذا الموضع بوصية في هٰذا الموطن**: بأن طالب العلم يتّسع صدره للعلم، وهٰذا إذا حباك الله جل وعلا اتساع الصدر في العلم فإنّك تؤتىٰ علمًا جديدًا، وهٰذا هو الواقع والمُشاهد، أما من يضيق

بالأقوال أو من يضيق باختلاف العلماء ولا يبحث في مأخذ هٰذا ومأخذ هٰذا، وإذا أورد عليه أحد قولًا نظر في كلامه وتأمل فإنه يُحرم بعض العلم.

لهٰذا كلما اتسع صدر طالب العلم كلما أوتي الصواب في العلم، وأوتي الصواب أيضًا في العمل في عدم في التعدي علىٰ المسلمين والتعدي علىٰ العلماء أو علىٰ طلبة العلم أو نحو ذلك، والله جل وعلا يقول لعباده: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾[الإسراء:٥٣]، والفُرقة والخلاف يحصل فيه التعدي في كثيرٍ من الأحيان، ولا يقول: العبد التي هي أحسن، والله جل وعلا أمر بأن تقول التي هي أحسن.

وأنا ألحظ وربما منكم كثير لحظوا أن أحدا منا قد يقول قولًا يكون غير واضح، فيأتي أحد ويعترض عليه فهو يتألم ويتحرج لنفسه أنه أخطأ أو أنه ما أدرك الصواب، فيأتي الشيطان فيصرفه من تقرير المسألة إلىٰ وجود مخرجٍ لنفسه، وهٰذه من وسائل الحرمان، وإذا قوَّىٰ الله طالب العلم علىٰ أن يكون قويًّا علىٰ نفسه في أنه إذا ما اتضحت له صورة المسألة لا يتكلم فيها، ينتظر يسكت يعلم نفسه التؤدة يعلم نفسه عدم الاستعجال في الكلام عدم إلقاء الكلام علىٰ عواهنه الدقة في الألفاظ وإذا غلط يقول: غلطت –ما أسهل منها عند من يرىٰ تحقيق الحق– فعلًا أنا ما فهمت فعلًا أنا ظهر لي كذا ويبدو أنه انحرف ذهني إلىٰ شيء آخر، يقول: أنا ما فهمت أنا غلطت، ما أسهل منها.

وهل من شرط طالب العلم ألا يخطئ ؟! ليس من شرطه.

وإنما من قلت غلطاته سواءً في قوله وفي عمله فهو السديد، هو الذي يُثنىٰ عليه، أما أنه يأتي أحد لا يخطئ، لا يغلَط فيما يتكلم لا يغلط في تعامله، هٰذا لا يمكن، النبي عليه الصلاة والسلام وهو أكمل الخلق قال: «**اللّٰهمَّ، أيما عبدٍ سببتُه أو شتمته فاجعلها عليه رحمة**»، يعني بمقتضىٰ الطبيعة يغلط الإنسان، الإنسان ما يتحمل، لكنه من يتصبّر يصبره الله، ومن يتحلّم يعطيه الله جل وعلا الحلم.

لهٰذا عوّد نفسك علىٰ الحلم، عوّد نفسك علىٰ الصبر، عوّد علىٰ ألا تنتصر لنفسك في المسائل العلمية، حتىٰ لو ادعىٰ المقابل وطعن فيك في علمك، طعن في طريقة الإيراد، لا تتأثر بهٰذا واجعل الكلام علىٰ العلم لأنك مبلِّغ للعلم، ولستَ منتصر لنفسك، والمنتصر لنفسه يحرم نفسَه انتصار الله جل وعلا له.

أسأل الله جل وعلا أن يمنحني وإياكم العلم والحلم والفقه في الدين، وأن يمنّ علينا بسلوك طريق السلف الصالحين، إنه سبحانه جوادٌ كريم، وهو ذو الفضل والإحسان والمنن والعطايا، اللّٰهمَّ فلا تحرمنا فضلك بذنوبنا ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، إنك علىٰ كل شيءٍ قدير.

[**الأسئلة**] نجيب علىٰ سؤالين أو ثلاثة:

سؤال (٥٣٣): جاء حديثٌ يدل علىٰ أن الاختلاف في الأمة رحمة ؟

الجواب: هٰذا الحديث ليس بصحيح، وليس اختلاف الأمة رحمة، بل الاختلاف في الأمة أوقعها في بلابل كثيرة.

سؤال (٥٣٤): من اجتهد في إباحة نسبةٍ من الربا، كـ ( ٥ ٪ ) ونحوه، فهل يُؤجر علىٰ هٰذا وهل يُشنع

عليه ؟

الجواب: هٰذا الربا نوعان:

**ربا متفق عليه ومجمع عليه**، فهٰذا الذي يخالف فيه الإجماع هو صاحب ضلال وهوىٰ، وهو ربا الجاهلية، الذي فيه القرض الحسن، ثم بعد يقول: إما أن تقضي وإما أن تربي، ويجعلون الربا أضعافًا مضاعفة، وهٰذا هو الذي جاء في عدد من الآيات وعدد من الأحاديث.

**أما الربا غير المتفق** علىٰ تحريمه: فإن هٰذا يدخل في باب الخلاف القوي والخلاف الضعيف علىٰ نحو ما فصلنا، مثلًا خلاف ابن عباس في ربا الفضل وربا النسيئة كما هو معلوم، وأنه لا ربا في الفضل وإنما الربا ربا النسيئة استدلالًا بالحصر في قوله عليه الصلاة والسلام: «**إنما الربا في النسيئة**»، فهٰذا اجتهاد وخلاف، لكنه خلافٌ ضعيف، حتىٰ خلاف الصحابة خلافٌ ضعيف، لأن خلاف ابن عباس في هٰذه المسألة، كذلك إباحته للمتعة مثلًا في بعض المواطن أيضًا خلافٌ ضعيف، وما أشبه ذلك.

من الصور المعاصرة التي جرىٰ فيها البحث: الفوائد الربوية، ومن أباحها من بعض المنتسبين إلىٰ العلم، فهٰذه الفوائد الربوية منها ما هو متفق علىٰ تحريمه وهو ربا الجاهلية، ومنها ما هو مختلف في تحريمه، وما اختلف في تحريمه يدخل في الخلاف الضعيف أو في الاجتهاد في ما ليس بصواب، فيدخل في التفصيل الذي ذكرناه.

أول من –حسب علمي– أول من أباح الفوائد الرّبوية يعني فوائد البنوك الربوية والقرض – القرض الصناعي – ونحوه – حسب علمي – الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المعروف، وهو رجل يميل إلىٰ مذهب السلف ونصر التوحيد والعقيدة في مواطن كثيرة، وله إلمام بالحديث والسنة والتخريج، لكنه غلط في مسائل فقهية، ولم يكن من صناعته الفتوىٰ، فأباح أشياء تبعه عليها عدد، وله رسالة في هٰذا الموضوع بخصوصه وهو « الربا والمعاملات المالية » أجاز فيها هٰذه الفوائد لشبه عنده في ذلك، ثم تبعه عليها عدد من المشايخ في مصر ما بين مقصر وما بين محسّر في هٰذه المسائل.

ومعلومٌ أن الخلاف –كما ذكرت لك في هٰذا – خلاف شاذ وضعيف وليس له حظ من الدليل.

لكن وجود الخلاف في هٰذه المسألة يفيد فائدتين:

**الأولىٰ**: أن مسألة الفوائد والقرض الصناعي ونحو ذلك ليس من مسائل الربا المجمع عليها، فاعتقاد إباحتها والإفتاء بذلك أو إجازتها لا يدخل في إجازة واستحلال الربا؛ لأن استحلال الربا المجمع عليه كفر، والربا المجمع عليه هو ربا الجاهلية، أما ربا الفوائد وربا القرض وما أشبه ذلك فهٰذه محرمة ولا تجوز ويجب إنكارها لكن لا تدخل في الربا المتفق عليه.

سؤال (٥٣٥): أليس يُنكر علىٰ من خالف في الفروع الفقهية مع ظهور الدليل ؟

الجواب: هٰذا يدخل في التفصيل الذي ذكرته الخلاف القوي والخلاف الضعيف.

الفوائد الربوية أقل من الضعيف، هو من الخلاف الشاذ أو المنكر، يجب فيه الإنكار لأنه ما له.. يعني استدلوا بقوله جل وعلا: ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾[البقرة] وأن الفوائد هٰذه ليس فيها؛ يعني الربا المحرم قالوا: هو الذي فيه ظلم للمسكين يعني ظلم لصاحب المال، وهٰذا – يقولون – هٰذا

صاحب المال إذا أودع ماله في البنك ولم يأخذ عليه شيئًا والبنك هو الذي استفاد صار هو المظلوم، فأخذ الفوائد عندهم أنه عدل، وأن ترك الأخذ ظلم له، لأن البنك يستفيد وهو لا يُعطىٰ شيئًا، يشغل المال ويستفيد، ومعلوم أن المال يقبل النماء باليوم، يعني كل يوم فيه كسب، يعني علىٰ طريقة التجارات العالمية وأشباه ذلك، فعندهم هٰذه الشبهة.

لكن هٰذا لو أُقِر لآل الأمر إلىٰ أن البنوك – يعني من غير الأدلة النصية لكن علىٰ حد تعبيرهم بأن فيه ظلم وعدم ظلم – لو أُقِر ذلك والحقيقة هو الذي فيه الظلم لأنه لو أُقِر ذلك صارت البنوك تأخذ ١٠٠ ٪ وتعطي هٰذا صاحب الفوائد ٥ ٪ ٦ ٪ ٧ ٪ ونحو ذلك، والأصل في ذلك أن صاحب المال إذا أراد أن يعطي من يشتغل له أن يكون شريكًا له، شريكًا له في مكسبه وفي خسارته، فالناس تنمو أموالهم؛ يعني لو فرضنا أنهم سيودعون وسيأخذون هٰذا ٥ ٪ وهٰذا ٦ ٪ وهٰذا ٧ ٪ وهٰذا ١٠ ٪ سيودعون، البنك قد يحصل ٥٠ ٪ فسيبقىٰ نمو المال عند هٰذه الفئة قليلًا، ونمو المال عند أهل البنوك عظيمًا، فتقوىٰ البنوك ويضعف الناس، ظاهر؟ هٰذا هو حقيقة الظلم، الظلم الجماعي.

وفقكم الله وأعاننا وإياكم علىٰ الحق والهدىٰ.

سؤال (٥٣٦): .....

الجواب: ربا الفضل يذكر عن ابن عباس أنه رجع، رجوعه عن المتعة ثابت.

سؤال (٥٣٧): هل يجوز للمحرم أن يلبس التساخين للحاج؟

الجواب:إذا لبس فدا ولو كان محتاجا.

سؤال (٥٣٨): ما رأيكم في التأمين الصحي؟ مثل الجمعية الدعوية، تأخذ ١٥٠٠ علىٰ السنة ويبدأ العمل بعد سنة، وتذهب إلىٰ أي مستشفىٰ وتعالج مجانا.

الجواب: الذي أُقِر في مجلس الشورىٰ، وجاءنا في مجلس الوزراء وشفناه، عُبِّر عنه بالضمان الصحي، لا التأمين، التأمين ما أعرفه ما شفته،

له حكم التأمين، ويدخل في الخلاف في التأمين، مثل التأمين علىٰ السيارة والبيت.

السائل: مثلا أحد يقول: أعمل تأمين لزوجتي، وهي مثلا حامل، بعد أن تحمل مثلا ولو حصل قيصرية أو شيء..

الشيخ: هٰذه للاجتهاد نشوفوها، لو لحاجة معينة، ويعلم أنها ستتحقق، هو ما يدري ...

سؤال (٥٣٩): ما الفرق بين الاعتقاد والاعتماد الكلي؟

الجواب: في ماذا؟

السائل: في الأسباب،

الشيخ: الاعتقاد قلب، والاعتماد فعل،

السائل: أحسن الله إليك، لٰكِن اعتماد كلي علىٰ هٰذا الشيء، هل يدخل في الاعتقاد؟

الشيخ: ليس شرطا، قد يعتمد دون اعتقاد، هو الاعتقاد أنه في قلبه ليس فيه أن الله نافع، يعتقد في داخله أن المادة هي كل شيء، هٰذا هو الاعتقاد.

لٰكِن الاعتماد: غفل قلبه واعتمد ظاهره، لا يسوىٰ هٰذا بهذا، لهٰذا صار الاعتماد علىٰ الأسباب بالكلية دون اعتماد القلب علىٰ الله جل وعلا هٰذا محرم، أو نقول: يدخل في نقص التوحيد شرك أصغر أو شرط خفي.

أما الاعتقاد هٰذا كفر، يعتقد أنه .. مثلا الطبيب يعمل لك عملية، خلاص ما يجيء في قلبه يُعظم الاعتماد علىٰ الله فعله هكذا بالطبيعة، فاته الأفضل، لٰكِن في قلبه أصل الاعتماد علىٰ الله.

اعتمد علىٰ السبب في هٰذا بالذات، ليس في قلبه أي شيء من التوكل علىٰ الله، اعتمد علىٰ السبب فقط فهٰذا يدخل في أنه محرم أو شرك خفي أو أصغر، بحسب الحال.

لٰكِن المسألة الثانية اعتقد أن هٰذا السبب كاف دون الله جل وعلا، ما التفت، جعل السبب كاف، أعوذ بالله، هٰذا كفر، ما فيه أحد يعتقد الاعتماد علىٰ الأسباب فقط ويكون عنده إيمان، المؤمن لازم يكون عنده اعتماد علىٰ الله جل وعلا؛ لٰكِن يعتمد علىٰ أسباب ظاهرة بحسب الحال.

سؤال (٥٤٠): بالنسبة للضمان،

الجواب: إذا أخذ من راتبه،

السائل: ولو زاد؟

الجواب: ولو؛ لأنه أخذ منه قصرًا وهم رضوا به، الميسر يتحقق إذا أنت تدخل فيه، لٰكِن أنت خلاص يأخذونه منك، سيخصمونه، من الراتب، إذا ما استفدت منه، رجعت إلىٰ الغرم في الحالين، وهٰذا أشد مفسدة، كأن المال تركته لهم. فأخذت ما لَكَ من الحق ما فيه بأس. الذي لك من الحق في الأخذ؛ هم أخذوا منك مالا لأن تتعالج، فعالج. فهم ألزموك.

في الخارج يكثر، الذي راح إلىٰ الخارج ما فيه لو يشتري دفَّاية، لازم عليها تأمين، يضاف يضاف ما له فيه حيلة، فإذا تركه لهم صار معين لهم؛ غرمين، هو أعانهم علىٰ الجهتين، فالغرر الدخول فيه منهي عنه، لٰكِن إذا فُرض عليك أنه تجعله غرمًا واحدًا أحسن من الغرمين.

سؤال (٥٤١): الخوف الذي يحملك علىٰ ترك الواجب وفعل المحرم، هٰذا خوف محرم، الشيخ عبد الرَّحمٰن في «فتح المجيد» جعله شركا أصغر، ما يظهر لك؟

الجواب: أنه محرم بس، ليس شركا أصغر، التوسع في الشرك الأصغر؛ فيه نوع تشريك، لأنه ما ترك الأمر والنهي إلا خوفا ومصلحة، بس مجرد خوف، إلا أنه خاف منهم كخوف، أو قدم خوفه منهم علىٰ خوفه من الله ، فيه نوع تشريك، لٰكِن الأظهر التعبير بالمحرّم..

سؤال (٥٤٢): الخوف من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، [التعبير] بالخوف الشركي يصلح؟

الجواب: لا ما يصلح، لأن الخوف الشركي هو خوف السر، يعطىٰ شيء غيبي ما لله من الخصائص، يؤذي بدون سبب ظاهر،

سؤال (٥٤٣): لو لا فلان ما كان كذا؟

الجواب: إذا كان في مقابلة نعمة أو اندفاع نقمة، فيه نعمة حصلت له، قال لو لا فلان ما حصلت لي، أو اندفع عنه مصيبة أو نقمة قال: لو لا فلان ما كان جاءني كذا، هٰذا هو الشرك الأصغر،

السائل: والذي ورد عن النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»، وقول عمر لحفصة: لو لا أنا لطلقكن رسول الله.

الشيخ: القائل الآن هو المنتفع المتفضل عليه؟ أو المتفضل.

السائل: المتفضِّل.

الشيخ: صورتنا التي نتكلم عليها المتفضَّل عليه، لأن المتفضل عليه فيه تعلق القلب بالمتفضل عليه.

لو أقول لك: لو لا أنا ما صرتَ من أهل السنة والجماعة. هٰذا يدخل لأنه من المتفضل، هنا ما فيه تعلق ويدخل في بحث آخر، الفخر مثلا، أو يدخل في ضوابط أخرىٰ.

لٰكِن الضابط المنهي عنه أن يكون ممن انتفع، لا بالنافع، هٰذا قلبه تعلق بمن أحسن إليه، تعلق بالسائق الذي بسببه ما صار له حادث، تعلق بالطبيب، تعلق بمن أحسن إليه، التَّعلُّق هٰذا هو الذي يدخل له التشريك.أما حديث «لو لا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار» ما دخل من جهتين:

**الجهة الأولىٰ**: النبي ﷺ متفضل، والأحاديث التي فيها النهي إنما هو المنتفع بالنعمة أو اندفاع النقمة.

**الجهة الثانية**: أنه قوله: «لو لا أنا» يقصد لو لا شفاعتي ، وشفاعته -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- تقبل بفضل الله، ومعلوم أنه لما قال: لو لا أنا، يعني: لولا شفاعتي ، وشفاعته لا تقبل إلا بإذن الله، فرجع الأمر ولو لم يذكر ظاهرا إلىٰ الله جل وعلا.

السائل: لو لا فلان ما كان فلان، آخر، ليس له، هل يدخل في هٰذا؟..

الجواب: هو دخل علىٰ حكم ينظر إلىٰ وورد الفضل أو ينظر إلىٰ ماذا؟

مثلا أقول لك: لو لا أنت عبد الله ما صار لك كذا وكذا، دخل في الشرك، يعني لو لا الله ثم عبد الله، لأننا دخلنا في الانتفاع، لأنه هو المتفضل والمتفضل عليه، أما الحديث فتوجيهه علىٰ وجهه.

وكذلك قول عمر: لو لا أنا لطلقك رسول الله ، لأنه متفضل عليها.

هو أقرب شيء تنضبط به أمرين:

**الأول**: أن يكون استعمال لولا في تحصيل نعمة، أو اندفاع نقمة بسبب من الأسباب، فيعزوه للسبب، ويعزو تحصيل النعمة للسبب ولا يذكر الله ، يعزو اندفاع النقمة للسبب ولا يذكر الله.

**الأمر الثاني**: أن يكون في ذكره تعلق القلب بهذا السبب، إذا حصل تعلق بالسبب حصل الشرك قلبا ولفظا..

سؤال (٥٤٤): الصلاة خلف الكاهن أو العراف ، لو هو إمام مسجد يصلي في بيته أو يصلي في المسجد؟

الجواب: تصلي في بيتك أو في جماعة أخرىٰ، إلا إذا اضطررت، وتخشىٰ من التفريق، لأن قصارىٰ الأمر، الصلاة خلفه باطلة، وفي الصلاة خلفه تقوية له وتزكية له، فإذا اضطررت في هٰذا لو صليت تعيد. لأنه كافر.

## الدّرس التاسع والخمسون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

اللّٰهمَّ نسألك علما نافعا وعملا صالحا وقلبا خاشعا، ربنا لا حول لنا ولا قوة إلا بك لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين. اللّٰهمَّ آمين.

[**الأسئلة**] نجيب بعض الأسئلة.

سؤال (٥٤٥): يذكر الرغبة في إخراج بعض الكتب التي شُرحت أن تفرَّغ وتُطبع مثل «كتاب التوحيد» و«الواسطية» و«الطحاوية»؟

الجواب: النية لهٰذا قائمة، وبعضها شُرع فيه نرجو إن شاء الله أن يكون قريبًا.

سؤال (٥٤٦): ما رأيك فيمن يحجّ بدون تصريح، علما أنه قد تمكن من الحج عدة مرات؟

الجواب: أولا بالنسبة للسؤال أن لا أختار أن يسأل أحد بقول السائل: ما رأيك؛ لأن المجيب لا يجيب عن رأيه، وهٰذا هو الأصل أنه لا يجيب برأي يراه، وإنما يجيب بما بعلمه هو من دلائل الشرع والشريعة والأصول العامة التي لا يسوغ أن يتعدّىٰ المعلِّم أو المفتي أو المجيب أن يتعدّاها.

الرأي قد يكون ممدوحًا وقد يكون مذموما، وعامة كلام السلف -كما تعلمون- في ذم الرأي وذم أهل الرأي؛ لأن في الغالب الرأي لا يصدر عن تتبع للدليل تتبع للقول الصحيح في المسألة، فيقال في مثل هٰذه المسألة: ما حكم كذا؟ ما حال كذا؟ ما حكم من حج بدون تصريح؟ ما حال من حج بدون تصريح هل يأثم أو لا يأثم؟ ونحو ذلك.

هٰذا من جهة صياغة السؤال.

أما من جهة الجواب سواء مر معكم مرارا المشايخ وأهل الإفتاء أنّ قول ولي الأمر في مسألة يسوغ فيها الاجتهاد ملزم، إذا كانت المسألة فيها اجتهاد ولم يحرم حلالا أو يحل حرامًا ولم يأمر بمعصية فإن قوله ملزم، وسيما إذا كان أمره وإلزامه بذلك كان نتيجة لفتوىٰ، ومعلوم أنّ الحج سواء أكان حج المقيم أو حج المواطن قد صدر فيه فتوىٰ من هيئة كبار العلماء وإن لم تكن في بعضها بالإجماع لكن الفتوىٰ معتبرة، وفيها قرار من هيئة كبار العلماء ألزم به ولي الأمر فلا يجوز حينئذ مخالفتهم؛ لكن لو فعل، من خالف وحج، فهل حجه صحيح؟ حجه صحيح؛ لأنه لا يبطل حجه بإثم ارتكبه كالمرأة لو حجت بدون محرم فإنها تأثم مع صحة الحج.

ومما ينبغي علىٰ طلاب العلم بعامة أن لا يحتالوا علىٰ ما يفتىٰ به، أو علىٰ ما يلزم به ولي الأمر فيما له الإلزام به، وأن يستجيبوا ذلك لأن هٰذا من المصالح المرسلة، تعلمون أن الشريعة جاءت بحفظ المصالح المرسلة كما جاءت بحفظ المصالح المقيدة، والشريعة في أصلها جاءت لتحصيل المصالح وتكمليها ودرء المفاسد وتقليلها.

ولهٰذا فينبغي علىٰ المسلم أن يحتسب في طاعة ولاة الأمور وطاعة الفتوىٰ التي صدرت من أهل

العلم في ذلك وأن لا يتحيّل السُّبل لمخالفتها؛ لأن في هٰذا مصالح كثيرة للمسلمين في الداخل وفي الخارج.

وتعلمون قول النبي ﷺ: «**علىٰ المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**».

سؤال (٥٤٧): هل عبارة: الله ما شفناه لكن بالعقل عرفناه. في قول العامة صحيح؟

الجواب: هٰذا القول في غالب معناه صحيح وهو مأخوذ في الأصل من كلام علي رضي الله عنه في خطبه، وهو موجود في «نهج البلاغة» -نسيت العبارة- لكن حاصلها يقول:

والله إن لم تدركه الأبصار بالشهود لكن عرفته وعنعنت له العقول بالدليل.

أو نحو ذلك هي موجودة أصلها من كلام علي رضي الله عنه.

سؤال (٥٤٨): كيف اعقد النذر من عمر رضي الله عنه وهو حالة الشرك، مع أن النذر عبادة تحتاج إلىٰ نية: إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام؟

الجواب: النذر عبادة يحتاج إلىٰ نية؛ لكن ليس من شرط صحته الإسلام، ليس من صحة وقوع النذر الإسلام، قد ينذر نذرا ويكون نذر طاعة ويقع النذر صحيحا؛ لكن إذا وفىٰ به وهو غير مسلم، هل يؤجر عليه؟ نقول لا يؤجر عليه؛ لأن الثواب من شرطه الإسلام، أما أصل عقد النذر مثل اليمين بعض النذور والأيمان مبناهما واحد، فالنذر هو إلزام النفس عبادة لله تعالىٰ ليست لازمة له بأصل الشرع، إلزام المسلم النفس بهٰذه العبادة هٰذا النذر، فله في الإلزام مقام اليمين، ولهٰذا إذا نذر وكان مستوفيا لأنه نذر علىٰ ما يستطيعه في المستقبل، وليس نذر معصية فإنّ هٰذا الوفاء به متعيَّن فإذا أسلم فإنه يجب عليه أن يوفي بهٰذا النذر؛ لأنه ليس من صحة انعقاده الإسلام.

سؤال (٥٤٩): ما حكم نهر الأئمة لمن يقوم باستعطاء الناس، وهل هو من المنكر الذي ينبغي أن يقوم بإزالته؟

الجواب: هٰذا السؤال له شقان:

**الشق الأول**: سؤال المسجد؛ هل يجوز لأحد أن يقوم في المسجد ويسأل؟

**والمسألة الثانية**: هل الإمام يأذن أو لا يأذن بالسؤال؟

وأما الشق[1] الأول منها هو أن السؤال في المسجد؛ يعني سؤال المحتاج في المسجد اختلف فيه علىٰ عدة أقوال:

فمن أهل العلم من ذهب إلىٰ إباحته وأن المحتاج له أن يسأل، واستدلوا بذلك بما رواه أبو داوود في السنن أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه مرّ بسائل يسأل في المسجد فأعطاه يعني سياق الحديث أن أبا بكر قال: مررت بسائل يسأل في المسجد فأعطيته خبزة. أو نحو ذلك.

والقول الثاني أن هدي النبي ﷺ في سنته لم يكن الإذن بسؤال الفقير أو المحتاج الناس، وإنما كان

---

(١) نهاية الشريط الخمسين.

هديه أنه إذا علم محتاجا فإنه يطلب من الناس أن يعطوه، وكما حصل في قصة مجتابي النمار، وهم قوم قدموا علىٰ النبي ﷺ وقد تخرّقت نمارهم وكانوا في حالة رثة، فعرف ذلك في وجه النبي ﷺ، فلما صلىٰ طلب الناس أن يتصدقوا علىٰ هؤلاء، فقام رجل فقال: عليّ يا رسول الله درهم. فتتابع الناس بعده فقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**من سن سنة في الإسلام كان له أجرها وأجر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة**» استدلُّوا بهٰذا علىٰ أن السائل لا يجوز له السؤال في المسجد، وأن إمام المسجد إذا علم من أحد حاجة وتثبت من ذلك فإنه يطلب من الجماعة، يطلب من الناس أن يتصدقوا عليه.

أما السائل يقوم ويسأل بعد الصلاة هٰذا لم يكون في عهد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وهؤلاء ذهبوا إلىٰ تحريم سؤال المسجد بعكس الأول الأولون الإباحة هؤلاء قالوا بالتحريم، وممن ذهب إلىٰ ذلك جمع من أهل العلم ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية حرم السؤال في المسجد، وهٰذا اختاره عدد من أئمة الدعوة منهم سماحة الجد محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ.

وعليه فإن الإمام -علىٰ هٰذا القول إذا اختار هٰذا القول وأنه لا يجب سؤال المسجد- فإنه يلزمه أن لا يُقِرّ سائل علىٰ محرم إذا كان السؤال لا يجوز فإنه يلزمه أن لا يتركه، فيكون نهي الإمام للسائل هٰذا نهي لفعل ما لا يجوز في المسجد، فيدفعه بما يندفع به، إذا اندفع بكلام سهل فإن هٰذا يكفي، إذا اندفع بما هو أكثر بنهر -يعني لم يندفع بأقل- اندفع بالنهر فإن له ذلك، إذا لم يندفع إلا بإخراجه فإن له ذلك أيضا، علىٰ هٰذا القول.

وأدلة هٰذا القول من حيث عدم الجواز ظاهر من حيث الدليل، ووجهوا فعل أبي بكر لأنه لم يسأل بعد الصلاة وإنما وجده في طرف المسجد يعرض حاجته، وهٰذا غير المسألة التي فيها الخلاف.

فإذن وجه الدليل يدلّ علىٰ عدم جواز السؤال في المساجد، وعلىٰ أن السنة أن الإمام إذا علم حاجة محتاج فإنّه يدفع في ذلك ويحدّث الناس بذلك لقوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ فيما رواه الشيخان: «**اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله علىٰ لسان نبيه ما شاء**» والشفاعة من شفع شفاعة حسنة أُجر عليها إذا علم تحقق أن هٰذا محتاج فكونه يسعىٰ في ذلك ويحدث الناس بأني أنا محتاج موجود من صفته كذا وكذا أعطوه، هٰذا له أصل في السنة وهو حديث النبي ﷺ.

أما ما ترونه اليوم من أنه بعد كل صلاة حدث اثنين وثلاثة ويقطعون علىٰ الناس تسبيحهم، وبعضهم ينمق الخطابة ويتحدث بحديث طويل أو يظهر عاهة أو نحو ذلك، هٰذا لاشك أنه ليس مما كان في عهد النبي ﷺ فهو أولىٰ بالمنع من كثير من المسائل التي يُمنع منها بعض المأمومين كالدعاء بعد الصلاة ونحوها؛ لأنها لم تكن من السنة بيقين.

وأئمة الدعوة رحمهم الله هديهم في المساجد كان علىٰ هٰذا، أنه إذا علم محتاجا في البلد أو قدم عليه من هو محتاج تكلّم الإمام: هنا محتاج يحتاج إلىٰ بيت تصدقوا جزاكم الله خيرا. يعطوه الجماعة أو هو يكون موجودا فيعطونه وهٰذا هو التعاون علىٰ البر والتقوىٰ.

أما الإذن للناس أنه كل من أراد ويسأل ويقطع الذكر وربما شوش علىٰ المصلين ويعني هٰذا فيه نظر ظاهر.

سائل: العوام ينكرون علىٰ الإمام.

فيبين لهم يدفعه بالتي هي أسهل، يدفعه والإمام يكون حكيما ما يجعل المسألة مرادّة صوت يكون حكيما يدفع بالتي هي أسهل ويعلم الناس الحكم وإن شاء الله يتعلموا ذلك.

من سأل وأحب أحد أن يعطيه فهٰذا صدقة.

وَدِينُ اللهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ، وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْيَأسِ.

فَهٰذا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَنَحْنُ بُرَآءُ إِلَىٰ اللهِ مِنْ كُلِّ مَنْ خالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ.

وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَىٰ الْإِيمَانِ، وَيَختِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُختَلِفَةِ.

---

الحمد لله رب العالمين.

وبعد..

قال العلامة الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (وَدِينُ اللهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، قَالَ [اللهُ] تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣]) هٰذه الجملة من كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ يقرّر بها أنّ دين الله جل جلاله وهو ما يُدان به ويُتقرب إليه به طاعة تحقيقا للغرض من الخلق هو الإسلام، فهو الذي تعبّدت به الملائكة في السماء، وهو الذي تعبّد به الحجر والشجر ممن يعبدون الله جل وعلا بمقتضىٰ الخِلْقة لا بمقتضىٰ الاختيار، وهو الذي لا يرضىٰ الله جل وعلا أن يتعبّد به من أعطاه الاختيار إلا أن يتعبّد بالإسلام.

وهٰذه الجملة يريد بها أنّ الإسلام الذي هو الدِّين شيء واحد اجتمعت عليه الرسل، وهو الدِّين الذي في السماء، وهو الدِّين الذي في الأرض، وهو الأمور الخبرية أو العقائد الخبرية دون الأوامر والنواهي.

وهٰذا يعني أن كل ملة وكل رسول إنما جاء بالإسلام الذي أذِن الله به ورضيه وأمر به، وبه تعبد المتعبدون في السَّماء، وبه أمر أن يتعبَّد المتعبِّدون في الأرض.

وهاهنا مسائل:

**المسألة الأولى:** الإسلام ينقسم إلىٰ قسمين:

- وهو الإسلام العام.
- والإسلام الخاص.

وكلام المؤلف هنا يعني به الإسلام العام: وهو الاستسلام لله جلّ وعلا بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

فهٰذا الإسلام وهو الاستسلام، هو الذي اجتمعت عليه الرُّسل من أولهم إلىٰ آخرهم، فدعوا إلىٰ توحيد الله وإلىٰ الاستسلام له بالتوحيد في عبادته وحده دونما سواه وخلع الآلهة والأنداد والبراءة من كل معبود سوىٰ الله جل وعلا ومن كل عبادة لما سوىٰ الرب جل جلاله وتقدست أسماؤه.

والانقياد لله جل وعلا ظاهرا بالطاعة بطاعته جل وعلا فيما أمر وبالانتهاء عنا نهىٰ عنه جل جلاله.

هٰذا هو الإسلام العام، وهو الذي ينطبق علىٰ رسالة كل رسول، وهو الذي ينطبق علىٰ كل إسلام كل شيء له كما قال جل وعلا: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[آل عمران:٨٣]، يعني أفغير دين الإسلام يبغون، فكل ما في السَّموات والأرض، وكل من في

السماوات والأرض أسلم لله جل وعلا طوعا أو كرها يعني استسلم ولا بد، إلا المشرك فإن استسلامه كان استسلام انقيادا لأمر الله الكوني دون استسلام وانقياد لأمر الله الشرعي.

والنوع الثاني الإسلام الخاص وهو شريعة محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

دين كل الأنبياء هو الإسلام بمعناه العام، ودين محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ هو الإسلام وهو شريعة الإسلام الخاص، وهٰذا الإسلام الخاص هو الذي جاء تفسيره في قول النبي ﷺ: «**بني الإسلام علىٰ خمس: شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان**» حديث ابن عمر، وهو الذي جاء في جوابه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لجبريل حينما سأله عن الإسلام فقال: «**الإسلام أن تشهد أن لا إلٰه إلا الله**» ثم سأله عن الإيمان، ثم سأله عن الإحسان، ثم قال في آخره: «**هٰذا جبريل جاءكم يعلمكم أمر دينكم**» فالإسلام الخاص يشمل هٰذه المراتب الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان أيضا، وكل واحدة منها من شريعة محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

وطبعا تفاصيل الشريعة قد تدخل مع العقيدة؛ يعني في ما دعا إليه جميع الأنبياء في الإسلام العام؛ يعني مثلا الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته تدخل في الإسلام العام الذي اشترك جميع الأنبياء، كذلك شهادة أن لا إله إلا الله هٰذه أيضا لكل المرسلين، وهٰذا الإسلام الخاص هو الشريعة التي جاءت في قول الله جل وعلا: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة:٤٨]، فالشّرعة هو ما خصَّ الله جل وعلا به كل نبي عن النبي الآخر، خصه بهٰذه الرسالة، خصه بهٰذا الوحي، هٰذا هو الإسلام.

**المسألة الثانية**: (دِينُ اللهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ) كما قال الطحاوي هنا، فحينئذ ليس عندنا أديان سماوية، ولا الأديان الثلاثة ومن عبّر عن اليهودية والنصرانية والإسلام أو غيرها أيضا بأنها أديان سماوية، هٰذا غلط عقدي، وغلط أيضا علىٰ الشريعة وعلىٰ العقيدة؛ لأن الدين واحد كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩]، فالدّين الذي جاء من السماء من عند الله وارتضاه الله في السماء وارتضاه في الأرض واحد، ليس باثنين، وليس بثلاثة.

فمن الغلط قول القائل: الأديان السماوية الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام؛ بل ليس ثَم إلا دين سماوي واحد وهو الإسلام فقط، علىٰ التفصيل الذي ذكرنا في المسألة الأولىٰ.

فشريعة عيسىٰ عليه السلام تسمىٰ النصرانية، وشريعة موسىٰ عليه السلام تسمىٰ اليهودية، أو تقول: اليهودية والنصرانية وغير ذلك؛ لكن لا تنسب هٰذه الثلاث بقول القائل: الأديان السماوية الثلاثة؛ لأنه كما قال الطحاوي هنا (دِينُ اللهِ ... وَاحِدٌ) ليس متعددا.

وهٰذه ذهب إليها جمع من النصارىٰ أن اليهود بتصحيح كل الديانات يعني من القرون الأولىٰ بأن النصرانية دين من الله وأن اليهودية دين من الله والإسلام دين من الله وهٰذا لاشك أنه باطل ومخالف لنصوص الكتاب والسنة وللإجماع في أن الله جل وعلا لا يرضىٰ إلا الإسلام، كما قال جل وعلا: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣] وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[آل عمران]، وقال جل وعلا: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [الحج:٧٨] يعني ﴿مِن قَبْلُ﴾ يعني عند الرسل السالفة.



سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

**المسألة الثالثة:** الدّين أصل اشتقاقه في اللغة من دَانَ يَدِينُ إذا التزم، أو أُلزم بما يكون ملازما له ومعتادا في شأنه، لذلك قيل أيضا: الدَّيْدن دَيْدَنه كذا يعني ما اعتاده كذا، دَيْدني يعني ما اعتدته، ومنه أيضا الدِّين يقول: أنا ديني كذا يعني في أصل اللغة يعني أعتاد كذا والتزمه.

ولهٰذا صار كل ما يلتزم يقال له دين لهٰذا جاء في القرآن ذكر دين الملك في قصة يوسف في قوله جل وعلا: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾[يوسف]، وقوله جل جلاله: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ يعني في شريعة الملك؛ لأنها ملتزَمة، والالتزام والحكم بها صارت عادة وصارت دَيْدَنا؛ يعني صارت دينا يُعتاد ويلزم به الناس.

لهٰذا يقال: فلان دِينه ضعيف، أو دينه قوي يعني ما اعتاده من الالتزام لأمر الإسلام.

إذن فقوله هنا: (دِينُ اللهِ) هٰذه الإضافة إضافة الدين إلىٰ الرب جل وعلا ليست إضافة إلىٰ الفاعل هي إضافة إلىٰ الآمر بها، تقول دين فلان لأنه هو يتدين، ودين الله يعني الدين الذي أمر الله به وأَلزم به الناس ولم يرض غيره هو الإسلام.

وهنا فرق بين الدين وبين الشريعة وبين العقيدة يحتاج إلىٰ وقت أطول لبيانه.

تشترك الدين يمكن أن يطلق علىٰ الشريعة والعقيدة جميعًا، والشريعة يمكن أن تطلق علىٰ الدين وعلىٰ العقيدة أيضا، والعقيدة أيضا يمكن أن تطلق علىٰ الشريعة وعلىٰ الدِّين؛ لكن بينها عموم وخصوص فهي تشترك في أشياء وتختلف في أشياء، ويمكن أن يعبَّر عن كل واحد بالآخر.

**المسألة الرابعة والأخيرة:** الإسلام ينقسم إلىٰ -يعني من حيث الاستسلام- إلىٰ ثلاثة أقسام: إسلام الوجه، وإسلام العمل، وإسلام القلب.

**وإسلام الوجه:** يُعنىٰ به أن لا يتوجه إلىٰ غير الله جل وعلا في عبادته، فيستسلم ربه جل جلاله ويُقبل عليه بوجهه وحده دون ما سواه، وهٰذا جاء في نحو قوله جلّ جلاله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[البقرة:١١٢]، وقوله جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾[النساء].

القسم الثاني **إسلام العمل لله** جل وعلا: وهو أن يكون العمل مستسلَمًا فيه لله متخلَّصا فيه من الهوىٰ فيسلم العمل؛ يعني يستسلم في العمل فلا يسلَّط داعي الهوىٰ علىٰ الأعمال الصالحة.

والثالث **إسلام القلب:** وهو أصل هٰذه الأنواع كلِّها وهو أنه يخلص في بين قوله وفي عمله، ويستسلم لربه جل وعلا في كل أحوال قلبه.

وينقسم الإسلام أيضا باعتبار آخر إلىٰ شرائع ذكرناها لكم، فكل نبي دِينه الإسلام لكن شريعته مختلفة، وقد يقال: دين النصرانية، دين اليهودية باعتبار التدين كما ذكرنا لك باعتبار الالتزام، والمقصود الشريعة؛ لكن لا يقال الأديان الثلاثة السماوية كما ذكرنا لك.

باعتبار آخر ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام وهو الإسلام الخاص: إلىٰ الإسلام والإيمان والإحسان.

وينقسم أيضا باعتبار رابع إلىٰ إسلام كامل وإسلام ناقص؛ يعني باعتبار الاستسلام، إسلام كامل يعني

استسلام كامل إسلام ناقص يعني استسلام ناقص.

وهٰذا بحثه أهل العلم واختلفوا فيه، هل:

الإسلام مثل الإيمان يزيد وينقص؟

أم أن الإسلام شيء واحد، والإيمان هو الذي يزيد وينقص؟

أم أنَّ كلا منهما شيء واحد؟

أم العكس؟

علىٰ أقوال متنوعة، والذي ينطبق علىٰ طريقة أهل السنة والجماعة، وإن لم يصرح به الأوائل؛ ولكن صرح به المتأخرون ابن تيمية ونحوه من أهل العلم، أن الإسلام يزيد وينقص باعتبار الاستسلام، وأنّ الإسلام له كمال وله نقص، وهٰذا ظاهر باعتبار الاستسلام.

فإذا نظرنا إلىٰ إسلام الوجه والعمل والقلب أو القصد لله، فالناس في ذلك متباينون تباينًا شديدًا.

وإذا نظرنا إلىٰ التقسيم السالف وهو أن الإسلام ينقسم إلىٰ إسلام وإيمان وإحسان، والناس في الصلاة مختلفو المراتب، وفي الصدقة الواجبة الزكاة مختلفو المراتب، وأن الناس في الصيام مختلفو المراتب، وفي الحج مختلفو المراتب، ثم في الإيمان أيضا مختلفو المراتب، فلابد أن يكون ما تكون من هٰذه أن يكون متفاضلا.

أيضا وكذلك من كان وصفه الإسلام علىٰ مرتبة واحدة، كذلك ليس كل مؤمن علىٰ مرتبة واحدة، فأهل الإيمان في الإيمان متفاوتو المراتب وكذلك أهل الإسلام في الإسلام متفاوتو المراتب؛ لأن الإسلام الذي هو الاستسلام يقبل التفاوت ويقبل الزيادة والنقص.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعدها: (**وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ، وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْيَأْسِ.**) هٰذه الأربع ألفاظ المتقاربة نص عليها رَحِمَهُ اللَّهُ لأجل أن الفرق الضالة أو التي خالفت نحت إلىٰ أحد هٰذه الثمان صفات، فذكر ثماني صفات، الأولىٰ: الغلو، الثانية: التقصير، الثالثة: التشبيه، والرابعة: التعطيل، الخامسة: الجبر، السادسة: القدر، السابعة: الأمن، والثامنة: اليأس، ثم قال بعدها: (**فَهٰذا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا**) إلىٰ آخره.

قوله: (**وَهُوَ بَيْنَ**) يعني أن هٰذه الصفات الإسلام لا يقتضيها ودين الله الحق ليس مع الغلو كما أنه ليس مع التقصير، ودين الله الحق ليس مع التشبيه كما أنه ليس مع التعطيل، كذلك دين الله الحق ليس مع الجبر في الأفعال كما أنه ليس مع إثبات الفعل للإنسان خلقا دون الله جل وعلا وهو المسمىٰ بالقدر، وكذلك بين الأمن من مكر الله جل وعلا، وبين اليأس من روح الله جل جلاله.

فيريد أن أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح أخذوا بهٰذه الوسطية بين هٰذه المسائل، فهم وسط بين الغلو والتقصير، وهم وسط بين التمثيل والتعطيل، وهم وسط بين الجبر والقدر، وهم وسط بين الأمن واليأس.

فإذا تبين لك ذلك فهٰذه الجملة يبحث فيها كل العقيدة، كل ما ذكرنا من شرح في هٰذا الكتاب تدخل في هٰذه الجمل:

فهو بين الغلو والتقصير في العمل والإيمان وبسن التشبيه والتعطيل في مسائل الصفات والإثبات إلىٰ آخره.

الغلو ذهب إليه الخوارج، والتقصير ذهب إليه المرجئة وأهل الشهوات.

التشبيه ذهب إليه المجسمة، والتعطيل ذهب إليه المعطلة والمؤولة ونفاة الصفات.

والجبر ذهب إليه الجبرية الجهمية والأشاعرة والماتريدية، والقدر يعني القدرية الأوائل نفاة العلم، ثم المعتزلة الذين أثبتوا خلق الإنسان بفعله.

الأمن من مكر الله جل وعلا ذهب إليه أهل الشهوات، فعلوا ما يشاءون وأمِنوا مكر الله، واليأس ذهب إليه طائفة من المتصوفة فيئسوا من روح الله جل وعلا.

وهكذا في أصناف شتىٰ في هٰذه الأمور.

فإذن هٰذه الجملة هي في الحقيقة تلخيص لما سبق، وهي عرض لها كما تذكرون شيخ الإسلام ابن تيمية في مبحث الوسطية، وكل من صنف في الاعتقاد يعرض لها؛ لكن بأساليب مختلفة، وهي التي سماها عدد من طلبة العلم في هٰذا العصر، الوسطية الاعتقاد الوسطية في الإيمان، الوسطية في القدر، الوسطية السلوك، الوسطية في العبادة، الوسطية في الحكم علىٰ الناس، وهكذا.

ولاشك أن دين الإسلام وسط كما أثنىٰ الله جل وعلا علىٰ أهله بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة:١٤٣]، وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ يعني أمة عدلا خيارا، عدلا خيارا، كما فسرها السلف، لماذا صارت عدلا؟ لأنها توسّطت في ما ذهب إليه الملل من قبل، فعندك اليهود عندهم التشدد والغلو والأغلال والآصار، والنصارىٰ عندهم التساهل في الزيادة والابتداع إلىٰ آخره، فأهل الإسلام وسط في كل أحوالهم وسط في العقيدة ووسط في العبادات بجميع أحوالها وأنواعها ٠

إذا تبين ذلك فنعرض لهٰذه الجمل سريعا في مسائل:

**المسألة الأولى**: الغلو والقصير قد يعبر عنه بالغلو والجفاء.

**والغلوّ** لفظ جاء في الكتاب والسنة، كما قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾[النساء:١٧١]، وقال جل وعلا في الآية الأخرىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾[المائدة:٧٧]، وقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في الحديث الذي في بعض السنن «**بمثل هؤلاء فارموا**» لما ذكر أن مسك أو قبض علىٰ حصىٰ الخذف «**وإياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**» فنهىٰ عن الغلو عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

والغلو كما أنه يكون في الاعتقاد كذلك يكون في العبادة.

**وحقيقة الغلو في تعريفه الشرعي: هو الزيادة عما أذن به شرعا في السلوك أو في التعبد أو في الاعتقاد؛** يعني في التديّن إذا زاد في الدين عما أذن به فإنه يكون غاليًا، كما أنه إذا زاد في الإنفاق عما أو في الفعل عما أذن به صار مسرفا.

أما **التَّقصير** فهو ترك ما أمر به العبد بأن يقصّر ويجفو ويتبع الشهوات وهو عكس الغلو.

وأولئك بغلوهم في الاعتقاد أو يغلون في الإثبات أو يغلون في السلوك.

مثاله الخوارج غلوا في جانبين؛ بل في عدة جوانب بين غلو في العقيدة فضلوا كفروا وتركوا نهج الصحابة، وغلوا في العبادة حتىٰ إن أحد الصحابة يحقر صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم كما جاء في الحديث، وغلوا أيضا في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقاتلوا جهادا من لا يستحق القتال شرعا؛ بل من يحرم قتاله، حتىٰ أن الأمر بغلوهم أنهم تعبدوا لقتل خيار الله جل جلاله مثل الصحابة فأكرموا الصحابة وأعلاهم منزلة في زمنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومع ذلك تقربوا إلىٰ الله بقتله؛ بل أساس قتل عثمان رضي الله عنه هو من فعل الخوارج ، قتلوا عليا وهم يتمنون الجنة بقتل عثمان وبقتل علي من شدة غلوهم كما وصفهم النبي ﷺ: «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**» يعني أهل الشرك.

وأما **التقصير** فهو حال أهل الشهوات الذين تركوا العبادة وتركوا طاعة الله جل وعلا ولم يَبْلغوا ما أمر الله جل وعلا به؛ بل هم في تقصير وغِشيان للشهوات والمحرمات والكبائر ولا يرعون ولا يثوبون ويتذكرون، هؤلاء يقابلون المتشدّدين، يقابلهم أهل التساهل والكبائر والذنوب والمعاصي.

**الثانية**: قوله: (بَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ).

**التشبيه** هو أن يجعل شيء شبها لشيء، فعملية الجعل هٰذه تشبيه، شبه تشبيها، والتشبيه قسمانّ؛ يعني جعل الشبيه قسمان:

⬅ جعْل الشبيه لله جل وعلا في صفاته كلها، أو في بعض صفاته، أو في تمام معنىٰ الصفة...، يمكن أن تقول اختصارا: أن يشبه الله جل وعلا بخلقه أو يشبه الخلق بالله جل وعلا في الكيفية كيفية الصفات أو كيفية الصفة أو في تمام معنىٰ بعض الصِّفة.

⬅ النوع الثاني من التشبيه أن تشبّه صفة الله جل وعلا بصفة خلقه في أصل المعنىٰ دون تمامه؛ أن تشبه صفة الخالق جل وعلا بصفة المخلوق في بعض المعنىٰ أو في أصل المعنىٰ.

وهٰذان القسمان هل يُنفيان عن الله جل وعلا جميعا أو ينفىٰ أحدهما عن الآخر؟ اختلف أهل العلم في ذلك.

الذي يوافق طريقة أهل السنة والجماعة أن ينفىٰ الأول وهو المراد بالتمثيل دون نفي الثاني؛ لأن إثبات الصفات إثبات للصفة مع المعنىٰ، والمعنىٰ يشترك المخلوق مع الخالق فيه في أصل الصفة، في أصل المعنىٰ دون كماله، كما أنه المخلوق يوصف بالوجود والله جل وعلا يوصف بالوجود فبينهما اشتراك في أصل المعنىٰ دون تمامه ودون حقيقته، كذلك يوصف المخلوق بالسمع، والله جل وعلا يوصف بالسمع، وللمخلوق سمع يناسبه، ولله جل وعلا سمع كامل متنزه عن النقائص.. وما يليق بجلاله وعظمته جل وعلا.

**فتحصّل من هٰذا أن:**

الأول: متفق علىٰ منعه وهو التمثيل.

والثاني: مختلف في إطلاقه بين أهل العلم، والأوْلىٰ أن لا يُستعمل التشبيه إلا في معنىٰ التمثيل؛ حتىٰ

لا يظن الظان ممن لا يفهم طريقة أهل السنة والجماعة أنهم يتساهلون في مسألة التشبيه، فيصدِّقون أنهم مشبهة أو يؤكدون أنهم مشبهة.

وهٰذا ولو استعمله بعض أهل العلم كابن تيمية وغيره؛ ولكن أرادوا منه حقا وهو أن لا تنفىٰ الصفات؛ ولكن من حيث الاستعمال لا تستعمل لا يقال أنه هناك تشبيه جائز أو أن من التشبيه ما هو حق هٰذا ليس كذلك.

لذلك لفظ التشبيه لم يأت في الكتاب والسنة منفيا، وإنما جاء نفي المثيل ﴿كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ]، ولكن لا نستعمل لفظ التشبيه، فالله جل وعلا ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، وكذلك ليس له شبيه جل وعلا، وأهل التشبيه هم أهل الضلال.

لهٰذا قال هنا: (**وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ**) فالمشبهة وهم الذين جعلوا صفات الله جل وعلا مشبهة لصفات خلقه، إما جميع الصفات كحال أهل التجسيم أو بعض الصفات، هؤلاء نتبرأ منهم وليس في طريقة أهل السنة لفظ تشبيه مثبتا، لا نقول: قد يكون، مثل ما استعمل بعض المعاصرين ممن لم يتحقق بطريقة أهل السنة والجماعة وأهل الحديث.

القسم الثاني **التعطيل**، والتعطيل مأخوذ أو معناه الإخلاء، مأخوذ من العُطْل وهو التخلية يقال جِيدُ المرأة عاطل؛ يعني أنه خال من الحلية من الحُلي كما قال الشاعر وهو امرئ القيس:

وجيدٌ كجيد الرِّيم ليس بفاحش ... إذا هي نصّته ولا بمُعَطّل

بمعطل يعني بخال من الحلية، فالتعطيل معناه التخلية، فالتعطيل في حق الله معناه أن يُخلىٰ الله جل وعلا من صفاته، فنفاة الصفات معطلة، وكل من نفىٰ صفة أو أكثر فله نصيب من التعطيل بقدر ما نفىٰ؛ لأن التعطيل إخلاء من الصفات، فنفاة الصفات مثل المعتزلة والأشاعرة، أو من نفىٰ كل الصفات أو نفىٰ بعضها؛ فإنه يطلق عليه معطلة، بالمناسبة تجد في كتب أهل العلم، تارة يقولون عن هؤلاء: نفاة الصفات، وتارة يقولون مثبتة الصفات، ففي موضع يجعلونهم مع النفاة، وفي موضع يجعلونهم مع المثبتة بحسب السياق، فإذا نُظر إلىٰ نفيهم للصفات -يعني المعتزلة والأشاعرة- إلىٰ نفيهم الصفات قيل لهم: نفاة للصفات مع الجهمية لأن الجهمية هم أصلا نفاة الصفات، وإذا نظر إلىٰ ما أثبتوا وأن الجهمية تنفي جميع الصفات قيل عنهم أنهم مثبتة للصفات؛ يعني لأصل الصفات وليسوا منكرين لأصل الاتصاف.

المقصود من ذلك أن التعطيل ينطبق علىٰ نفاة الصفات سواء نفىٰ كل الصفات أو نفىٰ بعض الصفات.

إذا كان كذلك فدين الله بين التشبيه والتعطيل؛ يعني ما بين نفي الصفات، وما بين أن يُجعل لله جل وعلا صفات كصفات المخلوق.

فنثبت لله جل وعلا الصفات؛ لكن[1] ما بين نفي الصفات وما بين أن يد جعل لله جل وعلا صفات كصفات المخلوق.

فنثبت لله جل وعلا صفات لكن علىٰ قاعدة: ﴿كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ]،

---

(١) نهاية الوجه الأول من الشريط الحادي والخمسين.

وعلىٰ قاعدة أهل العلم أن إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية، وأن بين الصفة وبين الصفة بين صفة الخالق وبين صفة المخلوق كما بين الذات والذات.

والله جل وعلا ضرب لنا مثلا في المخلوقات المخلوقات ليست متساوية في الصفات، الذباب له قوة تناسبه، والإنسان له قوة تناسبه، ولكن هنا ثم قوة وثم قوة البعوض له سمع وله بصر يناسب والإنسان له سمع وله بصر يناسبه، والفيل له قوة وله سمع وله بصر وله قدرة تناسب.

فإذن المخلوقون الأصناف التي خلقها الله جل وعلا جعلها متفاوتة فيما تتصف به، وإذا كان كذلك فإذن ما بين الخالق وما بين المخلوقين من البون والفرق الكبير في الاتصاف بالصفات كما بين ذات الرب جل جلاله وذوات المخلوقين الوضيعة والناس يُدركون هٰذا تمام الإدراك فيما يزاولونه وينظرون إليه.

**الثالثة**: قال: (بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ) والجبر والقدر مر معنا تفصيل ذلك.

وأن **الجبر** يعني به الجبرية وأن الجبرية ثنتان جبرية غالية وجبرية متوسطة مر معنا في مبحث القدر.

وكذلك القدرية صنفان قدرية غلاة وهم الذين نفوا العلم، وقدرية ليسوا بغلاة وهم المعتزلة الذين نفوا مرتبة من مراتب القدر وهي خلق الله جل وعلا لأفعال للعباد وعموم مشيئته ﷻ.

[**الرابعة**] قال: (وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْإِيَاسِ) وكما ذكرت لك الأمن من مكر الله، واليأس هو اليأس من روح الله جل وعلا.

والواجب علىٰ المؤمن والمسلم أن يعلم أن الإسلام لا يقر الأمن من مكر الله كما لا يقر اليأس من روح الله، فهو بين هٰذا وهٰذا، وهو أن يسير خائفا راجيا يخاف من الله جل وعلا أن يعاقبه، أو أن يستدرجه، وأنه إذا فعل ذنبا فإنه لا ييأس من روح الله جل وعلا.

**وهاهنا مسألة يذكرها أهل العلم**: وهي الأمن والإياس يعني الخوف والرجاء أيهما يغلب؟ هل يكون خائفا أو يكون راجيا؟ وهم متفقون علىٰ أن الخوف الذي يُبلغ المرء إلىٰ اليأس فإنه مذموم، وأن الرجاء الذي يبلغ المرء إلىٰ الأمن من مكر الله فإنه مذموم.

فإذا كان كذلك فهم يبحثون بين الخوف والرجاء ولا يقصدون الخوف الذي يوصل إلىٰ اليأس، ولا الرجاء الذي يوصل إلىٰ الأمن، اختلف أهل العلم في ذلك -كما هو معلوم لديكم- في أي الخوف والرجاء يغلّب؟

قالت طائفة: يغلب جانب الخوف.

وقال آخرون: يغلب جانب الرجاء.

والصحيح في ذلك هو التفصيل، وهو أن الإنسان لا يخلو في حاله من أحد ثلاثة أحوال:

- إما حال صحة.
- أو حال مرض.
- أو حال قرب للوفاة.

فإذا كان في حال الصحة: فيغلب جانب الخوف علىٰ الرجاء حتىٰ ينتهي عن الذنوب ولا تغرنَّه صحته في الإقدام علىٰ الذنوب والمعاصي واقتحام ما لا يرضي الله جل وعلا، وكذلك يرجو حتىٰ يعمل ويستمر في العمل.

الحال الأولىٰ قال فيها طائفة من أهل العلم: إنه يسوّي بين الخوف والرجاء، وهٰذا ليس بموضعه كما سيأتي.

الحال الثانية حال المرض: حال المرض ينبغي علىٰ الإنسان أن يغلب الإنسان جانب الإنسان ويكون أعظم من خوفه؛ لأنه في حالٍ الخوف عنده ولو أمر بتغليب الخوف خشي أن يصل به إلىٰ عدم الرجاء في الله جل وعلا، وقد قال نبينا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**قال الله تعالىٰ: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**» ويناسب المريض أن يكون راجيا مغلبا علىٰ الخوف حتىٰ يلطف الله جل وعلا به.

الحال الأخيرة هي حال الوفاة: الأفضل المرء فيها أن يسوي بين الجانبين، أن يكون خائفًا راجيًا، قد جاء رجل للنبي ﷺ فقال له وكان مريضا فعاده أم كان مريضا فيه في أول الحديث؟ أظنه كان مريضا فعاده فقال: «**كيف تجدك**» قال: أجدني أخشىٰ ذنوبي وأرجو رحمة ربي. فقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ له: «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هٰذا إلا أنجاه الله من النار**» أو كما جاء في الحديث.

المقصود أنه استدل به أنه في هٰذه الحال أن يسوي المرء بين الخوف والرجاء.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعدها: (**فَهٰذا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَنَحْنُ بَرَآءُ إِلَىٰ اللهِ مِنْ كُلِّ مَنْ خالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ**) يريد بذلك أن جميع ما ذكره في هٰذه الرسالة وفي هٰذه العقيدة المباركة من أوله وآخره أنه دينه ظاهرا وباطنا؛ يعني أنه لا ينافق في ذلك ويظهر شيئا ويخفي شيئا، كما كان عليه طائفة من أهل زمانه من أنهم يقولون: لا تُظهر عقيدتك عند أحد؛ لأنك بين مخالفين فإما أن يثنوا عليك وإما أن يذموك. بل هٰذا ديننا وعقيدتنا واعتقادنا ظاهرا وباطنا؛ لأن الاعتقاد والدّين الأصل في الإنسان أن يعلنه، وقد يجوز أن يستخفي به إذا كانت المصلحة في ذلك؛ لكن هٰذا في حال الفتنة وعدم استطاعة الثبات علىٰ البلاء؛ لكن الأصل الإنسان يعلن ما يعتقده ويدين به ظاهرا وباطنا.

قال متبرئا من كل من خالف طريقة أهل الحديث والسنة والجماعة: (**وَنَحْنُ بَرَآءُ إِلَىٰ اللهِ مِنْ كُلِّ مَنْ خالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ**) قد تقدم لك أنه غلط رَحِمَهُ اللَّهُ في عدد من المسائل هٰذه توكل إلىٰ اجتهاده، وغلط في ذلك وبالجملة كلامه موافق لكلام أهل الحديث وكلام أهل السنة في إثبات الصفات وفي القدر وفي سائر المسائل، لكن في مسألة الإيمان تابع فيها قول أبي حنيفة ومرّ معك البحث في ذلك، فنحن برآء إلىٰ الله من كل مخالفة للكتاب والسنة لكل ما أمرنا الله جل وعلا به أو أخبر من خالفه فنحن نتبرأ إلىٰ الله جل وعلا منه سواء علمنا أو لم نعلم.

هٰذا هو الأصل وهٰذا هو الاعتقاد أننا ندين إجمالا بما أمرنا الله جل وعلا أن ندين به التصديق بالأخبار وباعتقاد وجوب امتثال الأوامر ووجوب الانتهاء عن النواهي، إذا كان أمر إيجاب أو نهي تحريم.

وهٰذا ديننا وهٰذا اعتقادنا، أما تعليقه بقوله فلان أو بما ورد، فهٰذا يحتاج إلىٰ تأمل ونظر لأن الناس يختلفون في ذلك اختلافا بينا.

وما من عالم ممن كتب في العقائد إلا وله اجتهاد يكون في مسألة في مسألتين، وهٰذا لا يعني أنه من أهل السنة أو أنه خالف أو أن كتابه لا يصلح.

فمثلا تنظر إلىٰ أعظم الكتب التي كتبها السلف تجد فيها مسائل لا يقرّها الآخرون لكنها مسائل نادرة في خضم غيرها، إما أن يثبت ما لا يثبت مثلا في بعض الصفات، أو أنه يتأول واحدة بشيء ظهر له، أو أنه يصف شيئا ليس من العقيدة يجعله في العقيدة، مثل ما فعل البربهاري مثلا في بعض المسائل، أو أنه ينسب شيء لأهل السنة وهو ليس من عقيدة أهل السنة.

فلذلك ما قعدوه وأجمعوا عليه واتفقوا عليه فهٰذا ما يجب اتباعه، ولا تجوز مخالفته لأنه هو عقيدة أهل السنة والجماعة، وما اختلفوا فيه فلكل واحد منهم عذره في ذلك؛ لكنه لا يتبع علىٰ ما زل فيه.

الحافظ ابن خزيمة كتب كتابا عظيما وهو قطعة من صحيح سماه التوحيد، ومع ذلك غلط فيه في بعض المسائل في مسألة الصورة كما هو معروف لم يوافق بقية أهل السنة في ذلك.

مثلا عندك البربهاري ذكر مسائل ليست من العقيدة أصلا وأشياء لم تثبت.

من ألف مثلا في العرش جاء بأشياء ليس فيها دليل واضح وهكذا.

المقصود من ذلك أنه ليس من شرط أن يكون الكتاب علىٰ طريقة أهل السنة والجماعة وأهل الحديث أن يكون سالما من كل اجتهاد؛ لكن إذا كانت أصوله التي انطلق منها هي الاستسلام للكتاب والسنة، ورد التأويل والتعطيل واتباع الدليل، وعدم تسليط العقل علىٰ النصوص فهٰذا من أهل الحديث وأهل السنة، فلا بد أن يحصل له من الغلط ما يحصل له.

لهٰذا عظّم أهل العلم كتب شيخ الإسلام ابن تيمية لأنه قرر فيها ما اتفقوا عليه وأجمعوا عليه، وترك فيها ما لكل واحد من أهل العلم ما كتبوا في العقائد اجتهادات، فاعتنىٰ المتأخرون من أئمة أهل السنة بكتب الشيخين شيخ الإسلام وابن القيم لسلامتها من المذاهب الردية وللاجتهادات التي ..... يوافق عليها...

ويبقىٰ عندنا الجملة الباقية هٰذه نبقىٰ معها الدرس القادم إن شاء الله تعالىٰ.

نسأل الله لنا ولكم التوفيق والسداد وأن يختم لنا برضاه إنه جواد كريم.

[الأسئلة]

سؤال (٥٥٠): قال ﷻ: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ﴾[البقرة:١٣٥] ؟

الجواب: معلوم أن موسىٰ عليه السلام جاء بالحنيفية مثل دين إبراهيم جاء بالإسلام، وعيسىٰ عليه السلام جاء بالحنيفية عبادة الله وحده دون ما سواه.

لكن اليهودية المحرفة والنصرانية المحرفة هٰذه إبراهيم عليه السلام بريء منها، ولهٰذا قال جل وعلا: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾[آل عمران]؛ لأن كل طائفة ادعته علىٰ ضلالها.

فاليهود حرفوا دينهم وأرادوا أم ينسبوا التحريف إلىٰ إبراهيم، وأنهم يدعون إلىٰ الإبراهيمية، وكذلك النصارىٰ، وكذلك المشركون ينسبون أنفسهم إلىٰ إبراهيم الخليل وهو بريء من هؤلاء وهؤلاء عليه

السلام..

سؤال (٥٥١): هل تنصحون بإهداء كتب موسىٰ الموسوي للرافضة؟

الجواب: نعم، كتبه نافعة وتنفع القوم تقيم الحجة عليهم أو تهز ثقتهم بأصولهم.

سؤال (٥٥٢): المرأة إذا لم تجد محرما أو لم يوافق محرمها علىٰ الذهاب معها وهي مستطيعة الحج ثم ماتت، هل يلزم وليَّها أن يحج عنها؟

الجواب: ..وجود المحرم بالنسبة للمرأة من الاستطاعة والله جل وعلا قال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[آل عمران:٩٧]، فالمرأة التي لا تجد محرما لا تعتبر مستطيعة، فلم يتوفر فيها شرط وجوب السعي إلىٰ الحج.

والنبي ﷺ أتاه رجل فقال له: إن امرأتي خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزة كذا وكذا. قال: «**فانطلق فحج مع امرأتك**» فالمرأة لا يجوز لها أن تحج إلا مع ذي محرم؛ لأن الحج سفر تنقل يحتاج إلىٰ رعاية قد يصيب المرأة ما يصيبها فهي معرضة فيه لأشياء كثيرة تحتاج معها إلىٰ من يعتني بها وهو ذو محرم منها.

اختلف أهل العلم هل العلة في اشتراط المحرم هو:

وجود الأمن للمرأة؛ لأن السفر مظنة عدم أمن الأمن العام أو الأمن عليها في بدنها أو في عرضها؟

أو أن المقصود منه تعبد وأنها لا تحج إلا مع المحرم لحاجتها إليه؛ ولأن الحج لا يكون إلا كذلك؟

علىٰ عدة أقوال:

وكثير من أهل العلم يبني علىٰ هٰذا أنه يعني علىٰ الخلاف، هل لها أن تحج مع نسوة مأمونات أو ليس لها أن تحج مع نسوة مأمونات، فصار هنا رجعت المسألة إلىٰ قولين:

الأول: أنه لا يجوز للمرأة أن تحج بدون محرم مطلقا.

والقول الثاني: أن لها أن تحج بدون محرم إذا كان الطريق آمنا، وهؤلاء اختلفوا في أمن الطريق:

**فمنهم** من قال أمن الطريق أن يكون معها نسوة مأمونات، معها خمس عشر حريم هي معهم الكثرة هٰذه تمنع عدم الأمن، فيترجح أنها تأمن مع ذلك، وهٰذا مذهب عدد من الشافعية والمالكية، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية.

**والثاني** من هٰذا القول أنه إذا تحقق الأمن جاز لها السفر ولو سافرت وحدها، إذا كان ظاهر السفر أمن ويستدلون له بقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «**والله ليتمن الله هٰذا الأمر حتىٰ تخرج الضعينة من صنعاء إلىٰ مكة أو قال من الكوفة إلىٰ مكة لا تخشىٰ إلا الله**» قالوا: علقها بوجود الأمن تخرج الضعينة الواحدة لا تخشىٰ إلا الله.

والصحيح من ذلك هو الأول، وهو أن المرأة لا يجوز لها أن تحج إلا مع ذي محرم منها، لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «**لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم**» تلك المرأة حجت وقال النبي ﷺ للرجل: «**فانطلق فحج من امرأتك**» مع أنه أكتتب في غزوة كذا وكذا في الوجوب.

لكن لو حجت صح حجها، لو حجت بدون محرم صح حجها؛ لأنه شرط للوجوب وليس شرطا

للصحة.

طبعا إذا ماتت وهي لم تحج ما تمكنت من المحرم حج عنها وليها لأنه بقيت في ذمتها هي لابد عنها أن تحج فيحج عنها حجة الإسلام من بلدها. ما يجب عليه.

سؤال (٥٥٣): ما رأيك في مقولة أحد الشباب ينتسب إلىٰ الدعوة يقول: إن زمن القرآن ولّىٰ بسبب وجود القنوات الفضائية فلابد أن نواجه الشباب بغير القرآن أن نكون عصريين. هٰذه رسالة في توجيه الشباب.

الجواب: ما أظن مسلم يقول هٰذا، ما أظن أحد من الشباب يقول زمن القرآن ولّىٰ هكذا بهٰذا النص، ما أظن أحد يصلي يقول هٰذا الكلام.

لكن يجب علىٰ الإنسان أن يتحرىٰ في ألفاظه، كما تعلمون الحديث: «**وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي بلها بالا تهوي به في النار سبعين خريفا**» قد يقول كلمة ويقول مقصدي زين، وليست المسألة بالمقاصد، لازم أن تتقي الله جل وعلا في ألفاظك، أن تخاف الله بما تنطق به حتىٰ مع أهلك وحتىٰ مع أولادك وحتىٰ في عملك، المسلم وقور يتحرىٰ في لفظه ويتحرىٰ في تعامله؛ لأن اللسان يحاسب عليه، تحاسب علىٰ لسانك في كل ما تقوله.

حديث معاذ معلوم لديكم وهو قوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**كُفَّ عليك هٰذا**» حديث معاذ طويل قال: «**وكف عليك هٰذا**» قال: يا رسول الله أَوَ مؤاخذون بما نقول؟ قال: «**ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار علىٰ مناخرهم -أو قال علىٰ وجوههم- إلا حصائد ألسنتهم**».

ألحظ أنا من بعض طلبة العلم أو بعض الشباب أو بعض أهل الخير إذا جاوا يمزحون ما يهمهم ووش يقولوا أي كلام، هٰذا سيئ للغاية سيء، أحيانا يطلقون كلاما قبيحا.

مثلا اضرب لكم مثال: يأتي ذكر القبر مثلا وأنه نور يجيء واحد ويقول: والله، كهرباء جيدة، هٰذا كلام حرام وقد يهوي به القائل..، أو يقول: كشاف ألف شمعة أو مثل هٰذا الكلام؛ يعني يحصل أنهم يتناقلون مثل هٰذا الكلام ويقولونه بينهم؛ لكن مثل هٰذا الكلام لا يجوز البتة.

الأمور الشرعية وطن نفسك علىٰ الهيبة فيها، هٰذا من تعظيم شعائر الله، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[الحج]، تطلق لفظ لا تلقي له بالا وآخر لا تلقي له بالا، ما تدري سيعاقبك الله جل وعلا بسلب الإيمان منك وأنت لا تشعر.

ولذلك يجب علىٰ الشباب وعلىٰ طلاب العلم أن يمزحوا بما مزح به النبي ﷺ، ما يأتون للأمور الشرعية ويتعرضون لها بأقوال ليست...

سؤال (٥٥٤): ما الكتاب الذي تنصح به لمن يعاني حفظ «زاد المستقنع»؟ وما رأيك في الرجوع في مسائل «الزاد» إلىٰ «الإنصاف»؟

الجواب: «زاد المستقنع») كتاب حسن جامع من مختصرات الحنابلة المتأخرة، واختصره من «المقنع» لابن قدامة، و«المقنع» لابن قدامة من الكتب المتوسطة جعل فيه المذهب، وربما ذكر في مسألة وجهين أو روايتين أو قولين، ربما يذكر في الباب مسألة مسألتين لها وجهان فيها قولان فيها

روايتان يعني عن الإمام أحمد.

ثم «الزاد» مختصر زاد عليه مسائل وحذف منه مسائل، واختصره، واعتنىٰ العلماء به بشروح وبحواشي كثيرة جدا عليه، من شروحه الحسنة «الروض المربع» للشيخ منصور البهوتي المصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ، وأيضا ثَم حواشي علىٰ «الروض» حاشية الشيخ العنقري، حاشية الشيخ عبد الرَّحمٰن بن قاسم، وحاشية الشيخ أبا الطين.. عدد من الحواشي الأخرىٰ.

الزاد نفسه عليه حواشي؛ لكن الزاد والروض يعتبر «المنتهىٰ» و«شروح المنتهىٰ» شرح أو شروح للروض المربع، «منتهىٰ الإيرادات» هٰذا أكبر وأقعد في المذهب هو أقعد كتاب في مذهب الحنابلة يعني أفضل كتاب في مذهب الحنابلة في المنتهىٰ كما هو معروف، وله شروح كثيرة منها شرح المصنف، ومنها شرح الشيخ منصور وثَم حواشي أيضا كثيرة طبع بعضها.

بعده «الإقناع» مع شروح الإقناع وحواشيه، كل واحدة من هٰذه الأكبر شرح لما قبله مع الحواشي والشروح مخدوم المذهب من كل جهاته.

فالذي يريد أن تنمو عنده حاسة الفقه علىٰ طريقة الحنابلة عنده هٰذا التسلسل، وكل كتاب شرحه والحواشي التي معه علىٰ إثره، أعان الله طلبة العلم علىٰ التفقُّه في الدين.

وكتاب «الزاد» من الكتب النافعة جدا ولا يقول قائل فيه مسائل مرجوحة، طلب العلم يكون للتفقه لا للفتوىٰ، تفقه تعرف المسألة الراجحة من المسألة المرجوحة صورة هٰذه وصورة هٰذه حتىٰ تنمو عندك الحاسة الفقهية، وبعد ذلك يمكن أن تعلم وتعرف الراجح.

سؤال (٥٥٥): قال أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أو ما ينسب إليه الملاحم والمغازي والتفسير ثلاث ليس لها أصول. إذا صحت كيف تفهم علىٰ قصده؟

الجواب: هٰذه كلمة صحيحة عن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ثلاثة ليس لها أصل التفسير والمغازي والملاحم.

ويعني بها التفسير بالاجتهاد وليس التفسير الأثر، والمغازي التي صنف فيها مثل الواقدي كتابه «فتوح الشام» وإلىٰ آخره، هٰذه أسانيدها ليست كذلك والملاحم التي تؤثر ستكون أو كانت مما كان يستعمله أهل القصص في ذلك الوقت، وربما ركبوا له أسانيد وهٰذه ليس لها أصول ثابتة لأنها لم تكن عناية السلف من الصحابة بنقل هٰذه الأشياء، إنما نقلوا التفسير المأثور، ونقلوا سيرة النبي ﷺ، أما المغازي التفصيلية والملاحم ما كان وما يكون، هٰذا لم يكن من العلم النافع الذي كان يعتني به السلف رحمهم الله.

سؤال (٥٥٦): رجل تيمم ثم صلىٰ، وفي أثناء الصلاة وجد الماء فهل يُتمّ صلاته أم يقطعها ويتوضأ ثم يصلي وما الدليل؟

الجواب: هٰذا سؤال اختبار، وما الدليل وما التعليل.

المسألة هٰذه معروفة ومشهورة، والأصل فيها قول الله جل وعلا: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ﴾[النساء:٤٣]، هنا ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً﴾ هل هو في ابتداء الصلاة يعني قبل الصلاة؟ أو لم تجدوا ماء مطلقا؟

من نظر إلىٰ عدم وجود الماء إلىٰ أنه في الابتداء وفي الأثناء، قال: إنه إذا وجد الماء في أثناء الصلاة فإنه يعتبر واجدا للماء قبل تمام الصلاة وفي الوقت، فإنه يلزمه أن يقطع الصلاة تصبح طهارته مع وجود الماء فإنه يلزمه أن يعيد الصلاة أو أن يقطع الصلاة وأن يتوضأ ويصلي.

ومن قال: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ يعني قبل بداية الصلاة فإنه إذا لم يجد الماء وتيمم صار التيمم بدلا عن طهارة الماء بحكم شرعي، ودخل في الصلاة بحكم شرعي؛ لأنه تم شروط الصلاة ودخل في الصلاة.

فإذن إبطال صلاته يحتاج إلىٰ دليل وهو خلاف الأصل.

وهٰذان القولان معروفان والذي رجّحه كثير من المحققين هو الثاني، وهو لا يعيد الصلاة يستمر فيها؛ لأنه دخل في الصلاة بطهارة صحيحة، والأحوط حقيقة هو الأول؛ لأنه له شبه لمن وجد الماء، والوقت باق وهٰذا الماء عنده فالأحوط أن يتوضأ وأن يعيد الصلاة أو يصلي.

سؤال (٥٥٧): أشكل علي قول بعض المؤلفين في كتب القرآن وغيرها أن (ال) في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[الفاتحة] للاستغراق عند أهل السنة خلافا للمعتزلة بناء علىٰ خلافهم لخلق أفعال العباد فلا يقولون أنها للاستغراق ؟

الجواب: تحتاج إلىٰ نظر، معنىٰ الاستغراق هل فعلا المعتزلة ينكرون الاستغراق هنا؟ **ما أعلم**.

لكن الحمد الألف واللام هنا استغراق الجنس؛ يعني جنس أو أجناس الحمد جميعا لله رب العالمين يعني مستحقة لله جل وعلا أجناس الحمد خمسة:

حمد لله في ربوبية، وحمد في الألوهية، وحمد في الأسماء والصفات، وحمد في الشرع، وحمد في الكون والقدر.

فأجناس الحمد كلها لله، إيش علاقة هٰذا بخلق أفعال العباد؟ ما أعلم.

وأظن -إذا ما خانتني الحافظة- أظن أن الزمخشري يقول: إنها للاستغراق في فاتحة التفسير وقال أل للاستغراق أظنه يقول ذلك.

فيحتاج إلىٰ مراجعة.

سؤال (٥٥٨): من أراد الإحرام من الميقات هل يلزم الدخول إلىٰ المغاسل والمسجد أو يحرم من الطريق؟

الجواب: إذا مر بالميقات فإنه السنة بحقه أن يدرك وقت الصلاة -صلاة مفروضة- في الميقات، أو ينتظر حتىٰ يأتي وقت صلاة فيصلي الظهر مثلا أو يصلي العصر ثم يهل بعدها، يهل بعدها الحج أو بعمرة أو بهما معا بحسب ما يختار، ثم بعد ذلك إذا ذهب بعد الاغتسال والطهارة إلىٰ آخر السنن المعروفة.

ثم بعد الصلاة الفرض يهل، ثم بعد ذلك يركب السيارة، فإذا ركب السيارة سبح وحمد وهلل وكبر؛ قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. ثم يلبي مرة أخرىٰ فيقول: لبيك اللّٰهمَّ حجا أو لبيك اللّٰهمَّ عمرة، ثم يكمل التلبية.

أما من لم يختر أن يصلي صلاة فرض وهو مار فإنه يلبي إذا حاذ للميقات يلبي دون الصلاة لأن الإحرام ليس له صلاة تخصه؛ يعني صلاة ركعتين لأنه لا يحرم إلا بعد ركعتين فإذا حاذ الميقات كفاه.

سؤال (٥٥٩): هل يجوز أن نَصِفَ القدر بالظلم؟

الجواب: لا يجوز لأن القدر فعل الله جل وعلا وتقديره فلا يوصف بالظلم ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف].

سؤال (٥٦٠): أعرف أناسا جلّ مجالسهم الكلام في أعراض علمائنا الكبار بأنهم لا يفقهون واقع المسلمين وفتاواهم في حيض وغيره، ما أفعل مع هؤلاء وكيف التوجيه؟

الجواب: أظن حصل في السنين الماضية مزيد كفاية في وضوح هٰذه المسألة، وأن من استعجل فوقع في أعراض العلماء أو استنقص رأيهم بان الأمر علىٰ خلافه، لأن مصالح الناس في الحال وفي المآل هي بقول أهل العلم الكبار، ورحم الله سماحة الإمام الشيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ فقد كان لموقفه في الأزمة من الخير العظيم علىٰ الخير العظيم في ذلك الوقت وإلىٰ وقتنا الحاضر إلا العالمون بالشرع وأحوال ما يصلح الناس.

والواجب علينا جميعا ونحن طلاب علم وكلكم حريص علىٰ الخير أن نكون متقين في الله، الكلام في الغيبة محرمة، الكلام في الأعراض محرمة.

ومن العجب أن يأتي شاب صغير لم يأتِ من العلم شيئا فضلا أنه يدرك الواقع، ويقع في حق كبار من أهل العلم الذين عرفوا العلم وعرفوا الواقع؛ ولكن هل الواقع هو الأخبار السياسية؟ هل الواقع هو التفصيلات؟ هل الواقع هو تفصيلات الكيد؟ أم الواقع هو واقع العداء وكيف تطبق حالهم علىٰ الشرع؟ أو تطبق حالهم علىٰ ما في القرآن والسنة؛ يعني لا تنفك المسألة من وجود الأعداء من الإسلام والمسلمين هؤلاء الأعداء فصلهم الله جل وعلا في القرآن قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾[النساء]، بيّن الله جل وعلا حال اليهود وتفاصيل عداوة اليهود لنا والنصارىٰ ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ﴾[البقرة:١٢٠].

لكن هل من شرط العالم أن يتتبع جميع الجرائد ويقرأها والأخبار والقنوات الفضائية والتحليلات السياسية حتىٰ يكون فقيها بواقع؟ لاشك أن هٰذا ليس بمقصود.

والأحكام الشرعية لابد أن تكون عن فهم وفقه؛ لكن ليس كل ما علمه الناس يكون مؤثرا في الفتوىٰ أو في الحكم أو في التصرفات فهناك أشياء تعلم لا قيمة لها ولا أثر، وليس كل ما يعرض أو تسمعونه أو ينقل يكون صحيحا؛ لأن الناس الآن يضلون بالأخبار، الأخبار والإعلام يضل وينوّه الأقوال، ويجعل الناس يتصرفون تصرفات يبنون أحكاما علىٰ ما نُقل، ربما بعضكم ينظر في الأخبار التي تُعرض سواء كانت مقروءة أو مسموعة أو مرئية أن تفاصيل الخبر واحدة تنقل في جميع الوسائل، في الجرائد في أمريكا وفي أوربا وفي الشرق وفي المسموع في الأخبار، الصياغة متقاربة؛ بل الصورة والواحدة أحيانا المعروضة في أخبار في قنوات، تجد الصورة تتردد في الأخبار في جميع القنوات، من الذي صاغ الخبر الأساسي؟ ومن الذي صور؟ ومن الذي فعل؟ ومن الذي ينشر هٰذه الأخبار في العالم؟ والناس يدورون حول هٰذه الأخبار، لاشك أنه هناك تسلط إعلامي عالمي علىٰ المسلمين وعلىٰ غيرهم؛ يعني لتكون المواقف ويكون رغبة الناس ولتكون آراء في الناس علىٰ هٰذا نحو ما.

لهٰذا فالذي ينبغي لطلاب العلم أولا أن ينشغلوا بالعلم عن غيره؛ لأن الأمة بل الدّين والجهاد الآن جهاد علم، الناس بحاجة إليكم بحاجة إلىٰ طلبة علم، إذا ضيعتم الوقت في قيل وقال دون فائدة، نحن مرينا قبلكم بمراحل كان بعض الناس يتتبّعون المجلات يشترون المجلات الحوادث ومجلة الوطن العربي وأنا أذكر من ثلاثين سنة ومجلة كذا وجرائد متنوعة ويجمعون أخبارا، لا فقهوا في السياسة ولا فقهوا في العلم، فضاعوا بين هٰذا وهٰذا.

الناس بحاجة إليكم، بحاجة إليكم في العلم النافع في توحيد الله جل وعلا، وفي بيان السنة وبيان الأحكام الشرعية، فتعلموا العلم النافع، واتركوا المسائل الكبار لأهل العلم فإن هٰذا أنفع لكم.

طالب ينظر إذا كان تحليلا جيدا في مجلة مأمونة أو فيه خبر يتعلم ويفهم؛ لكن أن ينقد علىٰ أهل العلم إذا لم يتتبعوا مثل تتبعه هٰذا ليس بنَصَفَة ولا بعدل فضلا أن يكون مأمورا به في الشرع.

فلنق ألسنتنا من الغيبة، ولنحفظ قليل أعمالنا -وإن أثابنا الله جل وعلا عليها- من الضياع والغيبة كما تعلمون الوقوع في العرض ولابد أن يؤخذ ممن اغتاب أن تؤخذ منه المظلمة يوم القيامة.

والله المستعان، يعني الواحد الذي يعرف نفسه وحريص علىٰ الآخرة وما يقربه إلىٰ الله جل وعلا يضيع نفسه بهٰذا اللسان الذي يقع دون عمل.

وكثير من الأعمال النافعة -وأنتم انظروا- التي بقيت ونفعت في دينهم وفي دنياهم من أعمال أهل العلم الكبار هي التي هادية ونافعة، وما أحسن قول ابن الوردي في لاميته[1]:

..... وعن البحر اجتزاء بالوشل

البحر كثير لكنه مالح لا تشرب منه، والوشل ماء عذب قليل لكنه يطفئ الضمأ ويروي الغلة.

سؤال (٥٦١): ما هو الفرق بين المصلىٰ والمسجد؟

الجواب: يعني هٰذا تفريق عند بعض الفقهاء؛ لكن النصوص فيها المسجد كلفظ المسجد.

المصلىٰ هو المكان الذي تتخذه للصلاة لم تجعل أرضه وقفا مسجدا.

والمسجد هو ما أُعدّ للصلاة وجعل مخصوصا بذلك وجعلت أرضه وقفا علىٰ المسجد وقفا علىٰ الصلاة.

يعني مثلا مكان في مستشفىٰ في الطريق يفرشون السجادات ويصلون، هٰذا مصلىٰ، عندك في بيتك خصصت بقعة غرفة أو بقعة تصلي فيها هٰذا صار مصلىٰ.

أما المسجد فهو الذي خصص ويؤذن ويقام فيه وتصلىٰ فيه الصلوات جميعا.

ما له علاقة أن المسجد يصلىٰ فيه كل الفروض أو لا يصلىٰ فيه لا يشترط ذلك، المسجد هو المكان الذي صارت أرضه وقفا، يعني مثلا قد يكون مكان يصلىٰ فيه الناس الفروض الخمسة لكنه ليس مسجدا مثل طريق في مستشفىٰ أو بقعة الناس كل من أتىٰ صلىٰ وقد يكون مسجدا إذا خصص هٰذا مسجد معروف مميز بسوره وبأذانه وإمامته إلىٰ آخر ما هنالك.

---

(١) ملك كسرىٰ عنه تغني كسرة وعن البحر اجتزاء بالوشل

سؤال (٥٦٢): نرجو تغيير موعد درس الخميس إلىٰ فجر يوم الجمعة حيث أن درس الخميس ستعارض مع درس سماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ؟

الجواب: نبحث هٰذا هل يغير إلىٰ فجر الجمعة أو إلىٰ مثلا يوم آخر بعد المغرب بعد العشاء، نشوف إن شاء الله هٰذا.

في هٰذا القدر كفاية وبارك الله فيكم وعليكم، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

سؤال (٥٦٣): .... الذين يرون أن الأسباب ألا يلزم من ذلك تكفير القدرية الذين يقولون الإنسان يخلق فعل نفسه؟

الجواب: سؤال جيد، تراه يلزم لٰكِن ما التزمون، لأنه يبدو أنه ليس سببا عندهم، خلق العبد لفعل نفسه ليس عندهم سببا، هم ما اعتقدوه سببا، وما التزمه أحد، هٰذا سبب ونحن نعتمد عليه، أو هو الذي يحصل المراد خلق الأفعال، وهٰذه الأسباب صحيح وهي التي تخلق صار شركا أكبر، ما التزموه ولذلك ما حكموا به.

سؤال (٥٦٤): ....

الجواب: الدكة ما خصصت للصلاة، المسجد معروف؛ لكن الدكة هٰذه أصلا مخصوصة للجلوس، لجلوس الآغوات الذين يخدمون في الماضي وبقي كذلك، أنت ما تصلي فيها صلّ في المسجد.

السائل: خلفه؟

الشيخ: ما فيه شيء.

السائل: مواجهة القبر؟

الشيخ: بينك وبين القبر أربعة جدران كأنك بين وبينه جدار وشارع وجدار وشارع؛ يعني إذا فصل بين المصلي والقبر أو المقبرة إذا فصل بينهما طريق جازت الصلاة فيه، واضح؟ والآن السور الحديدي هٰذا في داخله سور الطويل هٰذا، الذي داخله ثاني فيه ثالث وبعدين فيه...

سؤال (٥٦٥): مسألة الولاء والبراء ضابطها عند من يعذر بالجهل؟

الجواب: كيف، ما أدري، لكن العذر بالجهل حكم، والولاء والبراء اعتقاد واضح، الولاء والبراء اعتقاد الولاء محبة للتوحيد وموالاة للتوحيد وعمل بالتوحيد، والبراء بغض للشركيات ولعبادة غير الله واضح.[1]

---

(١) نهاية الشريط الحادي والخمسين.

## الدرس السّتون

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

اللّٰهمَّ نسألك علمًا نافعًا وعملًا صالحًا ودعاءً مسموعًا، ربنا لا تكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين فإنه لا حول لنا ولا قوة إلا بك.

[**الأسئلة**] نجيب عن بعض الأسئلة:

سؤال (٥٦٦): هل الميت يعلم عن الأحياء أخبارَهم؟ فقد سمعتُ من بعض أهل العلم من يقول ذلك وآخر ينفيه، وآخر من يقول هٰذه المسألة لا أحد يسأل عنها لأنها من علم الغيب.

**الجواب:** هٰذه المسألة من المسائل المهمّة جدًّا، وكما ذكر السائل تنوّعت أقوال العلم فيها ما بين ناف مطلقا وما بيت مثبت وما بين مفصل للمسألة بحسب ما ورد في الدليل.

**والصواب في ذلك التفصيل.**

☜ فمن نفىٰ مطلقًا بأن الأموات لا يسمعون ولا يعلمون؛ بل انقطعت سبيلهم، استدلوا بقول الله جلّ وعلا: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢﴾[فاطر]، واستدلوا أيضًا بأنّ الميت انقطع من هٰذه الدنيا وارتحل إلىٰ الآخرة وهو مشغول عن هٰذه الدنيا بالآخرة وهو في حياة برزخ، وحياة البرزخ مختلفة عن هٰذه الحياة، فَصِلَتُه بهٰذه الحياة تحتاج إلىٰ دليل، ولا دليل يدل علىٰ سماعه مطلقًا لذلك وجب نفيه لدلالة قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢﴾، ولم يدل أيضا الدليل علىٰ أن الملائكة تبلِّغ الأموات الأخبار والأحوال، فبنوا علىٰ هٰذا النفي العام بأنّ الميت لا يسمع شيئًا.

☜ والقول الثاني أن الأموات يسمعون مطلقًا ويُبَلَّغُون، يعني يسمعون ما يحدث عندهم ويبلغون ما يحصل من أهليهم وأقاربهم من خير وشر، فيأنسون للخير ويستاؤون للشر، وهؤلاء بنوا كلامهم علىٰ أن في الأدلة ما يدل علىٰ جنس سماع الميت لكلام الحي:

كقوله عليه الصلاة والسلام: إذا.. نسيت أوّل الحديث، المقصود اللي في آخره: «**وإنه ليسمع قرع نعالهم**»، واستدلوا بهٰذا علىٰ أنه يسمع.

ويستدلون أيضًا ببعض الأحاديث الضعيفة كحديث التلقين حديث أبي أمامة الضعيف في التلقين ونحوه بأنه يسمع بعض السماع.

ويستدلون أيضًا بما ورد من الأحاديث بأن الملائكة تبلّغ الميت بأخبار أهله، ويعرضون عليه ما فعلوا فإن وجد خيرًا فرح واستبشر وإن وبلّغ غير ذلك استاء من أهله.

ويستدلون أيضا بما يحصل للأحياء من رؤيةٍ للأموات في المنام لأرواح الأموات في المنام، وأنهم ربما قالوا لهم: فعلت كذا وفعلت كذا وأتانا خبرك بكذا ونحو ذلك.

وهؤلاء أيضا في مسألة خاصة استدلوا بفعل النبي ﷺ مع صناديد قريش لما دفنهم في القليب ورماهم فأطلّ عليهم عليه الصلاة والسلام، فقال لهم: «**هل وجدتُّم ما وعد ربكم حقا؟ فإنّي وجدت ما وعد ربي حقا**»، قالوا له: يا رسول الله أتكلم أمواتًا؟ قال: «**ما أنتم بأسمع لي منهم**»، واستدلوا بهٰذا اللفظ: «**ما أنتم**

**بأسمع لي منهم**» علىٰ أنهم يسمعون، وإذا كانوا يسمعون فإنهم لهم نوع تعلق بالدنيا فلا يمنع أن يُبَلَّغُوا ويقوِّي ما جاء في هٰذا الباب من أحاديث.

☜ والثالث وهو الصواب، التفصيل، وهو أن الميّت يسمع، ويسمع بعض الأشياء التي ورد الدليل بأنه يسمعها،، والأصل أن الميت لا يُسَمَّع لقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾، وأنه هو أيضًا لا يسمع فما خرج عن الأصل احتاج إلىٰ دليل، وكذلك التبليغ -تبليغ الأخبار- أيضًا خلاف الأصل، ولهٰذا كان من خصائص النبي ﷺ أن الله جعل له ملائكة سيّاحين في الأرض يبلغونه من أمته السلام، وهٰذا هو الأقرب للدليل، وهو الأظهر من حيث أصول الشريعة، وهو أن الميت لا يسمع كل شيء، لا يسمع من ناداه، لا يسمع من أتاه يُخبره بأشياء، وأنه لا دليل علىٰ أنّه يُبَلَّغ ما يحصل لأن هٰذا من خصائص النبي ﷺ، وأن الأحاديث الواردة في ذلك بأنه يُبَلَّغ ونحو ذلك أنها أحاديث ضعيفة لا تقوم بها الحجة.

فينحصر إذًا سماعه فيما دل الدليل عليه، وهو أنه يسمع قرع النعال وأن أهل بدر سمعوا، يعني أنّ المشركين من صناديد قريش سمعوا النبي ﷺ، لهٰذا في الرواية الثانية الصحيحة أيضا أنه قال لما قالوا له: أتكلم أمواتًا؟ قال: «**ما أنتم بأسمع لي منهم الآن**» وهٰذه الرواية ظاهرة الدلالة بأن إسماعهم وتكليمهم هو نوع تبكيت وتعذيب لهم، وزيادة «**الآن**» زيادة صحيحة ظاهرة وبها يجتمع قول من نفىٰ وقول من أثبت، فيكون الإثبات بالسماع فيه تخصيص لهم بتلك الحال؛ لازدياد تبكيتهم وتعذيبهم أحياء وميِّتين.

والعلماء ألّفوا في هٰذا أيضًا تواليف في الثلاث اتجاهات، يعني في القول الأول والثاني والثالث، وابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «الرّوح» توسّع في هٰذا علىٰ القول الثاني، توسّع فيه علىٰ القول الثاني، لكنه ليس هٰذا القول أو غيره موافقًا لقول المشركين الذين يجيزون مناداة الميت وسؤال الميت الحاجات وطلب تفريج الكربات وإغاثة اللهفات، وفي نذر والنذور ليخاطبوه وليستغيثوا به أو يستشفعوا به. هٰذا غير داخل في المسألة؛ لكن هٰذه المسألة أساس يروّج به من دعا إلىٰ الشرك لأنهم يعتمدون علىٰ مثل هٰذه الأقوال. صنف ابن القيم كتاب الروح وبحث في هٰذه المسألة وتوسع فيها جدًّا حتىٰ أنه رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ نقل منامات وحكايات في هٰذا المقام، هي من قبيل الشواهد علىٰ طريقته، لكن العبرة بما دلّ عليه الدليل من الكتاب والسنة ولا متمسك في كلام ابن القيم بمن زعم أن الموتىٰ يغيثون وأنهم يسمعون ويجيبون من سألهم إلخ. بل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ مع ما أورد فإنه ردّ علىٰ المشركين والخرافيين وأهل البدع والظلال الذين يصفون الأموات بأوصاف الإله جلّ الله عمّا ادّعىٰ المدّعون.

وهناك من ذهب إلىٰ المنع مطلقًا وعدد من أهل العلم ومذهب الحنفية بالخصوص و(التواليف) طائفة من الحنفية في هٰذا الباب علىٰ هٰذا الأساس من أن الأموات لا يسمعون أصلًا، فكيف يبلّغون وكيف يجيبون، والصواب الذي عليه الدليل هو التفصيل الذي مرّ ذكره...

السلام، سلام النبي ﷺ، ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في «رده علىٰ البكري» قاعدة مهمّة في فحوىٰ كلامه، وهو أن الميت علىٰ القول بسماعه وسماع النبي ﷺ بخصوصه فإنّه لا يسمع بقوة هي أكبر من قوته في الدنيا، لا يسمع البعيد لأنّ إعطاءه قوة أكبر من قوته في الدنيا علىٰ السماع، هٰذا باطل ولم يدلّ

عليه أصل ولم يقل به أحد، ولهٰذا جاء في بعض الآثار، أو جاء في بعض الأحاديث وإن كان فيها مقال، طبعًا فيها تعليل لبحث معروف: «**من سلّم علي عند قبري أجبته أو رددت عليه، ومن سلّم علي بعيدًا بُلّغته**». وهٰذا صواب النهي من قول بعض السلف. يعني استظهارًا، لأنه من سلّم قريبًا أجيب ومن سلّم بعيدًا بُلّغ، ولا يصح الحديث في ذلك.

المقصود من هٰذا أن تبليغ سلام من سلّم لنبي ﷺ يدل علىٰ أنه ليس عنده قوة تحضر في كلّ مكان، من سلّم عليه، عليه الصلاة والسلام عند قبره فله حكم من سلم عليه عند القبر، يرد عليه السلام. والآن القبر بعيد، قبر النبي ﷺ الآن بعيد، ليس قريبا وبينك وبينه أربع جدران، جدران كبيرة، فإذا تكلّم المرء خافتًا بأدب وسلّم: (السلام عليك يا رسول الله) بهدوء، فإنه لو كان عليه الصلاة والسلام حيًّا في مكانه أي في غرفته، في حجرته التي دفن فيها لَمَا سمع. ولهٰذا ليس ثَمّ فيه إلا التبليغ، فالآن من أنه يُبلَّغ، الملائكة تبلغه من سلّم عليه، لأن الذي يسلّم بعيد ولا يُسمَع.

ذكر ابن تيمية أنه لم يدلّ دليل علىٰ أنه يُعطَىٰ قوّة غير القوة التي كانت معه في الدنيا، ولو قيل: إن الميت يسمع، الميت عامةً يسمع فإنه لا يسمع من يكلمه من خلف المقبرة، أو بينه وبينه عشرين متر (٢٠م) يتكلم بهدوء، أو نحو ذلك فإن هٰذا من وسائل الاعتقادات الباطلة أو من وسائل الشرك والخرافة.

أما النبي ﷺ فحياته حياة كاملة برزخية ولا شك أكمل من حياة الشهداء.

علىٰ كل حال.

سؤال (٥٦٧): هل يجوز أن يقال لليهودي والنصراني: يا أخ فلان ؟ وما المراد بقوله سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾[الشعراء:١٦١]؟

**الجواب**: الأخوة تختلف، فيه أخوة نسب، وثَم أخوة دين، وفيه أخوة في صناعة، والأخ يُطلَق علىٰ المصاحب أيضًا والقريب، فما يأتي في قصص القرآن مِنْ جَعْل النبي أخًا للمشركين الذين كذبوه، هٰذا من قبيل أخوة النسب لأنه منهم نسبًا كما نصّ علىٰ ذلك أهل العلم، أما أخوة الدِّين أو أخوة الملة أو أخوة المحبة فهٰذه لا شك منفية وباطلة.

ولهٰذا من قال لليهود والنصارىٰ: إخواننا ويقصد بذلك التودّد فهٰذا يدخل من الموالاة المحرّمة، وإذا كان له للنصراني نسب أو صلة أو كان مشترك معه في صناعة أو في تجارة ويقصد هٰذا الاشتراك فهٰذا له باب آخر، وفيه نوع موالاة ومقاربة الواجب تجنُّبها، أما أخوة النسب والقبيلة فهٰذه أمرها واسع كما في القرآن.

سؤال (٥٦٨): ما حكم الرقية علىٰ الكافر و الحيوان؟

**الجواب**: الرقية هي دواء وعلاج فلا يختص بها مسلم أو آدمي، فإذا رقىٰ كافرًا لا بأس، إذا رقىٰ أيضًا حيوانًا فلا بأس فهي دواء وعلاج، قصة أبي سعيد الخدري، حديث أبي سعيد الخدري المعروف بأنهم مروا بقوم فاستطعموهم أو استضافوهم فلم يضيّفوهم، فلُدغ سيد أولئك القوم، فأتوا لهؤلاء نفر من الصحابة، فقالوا: أفيكم راق؟ قالوا: نعم؛ ولكن لا نرقي إلا بجُعْلٍ. فجعلوهم علىٰ قطيع من الغنم

ثم جعل يرقي بفاتحة الكتاب ويتفل ويقرأ فاتحة الكتاب ويتفل حتىٰ برأ كأن لم يصبه شيء. فلما أتوا للنبي ﷺ فقصوا عليه القصة، فقال: «**وما يدريكم أنها رقية!! اضربوا لي معكم بسهم**»، فالرقية علاج وقراءة القرآن علىٰ الكافر إسماع له أيضا القرآن وليس من جنس لمس المصحف، والله جلّ وعلا قال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٦]، ففيها علاج وفيها وإقامة لحجة من الحجج عليه ونحو ذلك.

سؤال (٥٦٩): الأحكام التي وردت في آية الدين، وهي الكتابة والإشهاد، هل هي علىٰ الوجوب لظاهر الآية أم لا؟

**الجواب**: الصحيح أنها علىٰ الاستحباب، والظاهرية ذهبوا إلىٰ الوجوب، والآية الأمر فيها للاستحباب، فيتأكّد الاستحباب إذا صار الدين أو القرض مما يُأْبه له أو مما يُخشىٰ معه الاختلاف.

نكتفي بهٰذا القدر.

اقرأ...

وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَىٰ الْإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلَ الْمُشَبِّهَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَحَالَفُوا الضَّلَالَةَ، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بَرَآءُ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ وَأَرْدِيَاءُ وَبِاللهِ الْعِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ.

جزاك الله خيرا...

الحمد لله وبعد:

هٰذه هي الجملة الأخيرة من هٰذه العقيدة المباركة، عقيدة أبي جعفر الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ حيث بيّن فيها أصول الاعتقاد بالله جلّ وعلا وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه.

وبيّن فيها تفاصيل الكلام علىٰ مسائل كثيرة تدخل تحت أركان الإيمان الستة.

وذكر فيها كعادة من ألّف في عقائد السلف ما يتصل بذلك من الكلام في الصحابة وما وقع من فتن والكلام في من الأحق بالخلافة، والكلام في العشرة المبشرين بالجنّة، وما أشبه ذلك من المسائل المتصلة بمسائل الإيمان.

وكذلك ذكر عدّة مسائل تتعلق بالقول في أهل العلم، وأننا لا نذكر أهل العلم ومن كانوا من أهل الحديث والأثر أو من أهل الفقه والنظر إلا بالخير ومن ذكرهم بغير الخير فهو علىٰ غير السبيل، وما شابه ذلك من المسائل.

وهٰذه المسائل التي ذكرها حقّ، ويُقِرُّها عامة الأئمة إلا فيما استُثني مما وافق فيه أبا حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ في بعض مسائل الإيمان ونحوه، مما لاحظنا عليه ولاحظ عليه العلماء من قبل وبعض الألفاظ التي تجنُّبها أولىٰ، كما مرّ معنا في مواضعه.

فلما ذكر ذلك كله قال: (فَهٰذا دِينُنَا واعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. وَنَحْنُ بُرَآءُ إِلىٰ اللهِ مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وبَيَّنَّاهُ)، ولا شك أن أبواب الاعتقاد متعلقة بالقلب، والقلب أشد ما يكون في التغير، وأشد ما يكون في التقلُّب، ولهٰذا كان من دعائه عليه الصلاة والسلام أنه كان يقول: «**يا مقلّب القلوب فرّغ قلوبنا إلىٰ طاعتك**»، «**يا مقلب القلوب ثبّت قلبي علىٰ دينك**»، ونحو ذلك مما ورد في الآثار.

فالقلب يتقلب سريعًا وأكثر شيء يتقلب فيه القلب قول القلب وعمل القلب والاعتقاد، اعتقاد القلب؛ لأن هٰذه مبناها علىٰ العلم، والعلم ينفع ويذهب، فكلما ترك شيئًا من العلم كلما أثّر ذلك علىٰ القلب، فإذا ترك مسائل العقيدة أثر ذلك علىٰ عقيدة القلب إما أثّر بنقص العلم وهٰذا له أثر في اليقين والاعتقاد الحق، أو أثّر بوجود الشبهة مع عدم العلم أو ضعف العلم، والشيطان أفرح ما يكون من الإنسان أن يتغيّر قلبه، لأنه إذا تغير قلبه فإنّ الجوارح تتغير كما قال عليه الصلاة والسلام: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»، ففساد القلب يكون بالشبهات وبالشهوات، فإذا عَرَضَت الشبهات وتمكنت وسبب تمكنها نقص العلم فإن القلب يفسد، وأعظم ما تعرض الشبهات في مسائل العقيدة.

لهٰذا ما زال الأئمة وأهل العلم والنَّصحة للأمة حق النصيحة لأئمة المسلمين ولعامّتهم مازالوا

يوصون بالاهتمام بالتوحيد والعقيدة؛ لأنه أقرب ما يكون تغير القلب في العقيدة لأنها تُنسىٰ، وقد تبقىٰ المجملات لكن التفصيلات تُنسىٰ، ثمّ تأتي ذنوب القلب شيئًا فشيئًا وتقع الشبهة وتقع المِريَة ويقع الريب في القلب، ثمّ يُضر الإنسان بنفسه شيئًا فشيئا.

لهٰذا من أعظم الأدعية التي علمنا إياها ربنا جلّ وعلا الدعاء بالهداية إلىٰ الصراط المستقيم في الصلاة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾[الفاتحة]، والهداية للصراط طلب بأن يُهدىٰ إلىٰ الصراط، والصراط هو الإسلام والقرآن والسنة، والإسلام والإيمان والقرآن والسنة له تفاصيل، تفاصيل مختلفة، الإسلام شيء يتعلق بالقلب وشيء يتعلّق بالجوارح والعمل، والإيمان يتعلّق بالقلب، والقرآن ثمّ أشياء كثيرة فيه آيات التوحيد وفي الغيبيات، هٰذه كلها عقائد والسنة كذلك.

فإذن طلب الهداية إلىٰ الصراط المستقيم في الحقيقة لمن أحسن هٰذا الطلب وطلبه بحق وتضرّع إلىٰ الله جلّ وعلا به، رغبةً في تحقيق هٰذا المراد الأعظم هو عدم رضًا عن النفس؛ لأن النفس لابد أن يكون فيها نقص عن تمام الهداية للصراط المستقيم، فلا دعاء الإنسان أحوج إليه من هٰذا الدعاء، ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾، لهٰذا كان من لطف الله جلّ وعلا بعباده أن جعل هٰذا الدعاء هو أوّل دعاء في القرآن، وأوّل سؤال في القرآن، وهو أوّل سؤال واجب أيضًا في الصلاة، يعني أوّل سؤال في الصلاة واجب -دعاء الاستفتاح ليس بواجب-، هو الهداية للصراط وهٰذا من أعظم الأدعية لأن القلب يتقلب، والإيمان يتغيّر، والإسلام يتغير في العبد وهٰذا كله بحكم ضعف العلم وزيادته وضعف التطبيق وزيادته.

لهٰذا أحسن العلّامة أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين دعا بهٰذا الدعاء في خاتمة هٰذه الرسالة والعقيدة الطيبة، فقال: (**نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَىٰ الْإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ**)، وهٰذا يبيّن مقام هٰذا السؤال عند هؤلاء العلماء الربّانيين لأنهم يسألون الله الثبات علىٰ الإيمان الذي شرح في هٰذه العقيدة أركانه، وبينها ومع ذلك هو أشد ما يكون حاجة إلىٰ الثبات علىٰ الإيمان وإلىٰ الختم له في حياته به. لشدة معرفته بأن هٰذا الإيمان يُسلب سواءٌ أكان سلبًا كاملًا أو سلب بعض كماله أو بعض التفاصيل فيه أو بعض الأجزاء.

فدعا بهٰذا الدعاء المتضمن الثبات علىٰ الإيمان، والذي تضمّن أيضًا العصمة من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة، وهل مثل هٰذا العالم الذي علِم أحوال هٰذه الفرق الضالة من المشبّهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية ومن نحا نحوهم كالمرجئة والخوارج والرافضة وأشباه هؤلاء، هل من علِم هٰذا العلم الواسع يخشىٰ علىٰ نفسه؟ نعم، من علم خشي وهٰذا هو الواقع؛ لأن الشيطان حريص ولأن الإنسان ضعيف جدًّا.

فلما كان الأمر كذلك كان واجبًا علىٰ العبد وجوب وسائل أن يحرص علىٰ أمرين:

الأول **العلم**، العلم النافع بالعقيدة الصحيحة والتوحيد بدلائله من الكتاب والسنة، وأن يكون ذلك ظاهرًا في قلبه لا شبهة عنده فيه مستحضرًا له، راجعًا له في كل حال حتىٰ يسلم قلبه من أن يكون فيه فجوة يدخل منها شيطان.

ثمّ مع إتيانه بوسيلة العلم فلا بدّ من **إستغاثته بالله وسؤاله لمولاه** أن لا يُزيغ قلبه بعد إذ هداه.

هٰذه مسألة عظيمة، وسؤال جليل، وإنما يعرف شدة الخطر من علم حق الله جلّ وعلا وما له من الأسماء والصفات وعلم أثر هٰذه الأسماء والصفات في ملكوت الله جلّ وعلا، فكم تقلّب قلب أحد وكم ضلّ فلان وفلان وكم ضل من إنسان وكم زاغ من قلب إلخ...

فنسأل الله جلّ وعلا بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أن يثبتنا علىٰ الإيمان وأن يختم لنا ولوالدين ولأحبابنا به، وأن يعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الردية إنه سبحانه جواد كريم.

والأهواء المختلفة هٰذه منها ما هو كفري ومنها ما هو دون ذلك.

إمام الحنفاء -عَلَيْهِ السَّلَامُ- دعا بتلك الدعوات الصالحة التي قال فيها: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[إبراهيم]، فجعل الأصنام مُضلة لكثير من الناس لما يقع في القلوب منها أو من أوليائها من الشبهة فسأل ربه أن يجنّبه وأن يجنب بنيه عبادة الأصنام، وهٰذا يدلّ علىٰ عظم خوف الخليل إبراهيم عليه السلام من هٰذا الزيغ وهو الكامل وهو الخليل وهو المجتبىٰ عند ربه جلّ وعلا، ولذلك تحفظون كلمة إبراهيم التيمي، من التابعين رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير هٰذه الآية كما رواه ابن جرير وغيره، حين تلا هٰذه الآية قال: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم. هٰذا يدل علىٰ أن الناصح حقًّا لنفسه وللأمة ولأئمة المسلمين وعامّتهم حقًّا، من نصح حقًّا، فإنه يوصيهم بالاهتمام بتوحيد الله جلّ وعلا الذي هو حقّ الله علىٰ العبيد وبتصفية القلب من أدران العقائد الفاسدة؛ لأنه بصلاح القلب وبسلامة عقيدته يُبارك الله جلّ جلاله في قليل العمل، فإنّ في العمل القليل يبارَك ويزيد ويضاعفه الله جلّ وعلا إذا سلِم القلب وسلمت العقيدة فإنّ الله يبارك، أما إذا كان العمل كثيرا والعقيدة فاسدة فإن هٰذا ليس بشيء.

ومن محاسن كلام أبي الدرداء الذي ذكره شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في كتابه «فضل الإسلام»: أن أبا الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقول: يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقىٰ وصومهم؟ ولمثقال ذرة من بر مع تقوىٰ ويقين)، (بِر) يعني في الأعمال الظاهرة مع تقوىٰ لله جلّ وعلا وخوف ويقين في اعتقاده ويقين فيما ضمّه قلبه، قال: (ولمثقال ذرة من بر مع تقوىٰ ويقين، أعظم من أمثال الجبال عبادةً من المغترين). وهٰذا هو الواقع ومن تأمل الكتاب والسنة وجد ذلك صحيحًا.

فنسأل الله العصمة من الأهواء المختلفة وأن لا يُزيغ قلوبنا بعد إذ هداها.

وهٰذه الجملة إلىٰ آخره فيها مسائل:

**المسألة الأولى:** عظم شأن الدعاء، وخاصة إذا ذُكر في المذاهب الردية وذُكر الاعتقاد الحق فإن الواجب علىٰ المسلم أن لا يَأمن، بل الواجب عليه أن يخاف ويحذر ويعمل بأسباب الحذر، وأن يتقرّب إلىٰ الله جلّ وعلا بالدعاء العظيم لأن الله جلّ جلاله يجيب من سأله ويُعطي من دعاه سبحانه.

فهٰذا الأصل يدخل تحت ما مرّ الكلام عليه من منفعة الدعاء وإجابة الله جلّ وعلا للدعاء وقضاء الحاجات.

**المسألة الثانية:** ذكر هنا الثبات علىٰ الإيمان، و الثبات علىٰ الإيمان نوعان:

- ثبات علىٰ أصله.
- وثبات علىٰ كماله.

والعبد محتاج إلىٰ هٰذا وهٰذا، وأهل العلم بالله جلّ وعلا يسألون الله سبحانه ويلحّون في السؤال أن يُثَبّتون علىٰ كمال الإيمان وأن يُغفر لهم ما فيهم من نقص، وقوله هنا: (أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَىٰ الْإِيمَانِ) يعني علىٰ كماله، وكمال الاعتقاد وكمال العمل.

**المسألة الثالثة:** قوله هنا: (وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ)، الخاتمة من أعظم وسائل النجاة إذا أحسنها الله جلّ وعلا، فمن حسنت خاتمته فهو إلىٰ الجنة إن شاء الله ومن ساءت خاتمته فهو علىٰ خطر، لهٰذا جاء في الحديث الصحيح أن الإنسان، «**أن العبد يعمل بعمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن العبد ليعمل بعمل أهل النار حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة**»، الخاتمة هي المقصود، أن يُختَم للعبد بما يحبه الله جلّ وعلا ويرضاه.

وإذا كان الأمر كذلك، فإن حُسن الخاتمة منوط بمعرفتها، يعني إحسان العبد خاتمته منوط بمعرفتها، أن يعرف متىٰ تنتهي حياته حتىٰ يستعد، وإذا كان ذلك محالًا أن يعلم متىٰ سيموت ومتىٰ سينتهي فإن الواجب حينئذ أن يحذر صباح مساء وليلًا ونهارًا، أن يحذر من سوء الخاتمة وهٰذا هو عمل الأكياس وعمل الصالحين جعلنا الله جلّ وعلا منهم وغفر لنا ذنوبنا، أنهم يستعدون للخاتمة والاستعداد للخاتمة من وسائل النجاة، وهما استعدادان:

- استعداد في صلاح القلب.
- واستعداد في صلاح العمل.

والاستعداد في صلاح القلب هو بالعلم النافع الذي يورث في القلب العلم بالله جلّ وعلا معرفته وأسمائه وصفاته وبيقين في ذلك.

ثم العمل الصالح يعني يمتثل الأمر ويجتنب ما نهىٰ الله عنه، أن نهىٰ عنه رسوله ﷺ وأن يستغفر من الذنوب والخطايا.

**المسألة الرابعة:** عبّر هنا بالعصمة في قوله: (وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ) والعصمة كلمة لم يكن لها استعمال شائع عند السلف ولم تأتِ بهٰذا المعنىٰ في الكتاب ولا في السنة.

لهٰذا العصمة في الحقيقة تحتاج إلىٰ تفصيل لأنها بهٰذا المعنىٰ -يعني العصمة من الذنوب، العصمة من البدع-، فيها حق وفيها باطل.

وسبب ذلك أن العصمة معناها أن يُعصم من الذنب، والذنب قد يكون في العقيدة فيكون بدعة، وقد يكون في العبادة تقصيرًا أو زيادة فيكون ما بين الإثم في البدع أو في ترك الواجبات.

ولهٰذا وجب أن تُفسَّر العصمة في هٰذا الموضع وكلّ موضع وفي هٰذا الموضع استعملها فيه أهل العلم أن تفسَّر بالمعنىٰ الصحيح لأنها مجملة ولا أحد ينزه عن -يعني بعد رسول الله ﷺ-، ينزّه عن جنس

الذنب، فقد يكون الذنب ذنب قلب، وقد يكون الذنب ذنب عمل جوارح، والعصمة تُوهَب كما قال هنا **(نسأل الله العصمة)** لأن العصمة يهبها الله جلّ وعلا، وإذا كانت معناها عدم الوُقوع في الذنوب المخلّة، فهي إنّما وهبها الله جلّ وعلا لرسوله ﷺ، أمّا الأمة فلم توهب هٰذا النوع وهو أنه يُعصم مطلقًا من كل ذنب: ذنب اعتقاد ذنب قول أو ذنب عمل.

وإذا كانت توهب فالعصمة ليست لله جلّ وعلا، أو يقال الله معصوم عن كذا، أو كما قال بعضهم: العصمة لله ولرسوله ﷺ، فالعصمة لله ملكًا، هو الذي يملكها لكنه لا يوصف بها، يملكها ملك كما يملك سائر ما في الملكوت من أعيان وغيرها، فهو الذي يعطي العصمة ويهبها لمن شاء من أنبيائه.

فإذا كان كذلك تلخص الأمر بأن العصمة الكاملة هي للنبي ﷺ، وأما من عداه من الأمة فلم يُعطَ العصمة الكاملة، ولا بد أن يقع في الذنب يصيبه، والذنوب كما ذكرنا قسمان: ذنوب اعتقاد، وذنوب عمل.

**وذنوب الاعتقاد** ليست موجودة في الصحابة رضوان الله عليهم، ولهٰذا يصح أن تقول: عَصَمَ الله الصحابةَ من الخلل في العقيدة. عَصَمَ الله السلفَ من مجانبة الحق في الاعتقاد، وهٰذا هو الواقع لأنهم أجمعوا علىٰ مسائل التوحيد والعقيدة، والأمة لا تجتمع علىٰ ضلالة، أما العمل فلم يُعصموا -يعني الذنوب- لم يعصموا لهم ذنوب، والنبي ﷺ علّم أبا بكر أن يدعو بقوله: **اللّٰهمَّ إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي**. حتىٰ صغائر الذّنوب ربما حصلت من النبي ﷺ مما لا يقدح في الرسالة، ولهٰذا قال الله جلّ وعلا: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾[الفتح].

فإذا مقصده هنا من الدعاء هٰذا: أن **(يَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ)** يعني أن يسلك جلّ الله وعلا به سبيل السلف لأنهم عُصموا من أن يسلكوا الأَهْوَاءِ المُخْتَلِفَةِ، والآرَاءِ المُتَفَرِّقَةِ، أو المَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، فمعنىٰ سؤال العصمة هنا أن يلزم طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين الذين لم تظهر فيهم هٰذه الأهواء والآراء والمذاهب الردية.

**المسألة الخامسة:** مثّل بعد ذلك بأمثلة للأهواء والآراء والمذاهب فقال: **(مِثْلَ الْمُشَبِّهَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ...)** إلخ، هٰذه الفئات يطلق عليها أهواء، ويطلق عليها فرق، ويطلق عليها أراء، ويطلق عليها مذاهب، فيصح أن تقول: المعتزلة من الأهواء كما يستعملها السلف أو يعني أئمة السنة في القرون الأولىٰ، وقد يقولون: الجهمية مذهب رديء، أو قوله: إياك وهٰذه الأهواء،[1] وهو جمعها لاستعمال الأئمة في وقته وما قبله لها فإذًا المعتزلة أهواء، والجهمية أهواء وآراء ومذاهب.

إذا تبيَّن ذلك فنفصل الكلام في معنىٰ هٰذه الفرق:

**قوله: (مِثْلَ الْمُشَبِّهَةِ)**: ... شبهت الله جلّ وعلا في الصفات بخلقه سواء أكانت صفات الذات أو صفات الأفعال، فيحكىٰ هٰذا عن طائفة كالجواربي ونحوه ويقال لهم: المجسّمة كما عند مقاتل بن

---

(١) نهاية الوجه الأول من الشريط الثاني والخمسين.

سليمان ونحوه.

فالمقصود بها تشبيه الله جلّ وعلا بخلقه، فيريدون بالتشبيه التمثيل، فيقولون: وجه الله كوجه الإنسان، كوجه ابن آدم، ويده كيده، وعيناه كعيني ابن آدم، وأصابعه كأصابعه... إلخ، فيقولون: إن هٰذا مقتضىٰ النص، مقتضىٰ النص المشابهة، مقتضىٰ النص المماثلة، وهؤلاء يقال لهم أيضًا المجسمة، قد ذكرت لكم فيما سبق أن كلمة (التشبيه) فيها بحث، وأن الذي جاء في النصوص هو التمثيل، فهم مجسمة ممثلة مشبهة، تصح هٰذه الاستعمالات جميعها.

وثَم قسم ثاني من التشبيه لا يدخل في هٰذه الفئة أو الطائفة أو المذهب، وهو تشبيه المخلوق بالخالق، تشبيه المخلوق بالخالق، وأن يُجعَل للإنسان صفات مثل صفات الله جلّ وعلا، مثل عيسىٰ عليه السلام جعلوه إلهًا وجعلوا له صفات، تختص به كصفات الله. ومثل الذين عبدوا الأولياء والموتىٰ، جعلوا لهم التصرّف في الربوبية، وجعلوا لبعضهم ربع العالم، ولبعضهم سبع العالم، ولبعضهم جزءًا من أربعين جزءًا من العالم، حتىٰ إنّ بعضهم ألّف في أنّ في بلدة كذا أربعين من الأولياء الصّالحين هم الذين بيدهم تصريف أمورها من الأموات، وثَم رسائل كثيرة في ذكر هٰذا الأمر.

وهؤلاء الذين شبهوا المخلوق بالخالق في التصرف في الربوبية، يعني في الملك جعلوه بتفويض الله له نعم، لكن جعلوا التصرّف له وهم علىٰ أربع فئات:

- منهم من جعله لواحد، وهو المسمىٰ عندهم بالغوث الأكبر أو القطب الأعظم أو نحو ذلك.
- ومنهم من جعل التصرف في الأرض بهٰذا الملكوت لأربعة من الأولياء يختلفون في تحديد الأربعة.
- ومنهم من جعله لسبعة.
- ومنهم من جعله لأربعين.

والصوفية الغلاة الذين يدّعون هٰذه الادعاءات الباطلة التي خالفوا بها طريقة السلف أصلًا وفرعًا وسلوكًا، واتبعوا أهل الضلال والكفر، ألّفوا كتبًا كثيرة في هٰذا الباب في تصرّف هؤلاء في الملكوت أو في أرزاق أهل الأرض أو في أحوالها.

والكلام حول الفرق يطول تأخذونه من المطولات.

**الفئة الثانية** المعتزلة: والمعتزلة هم أتباع عمر بن عبيد وواصل بن العطاء اللذيْن كانا من تلامذة الحسن البصري كما هو معلوم، ولما دخلوا في البحث في مسائل الإيمان يعني الأسماء والأحكام، الإيمان والحكم علىٰ مرتكب الكبيرة والكلام علىٰ الصحابة الذين تقاتلوا، خالف عمرو بن عبيد حسن، كذلك واصل ابن عطاء فاعتزلا حلقة الحسن البصري، فسُئِل الحسن البصري عنهم فقال هؤلاء المعتزلة فبقي الاسم عليهم، فكثر أتباعهما حتىٰ تقعّد مذهبهم وسُمّي بمذهب المعتزلة.

فبنوا ذلك بعد الانعزال وتفصيل المذهب والنقاشات وما حصل من تطوّر فيه، بنوه علىٰ أصول

خمسة عندهم، وهي المسماة بالأصول الخمسة عند المعتزلة وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأُلّفت فيها المؤلفات لتقعيدها في القرن الثاني الهجري، وهٰذه الأصول الخمسة جعلوها أصولا عقلية، دلّ عليها العقل، وأما الدليل النقلي أو السمع، فهو تابع له، ولهٰذا جعلوا دليلهم في الغيبيات ودليلهم في الأصول الخمسة، جعلوه دليلًا واحدًا وهو العقل، والحجة والنقل مفصل له أو تابع أو شاهد كما يزعمون. فهٰذه الأصول الخمسة تم تفاصيل لهم فيها تأخذونها من مواطنها.

والمعتزلة فئات وفرق مختلفة، فيه معتزلة في البصرة وهم الأوائل، وثَم معتزلة بغداد وهؤلاء هم الذين قعدوا مذهب الاعتزال وألفوا فيه وأجابوا عن الشبه عليه، فهناك من ألف في طبقات المعتزلة وفرق المعتزلة.

والمعتزلة قد يتفقون في المسألة وقد لا يتفقون، ولذلك تجد في بعض المسائل يقال مذهب المعتزلة في كذا، لكن إذا بحثت وجد فيه اختلاف فمن أثبت يكون مصيبا ومن نفىٰ يكون مصيبا باعتبار من نقل عنه، وباعتبار مدارس المعتزلة وفرق أهل الاعتزال، فليسوا فرقة واحدة؛ لكن في تفسير الأصول الخمسة وفي أصوله، أصول التوحيد عندهم، أصول العدل، المنزلة بين المنزلتين، الوعد والوعيد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في الأصول يتفقون، لكن في التفاصيل يختلفون.

**الفرقة الثالثة**: الجهمية، والجهمية ينسبون إلىٰ جهم بن صفوان الترمذي وكان عالمًا فقيهًا، يُنسب إلىٰ الحنفية في الفقه، ولكنه لشدة اعتنائه بالرأي كان يُناظر ويُكثر من المناظرة حتىٰ ناظر طائفة من دُهرية الهند، الدُّهرية بضم الدال ينسبون إلىٰ القول بالدهر: ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾[الجاثية:٢٨]، ينسب إلىٰ الدهر دُهري بضم الدال علىٰ غير قياس كما قاله المرتضىٰ في كتاب «تاج العروس» وقاله غيره، المقصود ناظره قوم من الدُّهرية يقال لهم: السُّمنية، في الصفات لأنهم لا يؤمنون بوجود الله أصلا ويريد أن يقنعهم بوجود الله، فجرىٰ منه معهم مناظرة ذكرتها لكم في مكان آخر، فآل به الأمر نتيجة المناظرة وتوابعها وما حصل فقد ذكر أصل القصة البخاري في «خلق أفعال العباد»، نتج عن ذلك أنه نفىٰ الصّفات وعطّل الرب من صفاته وآمن بالوجود المطلق.

فالجهمية في مسائل العقيدة يذهبون في الصفات إلىٰ النّفي فينفون عن الله جلّ وعلا كلّ الصفات، ويجعلون الصفة الواحدة الموجودة هي صفة الوجود المطلق، ويقولون بشرط الإطلاق، وفي الأسماء يثبتون الأسماء كدِلالات علىٰ الذات أسماء أعلام ويفسّرونها بمخلوقات منفصلة، فيجعلون الكريم هو الذات التي حصل عنها إكرام فلان يعني يفسرونها بالكرم الذي خلقه الله، القوي بالقوة التي خلقها الله، العزيز بالعزّة التي خلقها الله يعني في الإنسان، في المخلوق يعني من حيث هو، ويجعلون تفسير الأسماء في القرآن وفي السنة يفسرونها بمخلوقات منفصلة؛ لأنه لا دِلالة للأسماء علىٰ صفة لأنهم ينفون الصفات، وإنما يجعلونها دالة علىٰ يعني علم لا تفسير لها من حيث العلمية لكن تفسيرها من حيث الصّفة لأنها مخلوقات منفصلة.

لهٰذا قال بعض أهل العلم: ينفون الأسماء والصفات، يعني ينفون الأسماء والصفات، وهٰذا صحيح

باعتبار الحقيقة، وطائفة يقولون: لا، لا ينكرون الأسماء باعتبار أنهم يثبتون شيئًا من الأسماء علىٰ طريقتهم لأنهم الأسماء دلالات علىٰ ذات بدون صفة في الاسم، وإنما هو مثل ما تقول مثلًا، مثلًا تقول: ماء، وسلسبيل، أو تقول في السيف: حسام، ومهند، وسيف إلخ للدلالة علىٰ شيء واحد بدون صفة، أما صفة أنه يحسم فلا، أما صفة أنه صنع في الهند فلا، أما صفة أنه كذا فلا، هم يجعلونها من جهة الدلالة علىٰ الذات واحدة، ومن جهد الدلالة علىٰ الصفات أنما لا تدل علىٰ صفة، فلهٰذا في الآيات يفسرون الأسماء في الآيات بالمخلوقات المنفصلة، يعني أثر الصفة في المخلوق ويجعلونه مخلوقًا.

**أما في الإيمان فالجهمية مرجئة**، وهم أشد فِرق الإرجاء؛ لأنهم قالوا: يكفي في الإيمان المعرفة فقط، ففرعون عندهم مؤمن، وإبليس عندهم مؤمن، ولم يكفر فرعون عندهم بعدم الإيمان وإنما بمخالفة الأمر، وإبليس لم يكفر بعدم الإيمان؛ بل بمخالفة الأمر، وهكذا، وهٰذا القول مشهور عنهم بأنه يثبت الإيمان بالمعرفة.

**وفي القدر هم جبرية** يرون أن الإنسان في أفعاله هو كالريشة في مهب الريح لا اختيار له البتة، هو مجبر علىٰ كل شيء، وأنه يُفعل به ولا يَفعل شيئًا.

وفي الغيبيات ينكرون كل ما لا يوافق العقل من أمور الغيب، وفي الآخرة ينكرون دوام الجنة والنار، يقولون الجنة لا تدوم والنار لا تدوم لأن دوام الجنة والنار ظلم، فتفنىٰ الجنة وتفنىٰ النار معًا، بخلاف المعتزلة فإنهم يقولون بفناء النار والجنة كدار نعيم وعذاب، لكن التّلذذ والألم يبقىٰ فيستمر التلذذ ويستمر الألم ولا تستمر الدار، فيه أقوال مختلفة نسأل الله جلّ وعلا السلامة منها ومما جرّ إليها.

المقصود فيه مباحث ترجعون إليها في مواطنها.

**والفرقة** التي بعدها **الجبرية**، والجبرية مذهب منسوب إلىٰ القول بالجبر، والجبر هو أن الله أجبر الإنسان المكلف علىٰ أفعاله. والجبرية قسمان: جبرية غلاة، وجبرية متوسطة أو غير غلاة.

أما الجبرية الغلاة فهم الجهمية وغلاة الصوفية الذين ينفون أصل الاختيار، ويقولون أن الإنسان كالريشة في مهب الريح.

وأما الجبرية غير غلاة فهم الذين يُثبتون الجبر باطنًا والاختيار ظاهرًا، يقولون هو مجبور في الباطن ومختار في الظاهر، هؤلاء الأشاعرة ومن نحا نحوهم.

قد مر معنا البحث في هٰذه المسألة وأنهم اخترعوا لفظ الكسب وجعلوه مخرجًا للعلاقة ما بين جبر الباطن واختيار الظاهر مما ابتدعوه وأحدثوه، وذكرت لكم أن الكسب علىٰ ثلاثة إطلاقات فيه كسب عند أهل السنة وكشف عند الجبرية وكسب عند القدرية ترجعون له في مكانه.

**التي بعدها** القدرية، القدرية يُنسبون إلىٰ القدر لا لإثباته ولكن لنفيه وهي نسبة إلىٰ من لا يُثبت، نسبوهم إلىٰ القدر لأنهم لا يُثبتونه، والذين ينفون القدر أقسام متنوعة يجمعهم أنّهم ينفون مرتبة من مراتب القدر، وأشهر المسائل التي نُفي فيها القدر مسألتان:

**المسألة الأولىٰ**: العلم السابق قد نفته طائفة.

**والمسألة الثانية**: عموم خلق الله جلّ وعلا في الأشياء ومشيئته الشاملة لكل شيء فقد نفته طائفة.

أما الذين نفوا العلم فهم القدرية الغلاة الذين خرجوا في زمن الصحابة رضوان الله عليهم ورد عليهم الصحابة وتبرؤوا منهم، وأخبروا بأنهم ليس لهم في الإيمان ولا في الإسلام نصيب، وهم الذين قال فيهم الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصِموا وإن أنكروه كفروا؛ لأنهم ينكرون علم الله السابق ويقولون: إن الأمر أُنُف يعني مُستَأنف، لا يعلم الله الأشياء عندهم إلا بعد وقوعها، لا يعلم الأشياء قبل أن تقع. أعاذنا الله منهم.

**أما القدرية** الذين نفوا مرتبة عموم المشيئة وعموم خلق الله الأفعال فهؤلاء طائفة كبيرة، أصّل مذهبهم أهل الاعتزال: المعتزلة، حتىٰ صار عند الكثير أن المراد بالقدرية النفاة: المعتزلة.

وفي الحقيقة القدرية لفظ يصح إطلاقه علىٰ كل من لم يؤمن بالقدر علىٰ ما جاء في الكتاب والسنة لنفي لشيء منه، ولهٰذا يدخل في القدرية من اعترض علىٰ القدر، أو علىٰ أفعال الله جلّ وعلا أو علىٰ الحكمة وقد قال فيه ابن تيمية في «تائيته القدرية»:

وَيُدْعَىٰ خصُومُ الله يَوْمَ مَعَادِهِم ... إِلَىٰ النَّارِ طُرًّا مَعْشَرَ الْقَدَرِيَةِ

يعني يا معشر القدرية هلموا إلىٰ النار جميعًا،

سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا ... به الله أو ماروا به للشريعة

أو كما قال.

فجعل نفي شيء من القدر يدخل صاحبه في القدرية، وجعل أيضًا المخاصمة والمجادلة كحال المشركين، القدرية الذين قالوا: لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا، هؤلاء يدخلون في القدرية لأنهم نفوا [مشيئة] الله جلّ وعلا التي هي أساس في القول بالقدر كما جاء في القرآن وسنة النبي العدنان عليه الصلاة والسلام، ثَم بحوث أخرىٰ أيضًا تُأخذ من كتبهم.

قال: (وَغَيْرِهِم) لأن الفرق كثيرة والمذاهب الرّدية والآراء مختلفة، وليشمل أيضًا ما ظهر في زمانه وما قبله وما سيظهر أيضا في الأزمنة الأخرىٰ، فممن لم يذكرهم: الخوارج والشيعة الغلاة والمرجئة الغلاة قد يدخلون مع هؤلاء في شيء من الأقوال، ويدخل أيضًا العقلانيون في ذلك الزمان وما بعده، ويدخل غلاة المتصوفة، ويدخل الذين اتبعوا طرقًا بين هٰذا وهٰذا. لهٰذا أوصلهم النبي ﷺ إلىٰ اثنتين وسبعين فرقة.

قال بعد ذلك: (مِنَ الَّذِينَ خالَفُوا السُّنَّةَ والجَمَاعَةِ) هٰذه هي:

**المسألة السادسة**: (وَخَالَفُوا الضَّلالَةَ...) إلخ.

قال: (خالَفُوا السُّنَّةَ والجَمَاعَةِ)، هٰذا مما يُؤكد لك أن قصده بالثبات علىٰ الإيمان والعصمة من الأهواء هي موافقة الجماعة وهي الجماعة الأولىٰ جماعة الصحابة، وجماعة التابعين الذين لم يفرقوا بين ما أنزل الله جلّ وعلا علىٰ رسوله؛ بل آمنوا به جميعًا، وحملوا المتشابه علىٰ المحكم ولم يبتدعوا دينًا لم يأذن به الله جلّ وعلا.

فمخالفة السنة والجماعة قد تكون مخالفةً كبيرةً جدًّا توصل صاحبها إلىٰ الكفر والعياذ بالله كحال الجهمية ومن نحا نحوهم، والمشبهة المجسمة، وقد تكون المخالفة أقد من ذلك فتوصل صاحبها إلىٰ



سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

ما دون الكفر، وقد تكون بدعا مغلظة وقد تكون بدعا خفيفة.

وكل مخالفة للسنة والجماعة علىٰ النحو الذي أوضحنا في معنىٰ السنة والجماعة في مكان سابق، كلّ مخالفة للسنة والجماعة هٰذا مذهب ردي ولا شك؛ لكن صاحبه يكون ذنبه بقدر ما خالف.

فمن خالف السنة والجماعة فإنه لا بد أن يكون حليفًا للضلالة، ولهٰذا قال بعدها: (وَحَالَفُوا الضَّلَالَةَ)، فلا يمكن للإنسان أن يكون مخالفًا للجماعة وعلىٰ مذهب ردي في الاعتقاد ولا يقال إنه ضال، الله جلّ وعلا وصف المرأة إذا أخطأت أو لم تدرك تمام الحقيقة في الشهادة بأنها تضل: فقال جلّ وعلا: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾[البقرة:٢٨٢]، لأنها لم تصل إلىٰ الحق والصواب الواقع، فكيف بحال بهؤلاء فلا شك أنهم ضُلاّل، وأرىٰ أن بعض الناس يستنكف في ذكر بعض مسائل العقائد والتوحيد أن يصف المخالف للسنة والجماعة بأنه ضال؛ بل هو ضال لأنه ضلّ الطريق، وقد يكون ضلاله كبيرًا جدًّا وقد يكون قليلًا لكنه ضلّ السبيل لأنه خالف السنة والجماعة وحالف الضلالة كما ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

**المسألة [ما قبل] الأخيرة:** أعلن براءته منهم، قال: (وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلاَّلٌ وأَرْدِيَاءُ)، (ونَحْنُ مِنْهُم بَرَآءٌ أو بَرَاء)، وهٰذا هو الواجب علىٰ المسلم أن يتبرأ جملةً وتفصيلا، أن يتبرأ من القول من المذاهب الردية ومن أصحابهم لأن هٰذا عقيدة، لأن ذلك اهتداء بهدي إبراهيم الخليل عليه السلام إذ قال الله جلّ وعلا في شأنه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾، يعني من المرسلين ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ﴾، يعني لأقوامهم ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[الممتحنة:٤]، فأعلن البراءة منهم ومما عبدوا، يعني من العبادة ومن العابدين، أي من العبادة ومن الذين عُبدوا ومن العابدين. هٰذا هو الواجب أن المرء يتبرّأ ولا يقول: أتبرأ من العمل دون صاحب العمل، فإن هٰذا لا أصل له؛ بل نتبرّأ من العمل ومن صاحبه الذي عمل بالبدع والضلالات أو بالشركيات، فلا مكان للتفريق ما بين العمل وما بين صاحب العمل.

إذا كان كذلك، فهل البراءة من العمل يعني من صاحبه هل هي في حكم واحد؟ الجواب أنها ليست في حكم واحد، البراءة من العمل واجب، العمل الكفري الشرك في نفسه واجب فمن لم يتبرّأ فإنه لم يوحِّد، فهو داخل في معنىٰ الشهادتين، يعني إذا دخلنا في الشرك، والولاء والبراء في نفس العمل داخل في حقيقة التوحيد، ولاءٌ للتوحيد وبراءٌ من الشرك، ولاءٌ للتوحيد كفعل وعقيدة وبراءٌ من الشرك كفعل وعقيدة.

أما موالاة أهل التوحيد والبراءة من أهل الشرك فهي واجب؛ لكنها ليس تركها كفرًا إلا بشروط وتفاصيل.

ولهٰذا يذكر العلماء في التوحيد وفي غيره أنّ البراءة متلازمة، البراءة ملازمة لمعنىٰ التّوحيد، لمعنىٰ الشهادة لله جلّ وعلا بالوحدانية، وهكذا البراءة من أهل البدع ملازمة للسنة، فكما أن البراءة من الشرك ملازمة لكلمة التوحيد، ليست ملازمة يعني هي من معنىٰ كلمة التوحيد، فكذلك البراءة من البدع ملازمة للسنة.

فلا يُتصوّر من جهة الحق أن يكون مواليًا للسنة وهو ليس متبرئًا من أهل البدع إلا إذا كان لم يفهم السنة أو عنده نوع تفريط، فمن والىٰ السنة فلا بد عليه أن يتبرأ من البدعة، ومن والىٰ أهل السنة فلا بد أنه

أن يتبرأ من أهل البدعة، لكن إذا حصل هٰذا التبرؤ عقيدة فهل يلزم منه أن يُظهر في كل حال؟ لا، إظهاره بحسب المصلحة، إظهاره بحسب المصلحة الشرعية، قد يُظهر ويكون إعلان للبراءة ظاهرا ويتبرّأ من الأشخاص، وقد يُؤَخر بحسب ظهور السنة وخفائها وما يُنظر في ذلك من المصالح.

**المسألة الأخيرة:** قال في آخرها: (**وَبِاللهِ العِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ**)، وذكرنا لكم ما في العصمة من البحث سابقًا وأن الله جلّ وعلا لم يعطِ العصمة لأحد بعد الأنبياء، الأنبياء هم المعصومون وأما سائر البشر فهم علىٰ خطر في قلوبهم وفي أعمالهم.

(**وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ**): التوفيق هو الهداية إلىٰ طريق الرشاد والإعانة علىٰ سلوك هٰذا الطريق جملةً وتفصيلا.

رحم الله أبا جعفر الطحاوي رحمةً واسعة وجزاه خيرا، فكم انتفع بكتابه هٰذا وبعقيدته الناس.

ونسأل الله جلّ وعلا أن يغفر لنا وله زللنا وخطأنا وجدنا وهزلنا.

اللّٰهمَّ إنا نعوذ بك أن نُشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك مما لا نعلم، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا واغفر لنا ذنوبنا وتوفنا وأنت راض عنا.

اللّٰهمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدا واجعلنا سالكين لسبيل السلف الصالحين، ومستمسكين بطريق السنة والجماعة. ربنا هب لنا من لدنك رحمة وهيئ لنا علمًا نافعًا وعملًا صالحًا، وأعنا علىٰ ذلك ووفقنا إليه.

وكم استفدنا من هٰذا الكتاب من فوائد، ولا شك أن طالب العلم لا يستغني عن مطالعة المختصرات ومعرفة شروحها مهما ظن أن المسائل واضحة عنده، فثَم مسائل في هٰذا الكتاب كما ترون ما مررنا عليه لا في الواسطية ولا في لمعة الاعتقاد، ثمّ مسائل جديدة فيه لم تكن في غيره، فطالب العلم بتكراره لقراءة كتب العلم أو لشرحها استماعًا أو أداءً فإنه ما بين معلومة يؤكدها ويثبتها، وما بين شيء جديد يستفيده.

وفي الختام أرجو وآمل لي ولكم أن نصبر علىٰ طريق العلم؛ لأنه في الحقيقة من أراد نجاة نفسه فإنه لا نجاة إلا بالعلم والعمل الصالح، وأن أعظم ما تكون به النجاة العلم بالتوحيد وبالعقيدة الصحيحة، لأن هٰذا فيه قساء القلب وسلامته من الأهواء والشبهات المضلة.

فأنا أوصي نفسي وإياكم بالتأكيد علىٰ ذلك ومطالعة هٰذه الكتب ونشر العلم بحسب ما تستطيعون، يعني المرء ينشره بحسب ما يستطيع في بيته مع زملائه، بل في أي مقام ينشره بحسب ما يستطيع، والناس محتاجون إلىٰ طلبة العلم أعظم حاجة.

والحمد لله أن هيَّأ لكم من العلم النافع ومن سبل تحصيله وجود العلماء وسهولة الكتب ووفرة الأمن والصحة وعدم الشواغل التي تشغل الإنسان في أموره العامة، يعني في الأمن وما يشغل القلوب والعقول ما يهيئ لنا أن نطلب العلم وأن نبذل فيه، فلا ندري ربما يأتي في وقت قد لا يتمكن الإنسان من أن يطلبه علىٰ هٰذا الوجه، أو أن يتعلم علىٰ هٰذا الوجه لهٰذا احرصوا واغتنموا فراغكم قبل شغلكم، وتفقهوا قبل أن تسوّدوا.

وصلىٰ الله وسلّم وبارك علىٰ نبينا محمد.

إن شاء الله هٰذا الدرس، بقي الأسبوع القادم، يوم السبت القادم وعندي محاضرة بعد المغرب وأكيد

تأخذ بعض وقت العشاء، في موضوع الحج، وإن شاء الله نلتقي بعد الحج إن شاء الله تعالىٰ. في أول سبت بعد بدأ الدراسة والعمل.

[الأسئلة]

سؤال (٥٧٠): لو أن طالب العلم المستجد قرأ في هٰذه العقيدة وشرع فيها قبل الشروع في طلب العلم لأمن أجل الاعتقاد العام.

الجواب: لا بأس، الواحد يحضر ما استطاع ويُكمل، يُكمل فيما فات.

سؤال (٥٧١): هل من صفات الله تعالىٰ الجنب لقوله تعالىٰ: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦]؟، وهل من صفات الله التردد لحديث: «**ما ترددت في شيء أنا فاعله**»؟

الجواب: هٰذه مما اختلف فيها من أهل السنة، هل يُطلق القول بإثباتها أم لا؟ والواجب هو الإيمان بظاهر الكلام، وهل الظاهر هنا في إطلاق صفة الجنب هل هو الظاهر الصفة؟ أم الظاهر غير ذلك؟ الراجح أن الظاهر غير ذلك وأنه ليس المقصود من قوله: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ أن المقصود الجنب الذي هو الجنب، لأن العرب تستعمل هٰذه الكلمة وتريد بها الجَنَاب لا الجنب يعني الجهة، إنما تقصد الجناب المعنوي. ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ يعني في حق الله في ما يستحق الله جلّ وعلا. فمن أهل العلم من أثبتها لكن ليس ذلك هو ظاهر الكلام.

أما صفة التردد فهي تُثبت لله جلّ وعلا علىٰ ما جاء، لكن تردده بحق، وتردده ليس تعارضًا بين علم وجهل أو بين علم بالعاقبة وعدم علم بالعاقبة، وإنما هو تردّد فيما فيه مصلحة العبد، هل يقبض نفس العبد أم لا يقبض نفسه، وهٰذا تردّدٌ فيه رحمة العبد، وفيه إحسان إليه ومحبة لعبده المؤمن وليس من جهة التردد المذموم الذي هو عدم الحكمة أو عدم العلم بالعواقب، يعني تردد فلان في كذا، صفة مذمومة أنه يتردّد، إذا كان تردده أنه ما يعلم، أتردد والله أفعل كذا أو أروح ولا ما أروح، لأنه إما عنده ضعف في نفسه أو أنه يجهل العاقبة، فتردد أتزوج ولا ما أتزوج، أشتري أم لا أشتري؛ لأنه ما يدري هل فيه مصلحة، مصلحة له، أم ليس فيه مصلحة، هٰذا هو التردد الذي هو صفة نقص في من اتصف بها، تردّدٌ ناتجٌ عن عدم العلم بالعاقبة، أما تردد الذي ورد في هٰذا الحديث هو تردد بين إرادتين لأجل محبة العبد: «**ما ترددت في شيء أنا فاعله تردد في قبض نفس عبدٍ مؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له من ذلك**»، وهو تردد لا لأجل عدم العلم ولكن لأجل إكرام العبد المؤمن ومحبة الرب جلّ جلاله لعبده المؤمن.

فهو إذًا تردد بحق وصفة كمال لا صفة نقص، فيُثبت علىٰ ما جاء في هٰذا الحديث مقيدة لا مطلقة.

سؤال (٥٧٢): يوجد من أعلام أهل السنة قديمًا وحديثًا من خالف عقيدة أهل السنة طريقة السلف في بعض الأقوال وليس كلها فما موقفنا منها؟

الجواب: ذكرت أنا عدة مرات الجواب يعني علىٰ مثل هٰذا، وهو أن مخالفة من خالف علىٰ قسمين:

**الأول**: مخالفة في الأصول، الأصول العامة ما هي؟ مثلًا الأصل في الغيبيات الإثبات، الأصل في

صفات الله جلّ وعلا الإثبات وعدم تجاوز القرآن والحديث، الأصل في الإيمان هو أنه قول وعمل، وقول اللسان واعتقاد الجنان وعمل الجوارح والأركان وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

في مسائل القدر، إثبات القدر علىٰ المراتب التي جاءت وأن الله جلّ وعلا خلق كل شيء بقدر وأنه خالق الأفعال إلخ... هٰذه الأصول العامة التي يتفق عليها.

هٰذه الأصول التي من خالفها فهو ليس من أهل السنة، الذي خالف في أصل من الأصول ليس من أهل السنة والجماعة علىٰ التمام.

**القسم الثاني**: أن يتفق معهم في الأصول لكن يخالف في بعض التفصيلات، يعني يؤمن بأن الصفات لا تتجاوز القرآن والحديث؛ لكن يظهر له فيه صفة أنها غير مثبتة، أنها منفية، فهٰذه ننظر في الصفة هل السلف متفقون عليها، أو هل الأئمة نصُّوا عليها واتفقوا وهٰذا خالف، أم أنه هو خالف ولم ينص عليها أحد من قبله. تختلف.

يعني مثلًا من قال في مسألة الخلو من العرش هٰذه معروفة في النزول، هنا هٰذه مسألة من قال يخلو من العرش قول، لكن هو موافق علىٰ أن الله جلّ وعلا مستوٍ علىٰ العرش، كما يليق بجلاله وعظمته ومثبت للنزول، لنزول الله جلّ وعلا، لكن جاء بقول لم يُسبق إليه، وهٰذا يكون ممَّا لا ينفيه من أهل السنة ولكن يُغلّط قي هٰذه الجهة، مثل نفي ابن خزيمة صورة الرب جلّ جلاله، يعني أن صورة آدم أنها علىٰ صورة الرحمان، نفي إثبات الصورة، وتفسير الصورة بشيء آخر. مثل ابن قتيبة لما نفىٰ النزول، يعني حقيقة النزول وفسره بنزول الأمر، أو نزول الرحمة أو...، هٰذه أغلاط لكنهم يوافقون في الأصل فانتبه إلىٰ هٰذا، كذلك في الإيمان بالقدر، فمن وافق في الأصول فهو من أهل السنة فإذا غلط في التطبيق فيكون مخطئا فيه.

الصفات، أن لا تؤوّل الصفات، إذا قال: أنا والله لا شك الصفات لله جلّ وعلا تُثبت علىٰ ظاهرها بلا تأويل، ويطبّق هٰذه في كل الصفات، جاء في صفة أوّل مثل ما فعل الشوكاني في بعض المسائل، تجد أنه يُثبت ويجيء في صفة أو صفتين يتأول، لماذا تأولها لأنه لا يعرف حقيقةً كلام السلف فيها، أشكلت عليه، ظنّ أن تأويلها هو الموافق لقول السلف، نظر في بعض الكتب وجد كلام بعض أهل التفسير ظنه أنه موافق لأهل السلف ولقول أهل السلف وهكذا.

المقصود من هٰذا أن موافقة الأصول بها يكون المرء من أهل السنة، إذا أخطأ في مسألة أو في مسألتين من التطبيق لا ينفي أن يكون من أهل السنة فيقال: أخطأ في هٰذا ولا حرج يعني لا إخراج له في ذلك، أخطأ ويُناصح ويُبَيَّن له أو يُبَيَن ما في كلامه من خطأ.

سؤال (٥٧٣): يقول: أنا أعمل مع مجموعة من الأجانب العمل حكومي، وكثيرًا ما أتعامل معهم، وغالبًا ما أُظهر الودّ لكي أكسبهم للدين أو [لإظهاره]، ما رأي الشرع في هٰذا؟

الجواب: هٰذا إذا كان يقصد بالأجانب يعني بأنهم كفار؛ فالواجب علىٰ المسلم أن يكون في باطنه بُغض للكفر ولأهل الكفر، والله جلّ جلاله يقول: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾[المجادلة:٢٢] الآية، فوجود المودة في القلب، المودة التامة

المطلقة، هٰذه لا تكون مع الإيمان، فالواجب إذن أن لا يودّهم وأن لا يُحبهم وأن يكون في قلبه بغض للكفر والكافرين.

ما يُظهره المسلم في التعامل هٰذا فيه تفصيل، إذا كان المتعَامَل ممن لا يُظهر العداوة للمسلم ولم يُقاتل في الدين ولم يستهزئ بالدين ولم يسعىٰ، وإنما هو في ظاهره مسالم فهٰذا لا بأس من أن يُحسَن إليه وأن يُقسط إليه، أي لا بأس من الإحسان إليه ومن البر به علىٰ ظاهر قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾[الممتحنة]، والنبي ﷺ زار يهوديًا وأسلم، وكان يُهدي لليهود من جيرانه لأجل الجوار من الطعام وربما ألان لهم الكلام وأحسن لأجل الدعوة ولأجل تأليف القلوب والمصلحة أو درء مفسدة، لكن هٰذا يختلف باختلاف الأحوال والمرادات والأشخاص.

أما أن يكون التعامل دائمًا علىٰ هٰذا النحو فهٰذا ليس جائز، يعني مثل بعض الناس يكون دائمًا مبتسم لسبب ولغير سبب هٰذه طبيعة صارت فينبغي له أن ينتبه، أما إذا كان لغرض شرعي فهٰذا طيب والأعمال بالنيات؛ لكن دائمًا تعامله يعني مثل ما يقولون هو حبيب مع الجميع، مع المسلم ومع غير المسلم وفي عمله، هٰذا ليس كذلك، هٰذا غير مسلك شرعي، المسلك الشرعي أنه إذا ألان الجانب فيلينه لمسلم، و«**تبسمك في وجه أخيك صدقة**»، أما غير المسلم فيعامله بالعدل، لا يظلمه لا يكفهّر في وجهه، لا يسبب بينه...، إذا كان غير مظهر للعداوة لا يسبب بينه وبينه يعني ما فيه ظلم له أو اعتداء عليه أو عدم إقساط في حقه، لأن الله أمر الإقساط في حقه وإعطاؤه حقه، لكن لا يتبسّط أو يُهدي أو نحو ذلك أو يزور إلا ما كان في حقه مصلحة شرعية أو درء مفسدة.(١)

سؤال (٥٧٤): يقول في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾[هود]، قال: هل هي هنا باعتبار الإضافة أم هي غير ما يُراد فيما نحن بصدده؟

**الجواب**: يعني يقصد بحث العصمة التي مرّ معنا. هٰذه العصمة مقيدة، يعني العصمة من الغرق وهي واضحة لا عاصم من الغرق هٰذا اليوم إلا من رَّحِمَهُ ٱللَّهُ جلّ وعلا، وهي غير داخلة في العصمة العامة.

سؤال (٥٧٥): أهل المذاهب الردية كالمعتزلة والأشاعرة والجبرية والقدريّة أين يوجدون في هٰذا الزمان؟

**الجواب**: في كلّ مكان يوجدون، المعتزلة والأشاعرة والجبرية والقدريّة، يوجدون في كل مكان، في كل مكان، وأيضًا كتبهم في كل مكان، ربما يدسُّون، يعني الواحد مثلا يقرأ كتاب أو تعليق ويجد أنه أدخلوا فيه بعض هٰذه الكلمات.

سؤال (٥٧٦): ما حال من يقول: إن العلماء لا يفهمون الاقتصاد وبالتالي لا يستطيعون إيجاد واستنباط الأحكام فيه.

**الجواب**: العلماء لا يُشترط فيهم أن يفهموا كل ما يجري في العالم من أمور حادثة حالة وجودها أو

---

(١) نهاية الشريط الثاني والخمسين.

حصولها، يعني جاءت مسألة في العالم اقتصادية، تفترض أن العالم يفهمها مباشرة؟ أصلًا حتىٰ بعض المتخصصين لا يفهم الشيء في حقيقته بسرعة، يعني مثلًا الآن عندك مسألة.. الآن البطاقات هٰذه، بطاقات الخصم أو بطاقات الائتمان أو أنواع البطاقات هٰذه الموجودة، هٰذه حقيقتها يجيء واحد يقول مفهومة، هو طبعًا يفهم استعماله هو لها، لكن هل يفهم حقيقة ما يجري في هٰذه الشركات؟ قد ما يفهم، الشركات هٰذه كيف تتكوّن وكيف تخصم وفعلا الشيء اللي يحصل، وهل ما يحصل في بلد ما يحصل في كل بلد، وفعل الشركات العظمىٰ يعني مثلًا إذا أخذت فيزا، هي شركة، هي تصدر عدد أنواع من القروض إلخ... هل هي تخصم من البنك أو تخصم من البائع، وكيف تسدّد وهل تجلس الأموال عندها فترة أو ما تجلس، وصفة المشتري، صفته حين اشترىٰ هل الشركة ضامنة أو هي حوالة؛ يعني هنا الآن تكييف المسألة، أحيانًا تجيء الصورة تكون واضحة في صورة معيّنة، لكن تكييف المسألة فقهيًا يُشكل، تكييف المسألة فقهيًا، ومع أن العلماء يتباينون في مثل التكييف لكن شرح الصورة تفهم الصورة.

الآن النقد مثلًا، النقد، وتغطية النقد وكيف يغطىٰ النقد وكيف تصدر العملات، كيف يكون؟ هٰذا لا شك أنه يختلف، يعني مثلًا بلد اقترضت فيها، لنفرض مثلًا -مع اعتذاري للإخوة السودانيين-، لنفرض السودان اقترضت من واحد عشرة آلاف دينار سوداني قبل عشر سنين، وجاء الآن بيردها، إذا يردها الآن عشرة آلاف سوداني كيف تمثل؟ لا تمثل، لا تمثل قيمة عشرة آلاف دينار سوداني التي كانت قبل عشر سنين، ممكن ما تمثّل ١٠٪ منها، الآن هل يرد العدد أو يرد ما يساوي القوة الشرائية له؟ فيطلب أنه يعادل هٰذا بهٰذه.

هٰذه مسائل لها تعلق بفهم حقيقة الأمر كيف يمشي، فيه من يقول لا يرد العدد هٰذا قرض، والقرض إحسان والعشرة آلاف هي العشرة آلاف. طيب لما كان نفسها العشرة آلاف قبل عشر سنين، كان راتبه هو، كان راتبه خسمائة دينار والآن راتبه هو عشرين ألف دينار، كيف يعني يكون؟ يتضاعف راتبه أربعين ضعف؟ ما يكون، الآن الدينار السوداني بكم ياالأخ ؟ كم الدينار السوداني؟ ( مجيب من الحاضرين: قبل عشر سنوات كان يساوي ٣ دولارات)، يعني حوالي إحدىٰ عشر ريال (والآن الدولار بمائتين) مائتين، يعني كم يطلع؟ ميتين؟ الدولار بمائتين، يعني أنا بعد مثالي كان متساهل، إذًا المسألة تحتاج إلىٰ يعني معرفة بحركات كثيرة وأشياء.

الأسهم الآن العالمية وما يدخل فيه والبورصة و... يعني فيه قضايا كثيرة لا يُشترط العالم أن يفهمها فورًا، ويعطيك تفاصيلها فورا وإلا ما يكون عالم، ليس صحيحا، أيضًا فهمها علىٰ الدقة مشكل.

والعالم لا تشترط فيه أنه متجرئ أنه دائمًا يبيّن، أحيانًا يتورّع حفظًا لدينه، مو ملزم، هٰذا أمر الله، مو ملزم بأنه يبين للناس ما لم يصل فيه إلىٰ اجتهاد واضح.

إذا قال أنا والله ما وصلت فيه إلىٰ اجتهاد واضح، هل يلزمه أن يبين ما لم يصل فيه إلىٰ حق عنده؟ ما يلزمه، ويكون فهم المسألة لكن أنا والله ما أتحمل ذمة الناس، تأتيه أشياء ديانية، يعني من جهة التدين تمنعه، فالأصل طبعًا في هٰذا هو حسن الظن بالعلماء وأنهم يفهمون، لكن يفهمون ما يُعرَض عليهم لكن يعترض الأمور أشياء قد تسبب التأخير.

سؤال (٥٧٧): منذ فترة عملت عملية في القلب ولم أصلِّ تسعة أيام وأريد أن أصلي ما علي، وأريد الطريق لقضاء ذلك، وهل يجوز لي أن أقصر في الصلاة حين أكون خارج الرياض؟

**الجواب:** هو إذا كان أنه أُجري له عملية في القلب وأفاق، يعني لم يُغمَ عليه فترة طويلة، أفاق هٰذا يعني بعد البنج وكذا أفاق، فإنه يجب عليه أن يصلي الصلاة في وقتها وله أن يجمع الظهر مع العصر والمغرب مع العشاء إذا كان أرفق بالمريض. لكن أن لا يصلي عدة أيام فإنه غير معذور، يعني غير معذور بذلك ولا يؤذن له بذلك. يصلي بحسب حاله وهو نائم وهو علىٰ جنبه، بحسب وضعه ويتطهر الطهور اللي يستطيعه، إما يتيمم أو تطهر... إلخ، يعني بحسب ما يستطيع: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ [البقرة:٢٨٦]، أما إذا كان أغمي عليه هٰذه المدة، مدة تسعة أيام ثم بعد ذلك أفاق فإنه ظاهر الفتاوىٰ، وعمل بعض الصحابة في أن ما زاد في الإغماء عن ثلاثة أيام فإنه لا يعاد أما إذا كان دون ثلاثة أيام فإنه يعاد.

هل يجوز لي أن أقصر في الصلاة حين أكون خارج الرياض؟

نعم إذا كنت تنوي قطع مسافة تبلغ ثمانين كيلو متر، علىٰ الاحتياط من أقوال أهل العلم.

(معنىٰ قول السائل: هو الآن عليه قضاء فهل يقضيها كاملة أم قصرا؟)

وسيقضيها وهو في سفر؟ لا، إذا وجبت الصلاة في حضر فإنه يقضيها كما كانت، تغليبًا لجانب الحضر لأنه هو الأصل والقضاء بحسب الأداء في هٰذه المسألة.

المسألة فيها خلاف طبعًا بين أهل العلم لكن هٰذا هو الأحوط وهو الصحيح.

سؤال (٥٧٨): متىٰ يكون الرياء شركًا أكبر؟

**الجواب:** يكون إذا كان كرياء المنافقين يُبطن الكُفر ويُظهر الإسلام،

سؤال (٥٧٩): ما حكم قول المسلم للكافر كلمة (سيد) أو (السيد)؟

**الجواب:** كلمة (سيد) لا يجوز أن تُطلق علىٰ كافر ولا علىٰ منافق لأنه لا سيادة لهما؛ لكن طبعًا هٰذه لأن دلالتها بالعربية سيادة، لكن أحيانًا تكون بالإنجليزية مثلًا أو بلغة أخرىٰ تُترجم بالعربية علىٰ أنها (سيد) لكن ليست ترجمتها صحيحة، يعني مثلًا كلمة إيش؟ (ميستر) (Mr)، (ميستر) تُترجم سيد، وهو في الواقع ليس معناها، لأن السيادة معناها التصرف والملك الخ، لكن كلمة (ميستر) بالإنجليزي لا تعني السيادة والتصرف ونحو ذلك، هي أقرب إليها كلمة (لورد) (lord) يعني اللي هو الربوبية أو السيادة وأما كلمة (ميستر) يعني مثل ما تقول إيش؟ نعم؟ يعني المحترم أو وجيه أو... يعني كلمة تقدير. لكن هم تُرجمت في بعض البلاد المجاورة علىٰ أنها كلمة مجاملة، ويضعون بدلها كلمة سيد لأنها مستعملة، عندهم، إطلاقها باللغة العربية سيد، لا يصلح لكن لو قيل مثلًا (ميستر) فلان هٰذه لا تدخل في معنىٰ السيادة في اللغة العربية.

نكتفي بهٰذا القدر ونلتقي نحن وإياكم علىٰ خير وهدىٰ، تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

**وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد**



لهذا الشرح المبارك

نتظر دعمكم بنشر حساباتنا علىٰ أوسع نطاق

موقع التفريغ: http://www.attafreegh.com

الصفحة الرسمية علىٰ الفايسبوك بالعربية: https://www.facebook.com/attafreegh.page

الصفحة الرسمية علىٰ الفايسبوك بالأنجليزية: https://www.facebook.com/attafreegh.english

التويتر: إدارة موقع التفريغ @attafreegh
https://twitter.com/attafreegh